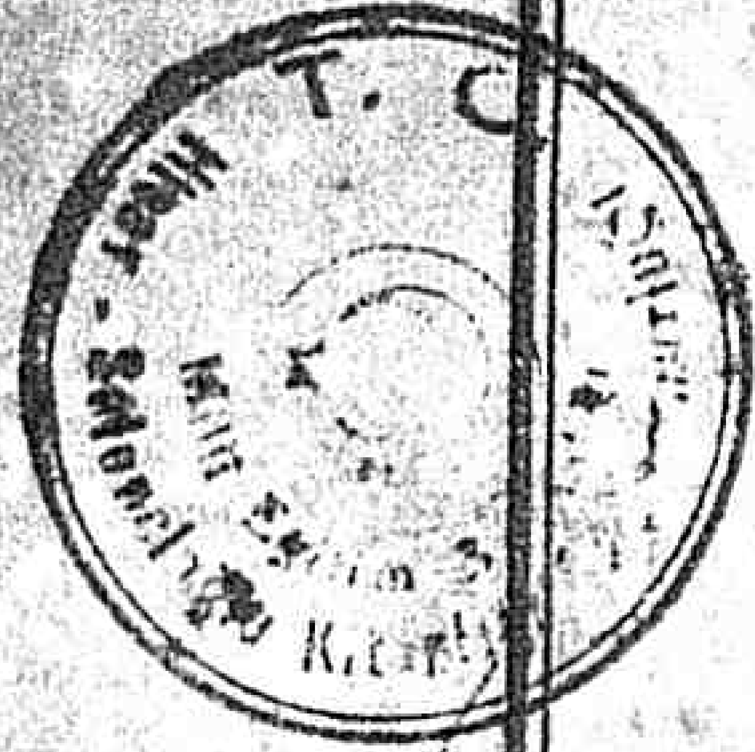
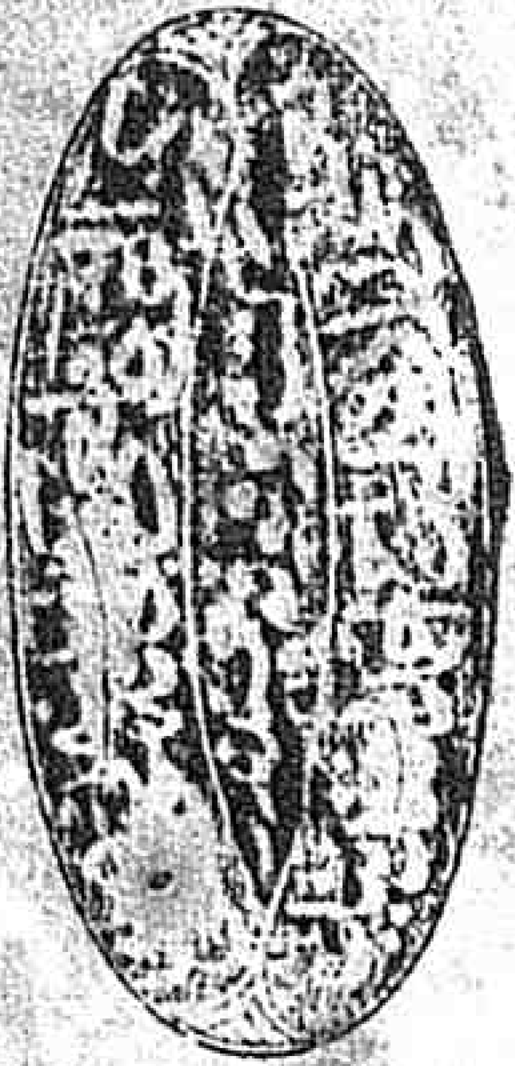
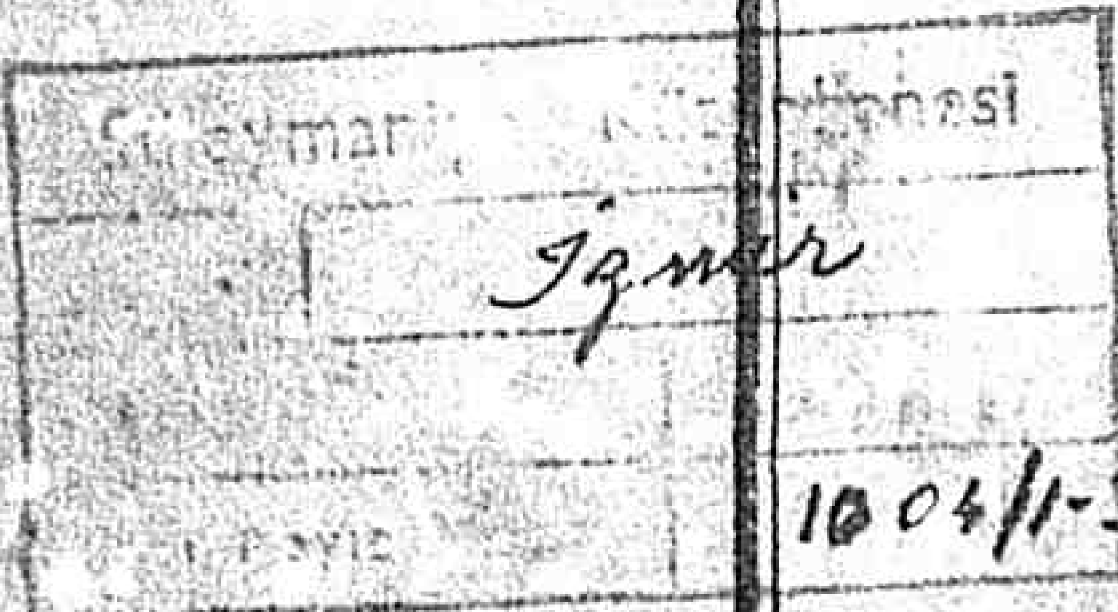
(فهرسة الجزء الثاني من كتاب وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان للقاضي ابن خلكان)







صحيفة

صحيفة

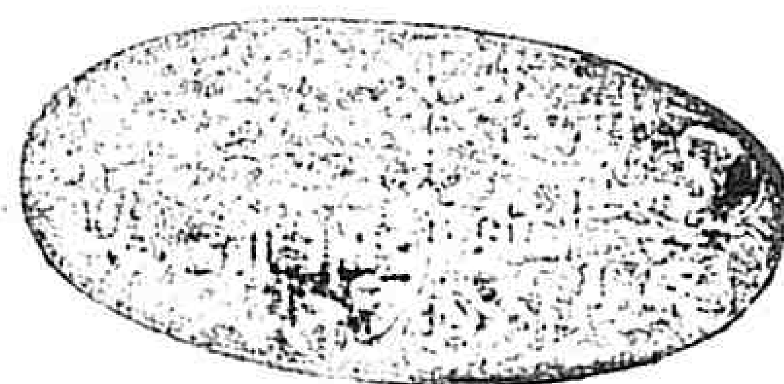
صحيفة

صحيفة

(تمت)

(بقية فهرسة الشقائق النعمانية الموضوعة بهامش الجزء الثاني)

(تمت فهرسة الشقائق النعمانية ويليها فهرست العقد المنظوم)



(فهرسة العقد المنظوم فى ذكر أفاضل الروم الموضوع بالهامش)

(تمت)



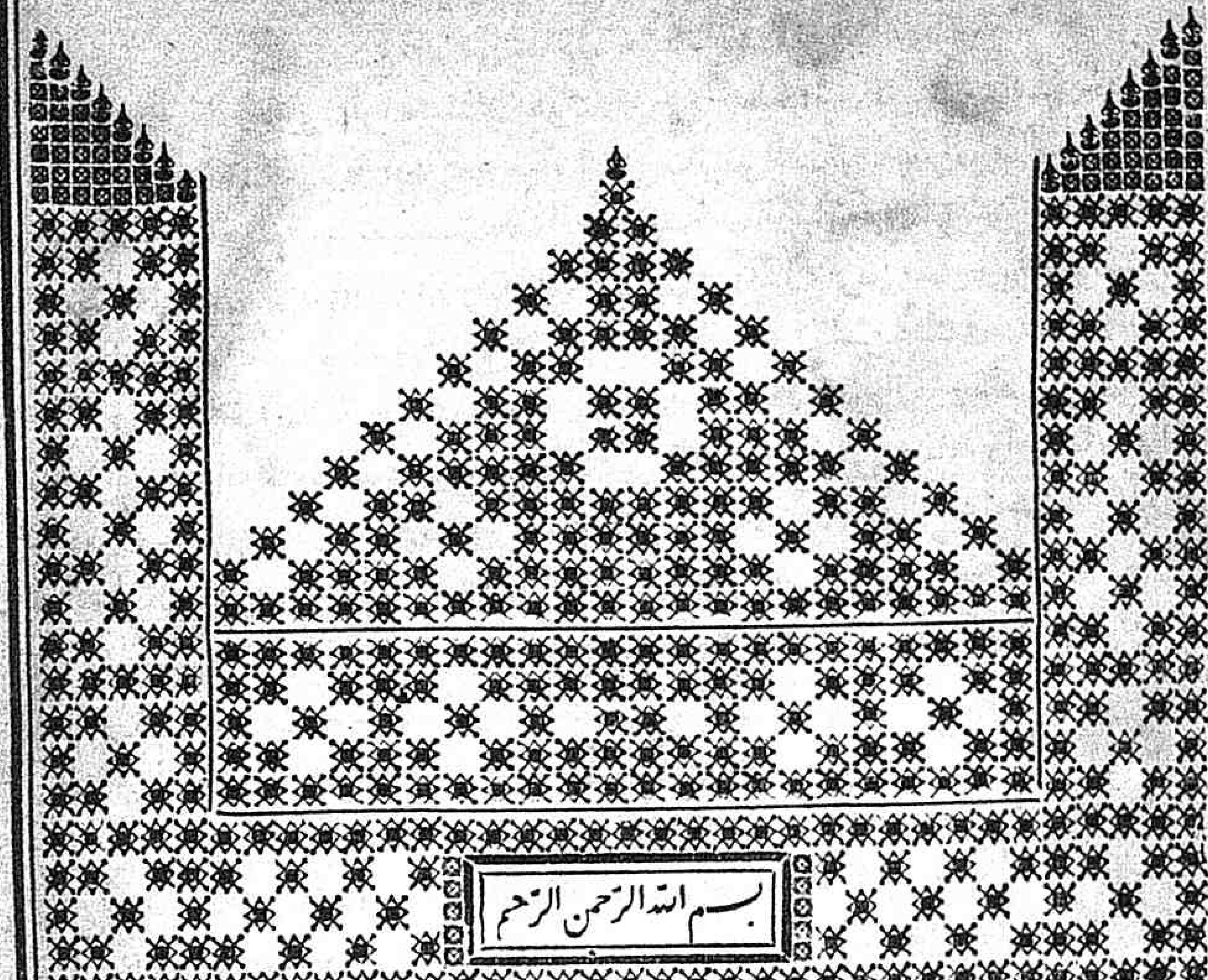
(الجزء الثانى)

من وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان
تأليف القاضى أحمد الشهير
بابن خلكان عليه رحمة الله
تعالى المنان
آمين

(ويليه فوات الوفيات للصلاح الكتبى رحمه الله)

(وبهامشه بقية الشقائق النعمانيه فى علماء الدوله العثمانيه)

(ويليه العقد المنظوم فى ذكر أفاضل الروم)



(الشريف الرضى أبو الحسن محمد بن الطاهر ذى المناقب أبى أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن ابراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم المعروف بالموسوى)

صاحب ديوان الشعر ذكره الثعالبى فى كتاب اليتيمة فقال فى ترجمته ابتدأ يقول الشعر بعد ان جاوز عشر سنين بقليل وهو اليوم أبدع أبناء الزمان وانجب سادات العراق يتحلى مع محتده الشريف ومفخره المنيف بادب ظاهر وفضل باهر وحظ من جميع المحاسن وافر ثم هو أشعر الطالبيين من مضى منهم ومن غبر على كثرة شعرائهم المفلقين ولو قلت انه أشعر قريش لم أبعد عن الصدق وسيشهد بما أخبر به شاهد عدل من شعره العالى القدح الممتنع عن القدح الذى يجمع الى السلاسة متانة والى السهولة رصانة ويشتمل على معانى يقرب جناها ويبعد مداها وكان أبوه يتولى قديما نقابة نقباء الطالبيين ويحكم فيهم أجمعين والنظر فى المظالم والحج بالناس ثم ردت هذه الاعمال كلها الى ولده الرضى المذكور فى سنة ثمان وثمانين وثلثمائة وأبوه حى ومن غرر شعره ما كتبه الى الامام القادر بالله أبى العباس أحمد بن المقتدر من جملة قصيدة

عطفا أمير المؤمنين فاننا * فى دوحة العلياء لا نتفرق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت * أبدا كلانا فى المعالى معرق
الا الخلافة ميزتك فاننى * انا عاطل منها وأنت مطوق

(ومن جيد شعره قوله أيضا)

رمت المعالى فامتنعن ولم يزل * أبدا يمانع عاشقا معشوق
وصبرت حتى نلتهن ولم أقل * ضجرا دواء الفارك التطليق

(وله من جملة أبيات)

ياصاحبى قفا لى واقضيا وطرا * وحدثانى عن نجد بأخبار
هل روضت قاعة الوعساء أم مطرت * خميلة الطلح ذات البان والغار

(ومنهم العالم الفاضل الكامل المولى جعفر البروسوى المشتهر بنهالى) قرأ رحمه الله تعالى على علماء عصره ثم صار مدرسا ببعض المدارس ثم صار قاضيا ببعض البلاد ثم صار مدرسا بمدرسة الوزير المرحوم مصطفى باشا بمدينة قسطنطينية ثم صار قاضيا بمدينة غلطة ثم مال الى العزلة والفراغة وعين له كل يوم ثلاث وثلاثون درهما بطريق التقاعد وتوفى على تلك الحال فى جوار الخمسين وتسعمائة وكان عالما فاضلا لذيذ الصحبة حسن النادرة خفيف الروح ظريف الطبع وكان زين المجالس والمحافل واختار العزلة فى أواخر عمره وترك الرياسة من التواضع وطرح التكلف المعتاد بين الناس وكانت له أشعار مقبولة باللسان التركى روح الله روحه ونور ضريحه
*(ومنهم العالم الفاضل

أم هل أبيت ودار دون كاظمة * دارى وسمار ذاك الحى سمارى
تضوع أرواح نجد من ثيابهم * عند القدوم لقرب العهد بالدار

وديوان شعره كبير يدخل فى أربع مجلدات وهو كثير الوجود فلا حاجة الى الاكثار من شعره وذكر أبو الفتح بن جنى المقدم ذكره فى بعض مجاميعه أن الشريف الرضى المذكور أحضر الى ابن السيرافى النحوى وهو طفل جدا لم يبلغ عمره عشر سنين فلقنه النحو وقعد معه يوما فى حلقته فذاكره بشئ من الاعراب على عادة التعليم فقال له اذا قلنا رأيت عمر وفما علامة النصب فى عمرو فقال له الرضى بغض على فعجب السيرافى والحاضرون من حدة خاطره وذكر انه تلقن القرآن بعد ان دخل فى السن فحفظه فى مدة يسيرة وصنف كتابا فى معانى القرآن الكريم يتعذر وجود مثله دل على توسعه فى علم النحو واللغة وصنف كتابا فى مجازات القرآن فجاء نادرا فى بابه وقد عنى بجمع ديوان الشريف الرضى المذكور جماعة وأجود ما جمع الذى جمعه أبو حكيم الخبرى ولقد أخبرنى بعض الافاضل انه رأى فى مجموع أن بعض الادباء اجتاز بدار الشريف الرضى المذكور بسر من رأى وهو لا يعرفها وقد أخنى عليها الزمان وذهبت بهجتها وأخلقت ديباجتها وبقايا رسومها تشهد لها بالنضارة وحسن الشارة فوقف عليها متعجبا من صروف الزمان وطوارق الحدثان وتمثل بقول الشريف الرضى المذكور

ولقد وقفت على ربوعهم * وطلولها بيد البلى نهب
فبكيت حتى ضج من لغب * نضوى ولج بعذلى الركب
وتلفتت عينى فمذ خفيت * عنى الطلول تلفت القلب

فمر به شخص وسمعه وهو ينشد الابيات فقال له هل تعرف هذه الدار لمن هى فقال لا فقال هذه الدار لصاحب هذه الابيات الشريف الرضى فعجبا من حسن الاتفاق *ولقد أذكرتنى هذه الواقعة حكاية هى فى معناها ذكرها الحريرى فى كتاب درة الغواص فى أوهام الخواص وهى على ما رواه أن عبيد بن شرية الجرهمى عاش ثلثمائة سنة وأدرك الاسلام فأسلم ودخل على معاوية بن أبى سفيان بالشام وهو خليفة فقال له حدثنى باعجب ما رأيت فقال مررت ذات يوم بقوم يدفنون ميتا لهم فلما انتهيت اليهم اغرورقت عيناى بالدموع فتمثلت بقول الشاعر

ياقلب انك من أسماء مغرور * فاذكر وهل ينفعنك اليوم تذكير
قد بحت بالحب ما تخفيه من أحد * حتى جرت لك أطلاقا محاضير
فلست تدرى وما تدرى أعاجلها * أدنى لرشدك أم ما فيه تأخير
فاستقدر الله خيرا وارضين به * فبينما العسر اذ دارت مياسير
وبينما المرء فى الاحياء مغتبط * اذا هو الرمس تعفوه الاعاصير
يبكى الغريب عليه ليس يعرفه * وذو قرابته فى الحى مسرور

قال فقال لى رجل أتعرف من يقول هذا الشعر فقلت لا فقال ان قائله هو الذى دفناه الساعة وأنت الغريب الذى تبكى عليه ولست تعرفه وهذا الذى خرج من قبره أمس الناس رحما به وأسرهم بموته فقال له معاوية لقد رأيت عجبا فمن الميت قال هو عثير بن لبيد العذرى *ومثل هاتين القصتين ما ذكره الخطيب أبو زكريا التبريزى فى كتاب شرح الحماسة وذكره غيره أيضا ان عمرو بن شاس الاسدى الشاعر المشهور كانت له امرأة من قومه وابن من أمة سوداء يقال له عرار فكانت تعير به أباه وتؤذيه ويؤذيها فانكر عمرو عليها اذاها له وقال

أرادت عرارا بالهوان ومن يرد * عرار العمرى بالهوان لقد ظلم
وان عرارا ان يكن غير واضح * فانى أحب الجون ذا المنكب العمم

وهى عدة أبيات فى الباب الاول من كتاب الحماسة والجون الاسود والعمم التام وكان عرار أحد فصحاء العقلاء وتوجه من عند المهلب بن أبى صفرة الى الحجاج بن يوسف الثقفى رسولا فى بعض أمور فلما مثل بين يدى الحجاج لم يعرفه وازدراه فلما استنطقه أبان واعرب ما شاء وبلغ الغاية والمراد فى كل ما سئل عنه فانشد

المولى المشتهر بينهم باشق قاسم)* كان رحمه الله تعالى من بلدة أزنيق قرأ على علماء عصره حتى وصل الى خدمة المولى عبد الكريم ثم صار مدرسا بمدرسة بلاطه ثم صار مدرسا بمدرسة وكاول ثم صار مدرسا بالمدرسة الحجرية بادرنه ثم عين له كل يوم ثلاث وثلاثون درهما بطريق التقاعد وتوفى وهو على تلك الحال فى سنة خمس وأربعين وتسعمائة بمدينة ادرنه كان رحمه الله تعالى ذكى الطبع مقبول الكلام لطيف المحاضرة حسن النادرة زين المجامع والمحافل وكان صاحب لطائف عظيمة لو جمعت لطائفه لحصلت منها دفاتر أعرضت عن ذكرها خوفا من التطويل وكان صالحا عابدا متورعا مشتغلا بنفسه متجردا عن الاهل والعيال وكان كثير الفكرة مشتغلا بذكر الله تعالى فى الايام والليالى وكان له خشوع عظيم فى صلاته وقد بلغ عمره الى قريب من مائة روح الله تعالى روحه ونور ضريحه
(ومنهم العالم الفاضل الكامل المولى فخر الدين ابن اسرافيل زاده) قرأ على علماء عصره ثم وصل الى خدمة المولى الفاضل جعفر چلبى بن التاج الطغرائى ثم صار مدرسا ببعض المدارس ثم

الحجاج متمثلا أرادت عرارا بالهوان ومن يرد * عرار العمرى بالهوان لقد ظلم
فقال عرار أنا أيد الله الامير عرار فاعجب به و بذلك الاتفاق وشاس المكان الغليظ وعمرو المذكور من أسد
ابن خزيمة وهو مخضرم أدرك الاسلام وهو شيخ كبير وعرار من قولهم عار الظليم بتشديد الراء يعار عرارا
اذا صاح يقول أرادت امرأتى اهانة عرار ومن طلب ذلك من مثله فقد وضع الشئ فى غير محله وهو أظلم
واجتهد عمرو بن شاس ان يصلح بين امرأته وابنه فلم يمكنه فطلقها فندم وقال فى ذلك شعرا تركته لعدم
الحاجة وخشية الاطالة رجعنا الى ذكر الشريف قال الخطيب فى تاريخ بغداد سمعت أبا عبد الله محمد بن
عبد الله الكاتب بحضرة أبى الحسين بن محفوظ وكان أوحد الرؤساء يقول سمعت جماعة من أهل العلم
بالادب يقولون ان الرضى أشعر قريش فقال ابن محفوظ هذا صحيح وقد كان فى قريش من يجيد القول الا ان
شعره قليل فأما مجيد مكثر فليس الا الشريف الرضى وكانت ولادته سنة تسع وخمسين وثلثمائة ببغداد
وتوفى بكرة يوم الاحد سادس المحرم وقيل صفر سنة ست وأربعمائة ببغداد ودفن فى داره بخط مسجد
الانباريين بالكرخ وقد خربت الدار ودرس القبر ومضى أخوه المرتضى أبو القاسم على الى مشهد موسى
ابن جعفر لانه لم يستطع ان ينظر الى تابوته ودفنه وصلى عليه الوزير فخر الملك فى الدار مع جماعة كثيرة رحمه
الله تعالى وكانت ولادة والده الطاهر ذى المناقب ابى أحمد الحسين سنة سبع وثلثمائة وتوفى فى جمادى الاولى
سنة أربعمائة وقيل توفى سنة ثلاث وأربعمائة ببغداد ودفن فى مقابر قريش بمشهد باب التين ورثاه أيضا
أبو العلاء المعرى بقصيدته التى أولها

أودى فليت الحادثات كفاف (١) * مال المسيف وعنبر المستاف

وهى طويلة أجاد فيها كل الاجادة وقد تقدم ذكر أخيه الشريف المرتضى أبى القاسم على وعبيد بفتح العين
المهملة وكسر الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها دال مهملة وشريه بفتح الشين المعجمة
وسكون الراء وفتح الياء المثناة من تحتها وبعدها ٢ هاء ساكنة والجرهمى بضم الجيم وسكون الراء وضم
الهاء وبعدها ميم هذه النسبة الى جرهم بن قحطان وهى قبيلة كبيرة مشهورة باليمن وعثير بكسر العين
المهملة وسكون الثاء المثلثة وفتح الياء المثناة من تحتها وبعدها راء وهو فى الاصل اسم للغبار وبه سمى الرجل
ولبيد اسم علم مشهور فلا حاجة الى ضبطه وقد تقدم الكلام على العذرى والله أعلم

*(أبو القاسم وأبو الحسن محمد بن هانى الازدى الاندلسى الشاعر المشهور وقيل انه من ولد يزيد بن
حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبى صفرة الازدى وقيل بل هو من ولد أخيه روح بن حاتم)*

وقد تقدم ذكر يزيد وأخيه روح فى ترجمة روح فى حرف الراء وكان أبوه هانى من قرية من قرى المهدية
بافريقية وكان شاعرا أديبا فانتقل الى الاندلس فولد له محمد المذكور بمدينة اشبيلية ونشأ بها واشتغل
وحصل له حظ وافر من الادب وعمل الشعر ومهر فيه وكان حافظا لاشعار العرب واخبارهم واتصل بصاحب
اشبيلية وحظى عنده وكان كثير الانهماك فى الملاذ متهما بمذهب الفلاسفة ولما اشتهر عنه ذلك نقم عليه أهل
اشبيلية وساءت المقالة فى حق الملك بسببه واتهم بمذهبه أيضا فاشار الملك عليه بالغيبة عن البلد مدة ينسى فيها
خبره فانفصل عنها وعمره يومئذ سبعة وعشرون عاما وحديثه طويل وخلاصته انه خرج الى عدوة المغرب ولقى
جوهرا القائد مولى المنصور وقد تقدم ذكره وما جرى له عند توجهه الى مصر وفتحها للمعز فامتدحه ثم
ارتحل الى جعفر ويحيى ابنى على وقد تقدم ذكر جعفر وكانا بالمسيلة وهى مدينة الزاب وكانا واليها فبالغا فى
اكرامه والاحسان اليه فنمى خبره الى المعز أبى تميم معد بن المنصور العبيدى وسيأتى ذكره فى هذا الحرف
ان شاء الله تعالى فطلبه منهما فلما انتهى اليه بالغ فى الانعام عليه ثم توجه المعز الى الديار المصرية كما سيأتى
فى خبره فشيعه ابن هانى المذكور ورجع الى المغرب لاخذ عياله والالتحاق به فتجهز وتبعه فلما وصل الى برقة
أضافه شخص من أهلها فأقام عنده أياما فى مجلس الانس فيقال انهم عربدوا عليه فقتلوه وقيل خرج من

صار مدرسا بمدرسة
السلطان بايزيدخان بمدينة
بروسه ثم صار مدرسا
بمدرسة مناستر هنالك ثم
صار مدرسا بسلطانية
بروسه ثم صار قاضيا
بدمشق الشام ثم عزل عن
ذلك وعين له كل يوم ثمانون
درهما بطريق التقاعد ثم
صار قاضيا ثانيا بدمشق

(١) كفاف اسم معدول
مبنى على الكسر مثل قطام
جعله اسما لكف الاذى
أى ليت الحادثات يكف
بعضها بعضا ويقوم خيرها
بشرها وأساف الرجل
ذهب ماله والاستياف
الشم والمعنى ان المرثى كان
مال من ذهب ماله أى كان
يعطى المسيف ويواسيه
بالمال فكان هو للمسيف
بمنزلة ماله فلما هلك كان
كأنه قد أودى مال المسيف
وجعل المرثى أيضا عنبر
المستاف أى انه نفاع نفاح
بمنزلة العنبر فانه بطبيعته
يرطب الدماغ وبعطريته
جوهره يقوى الروح
النفسانى الذى فى الدماغ
نزل المرثى منزلة مال المسيف
وعنبر المستاف والتقدير
أودى مال المسيف وعنبر
المستاف فليت الحادثات
كفاف اهـ ش

٢ قوله هاء ساكنة أى فى
الوقف أما فى الوصل فهى
تاء ورأيت فى الشهاب
على الدرة ان شرية بوزن
عطية قاله نصر

تلك الدار وهو سكران فنام فى الطريق وأصبح ميتا ولم يعرف سبب موته وقيل انه وجد فى سانية من سوانى
برقة مخنوقا بتكة سراويله وكان ذلك فى بكرة يوم الاربعاء لسبع ليال بقين من رجب سنة اثنتين وستين
وثلثمائة وعمره ست وثلاثون سنة وقيل اثنتان وأربعون رحمه الله تعالى هكذا قيده صاحب كتاب أخبار
القيروان وأشار الى أنه كان فى صحبة المعز وهو مخالف لما ذكرته أولا من تشييعه للمعز ورجوعه لاخذ عياله
ولما بلغ المعز وفاته وهو بمصر تأسف عليه كثيرا وقال هذا الرجل كنا نرجو أن نفاخر به شعراء المشرق فلم يقدر
لنا ذلك وله فى المعز المذكور غرر المدائح ونخب الشعر فمن ذلك قصيدته النونية ٣ التى أولها

هل من أعقة عالج يبرين * أم منهما بقر الحدوج العين * ولمن ليال ما ذممنا عهدها
مذ كن الا أنهن شجون * المشرقات كأنهن كواكب * والناعمات كأنهن غصون
بيض وما ضحك الصباح وانها * بالمسك من طرر الحسان لجون * ادمى لها المرجان صفحة خده
وبكى عليها اللؤلؤ المكنون * أعدى الحمام تأوهى من بعدها * فكأنه فيما سجعن رنين
بانوا سراعا للهوادج زفرة * مما رأين وللمطى حنين * فكأنما صبغوا الضحى بقبابهم
أو عصفرت فيه الخدود جفون * ماذا على حلل الشقيق لو انها * عن لابسيها فى الخدود تبين
لاعطشن الروض بعدهم ولا * يرويه لى دمع عليه هتون * أأعير لحظ العين بهجة منظر
وأخونهم انى اذن لخؤون * لا الجو جو مشرق ولو اكتسى * زهرا ولا الماء المعين معين
لا يبعدن اذا العبير له ثرى * والبان دوح والشموس قطين * أيام فيه العبقرى مفوف
والسابرى مضاعف موضون * والزاعبية شرع والمشرفية لمع والمقربات صفون
والعهد من ظمياء اذ لا قومها * خزر ولا الحرب الزبون زبون * حزنى لذاك الجو وهو أسنة
وكناس ذاك الخشف وهو عرين * هل يدنينى منه أجرد سابح * مرح وجائلة النسوع أمون
ومهند فيه الفرند كأنه * درله خلف الغرار كمين * عضب المضارب مقفر من أعين
لكنه من أنفس مسكون * قد كان رشح حديده أجلا وما * صاغت مضاربه الرقاق قيون
وكأنما يلقى الضريبة دونه * باس المعز أو اسمه المخزون

ومنها فى وصف الخيل وصواهل لا الهضب يوم مغارها * هضب ولا البيد الحزون حزون

عرفت بساعة سبقها الا أنها * علقت بها يوم الرهان عيون * وأجل علم البرق فيها أنها
مرت بجانحتيه وهى ظنون * فى الغيث شبه من نداك كأنما * مسحت على الانواء منك يمين

وهذه القصيدة من قصائده الطنانة ولولا طولها لاوردتها كلها وفى هذا الانموذج دلالة على علو درجته وحسن
طريقته وديوانه كبير ولولا ما فيه من الغلو فى المدح والافراط المفضى الى الكفر لكان من أحسن الدواوين
وليس فى المغاربة من هو فى طبقته لا من متقدميهم ولا من متأخريهم بل هو أشعرهم على الاطلاق وهو
عندهم كالمتنبى عند المشارقة وكانا متعاصرين وان كان فى المتنبى مع أبى تمام من الاختلاف ما فيه ومازلت
أتطلب تاريخ وفاة ابن هانئ المذكور من التواريخ والمظان التى يطلب منها فلا أجده وسألت عنه خلقا
كثيرا من مشايخ هذا الشان فلم أجده حتى ظفرت به فى كتاب لطيف لابى على الحسن بن رشيق القيروانى
سماه قراضة الذهب فالفيته كما هو مذكور ههنا ونقلت مدة عمره من موضع آخر رأيت بعض الافاضل قد
اعتنى باحواله فجمعها وكتبها فى أول ديوانه وذكر مدة العمر ولم يذكر تاريخ الوفاة لانه ما عثر عليه ويقال ان
أبا العلاء المعرى كان اذا سمع شعر ابن هانئ يقول ما أشبهه الا برحى تطحن قرونا لاجل القعقعة التى فى ألفاظه
ويزعم انه لا طائل تحت تلك الالفاظ ولعمرى ما أنصفه فى هذا المقال وما حمله على هذا الافراط تعصبه للمتنبى
وبالجملة فما كان الا من المحسنين فى النظم

(ذو الوزارتين أبو بكر محمد بن عمار المهرى الاندلسى الشلبى الشاعر المشهور)

هو وابن زيدون القرطبى المذكور فى حرف الهمزة فرسا رهان ورضيعا لبان فى التصرف فى فنون البيان

المحروسة ثم حج وعزل عن
القضاء واعطى مدرسة
السلطان مرادخان بمدينة
بروسه وعين له كل يوم
ثمانون درهما ثم اختل
دماغه ومات وهو على تلك
الحال سنة ثلاث وأربعين
وتسعمائة كان رحمه الله
تعالى صاحب ذكاء وفطنة
لطيف المحاورة طلق
اللسان مقبول الكلام
وكانت له مشاركة فى العلوم
وكان له اختصاص بالعلوم
العقلية روح الله روحه
ونور ضريحه

*(ومنهم العالم الفاضل
الكامل المولى شمس الدين
أحمد بن عبد الله)*
كان من عتقاء السيد
ابراهيم الاماسى المقدم ذكره
قرأ رحمه الله على مولاه
المذكور ثم صار مدرسا
بمدرسة أبى أيوب الانصارى
عليه رحمة الله الملك البارى
ثم صار مدرسا بنواحى
اماسيه ثم صار مدرسا
باحدى المدارس الثمان
ثم صار قاضيا بدمشق الشام
وتوفى وهو قاض بها فى سنة
اثنتين وأربعين وتسعمائة
كان رحمه الله تعالى عالما
صالحا تقيا نقيا محبا للصلحاء
وكان سليم الطبع حليم
النفس وقورا صبورا

٣ عدة أبيات النونية
المذكورة خمسة وثمانون
بيتا منها
فارزق عبادك منك فضل
شفاعة
واقرب بهم زلفى فأنت مكين

وهما كاناشاعرى ذلك الزمان فكانت ملوك الاندلس تخاف من ابن عمار المذكور لبذاءة لسانه وبراعة احسانه لاسيما حين اشتمل عليه المعتمد على الله بن عباد صاحب غرب الاندلس الآتى ذكره فى هذا الحرف ان شاء الله تعالى وانتهضه جليسا وسميرا وقدمه وزيرا ومشيرا ثم خلع عليه خاتم الملك ووجهه أميرا وكان قد أتى عليه حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا فتبعته المواكب والمضارب والنجائب والجنائب والكتائب والجنوب وضربت خلفه الطبول ونشرت على رأسه الرايات والبنود فملك مدينة تدمير وأصبح راقى منبر وسرير ومع ما كان فيه من عدم السياسة وسوء التدبير ثم وثب على مالك رقه ومستوجب شكره ومستحقه فبادر الى عقوقه وبخس حقه فتحيل المعتمد عليه وسدد سهام المكايد اليه حتى حصل فى قبضته قنيصا وأصبح لا يجد له محيصا الى ان قتله المعتمد فى قصره ليلا بيده وأمر من أنزله فى ملحده وذلك فى سنة سبع وسبعين وأربعمائة بمدينة اشبيلية وكانت ولادته فى سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة وقصته مشهورة ولما قتله المعتمد رثاه صاحبه أبو محمد عبد الجليل بن وهبون الاندلسى المرسى بقوله من جملة قصيدة

عجبا له أبكيه مل‌ء مدامعى * وأقول لا شلت يمين القاتل

وقال أبو نصر الفتح بن خاقان صاحب قلائد العقيان لقد رأيت عظمى ساقى ابن عمار قد أخرجا بعد سنين من حفير بجانب القصر واساودهما بهما ملتفه ولبلتهما مشتفه ما نغرت أفواههما ولا حل التواؤهما فرمق الناس العبر وصدق المكذب الخبر يعنى بالاساود القيود ومن مشاهير قصائد ابن عمار المذكور قوله

أدر الزجاجة فالنسيم قد انبرى * والنجم قد صرف العنان عن السرى
والصبح قد أهدى لنا كافوره * لما استرد الليل منا العنبرا

ومن مديحها وهى فى المعتمد بن عباد

ملك اذا ازدحم الملوك بمورد * ونحاه لا يردون حتى يصدرا
اندى على الاكباد من قطر الندى * وألذ فى الاجفان من سنة الكرى
قداح زند المجد لا ينفك من * نار الوغى الا الى نار القرى

وهى طويلة فائقة ومن جيد شعره أيضا القصيدة الميمية وهى أيضا فى المعتمد بن عباد وأولها

على والا ما بكاء الغمائم * وفى والا فيم نوح الحمائم

ومنها أيضا فى وصف وطنه

كساها الحيا برد الشباب فانها * بلاد بها حل الشباب تمائمى
ذكرت بها عهد الصبا فكأنما * قدحت بنار الشوق بين الحيازم
ليالى لا ألوى على رشد لائم * عنانى ولا أثنيه عن غى هائم
انال سهادى من عيون نواعس * وأجنى عذابى من غصون نواعم
وليل لنا بالسد بين معاطف * من النهر ينساب انسياب الاراقم
تمر علينا ثم عنا كأنها * حواسد تمشى بيننا بالنمائم
بحيث اتخذنا الروض صار يزورنا * هداياه فى أيدى الرياح النواسم
وبتنا ولا واش يحس كأنما * حللنا مكان السر من صدر كاتم

ومن مديحها

ملوك مناخ العز فى عرصاتهم * ومثوى المعالى بين تلك المعالم
هم البيت ما غير الظبا لبنائه * بأس ولا غير القنا بدعائم
اذا قصر الروع الخطا نهضت بهم * طوال العوالى فى طوال المعاصم
وأيد أبت من أن تؤوب ولم تفز * بجز النواصى أو بجز الغلاصم
ندامى الوغى يجرون بالموت كاسها * اذا رجعت اسيافهم بالجماجم
هنالك القنا مجرورة من حفائظ * وثم الظبا مهزوزة من عزائم
اذا ركبوا فانظره أول طاعن * وان نزلوا فارصده آخر طاعم

صاحب شيبة حسنة وكان حسن السمت صحيح العقيدة محمود الطريقة مرضى السيرة أديبا لبيبا كريما عاقلا روح الله تعالى روحه ونور ضريحه
(ومنهم العالم الفاضل الكامل المولى حسام الدين حسن جلبى القراصوى)
قرأ على علماء عصره ثم وصل الى خدمة المولى عبد الكريم ابن المولى علاء الدين على العربى ثم صار مدرسا ببعض المدارس ثم صار مدرسا بمدرسة اسكوب ثم صار مدرسا بمدرسة السلطان بايزيدخان فى طرابوزان ثم صار مدرسا باحدى المدارس الثمان ثم صار قاضيا بمدينة بروسه ثم صار قاضيا بمدينة أدرنه ثم صار قاضيا بقسطنطينية ثم صار مدرسا ثانيا باحدى المدارس الثمان وعين له كل يوم مائة درهم ومات وهو مدرس بها فى سنة سبع وخمسين وتسعمائة كان رحمه الله تعالى كريم الطبع سخى النفس حليما صبورا على الشدائد لذيذ الصحبة حسن المحاورة طارحا للتكلف منصفا فى نفسه وكان لا يضمر سوأ لاحد وكانت له مشاركة فى العلوم كلها وكان له طبع ذكى نافذ وكان صاحب تحقيق وتدقيق روح الله

وهى أيضا طويلة طنانة ومن جملة ذنوبه عند المعتمد بن عباد ما بلغه عنه من هجائه وهجاء أبيه المعتضد فى بيتين هما كانا من أكبر أسباب قتله وهما

مما يقبح عندى ذكر اندلس * سماع معتضد فيها ومعتمد
أسماء مملكة فى غير موضعها * كالهر يحكى انتفاخا صولة الاسد

ومحاسن ابن عمار كثيرة والمهرى بفتح الميم وسكون الهاء وبعدها راء هذه النسبة الى مهرة بن حيدان بن الحاف بن قضاعة وهى قبيلة كبيرة ينسب اليها خلق كثير والشلبى بكسر الشين المعجمة وسكون اللام وبعدها باء موحدة هذه النسبة الى شلب وهى مدينة بالاندلس على ساحل البحر وتدمير بضم التاء المثناة من فوقها وسكون الدال المهملة وكسر الميم وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء وهى مدينة مرسية وكان المعتمد بن عباد قد سير اليها أبا بكر بن عمار المذكور نائبا عنه فعصى بها ولم يزل المعتمد يحتال عليه حتى وقع فى قبضته وقتله بيده كما تقدم أولا وشهرة هذه الواقعة تغنى عن الاطالة فى تفصيلها وذكر عماد الدين الاصفهانى الكاتب فى كتاب الخريدة فى ترجمة ابن عمار المذكور وقتله المعتمد وكان أقوى الاسباب لقتله انه هجاه بشعر ذكر فيه أم بنيه المعروفة بالرميكية وهى أبيات منها

تخيرتها من بنات الهجان * رميكية لا تساوى عقالا
فجاءت بكل قصير الذراع * لئيم التجارب عما وخالا

قلت وهذه الرميكية كانت سرية المعتمد اشتراها من رميك بن حجاج فنسبت اليه وكان قد اشتراها فى أيام أبيه المعتضد فافرط فى الميل اليها وغلبت عليه واسمها اعتماد فاختار لنفسه لقبا يناسب اسمها هو المعتمد وتوفيت باغمات قبل المعتمد بايام ولم تر قاله عبرة ولا فارقته حسرة حتى قضى نحبه أسفا وحزنا وهى التى أغرت المعتمد على قتل ابن عمار لكونه هجاها وقيل ان هذا الشعر ليس لابن عمار وانما نسبته اليه لكى توغر صدر المعتمد عليه والله أعلم

(أبو بكر محمد بن باجة التجيبى الاندلسى السرقسطى المعروف بابن الصائغ الفيلسوف الشاعر المشهور)

ذكره أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد بن خاقان القيسى صاحب قلائد العقيان فى كتابه ونسبه الى التعطيل ومذهب الحكماء والفلاسفة وانحلال العقيدة وقال فى حقه فى كتابه الذى سماه مطمح الانفس ما مثاله نظر فى كتب التعاليم وفكر فى اجرام الافلاك وحدود الاقاليم ورفض كتاب الله الحكيم ونبذه وراء ظهره ثانى عطفه وأراد ابطال ما لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه واقتصر على الهيئة وانكر ان يكون الى الله فيئه وحكم الكواكب بالتدبير واجترم على الله اللطيف الخبير واجترأ عند سماع النهى والايعاد واستهزأ بقوله تعالى ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد فهو يعتقد ان الزمان دور وأن الانسان نبات أو نور حمامه تمامه واختطافه قطافه قد محى الايمان من قلبه فما له فيه رسم ونسى الرحمن لسانه فما مر عليه له اسم ولقد بالغ ابن خاقان فى أمره وجاوز الحد فيما وصفه به من هذه الاعتقادات الفاسدة والله أعلم بكنه حاله وأورد له مقاطيع من الشعر فمن ذلك قوله

أسكان نعمان الاراك تيقنوا * بانكم فى ربع قلبى سكان
ودوموا على حفظ الوداد فطالما * بلينا باقوام اذا استؤمنوا خانوا
سلوا الليل عنى مذ تناءت دياركم * هل اكتحلت بالغمض لى فيه أجفان
وهل جردت أسياف برق سماؤكم * فكانت لها الا جفونى أجفان

وكان قد أنشدنى هذه الابيات بعض أشياخ المغاربة الفضلاء بمدينة حلب منسوبة الى ابن الصائغ المذكور ثم وجدتها بعد ذلك بعينها فى ديوان أبى الفتيان محمد بن حيوس الآتى ذكره ان شاء الله تعالى فبقيت شاكا فيما أنشدنى ذلك الشيخ وقلت لعله وهم فى نسبتها الى ابن الصائغ الى ان وجدتها فى كتابه مطمح الانفس

تعالى روحه ونور ضريحه
(ومنهم العالم الفاضل الكامل المولى أمير حسن الرومى)
قرأ رحمه الله تعالى على علماء عصره ثم صار مدرسا ببعض المدارس ثم صار مدرسا بمدرسة أمير الامراء بمدينة ادرنه ثم صار مدرسا بمدرسة الوزير ابراهيم باشا بمدينة قسطنطينية ثم صار مدرسا بمدرسة الوزير داود باشا بالمدينة المزبورة ثم صار مدرسا بمدرسة دار الحديث بادرنه ومات وهو مدرس بها كان رحمه الله تعالى كريم الطبع حليم النفس مشتغلا بالعلم وكانت له مشاركة فى العلوم كلها وله حواش على شرح الفرائض للسيد الشريف وحواش على شرح الرسالة المصنفة فى علم الادب لمسعود الرومى وغير ذلك روح الله تعالى روحه ونور ضريحه
(ومنهم العالم الفاضل الكامل المولى محمد شاه ابن المولى شمس الدين اليكانى)
قرأ على علماء عصره ثم صار معيد الدرس المولى الفاضل علاء الدين على الجمالى المفتى ثم صار مدرسا بمدرسة مراد باشا بمدينة قسطنطينية ثم صار مدرسا بمدرسة الوزير داود باشا بالمدينة المزبورة ثم صار مدرسا بالمدرسة القلندرية بالمدينة المزبورة ثم صار مدرسا بمدرسة الوزير على

أيضا منسوبة الى ابن الصائغ المذكور والله تعالى أعلم لمن هى منهما وله أيضا

ضربوا القباب على اقاحة روضة * خطر النسيم بها ففاح عبيرا * وتركت قلبى صار بين حمولهم
دامى الكلوم يسوق تلك العيرا * هلا سألت أسيرهم هل عندهم * عان يفك ولو سألت غيورا
لا والذى جعل الغصون معاطفا * لهم وصاغ الاقحوان ثغورا
مامر بى ريح الصبا من بعدهم * الاشهقت له فعاد سعيرا

ولما حضرته الوفاة كان ينشد

أقول لنفسى حين قابلها الردى * فراغت فرارا منه يسرى الى يمنى
قفى تحملى بعض الذى تكرهينه * فقد طالما اعتدت الفرار الى الاهنى

وتوفى فى شهر رمضان المعظم سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة وقيل سنة خمس وعشرين وخمسمائة مسموما فى باذنجان بمدينة فاس رحمه الله تعالى وباجة بالباء الموحدة وبعد الالف جيم مشددة ثم هاء ساكنة وهى الفضة بلغة الفرنج بالمغرب والتجيبى بضم التاء المثناة من فوقها وفتحها وكسر الجيم وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها باء موحدة هذه النسبة الى تجيب وهى أم عدى وسعد ابنى أشرس بن شبيب بن السكون نسب ولدها اليها وهى تجيب بنت ثوبان بن سليم بن مذحج والسرقسطى بفتح السين المهملة والراء وضم القاف وسكون السين المهملة وبعدها طاء مهملة هذه النسبة الى سرقسطة وهى مدينة بالاندلس خرج منها جماعة من العلماء واستولى عليها الفرنج سنة اثنتى عشرة وخمسمائة

(أبو عبدالله محمد بن غالب الرفاء الاندلسى الرصافى الشاعر المشهور)

له اشعار ظريفة ومقاصد فى النظم لطيفة وشعره سائر فى الآفاق ومن أشهر شعره أبياته التى نظمها فى غلام صنعته النسج فاجاد فيها كل الاجادة وهى

قالوا وقد أكثروا فى حبه عذلى * لولم تهم بمذال القدر مبتذل
فقلت لو كان أمرى فى الصبابة لى * لاخترت ذاك ولكن ليس ذلك لى
أحببته حببى الثغر عاطره * حلو اللمى ساحر الاجفان والمقل
غزيلا لم تزل فى الغزل جائلة * بنانه جولان الفكر فى الغزل
جذلان يلعب بالمحواك انمله * على السدى لعب الايام بالدول
جذبا بكفيه أو فحصا باخمصه * تخبط الظبى فى أشراك محتبل

وله غير هذا المقطوع اشياء رائقة فمن ذلك قوله فى غلام يبل عينيه بريقه ويظهر انه يبكى وليس يباك

عذيرى من جذلان يبكى كآبة * واضلعه مما يحاوله صفر
يبل مآقى زهرتيه بريقه * ويحكى البكا عمدا كما ابتسم الزهر
ويوهم أن الدمع بل جفونه * وهل عصرت يوما من النرجس الخمر

وله أيضا

ومهفهف كالغصن الا انه * تحير الالباب عند لقائه
أضحى ينام وقد تكلل خده * عرقا فقلت الورد رش بمائه

وتوفى فى شهر رمضان سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة بمدينة مالقة رحمه الله تعالى والرصافى بضم الراء وفتح الصاد المهملة وبعد الالف فاء هذه النسبة الى الرصافة وهى بليدة صغيرة بالاندلس عند بلنسيه وبالاندلس أيضا بلدة أخرى صغيرة اسمها الرصافة وهى عند قرطبة انشأها عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الاموى أول ملوك الاندلس من بنى أمية ويعرف بالداخل لانه دخل الى الاندلس من بلاد الشام خوفا من أبى جعفر المنصور العباسى وقصته مشهورة فلما دخلها ملكها وبويع له بقرطبة يوم عيد الاضحى سنة ثمان وثلاثين ومائة وعمره يومئذ خمس وعشرون سنة وبنى هذه الرصافة وسماها برصافة جده هشام بن عبد الملك

باشا بالمدينة المزبورة ثم صار مدرسا باحدى المدرستين المتجاورتين بادرنه ثم صار مدرسا باحدى المدارس الثمان مات وهو مدرس بها فى سنة احدى وأربعين وتسعمائة كان رحمه الله تعالى كريم النفس محققا مدققا مشتغلا بنفسه وكان لا يذكر أحدا بسوء وكانت له مشاركة فى العلوم كلها نور الله تعالى مرقده

(ومنهم العالم الفاضل الكامل المولى سليمان الرومى)

قرأ على علماء عصره ثم صار مدرسا ببعض المدارس ثم صار مدرسا بمدرسة انقره ثم صار مدرسا بمدرسة توقات ثم صار مدرسا بمدرسة الوزير على باشا بقسطنطينية ثم صار مدرسا باحدى المدرستين المتجاورتين بادرنه وتوفى وهو مدرس بها وكانت وفاته فى مجلس خاص بالعلماء عند حضور سلطاننا الاعظم فى وليمته المباركة لختن أولاده الكرام وقد سقط مغشيا عليه فحمل عن المجلس الى خيمة ومات هنالك وذلك فى سنة سبع وثلاثين وتسعمائة كان رحمه الله تعالى مشتغلا بنفسه معرضا عن التعرض لابناء الزمان وكان لا يذكر أحدا الا بخير وكان يدرس للطلبة ويفيدهم روح الله تعالى روحه ونور ضريحه

*(ومنهم العالم الفاضل

ابن

ابن مروان وهى بلدة مشهورة بالشام كذا قاله ياقوت الحموى الآتى ذكره ان شاء الله تعالى فى كتابه المسمى بالمشترك وضعا المختلف صقعا وذكر ان الرصافة اسم تسع مواضع وعددها ولولا خوف التطويل لذكرتها غير انه لم يذكر رصافة بلنسية وبهذه الرصافة تكون عشرة مواضع والله تعالى أعلم

(أبو بكر محمد بن أبى مروان عبد الملك بن أبى العلاء زهر بن أبى مروان عبد الملك بن أبى بكر محمد بن مروان بن زهر الايادى الاندلسى الأشبيلى)

كان من أهل بيت كلهم علماء رؤساء حكماء وزراء نالوا المراتب العلية وتقدموا عند الملوك ونفذت أوامرهم قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية فى كتابه المسمى المطرب من أشعار أهل المغرب وكان شيخنا أبو بكر يعنى ابن زهر المذكور بمكان من اللغة مكين ومورد من الطب عذب معين كان يحفظ شعر ذى الرمة وهو ثلث لغة العرب مع الاشراف على جميع أقوال أهل الطب والمنزلة العليا عند أصحاب المغرب مع سمو النسب وكثرة الاموال والنشب صحبته زمانا طويلا واستفدت منه أدبا جليلا وأنشدنى من شعره

وموسدين على الاكف خدودهم * قد غالهم نوم الصباح وغالنى
مازلت أسقيهم واشرب فضلهم * حتى سكرت ونالهم ما نالنى
والخمر تعلم حين تأخذ ثارها * أنى أملت اناءها فأمالنى

ثم قال سألته عن مولده فقال ولدت سنة سبع وخمسمائة وبلغتنى وفاته فى آخر سنة خمس وتسعين وخمسمائة رحمه الله تعالى انتهى كلام ابن دحية قلت أنا وقد ألم ابن زهر المذكور فى هذه الابيات بقول الرئيس أبى غالب عبيد الله بن هبة الله بن صاعد وهو

عتقتها مشمولة لو سالمت * سرابها ما سميت بعقار
ذكرت حقائدها القديمة اذ غدت * صرعى تداس بارجل العصار
لانت لهم حتى انتشوا وتمكنت * منهم وصاحت فيهم بالثار

ومن المنسوب اليه أيضا فى كتاب جالينوس الحكيم المسمى حيلة البرء وهو من أجل كتبهم وأكبرها قوله

حيلة البرء صنفت لعليل * يترجى الحياة أو لعليله
فاذا جاءت المنية قالت * حيلة البرء ليس فى البرء حيله

ومن شعر ابن زهر أيضا يتشوق الى ولد له صغير

ولى واحد مثل فرخ القطا * صغير تخلف قلبى لديه * نأت عنه دارى فيا وحشتا
لذاك الشخيص وذاك الوجيه * تشوقنى وتشوقته * فيبكى على وأبكى عليه
لقد تعب الشوق ما بيننا * فمنه الى ومنى اليه

وله وقد شاخ وغلب عليه الشيب

انى نظرت الى المرآة اذ جليت * فانكرت مقلتاى كل ما رأتا
رأيت فيها شييخا لست أعرفه * وكنت أعهده من قبل ذاك فتى
فقلت أين الذى بالامس كان هنا * متى ترحل عن هذا المكان متى
فاستضحكت ثم قالت وهى معجبة * ان الذى أنكرته مقلتاك أتى
كانت سليمى تنادى يا أخى وقد * صارت سليمى تنادى اليوم يا أبتا

والبيت الاخير من هذه الابيات ينظر الى قول الاخطل الشاعر المشهور

واذا دعونك عمهن فانه * نسب يزيدك عندهن خبالا
واذا دعونك يا أخى فانه * أدنى وأقرب خلة ووصالا

وأوصى انه اذا مات يكتب على قبره هذه الابيات وفيها اشارة الى طبه ومعالجته للناس وهى

تأمل بحقك يا واقفا * ولاحظ مكانا دفعنا اليه * تراب الضريح على وجنتى
كأنى لم أمش يوما عليه * اداوى الانام حذار المنون * وها أنا قد صرت رهنا لديه

الكامل المولى قطب الدين المرزيفونى)*

قرأ رحمه الله على علماء عصره ثم وصل الى خدمة المولى الفاضل علاء الدين على الجمالى المفتى ثم صار مدرسا ببعض المدارس ثم صار مدرسا بمدرسة ازنيق ثم صار مدرسا بمدرسة الوزير داود باشا بمدينة قسطنطينية ثم صار مدرسا بمدرسة طرابوزان ومات وهو مدرس بها فى سنة خمس وثلاثين وتسعمائة كان رحمه الله تعالى صاحب كرم واخلاق حميدة ووفاء ومروأة وكانت له مشاركة فى العلوم وكان له خصوصية بالعربية والفقه وله تعليقات على نبذ من شرح الوقاية لصدر الشريعة وعلى شرح المفتاح للسيد الشريف روح الله روحه ونور ضريحه

(ومنهم العالم الفاضل الكامل المولى بيرأحمد)

قرأ على علماء عصره ثم وصل الى خدمة المولى أحمد باشا المفتى ابن المولى الفاضل حضربك ثم صار مدرسا بمدرسة رئيس القرائين بمدينة قسطنطينية ثم صار مدرسا بمدرسة أتابك ببلدة قسطمونى ثم صار مدرسا بمدرسة قلبه ثم صار مدرسا بمدرسة مناستر بمدينة بروسه ثم صار مدرسا بمدرسة السلطان مرادخان فيها ثم صار قاضيا بمدينة حلب ثم عزل عن ذلك

وهذه المقاطيع انما أخذتها من أفواه العلماء منسوبة الى ابن زهر المذكور والله أعلم بصحتها والعهدة عليهم في نقلها وقال ابن دحية أيضا في حقه والذي انفرد به شيخنا وانقادت لتخيله طباعه وصارت النهاة فيه خوله وأتباعه الموشحات وهي زبدة الشعر ونخبته وخلاصة جوهره وصفوته وهي من الفنون التي أغربت بها أهل المغرب على أهل المشرق وظهروا فيها كالشمس الطالعة والضياء المشرق وأورد له موشحا حسنا وقال في حق جده أبي العلاء زهر انه كان وزير ذلك الدهر وعظيمه وفيلسوف ذلك العصر وحكيمه وتوفي ممتحنا بعلة بين كتفيه سنة خمس وعشرين وخمسمائة بمدينة قرطبة ثم قال في حق جد أبيه عبد الملك انه رحل الى المشرق وبه طبب زمانا طويلا وتولى رياسة الطب ببغداد ثم بمصر ثم بالقيروان ثم استوطن مدينة دانية وطار ذكره فيها الى أقطار الاندلس والمغرب واشتهر بالتقدم في علم الطب حتى بذ أهل زمانه ومات بمدينة دانية ثم قال في حق جد جده محمد بن مروان انه كان عالما بالرأي حافظا للادب فقيها حاذقا بالفتوى مقدما في الشورى متفننا في الفنون رسيما فاضلا جمع الرواية والدراية وتوفي بطابيرة سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة وهو ابن ست وثمانين سنة حدث عنه جماعة من العلماء الاندلسيين ووصفوه بالدين والفضل والجود والبذل رحمه الله تعالى وقد تقدم الكلام على الايادي وعلى طلبيرة فلا حاجة الى الاعادة وزهر بضم الزاي وسكون الهاء وبعدها راء وذكر عماد الدين الكاتب في كتاب الخريدة لابي الطيب بن البزاز في بعض بني زهر قوله

قل للوبا أنت وابن زهر * جاوزتما الحد في النكايه

ترفقا بالورى قليلا * فواحد منكما كفايه

ثم وجدت هذين البيتين لابي بكر بن أحمد بن محمد الابيض وانه توفي سنة أربع وأربعين وخمسمائة وكنيته أبو زيد ولم يذكر اسمه رحمه الله تعالى والله أعلم

(أبو الفتيان محمد بن سلطان بن محمد بن حيوس بن محمد بن المرتضى بن محمد بن الهيثم بن عدي ابن عثمان الغنوي الملقب بصفي الدولة الشاعر المشهور)

كان يدعى بالامير لان أباه كان من امراء المغرب وهو أحد الشعراء الشاميين المحسنين ومن فحولهم المجيدين له ديوان شعر كبير لقي جماعة من الملوك والاكابر ومدحهم وأخذ جوائزهم وكان منقطعا الى بني مرداس أصحاب حلب ذكر الجوهري في الصحاح في فصل ردس المرادس حجر يرمى به في البئر ليعلم أفيها ماء أم لا وبه سمي الرجل وله فيهم القصائد الانيقة وقصته مشهورة مع الامير جلال الدولة وصمصامها أبي المظفر نصر بن محمود بن شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس الكلابي صاحب حلب فانه كان قد مدح أباه محمود بن نصر فاجازه ألف دينار فلما مات وقام مقامه ولده نصر المذكور قصده ابن حيوس المذكور بقصيدته الرائية يمدحه بها ويعزيه عن أبيه وهي

كفى الدين عزا ما قضاه لك الدهر * فمن كان ذا نذر فقد وجب النذر

ومنها

ثمانية لم تفترق مذ جمعتها * فلا افترقت ما ذب عن ناظر شفر

يقينك والتقوى وجودك والغنى * ولفظك والمعنى وعزمك والنصر

ويذكر فيها وفاة أبيه وتوليته الامر بعده بقوله

صبرنا على حكم الزمان الذي سطا * على أنه لولاك لم يكن الصبر

غزانا ببؤسى لا يماثلها الاسى * تقارن نعمى لا يقوم بها الشكر

ومنها

تباعدت عنكم حرفة لا زهادة * وسرت اليكم حين مسني الضر

فلاقيت ظل الامن ما عنه حاجز * يصد وباب العز ما دونه ستر

وطال مقامي في اسار جميلكم * فدامت معاليكم ودام لي الاسر

وأنجز لي رب السموات وعده الـ * ـكريم بان العسر يتبعه اليسر

فجاد ابن نصر لي بالف تصرمت * واني عليم ان سيخلفها نصر

لقد كنت مأمولا ترجى لمثلها * فكيف وطوعا أمرك النهي والامر

وما بي الى الالحاح والحرص حاجة * وقد عرف المبتاع وانفصل السعر

وعين له كل يوم ثمانون درهما بطريق التقاعد ومات وهو على تلك الحال في عشر الخمسين وتسعمائة كان رحمه الله تعالى حليما جيد النفس كريم الطبع وقورا صبورا طالبا للخير لكل أحد وكان صحيح العقيدة صافي الخاطر لا يذكر أحدا الا بخير وكانت له مشاركة في العلوم كلها وله تعليقات على بعض المباحث روح الله تعالى روحه ونور ضريحه

(ومنهم العالم الفاضل الكامل المولى محمد ابن الشيخ محمود المغلوي الوفائي)

قرأ رحمه الله على علماء عصره ثم وصل الى خدمة المولى سيدي القراماني وصار معيدا لدرسه ثم صار مدرسا ببعض المدارس ثم صار مدرسا بمدرسة كوتاهيه ثم صار مدرسا بالمدرسة الفرهادية بمدينة بروسه ثم صار مدرسا بمدرسة الوزير قاسم باشا بقرب من كوتاهية ثم مات في سنة أربعين وتسعمائة كان رحمه الله حليم النفس كريم الطبع سليم الخاطر صحيح العقيدة محبا للصوفية سيما الطريقة الوفائية وكان مشتغلا بالعلم الشريف غاية الاشتغال وكان محبا للعلم واطلع على كتب كثيرة وحفظ أكثر لطائفها ونوادرها وكان يحفظ التواريخ ومناقب العلماء والصلحاء وقد صنف من

واني بآمالي لديك مخيم * وكم في الورى ثاو وآماله سفر

وعندك ما أبغي بقولي تصنعا * بأيسر ما توليه يستعبد الحر

فلما فرغ من انشادها قال الامير نصر والله لو قال عوض قوله سيخلفها نصر سيضعفها نصر لأضعفتها له وأعطاه ألف دينار في طبق فضة وكان قد اجتمع على باب الامير نصر المذكور جماعة من الشعراء وامتدحوه وتأخرت صلته عنهم ونزل بعد ذلك الامير نصر الى دار بولص النصراني وكانت له عادة بغشيان منزله وعقد مجالس الانس عنده فجاءت الشعراء الذين تأخرت جوائزهم الى باب بولص وفيهم أبو الحسن أحمد بن محمد بن الدويدة المعري الشاعر المعروف فكتبوا ورقة فيها أبيات اتفقوا على نظمها وقيل بل نظمها ابن الدويدة المذكور وسيروا الورقة اليه والابيات المذكورة هي

على بابك المحروس منا عصابة * مفاليس فانظر في أمور المفاليس

وقد قنعت منك الجماعة كلها * بعشر الذي أعطيته لابن حيوس

وما بيننا هذا التفاوت كله * ولكن سعيد لا يقاس بمنحوس

فلما وقف عليها الامير نصر أطلق لهم مائة دينار فقال والله لو قالوا بمثل الذي أعطيته لابن حيوس لأعطيتهم مثله وذكر العماد الكاتب في الخريدة ان هذه الابيات لابي سالم عبد الله بن الحسن أحمد بن محمد بن الدويدة وانه كان يعرف بالوافي والله أعلم * وكان الامير نصر سخيا واسع العطاء ملك حلب بعد وفاة أبيه محمود في سنة سبع وستين وأربعمائة ولم تطل مدته حتى ثار عليه جماعة من جنده فقتلوه في ثاني شوال سنة ثمان وستين وأربعمائة وقد تقدم ذكر جد أبيه صالح بن مرداس في حرف الصاد وقدم ابن حيوس حلب في شوال سنة أربع وستين وأربعمائة وداره بها هي الدار المعروفة الآن بالامير علم الدين سليمان بن حيدر ومن محاسن شعر ابن حيوس القصيدة اللامية التي مدح بها أبا الفضائل سابق بن محمود وهو أخو الامير نصر المذكور ومن مديحها قوله

طالما قلت للمسائل عنكم * واعتمادي هداية الضلال

ان ترد علم حالهم عن يقين * فالقهم في مكارم أو نزال

تلق بيض الوجوه سود مثار النقع خضر الاكناف حمر النصال

وما أحسن هذا التقسيم الذي اتفق له وقد ألم فيه بقول أبي سعيد محمد بن محمد بن الحسين الرستمي الشاعر المشهور من جملة قصيدة يمدح بها الصاحب بن عباد المقدم ذكره في حرف الهمزة وهي من فاخر الشعر وذلك قوله

من النفر العالين في السلم والوغى * وأهل المعالي والعوالي وآلها

اذا نزلوا اخضر الثرى من نزولهم * وان نازلوا احمر القنا من نزالها

هذا والله الشعر الخالص الذي لا يشوبه شيء من الحشو وكان ابن حيوس المذكور قد أثرى وحصلت له نعمة ضخمة من بني مرداس فبنى دارا بمدينة حلب وكتب على بابها من شعره

دار بنيناها وعشنا بها * في نعمة من آل مرداس

قوم نفوا بؤسي ولم يتركوا * على للايام من باس

قل لبني الدنيا ألا هكذا * فليصنع الناس مع الناس

وقيل ان هذه الابيات للامير الجليل أبي الفتح الحسن بن عبد الله بن عبد الجبار الحلبي المعروف بابن أبي حصينة وهو الصحيح ومن غرر قصائده السائرة قوله

هو ذاك ربع المالكية فاربع * واسأل مصيفا عافيا عن مربع

واستسق للدمن الخوالي بالحمى * غر السحائب واعتذر عن ادمعي

فلقد فنين امام دان هاجر * في قربه ووراء ناء مزمع

لو يخبر الركبان عني حدثوا * عن مقلة عبرى وقلب موجع

ردي لنا زمن الكثيب فانه * زمن متى يرجع وصالك يرجع

لو كنت عالمة بادنى لوعتي * لرددت أقصى نيلك المسترجع

بل لو قنعت من الغرام بمظهر * عن مضمر بين الحشى والاضلع

اعتبت اثر تعتب ووصلت غب * تجنب وبذلت بعد تمنع

ولو انني انصفت نفسي صنتها * عن ان أكون كطالب لم ينجح

الشروح والحواشي كتبا كثيرة منها تهذيب الكافية في النحو وكتب له شرحا وله حاشية على شرح هداية الحكمة لمولانا زاده كتبها تذنيبا لحواشي المولى خواجه زاده على ذلك الشرح وكتب حواشي على حاشية شرح التجريد للسيد الشريف وكتب تفسير سورة والضحى وسماه بتنوير الضحى في تفسير والضحى وله رسائل وتعليقات كثيرة روح الله روحه ونور ضريحه

(ومنهم المولى العالم الفاضل أحمد ابن المولى حمزة القاضي الشهير بعرب جلبي)

قرأ على علماء عصره حتى وصل الى خدمة المولى موسى جلبي ابن المولى الفاضل أفضل زاده وهو مدرس باحدى المدارس الثمان ثم ارتحل الى مصر القاهرة في أيام دولة السلطان بايزيد خان وقرأ أيضا هناك على علمائها الصحاح الستة من الاحاديث وأجازوا له اجازة تامة وقرأ هناك أيضا التفسير والفقه وأصول الفقه وقرأ الشرح المطول للتلخيص بتمامه وأقرأ هناك طلبة العلم الشرح المزبور والمفصل للزمخشري واشتهرت فضائله بالقاهرة ورأيت له كتاب الاجازة من شيوخه وشهدوا له فيه بالفضيلة التامة والعفة وصلاح

ومنها انى دعوت ندى الكرام فلم يجب * فلاشكرن ندى اجاب ومادعى
ومن العجائب والعجائب جمة * شكر بطىء عن ندى متسرع

ومن شعره أيضا قفوا فى الفلا حيث انتهيتم تذمما * ولاتقتفوا من جار لما تحكما
أرى كل معوج المودة يصطفى * لديكم و يلقى حتفه من تقوما
فان كنتم لم تعدلوا اذ حكمتمو * فلا تعدلوا عن مذهب قد تقدما
حنى الناس من قبل القسى لتقتنى * وثقف مياد القنا ليقوما
وماظلم الشيب الملم بلمتى * وان بزنى حظى من الظلم واللمى
ومحبوبة عزت وعز نظيرها * وان أشبهت فى الحسن والعفة الدمى
أعنف فيها صبوة قطما ارعوت * واسأل عنها معلما ما تكلما
سلى عنه تخبرعن يقين دموعه * ولاتسألى عن قلبه أين يمما
فقد كان لى عونا على الصبر برهة * وفارقنى أيام فارقتم الحمى
فراق قضى ان لا تأسى بعد أن * مضى منجدا صبرى وأوغلت متهما
وبفعة بين مثل صرعة مالك * و يقبح بى ان لا أكون متمما
خليلى ان لم تسعدانى على الاسى * فما انتما منى ولا انا منكما
وحسبتما الى سلوة وتناسيا * ولم تذكرا كيف السبيل اليهما
سقى الله أيام الصبا كل هاطل * ملث اذا ما الغيث أنجم أنجما
وعيشا سرقناه برغم رقيبنا * وقدمل من طول السهاد فهوّما

وهى طويلة (وحكى) الحافظ ابن عساكر فى تاريخ دمشق قال أنشدنا أبو القاسم على بن ابراهيم العلوى من حفظه سنة سبع وخمسمائة قال دخل الامير أبو الفتيان بن حيوس بيتى ونحن بحلب وقال أروعنى هذا البيت وهو فى شرف الدولة مسلم بن قريش أنت الذى نفق الثناء بسوقه * وجرى الندى بعروقه قبل الدم وهذا البيت فى غاية المدح وقد تقدم فى ترجمة أبى بكر بن الصائغ الاندلسى ذكر الابيات النونية وكونها منسوبة اليه وهى موجودة فى ديوان ابن حيوس المذكور والله أعلم بحلية الحال فيها وكان أبو عبد الله أحمد بن محمد بن الخياط الشاعر المقدم ذكره قد وصل الى حلب فى سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة وبها يومئذ أبو الفتيان المذكور فكتب اليه ابن الخياط المذكور قوله

لم يبق عندى ما يباع بدرهم * وكفاك منى منظرى عن مخبرى
الا بقية ماء وجه صنتها * عن ان تباع وأين أين المشترى

فقال لو قال وأنت نعم المشترى لكان أحسن وكانت ولادة ابن حيوس يوم السبت سلخ صفر سنة أربع وتسعين وثلثمائة بدمشق وتوفى فى شعبان سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة بحلب وهو شيخ أبى عبد الله أحمد بن محمد المعروف بابن الخياط الشاعر المشهور وقد تقدم ذكر ذلك فى ترجمته وحيوس بفتح الحاء المهملة والياء المشددة المثناة من تحتها المضمومة والواو الساكنة وبعدها سين مهملة وفى شعراء المغاربة ابن حيوس مثل الاول لكن بالباء الموحدة المخففة وانما ذكرته لئلا يتصحف على كثير من الناس بابن حيوس ورأيت خلقا كثيرا يتوهمون ان المغربى يقال له ابن حيوس أيضا وهو غلط والصواب ماذكرته والله تعالى أعلم

(أبو المظفر محمد بن أبى العباس أحمد بن محمد بن أبى العباس أحمد بن اسحق بن أبى العباس الامام محمد ابن اسحق وهو أبو الفتيان بن أبى الحسن بن مرفوعة بن منصور بن معاوية الاصغر ابن محمد ابن أبى العباس عثمان بن عنبسة الاصغر بن عنبسة بن الاشرف بن عثمان بن عنبسة ابن أبى سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى الاموى المعاوى الابيوردى الشاعر المشهور)

النفس وقرأ رحمه الله فى القاهرة من العلوم الهندسة والهيئة وغير ذلك من المعارف ثم أتى بلاد الروم وبنى له الوزير قاسم باشا مدرسة بقرب من مدرسة أبى أيوب الانصارى رضى الله تعالى عنه فدرس هنالك مدة عمره وكان رحمه الله عالما صالحا عابدا زاهدا كريما حليما سليم النفس صحيح العقيدة حسن السمت وقورا صبورا مريدا للخير لكل أحد وكان يدرس ويفيد وانتفع به كثير من الناس وكان أكثر اشتغاله بتفسير البيضاوى والفقه مات رحمه الله تعالى فى سنة خمسين وتسعمائة روح الله تعالى روحه ونور ضريحه

(ومنهم العالم الفاضل الكامل المولى شمس الدين أحمد الشهير بورق شمس الدين)

قرأ رحمه الله على علماء عصره ثم صار مدرسا ببعض المدارس ثم صار مدرسا بمدرسة قلندرخانه بمدينة قسطنطينية ثم صار مدرسا بمدرسة أبى أيوب الانصارى عليه رحمة الملك البارى وتوفى رحمه الله تعالى وهو مدرس بها فى حدود الخمسين وتسعمائة كان رحمه الله تعالى عالما فاضلا صالحا سليم الطبع حليم النفس طيب الاخلاق وكان لا يذكر أحدا بسوء وكان مدرسا مفيدا استفاد منه كثير من الناس روح الله

كان من الادباء المشاهير راوية نسابة شاعرا ظريفا قسم ديوان شعره الى أقسام منها العراقيات ومنها النجديات ومنها الوجديات وغير ذلك وكان من أخبر الناس بعلم الانساب نقل عنه الحفاظ الاثبات الثقات وقد روى عنه الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسى فى غير موضع من كتابه الذى وضعه فى الانساب وقال فى حقه فى ترجمة المعاوى انه كان أوحد زمانه فى علوم عديدة وقد أوردنا عنه فى غير موضع من هذا الكتاب أشياء وكان يكتب فى نسبه المعاوى وأليق ما وصف به بيت أبى العلاء المعرى

وانى وان كنت الاخير زمانه * لآت بما لم تستطعه الاوائل

انتهى كلام المقدسى بعد ان ذكر له أبياتا يفتخر بها الا حاجة بنا اليها وذكره أبو زكريا ابن منده فى تاريخ أصبهان فقال فخر الرؤساء أفضل الدولة حسن الاعتقاد جميل الطريقة متصرف فى فنون جمة من العلوم عارف بانساب العرب فصيح الكلام حاذق فى تصنيف الكتب وافر العقل كامل الفضل فريد دهره وحيد عصره وكان فيه تيه وكبر وعزة نفس وكان اذا صلى يقول اللهم ملكنى مشارق الارض ومغاربها وذكره الحافظ ابن السمعانى فى كتاب الانساب فى ترجمة المعاوى وفى كتاب الذيل وقال كان ينسب الى معاوية الاصغر المقدم ذكره فى عمود نسبه وأخبر عنه انه كتب رقعة الى أمير المؤمنين المستظهر بالله وعلى رأسها الخادم المعاوى فكره الخليفة مكاتبته بذلك فكشط الميم من المعاوى ورد الرقعة اليه فصار الخادم العاوى

ومن محاسن شعره قوله ملكنا أقاليم البلاد فاذعنت * لنا رغبة أو رهبة عظماؤها
فلما انتهت أيامنا علقت بنا * شدائد أيام قليل رخاؤها
وكان الينا فى السرور ابتسامها * فصار علينا فى الهموم بكاؤها
وصرنا نلاقى النائبات باوجه * رقاق الحواشى كاد يقطر ماؤها
اذا ما هممنا ان نبوح بما جنت * علينا الليالى لم يدعنا حياؤها

وقوله أيضا تنكر لى دهرى ولم يدر اننى * أعز وأحداث الزمان تهون
فبات يرينى الخطب كيف اعتداؤه * وبت أريه الصبر كيف يكون

ومن شعره أيضا وهيفاء لا أصغى الى من يلومنى * عليها ويغرينى بها ان أعيبها
أميل باحدى مقلتى اذا بدت * اليها وبالاخرى أراعى رقيبها
وقد غفل الواشى ولم يدر اننى * أخذت لعينى من سليمى نصيبها

وله فى أبى النجيب عبد الرحمن بن محمد بن عبد الجبار المراغى وكان من افراد زمانه فضلا وكان يستعمل فى شعره لزوم ما لا يلزم وكانت اقامته بثغر بحيرة وله

شعر المراغى وحوشيتم * كعقله أسلمه أسقمه * يلزم ما ليس له لازما * لكنه يترك ما يلزمه

وله أيضا أأميم ان لم تسمحى بزيارة * بخلا فجودى بالخيال الطارق
والله لا تمحو الوشاة ولا النوى * سمة لحبك فى ضمير العاشق

قلت ومن معنى البيت الاول أخذ سبط ابن التعاويذى الآتى ذكره قوله من جملة قصيدة

ان كنت ليلى بالسلام بخيلة * فمرى الخيال يمر بى فيسلم
وعدى بوصلك فى المنام لعلها * ترجو لقاءك مقلتى فتوهم

ومن نجدياته نزلنا بنعمان الاراك وللندى * سقيط به ابتلت علينا المطارف
فبت أعانى الوجد والركب نوم * وقد أخذت منى السرى والتنائف
وأذكر خودا ان دعانى الى النوى * هواها اجابته الدموع الذوارف
لها فى مغانى ذلك الشعب منزل * لئن أنكرته العين فالقلب عارف
وقفت به والدمع أكثره دم * كأنى من جفنى بنعمان راعف

ومن معانيه البديعة قوله من جملة أبيات فى وصف الخمرة

تعالى روحه ونور ضريحه

(ومنهم العالم الفاضل الكامل المولى محيى الدين محمد بن عبد الاول التبريزى)

قرأ رحمه الله تعالى على والده وكان والده قاضى الحنفية فيها وسمعت منه انه رأى المولى جلال الدين الدوانى وهو صغير وقد حكى منه غاية العظمة والجلالة والهيبة والوقار وحكى ان علماء تبريز جلسوا عنده على أدب تام مطرقين رؤسهم وأتى هو فى حياة والده بلاد الروم وعرضه المولى ابن المؤيد على السلطان بايزيدخان لمعرفة سابقة بينه وبين والده فاعطاه السلطان بايزيد خان مدرسته ثم اختار منصب القضاء ثم صار قاضيا بعدة بلاد من بلاد الروم ثم أعطاه سلطاننا الاعظم رحمه الله مدرسة الوزير مصطفى باشا بكبويزه ثم صار مدرسا بمدرسة مغنيسا ثم صار مدرسا باحدى المدارس الثمان ثم صار قاضيا بمدينة حلب ثم صار قاضيا بدمشق الشام ثم صار قاضيا بمدينة قسطنطينية ثم عزل عن ذلك وعين له كل يوم مائة درهم بطريق التقاعد ومات على تلك الحال فى سنة ثلاث وستين وتسعمائة كان رحمه الله تعالى عالما فاضلا عارفا بالعلوم العربية والشرعية وكانت له معرفة تامة بصناعة الانشاء وله

ولهامن ذاتها طرب * فلهذا يرقص الحبب

وله من جملة قصيدة

فسد الزمان فكل من صاحبته * راج ينافق أو مداج حاشى
واذا اختبرتهم ظفرت بباطن * متجهم و بظاهر هشاش

وهذا المعنى ماخوذ من قول أبي تمام الطائى من جملة قصيدة أجاد فيها كل الاجادة

ان شئت أن يسودّ ظنك كله * فاجله فى هذا السواد الاعظم
ليس الصديق بمن يعيرك ظاهرا * متبسما عن باطن متجهم

وقد خرجنا عن المقصود بالتطويل وله تصانيف كثيرة مفيدة منها تاريخ ابيورد وكتاب المختلف والمؤتلف وطبقات كل فن وما اختلف وائتلف فى أنساب العرب وله فى اللغة مصنفات كثيرة لم يسبق الى مثلها وكان حسن السيرة جميل الاثر له معاملة صحيحة وكانت وفاة الابيوردى المذكور بين الظهر والعصر يوم الخميس لعشرين من ربيع الاول سنة سبع وخمسين وخمسمائة باصبهان مسموما وصلى عليه فى الجامع العتيق بها رحمه الله تعالى والابيوردى بفتح الهمزة وكسر الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الواو وسكون الراء وبعدها دال مهملة هذه النسبة الى أبيورد ويقال لها أباورد و باورد وهى بليدة بخراسان خرج منها جماعة من العلماء وغيرهم وذكر السمعانى فى كتاب الانساب فى ترجمة الكوفنى بضم الكاف وسكون الواو وفتح القاف وبعدها نون هذه النسبة الى كوفن وهى بليدة صغيرة على ستة فراسخ من أبيورد بخراسان بناها عبد الله بن طاهر وخرج منها جماعة من المحدثين والفضلاء منهم الاديب أبو المظفر محمد بن أحمد الكوفنى المعروف بالاديب الابيوردى والله أعلم

(ابو الحسن محمد بن على بن الحسن بن عمر المعروف بابن أبي الصقر الواسطى)

كان فقيها شافعى المذهب تفقه على الشيخ أبي اسحق الشيرازى رحمه الله تعالى لكنه غلب عليه الادب والشعر واشتهر به ورأيت له بدمشق ديوان شعر فى الخزانة الاشرفية التى فى الجامع المشهور فى تربته شمال الكلاسة التى هى زيادة فى الجامع الكبير والديوان مجلد واحد وكان شديد التعصب للطائفة الشافعية وظهر ذلك فى قصائده المعروفة بالشافعية وله فى الشيخ أبي اسحق الشيرازى مراث وكان كاملا فى البلاغة والفضل وحسن الخط وجودة الشعر وذكره أبو المعالى الحظيرى المقدم ذكره فى كتاب زينة الدهر وأورد له عدة مقاطيع فمن ذلك قوله

كل رزق ترجوه من مخلوق * يعتريه ضرب من التعويق
وأنا قائل وأستغفر الله مقال المجاز لا التحقيق
لست أرضى من فعل ابليس شيأ * غير ترك السجود للمخلوق

وذكر له أيضا أبياتا وهى سائرة

وحرمة الود مالى عنكمو عوض * لاننى ليس لى فى غيركم غرض
أشتاقكم و بودى لو يواصلنى * لكم خيال ولكن لست أغتمض
وقد شرطت على قوم صحبتهمو * بان قلبى لكم من دونهم فرضوا
ومن حديثى بكم قالوا به مرض * فقلت لازال عنى ذلك المرض

وكان قد طعن فى السن وضعف عن المشى فصار يتوكأ على عصا فقال فى ذلك

كل أمر اذا تفكرت فيه * وتأملته رأيت ظريفا
كنت أمشى على اثنتين قويا * صرت أمشى على ثلاث ضعيفا

قلت ولى أبيات أشير فيها الى مثل هذا المعنى وهى

ياسائلى عن حالتى * خذ شرحها ملخصا
قد صرت بعد قوة * تنقص أصلاد الحصى
أمشى على ثلاثة * أجودها فيها العصا

منشا ت فى لسان العربية والفارسية والتركية وكان أكثر اهتمامه بالمحسنات اللفظية وكان يكتب أنواع الخطوط خطا حسنا وله تعليقات على بعض المواضع من الكتب وكان كريما لايذكر كل أحد الا بخير وكان صاحب أدب ووقار نور الله تعالى قبره

(ومنهم العالم الفاضل الكامل المولى محيى الدين محمد بن عبد القادر المشتهر بالمعلول)

قرأ رحمه الله على علماء عصره منهم المولى محيى الدين الفنارى والمولى ابن كمال باشا والمولى حسام چلبي والمولى نور الدين ثم وصل الى خدمة المولى خير الدين معلم سلطاننا الاعظم ثم صار مدرسا بمدرسة قاسم باشا بمدينة بروسه ثم صار مدرسا بالمدرسة الافضلية بمدينة قسطنطينية ثم صار مدرسا بمدرسة الوزير محمود باشا فيها ثم صار مدرسا بسلطانية بروسه ثم صار مدرسا باحدى المدارس الثمان وعين له كل يوم تسعون درهما ثم صار قاضيا بمصر المحروسة ثم صار قاضيا بالعسكر المنصور فى ولاية أناطولى ثم عجز عن اقامة الخدمة لاختلال وقع فى رجله فعزل عن ذلك وعين له كل يوم مائة وخمسون درهما بطريق التقاعد ومات على تلك الحالة فى سنة ثلاث وستين

وله أيضا فى اعتذاره عن ترك القيام لاصدقائه

علة سميت ثمانين عاما * منعتنى للاصدقاء القياما
فاذا عمروا تمهد عذرى * عندهم بالذى ذكرت وقاما

وله فى كبره أيضا

ولما الى عشر تسعين صرت * ومالى اليها أب قبل صارا
تيقنت أنى مستبدل * بدارى دارا وبالجار جارا
فتبت الى الله مما مضى * ولن يدخل الله من تاب نارا

وله أيضا وقد حضر عزاء صغير وهو يرتعش من الكبر فتغامز عليه الحاضرون كيف مات الصغير وبقى هذا الشيخ فى هذا السن فقال

اذا دخل الشيخ بين الشباب * عزاء وقد مات طفل صغير
رأيت اعتراضا على الله اذ * توفى الصغير وعاش الكبير
فقل لابن شهر وقل لابن ألف * ومابين ذلك هذا المصير

وله أيضا فى ذلك

ابن أبي الصقر افتكر * وقال فى حال الكبر
والله لولا بولة * تحرقنى وقت السحر
لما ذكرت أن لى * مابين فخذى ذكر

وله كل مقطوع مليح وكانت ولادته ليلة الاثنين ثالث عشر ذى القعدة سنة تسع وأربعمائة وتوفى يوم الخميس رابع عشر جمادى الاولى سنة ثمان وتسعين وأربعمائة بواسط رحمه الله تعالى

(الشريف أبو يعلى محمد بن محمد بن صالح بن حمزة بن عيسى بن محمد بن عبد الله بن داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس المعروف بابن الهبارية الملقب نظام الدين البغدادى الشاعر المشهور)

كان شاعرا مجيدا حسن المقاصد لكنه كان خبيث اللسان كثير الهجاء والوقوع فى الناس لا يكاد يسلم من لسانه أحد وذكره العماد الكاتب فى الخريدة فقال نظام الملك غلب على شعره الهجاء والهزل والسخف وسبك فى قالب ابن الحجاج وسلك أساليبه وفاقه فى الخلاعة والنظيف من شعره فى غاية الحسن انتهى كلام العماد الكاتب وكان ملازما لخدمة نظام الملك أبي على الحسن بن على بن اسحق وزير السلطان ألب ارسلان وولده ملك شاه وقد تقدم ذكره فى حرف الحاء وله عليه الانعام التام والادرار المستمر وكان بين نظام الملك وتاج الملك أبي الغنائم بن دارست شحناء ومنافسة كما جرت العادة بمثله بين الرؤساء فقال أبو الغنائم لابن الهبارية ان هجوت نظام الملك فلك عندى كذا وأجزل له الوعد فقال كيف اهجو شخصا لا أرى فى بيتى شيأ الا من نعمته فقال لابد من هذا فعمل هذه الابيات

لاغروان ملك ابن اسحق وساعده القدر * وصفت له الدنيا وخص أبو الغنائم بالكدر
فالدهر كالدولاب ليس يدور الا بالبقر

فبلغت الابيات نظام الملك فقال هو يشير الى المثل السائر على ألسنة الناس وهو قولهم أهل طوس بقر وكان نظام الملك من طوس وأغضى عنه ولم يقابله على ذلك بل زاد فى افضاله عليه فكانت هذه معدودة من مكارم أخلاق نظام الملك وسعة حلمه وكان مع فرط احسان نظام الملك اليه يقاسى من غلمانه وأتباعه شر مقاساة لما يعلمونه من بذاءة لسانه فلما اشتد عليه الحال منهم كتب الى نظام الملك

لذ بنظام الحضرتين الرضى * اذا بنو الدهر تحاشوك
واجل به عن ناظريك القذى * اذا اللئام القوم أعشوك
واصبر على وحشة غلمانه * لابد للورد من شوك

وذكر العماد الاصبهانى فى الخريدة انه أنفذ هذه الابيات مع ولده الى نقيب النقباء على بن طراد الزينبى ولقب نظام الحضرتين أبو الحسن ومن شعره أيضا

وجهى يرق عن السؤا * ل وحالتى منه أرق
دقت معانى الفضل فى * وحرفتى منه ادق

وتسعمائة كان رحمه الله تعالى عالما فاضلا صالحا محققا مدققا عالما بالعلوم الشرعية والعقلية وكان صاحب وقار وحشمة وكان ذا ثروة بنى دار التعليم فى قرية قله وبنى دار القراء بمدينة قسطنطينية ودفن بها روح الله روحه ونور ضريحه

(ومنهم العالم الفاضل الكامل المولى محيى الدين محمد الشهير بمرحبا چلبى)

قرأ رحمه الله على علماء عصره منهم المولى ركن الدين ابن المولى زيرك والمولى أمير چلبى ثم وصل الى خدمة المولى خير الدين معلم سلطاننا الاعظم ثم صار مدرسا بمدرسة جند بك بمدينة بروسه ثم صار مدرسا بمدرسة قراحصار ثم صار مدرسا بمدرسة الوزير على باشا بمدينة قسطنطينية ثم صار مدرسا باحدى المدرستين المتجاورتين بادرنه ثم صار مدرسا باحدى المدارس الثمان ثم صار قاضيا بدمشق الشام ثم صار قاضيا بمدينة بروسه ثم صار قاضيا بمدينة ادرنه وتوفى وهو قاض بها فى حدود الخمسين وتسعمائة كان رحمه الله عالما فاضلا محققا مدققا صاحب ذكاء وفطنة وكان سليم الطبع حليم النفس مريدا للخير محبا للفقراء روح الله روحه ونور ضريحه

*(ومنهم العالم الفاضل

ومن معانيه الغريبة قوله فى الرد على من يقول ان السفر به يبلغ الوطر

قالوا أقمت ومارزقت وانما * بالسير يكتسب اللبيب و يرزق * فأجبتهم ما كل سير نافعا
الحظ ينفع لا الرحيل المقلق * كم سفرة نفعت وأخرى مثلها * ضرت و يكتسب الحريص و يخفق
كالبدر يكتسب الكمال بسيره * و به اذا حرم السعادة يمحق

وله أيضا خذ جملة البلوى ودع تفصيلها * مافى البرية كلها انسان
واذا البيادق فى الدسوت تفرزنت * فالرأى ان يتبيدق الفرزان

وله على سبيل الخلاعة والمجون يقول أبو سعيد اذ رآنى * عفيفا منذ عام ماشربت
على يد أى شيخ تبت قل لى * فقلت على يد الافلاس تبت

وله فى المعنى أيضا رأيت فى النوم عرسى وهى ممسكة * اذنى وفى كفها شئ من الادم
معوج الشكل مسود به نقط * لكن اسفله فى هيئة القدم
حتى تنبهت محمر القذال ولو * طال المنام على الشيخ الاديب عمى

وله أيضا المجلس التاجى دام جماله * وجلاله وكماله بستان
والعبد فيه حمامة تغريدها * فيه المديح وطوقها الاحسان

وله أيضا دعوه ماشاء فعل * سيان صد أو وصل فكم رأينا قبلها * أسود من ذا ونصل

ومحاسن شعره كثيرة وله كتاب نتائج الفطنه فى نظم كليلة ودمنه وقد سبق فى ترجمة البارع الدباس فى حرف الحاء ذكر الابيات الدالية وجوابها ومادار بينهما وسيأتى فى ترجمة الوزير فخر الدولة محمد بن جهير واقعة لطيفة جرت له مع السابق الشاعر المعرى ان شاء الله تعالى وديوان شعره كبير يدخل فى أربع مجلدات ومن غرائب نظمه كتاب الصادح والباغم نظمه على أسلوب كليلة ودمنه وهو أراجيز وعدد بيوته ألفا بيت نظمها فى عشر سنين ولقد أجاد فيه كل الاجادة وسير الكتاب على يد ولده الامير أبى الحسن صدقة بن منصور بن دبيس الاسدى صاحب الحلة المقدم ذكره فى حرف الصاد وختمه بهذه الابيات وهى

هذا كتاب حسن * تحار فيه الفطن أنفقت فيه مده * عشر سنين عده
منذ سمعت باسمكا * وضعته برسمكا بيوته الفان * جميعها معانى
لوظل كل شاعر * وناظم وناثر كعمر نوح التالد * فى نظم بيت واحد
من مثله لما قدر * ما كل من قال شعر انفذته مع ولدى * بل مهجتى وكبدى
وأنت عند ظنى * أهل لكل منّ وقد طوى اليكا * توكلا عليكا
مشقة شديده * وشقة بعيده ولو تركت جيت * سعيا وما ونيت
ان الفخار والعلا * ارثك من دون الملا

فاخزل عطيته وأسنى جائزته * وتوفى ابن الهبارية المذكور بكرمان سنة أربع وخمسمائة هكذا قال العماد الكاتب الاصبهانى فى كتاب الخريدة بعد ان أقام مدة باصبهان وخرج الى كرمان وأقام بها الى آخر عمره وقال ابن السمعانى توفى بعد سنة تسعين وأربعمائة والهبارية بفتح الهاء وتشديد الباء الموحدة وبعد الالف راء هذه النسبة الى هبار وهو جد أبى يعلى المذكور لأمه وكرمان بكسر الكاف وقيل بفتحها وسكون الراء وفتح الميم وبعد الالف نون وهى ولاية كبيرة تشتمل على مدن كبار وصغار وخرج منها جماعة من الاعيان وهى متصلة باطراف أعمال خراسان ومن جانبها الآخر البحر والله أعلم

(ابو عبد الله محمد بن نصر بن صغير بن داغر بن محمد بن خالد بن نصر بن داغر بن عبد الرحمن بن المهاجر بن خالد بن الوليد المخزومى الخالدى الحلبى الملقب شرف الدين المعروف بابن القيسرانى هكذا أملى على نسبه بعض الاخوان الشاعر المشهور)

وكان من الشعراء المجيدين والادباء المتفننين قرأ الادب على توفيق بن محمد وأبى عبد الله بن الخياط الشاعر

الكامل المولى محيى الدين پير محمد ابن المولى علاء الدين على الفنارى)*
قرأ على علماء عصره ثم ارتحل الى بلاد العجم وقرأ هناك على علماء سمرقند و بخارى ثم أتى بلاد الروم وأعطاه السلطان سليم خان مدرسة الوزير المرحوم مصطفى باشا بمدينة قسطنطينية ثم صار مدرسا باحدى المدرستين المتجاورتين بادرنه ثم صار مدرسا باحدى المدارس الثمان ثم عزل عن ذلك ثم صار ثانيا مدرسا بها ثم اضرت عيناه وعجز عن اقامة التدريس وعين له كل يوم ثمانون درهما بطريق التقاعد مات وهو على تلك الحال فى سنة أربع أو خمس وخمسين وتسعمائة كان رحمه الله تعالى عالما فاضلا عابدا زاهدا محبا للخيرات والصلاح وكان صاحب أخلاق جيدة وكان صحيح العقيدة حسن السمت وله حاشية على شرح هداية الحكمة لمولانا زاده روح الله روحه ونور ضريحه

(ومنهم العالم الفاضل المولى علاء الدين على ابن صالح)
قرأ رحمه الله على علماء عصره ثم وصل الى خدمة المولى الفاضل عبد الواسع وصار معيد المدرسه ثم صار مدرسا بمدرسة بايزيد باشا بمدينة بروسه ثم صار مدرسا بالمدرسة الفرهادية

المقدم ذكره وكان فاضلا فى الادب وعلم الهيئة سمع بحلب من الخطيب أبى طاهر وهاشم بن أحمد الحلبى وغيره وسمع منه الحافظان أبو القاسم بن عساكر وأبو سعيد سفيان بن السمعانى وذكراه فى كتابيهما وكذلك أبو المعالى الحضيرى وذكره فى كتاب الملح أيضا وكان هو وابن منير المذكور فى حرف الهمزة شاعرى الشام فى ذلك العصر وجرت بينهما وقائع وماجريات وملح ونوادر وكان ابن منير ينسب الى التحامل على الصحابة رضى الله عنهم و يميل للتشيع فكتب اليه ابن القيسرانى المذكور وقد بلغه انه هجاه قوله

ابن منير هجوت منى * خيرا افاد الورى صوابه
٣ ولم يضق بذاك صدرى * فان لى اسوة الصحابه

ومن محاسن شعره قوله كم ليلة بت من كاسى وريقته * نشوان أمزج سلسالا بسلسال
و بات لا يحتمى عنى مراشفه * كأنما ثغره ثغر بلا والى

وظفرت بديوانه وجميعه بخطه وأنا يومئذ بمدينة حلب ونقلت منه أشياء حسنة رائقة فمن ذلك قوله فى مدح خطيب

شرح المنبر صدرا * لتلقيك رحيبا أترى ضم خطيبا * منك أم ضمخ طيبا

وهذا الجناس فى غاية الحسن ثم وجدت هذين البيتين لابى القاسم بن زيد بن أبى الفتح أحمد بن عبيد بن فضل الموازينى الحلبى المعروف أبوه بالماهر وأن ابن القيسرانى المذكور أنشدهما للخطيب بن هاشم لما تولى خطابة حلب فنسبا اليه ورأيت الاول على هذه الصورة وهو قد زها المنبر عجبا * اذ ترقيت خطيبا

وله فى الغزل بالسفح من لبنان لى * قمر منازله القلوب
حملت تحيته الشما * ل فردها عنى الجنوب فرد الصفات غريبها * والحسن فى الدنيا غريب
لم أنس ليلة قال لى * لما رأى جسدى يذوب ٣ بالله قل لى يافتى * ماتشتكى قلت الطبيب

وله أيضا وقالوا لاح عارضه * وماولت ولايته فقلت عذار من أهوى * امارته امارته

ومن معانيه البديعة قوله من جملة قصيدة رائقة

هذا الذى سلب العشاق نومهم * اما ترى عينه ملأى من الوسن

وهذا البيت ينظر الى قول المتنبى فى مدح سيف الدولة بن حمدان

نهبت من الاعمار مالو حويته * لهنئت الدنيا بانك خالد

وكان كثير الاعجاب بقوله من جملة قصيدة

وأهوى الذى أهوى له البدر ساجدا * ألست ترى فى وجهه أثر الترب

وحضر مرة فى سماع وكان المغنى حسن الغناء فلما طربت الجماعة وتواجدوا قال

والله لو أنصف العشاق أنفسهم * فدوك منها بما عزوا وماصانوا
ما أنت حين تغنى فى مجالسهم * الا نسيم الصبا والقوم أغصان

وأنشدنى صاحبنا الفخر اسحق بن المختص الاربلى لنفسه دو بيت وأخبرنى انه كان فى مجلس وفيه جماعة من أرباب القلوب فلما طابت الجماعة كان هناك فرش منضودة على كراسى فتساقطت قال فعملت فى الحال

داعى النغمات حلقة الشوق طرق * وهنا فأجابته شجون وحرق
لو اسمع صخرة لخرت طربا * من نغمته فكيف قطن وخرق

وكانت ولادة ابن القيسرانى المذكور سنة ثمان وسبعين وأربعمائة بعكا وتوفى ليلة الاربعاء الحادى والعشرين من شعبان سنة ثمان وأربعين وخمسمائة بمدينة دمشق ودفن بمقبرة باب الفراديس رحمه الله تعالى والخالدى بفتح الخاء المعجمة و بعد الالف لام ثم دال مهملة هذه النسبة الى خالد بن الوليد المخزومى رضى الله عنه هكذا يزعم أهل بيته وأكثر المؤرخين وعلماء الانساب يقولون ان خالدا رضى الله عنه لم يتصل نسبه بل انقطع منذ زمان والله أعلم والقيسرانى بفتح القاف وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح السين المهملة والراء و بعد الالف نون هذه النسبة الى قيسارية وهى بليدة بالشام على ساحل البحر

بالمدينة المزبورة ثم صار مدرسا بمدرسة قيلوجه ثم صار مدرسا بالمدرسة الحلبية بادرنه ثم صار مدرسا باحدى المدرستين المتجاورتين فيها ثم صار مدرسا باحدى المدارس الثمان ثم صار مدرسا بمدرسة السلطان بايزيد خان بادرنه ثم صار قاضيا بها وتوفى قاضيا بها فى سنة خمسين وتسعمائة كان رحمه الله تعالى عالما فاضلا وكانت له مشاركة فى العلوم وكانت له مهارة فى الانشاء كان يكتب الخط الحسن وترجم كليله ودمنه بالتركية بانشاء لطيف فى الغاية وكان صاحب أخلاق حميدة وأدب ووقار روح الله تعالى روحه ونور ضريحه

(ومنهم العالم الفاضل المولى صالح الشهير بصالح الاسود)
قرأ على علماء عصره ثم وصل الى خدمة المولى محمد ابن على الجمالى المفتى المشتهر بجنلاجلبى ثم وصل الى خدمة المولى خير الدين معلم السلطان سلطاننا الاعظم

٣ قوله ولم يضق هكذا بالاصل وهو غير مستقيم الوزن فلعله وان يضيق أو ولا يضيق فليحرر
٣ وفى رواية بدل البيت الاخير بالله قل لى من أعلك يافتى قلت الطبيب

(ابوعبد الله محمد بن ابراهيم بن ثابت بن ابراهيم بن فرج الكنانى المقرى الاديب الشافعى الحامى المصرى المعروف بابن الكيزانى الشاعر المشهور)

كان زاهدا ورعا وبمصر طائفة ينسبون اليه و يعتقدون مقالته وله ديوان شعر أكثره فى الزهد ولم أقف عليه وسمعت له بيتا واحدا أعجبنى وهو وإذا لاق بالمحب غرام * فكذا الوصل بالحبيب يليق وفى شعره أشياء حسنة وتوفى ليلة الثلاثاء التاسع من شهر ربيع الاول وقيل بل توفى فى المحرم سنة اثنتين وستين وخمسمائة بمصر ودفن بالقرب من قبة الامام الشافعى رضى الله عنه بالقرافة الصغرى ثم نقل الى سفح المقطم بقرب الحوض المعروف بام مودود وقبره مشهور هنالك يزار وزرته مرارا رحمه الله تعالى والكيزانى بكسر الكاف وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الزاى و بعد الالف نون هذه النسبة الى عمل الكيزان وبيعها وكان بعض أجداده يصنع ذلك والله أعلم

(ابوعبد الله محمد بن بختيار بن عبد الله المولد المعروف بالابله البغدادى الشاعر المشهور)

احد المتأخرين المجيدين جمع فى شعره بين الصناعة والرقة وله ديوان شعر بأيدى الناس كثير الوجود وذكره العماد الكاتب الاصبهانى فى كتابه الذى سماه الخريدة فقال هو شاب ظريف يتزيا بزى الجند رقيق أسلوب الشعر حلو الصناعة رائق البراعة عذب اللفظ أرق من النسيم السحرى وأحسن من الوشى التسترى وكل ما ينظمه ولوانه يسير يسير والمغنون يغنون برائقات أبياته عن أصوات القدماء فهم يتهافتون على نظمه المطرب تهافت الطير الحوم على عذب المشرب ثم قال أنشدنى لنفسه من قصيدة سنة خمس وخمسين وخمسمائة ببغداد

زار من أحيا بزورته * والدجى فى لون طرته * قمرينثنى معاطفه * بانة فى طى بردته
بت أستجلى المدام على * غرة الواشى وغرته * يالها من زورة قصرت * فاماتت طول جفوته
آه من خصر له وعلى * رشفة من برد ريقته * ياله فى الحسن من صنم * كلنا من جاهليته

ومن أبياته السائرة قوله من جملة قصيدة أنيقة

لا يعرف الشوق الا من يكابده * ولا الصبابة الا من يعانيها

ومن رقيق شعره قوله فى الغزل من قصيدة

دعنى أكابد لوعتى وأعانى * أين الطليق من الاسير العانى * آليت لا أدع الملام يغرنى
من بعد ما أخذ الغرام عنانى * أولا تروض العاذلات وقد أرى * روضات حسن فى خدود حسان
والبدر يلتمس السلو ولم أزل * حى الصبابة ميت السلوان * يابرق ان تجف العقيق فطالما
أغنته عنك سحائب الاجفان * هيهات أن أنسى وربك وقفة * فيها أغير بها على الغيران
ومهفهف ساجى اللحاظ حففته * فأضاعنى وأطعته فعصانى * يرمى قلوب العاشقين بمقلة
طرف السنان وطرفها سيان * خنث الدلال بشعره و بثغره * يوم الوداع أضلنى وهدانى
ماقام معتدلا يهز قوامه * الا وبانت خجلة فى البان * ياأهل نعمان الى وجناتكم
تعزى الشقائق لا الى نعمان * مايفعل المران من يد قلب * فى القلب فعل مرارة الهجران

وهى قصيدة طويلة ومديحها جيد وجميع شعره على هذا الاسلوب والنسق ومخالصه من الغزل الى المدح فى نهاية الحسن وقل من يلحقه فيها فمن ذلك قوله من قصيدة أولها

جنيت جنى الورد من ذلك الخد * وعانقت غصن البان من ذلك القد

فلما انتهى الى مخلصها قال

لئن وقرت يوما بسمعى ملامة * لهند فلاعفت الملامة فى هند * ولا وجدت عينى سبيلا الى البكا
ولا بت فى أسر الصبابة والوجد * وبحت بما ألقى وورحت مقابلا * سماحة مجد الدين بالكفر والجحد

وقوله

ثم صار مدرسا بمدرسة حكمه جيه ثم صار مدرسا بمدرسة قبلوجه ثم صار مدرسا بمدرسة كگويزه ثم صار مدرسا باحدى المدرستين المتجاورتين بمدينة ادرنه ثم صار مدرسا باحدى المدارس الثمان وتوفى وهو مدرس بها فى سنة أربع وأربعين وتسعمائة كان رحمه الله تعالى عالما فاضلا صالحا كاسمه متعبدا متزهدا وكان سليم الطبع حليم النفس محبا للخير روح الله روحه ونور ضريحه

(ومنهم العالم الفاضل المولى أبو الليث)

قرأ على علماء عصره ثم صار معيدا لدرس المولى الشهير بضميرى ثم صار مدرسا بكوتاهيه ثم صار مدرسا بمدرسة المولى ابن الحاج حسن بمدينة قسطنطينية ثم صار مدرسا بمدرسة الوزير محمود باشا بالمدينة المزبورة ثم صار مدرسا بمدرسة أبى أيوب الانصارى عليه رحمة الملك البارى ثم صار مدرسا باحدى المدارس الثمان ثم صار قاضيا بمدينة حلب ثم صار قاضيا بدمشق الشام وتوفى وهو قاض بها فى سنة أربع وأربعين وتسعمائة وكان رحمه الله تعالى عالما فاضلا صالحا متورعا كثير الخير حسن العقيدة أديبا وقورا روح الله تعالى روحه ونور ضريحه

وقوله من قصيدة أخرى فلا وجد سوى وجدى بليلى * ولا مجد كمجد ابن الدوامى
وقوله فى قصيدة أخرى فاقسم انى فى الصبابة واحد * وأن كمال الدين فى الجود واحد
الى غير ذلك وكانت وفاته على ما قاله ابن الجوزى فى تاريخه فى جمادى الآخرة سنة تسع وسبعين وقال غيره سنة ثمانين وخمسمائة ببغداد ودفن فى باب ابرز محاذى الناحية رحمه الله تعالى والابله معروف فلا حاجة الى ضبطه وانما قيل له ابله لانه كان فيه طرف بله وقيل لانه كان فى غاية الذكاء وهو من أسماء الاضداد كما قيل للاسود كافور وكان له ميل الى بعض أبناء البغاددة فعبر على باب داره فوجد خلوة فكتب على الباب قال العماد الكاتب وأنشدنيه دارك يابدر الدجى جنة * بغيرها نفسى ماتلهو وقد روى فى خبر ان أكثر أهل الجنة البله ولابن التعاويذى المذكور بعده فيه هجاء أفحش فيه فأضربت عن ذكره مع انها أبيات جيدة والله أعلم

(ابو الفتح محمد بن عبيد الله بن عبد الله الكاتب المعروف بابن التعاويذى الشاعر المشهور)

كان أبوه مولى لابن المظفر واسمه نشتكين فسماه ولده المذكور عبيد الله وهو سبط أبى محمد المبارك بن المبارك بن على بن نصر السراج الجوهرى الزاهد المعروف بابن التعاويذى وانما نسب الى جده المذكور لانه كفله صغيرا ونشأ فى حجره فنسب اليه وكان أبو الفتح المذكور شاعر وقته لم يكن فيه مثله جمع شعره بين جزالة الالفاظ وعذوبتها ورقة المعانى ودقتها وهو فى غاية الحسن والحلاوة وفيما أعتقد لم يكن قبله بمائتى سنة من يضاهيه ولا يؤاخذنى من يقف على هذا الفصل فان ذلك يختلف بميل الطباع ولله در القائل
* وللناس فيما يعشقون مذاهب * وكان كاتبا بديوان المقاطعات ببغداد وعمى فى آخر عمره سنة ٧٩ وله فى عماه أشعار كثيرة يرثى بها عينيه و يندب زمان شبابه وتصرفه وكان قد جمع ديوانه بنفسه قبل العمى وعمل له خطبة ظريفة ورتبه أربعة فصول وكل ماجدده بعد ذلك سماه الزيادات فلهذا يوجد ديوانه فى بعض النسخ خاليا من الزيادات وفى بعضها مكملا بالزيادات ولما عمى كان باسمه راتب فى الديوان فالتمس أن ينقل باسم أولاده فلما نقل كتب الى الامام الناصر لدين الله هذه الابيات يسأله أن يجدد له راتب مدة حياته وهى

خليفة الله أنت بالدين والدنيا وامر الاسلام مضطلع
أنت لما سنه الائمة اعلام الهدى مقتف ومتبع
قد عدم العدم فى زمانك والجور معا والخلاف والبدع
فالناس فى الشرع والسياسة والاحسان والعدل كلهم شرع
ياملكا يردع الحوادث والايام عن ظلمها فترتدع
ومن له أنعم مكررة * لنا مصيف منها ومرتبع
أرضى قد أجدبت وليس لمن * أجدب يوما سواك منتجع * ولى عيال لادر درهم
قد أكلوا دهرهم وما شبعوا * لو وسمونى وسم العبيد وبا * عوق بسوق الاعراب ماقنعوا
اذا رأونى ذا ثروة جلسوا * حولى ومالوا الى واجتمعوا
وطالما قطعوا حبالى اعراضا اذا لم تكن معى قطع
يمشون حولى شتى كأنهم * عقارب كلما سعوا لسعوا
فمنهم الطفل والمراهق والرضيع يحبو والكهل واليفع
لاقارح منهم أؤمل أن * ينالنى خيره ولا جذع * لهم حلوق تفضى الى معد
تحمل فى الاكل فوق ما تسع * من كل رحب المعاء أجوفه * نارى الحشا لا يمسه الشبع
لا يحسن المضغ فهو يترك فى * فيه بلا كلفة و يبتلع * ولى حديث يلهو و يعجب من
يوسع لى خلقه فيستمع * نقلت رسمى جهلا الى ولد * لست بهم ماحييت انتفع

(ومنهم العالم الفاضل المولى فخر الدين بن محمد بن يعقوب المارذكره)

قرأ على علماء عصره منهم المولى الوالد والمولى شجاع ثم وصل الى خدمة المولى الفاضل سيدى چلبى وصار معيدا لدرسه ثم صار مدرسا بمدرسة ازنيق ثم صار مدرسا بالمدرسة الافضلية بمدينة قسطنطينية ثم صار مدرسا بمدرسة الوزير داود باشا بالمدينة المزبورة ثم صار مدرسا بالمدرسة الحلبية بادرنه ثم صار مدرسا باحدى المدرستين المتجاورتين فيها ثم صار مدرسا باحدى المدارس الثمان ومات وهو مدرس بها فى سنة ست وأربعين وتسعمائة كان رحمه الله تعالى فاضلا ذكى الطبع صاحب أخلاق حميدة وكان سليم الطبع حليم النفس أديبا لبيبا وقورا صبورا مات فى عنفوان شبابه روح الله روحه ونور ضريحه

*(ومنهم العالم الفاضل المولى مصلح الدين مصطفى الشهير بصدر)

قرأ على علماء عصره ثم صار مدرسا ببعض المدارس حتى صار مدرسا بسلطانية مغنيسا ثم صار مدرسا باحدى المدارس الثمان ثم صار قاضيا بمدينة حلب ثم صار قاضيا بمكة المشرفة ثم عزل عن ذلك ومات بموضع قريب من

نظرت فى نفعهم وما أنا فى اجتلاب نفع الاولاد مبتدع * وقلت هذا بعدى يكون لكم
فما أطاعوا أمرى ولا سمعوا * واختلسوه منى فما تركوا * عينى عليه ولا يدى تقع
فبئس والله ما صنعت فاضررت بنفسى و بئس ما صنعوا
فان أردتم أمرا يزول به الخصام من بيننا و يرتفع
فاستأنفوا لى رسما أعود على * ضنك معاشى به فيتسع * وان زعمتم انى أتيت بها
خديعة فالكريم يخدع * حاشا الرسم الكريم ينسخ من * نسخ دواوينكم فينقطع
فوقعوا لى بما سالت فقد * اطمعت نفسى واستحكم الطامع * ولا تطيلوا معى فلست ولو
دفعتمونى بالراح أندفع * وحلفونى أن لا تعود يدى * ترفع فى نقله ولا تضع

فما ألطف ما توصل به الى بلوغ مقصوده بهذه الابيات التى لو مرت بالجماد لاستمالته وعطفته فانعم عليه أمير المؤمنين بالراتب فكان يصله بصلة من الخشكار الردىء فكتب الى فخر الدين صاحب المخزن أبياتا يشكو من ذلك أولها

مولاى فخر الدين أنت الى الندى * عجل وغيرك محجم متباطى

ومنها

حاشاك ترضى أن تكون جرايتى * كجراية البوّاب والنفاط
سوداء مثل الليل سعر قفيزها * مابين طسوج الى قيراط
اخنت علىّ الحادثات وأفرطت * فىّ الرداءة ايما افراط * قد كدرت جسمى المضىء وغيرت
طبعى السليم وعفنت اخلاطى * فتول تدبيرى فقد أنهيت ما * أشكوه من مرضى الى بقراط

وكان وزير الديوان العزيز شرف الدين أبو جعفر أحمد بن محمد بن سعيد بن ابراهيم التميمى وزير الامام المستنجد بالله المعروف بابن البلدى وقد عزل أرباب الدواوين وحبسهم وحاسبهم وصادرهم وعاقبهم ونكل بهم فعمل سبط ابن التعاويذى المذكور فى ذلك قوله

يا قاصدا بغداد حد عن بلدة * للجور فيها زخرة وعباب * ان كنت طالب حاجة فارجع فقد
سدت على الراجى بها الابواب * ليست وما بعد الزمان كعهدها * أيام يعمر ربعها الطلاب
وتحلها الرؤساء من ساداتها * والجلة الادباء والكتّاب
والدهر فى أولى حداثته وللأيام فيها نضرة وشباب
والفضل فى سوق الكرام يباع بالـ * غالى من الاثمان والآداب
بادت وأهلوها معا فبيوتهم * ببقاء مولانا الوزير خراب
وارتهم الاجداث أحياء لهم * جنادل من فوقهم وتراب
فهم خلود فى محابسهم يصب عليهم بعد العذاب عذاب
لا يرتجى منها ايابهم وهل * يرجى لسكان القبور اياب * والناس قد قامت قيامتهم فلا
أنساب بينهم ولا أسباب * والمرء يسلمه أبوه وعرسه * ويخونه القرباء والاحباب
لا شافعا تغنى شفاعته ولا * جان له مما جناه متاب * شهدوا معادهم فعاد مصدقا
من كان قبل بعثه يرتاب * حشر وميزان وعرض جرائد * وصحائف منشورة وحساب
وبها زبانية تبث على الورى * وسلاسل ومقامع وعذاب
ما فاتهم من كل ما وعدوا به * فى الحشر الا راحم وهاب

وله فى الوزير المذكور

يا رب أشكو اليك ضرا * أنت على كشفه قدير * أليس صرنا الى زمان * فيه أبو جعفر وزير

وذكر محب الدين المعروف بابن النجار فى تاريخ بغداد ان الامام المستنجد بالله توفى يوم الاثنين ثامن شهر ربيع الآخر سنة ست وخمسمائة وتولى بعده ولده المستضىء بأمر الله وجلس للمبايعة يوم الثلاثاء ثانى اليوم المذكور فخرج أستاذ الدار عضد الدين أبو الفرج المذكور عقيب هذا ومعه ابن السبتى فقال له ان

قسطنطينية كان رحمه الله تعالى صالحا عالما فاضلا حليم النفس صحيح العقيدة محبا للخير وقد انتسب فى بعض أوقاته الى الطريقة الصوفية ووصل الى خدمة الشيخ العارف بالله تعالى السيد على بن ميمون المغربى روّح الله تعالى روحه ونوّر ضريحه

(ومنهم العالم الفاضل المولى شيخ محمد الشهير بشيخى جلبى)

قرأ رحمه الله على علماء عصره منهم المولى محيى الدين الفنارى ثم وصل الى خدمة بالى الاسود ثم صار مدرسا بمدرسة المولى خسرو بمدينة بروسه ثم صار مدرسا بمدرسة أحمد باشا ابن ولى الدين بالمدينة المزبورة ثم صار مدرسا بمدرسة الوزير مرى باشا بمدينة قسطنطينية ثم صار مدرسا بمدرسة طرابوزان ثم صار مدرسا بمدرسة أبى أيوب الانصارى عليه رحمة الملك البارى ثم صار مدرسا باحدى المدارس الثمان ومات وهو مدرس بها فى سنة احدى وخمسين وتسعمائة كان رحمه الله تعالى عالما فاضلا ذكيا محققا مدققا سليم الطبع كريم النفس محمود الطريقة مرضى السيرة وكان متواضعا متخشعا صحيح العقيدة محبا للخير وكان رحمه الله لا يذكر أحدا الا بخير روّح الله تعالى روحه ونوّر ضريحه

ا الخليفة قد تقدم أن يستوفى القصاص من هذا وأشار الى الوزير فأخذ وسحب وقطع أنفه ويده ورجله ثم ضربت رقبته وجمع فى ترس وألقى فى دجلة وكان هذا الوزير قد قطع أنف أم السبتى المذكور ويد أخيه ورجله فى أيام ولايته فاقتص منه فى هذا اليوم نعوذ بالله من سوء العاقبة وكتب سبط ابن التعاويذى الى عضد الدين أبى الفرج محمد بن المظفر وهو من أبناء مواليه يطلب منه شعير الفرسه وهو الذى فعل بالوزير ابن البلدى تلك الفعلة المذكورة قبل هذا

مولاى يا من له أياد * ليس الى عدها سبيل * ومن اذا قلت العطايا * فجوده وافر جزيل
اليه ان جارت الليالى * نأوى وفى ظله نقيل * ان كميتى العتيق سنا * له حديث معى يطول
كان شرائى له فضولا * فاعجب لما يجلب الفضول * ظننته حاملا لرحلى * فخاب ظنى به الجميل
ولم اخل للشقاء أنى * لثقل أعبائه حمول * فان أكن عاليا عليه * فهو على كاهلى ثقيل
أزحل كالبوم ليس فيه * خير كثير ولا قليل * ليس له مخبر جيد * ولا له منظر جميل
وهو حرون وفيه بطء * ولا جواد ولا ذلول * لا كفل معجب لراء * اذا رآه ولا تليل
مقصران مشى ولكن * ان حضر الاكل مستطيل
يعجبه التين والشعير الـ * مغسول والقت والقصيل
اذا رأى عكرشا رأيت اللعاب من شدقه يسيل
وليس فيه من المعانى * شئ سوى انه أكول * فهب له اليوم ما تسنى
وهبه من بعض ما تنيل * ولا تقل ان ذا قليل * فالجل فى عينه جليل

وانما أوردت هذه المقاطيع من شعره لكونها مستحملة وأما قصائده المشتملة على النسيب والمدح فانها فى غاية الحسن وصنف كتابا سماه الحجبة والحجاب يدخل فى مقدار خمس عشرة كراسة وأطال الكلام فيه وهو قليل الوجود وذكر العماد الاصبهانى فى كتاب الخريدة ان ابن التعاويذى المذكور كان صاحبه لما كان بالعراق فلما انتقل العماد الى الشام واتصل بخدمة السلطان صلاح الدين كتب اليه ابن التعاويذى رسالة وقصيدة يطلب منه فروة وذكر الرسالة وهى وقد كلف مكارمه وان لم يكن للجود عليها كلفه وأتحفه بما وجهه اليه من أمله وهو لعمر الله تحفه أهدى فروة دمشقيه سريه نقيه يلين لمسها ويزين لبسها ودباغتها نظيفه وخياطتها لطيفه طويلة كطوله سابغة كأنعمه حالية كذكره جميلة كفعله واسعة كصدره نقية كعرضه رفيعة كقدره موشية كنظمه ونثره ظاهرها كظاهره وباطنها كباطنه يتجمل بها اللابس ويتحلى بها المجالس وهى لخادمه سربال وله حرس الله مجده جمال يشكره عليها من لم يلبسها ويثنى عليه بها من لم يتدرعها يذهب خميلة وبرها ويبقى جميل أثرها ويخلق اهابها وجلدها ويتجدد شكرها وحمدها وقد نظم أبياتا ركب فى نظمها الغرر وأهدى بها التمر الى هجر الا أنه قد عرض الطيب على عطاره ووضع الثوب فى يد بزازه وأحل الثناء فى محله وجمع بين الفضل وأهله وهو فى حسنه وخفارة كرمه ثم ذكر القصيدة التى أولها بأبى من ذبت فى الحب له شوقا وصبوه * وهى موجودة بأيدى الناس فى ديوانه وكتب العماد جواب القصيدة على هذا الروى أيضا وهما طويلتان وذكر العماد الكاتب قبل ذكر الرسالة والقصيدة فى حقه فقال هو شاب فيه فضل وآداب ورياسة وكياسة ومروّة وأبوّة وفتوّه جمعنى واياه صدق العقيدة فى عقد الصداقه وقد كملت به أسباب الظرف واللطف واللباقه ثم أتى بالرسالة والقصيدة وجوابها وهذه الرسالة لم أر مثلها فى بابها سوى ما سيأتى فى ترجمة بهاء الدين بن شداد فى حرف الباء ان شاء الله تعالى فان ابن خروف المغربى كتب اليه رسالة بديعة يستجديه فروة مرط * وكانت ولادته أعنى ابن التعاويذى المذكور فى العاشر من رجب يوم الجمعة سنة تسع عشرة وخمسمائة وتوفى فى ثانى شوّال سنة أربع وقيل ثلاث وثمانين وخمسمائة ببغداد ودفن فى باب ابرز رحمه الله تعالى وقال ابن النجار فى تاريخه مولده يوم الجمعة ومات يوم السبت ثامن عشر شوّال والتعاويذى بفتح التاء المثناة من

(ومنهم العالم الفاضل المولى سنان الدين يوسف الشهير بكوبرجلى زاده)

قرأ رحمه الله على علماء عصره منهم المولى سيدى الاسود والمولى محمد الساميسونى ثم توطن بمدينة كفه وأفتى هنالك وانتفع به الناس ثم صار مدرسا بمدرسة تابك ببلدة قسطمونى ثم صار مدرسا بمدارس أخر ثم صار مدرسا باحدى المدارس الثمان ثم صار مدرسا بمدرسة السلطان بايزيد خان بمدينة بروسه ثم صار مدرسا بمدرسة أياصوفيه ثم صار مدرسا ومفتيا ببلدة اماسيه ثم عين له كل يوم سبعون درهما بطريق التقاعد ثم صار مفتيا ثانيا بالبلدة المزبورة ومات وهو مفت بها فى سنة اثنتين أو احدى وخمسين وتسعمائة كان رحمه الله تعالى عالما فاضلا محققا مدققا عالما بالعلوم العربية وماهرا فى العلوم الشرعية وكان سليم الطبع حليم النفس صاحب أدب ووقار وكان صحيح العقيدة محبا للخير وكان مشتغلا بنفسه معرضا عن أحوال الدنيا محبا للفقراء روّح الله تعالى روحه ونوّر ضريحه

(ومنهم العالم الفاضل الكامل المولى علاء الدين على ابن الشيخ العارف بالله تعالى عبد الرحيم المؤيد المشهور بعجمى جلبى)

فوقها والعين المهملة وكسر الواو بعد ألف و بعدها ياء مثناة من تحتها ساكنة ثم ذال معجمة هذه النسبة الى كتبة التعاويذ وهى الحروز واشتهر بها أبو محمد المبارك ابن المبارك بن السراج التعاويذى البغدادى الزاهد المقدم ذكره فى أول هذه الترجمة وكان صالحا ذكره ابن السمعانى فى كتاب الذيل وكتاب الانساب وقال لعل أباه كان يرقى و يكتب التعاويذ وسمع منه ابن السمعانى المذكور وقال سألته عن مولده فقال ولدت فى سنة ست وتسعين وأربعمائة بالكرخ وتوفى فى جمادى الاولى سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة ودفن بمقبرة الشونيزى رحمه الله تعالى وقال ابن السمعانى أنشدنى أبو محمد المبارك المذكور لنفسه قوله

اجعل همومك واحدا * وتخل عن كل الهموم
فعساك أن تحظى بما * يغنيك عن كل العلوم

ثم قال ابن التعاويذى ما قلت من الشعر غير هذين البيتين ونشتكين بضم النون وسكون الشين المعجمة وكسر التاء المثناة من فوقها والكاف و بعدها ياء مثناة من تحتها ساكنة ثم نون وهو اسم أعجمى تسمى به المماليك وقد تقدم فى أول الترجمة انه كان من مماليك أحد بنى المظفر رئيس الرؤساء وله فيهم مدائح بديعة وأفرد مدائحهم فى فصل من الفصول الاربعة المرتبة فى ديوانه لكونهم مواليه وكانوا يحسنون اليه والله أعلم

(ابو الغنائم محمد بن على بن فارس بن على بن عبد الله بن الحسين بن القاسم المعروف بابن المعلم الواسطى الهرثى الملقب نجم الدين الشاعر المشهور)

وكان شاعرا رقيق الشعر لطيف حاشية الطبع يكاد شعره يذوب من رقته وهو أحد من سار شعره وانتشر ذكره ونبه بالشعر قدره وحسن به حاله وأمره وطال فى نظم القريض عمره وساعده على قوله زمانه ودهره وأكثر القول فى الغزل والمدح وفنون المقاصد وكان سهل الالفاظ صحيح المعانى يغلب على شعره وصف الشوق والحب وذكر الصبابة والغرام فعلق بالقلوب ولطف مكانه عند أكثر الناس ومالوا اليه وحفظوه وتداولوه بينهم واستشهد به الوعاظ واستحلاه السامعون سمعت من جماعة من مشايخ البطائح يقولون ما سبب لطافة شعر ابن المعلم الا انه كان اذا نظم قصيدة حفظها الفقراء المنتسبون الى الشيخ أحمد ابن الرفاعى المقدم ذكره فى حرف الهمزة وغنوا بها فى سماعهم وطابوا عليها فعادت عليه بركة أنفاسهم ورأيتهم يعتقدون ذلك اعتقادا لاشك عندهم فيه وبالجملة فشعره يشبه النوح ولا يسمعه من عنده أدنى هوى الا افتتن وهاج غرامه وكان بين ابن المعلم المذكور وبين ابن التعاويذى المذكور قبله تنافس وهجاه ابن التعاويذى بأبيات جيمية لا حاجة الى ذكرها ولابن المعلم قصيدة طويلة أولها

ردوا على شوارد الاظعان * ما الدار ان لم تغن من أوطانى * ولكم بذاك الجذع من متمنع
هزأت معاطفه بغصن البان * أبدى تلونه باول موعد * فمن الوفى لنا بوعد ثانى
فتى اللقاء ودونه من قومه * أبناء معركة وأسد طعان * نقلوا الرماح وما أظن أكفهم
خلقت لغير ذوابل المران * وتقلدوا بيض السيوف فما ترى * فى الحى غير مهند وسنان
ولئن صددت فمن مراقبة العدا * ما الصد عن ملل ولا سلوان
ياساكنى نعمان أين زماننا * بطويلع ياساكنى نعمان

وله من أخرى

كم قلت اياك العقيق فانه * ضربت بها آذره بصيد أسوده
واردت صيدمها الحجاز فلم يسا * عدك القضاء فرحت بعض صيوده

وله من أخرى

اجيراننا ان الدموع التى جرت * رخاصا على أيدى النوى لغوالى
أقيموا على الوادى ولو عمر ساعة * كلوث ازار أو كحل عقال
فكم ثم لى من وقفة لو شريتها * بنفسى لم أغبن فكيف بمالى

وله من أخرى

قسما بما ضمت عليه شفاههم * من قرقف فى لؤلؤ مكنون

قرأ رحمه الله على علماء عصره واشتهرت فضائله بين الطلبة ثم صار مدرسا بمدرسة ديمه توقه ثم صار مدرسا بمدرسة المولى ابن الحاج حسن بمدينة قسطنطينية ثم صار مدرسا بمدرسة الوزير داود باشا بالمدينة المزبورة ثم صار مدرسا بالمدرسة الحلبية بادرنه ثم صار مدرسا بمدرسة أبى أيوب الانصارى رحمه الله تعالى الملك البارى ثم صار مدرسا باحدى المدارس الثمان ومات وهو مدرس بها فى سنة أربع وأربعين وتسعمائة كان رحمه الله تعالى عالما فاضلا كاملا ذكيا سليم الطبع قوى الفطنة مشاركا فى العلوم كلها وكان عالما بالعلوم العربية غاية المعرفة وكان ينظم القصائد العربية وله منشآت بالعربية وكان كريما حليما أديبا لبيبا حسن الصحبة مرضى السيرة صحيح العقيدة وله تعليقات على بعض الكتب لكنها لم تظهر لوفاته فى سن الشباب روح الله تعالى روحه ونور ضريحه

(ومنهم العالم الفاضل المولى محيى الدين محمد بن عبد الله الشهير بمحمد بك)

كان من عبيد السلطان بايزيدخان فرغب فى العلم والمعرفة وترك طريق الامارة وسلك طريق العلم وقرأ على علماء عصره منهم

ان شارف الحادى العذيب لأقضين * نحبى ومن لى أن تبر يمينى
لولم يكن آثار ليلى والهوى * بتلاعه ما رحت كالمجنون

وكان سبب عمل هذه القصيدة ان ابن المعلم المذكور والابله وابن التعاويذى المذكورين قبله لما وقفوا على قصيدة صردر المقدم ذكره فى حرف العين التى أولها

أكذا يجازى ود كل قرين * أم هذه شيم الظباء العين

وهى من نخب القصائد أعجبتهم فعمل ابن المعلم من وزنها هذه القصيدة وعمل ابن التعاويذى من وزنها قصيدة أبدع منها وأرسلها الى السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى وهو بالشام يمدحه بها وأولها

ان كان دينك فى الصبابة دينى * فقف المطى برملتى يبرين

وعمل الابله قصيدة أخرى وأحسن الكل قصيدة ابن التعاويذى وحكى عن ابن المعلم المذكور انه قال كنت ببغداد فاجتزت يوما بالموضع الذى يجلس فيه أبو الفرج بن الجوزى للوعظ فرأيت الخلق مزدحمين فسألت بعضهم عن سبب الزحام فقال هذا ابن الجوزى الواعظ جالس ولم أكن علمت بجلوسه فزاحمت وتقدمت حتى شاهدته وسمعت كلامه وهو يعظ حتى قال مستشهدا على بعض اشاراته ولقد أحسن ابن المعلم حيث يقول

يزداد فى مسمعى تكرار ذكركم * طيبا ويحسن فى عينى تكرره

فعجبت من اتفاق حضورى واستشهاده بهذا البيت من شعرى ولم يعلم بحضورى لا هو ولا غيره من الحاضرين وهذا البيت من جملة قصيدة له مشهورة وفى وقعة الجمل على البصرة قبل مباشرة الحرب أرسل على بن أبى طالب رضى الله عنه ابن عمه عبد الله بن العباس رضى الله عنهما الى طلحة والزبير رضى الله عنهما برسالة يكفهما عن الشروع فى القتال ثم قال له لا تلقين طلحة فانك ان تلقه تجده كالثور عاقصا انفه يركب الصعب و يقول هو الذلول ولكن ألق الزبير فانه ألين عريكة منه وقل له يقول لك ابن خالك عرفتنى بالحجاز وأنكرتنى بالعراق فما عدا مما بدا وعلى رضى الله عنه أول من نطق بهذه الكلمة فاخذ ابن المعلم المذكور هذا الكلام وقال

منحوه بالجزع السلام وأعرضوا * بالغور عنه فما عدا مما بدا

وهذا البيت من جملة قصيدة طويلة ورسالة نقلها فى كتاب نهج البلاغة ولابن المعلم فى أثناء قصيدة أيضا

يوهى قوى جلدى من لا أبوح به * ويستبيح دمى من لا أسميه
قسما فما فى لسانى ما يعاتبه * ضعفا بلى فى فؤادى ما يقاسيه

ولا حاجة الى الاطالة بذكر فرائده مع شهرة ديوانه وكثرة وجوده بايدى الناس وكانت ولادته فى ليلة سابع عشر جمادى الآخرة سنة احدى وخمسمائة وتوفى رابع رجب سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة بالهرث رحمه الله تعالى والهرث بضم الهاء وسكون الراء و بعدها ثاء مثلثة وهى قرية من أعمال نهر جعفر بينها وبين واسط نحو عشرة فراسخ وكانت وطنه ومسكنه الى ان توفى بها رحمه الله تعالى

(أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن قائد الملقب موفق الدين الاربلى أصلا ومنشأ البحرانى مولدا الشاعر المشهور)

كان اماما مقدما فى علم العربية مفننا فى أنواع الشعر ومن أعلم الناس بالعروض والقوافى وأحذقهم بنقد الشعر وأعرفهم بجيده من رديئه وأدقهم نظرا فى اختباره واشتغل بشئ من علوم الاوائل وحل كتاب اقليدس وبدأ بنظم الشعر وهو صبى صغير بالبحرين جريا على عادة العرب قبل أن ينظر فى الادب وهو شيخ أبى البركات ابن المستوفى صاحب تاريخ اربل المقدم ذكره وعليه اشتغل بعلوم الشعر وبه تخرج وقد ذكره فى تاريخه وعدد فضائله وقال كان شيخنا أبو الحرم مكى الماكسينى النحوى وسيأتى ذكره ان شاء الله تعالى يراجعه فى كثير من المسائل المشكلة فى النحو وكان يرجع اليه فى أجوبة ما يورد عليه وكان قد رحل الى شهرزور وأقام بها مدة ثم رحل الى دمشق ومدح السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى بقصيدة طويلة وله ديوان شعر

المولى شيخ مظفر الدين العجمى والمولى محيى الدين الفنارى والمولى بير أحمد جلبى ثم وصل الى خدمة المولى الفاضل ابن كمال باشا وصار معيد الدرسه ثم صار مدرسا بمدرسة الوزير مراد باشا بمدينة قسطنطينية ثم صار مدرسا ببعض المدارس ثم صار مدرسا باحدى المدرستين المتجاورتين بمدينة ادرنه ثم ظهر اختلال فى دماغه وترك التدريس ولما برئ ركب البحر وسافر الى مصر المحروسة فأخذته النصارى وأسر فى أيديهم واسترده بعض أصدقائه منهم ولما أتى قسطنطينية أعطاه سلطاننا الاعظم سلطانية بروسه ثم صار مدرسا بمدينة السلطان بايزيدخان بمدينة أدرنه ثم صار قاضيا بدمشق الشام ثم عزل عن ذلك وأتى مدينة قسطنطينية واختل مزاجه غاية الاختلال وأعطى فى أثناء ذلك المرض قضاء مصر فسافر فى أيام الشتاء ومات فى بلدة كوتاهيه فى سنة خمسين وتسعمائة كان رحمه الله تعالى أديبا لبيبا وقورا حليما كريما محبا للعلم وأهله ومحبا لطريقة الصوفية وكانت له مشاركة فى العلوم وكان ماهرا فى العلوم العقلية عارفا بالعلوم الرياضية وله تعليقات على بعض الكتب وقد ملك كتبا كثيرة طالع

جيد ورسائل حسنة وكان فى الشعر فى طبقة معاصريه ممن تقدم ذكرهم ومن شعره قصيدة يمدح بها زين الدين أبا المظفر يوسف بن زين الدين صاحب اربل وقد تقدم ذكره فى ترجمة أخيه مظفر الدين فى حرف الكاف وأولها

رب دار بالفضا طال بلاها * عكف الركب عليها فبكاها
درست الا بقايا أسطر * سمح الدهر بها ثم محاها
كان لى فيها زمان وانقضى * فسقى الله زمانى وسقاها
وقفت فيها الغوانى وقفة * ألصقت حرحشاها بثراها
وبكت أطلالها نائبة * عن جفونى أحسن الله جزاها
قل لجيران مواثيقهم * كلما أحكمتها رثت قواها
كنت مشغوفا بكم اذ كنتم * شجرا لا يبلغ الطير ذراها
لا تبيت الليل الا حولها * حرس ترشح بالموت ظباها
واذا مدت الى أغصانها * كف جان قطعت دون جناها
فتراخى الامر حتى أصبحت * هملا يطمع فيها من يراها
تخصب الارض فلا أقربها * رائدا الا اذا عز جناها
لا يرانى الله أرعى روضة * سهلة الاكناف من شاء رعاها
واذا ما طمع أغرى بكم * عرض اليأس لنفسى فثناها
فصبابات الهوى أولها * طمع النفس وهذا منتهاها
لا تظنوا الى اليكم رجعة * كشف التجريب عن عينى عماها
ان زين الدين أولانى يدا * لم تدع لى رغبة فيما سواها

وهى طويلة أجاد فى مدحها وكان أبوه من أهل اربل وصنعته التجارة وكان يتردد من اربل الى البحرين ويقيم بها مدة لتحصيل اللآلئ من المغاصات اسوة أمثاله من التجار فاتفق أن ولد له هناك الموفق أبو عبد الله المذكور ثم انتقل الى اربل فنسب الى البحرين لهذا السبب وله معنى مليح فى غلام اسمه السهم وقد التحى وهو

قالوا التحى السهم قلت حصن * حاشاك فالآن لا يطيش
فالسهم لا ينفذ الرمايا * الا اذا كان فيه ريش

وتوفى ليلة الاحد ثالث شهر ربيع الآخر سنة خمس وثمانين وخمسمائة باربل ودفن بمقبرة أهله قبلى البست٣ رحمه الله تعالى والبحرانى بفتح الباء الموحدة وسكون الحاء المهملة وفتح الراء وبعد الالف نون هذه النسبة الى البحرين المقدم ذكرهما وهى بليدة بالقرب من هجر قال الازهرى وانما سميت البحرين لان فى ناحية قراها بحيرة على باب الاحساء وقرى هجر بينها وبين البحر الاخضر عشر فراسخ وقدر البحيرة ثلاثة اميال فى مثلها ولا يغيض ماؤها وهو راكد زعاق وحدث أبو عبيد عن أبى محمد اليزيدى قال سألنى المهدى وسأل الكسائى عن النسبة الى البحرين وعن الحصنين لم قالوا حصنى وبحرانى فقال الكسائى كرهوا أن يقولوا حصنانى لاجتماع النونين قال وقلت انا كرهوا أن يقولوا بحرى فتشبه النسبة الى البحر والبست بفتح الباء الموحدة وسكون السين المهملة وبعدها تاء مثناة من فوقها واد عريض فى وسط اربل تجرى فيه مياه السيول فى الشتاء والربيع فيه شئ كثير من الحجارة الصغار والله اعلم

(أبو شجاع محمد بن على بن شعيب المعروف بابن الدهان الملقب فخر الدين البغدادى الفرضى الحاسب الاديب)

هو من أهل بغداد وانتقل الى الموصل وصحب جمال الدين الاصبهانى الوزير بها ثم تحول الى خدمة السلطان صلاح الدين فولاه ديوان ميافارقين فلم يمش له بها حال مع واليها فدخل الى دمشق وأجرى له بها رزق ولم يكن كافيا وكان يزجى به الوقت ثم ارتحل الى مصر فى سنة ست وثمانين وخمسمائة ثم عاد منها الى دمشق وجعلها دار اقامة وله أوضاع بالجداول وغيرها من الفرائض وصنف غريب الحديث فى ستة عشر مجلدا طافا ورمز فيه حروفا يستدل بها على اماكن الكلمات المطلوبة منه وكان قلمه ابلغ من لسانه وجمع تاريخا وغير ذلك وذكره أبو البركات بن المستوفى فى تاريخ اربل وعده فى زمرة الوافدين عليها وقال فى حقه كان عالما فاضلا

أكثرها روح الله روحه ونور ضريحه

(ومنهم العالم العامل والفاضل الكامل المولى الشهير بمناسترلى جلبى) قرأ رحمه الله على علماء عصره ثم وصل الى خدمة المولى الفاضل سيدى القرامانى ثم صار مدرسا بمدرسة قصبة مناستر فى ولاية روم ايلى ثم عزل عنها ثم صار مدرسا ثانيا بها ثم ترك التدريس واختار العزلة عن الناس واشتغل بالعلم والعبادة وأعطى المدرسة الحلبية بمدينة ادرنه ولم يقبلها وعين له كل يوم عشرون درهما ومات على تلك الحال فى سنة خمس أو تسع وأربعين وتسعمائة كان عالما فاضلا محبا للفقراء وكان صاحب صلاح وديانة وعبادة وكان بركة من بركات الله تعالى فى الارض روح الله تعالى روحه ونور ضريحه

(ومنهم العالم الفاضل المولى الشيخ ابراهيم الحلبى الحنفى خطيب جامع السلطان محمد خان بمدينة قسطنطينية) كان رحمه الله تعالى من مدينة حلب وقرأ هناك على علماء عصره ثم ارتحل الى مصر المحروسة وقرأ

٣ قال المطرزى فى كتاب المغرب البست كلمة فارسية وهو مفتح الماء فى فم النهر اه

متفننا له شعر جيد وذكر الابيات التى مدح بها الشيخ تاج الدين أبا اليمن زيد بن الحسن الكندى وقد ذكرتها فى ترجمة الكندى وذكره أيضا العماد الكاتب فى الخريدة وأثنى عليه وأورد له مقاطيع أحسن فيها فمن ذلك قوله فى ابن الدهان المعروف بالناصح أبى محمد سعيد بن المبارك النحوى وقد سبق ذكره وكان مخلا باحدى عينيه

لا يبعد الدهان ان ابنه * ادهن منه بطريقين
من عجب الدهر تحدث به * بفرد عين وبوجهين

ومنه ما كتبه الى بعض الرؤساء وقد عوفى من مرضه

نذر الناس يوم برئك صوما * غير انى نذرت وحدى فطرا
عالما ان يوم برئك عيد * لا أرى صومه ولو كان نذرا

وله غير ذلك أناشيد حسان وكانت له اليد الطولى فى النجوم وحل الازياج وتوفى فى صفر سنة تسعين وخمسمائة بالحلة السيفية وكان سبب موته انه حج من دمشق وعاد على طريق العراق ولما وصل الى الحلة عثر جمله هناك فاصاب وجهه بعض خشب المحمل فمات لوقته وكان شيخا دميم الخلقة مسود الوجه مسترسل اللحية خفيفها أبيض تعلوه صفرة رحمه الله تعالى وقيل انه كان يلقب برهان الدين والله أعلم أى ذلك كان وقد تقدم الكلام على الحلة فلا حاجة الى اعادته

(أبو المحاسن محمد بن نصر الدين بن نصر بن الحسين بن عنين الانصارى الملقب شرف الدين الكوفى الاصل الدمشقى المولد الشاعر المشهور)

كان خاتمة الشعراء لم يأت بعده مثله ولا كان فى أواخر عصره من يقاس به ولم يكن شعره مع جودته مقصورا على أسلوب واحد بل تفنن فيه وكان غزير المادة من الادب مطلعا على معظم أشعار العرب وبلغنى انه كان يستحضر كتاب الجمهرة لابن دريد فى اللغة وكان مولعا بالهجاء وثلب أعراض الناس وله قصيدة طويلة جمع فيها خلقا كثيرا من رؤساء دمشق سماها مقراض الاعراض وكان السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى قد نفاه من دمشق بسبب وقوعه فى الناس فلما خرج منها قال

فعلام أبعدتم أخا ثقة * لم يقترف ذنبا ولا سرقا
انفوا المؤذن من بلادكم * ان كان ينفى كل من صدقا

وطاف البلاد من الشام والعراق والجزيرة وأذربيجان وخراسان وغزنة وخوارزم وما وراء النهر ثم دخل الهند واليمن وملكها يومئذ سيف الاسلام طغتكين بن أيوب أخو السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى المذكور فى حرف الطاء وأقام بها مدة ثم رجع على طريق الحجاز الى الديار المصرية وعاد الى دمشق وكان يتردد منها الى البلاد ويعود اليها ولقد رأيته بمدينة اربل فى سنة ثلاث وعشرين وستمائة ولم آخذ عنه شيأ وكان قد وصل اليها رسولا عن الملك المعظم شرف الدين عيسى بن الملك العادل صاحب دمشق وأقام بها قليلا ثم سافر وكتب من بلاد الهند الى أخيه وهو بدمشق هذين البيتين والثانى منهما لابى العلاء المعرى استعمله مضمنا فكان أحق به وهما

سامحت كتبك فى القطيعة عالما * ان الصحيفة لم تجد من حامل
وعذرت طيفك فى الجفاء لانه * يسرى فيصبح دوننا بمراحل

فلله دره ما أحسن ما وقع له هذا التضمين وقد كرر هذا المعنى فى مواضع من شعره فمن ذلك قوله من جملة قصيدة طويلة

ألا يا نسيم الريح من تل راهط * وروض الحمى كيف اهتديت الى الهند

وقوله من أبيات وهو فى عدن اليمن

أأحبابنا لا أسأل الطيف زورة * وهيهات أين الديلميات من عدن

الديلميات وتل راهط والحمى أسماء مواضع من ضواحى دمشق والبيت الذى للمعرى قبله هو

على علمائها الحديث والتفسير والاصول والفروع ثم أتى بلاد الروم وتوطن بقسطنطينية وصار اماما ببعض الجوامع ثم صار اماما وخطيبا بجامع السلطان محمد خان بقسطنطينية وصار مدرسا بدار القراء التى بناها المولى الفاضل سعدى جلبى المفتى ومات رحمه الله تعالى على تلك الحال فى سنة ست وخمسين وتسعمائة وقد جاوز التسعين من عمره كان رحمه الله عالما بالعلوم العربية والتفسير والحديث وعلوم القراآت وكانت له يد طولى فى الفقه والاصول وكانت مسائل الفروع نصب عينه وكان ورعا تقيا نقيا زاهدا متورعا عابدا ناسكا وكان يقرئ الطلبة وانتفع به كثيرون وكان ملازما لبيته مشتغلا بالعلم ولا يراه أحد الا فى بيته أو فى المسجد واذا مشى فى الطريق يغض بصره عن الناس ولم يسمع منه أحد انه ذكر واحدا من الناس بسوء ولم يتلذذ بشئ من الدنيا الا بالعلم والعبادة والتصنيف والكتابة وله عدة مصنفات من الرسائل والكتب أشهرها كتاب فى الفقه سماه بملتقى الابحر وله شرح على منية المصلى سماه بغنية المتملى فى شرح منية المصلى ما أبقى شيأ من مسائل الصلاة الا أوردها فيه مع ما فيها من الخلافيات على أحسن وجه وألطف

وسألت كم بين العقيق الى الحمى * فعجبت من بعد المدى المتطاول

والمعرى اخذ هذا المعنى من دعبل بن على الخزاعى الشاعر المقدم ذكره فانه كان قد هجا الخليفة المعتصم بالله بن هرون الرشيد فطلبه فهرب من العراق الى الديار المصرية وسكن فى آخر بلادها وقال فى ذلك

وان امرأ أضحت مطارح سهمه * بأسوان لم يترك من الحزم معلما

حللت محلا يقصر الطرف دونه * ويعجز عنه الطيف أن يتجشما

وقد خرجنا عن المقصود ولكن ساق الكلام بعضه بعضا ولما مات السلطان صلاح الدين وملك الملك العادل دمشق كان غائبا فى السفرة التى نفى فيها فسار متوجها الى دمشق وكتب الى الملك العادل قصيدته الرائية يستأذنه فى الدخول اليها ويصف دمشق ويذكر ما قاساه فى الغربة ولقد أحسن فيها كل الاحسان واستعطفه أبلغ استعطاف وأولها

ماذا على طيف الاحبة لو سرى * وعليهم لو سامحونى فى الكرى

ووصف فى أوائلها دمشق وبساتينها وأنهارها ومواضع متنزهاتها ولما فرغ من وصف دمشق قال مشيرا الى النفى منها

فارقتها لا عن رضا وهجرتها * لا عن قلى ورحلت لا متخيرا

أسعى لرزق فى البلاد مشتت * ومن العجائب أن يكون مقترا

وأصون وجه مدائحى متقنعا * وأكف ذيل مطامعى متسترا

ومنها يشكو الغربة وما قاساه فيها

أشكو اليك نوى تمادى عمرها * حتى حسبت اليوم منها أشهرا

لا عيشتى تصفو ولا رسم الهوى * يعفو ولا جفنى يصافحه الكرى

أضحى عن الاحوى المريع محولا * وأبيت عن ورد النمير منفرا

ومن العجائب أن يقيل بظلكم * كل الورى ونبذت وحدى بالعرا

وهذه القصيدة من أحسن الشعر وعندى هى خير من قصيدة أبى بكر بن عمار الاندلسى التى أولها *أدر الزجاجة فالنسيم قد انبرى* وقد تقدم ذكر شئ منها فى ترجمته وهى على وزنها ورويها فلما وقف عليها الملك العادل أذن له فى الدخول الى دمشق فلما دخلها قال

هجوت الاكابر فى جلق * ورعت الوضيع بسب الرفيع

وأخرجت منها ولكننى * رجعت على رغم أنف الجميع

وكان له فى عمل الالغاز وحلها اليد الطولى فتى كتب اليه شئ حله فى وقته وكتب الجواب أحسن من السؤال نظما ولم يكن له غرض فى جمع شعره فلذلك لم يدونه فهو يوجد مقاطيع فى أيدى الناس وقد جمع له بعض أهل دمشق ديوانا صغيرا لا يبلغ عشر ماله من النظم ومع هذا ففيه أشياء ليست له وكان من أظرف الناس وأخفهم روحا وأحسنهم مجونا وله بيت عجيب من جملة قصيدة يذكر فيها أسفاره ويصف توجهه الى جهة المشرق وهو

أشق قلب الشرق حتى كأننى * أفتش فى سودائه عن سنا الفجر

وبالجملة فمحاسن شعره كثيرة وكنت قد رأيته فى المنام فى بعض شهور سنة تسع وأربعين وستمائة وأنا يوم ذاك بالقاهرة المحروسة وفى يده ورقة جراء وهى عريضة وفيها مقدار خمسة عشر بيتا تقريبا وهو يقول عملت هذه الابيات فى الملك المظفر صاحب حماة وكان الملك المظفر فى ذلك الوقت ميتا أيضا وكان فى المجلس جماعة حاضرون فقرأ علينا الابيات فأعجبنى منها بيت فرددته فى النوم واستيقظت من المنام وقد علق بخاطرى وهو

والبيت لا يحسن انشاده * الا اذا أحسن من شاده

وهذا البيت غير موجود فى شعره وقد تقدم ذكره فى ترجمة الامام فخر الدين الرازى وأبياته الفائية وكذلك فى ترجمة سيف الاسلام وكان وافر الحرمة عند الملوك وتولى الوزارة بدمشق فى آخر دولة الملك المعظم ومدة ولاية الملك الناصر المعظم وانفصل منها لما ملكها الملك الاشرف وأقام فى بيته ولم يباشر بعدها خدمة

تقرر وروح الله تعالى روحه ونور ضريحه وزاده فى أعلى غرف الجنان فتوحه

(ومنهم العالم الفاضل الكامل المولى محيي الدين محمد الحسينى الشهير بسيرك محيي الدين)

كان رحمه الله تعالى من نواحى أنقره قرأ على علماء عصره منهم المولى سنان الدين يوسف الكرمياني والمولى سيدى محمد القوجوى والمولى مصلح الدين الشهير بابن البرمكى ثم صار معيدا لدرس المولى بالى الايدينى ثم صار مدرسا بمدرسة أنقره ثم صار مدرسا بمدرسة مرزيفون ثم صار مدرسا بمدرسة توقات ثم صار معلما للسلطان محمد سلطاننا الاعظم السلطان سليمان خان عليه الرحمة والغفران ثم توفى رحمه الله تعالى فى سنة سبع وأربعين وتسعمائة كان رحمه الله تعالى عالما عابدا فاضلا صالحا ذكيا سليم الطبع متكلما بالحق مجتنبا عن الباطل مراعيا لوظائف العبادات عالما بالعلوم العربية والاصول والفقه والكلام وكان مشتغلا بمطالعة التفسير وكان صحيح العقيدة محبا للفقراء والصلحاء والمساكين وكان محمود الطريقة متكلما بالحق مجتنبا عن الباطل مراعيا لوظائف العبادات روح الله تعالى روحه ونور ضريحه

وكانت ولادته بدمشق يوم الاثنين تاسع شعبان سنة تسع وأربعين وخمسمائة وتوفى عشية نهار الاثنين لعشرين من شهر ربيع الاول سنة ثلاثين وستمائة بدمشق أيضا ودفن من الغد بمسجده الذى أنشأه بأرض المزة وهى بكسر الميم وتشديد الزاى قرية على باب دمشق رحمه الله تعالى قال ابن الدبيثى سمعته يقول ان أصلنا من الكوفة من موضع يعرف بمسجد بنى النجار ونحن من الانصار قلت هكذا نقلته أولا ثم انى زرت قبر بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمقابر باب الصغير ظاهر دمشق فلما خرجت من تربته وجدت على الباب قبرا كبيرا فقيل لى هذا قبر ابن عنين فوقفت وترحمت عليه وعنين بضم العين المهملة وفتح النون وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون والله أعلم

(أبو القاسم محمد ويدعى نزار بن المهدى أبى محمد عبيد الله القائم بالمغرب)

كان أبو القاسم المذكور يلقب بالقائم وقد تقدم ذكر والده المهدى فى حرف العين وذكر ولده المنصور اسمعيل فى حرف الهمزة وكان أبوه المهدى قد بايع له بولاية العهد فى حياته بافريقية وما معها وكانت الكتب تكتب باسمه والمظلة تحمل على رأسه ولما توفى أبوه فى التاريخ المذكور فى ترجمته جددت له البيعة وكان جهزه أبوه الى مصر ليأخذها مرتين المرة الاولى فى الثامن عشر من ذى الحجة سنة احدى وثلثمائة فوصل الى الاسكندرية فملكها والفيوم وصار فى يده أكثر خراج مصر وضيق على أهلها والمرة الثانية وصل الى الاسكندرية فى شهر ربيع الاول سنة سبع وثلثمائة فى عسكر عظيم فخرج عامل الامام المقتدر عنها ودخلها القائم المذكور ثم خرج الى الجيزة فى خلق عظيم فخرج عامل الامام ووردت الاخبار بذلك الى بغداد فجهز المقتدر مؤنسا الخادم الى محاربته بالرجال والاموال فجد فى السير فلما وصل الى مصر كان القائم قد ملك الجيزة والاشمونين وأكثر بلاد الصعيد فتلاقيا وجرت بين العسكرين حروب لا توصف ووقع فى عسكر القائم الوباء والغلاء فمات الناس والخيل فرجع الى افريقية وتبعه عسكر مصر الى أن تباعد عنهم وكان وصوله الى المهدية يوم الثلاثاء ثالث يوم من رجب من السنة المذكورة وفى أيامه خرج أبو يزيد مخلد بن كنداد الخارجى وقد تقدم ذكره وما جرى له وكيف مات فى الاسر فى ترجمة المنصور والشرح فى ذلك يطول وكانت ولادة القائم بمدينة سلمية المذكورة فى ترجمة والده المهدى فى المحرم سنة ثمانين وقيل سنة اثنين وثمانين وقيل سبع وسبعين ومائتين واستصحبه والده معه عند توجهه الى بلاد المغرب وتوفى يوم الاحد ثالث عشر شوال سنة أربع وثلاثين وثلثمائة بالمهدية رحمه الله تعالى وأبو يزيد الخارجى محاصر له فقام بالامر ولده المنصور اسمعيل وكتم خبر موته خوفا من الخارجى أن يطلع عليه فيطمع فيه وكان بالقرب منه على مدينة سوسة فابقى الامور على حالها وأكثر من العطايا والصلات ولم يتسم بالخليفة وكانت كتبه تنفذ من الامير اسمعيل ولى عهد المسلمين والله أعلم

(المعتمد على الله أبو القاسم محمد بن المعتضد بالله أبى عمرو عباد بن الظافر المؤيد بالله أبى القاسم محمد قاضى اشبيلية ابن أبى الوليد اسمعيل بن قريش بن عباد بن عمرو بن أسلم بن عمرو بن عطاف ابن نعيم اللخمى من ولد النعمان بن المنذر اللخمى آخر ملوك الحيرة)

كان المعتمد المذكور صاحب قرطبة واشبيلية وما والاهما من جزيرة الاندلس وفيه وفى أبيه المعتضد يقول بعض الشعراء

من بنى المنذرين وهو انتساب * زاد فى فخرهم بنو عباد

فتية لم تلد سواها المعالى * والمعالى قليلة الاولاد

وكان بدء أمرهم فى بلاد الاندلس أن نعيما وابنه عطافا أول من دخل اليها من بلاد المشرق وهما من أهل العريش القرية القديمة الفاصلة بين الشام والديار المصرية فى أول الرمل من جهة الشام وأقاما بها مستوطنين بقرية بقرب تومين من اقليم طشانة من أرض اشبيلية وامتد لعطاف عمود النسب من الولد الى الظافر محمد بن اسمعيل القاضى فهو أول من نبغ منهم فى تلك البلاد وتقدم باشبيلية الى ان ولى القضاء

(ومنهم العالم الفاضل المولى محيي الدين محمد القوجوى الشهير بمحيي الدين الاسود)

قرأ رحمه الله على علماء عصره ثم وصل الى خدمة العالم الفاضل المولى حميد الدين بن أفضل الدين ثم صار مدرسا ببعض المدارس ثم صار معلما للسلطان مصطفى ابن سلطاننا الاعظم وتوفى رحمه الله تعالى وهو معلم له فى قريب من سنة خمس وأربعين وتسعمائة كان رحمه الله عالما عاملا محبا للخير صدوقا بارا وكان مشتغلا بنفسه لا يذكر أحدا بسوء وكان صحيح العقيدة مستقيم الطريقة نور الله تعالى مرقده

(ومنهم العالم الفاضل المولى خير الدين خضر)

كان رحمه الله تعالى أصله من بلدة مرزيفون وقرأ على علماء عصره واشتهر بالفضل بين أقرانه ثم صار مدرسا ببعض المدارس ثم صار معلما للسلطان مصطفى ابن سلطاننا الاعظم السلطان سليمان خان سلمه الله وأبقاه وتوفى وهو معلم له فى سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة كان رحمه الله حليم النفس كريم الطبع جيد القريحة مجتهدا فى تحصيل العلوم ورأيت له تعليقات على بعض المواضع أجاد فيها وأحسن ورأيت له أيضا حواشى على قسم

بهافأحسن السياسة مع الرعية والملاطفة بهم فرمقته القلوب وكان يحيى بن على بن حمود الحسنى المنعوت بالمستعلى صاحب قرطبة وكان مذموم السيرة فتوجه الى اشبيلية محاصرا لها فلما نزل عليها اجتمع رؤساء اشبيلية وأعيانها وأتوا القاضى محمدا المذكور وقالوا له أما ترى ماحل بنا من هذا الظالم وما أفسد من أموال الناس فقم بنا نخرج اليه ونملكك ونجعل الامر اليك ففعل ووثبوا على يحيى فركب اليهم وهو سكران فقتل وتم له الامر ثم ملك بعد ذلك قرطبة وغيرها من البلاد وقصته مشهورة مع الذى زعم انه هشام بن الحكم آخر ملوك بنى أمية بالاندلس الذى كان المنصور بن أبى عامر قد استولى عليه وحجبه عن الناس وكان يصدر الامور عن اشارته ولا يمكنه من التصرف وليس له سوى الاسم والخطبة على المنابر فانه كان قد انقطع خبره مدة نيف وعشرين سنة وجرت أحوال مختلفة فى هذه المدة ثم قيل للقاضى محمد المذكور بعد تملكه واستيلائه على البلاد ان هشام بن الحكم فى مسجد بقلعة رباح فارسل اليه من أحضره وفوض الامر اليه وجعل نفسه كالوزير بين يديه وفى هذه الواقعة يقول الحافظ أبو محمد بن حزم الظاهرى فى كتاب نقط العروس أخلوقة لم يقع فى الدهر مثلها فانه ظهر رجل يقال له خلف الحصرى بعد نيف وعشرين سنة من موت هشام بن الحكم المنعوت بالمؤيد وادعى انه هشام فبويع وخطب له على جميع منابر الاندلس فى أوقات شتى وسفك الدماء وتصادمت الجيوش فى أمره وأقام المدعى انه هشام نيفا وعشرين سنة والقاضى محمد بن اسمعيل فى رتبة الوزير بين يديه والامر اليه ولم يزل الامر كذلك الى أن توفى المدعو هشاما فاستبد القاضى محمد بالامر بعده وكان من أهل العلم والادب والمعرفة التامة بتدبير الدول ولم يزل مالكا مستقلا الى أن توفى ليلة الاحد لليلة بقيت من جمادى الاولى سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة وقيل انه عاش قريب الخمسين وأربعمائة ودفن بقصر اشبيلية واختلفوا أيضا فى مبدأ استيلائه فقيل سنة أربع عشرة وأربعمائة وهو الذى ذكره العماد الكاتب فى الخريدة وقيل أربع وعشرين والله أعلم بالصواب فى ذلك كله ولما مات محمد القاضى قام مقامه ولده المعتضد بالله أبو عمرو عباد قال أبو الحسن على بن بسام صاحب كتاب الذخيرة فى حقه ثم أفضى الامر الى عباد سنة ثلاث وثلاثين وتسمى أولا بفخر الدولة ثم بالمعتضد قطب رحى الفتنة ومنتهى غاية المحنة ناهيك من رجل لم يثبت له قائم ولا حصيد ولا سلم منه قريب ولا بعيد جبار أبرم الامر وهو متناقض واسد فرس الطلا وهو رابض متهور تتحاماه الدهاه وجبان لا تأمنه الكماه متعسف اهتدى ومنبت قطع فما أبقى ثار والناس حرب وضبط شأنه بين قائم وقاعد حتى طالت يده واتسع بلده وكثر عديده وعدده وكان قد أوتى أيضا من جمال الصورة وتمام الخلقة وفخامة الهيئة وسباطة البنان وثقوب الذهن وحضور الخاطر وصدق الحدس مافاق على نظرائه ونظر مع ذلك فى الادب قبل ميل الهوى به الى طلب السلطان ادنى نظر بازكى طبع حصل منه لثقوب ذهنه على قطعة وافرة علقها من غير تعمد لها ولا امعان النظر فى غمارها والاكثار من مطالعتها ولا منافسة فى اقتناء صحائفها أعطته سجيته على ذلك ماشاء من تحبير الكلام وقرض قطع من الشعر ذات طلاوة فى معان امدته فيها الطبيعة وبلغ فيها الارادة واكتتبها الادباء لبراعة جمع هذه الخلال الظاهرة الى جود كف بارى السحاب بها واخبار المعتضد فى جميع أفعاله وضروب أنحائه غريبة بديعة وكان ذا كلف بالنساء فاستوسع فى اتخاذهن وخالط فى أجناسهن فانتهى فى ذلك الى مدى لم يبلغه أحد من نظرائه ففشا نسله لتوسعه فى النكاح وقوته عليه فذكر انه كان له من الولد نحو العشرين ذكورا ومن الاناث مثلهم وأورد له عدة مقاطيع فمن ذلك قوله

شربنا وجفن الليل يغسل كحله * بماء صباح والنسيم رقيق
معتقة كالتبر أما بخارها * فضخم وأما جسمها فدقيق

وقد تقدم فى ترجمة أبى بكر محمد بن عمار الاندلسى ذكر شئ من قصيدتيه اللتين مدح المعتضد المذكور بهما احداهما رائية والاخرى ميمية ولولده المعتمد فيه من جملة أبيات

سميدع يهب الآلاف مبتدئا * ويستقل عطاياه ويعتذر

النصد يقات من شرح الشمسية روح الله روحه ونور ضريحه

(ومنهم العالم الفاضل الكامل المولى هداية الله ابن مولانا بار على العجمى) قرأ على علماء عصره منهم المولى بير أحمد چلبى والمولى الوالد والمولى محيى الدين الفنارى والمولى ابن كمال باشا ثم صار مدرسا بالمدرسة الافضلية بمدينة قسطنطينية ثم صار مدرسا بالمدرسة القلندرية بالمدينة المزبورة ثم صار مدرسا بمدرسة السلطان بايزيد خان بمدينة بروسه ثم صار مدرسا بمدرسة مناستر فيها ثم صار مدرسا باحدى المدرستين المتجاورتين بادرنه ثم صار مدرسا باحدى المدارس الثمان ثم صار قاضيا بمكة المشرفة ثم اختلت عيناه فترك القضاء وجاء الى مصر المحروسة وتوفى بها فى سنة تسع أو ثمان وأربعين وتسعمائة كان رحمه الله عالما مشاركا فى العلوم وله معرفة بالاصولين والفقه وكان أديبا لبيبا وقورا حليما متواضعا متخشعا كريم النفس مرضى السيرة روح الله روحه ونور ضريحه

(ومنهم العالم الفاضل الكامل المولى محيى الدين محمد بن حسام الدين) كان رحمه الله تعالى أبوه حسام الدين من أبناء الروم وكان من موالى الوزير محمد

له يد كل جبار يقبلها * لولا نداها لقلنا انها الحجر

ولم يزل فى عز سلطانه واغتنام مساره حتى اصابته علة الذبحة فلم تطل مدتها ولما أحس بتدانى حمامه استدعى مغنيا يغنيه ليجعل أول ما يبدأ به فالا فأول ماغنى

نطوى الليالى علما أن ستطوينا * فشعشعيها بماء المزن واسقينا

فتطير من ذلك ولم يعش بعده سوى خمسة أيام وقيل انه ماغنى منها الا بخمسة أبيات وتوفى يوم الاثنين غرة جمادى الآخرة سنة احدى وستين وأربعمائة ودفن ثانى يوم بمدينة اشبيلية رحمه الله تعالى وقام بالمملكة بعده ولده المعتمد على الله أبو القاسم محمد قال أبو الحسن على بن القطاع السعدى المقدم ذكره فى كتاب لمح الملح فى حق المعتمد المذكور انه أندى ملوك الاندلس راحة وأرحبهم ساحة وأعظمهم عمادا وأرفعهم عمادا ولذلك كانت حضرته ملقى الرحال وموسم الشعراء وقبلة الآمال ومألف الفضلاء حتى انه لم يجتمع بباب أحد من ملوك عصره من أعيان الشعراء وأفاضل الادباء ما كان يجتمع ببابه وتشتمل عليه حاشيتا جنابه وقال ابن بسام فى الذخيرة كان للمعتمد ابن عباد شعر كما انشق الكمام عن الزهر لو صار مثله ممن جعل الشعر صناعة واتخذه بضاعة لكان رائقا معجبا ونادرا مستغربا فمن ذلك قوله

أكثرت هجرك غير أنك ربما * عطفتك أحيانا على أمور
فكأنما زمن التهاجر بيننا * ليل وساعات الوصال بدور

وهذا المعنى ينظر الى قول بعضهم من جملة أبيات

أسفر ضوء الصبح عن وجهه * فقام خال الخد فيه بلال
كأنما الخال على خده * ساعة هجر فى زمان الوصال

وعزم المعتمد على ارسال حظاياه من قرطبة الى اشبيلية فخرج معهن يشيعهن فسايرهن من أول الليل الى الصبح فودعهن ورجع وأنشد أبياتا من جملتها

سايرتهم والليل أغفل ثوبه * حتى تبدى للنواظر معلما
فوقفت ثم مودعا وتسلمت * منى يد الاصباح تلك الانجما

وهذا المعنى فى نهاية الحسن وله فى وداعهن أيضا

ولما وقفنا للوداع غدية * وقد خفقت فى ساحة القصر رايات
بكينا دما حتى كأن عيوننا * بجرى الدموع الحمر منها جراحات

وهذا ينظر الى قول القائل

بكيت دما حتى لقد قال عائدى * أهذا الفتى من جفن عينيه يرعف

وقد سبق فى شعر الابيوردى نظيره ومن شعره أيضا

لولا عيون من الواشين ترمقنى * وما أحاذره من قول حراس
لزرتكم لا كافيكم بجفوتكم * مشيا على الوجه أو سعيا على الراس

وكتب الى ندمائه من قصره بقرطبة وقد اصطبحوا بالزهراء يدعوهم الى الاغتباق عنده

حسد القصر فيكم الزهراء * ولعمرى وعمركم ما أساء
قد طلعتم بها شموسا نهارا * فاطلعوا عندنا بدورا مساء

وهذا من بديع المعانى العجيبة والزهراء بفتح الزاى وسكون الهاء وفتح الراء وبعدها همزة ممدودة سراية وهى من عجائب ابنية الدنيا أنشأها أبو المظفر عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الملقب الناصر أحد ملوك بنى أمية بالاندلس بالقرب من قرطبة فى أول سنة خمس وعشرين وثلثمائة ومسافة ما بينهما أربعة أميال وثلثا ميل وطول الزهراء من الشرق الى الغرب الفان وسبعمائة ذراع وعرضها من القبلة الى الجنوب ألف وخمسمائة ذراع وعدد السوارى التى فيها أربعة آلاف سارية وثلثمائة سارية وعدد أبوابها يزيد على

باشا من أبناء الروم أيضا قتل السلطان محمد خان ذلك الوزير لامر اقتضى قتله وقرأ المولى حسام الدين على علماء عصره حتى صار قاضيا بعدة من البلاد وخلف ولده محيى الدين المذكور وقرأ على علماء عصره منهم المولى الوالد والمولى حسام الدين والمولى ابن كمال باشا ثم صار مدرسا بمدرسة عيسى بك بمدينة بروسه ثم صار مدرسا بالمدرسة الواحدية ثم صار مدرسا ببلدة تيره ثم صار مدرسا بحسينية اماسيه ثم صار مدرسا بمدرسة جورلى ثم صار مدرسا بمدرسة مناستر بمدينة بروسه ثم صار مدرسا بسلطانية مغنيسا ثم صار مدرسا باحدى المدارس الثمان ثم صار مدرسا بمدرسة السلطان بايزيد خان بادرنه ثم صار قاضيا بدمشق الشام ثم صار قاضيا ببروسه ثم عزل عن ذلك وصار مدرسا بمدرسة السلطان مراد خان فيها وعين له كل يوم ثمانون درهما ثم صار مدرسا بمدرسة أيا صوفيه ثم صار مدرسا ثانيا باحدى المدارس الثمان ثم أعيد الى قضاء بروسه ثم صار قاضيا بادرنه ثم صار قاضيا بقسطنطينية وتوفى وهو قاض بها فى سنة خمس وستين وتسعمائة كان رحمه الله عالما فاضلا وكان له اطلاع على علم الكلام [

خمسة عشر بابا وكان الناصر يقسم جباية البلاد ثلاثا فثلث للجند وثلث مدخر وثلث ينفقه على عمارة الزهراء وكانت جباية الاندلس يومئذ خمسة آلاف ألف ألف دينار وأربعمائة ألف وثمانين ألف دينار ومن السوق والمستخلص سبعمائة ألف وخمسة وستون ألف دينار وهى من أهول بناء الاندلس وأجله خطرا وأعظمه شأنا ذكر ذلك كله ابن بشكوال المقدم ذكره فى حرف الحاء فى تاريخ الاندلس وكان أبو بكر محمد بن عيسى بن محمد اللخمى الدانى الشاعر المشهور مائلا الى بنى عباد بطبعه اذ كان المعتمد الذى جذب بضبعه وله فيه المدائح الانيقة فمن ذلك قصيدة يمدحه بها ويذكر أولاده الاربعة وهم الرشيد عبيد الله والراضى يزيد والمأمون والمؤتمن ومن جملتها قوله ولقد أجاد فيه كل الاجادة

يغيثك فى محل يعينك فى ردى * يروعك فى درع يروقك فى برد
جمال واجمال وسبق وصولة * كشمس الضحى كالمزن كالبرق كالرعد
بهمته شاد العلا ثم زادها * بناء بأبناء جحاجحة لد
بأربعة مثل الطباع تركبوا * لتعديل جسم المجد والشرف العد

ومع هذه المكارم والاحسان العام لم يسلموا من لسان طاعن وفيهم يقول أبو الحسن جعفر بن ابراهيم بن الحاج الورقى

تعزعن الدنيا ومعروف أهلها * اذا عدم المعروف فى آل عباد
حللت بهم ضيفا ثلاثة أشهر * بغير قرى ثم ارتحلت بلا زاد

وكان الاذفونش قرهكند ملك الافرنج بالاندلس قد قوى أمره فى ذلك الوقت وكانت ملوك الطوائف من المسلمين هنالك يصالحونه ويؤدون اليه ضريبة ثم انه أخذ طليطلة فى يوم الثلاثاء مستهل صفر سنة ثمان وسبعين وأربعمائة بعد حصار شديد وكانت للقادر بالله بن ذى النون وفى أخذها يقول أبو محمد عبد الله ابن فرج بن عزنون اليحصبى يعرف بابن العسال الطليطلى وهو مذكور فى الصلة لابن بشكوال

حثوا رواحلكم يا أهل اندلس * فما المقام بها الامن الغلط
السلك ينثر من اطرافه وأرى * سلك الجزيرة منثورا من الوسط
من جاور الشر لم يأمن عواقبه * كيف الحياة مع الحيات فى سفط

وكان المعتمد بن عباد أكبر ملوك الطوائف وأكثرهم بلادا وكان يؤدى الضريبة للاذفونش فلما ملك طليطلة لم يقبل ضريبة المعتمد طمعا فى أخذ بلاده وأرسل اليه يتهدده ويقول له تنزل عن الحصون التى بيدك ويكون لك السهل فضرب المعتمد الرسول وقتل من كان معه فبلغ الخبر الاذفونش وهو متوجه لحصار قرطبة فرجع الى طليطلة لاخذ آلات الحصار فلما سمع مشايخ الاسلام وفقهاؤها بذلك اجتمعوا وقالوا هذه مدن الاسلام قد تغلب عليها الفرنج وملوكنا مشتغلون بمقاتلة بعضهم بعضا وان استمرت الحال ملك الفرنج جميع البلاد وجاؤا الى القاضى عبد الله بن محمد بن أدهم وفاوضوه فيما نزل بالمسلمين وتشاوروا فيما يفعلونه فقال كل واحد منهم شيأ وآخر ما اجتمع رأيهم عليه أن يكتبوا الى أبى يعقوب يوسف بن تاشفين ملك الملثمين صاحب مراكش يستنجدونه وسيأتى ذكره فى حرف الياء ان شاء الله تعالى فاجتمع القاضى بالمعتمد وأخبره بما جرى فوافقه على انه مصلحة وقال له تمضى اليه بنفسك فامتنع فألزمه بذلك فقال أستخير الله سبحانه وخرج من عنده وكتب للوقت كتابا الى يوسف بن تاشفين يخبره بصورة الحال وسيره اليه مع بعض عبيده فلما وصله خرج مسرعا الى مدينة سبتة وخرج القاضى ومعه جماعة الى سبتة للقائه واعلامه بحال المسلمين فأمر بعبور عسكره الى الجزيرة الخضراء وهى مدينة فى بر الاندلس وأقام بسبتة وهى فى بر مراكش مقابلة الجزيرة الخضراء وأرسل الى مراكش يستدعى من تخلف بها من جيشه فلما تكاملوا عنده أمرهم بالعبور وعبر آخرهم وهو فى عشرة آلاف مقاتل واجتمع بالمعتمد وقد جمع أيضا عساكره وتسامع المسلمون بذلك فخرجوا من كل البلاد طلبا للجهاد وبلغ الاذفونش الخبر وهو بطليطلة فخرج فى أربعين ألف فارس غير ما انضم اليه وكتب الاذفونش الى الامير يوسف كتابا يتهدده وأطال الكتاب فكتب يوسف الجواب فى ظهره الذى

ومهارة فى علم الفقه وكانت له ممارسة فى النظم واطلاع على علم التواريخ والمحاضرات روح الله تعالى روحه ونور ضريحه

(ومنهم العالم العامل الفاضل الكامل محيى الدين الايدينى المشتهر باهلجه)
قرأ رحمه الله على علماء عصره منهم المولى بير أحمد جلبى والمولى حسام جلبى والمولى محمد شاه ابن المولى الفاضل محمد بن الحاج حسن وصار معيد الدرسه ثم صار مدرسا بمدرسة القرائين بمدينة قسطنطينية ثم صار مدرسا بمدرسة مناستر بمدينة بروسه ثم صار مدرسا بسلطانية بروسه ومكث هنالك مدة كبيرة مات وهو مدرس بها فى سنة احدى وخمسين وتسعمائة كان رحمه الله عالما فاضلا صالحا صحيح العقيدة محبا للخير والصلاح وكان يجلس مجلس التذكير فى بعض الاوقات وانتفع به كثير من الناس وكان مدرسا مفيدا منتسبا الى الطريقة الصوفية نور الله تعالى مرقده

(ومنهم العالم الفاضل المولى عبد القادر الشهير بناد عبدى)
قرأ على علماء عصره حتى وصل الى خدمة المولى الفاضل حسام جلبى ثم صار مدرسا بمدرسة المولى الفاضل خسرو بمدينة بروسه ثم صار مدرسا

يكون ستراه ورده اليه فلما وقف عليه ارتاع لذلك وقال هذا رجل عازم ثم سار الجيشان والتقيا فى مكان يقال له الزلاقة من بلد بطليوس وتصافا وانتصر المسلمون وهرب الاذفونش بعد استئصال عساكره ولم يسلم معه سوى نفر يسير وذلك يوم الجمعة فى العشر الاول من شهر رمضان المعظم سنة تسع وسبعين وأربعمائة كذا قال بعضهم والصحيح ان هذه الواقعة كانت فى منتصف رجب من السنة المذكورة وهذا العام يؤرخ به فى بلاد الاندلس كلها فيقال عام الزلاقة وهذه الواقعة من أشهر الوقائع وثبت المعتمد فى ذلك اليوم ثباتا عظيما وأصابه عدة جراحات فى وجهه وبدنه وشهد له بالشجاعة وغنم المسلمون دوابهم وسلاحهم ورجع الامير يوسف الى بلاده والمعتمد الى بلاده ثم ان الامير يوسف عاد الى الاندلس فى العام الثانى وخرج اليه المعتمد وحاصر بعض حصون الفرنج فلم يقدر عليه فرحل عنه وعبر على غرناطة فخرج اليه صاحبها عبد الله ابن بلكين ثم دخل البلد ليخرج اليه التقادم فغدر به يوسف ودخل البلد وأخرج عبد الله ودخل قصره فوجد فيه من الاموال والذخائر ما لا يعد ولا يحصى ثم رجع الى مراكش وقد أعجبه حسن بلاد الاندلس وبهجتها وما بها من المبانى والبساتين والمطاعم وسائر أصناف الاموال التى لا توجد فى مراكش فانها بلاد بربر وأجلاف العربان وجعل خواص الامير يوسف يعظمون عنده بلاد الاندلس ويحسنون له أخذها ويغرون قلبه على المعتمد بأشياء نقلوها عنه فتغير عليه وقصده فلما انتهى الى سبتة جهز اليها العساكر وقدم عليها سير بن أبى بكر الاندلسى فوصل الى اشبيلية وبها المعتمد فحاصره أشد محاصرة وظهر من مصابرة المعتمد وشدة بأسه وترامية على الموت بنفسه ما لم يسمع بمثله والناس بالبلد قد استولى عليهم الفزع وخامرهم الجزع يقطعون سبلها سباحة ويخوضون نهرها سباحة ويترامون من شرفات الاسوار فلما كان يوم الاحد لعشرين من رجب سنة أربع وثمانين وأربعمائة هجم عسكر الامير يوسف البلد وشنوا فيها الغارات ولم يتركوا لاحد شيأ وخرج الناس من منازلهم يسترون عوراتهم بأيديهم وقبض على المعتمد وأهله وكان قد قتل له ولدان قبل ذلك أحدهما المأمون وكان ينوب عن والده فى قرطبة فحصروه بها الى أن أخذوه وقتلوه والثانى الراضى كان أيضا نائبا عنه فى رندة وهى من الحصون المنيعة فنازلوها وأخذوها وقتلوا الراضى ولابيهما المعتمد فيهما مراث عديدة وبعد ذلك جرى باشبيلية على المعتمد ما ذكرناه ولما أخذ المعتمد قيدوه من ساعته وجعل مع أهله فى سفينة قال ابن خاقان فى قلائد العقيان فى هذا الموضع ثم جمع هو وأهله وحملتهم الجوارى المنشآت وضمتهم كأنهم أموات بعد ما ضاق عنهم القصر وراق منهم العصر والناس قد حشدوا بضفتى الوادى يبكون بدموع كالغوادى فساروا والبوم يحدوهم والنوح باللوعة لا يعدوهم وفى ذلك يقول أبو بكر محمد بن عيسى اسمعيل الدانى المعروف بابن اللبانة

تبكى السماء بدمع رائح غادى * على البهاليل من أبناء عباد

ومن جملتها

يا ضيف أقفر بيت المكرمات فخذ * فى ضم رحلك واجمع فضلة الزاد

وهى قصيدة طويلة لا حاجة الى ذكرها وفى هذه الحال وصفتها يقول أبو محمد عبد الجبار بن حمديس الصقلى الشاعر المشهور المقدم ذكره

ولما رحلتم بالندى فى أكفكم * وقلقل رضوى منكم وثبير
رفعت لسانى بالقيامة قد دنت * فهذى الجبال الراسيات تسير

وهى أبيات كثيرة وهذا المعنى مأخوذ من قول عبد الله بن المعتز فى أبى العباس أحمد بن محمد بن الفرات الوزير وقد مات رحمه الله تعالى

قد استوى الناس ومات الكمال * وصاح صرف الدهر أين الرجال
هذا أبو العباس فى نعشه * قوموا انظروا كيف تسير الجبال

وقيل انه أنشدها لما مات الوزير أبو القاسم عبيد الله بن سليمان بن وهب والله أعلم بالصواب ثم وجدت القول الثانى هو الصحيح والله أعلم وتألم المعتمد يوما من قيده وضيقه وثقله فانشد

تبدلت من ظل عز البنود * بذل الحديد وثقل القيود

بالمدرسة الفرهادية فيها ثم صار مدرسا بمدرسة قراحصار ثم صار مدرسا بمدرسة مناستر ببروسه ثم صار مدرسا بسلطانية بروسه ثم صار مدرسا بسلطانية مغنيسا ثم صار مدرسا بمدرسة السلطان مرادخان بمدينة بروسه ثم صار قاضيا بمكة المشرفة ثم صار قاضيا بمصر المحروسة وتوفى وهو قاض بها فى سنة أربع وخمسين وتسعمائة كان رحمه الله عالما فاضلا وقورا صبورا سليم الطبع صحيح العقيدة ثابتا على الحق لا يخاف فى الله لومة لائم وكان فى قضائه مرضى السيرة محمود الطريقة روح الله تعالى روحه ونور ضريحه

(ومنهم العالم الفاضل المولى حسام الدين حسين جلبى أخو المولى حسن جلبى القراصيوى المار ذكره)
قرأ رحمه الله على علماء عصره ثم وصل الى خدمة المولى خير الدين معلم سلطاننا الاعظم ثم صار مدرسا ببعض المدارس ثم صار مدرسا بسلطانية مغنيسا ثم صار مدرسا باحدى المدارس الثمان وتوفى وهو مدرس بها فى سنة سبع وأربعين وتسعمائة كان رحمه الله عالما ذكيا وكانت له مشاركة فى العلوم وله نسبة خاصة بالعلوم العقلية روح

وكان حديدى سنانا ذليقا * وعضبا رقيقا صقيل الحديد

وقد صار ذاك وذا أدهما * يعض بساقى عض الاسود

ثم انهم حملوا الى الامير يوسف بن تاشفين فامر بارسال المعتمد الى مدينة أغمات واعتقله بها ولم يخرج منها الى الممات قال ابن خاقان ولما أجلى عن بلاده وأعرى من طارفه وتلاده وحمل فى السفين وأحل فى العدوة محل الدفين تندبه منابره وأعواده ولا يدنو منه زواره ولا عواده بقى آسفا تتصعد زفراته وتطرد اطراد المذانب عبراته لا يخلو بمؤانس ولا يرى الا غريبا بدلا عن تلك المكانس ولما لم يجد سلوا ولم يؤمل دنوا ولم ير وجه سره مجلوا تذكر منازله فشاقته وتصور بهجتها فراقته وتخيل استيحاش أوطانه واجهاش قصره الى قطانه واظلام جوه من اقماره وخلوه من حراسه وسماره وفى اعتقاله يقول أبو بكر الدانى المذكور قصيدته المشهورة التى أولها

لكل شئ من الاشياء ميقات * وللمنى من مناياهن غايات

والدهر فى صبغة الحرباء منغمس * ألوان حالاته فيها استحالات

ونحن من لعب الشطرنج فى يده * وربما قمرت بالبيدق الشاة

قلت هذا غلط فان الشاه بالهاء الملك بالعجمى واذا كان كذلك فلم تسلم له التاء فيه لانها على حرف التاء ثم قال

انفض يديك من الدنيا وساكنها * فالارض قد أقفرت والناس قد ماتوا

وقل لعالمها الارضى قد كتمت * سريرة العالم العلوى أغمات

وهى طويلة تقارب خمسين بيتا وله أيضا فى حبسه قصيدة عملها باغمات سنة ست وثمانين وأربعمائة

تنشق رياحين السلام فانما * أفض بها مسكا عليك مختما

وقل لى مجازا ان عدمت حقيقة * لعلك فى نعمى وقد كنت منعما

أفكر فى عصر مضى لك مشرقا * فيرجع ضوء الصبح عندى مظلما

وأعجب من رفق المجرة اذ رأى * كسوفك شمسا كيف أطلع أنجما

لقد عظمت فيك الرزية اننا * وجدناك منها فى المزية أعظما

قناة سعت للطعن حتى تقصدت * وسيف أطال الضرب حتى تثلما

ومنها بكى آل عباد ولا كمحمد * وابنائه صوب الغمامة اذ همى

حبيب الى قلبى حبيب لقوله * عسى طلل يدنو بهم ولعلما

صباحهم كنا بهم نحمد السرى * فلما عدمناهم سرينا على عمى

وكنا رعينا العز حول حماهم * فقد أجدب المرعى وقد أقفر الحمى

وقد ألبست أيدى الليالى محلهم * مناسج سدى الغيث فيها وألحما

قصور خلت من ساكنيها فما بها * سوى الادم تمشى حول واقفة الدما

يجيب بها الهام الصدى ولطالما * أجاب القيان الطائر المترنما

كأن لم يكن فيها أنيس ولا التقى * بها الوفد جمعا والخميس عرمرما

حكيت وقد فارقت ملكك مالكا * ومن ولهى أحكى عليك متمما

مصاب هوى بالنيرات من العلا * ولم يبق فى أرض المكارم معلما

تضيق على الارض حتى كأنما * خلقت واياها سوارا ومعصما

بكيتك حتى لم يخل لى الاسى * دموعا بها أبكى عليك ولا دما

وانى على رسمى مقيم فان أمت * سأجعل للباكين رسمى موسما

بكاك الحيا والريح شقت جيوبها * عليك وناح الرعد باسمك معلما

ومزق ثوب البرق واكتست الضحى * حدادا وقامت أنجم الجو مأتما

ومنها وحار ابنك الاصباح وجدا فما اهتدى * وغاض أخوك البحر غيضا فاطما

وما

الله تعالى روحه ونور ضريحه

(ومنهم العالم الفاضل الكامل المولى كمال الدين الشهير بكمال جلبي)

قرأ على علماء عصره ثم وصل الى خدمة المولى حسام جلبي وصار معيدا لدرسه ثم صار مدرسا ببعض المدارس ثم صار مدرسا بمدرسة ازنيق ثم صار مدرسا باحدى المدرستين المتجاورتين بادرنه ثم صار مدرسا باحدى المدارس الثمان ثم صار مدرسا بمدرسة أورخان ببروسه ثم صار قاضيا بدار السلام ببغداد وتوفى وهو قاض بها فى سنة سبع وخمسين وتسعمائة كان رحمه الله تعالى عالما فاضلا سليم الطبع حليم النفس وقورا صبورا طالبا للخير والصلاح وكان كريم الاخلاق صحيح العقيدة روح الله تعالى روحه ونور ضريحه

(ومنهم العالم الفاضل المولى أمير حسن جلبي ابن السيد على جلبي)

قرأ على علماء عصره منهم المولى الشهير بكدبك حسام والمولى حسن جلبي الشهير بابن الطباخ والمولى الشهير بعمارزاده والمولى الوالد ثم وصل الى خدمة المولى الكامل عبد القادر الشهير بقادرى جلبي ثم صار مدرسا ببعض المدارس ثم صار مدرسا

وما حل بدر التم بعدك داره * ولا أظهرت شمس الظهيرة مبسما

قضى الله أن حطوك عن ظهر أشقر * أشم وأن أمطوك أشأم أدهما

وكان قد انفكت عنه القيود فاشار لذلك بقوله منها

قيودك ذابت فانطلقت لقد غدت * قيودك منهم بالمكارم أرحما

عجبت لأن لان الحديد وقد قسوا * لقد كان منهم بالسريرة أعلما

سينجيك من نجى من الجب يوسفا * ويؤويك من آوى المسيح بن مريما

وله فى البكاء على أيامهم وانتشار نظامهم عدة مقاطيع وقصائد مطولات يشتمل عليها جزء لطيف صدر عنه فى تأليف وهيئة تصنيف سماه نظم السلوك فى وعظ الملوك ووفد على المعتمد وهو باغمات وفادة وفاء لا وفادة استجداء وحكى انه لما عزم على الانفصال عنه بعث اليه المعتمد عشرين دينارا وشقة بغدادية وكتب معها

اليك النزر من كف الاسير * فان تقبل تكن عين الشكور

تقبل ما يكون له حياء * وان عذرته أحوال الفقير

وهى عدة أبيات قال أبو بكر المذكور فرددتها اليه لعلمى بحاله وانه لم يترك عنده شيأ وكتبت اليه جوابها وهو

سقطت من الوفاء على خبير * فذرنى والذى لك فى ضميرى * تركت هواك وهو شقيق نفسى

لئن شقت برودى عن غدور * ولا كنت الطليق من الرزايا * لئن أصبحت أجحف بالاسير

جذيمة أنت والزباء خانت * وما أنا من يقصر عن قصير * أسير ولا أسير الى اغتنام

معاذ الله من سوء المصير * أنا أدرى بفضلك منك انى * لبست الظل منه فى الحرور

ومنها أيضا قوله تصرف فى الندى خيل المعالى * فتسمح من قليل بالكثير

واعجب منك انك فى ظلام * وترفع للعفاة منار نور * رويدك سوف توسعنى سرورا

اذا عاد ارتقاؤك للسرير * وسوف تحلى رتب المعالى * غداة تحل فى تلك القصور

تزيد على ابن مروان عطاء * بها وأزيد ثم على جرير * تأهب أن تعود الى طلوع

* فليس الخسف ملتزم البدور *

ودخل عليه يوما بناته السجن وكان يوم عيد وكن يغزلن للناس بالاجرة فى أغمات حتى ان احداهن غزلت لبيت صاحب الشرطة الذى كان فى خدمة أبيها وهو فى سلطانه فرآهن فى أطمار رثة وحالة سيئة فصدعن قلبه وأنشد

فيما مضى كنت بالاعياد مسرورا * فساءك العيد فى أغمات مأسورا

ترى بناتك فى الاطمار جائعة * يغزلن للناس لا يملكن قطميرا

برزن نحوك للتسليم خاشعة * أبصارهن حسيرات مكاسيرا

يطأن فى الطين والاقدام حافية * كأنها لم تطأ مسكا وكافورا

لا خد الا ويشكو الجدب ظاهره * وليس الا مع الانفاس ممطورا

قد كان دهرك ان تأمره ممتثلا * فردك الدهر منهيا ومأمورا

من بات بعدك فى ملك يسر به * فانما بات بالاحلام مغرورا

ودخل عليه وهو فى تلك الحال ولده أبو هاشم والقيود قد عضت بساقيه عض الاسود والتوت عليه التواء الاساود السود وهو لا يطيق اعمال قدم ولا يريق دمعا الا ممتزجا بدم بعدما عهد نفسه فوق منبر وسرير وفى وسط جنة وحرير تخفق عليه الالوية وتشرق منه الاندية فلما رآه بكى وقال

قيدى أما تعلمنى مسلما * أبيت ان تشفق أو ترحما * دمى شراب لك واللحم قد

أكلته لا تهشم الاعظما * يبصرنى فيك أبو هاشم * فينثنى والقلب قد هشما

ارحم طفيلا طائشا لبه * لم يخش أن يأتيك مسترحما * وارحم أخيات له مثله

جرعتهن السم والعلقما * منهن من يفهم شيأ فقد * خفنا عليه للبكاء العمى

بمدرسة الوزير داود باشا بمدينة قسطنطينية ثم صار مدرسا بمدرسة الوزير مصطفى باشا بالمدينة المنورة ثم صار مدرسا بسلطانية قسطنطينية ثم صار مدرسا باحدى المدارس الثمان ثم صار مدرسا بمدرسة ايا صوفيه ثم صار مدرسا باحدى المدارس الثمان ثانيا وعين له كل يوم سبعون درهما ومات فى سنة سبع وخمسين وتسعمائة كان عالما ذكيا صحيح العقيدة مهتما فى مصالح اصدقائه وكان لذيذ الصحبة صاحب بشاشة وكان كريم النفس سخيا وكان أهل مروأة وفتوة روح الله تعالى روحه ونور ضريحه

(ومنهم العالم الفاضل المولى محيي الدين محمد ابن الوزير مصطفى باشا)

قرأ على علماء عصره ثم صار مدرسا بمدرسة والده بمدينة قسطنطينية ثم صار مدرسا بسلطانية بروسه وتوفى وهو مدرس بها بعد الاربعين وتسعمائة كان رحمه الله عالما فاضلا أديبا لبيبا مهيبا وقورا حليما جيد القريحة مستقيم الطبع وكانت له مشاركة فى العلوم وتوفى وهو شاب رحمه الله تعالى

*(ومنهم العالم الفاضل المولى محيي الدين محمد ابن المولى الفاضل خير الدين معلم سلطاننا الاعظم

والغيرلا يفهم شيأ فما * يفتح الاالرضاع فما

وكان قداجتمع عليه جماعة من الشعراء وألحوا عليه فى السؤال وهو على تلك الحال فانشد

سألوا اليسيرمن الاسير وانه * بسؤالهم لأحق منهم فاعجب
لولا الحياء وعزة لخمية * طى الحشا لحكاهم فى المطلب

واشعار المعتمد واشعار الناس فيه كثيرة وقد جاوزنا الحد فى تطويل ترجمته وسببه ان قصته غريبة لم يعهد مثلها ودخل فيها حديث أبيه وجده فطالت وكانت ولادته فى شهر ربيع الاوّل سنة احدى وثلاثين وأربعمائة بمدينة باجه من بلاد الاندلس وملك بعد وفاة أبيه فى التاريخ المذكور هنالك وخلع فى التاريخ المقدّم ذكره وتوفى فى السجن باغمات لاحدى عشرة ليلة خلت من شوّال وقيل فى ذى الحجة سنة ثمان وثمانين وأربعمائة رحمه الله تعالى ومن النادر الغريب انه نودى فى جنازته بالصلاة على الغريب بعد عظم سلطانه وجلالة شأنه فتبارك من له البقاء والعزة والكبرياء واجتمع عند قبره جماعة من الشعراء الذين كانوا يقصدونه بالمدائح ويجزل لهم المنائح فرثوه بقصائد مطولات وأنشدوها عند قبره وبكوا عليه فمنهم أبو بحر عبد الصمد شاعره المختص به رثاه بقصيدة طويلة أجاد فيها وأولها

ملك الملوك أسامع فانادى * ام قدعدتك عن السماع عوادى
لما نقلت عن القصور ولم تكن * فيها كماقد كنت فى الاعياد
أقبلت فى هذا الثرى لك خاضعا * وجعلت قبرك موضع الانشاد

ولما فرغ من انشادها قبل الثرى ومرغ جسمه وعفر خده فابكى عليه كل من حضر ويحكى ان رجلا رأى فى منامه اثر الكائنة عليه كأن رجلا صعد منبر جامع قرطبة واستقبل الناس وأنشد

رب ركب قدأناخوا عيسهم * فى ذرى مجدهم حين بسق
سكت الدهر زمانا عنهمو * ثم أبكاهم دما حين نطق

ورأى أبو بكر الدانى حفيد المعتمد وهو غلام وسيم قداتخذ الصياغة صناعة وكان يلقب فى أيام دولتهم فخر الدولة وهو من الالقاب السلطانية عندهم فنظر اليه وهو ينفخ الفحم بقصبة الصائغ فقال من جملة قصيدة

شكاتنا فيك يافخر العلا عظمت * والرزء يعظم فيمن قدره عظما
طوقت من نائبات الدهر مخنقة * ضاقت عليه وكم طوقتنا النعما
وعاد طوقك فى دكان قارعه * من بعدما كنت فى قصرحكى ارما
صرفت فى آلة الصواغ انملة * لم تدر الا الندى والسيف والقلما
يد عهدتك للتقبيل تبسطها * فتستقل الثريا ان تكون فما
ياصائغا كانت العليا تصاغ له * حليا وكان عليه الحلى منتظما
للنفخ فى الصور هول ماحكاه سوى * انى رأيتك فيه تنفخ الفحما
وددت اذنظرت عينى عليك به * لو أن عينى تشكو قبل ذاك عمى
ماحطك الدهر لما حط من شرف * ولا تحيف من اخلاقك الكرما
لح فى العلا كوكبا ان لم تلح قمرا * وقم بها ربوة ان لم تقم علما
والله لو انصفتك الشهب لانكسفت * ولو وفى لك دمع العين لانسجما
أبكى حديثك حتى الدهر حين غدا * يحكيك رهطا وألفاظا ومبتسما

ولاحاجة الى الزيادة على ما أودعناه هذه الترجمة واللورقى بضم اللام وسكون الواو والراء وبعدها قاف هذه النسبة الى لورقة وهى مدينة بالاندلس وهذا الشاعر ذكره فى الخريدة وقال عاش بعد المائة طويلا وأورد كثيرا من شعره وأغمات بفتح الهمزة وسكون الغين المعجمة وفتح الميم وبعد الالف تاء مثناة من فوقها وهى بليدة وراء مراكش بينهما مسافة يوم وخرج منها جماعة مشاهير وأما أبو بكر بن اللبانة المذكور

السلطان سليمان خان)*
قرأ على علماء عصره ثم صار مدرسا بمدرسة الوزير مصطفى باشا بمدينة قسطنطينية وتوفى فى سن الشباب حين كونه مدرسا بها سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة كان رحمه الله سليم الطبع كريم النفس محبا للخير وأهله وكان مشتغلا بنفسه لايؤذى أحدا من الناس روح الله تعالى روحه

(ومنهم العالم الفاضل المولى فرج خليفة القرامانى)
قرأ على علماء عصره ثم وصل الى خدمة المولى الفاضل خير الدين معلم سلطاننا الاعظم السلطان سليمان خان ثم صار مدرسا ببعض المدارس ثم صار مدرسا بالمدرسة القلندرية بمدينة قسطنطينية ثم صار مدرسا بمدرسة جورلى ثم صار مدرسا باحدى المدرستين المتجاورتين بادرنه ثم صار مدرسا باحدى المدارس الثمان مات وهو مدرس بها فى سنة أربع وستين وتسعمائة كان رحمه الله تعالى لطيف الطبع ظريف النفس لذيذ الصحبة جيد النادرة حسن المحاضرة نورالله تعالى مرقده

(ومنهم العالم الفاضل المولى شمس الدين أحمد اللازمى من بلاد كرميان المعروف بشمس الاصغر)

فما رأيت تاريخ وفاته فى شئ من الكتب ولا رأيت من يعلم ذلك لكن رأيت فى كتاب الحماسة التى صنفها أبو الحجاج يوسف البياسى المذكور بعدها ان ابن اللبانة قدم ميورقة فى آخر شعبان سنة تسع وثمانين وأربعمائة ومدح ملكها مبشر بن سليمان بابيات أولها

ملك يروعك فى حلى ريعانه * راقت برونقه صفات زمانه

وكنت اظن انه مات قبل المعتمد لانى مارأيت له فيه مرثية الى ان رأيت ماقاله البياسى والله تعالى أعلم

(أبو يحيى محمد بن معن بن محمد بن أحمد صمادح المنعوت بالمعتصم التجيبى صاحب المرية وبجاية والصمادحية من بلاد الاندلس)

كان جده محمد بن أحمد بن صمادح صاحب مدينة وشقة واعمالها وذلك فى أيام المؤيد هشام بن الحكم الاموى المذكور فى ترجمة المعتمد بن عباد فثار به ابن عمه منذر بن يحيى التجيبى فاستظهر عليه وعجز عن دفعه لكثرة رجاله وترك له مدينة وشقة وفر بنفسه ولم يبق له بالبلد علقة وكان صاحب رأى ودهاء واسان وعارضة لم يكن فى أصحاب السيوف من يعدله فى هذه الخلال فى ذلك العصر وكان ولده معن والد المعتصم مصاهر العبد العزيز بن أبى عامر صاحب بلنسية فلما قتل زهير مولى أبيه وكان صاحب المرية وثب عبد العزيز على المرية فملكها لكونها كانت لمولاهم فحسده على ذلك مجاهد بن عبد الله العامرى المكنى أبا الجيش صاحب دانية فخرج قاصدا بلاد عبد العزيز وهو بالمرية مشتغل فى تركة زهير فلما سمع بخروج مجاهد خرج من المرية مبادر الاستصلاحه واستخلف بها صهره ووزيره معن بن صمادح والد المعتصم فخانه فى الامانة وغدر به وطرده عن الامارة فلم يبق فى ملوك الطوائف بالاندلس أحد الاذمه على هذه الفعلة الا انه تم له الامر واستتب فلما مات انتقل الملك الى ولده المعتصم وتسمى باسماء الخلفاء وكان رحب الفناء جزيل العطاء حليما عن الدماء طافت به الآمال واتسع فى مدحه المقال واعملت الى حضرته الرحال ولزمه جماعة من فحول الشعراء كابى عبد الله بن الحداد وغيره وله أشعار حسنة فمن ذلك ما كتبه الى أبى بكر بن عمار الاندلسى المقدم ذكره يعاتبه بقوله

وزهدنى فى الناس معرفتى بهم * وطول اختبارى صاحبا بعد صاحب
فلم ترنى الايام خلا تسرنى * مباديه الاساءنى فى العواقب
ولا صرت أرجوه لدفع ملمة * من الدهر الا كان احدى النوائب

فكتب اليه ابن عمار جوابها وهى أبيات كثيرة فلاحاجة الى ذكرها ومن شعره أيضا

يامن بجسمى لبعده سقم * مامنه غير الدنو يبرينى
بين جفونى والنوم معترك * تصغرمنه حروب صفين
ان كان صرف الزمان أبعدنى * عنك فطيف الخيال يدنينى

ومن هنا انشد بهاء الدين زهير بن محمد الكاتب المقدم ذكره قوله من جملة قصيدة

بين جفونى والكرى * مذغبت عنى معترك

وله غير ذلك مقاطيع كثيرة ولابى عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن ابراهيم المعروف بالحداد القيسى من أهل المرية فى مديحه قصائد بعيدة فمن ذلك قصيدته التى أولها

لعلك بالوادى المقدس شاطئ * فكالعنبر الهندى ماانا واطئ
وانى من رياك واجد ريحهم * فروح الهوى بين الجوانح ناشئ
ولى فى السرى من نارهم ومنارهم * حداة هداة والنجوم طوافئ
لذلك ماحنت ركابى وحمحمت * عرابى وأوحى سيرها المتباطئ
فهل هاجها ماهاجنى واعلها * الى الوجد من نيران قلبى لواحئ

قرأ رحمه الله تعالى على علماء عصره ثم وصل الى خدمة المولى الفاضل خير الدين معلم السلطان سليمان خان ثم صار مدرسا بمدرسة جندبك بمدينة بروسه ثم صار مدرسا بالمدرسة الافضلية بقسطنطينية ثم صار مدرسا بمدرسة الوزير مصطفى باشا فيها ثم صار مدرسا بمدرسة الوزير محمود باشا فيها ثم صار مدرسا بسلطانية بروسه ثم صار مدرسا باحدى المدارس الثمان ثم صار مدرسا بمدرسة السلطان سليم خان بمدينة قسطنطينية وهو أوّل مدرس بها وتوفى وهو مدرس بها فى سنة سبع وخمسين وتسعمائة كان رحمه الله عالما فاضلا محققا مدققا مشتغلا بالعلم والدرس وكانت له مشاركة فى العلوم روح الله روحه ونور ضريحه

(ومنهم العالم الفاضل المولى شمس الدين أحمد البروسوى)
قرأ رحمه الله على علماء عصره ثم وصل الى خدمة المولى الفاضل علاء الدين على الجمالى المفتى ثم صار مدرسا بمدرسة عيسى بك بمدينة بروسه ثم صار مدرسا بمدرسة ابنه كول وتوفى وهو مدرس بها بمدينة قسطنطينية فى أوائل سلطنة سلطاننا الاعظم كان رحمه الله عالما مشتغلا بالعلم الشريف آناء الليل

رو يدافـذاوادى ابيني وانه * لورد لباناتى وانى لظامئ
ويا حبـذامن آل لبنى مواطن * ويا حبذامن أرض لبنى مواطئ
مـ ادين تهيامى ومسرح خاطرى * فللشوق غايات بها ومبادئ
ولاتحسبوا غيدا حوتها مقاصر * فتلك قـلوب ضمنتها جآجئ
وفى الكلة الزرقاء مكلوء عزة * تحف به زرق العوالى الكوالئ
محاملة السلوان مبعث حسنه * فكل الى دين الصبابة صابئ

ومنها أيضا

تمنى مدى قرطيه عفر توالع * وتهوى ضيا عينيه عين جوازئ
وفى ملعب الصدغين أبيض ناصع * تخالـه للحسـن أحمر قانئ
أفاتكة الالحاظ ناسكة الهوى * ورعت ولكن لحظ عينك خاطئ
وآل الهوى جرحى ولكن دماؤهم * دموع هوام والجروح مآقئ
وكيف اعانى كلم طرفك فى الحشا * ولكن لتمزيق المهنـد راقئ
ومن أين أرجو برء نفسى من الجوى * وما كل ذى سقم من السقم بارئ

ويخرج من هـذا الى المدح وهـذه القصيدة طنانة طويلة وقصده أيضا من شعراء الاندلس أبو القاسم الاسعد بن بليطة وهو من فحول شعرائهم ومدحه بقصيدته الطائية التى أولها

برامة ريم زارنى بعد ماشطا * فقنصته فى الحلم بالشط فاشتطا
رعى من اناس فى الحشا ثمر الهوى * ولم يدع النـوار فيها ولا الخطا

ومنها

وقد ذاب كحل العين فى دمع نحره * الى ان تبدى الصبح كاللمة الشمطا
كان الدجى جيش من الزنج نافر * وقد أرسل الاصباح فى اثره القبطا

ومنها فى صفة الديك

كان أنوشروان أعلاه تاجه * وناطت عليه كف مارية القرطا
سبى حلة الطاوس حسن لباسه * ولم يكفه حتى سبى المشية البطا

ومنها أيضا

توهم عطف الصدغ نونا بخدها * فباتت بمسك الخال تنقطه نقطا
غلامية جاءت وقد جعل الدجى * لخاتم فيها فص غالية خطا
غدت تتقى المسواك فى برد ثغرها * وقد ضمخت مسكا غدا اثره المشطا
فقلت احاجيها بما عجفونها * ومافى الشفاه اللعس من حسنها المعطا
مفـترة الالحاظ من غـير سكرة * متى شربت الحاظ عينيك اسفنطا
أرى صفرة المسواك فى حمرة اللمى * وشارب المخضر بالمسك قد خطا
عسى قزح قبلتـه فاخاله * على الشفة اللمياء قد جاء مختطا

ومنها فى المديح قوله

كان ابا يحيى بن معن أجادها * فعلمها من كفه الوكف والبسطا
تألف مـن در وشزر بحاره * فجاءت به العليا على جيدها سمطا
اذا سار سار المجـد تحت لوائه * فليس يحط المجـد الا اذا حطا
رفيع عماد النار فى الليل للسرى * فما يخبط العشواء طارقه خبطا
أقول لركب يمموا مسقط الندى * وقد جاوز الركبان من دونك السقطا
أفى المجد تبغى لابن معن مناقضا * ومن يوقد المصباح فى الشمس قد أخطا

وهى قصيدة طويلة مقدار تسعين بيتا أحسن فيها ناظمها مع وعورة مسلك حرف رويها وكان المعتصم المذكور قد اختص بمؤانسة الامير يوسف بن تاشفين عند عبوره الى جزيرة الاندلس حسبما شرحناه فى ترجمة المعتمد بن عباد المذكور وقبله وأقبل عليه أكثر من بقية ملوك الطوائف فلما تغيرت نية الامير يوسف ابن تاشفين على المعتمد وجاهره المعتمد بالعصيان شاركه فى ذلك المعتصم ووافقه على الخروج عن طاعته

وأطراف النهار وكان اشتغاله بالعلم والمجاهدة فيه فوق ما يوصف وقد حل بقوته الفكرية كثيرا من غوامض العلوم وكانت له تعليقات كثيرة على الكتب الا أنها قد ضاعت بعد وفاته تغمده الله بغفرانه وأسبل عليه حلل رضوانه

(ومنهم العالم الفاضل المولى عبد الرحمن بن يونس الامام)

قرأ على علماء عصره حتى وصل الى خدمة المولى الفاضل سيدى محيى الدين القوجوى ثم صار مدرسا ببعض المدارس وتوفى فى سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة كان عالما ذكيا قوى الفطنة جيد القريحة وكانت له نسبة خاصة بعلم الكلام وكان قد حل غوامضه وحقق مطالعته فلما رأيت فى هـذه العلوم من وصل الى تحقيقه وكان لذيذ الصحبة حسن المحاورة لطيف المحاضرة وقد قتل شهيدا نور الله تعالى مضجعه

(ومنهم العالم الفاضل المولى عبد الكريم الويزوى)

قرأ على علماء عصره ثم وصل الى خدمة المولى الفاضل ابن كمال باشا المفتى ثم صار مدرسا ببعض المدارس ثم صار مدرسا بمدرسة جورلى ثم صار مدرسا ومفتيا بسلطانية مغنيسا وتوفى وهو مدرس

وعدم الانقياد لامره فلما قصد الامير يوسف بلاد الاندلس عزم على خلعهما وقبضهما قال ابن بسام فى الذخيرة وكان بينه وبين المعتصم وبين الله سريرة واسلفت له عند الحمام يدا مشكورة فمات وليس بينه وبين حلول الفاقرة به الا ايام يسيرة فى سلطانه وبلده وبين أهله وولده حدثنى من لا أرد خبره عن أروى بعض حظاياه أنه قالت انى لعنده وهو يوصى بشانه وقد غلب على أكثر يده وسلطانه ومعسكر أمير المسلمين تعنى يوسف بن تاشفين يومئذ بحيث نعد خيامهم ونسمع اختلاط أصواتهم اذ سمع وجبة من وجباتهم فقال لا اله الا الله نغص علينا كل شئ حتى الموت فقال أروى فدمعت عينى فلا انسى طرفا الى يرفعه وانشاده لى بصوت لا كاد أسمعه

ترفق بدمعك لا تفنه * فبين يديك بكاء طويل

انتهى كلام ابن بسام وقال محمد بن أيوب الانصارى فى كتابه الذى صنفه للسلطان الناصر صلاح الدين رحمه الله تعالى فى سنة ثمان وستين وخمسمائة فى ترجمة المعتصم بن صمادح المذكور بعد ان ذكر طرفا من أخباره وشيأ من أشعاره وحكى صورة حصاره وقوله فى مرضه نغص علينا كل شئ حتى الموت ومات يعنى المعتصم فى اثر ذلك عند طلوع الشمس يوم الخميس لثمان بقين من شهر ربيع الاول سنة أربع وثمانين وأربعمائة بالمرية رحمه الله ودفن فى تربة له عند باب الخوخة وصمادح بضم الصاد المهملة وفتح الميم وبعد الالف دال مكسورة ثم حاء مهملة وهو الشديد وبليطة والد أبى القاسم الاسعد الشاعر المذكور بكسر الباء الموحدة واللام المشددة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الطاء المهملة وبعدها هاء ساكنة ولا اعرف معناه وهو بلغة اعاجم الاندلس والتجيبى قد تقدم الكلام عليه وبجاية بفتح الباء الموحدة والجيم وبعد الالف ياء ثم هاء ساكنة وهى مدينة بالاندلس والمرية قد تقدم الكلام عليها والصمادحية منسوبة الى صمادح المذكور ووشقة بفتح الواو وسكون الشين المعجمة وفتح القاف وبعدها هاء ساكنة بلدة بالاندلس أيضا والله أعلم

(أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت المنعوت بالمهدى الهرغى)

صاحب دعوة عبد المؤمن بن على بالمغرب وقد تقدم فى ترجمة عبد المؤمن طرف من خبره وكان ينتسب الى الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما وجدت فى كتاب النسيب الشريف العابد بخط أهل الادب من عصرنا نسب ابن تومرت المذكور فنقلته كما وجدته وهو محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن صفوان بن سفيان بن جابر بن يحيى بن عطاء بن رباح بن يسار بن العباس ابن محمد بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما والله أعلم وهو من جبل السوس فى أقصى بلاد المغرب ونشأ هناك ثم رحل الى المشرق فى شبيبته طالبا للعلم فانتهى الى العراق واجتمع بأبى حامد الغزالى والكيا الهراسى والطرطوشى وغيرهم وحج وأقام بمكة مدة مديدة وحصل طرفا صالحا من علم الشريعة والحديث النبوى وأصول الفقه والدين وكان ورعا ناسكا متقشفا مخشوشنا مخلولقا كثير الاطراق بساما فى وجوه الناس مقبلا على العبادة لا يصحبه من متاع الدنيا الا عصا وركوة وكان شجاعا فصيحا فى لسان العرب والمغرب شديد الانكار على الناس فيما يخالف الشرع لا يقنع فى أمر الله بغير اظهاره وكان مطبوعا على الالتذاذ بذلك متحملا للاذى من الناس بسببه وناله بمكة شرفها الله تعالى شئ من المكروه من أجل ذلك فخرج منها الى مصر وبالغ فى الانكار فزادوا فى أذاه وطردته الدولة وكان اذا خاف من البطش وايقاع الفعل به خلط فى كلامه فينسب الى الجنون فخرج من مصر الى الاسكندرية وركب البحر متوجها الى بلاده وكان قد رأى فى منامه وهو فى بلاد الشرق كأنه شرب ماء البحر جميعه كرتين فلما ركب فى السفينة شرع فى تغيير المنكر على أهل السفينة وألزمهم باقامة الصلوات وقراءة أحزاب من القرآن العظيم ولم يزل على ذلك حتى انتهى الى المهدية احدى مدن افريقية وكان ملكها يومئذ الامير يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجى وذلك فى سنة خمس وخمسمائة هكذا وجدته فى تاريخ القيروان وقد تقدم فى ترجمة الامير تميم والد يحيى المذكور أن محمد ابن تومرت المذكور اجتاز فى أيام ولايته بافريقية عند عوده من المشرق وكنت وجدته كذا أيضا والله أعلم

بها فى سنة احدى وستين وتسعمائة كان رحمه الله تعالى عالما فاضلا قوى الطبع شديد الذكاء لطيف المحاورة حسن المحاضرة لذيذ الصحبة وكانت له مشاركة فى العلوم كلها نور الله تعالى قبره

(ومنهم العالم الفاضل المولى شمس الدين أحمد ولد رحمه الله تعالى فى بلدة بولى الشهير بالقاف)

قرأ على علماء عصره حتى وصل الى خدمة المولى الفاضل المولى قدرى جلبى القاضى بالعسكر فى ولاية أناطولى ثم صار مدرسا ببعض المدارس ثم صار مدرسا بمدرسة الوزير داود باشا بقسطنطينية ثم صار مدرسا بمدرسة الوزير مصطفى باشا فيها ثم صار مدرسا باحدى المدرستين المتجاورتين بادرنه ثم صار مدرسا باحدى المدارس الثمان ثم صار مدرسا بمدرسة السلطان بايزيد خان بادرنه ثم صار قاضيا بدمشق الشام ثم عزل عن ذلك وعين له كل يوم ثمانون درهما بطريق التقاعد ومات على تلك الحال فى سنة خمس وستين وتسعمائة كان رحمه الله طيب النفس كريم الاخلاق محبا للعلم وأهله وكان حسن السمت صحيح العقيدة روح الله تعالى روحه

*(ومنهم العالم الفاضل

بالصواب ولم يرحل الى المشرق مرتين حتى يحمل ذلك على دفعتين فان كان عوده في سنة خمس كما ذكرناه فهي في ولاية الامير يحيى لان أباه الامير تميما توفي سنة احدى وخمسمائة كما تقدم في ترجمته وانما نبهت عليه لئلا يتوهم الواقف عليه انه فاتني ذلك وهو متناقض ورأيت في تاريخ القاضي الاكرم ابن القفطي وزير حلب وهو مرتب على السنين ماصورته في هذه السنة وكان آخر سنة احدى عشرة وخمسمائة خرج محمد بن تومرت من مصر في زي الفقهاء بعد الطلب بها وبغيرها ووصل الى بجايه والله أعلم بالصواب ولما وصل الى المهديه نزل في مسجد مغلق وهو على الطريق وجلس في طاق شارع الى المحجة ينظر الى المارة فلا يرى منكرا من آلة الملاهي أو أواني الخمر الا نزل اليها وكسرها فتسامع الناس به في البلد فجاؤا اليه وقرؤا عليه كتبا من أصول الدين فبلغ خبره الامير يحيى فاستدعاه مع جماعة من الفقهاء فلما رأى سمته وسمع كلامه أكرمه وأجله وسأله الدعاء فقال له أصلحك الله لرعيتك ولم يقم بعد ذلك بالمهديه الا أياما يسيرة ثم انتقل الى بجايه فاقام بها مدة وهو على حاله في الانكار فأخرج منها الى بعض قراها واسمها ملالة فوجد بها عبد المؤمن بن علي القيسي المقدم ذكره ورأيت في كتاب المغرب عن سيرة ملوك المغرب أن محمد بن تومرت كان قد اطلع على كتاب يسمى الجفر من علوم أهل البيت وانه رأى فيه صفة رجل يظهر بالمغرب الاقصى بمكان يسمى السوس وهو من ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى الله يكون مقامه ومدفنه بموضع من المغرب يسمى باسم هجاء حروفه ت ي ن م ل ورأى فيه أيضا ان استقامة ذلك الامر واستيلاءه وتمكنه يكون على يد رجل من أصحابه هجاء اسمه ع ب د م و م ن ويجاوز وقته المائة الخامسة للهجرة فأوقع الله سبحانه وتعالى في نفسه انه القائم بأول الامر وأن أوانه قد أزف فما كان محمد يمر بموضع الا ويسأل عنه ولا يرى أحدا الا أخذ اسمه وتفقد حليته وكانت حلية عبد المؤمن معه فبينما هو في الطريق رأى شابا قد بلغ أشده على الصفة التي معه فقال له محمد بن تومرت وقد تجاوزه ما اسمك يا شاب فقال عبد المؤمن فرجع اليه وقال له الله أكبر أنت بغيتي ونظر في حليته فوافقت ما عنده فقال له من أين أنت فقال من كومية قال أين مقصدك فقال الشرق فقال ما تبغي قال أطلب علما وشرفا قال وجدت علما وشرفا واذكرا اصحبني تنله فوافقه على ذلك فألقى محمد اليه أمره وأودعه سره وكان محمد بن تومرت قد صحب رجلا يسمى عبد الله الونشريسي ففاوضه فيما عزم عليه من القيام فوافقه على ذلك أتم موافقة وكان الونشريسي ممن تهذب وقرأ فقها وكان جميلا فصيحا في لغة العرب وأهل المغرب فتحدثا يوما في كيفية الوصول الى الامر المطلوب فقال محمد بن تومرت لعبد الله أرى أن تستر ما أنت عليه من العلم والفصاحة عن الناس وتظهر من العجز واللكن والحصر والتعري عن الفضائل ما تشتهر به عند الناس لنتخذ الخروج عن ذلك واكتساب العلم والفصاحة دفعة واحدة ليقوم ذلك مقام المعجزة عند حاجتنا اليه فنصدق فيما نقوله ففعل عبد الله ذلك ثم ان محمدا استدنى أشخاصا من أهل الغرب جلادا في القوى الجسمانية أغمارا وكان أميل الى الاغمار من أولي الفطن والاستبصار فاجتمع له منهم ستة سوى عبد الله الونشريسي ثم انه رحل الى أقصى المغرب واجتمع بعبد المؤمن بعد ذلك وتوجها جميعا الى مراكش وملكها يومئذ أبو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين وقد سبق ذكر والده في ترجمة المعتمد بن عباد والمعتصم بن صمادح وكان ملكا عظيما حليما ورعا عادلا متواضعا وكان بحضرته رجل يقال له مالك بن وهيب الاندلسي وكان عالما صالحا فشرع محمد بن تومرت في الانكار على جاري عادته حتى أنكر على ابنة الملك وله في ذلك قصة يطول شرحها فبلغ خبره الملك وانه يتحدث في تغيير الدولة فتحدث مع مالك بن وهيب في أمره وقال نخاف من فتح باب يعسر علينا سده والرأي أن تحضر هذا الشخص وأصحابه لنسمع كلامهم بحضور جماعة من علماء البلد فأجاب الملك الى ذلك وكان محمد وأصحابه مقيمين في مسجد خراب خارج البلد فطلبوهم فلما ضمهم المجلس قال الملك لعلماء بلده سلوا هذا الرجل ما يبغي منا فانتدب له قاضي المرية واسمه محمد بن أسود فقال ما هذا الذي يذكر عنك من الاقوال في حق الملك العادل الحليم المنقاد الى الحق المؤثر طاعة الله تعالى على هواه فقال له محمد بن تومرت اما ما نقل عني فقد قلته ولي من ورائه أقوال وأما قولك انه يؤثر

المولى سعد الدين چلبي الاقشهري)* قرأ على علماء عصره ثم وصل الى خدمة الفاضل محيي الدين الفناري ثم وصل الى خدمة المولى الفاضل خير الدين معلم سلطاننا الاعظم السلطان سليمان خان ثم صار مدرسا بمدرسة ديمه توقه ثم صار مدرسا بمدرسة الوزير ابراهيم باشا بمدينة قسطنطينية ثم صار مدرسا بمدرسة قلبه ثم صار معلما للسلطان محمد بن سلطاننا الاعظم السلطان سليمان ولما توفي السلطان محمد خان صار مدرسا باحدى المدارس الثمان ثم صار مدرسا ومفتيا ببلدة اماسيه ثم صار مدرسا بمدرسة السلطان مرادخان ببروسه وتوفي وهو مدرس بها في سنة سبع وخمسين وتسعمائة كان رحمه الله عالما محققا صاحب عفة وصلاح وديانة وتقوى وكان عابدا زاهدا متشرعا متورعا صحيح العقيدة مستقيم الطريقة حسن الاخلاق سليم الطبع وكان له حظ وافر من طريقة الصوفية روح الله روحه وزاد في غرف الجنان فتوحه

(ومنهم العالم الفاضل المولى خير الدين خضر الشهير بخير الدين الاصغر) ولد ببلدة انقره وقرأ على علماء عصره حتى وصل الى

طاعة الله تعالى على هواه وينقاد الى الحق فقد حضر اعتبار صحة هذا القول عنه ليعلم بتعريه عن هذه الصفة انه مغرور بما تقولون له وتطرونه به مع علمكم ان الحجة عليه متوجهة فهل بلغك يا قاضي ان الخمرة تباع جهارا وتمشي الخنازير بين المسلمين وتؤخذ أموال اليتامى وعدد من ذلك شيئا كثيرا فلما سمع الملك كلامه ذرفت عيناه وأطرق حياء ففهم الحاضرون من فحوى كلامه انه طامع في المملكة لنفسه ولما رأوا سكوت الملك وانخداعه لكلامه لم يتكلم أحد منهم فقال مالك بن وهيب وكان كثير الاجتراء على الملك أيها الملك ان عندي لنصيحة ان قبلتها حمدت عاقبتها وان تركتها لم تأمن غائلتها فقال الملك ما هي فقال اني خائف عليك من هذا الرجل وأرى انك تعتقله وأصحابه وتنفق عليهم كل يوم دينارا لتكتفي شره وان لم تفعل ذلك لتنفقن عليه خزائنك كلها ثم لا ينفعك ذلك فوافقه الملك على ذلك فقال له وزيره يقبح منك أن تبكي من موعظة هذا الرجل ثم تسيء اليه في مجلس واحد وأن يظهر منك الخوف منه على عظم ملكك وهو رجل فقير لا يملك سد جوعه فلما سمع الملك كلامه أخذته عزة النفس واستهون أمره وصرفه وسأله الدعاء (وحكى) صاحب كتاب المغرب في أخبار أهل المغرب انه لما خرج من عند الملك لم يزل وجهه تلقاء وجهه الى أن فارقه فقيل له نراك قد تأدبت مع الملك اذلم تولّه ظهرك فقال أردت أن لا يفارق وجهي الباطل حتى أغيره ما استطعت انتهى كلامه فلما خرج محمد بن تومرت وأصحابه من عند الملك قال لهم لا مقام لكم عندنا بمراكش مع وجود مالك بن وهيب فما نأمن أن يعاود الملك في أمرنا فينالنا منه مكروه وان لنا بمدينة اغمات أخا في الله فنقصد المرور به فلن نعدم منه رأيا ودعاء صالحا واسم هذا الشخص عبد الحق بن ابراهيم وهو من فقهاء المصامدة فخرجوا اليه ونزلوا عليه وأخبره محمد بن تومرت خبرهم وأطلعه على مقصدهم وما جرى لهم عند الملك فقال عبد الحق هذا الموضع لا يحميكم وان أحصن المواضع المجاورة لهذا البلد تينمل وبيننا وبينها مسافة يوم في هذا الجبل فانقطعوا فيه برهة ريثما يتناسى ذكركم فلما سمع محمد بهذا الاسم تجدد له ذكر اسم الموضع الذي رآه في كتاب الجفر فقصده مع أصحابه فلما أتوه رآهم أهله على تلك الصورة فعلموا انهم طلاب العلم فقاموا اليهم وأكرموهم وتلقوهم بالترحاب وأنزلوهم في أكرم منازلهم وسأل الملك عنهم بعد خروجهم من مجلسه فقيل له انهم سافروا فسره ذلك وقال تخلصنا من الاثم بحبسهم ثم ان أهل الجبل تسامعوا بوصول محمد بن تومرت اليهم وكان قد سار فيهم ذكره فجاؤه من كل فج عميق وتبركوا بزيارته وكان كل من أتاه استدناه وعرض عليه ما في نفسه من الخروج على الملك فان أجابه أضافه الى خواصه وان خالفه أعرض عنه وكان يستميل الاحداث وذوي الغرة وكان ذووا الحكم والعقل والحلم من أهاليهم ينهونهم ويحذرونهم من اتباعه ويخوفونهم من سطوة الملك فكان لا يتم له مع ذلك حال وطالت المدة وخاف محمد بن تومرت من مفاجأة الاجل قبل بلوغ الامل وخشي أن يطرأ على أهل الجبل من جهة الملك ما يحوجهم الى تسليمه اليه والتخلي عنه فشرع في اعمال الحيلة فيما يشاركونه فيه ليعصوا على الملك بسببه فرأى بعض أولاد القوم شقرا زرقا وألوان آبائهم السمرة والكحل فسألهم عن سبب ذلك فلم يجيبوه فألزمهم بالاجابة فقالوا نحن من رعية هذا الملك وله علينا خراج في كل سنة تصعد مماليكه الينا وينزلون في بيوتنا ويخرجونا عنها ويخلون بمن فيها من النساء فتأتي أولادنا على هذه الصفة ومالنا قدرة على دفع ذلك عنا فقال محمد والله ان الموت خير من هذه الحياة وكيف رضيتم بهذا وأنتم أضرب خلق الله بالسيف وأطعنهم بالحربة فقالوا بالرغم لا بالرضا فقال أرأيتم لو أن ناصرا نصركم على أعدائكم ما كنتم تصنعون قالوا كنا نقدم أنفسنا بين يديه للموت قالوا من هو قال ضيفكم يعني نفسه فقالوا السمع والطاعة وكانوا يغالون في تعظيمه فأخذ عليهم العهود والمواثيق واطمأن قلبه ثم قال لهم استعدوا لحضور هؤلاء بالسلاح فاذا جاؤكم فأجروهم على عادتهم وخلوا بينهم وبين النساء وميلوا عليهم بالخمور فاذا سكروا فآذنوني بهم فلما حضر المماليك وفعل بهم أهل الجبل ما أشار به محمد وكان ليلا فأعلموه بذلك فأمر بقتلهم بأسرهم فلم تمض من الليل ساعة حتى أتوا على آخرهم ولم يفلت منهم سوى مملوك واحد كان خارج المنازل لحاجة له فسمع التكبير عليهم والوقوع بهم فهرب من غير الطريق حتى خلص من الجبل ولحق

خدمة المولى الفاضل سعدي بن التاجي ثم صار مدرسا ببعض المدارس ثم صار مدرسا بمدرسة المولى ابن الحاج حسن بمدينة قسطنطينية ثم صار مدرسا بمدرسة اسكوب ثم صار مدرسا بمدرسة چورلي وتوفي وهو مدرس بها في سنة خمس وأربعين وتسعمائة كان رحمه الله عالما فاضلا كاملا متواضعا متخشعا لذيذ الصحبة حسن المحاورة لطيف النادرة وكان خفيف الروح قادرا على النظم بالعربية والفارسية والتركية والنثر روح الله تعالى روحه

(ومنهم العالم الفاضل المولى عبد الرحمن ابن الشيخ كمال من ولاية بوى آباد المشهور بابن الشيخ) كان أبوه من خلفاء الشيخ تاج الدين من مشايخ الطريقة الزينية قرأ رحمه الله على علماء عصره منهم المولى الفاضل سيدي محمود القوجوي والمولى الفاضل محمد بن حسن السامسوني ثم صار مدرسا ببعض المدارس ثم اختار العزلة وعين له كل يوم خمسة عشر درهما بطريق التقاعد وعاشر المشايخ وانقطع الى الله تعالى وترك صحبة أهل الدنيا وتوفي رحمه الله في سنة سبع وخمسين وتسعمائة وكانت له مشاركة في العلوم كلها وكان ماهرا في العلوم

بمراكش وأخبر الملك بما جرى فندم على فوات محمد بن تومرت من يده وعلم أن الحزم كان مع مالك بن وهيب فيما أشار به فجهز من وقته خيلا بمقدار ما يسع وادي تينمل فانه ضيق المسالك وعلم محمد بن تومرت انه لا بد من عسكر يصل اليهم فأمر أهل الجبل بالقعود على انقاب الوادي ومراصده واستنجد لهم بعض المجاورين فلما وصلت الخيل اليهم أقبلت عليهم الحجارة من جانبي الوادي مثل المطر وكان ذلك من أول النهار الى آخره وحال بينهم الليل فرجع العسكر الى الملك وأخبروه بما تم لهم فعلم أنه لا طاقة له بأهل الجبل لتحصنهم فاعرض عنهم وتحقق محمد بن تومرت ذلك منه وصفت له مودة أهل الجبل فعند ذلك استدعى الونشريسي المذكور وقال له هذا أوان اظهار فضائلك دفعة واحدة ليقوم لك مقام المعجزة لنستميل بذلك قلوب من ليس يدخل في الطاعة ثم اتفقا على انه يصلي الصبح ويقول بلسان فصيح بعد استعمال العجمة واللكنة في تلك المدة انى رأيت البارحة في منامي انه قد نزل الى ملكان من السماء وشقا فؤادي وغسلاه وحشياه علما وحكمة وقرآنا فلما أصبح فعل ذلك وهو فصل يطول شرحه فانقاد له كل صعب القياد وعجبوا من حاله وحفظه القرآن في النوم فقال له محمد بن تومرت فعجل لنا بالبشرى في أنفسنا وعرفنا أسعداء نحن أم أشقياء فقال له أما أنت فانك المهدي القائم بأمر الله ومن تبعك سعد ومن خالفك هلك ثم قال أعرض أصحابك علي حتى أميز أهل الجنة من أهل النار وعمل في ذلك حيلة قتل بها من خالف أمر محمد بن تومرت وأبقى من أطاع وشرح ذلك يطول وكان غرضه أن لا يبقى في الجبل مخالف لمحمد بن تومرت فلما قتل من قتل علم محمد بن تومرت ان في الباقين من له أهل وأقارب قتلوا وانهم لا تطيب قلوبهم بذلك فجمعهم وبشرهم بانتقال ملك مراكش اليهم واغتنام أموالهم فسرهم ذلك وسلاهم عن أهاليهم وبالجملة فان تفصيل هذه الواقعة طويل ولسنا بصدد ذلك وخلاصة الامر أن محمد بن تومرت لم يزل حتى جهز جيشا عدد رجاله عشرة آلاف بين فارس وراجل وفيهم عبد المؤمن والونشريسي وأصحابه كلهم وأقام هو بالجبل فنزل القوم لحصار مراكش وأقاموا عليها شهرا ثم كسروا كسرة شنيعة وهرب من سلم من القتل وكان فيمن سلم عبد المؤمن وقتل الونشريسي وبلغ محمد بن تومرت الخبر وهو بالجبل وحضرته الوفاة قبل عود أصحابه اليه فأوصى من حضر أن يبلغ الغائبين أن النصر لهم وأن العاقبة حميدة فلا يضجروا وليعاودوا القتال وان الله سبحانه وتعالى سيفتح على أيديهم والحرب سجال وانكم ستقوون ويضعفون ويقلون وتكثرون وأنتم في مبدأ أمرهم في آخره ومثل هذه الوصايا وأشباهها وهي وصية طويلة ثم انه توفي الى رحمة الله تعالى في سنة أربع وعشرين وخمسمائة ودفن في الجبل وقبره هناك مشهور يزار وهذه السنة تسمى عندهم عام البحيرة وكانت ولادته يوم عاشوراء سنة خمس وثمانين وأربعمائة وأول ظهوره ودعائه الى هذا الامر سنة أربع عشرة وخمسمائة وكان رجلا ربعة قطيعا أسمر عظيم الهامة حديد النظر وقال صاحب كتاب المغرب في أخبار أهل المغرب في حقه

آثاره تنبيك عن أخباره * حتى كأنك بالعيان تراه

له قدم في الثرى وهمة في الثريا ونفس ترى اراقة ماء الحياة دون اراقة ماء المحيا أغفل المرابطون حله وربطه حتى دب دبيب الفلق في الغسق وترك في الدنيا دويا انشأ دولة لو شاهدها أبو مسلم لكان لعزمه فيها غير مسلم وكان قوته من غزل أخت له في كل يوم رغيفا بقليل سمن أو زيت ولم ينتقل عن هذا حين كثرت عليه الدنيا ورأى أصحابه يوما وقد مالت نفوسهم الى كثرة ما غنموه فامر بضم ذلك جميعه وأحرقه وقال من كان يتبعني للدنيا فماله عندي الا ما رأى ومن تبعني للآخرة فجزاؤه عند الله تعالى وكان على خمول زيه وبسط وجهه مهيبا منيع الحجاب الا عند مظلمة وله رجل مختص بخدمته والاذن عليه وكان له شعر فمن ذلك قوله

أخذت باعضادهم اذ نأوا * وخلفك القوم اذ ودعوا
فكم أنت تنهى ولا تنتهي * وتسمع وعظا ولا تسمع
فيا حجر السن حتى متى * تسن الحديد ولا تقطع

وكان كثيرا ما ينشد

تجرد من الدنيا فانك انما * خرجت من الدنيا وأنت مجرد

وكان

العقلية والنقلية وكانت له يد طولى في تفسير البيضاوي وكان متصفا بالاخلاق الحميدة وكان سليم النفس كريم الطبع وكان لا يذكر أحدا بسوء وكان يحب لاخيه ما يحب لنفسه وكان محمود الطريقة مرضي السيرة وكان بارا صدوقا قانعا بالقليل تقيا نقيا ورعا زاهدا صالحا عابدا راضيا من العيش بالقليل روح الله تعالى روحه وأوفر في فراديس الجنان فتوحه

(ومنهم العالم الفاضل المولى حسن القراماني من بلدة بك شهري)

قرأ رحمه الله على علماء عصره ثم وصل الى خدمة المولى الحميدي ثم صار مدرسا بمدرسة من بروسه ثم صار قاضيا بعدة من البلاد ومنها بلدة غلطه وبلدة طرابلس وسلانيك ثم عمي وعين له كل يوم أربعون درهما بطريق التقاعد وتوفي بمدينة قسطنطينية في سنة تسع وخمسين وتسعمائة وكان رحمه الله عالما فاضلا عارفا بالتفسير والحديث والعربية والاصولين وكانت له مشاركة في سائر العلوم وكانت له يد طولى في الفقه وكان صاحب ثروة عظيمة وكان خيرا دينا وكان حسن السمت في قضائه وكان لا يذكر أحدا بالسوء رحمة الله تعالى عليه

وكان أيضا يتمثل بقول المتنبي

اذا غامرت في شرف مروم * فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في أمر حقير * كطعم الموت في أمر عظيم

وبقوله أيضا

ومن عرف الايام معرفتي بها * وبالناس روى رمحه غير راحم
فليس بمرحوم اذا ظفروا به * ولا في الردى الجاري عليهم بآثم

وبقوله أيضا

وما أنا منهم بالعيش فيهم * ولكن معدن الذهب الرغام

ولم يفتح شيأ من البلاد وانما قرر القواعد ومهدها ورتب الاحوال ووطدها وكانت الفتوحات على يد عبد المؤمن كما تقدم ذكره في ترجمته والهرغي بفتح الهاء وسكون الراء وبعدها غين معجمة هذه النسبة الى هرغة وهي قبيلة كبيرة من المصامدة في جبل السوس في أقصى المغرب تنسب الى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما يقال انها نزلت في ذلك المكان عندما فتح المسلمون البلاد على يد موسى بن نصير الآتي ذكره ان شاء الله تعالى وتومرت بضم التاء المثناة من فوقها وسكون الواو وفتح الميم وسكون الراء بعدها تاء مثناة من فوقها أيضا وهو اسم بربري والونشريسي بفتح الواو وسكون النون وفتح الشين المعجمة وكسر الراء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها سين مهملة هذه النسبة الى ونشريس وهي بليدة بافريقية من أعمال بجاية بين بجاية وقسطنطينية المغرب وتينمل بكسر التاء المثناة من فوقها وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون ثم ميم مفتوحة ولام مشددة وقد تقدم الكلام على الجفر في ترجمة عبد المؤمن فليكشف من هناك والله أعلم

(ابو بكر محمد بن ابى محمد طغج بن جف بن يلتكين بن فوران بن فوري بن خاقان الفرغاني الاصل)

صاحب سرير الذهب المنعوت بالاخشيد صاحب مصر والشام والحجاز أصله من أولاد ملوك فرغانة وكان المعتصم بالله بن هرون الرشيد قد جلبوا اليه من فرغانة جماعة كثيرة فوصفوا له جف وغيره بالشجاعة والتقدم في الحروب فوجه المعتصم من أحضرهم فلما وصلوا اليه بالغ في اكرامهم واقطعهم قطائع بسر من رأى وقطائع جف الى الآن معروفة هناك ولم يزل مقيما بها وجاءته الاولاد وتوفي جف ببغداد في الليلة التي قتل فيها المتوكل وكانت ليلة الاربعاء لثلاث خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين فخرج أولاده الى البلاد يتصرفون ويطلبون لهم معايش فاتصل طغج بن جف بلؤلؤ غلام ابن طولون وهو اذ ذاك مقيم بديار مصر فاستخدمه على ديار مصر ثم انحاز طغج الى جملة أصحاب اسحق بن كنداج فلم يزل معه الى ان مات أحمد بن طولون وجرى الصلح بين ولده أبي الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون المقدم ذكره وبين اسحق بن كنداج ونظر أبو الجيش الى طغج بن جف في جملة أصحاب اسحق فاعجب به وأخذه من اسحق وقدمه على جميع من معه وقلده دمشق وطبرية ولم يزل معه الى أن قتل أبو الجيش في تاريخه المقدم ذكره فرجع طغج الى الخليفة المكتفي بالله فخلع عليه وعرف له ذلك وكان وزير الخليفة يومئذ العباس بن الحسن فسام طغج أن يجري في التذلل له مجرى غيره فكبرت نفس طغج عن ذلك فاغرى به الملك المكتفي فقبض عليه وحبسه وابنه أبا بكر محمد بن طغج المذكور فتوفي طغج في السجن وبقي ولده أبو بكر بعده محبوسا مدة ثم أطلق وخلع عليه ولم يزل يراصد العباس بن الحسن الوزير المذكور حتى أخذ بثار أبيه هو وأخوه عبيد الله في الوقت الذي قتله فيه الحسين بن حمدان ثم خرج أبو بكر وأخوه عبيد الله في سنة ست وتسعين ومائتين وهرب عبيد الله الى ابن أبي الساج وهرب أبو بكر الى الشام وأقام متغربا في البادية سنة ثم اتصل بابي منصور تكين الجزري فكان أكبر أركانه ومما كبر به اسمه سريته في البعث أي الجمع الذين تجمعوا على الحجاج لقطع الطريق عليهم وذلك سنة ست وثلثمائة وهو يومئذ يتقلد عمان وجبل الشراة من قبل تكين المذكور وظفر بهم ونجا الحجاج وقد فرغ من أمرهم بأسر من أسره وقتل من قتله وشرد الباقين وكان قد حج في هذه السنة من دار الخليفة المقتدر بالله امرأة تعرف بعجوز فحدثت المقتدر بالله بما شاهدت منه فانفذ اليه خلعا وزاده في رزقه ولم يزل أبو بكر في صحبة تكين الى سنة ست عشرة وثلثمائة ثم فارقه بسبب اقتضى ذلك ولا حاجة بنا الى التطويل في ذكره وسار الى الرملة فوردت كتب المقتدر اليه بولاية الرملة فاقام بها الى سنة ثماني عشرة فوردت كتب

(ومنهم العالم الفاضل المولى الشهير بابن الحكيم محيي الدين)

قرأ رحمه الله على علماء عصره وكان مقبولا عندهم ومشتهرا بالفضل بين اقرانه ثم صار قاضيا بعدة من البلاد وكان محمود السيرة في قضائه ثم صار قاضيا بالمدينة المنورة شرفها الله تعالى وصلى على ساكنها ومات وهو قاض بها في عشر الخمسين وتسعمائة كان رحمه الله تعالى عالما فاضلا لطيف الطبع ذكيا حسن السمت طيب الاخلاق محبا للخير وبنى مدرسة بمدينة قسطنطينية روح الله روحه ونور ضريحه

(ومنهم العالم الفاضل المولى عبد الحي بن عبد الكريم ابن علي بن المؤيد)

قرأ رحمه الله على علماء عصره ثم صار مدرسا باماسيه ثم صار مدرسا بمدرسة الوزير مصطفى باشا بمدينة قسطنطينية ثم صار قاضيا بعدة من البلاد ثم رغب في التصوف واعتزل عن منصب القضاء وتقاعد مدة ثم اعيد الى القضاء جبرا وصار قاضيا ببلدة آمد ثم صار قاضيا بوطنه وهي بلدة اماسيه ثم ترك القضاء ولازم بيته ومات هناك كان رحمه الله كريم الطبع سخي النفس محبا للخير وأهله وكانت له معرفة تامة بالعربية والفقه

المقتدر اليه ولاية دمشق فسار اليها ولم يزل بها الى أن ولاه القاهر بالله ولاية مصر فى شهر رمضان سنة احدى وعشرين وثلثمائة ودعى له بها مدة اثنين وثلاثين يوما ولم يدخلها ثم ولى أبو العباس أحمد بن كيغلغ الولاية الثانية من قبل القاهر أيضا لتسع خلون من شوّال سنة احدى وعشرين وثلثمائة ثم أعيد اليها أبو بكر محمد ابن الاخشيذ من جهة الخليفة الراضى بالله بن المقتدر بعد خلع عمه القاهر عن الخلافة وضم اليه البلاد الشامية والجزيرة والحرمين وغير ذلك ودخل مصر يوم الاربعاء لسبع بقين من شهر رمضان المعظم سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة وقيل انه لم يزل على مصر فقط الى ان توفى الراضى بالله فى سنة تسع وعشرين وثلثمائة وتولى أخوه المتقى لامر الله فضم اليه الشام والحجاز وغير ذلك والله أعلم ثم ان الراضى لقبه بالاخشيذ فى شهر رمضان المعظم سنة سبع وعشرين وثلثمائة وانما لقبه بذلك لانه لقب ملوك فرغانة وهو من أولادهم كما سبق ذكره فى أول هذه الترجمة وتفسيره بالعربى ملك الملوك وكل من ملك تلك الناحية لقبوه بهذا اللقب كما لقبوا كل من ملك فارس كسرى وملك الترك خاقان وملك الروم قيصر وملك الشام هرقل وملك اليمن تبع وملك الحبشة النجاشى وغير ذلك وقيصر كلمة فرنجية تفسيرها بالعربية شق عنه وسببه ان أمه ماتت فى المخاض فشق بطنها وأخرج فسمى قيصر وكان يفتخر بذلك على غيره من الملوك لانه لم يخرج من الرحم واسمه اغسطس وهو أول ملوك الروم وقد قيل انه فى السنة الثالثة والاربعين من ملكه ولد المسيح عيسى عليه السلام وقيل فى السنة السابعة عشر من ملكه فسمى ملوك الروم باسمه والله اعلم ودعى للاخشيذ على المنابر بهذا اللقب واشتهر به وصار كالعلم عليه وكان ملكا حازما كثير التيقظ فى حروبه ومصالح دولته حسن التدبير مكرما للجند شديد القوى لا يكاد يجر قوسه غيره وذكر محمد بن عبد الملك الهمدانى فى تاريخه الصغير الذى سماه عيون السير أن جيشه كان يحتوى على أربعمائة ألف رجل وانه كان جبانا وكان له ثمانية آلاف مملوك يحرسه فى كل ليلة ألفان منهم ويوكل بجانب خيمته الخدم اذا سافر ثم لا يثق حتى يمضى الى خيم الفراشين فينام فيها ولم يزل على مملكته وسعادته الى ان توفى فى الساعة الرابعة من يوم الجمعة لثمان بقين من ذى الحجة سنة أربع وثلاثين وثلثمائة بدمشق وحمل تابوته الى بيت المقدس فدفن به وقال أبو الحسين الرازى توفى فى سنة خمس وثلاثين والله أعلم وكانت ولادته يوم الاثنين منتصف شهر رجب من سنة ثمان وستين ومائتين ببغداد بشارع باب الكوفة رحمه الله تعالى وهو استاذ كافور الاخشيذى وفاتك المجنون وقد تقدم ذكر كل واحد منهما فى ترجمة مستقلة فى هذا الكتاب ثم قام كافور المذكور بتربية ابنى مخدومه أحسن قيام وهما أبو القاسم انوجور (١) وأبو الحسن على كما تقدم شرحه فى ترجمة كافور فاغنى عن اعادته ههنا وقد ذكرت هنالك تاريخ مولد كل واحد منهما ومدة ولايته وتاريخ وفاته على سبيل الاختصار واستوفيت حديث كافور وما كان منه الى حين وفاته وأن الجند أقاموا بعده ابا الفوارس أحمد بن على بن الاخشيذ المذكور وأحلت بقية الكلام فى ذلك على ذكره فى هذه الترجمة وكان عمر أبو الفوارس أحمد يوم ذاك احدى عشرة سنة وجعلوا خليفته فى تدبير أموره أبا محمد الحسن بن عبيد الله بن طغج بن جف وهو ابن عم أبيه وكان صاحب الرملة من بلاد الشام وهو الذى مدحه المتنبى بقصيدته التى أولها

انا لائمى ان كنت وقت اللوائم * علمت بما بى بين تلك المعالم

وقال فى مخلصها

اذا صلت لم أترك مصالا لفاتك * وان قلت لم أترك مقالا لعالم

والا فخانتنى القوافى وعاقنى * عن ابن عبيد الله ضعف العزائم

وما أحسن قوله فيها

ارى دون ما بين الفرات وبرقة * ضرابا يمشى الخيل فوق الجماجم

وطعن غطاريف كأن اكفهم * عرفن الردينيات قبل المعاصم

حمته على الاعداء من كل جانب * سيوف بنى طغج بن جف القماقم

هم المحسنون الكر فى حومة الوغى * وأحسن منه كرهم فى المكارم

والحديث والتفسير وكان يكتب خطا حسنا وبالجملة كان حسن العقيدة مقبول الطريقة مرضى السيرة وكان أبوه عبد الكريم صاحب نادرة ومعرفة بالتواريخ والاخبار وكان كاتبا جيدا يكتب الخط الحسن المليح جدا روّح الله تعالى روحهما وأوفر فى الجنة فتوحهما

(ومنهم العالم العامل الفاضل الكامل المولى سنان الدين يوسف)

كان رحمه الله تعالى أصله من ولاية قرامى وقرأ رحمه الله على علماء عصره ثم رغب فى التصوف وحصل طريقة الصوفية ثم شرع فى الوعظ والتذكير فى جامع ادرنه ثم فى جامع السلطان محمد بن سلطاننا الاعظم سليمان خان بمدينة قسطنطينية كان عالما بالعربية وماهرا فى التفسير والحديث وكان عابدا زاهدا صالحا مباركا النفس حليما وقورا صبورا صاحب شيبة عظيمة تتلألأ أنوار الصلاح من جبينه توفى رحمه الله تعالى بمدينة قسطنطينية فى سنة خمس وستين وتسعمائة روّح الله روحه ونوّر ضريحه

(ومنهم العالم الفاضل المولى بدر الدين محمود الايدينى)

قرأ رحمه الله على علماء عصره

(١) معناه بالعربى محمود اه مؤلفه

وهم

وهم يحسنون العفو عن كل مذنب * ويحتملون الغرم عن كل غارم

حييون الا انهم فى نزالهم * اقل حياء من شفار الصوارم

ولولا احتقار الاسد شبهتها بهم * ولكنها معدودة فى البهائم

ومنها

كريم نفضت الناس لما بلغته * كأنهم ما جف من زاد قادم

وكاد سرورى لا يفى بندامتى * على تركه فى عمرى المتقادم

وهى قصيدة طويلة من غرر القصائد ولما تقرر الامر على هذه القاعدة تزوج الحسن بن عبيد الله فاطمة ابنة عمه الاخشيذ ودعواله على المنابر بعد أبى الفوارس أحمد بن على وهو بالشام واستمر الحال على ذلك الى يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شعبان من سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ودخل الى مصر رايات المغاربة الواصلين صحبة القائد جوهر المغربى المقدم ذكره وانقرضت الدولة الاخشيذية وكانت مدتها أربعا وثلاثين سنة وعشرة أشهر وأربعة وعشرين يوما وكان قدم ابن عبيد الله من الشام منهزما من القرامطة ودخل على ابنة عمه التى تزوجها وحكم وتصرف وقبض على الوزير جعفر بن الفرات وصادره وعذبه ثم سار الى الشام فى مستهل شهر ربيع الآخر من سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ولما سير القائد جوهر المغربى جعفر بن فلاح الى الشام وملك البلاد حسبما شرحته فى ترجمته أسر جعفر بن فلاح أبا محمد بن عبيد الله وسيره الى مصر مع جماعة من أمراء الشام الى القائد جوهر ودخلوا مصر فى جمادى الاولى سنة سبع وخمسين وكان ابن عبيد الله قد أساء الى أهل مصر فى مدة ولايته عليهم فلما وصلوا الى مصر تركوهم وقوفا مشهورين مقدار سبع ساعات والناس ينظرون اليهم وشمت بهم من فى نفسه منهم شئ ثم أنزلوا فى مضرب القائد جوهر وجعلوا مع المعتقلين وفى السابع عشر من جمادى الاولى ارسل القائد جوهر ولده جعفرا الى مولاه المعز ومعه هدايا عظيمة تجل عن الوصف وأرسل معه المأسورين الواصلين من الشام وفيهم ابن عبيد الله وحملوا فى مركب بالنيل وجوهر واقف ينظر اليهم فانقلب المركب فصاح ابن عبيد الله على القائد جوهر يا أبا الحسن أتريد أن تغرقنا فاعتذر اليه وأظهر التوجع له ثم نقلوا الى مركب آخر وكانوا مقيدين فلم أقف لهم بعدها على خبر والله أعلم ثم وجدت بعد هافى تاريخ العتقى أن الحسن المذكور توفى ليلة الجمعة لعشر بقين من شهر رجب سنة احدى وسبعين وثلثمائة وصلى عليه العزيز نزار بن المعز المذكور فى القصر بالقاهرة وذكر الفرغانى فى تاريخه ان ولادة الحسن المذكور فى سنة اثنتى عشرة وثلثمائة وانه توفى فى التاريخ المذكور وان أبا الفوارس أحمد بن على المذكور توفى لثلاث عشرة ليلة خلت من ربيع الاول سنة سبع وسبعين وثلثمائة والله أعلم والاخشيذ بكسر الهمزة وسكون الخاء المعجمة وكسر الشين المعجمة وبعدها ياء ساكنة مثناة من تحتها ثم ذال معجمة وقد تقدم الكلام على هذه الكلمة وطغج بضم الطاء المهملة وسكون الغين المعجمة وبعدها جيم (٢) وجف بضم الجيم وفتحها وبعدها فاء مشددة ويلتكين بفتح الياء المثناة من تحتها وسكون اللام وكسر التاء المثناة من فوقها وبعدها كاف مكسورة ثم ياء مثناة من تحتها ثم نون وفوران بضم الفاء وفورى بضم الفاء وأما تكين المذكور فانه ولى مصر ثلاث مرات وتوفى بها فى المرة الثالثة يوم السبت لست عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول سنة احدى وعشرين وثلثمائة وتولاها بعده أبو بكر الاخشيذ كما تقدم ذكره وأما أحمد بن كيغلغ فقد ذكره الحافظ ابن عساكر فى تاريخ دمشق فى ترجمة مستقلة وذكر ولاية مصر قال وجرت بينه وبين محمد بن تكين الخاصة حروب الى أن خلص الامر له ثم قدم محمد بن طغج أميرا على مصر من قبل الراضى فسلم اليه مصر وكان أحمد أديبا شاعرا ومن شعره

لا يكن للكاس فى كفك يوم الغيث لبث * أوما تعلم ان الغيث ساق مستحث

ومن شعره أيضا

واعطشا الى فم * يمج خمرا من برد * ان قسم الناس فحسبى بلى من كل أحد

ثم قال ومات أخوه ابراهيم بن كيغلغ فى مستهل ذى القعدة سنة ثلاث وثلثمائة وابنه اسحق بن ابراهيم هو الذى كان بطرابلس وعاق بها أبا الطيب المتنبى لما قدمها من الرملة يريد انطاكية ليمدحه وهجاه بقصيدة

ثم انقطع عن الناس واشتغل بالعلم الشريف والعبادة ثم نصب مدرسا بنقل التفسير والحديث وكان له باع واسع فى العربية والتفسير والحديث وكان له حظ من الاصول والفروع وكان عالما نافعا وانتفع به كثير من الناس وكان مشتغلا بنفسه معرضا عن أبناء الزمان محبا للخير وأهله وكان له ذهن رائق وطبع مستقيم وكان لا يخلو عن المطالعة والافادة توفى وهو مدرس بمدرسة الوزير محمد باشا بمدينة قسطنطينية فى سنة ست وخمسين وتسعمائة روّح الله تعالى روحه ونوّر ضريحه

(ومنهم العالم العامل المولى علاء الدين على الايدينى)

قرأ رحمه الله على علماء عصره ثم صار مدرسا ببعض المدارس ثم تقاعد ودرس بمدرسة عينت لنقل التفسير والحديث فانقطع عن الناس واشتغل بالعلم والعبادة والتدريس والافادة وانتفع به كثير من الانام ومن الخواص والعوام توفى رحمه الله تعالى سنة ثمان وخمسين وتسعمائة نوّر الله تعالى مرقده وفى غرف جنانه أرقده

*(ومنهم العالم الفاضل المولى شمس الدين محمد بن عمر بن أمر الله ابن الشيخ

(٢) تفسيره عبد الرحمن اه كذا ذكره أول الترجمة فى بعض النسخ

أوّلها

لهوى القلوب سريرة لا تعلم * عرضا نظرت وخلت أني أسلم

ثم قام من عنده فبلغه موته بجبلة فقال

قالوا الثامات اسحق فقلت لهم * هذا الدواء الذى يشفى من الحمق

وهذه القصيدة والتى من قبلها موجودتان فى ديوانه فلذلك تركت ذكرهما وله فيه أيضا غيرهما من الهجاء تجاوز الله عنهم أجمعين

(ابو طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق الملقب ركن الدين طغرلبك أوّل ملوك السلجوقية)

كان هؤلاء القوم قبل استيلائهم على الممالك يسكنون فيما وراء النهر فى موضع بينه وبين بخارى مسافة عشرين فرسخا وهم أتراك وكانوا عددا يجل عن الحصر والاحصاء وكانوا لا يدخلون تحت طاعة سلطان واذا قصدهم جمع لا طاقة لهم به دخلوا المفاوز وتحصنوا بالرمال ولا يصل اليهم أحد فلما عبر السلطان محمود بن سبكتكين الى ما وراء النهر وكان سلطان خراسان وغزنة وتلك النواحى وسيأتى ذكره ان شاء الله تعالى وجد زعيم بنى سلجوق قوى الشوكة كثير العدة يتصرف فى امره على المخاتلة والمراوغة وينتقل من أرض الى غيرها ويغير فى أثناء ذلك على تلك البلاد فاستماله وجذبه ولم يزل يخدعه حتى أقدمه اليه فأمسكه وحمله الى بعض القلاع واعتقله وشرع فى اعمال الحيلة فى تدبير أمر أصحابه واستشار أعيان دولته فى شأنهم فمنهم من أشار باغراقهم فى نهر جيحون وأشار آخرون بقطع ابهام كل رجل منهم ليتعذر عليهم الرمى والعمل بالسلاح واختلف الآراء فى ذلك وآخر ما وقع الاتفاق عليه أن يعبر بهم جيحون الى أرض خراسان ويفرقهم فى النواحى ويضع عليهم الخراج ففعل ذلك فدخلوا فى الطاعة واستقاموا وأقاموا على تلك الحالة مدة فطمع فيهم العمال وظلموهم وامتدت اليهم أيدى الناس وتهضموا جانبهم وأخذوا من أموالهم ومواشيهم فانفصل منهم ألفا بيت ومضوا الى بلاد كرمان وملكها يومئذ الامير أبو الفوارس بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه فاقبل عليهم وخلع على وجوههم وعزم على استخدامهم فلم يستتموا عشرة أيام حتى مات أبو الفوارس وخافوا من الديلم وهم أهل ذلك الاقليم فبادروا الى قصد اصبهان ونزلوا بظاهرها وصاحبها علاء الدولة أبو جعفر بن كاكويه فرغب فى استخدامهم فكتب اليه السلطان محمود يأمره بالايقاع بهم ونهبهم فتواقعوا وقتل من الطائفتين جماعة وقصد الباقون أذربيجان وانحاز الذين بخراسان الى جبل قريب من خوارزم فجرد السلطان محمود جيشا وأرسله فى طلبهم فتتبعوهم فى تلك المفاوز مقدار سنتين ثم قصدهم محمود بنفسه ولم يزل فى اثرهم حتى شردهم وشتتهم ثم توفى محمود عقيب ذلك فى التاريخ الآتى ذكره فى ترجمته ان شاء الله تعالى وقام بالامر بعده ولده مسعود فاحتاج الى الاستظهار بالجيوش فكتب الى الطائفة التى باذربيجان لتتوجه اليه فجاءه منهم ألف فارس فاستخدمهم ومضى بهم الى خراسان فسألوه فى أمر الباقين الذين شتتهم والده محمود فراسلهم وشرط عليهم لزوم الطاعة فأجابوه الى ذلك وأمنهم وحضروا اليه ورتبهم على ما كان والده قد رتبهم أوّلا ثم دخل مسعود بلاد الهند لاضطراب أحوالها عليه فخلت لهم البلاد وعادوا الى الفساد وبالجملة فان الشرح فى هذا يطول وجرى هذا كله والسلطان طغرلبك المذكور وأخوه داود ليسا معهم بل كانا فى موضعهم من نواحى ما وراء النهر وجرت بينهما وبين ملكشاه صاحب بخارى وقعة عظيمة قتل فيها خلق كثير من أصحابهما ودعت حاجتهما الى اللحوق بأصحابهما الذين بخراسان فكاتبوا مسعودا وسألوه الامان والاستخدام فحبس الرسل وجرد جيوشا للموافقة من بخراسان منهم فكانت منهم مقتلة عظيمة ثم انهم اعتذروا الى مسعود وبذلوا له الطاعة وضمنوا له أخذ خوارزم من صاحبها فطيب قلوبهم وأفرج عن الرسل الواصلين من جهة ما وراء النهر وسألوه ان يفرج عن زعيمهم الذى اعتقله أبوه محمود فى أوّل الامر فاجابهم الى سؤالهم وأنزله من تلك القلعة وحمل الى بلخ مقيدا فاستأذن مسعودا فى مراسلة ابنى أخيه طغرلبك وداود المقدم ذكرهما فأذن له وأرسلهما وحاصل الامر انهما وصلا الى خراسان ومعهما أيضا جيش كبير فاجتمع الجميع وجرت لهم مع ولاة خراسان ونوّاب مسعود فى البلاد أسباب يطول شرحها

وخلاصة

العارف بالله تعالى الشيخ اق شمس الدين قدس الله سره العزيز)*

قرأ على علماء عصره منهم المولى فخر الدين بن اسرافيل والمولى الوالد والمولى محيى الدين الفنارى والمولى عبد القادر القاضى بالعسكر المنصور فى ولاية أناطولى ثم صار مدرسا ببعض المدارس ثم صار مدرسا بالمدرسة الخنجرية بمدينة بروسه ثم صار معلما للسلطان سليم خان ابن سلطاننا الاعظم السلطان سليمان خان أيد الله سلطنته وأدام دولته ثم توفى رحمه الله تعالى فى سنة تسع وخمسين وتسعمائة كان عالما فاضلا ذكيا وكانت له مشاركة فى العلوم وكانت له تعليقات على مواضع مشكلة وكان لطيف الطبع لذيذ الصحبة حسن السمت مقبول الطريقة محبا لاهل الخير والصلاح وتوفى رحمه الله تعالى فى سن الشباب ولو عاش لظهرت منه آثار حسنة نوّر الله تعالى قبره وضاعف أجره

(ومنهم العالم الفاضل المولى خير الدين)

كان رحمه الله تعالى أصله من ولاية قسطمونى قرأ رحمه الله على علماء عصره منهم المولى الفاضل عبد الرحمن وهو خال هذا الفقير جامع هذه المناقب والمولى الفاضل عبد اللطيف

وخلاصة الامر انهم استظهروا عليهم وظفروا بهم وأوّل شىء من البلاد ملكوه طوس وقيل الرىّ وكان تملكهم فى سنة تسع وعشرين وأربعمائة ثم بعد ذلك بقليل ملكوا نيسابور واحدى قواعد خراسان فى شهر رمضان من السنة المذكورة وكان السلطان طغرلبك المذكور كبيرهم واليه الامر والنهى فى السلطنة وأخذ أخوه داود المذكور مدينة بلخ وهو والد ألب أرسلان الآتى ذكره ان شاء الله تعالى واتسع لهم الملك واقتسموا البلاد وانحاز مسعود الى غزنة وتلك النواحى وكانوا يخطبون له فى أوّل الامر وعظم شأنهم الى أن راسلهم الامام القائم بأمر الله وكان الرسول الذى أرسله اليهم القاضى أبا الحسن على ابن محمد بن حبيب الماوردى مصنف الحاوى فى الفقه وقد تقدم ذكره ثم ملك بغداد والعراق فى سادس عشر شهر رمضان المعظم سنة سبع وأربعين وأربعمائة وأوصاهم بتقوى الله تعالى والعدل فى الرعية والرفق بهم وبث الاحسان الى الناس وكان طغرلبك حليما كريما محافظا على الصلوات الخمس فى أوقاتها جماعة وكان يصوم الاثنين والخميس ويكثر الصدقات ويبنى المساجد ويقول استحيى من الله سبحانه وتعالى ان ابنى لى دارا ولا أبنى الى جانبها مسجدا ومن محاسنه المسطورة انه سير الشريف ناصر الدين بن اسمعيل رسولا الى ملكة الروم وكانت اذ ذاك امرأة كافرة فاستأذنها فى الصلوات الخمس ٣ بجامع القسطنطينية جماعة يوم الجمعة فاذنت له فى ذلك فصلى وخطب للامام القائم وكان رسول المستنصر العبيدى صاحب مصر حاضرا فانكر ذلك وكان من أكبر الاسباب فى فساد الحال بين المصريين والروم ولما تمهدت له البلاد وملك العراق وبغداد سير الى الامام القائم وخطب ابنته فشق على القائم ذلك واستعفى منه وترددت الرسل بينهما كذلك فى الشذور سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة فلم يجد من ذلك بدا فزوجه بها وعقد العقد بظاهر مدينة تبريز ثم توجه الى بغداد فى سنة خمس وخمسين وأربعمائة ولما دخلها سير طلب الزفاف وحمل مائة ألف دينار برسم حمل القماش ونقله فزفت اليه ليلة الاثنين خامس عشر صفر بدار المملكة وجلست على سرير ملبس بالذهب ودخل اليها السلطان فقبل الارض بين يديها ولم يكشف البرقع عن وجهها فى ذلك الوقت وقدم لها تحفا يقصر الوصف عن ضبطها وقبل الارض وخدم وانصرف وظهر عليه سرور عظيم وبالجملة فاخبار الدولة السلجوقية كثيرة وقد اعتنى بها جماعة من المؤرخين وألفوا فيها تآليف اشتملت على تفاصيل أمرهم وما قصدت من الاتيان بهذه النبذة الا التنبيه على مبدا حالهم ليكشف جلية ذلك من يروم الوقوف عليه وتوفى طغرلبك المذكور يوم الجمعة ثامن شهر رمضان سنة خمس وخمسين وأربعمائة بالرى وعمره سبعون سنة ونقل الى مرو ودفن عند قبر أخيه داود وسيأتى ذكره فى ترجمة ولده ألب أرسلان ان شاء الله تعالى وقال ابن الهمذانى فى تاريخه انه دفن بالرى فى تربة هناك وكذا قال السمعانى فى الذيل فى ترجمة السلطان سنجر المقدم ذكره وحكى وزيره محمد بن منصور الكندرى المقدم ذكره عنه انه قال رأيت وأنا بخراسان فى المنام كأننى رفعت الى السماء وأنا فى ضباب لا أبصر معه شيأ غير أنى أشم رائحة طيبة واذا بمناد ينادى أنت قريب من البارى جلت قدرته فاسأل حاجتك لتقضى فقلت فى نفسى أسأل طول العمر فقيل لك سبعون سنة فقلت يا رب لا تكفينى فقيل لك سبعون سنة فقلت لا تكفينى فقيل لك سبعون سنة ذكر هذا شيخنا ابن الاثير فى تاريخه ولما حضرته الوفاة قال انما مثلى مثل شاة تشد قوائمها لجز الصوف فتظن انها تذبح فتضطرب حتى اذا أطلقت تفرح ثم تشد للذبح فتظن انه لجز الصوف فتسكن فتذبح وهذا المرض الذى أنا فيه هو شد القوائم للذبح فمات منه رحمه الله تعالى ولم تقم بنت الامام القائم فى صحبته الا مقدار ستة أشهر ولم يخلف ولدا ذكرا فانتقل ملكه الى ابن أخيه ألب أرسلان حسبما شرح فى ترجمته وماتت زوجته بنت القائم فى سنة ست وتسعين وأربعمائة فى سادس المحرم وطغرلبك بضم الطاء المهملة وسكون الغين المعجمة وضم الراء وسكون اللام وفتح الباء الموحدة وبعدها كاف وهو اسم علم تركى مركب من طغرل وبك وهو اسم علم بلغة الترك لطائر معروف عندهم وبه سمى الرجل وبك معناه الامير وسلجوق بفتح السين المهملة وسكون اللام وضم الجيم وسكون الواو وبعدها قاف ودقاق بضم الدال المهملة وبين

٣ تأمل فى قوله بجامع القسطنطينية الخ مع كونه فى القرن الخامس قبل فتحها بقرون اه

والمولى الفاضل محمد شاه ابن الحاج حسن والمولى الفاضل والد هذا الفقير والمولى الفاضل سعد الدين ابن عيسى المفتى ثم صار مدرسا ببعض المدارس ثم صار معلما لبعض أبناء سلطاننا الاعظم ثم توفى فى سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة كان رحمه الله تعالى محبا للعلم وأهله وكان حسن السمت مقبول الطريقة يحب لاخيه ما يحب لنفسه وكان كريم الاخلاق طاهر اللسان روّح الله تعالى روحه ونوّر ضريحه

(ومنهم العالم الفاضل الكامل المولى بخشى)

كان رحمه الله تعالى أصله من كورة النحاس وقرأ رحمه الله على علماء عصره ثم وصل الى خدمة المولى الفاضل شجاع الدين البوى آبادى ثم صار مدرسا ببعض المدارس ثم صار معلما للسلطان سليم خان ابن سلطاننا الاعظم السلطان سليمان خان أيد الله دولته وأيد شوكته توفى رحمه الله تعالى فى سنة احدى وخمسين وتسعمائة كان رحمه الله عالما صالحا مستقيم الطبع جيد القريحة وكانت له مشاركة فى لعلوم وكان مشتغلا بنفسه معرضا عن أحوال الدنيا محبا لاهل الخير والصلاح نور الله تعالى قبره

(ومنهم العالم العامل المولى جعفر المنتشوى)

القافين ألف و جيحون بفتح الجيم وسكون الياء المثناة من تحتها وضم الحاء المهملة وسكون الواو و بعدها نون وهو النهر العظيم الفاصل ما بين خوارزم و بلاد خراسان و بين بخارى وسمرقند وتلك البلاد وكل ما كان من تلك الناحية فهو ما وراء النهر والمراد بالنهر هو النهر المذكور وهو أحد أنهار الجنة التي جاء ذكرها في الحديث انه يخرج منها أربعة أنهار نهران ظاهران ونهران باطنان فالظاهران النيل والفرات والباطنان سيحون و جيحون وسيحون بفتح السين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وضم الحاء المهملة وسكون الواو و بعدها نون وهو وراء جيحون فيما يلي بلاد الترك و بينهما مسافة خمسة وعشرين يوما وهذان النهران مع عظمهما وسعة عرضهما يجمدان في زمن الشتاء وتعبر القوافل عليهما بدوابهم واثقالهم و يقيمان كذلك مقدار ثلاثة أشهر وهذا كله وان كان خارجا عن مقصودنا لكنه متعلق بما نحن فيه فانتشر الكلام وما يخلو من فائدة يقف عليها من كان يتوقعها ممن بعدت بلاده ولا يعرف صورة الحال

(أبو شجاع محمد بن جعر بك داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق الملقب عضد الدولة ألب أرسلان وهو ابن أخي السلطان طغرلبك المقدم ذكره)

وقد تقدم في ترجمة طغرلبك طرف من أخبار والده داود المذكور ولما مات السلطان طغرلبك في التاريخ المذكور في ترجمته نص على تولية الامر لسليمان بن داود أخي ألب أرسلان المذكور ولم ينص عليه الا لان أمه كانت عنده فتبع هواها في ولدها فقام سليمان بالامر وثار عليه أخوه ألب أرسلان وعمه شهاب الدولة قتلمش وجرت بينهم خطوب فلم يتم لسليمان الامر وكانت النصرة لاخيه الب أرسلان فاستولى على الممالك وعظمت مملكته ورهبت سطوته وفتح من البلاد ما لم يكن لعمه طغرلبك مع سعة ملك عمه وقصد بلاد الشام فانتهى الى مدينة حلب وصاحبها يومئذ محمود بن نصر بن صالح بن مرداس الكلابي فحاصره مدة ثم جرت المصالحة بينهما فقال الب أرسلان لابد له من وطء بساطي فخرج اليه محمود ليلا ومعه أمه فتلقاهما بالجميل وخلع عليهما وأعادهما الى البلد ورحل عنها وقال المأمون في تاريخه قيل انه لم يعبر الفرات في قديم الزمان ولا حديثه في الاسلام ملك تركي قبل الب أرسلان فانه أول من عبره من ملوك الترك ولما عاد عزم على قصد بلاد الترك وقد كمل عسكره مائتي ألف فارس أو يزيدون فمد على جيحون المقدم ذكره جسرا وأقام العسكر يعبر عليه شهرا وعبر هو بنفسه أيضا ومد السماط في بليدة يقال لها فربر ولتلك البلدة حصن على شاطئ جيحون في السادس من شهر ربيع الاول سنة خمس وستين وأربعمائة فاحضر اليه أصحابه مستحفظ الحصن و يقال له يوسف الخوارزمي وكان قد ارتكب جريمة في أمر الحصن فحمل اليه مقيدا فلما قرب منه أمر أن تضرب أربعة أوتاد لتشد أطرافه الاربعة اليها ويعذبه ثم يقتله فقال يوسف المذكور ومثلي يفعل به هذه المثلة فغضب الب أرسلان وأخذ قوسه وجعل فيها سهما وأمر بحل قيده ورماه فأخطأه وكان مدلا برميه وكان جالسا على سريره فنزل عنه فعثر و وقع على وجهه فبادره يوسف المذكور وضربه بسكين كانت معه في خاصرته فوثب عليه فراش أرمني فضربه في رأسه بمرزبة فقتله فانتقل ألب أرسلان الى خيمة أخرى مجروحا فاحضر وزيره نظام الملك أبا علي الحسن المذكور في حرف الحاء وأوصى اليه وجعل ولده ملكشاه ولي عهده وسيأتي ذكره ان شاء الله تعالى ثم توفي يوم السبت عاشر الشهر المذكور وكانت ولادته سنة أربع وعشرين وأربعمائة وكانت مدة ملكه تسع سنين وأشهرا ونقل الى مرو ودفن عند قبر أبيه داود وعمه طغرلبك ولم يدخل بغداد ولا رآها مع انها كانت داخلة في ملكه وهو الذي بنى على قبر الامام أبي حنيفة مشهدا وبنى ببغداد مدرسة انفق عليها أموالا عظيمة وذكر في كتاب زبدة التواريخ أنه جرح يوم السبت سلخ شهر ربيع الاول سنة خمس وستين وعاش بعد الجراحة ثلاثة أيام والله أعلم وقد تقدم ذكر أبيه وانه كان صاحب بلخ وتوفي بها في رجب سنة احدى وخمسين وقيل سنة خمسين وأربعمائة ونقل الى مرو ودفن بها وقيل انه توفي بمرو والله أعلم بالصواب وقيل توفي في صفر سنة اثنين وخمسين وأربعمائة ودفن بمدرسة مرو رحمه الله تعالى وقد تقدم ذكر ولده تتش في حرف التاء وألب

قرأ على علماء عصره ثم وصل الى خدمة المولى الفاضل عبد القادر القاضي بالعسكر المنصور في ولاية أناطولي ثم صار مدرسا ببعض المدارس ثم صار معلما للسلطان بايزيد ابن سلطاننا الاعظم السلطان سليمان خان أعز الله أنصاره ثم توفي وهو ذاهب الى الحج في سنة أربع وستين وتسعمائة كان عالما مستقيم الطبع جيد القريحة سليم النفس صبورا وقورا محبا لاهل الخير والصلاح وكان مشتغلا بنفسه معرضا عن التعرض لابناء جنسه نور الله قبره وضاعف أجره

(ومنهم العالم العامل والمولى الكامل درويش محمد كانت أمه بنت العالم الفاضل المولى سنان باشا)

قرأ رحمه الله على علماء عصره ثم وصل الى خدمة العالم الفاضل المولى ابن كمال باشا ثم صار مدرسا ببعض المدارس ثم صار مدرسا باحدى المدرستين المتجاورتين بادرنه مات وهو مدرس بها في سنة اثنتين وستين وتسعمائة كان رحمه الله عالما فاضلا سليم النفس مستقيم الطبيعة محبا للخير وأهله ملازما لمطالعة الكتب وتحصيل العلوم روح الله تعالى روحه ونور ضريحه

*(ومنهم العالم الفاضل المولى مصلح الدين مصطفى

أرسلان بفتح الهمزة وسكون اللام و بعدها باء موحدة و بقية الاسم معروفة فلا حاجة الى تفسيرها وهو اسم تركي معناه شجاع أسد فالب شجاع وارسلان أسد وأما شهاب الدولة قتلمش بن ميكائيل بن سلجوق فانه والد سليمان بن قتلمش جد الملوك أصحاب الروم الى الآن وكان له حصون وقلاع من جملتها كردكوه وغيرها من عراق العجم وعصى على ابن أخيه ألب أرسلان المذكور وحاربه بالقرب من الري فلما انجلى الامر وجد قتلمش ميتا لا يدري كيف كان موته وذلك في المحرم سنة ست وخمسين وأربعمائة قيل انه مات من الخوف على الملك فشق ذلك على ألب أرسلان والله تعالى أعلم بالصواب

(أبو شجاع محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان المذكور قبله الملقب غياث الدين)

وقد تقدم في ترجمة جده تتمة نسبه فلا حاجة الى الاعادة ولما توفي والده ملكشاه اقتسم مملكته أولاده الثلاثة وهم بركياروق وسنجر وقد تقدم ذكرهما ومحمد المذكور ولم يكن لمحمد وسنجر وهما من أم واحدة مع وجود بركياروق حديث لانه كان السلطان المشار اليه وهما كالاتباع له ثم اختلف محمد و بركياروق فدخل محمد المذكور وأخوه سنجر الى بغداد وخلع عليهما الامام المستظهر بالله وكان محمد قد التمس من أمير المؤمنين أن يجلس له ولاخيه سنجر فاجيب الى ذلك وجلس لهما في قبة التاج وحضر أرباب المناصب واتباعهم وجلس أمير المؤمنين على سدته ووقف سيف الدولة صدقة بن مزيد صاحب الحلة عن يمين السدة وعلى كتفه بردة النبي صلى الله عليه وسلم وعلى رأسه العمامة وبين يديه القضيب وأفيض على محمد الخلع السبع التي جرت عادة السلاطين بها وألبس الطوق والتاج والسوارين وعقد له الخليفة اللواء بيده وقلده سيفين وأعطاه خمسة أفراس بمراكبها وخلع على أخيه سنجر خلعة أمثاله وخطب لمحمد بالسلطنة في جامع بغداد كجاري عادتهم في ذلك الزمان وتركوا الخطبة لبركياروق لسبب اقتضى ذلك ولا حاجة الى شرحه لطوله قال محمد بن عبد الملك الهمذاني في تاريخه وكان ذلك في سنة خمس وتسعين وأربعمائة وقال صاحب تاريخ السلجوقية أقيمت الخطبة ببغداد للسلطان محمد في سابع عشر ذي الحجة من سنة اثنين وتسعين وأربعمائة ووافقه على ذلك غيره ثم قال الهمذاني وكان من الاتفاق العجيب ان خطيب جامع القصر ببغداد لما بلغ الى الدعاء للسلطان بركياروق وأراد أن يذكره سبق لسانه للسلطان محمد ودعا له فأتى أصحاب بركياروق وشنعوا بما جرى في الديوان العزيز فعزل الخطيب بهذا السبب ورتبوا ولده موضعه فلم تتأخر خطبة السلطان محمد عن هذه الواقعة الا أياما قلائل وكان ذلك فالا للسلطان محمد وأما بركياروق فانه كان مريضا وانحدر الى واسط ثم قوي أمره واستظهر وجرى بينه و بين أخيه محمد المصاف على الري وانكسر محمد و بالجملة فان شرح ذلك يطول وكان السلطان محمد المذكور رجل الملوك السلجوقية وفحلهم وله الآثار الجميلة والسيرة الحسنة والمعدلة الشاملة والبر للفقراء والايتام والحرب للطائفة الملحدة والنظر في أمور الرعية وذكره أبو البركات بن المستوفي في تاريخ اربل وذكر أنه وصل اليها في تاسع شهر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وأربعمائة ورحل عنها متوجها الى الموصل في ثاني عشر الشهر المذكور ثم قال ووجدت في كتاب ذكره الامام أبو حامد الغزالي في مخاطبته للسلطان محمد بن ملكشاه اعلم يا سلطان العالم ان بني آدم طائفتان طائفة غفلاء نظروا الى شاهد حال الدنيا وتمسكوا بتأميل العمر الطويل ولم يتذكروا في اليقين الاخير وطائفة عقلاء جعلوا اليقين الاخير نصب أعينهم لينظروا الى ماذا يكون مصيرهم وكيف يخرجون من الدنيا ويفارقونها وايمانهم سالم وما الذي ينزل من الدنيا في قبورهم وما الذي يتركون لاعدائهم من بعدهم و يبقى عليهم وباله ونكاله ثم ان السلطان محمدا استقل بالملك بعد موت أخيه بركياروق في التاريخ المذكور في ترجمته ولم يبق له منازع وصفت له الدنيا وأقام على ذلك مدة ثم مرض زمانا طويلا وتوفي يوم الخميس الرابع والعشرين من ذي الحجة سنة احدى عشرة وخمسمائة بمدينة اصبهان وعمره سبع وثلاثون سنة وأربعة أشهر وستة أيام وهو مدفون باصبهان في مدرسة عظيمة وهي موقوفة على الطائفة الحنفية وليس باصبهان مدرسة مثلها ولما أيس من نفسه أحضر ولده محمودا الآتي ذكره ان شاء الله تعالى فقبله وبكى كل واحد منهما وأمره أن يخرج و يجلس على تخت

ابن المولى سيدي المنتشوي)*

قرأ رحمه الله تعالى على علماء عصره ثم وصل الى خدمة المولى العالم الفاضل ابن كمال باشا ثم صار مدرسا ببعض المدارس ثم صار مدرسا باحدى المدرستين المتجاورتين بمدينة ادرنه مات وهو مدرس بها في سنة أربع وستين وتسعمائة كان رحمه الله جيد القريحة مستقيم الطبع ملازما لمطالعة الكتب والعلوم وكانت له مشاركة في العلوم نور الله تعالى قبره

(ومنهم العالم الفاضل المولى سعد الله المشتهر بابن شيخ شاذ بلو)

قرأ رحمه الله على علماء عصره ثم وصل الى خدمة العالم الفاضل المولى الوالد روح الله روحه وصار معيدا لدرسه ثم صار مدرسا ببعض المدارس ثم صار مدرسا بمدرسة الحاج حسن بمدينة قسطنطينية وتوفي وهو مدرس بها في سنة احدى وخمسين وتسعمائة كان رحمه الله عالما فاضلا جيد القريحة سليم الطبع مستقيم الخاطر وكان صالحا عابدا وكان على الفطرة الاسلامية صحيح العقيدة بعيدا عن البدعة محبا لاهل الخير والصلاح روح الله روحه ونور ضريحه

*(ومنهم العالم الفاضل المولى عبد الكريم بن عبد

السلطنة و ينظر فى أمور الناس فقال لو الده انه يوم غير مبارك يعنى من طريق النجوم فقال صدقت ولكن على أبيك وأما عليك فمبارك بالسلطنة فخرج وجلس على التخت بالتاج والسوارين ولم يخلف أحد من الملوك السلجوقية ما خلفه من الذخائر وأصناف الاموال والدواب وغير ذلك مما يطول شرحه رحمه الله وسيأتى ذكر والده فى هذا الحرف ان شاء الله تعالى وتزوج الامام المقتفى لامر الله فاطمة ابنة السلطان محمد المذكور وكان الوكيل فى قبول النكاح الوزير شرف الدين أبا القاسم على بن طراد الزينبى وذلك فى سنة احدى وثلاثين وخمسمائة وحضر أخوها مسعود العقد ونقلت فاطمة ابنة السلطان المذكورة الى دار الخلافة للزفاف سنة أربع وثلاثين ويقال انها كانت تقرأ وتكتب ولها التدبير الصائب وسكنت فى الموضع المعروف بدركاه خاتون وتوفيت فى عصمته يوم السبت الثانى والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة ودفنت بالرصافة رحمها الله تعالى والله أعلم بالصواب

(أبو بكر محمد بن أبى الشكر أيوب بن شادى بن مروان الملقب بالملك العادل سيف الدين أخو السلطان صلاح الدين رحمهما الله تعالى)

وقد تقدم ذكر والده فى حرف الهمزة وسيأتى ذكر أخيه صلاح الدين فى حرف الياء ان شاء الله تعالى وكان الملك العادل قد وصل الى الديار المصرية صحبة أخيه وعمه أسد الدين شيركوه المقدم ذكره وكان يقول لما عزمنا على المسير الى مصر احتجت الى حرمدان فطلبته من والدى فاعطانى وقال يا أبا بكر اذا ملكتم مصر أعطنى ملأه ذهبا فلما جاء الى مصر قال يا أبا بكر أين الحرمدان فرحت وملأته من الدراهم السود وجعلت أعلاها شيأ من الذهب واحضرته اليه فلما رآه اعتقده ذهبا فقلبه فظهرت الفضة السوداء فقال يا أبا بكر تعلمت زغل المصريين ولما ملك السلطان صلاح الدين الديار المصرية كان ينوب عنه فى حال غيبته فى الشام ويستدعى منه الاموال للانفاق فى الجند وغيرهم ورأيت فى بعض رسائل القاضى الفاضل أن الحمول تأخرت مدة فتقدم السلطان الى العماد الاصبهانى أن يكتب الى أخيه الملك العادل يستحثه على انفاذها حتى قال يسير لنا الحمل من مالنا أو من ماله فلما وصل الكتاب اليه ووقف على هذا الفصل شق عليه وكتب الى القاضى الفاضل يشكو من السلطان لاجل ذلك فكتب القاضى الفاضل جوابه وفى جملته وأما ما ذكره المولى من قوله يسير لنا الحمل من مالنا أو من ماله فتلك لفظة ما المقصود بها من الملك النجعة وانما المقصود بها من الكاتب السجعة وكم من لفظة فظة وكلمة فيها غلظة جبرت عى الاقلام وفسدت خلل الكلام وعلى المملوك الضمان فى هذه النكتة وقد فات لسان القلم منها أى سكتة وكان المملوك حاضرا وقد جرت قوارع الاستحثاث وصرصر البازى وقوت نفس العماد قوة نفس البغاث والسلام ولما ملك السلطان مدينة حلب فى صفر سنة تسع وسبعين وخمسمائة كما تقدم فى ترجمة عماد الدين زنكى أعطاها لولده الملك الظاهر مغازى ثم أخذها منه وأعطاها للملك العادل فانتقل اليها وقصد قلعتها يوم الجمعة الثانى والعشرين من شهر رمضان المعظم من السنة المذكورة ثم نزل عنها للملك الظاهر غازى ابن السلطان المقدم ذكره لمصلحة وقع الاتفاق عليها بينه وبين أخيه صلاح الدين وخرج منها فى سنة اثنين وثمانين وخمسمائة ليلة السبت الرابع والعشرين من شهر ربيع الاول ثم أعطاه السلطان قلعة الكرك وتنقل فى الممالك فى حياة السلطان وبعد وفاته وقضاياه مشهورة مع الملك الافضل والملك العزيز والملك الظاهر فلا حاجة الى الاطالة بشرحها وآخر الامر انه استقل بمملكة الديار المصرية وكان دخوله الى القاهرة لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة ست وتسعين وخمسمائة واستقرت له القواعد وقال أبو البركات بن المستوفى فى تاريخ اربل فى ترجمة ضياء الدين أبى الفتح نصر الله المعروف بابن الاثير الوزير الجزرى ما مثاله وجدت بخطه خطب الملك العادل أبى بكر ابن أيوب بالقاهرة ومصر يوم الجمعة الحادى والعشرين من شوال سنة ست وتسعين وخمسمائة وخطب له بحلب يوم الجمعة حادى عشر جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين وخمسمائة وملك معها البلاد الشامية والشرقية وصفت له الدنيا ثم ملك بلاد اليمن فى سنة اثنتى عشرة وستمائة وسير اليها ولد ولده الملك المسعود

الوهاب ابن المولى العالم الفاضل عبد الكريم)* قرأ رحمه الله على علماء عصره ثم وصل الى خدمة المولى الفاضل سعد الله بن عيسى القاضى بمدينة قسطنطينية أولا ثم المفتى بها كان رحمه الله عالما فاضلا وكان له اشتغال عظيم بالعلوم واهتمام تام بتحصيل المعارف وكانت له مشاركة فى العلوم وكان ماهرا فى العلوم الادبية والتفسير والعقلية وكان صالحا نشأ على العفة والصلاح وتوفى وهو شاب فى سنة ست وأربعين وتسعمائة ولو عاش لكان له شأن عظيم فى العلوم نور الله تعالى قبره

(ومنهم العالم الفاضل المولى الشريف مير على البخارى)

قرأ رحمه الله على علماء عصره ببخارى وسمرقند وحصل طرفا صالحا من العلوم ثم أتى بلاد الروم فى زمن سلطاننا الاعظم السلطان سليمان خان وعين له كل يوم ثلاثين درهما من جوالى مصر وسكن هناك مدة ثم أتى مدينة قسطنطينية وتوفى رحمه الله تعالى بها فى سنة خمسين وتسعمائة كان رحمه الله عالما عاملا فاضلا أديبا لبيبا وكان له حظ وافر من العلوم العربية والعقلية والشرعية وكان عالما بعلم التفسير والحديث وكان يكتب خطا حسنا

صلاح الدين أبا المظفر يوسف المعروف بأطسيس ابن الملك الكامل الآتى ذكره ان شاء الله تعالى وكان ولده الملك الاوحد نجم الدين أيوب ينوب عنه فى ميافارقين وتلك النواحى فاستولى على مدينة خلاط وبلاد أرمينية واتسعت مملكته وذلك فى سنة أربع وستمائة ولما تمهدت له البلاد قسمها بين أولاده فاعطى الملك الكامل الديار المصرية والملك المعظم البلاد الشامية والملك الاشرف البلاد المشرقية والاوحد فى البلاد التى ذكرناها وكان ملكا عظيما ذا رأى ومعرفة تامة قد حنكته التجارب حسن السيرة جميل الطوية وافر العقل حازما فى الامور صالحا محافظا على الصلوات فى أوقاتها متبعا لارباب السنة مائلا الى العلماء حتى صنف له فخر الدين الرازى كتاب تأسيس التقديس وذكر اسمه فى خطبته وسيره اليه من بلاد خراسان وبالجملة فانه كان رجلا مسعودا ومن سعادته انه خلف أولادا لم يخلف أحد من الملوك أمثالهم فى نجابتهم وبسالتهم ومعرفتهم وعلو همتهم ودانت لهم العباد وملكوا أخيار البلاد ولما مدح ابن عنين المقدم ذكره الملك العادل بقصيدته الرائية المذكور بعضها فى ترجمته جاء منها فى مديح أولاده المذكورين قوله

وله البنون بكل أرض منهم * ملك يقود الى الاعادى عسكرا
من كل وضاح الجبين تخاله * بدرا وان شهد الوغى فغضنفرا
متقدم حتى اذا النقع انجلى * بالبيض عن سبى الحريم تأخرا
قوم زكوا أصلا وطابوا محتدا * وتدفقوا جودا وراقوا منظرا
وتعاف خيلهم الورود بمنهل * ما لم يكن بدم الوقائع احمرا
يعشو الى نار الوغى شغفا بها * ويجل أن يعشو الى نار القرى

وكم للشعراء فيهم من القصائد المختارة لكن ذكرت هذه لكونها جامعة لجميعهم ومن جملة هذه القصيدة فى مدح الملك العادل قوله ولقد أحسن فيه



العادل الملك الذى اسماؤه * فى كل ناحية تشرف منبرا
وبكل أرض جنة من عدله الصافى أسال نداه فيها كوثرا
عدل يبيت الذئب منه على الطوى * غرثان وهو يرى الغزال الاعفرا
ما فى أبى بكر لمعتقد الهدى * شك مريب أنه خير الورى
سيف صقال المجد أخلص متنه * وأبان طيب الاصل منه الجوهرا
ما مدحه بالمستعار له ولا * آيات سودده حديث يفترى
بين الملوك الغابرين وبينه * فى الفضل ما بين الثريا والثرى
نسخت خلائقه الجميلة ما أتى * فى الكتب عن كسرى الملوك وقيصرا
ملك اذا خفت حلوم ذوى النهى * فى الروع زاد رصانة وتوقرا
ثبت الجنان تراع من وثباته * وثباته يوم الوغى أسد الشرى
يقظ يكاد يقول عما فى غد * ببديهة اغنته أن يتفكرا
حلم تخف له الحلوم وراءه * رأى وعزم يحقر الاسكندرا
يعفو عن الذنب العظيم تكرما * ويصد عن قول الخنى متكبرا
لا تسمعن حديث ملك غيره * يروى فكل الصيد فى جوف الفرا

وبالجملة فانها من القصائد المختارة ولما قسم البلاد بين أولاده كان يتردد بينهم وينتقل اليهم من مملكة الى أخرى وكان بالغالب يصيف بالشام لاجل الفواكه والثلج والمياه الباردة ويشتى فى الديار المصرية لاعتدال الوقت فيها وقلة البرد وعاش فى أرغد عيش وكان يأكل كثيرا خارجا عن المعتاد حتى يقال انه يأكل وحده خروفا لطيفا مشويا وكان له فى النكاح نصيب وافر وحاصل الامر انه كان ممتعا فى دنياه وكانت ولادته بدمشق فى المحرم سنة أربعين وقيل ثمان وثلاثين وخمسمائة وتوفى فى سابع جمادى الآخرة سنة خمس

وله شرح لطيف على الفوائد الغياثية من علم البلاغة للعلامة عضد الدين رحمه الله تعالى

(ومنهم العالم الفاضل المولى حسام الدين حسين النقاش العجمى)

ولد رحمه الله تعالى بتبريز وقرأ على علماء عصره وسمعت منه انه رأى العلامة الدوانى وغياث الدين منصورا واجتمع مع العلامة الدوانى فى مجلس ملك تبريز واراد المولى غياث الدين أن يباحث مع المولى الدوانى ليتشرف بذلك عند أقرانه وقال الملك للعلامة الدوانى هذا مشيرا الى غياث الدين أراد أن يتكلم معكم فى بعض المباحث فقال العلامة الدوانى يتكلم مع الاصحاب ونحن نتشرف باستماع كلامهم ولم يتنزل الى المباحثة معه ثم ان المولى حسين المزبور أتى بلاد الروم فى زمن السلطان بايزيد خان وقرأ على الشيخ مظفر الدين الشروانى وعلى المولى يعقوب ابن سيدى على شارح الشرعة ثم سافر مع المولى ادريس الى الحجاز فى آخر سلطنة السلطان بايزيد خان وجاور بمكة المشرفة الى سنة خمس وخمسين وتسعمائة ثم أتى مدينة قسطنطينية وعين له كل يوم خمسة عشر درهما ثم أعطى مدرسة هناك وعين له كل يوم

عشرة وستمائة بعالقين ونقل الى دمشق ودفن بالقلعة ثانى يوم وفاته ثم نقل الى مدرسته المعروفة به ودفن فى التربة التى بها وقبره على الطريق براه المجتاز من الشباك المركب هناك رحمه الله تعالى وعالقين بفتح العين المهملة وبعد الالف لام مكسورة وقاف مكسورة أيضا وياء مثناة من تحتها ساكنة وبعدها نون وهى قرية بظاهر دمشق وكان ذلك عند وصول الفرنج الى ساحل الشام وقصدوا أوّلا لقاء الملك العادل فتوجه قدامهم الى جهة دمشق ليتجهز ويتأهب الى لقائهم فلما وصل الى الموضع المذكور توفى به فحينئذ أعرض جميع الفرنج عن الشام وقصدوا الديار المصرية فكانت وقعة دمياط المشهورة فى ذلك التاريخ وتاريخها مضبوط فى ترجمة يحيى بن منصور المعروف بابن جراح فى حرف الياء وأطسيس بفتح الهمزة وسكون الطاء المهملة وكسر السين المهملة وبعدها ياء مثناة من تحتها ثم سين ثانية وهى كلمة تركية معناها بالعربية ماله اسم ويقال انما سمى بذلك لان الملك الكامل ما كان يعيش له ولد فلما ولد له المسعود المذكور قال بعض الحاضرين فى مجلسه من الاتراك فى بلادنا اذا كان الرجل لا يعيش له ولد سماه أطسيس فسماه أطسيس والناس يقولون أقسيس بالقاف وصوابه بالطاء كذا قالوا والله أعلم ثم ظفرت بتاريخ تسلم حلب محررا وهو أن عماد الدين زنكى نزل من قلعتها يوم الخميس الثانى والعشرين من صفر وصعد صلاح الدين اليها يوم الاثنين السادس والعشرين من صفر المذكور والله أعلم

(أبو المعالى محمد ابن الملك العادل المذكور الملقب بالملك الكامل ناصر الدين)

قد سبق فى ترجمة والده طرف من خبره ولما وصل الفرنج الى دمياط كما تقدم ذكره كان الملك الكامل فى مبدا استقلاله بالسلطنة وكان عنده جماعة كثيرة من أكابر الامراء وفيهم عماد الدين أحمد بن المشطوب المذكور فى حرف الهمزة فاتفقوا مع أخيه الملك الفائز سابق الدين ابراهيم ابن الملك العادل وانضموا اليه وظهر للملك الكامل منهم أمور تدل على انهم عازمون على تفويض السلطنة اليه وخلع الملك الكامل واشتهر ذلك بين الناس وكان الملك الكامل يداريهم لكونه فى قبالة العدو ولا يمكنه المناظرة والمنافرة وطول روحه معهم ولم يزل على ذلك حتى وصل اليه أخوه الملك المعظم صاحب دمشق المذكور فى حرف العين يوم الخميس تاسع عشر ذى القعدة سنة خمس عشرة وستمائة فاطلعه الملك الكامل فى الباطن على صورة الحال وان رأس هذه الطائفة ابن المشطوب فجاءه يوما على غفلة الى خيمته واستدعاه فخرج اليه فقال له أريد ان أتحدث معك سرا فى خلوة فركب فرسه وسار معه وهو جريدة وقد جرد المعظم جماعة ممن يعتمد عليهم ويثق اليهم وقال لهم اتبعونا ولم يزل المعظم يشاغله بالحديث ويخرج معه من شئ الى شئ حتى أبعد عن المخيم ثم قال له يا عماد الدين هذه البلاد لك ونشتهى أن تهبها لنا ثم أعطاه شيأ من النفقة وقال لاولئك المجردين تسلموه حتى تخرجوه من الرمل فلم يسعه الا امتثال الامر لانفراده وعدم القدرة على الممانعة فى تلك الحال ثم عاد المعظم الى اخيه الكامل وعرفه صورة ما جرى ثم جهز أخاه الملك الفائز المذكور الى الموصل لاحضار النجدة منها ومن بلاد الشرق فمات بسنجار وكان ذلك خديعة لاخراجه من البلاد فلما خرج هذان الشخصان من العسكر تحللت عزائم من بقى من الامراء الموافقين لهما ودخلوا فى طاعة الملك الكامل كرها لا طوعا وجرى فى قضية دمياط ما هو مشهور فلا حاجة الى الاطالة بذكره ولما ملك الفرنج دمياط وصارت فى قبضتهم خرجوا منها قاصدين القاهرة ومصر ونزلوا فى رأس الجزيرة التى دمياط فى برها وكان المسلمون قبالتهم فى القرية المعروفة بالمنصورة والبحر حائل بينهم وهو بحر أشموم ونصر الله سبحانه وتعالى بمنه وجميل لطفه المسلمين عليهم كما هو مشهور وجلا الفرنج عن منزلهم ليلة الجمعة سابع شهر رجب سنة ثمان عشرة وستمائة وتم الصلح بينهم وبين المسلمين فى حادى عشر الشهر المذكور ورحل الفرنج عن البلاد فى شعبان من السنة المذكورة وكانت مدة اقامتهم فى بلاد الاسلام ما بين الشام والديار المصرية أربعين شهرا وأربعة عشر يوما وكفى الله شرهم والحمد لله على ذلك وقد فصلت ذلك فى ترجمة يحيى بن جراح فيكشف هناك فلما استراح خاطر الملك الكامل من جهة هذا العدوّ تفرغ للامراء الذين كانوا متحاملين عليه

عشرون درهما ومات وهو مدرس بها فى سنة أربع وستين وتسعمائة كان رحمه الله تعالى عالما فاضلا له حظ عظيم من العلوم سيما علم التفسير والحديث وكان شافعى المذهب وكان قد حفظ من الاحاديث والتواريخ ومناقب العلماء شيأ كثيرا وله شرح على قصيدة البردة أجاد فيه كل الاجادة وله رسالة فى الادب فى غاية الحسن واللطافة وله غير ذلك من الرسائل والفوائد روّح الله روحه ونوّر ضريحه

(ومنهم العالم الفاضل المولى مهدى الشيرازى المشهور بفكارى)

قرأ رحمه الله تعالى ببلدة شيراز على المولى غياث الدين منصور ابن المولى الفاضل صدر الدين الحسينى وحصل هناك علوم العربية باسرها وقرأ علم الكلام والمنطق والحكمة وأتقنها وأحكمها ثم أتى بلاد الروم وقرأ رحمه الله على المولى محيى الدين محمد الفنارى ثم صار مدرسا بمدرسة خواجه خير الدين بمدينة قسطنطينية ثم صار مدرسا بمدرسة دبهتوقه ثم صار مدرسا بمدرسة الوزير بيرى باشا بقصبة سيلورى ثم صار مدرسا بمدرسة قلبه ومات وهو مدرس بها فى سنة سبع أو ست وخمسين وتسعمائة كان رحمه الله تعالى عالما فاضلا أديبا لبيبا مشتغلا

فنفاهم عن البلاد وبددشملهم وشردهم ودخل الى القاهرة وشرع فى عمارة البلاد واستخراج الاموال من جهاتها وكان سلطانا عظيم القدر جميل الذكر محبا للعلماء متمسكا بالسنة النبوية حسن الاعتقاد معاشرا لارباب الفضائل حازما فى اموره لا يضع الشئ الا فى موضعه من غير اسراف ولا اقتار وكان يبيت عنده كل ليلة جمعة جماعة من الفضلاء ويشاركهم فى مباحثاتهم ويسألهم عن المواضع المشكلة من كل فن وهو معهم كواحد منهم وكان يعجبه هذان البيتان وينشدهما كثيرا وهما

ما كنت من قبل ملك قلبى * تصدعن مدنف حزين
وانما قد طمعت لما * حللت فى موضع حصين

وبنى بالقاهرة دار حديث ورتب لها وقفا جيدا وكان قد بنى على ضريح الامام الشافعى رضى الله عنه قبة عظيمة ودفن أمه عنده وأجرى اليها الماء من النيل ومدده بعيد وأنفق على ذلك مالا عظيما ولما مات أخوه الملك المعظم صاحب الشام فى التاريخ المذكور فى ترجمته وقام الملك الناصر صلاح الدين داود مقامه خرج الملك الكامل من الديار المصرية قاصدا أخذ دمشق منه وجاءه أخوه الملك الاشرف مظفر الدين موسى الآتى ذكره بعد هذا ان شاء الله تعالى فاجتمعا على أخذ دمشق بعد فصول جرت يطول شرحها وملك دمشق فى أول شعبان سنة ست وعشرين وستمائة وكان يوم الاثنين فلما ملكها دفعها الى أخيه الملك الاشرف وأخذ عوضها من بلاد الشرق حران والرها وسروج والرقة ورأس عين وتوجه اليها بنفسه فى تاسع شهر رمضان المعظم من السنة واجتزت بحران فى شوال سنة ست وعشرين وستمائة والملك الكامل مقيم بها بعسكر الديار المصرية وجلال الدين خوارزم شاه يومئذ محاصر خلاط وكانت لاخيه الملك الاشرف ثم رجع الى الديار المصرية ثم تجهز فى جيش عظيم وقصد آمد فى سنة تسع وعشرين وستمائة فأخذها مع حصن كيفا وتلك البلاد من الملك المسعود ركن الدين مودود ابن الملك الصالح أبى الفتح محمد بن نور الدين محمد بن فخر الدين قرا أرسلان بن ركن الدولة داود بن نور الدولة سقمان ويقال سكمان بن ارتق وقد تقدم ذكر جدهم ارتق أخبرنى بعض أهل آمد ممن عنده معرفة ان امدا نبرم أمرها وتسلمها الملك الكامل فى تاسع عشر ذى الحجة من السنة المذكورة ودخلها ولده الملك الصالح نجم الدين أيوب فى العشرين من الشهر المذكور ودخلها الكامل فى مستهل المحرم سنة ثلاثين وستمائة ولما مات الملك الاشرف فى التاريخ الآتى ذكره ان شاء الله تعالى فى ترجمته جعل ولى عهده أخاه الملك الصالح اسمعيل ابن الملك العادل فقصده الملك الكامل وانتزع منه دمشق بعد مصالحة جرت بينهما وذلك فى التاسع من جمادى الاولى سنة خمس وثلاثين وستمائة وأبقى له بعلبك وأعمالها وبصرى وأرض السواد وتلك البلاد ولما ملك البلاد الشرقية وآمد وتلك النواحى استخلف فيها ولده الملك الصالح نجم الدين أبا المظفر أيوب واستخلف ولده الاصغر الملك العادل سيف الدين أبا بكر بالديار المصرية وقد تقدم فى ترجمة الملك العادل انه سير الملك المسعود الى اليمن وكان أكبر أولاد الملك الكامل وملك الملك المسعود مكة حرسها الله تعالى وبلاد الحجاز مضافة الى اليمن وكان رحيل الملك المسعود عن الديار المصرية متوجها الى اليمن يوم الاثنين سابع عشر رمضان المعظم سنة احدى عشرة وستمائة ودخل مكة شرفها الله تعالى فى الثالث من ذى القعدة من السنة وخطب له بها وحج ودخل زبيد وملكها مستهل المحرم سنة اثنتى عشرة ثم ملك مكة شرفها الله تعالى فى ربيع الآخر من سنة عشرين وستمائة أخذها من الشريف حسن بن قتادة الحسنى واتسعت المملكة للملك الكامل ولقد حكى لى من حضر الخطبة يوم الجمعة بمكة شرفها الله تعالى انه لما وصل الخطيب الى الدعاء للملك الكامل قال مالك مكة وعبيدها واليمن وزبيدها ومصر وصعيدها والشام وصناديدها والجزيرة ووليدها سلطان القبلتين ورب العلامتين خادم الحرمين الشريفين الملك الكامل أبو المعالى ناصر الدين محمد خليل أمير المؤمنين وبالجملة فقد خرجنا عن المقصود ولقد رأيته بدمشق فى سنة ثلاث وثلاثين وستمائة عند رجوعه من بلاد الشرق واستنقاذه اياها من يد علاء الدين كيقباد بن كيخسرو بن قلج ارسلان ابن مسعود بن قلج أرسلان بن سليمان بن قتلمش

بالعلم غاية الاشتغال ليلا ونهارا وكانت له مهارة تامة فى علم البلاغة وله تعليقات على الكشاف وتفسير البيضاوى وشرح التلخيص وحاشية شرح التجريد وله مهارة تامة فى الانشاء بالعربية وكان فصيحا بليغا متينا فى كلامه وله نظم بالفارسية والعربية نظما مقبولا عند أهله ورأيت له قصيدة بليغة بالعربية فى غاية الحسن والقبول وكان يكتب خطا حسنا وكان سريع الكتابة روّح الله تعالى روحه ونوّر ضريحه

(ومنهم العالم الفاضل المولى سعى وقد اشتهر بهذا اللقب ولم نعرف اسمه)

قرأ رحمه الله تعالى على علماء عصره وحصل طرفا صالحا من كل علم وتمهر فى العربية والفارسية والتفسير والحديث وكان ينظم الاشعار البليغة بالعربية والفارسية والتركية وينشئ الرسائل البليغة بالالسنة المذكورة وتوفى فى أوائل سلطنة سلطاننا الاعظم السلطان سليمان خان كان رحمه الله تعالى أديبا لبيبا حليما كريما نصبه السلطان سليمان خان معلما لخدمه بدار السلطنة ولازم تعليمهم وتخرج بتربيته كثير منهم ولازم بيته وتربية المذكورين بعفة وصلاح وديانة وكان لذيذ الصحبة حسن النادرة لطيف المحاضرة

ابن اسرائيل بن سلجوق بن دقاق السلجوقى صاحب الروم وهى وقعة مشهورة يطول شرحها وفى خدمته يومئذ
بضعة عشر ملكا منهم أخوه الملك الاشرف ولم يزل فى علو شأنه وعظم سلطانه الى ان مرض بعد أخذه دمشق
ولم يركب وكان ينشد فى مرضه كثيرا

يا خليلى خبرانى بصدق * كيف طعم الكرى فانى نسيت

ولم يزل كذلك الى ان توفى يوم الاربعاء بعد العصر ودفن فى القلعة بدمشق يوم الخميس الثانى والعشرين
من رجب سنة خمس وثلاثين وستمائة وكنت بدمشق يومئذ وحضرت الصبحة يوم السبت فى جامع دمشق
لانهم اخفوا موته الى وقت صلاة الجمعة فلما حضرت الصلاة قام بعض الدعاة على العريش الذى بين يدى المنبر
وترحم على الملك الكامل ودعا لولده الملك العادل صاحب مصر وكنت حاضرا فى ذلك الموضع فضج الناس
ضجة واحدة وكانوا قد أحسوا بذلك لكنهم لم يتحققوه الا ذلك اليوم وترتب ابن أخيه الملك الجواد مظفر
الدين يونس بن شمس الدين مودود ابن الملك العادل فى نيابة السلطنة بدمشق عن الملك العادل ابن الملك
الكامل صاحب مصر باتفاق الامراء الذين كانوا حاضرين ذلك الوقت بدمشق ثم بنى له تربة مجاورة للجامع
ولها شباك الى الجامع ونقل اليها وكانت ولادته فى سنة ست وسبعين وخمسمائة فى الخامس والعشرين
من شهر ربيع الاول كذا وجدته بخط من يعتنى بالتاريخ والله أعلم وتوفى ولده الملك المسعود بمكة شرفها الله
تعالى فى ثالث جمادى الاولى سنة ست وعشرين وستمائة ومولده فى سنة تسع وتسعين وخمسمائة وكان بمكة
رجل من المجاورين يقال له الشيخ صديق بن بدر بن جناح من اكراد بلد اربل وكان من كبار الصالحين
فلما حضرت الملك المسعود الوفاة أوصى انه اذا مات لا يجهز بشئ من ماله بل يسلم الى الشيخ صديق يجهزه من
عنده بما يراه فلما مات تولى الشيخ صديق أمره وكفنه فى ازار كان يحرم فيه بالحج والعمرة سنين عديدة وجهزه
تجهيز الفقراء على حسب قدرته وكان أوصى انه لا يبنى عليه قبة بل يدفن فى جانب المعلى جبانة مكة شرفها الله
تعالى ويكتب على قبره هذا قبر الفقير الى رحمة الله تعالى اطسيس بن محمد بن أبى بكر بن أيوب ففعل به ذلك ثم
ان عتيقه الصارم قايماز المسعودى الذى تولى القاهرة بعد ذلك بنى عليه قبة ولما بلغ الملك الكامل ما فعله الشيخ
صديق كتب اليه وشكره فقال ما فعلت ما أستحق به الشكر فان هذا رجل سألنى القيام بامره فساعدته
بما يجب على كل أحد القيام به من مواراة الميت فقيل له تكتب جواب الملك الكامل فقال ليس لى اليه حاجة
وكان قد سأله ان يسأله حوائجه كلها فما رد له جوابا اخبرنى بذلك كله من كان حاضرا ويعرف ما يقول والله
أعلم وأما ولده الملك العادل فانه أقام فى المملكة الى يوم الجمعة ثامن ذى الحجة سنة تسع وثلاثين وستمائة
فقبض عليه امراء دولته بظاهر بلبيس وطلبوا أخاه الملك الصالح نجم الدين أيوب وكان الصالح قد صالح
الملك الجواد على ان أعطاه دمشق وعوضه عنها سنجار وعانة وقدم الصالح دمشق متملكا لها فى مستهل جمادى
الآخرة سنة ست وثلاثين وستمائة ثم ان عمه الملك الصالح عماد الدين اسمعيل صاحب بعلبك اتفق مع الملك
المجاهد أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه صاحب حمص على أخذ دمشق اغتيالا
وكان الملك الصالح نجم الدين قد خرج منها قاصدا الديار المصرية ليأخذها من أخيه الملك العادل فلما
استقر بنابلس وأقام بها مدة جرت هذه الكائنة فى سنة سبع وثلاثين وستمائة يوم الثلاثاء السابع
والعشرين من صفر فهجما دمشق بعساكرهما وأخذاها وهى قضية مشهورة فلما أخذا دمشق رجع
العساكر التى كانت مع الصالح نجم الدين اليها ليدرك كل واحد منهم أهله وبنيه وتركوا الملك الصالح
بنابلس وحيدا فى نفر قليل من غلمانه واتباعه فجاءه الملك الناصر ابن الملك المعظم صاحب الكرك وقبض
عليه ليلة السبت الثانى والعشرين من شهر ربيع الاول من السنة وأرسله الى الكرك واعتقله بها ثم انه
أفرج عنه فى ليلة السبت السابع والعشرين من شهر رمضان المعظم من السنة المذكورة وشرح ذلك
يطول واجتمع هو والملك الناصر على نابلس فلما قبض الملك العادل فى التاريخ المذكور وطلب الامراء
الملك الصالح نجم الدين أيوب جاءهم ومعه الملك الناصر صاحب الكرك ودخلا القاهرة فى الساعة الثانية

وكان يحب لأخيه ما يحب
لنفسه روح الله تعالى
روحه ونور ضريحه
*(ومنهم العالم الفاضل
المولى قاسم)*
كان من عبيد السلطان
محمد خان قرأ رحمه الله على
علماء عصره وحصل العلوم
كلها ثم لازم خدمة الشيخ
العارف بالله ابن الوفاء
قدس سره ثم ركز عند
السلطان بايزيد خان ونصبه
معلما لخدامه لعلمه وصلاحه
وعفته وديانته ولازم
تعليمهم وحصل بتربيته
كثير منهم وكان ملازما
لبيته ولتعليم المذكورين
توفى رحمه الله تعالى فى
أوائل سلطنة سلطاننا
الاعظم السلطان سليم
خان وكان له خط حسن
جدا وكان سريع الكتابة
وكان يحب لأخيه ما يحب
لنفسه وكانت سرعة كتابته
بحيث لو وصفت سرعته
فى الكتابة لربما لم يصدق
السامع وكان جميل الصورة
طويل القامة جدا أديبا
لبيبا صبورا وقورا حليما
كريما وفيا سخيا روح الله
تعالى روحه ونور ضريحه
*(ومنهم العالم الفاضل
المولى الشهير بابن المكحل)*
قرأ رحمه الله على علماء
عصره ثم صار قاضيا ببعض
البلاد ثم صار خطيبا بجامع
السلطان محمد خان بمدينة
قسطنطينية وتوفى وهو
خطيب بها فى أوائل سلطنة
سلطاننا الاعظم كان رحمه

من يوم الاحد السابع والعشرين من ذى القعدة سنة سبع وثلاثين وستمائة وكنت اذ ذاك بالقاهرة
وادخل أخاه الملك العادل فى محفة وحوله جماعة كثيرة من الاجناد يحفظونه وحمله من خارج البلد الى
القلعة واعتقله عنده فى داخل الدار السلطانية وبسط العدل فى الرعية وأحسن الى الناس وأخرج الصدقات
ورمم ما تهدم من المساجد وسيرته طويلة ثم انه أخذ دمشق من عمه الملك الصالح فى يوم الاثنين ثامن جمادى
الاولى سنة ثلاث وأربعين وستمائة وأبقى عليه بعلبك ومضى بعد ذلك الى الشام فى سنة ست وأربعين بعد
أن كان عاد الى مصر ودخل دمشق فى أوائل شعبان من السنة وسير العساكر لحصار مصر وقد كان الملك
الناصر صاحب حلب أخذها من صاحبها الاشرف ابن صاحب حمص ثم رجع فى أوائل سنة سبع
وأربعين وهو مريض وقصد الفرنج دمياط وهو مقيم باشموم ينتظر وصولهم وكان وصولهم اليها يوم الجمعة
لعشرين من صفر سنة سبع وأربعين وستمائة وملكوا الجزيرة يوم السبت وملكوا دمياط يوم الاحد
ثالثة أيام متوالية لان العسكر وجميع أهلها تركوها وهربوا منها وانتقل الملك الصالح من أشموم الى
المنصورة ونزل بها وهو فى غاية المرض وأقام بها على تلك الحال الى ان توفى هنالك ليلة الاثنين نصف شعبان
من السنة المذكورة وحمل الى القلعة الجديدة التى فى الجزيرة وترك بها فى مسجد هنالك وأخفى موته مقدار
ثلاثة أشهر والخطبة باسمه الى ان وصل ولده الملك توران شاه من حصن كيفا على البرية الى المنصورة فعند
ذلك اظهروا موته وخطب لولده المذكور ثم بعد ذلك بنى له بالقاهرة الى جنب مدارسه تربة ونقل اليها فى
رجب سنة ثمان وأربعين وستمائة وكانت ولادته فى الرابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ثلاث
وستمائة هكذا وجدته بخط ابنه مكتوبا ورأيت فى مكان آخر انه ولد فى ليلة الخميس الخامس عشر من
جمادى الآخرة من السنة المذكورة وفى مكان آخر انه ولد فى الرابع من المحرم سنة أربع وستمائة والله
تعالى أعلم وأمه جارية مولدة سمراء اسمها ورد المنى رحمه الله تعالى وكانت ولادة الملك العادل فى ذى الحجة سنة
سبع عشرة وستمائة بالمنصورة ووالده فى قبالة العدو على دمياط وتوفى فى الاعتقال يوم الاثنين ثانى عشر
شوال سنة خمس وأربعين وستمائة بقلعة القاهرة ودفن فى تربة شمس الدولة خارج باب النصر رحمه الله تعالى
هذه الفصول ذكرت خلاصتها ولو فصلتها لطال الشرح والمقصود الاختصار وطلب الايجاز مع انى كنت
حاضرا أكثر وقائعها وكان للملك العادل ولد صغير يقال له الملك المغيث مقيما بالقلعة فلما وصل ابن عمه
الملك المعظم توران شاه الى المنصورة سيره من هنالك ونقله الى قلعة الشوبك فلما جرت الكائنة على المعظم
أحضر متسلم قلعة الكرك الملك المغيث من الشوبك وسلم اليه الكرك والشوبك وتلك النواحى وهو الآن
ملكها ولم يزل مالكها الى سنة احدى وستين وستمائة فنزل الملك الظاهر ركن الدين بيبرس المذكور فى
ترجمة القاضى مجلى صاحب كتاب الذخائر بالغور وراسله وبذل له من تسليم البلد بدلا وحلف له ويقال انه
ورى فى اليمين ولم يستقض فيها فنزل اليه الى منزله بالطور من الغور فقبض عليه ساعة وصوله وجهزه الى
قلعة الجبل بمصر واعتقله بها وكان للمغيث ولد ينعت بالعزيز فخر الدين عثمان صغير السن فامره الملك الظاهر
ولم يزل فى خدمته أميرا الى ان فتح انطاكية فى شهر رمضان سنة ست وستين وستمائة وتوجه من الشام بعد
ذلك الى مصر فلما دخل اليها قبض عليه واعتقله وهو الآن معتقل بقلعة الجبل المذكورة وهذه قلعة
الكرك هى المذكورة فى ترجمة القاضى المجلى أيضا وكان الملك الظاهر يخاف على أولاده فكان يبالغ فى
تحصين القلعة المذكورة وملئها بالذخائر والاموال ولما جرى لولده السعيد ما ذكرنا فى ترجمة القاضى
مجلى وتوجه الى الكرك نفعته تلك الذخائر ووجدها عونا له على زمانه ولما توفى الملك السعيد ابن الملك الظاهر
فى الكرك كما ذكرنا فى الترجمة المذكورة ملكها بعده أخوه الملك المسعود نجم الدين خضر ابن الملك
الظاهر باتفاق ممن كان بها من مماليك أبيه ومن أمرائه وهو الآن متملكها مقيم بها ثم نزل منها بالامان
بعد حصاره فيها فى مدة الامير حسام الدين طربطار المنصورى كان نائب المملكة وتقدم العساكر ونزل
معه أخوه الملك العادل سلامش بعد أخيه الملك السعيد وتوجها الى الديار المصرية الى خدمة السلطان الملك

الله تعالى عالما بالعلوم
العربية وعلوم القراآت
وكان خطيبا بليغا فصيحا
ينشئ الخطب البليغة
وكان الخواص والعوام
يحترمونه لعلمه وصلاحه
وكان كريم النفس
مرضى السيرة محمود
الطريقة روح الله تعالى
روحه ونور ضريحه
*(ومنهم العالم الفاضل
المولى محيى الدين الشهير
بابن العرجون)*
كان رحمه الله تعالى والده
عالما فاضلا عارفا بالقراآت
منتسبا الى طريقة الصوفية
وقرأ هو فى حياة والده
العلوم العربية وحصل
علوم القراآت وكان
حسن الصوت طيب
الالحان ونصب خطيبا
بجامع السلطان بايزيد خان
بمدينة قسطنطينية ثم صار
خطيبا بجامع أياصوفيه
وتوفى وهو خطيب بها فى
سنة ثمان وأربعين
وتسعمائة كان سليم
النفس محمود الاخلاق
وكان جيد المحاورة حسن
المحاضرة عالى الهمة مشتغلا
بنفسه معرضا عن أحوال
أبناء الزمان وكان مكرما
عند الخواص والعوام
رحمه الله تعالى
*(ومنهم العالم الفاضل
المولى بير محمد)*
قرأ رحمه الله تعالى على
علماء عصره العلوم العربية
وعلوم القراآت ومهر
فيها وكان حسن التلاوة

المنصور سيف الدين قلاون الصالحي المذكور في ترجمة القاضي مجلي في أوائل هذا الحرف فاحسن السلطان اليهما وجعل الملك خضرا وأخاه سلامش أميرين وأقطعهما الاقطاعات الجيدة وأسكنهما بقلعة الجبل المنصور واستمر الامر على ذلك وهما مختلطان به في جملة أهله ملازمان للركوب مع ولديه السلطان الملك الصالح علاء الدين والملك الاشرف صلاح الدين خليل (٢) ولم يزل الامر كذلك الى سنة ثمان وثمانين وستمائة فجرى من الامر ما اقتضى الحال معه للقبض على الاميرين نجم الدين خضر وبدر الدين سلامش المذكورين واعتقا لهما بقلعة الجبل والملك الصالحي الملك المنصور المذكور فانه كان ولي عهد أبيه وكان حازما شديد الرأى وتوفى في حياة والده في شهر شعبان سنة سبع وثمانين وستمائة ثم ان والده جعل ولاية العهد الى ولده الملك الاشرف المذكور وقلده الملك في شهر شوّال سنة سبع وثمانين المذكورة وهو من الملوك المشهورين بعلو الهمة والسعادة والحزم وتوفى الملك المنصور قلاون في يوم السبت من شهر ذي القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة في دهليزه بمسجد التين ٣ وكان قد خرج على نية الغزاة الى عكا فعرض له مرض فقضى به نحبه وعادت العساكر الى مستقرها واستقر ولده السلطان الملك الاشرف بالمملكة بجمع المعاقل والبلاد ولم ير في الملوك أكثر سعادة منه ولا أعلى همة ولا أكرم نفسا ولا أكثر وفاء لمن خدمه ولاذ به وفي أيام الملك المنصور فتحت طرابلس الشام يوم الثلاثاء تاسع ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين وستمائة وكان نازلها بنفسه وعساكره وفتحها قهرا بالسيف واستولى القتل والاسر والنهب على أهلها وملك ما جاورها من قلعة جبيل والبشرون وغير ذلك ثم ان الملك الاشرف المذكور بعد استقلاله بالملك بمدة كثيرة خرج بنفسه وجمع عساكره وتوجه الى عكا فنازلها في يوم وكان خروجه من مصر في يوم واجتمع على عكا جميع الناس الجند والمتطوعة وغيرهم وسائر البلاد ويسر الله فتحها في يوم الجمعة سابع عشر جمادى الاولى سنة تسعين وستمائة في مثل الساعة من اليوم من الشهر الذي أخذت فيه من المسلمين لأن الشهر كان الاولى وأخذت من المسلمين في أيام صلاح الدين يوسف بن أيوب في الآخرة سنة ثمان وخمسين وان السلطان الملك الاشرف صلاح الدين أخرج أهلها منها وقتلهم جميعا بالسيف وكذلك عمل الفرنج بالذي كان فيها من المسلمين لما ملكوها في أيام صلاح الدين فانظر والى هذا الاتفاق العجيب في أمور كثيرة كما أخذت من صلاح الدين ملكها صلاح الدين وقتل المسلمون بها ثم قتل الكافرون بها وأخذت المسلمون ثاني ساعة من يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة ثم ملكها المسلمون ثاني ساعة من يوم الجمعة سابع عشر جمادى الاولى فسبحان مقدر الامور ثم أخذت عزائم الفرنج باخذ عكا فهرب من كان ببيروت وعليت وهما حصنان عظيمان لا تطرق الاوهام اليهما وملكها المسلمون بحول الله وقوته من غير منازع وملكوا أيضا بيروت وحيفا فلم يبق للفرنج من الساحل قلعة ولا بلد ولا قرية ولا جزيرة الا وملك المسلمون ذلك جميعه وتوفى المعظم توران شاه يوم الاثنين السابع والعشرين من المحرم من سنة ثمان وأربعين وستمائة والله تعالى أعلم

(أبو جعفر محمد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة المعروف بابن الزيات وزير المعتصم)

كان جده أبان رجلا من أهل جبل من قرية كان بها يقال لها الدسكرة يجلب الزيت من مواضعه الى بغداد فسمت بمحمد المذكور همته على ما يأتي ذكره فيه وكان من أهل الادب الظاهر والفضل الباهر أديبا فاضلا بليغا عالما بالنحو واللغة ذكر ميمون بن هرون الكاتب ان أبا عثمان المازني لما قدم بغداد في أيام المعتصم كان أصحابه وجلساؤه يخوضون بين يديه في علم النحو فاذا اختلفوا فيما يقع فيه الشك يقول لهم أبو عثمان ابعثوا الى هذا الفتى الكاتب يعني ابن الزيات المذكور فاسألوه واعرفوا جوابه فيفعلون ويصدر جوابه بالصواب الذي يرتضيه أبو عثمان ويوقفهم عليه وقد ذكره دعبل بن علي الخزاعي المقدم ذكره في كتاب طبقات الشعراء وذكره أبو عبد الله هرون بن المنجم الآتي ذكره ان شاء الله تعالى في كتاب البارع وأورد له من شعره عدة مقاطيع وكان في أوّل أمره من جملة الكتاب وكان أحمد بن عمار بن شاذي البصري وزير المعتصم فورد على المعتصم كتاب من بعض العمال فقرأه الوزير عليه وكان في الكتاب ذكر الكلأ

فقال

محمود الطريقة مجوّدا وكان خطيبا بجامع السلطان بايزيد خان بمدينة قسطنطينية ومدرسا بدار القراء التي بناها المولى الفاضل الكوراني وتوفي في سنة اثنتين وأربعين وتسعمائة نور الله تعالى قبره

(ومنهم العالم الفاضل الحكيم سنان الدين يوسف)

قرأ في أول عمره على علماء عصره ثم رغب في الطب وقرأ على الحكيم محيي الدين ثم نصب طبيبا في مارستان أدرنه ومارستان قسطنطينية ثم جعل طبيبا للسلطان سليم خان وهو أمير على بلدة طرابوزان ولما جلس السلطان سليم خان على سرير السلطنة جعله طبيبا لدار السلطنة ثم جعله سلطاننا الاعظم رئيسا للاطباء ودام على ذلك الى ان توفي في سنة احدى وخمسين وتسعمائة وسألته عن مدة عمره قبيل موته بشهر أو شهرين

(٣) قوله ولم يزل الامر من هنا الى قوله وملك المسلمون ذلك جميعه ساقط من نسخ كثيرة وليس من كلام المؤلف بل هو من زيادة من بعض المؤرخين لان المؤلف مات سنة ٦٨١ قاله نصر الهوريني

٣ مسجد التين كان بالقرب من المطرية اهـ

فقال له المعتصم ما الكلأ فقال لا أعلم وكان قليل المعرفة بالادب فقال المعتصم خليفة أمي ووزير عامي وكان المعتصم ضعيف الكتابة ثم قال أبصروا من بالباب من الكتاب فوجدوا محمد بن الزيات المذكور فادخلوه اليه فقال له ما الكلأ فقال الكلأ العشب على الاطلاق فان كان رطبا فهو الخلا فاذا يبس فهو الحشيش وشرع في تقسيم أنواع النبات فعلم المعتصم فضله فاستوزره وحكمه وبسط يده وقد ذكرنا ما كان بينه وبين القاضي أحمد بن أبي دواد الايادي في ترجمته وحكى أبو عبد الله البيمارستاني ان أبا حفص الكرماني كاتب عمرو بن مسعدة كتب الى محمد بن عبد الملك المذكور أما بعد فانك ممن اذا غرس سقى غرسه واذا أسس بنى أسه ويجتني ثمرة غرسه وبناؤك في ودي قد وهي وشارف الدروس وغرسك عندي قد عطش وأشفى على اليبوس فتدارك بناء ما أسست وسقي ما غرست فقال البيمارستاني فحدثت بذلك عبد الرحمن العطوي فقال في هذا المعنى يمدح محمد بن عمران بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك ثم وجدت الابيات في ديوان أبي نواس الذي جمعه الاصبهاني وهي

ان البرامكة الكرام تعلموا * فعل الجميل وعلموه الناسا
كانوا اذا غرسوا سقوا واذا بنوا * لا يهدمون لما بنوه أساسا
واذا هم صنعوا الصنائع في الورى * جعلوا لها طيب البقاء لباسا
فعلام تسقيني وأنت سقيتني * كأس المودة من جفائك كاسا
آنستني متفضلا أفلا ترى * ان القطيعة توحش الايناسا*

وقد تقدم في ترجمة عبد المحسن الصوري هذا المعنى أيضا ولابن الزيات المذكور أشعار رائقة فمن ذلك قوله

سماعا يا عباد الله مني * وكفوا عن ملاحظة الملاح
فان الحب آخره المنايا * وأوله يهيج بالمزاح
وقالوا دع مراقبة الثريا * ونم فالليل مسودّ الجناح
فقلت وهل أفاق القلب حتى * أفرق بين ليلي والصباح

وله على ما نقلته من خط بعض الافاضل

ظالم ما علمته * معتد لا عدمته
مطمع في الوصال ممـ * تنع حين رمته
قال اذ أفصح البكا * عما قد كتمته
لو بكى طول عمره * بدم ما رحمته
رب هم طويت فيـ * ـه وغيظ كظمته
وحياة سئمتها * والهوى ما سئمته

وذكر الخطيب في تاريخ بغداد ان ابن الزيات المذكور كان يعشق جارية من جواري القيان فبيعت من رجل من أهل خراسان فأخرجها قال فذهل عقل ابن الزيات حتى غشي عليه ثم انه أنشأ يقول

يا طول ساعات ليل العاشق الدنف * وطول رعيته للنجم في السدف
ماذا توارى ثيابي من أخي حرق * كأنما الجسم منه دقة الالف
ما قال يا أسفا يعقوب من كمد * الا لطول الذي لاقى من الاسف
من سره أن يرى ميت الهوى دنفا * فليستدل على الزيات وليقف

ومن شعره ما ذكره في كتاب البارع يرثي جاريته وقد خلفت له ابن ثمان سنين وكان يبكي عليها فيتألم بسببه وهو

الا من رأى الطفل المفارق أمه * بعيد الكرى عيناه تنسكبان
رأى كل أم وابنها غير أمه * يبيتان تحت الليل ينتحبان
وبات وحيدا في الفراش تجيبه * بلابل قلب دائم الخفقان
فهبني أطلت الصبر عنها لأنني * جليد فمن للصبر بابن ثمان
ضعيف القوى لا يعرف الصبر جسمه * ولا يتأسى بالناس في الحدثان

وله ديوان رسائل جيد ومدحه البحتري بقصيدته الدالية وأحسن في وصف خطه وبلاغته وقال في آخرها

وأرى الخلق مجمعين على فضـ * ـلك من بين سيد ومسوّد
عرف العالمون فضلك بالعلـ * ـم وقال الجهال بالتقليد

فانحيران سنه مائة أو أكثر بسنتين ومع ذلك لم يتغير عقله الا أنه ظهر في يديه رعشة فسألته عن ذلك فقال انها عن ضعف الدماغ فتعجبت من اخباره عن ضعف الدماغ مع ماله من كمال الادراك والفهم كان رحمه الله عالما صالحا عابدا سليم الطبع حليم النفس صحيح العقيدة مشتغلا بنفسه معرضا عن أحوال أبناء الدنيا وكان لا يذكر أحدا بسوء وكان رجلا طبيبا مباركا وكان له احتياط عظيم في معالجاته لقوة صلاحه وديانته روح الله تعالى روحه

(ومنهم العالم الفاضل الحكيم عيسى الطبيب)

قرأ رحمه الله على علماء عصره ثم رغب في الطب وتمهر فيه واشتهر بالبركة في المعالجات ثم نصب طبيبا بمارستان أدرنه وقسطنطينية ثم صار طبيبا بدار السلطنة ثم توفي في سنة ٣ وتسعمائة وكان رحمه الله رجلا صالحا صحيح العقيدة متصفا بصلاح النفس وكرم الاخلاق مملوأ بالخير من فرقه الى قدمه محبا للفقراء والصلحاء ومراعيا للضعفاء والمساكين رحمه الله تعالى

(ومنهم العالم الفاضل الكامل عثمان الطبيب)

كان رحمه الله أصله من ولاية العجم وأتى بلاد الروم في زمن السلطان سليم خان

٣ هكذا بياض بالاصل

ولابى تمام فيه مدائح وجماعة من شعراء عصره ولابراهيم بن العباس الصولى فيه مقاطيع يعبث به فيها فمن ذلك قوله

أخ كنت آوى منه عند ادكاره * الى ظل آباء من العز شامخ
سعت نوب الايام بينى وبينه * فاقلعن منه عن ظلوم وصارخ
وانى واعدادى لدهرى محمدا * كملتمس اطفاء نار بنافخ

ومن ذلك قوله

دعوتك عن بلوى ألمت ضرورة * فاوقدت عن طعن على سعيرها
وانى اذا أدعوك عند ملمة * كداعية عند القبور نصيرها

وله أيضا فيه

أبا جعفر خف نبوة بعد دولة * وقصر قليلا عن مدى غلوا ئكا
فان يك هذا اليوم يوم حويته * فان رجائى فى غد كرجائكا

وله فيه أيضا

قلت لها حين أكثرت عذلى * ويحك أزرت بنا المروآت
قالت فأين السراة قلت لها * لاتسألى عنهم فقد ماتوا
قالت [1] ولم ذاك قلت لها * هذا وزير الامام زيات

وله أيضا فيه

لئن صدرت بى زورة عن محمد * بمنع لقد فارقته ومعى قدرى
أليست يدا عندى لمثل محمد * صيانته عن مثل معروفه شكرى

وله فيه أيضا

فان تكن الدنيا انالتك ثروة * فاصبحت ذا يسر وقد كنت ذا عسر
فقد كشف الاثراء منك خلائقا * من اللؤم كانت تحت ثوب من الفقر

وله فيه أيضا

من يشترى منى اخاء محمد * أم من يريد اخاءه مجانا
أم من يخلص من اخاء محمد * وله مناه كائنا ما كانا

وله أشياء غير ذلك * ومازالت الاشراف تهجى وتمدح * وفيه يقول بعضهم ولا أستحضره الآن ثم ظفرت به بعد ذلك وهو القاضى أحمد بن أبى دواد الايادى المقدم ذكره وكان ابن الزيات المذكور قد هجاه بتسعين بيتا فعمل القاضى أحمد فيه بيتين وهما

أحسن من تسعين بيتا سدا * جمعك معناهن فى بيت
ما أحوج الملك الى مطرة * تغسل عنه وضر الزيت

ونسب صاحب العقد هذين البيتين الى على بن الجهم والاول حكاه فى الاغانى والله تعالى أعلم ولما مات المعتصم وقام بالامر ولده الواثق هرون أنشد ابن الزيات المذكور

قد قلت اذ غيبوك وانصرفوا * فى خير قبر لخير مدفون
لن يجبر الله أمة فقدت * مثلك الا بمثل هرون

وأقره الواثق على ما كان عليه فى أيام المعتصم بعد أن كان متسخطا عليه فى أيام أبيه وحلف يمينا مغلظة انه ينكبه اذا صار الامر اليه فلما ولى أمر الكتاب أن يكتبوا ما يتعلق بأمر البيعة فكتبوا فلم يرض بما كتبوه فكتب ابن الزيات نسخة رضيها وأمر بتحرير المكاتبات عليها فكفر عن يمينه وقال عن المال والفدية عن اليمين عوض وليس عن الملك وابن الزيات عوض فلما مات وتولى المتوكل كان فى نفسه منه شئ كثير فسخط عليه بعد ولايته بأربعين يوما فقبض عليه واستصفى أمواله وكان سبب قبضه عليه انه لما مات الواثق بالله أخو المتوكل أشار محمد المذكور بتولية ولد الواثق وأشار القاضى أحمد بن أبى دواد المذكور بتولية المتوكل وقام فى ذلك وقعد حتى عممه بيده وألبسه البردة وقبله بين عينيه وكان المتوكل فى أيام الواثق يدخل على الوزير المذكور فيتجهمه ويغلظ عليه الكلام وكان يتقرب بذلك الى قلب الواثق فحقد المتوكل ذلك عليه فلما ولى الخلافة خشى ان نكبه عاجلا ان يستر أمواله فيفوته فاستوزره ليطمئن وجعل القاضى أحمد يغريه ويجد لذلك عنده موقعا فلما قبض عليه ومات فى التنور كما سيأتى ذكره لم يجد من جميع املاكه وضياعه وذخائره الا ما كانت قيمته مائة ألف دينار فندم على ذلك ولم يجد عنه عوضا وقال للقاضى أحمد أطمعتنى فى

[1] قوله ولم ذاك الخ كذا بالاصل ولعله ولم كان ذاك ليستقيم الوزن اه مصححه

باطل

ونصبوه طبيبا بدار السلطنة وكان خيرا دينا صالحا عفيفا كريم الاخلاق توفى رحمه الله سنة [3] وتسعمائة روح الله روحه ونور ضريحه

(ومنهم العالم الفاضل الكامل المولى يحيى جلبى بن أمين نور الدين طيب الله تعالى ثراه وجعل الجنة مثواه المشهور بين الناس بامين زاده)

ولد رحمه الله تعالى بمدينة قسطنطينية وكان أبوه من أمراء الدولة العثمانية ونشأ هو فى صباه فى نواحى بروسه ثم غلب عليه حب الكمال واشتغل بالعلم وكان صاحب كمال وجمال قرأ على علماء عصره منهم المولى ابن المؤيد والمولى كمال باشازاده حتى وصل الى خدمة من تفوق علمه على علماء أقرانه وزهده على زهداء زمانه وهو المولى الفاضل مولانا على جلبى ابن أحمد بن محمد الجمالى والمفتى بمدينة قسطنطينية فاشتغل هنالك غاية الاشتغال ثم صار معيد الدرسه فى مدرسة السلطان بايزيدخان بمدينة قسطنطينية ثم صار مدرسا بمدرسة قاسم باشا بمدينة بروسه ثم صار مدرسا بمدرسة الوزير ابراهيم باشا بمدينة قسطنطينية ثم صار مدرسا بمدرسة چورلى ثم صار مدرسا بمدرسة دار

[3] هكذا بياض بالاصل

باطل وحملتنى على شخص لم أجد عنه عوضا وكان ابن الزيات المذكور قد اتخذ تنورا من حديد وأطراف مساميره المحدودة الى داخل وهى قائمة مثل رؤس المسال فى أيام وزارته وكان يعذب فيه المصادرين وأرباب الدواوين المطلوبين بالاموال فكيفما انقلب واحد منهم أو تحرك من حرارة العقوبة تدخل المسامير فى جسمه فيجدون لذلك أشد الالم ولم يسبقه أحد الى هذه المعاقبة وكان اذا قال له أحد منهم أيها الوزير ارحمنى فيقول له الرحمة خور فى الطبيعة فلما اعتقله المتوكل أمر بادخاله فى التنور وقيده بخمسة عشر رطلا من الحديد فقال يا أمير المؤمنين ارحمنى فقال له الرحمة خور فى الطبيعة كما كان يقول للناس فطلب دواة وبطاقة فأحضرتا اليه فكتب

هى السبيل فمن يوم الى يوم * كأنه ما تريك العين فى النوم
لا تجزعن رويدا انها دول * دنيا تنقل من قوم الى قوم

وسيرها الى المتوكل فاشتغل عنها ولم يقف عليها الا فى الغد فلما قرأها المتوكل أمر باخراجه فجاؤا اليه فوجدوه ميتا وذلك فى سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وكانت مدة اقامته فى التنور أربعين يوما وكان القبض عليه لثمان مضين من صفر من السنة المذكورة ولما مات وجد فى التنور مكتوب بخطه قد خطه بالفحم على جانب التنور يقول

من له عهد بنوم * يرشد الصب اليه * رحم الله رحيما
دل عينى عليه * سهرت عينى ونامت * عين من هنت لديه

وقال أحمد الاحول لما قبض على ابن الزيات تلطفت الى ان وصلت اليه فرأيته فى حديد ثقيل فقلت له يعز على ما أرى فقال

سل ديار الحى من غيرها * وعفاها ومحا منظرها * وهى الدنيا اذا ما أقبلت
صيرت معروفها منكرها * انما الدنيا كظل زائل * نحمد الله الذى قدرها

ولما جعل فى التنور قال له خادمه يا سيدى قد صرت الى ما صرت اليه وليس لك حامد فقال وما نفع البرامكة صنعهم فقال ذكرك لهم هذه الساعة فقال صدقت رحمه الله تعالى

(أبو الفضل محمد بن العميد أبى عبد الله الحسين بن محمد الكاتب المعروف بابن العميد)

والعميد لقب والده ولقبوه بذلك على عادة أهل خراسان فى اجرائه مجرى التعظيم وكان فيه فضل وأدب وله ترسل وأما ولده أبو الفضل فانه كان وزير ركن الدولة أبى على الحسن بن بويه الديلمى والد عضد الدولة وقد تقدم ذكرهما وتولى وزارته عقيب موت وزيره أبى على بن القمى وذلك فى سنة ثمان وعشرين وثلثمائة وكان متوسعا فى علوم الفلسفة والنجوم وأما الادب والترسل فلم يقاربه فيه أحد فى زمانه وكان يسمى الجاحظ الثانى وكان كامل الرياسة جليل القدر من بعض اتباعه الصاحب بن عباد المتقدم ذكره ولاجل صحبته قيل له الصاحب وكان له فى الرسائل اليد البيضاء قال الثعالبى فى كتاب اليتيمة كان يقال بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد وقد تقدم ذكر عبد الحميد وكان الصاحب بن عباد قد سافر الى بغداد فلما رجع اليه قال له كيف وجدتها فقال بغداد فى البلاد كالاستاذ فى العباد وكان يقال له الاستاذ وكان سائس مدبر الملك قائما بحقوقه وقصده جماعة من مشاهير الشعراء من البلاد الشاسعة ومدحوه بأحسن المدائح فمنهم أبو الطيب المتنبى ورد عليه وهو بأرجان ومدحه بقصائد احداها التى أولها

بادهواك صبرت أم لم تصبرا * وبكاك ان لم يجر دمعك أوجرى ومنها عند تخلصها
ارجان ايتها الجياد فانه * عزمى الذى يذر الوشيج مكسرا * لو كنت أفعل ما اشتهيت فعاله
ماشق كوكبك العجاج الاكدرا * أمى أبا الفضل المبر أليتى * لأيممن أجل بحر جوهرا
أفتى برؤيته الانام وحاش لى * من أن أكون مقصرا أو مقصرا * من مبلغ الاعراب انى بعدها
شاهدت رسطاليس والاسكندرا * ومللت نحر عشارها فاضافنى * من ينحر البدر النضار لمن قرى
وسمعت بطليموس دارس كتبه * متملكا متبديا متحضرا * ولقيت كل الفاضلين كأنما
رد الاله نفوسهم والاعصرا * نسق والناسق الحساب مقدما * وأتى [1] فذالك اذ أتيت مؤخرا

وهى من القصائد المختارة وقال ابن الهمذانى فى كتاب عيون السير أعطاه ثلاثة آلاف دينار وقد استعمل

[1] الفذالك جمع فذلكة وهى مجموع الحساب اه

الحديث بادرنه ثم صار مدرسا باحدى المدارس الثمان ثم صار مدرسا بمرادية بروسه ثم صار مدرسا بمدرسة أياصوفيه ثم صار مدرسا ثانيا باحدى المدارس الثمان ثم صار قاضيا بمدينة بغداد ثم عزل عن ذلك وعين له كل يوم ثمانون درهما بطريق التقاعد ثم أعطاه سلطاننا الاعظم والخاقان المعظم السلطان سليمان خان مدرسة دار الحديث التى بناها بمدينة قسطنطينية المحمية عافاها الله تعالى من البلية وعين له كل يوم مائة درهم مات فى سنة أربع وستين وتسعمائة كان رحمة الله تعالى عليه زاهدا عالما صاحب أدب ووقار وما رأيت منه شيأ بخلاف الادب وكان أبعد الناس من ذكر مساوى الناس وكان لا يذكر احدا بسوء فى مجلسه وكان يراعى آداب الشرائع فى جميع أحواله وما رأيت أحدا يراعى أدبا مثله وكان صارفا أوقاته فيما يهمه ويعنيه ومتجنبا عن اللغو واللهو ولم يسمع منه مع طول صحبته اخواننا كلمة فيها رائحة الكذب أصلا ولا كلمة فحش وكان طاهرا ظاهرا وباطنا خاضعا خاشعا محبا للعلماء والصلحاء والفقراء والغرباء وكانت له معرفة تامة بالتفسير وأصول الفقه والعلوم الادبية بأنواعها

٣ ارجان بتخفيف الراء وهي مشددة على ماذكره الجوهري في كتاب الصحاح والحازمي في كتاب ما اتفق لفظه وافترق مسماه وابن الجواليقي في كتاب المعرب وقد سبق ذكر هذه القصيدة في ترجمة أبي الفضل جعفر بن الفرات وان المتنبي نظمها فيه وهو بمصر فلما لم يرضه لم ينشده اياها فلما توجه الى بلاد فارس صرفها الى ابن العميد وكان أبو نصر عبد العزيز بن نباتة السعدي المقدم ذكره قد ورد عليه وهو بالري وامتدحه بقصيدته التي أولها

برح اشتياق واذكار * ولهيب أنفاس حرار ... ومدامع عبراتها * ترفض عن نوم مطار
لله قلبي ما يجن * من الهموم وما يواري ... لقد انقضى سكر الشبا * ب وما انقضى وصب الخمار
وكبرت عن وصل الصغا * ر وما سلوت عن الصغار ... سقيا التغليسي الى * باب الرصافة وابتكاري
أيام أخطر في الصبا * نشوان مسحوب الازار ... حجي الى حجر الصرا * ة وفي حدائقها اعتماري
ومواطن اللذات أو * طان ودار اللهو داري ... لم يبق لي عيش يلذ * سوى معاقرة العقار
حتى بألحان تر * تبهن ألحان القماري ... واذا استهل ابن العمـ * ـيد تضاءلت ديم القطار
خرق صفت أخلاقه * صفو السبيك من النضار ... فكأنما زفت موا * هبه بأمواج البحار
وكأن نشر حديثه * نشر الخزامى والعرار ... وكأنما انتفـ * ـرق راحتاه في نثار
كلف بحفظ السر تحـ * ـسب صدره ليل السرار ... ان المكارم الامو * ر تنال بالهمم الكبار
والى أبي الفضل ابتعـ * ـثت هواجس النفس السواري

فتأخرت صلته عنه فشفع هذه القصيدة بأخرى وأتبعها برقعة فلم يزده ابن العميد على الاهمال مع رقة حاله التي وردعلها الى بابه فتوصل الى أن دخل عليه يوم الخميس وهو في مجلس حفل بأعيان الدولة ومقدمي أرباب الديوان فوقف بين يديه وأشار اليه بيده وقال أيها الرئيس اني لزمتك لزوم الظل وذللت لك ذل النعل وأكلت النوى المحرق انتظارا لصلتك والله ما بي من الحرمان ولكن شماتة الاعداء وهم قوم نصحوني فاغششتهم وصدقوني فاتهمتهم فبأي وجه ألقاهم وبأي حجة أقاومهم ولم أحصل من مديح بعد مديح ومن نثر بعد نظم الا على ندم مؤلم وبأس مسقم فان كان للنجاح علامة فأين هي وما هي الا ان الذين تحسدهم على ما مدحوا به كانوا من طينتك وان الذين هجوا كانوا أمثالك فزاحم بمنكبك أعظمهم شأنا وأنورهم شعاعا وأمدهم باعا وأشرفهم بقاعا فحار رشد ابن العميد ولم يدر ما يقول فاطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال هذا وقت يضيق عن الاطالة منك في الاستزادة وعن الاطالة مني في المعذرة واذا تواهبنا ما دفعنا اليه استأنفنا ما نتحامد عليه فقال ابن نباتة أيها الرئيس هذه نفثة صدر مصدور منذ زمان وفضلة لسان قد خرس منذ دهر والغنى اذا مطل لئيم فاستشاط ابن العميد وقال والله ما استوجب هذا العتب من أحد من خلق الله تعالى ولقد نافرت ابن العميد من دون ذا حتى دفعنا الى قراع ائم وللجاج قائم ولست ولي نعمتي فاحتملك ولا صنيعتي فأغضي عليك وان بعض ما قررته في مسامعي ينغص مرة الحليم ويبدد شمل الصبر هذا وما استقدمتك بكتاب ولا استدعيتك برسول ولا سألتك مدحي ولا كلفتك تقريضي فقال ابن نباتة صدقت أيها الرئيس ما استقدمتني بكتاب ولا استدعيتني برسول ولا سألتني مدحك ولا كلفتني تقريضك ولكن جلست في صدر ايوانك بأبهتك وقلت لا يخاطبني أحد الا بالرياسة ولا ينازعني في أحكام السياسة فاني كاتب ركن الدولة وزعيم الاولياء والحضرة والقيم بمصالح المملكة فكأنك دعوتني بلسان الحال ولم تدعني بلسان المقال فثار ابن العميد مغضبا وأسرع في صحن داره الى أن دخل حجرته وتقوض المجلس وماج الناس وسمع ابن نباتة وهو في صحن الدار مارا يقول والله ان سف التراب والمشي على الجمر أهون من هذا فلعن الله الادب اذا كان بائعه مهينا له ومشتريه مماكسا فيه فلما سكن غيظ ابن العميد وثاب اليه حلمه التمسه من الغد ليعتذر اليه ويزيل آثار ما كان منه فكأنما غاص في سمع الارض وبصرها فكانت حسرة في قلب ابن العميد الى أن مات ثم اني وجدت هذه القصيدة وصورة هذا المجلس منسوبين الى غير ابن نباتة وكشفت

٣ ارجان من كور الاهواز من خوزستان كما ذكره المؤلف في ترجمة أحمد الارجاني اه

ديوان

فلما يقع التفاته الى العقلية مع مشاركته الناس فيها لاسيما في الحديث والقصائد العربية وكان له تحرير واضح والفاظ فصيحة وكتب رسائل على بعض المواضع من تفسير البيضاوي وكتب رسائل على بعض المواضع من وقاية الدراية وكان له انشاء في العربية والفارسية في غاية الحسن والقبول وكان صاحب محاضرة يعرف من التواريخ والمناقب كثيرا روح الله تعالى روحه وأوفر في الجنان فتوحه اللهم ارحمه وارحم والدي كما ربياني صغيرا واجمع بيني وبين والدي بلطفك انك مولي الاجابة في مستقر رحمتك يا رحمن يا رحيم بحرمة نبيك الكريم والحمد لله رب العالمين

(ومن مشايخ الطريقة في زمانه الشيخ العارف بالله تعالى عبد الكريم القادري الملقب بمفتي شيخ) ولد رحمه الله تعالى في قصبة كرماستي وقرأ رحمه الله على علماء عصره وحفظ القرآن العظيم وكان يقرأ القرآن في زمان اشتغاله بالعلم في أيام الجمع بمحفل جامع السيد البخاري عليه رحمة الملك الباري بمدينة بروسه ثم وصل الى خدمة المولى بالي الاسود سالك مسالك الصوفية فصحب

ديوان ابن نباتة فلم أر هذه القصيدة فيه والله أعلم بالصواب ثم وجدت في كتاب سلب الوزيرين تأليف أبي حيان التوحيدي هذه القصيدة لابي محمد عبد الرزاق بن الحسن المعروف بابن السباب البغدادي اللغوي المنطقي الشاعر وهذه المخاطبة لشاعر من أهل الكرخ يعرف بموتة والله أعلم وكان أبو الفرج أحمد بن محمد الكاتب مكينا عند مخدومه ركن الدولة ابن بويه وله الرتبة العلية لديه وكان ابن العميد لا يوفيه حقه من الاكرام فعاتبه مرارا فلم يفد فكتب اليه

مالك موفور فما باله * اكسبك التيه على المعدم * ولم اذا جئت نهضنا وان
جئنا تطاولت ولم تتمم * وان خرجنا لم تقل مثل ما * نقول قدم طرفه قدم
ان كنت ذا علم فمن ذا الذي * مثل الذي تعلم لم يعلم * ولست في الغارب من دولة
ونحن من دونك في المنسم * وقد ولينا وعزلنا كما * أنت فلم نصغر ولم تعظم
تكافأت أحوالنا كلها * فصل على الانصاف أو فاصرم

وللصاحب بن عباد فيه مدائح كثيرة وكان ابن العميد قد قدم مرة الى أصبهان والصاحب فيها فكتب اليه

قالوا ربيع قد قدم * قلت البشارة ان سلم * أهو الربيع أخو الشتا * ء أم الربيع أخو الكرم
قالوا الذي بنواله * أمن المقل من العدم * قلت الرئيس ابن العميـ * ـد اذا فقالوا لي نعم

وكان ابن العميد كثير الاعجاب بقول بعضهم

وجاءت الى ستر على الباب بيننا * تخاف وقد قامت عليها الولائد * لتسمع شعري وهو يقرع قلبها
بوحي تؤديه اليه القصائد * اذا سمعت مني لطيفا تنفست * له نفسا تنقد منه القلائد

ولابن العميد شعر وما أعجبني الذي وقفت عليه منه حتى أثبته سوى ما ذكره ابن الصابي في كتاب الوزراء وهو قوله

رأيت في الوجه طاقة بقيت * سوداء عيني تحب رؤيتها * فقلت للبيض اذ تروعها
بالله الا ارحمت غربتها * فقل لبث السوداء في بلد * تكون فيه البيضاء ضرتها

وذكر الامير أبو الفضل الميكالي في كتاب المنتحل

آخ الرجال من الابا * عد والاقارب لا تقارب * ان الاقارب كالعقا * رب بل أضر من العقارب

وتوفي ابن العميد المذكور في صفر وقيل في المحرم بالري وقيل ببغداد سنة ستين وثلثمائة رحمه الله تعالى وذكر أبو الحسين هلال بن المحسن بن ابراهيم الصابي في كتاب الوزراء انه توفي في سنة تسع وخمسين وثلثمائة وكان أبو الفضل بن العميد يعتاده القولنج تارة والنقرس أخرى تسلمه هذه الى هذه وقال لسائل سأله أيهما أصعب عليك وأشق قال اذا عارضني النقرس فكأني بين فكي سبع يمضغني واذا اعتراني القولنج وددت لو استبدلت النقرس عنه ويقال انه رأى اكارا في بستان يأكل خبزا ببصل وابن وقد أمعن منه فقال وددت لو كنت كهذا الاكار آكل ما أشتهي قلت وهذه شيمة الدنيا قل أن تصفو من الشوائب وكذا قال جده ابراهيم الخطابي في كتاب التاريخ والله أعلم ورأيت في بعض المجاميع ان الصاحب بن عباد عبر على باب داره بعد وفاته فلم ير هناك أحدا بعد ان كان الدهليز يغص من زحام الناس فأنشد

أيها الربع لم علاك اكتئاب * أين ذاك الحجاب والحجاب * أين من كان يفزع الدهر منه
فهو اليوم في التراب تراب * قل بلا رقبة وغير احتشام * مات مولاي فاعتراني اكتئاب

ثم رأيت في كتاب اليميني للعتبي هذه الابيات وقد نسبها الى أبي العباس الضبي ثم قال انها لابي بكر ويقال الخوارزمي وقد اجتاز بباب الصاحب بن عباد ولا يمكن أن تكون على هذا التقدير للخوارزمي لانه مات قبل الصاحب كما تقدم ذكره ومثل هذه الحكاية ما حكاه علي بن سليمان قال رأيت بالري دارا قوم لم يبق منها الا رسم بابها وعليه مكتوب

اعجب لصرف الدهور معتبرا * فهذه الدار من عجائبها
عهدي بها والملوك زاهية * قد سطع النور من جوانبها
تبدلت وحشة بساكنها * ما أوحش الدار بعد صاحبها

الشيخ العارف بالله تعالى الشهير بامام زاده ثم قعد في زاوية ايا صوفيه الصغير بمدينة قسطنطينية واشتغل بارشاد المتصوفة وتفقه وكان قوي الحفظ حفظ مسائل الفقه وتمهر فيه حتى ان سلطاننا الاعظم السلطان سليمان خان عين له كل يوم مائة درهم ونصبه مفتيا فافتى الناس واظهر مهارته في الفقه وكان يعظ الناس ويذكرهم وكان لكلامه تأثير عظيم في القلوب وقد ملأ كتبا كثيرة يطالع فيها كل وقت ويحفظ مسائلها واذا قعد في الخلوة الاربعينية كان يرتاض رياضة قوية شديدة وكان يحفر في الارض حفرة كالقبر كان يقعد فيها ويصلي ولا يخرج الى الناس حتى حكي عنه انه كان تتعطل حواسه جملة من شدة رياضته وبعد تمام الاربعين يخرج الى الناس ويعظهم ويذكرهم الى وقت الخلوة في السنة القابلة وكان رحمه الله تعالى حلو المحاضرة كريم الاخلاق حافظا لنوادر الاخبار وعجائب المسائل كان متواضعا متخشعا يستوي عنده الصغير والكبير واشتكيت اليه من النسيان فدعا لي بزوال النسيان وقوة الحفظ وقد شاهدت بعد ذلك الوقت في

ولما مات رتب مخدومه ركن الدولة ولده ذا الكفايتين أبا الفتح عليا مكانه فى دست الوزارة وكان جليلا نبيلا
سريا ذا فضائل وفواضل وهو الذى كتب اليه المتنبى الابيات الخمسة الدالية الموجودة فى ديوانه فى أثناء
مدائح والده ولا حاجة الى ذكرها وذكره الثعالبى فى اليتيمة فى ترجمة والده وقال كتب الى صديق له
يستهديه خمرا مستورا عن والده قد اغتنمت الليلة أطال الله بقاءك يا سيدى رقدة من عين الدهر وانتهزت
فرصة من فرص العمر وانتظمت مع أصحابى فى سمط الثريا فان لم تحفظ علينا هذا النظام باهداء المدام عدنا
كبنات نعش والسلام وذكر له مقاطيع من الشعر ولم يزل أبو الفتح المذكور فى وزارة ركن الدولة الى أن
توفى فى التاريخ المذكور فى ترجمته فى حرف الحاء وقام بالامر ولده مؤيد الدولة فاستوزره أيضا وأقام على
ذلك مدة مديدة وكانت بينه وبين الصاحب بن عباد منافرة ويقال انه أغرى قلب مؤيد الدولة عليه فظهر
له منه التنكر والاعراض وقبض عليه فى بعض شهور سنة ست وستين وثلثمائة وله فى اعتقاله أبيات شرح
فيها حاله وقال الثعالبى اجتاح ماله وقطع أنفه وجز لحيته وقال غيره وقطع يديه فلما أيس من نفسه وعلم انه
لا مخلص له مما هو فيه ولو بذل جميع ما تحتوى عليه يده فشق جيب جبة كانت عليه واستخرج منها رقعة
فيها تذكرة بجميع ما كان له ولوالده من الذخائر والدفائن وألقاها فى النار فلما علم انها قد احترقت قال
للمتوكل به افعل ما أمرت به فوالله لا يصل الى صاحبك من أموالنا درهم واحد فما زال يعرضه على أنواع
العذاب حتى تلف وكان القبض عليه يوم الاحد ثامن عشر ربيع الآخر سنة ست وستين وثلثمائة وكانت
ولادته سنة سبع وثلثمائة ولما انصرف أهل خراسان فى سنة خمس وخمسين وثلثمائة أيام الغزاة من الرى
بعد الحادثة التى جرت هناك وهى واقعة مشهورة ودفع الله شرها شرع الرئيس أبو الفضل بن العميد فى
بناء حائط عظيم حول دار مخدومه ركن الدولة فقال له عارض الجيش هذا كما يقال الشد بعض الضراط فقال
ابن العميد هذا أيضا جيد لئلا تنفلت أخرى فاستحسن منه هذا الجواب وفيه يقول بعض أصحابه

آل العميد وآل برمك ما لكم * قل المعين لكم وذل الناصر
كان الزمان يحبكم فبدا له * ان الزمان هو الخؤون الغادر

وتولى موضعه الصاحب بن عباد وقد تقدم ذكره فى ترجمته فينظر هناك فى حرف الهمزة وكان أبو الفتح
المذكور قبل أن يقتل بمدة قد لهج بانشاد هذين البيتين

دخل الدنيا أناس قبلنا * رحلوا عنها وخلوها لنا
ونزلناها كما قد نزلوا * ونخليها لقوم بعدنا

ومن المنسوب الى أبى الفتح بن العميد

يقول لى الواشون كيف تحبها * فقلت لهم بين المقصر والغالى * ولولا حذارى منهم لصدقتهم
فقلت هوى لم يهوه قط أمثالى * وكم من شفيق قال مالك واجما * فقلت ترى مابى وتسأل عن حالى

وكان أبو حيان على بن محمد التوحيدى البغدادى قد وضع كتابا سماه مثالب الوزيرين ضمنه معايب أبى
الفضل بن العميد المذكور والصاحب بن عباد وتحامل عليهما وعدد نقائصهما وسلبهما ما اشتهر عنهما
من الفضائل والافضال وبالغ فى التعصب عليهما وما أنصفهما وهذا الكتاب من الكتب المحذورة ما ملكه
أحد الا وانعكست أحواله ولقد جربت ذلك وجربه غيرى على ما أخبرنى من اثق به وكان أبو حيان المذكور
فاضلا مصنفا له من الكتب المشهورة الامتناع والمؤانسة فى مجلدين وكتاب البصائر والذخائر وكتاب الصديق
والصداقة فى مجلد واحد وكتاب المقابسات فى مجلد أيضا ومثالب الوزيرين فى مجلد أيضا وغير ذلك وكان
موجودا فى السنة الاربعمائة ذكر ذلك فى كتاب الصديق والصداقة والتوحيدى بفتح التاء المثناة من
فوقها وسكون الواو وكسر الحاء المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها دال مهملة ولم أر أحدا ممن
وضع كتب الانساب تعرض الى هذه النسبة لا السمعانى ولا غيره لكن يقال ان أباه كان يبيع التوحيد
ببغداد وهو نوع من التمر بالعراق وعليه حمل بعض من شرح ديوان المتنبى قوله

نفسى تفاوتا كثيرا فى
القوة الحافظة ويحكى عنه
كثير من الكرامات
تركناها خوفا من الاطناب
توفى رحمه الله فى سنة خمسين
وتسعمائة روح الله
روحه ونور ضريحه
*(ومنهم العارف بالله
تعالى الشيخ محمود جلبى)*
كان رحمه الله ربيب المولى
القريمى وكان مشتغلا
بالعلم الشريف أولا ثم
رغب فى طريق التصوف
وانتسب الى خدمة الشيخ
العارف بالله تعالى السيد
أحمد البخارى وحصل
عنده طريق التصوف
وأكملها وتزوج بنته ولما
مات السيد أحمد البخارى
أقامه مقامه وكان عالما
عابدا أديبا لبيبا وقورا
صاحب حياء وعفة وكنت
لا أقدر على النظر الى وجهه
الكريم لانعكاس حيائه
الى وكنت أحضر مجلسه
وكان يقرأ عنده كتاب
المثنوى ويؤوله على
طريقة الصوفية وقال لى
يوما هل لك انكار على
الصوفية قلت هل يكون
أحد ينكرهم قال نعم قال
حكى لى السيد البخارى أنه
كان يقرأ البخارى على
واحد من علماء عصره ثم
تركه وذهب الى خدمة
العارف بالله تعالى الشيخ
الالهى وكان الشيخ الالهى
أيضا قد قرأ على ذلك العالم
قال وزار الشيخ الالهى
مع السيد البخارى يوما

يترشفن من فمى رشفات * هن فيه أحلى من التوحيد والله أعلم بالصواب

(أبو على محمد بن على بن الحسين بن مقلة الكاتب المشهور)

كان فى أول أمره يتولى بعض أعمال فارس ويجبى خراجها وتنقلت أحواله الى أن استوزره الامام المقتدر
بالله وخلع عليه لاربع عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة ست عشرة وثلثمائة وقبض عليه يوم
الاربعاء لاربع عشرة ليلة بقيت من جمادى الاولى سنة ثمان عشرة وثلثمائة ثم نفاه الى بلاد فارس بعد أن
صادره ثم استوزره الامام القاهر بالله فارسل اليه الى بلاد فارس رسولا يجيء به ورتب له نائبا عنه فوصل
ابن مقلة من فارس بكرة يوم الخميس عيد الاضحى من سنة عشرين وثلثمائة وخلع عليه ولم يزل وزيره حتى
اتهمه بمعاضدة على بن بليق على الفتك به وبلغ ابن مقلة الخبر فاستتر فى أول شعبان من سنة احدى وعشرين
وثلثمائة ولما ولى الراضى بالله لست خلون من جمادى الاولى من سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة استوزره
أيضا لتسع خلون من جمادى الاولى من السنة المذكورة وكان المظفر بن ياقوت مستحوذا على أمور الراضى
وكان بينه وبين أبى على الوزير وحشة فقرر ابن ياقوت المذكور مع الغلمان الحجرية انه اذا جاء الوزير أبو على
قبضوا عليه وان الخليفة لا يخالفهم فى ذلك ويسره هذا الامر فلما حصل الوزير فى دهليز دار الخلافة وثب
الغلمان عليه ومعهم ابن ياقوت المذكور فقبضوا عليه وأرسلوا الى الراضى يعرفونه صورة الحال وعددوا له
ذنوبا وأسبابا تقتضى ذلك فرد جوابهم وهو يستصوب رأيهم فيما فعلوه وذلك كان فى يوم الاثنين لاربع
عشرة ليلة بقيت من جمادى الاولى سنة أربع وعشرين وثلثمائة واتفق رأيهم على تفويض الوزارة الى
عبد الرحمن بن عيسى بن داود بن الجراح فقلده الراضى الوزارة وسلم اليه أبا على بن مقلة فضربه بالمقارع
وجرى عليه من المكاره بالتعليق وغيره من العقوبة شئ كثير وأخذ خطه بالف ألف دينار ثم خلص
وجلس بطالا فى داره ثم ان أبا بكر محمد بن رائق استولى على الخلافة وخرج عن طاعتها فانفذ اليه الراضى
واستماله وفوض اليه تدبير المملكة وجعله أمير الامراء ورد عليه تدبير أعمال الخراج والضياع فى جميع
النواحى وأمر أن يخطب له على جميع المنابر فقوى أمره وعظم شأنه وتصرف على حسب اختياره واحتاط
على أملاك ابن مقلة المذكور وضياعه وأملاك ولده أبى الحسين فخضر اليه ابن مقلة والى كاتبه وتذلل لهما
فى معنى الافراج عن املاكه فلم يحصل منهما الا على المواعيد فلما رأى ابن مقلة ذلك أخذ فى السعى بابن
رائق المذكور من كل جهة وكتب الى الراضى يشير عليه بامساكه والقبض عليه وضمن له أنه متى فعل ذلك
وقلده الوزارة استخرج له ثلثمائة ألف ألف دينار وكانت مكاتبته على يد على بن هرون المنجم النديم المقدم
ذكره فاطمعه الراضى بالاجابة الى ما سأل وترددت الرسائل بينهما فى ذلك فلما استوثق ابن مقلة من الراضى
اتفقا على أن ينحدر اليه سرا ويقيم عنده الى أن يتم التدبير فركب من داره وقد بقى من شهر رمضان ليلة
واحدة واختار هذا الطالع لان القمر يكون تحت الشعاع وهو يصلح للامور المستورة فلما وصل الى دار
الخلافة لم يمكنه من الوصول اليه واعتقله فى حجرة ووجه الراضى من غد الى ابن رائق وأخبره بما جرى وانه
احتال على ابن مقلة حتى حصله فى أسره وترددت بينهما المراسلات فى ذلك فلما كان رابع عشر شوال سنة
ست وعشرين وثلثمائة أظهر الراضى أمر ابن مقلة وأخرجه من الاعتقال وحضر حاجب ابن رائق وجماعة
من القواد وتقابلا وكان ابن رائق قد التمس قطع يده اليمنى التى كتب بها تلك المطالعة فلما انتهى كلامهما
فى المقابلة قطعت يده اليمنى ورد الى محبسه ثم ندم الراضى على ذلك وأمر الاطباء بملازمته للمداواة فلازموه
حتى برئ وكان ذلك نتيجة دعاء أبى الحسن محمد بن شنبوذ المقرى عليه بقطع اليد وقد تقدم ذكر سبب
ذلك فى ترجمته وذلك من عجيب الاتفاق وقال أبو الحسن ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة الطبيب وكان
يدخل عليه لمعالجته كنت اذا دخلت عليه فى تلك الحال يسألنى عن أحوال ولده أبى الحسن فاعرفه
استتاره وسلامته فتطيب نفسه ثم ينوح على يده ويبكى ويقول خدمت بها الخلفاء وكتبت بها القرآن
الكريم دفعتين تقطع كما تقطع أيدى اللصوص فاسليه وأقول له هذا انتهاء المكروه وخاتمة القطوع فينشدنى

ذلك العالم وقال ذلك العالم
للسيد البخارى باى شئ
تشتغل قال قلت تركت
الاشتغال بالعلم فابرم على
قال قلت اشتغل بمرصاد
العباد قال ذلك العالم
تشتغل بمثل ذلك الكتاب
وان أعقل العقلاء هم
الحكماء وقال صاحب ذلك
الكتاب فى حقهم ان
الحكيم كافر محقق قال
وغضب على وطردنى
وطرد الشيخ من مجلسه
فلما حكى الشيخ محمود جلبى
هذه الحكاية قلت المنكر
مبتلى بانكاره واما المعترف
الغير السالك الى طريقتهم
أفلا يكون حاله أقبح من
حال المنكرين قال لا بل
الاعتراف يجذبه آخرا
الى طريق الحق ثم قلت
انا نجد فى بعض كتب
التصوف شيأ يخالف
ظاهر الشرع هل يجوز
لنا الانكار عليه قال بل
يجب عليكم الانكار عليه
الى أن يحصل لكم تلك
الحالة وبعد حصول تلك
الحالة يظهر لكم موافقته
للشرع هذا ما جرى بينى
وبينه توفى رحمه الله تعالى فى
سنة ٣
وتسعمائة قدس الله
روحه العزيز
*(ومنهم العارف بالله
تعالى الشيخ بيرى خليفة
الحميدى)*
صاحب مع السيد البخارى

٣ هكذا بياض بالاصل

و يقول اذا مامات بعضك فابك بعضا * فان البعض من بعض قريب

ثم عاد وأرسل للراضي من الحبس بعد قطع يده وأطمعه في المال وطلب الوزارة وقال ان قطع اليد ليس مما يمنع الوزارة وكان يشد القلم على ساعده و يكتب به ولما قدم بحكم التركى من بغداد وكان من المنتمين الى ابن رائق أمر بقطع لسانه أيضا فقطع وأقام في الحبس مدة طويلة ثم لحقه ذرب ولم يكن له من يخدمه فكان يستقى الماء لنفسه من البئر فيجذب بيده اليسرى جذبة و بفمه أخرى وله أشعار في شرح حاله وما انتهى أمره اليه ورثى يده والشكوى من المناصحة وعدم تلقيها بالقبول فمن ذلك قوله

ماسئمت الحياة لكن توثقـ * ـت بأيمانهم فبانت يميني

بعت ديني لهم بدنياى حتى * حرموني دنياهم بعد ديني

ولقد حطت ما استطعت بجهدي * حفظ أرواحهم فما حفظوني

ليس بعد اليمين لذة عيش * ياحياتي بانت يميني فبيني

ومن المنسوب الى ابن مقلة أيضا

لست ذا ذلة اذا عضنى الدهـ * ـر ولا شامخا اذا واتاني

انا نار في مرتقى نفس الحا * سد ماء جار مع الاخوان

وفي الوزير المذكور يقول بعضهم

وقالوا العزل للوزراء حيض * لحاه الله من أمر بغيض

ولكن الوزير أباعلى * من اللائى يئسن من المحيض

ومن شعره أيضا ما قاله الثعالبي في يتيمة الدهر

واذا رأيت فتى باعلى رتبة * في شامخ عن عزه المترفع

قالت لى النفس العروف بقدرها * ما كان أولاني بهذا الموضع

ولم يزل على هذه الحالة الى أن توفي في موضعه يوم الاحد عاشر شوّال سنة ثمان وعشرين وثلثمائة ودفن في مكانه ثم نبش بعد زمان وسلم الى أهله وكانت ولادته يوم الخميس بعد العصر لتسع بقين من شوّال سنة اثنتين وسبعين ومائتين ببغداد رحمه الله تعالى وقد تقدم طرف من خبره في ترجمة ابن البواب الكاتب وانه أول من نقل هذه الطريقة من خط الكوفيين الى هذه الصورة هو أو أخوه على الخلاف المذكور في ترجمة ابن البواب وان ابن البواب تبع طريقته ونهج اسلوبه ولابن مقلة ألفاظ منقولة مستعملة فمن ذلك قوله اذا أحببت تهالكت واذا ابغضت اهلكت واذا رضيت آثرت واذا غضبت اثرت ومن كلامه أيضا يعجبني من يقول الشعر تأدبا لا تكسبا و يتعاطى الغناء تطربا لا تطلبا وله كل معنى مليح في النظم والنثر وكان ابن الرومي الشاعر المتقدم ذكره يمدحه فمن معانيه الغريبة فيه قوله

ان يخدم القلم السيف الذى خضعت * له الرقاب ودانت خوفه الامم

فالموت والموت لاشئ يعادله * مازال يتبع ما يجرى به القلم

كذا قضى الله للاقلام مذ بريت * ان السيوف لها مذ أرهفت خدم

وكان أخوه أبو عبد الله الحسن بن على بن مقلة كاتبا أديبا بارعا والصحيح انه صاحب الخط المليح ومولده يوم الاربعاء طلوع الفجر سلخ شهر رمضان سنة ثمان وستين ومائتين وتوفي في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة رحمه الله تعالى وأما ابن رائق فان الحافظ ابن عساكر ذكر في تاريخ الامام المتقى بالله انه ولاه أمر دمشق وأخرج منها بدر بن عبد الله الاخشيذى ثم توجه الى مصر وتواقع هو وصاحبها محمد بن طغج الاخشيذى المقدم ذكره فهزمه الاخشيذى فرجع الى دمشق ثم توجه الى بغداد وقتل بالموصل سنة ثلاثين وثلثمائة وقيل ان بنى حمدان قتلوه بالموصل قتله ناصر الدولة الحسن المقدم ذكره

(الوزير أبو الطاهر محمد بن بقية بن على الملقب نصير الدولة وزير عز الدولة بختيار بن معز الدولة بن بويه المقدم ذكره)

كان من أجلة الرؤساء وأكابر الوزراء وأعيان الكرماء وقد تقدم في ترجمة عز الدولة طرف من خبره في

قضية

وحصل عنده الطريقة وأجازه للارشاد وسكن بوطنه وكان عابدا زاهدا منقطعا عن الناس بالكلية متوجها الى الله تعالى ظاهرا وباطنا يروى انه كان دائم الاستغراق ومن جملة مناقبه انه أتى اليه رجل بجوز بطريق الهدية فلم يقبلها ولما تكدر الرجل من عدم قبوله لها قال مظهرا عذره اليه أليس وهبت هذه الشجرة من زوجتك بدلا من مهرها فاعترف الرجل بذلك وتسلى توفي رحمه الله تعالى في سنة اثنتين وستين وتسعمائة قدس الله سره العزيز

(ومنهم العارف بالله تعالى الشيخ حاجى خليفة المنتشوى)

كان رحمه الله تعالى من طلبة العلم أوّلا ثم ترك طريقة العلم وانتسب الى خدمة الشيخ محمود چلبى المذكور وحصل عنده طريقة التصوّف وأكملها حتى وصل الى مرتبة ارشاد الطالبين وأجازله بالارشاد وكان رجلا منقطعا عن الناس مشتغلا بالعبادات وارشاد الطالبين متواضعا متخشعا أديبا لبيبا وقورا مبارك النفس مرضى السيرة وكان لا ينام الليلة بطولها وكان يجلس مستقبل القبلة مشتغلا بالله تعالى الى الفجر وكانت له كلمات مؤثرة في القلوب وكل من

قضية الشمع وان الشماع لما سئل عن راتب عز الدولة في الشمع كم كان فقال كان راتب وزيره محمد بن بقية ألف من في كل شهر فاذا كان هذا راتب الشمع خاصة مع قلة الحاجة اليه فكم يكون غيره مما تشتد الحاجة اليه وكان من أهل وانا من عمل بغداد وكان في أول أمره قد توصل الى ان صار صاحب مطبخ معز الدولة والد عز الدولة ثم انتقل الى غيرها من الخدم ولما مات معز الدولة وأفضى الامر الى عز الدولة حسنت حاله عنده ورعى له خدمته لابيه وكان فيه توصل وسعة صدر وتقدم الى ان استوزره عز الدولة يوم الاثنين لسبع ليال خلون من ذى الحجة سنة اثنتين وستين وثلثمائة ثم انه قبض عليه لسبب اقتضى ذلك يطول شرحه وحاصله انه حمله على محاربة ابن عمه عضد الدولة فالتقيا على الاهواز وكسر عز الدولة فنسب ذلك الى رأيه ومشورته وفي ذلك يقول أبو غسان الطبيب بالبصرة

أقام على الاهواز خمسين ليلة * يدبر أمر الملك حتى تدمرا

فدبر أمرا كان أوله عمى * وأوسطه بلوى وآخره خرا

وكان قبضه يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة بقيت من ذى الحجة سنة ست وستين وثلثمائة بمدينة واسط وسمل عينيه ولزم بيته وكان في مدة وزارته يبلغ عضد الدولة بن بويه عنه أمور يسوءه سماعها منها انه كان يسميه أبا بكر العذرى تشبيها له برجل أشقر أزرق يسمى أبا بكر كان يبيع العذرة برسم البساتين ببغداد وكان عضد الدولة بهذه الحلية وكان الوزير يفعل ذلك تقربا الى قلب مخدومه عز الدولة لما كان بينه وبين ابن عمه عضد الدولة من العداوة فلما قتل عز الدولة كما وصفناه في ترجمته وملك عضد الدولة بغداد ودخلها طلب ابن بقية المذكور وألقاه تحت أرجل الفيلة فلما قتل صلبه بحضرة البيمارستان العضدى ببغداد وذلك في يوم الجمعة لست خلون من شوّال سنة سبع وستين وثلثمائة رحمه الله تعالى وقال ابن الهمدانى في كتاب عيون السير لما استوزر عز الدولة بختيار بن بويه ابن بقية المذكور بعد أن كان يتولى أمر المطبخ قال الناس من الغضارة الى الوزارة وستر كرمه عيوبه وخلع في عشرين يوما عشرين ألف خلعة قال أبو اسحق الصابى رأيته وهو يشرب في بعض الليالى وكلما لبس خلعة خلعها على أحد الحاضرين فزادت على مائتى خلعة فقالت له مغنيته ياسيدى الوزير في هذه الثياب زنابير ما تدعها تثبت على جسمك فضحك وأمر لها بحصة خان وهو أول وزير لقب بلقبين فان الامام المطيع لقبه بالناصح ولقبه والده الطائع بنصير الدولة ولما حضرت الحرب بين عز الدولة وابن عمه عضد الدولة قبض عز الدولة عليه وسمله وحمله الى عضد الدولة مسمولا فشهره عضد الدولة وعلى رأسه برنس ثم طرحه للفيلة فقتله ثم صلبه عند داره بباب الطاق وعمره نيف وخمسون سنة ولما صلب رثاه أبو الحسن محمد بن عمران يعقوب الانبارى أحد العدول ببغداد بقوله

علو في الحياة وفي الممات * لحق أنت احدى المعجزات

كأن الناس حولك حين قاموا * وفود نداك أيام الصلات

كأنك قائم فيهم خطيبا * وكلهم قيام للصلاة

مددت يديك نحوهم احتفالا * كمدهما اليهم بالهبات

ولما ضاق بطن الارض عن أن * تضم علاك من بعد الممات

أصاروا الجو قبرك واستنابوا * عن الاكفان ثوب السافيات

لعظمك في النفوس تبيت ترعى * بحفاظ و حراس ثقات

وتشعل عندك النيران ليلا * كذلك كنت أيام الحياة

ركبت مطية من قبل زيد * علاها في السنين الماضيات

وتلك فضيلة فيها تأس * تباعد عنك تعيير العداة

ولم أر قبل جذعك قط جذعا * تمكن من عناق المكرمات

اسأت الى النوائب فاستثارت * فأنت قتيل ثار النائبات

وكنت تجير من صرف الليالى * فعاد مطالبا لك بالترات

وصير دهرك الاحسان فيه * الينا من عظيم السيئات

وكنت لمعشر سعدا فلما * مضيت تفرقوا بالمنحسات

غليل باطن لك في فؤادى * يخفف بالدموع الجاريات

ولو انى قدرت على قيام * لفرضك والحقوق الواجبات

ملأت الارض من نظم القوافي * ونحت بها خلاف النائحات

جالس معه يتسلى قلبه بالخشية ولما أصبح في يوم من الايام ركب بغلته وعبر البحر وأراد السفر ولم يكن له زاد وراحلة وتبعه اثنان من الصوفية ولم يدر أحد الى أين يذهب هو ولم يخبر زوجته أيضا بسفره فسافر الى الحجاز وحج وزار النبي صلى الله عليه وسلم و بعد أيام مرض ومات ودفن هنالك قدس الله سره العزيز

(ومنهم العارف بالله تعالى الشيخ بكر خليفة السماوى)

كان رحمه الله تعالى من طلبة العلم الشريف أولا ثم رغب في التصوّف واتصل بخدمة الشيخ العارف بالله تعالى الحاج خليفة المذكور وحصل عنده ما حصل من الكرامات العلية حتى جلس مكان شيخه بعد وفاته للارشاد وكان رحمه الله مشتغلا بنفسه منقطعا عن الخلائق ومتبتلا الى الله تعالى وكان عالما عارفا لينا متواضعا متخشعا أديبا لبيبا وقورا صبورا حليما كريما محبا للخير وأهله معرضا عن أبناء الدنيا ومقبلا الى الآخرة توفي رحمه الله تعالى في سنة خمس وستين وتسعمائة روّح الله روحه وأوفر في الجنان فتوحه

(ومنهم العارف بالله تعالى الشيخ سنان الدين يوسف الاردبيلى)

ولكنى أصبر عنك نفسى * مخافة ان اعد من الجناة * ومالك تربة فاقول تسقى
لانك نصب هطل الهاطلات * عليك تحية الرحمن تترى * برحمات غواد رائحات

ولم يزل ابن بقية مصلوبا الى ان توفى عضد الدولة فى التاريخ المذكور فى ترجمته فى حرف الفاء فانزل عن الخشبة ودفن فى موضعه فقال فيه أبو الحسن بن الانبارى صاحب المرثية المذكورة

لم يلحقوا بك عارا اذ صلبت بلى * باؤا باثمك ثم استرجعوا ندما
وأيقنوا انهم فى فعلهم غلطوا * وانهم نصبوا من سودد علما
فاسترجعوك وواروا منك طود علا * بدفنه دفنوا الافضال والكرما
لئن بليت فلا يبلى نداك ولا * تنسى وكم هالك ينسى اذا قدما
تقاسم الناس حسن الذكر فيك كما * مازال مالك بين الناس منقسما

وقال الحافظ ابن عساكر فى تاريخ دمشق لما صنع أبو الحسن المرثية التائية كتبها ورماها بشوارع بغداد فتداولتها الادباء الى أن وصل الخبر الى عضد الدولة فلما انشدت بين يديه تمنى ان يكون هو المصلوب دونه فقال على بهذا الرجل فطلب سنة كاملة واتصل الخبر بالصاحب ابن عباد وهو بالرى فكتب له الامان فلما سمع أبو الحسن بن الانبارى بذكر الامان قصد حضرته فقال له أنت القائل هذه الابيات قال نعم قال أنشدنيها من فيك فلما أنشد ولم أر قبل جذعك قط جذعا * تمكن من عناق المكرمات
قام اليه الصاحب وعانقه وقبل فاه وأنفذه الى عضد الدولة فلما مثل بين يديه قال له ما الذى حملك على مرثية عدوّى فقال حقوق سلفت وأياد مضت فجاش الحزن فى قلبى فرثيته فقال هل يحضرك شئ فى الشموع والشموع تزهر بين يديه فانشأ يقول

كأن الشموع وقد أظهرت * من النار فى كل رأس سنانا
اصابع اعدائك الخائفين * تضرع تطلب منك الامانا

فلما سمعها خلع عليه وأعطاه فرسا وبدرة انتهى كلام الحافظ قلت قوله فى الابيات

ركبت مطية من قبل زيد * علاها فى السنين الماضيات

وزيد هذا هو أبو الحسين زيد بن زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه وكان قد ظهر فى أيام هشام بن عبد الملك فى سنة اثنتين وعشرين ومائة ودعا الى نفسه فبعث اليه يوسف بن عمر الثقفى والى العراقين يومئذ جيشا مقدمه العباس المرى فرماه رجل منهم بسهم فاصابه فمات وصلب بكناسة الكوفة ونقل رأسه الى البلاد وقال ابن قانع كان ذلك فى صفر سنة احدى وعشرين ومائة وقيل سنة اثنتين وعشرين ومائة فى صفر أيضا بالكوفة ولزيد من العمر اثنتان وأربعون سنة يومئذ وقال ابن الكلبى فى كتاب جمهرة النسب ان زيد بن على رضى الله عنهما أصابه سهم فى جبهته فاحتمله أصحابه وكان ذلك عند المساء ثم دعوا الحجام فانتزع النشابة وسالت نفسه وذكر أبو عمرو الكندى فى كتاب أمراء مصر أن أبا الحكم بن أبى الابيض القيسى قدم الى مصر برأس زيد بن على يوم الاحد لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة اثنتين وعشرين ومائة واجتمع اليه الناس فى المسجد وهو صاحب المشهد الذى بين مصر وبركة قارون بالقرب من جامع ابن طولون يقال ان رأسه مدفون به والله أعلم بالصواب وقتل ولده يحيى بن زيد سنة خمس وعشرين ومائة وقصته مشهورة بالجوزجان قتله سالم بن أحور المازنى وقيل جهم بن صفوان صاحب الجهمية وهذه القصيدة لم يعمل فى بابها مثلها باتفاق علماء الفن وقد ذكر أبو تمام أيضا المصلوبين فى قصيدته التى مدح بها المعتصم لما صلب الافشين خيذر بن كاوس مقدم قواده وبابك ومازيار فى سنة ست وعشرين ومائتين وقصتهم مشهورة فمنها قوله

ولقد شفى الاحشاء من برحائها * اذ صار بابك جار مازيار * ثانيه فى كبد السماء ولم يكن
كاثنين ثان اذ هما فى الغار * وكأنما انتبذ الكميا لطويا * عن ناطس خبرا من الاخبار

حصل طريقة الصوفية عند الشيخ العارف بالله تعالى جلبى خليفة وكان عابدا زاهدا مرتاضا مشتغلا بارشاد الطالبين وقد زاد سنه على مائة وسكن بزاويته عند جامع أيا صوفيه الى أن توفى بها فى سنة احدى وخمسين وتسعمائة روّح الله روحه ونوّر ضريحه

(ومنهم العارف بالله تعالى الشيخ رمضان)

حصل رحمه الله طريقة الصوفية عند الشيخ قاسم جلبى المذكور سابقا وجلس مكانه بعد وفاته فى زاوية الوزير على باشا بمدينة قسطنطينية وكان عابدا زاهدا مرتاضا عارفا بتعبير المنامات وكان منقطعا عن الناس مشتغلا بنفسه وانتفع به الكثيرون توفى فى سنة ٣ وتسعمائة روّح الله روحه ونوّر ضريحه

(ومنهم العارف بالله تعالى الشيخ بالى خليفة الصوفى من خلفاء الشيخ قاسم جلبى المزبور)

كان رحمه الله عالما عاملا مرشدا للفقراء والمساكين قائما بالعبادات وتربية المريدين وكان حافظا لحدود الشريعة ومراعيا لآداب الطريقة رحمه الله توفى ببلدة صوفية بعد الخمسين والتسعمائة طيب الله مضجعه ونوّر مهجعه

٣ هكذا بياض بالاصل

سود اللباس كأنما نسجت لهم * أيدى السموم مدارعا من قار * بكروا وأسروا فى متون ضوامر
قيدت لهم من مربط النجار * لا يبرحون ومن رآهم خالهم * أبدا على سفر من الاسفار

وقيل هذا فى وصف الافشين خاصة * رمقوا أعالى جذعه فكأنما * رمقوا الهلال عشية الافطار

وهى من القصائد الطنانة والافشين مشهور فلا حاجة الى ضبطه وهو بكسر الهمزة وفتحها واسمه خيذر بفتح الخاء المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الذال المعجمة وبعدها راء وانما قيدته لانه يتصحف على كثير من الناس بحيدر بالحاء المهملة ومن شعر أبى الحسن الانبارى المذكور فى الباقلاء الاخضر قوله

فصوص زمرد فى غلف در * باقماع حكت تقليم ظفر
وقد خلع الربيع لها ثيابا * لها لونان من بيض وخضر

وقد ذكره الخطيب فى تاريخ بغداد وقال انه من المقلين فى الشعر رحمه الله تعالى

(ابو غالب محمد بن على بن خلف الملقب فخر الملك وزير بهاء الدولة أبى نصر بن عضد الدولة بن بويه)

وبعد وفاته وزر لولده سلطان الدولة أبى شجاع فناخسرو وكان فخر الملك المذكور من أعظم وزراء آل بويه على الاطلاق بعد أبى الفضل محمد بن العميد والصاحب بن عباد المقدم ذكرهما وكان أصله من واسط وأبوه صيرفيا وكان واسع النعمة فسيح مجال الهمة جم الفضائل والافضال جزيل العطايا والنوال قصده جماعة من أعيان الشعراء ومدحوه وقرضوه بنخب المدائح منهم أبو نصر عبد العزيز بن نباتة الشاعر المقدم ذكره له فيه قصائد مختارة منها قصيدته النونية التى من جملتها يقول

لكل فتى قرين حين يسمو * وفخر الملك ليس له قرين
أنخ بجنابه واحكم عليه * بما أملته وأنا الضمين

أخبرنى بعض علماء الادب ان بعض الشعراء امتدح فخر الملك بعد هذه القصيدة فاجازه اجازة لم يرضها فجاء الشاعر الى ابن نباتة وقال له أنت غررتنى وأنا امتدحته الا ثقة بضمانك فتعطينى ما يليق بمثل قصيدى فأعطاه من عنده شيأ رضى به فبلغ ذلك فخر الملك فسير لابن نباتة جملة مستكثرة لهذا السبب ويقرب من معنى هذين البيتين فى شدة الوثوق بالعطاء قول المتنبى

وثقنا بان تعطى فلو لم تجد لنا * لخلناك قد أعطيت من قوّة الوهم

ويحكى فى هذا المعنى أيضا ان بعض الشعراء مدح بعض الاكابر بقصيدة فلما اصبح كتب اليه

كم أعاجلك بالرقاع الى أن * عاجلتنى رقاع أهل الديون
علموا أننى بمدحك أمسيـ * ـت مليا فأصبحوا يرفعونى

ومن جملة مداحه مهيار بن مرزويه الكاتب الشاعر المشهور وسيأتى ذكره ان شاء الله تعالى وفيه يقول قصيدته الرائية التى منها أرى كبدى وقد بردت قليلا * أمات الهم أم عاش السرور
أم الايام خافتنى لانى * بفخر الملك منها أستجير

ومدائحه كثيرة ولاجله صنف أبو بكر محمد بن الحسن الحاسب الكرخى كتاب الفخرى فى الجبر والمقابلة وكتاب الكافى فى الحساب ورأيت فى بعض المجاميع أن رجلا شيخا رفع الى فخر الملك المذكور قصة سعى فيها بهلاك شخص فلما وقف فخر الملك عليها قلبها وكتب فى ظهرها السعاية قبيحة وان كانت صحيحة فان كنت أجريتها مجرى النصح فخسرانك فيها أكثر من الربح ومعاذ الله أن نقبل من مهتوك فى مستور ولولا أنك فى خفارة من شيبك لقابلناك بما يشبه مقالك ونردع به امثالك فاكتم هذا العيب واتق من يعلم الغيب والسلام وذكر أبو منصور الثعالبى فى كتاب يتيمة الدهر للاشرف بن فخر الملك قوله

مر بى الموكب لكننى * لم أر فيه قمر الموكب
قل لامير الجيش يا سيدى * ما لامير الحسن لم يركب

ومحاسن فخر الملك كثيرة ولم يزل فى عزه وجاهه وحرمته الى ان نقم عليه مخدومه سلطان الدولة المذكور بسبب اقتضى ذلك فحبسه ثم قتله بسفح جبل قريب من الاهواز يوم السبت وقيل يوم الثلاثاء لثلاث بقين

(ومنهم العارف بالله تعالى الشيخ مصلح الدين مصطفى الادرنوى الشهير بمركز خليفة)

كان رحمه الله تعالى من طلبة العلم اولا وكان يقرأ على المولى أحمد باشا ابن المولى خضر بك ثم مال الى الطريقة الصوفية واتصل الى خدمة العارف بالله الشيخ المعروف بسنبل سنان وحصل عنده الطريقة الصوفية وكان رحمه الله تعالى مقبول السمت مراعيا للشريعة حافظا للآداب المنسوبة الى الطريقة صارفا أوقاته للرياضة وكان طارحا للتكلف راضيا من العيش بالقليل وكان يعظ الناس ويذكرهم وكانت له معرفة بالتفسير سيما تفسير البيضاوى مات رحمه الله تعالى فى سنة تسع وخمسين وتسعمائة وقد جاوز التسعين روّح الله روحه ونوّر ضريحه

(ومنهم العارف بالله تعالى الشيخ سنان خليفة من خلفاء الشيخ سليمان خليفة)

قام مقامه بزاويته بمدينة قسطنطينية وكان رجلا امياً الا انه كان صاحب جذبات عظيمة وأحوال سنية وكان مشتغلا بنفسه ومنقطعا عن الناس وكان متواضعا متخشعا مراعيا للفقراء والمساكين توفى رحمه الله فى سنة ٣

٣ هكذا بياض بالاصل

من شهر ربيع الاول سنة سبع وأربعمائة ودفن هناك ولم يستقص فى دفنه فنبشت الكلاب قبره وأكلته ثم أعيد دفن رمته فشفع فيه بعض أصحابه فنقلت عظامه الى مشهد هناك فدفنت فيه فى سنة ثمان وأربعمائة وقال أبو عبد الله أحمد بن القادسى فى أخبار الوزراء وكان الوزير فخر الملك قد أهمل بعض الواجبات فعوقب سريعا وذلك ان بعض خواصه قتل رجلا ظلما فتصدت له زوجة المقتول تستغيث فلم يلتفت اليها فلقيته ليلة فى مشهد باب التبن وقد حضر للزيارة فقالت له يا فخر الملك القصص التى أرفعها اليك ولا تلتفت اليها صرت أرفعها الى الله وأنا منتظرة خروج التوقيع من جهته فلما قبض عليه قال لا شك ان توقيعها قد خرج واستدعى الى مضرب سلطان الدولة ثم قبض عليه وعدل به الى حركاه وقد أحيط على أمواله وخزائنه وكراعه وولده وأصحابه وقتل فى التاريخ المذكور أعلاه وأخذ من ماله ستمائة ألف دينار ونيف وثلاثين ألف دينار وقيل انه وجد له ألف ألف ومائتا ألف دينار منطبعة ورثاه الشريف الرضى بابيات ما اخترت منها شيأ حتى أثبته ههنا فسبحان اللطيف الخبير الفعال لما يريد ومولده بواسط يوم الخميس الثانى والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة أربع وخمسين وثلثمائة وقد استوفى هلال بن الصابى أخباره فى تاريخه والله تعالى أعلم

(ابو نصر محمد بن محمد بن جهير الملقب فخر الدولة مؤيد الدين الموصلى التغلبى)

كان ذا رأى وعقل وحزم وتدبير خرج من الموصل لامر يطول شرحه وصار ناظر الديوان بحلب ثم صرف عنه وانتقل الى آمد وأقام بها مدة بطالا ثم توصل الى أن وزر للامير نصر الدولة أحمد بن مروان الكردى صاحب ميافارقين وديار بكر وقد تقدم ذكر ذلك فى ترجمة نصر الدولة وكان نافذ الكلمة مطاع الامر ولم يزل على ذلك الى ان توفى نصر الدولة فى التاريخ المذكور فى ترجمته وقام بالامر ولده نظام الدين فأقبل عليه وزاد فى اكرامه فرتب أمور دولته وأجراها على الاوضاع التى كانت فى أيام أبيه ثم خطر له التوجه الى بغداد فعمد على ذلك وكان يكاتب الامام القائم بامر الله ولم يزل يتوصل ويبذل الاموال حتى خرج اليه نقيب النقباء ابن طراد الزينبى فقرر معه ما أراد تقريره ثم خرج لوداعه وعم الى بغداد وأرسل ابن مروان خلفه من يرده فلم يقدر عليه فلما بلغها تولى وزارة القائم بدلا من أبى الغنائم بن دارست فى سنة أربع وخمسين وأربعمائة ودام فيها الى أن توفى القائم وتولى ولد ولده المقتدى بامر الله فاقره على الوزارة مدة سنين ثم عزله عنها وعرفة الامير أبو الغنائم بن دارست باشارة الوزير نظام الملك وكان ولده عميد الدولة شرف الدين أبو منصور محمد ينوب عنه فيها فلما عزل والده خرج هو الى نظام الملك أبى الحسن وزير ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقى المقدم ذكره واسترضاه وأصلح حاله معه وعاد الى بغداد وتولى الوزارة مكان أبيه وخرج أبوه فخر الدولة فى سنة ست وسبعين الى جهة السلطان ملكشاه المذكور باستدعائه اياه فعقد له على ديار بكر وسار معه الامير ارتق بن اكسب صاحب حلوان المقدم ذكره فى جماعة من التركمان والاكراد والامراء فلما وصلوا الى ديار بكر فتح ولده أبو القاسم زعيم الرؤساء مدينة آمد بعد حصار شديد ثم فتح أبوه فخر الدولة ميافارقين بعد ثلاثة أشهر من فتح آمد وكان أخذها من ناصر الدولة أبى المظفر منصور بن نظام الدين واستولى على أموال بنى مروان وذلك فى سنة تسع وسبعين وأربعمائة ومن عجيب الاتفاق ان منجما حضر الى ابن مروان نصر الدولة وحكم له باشياء ثم قال له ويخرج على دولتك رجل قد احسنت اليه فيأخذ الملك من أولادك فافكر ساعة ثم رفع رأسه الى فخر الدولة وقال ان كان هذا القول صحيحا فهو هذا الشيخ ثم أقبل عليه وأوصاه على أولاده فكان الامر كما قال فانه وصل الى البلاد وكان فتحها على يديه كما ذكرناه والشرح فى ذلك يطول وكان رئيسا جليلا خرج من بيته جماعة من الوزراء والرؤساء ومدحهم أعيان الشعراء فمنهم أبو منصور على بن الحسن المعروف بصردر أنفذ الى فخر الدولة المذكور من واسط عند تقلده الوزارة قصيدة وهى من مشاهير القصائد وأولها

لجاجة قلب ما يفيق غرورها * وحاجة نفس ليس يقضى يسيرها
وقفنا صفوفا فى الديار كأنها * صحائف ملقاة ونحن سطورها
يقول خليلى والظباء سوانح * أهذا الذى تهوى فقلت نظيرها

وتسعمائة وكان شيخا هرما روّح الله روحه ونوّر ضريحه

(ومنهم العارف بالله تعالى الشيخ مصلح الدين مصطفى الشهير بكوندر مصلح الدين)

قرأ رحمه الله على علماء عصره ثم رغب فى التصوف واتصل بخدمة الشيخ العارف بالله تعالى تاج الدين من الطريقة الزينية ثم اتصل بعد وفاته بخدمة الشيخ العارف بالله محيى الدين القوجوى وأجازه للارشاد وجلس مكانه بمدينة قسطنطينية بعد وفاته وكان رحمه الله عالما عابدا زاهدا منقطعا عن الناس ولا يخرج من بيته الا ليصلى فى مسجده ولا يخرج من زاويته الا الى الجمعة وتوفى على العبادة والصلاح روّح الله روحه ونوّر ضريحه

(ومنهم العارف بالله تعالى الشيخ محيى الدين الازنيقى الامام بجامع السلطان سليم خان)

حصل طريقة التصوف عند العارف بالله تعالى الشيخ محيى الدين الاسكليبى ووصل الى مناه وحصل ما يتمناه وكان حافظا للقرآن المجيد وكان مبارك النفس مقبول الطريقة مرضى السيرة وكان عابدا زاهدا ورعا متشرعا تقيا نقيا متبتلا الى الله تعالى ونقل كثير من الناس عنه

لئن شابهت أجيادها وعيونها * لقد خالفت أعجازها وصدورها
فيا عجبا منها يصيد أنيسها * ويدنو على ذعر الينا نفورها
وما ذاك الا ان غزلان عامر * تيقن أن الزائرين صقورها
ألم يكفها ما قد جنته شموسها * على القلب حتى ساعدتها بدورها
نكصنا على الاعقاب خوف اناثها * فما بالها تدعو نزال ذكورها
ووالله ما أدرى غداة نظرننا * أتلك سهام أم كؤوس تديرها
فان كن من نبل فاين حفيفها * وان كن من خمر فاين سرورها
أيا صاحبى استأذنا لى خمارها * فقد أذنت لى فى الوصول خدورها
هباها تجافت عن خليل يروعها * فهل أنا الا كالخيال يزورها
وقد قلتما لى ليس فى الارض جنة * أما هذه فوق الركائب حورها
فلا تحسبا قلبى طليقا فانما * لها الصدر سجن وهو فيه أسيرها
يعز على الهيم الخوائض وردها * اذا كان ما بين الشفاه غديرها
أرائك الحى قل لى بأى وسيلة * توسلت حتى قبلتك ثغورها

ومن مديحها

أعدت الى جسم الوزارة روحها * وما كان يرجى بعثها ونشورها
أقامت زمانا عند غيرك طامثا * وهذا زمان قرؤها وطهورها
من الحق أن تحبى بها مستحقها * ويسترعها مأمونة مستعيرها
اذا ملك الحسناء من ليس كفؤها * أشار عليه بالطلاق مشيرها

وأنشده أيضا لما عاد الى الوزارة فى صفر سنة احدى وستين وأربعمائة بعد العزل وكان المقتدى بالله قد أعاده الى الوزارة بعد العزل وقبل الخروج الى السلطان ملكشاه فعمل فيه صردر هذه القصيدة

قد رجع الحق الى نصابه * وأنت من كل الورى أولى به
ما كنت الا السيف سلته يد * ثم أعادته الى قرابه
هزته حتى أبصرته صارما * رونقه يغنيه عن ضرابه
أكرم بها وزارة ما سلمت * ما استودعت الا الى أصحابه
مشوقة اليك مذ فارقتها * شوق أخى الشيب الى شبابه
مثلك محسود ولكن معجز * أن يدرك البارق فى سحابه
حاولها قوم ومن هذا الذى * يخرج ليثا خادرا من غابه
يدمى أبو الاشبال من زاحمه * فى جيشه بظفره ونابه
وهل رأيت أو سمعت لابسا * ما خلع الارقم من اهابه
تيقنوا الباز أوها ضيعة * ان ليس للجو سوى عقابه
ان الهلال يرتجى طلوعه * بعد السرار ليلة احتجابه
والشمس لا يؤنس من طلوعها * وان طواها الليل فى جنابه
ما أطيب الاوطان الا انها * للمرء أحلى اثر اغترابه
كم عودة دلت على مآبها * والخلد للانسان فى مآبه
لو قرب الدر على جالبه * ما لجج الغائص فى طلابه
ولو أقام لازما أصدافه * لم تكن التيجان فى حسابه
ما لؤلؤ البحر ولا مرجانه * الا وراء الهول من عبابه

وهى قصيدة طويلة اقتصرنا منها على هذا القدر وقد سبق فى ترجمة سابور بن أزدشير ثلاثة أبيات كتبها اليه أبو اسحق الصابى لما عاد الى الوزارة بعد العزل ولم يعمل فى هذا الباب مثلها ومن مدحه أيضا القائد أبو الرضاء الفضل بن منصور الظريف الفارقى وفيه عمل الابيات الحائية المشهورة وهى

يا قالة الشعر قد نصحت لكم * ولست أدهى الا من النصح
قد ذهب الدهر بالكرام وفى * ذاك أمور طويلة الشرح
وأنتم تمدحون بالحسن والظرف * وجوها فى غاية القبح
وتطلبون السماح من رجل * قد طبعت نفسه على الشح

الكرامات العلية قدس سره

(ومنهم العارف بالله تعالى الشيخ اسكندر دده بن عبد الله)

تربى هو أيضا عند الشيخ محيى الدين الاسكليبى وأكمل الطريق وأجازه بالارشاد وكان رجلا أميا أولا ثم تحصل ببركة التصوف على المعارف الذوقية بحيث تتحير فى معارفه العقول وكانت له قوة فى تربية المريدين نقل عنه بعض أصحابه أحوالا تتعلق بقوته للارشاد وليس هذا المقام مقام ذكره

(ومنهم العارف بالله تعالى محيى الدين محمد)

اتصل بخدمة الشيخ العارف بالله المعروف ٣ وأجازه للارشاد وتوطن ببلدة اشتب فى ولاية روم ايلى وكان رجلا عابدا صالحا متورعا منقطعا عن الناس الى الله تعالى فى زاويته مواظبا على الرياضات والمجاهدة ومشتغلا بتربية المريدين وتوفى بها بعد الاربعين وتسعمائة قدس سره

(ومنهم العارف بالله تعالى الشيخ ادريس)

كان من خلفاء الشيخ محيى الدين محمد الشهير بجلبى خليفة وتوطن بمدينة دمشق وكان صاحب

٣ قوله المعروف كذا بالاصل فليحرر

من أجل ذا تحرمون كدكم * لانكم تكذبون فى المدح * صونوا القوافى فما أرى أحدا
يعثر فيها الرجاء بالنجح * فان شككتم فيما أقول لكم * فكذبونى بواحد سمح
سوى الوزير الذى رياسته * تعرك أذن الزمان بالملح

وكانت ولادة فخر الدولة المذكور سنة ثمان وتسعين وثلثمائة بالموصل وتوفى بها فى شهر رجب وقيل فى المحرم سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة ودفن فى تل توبه وهو تل قبالة الموصل يفصل بينهما عرض الشط رحمه الله تعالى وكان قد عاد الى ديار ربيعة متوليا من جهة ملكشاه أيضا فى سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة فاول ما ملك نصيبين فى شهر رمضان من هذه السنة ثم ملك الموصل وسنجار والرحبة والخابور وديار ربيعة اجمع وخطب له على منابرها نيابة عن السلطان وأقام بالموصل الى ان توفى وأما ولده عميد الدولة المذكور فقد ذكره محمد بن عبد الملك الهمذانى فى تاريخه فقال انتشر عنه الوقار والهيبة والعفة وجودة الرأى وخدم ثلاثة من الخلفاء ووزر لاثنين منهم وكان عليه رسوم كثيرة وصلات جمة وكان نظام الملك يصفه دائما باوصاف عظيمة ويشاهده بعين الكافى الشهم ويأخذ برأيه فى أهم الامور ويقدمه على الكفاة والصدور ولم يكن يعاب بأشد من الكبر الزائد فان كلماته كانت محفوظة مع ضنه بها ومن كلمه بكلمة قامت عنده مقام بلوغ الامل فمن جملة ذلك ما قاله لولد الشيخ الامام أبى نصر بن الصباغ اشتغل وتادب والا كنت صباغا بغير أب انتهى كلام ابن الهمذانى وكان نظام الملك الوزير قد زوجه زبيدة ابنته وكان قد عزل من الوزارة ثم أعيد اليها بسبب المصاهرة وفى ذلك يقول الشريف ابو يعلى بن الهبارية المقدم ذكره

قل للوزير ولا تفزعك هيبته * وان تعاظم واستولى لمنصبه
لولا ابنة الشيخ ما استوزرت ثانية * فاشكر حرا صرت مولانا الوزير به

ووجدت بخط اسامة بن منقذ المقدم ذكره ان السابق بن أبى مهزول الشاعر المعرى قال دخلت العراق فوجدت ابن الهبارية فقال لى فى بعض الايام امض بنا نخدم الوزير ابن جهير وكان قد عزل ثم استوزر قال السابق فدخلت معه حتى وقفنا بين يدى الوزير فدفع اليه رقعة صغيرة فلما قرأها تغير وجهه ورأيت فيه الشر وخرجنا من مجلسه فقلت ما كان فى الرقعة فقال خيرا الساعة تضرب رقبتى ورقبتك فاشفقت وقلقت وقلت أنا رجل غريب صحبتك هذه الايام وسعيت فى هلاكى فقال كان ما كان فقصدنا باب الدار لنخرج فردنا البواب فقال أمرت بمنعكما فقال السابق أنا رجل غريب من أهل الشام ما يعرفنى الوزير وانما القصد هذا فقال البواب لا تطول فمالى الى خروجك من سبيل فايقنت بالهلاك فلما خف الناس من الدار خرج اليه غلام معه قرطاس فيه خمسون دينارا وقال قد شكرنا فانصرفنا ودفع لى عشرة دنانير منها فقلت ما كان فى الرقعة فانشدنى البيتين المذكورين فآليت أن لا أصحبه بعدها وله شعر ذكره فى الخريدة لكنه غير مرضى وذكره ابن السمعانى فى كتاب الذيل ومدحه خلق كثير من شعراء عصره وفيه يقول صردر المذكور قصيدته العينية التى أولها

قد بان عذرك والخليط مودع * وهوى النفوس مع الهوادج يرفع
لك حيثما سرت الركائب لفتة * أترى البدور بكل واد تطلع
فى الظاعنين من الحى ظبى له الـ * أحشاء مرعى والمآقى مكرع
ممنوع أطراف الجمال رقيبه * حذرا عليه من العيون البرقع
عهدى الحبائل صائدات شبيهه * فارتاع فهو لكل حبل يقطع
لم يدر حامى سربه أنى اذا * حرم الكلام له لسانى الاصبع
واذا الطيوف الى المضاجع أرسلت * بتحية منه فعينى تسمع

وهذه القصيدة طويلة وهى من غرر الشعر وقوله فيها

عهدى الحبائل صائدات شبيهه * فارتاع فهو لكل حبل يقطع

معرفة كثيرة وكان له زهد وتقوى وورع وكان متواضعا متخشعا عابدا زاهدا وكان الناس يحبونه محبة عظيمة روح الله روحه ونور ضريحه

(ومنهم العارف بالله تعالى الشيخ داود خليفة)

كان من خلفاء الشيخ ادريس المذكور وكان من طلبة العلم اولا ثم مال الى الطريقة الصوفية واتصل بخدمة الشيخ المزبور وكان عالما زاهدا عابدا الا انه كان يدعى انه يصاحب المهدى وان المهدى من جماعتهم ولم يصح ما ادعاه رحمه الله

(ومنهم العارف بالله تعالى الشيخ باباحيدر السمرقندى)

خدم فى صغره الشيخ العارف بالله تعالى خواجه عبيد الله السمرقندى ثم صحب اصحاب خواجه عبيد الله ثم دخل مكة وجاور بها مدة كبيرة ثم اتى بلاد الروم واحبه أهلها واعتقدوه اعتقادا عظيما وبنى له سلطاننا الاعظم مسجدا فى ظاهر مدينة قسطنطينية وتوطن بجوار مسجده وكان يواظب الاوقات الخمسة بالمسجد المزبور وتوفى هنالك فى سنة م وتسعمائة كان رحمه الله تعالى مواظبا على الطاعات ومتبتلا الى الله تعالى وكان

م هكذا بياض بالاصل

نظير قول ابن الجمارة الاندلسى عن النوم سل عينابه طال عهدها * وكان قليلا فى ليال قلائل
اذا طن وكرا مقلتى طائر الكرى * رأى هدبها فارتاع خوف الحبائل

ولا أدرى أيهما أخذ من الآخر لانى لم أقف على تاريخ وفاة ابن الجمارة حتى أعرف عصره ويجوز ان يكون ذلك بطريق التوارد على هذا المعنى من غير ان يأخذ أحدهما من الآخر وعزل عميد الدولة المذكور عن الوزارة وحبس وقيد فى شهر رمضان المعظم سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة وتوفى فى شوال من السنة واليه كتب أبو الكرم بن العلاف الشاعر قوله

ولولا مد أيحنا لم تبن * فعال المسىء من المحسن
فهبك احتجبت عن الناظرين * فهلا احتجبت عن الالسن

وتوفيت زوجته بنت نظام الملك المذكور فى شعبان سنة سبعين وأربعمائة وكان تزوجها فى سنة اثنتين وستين وأربعمائة وتوفى فى سنة ثلاث وتسعين فى حصن مقابل لتل بها ولصردر أيضا فى زعيم الرؤساء ابى القاسم بن فخر الدولة قصيدته القافية التى أولها

صبحها الدمع ومساها الارق * هل بين هذين بقاء للحدق

وهى بديعة مختارة مشهورة فلا حاجة الى التطويل فى الاتيان بها وتولى زعيم الرؤساء أبو القاسم بن فخر الدولة وزارة الامام المستظهر بالله فى شعبان من سنة ست وتسعين وأربعمائة ولقبه نظام الدين وجهير بفتح الجيم وكسر الهاء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء وقال السمعانى بضم الجيم وهو غلط يقال رجل جهير بين الجهارة أى ذو منظر ويقال أيضا جهير الصوت بمعنى جهورى الصوت والله تعالى أعلم

(ابو شجاع محمد بن الحسين بن محمد بن عبد الله بن ابراهيم الملقب ظهير الدين الروذراورى الاصل الاهوازى المولد)

قرأ الفقه على الشيخ أبى اسحق الشيرازى وقرأ الادب وولى الوزارة للامام المقتدى بامر الله بعد عزل عميد الدولة منصور بن جهير المذكور قبله فى ترجمة أبيه فخر الدولة وذلك فى سنة ست وسبعين وأربعمائة وعزل عنها يوم الخميس تاسع عشر صفر سنة أربع وثمانين وأربعمائة وأعيد عميد الدولة بن جهير ولما قرأ أبو شجاع التوقيع بعزله أنشد

تولاها وليس له عدو * وفارقها وليس له صديق

وخرج بعد عزله ماشيا يوم الجمعة الى الجامع من داره وانثالت عليه العامة تصافحه وتدعو له وكان ذلك سببا لالزامه بالقعود فى داره ثم خرج الى روذراور وهى موطنه قديما فأقام هنالك مدة ثم خرج الى الحج فى الموسم سنة سبع وثمانين وأربعمائة وخرجت العرب على الركب الذى هو فيه بقرب الربذة فلم يسلم من الرفقة سواه وجاور بعد الحج بمدينة النبى صلى الله عليه وسلم الى أن توفى فى النصف من جمادى الآخرة سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ودفن بالبقيع عند القبة التى فيها قبر ابراهيم عليه السلام ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت ولادته سنة سبع وثلاثين وأربعمائة رحمه الله تعالى قال العماد الكاتب فى الخريدة فى حقه وكان عصره أحسن العصور وزمانه أنضر الازمان ولم يكن فى الوزراء من يحفظ أمر الدين وقانون الشريعة مثله صعبا شديدا فى أمور الشرع سهلا فى أمور الدنيا لا يأخذه فى الله لومة لائم ثم قال ذكره ابن الهمذانى فى الذيل فقال كانت أيامه أوفى الايام سعادة للدولتين وأعظمها بركة على الرعية وأعمها أمنا وأشملها رخصا وأكملها صحة لم يغادرها بؤس ولم تشبها مخافة وقامت للخلافة فى نظره من الحشمة والاحترام ما أعادت سالف الايام وكان أحسن الناس خطا ولفظا وذكره الحافظ ابن السمعانى فى الذيل فقال كان يرجع الى فضل كامل وعقل وافر ورزانة ورأى صائب وكان له شعر رقيق مطبوع أدركته حرفة الادب وصرف عن الوزارة وكلف لزوم البيت فانتقل من بغداد الى جوار النبى صلى الله عليه وسلم وأقام بالمدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام الى حين وفاته وزرت قبره غير مرة عند قبر ابراهيم ابن نبينا صلى الله عليه وسلم بالبقيع ثم قال السمعانى بعد ذلك سمعت من أثق به يقول ان الوزير أبا شجاع وقت أن قرب أمره وحان ارتحاله من الدنيا حمل الى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم فوقف عند الحضرة وبكى وقال يا رسول الله قال الله سبحانه وتعالى ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما ولقد

لا يبالى باقوال الناس وحكى لى بعض من الصلحاء انه اعتكف معه فى العشر الاخير من شهر رمضان فى جامع أبى أيوب الانصارى عليه رحمة الملك البارى قال وكنت معه فى تلك الايام ولم يفطر فى تلك المدة الا بلوزتين فقط وكان رحمه الله متواضعا متخشعا يستوى عنده الصغير والكبير قدس سره

(ومنهم العارف بالله تعالى صفى الدين المتوطن ببلدة أماسيه الملقب عندهم بشيخ السراجين)

كان رحمه الله منتسبا الى طريقة الخلوتية وكان عابدا زاهدا عارفا بالله تعالى وراغبا فى الخلوة والعزلة وكان متأدبا متواضعا متخشعا وكان له قدم راسخ فى تعبير المنامات قدس سره

(ومنهم العارف بالله تعالى الشيخ محيى الدين محمد المنسوب الى قرية قريبة من أماسيه مسماة بقفلة)

كان رحمه الله تعالى أولا من طلبة العلم الشريف ثم رغب فى التصوف وتزوج بنت العالم العامل المولى بخشى واختار الخلوة والعزلة فى وطنه وصرف أوقاته فى العلم والعمل وغلب عليه الورع حتى كان ما يأكل الا من زراعة نفسه وواظب على العبادات والمجاهدات ثم توفى بعد الخمسين وتسعمائة قدس سره

جئتك معترفا بذنوبي و جرائمي أرجو شفاعتك و بكى ورجع وتوفى من يومه وله شعر حسن مجموع في ديوان فمن ذلك قوله

لاعذبن العين غير مفكر * فيها بكت بالدمع أو فاضت دما
ولاهجرن من الرقاد لذيذه * حتى يعود على الجفون محرما
هي أوقعتني في حبائل فتنة * لولم تكن نظرت لكنت مسلما
سفكت دمي فلأسفكن دموعها * وهي التي بدأت فكانت أظلما

وله أيضا

واني لابدي في هواك تجلدا * وفي القلب مني لوعة وغليل
فلا تحسبن أني سلوت فربما * ترى صحة بالمرء وهو عليل

وله أيضا

أيذهب جل العمر بيني وبينكم * بغير لقاء ان ذا لشديد
فان سمح الدهر الخؤون بوصلكم * على فاقتي اني اذا لسعيد

وعمل ذيلا على كتاب تجارب الامم تأليف أبي علي أحمد بن محمد المعروف بمسكويه وهو التاريخ المشهور بأيدي الناس وقال محمد بن عبد الملك الهمذاني في تاريخه وظهر منه من التثبت في الدين واظهاره واعزاز أهله والرأفة بهم والاخذ على أيدي الظلمة ما أذكر به عدل العادلين وكان لا يخرج من بيته حتى يكتب شيأ من القرآن العظيم و يقرأ من القرآن في المصحف ما تيسر وكان يؤدي زكاة أمواله الظاهرة في سائر أملاكه وضياعه واقطاعه و يتصدق سرا وعرضت عليه رقعة فيها ان الدار الفلانية بدرب القبار فيها امرأة معها أربعة أيتام وهم عراة جياع فاستدعى صاحبا له وقال له اكسهم واشبعهم وخلع ثيابه وحلف لا لبستها ولا دفئت حتى تعود الي وتخبرني انك كسوتهم وأشبعتهم ولم يزل يرعد الى أن جاء صاحبه وأخبره بذلك وكانت له مبار كثيرة والروذراوري بضم الراء وسكون الواو والذال المعجمة وفتح الراء والواو بينهما ألف في آخرها راء أخرى هذه النسبة الى روذراور وهي بليدة بنواحي همذان والله تعالى أعلم

(ابو نصر محمد بن منصور بن محمد الملقب عميد الملك الكندري)

كان من رجال الدهر جودا وسخاء وكتابة وشهامة واستوزره السلطان طغرلبك السلجوقي المقدم ذكره ونال عنده الرتبة العالية والمنزلة الجليلة ولم يكن لاحد من أصحابه معه كلام وهو أول وزير كان لهذه الدولة ولم تكن له منقبة الا صحبة امام الحرمين أبي المعالي عبد الملك ابن الشيخ أبي محمد الجويني الفقيه الشافعي صاحب نهاية المطلب على ماذكره السمعاني في ترجمة أبي المعالي في كتاب الذيل فانه قال بعد الاطناب في وصف امام الحرمين وذكر تنقله في البلاد ثم قال وخرج الى بغداد وصحب العميد الكندري أبا نصر مدة يطوف معه و يلتقي في حضرته بالاكابر من العلماء و يناظرهم وتحنك بهم حتى تهذب في النظر وشاع ذكره وذكره شيخنا ابن الاثير في تاريخه في سنة ست وخمسين وأربعمائة وقال ان الوزير المذكور كان شديد التعصب على الشافعية كثير الوقيعة في الشافعي رضي الله عنه بلغ من تعصبه انه خاطب السلطان ألب أرسلان السلجوقي في لعن الرافضة على منابر خراسان فاذن في ذلك فلعنهم وأضاف اليهم الاشعرية فانف من ذلك أئمة خراسان منهم أبو القاسم القشيري وامام الحرمين الجويني وغيرهما ففارقوا خراسان وأقام امام الحرمين بمكة شرفها الله تعالى اربع سنين يدرس و يفتي فلهذا قيل له امام الحرمين فلما جاءت الدولة النظامية أحضر من انتزح منهم وأكرمهم وأحسن اليهم وقيل انه تاب عن الوقيعة في الشافعي فان صح فقد أفلح وكان ممدوحا مقصدا للشعراء مدحه جماعة من أكابر شعراء عصره منهم أبو الحسن عبد الملك علي بن الحسن الباخرزي المقدم ذكره والرئيس أبو منصور علي بن الحسن بن الفضل الكاتب المشهور بصردر المقدم ذكره أيضا وفيه يقول قصيدته النونية وهي

أكذا يجازى ود كل قرين * أم هذه شيم الظباء العين
قصوا علي حديث من قتل الهوى * ان التأسي روح كل حزين
ولئن كتمتم مشفقين لقد دري * بمصارع العذري والمجنون
فوق الركاب ولا أطيل مشبها * بل ثم شهوة أنفس وعيون
هزأت قدودهم وقالت للصبا * هزؤا أعند البان مثل غصون
و وراء ذياك المقبل مورد * حصباؤه من لؤلؤ مكنون

اما

اما بيوت النحل بين شفاههم * منظومة أو حانة الزرجون
ترمي بعينيك الفجاج مقلبا * ذات الشمال بها وذات يمين
لو كنت زرقاء اليمامة ما رأت * من بارق حيا على جيرون
شكواك من ليل التمام وانما * أرق بليل ذوائب وقرون
ومعنفي في الوجد قلت له اتئد * فالدمع دمعي والحنين حنيني
ما نافعي اذ كان ليس بنافع * جاه الصبا وشفاعة العشرين
لا تطرقن خجلا لومة لائم * ما أنت أول حازم مفتون
أأسومهم وهم الاجانب طاعة * وهواي بين جوانحي يعصيني
ديني على ظبيانهم ما يقتضي * فبأي حكم يقتضون ديوني
وخشيت من قلبي الفرار اليهم * حتى لقد طالبته بضمين
كل النكال أطيق الا ذلة * ان العزيز عذابه بالهون
يا عين مثل قذاك رؤية معشر * عاروا على دنياهم بالدين
لم يشبهوا الانسان الا أنهم * متكونون من الحما المسنون
نجس العيون فان رأتهم مقلتي * طهرتها فنزحت ماء عيوني
أأنا ان هم حسبوا الذخائر دونهم * وهم اذا عدوا الفضائل دوني
لا تشمت الحساد ان مطامعي * عادت الي بصفقة المغبون
ما يستدير البدر الا بعدما * أبصرته كالضمر في العرجون
هذا الطريق اللحب زاجر ناقتي * واليم قاذف فلكي المشحون
فاذا عميد الملك خلى ربعه * ظفرا بفال الطائر الميمون
ملك اذا ما العزل حث جياده * مرحت بأزهى شامخ العرنين
ما عز ما أبصرت نور جبينه * الا اقتضاني بالسجود جبيني
يجلوا لنواظر في نواحي دسته * والسرج بدر دجى وليث عرين
عمت فضائله البرية فالتقى * شكر الغني ودعوة المسكين
قالوا وقد شنوا عليه غارة * أصلات جود أم قضاء ديون
لو كان في الزمن القديم تظلمت * منه الكنوز الى يدي قارون
أما خزائن ماله فباحة * فاستوهبوا من علمه المخزون
ما الرزق محتاجا بعرصته الى * طلب وليس الاجر بالممنون
أقسمت أن ألقى المكارم عالما * اني برؤيته أبر يميني
ساس الامور فليس يخلى رغبة * من رهبة و بسالة من لين
كالسيف رونق أثره في متنه * ومضاؤه في حده المسنون
شهدت علاه ان عنصر ذاته * مسك وعنصر غيره من طين

وكان انشاده اياه هذه القصيدة عند وصول عميد الملك الى العراق وهو في دست وزارته وعلو منصبه وهذه القصيدة من الشعر المختار الفائق وقد أثبتها بكمالها ما خلا ثلاثة أبيات فانها لم تعجبني فاهملتها وقد وازن هذه القصيدة جماعة من الشعراء منهم ابن التعاويذي المقدم ذكره وازنها بقصيدته التي أولها

ان كان دينك في الصبابة ديني * فقف المطي برملتي يبرين

وهي من القصائد النادرة وأرسلها من العراق الى الشام ممتدحا بها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادي رحمه الله تعالى ولولا خوف الاطالة لأثبتها ثم ذكرتها في ترجمة صلاح الدين يوسف فتطلب هنالك ووازنها أيضا ابن المعلم المقدم ذكره بقصيدته التي أولها

ماوقفة الحادي على يبرين * وهو الخلي من الظباء العين

وهي أيضا قصيدة جيدة وقد ذكرت بعضها في ترجمته وقد وازنها الابله أيضا و بالجملة فما قاربها الا ابن التعاويذي وقد خرجنا عن المقصود وقد انتشر الكلام فلم يكن بد من استيفائه ولم يزل عميد الملك في دولة طغرلبك عظيم الجاه والحرمة الى أن توفي طغرلبك في التاريخ المذكور في ترجمته وقام في المملكة ابن أخيه ألب أرسلان المقدم ذكره فاقره على حاله وزاد في اكرامه ورتبته ثم انه سيره الى خوارزم شاه ليخطب له ابنته فارجف أعداؤه انه خطبها لنفسه وشاع ذلك بين الناس فبلغ عميد الملك الخبر فخاف تغير قلب مخدومه عليه فعمد الى لحيته فحلقها والى مذاكيره فجبها فكان ذلك سبب سلامته من ألب أرسلان وقيل ان السلطان خصاه فلما عمل ذلك عمل أبو الحسن الباخرزي المذكور

قالوا محا السلطان عنهم بعد كم * سمة الفحول وكان قرما صائلا

(ومنهم العارف بالله تعالى الشيخ عبد الغفار)

كان أصله من ولاية مدرني وكان والده الشيخ العارف بالله تعالى محمد شاه ابن الشيخ أحمد منتسبا الى طريقة الزينية وتوفي والده وهو شاب ورغب هو في تحصيل العلم قرأ على علماء عصره منهم المولى عبد الرحيم بن علاء الدين العربي والمولى الفاضل سيدي محمد القوجوي والعالم الفاضل المولى سيدي محمد القراماني وكان في عصر شبابه تابعا لهوى نفسه ورأى ليلة في منامه بمدينة ادرنه ان والده قد ضربه ضربا شديدا وو بخه على ما فعله من الافعال القبيحة ولما أصبح ذهب الى الشيخ رمضان المتوطن بمدينة ادرنه واناب الى الله تعالى وتاب على يده وأدخله الخلوة وارتاض و جاهد مجاهدة عظيمة ونال ما نال من الكرامات العلية والمقامات السنية حتى أجازله شيخه بالارشاد ثم رجع الى وطنه وأقام هنالك مدة عمره وشاهدت منه مجاهدة عظيمة بحيث لا يقدر عليه كثير من الناس وكان مواظبا على الطاعات والعبادات وكان يدرس ويعظ الناس ويذكرهم وكانت له مشاركة في العلوم كلها وكان يكتب الخط الحسن المليح وكانت له معرفة بالنظم والنثر بالعربية والفارسية والتركية وكانت له منشآت واشعار في غاية الحسن وكان لذيذ الصحبة وكان وسيما بسيما سخيا وفيا و بالجملة كان من محاسن الايام توفي رحمه الله تعالى في سنة أربع وثلاثين وتسعمائة قدس الله سره العزيز

(ومنهم العالم الفاضل المولى اسحق)

كان رحمه الله في أول عمره طبيبا نصرانيا وكان يعرف علم الحكمة معرفة تامة وقرأ على المولى لطفي التوقاتي المنطق والعلوم الحكمية و باحث معه فيها ثم انجر كلامهم الى البحث في العلوم الاسلامية وقرر عنده ادلة حقية الاسلام حتى اعترف هو بها وأسلم ثم ترك الطب والحكمة واشتغل بتصانيف الامام الغزالي وبتصنيف الامام فخر الاسلام البزدوي وداوم على العمل بالكتاب والسنة وصنف شرحا على الفقه الاكبر المنسوب الى الامام الاعظم أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه وغير ذلك من الرسائل الا انه أنكر طريقة التصوف لانه لم يصل الى أذواقهم وسمعت من بعض أصحابه انه رجع عن انكارهم في آخر عمره رحمه الله تعالى

(ومنهم العالم الكامل الشيخ أحمد جلبي الانقروي)

قلت اسكتوا فالآن زاد فوله * لما اغتدى من أنثيه عاطلا
فالفحل يأنف أن يسمى بعضه * أنثى لذلك جذه مستأصلا

وهذا من المعاني الغريبة البديعة ثم ان ألب أرسلان عزله من الوزارة في المحرم من سنة ست وخمسين وأربعمائة لسبب يطول شرحه وفوض الوزارة الى نظام الملك أبي علي الحسن بن علي بن اسحق الطوسي المقدم ذكره وحبس عميد الملك بنيسابور في دار عميد خراسان ثم نقله الى مرو الروذ وحبسه في دار فكان في حجرة تلك الدار عياله وكانت له بنت واحدة لا غير فلما أحس بالقتل دخل الحجرة وأخرج كفنه وودع عياله وأغلق باب الحجرة واغتسل وصلى ركعتين وأعطى الذي هم بقتله مائة دينار نيسابورية وقال حق عليك أن تكفنني في هذا الثوب الذي غسلته بماء زمزم وقال لجلاده قل للوزير نظام الملك بئس ما فعلت علمت الاتراك قتل الوزراء وأصحاب الديوان ومن حفر مهواة وقع فيها ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة ورضي بقضاء الله المحتوم وقتل يوم الاحد سادس عشر ذي الحجة سنة ست وخمسين وأربعمائة وعمره يومئذ نيف وأربعون سنة فعمل في ذلك الباخرزي الشاعر المذكور مخاطبا للسلطان ألب أرسلان قوله

وعمك أدناه وأعلى محله * وبوأه من ملكه كنفا رحبا
قضى كل مولى منكما حق عبده * فخوله الدنيا وخوله العقبى

ومن العجائب انه دفنت مذاكيره بخوارزم وأريق دمه بمرو الروذ ودفن جسده بقرية كندر وجمجمته ودماغه بنيسابور وحشيت سوأته بالتبن ونقلت الى كرمان وكان نظام الملك هناك ودفنت ثم وفي ذلك عبرة لمن اعتبر رحمه الله تعالى بعد ان كان رئيس عصره والكندري بضم الكاف وسكون النون وضم الدال المهملة وبعدها راء هذه النسبة الى كندر وهي قرية من قرى طريثيث بضم الطاء المهملة وفتح الراء وسكون الياء المثناة من تحتها وكسر الثاء المثلثة وسكون الياء المثناة من تحتها أيضا وبعدها ثاء مثلثة وهي كورة من نواحي نيسابور خرج منها جماعة من العلماء وغيرهم والله تعالى أعلم بالصواب

(أبو جعفر محمد بن علي بن أبي منصور الملقب جمال الدين المعروف بالجواد الاصفهاني وزير صاحب الموصل)

كان جده أبو منصور فهادا للسلطان ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي الآتي ذكره ان شاء الله تعالى فتأدب ولده وسمت همته فاشتهر أمره وخدم في مناصب علية وصاهر الاكابر فلما ولد له جمال الدين المذكور عني بتأديبه وتهذيبه ثم ترتب في ديوان العرض للسلطان محمود بن محمد بن ملكشاه الآتي ذكره ان شاء الله تعالى فظهرت كفايته وحمدت طريقته فلما تولى اتابك زنكي بن آق سنقر المقدم ذكره الموصل وما والاها استخدم جمال الدين المذكور وقربه واستصحبه معه الى الهاف ولاه نصيبين فظهرت كفايته واضاف اليه الرحبة فابان عن كفاية وعفة وكان من خواصه وأكبر ندمائه فجعله مشرف مملكته كلها وحكمه تحكيما لا مزيد عليه وكان الوزير يومئذ ضياء الدين أبو سعيد بهرام بن الخضر الكفرتوثي استوزره اتابك زنكي في سنة ثمان وعشرين وخمسمائة وتوفي خامس شعبان سنة ست وثلاثين وخمسمائة وهو على وزارته وتولى الوزارة بعده أبو الرضى بن صدقة وجمال الدين المذكور على وظائفه وكان جمال الدين دمث الاخلاق حسن المحاضرة مقبول المفاكهة خفف على اتابك زنكي المذكور وأعجبه حديثه ومحاورته وجعله من ندمائه وعول عليه في آخر مدته في أشراف ديوانه وزاد ماله ولم يظهر منه في أيام اتابك زنكي كرم ولا جود ولا تظاهر بجود فلما قتل اتابك على قلعة جعبر كما تقدم في ترجمته أراد بعض العسكر قتل الوزير المذكور ونهب ماله فتعرضوا له ورموا خيمته بالنشاب فحماه جماعة من الامراء وتوجه بالعسكر الى الموصل فأقره سيف الدين غازي بن اتابك زنكي المقدم ذكره على وزارته وفوض الامور وتدبير أحوال الدولة اليه والى زين الدين علي بن بكتكين والد مظفر الدين صاحب اربل وقد تقدم طرف من خبره في ترجمة ولده في حرف الكاف فظهر حينئذ جود الوزير المذكور وانبسطت يده ولم يزل يعطي ويبذل الاموال ويبالغ

كان رحمه الله تعالى مشتغلا بالعلم أولا ثم رغب في التصوف وانتسب الى الطريقة الخلوتية ثم تقاعد في وطنه واشتغل بالوعظ والتذكير وكان لوعظه تأثير عظيم في النفوس بحيث لم أر احدا سمع كلامه ووعظه الا وقد انجذب اليه كل الانجذاب واحله في خلده محل روحه وكان في شبابه يدور البلاد ويعظ الناس ويذكرهم ولما بلغ سن الشيخوخة أقام في بلده انقره الى ان توفي بعد الخمسين وتسعمائة روح الله تعالى روحه ونور ضريحه

(ومنهم العالم الشريف عبد المطلب ابن السيد مرتضى)

أتى والده من بلاد العجم وكان رجلا شريفا صحيح النسب صاحب المعرفة كاتبا جيدا مشتهرا بحسن الخط وكتب مصاحف شريفة ورغب السلاطين فيها بحسن كتابتها واتقانها وصار نقيب الاشراف في بلاد الروم وبقي ولده المذكور وهو في سن الشباب ورغب في تحصيل العلم وكان يكتب الخط الحسن وكانت له معرفة بالعربية والفارسية وكان قادرا على الانشاء بالعربية والفارسية وكان ينظم الاشعار العربية والفارسية والتركية ثم رغب في التصوف وصحب الشيخ ابن الوفا عمدة قدس الله سره

في

في الانفاق حتى عرف بالجواد وصار ذلك كالعلم عليه حتى لا يقال له الا جمال الدين الجواد ومدحه جماعة من الشعراء من جملتهم محمد بن نصر القيسراني الشاعر المقدم ذكره فانه قصده بقصيدته المشهورة التي أولها

سقى الله بالزوراء من جانب الغربي * مها وردت عين الحياة من القلب

وأثر آثارا جميلة وأجرى الماء الى عرفات ايام الموسم من مكان بعيد وعمل الدرج من أسفل الجبل الى أعلاه وبنى سور مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وما كان خرب من مسجده وكان يحمل في كل سنة الى مكة شرفها الله تعالى والمدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام من الاموال والكسوات للفقراء والمنقطعين ما يقوم بهم مدة سنة كاملة وكان له ديوان مرتب باسم أرباب الرسوم والقصاد لا غير ولقد تنوع في فعل الخير حتى جاء في زمنه بالموصل غلاء مفرط فواسى الناس حتى لم يبق له شيأ وكان اقطاعه عشر مغل البلاد على جاري عادة وزراء الدولة السلجوقية فأخبر بعض وكلائه انه دخل عليه يوما فناوله بقياره وقال له بع هذا واصرف ثمنه الى المحاويج فقال له الوكيل انه لم يبق عندك سوى هذا البقيار والذي على رأسك واذا بعت هذا ربما تحتاج الى تغيير البقيار فلا تجد ما تلبسه فقال له ان هذا الوقت صعب كما ترى وربما لا أجد وقتا أصنع فيه الخير كهذا الوقت وأما البقيار فاني أجد عوضه كثيرا فخرج الوكيل وباع البقيار وتصدق بثمنه وله من هذه النوادر أشياء كثيرة وأقام على هذه الحالة الى أن توفي مخدومه غازي في التاريخ المذكور في ترجمته وقام بالامر من بعده أخوه قطب الدين مودود وسيأتي ذكره ان شاء الله تعالى فاستولى عليه مدة ثم انه استكثر اقطاعه وثقل عليه أمره فقبض عليه في شهر رجب الفرد سنة ثمان وخمسين وخمسمائة وفي أخبار زين الدين صاحب اربل طرف من خبر قبضه وحبسه في قلعة الموصل ولم يزل مسجونا بها الى ان توفي في العشر الاخير من شهر رمضان المعظم وقيل شعبان سنة تسع وخمسين وخمسمائة وصلى عليه وكان يوما مشهودا من ضجيج الضعفاء والارامل والايتام حول جنازته ودفن بالموصل الى بعض سنة ستين ثم نقل الى مكة حرسها الله تعالى وطيف به حول الكعبة وكان بعد ان صعدوا به ليلة الوقفة الى جبل عرفات وكانوا يطوفون به كل يوم مرارا مدة مقامهم بمكة شرفها الله تعالى وكان يوم دخوله مكة يوما مشهودا من اجتماع الخلق والبكاء عليه ويقال انه لم يعهد عندهم مثل ذلك اليوم وكان معه شخص مرتب يذكر محاسنه ويعدد مآثره اذا وصلوا به الى المزارات والمواضع المعظمة فلما أتوا به الى الكعبة وقف وأنشد

يا كعبة الاسلام هذا الذي * جاءك يسعى كعبة الجود
قصدت في العام وهذا الذي * لم يخل يوما غير مقصود

ثم حمل الى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ودفن فيها بالبقيع بعد ان دخل المدينة وطيف به حول حجرة الرسول صلى الله عليه وسلم مرارا وانشد الشخص الذي كان مرتبا معه فقال

سرى نعشه فوق الرقاب وطالما * سرى جوده فوق الركاب ونائله
يمر على الوادي فتثني رماله * عليه وبالنادي فتبكي اراملة

قلت وهذان البيتان من جملة القصيدة المذكورة في ترجمة المقلد بن نصر بن منقذ الشيزري وسيأتي ذكره ان شاء الله تعالى رحمه الله تعالى وكان ولده أبو الحسن علي الملقب جلال الدين من الادباء الفضلاء البلغاء الكرماء رأيت له ديوان رسائل أجاد فيه وجمعه مجد الدين أبو السعادات المبارك المعروف بابن الاثير الجزري صاحب جامع الاصول وقد تقدم ذكره وسماه كتاب الجواهر واللآلي من املاء المولوي الوزيري الجلالي وكان مجد الدين المذكور في أول أمره كاتبا بين يديه على رسائله وانشائه عليه وهو كاتب يده وقد أشار مجد الدين الى ذلك في أول هذا الكتاب وبالغ في وصف جلال الدين المذكور وتقريضه وفضله على كل من تقدم من الفصحاء وذكر انه كان بينه وبين حيص بيص الشاعر المقدم ذكره مكاتبات ولولا خوف الاطالة لذكرت بعض رسائله وفي جملة ما ذكره ان حيص بيص كتب اليه على يد رجل عليه دين رسالة مختصرة فأتيت بها لقصرها وهي الكرم غابر والذكر سائر والعون على الخطوب أكرم ناصر واغاثة الملهوف من أعظم الذخائر

ولما توفي هو صحب الشيخ يحيى الطوزلوي ودخل عنده الخلوة وأجازله بالارشاد وزوجه بنته الا انه لم يباشر الارشاد وما اختار العزلة والخلوة وآثر الاختلاط مع الناس وكان لذيذ الصحبة حسن النادرة وكان يصدر عنه في اثناء الصحبة نوادر غريبة ومعارف واشعار ما يميل اليه الطباع بالضرورة وتوفي رحمه الله تعالى بمدينة بروسه في سنة خمسين وتسعمائة روح الله تعالى روحه ونور ضريحه

(ومنهم العارف بالله تعالى الشيخ عبد المؤمن)

من طريقة السيد علي بن ميمون المغربي صاحب معه مدة ثم صحب مع بعض من خلفائه المشهور بابن الصوفي ثم انقطع في مدينة بروسه واشتغل بالوعظ والتذكير فافترق الناس في حقه فرقتين منهم من يمدحه ومنهم من يذمه وشهد بعض من اتقياء العلماء بصحة طريقته وحسن سيرته فاعتقدته بالخير بشهادته وان المفترين عليه كذبوا عليه لغرض من الاغراض الدنيوية روح الله تعالى روحه ونور ضريحه

(ومنهم العارف بالله تعالى الشيخ شجاع الدين الياس من الطريقة الخلوتية)

انتسب وهو صغير الى

والسلام وكان جلال الدين المذكور وزير سيف الدين غازى بن قطب الدين وقد تقدم ذكره أيضا فى حرف العين وتوفى جلال الدين المذكور سنة أربع وسبعين وخمسمائة بمدينة دنيسر وحمل الى الموصل ثم نقل الى المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ودفن فى تربة والده رحمهما الله تعالى ودنيسر بضم الدال المهملة وفتح النون وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح السين المهملة وبعدها راء وهى مدينة بالجزيرة الفراتية بين نصيبين ورأس عين تطرقها التجار من جميع الجهات وهى مجمع الطرقات ولهذا قيل لها دنيسر وهى لفظ مركب عجمى وأصله دنيا سر ومعناه رأس الدنيا وعادة العجم فى الاسماء المضافة أن يؤخر المضاف عن المضاف اليه وسر بالعجمى رأس والكفرتوثى الوزير المذكور بفتح الكاف وسكون الفاء وفتح الراء وضم التاء المثناة من فوقها وسكون الواو وبعدها ثاء مثلثة هذه النسبة الى كفرتوثا وهى قرية من أعمال الجزيرة الفراتية بين رأس عين ودارا والله أعلم

(ابو عبد الله محمد بن صفى الدين أبى الفرج محمد بن نفيس الدين أبى الرجا حامد بن محمد بن عبد الله بن على بن محمود بن هبة الله المعروف بأله الملقب عماد الدين الكاتب الاصبهانى المعروف بابن أخى العزيز)

وقد تقدم ذكر عمه العزيز فى حرف الهمزة كان العماد المذكور فقيها شافعى المذهب تفقه بالمدرسة النظامية زمانا وأتقن الخلاف وفنون الادب وله من الشعر والرسائل ما يغنى عن الاطالة فى شرحه وكان قد نشأ باصبهان وقدم بغداد فى حداثته وتفقه على الشيخ أبى منصور سعيد بن محمد بن الرزاز مدرس النظامية وسمع بها الحديث من أبى الحسن على بن هبة الله بن عبد السلام وأبى منصور محمد بن عبد الملك بن جيرون وأبى المكارم المبارك بن على السمرقندى وأبى بكر أحمد بن على بن الاشقر وغيرهم وأقام بها مدة ولما تخرج ومهر تعلق بالوزير عون الدين يحيى بن هبيرة ببغداد فولاه النظر بالبصرة ثم بواسط ولم يزل ماشى الحال مدة حياته فلما توفى فى التاريخ الآتى ذكره فى ترجمته ان شاء الله تعالى تشتت شمل اتباعه والمنتسبين اليه ونال المكروه بعضهم وأقام العماد مدة فى عيش منكد وجفن مسهد ثم انتقل الى مدينة دمشق فوصلها فى شعبان سنة اثنتين وستين وخمسمائة وسلطانها يومئذ الملك العادل نور الدين أبو القاسم محمود بن اتابك زنكى الآتى ذكره ان شاء الله تعالى وحاكمها ومتولى أمورها وتدبير دولتها القاضى كمال الدين أبو الفضل محمد بن الشهرزورى المقدم ذكره فتعرف به وحضر مجالسه وذكر لديه مسئلة فى الخلاف وعرفه الامير الكبير نجم الدين أبو الشكر أيوب والد السلطان صلاح الدين رحمهما الله تعالى وكان يعرف عمه العزيز من قلعة تكريت فأحسن اليه وأكرمه وميزه عن الاعيان والاماثل وعرفه السلطان صلاح الدين من جهة والده ومدحه فى ذلك الوقت بدمشق المحروسة وذكر العماد ذلك فى كتابه البرق الشامى وأورد القصيدة التى مدحه بها يومئذ ثم ان القاضى كمال الدين نوه بذكره عند السلطان نور الدين وعدد عليه فضائله وأهله لكتابة الانشاء قال العماد فبقيت متحيرا فى الدخول فيما ليس من شانى ولا وظيفتى ولا تقدمت لى به دراية ولقد كانت موادهذه الصناعة عتيدة عنده لكنه لم يكن قد مارسها فجبن عنها فى الابتداء فلما باشرها هانت عليه واجاد فيها وأتى فيها بالغرائب وكان ينشئ الرسائل باللغة العجمية أيضا وحصل بينه وبين صلاح الدين فى تلك المدة مودة أكيدة وامتزاج تام وعلت منزلته عند نور الدين وصار صاحب سره وسيره الى دار السلام بغداد رسولا فى أيام الامام المستنجد ولما عاد فوض اليه تدريس المدرسة المعروفة به فى دمشق أعنى بالعماد وذلك فى شهر رجب سنة سبع وستين وخمسمائة ثم رتبه فى اشراف الديوان فى سنة ثمان وستين ولم يزل مستقيم الحال رخى البال الى أن توفى نور الدين فى التاريخ الآتى ذكره ان شاء الله تعالى وقام ولده الملك الصالح اسمعيل مقامه وكان صغيرا فاستولى عليه جماعة كانوا يكرهون العماد فضايقوه وأخافوه الى أن ترك جميع ما هو فيه وسافر قاصدا بغداد فوصل الى الموصل ومرض بها مرضا شديدا ثم بلغه خروج السلطان صلاح الدين من الديار المصرية لاخذ دمشق فانثنى عزمه عن قصد العراق وعزم على العود الى الشام وخرج من الموصل رابع

الطريقة الخلوتية وجاهد مجاهدة عظيمة حتى انه انقطع عن الناس فى موضع مبنى وسط البحر تجاه قسطنطينية مقدار ثلاث سنين ولما مرض شيخه أمر المريدين بالتوجه الى الله تعالى ليحصل لهم الاشارة الى من يقوم مقام الشيخ فاشير للكل الى الشجاع المذكور فأقاموه مقامه وكان رحمه الله رجلا أميا الا انه كان يعرف أحوال الطريقة وأحوال أسماء الله تعالى وأصولها وفروعها التى هى مبنى طريقته وكان يغلب عليه الجذبة فى أكثر الاحوال ولذلك كانت تضطرب أقواله وأفعاله ولذلك لقبه الناس بالمجنون وأشير الى موته قبل شهر من وفاته فودع أصحابه وأحبابه وأظهر اشتياقه الى لقاء الله تعالى الى ان توفى رحمه الله فى سنة ست وخمسين وتسعمائة قدس سره

(ومنهم العارف بالله تعالى الشيخ أحمد ابن الشيخ مركز خليفة)

قرأ رحمه الله على علماء عصره وعلى والده العربية والتفسير والحديث وفاق فى العلم ثم رغب فى التصوف وحصل طريقة الصوفية واشتغل بالوعظ والتذكير وانتفع به كثير من الناس وله رسائل صنفها فى بعض المسائل توفى رحمه الله تعالى فى سنة ثلاث وستين

جمادى الاولى سنة سبعين وخمسمائة وسلك طريق البرية فوصل الى دمشق فى ثامن جمادى الآخرة وصلاح الدين يومئذ نازل على حلب ثم قصد خدمته وقد تسلم قلعة حمص فى شعبان من السنة فحضر بين يديه وأنشده قصيدة أطال نفسه فيها ثم لزم الباب ينزل انزول السلطان ويرحل لرحيله فاستمر على عطلته مدة مديدة وهو يغشى مجالس السلطان وينشده فى كل وقت مدائح ويعرض بصحبته القديمة ولم يزل على ذلك حتى نظمه فى سلك جماعته واستكتبه واعتمد اليه وقرب منه فصار من جملة الصدور المعدودين والاماثل المشهورين يضاهى الوزراء ويجرى فى مضمارهم وكان القاضى الفاضل فى أكثر أوقاته ينقطع عن خدمة السلطان ويتوفر على مصالح الديار المصرية والعماد ملازم للباب بالشام وغيره وهو صاحب السر المكتوم وصنف التصانيف الفائقة من ذلك كتاب خريدة القصر وجريدة العصر جعله ذيلا على زينة دمية الدهر تأليف أبى المعالى سعد بن على الوراق الحظيرى والحظيرى جعل كتابه ذيلا على دمية القصر وعصرة أهل العصر للباخرزى والباخرزى جعل كتابه ذيلا على يتيمة الدهر للثعالبى وقد تقدم ذكر هؤلاء الثلاثة المؤلفين والثعالبى جعل كتابه ذيلا على كتاب البارع لهرون بن على المنجم وسيأتى ذكره ان شاء الله تعالى وقد ذكر العماد فى خريدته الشعراء الذين كانوا بعد المائة الخامسة الى سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة وجمع شعراء العراق والعجم والشام والجزيرة ومصر والمغرب ولم يترك أحدا الا النادر الخامل وأحسن فى هذا الكتاب وهو فى عشر مجلدات وصنف كتاب البرق الشامى فى سبع مجلدات وهو مجموع تاريخ وبدأ فيه بذكر نفسه وصورة انتقاله من العراق الى الشام وما جرى له فى خدمة السلطان نور الدين محمود وكيفية تعلقه بخدمة السلطان صلاح الدين وذكر شيأ من الفتوحات بالشام وهو من الكتب الممتعة وانما سماه البرق الشامى لانه شبه أوقاته فى تلك الايام بالبرق الخاطف لطيبها وسرعة انقضائها وصنف كتاب الفتح القدسى فى الفتح القدسى فى مجلدين يتضمن كيفية فتح البيت المقدس وصنف كتاب السيل على الذيل جعله ذيلا على الذيل لابن السمعانى المقدم ذكره الذى ذيل به تاريخ بغداد تأليف الخطيب الحافظ هكذا كنت قد سمعت ثم انى وقفت عليه فوجدته ذيلا على كتابه خريدة القصر المذكور وصنف كتاب نصرة الفطرة وعصرة القطرة فى أخبار الدولة السلجوقية وله ديوان رسائل وديوان شعر فى أربع مجلدات ونفسه فى قصائده طويل وله ديوان صغير جميعه دو بيت وكان بينه وبين القاضى الفاضل مكاتبات ومحاورات لطاف فمن ذلك ما يحكى عنه انه لقيه يوما وهو راكب على فرس فقال له سر فلا كبا بك الفرس فقال له الفاضل دام علا العماد وهذا مما يقرأ مقلوبا وصحيحا سواء واجتمعا يوما فى موكب السلطان وقد انتشر من الغبار لكثرة الفرسان ما سد الفضاء فتعجبا من ذلك فانشد العماد فى الحال

اما الغبار فانه * مما اثارته السنابك

والجو منه مظلم * لكن أنارته السنابك

يادهر لى عبد الرحيم * فلست أخشى مس نابك

وقد اتفق له الجناس فى الابيات الثلاثة وهو فى غاية الحسن وكان القاضى الفاضل قد حج من مصر فى سنة أربع وسبعين وخمسمائة وركب البحر فى طريقه فكتب اليه العماد الكاتب طوبى للحجر والحجون من ذى الحجر والحجا منيل الجدا ومنير الدجا ولندى الكعبة من كعبة الندى وللهدايا المشعرات من مشعر الهدى وللمقام الكريم من مقام الكريم ومن حاطم فقار الفقر للحطيم ومتى رؤى هرم فى الحرم وحاتم ماء زمزم ومتى ركب البحر البحر وسلك البر البر لقد عاد قس الى عكاظه وعاد قيس لحفاظه وياعجبا للكعبة يقصدها كعبة الفضل والافضال ولقبلة يستقبلها قبلة القبول والاقبال والسلام لقد أبدع فى هذه الرسالة وما أودعها من الصناعة لكن الظاهر انه غلط فى قوله قيس لحفاظه فان المشهور أنس للحفاظ وهم أربعة اخوة لكل واحد منهم لقب ولولا خوف الاطالة والانتقال عما نحن بصدده لذكرت قصتهم ولما توفى الوزير عون الدين بن هبيرة اعتقل الديوان العزيز جماعة من أصحابه وكان العماد فى جملة من اعتقل لانه كان ينوب عنه فى واسط تلك المدة فكتب من الحبس الى عماد الدين بن عضد الدين بن رئيس الرؤساء وكان حينئذ أستاذ الدار المستنجدية وذلك فى شعبان سنة ستين وخمسمائة من قصيدة

وتسعمائة أكرمه الله تعالى برضوانه وأسكنه فى فراديس جنانه

(ومنهم العالم العامل المولى نور الدين حمزة الكرميانى من فقراء الشيخ العارف بالله تعالى محمد بن بهاء الدين)

كان أولا من طلبة العلم الشريف ثم رغب فى التصوف واتصل بخدمة الشيخ العارف بالله تعالى سنان الدين الشهير بسنبل سنان ثم اتصل بخدمة الشيخ العارف بالله تعالى محمد بن بهاء الدين ولازم خدمته مدة كثيرة ووقع عنده موقع القبول وكان رحمه الله تعالى خيرا دينا متواضعا قوالا بالحق مواظبا على آداب الشريعة ومراعيا لحقوق الاخوان توفى فى سنة خمس وستين وتسعمائة بمدينة قسطنطينية احله الله تعالى محل رضوانه وأسكنه بحبوحة جنانه

(ومنهم العارف بالله تعالى الشيخ تاج الدين ابراهيم الشهير بالشيخ الاصغر العريان)

كان رحمه الله عالما عارفا بالله تعالى وصفاته وكان صاحب المقامات العلية والكرامات السنية متبتلا الى الله تعالى منقطعا عن الناس وكان متوطنا بموضع قريب من بلدة مغنيسا منعزلا عن الناس مواظبا على الطاعات والعبادات

قل للامام علام حبس وليكم * أولوا جميلكم جميل ولائه
أوليس اذ حبس الغمام وليه * خلى أبوك سبيله بدعائه

فامر باطلاقه وهذا معنى مليح غريب وفيه اشارة الى قضية العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه فان الغيث قد انقطع فى زمن خلافته وأمحلت الارض فخرج للاستسقاء ومعه العباس والناس فلما وقف للدعاء قال اللهم انا كنا اذا قحطنا توسلنا اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك اليوم بعم نبينا فاسقنا فسقوا وأما الولى فهو المطر الذى يأتى بعد الوسمى وسمى وليا لانه يلى الوسمى والوسمى مطر الربيع الاول وسمى بذلك لانه يسم الارض بالنبات وهو منسوب الى الوسم وقد جمعهما المتنبى فى بيت واحد وهو

امنعمة بالعودة الظبية التى * بغير ولى كان نائلها الوسمى

يعنى انه لم تكن لزيارتها الاولى ثانية ولم يزل العماد الكاتب على مكانته ورفعة منزلته الى أن توفى السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى فاختلت أحواله وتعطلت أوصاله ولم يجد فى وجهه بابا مفتوحا فلزم بيته وأقبل على الاشتغال بالتصانيف وقد ساق فى أوائل البرق الشامى طرفا من ذلك وتقدم فى ترجمة ابن التعاويذى مادار بينهما فى طلب الفروة والرسالة والقصيدة وجوابهما وكانت ولادته يوم الاثنين ثانى جمادى الآخرة وقيل فى شعبان سنة تسع عشرة وخمسمائة باصبهان وتوفى يوم الاثنين مستهل شهر رمضان المعظم سنة سبع وتسعين وخمسمائة بدمشق ودفن فى مقابر الصوفية خارج باب النصر رحمه الله تعالى أخبرنى بعض الرؤساء ممن كان ملازمه مدة مرضه انه كان اذا دخل عليه يعوده أنشده

أنا ضيف بربعكم * أين أين المضيف أنكرتنى معارفى * مات من كنت أعرف

وأله بفتح الهمزة وضم اللام وسكون الهاء وهو اسم عجمى معناه بالعربى العقاب وهو الطائر المعروف وقد قيل ان العقاب لا يوجد فيه ذكر بل جميعه أنثى وان الذى يسافده طائر آخر من غير جنسه وقيل ان الثعلب يسافده وهذا من العجائب ولابن عنين الشاعر المقدم ذكره فى هجو شخص يقال له ابن سيده

ما أنت الا كالعقاب فأمه * معروفة وله أب مجهول

وهذا اشارة الى ما نحن فيه والله تعالى أعلم بالصواب

(أبو نصر محمد بن طرخان بن أوزلغ الفارابى التركى الحكيم المشهور)

صاحب التصانيف فى المنطق والموسيقى وغيرهما من العلوم وهو أكبر فلاسفة المسلمين ولم يكن فيهم من بلغ رتبته فى فنونه والرئيس أبو على بن سينا المقدم ذكره بكتبه تخرج وبكلامه انتفع فى تصانيفه وكان رجلا تركيا ولد فى بلده ونشأ بها وسيأتى الكلام عليها فى آخر الترجمة ان شاء الله تعالى ثم خرج من بلده وانتقلت به الاسفار الى ان وصل الى بغداد وهو يعرف اللسان التركى وعدة لغات غير العربى فتعلمه وأتقنه غاية الاتقان ثم اشتغل بعلوم الحكمة ولما دخل بغداد كان بها أبو بشر متى يونس الحكيم المشهور وهو شيخ كبير وكان يقرأ الناس عليه فن المنطق وله اذ ذاك صيت عظيم وشهرة وافية ويجتمع فى حلقته كل يوم المئون من المشتغلين بالمنطق وهو يقرأ كتاب ارسطاطاليس فى المنطق ويملى على تلامذته شرحه فكتب عنه فى شرحه سبعين سفرا ولم يكن فى ذلك الوقت أحد مثله فى فنه وكان حسن العبارة فى تآليفه لطيف الاشارة وكان يستعمل فى تصانيفه البسط والتذييل حتى قال بعض علماء هذا الفن ما أرى أبا نصر الفارابى أخذ طريق تفهيم المعانى الجزلة بالالفاظ السهلة الا من أبى بشر يعنى المذكور وكان أبو نصر يحضر حلقته فى غمار تلامذته فاقام أبو نصر كذلك برهة ثم ارتحل الى مدينة حران وفيها يوحنا ابن خيلان الحكيم النصرانى فاخذ عنه طرفا من المنطق أيضا ثم انه قفل راجعا الى بغداد وقرأ بها علوم الفلسفة وتناول جميع كتب ارسطاطاليس وتمهر فى استخراج معانيها والوقوف على اغراضه فيها ويقال انه وجد كتاب النفس لارسطاطاليس وعليه مكتوب بخط أبى نصر الفارابى انى قرأت هذا الكتاب مائة مرة ونقل عنه انه كان يقول قرأت السماع الطبيعى لارسطاطاليس الحكيم أربعين مرة وأرى انى محتاج الى معاودة قراءته ويروى عنه انه سئل من

ونقل عنه كرامات كثيرة لا يفى هذا المختصر بتفصيلها منها انه أعطى أصحابه وهو على السفر مشمشا طريا فى غير أوانه وهذا يروى عن بعض الثقات ومنها انه سرق من مسجده بساط ولم يلتفت الشيخ الى طلبه والح أصحابه على طلبه فقال ان فى القرية الفلانية شجرة والبساط مدفون عندها فوجدوه هنالك مدفونا تحت الثلج فأخذ بعض الاعوان صاحب الارض متهما له بالسرقة فقال الشيخ أطلقه انما أخذه بعض من النصارى فى القرية الفلانية فاحضروه فقال انى دفنته هنالك امتحانا للشيخ بانه يطلع على ذلك ام لا فاسلم عند الشيخ رحمه الله تعالى ومنها انه كان ينفق من الغيب وكان يخرج من تحت سجادته ما يحتاج اليه من الدراهم حتى ان بعض أصحابه ظنوا ان تحت سجادته دراهم فنظروا اليه فلم يجدوا شيأ ثم جاء هو وأخرج من تحتها قدر ما يحتاج من الدراهم وكان رحمه الله تعالى من المعارف الذوقية والورع والتقوى على جانب عظيم توفى رحمه الله فى سنة اثنتين وستين وتسعمائة قدس الله سره العزيز

(ومنهم العالم العامل الفاضل الشيخ محيى الدين المعروف بامام قلندرخانه)

أعلم الناس بهذا الشأن أنت أم ارسطاطاليس فقال لو أدركته لكنت أكبر تلامذته وذكره أبو القاسم صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن بن صاعد القرطبى فى كتاب طبقات الحكماء فقال الفارابى فيلسوف المسلمين بالحقيقة أخذ صناعة المنطق عن يوحنا بن خيلان المتوفى بغداد المتوفى بمدينة السلام فى أيام المقتدر فبذ جميع أهل الاسلام وأربى عليهم فى التحقيق لها وشرح غامضها وكشف سرها وقرب تناولها وجمع ما يحتاج اليها منها فى كتب صحيحة العبارة لطيفة الاشارة منبها على ما أغفله الكندى وغيره من صناعة التحليل وانحاء التعاليم وأوضح القول فيها عن مواد المنطق الخمسة وأفاد وجوه الانتفاع بها وعرف طرق استعمالها وكيف تتصرف صورة القياس فى كل مادة منها فجاءت كتبه فى ذلك الغاية الكافية والنهاية الفاضلة ثم له بعد هذا كتاب شريف فى احصاء العلوم والتعريف باغراضها لم يسبق اليه ولا ذهب أحد مذهبه فيه ولا تستغنى طلاب العلوم كلها عن الاهتداء به انتهى كلام ابن صاعد وذكر بعد ذلك شيأ من تآليفه ومقاصده فيها ولم يزل أبو نصر ببغداد مكبا على الاشتغال بهذا العلم والتحصيل له الى أن برز فيه وفاق أهل زمانه وألف بها معظم كتبه ثم سافر منها الى دمشق ولم يقم بها ثم توجه الى مصر وقد ذكر أبو نصر فى كتابه الموسوم بالسياسة المدنية انه ابتدأ بتأليفه فى بغداد وأكمله بمصر ثم عاد الى دمشق وأقام بها وسلطانها يومئذ سيف الدولة بن حمدان فاحسن اليه ورأيت فى بعض المجاميع ان أبا نصر لما ورد على سيف الدولة وكان مجلسه مجمع الفضلاء فى جميع المعارف فادخل عليه وهو بزى الاتراك وكان ذلك زيه دائما فوقف فقال له سيف الدولة اقعد فقال حيث أنا أم حيث أنت فقال حيث أنت فتخطى رقاب الناس حتى انتهى الى مسند سيف الدولة وزاحمه فيه حتى أخرجه عنه وكان على رأس سيف الدولة مماليك وله معهم لسان خاص يسارهم به قل أن يعرفه أحد فقال لهم بذلك اللسان ان هذا الشيخ قد أساء الادب وانى مسائله عن أشياء ان لم يوف بها فاخرقوا به فقال له أبو نصر بذلك اللسان أيها الامير اصبر فان الامور بعواقبها فعجب سيف الدولة منه وقال له أتحسن هذا اللسان فقال نعم أحسن أكثر من سبعين لسانا فعظم عنده ثم أخذ يتكلم مع العلماء الحاضرين فى المجلس فى كل فن فلم يزل كلامه يعلو وكلامهم يسفل حتى صمت الكل وبقى يتكلم وحده ثم أخذوا يكتبون ما يقوله فصرفهم سيف الدولة وخلا به فقال له هل لك فى أن تأكل فقال لا فقال فهل تشرب فقال لا فقال فهل تسمع فقال نعم فأمر سيف الدولة باحضار القيان فحضر كل ماهر فى هذه الصناعة بأنواع الملاهى فلم يحرك أحد منهم آلته الا وعابه أبو نصر وقال له أخطأت فقال له سيف الدولة وهل تحسن فى هذه الصنعة شيأ فقال نعم ثم أخرج من وسطه خريطة ففتحها وأخرج منها عيدانا وركبها ثم لعب بها فضحك منها كل من كان فى المجلس ثم فكها وركبها تركيبا آخر ثم ضرب بها فبكى كل من كان فى المجلس ثم فكها وغير تركيبها وضرب بها ضربا آخر فنام كل من فى المجلس حتى البواب فتركهم نياما وخرج (ويحكى) ان الآلة المسماة بالقانون من وضعه وهو أول من ركبها هذا التركيب وكان منفردا بنفسه لا يجالس الناس وكان مدة مقامه بدمشق لا يكون غالبا الا عند مجتمع ماء أو مشتبك رياض ويؤلف هنالك كتبه ويتناوبه المشتغلون عليه وكان أكثر تصنيفه فى الرقاع ولم يصنف فى الكراريس الا القليل فلذلك جاءت أكثر تصانيفه فصولا وتعاليق ويوجد بعضها ناقصا منثورا وكان أزهد الناس فى الدنيا لا يحتفل بامر مكسب ولا مسكن وأجرى عليه سيف الدولة كل يوم من بيت المال أربعة دراهم وهو الذى اقتصر عليها لقناعته ولم يزل على ذلك الى أن توفى فى سنة تسع وثلاثين وثلثمائة بدمشق وصلى عليه سيف الدولة فى أربعة من خواصه وقد ناهز ثمانين سنة ودفن بظاهر دمشق خارج الباب الصغير رحمه الله تعالى وتوفى متى بن يونس ببغداد فى خلافة الراضى هكذا حكاه ابن صاعد القرطبى فى طبقات الاطباء وظفرت فى مجموع بابيات منسوبة الى الفارابى ولا أعلم صحتها وهى

أخى خل حيز ذى باطل * وكن للحقائق فى حيز * فما الدار دار مقام لنا
وما المرء فى الارض بالمعجز * ينافس هذا لهذا على * أقل من الكلم الموجز

قرأ رحمه الله على علماء عصره وحصل من العلوم جانبا عظيما ثم اشتغل بالتصوف وصحب الشيخ حبيبا القرامانى والشيخ ابن الوفاء والسيد أحمد البخارى قدس الله تعالى أسرارهم ثم صار خطيبا واماما بجامع قلندرخانه وتوفى هنالك فى سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة كان رحمه الله عالما عارفا بالعلوم العربية والتفسير والحديث والاصول والفروع وكان مشتغلا بالعلوم ومواظبا على العبادات منقطعا عن الناس متبتلا الى الله تعالى ملازما لبيته وكانت تتلألأ أنوار الصلاح فى محياه الكريم وصحبت معه مدة تدريسى بمدرسة قلندرخانه ورأيته شيخا مباركا صحيح العقيدة مراعيا للكتاب والسنة ومحافظا لحدود الشريعة وكان شيخا هرما وسألته عن سنه فقال مائة أو اقل منها بسنتين وعاش بعد ذلك مقدار ثمان سنين روح الله تعالى روحه ونور ضريحه

(ومنهم العارف بالله تعالى الشيخ الصالح مصلح الدين مصطفى من خلفاء السيد أحمد البخارى)

وكان متوطنا بمدينة قسطنطينية فى زاويته المسماة بذات الاحجار وكان شيخا نورانيا عابدا زاهدا صالحا مفلحا منقطعا الى الله تعالى مشتغلا باصلاح

وهل نحن الا خطوط وقعن * على نقطة وقع مستوفز * محيط السموات أولى بنا
* فماذا التنافس في مركز *

ورأيت هذه الابيات في الخريدة منسوبة الى الشيخ محمد بن عبد الملك الفارقي البغدادي الدار وقال العماد مؤلف الخريدة انه اجتمع به يوم الجمعة ثامن عشر شهر رجب سنة احدى وستين وخمسمائة وتوفي بسنيات بعد ذلك وطرخان بفتح الطاء المهملة وسكون الراء وفتح الخاء المعجمة وبعد الالف نون وأوزلغ بفتح الهمزة وسكون الواو وفتح الزاي واللام وبعدها غين معجمة وهما من أسماء الترك والفارابي بفتح الفاء والراء وبينهما ألف وبعد الالف الثانية باء موحدة هذه النسبة الى فاراب وتسمى في هذا الزمان اطرار بضم الهمزة وسكون الطاء المهملة وبين الراءين ألف ساكنة وقد غلب عليها هذا الاسم وهي مدينة فوق الشاش قريبة من مدينة بلاساغون وجميع أهلها على مذهب الامام الشافعي رضي الله عنه وهي قاعدة من قواعد مدن الترك ويقال لها فاراب الداخلة ولهم فاراب الخارجة وهي في أطراف بلاد فارس وبلاساغون بفتح الباء الموحدة واللام ألف والسين المهملة وبعد الالف غين معجمة ثم واو ساكنة وبعدها نون وهي بلدة في بعض ثغور الترك وراء نهر سيحون المقدم ذكره بالقرب من كاشغر وكاشغر بفتح الكاف وبعد الالف شين معجمة ساكنة ثم غين معجمة مفتوحة وفي آخرها راء وهي من المدن العظام في تخوم الصين والله تعالى أعلم

(أبو بكر محمد بن زكريا الرازي الطبيب المشهور)

ذكر ابن جلجل في تاريخ الاطباء انه دبر مارستان الري ثم مارستان بغداد في أيام المكتفي ومن أخباره انه كان في شبيبته يضرب بالعود ويغني فلما التحى وجهه قال كل غناء يخرج من بين شارب ولحية لا يستطرف فنزع عن ذلك وأقبل على دراسة كتب الطب والفلسفة فقرأها قراءة رجل متعقب على مؤلفيها فبلغ من معرفة غوامضها الغاية واعتقد الصحيح منها وعلل السقيم وألف في الطب كتبا كثيرة وقال غيره كان امام وقته في علم الطب والمشار اليه في ذلك العصر وكان متقنا لهذه الصناعة حاذقا بها عارفا بأوضاعها وقوانينها تشد اليه الرحال لاخذها عنه وصنف فيها الكتب النافعة فمن ذلك كتاب الحاوي وهو من الكتب الكبار يدخل في مقدار ثلاثين مجلدا وهو عمدة الاطباء في النقل منه والرجوع اليه عند الاختلاف ومنها كتاب الجامع وهو أيضا من الكتب الكبار النافعة وكتاب الاعصاب وهو أيضا كبير وله أيضا كتاب المنصوري المختصر المشهور وهو على صغر حجمه من الكتب المختارة جمع فيه بين العلم والعمل ويحتاج اليه كل أحد وكان قد صنفه لابي صالح منصور بن نوح بن نصر بن اسمعيل بن أحمد بن أسد بن سامان أحد الملوك السامانية فنسب الكتاب اليه وله غير ذلك تصانيف كثيرة وكلها يحتاج اليها ومن كلامه مهما قدرت أن تعالج بالاغذية فلا تعالج بالادوية ومهما قدرت أن تعالج بدواء مفرد فلا تعالج بدواء مركب ومن كلامه اذا كان الطبيب عالما والمريض مطيعا فما أقل لبث العلة ومن كلامه عالج في أول العلة بما لا تسقط به القوة ولم يزل رئيس هذا الشان وكان اشتغاله به على كبر يقال انه لما شرع فيه كان قد جاوز أربعين سنة من العمر وطال عمره وعمي في آخر مدته وتوفي سنة احدى عشرة وثلثمائة رحمه الله تعالى وكان اشتغاله بالطب على الحكيم أبي الحسن علي بن زين الطبري صاحب التصانيف المشهورة منها فردوس الحكمة وغيره وكان مسيحيا ثم أسلم وقد تقدم الكلام على الرازي وأما الملوك السامانية فكانوا سلاطين ما وراء النهر وخراسان وكانوا أحسن الملوك سيرة ومن ولي منهم كان يقال له سلطان السلاطين لا ينعت الا به وصار كالعلم لهم وكان يغلب عليهم العدل والدين والعلم ونبغ من بينهم جماعة ولم تنقرض دولتهم الا بدولة السلطان محمود بن سبكتكين الآتي ذكره ان شاء الله تعالى وكانت مدة ولايتهم مائة سنة وستين وستة أشهر وعشرة أيام وكانت وفاة أبي صالح منصور المذكور في شوال سنة خمس وستين وثلثمائة وكان قد صنف له الرازي المذكور الكتاب المذكور في حال صغره ليشتغل به ثم رأيت نسخة كتاب المنصوري وعلى ظهره ان المنصور الذي وسم الرازي هذا

أصحابه توفي قريبا من الستين وتسعمائة روح الله روحه ونور ضريحه

(ومنهم العالم العارف بالله تعالى الشيخ علي الكازروني)

اتصل بخدمة الشيخ العارف بالله تعالى السيد علي بن ميمون المغربي المذكور سابقا وسافر معه أياما في نواحي حماه وكانت الاسد كثيرة في تلك النواحي وتعرض لهم أسد فشكوا منه الى الشيخ فقال أذنوا فأذنوا له فلم يبرح قالوا للشيخ ان الاسد لم يذهب فقال أذنوا ثانيا فأذنوا له فلم يرجع فتقدم الشيخ الكازروني اليه فغاب الاسد عن أعينهم ولم يدر انه خسف به الارض أو ذاب في مكانه فذكر ذلك للشيخ فغضب على الكازروني غضبا شديدا وقال يا كازروني يا خائب يا خاسر أفسدت طريقتنا فشرع الكازروني بالانفصال عن خدمة الشيخ فقال الشيخ تندم يا كازروني تندم قال الكازروني بل أنت تندم يا شيخ فعند ذلك غضب الشيخ غضبا شديدا فقال رح في لعنة الله فرده ولم يقبله أبدا حتى مات ثم انه أراد أن يرجع الى خلفاء الشيخ المزبور فلم يقبلوه حتى ذهب الى بلاد العرب وأتى بكتاب من الشيخ المغربي وقال فيه ان أحدا

الكتاب باسمه هو المنصور بن اسحق بن أحمد بن نوح من ولد بهرام جور صاحب كرمان وخراسان وكنيته أبو صالح والله أعلم بالصواب وحكى ابن جلجل المقدم ذكره في تاريخه أيضا ان الرازي المذكور صنف لمنصور المذكور كتابا في اثبات صناعة الكيمياء وقصده به من بغداد فدفع له الكتاب فأعجبه وشكره عليه وحباه بألف دينار وقال له أردت ان تخرج هذا الذي ذكرت في الكتاب الى الفعل فقال له الرازي ان ذلك مما يمون له المؤن ويحتاج الى آلات وعقاقير صحيحة والى احكام صنعة ذلك كله وكل ذلك كائنة فقال له منصور كل ما احتجت اليه من الآلات ومما يليق بالصناعة أحضره لك كاملا حتى تخرج ما ضمنته كتابك الى العمل فلما حقق عليه ذلك كاع من مباشرة ذلك وعجز عن عمله فقال له المنصور ما اعتقدت ان حكيما يرضى بتخليد الكذب في كتب ينسبها الى الحكمة يشغل بها قلوب الناس ويتعبهم فيما لا يعود عليهم من ذلك منفعة ثم قال له قد كافأناك على قصدك وتعبك بما صار اليك من الالف دينار ولا بد من معاقبتك على تخليد الكذب فحمل السوط على رأسه ثم أمر أن يضرب بالكتاب على رأسه حتى يتقطع ثم جهزه وسير به الى بغداد فكان ذلك الضرب سبب نزول الماء في عينيه ولم يسمح بقدحهما وقال قد رأيت الدنيا وكانت وفاة والده أبي محمد نوح بن نصر في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة وكانت وفاة جده أبي الحسن نصر ابن اسمعيل في رجب سنة احدى وثلاثين وثلثمائة وكانت وفاة جد أبيه ابراهيم بن اسمعيل بن أحمد في صفر ليلة الثلاثاء لاربع عشرة ليلة خلت منه سنة خمس وتسعين ومائتين ببخارى ومولده سنة أربع وثلاثين ومائتين بفرغانة وكان يكتب الحديث ويكرم العلماء وكانت وفاة أحمد بن أسد بن سامان سنة خمسين ومائتين بفرغانة رحمهم الله تعالى وسامان بفتح السين المهملة والميم وبينهما ألف وبعد الالف الثانية نون وهذا وان كان خارجا عن المقصود لكن ومساق الكلام جره وفيه فائدة لا يستغنى عنها والله تعالى أعلم بالصواب

(أبو عبد الله محمد بن موسى بن شاكر)

أحد الاخوة الثلاثة الذين ينسب اليهم حيل بني موسى وهم مشهورون بها واسم أخويه أحمد والحسن وكانت لهم همم عالية في تحصيل العلوم القديمة وكتب الاوائل وأتعبوا أنفسهم في شأنها وانفذوا الى بلاد الروم من أخرجها لهم وأحضروا النقلة من الاصقاع الشاسعة والاماكن البعيدة بالبذل السني فأظهروا عجائب الحكمة وكان الغالب عليهم من العلوم الهندسة والحيل والحركات والموسيقى والنجوم وهو الاقل ولهم في الحيل كتاب عجيب نادر يشتمل على كل غريبة ولقد وقفت عليه فوجدته من أحسن الكتب وأمتعها وهو مجلد واحد ومما اختصوا به في ملة الاسلام وأخرجوه من القوة الى الفعل وان كان أرباب الارصاد المتقدمون على الاسلام قد فعلوه لكنه لم ينقل ان أحدا من أهل هذه الملة تصدى له وفعله الاهم وهو ان المأمون كان مغرى بعلوم الاوائل وتحقيقها ورأى فيها ان دور كرة الارض أربعة وعشرون ألف ميل كل ثلاثة أميال فرسخ فيكون المجموع ثمانية آلاف فرسخ بحيث لو وضع طرف حبل على أي نقطة كانت من الارض وأدرنا الحبل على كرة الارض حتى انتهينا بالطرف الآخر الى ذلك الموضع من الارض والتقى طرفا الحبل فاذا مسحنا ذلك الحبل كان طوله أربعة وعشرين ألف ميل فأراد المأمون أن يقف على حقيقة ذلك فسأل بني موسى المذكورين عنه فقالوا نعم هذا قطعي وقال أريد منكم أن تعملوا الطريق الذي ذكره المتقدمون حتى نبصر هل يتحرر ذلك أم لا فسألوا عن الاراضي المتساوية في أي البلاد هي فقيل لهم صحراء سنجار في غاية الاستواء وكذلك وطاآت الكوفة فأخذوا معهم جماعة ممن يثق المأمون الى أقوالهم ويركن الى معرفتهم بهذه الصناعة وخرجوا الى سنجار وجاؤا الى الصحراء المذكورة فوقفوا في موضع منها فأخذوا ارتفاع القطب الشمالي ببعض الآلات وضربوا في ذلك الموضع وتدا وربطوا فيه حبلا طويلا ثم مشوا الى الجهة الشمالية على استواء الارض من غير انحراف الى اليمين واليسار حسب الامكان فلما فرغ الحبل نصبوا في الارض وتدا آخر وربطوا فيه حبلا طويلا ومشوا الى جهة الشمال أيضا كفعلهم الاول ولم يزل ذلك دأبهم حتى انتهوا الى موضع أخذوا فيه ارتفاع القطب المذكور فوجدوه قد زاد على الارتفاع

لا يرد من باب الله تعالى وأمره شيخه لتأديبه واصلاحه فقبله الشيخ علوان ورباه وحصل عنده الطريقة ونال المراتب السنية ثم أتى بلاد الروم ثم ذهب الى الحج وجاور بمكة المشرفة حتى مات ودفن بها كان رحمه الله تعالى صاحب جذبة وكان له اطلاع على الخواطر وأحوال القلوب وكانت له معرفة استفاد منه كثير من الناس قدس الله تعالى سره العزيز

(هذا آخر) ما تيسر لي بعون الله الملك العلام من تفصيل أحوال العلماء الاعلام والفضلاء الكرام وذكر مناقب المشايخ العظام وحين ان أوان الاختتام خطر ببال هذا العبد المستهام ان أتلى ذكرى ذكر هؤلاء الكرام الان قصور شأني منعني ثانيا من انجاح هذا المرام فصرت مترددا بين اقدام واحجام وهكذا الى أن انبعث من ذات نفسي داعية الاقدام بناء على ما قيل لا بد في حضرة السادات من الخدام فشرعت فيه متوكلا على الله عز وجل والقلم ينزلق في مزالق الوجل والورق يبلع ريق الحياء والخجل (فأقول) وأنا العبد الضعيف العليل المحتاج الى رحمة ربه الجليل أحمد بن مصطفى بن خليل عفا الله عنهم بكرمه الجليل

الاول درجة فمسحوا ذلك القدر الذى قدروه من الارض بالحبال فبلغ ستة وستين ميلا وثلثى ميل فعلموا ان كل درجة من درج الفلك يقابلها من سطح الارض ستة وستون ميلا وثلثان ثم عادوا الى الموضع الذى ضربوا فيه الوتد الاوّل وشدوا فيه حبلا وتوجهوا الى جهة الجنوب ومشوا على الاستقامة وعملوا كما عملوا فى جهة الشمال من نصب الاوتاد وشد الحبال حتى فرغت الحبال التى استعملوها فى جهة الشمال ثم أخذوا الارتفاع فوجدوا القطب الشمالى قد نقص عن ارتفاعه الاول درجة فصح حسابهم وحققوا ما قصدوه من ذلك وهذا اذا وقف عليه من له يد فى علم الهيئة ظهر له حقيقة ذلك ومن المعلوم ان عدد درج الفلك ثلثمائة وستون درجة لان الفلك مقسوم باثنى عشر برجا وكل برج ثلاثون درجة فتكون الجملة ثلثمائة وستين درجة فضربوا عدد درج الفلك فى ستة وستين ميلا أى التى هى حصة كل درجة فكانت الجملة أربعة وعشرين ألف ميل وهى ثمانية آلاف فرسخ وهذا محقق لاشك فيه فلما عاد بنو موسى الى المأمون وأخبروه بما صنعوا وكان موافقا لما رآه فى الكتب القديمة من استخراج الاوائل طلب تحقيق ذلك فى موضع آخر فسيرهم الى أرض الكوفة وفعلوا كما فعلوا فى سنجار فتوافق الحسابان فعلم المأمون صحة ما حرره القدماء فى ذلك وهذا الفصل هو الذى اشرت اليه فى ترجمة أبى بكر محمد بن يحيى الصولى قلت لولا التطويل لبينت ذلك وكانت لبنى موسى المذكورين أوضاع نادرة غريبة ولولا الاطالة لذكرت شيأ منها وتوفى محمد المذكور فى شهر ربيع الاول سنة تسع وخمسين ومائتين رحمه الله تعالى والله أعلم بالصواب

(أبو عبد الله محمد بن جابر بن سنان الحرانى الاصل البتانى الحاسب المنجم المشهور)

صاحب الزيج الصابى له الاعمال العجيبة والارصاد المتقنة وأول ما ابتدأ بالرصد فى سنة أربع وستين ومائتين الى سنة ست وثلثمائة وأثبت الكواكب الثابتة فى زيجه لسنة تسع وتسعين ومائتين وكان أوحد عصره فى فنه وأعماله تدل على غزارة فضله وسعة علمه وتوفى سنة سبع عشرة وثلثمائة عند رجوعه من بغداد بموضع يقال له قصر الحضر ولم أعلم انه أسلم لكن اسمه يدل على اسلامه وله من التصانيف الزيج وهى نسختان أولى وثانية والثانية أجود وكتاب معرفة مطالع البروج فيما بين أرباع الفلك ورسالة فى مقدار الاتصالات وكتاب شرح فيه أربعة أرباع الفلك ورسالة فى تحقيق أقدار الاتصالات وشرح أربع مقالات بطليموس وغير ذلك والبتانى بفتح الباء الموحدة وقال أبو محمد هبة الله بن الاكفانى بكسرها وبتشديد التاء المثناة من فوقها وبعد الالف نون هذه النسبة الى بتان وهى ناحية من أعمال حران والحضر بفتح الحاء المهملة وسكون الضاد المعجمة وبعدها راء وهى مدينة قديمة بالقرب من الموصل ومن تكريت بين دجلة والفرات فى البرية وكان صاحبها الساطرون فحاصره اردشير بن بابك أوّل ملوك الفرس وأخذ البلد وقتله وفى ذلك يقول أبو داود الايادى واسمه حارثة بن حجاج وقيل حنظلة بن شرقى

وأرى الموت قد تدلى من الحضـ * ـر على رب أهله الساطرون
صرعته الايام من بعد ملك * ونعيم وجوهر مكنون

وذكره أيضا عدى بن زيد العبادى فى قوله

وأخو الحضر اذ بناه واذ دجـ * ـلة تجبى اليه والخابور

وجاء ذكره فى الشعر كثيرا وقيل ان الذى حصره سابور ذو الاكتاف وهو الذى ذكره ابن هشام فى سيرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم والاوّل أصح والساطرون بفتح السين المهملة وبعد الالف طاء مهملة مكسورة ثم راء مضمومة ثم واو ساكنة وبعدها نون وهو لفظ سريانى ومعناه الملك واسمه ضيزن بفتح الضاد المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الزاى وبعدها نون ابن معاوية وضيزن اسم صنم كان فى الجاهلية وبه سمى الرجل وهذا قضاعى وكان من ملوك الطوائف واذا اجتمعوا للحرب غيرهم تقدم عليهم لعظمته عندهم فاقام اردشير على حصاره أربع سنين وهو لا يقدر عليه وكان للساطرون ابنة يقال لها نضيرة بفتح النون وكسر الضاد المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الراء وبعدها هاء ساكنة وفيها يقول الشاعر

اقفر

والطفه الجزيل المشهور بين الناس بطاشكبرى زاده جعل الله الهدى والتقوى زاده وأوفر كل يوم علمه وزاده (حكى) والدى رحمه الله انه لما أراد أن يسافر من مدينة بروسه الى بلدة أنقره قبيل ولادتى بشهر رأى فى المنام فى الليلة التى سافر فى صبيحتها شيخا جميل الصورة وقال له أبشر فانه سيولد لك ولد فسمه باسم أحمد فلما سافر رحمه الله قص هذه الواقعة على والدتى ثم انى ولدت فى الليلة الرابع عشرة من شهر ربيع الاوّل سنة احدى وتسعمائة ولما بلغت سن التمييز انتقلنا الى بلدة انقره فشرعنا هنالك فى قراءة القران العظيم وعند ذلك لقبنى والدى بعصام الدين وكنانى بابى الخير وكان لى أخ أكبر منى بسنتين اسمه محمد ولقبه والدى بنظام الدين وكناه بابى سعيد ثم انه لما ختمنا القرآن انتقلنا الى مدينة بروسه فعلمنا والدى شيأ من اللغات العربية ثم انه رحمه الله سافر الى مدينة قسطنطينية وسلمنى الى العالم العامل علاء الدين الملقب باليتيم وقد أسلفنا ذكره فقرأت عليه من الصرف مختصرا مسمى بالمقصود ومختصر عز الدين الزنجانى ومختصر مراح الارواح وقرأت عليه أيضا من النحو مختصر المائة

أقفر الحضر من نضيرة فالمر * باع منها فجانب الثرثار

وكانت فى غاية الجمال وكانت عادتهم اذا حاضت المرأة أنزلوها الى الربض فحاضت نضيرة فأنزلت الى ربض الحضر فأشرفت ذات يوم فأبصرت اردشير وكان من أجمل الرجال فهويته فأرسلت اليه أن يتزوّجها وتفتح له الحصن واشترطت ذلك عليه والتزم لها ما طلبته ثم اختلفوا فى السبب الذى دلته عليه حتى فتح الحصن والذى قاله الطبرى انها دلته على طلسم كان فى الحصن وكان فى علمهم انه لا يفتح حتى تؤخذ حمامة ورقاء ويخضب رجلاها بحيض جارية بكر زرقاء ثم ترسل الحمامة فتنزل على سور الحصن فيقع الطلسم فيفتح الحصن ففعل اردشير ذلك واستباح الحصن وخربه وأباد أهله وسار بنضيرة وتزوّجها فبينما هى نائمة على فراشها ليلا اذ جعلت تتململ لا تنام فدعا لها بالشمع ففتش فراشها فوجد عليه ورقة آس فقال لها اردشير أهذا الذى أسهرك قالت نعم قال فما كان أبوك يصنع قالت كان يفرش لى الديباج ويلبسنى الحرير ويطعمنى المخ والزبد وشهد أبكار النحل ويسقينى الخمر الصافى قال فكان جزاء أبيك ما صنعت به أنت الى بذلك أسرع ثم أمر بها فربطت قرون رأسها بذنب فرس ثم ركض الفرس حتى قتلها والحصن الى الآن آثاره باقية وفيه بقايا عمائر لكنه لم يسكن منذ ذلك الوقت وقد طال الكلام فيه وانما هى حكاية غريبة فاحببت اثباتها ورأيت فى تاريخ آخر انه دخل بغداد وخرج منها وتوفى فى الطريق بقصر الحضر فى التاريخ المذكور وقال ياقوت الحموى فى كتابه المشترك قصر الحضر بقرب سامرا من ابنية المعتصم والله تعالى أعلم

(أبو الوفاء محمد بن محمد بن يحيى بن اسمعيل بن العباس البوزجانى الحاسب المشهور)

أحد الائمة المشاهير فى علم الهندسة وله فيه استخراجات غريبة لم يسبق بها وكان شيخنا العلامة كمال الدين أبو الفتح موسى بن يونس تغمده الله برحمته وهو القيم بهذا الفن يبالغ فى وصف كتبه ويعتمد عليها فى أكثر مطالعاته ويحتج بما يقوله وكان عنده من تآليفه عدة كتب وله فى استخراج الاوتار تصنيف جيد نافع وكانت ولادته يوم الاربعاء مستهل شهر رمضان المعظم سنة ثمان وعشرين وثلثمائة بمدينة بوزجان وتوفى سنة ست وسبعين وثلثمائة رحمه الله تعالى وبوزجان بضم الباء الموحدة وسكون الواو والزاى وفتح الجيم وبعد الالف نون وهى بليدة بخراسان بين هراة ونيسابور وكان قد قدم العراق سنة ثمان وأربعين وثلثمائة وكنت وقفت على تاريخ ولادته على هذه الصورة فى كتاب الفهرست تأليف أبى الفرج بن النديم ولم يذكر تاريخ وفاته فكتبت هذه الترجمة وذكرت تاريخ الولادة فاخليت بياضا لاجل تاريخ الوفاة لعلى أظفر به فان قصدى فى هذا التاريخ انما هو ذكر الوفاة كما ذكرته فى أول الكتاب ثم انى وجدت تاريخ الوفاة فى تاريخ شيخنا ابن الاثير قد ذكرها فى هذه السنة المذكورة فألحقتها وكان بين شروعى فى هذا التاريخ وظفرى بالوفاة أكثر من عشرين سنة والله تعالى أعلم

(أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمى الزمخشرى الامام الكبير فى التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان)

كان امام عصره من غير مدافع تشد اليه الرحال فى فنونه أخذ الادب عن أبى منصور نصر وصنف التصانيف البديعة منها الكشاف فى تفسير القرآن العزيز لم يصنف قبله مثله والمحاجاة بالمسائل النحوية والمفرد والمركب فى العربية والفائق فى تفسير الحديث وأساس البلاغة فى اللغة وربيع الابرار ونصوص الاخبار ومتشابه اسامى الرواة والنصائح الكبار والنصائح الصغار وضالة الناشد والرائض فى علم الفرائض والمفصل فى النحو وقد اعتنى بشرحه خلق كثير والانموذج فى النحو والمفرد والمؤلف فى النحو ورؤس المسائل فى الفقه وشرح أبيات سيبويه والمستقصى فى امثال العرب وصميم العربية وسوائر الامثال وديوان التمثيل وشقائق النعمان فى حقائق النعمان وشافى العى من كلام الشافعى رضى الله عنه والقسطاس فى العروض ومعجم الحدود والمنهاج فى الاصول ومقدمة الادب وديوان الرسائل وديوان الشعر والرسالة الناصحة والامالى

للشيخ الامام عبد القاهر الجرجانى وكتاب المصباح للامام المطرزى وكتاب الكافية للشيخ العلامة ابن الحاجب وحفظت كل ذلك بمشاركة أخى المزبور ثم شرعنا فى قراءة كتاب الوافية فى شرح الكافية ولما بلغنا مباحث المرفوعات جاء عمى قوام الدين قاسم الى مدينة بروسه وصار مدرسا بمدرسة مولانا خسرو وهنالك قرأنا عليه من مباحث المرفوعات الى مباحث المجرورات وعند ذلك مرض أخى مرضا مزمنا والتمس منى أن أتوقف الى ان يبرأ فتوقفت لاجله فقرأت فى تلك المدة على عمى كتاب الهارونية من الصرف وألفية ابن مالك من النحو ولما أتممت حفظها توفى أخى فى سنة أربع عشرة وتسعمائة رحمه الله تعالى فشرعت فى قراءة ضوء المصباح على عمى فقرأته من أوّله الى آخره وكتبت ذلك الكتاب وصححته غاية التصحيح والاتقان ثم قرأت عليه من المنطق مختصر ايساغوجى مع شرحه لحسام الدين الكاتى وقرأت عليه أيضا بعضا من شرح الشمسية للعلامة الرازى وعند ذلك أتى والدى من مدينة قسطنطينية الى مدينة بروسه وصار مدرسا بحسينية اماسيه ولما وصلنا

فى كل فن وغيرذلك وكان شروعه فى تأليف المفصل فى غرة شهر رمضان سنة ثلاث عشرة وخمسمائة وفرغ منه فى غرة المحرم سنة خمس عشرة وخمسمائة وكان قد سافر الى مكة حرسها الله تعالى وجاور بها زمانا فصار يقال له جار الله لذلك وكان هذا الاسم علما عليه وسمعت من بعض المشايخ ان احدى رجليه كانت ساقطة وانه كان يمشى فى جارن خشب وكان سبب سقوطها انه كان فى بعض أسفاره ببلاد خوارزم أصابه ثلج كثير وبرد شديد فى الطريق فسقطت منه رجله وانه كان بيده محضر فيه شهادة خلق كثير ممن اطلعوا على حقيقة ذلك خوفا من أن يظن من لم يعلم صورة الحال انها قطعت لريبة والثلج والبرد كثيرا ما يؤثر فى الاطراف فى تلك البلاد فتسقط خصوصا خوارزم فانها فى غاية البرد ولقد شاهدت خلقا كثيرا ممن سقطت أطرافهم بهذا السبب فلا يستبعده من لا يعرفه ورأيت فى تاريخ بعض المتأخرين ان الزمخشرى لما دخل بغداد واجتمع بالفقيه الحنفى الدامغانى سأله عن سبب قطع رجله فقال دعاء الوالدة وذلك انى كنت فى صباى أمسكت عصفورا وربطته بخيط فى رجله فأفلت من يدى فادركته وقد دخل فى خرق فجذبته فانقطعت رجله فى الخيط فتألمت والدتى لذلك وقالت قطع الله رجلك الابعد كما قطعت رجله فلما وصلت الى سن الطلب رحلت الى بخارى لطلب العلم فسقطت عن الدابة فانكسرت رجلى وعملت على عملا أوجب قطعها والله أعلم بالصحة وكان الزمخشرى المذكور معتزلى الاعتقاد متظاهرا به حتى نقل عنه انه كان اذا قصد صاحبا له واستأذن عليه فى الدخول يقول لمن يأخذ له الاذن قل له أبو القاسم المعتزلى بالباب وأول ما صنف كتاب الكشاف كتب استفتاح الخطبة الحمد لله الذى خلق القرآن فيقال انه قيل له متى تركته على هذه الهيئة هجره الناس ولا يرغب أحد فيه فغيره بقوله الحمد لله الذى جعل القرآن وجعل عندهم بمعنى خلق والبحث فى ذلك يطول ورأيت فى كثير من النسخ الحمد لله الذى أنزل القرآن وهذا اصلاح الناس لا اصلاح المصنف وكان الحافظ أبو الطاهر أحمد بن محمد السلفى المقدم ذكره رحمه الله تعالى قد كتب اليه من الاسكندرية وهو يومئذ مجاور بمكة حرسها الله تعالى يستجيزه فى مسموعاته ومصنفاته فرد جوابه بما لا يشفى الغليل فلما كان فى العام الثانى كتب اليه أيضا مع الحجاج استجازة أخرى اقترح فيها مقصوده ثم قال فى آخرها ولا يحوج أدام الله توفيقه الى المراجعة فالمسافة بعيدة وقد كاتبته فى السنة الماضية فلم يجب بما يشفى الغليل وله فى ذلك الاجر الجزيل فكتب اليه الزمخشرى جوابه ولولا خوف التطويل لكتبت الاستدعاء والجواب لكن نقتصر على بعض الجواب وهو ما مثلى مع اعلام العلماء الا كمثل السها مع مصابيح السماء والجهام الصفر من الرهام مع الغوادى الغامرة للقيعان والاكام والسكيت المخلف مع خيل السباق والبغاث مع الطير العتاق وما التلقيب بالعلامة الا شبه الرقم بالعلامة والعلم مدينة أحد بابيها الدراية والثانى الرواية وأنا فى كلا البابين ذو بضاعة مزجاة ظلى فيه اقلص من ظل حصاة أما الرواية فحديثة الميلاد قريبة الاسناد لم تستند الى علماء نحارير ولا الى اعلام مشاهير وأما الدراية فثمد لا يبلغ أفواها وبرض ما يبل شفاها ثم كتب بعد هذا ولا يغرنكم قول فلان فى ولا قول فلان وعدد جماعة من الشعراء والفضلاء مدحوه بمقاطيع من الشعر وأوردها كلها ولا حاجة الى الاتيان بها ههنا فلما فرغ من ايرادها كتب فان ذلك اغترار منهم بالظاهر المموه وجهل بالباطن المشوه ولعل الذى غرهم منى ما رأوا من حسن النصح للمسلمين وتبليغ الشفقة على المستفيدين وقطع المطامع عنهم وافادة المبار والصنائع عليهم وعزة النفس والربء بها عن السفاسف الدنيات والاقبال على خويصتى والاعراض عما لا يعنينى فجلات فى عيونهم وغلطوا فى ونسبونى الى ما لست منه فى قبيل ولا دبير وما أنا فيما أقول بها ضم لنفسى كما قال الحسن البصرى رحمه الله تعالى فى قول أبى بكر الصديق رضوان الله عليه وليتكم ولست بخيركم ان المؤمن ليهضم نفسه وانما صدقت الفاحص عنى وعن كنه روايتى ودرايتى ومن لقيت وأخذت عنه وما بلغ علمى وقصارى فضلى وأطلعته طلع أمرى وأفضيت اليه بخبية سرى وألقيت اليه عجرى وبجرى وأعلمته نجمى وشجرى وأما المولد فقرية مجهولة من قرى خوارزم تسمى زمخشر وسمعت أبى رحمه الله تعالى يقول اجتاز بها اعرابى فسأل عن اسمها واسم كبيرها فقيل له زمخشر فقال لا خير فى شر ورد ولم

الهاقرأت عليه شرح الشمسية من أول الكتاب الى آخره مع حواشى السيد الشريف عليه ثم قرأت عليه شرح العقائد للعلامة التفتازانى مع حواشى المولى الخيالى عليه ثم قرأت عليه شرح هداية الحكمة لمولانا زاده مع حواشى المولى خواجه زاده عليه ثم قرأت عليه شرح آداب البحث لمولانا مسعود الرومى ثم قرأت عليه شرح الطوالع للعلامة الاصفهانى من أوله الى آخره مع حواشى السيد الشريف عليه ثم قرأت عليه بعض المباحث من حاشية شرح المطالع للسيد الشريف قراءة تحقيق واتقان ثم قال لى رحمه الله انى قضيت ما على من حق الابوة فالامر بعد ذلك اليك وما أقرأنى بعد ذلك شيأ ثم قرأت على خالى حواشى شرح التجريد للسيد الشريف من أول الكتاب الى مباحث الوجوب والامكان قراءة تحقيق واتقان ثم قرأت على العالم الفاضل المولى محيى الدين الفنارى شرح المفتاح للسيد الشريف من أول مباحث المسند الى آخر مباحث الفصل والوصل ثم قرأت على العالم العامل والفاضل الكامل المولى محيى الدين سيدى محمد القوجوى شرح المواقف للسيد الشريف من أول الالهيات الى

يلم بها ووقت الميلاد شهر الله الاصم فى عام سبع وستين وأربعمائة والله المحمود والمصلى على محمد وآله وأصحابه هذا آخر الاجازة وقد أطال الكلام فيها ولم يصرح له بمقصوده فيها وما أعلم هل أجازه بعد ذلك أم لا وبينى وبينه فى الرواية شخص واحد فانه أجاز زينب بنت الشعرى ولى منها اجازة كما تقدم فى ترجمتها فى حرف الزاى ومن شعره السائر قوله وقد ذكره السمعانى فى الذيل قال أنشدنى أحمد بن محمود الخوارزمى املاء بسمرقند قال أنشدنا محمود بن عمر الزمخشرى لنفسه بخوارزم وذكر الابيات وهى

ألا قل لسعدى ما لنا فيك من وطر * وما تطلبين النجل من أعين البقر
فانا اقتصرنا بالذين تضايقت * عيونهم والله يجزى من اقتصر
مليح ولكن عنده كل جفوة * ولم أر فى الدنيا صفاء بلا كدر
ولم انس اذ غازلته قرب روضة * الى جنب حوض فيه للماء منحدر
فقلت له جئنى بورد وانما * أردت به ورد الخدود وما شعر
فقال انتظرنى رجع طرف أجئ به * فقلت له هيهات مالى منتظر
فقال ولا ورد سوى الخد حاضر * فقلت له انى قنعت بما حضر

ومن شعره يرثى شيخه أبا مضر (1) منصور المذكور أولا

وقائلة ما هذه الدرر التى * تساقط من عينيك سمطين سمطين
فقلت هو الدر الذى كان قد حشا * أبو مضر أذنى تساقط من عينى

وهذا مثل قول القاضى أبى بكر الارجانى المقدم ذكره ولا أعلم أيهما أخذ من الآخر لانهما كانا متعاصرين وهو

لم يبكنى الا حديث فراقكم * لما أسربه الى مودعى
هو ذلك الدر الذى أودعتم * فى مسمعى أجريته من مدمعى

وهذان البيتان من جملة قصيدة طويلة بديعة ومن المنسوب الى القاضى الفاضل فى هذا المعنى

لا تزدنى نظرة ثانية * كفت الاولى ووفت غنى * لك فى قلبى حديث مودع
لا بحدت الحب ما أودعنى * خذه من جفنى عقردانه * بعض ما أودعته فى اذنى

ومما أنشده لغيره فى كتابه الكشاف عند تفسير قوله تعالى فى سورة البقرة ان الله لا يستحيى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فانه قال أنشدت لبعضهم

يامن يرى مد البعوض جناحها * فى ظلمة الليل البهيم الاليل
ويرى عروق نياطها فى نحرها * والمخ فى تلك العظام النحل
اغفر لعبد تاب من فرطاته * ما كان منه فى الزمان الاول

وكان بعض الفضلاء قد أنشدنى هذه الابيات بمدينة حلب وقال ان الزمخشرى المذكور أوصى أن تكتب على لوح قبره هذه الابيات ثم أنشدنى الفاضل الرئيس بيتين وذكر ان صاحبهما أوصى أن يكتبا على قبره وهما

الهى قد أصبحت ضيفك فى الثرى * وللضيف حق عند كل كريم
فهب لى ذنوبى فى قراى فانها * عظيم ولا يقرى بغير عظيم

وأخبرنى بعض الاصحاب انه رأى بجزيرة سواكن تربة ملكها عز الدولة ريحان وعلى قبره مكتوب

يا أيها الناس كان لى أمل * قصر بى عن بلوغه الاجل * فليتق الله ربه رجل
أمكنه قبل موته العمل * ما أنا وحدى نقلت حيث ترى * كل الى ما نقلت ينتقل

وكانت ولادة الزمخشرى يوم الاربعاء السابع والعشرين من شهر رجب سنة سبع وستين وأربعمائة بزمخشر وتوفى ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة بجرجانية خوارزم بعد رجوعه من مكة رحمه الله تعالى ورثاه بعضهم بأبيات ومن جملتها فأرض مكة تذرى الدمع مقلتها * حزنا لفرقة جار الله محمود وزمخشر بفتح الزاى والميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الشين المعجمة وبعدها راء وهى قرية كبيرة من قرى

مباحث النبوات قراءة تحقيق واتقان وقرأت عليه أيضا تفسير سورة النبا من الكشاف ثم قرأت على العالم الفاضل الكامل المولى بدر الدين محمود بن قاضى زاده الرومى الشهير بميرم جلبى كتاب الفتحية للمولى على القوشجى من الهيئة وكنت اقرأ عليه وهو يكتب له شرحا واتحف ذلك الشرح للسلطان سليم خان فنصبه قاضيا بالعسكر المنصور فى ولاية اناطولى ثم قرأت على المولى العالم العامل الشيخ محمد التونسى مولدا المغوشى شهرة بعضا من صحيح البخارى ونبذا من كتاب الشفاء للقاضى عياض وقرأت عليه أيضا علم الجدل وعلم الخلاف وباحثت معه فى العلوم العقلية والعربية حتى أجاز لى اجازة ملفوظة مكتوبة أن أروى عنه التفسير والحديث وسائر العلوم وجميع ما يجوز له ويصح عنه رواية وهو يروى عن شيخه ولى الله شهاب الدين أحمد البكى المغربى وهو يروى عن

(1) قوله أبا مضر فى أكثر النسخ أبا نصر مع ان المذكور أولا أبو منصور نصر ولكن الموافق لما فى المرتبة على ما هنا وعلى ما رأيت فى المعاهد انه أبو مضر اه قاله نصر الهورينى

خوارزم و جرجانية بضم الجيم الاولى وفتح الثانية وسكون الراء بينهما و بعد الالف نون مكسورة و بعدها ياء مثناة من تحتها مفتوحة مشددة ثم هاء ساكنة وهى قصبة خوارزم قال ياقوت الحموى فى كتاب البلدان يقال لها بلغتهم كركانج وقد عربت فقيل لها الجرجانية وهى على شاطئ جيحون والله تعالى أعلم بالصواب

(أبو طالب محمود بن على بن أبى طالب بن عبد الله بن أبى الرجا التميمى الاصبهانى المعروف بالقاضى)

صاحب الطريقة فى الخلاف تفقه على الشهيد محمد بن يحيى المقدم ذكره و برع فى الخلاف وصنف فيه التعليقة التى شهدت بفضله وتحقيقه وتبريزه على أكثر نظرائه وجمع فيها بين الفقه والتحقيق وكان عمدة المدرسين فى القاء الدروس عليها ومن لم يذكرها فانما كان لقصور فهمه عن ادراك دقائقها واشتغل عليه خلق كثير وانتفعوا به وصاروا علماء مشاهير وكان له فى الوعظ اليد الطولى وكان متفننا فى العلوم خطيبا باصبهان مدة طويلة وتوفى فى شوال سنة خمس وثمانين وخمسمائة رحمه الله تعالى

(أبو القاسم محمود بن ناصر الدولة أبى منصور سبكتكين الملقب أولا سيف الدولة)

ثم لقبه الامام القادر بالله لما سلطنه بعد موت أبيه يمين الدولة وأمين الملة واشتهر به وكان والده سبكتكين قد ورد مدينة بخارى فى أيام نوح بن منصور أحد ملوك السامانية المذكورين فى ترجمة أبى بكر محمد بن زكريا الرازى الطبيب وكان وروده فى صحبة أبى اسحق بن بلكتين وهو حاجبه وعليه مدار أموره فعرفه أركان تلك الدولة بالشهامة والصرامة وتوسموا فيه الارتفاع الى اليفاع ولما خرج أبو اسحق المذكور الى غزنة واليا عليها وسادا مسد أبيه انصرف الامير سبكتكين بانصرافه فى جملته فى زعامة رجاله ومراعاة ماوراء بابه فلم يلبث أبو اسحق بعد موافاتها أن انقضى نحبه ولم يبق من ذوى قرابته من يصلح لمكانته واحتاج الناس الى من يتولى أمورهم فاختلفوا فيمن يصلح لذلك ثم وقع اتفاقهم واجتمعت كلمتهم على تأمير الامير سبكتكين فبايعوه على ذلك وانقادوا لحكمه فلما تمكن واستحكم شرع فى الغزاة والاغارة على أطراف الهند فافتتح قلاعا كثيرة منها وجرت بينه وبين الهنود حروب يقصر الشرح عن وصفها ولم يلبث ان اتسعت رقعة ولايته وعظم حجم جريدته وعمرت أرض خزانته وأشفقت النفوس من هيبته وكان من جملة فتوحاته ناحية بست وكان من جملة مااستفاده من صفاياها أبو الفتح على بن محمد البستى الشاعر المقدم ذكره فانه كان كاتب الملك الناحية المذكورة واسمه أبو نور فلما تعلق بخدمته اعتمد عليه فى أموره وأسر اليه باحواله وشرح ذلك يطول وآخر الامر أن الامير سبكتكين كان قد وصل الى مدينة بلخ من طوس فمرض بها واشتاق الى غزنة فخرج اليها فى تلك الحال فمات فى الطريق قبل وصوله وذلك فى شعبان سنة سبع وثمانين وثلثمائة ونقل تابوته الى غزنة ورثاه جماعة من شعراء عصره منهم كاتبه أبو الفتح البستى المذكور بقوله

قلت اذ مات ناصر الدين والدو * لة حياه ربه بالكرامه
وتداعت جموعه بافتراق * هكذا هكذا تكون القيامه

واجتاز بعض الافاضل بداره بعد موته وقد تشعثت فانشد

عليك سلام الله من منزل قفر * فقد هجت لى شوقا قديما وما تدرى
عهدتك من شهر جديدا ولم أخل * صروف الردى تبلى مغانيك فى شهر

وكان الامير المذكور قد جعل ولى عهده من بعده ولده اسمعيل واستخلفه على الاعمال وأوصى اليه بامور أولاده وعياله وجمع وجوه حجابه وقواده على طاعته ومتابعته وجلس على سرير السلطنة وتحكم واعتبر بيوت الاموال وكان أخوه السلطان محمود بخراسان مقيما بمدينة بلخ واسمعيل بغزنة فلما بلغه نعى أبيه كتب الى أخيه اسمعيل ولاطفه فى القول وقال له ان أبى لم يستخلفك دونى الا لكونك كنت عنده وأنا كنت بعيدا عنه ولو أوقف الامر على حضورى لفاتت مقاصده ومن المصلحة أن نتقاسم الاموال بالميراث فتكون أنت مكانك بغزنة وأنا بخراسان وندبر الامور ونتفق على المصالح فلا يطمع فينا عدو ومتى ما ظهر للناس اختلاف

شيخه حافظ المشرقين أمير المؤمنين فى الحديث شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلانى ثم المصرى وأيضا أجازلى بالتفسير والحديث والدى وهو يروى عن والده وهو يروى عن مولانا يكان وهو يروى عن المولى النكسارى وهو يروى عن جمال الدين الاقسرانى وعن الشيخ اكمل الدين وأيضا يرويهما والدى عن المولى خواجه زاده عن المولى فخر الدين العجمى المفتى وهو يرويهما عن مولانا حيدر وهو يرويهما عن المولى سعد الدين التفتازانى وأيضا أجازلى بالتفسير والحديث المولى الفاضل سيدى محيى الدين القوجوى المذكور وهو يرويهما عن شيخه العالم العامل الفاضل الكامل المولى حسن جلبى الفنارى وهو يرويهما عن تلامذة الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر ثم ان هذا العبد الفقير صار مدرسا أولا بمدرسة ديمهتوقه فى أواخر شهر رجب المرجب لسنة احدى وثلاثين وتسعمائة ودرست هناك الشرح المطول للتلخيص من أول قسم البيان الى مباحث الاستعارة وحواشى شرح التجريد من أول الكتاب الى آخر مباحث أمور العامة ودرست هناك أيضا شرح الفرائض للسيد

طمعوا فينا فابى اسمعيل من موافقته على ذلك وكان فيه لين ورخاوة فطمع فيه الجند وشغبوا عليه وطالبوه بالاموال فاستنفد فى مرضاتهم الخزائن ثم خرج محمود الى هراة وجدد مكاتبة أخيه وهو لا يزداد الا اعتياصا فدعا محمود عمه بغراجق الى موافقته فاجابه وكان أخوه أبو المظفر نصر بن سبكتكين أميرا بناحية بست فنهض اليه وعرض عليه الانقياد لمتابعته فلم يتوقف عليه فلما قوى جاشه بعمه وأخيه قصد أخاه اسمعيل بغزنة وهما معه فنازلها فى جيش عظيم وجم غفير وحاصرها واشتد القتال عليها ففتحها وانحاز اسمعيل الى قلعتها متحصنا بها ثم تلطف فى طلب الامان من أخيه محمود فأجابه الى سؤاله ونزل فى حكم أمانه وتسلم منه مفاتيح الخزائن ورتب فى غزنة النواب والاكفاء وانحدر الى بلخ وكان السلطان محمود قد اجتمع باخيه اسمعيل فى مجلس الانس بعد ظفره به فسأله عما كان فى نفسه انه يعتمده فى حقه لو ظفر به فحملته سلامة صدره ونشوة السكر على ان قال كان فى عزمى أن أسيرك الى بعض القلاع موسعا عليك فيما تقترحه من دار وغلمان وجوار ورزق على قدر الكفاية فعامله بجنس ما كان قد نواه له وسيره الى بعض الحصون وأوصى عليه الوالى أن يمكنه من جميع مايشتهى ولما انتظم الامر للسلطان محمود وكان فى بعض بلاد خراسان نواب لصاحب ماوراء النهر من ملوك بنى سامان فجرى بين السلطان محمود و بينهم حروب انتصر فيها عليهم وملك بلاد خراسان وانقطعت الدولة السامانية منها وذلك فى سنة تسع وثمانين وثلثمائة واستتب له الملك وسير له الامام القادر بالله خلعة السلطنة ولقبه بالالقاب المذكورة فى أول ترجمته وتبوأ سرير المملكة وقام بين يديه أمراء خراسان سماطين مقيمين برسم الخدمة وملتزمين حكم الهيبة واجلسهم بعد الاذن العام على مجلس الانس وأمر لكل واحد منهم ولسائر غلمانه وخاصته ووجوه أوليائه وحاشيته من الخلع والصلات ونفائس الامتعة بما لم يسمع بمثله واتسعت الامور عن آخرها فى كنف ايالته واستوسقت الاعمال فى ضمن كفالته وفرض على نفسه فى كل عام غزو الهند ثم انه ملك سجستان فى سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة بدخول قوادها وولاة أمرها فى طاعته من غير قتال ولم يزل يفتح فى بلاد الهند حتى انتهى الى حيث لم تبلغه فى الاسلام راية ولم تتل به قط سورة ولا آية فرحض عنها أدناس الشرك و بنى بها مساجد وجوامع وتفصيل حاله يطول شرحه ولما فتح بلاد الهند كتب الى الديوان العزيز ببغداد كتابا يذكر فيه ما فتح الله تعالى على يديه من بلاد الهند وأنه كسر الصنم المعروف بسومنات وذكر فى كتابه ان هذا الصنم عند الهنود يحيى ويميت و يفعل مايشاء و يحكم ما يريد وانه اذا شاء أبرأ من جميع العلل و ربما كان يتفق لشقوتهم ابلال عليل يقصده فيوافقه طيب الهواء وكثرة الحركة فيزيدون به افتتانا و يقصدونه من أقاصى البلاد رجالا وركبانا ومن لم يصادف منهم انتعاشا احتج بالذنب وقال انه لم يخلص له الطاعة ولم يستحق منه الاجابة و يزعمون ان الارواح اذا فارقت الاجسام اجتمعت لديه على مذهب أهل التناسخ فينشئها فيمن يشاء وأن مد البحر وجزره عبادة له على قدر طاقته وكانوا بحكم هذا الاعتقاد يحجونه من كل صقع بعيد و يأتون من كل فج عميق و يتحفونه بكل مال نفيس ولم يبق فى بلاد السند والهند على تباعد اقطارها وتفاوت اديانها ملك ولا سوقة الا تقرب الى هذا الصنم بما عز عليه من أمواله وذخائره حتى بلغت أوقافه عشرة آلاف قرية مشهورة فى تلك البقاع وامتلأت خزائنه من أصناف الاموال وفى خدمته من البراهمة ألف رجل يخدمونه وثلثمائة رجل يحلقون رؤس حججه ولحاهم عند الورود عليه وثلثمائة رجل وخمسمائة امرأة يغنون و يرقصون عند بابه و يجرى من مال الاوقاف المرصدة له لكل طائفة من هؤلاء رزق معلوم وكان بين المسلمين و بين القلعة التى فيها الصنم مسيرة شهر فى مفازة موصوفة بقلة المياه وصعوبة المسالك واستيلاء الرمل على طرقها فسار اليها السلطان محمود فى ثلاثين ألف فارس جريدة مختارة من بين عدد كثير وانفق عليهم من الاموال مالا يحصى فلما وصلوا الى القلعة وجدوها حصنا منيعا وفتحوها فى ثلاثة أيام ودخلوا بيت الصنم وحوله من الاصنام الذهب المرصع باصناف الجوهر عدة كثيرة محيطة بعرشه و يزعمون انها الملائكة وأحرق المسلمون الصنم المذكور فوجدوا فى اذنه نيفا وثلاثين حلقة فسألهم محمود عن معنى ذلك فقالوا كل حلقة عبادة ألف سنة وكانوا يقولون بقدم العالم

الشريف ثم صرت مدرسا بمدرسة المولى الحاج حسن بمدينة قسطنطينية فى أوائل شهر رجب المرجب لسنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة ودرست هناك شرح الوقاية لصدر الشريعة من أول الكتاب الى كتاب البيع ودرست هناك أيضا شرح المفتاح للسيد الشريف من أول الكتاب الى مباحث الايجاز والاطناب ودرست هناك أيضا حواشى شرح التجريد من مباحث أمور العامة الى مباحث الوجوب والامكان ونقلت هناك كتاب المصابيح من الحديث من أول الكتاب الى آخره مرتين و بعد اتمامه توفى المولى الوالد رحمه الله تعالى بمدينة قسطنطينية وقت الضحوة من اليوم الثانى عشر من شهر شوال لسنة خمس وثلاثين وتسعمائة ثم صرت مدرسا باسحاقية اسكوب فى أوائل شهر ذى الحجة لسنة ست وثلاثين وتسعمائة وارتحلت اليها ونقلت هناك أيضا كتاب المصابيح من أوله الى آخره وكتاب المشارق من أوله الى آخره فى شهر رمضان ودرست هناك أيضا كتاب التوضيح من أوله الى آخره ودرست هناك أيضا شرح الوقاية لصدر الشريعة من أول كتاب البيع الى آخره ودرست هناك أيضا شرح الفرائض للسيد الشريف ودرست هناك أيضا شرح

و يزعمون ان هذا الصنم يعبد أكثر من ثلاثين ألف سنة و كلما عبدوه ألف سنة علقوا فى أذنه حلقة و بالجملة فان شرح ذلك يطول وذكر شيخنا ابن الاثير فى تاريخه ان بعض الملوك بقلاع الهند أهدى له هدايا كثيرة من جملتها طائر على هيئة القمرى من خاصيته انه اذا حضر الطعام وفيه سم دمعت عينا هذا الطائر وجرى منها ماء وتحجر فاذا حك ووضع على الجراحات الواسعة ألحمها ذكر ذلك فى سنة أربع عشرة وأربعمائة وقد جمع سيرته أبو النصر محمد بن عبد الجبار العتبى الفاضل فى كتاب سماه اليمينى وهو مشهور وذكر فى أوله ان السلطان المذكور ملك الشرق بجنبيه والصدر من العالم ويديه لانتظام الاقليم الرابع بما يليه من الثالث والخامس فى حوزة ملكه وحصول ممالكها الفسيحة وولاياتها العريضة فى قبضة ملكه ومصير امرائها وذوى الالقاب الملوكية من عظمائها تحت حمايته وجبايته واستذراهم من آفات الزمان بظل ولايته ورعايته واذعان ملوك الارض لعزته وارتياعهم بنائض هيبته واحتراسهم على تقاذف الديار وتحاجز الانجاد والاغوار من فاجى ركضه واستخفاء الهند تحت جيوبها عند ذكره واقشعرارهم لمهب الرياح من أرضه وقد كان من حين لفظه المهد وجفاه الرضاع وانحلت عن لسانه عقدة الكلام واستغنى عن الاشارة بالافهام مشغول اللسان بالذكر والقرآن الكريم مشغوف النفس بالسيف والسنان ممدود الهمة الى معالى الامور معقود الامنية بسياسة الجمهور لعبه مع الاتراب جد وجد مستكد بالمالا يعلم حتى يقتله جبرا ويحزن لما يحزن حتى يدمثه قسرا وقهرا وذكر امام الحرمين أبو المعالى عبد الملك الجوينى المقدم ذكره فى كتابه الذى سماه مغيث الخلق فى اختيار الاحق ان السلطان محمودا المذكور كان على مذهب أبى حنيفة رضى الله عنه وكان مولعا بعلم الحديث وكانوا يسمعون الحديث من الشيوخ بين يديه وهو يسمع وكان يستفسر الاحاديث فوجد أكثرها موافقا لمذهب الشافعى رضى الله عنه فوقع فى خلده حكمه فجمع الفقهاء من الفريقين فى مرو والتمس منهم الكلام فى ترجيح أحد المذهبين على الآخر فوقع الاتفاق على أن يصلوا بين يديه ركعتين على مذهب الامام الشافعى رضى الله عنه وعلى مذهب أبى حنيفة رضى الله عنه لينظر فيه السلطان ويتفكر ويختار ما هو أحسنهما فصلى القفال المروزى وقد تقدم ذكره بطهارة مسبغة وشرائط معتبرة من الطهارة والسترة واستقبال القبلة وأتى بالاركان والهيآت والسنن والآداب والفرائض على وجوه الكمال والتمام وقال هذه صلاة لا يجوز الامام الشافعى دونها رضى الله تعالى عنه ثم صلى ركعتين على ما يجوز أبو حنيفة رضى الله عنه فلبس جلد كلب مدبوغا ثم لطخ ربعه بالنجاسة وتوضأ بنبيذ التمر وكان فى صميم الصيف فى المفازة واجتمع الذباب والبعوض وكان وضوءه منكسا منعكسا ثم استقبل القبلة وأحرم بالصلاة من غير نية فى الوضوء وكبر بالفارسية ثم قرأ آية بالفارسية دو بركك سبز ثم نقر نقرتين كنقرات الديك من غير فصل ومن غير ركوع وتشهد وضرط فى آخره من غير نية السلام وقال أيها السلطان هذه صلاة أبى حنيفة فقال السلطان لو لم تكن هذه الصلاة صلاة أبى حنيفة لقتلتك لان مثل هذه الصلاة لا يجوزها ذو دين فانكرت الحنفية أن تكون هذه صلاة أبى حنيفة فأمر القفال باحضار كتب أبى حنيفة وأمر السلطان نصرانيا كاتبا يقرأ المذهبين جميعا فوجدت الصلاة على مذهب أبى حنيفة على ما حكاه القفال فأعرض السلطان عن مذهب أبى حنيفة وتمسك بمذهب الشافعى رضى الله عنه انتهى كلام امام الحرمين وكانت مناقب السلطان محمود كثيرة وسيره من أحسن السير ومولده ليلة عاشوراء سنة احدى وستين وثلثمائة وتوفى فى شهر ربيع الآخر وقيل حادى عشر صفر سنة احدى وقيل اثنتين وعشرين وأربعمائة بغزنة رحمه الله تعالى وقام بالامر من بعده ولده محمد بوصية من أبيه واجتمعت عليه الكلمة وغمرهم بانفاق الاموال فيهم وكان أخوه أبو سعيد مسعود غائبا فقدم نيسابور وقد استتب أمر أخيه محمد فراسله ومال الناس اليه لقوة نفسه وتمام هيبته وزعم ان الامام القادر بالله قلده خراسان ولقبه الناصر لدين الله وخلع عليه وطوقه سوارا فقوى أمره لذلك وكان محمد هذا سيئ التدبير منهمكا فى ملاذه فأجمع الجند على عزل محمد وتولية الملك لمسعود ففعلوا ذلك وقبضوا على محمد وحملوه الى قلعة ووكلوا به واستقر الملك للامير مسعود وجرى له مع بنى سلجوق خطوب يطول شرحها وله فى ترجمة

المعتمد بن عباد حكاية فى المقام فلينظر هنالك وقتل سنة ثلاثين وأربعمائة واستولى على المملكة بنو سلجوق وقد تقدم فى ترجمة السلطان طغرلبك السلجوقى طرف من الخبر وكيفية ما اعتمده السلطان محمود فى حقهم وكيف تغلبوا على الامر وسبكتكين بضم السين المهملة والباء الموحدة وسكون الكاف وكسر التاء المثناة من فوقها والكاف الثانية وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون وتفسير دو بركك سبز ورقتان خضراوان وهو معنى قوله تعالى فى سورة الرحمن مدهامتان والله تعالى أعلم

(أبو القاسم محمود بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقى الملقب مغيث الدين أحد الملوك السلجوقية المشاهير)

وقد تقدم ذكر والده وجماعة من أهل بيته وسيأتى ذكر جده وغيره منهم ان شاء الله تعالى وتقدم طرف من خبره فى ترجمة العزيز أبى نصر أحمد بن حامد الاصبهانى عم العماد الكاتب تولى أبو القاسم المذكور السلطنة بعد وفاة والده وخطب له بمدينة بغداد على جارى عادة الملوك السلجوقية يوم الجمعة الثالث والعشرين من المحرم سنة اثنتى عشرة وخمسمائة فى خلافة المستظهر بالله وهو يومئذ فى سن الحلم وكان متوقد الذكاء قوى المعرفة بالعربية حافظا للاشعار والامثال عارفا بالتواريخ والسير شديد الميل الى أهل العلم والخير وكان حيص بيص الشاعر المقدم ذكره قد قصده من العراق ومدحه بقصيدته الدالية المشهورة التى أولها

ألق الحدائج ترعى الضمر القود * طال السرى وتشكت وخدك البيد
ياسارى الليل لا جدب ولا فرق * فالنبت أغيد والسلطان محمود
قيل تألفت الاضداد خيفته * فالمورد الضنك فيه الشاء والسيد

وهى طويلة من غرر القصائد وأجازه عليها جائزة سنية وقد كان تزوج بنتى عمه السلطان سنجر المقدم ذكره حسبما شرحناه فى ترجمة العزيز الاصبهانى واحدة بعد الاخرى وكانت السلطنة فى أواخر أيامه قد ضعفت وقلت أموالها حتى عجزوا عن اقامة وظيفة الفقاعى فدفعوا اليه يوما بعض صناديق الخزانة حتى باعها وصرف ثمنها فى حاجته وكان فى آخر مدته قد دخل بغداد ثم خرج منها فمرض فى الطريق واشتد به المرض وتوفى يوم الخميس خامس شوال سنة خمس وعشرين وخمسمائة رحمه الله تعالى وذكر ابن الازرق الفارقى فى تاريخه أنه مات خامس عشر شوال سنة أربع وعشرين بباب أصبهان ودفن بها وولى السلطنة أخوه طغرلبك ومات سنة سبع وعشرين وتولى أخوه مسعود وسيأتى ذكره ان شاء الله تعالى وابنه محمد شاه بن محمود بن محمد هو الذى حاصر بغداد ومعه زين الدين أبو الحسن على بن بلتكين صاحب اربل فى سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة وقال شيخنا ابن الاثير فى سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة قال ذلك فى تاريخه الصغير المعروف بالاتابكى ومات محمد شاه المذكور فى ذى الحجة سنة أربع وخمسين وخمسمائة وتاريخ وفاة زين الدين المذكور مذكور فى ترجمة ولده مظفر الدين صاحب اربل فى حرف الكاف ومات محمد شاه بباب همذان ومولده فى شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة

(أبو القاسم محمود بن عماد الدين زنكى بن آق سنقر الملقب الملك العادل نور الدين)

قد تقدم ذكر أبيه فى حرف الزاى ولما حاصر أبوه قلعة جعبر حسبما تقدم ذكره فى ترجمته وكان ولده نور الدين المذكور فى خدمته فلما قتل أبوه سار نور الدين وفى خدمته صلاح الدين محمد بن أيوب اليغسانى وعساكر الشام الى مدينة حلب فملكها فى ذلك التاريخ وملك أخوه سيف الدين غازى المذكور فى حرف الغين مدينة الموصل وما والاها من تلك النواحى ثم انه نزل على دمشق محاصرا لها وصاحبها يومئذ مجير الدين أبو سعيد أرتق بن جمال الدين محمد بن تاج الملوك بورى بن ظهير الدين طغتكين وهو اتابك الملك دقاق بن تتش المقدم ذكره فى ترجمة تتش فى حرف التاء وكان نزوله عليها ثالث صفر سنة تسع وأربعين وخمسمائة وملكها يوم الاحد تاسع الشهر المذكور وعوض مجير الدين ارتق عوضا عن دمشق حمص ثم أخذها منه وعوضه عنها

المفتاح من أول فن البيان الى آخر الكتاب ثم ارتحلت الى مدينة قسطنطينية وصرت مدرسا بها بمدرسة قلندرخانه فى اليوم السابع عشر من شهر شوال المكرم لسنة اثنتين وأربعين وتسعمائة ونقلت هنالك كتاب المصابيح من أوله الى كتاب البيوع ودرست هنالك أيضا شرح المواقف من أول مباحث الوجوب والامكان الى مباحث الأعراض ودرست هنالك أيضا بعضا من شرح الوقاية لصدر الشريعة ونبذا من شرح المفتاح للسيد الشريف ثم انتقلت الى مدرسة الوزير مصطفى باشا بالمدينة المزبورة فى اليوم الحادى والعشرين من شهر ربيع الاول لسنة أربع وأربعين وتسعمائة ونقلت هنالك كتاب المصابيح من كتاب البيوع الى آخر الكتاب وابتدأت بدراسة كتاب الهداية حتى وصلت الى كتاب الزكاة ودرست هنالك أيضا بعض المباحث من أول الالهيات من شرح المواقف ثم انتقلت الى احدى المدرستين المتجاورتين بادرنه فى اليوم الرابع من شهر ذى القعدة لسنة خمس وأربعين وتسعمائة وابتدأت هنالك برواية صحيح البخارى ونقلت منه مجلدة واحدة من المجلدات التسع ودرست هنالك كتاب الهداية من أول كتاب الزكاة الى آخر كتاب الحج ودرست هنالك أيضا كتاب التلويح من أول الكتاب الى التقسيم الاول ثم انتقلت الى احدى المدارس الثمان فى اليوم الثالث والعشرين من شهر ربيع الاول لسنة ست وأربعين وتسعمائة ونقلت هنالك صحيح البخارى واتممته مرتين ونقلت تفسير سورة البقرة من تفسير البيضاوى ودرست هنالك كتاب الهداية من أول كتاب النكاح الى كتاب البيوع ودرست كتاب التلويح من التقسيم الاول الى مباحث الاحكام ثم انتقلت الى مدرسة السلطان بايزيدخان بمدينة ادرنه فى اليوم الحادى عشر من شهر شوال لسنة احدى وخمسين وتسعمائة ونقلت هنالك من صحيح البخارى مقدار ثلثه ودرست هنالك كتاب الهداية من كتاب البيوع الى كتاب الشفعة وكتاب التلويح من قسم الاحكام الى آخر الكتاب ودرست هنالك أيضا شرح المواقف ودرست هنالك أيضا شرح الفرائض للسيد الشريف الى ان وصلت مباحث التصحيح ثم صرت قاضيا بمدينة بروسه فى اليوم السادس والعشرين من شهر رمضان المبارك لسنة اثنتين وخمسين وتسعمائة فباضيعة الاعمار ثم صرت مدرسا باحدى

نابلس فانتقل اليها وأقام بها مدة ثم قصد بغداد في أيام الامام المقتفي وكان اتابكه معين الدين بن عبد الله عتيق جد أبيه ظهير الدين طغتكين هنالك أيضا ثم استولى نور الدين محمود على بقية بلاد الشام من حماة و بعلبك وهو الذي بنى سورها وما بين ذلك وافتتح من بلاد الروم عدة حصون منها مرعش و بهنسا وتلك الاطراف وكان فتحه مرعش في ذي القعدة من سنة ثمان وستين وخمسمائة والبهنسا في ذي الحجة من السنة وافتتح أيضا من بلاد الفرنج حارم وكان فتحها في أواخر شهر رمضان سنة تسع وخمسين وخمسمائة وفتح عزاز وبانياس وغير ذلك مما تزيد عدته على خمسين حصنا ثم سير الامير أسد الدين شيركوه المقدم ذكره الى مصر ثلاث دفعات وملكها السلطان صلاح الدين في الدفعة الثالثة نيابة عنه وضرب باسمه السكة والخطبة وهي قضية مشهورة فلا حاجة الى الاطالة في شرحها وسيأتي ذلك في ترجمة صلاح الدين ان شاء الله تعالى وكان ملكا عادلا زاهدا عابدا ورعا مستمسكا بالشريعة مائلا الى أهل الخير مجاهدا في سبيل الله تعالى كثير الصدقات بنى المدارس بجميع بلاد الشام الكبار مثل دمشق وحلب وحماة وحمص و بعلبك ومنبج والرحبة وقد تقدم ذلك في ترجمة الشيخ شرف الدين بن أبي عصرون و بنى بمدينة الموصل الجامع النوري ورتب له ما يكفيه و بحماة الجامع الذي على ظهر العاصي وجامع الرها وجامع منبج و بيمارستان دمشق ودار الحديث بها أيضا وله من المناقب والمآثر والمفاخر ما يستغرق الوصف وكان بينه و بين أبي الحسن سنان بن سليمان بن محمد الملقب راشد الدين صاحب قلاع الاسماعيلية ومقدم الفرقة الباطنية بالشام واليه تنسب الطائفة السنانية مكاتبات ومحاورات بسبب المجاورة فكتب اليه نور الدين في بعض الازمنة كتابا يتهدده فيه و يتوعده لسبب اقتضى ذلك فشق على سنان فكتب جوابه أبياتا ورسالة وهما

يا ذا الذي بقراع السيف هددنا * لا قام مصرع جنبي حين تصرعه
قام الحمام الى البازي يهدده * واستيقظت لاسود البر اضبعه
أضحى يسد فم الافعى باصبعه * يكفيه ما قد تلاقى منه أصبعه

وقفنا على تفاصيله وجمله وعلمنا ما هددنا به من قوله وعمله فيا لله العجب من ذبابة تطن في أذن فيل و بعوضة تعد في التماثيل ولقد قالها من قبلك قوم آخرون فدمرنا عليهم وما كان لهم من ناصرين أو للحق تدحضون وللباطل تنصرون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون وأما ما صدر من قولك في قطع راسي وقلعك لقلاعي من الجبال الرواسي فتلك أماني كاذبه وخيالات غير صائبه فان الجواهر لا تزول بالاعراض كما ان الارواح لا تضمحل بالامراض كم بين قوي وضعيف ودني وشريف وان عدنا الى الظواهر والمحسوسات وعدلنا عن البواطن والمعقولات فلنا أسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله ما أوذي نبي ما أوذيت ولقد علمتم ما جرى على عترته وأهل بيته وشيعته والحال ما حال والامر ما زال ولله الحمد في الاولى والآخرة اذ نحن مظلومون لا ظالمون ومغصوبون لا غاصبون واذا جاء الحق زهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ولقد علمتم ظاهر حالنا وكيفية رجالنا وما يتمنونه من الفوت و يتقربون به الى حياض الموت قل فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين وفي أمثال العامة السائرة أو للبط تهددون بالشط فهيئ للبلايا جلبابا وتدرع للرزايا أثوابا فلاظهرن عليك منك ولأفنينهم فيك عنك فتكون كالباحث عن حتفه بظلفه والجادع مارن أنفه بكفه وما ذلك على الله بعزيز وهذه الرسالة نقلت من خط القاضي الفاضل على هذه الصورة ورأيت في نسخة زيادة على هذا وهي فاذا وقفت على كتابنا هذا فكن لامرنا بالمرصاد ومن حالك على اقتصاد واقرأ أول النحل وآخر صاد والصحيح انه كتبها الى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب والله أعلم ورأيت في بعض النسخ زيادة بيت في أول الابيات الثلاثة وهو

يا للرجال لامر هال مفظعه * ما مر قط على سمعي توقعه

وكتب سنان المذكور مرة أخرى اليه وقد جرت بينهما وحشة

بنا نلت هذا الملك حتى تأثلت * بيوتك فيها واشمخر عمودها
فأصبحت ترمينا بنبل بنا استوى * مغارسها منا وفينا حديدها

وبالجملة

المدارس الثمان ثانيا في اليوم الثامن عشر من شهر رجب المرجب لسنة أربع وخمسين وتسعمائة ونقلت هنالك صحيح البخاري واتممته ودرست هنالك كتاب الهداية من كتاب الشفعة الى آخر الكتاب ودرست هنالك أيضا كتاب التلويح من أوله الى التقسيم الرابع ودرست هنالك أيضا حواشي الكشاف للسيد الشريف الى ان وصلت الى أثناء سورة الفاتحة ثم صرت قاضيا بمدينة قسطنطينية في اليوم السابع عشر من شهر شوال المكرم لسنة ثمان وخمسين وتسعمائة واخترمت اشغال القضاء ما كنت عليه من الاشتغال بالعلم الشريف كان ذلك في الكتاب مسطورا وكان أمر الله قدرا مقدورا ثم وقعت لي في اليوم السابع عشر من شهر ربيع الاول لسنة احدى وستين وتسعمائة عارضة الرمد ودام ذلك شهورا وأضرت بذلك عيناي وأرجو من الله تعالى سبحانه ان يعوضني منهما الجنة على مقتضى وعد نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ان الله تعالى قد وفق هذا العبد الضعيف في اثناء اشتغاله بالعلم الشريف لبعض التصانيف من التفسير وأصول الدين واصول الفقه والعربية وأيضا

و بالجملة فان محاسن نور الدين كثيرة وكانت ولادته يوم الاحد عند طلوع الشمس سابع عشر شوال سنة احدى عشرة وخمسمائة وتوفي يوم الاربعاء حادي عشر شوال سنة تسع وستين وخمسمائة بقلعة دمشق بعلة الخوانيق وأشار عليه الاطباء بالفصد فامتنع وكان مهيبا فما روجع ودفن في بيت بالقلعة كان يلازم الجلوس فيه والمبيت أيضا ثم نقل الى تربته بمدرسته التي أنشأها عند باب سوق الخواصين وسمعت من جماعة من أهل دمشق يقولون ان الدعاء عند قبره مستجاب ولقد جربت ذلك فصح رحمه الله تعالى وكان أسمر اللون طويل القامة حسن الصورة ليس بوجهه شعر سوى ذقنه وكان قد عهد بالملك الى ولده الملك الصالح عماد الدين اسمعيل وعمره يوم مات أبوه احدى عشرة سنة فقام بالامر من بعده وانتقل من دمشق الى حلب ودخل قلعتها يوم الجمعة مستهل المحرم سنة سبعين وخمسمائة وخرج السلطان صلاح الدين من مصر وملك دمشق وغيرها من بلاد الشام ولم يبق عليه سوى مدينة حلب ولم يزل الصالح بها الى أن توفي يوم الجمعة الخامس والعشرين من رجب سنة سبع وسبعين وخمسمائة ذكروا انه لم يبلغ عشرين سنة والله أعلم وكان مبدأ مرضه في تاسع شهر رجب من السنة المذكورة وحدث له قولنج في مستهل جمادى الاولى وكان لموته وقع عظيم في قلوب الناس وتأسفوا عليه لانه كان محسنا محمود السيرة ودفن في المقام الذي في القلعة ثم نقل الى رباطه المعروف به تحت القلعة وهو مشهور هنالك رحمه الله تعالى وتوفي مجير الدين ارتق المذكور في سنة أربع وستين وخمسمائة ببغداد ودفن في داره كذا وجدته في بعض المسودات التي بخطي والله أعلم ومولده يوم الجمعة ثامن شعبان سنة أربع وثلاثين وخمسمائة ببعلبك والله تعالى أعلم

(ابو السمط وقيل ابو الهندام مروان بن أبي حفصة سليمان بن يحيى بن أبي حفصة يزيد الشاعر المشهور)

كان جده أبو حفصة مولى مروان بن الحكم بن أبي العاص الاموي فاعتقه يوم الدار لانه ابلى يومئذ فجعل عتقه جزاءه وقيل ان أبا حفصة كان يهوديا طبيبا أسلم على يد عثمان بن عفان رضي الله عنه وقيل على يد مروان ابن الحكم بن أبي العاص الاموي و يزعم أهل المدينة انه كان من موالي السموأل بن عاديا اليهودي المشهور بالوفاء صاحب القصة المشهورة مع امرئ القيس بن حجر الشاعر المشهور وان أبا حفصة سبي من اصطخر وهو غلام فاشتراه عثمان رضي الله عنه ووهبه لمروان بن الحكم ومروان بن أبي حفصة الشاعر المذكور من أهل اليمامة وقدم بغداد ومدح المهدي وهرون الرشيد وكان يتقرب الى الرشيد بهجاء العلويين ومروان المذكور من الشعراء المجيدين والفحول المتقدمين ذكره أبو العباس عبد الله بن المعتز في كتاب طبقات الشعراء فقال في حقه وأجود ما قاله مروان قصيدته الغراء اللامية وهي التي فضل بها على شعراء زمانه يمدح فيها معن بن زائدة الشيباني و يقال انه أخذ منه عليها مالا كثيرا لا يقدر قدره ولم ينل أحد من الشعراء الماضين ما ناله مروان بشعره فمما ناله ضربة واحدة ثلثمائة ألف درهم من بعض الخلفاء بسبب بيت واحد انتهى كلام ابن المعتز والقصيدة اللامية طويلة تناهز الستين بيتا ولولا خوف الاطالة لذكرتها لكن نأتي ببعض مديحها وهو من أثنائها فنقول

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم * أسود لهم في بطن خفان أشبل
تجنب لا في القول حتى كأنه * حرام عليه قول لا حين يسأل
تشابه يوماه علينا فاشكلا * فلا نحن ندري أي يوميه أفضل
أيوم نداه الغمر أم يوم بأسه * وما منهما الأغر محجل
بهاليل في الاسلام سادوا ولم يكن * كأولهم في الجاهلية اول
هم القوم ان قالوا أصابوا وان دعوا * أجابوا وان أعطوا أطابوا وأجزلوا
وما يستطيع الفاعلون فعالهم * وان أحسنوا في النائبات وأجملوا
ثلاث بامثال الجبال حباهم * وأحلامهم منها لدى الوزن أثقل

من الله سبحانه على بحل بعض المباحث الغامضة وتحقيق المطالب العالية وكتبت لكل منها رسالة ومجموعها ينيف على ثلاثين الا ان صوارف الايام بتقدير الملك العلام قد اخترمتها ولم يتيسر لي تبييضها هذا ما منحني الله تعالى من العلوم والمعارف وما قسمه الله لي بحسب استعدادي الفطري وفوق كل ذي علم عليم وليس هذا والعياذ بالله تعالى ادعاء للعلم والفضيلة بل ائتمار لقوله تعالى واما بنعمة ربك فحدث فليكن هذا آخر الكتاب وقد أمليته على بعض من الاصحاب مع كلال البصر وكلال الحصر وقلة الفطن وضيق العطن ووقوعي في زاوية الخمول والنسيان والانقطاع عن الاخوان والخلان والحمد لله على كل حال وله الشكر على الانعام والافضال وقد فرغت من املائه يوم السبت آخر شهر رمضان المبارك في تاريخ سنة خمس وستين وتسعمائة بمدينة قسطنطينية المحمية حماها الله تعالى في ظل والها عن الآفات والبلية وحفها بالميامن البهية والبركات السنية والحمد لله أولا وآخرا و باطنا وظاهرا والصلاة على نبيه محمد وآله وصحبه متوافرا متكاثرا ورضي الله سبحانه وتعالى عنا

هـذا لعمري هو السحر الحلال المنقح لفظا ومعنىً وحقه أن يفضل على شعراء عصره وغيرهم وله في مدائح معن ومراثيه كل معنى بديع وسيأتي شيء من ذلك في أخبار معن ان شاء الله تعالى وحكى ابن المعتز أيضا عن شراحيل بن معن بن زائدة انه قال عرضت في طريق مكة ليحيى بن خالد البرمكي وهو في قبة وعديله القاضي ابو يوسف الحنفي وهما يريدان الحج قال شراحيل فاني لاسير تحت القبة اذ عرض له رجل من بني أسد في شارة حسنة فانشده شعرا فقال له يحيى بن خالد في بيت منها ألم أنهك عن مثل هذا البيت أيها الرجل ثم قال يا أخا بني أسد اذا قلت الشعر فقل كقول الذي يقول وأنشده الابيات اللامية المتقدم ذكرها فقال له القاضي أبو يوسف وقد أعجبته الابيات جدا من قائل هذه الابيات يا أبا الفضل فقال يحيى يقولها مروان بن أبي حفصة يمدح بها أبا هذا الفتى الذي تحت القبة قال شراحيل فرمقني أبو يوسف بعينيه وأنا راكب على فرس لي عتيق وقال لي من أنت يافتى حياك الله تعالى وقربك قلت أنا شراحيل بن معن بن زائدة الشيباني قال شراحيل فوالله ماأتت عليّ ساعة قط كانت أقر لعيني من تلك الساعة ارتياحا وسرورا (ويحكى) أن ولد المروان بن أبي حفصة المذكور دخل على شراحيل المذكور فانشده

أيا شراحيل [٣] بن معن بن زائدة * يا أكرم الناس من عجم ومن عرب
أعطى أبوك أبي مالا فعاش به * فاعطني مثل ما أعطى أبوك أبي
ماحل قط أبي أرضا أبوك بها * الا وأعطاه قنطارا من الذهب

فاعطاه شراحيل بن معن بن زائدة قنطارا من الذهب ومما يقارب هذه الحكاية ما روي عن أبي مليكة جرول بن أوس المعروف بالحطيئة الشاعر المشهور لما اعتقله عمر بن الخطاب رضي الله عنه لبذاءة لسانه وكثرة هجوه الناس كتب اليه من الاعتقال

ماذا تقول لافراخ بذي مرخ * حمر الحواصل لاماء ولا شجر * ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة
فارحم عليك سلام الله ياعمر * أنت الامام الذي من بعد صاحبه * ألقت اليك مقاليد النهى البشر
ما آثروك بها اذ قدموك لها * لكن لانفسهم قد كانت الاثر

فاطلقه وشرط عليه أن يكف لسانه عن الناس فقال له يا أمير المؤمنين اكتب لي كتابا الى علقمة بن علاثة لاقصده به فقد منعتني التكسب بشعري وكان علقمة مقيما بحوران وهو من الاجواد المشهورين قال ابن الكلبي في كتاب جمهرة النسب هو علقمة بن علاثة بن عوف بن ربيعة ويقال له الاحوص لصغر عينيه ابن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن وكان عمر رضي الله عنه استعمله على حوران فامتنع عمر رضي الله عنه من ذلك فقيل يا أمير المؤمنين وما عليك من ذلك علقمة ليس من عمالك فتخشى من ذلك ان تأثم وانما هو رجل من المسلمين تشفع بك اليه فكتب له بما أراد فمضى الحطيئة بالكتاب فصادف علقمة قد مات والناس منصرفون من قبره وابنه حاضر فوقف عليه ثم أنشد

لعمري لنعم المرء من آل جعفر * بحوران أمسى علقته الحبائل
فان تحي لاأملك حياتي وان تمت * فمافي حياتي بعد موتك طائل
وما كان بيني لو لقيتك سالما * وبين الغنى الا ليال قلائل

فقال ابنه كم ظننت ان علقمة كان يعطيك لو وجدته حيا فقال مائة ناقة يتبعها مائة من أولادها فأعطاه ابنه اياها والبيتان الاخيران من هذه الثلاثة وجدتهما في ديوان النابغة الذبياني واسمه زياد بن معاوية بن جابر من جملة قصيدة يرثي بها النعمان بن أبي شمر الغساني وأخبار ابن أبي حفصة ونوادره ومحاسنه كثيرة فلا حاجة الى الاطناب بذكرها وكانت ولادته سنة خمس ومائة وتوفي سنة احدى وثمانين وقيل سنة اثنتين وثمانين ومائة ببغداد ودفن بمقبرة نصر بن مالك الخزاعي رحمه الله تعالى وحفيده مروان الاصغر وهو أبو السبط مروان بن أبي الجنوب بن مروان الاكبر المذكور وكان من شعراء عصره المشاهير المقدمين وذكر المبرد في كتاب الكامل طرفا من أخبار عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الانصاري ثم قال ويروى ان عبد الرحمن

٣ قوله ابن معن يقرأ بكسر الباء وسكون النون للوزن

وعن العلماء العاملين والمشايخ الزاهدين والفقراء القانعين ورحم الله تعالى أسلافنا وأبقى بمنه أخلافنا انه الحنان المنان ذو المن والاحسان ورضي الله تعالى عن الاصحاب والاحباب الذين اجتهدوا في جمع هذا الكتاب وعن كافة المسلمين أجمعين بحرمة نبيه محمد الامين وآله وصحبه الاكرمين ولنختم الكلام ببعض من جوامع الادعية المروية عن سيد الانام عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة والسلام اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصيبات الدنيا ومتعنا باسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا واجعل ثارنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا رب تقبل توبتي واغسل حوبتي واجب دعوتي وثبت حجتي وسدد لساني واهد قلبي واسلل سخيمة صدري سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

(تمت الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية)

المذكور ولدغه زنبور فجاء أباه يبكي فقال له مالك قال لسعني طائر كأنه ملتف في بردي حبرة فقال أبوه قلت الشعر والله ثم قال بعد ذلك وأعرف قوما كانوا في الشعر الى حسان فانهم كانوا يعدون ستة في نسق كلهم شاعر وهم سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام وبعد هؤلاء في الوقت الى أبي حفصة فانهم أهل بيت كل واحد منهم شاعر يتوارثونه كابرا عن كابر ويحيى بن أبي حفصة كنيته أبو جميل وأمه حيا بنت ميمون يقال انها من ولد النابغة الجعدي وأن الشعر أتى الى ابي حفصة بذلك السبب وكل واحد من هؤلاء كان يضرب بلسانه ارنبة أنفه وهو دليل على الفصاحة والبلاغة والله تعالى أعلم

(ابو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري)

صاحب الصحيح أحد الائمة الحفاظ واعلام المحدثين رحل الى الحجاز والعراق والشام ومصر وسمع يحيى بن يحيى النيسابوري وأحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وعبد الله بن مسلمة القعنبي وغيرهم وقدم بغداد غير مرة فروى عنه أهلها وآخر قدومه اليها في سنة تسع وخمسين ومائتين وروى عنه الترمذي وكان من الثقات وقال محمد الماسرجسي سمعت مسلم بن الحجاج يقول صنفت هذا المسند الصحيح من ثلثمائة ألف حديث مسموعة وقال الحافظ أبو علي النيسابوري ما تحت أديم السماء أصح من كتاب مسلم في علم الحديث وقال الخطيب البغدادي كان مسلم يناضل عن البخاري حتى أوحش ما بينه وبين محمد بن يحيى الذهلي بسببه وقال أبو عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ لما استوطن البخاري نيسابور أكثر مسلم من الاختلاف اليه فلما وقع بين محمد بن يحيى والبخاري ما وقع في مسئلة اللفظ ونادى عليه ومنع الناس من الاختلاف اليه حتى هجر وخرج من نيسابور في تلك المحنة قطعه أكثر الناس غير مسلم فانه لم يتخلف عن زيارته فانهى الى محمد بن يحيى ان مسلم ابن الحجاج على مذهبه قديما وحديثا وانه عوتب على ذلك بالحجاز والعراق ولم يرجع عنه فلما كان يوم مجلس محمد بن يحيى قال في آخر مجلسه ألا من قال باللفظ فلا يحل أن يحضر مجلسنا فأخذ مسلم الرداء فوق عمامته وقام على رؤس الناس وخرج من مجلسه وجمع كل ما كتب منه وبعث به على ظهر حمال الى باب محمد بن يحيى فاستحكمت بذلك الوحشة وتخلف عنه وعن زيارته وتوفي مسلم المذكور عشية يوم الاحد ودفن بنصراباذ ظاهر نيسابور يوم الاثنين لخمس وقيل لست بقين من شهر رجب الفرد سنة احدى وستين ومائتين بنيسابور وعمره خمس وخمسون سنة هكذا وجدته في بعض الكتب ولم أر أحدا من الحفاظ ضبط مولده ولا تقدير عمره وأجمعوا على انه ولد بعد المائتين وكان شيخنا تقي الدين أبو عمرو عثمان المعروف بابن الصلاح يذكر مولده وغالب ظني انه قال سنة اثنتين ومائتين ثم كشفت ما قاله ابن صلاح الدين فاذا هو في سنة ست ومائتين نقل ذلك من كتاب علماء الامصار تصنيف الحاكم أبي عبد الله بن البيع النيسابوري الحافظ ووقفت على الكتاب الذي نقل منه وملكت النسخة التي نقل منها أيضا وكانت ملكه وبيعت في تركته ووصلت الي وملكتها وصورة ما قاله بان مسلم بن الحجاج توفي بنيسابور لخمس بقين من شهر رجب الفرد سنة احدى وستين ومائتين وهو ابن خمس وخمسين سنة فتكون ولادته في سنة ست ومائتين والله أعلم رحمه الله تعالى وقد تقدم الكلام على القشيري صاحب الرسالة فاغنى عن الاعادة وأما محمد بن يحيى المذكور فهو أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد بن فارس بن ذؤيب الذهلي النيسابوري وكان أحد الحفاظ الاعيان روى عنه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والقزويني وكان ثقة مأمونا وكان سبب الوحشة بينه وبين البخاري أنه لما دخل البخاري مدينة نيسابور شعث عليه محمد بن يحيى في مسئلة خلق اللفظ وكان قد سمع منه فلم يمكنه ترك الرواية عنه وروى عنه في الصوم والطب والجنائز والعتق وغير ذلك مقدار ثلاثين موضعا ولم يصرح باسمه فيقول حدثنا محمد بن يحيى الذهلي بل يقول حدثنا محمد ولا يزيد عليه ويقول محمد بن عبد الله فينسبه الى جده وينسبه أيضا الى جد أبيه وتوفي محمد المذكور سنة اثنين وقيل سبع وقيل ثمان وخمسين ومائتين رحمه الله تعالى والله أعلم

(ابو المعالي مسعود بن محمد بن مسعود النيسابوري الطريثيثي الفقيه الشافعي الملقب قطب الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يامن قدر الآجال وجعل لها مددا ودبر الامور واحصى كل شئ عددا صل على محمد خير من نطق بالصواب وأوتي الحكمة وفصل الخطاب وختم به الرسالة والكتاب ومن تبعه باحسان من الآل والاصحاب *(وبعد)* فنحن نقص عليك أحسن القصص والأخبار من تواريخ العلماء الكبار والمشايخ الاخيار الذين درجوا في زماني وشالت نعامتهم في عصري وأواني من الذين تبركت بصحبتهم أو تشرفت بمجرد رؤيتهم أسكنهم الله فراديس الجنان وأنزلهم بلطفه خير مستقر ومكان ويا عجبا من هذه البحور كيف وسعها أصداف القبور ومن هذه الجبال كيف واراها الآل حتى لم يبق منها الا التصور والخيال وقصدت في ذلك الى أحسن المسالك من أوفق العبارات وأرشق الاشارات ولعمري ان ذلك يعد عند الاكثرين من تضييع الاوقات لان المعارف عندهم خرافات فانا قد انتهت الى زمان يرون الادب عيبا ويعدون

تفقه بنيسابور ومرو على أئمتهما وسمع الحديث من غير واحد ورأى الاستاذ أبا نصر القشيري ودرس بالمدرسة النظامية بنيسابور نيابة عن ابن الجويني وكان قد قرأ القرآن الكريم والادب على والده وقدم بغداد ووعظ بها وتكلم في المسائل فاحسن وقدم بدمشق سنة أربعين وخمسمائة ووعظ بها وحصل له قبول ودرس بالمدرسة المجاهدية بالزاوية الغربية من جامع دمشق بعد موت الفقيه أبي الفتح نصر الله المصيصي وذكره الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق ثم خرج الى حلب وتولى التدريس في المدرستين اللتين بناهما نور الدين محمود وأسد الدين شيركوه ثم مضى الى همذان وتولى التدريس بها ثم رجع الى دمشق ودرس بالزاوية الغربية وحدث وتفرد برياسة أصحاب الشافعي رضي الله عنه وكان عالما صالحا صنف كتاب الهادي في الفقه وهو مختصر نافع لم يأت فيه الا بالقول الذي عليه الفتوى وجمع للسلطان صلاح الدين عقيدة تجمع جميع ما يحتاج اليه في أمر دينه وحفظها أولاده الصغار حتى ترسخ في أذهانهم من الصغر قال ابن شداد في سيرة السلطان ورأيته يعني السلطان وهو يأخذها عليهم وهم يقرؤنها بين يديه من حفظهم وكان متواضعا قليل الصنع مطرحا للتكليف وكانت ولادته سنة خمس وخمسمائة في الثالث عشر من شهر رجب الفرد وتوفي في آخر يوم من شهر رمضان المعظم سنة ثمان وسبعين وخمسمائة بدمشق وصلى عليه يوم العيد وكان نهار الجمعة ودفن بالمقبرة التي أنشأها جوار مقبرة الصوفية غربي دمشق وزرت قبره غير مرة رحمه الله تعالى وكان والده من طرثيث وقد تقدم الكلام عليها في ترجمة عبد الملك الكندري فلا حاجة الى اعادته وهي من نواحي نيسابور فقال بعض أصحابه أنشدنا الشيخ قطب الدين لبعضهم

يقولون ان الحب كالنار في الحشا * الا كذبوا فالنار تذكو وتخمد

وماهي الا جذوة مس عودها * ندى فهي لا تخبو ولا تتوقد

والله تعالى أعلم بالصواب

(الشريف البياضي أبو جعفر مسعود بن عبد العزيز بن المحسن بن الحسن بن عبد الرزاق البياضي الشاعر المشهور)

هكذا وجدته بخط بعض الحفاظ المتقنين ورأيت في أول ديوانه انه أبو جعفر مسعود بن المحسن بن عبد الوهاب بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي والله أعلم بالصواب وهو من الشعراء المجيدين في المتأخرين وديوان شعره صغير وهو في غاية الحسن والرقة وليس فيه من المدائح الا اليسير فمن أحسن شعره قصيدته القافية التي أولها

لا تحبسن ماء الجفون فانه * لك يا لديغ هواهم ترياق

ان غاض دمعك والركاب تساق * مع ما بقلبك فهو منك نفاق

واحذر مصاحبة العذول فانه * مغر وظاهر عذله اشفاق

لا يبعدن زمن مضت أيامه * وعلى متون غصونها أوراق

أيام نرجسنا العيون وورد * نا غض الخدود وخمرنا الارياق

ولنا بزوراء العراق مواسم * كانت تقام لطيبها اسواق

فلئن بكت عيني دما شوقا الى * ذاك الزمان فمثله يشتاق

ومنها

أين الاغيلمة الالى لولاهم * ما كان طعم هوى الملاح يذاق

وكأنما أرواحهم بأكفهم * أجسامهم ونصولها الاحداق

شنوا الاغارة في القلوب بأعين * لا يرتجى لاسيرها اطلاق

واستعذبوا ماء العيون فعذبوا الاسراء حتى درّت الآماق

ونمى الحديث بأنهم نذروا دمي * أولى دم يوم الفراق يراق

وله وهو مما يغنى به

كيف يذوي عشب أشوا * قي ولي طرف مطير

ان يكن في العشق حر * فأنا العبد الاسير

أو على الحسن زكاة * فأنا ذاك الفقير

وله أيضا

يا ليلة بات فيها البدر معتنقي * الى الصباح بلا خوف ولا حذر

التضلع من الفنون ذنبا والى الله الحنان المشتكى من هذا الزمان قد سل سيف بغيه وعدوانه على من تحلى بالفضائل وتقدم على أقرانه واوفق نبله لكل ذي نبل ظاهر وشرف باهر فالتبس الدر بالزجاج واشتبه العذب بالاجاج وضاع أرباب الالباب كالذباب في الضباب فصارت المعارف طيف خيال أو ضيفا على شرف ارتحال وضعف أساس العلم وبنيانه وتضعضعت أركانه وخمدت ناره وكاد أن تمحى آثاره (شعر)

وكان سرير العلم صرحا ممرّدا * يناغي القباب السبع وهي عظام

منيفا رفيعا لا يطار غرابه * عزيزا منيعا لا يكاد يرام

يلوح سني برق الهدى من بروجه * كبرق بدا بين السحاب يشام

نخرّت عليه الراسيات ذيولها * فخرت عروش منه ثم دعام

محا الذاريات البوم آيات حسنه * فلم يبق منها آية ووسام

ضعفت سواعد المساعده وانحسمت مواد الموادده وذهب الحب في الله كأمس الدابر وماله من قوة ولا ناصر وخلت الخلة عن الصدق والوفاء فلا ترى الاخليلا لا خليا عن الصفاء (وقال) أبو فراس شارحا عن أحوال الناس (شعر)

كلامه الدر يغني عن كواكبها * ووجهه عوض فيها عن القمر

فبينما أنا أرعى في محاسنه * سعي وطرفي اذا أنذرت بالسحر

ولم يكن عيبها الا تقاصرها * وأي عيب لها أشنى من القصر

وددت لو أنها طالت عليّ ولو * أمددتها بسواد القلب والبصر

والبيت الاخير منها ينظر الى قول أبي العلاء بن سليمان المعري وهو

يود أن ظلام الليل دام له * وزيد فيه سواد القلب والبصر

وشعره كله على هذا الاسلوب وقد تقدم له بيتان في ترجمة صردرّ الشاعر وتوفي البياضي المذكور يوم الثلاثاء سادس عشر ذي القعدة سنة ثمان وستين وأربعمائة ببغداد ودفن بمقبرة باب أبرز وانما قيل له البياضي لان أحد أجداده كان في مجلس بعض الخلفاء مع جماعة من العباسيين وكانوا قد لبسوا سوادا ما عداه فانه كان قد لبس بياضا فقال الخليفة من ذلك البياضي فثبت ذلك الاسم عليه واشتهر به وذكر ابن الجوزي في كتاب الالقاب ان صاحب هذه الواقعة هو محمد بن عيسى بن محمد بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنهم أجمعين وهو الذي يقال له البياضي ورأيت بخط اسامة بن منقذ المقدم ذكره ان الذي لقبه بهذا اللقب هو الخليفة الراضي بالله والله تعالى أعلم

(ابو الفتح مسعود بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي الملقب غياث الدين أحد ملوك السلجوقية المشاهير)

وقد تقدم ذكر والده وأخيه محمود وجماعة من أهل بيته كان مسعود المذكور قد سلمه والده في سنة خمس وخمسمائة الى الامير مودود صاحب الموصل ليربيه فلما قتل مودود في سنة سبع وخمسمائة وتولى الامير آقسنقر البرسقي المذكور في حرف الهمزة مكان حكمه سلمه والده اليه أيضا ثم أرسله من بعده الى جوش بك صاحب الموصل أيضا فلما توفي والده وتولى موضعه ولده محمود المقدم ذكره أخذ جوش بك يحسن لمسعود المذكور الخروج على أخيه محمود وأطمعه في السلطنة ولم يزل على ذلك حتى جمع العساكر واستكثر منها وقصد أخاه والتقيا بالقرب من همذان في ربيع الاول سنة أربع عشرة وخمسمائة وكان النصر لمحمود وقتل في هذه الواقعة الاستاذ أبو اسمعيل الطغرائي وقد سبق شيء من خبره في حرف الحاء ثم تنقلت الاحوال وتقلبت بمسعود المذكور واستقل بالسلطنة سنة ثمان وعشرين وخمسمائة وقصد بغداد واستوزر شرف الدين أنوشروان بن خالد القاشاني الذي كان وزير المسترشد وقد تقدم ذكره في ترجمة الحريري صاحب المقامات وكان سلطانا عادلا لين الجانب كبير النفس فرق مملكته على أصحابه ولم يكن له من السلطنة غير الاسم وكان مع لين جانبه ما ناواه أحد الا وظفر به وقتل من الامراء الاكابر خلقا كثيرا ومن جملة من قتل الخليفتان المسترشد بالله والراشد لانه كان قد وقع بينه وبين الخليفة المسترشد وحشة قبل استقلاله في السلطنة فلما استقل استطال نوابه على العراق وعارضوا الخليفة في أملاكه فقويت الوحشة بينهما وتجهز المسترشد وخرج لمحاربته وكان السلطان مسعود بهمذان فجمع جيشا عظيما وخرج للقائه وتصافا بالقرب من همذان فكسر عسكر الخليفة وأسره وأرباب دولته وأخذه السلطان مسعود ماسورا وطاف به بلاد أذربيجان وقتل على باب المراغة حسبما شرحناه في ترجمة دبيس بن صدقة ثم أقبل مسعود على الاشتغال باللذات والانعكاف على مواصلة وجوه الراحات متكلا على السعادة يعمل له ما يؤثره الى أن حدث له علة القيء وغلبة الغثيان واستمر به ذلك الى ان توفي في حادي عشر جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين وخمسمائة وقيل يوم الاربعاء الثاني والعشرين من الشهر المذكور بهمذان ودفن في مدرسة بناها جمال الدين اقبال الخادم وقال ابن الازرق الفارقي في تاريخه رأيت السلطان المذكور ببغداد في السنة المذكورة وسار الى همذان ومات بباب همذان وحمل الى أصبهان رحمه الله تعالى وقد تقدم شيء من خبره في ترجمة دبيس بن صدقة صاحب الحلة ومولده يوم الجمعة لثلاث خلون من ذي القعدة سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة ولما ولي السلطنة جرت بينه وبين عمه سنجر المقدم ذكره منازعة ثم خطب له بعد عمه المذكور

أقلب طرفي لا أرى غير صاحب * يميل مع النعماء حيث تميل

أكل خليل هكذا غير منصف * وكل زمان بالكرام بخيل

وان استندت الى ذي جاه وقدر من زيد وعمرو فأنت مرفوع الى الرأس ومحمول على الحدق وان كنت أعيى من باقل وأحمق من هبنق وان عريت عن الاستناد فأنت بمعزل عن الاعتداد وان كنت أفصح من سحبان وائل وأبلغ من قس اياد (شعر)

والناس قد نبذوا وراء ظهورهم * غر الوجوه وزمرة السعداء

والآخرقون بقبة من عزة * وأولو النهى منبوذة بعراء

ويالله من تولية العبيد على الاحرار وتقدم الصغار على الكبار وكساد سوق الفضائل والمعالي واستئثار الوضيع على الماجد العالي وفشو اللؤم والوقاحه وقلة الكرم والسماحه بحيث لم يبق من يلتجأ الى بابه ويرتجى من جنابه وما أصدق الاديب العاصمي حيث قال وأبان عن هذه الاحوال (شعر)

تسلّ فليس في الدنيا كريم * يلوذ به صغير أو كبير

فربع المجد ليس به أنيس * وحزب الفضل ليس بهم نصير

ولا أحد من الاحرار الا * كسير يد النوائب أو أسير

وما دخلت على أحد طالبا من رفده ونواله ومستدرا

بغداد يوم الجمعة لاثنتى عشرة ليلة خلت من صفر سنة سبع وعشرين وخمسمائة والله أعلم.

(ابو الفتح وابو المظفر مسعود بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكى بن آق سنقر أتابك صاحب الموصل الملقب عز الدين)

قد تقدم خبر جده وجد أبيه وخبر ولده نور الدين أرسلان شاه وغيرهم من أهل بيته وسيأتى ذكر أبيه فى هذا الحرف ان شاء الله تعالى ولما توفى والده قام بالملك ولده سيف الدين غازى المقدم ذكره لانه كان أكبر الاخوة وكان قد خلف هذين الولدين وعماد الدين زنكى صاحب سنجار المذكور عقيب ترجمة جده عماد الدين زنكى وكان عز الدين المذكور مقدم الجيوش فى أيام أخيه غازى ولما خرج السلطان صلاح الدين من الديار المصرية بعد وفاة الملك العادل نور الدين محمود المقدم ذكره وأخذ دمشق وتقدم الى حلب وحاصرها خاف غازى منه وعلم انه قد استفحل أمره وعظم شانه واستشعر أنه متى استحوذ على الشام تعدى الامر اليه فجهز جيشا عظيما وقدم أخاه عز الدين مسعود المذكور وسار يريد لقاء السلطان وضرب المصاف معه ليرده عن البلاد فلما بلغ السلطان خروجه رحل عن حلب وذلك فى مستهل رجب الفرد سنة سبعين وخمسمائة وسار الى حمص وأخذ قلعتها وكان قد أخذ البلاد فى جمادى الاولى من السنة المذكورة بعد خروجه من دمشق قاصدا حلب ووصل عز الدين مسعود الى حلب لينجد ابن عمه الملك الصالح اسمعيل بن نور الدين صاحب حلب هذا ما كان فى الصورة الظاهرة وفى الباطن كان غرضهم ماذكرناه من خوفهم على بلادهم فانضم الى عز الدين مسعود عسكر حلب وخرج فى جمع كثير ولما عرف السلطان مسيرهم سار حتى وافاهم على قرون حماة وراسلهم وراسلوه واجتهد فى ان يصالحوه فلم يفعلوا ورأوا ان ضرب المصاف معه ربما نالوا به الغرض الاكبر والمقصود الاوفر والقضاء يجر الى أمور لا يشعرون بها فقام المصاف بين العسكرين وقضى الله تعالى أن انكسر جيش عز الدين وأسر السلطان جماعة من أمرائه ثم أطلقهم وذلك يوم الاحد التاسع عشر من شهر رمضان المعظم من السنة المذكورة وهذه الواقعة من الوقائع المشهورة ثم سار السلطان عقيب الكسرة الى حلب ونزل عليها وهى الدفعة الثانية فصالحه الملك الصالح اسمعيل على أخذ المعرة وكفر طاب وبارين ثم رحل عنها وشرح ذلك يطول وتتمة هذه القضية مذكورة فى ترجمة أخيه سيف الدين غازى ولما توفى أخوه سيف الدين فى التاريخ المذكور فى ترجمته استقل عز الدين المذكور بالملك من بعده ولم يزل الى ان حضرت الملك الصالح اسمعيل بن نور الدين الوفاة فى التاريخ المذكور فى ترجمة أبيه نور الدين فاوصى بمملكة حلب وما معها لابن عمه عز الدين مسعود المذكور واستحلف له الامراء والاجناد فلما توفى وبلغ الخبر عز الدين مسعود بادر متوجها اليها خوفا من صلاح الدين ان يسبقه فيأخذها وكان وصوله اليها فى العشرين من شعبان سنة سبع وسبعين وخمسمائة وصعد القلعة واستولى على ما بها من الخزائن والحواصل وتزوج أم الملك الصالح فى خامس شوال من السنة وأقام بها الى سادس عشر شوال ثم علم انه لا يمكنه حفظ الشام والموصل وخاف من جانب صلاح الدين وألح عليه الامراء فى طلب الزيادات وتبسطوا عليه فى المطالب وضاق عنهم عطنه وكان المستولى على أمره مجاهد الدين قايماز الزينى المقدم ذكره فى حرف القاف فرحل عن حلب وخلف بها مظفر الدين ولده ومظفر الدين بن زين الدين صاحب اربل المذكور فى حرف الكاف ولما وصل الى الرقة لقيه بها أخوه عماد الدين زنكى صاحب سنجار فقرر معه مقايضة حلب بسنجار وتحالفا على ذلك وسير عماد الدين من يتسلم حلب وسير عز الدين من يتسلم سنجار وفى ثالث عشر المحرم سنة ثمان وسبعين وخمسمائة صعد عماد الدين الى قلعة حلب وكان قد تقرر الصلح بين عز الدين المذكور وابن عمه الملك الصالح وبين صلاح الدين على يد قليج أرسلان صاحب الروم وصعد السلطان صلاح الدين الى الديار المصرية واستناب بدمشق ابن أخيه عز الدين فروخ شاه بن شاهان شاه بن أيوب فلما بلغه خبر وفاة الملك الصالح وهذه الامور المتجددة عاد الى الشام وكان وصوله الى دمشق فى سابع عشر صفر سنة ثمان وسبعين وبلغه بها ان رسول عز الدين مسعود وصل الى الفرنج يحثهم على قتال السلطان ويبعثهم على قصده فعلم انه قد غدر به ونكث اليمين فعزم

على

من شآبيب نبله وافضاله الاوقد تذكرت فى تلك اللحظه ماقاله جحظه (شعر)

قوم أحاول نيلهم فكأننى
حاولت نتف الشعر من آنافهم
قم فاسقنيها بالكبير وغنى
ذهب الذين يعاش فى أكنافهم

الا ماشذ أوندر فانه أعز من بيض الانوق والكبريت الاحمر وهذا هو الحق الصريح بلامرا وما كان حديثا يفترى (لمؤلفه الحقير)

خبا مصباح كل فتى ذكى
وفى مشكاتهم لم ألق نورا
وجل الناس فى الاعراض عنهم
قليل من يكون لهم ظهيرا
وهذه ما التجارب علمتنى
فان تك غافلا فاسئل خبيرا

ألا أتكدر الانهار من تكدر العيون فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون استولى عليهم التبجح والغرور وأعمى القلوب التى فى الصدور فتتبع بعضهم بعضا وحاولوا ابراما ونقضا ولاشك أن الضرير اذا قاد الضرير وقعا معا فى البير (شعر)

اذا التقى فى حدب واحد
سبعون أعمى بمقادير
وصيروا بعضهم قائدا
فكلهم يسقط فى البير

يانفس قد أطلت الكلام فعودى الى المرام وأقصرى عن هذه الشكايه وارجعى الى ما أنت بصدده من الحكايه فان ذلك دأب الدهر وعادته

على قصد حلب والموصل وأخذ فى التأهب للحرب فبلغ عماد الدين صاحب حلب ذلك فسير الى أخيه صاحب الموصل يعلمه ذلك ويستدعى منه العساكر فسار السلطان صلاح الدين من دمشق ونزل على حلب فى ثانى عشر جمادى الاولى سنة ثمان وسبعين وخمسمائة وأقام عليها ثلاثة أيام ثم رحل فى الحادى والعشرين من الشهر ثم جاء مظفر الدين بن زين الدين صاحب اربل وكان يوم ذلك فى خدمة صاحب الموصل وهو صاحب حران وكان قد استوحش من عز الدين مسعود صاحب الموصل وخاف من مجاهد الدين قايماز الزينى المذكور فى حرف القاف فالتجأ الى السلطان صلاح الدين وقطع الفرات وعبر اليه وقوى عزمه على قصد بلاد الجزيرة وسهل أمرها عليه فعبر السلطان صلاح الدين الفرات وأخذ الرها والرقة ونصيبين وسروج ثم أشحن على بلاد الخابور وأقطعها وتوجه الى الموصل ونزل عليها يوم الخميس حادى عشر رجب سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ليحاصرها فاقام أياما وعلم انه بلد عظيم لا يحصل منه شئ بالمحاصرة وان طريق أخذه أخذ قلاعه وبلاده واضعاف أهله على طول الزمان فرحل عنها ونزل على سنجار فى سادس عشر شعبان من السنة وأخذها فى شهر رمضان المعظم وأعطاها لابن أخيه الملك المظفر تقى الدين عمر المقدم ذكره وشرح ذلك يطول وخلاصة الامر انه رجع الى الشام فكان وصوله الى حران فى أول ذى القعدة ثم عاد الى منازلة الموصل وكان وصوله اليها فى أول شهر ربيع الاول سنة احدى وثمانين ونزلت اليه والدة عز الدين ومعها جماعة من نساء بنى أتابك وابنة نور الدين أرسلان شاه بن مسعود وقد سبق ذكره فى حرف الهمزة وطلبت منه المصالحة فردها خائبة ظنا منه الى أن عز الدين أرسلها عجزا عن حفظ الموصل واعتذر باعذار ندم عليها بعد ذلك وبذل أهل الموصل نفوسهم فى القتال لكونه رد النساء والولد بالخيبة فأقام عليها الى ان أتاه خبر وفاة شاه أرمن ناصر الدين محمد بن ابراهيم بن سكمان القبطى صاحب خلاط وقيام مملوكه بكتمر بالامر من بعده وطمع فيه من جاوره من الملوك وعزموا على قصده فسير الى السلطان وأطمعه فى خلاط وقرر معه تسليمها اليه وان يعوضه عنها ما يرضيه وكانت وفاة شاه أرمن يوم الخميس تاسع شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة فرحل السلطان صلاح الدين عن الموصل لهذا السبب فى العشرين من الشهر المذكور وتوجه نحو خلاط وفى مقدمته مظفر الدين صاحب اربل وهو يوم ذاك صاحب حران وناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه وهو ابن عم صلاح الدين فنزلوا بالطوانة البليدة التى هى بالقرب من خلاط وسير الرسل الى بكتمر لتقرير القاعدة فوصلت الرسل اليه وشمس الدين بهلوان بن الدكز صاحب أذربيجان وأران وعراق العجم قد قرب من خلاط ليحاصرها فبعث اليه بكتمر يعرفه انه ان لم يرجع عنه والا سلم البلاد الى السلطان صلاح الدين فصالحه وزوجه ابنته ورجع عنه وسير بكتمر الى السلطان صلاح الدين يعتذر عما قاله من تسليم خلاط وكان السلطان قد نزل على ميافارقين يحاصرها فقاتلها قتالا شديدا ثم أخذها عن صلح بالخديعة فى التاسع والعشرين من جمادى الاولى من السنة المذكورة وكان صاحبها قطب الدين غازى بن البى بن كرماس بن غازى بن أرتق فمات وتركها لولده حسام الدين يولق أرسلان وهو طفل صغير فطمع فى أخذها من واليها فأخذها ولما أيس السلطان من خلاط عاد الى الموصل وهى الدفعة الثالثة ونزل بعيدا عنها بموضع يقال له كفر زمار فأقام به مدة وكان الحر شديدا فمرض السلطان مرضا شديدا أشفى على الموت فرحل طالبا حران فى مستهل شوال من السنة ولما علم عز الدين مسعود المذكور بمرض السلطان وانه رقيق القلب انتهز الفرصة وسير القاضى بهاء الدين بن شداد الآتى ذكره ان شاء الله تعالى فى حرف الياء ومعه بهاء الدين الربيب فوصلا الى حران فى الرسالة والتماس الصلح فأجاب الى ذلك وحلف يوم عرفة من السنة وقد تماثل الصحة ولم يتغير عن تلك اليمين الى أن مات رحمه الله تعالى ثم رحل الى الشام فأمن حينئذ عز الدين مسعود وطابت نفسه ولم يزل على ذلك الى أن توفى فى السابع والعشرين من شعبان سنة تسع وثمانين وخمسمائة بعلة الاسهال وكان قد بنى بالموصل مدرسة كبيرة وقفها على الفقهاء الشافعية والحنفية فدفن بهذه المدرسة فى تربة هى داخلها رحمه الله تعالى ورأيت المدرسة والتربة وهى من أحسن المدارس والترب ومدرسة ولده نور الدين أرسلان شاه فى قبالتها وبينهما

فلاخوم شكا من كل زمان سادته (قال الامام الشافعى)

محن الزمان كثيرة لاتنقضى*
وسروره يأتيك كالاعياد
ملك الاكابر فاسترق رقابهم
وتراه رقا فى يد الاوغاد

(وغيره)

تطرق أهل الفضل دون الورى
مصائب الدنيا وا فانها
كالطير لا يسجن من بينها
الا التى تطرب أصواتها

(وقال الجدونى)

ما ازددت من أدب حرفا سربه* الا تزيدت حرفا تحته شوم* كذا المقدم فى حذق صنعته* أنى توجه فيها فهو محروم (نثر) وسميت هذه الجريدة بالعقد المنظوم فى ذكر أفاضل الروم والمأمول ممن يطلع على كلماتى أن يغض الطرف عن عثراتى فان ذلك كلام من جربه الدهر بالباس والبؤسى وجرعه سلافة الغموم كأسا فكأسا وما أصدق ابن عبد الكريم حيث يقول (شعر)

ولا المرء يبدى بالهموم فضيلة
ولا الشمس تبدو اذ يحول غمام

(ومقدم هؤلاء الساده وواسطة هذه القلاده المولى عصام الدين أبو الخير أحمد بن المولى مصلح الدين المشتهر بطاشكبرى زاده) وكان المولى مصلح الدين المزبور من العلماء الاعيان توفى وهو مدرس باحدى

ساحة كبيرة ولما مات خلف ولده نور الدين المذكور وقد تقدم ذكره في حرف الهمزة ولما مات نور الدين
في التاريخ المذكور في ترجمته خلف ولدين أحدهما الملك القاهر عز الدين مسعود والآخر المنصور عماد
الدين زنكي ولما حضرته الوفاة قسم البلاد بينهما فاعطى الملك القاهر وهو الاكبر الموصل وأعمالها وأعطى
عماد الدين العمادية والعقر وتلك النواحي فأما الملك القاهر فكانت ولادته في سنة تسعين وخمسمائة بالموصل
وتوفي بها فجأة يوم الاثنين لثلاث بقين من شهر ربيع الآخر سنة خمس عشرة وستمائة وكان قد بنى مدرسة
أيضا فدفن بها وأما عماد الدين فانه أخذ بعد موت أخيه الملك القاهر قلعة العمادية ثم أخذت منه وهي من
أحسن القلاع بجبل الهكارية من أعمال الموصل وكذلك عدة قلاع مما يجاورها وانتقل الى اربل وكان
زوج ابنة مظفر الدين صاحب اربل فأقام بها زمانا وكافى جواره وكان من أحسن الناس صورة ثم قبض عليه
مظفر الدين لامر يطول شرحه وسيره الى سنجار الى الملك الاشرف ابن الملك العادل الآتي ذكره ان شاء الله
تعالى فافرج عنه الملك الاشرف وعاد الى اربل وقايضه مظفر الدين عن العقر بشهرزور وأعمالها فانتقل
اليها وأقام بها الى ان توفي في حدود سنة ثلاثين وستمائة وخلف ولدا أقام بعده قليلا ثم مات رحمهما الله
تعالى ولما مات عز الدين مسعود بن أرسلان شاه خلف ولدين نور الدين أرسلان شاه وكان سمي على اسم
جده أرسلان شاه فلما مات جده نور الدين سموه باسمه وناصر الدين محمود فتولى بعده نور الدين المذكور وكان
تقديرعمره عشر سنين وبقي بعد أبيه قليلا وتوفي في بقية السنة وتولى أخوه بعده ناصر الدين محمود والمدبر لامر
المملكة بدر الدين لؤلؤ الذي ملك الموصل فيما بعد وتوفي بهلوان بن الذكر المذكور في سلخ ذي الحجة سنة
احدى وثمانين وخمسمائة رحمه الله تعالى وتوفي والده شمس الدين الذكر الاتابك في أواخر شهر ربيع
الآخر سنة سبعين وخمسمائة بنقجوان ودفن بها رحمه الله تعالى وكان أتابك السلطان أرسلان شاه بن
طغرلبك بن محمد بن ملكشاه بن محمد السلجوقي وبعد الذكر بمقدار شهر توفي أرسلان شاه المذكور بهمذان
رحمه الله تعالى وقتل قزل بن الذكر المذكور في أوائل شعبان سنة سبع وثمانين وخمسمائة وكان ملكا
كبيرا وهو ابن الذكر المذكور رحمهم الله تعالى أجمعين والله تعالى أعلم بالصواب

(ابو ايوب مطرف بن مازن الكناني بالولاء وقيل القيسي بالولاء الصنعاني)

ولي القضاء بصنعاء اليمن وحدث عن عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج وجماعة كثيرة وروى عنه الامام
الشافعي رحمة الله تعالى عليه وخلق كثير واختلفوا في روايته فنقل عن يحيى بن معين انه سئل عنه فقال كذاب
وقال النسائي مطرف بن مازن ليس بثقة وقال السعدي مطرف بن مازن الصنعاني يتثبت في حديثه حتى يعلم
ما عنده وقال أبو حاتم محمد بن حبان البستي مطرف بن مازن الكناني قاضي اليمن يروي عن معمر وابن جريج
وروى عنه الشافعي وأهل العراق وكان يحدث بما لا يسمع ويروي ما لا يكتب عمن لم يره ولا تجوز الرواية عنه
الا عند الخواص للاعتبار فقط قال حاجب بن سليمان كان مطرف بن مازن قاضي صنعاء وكان رجلا صالحا
وذكر عنه حكاية في ابراره قسم من أقسم على أمر شنيع يفعله به وذكر أبو أحمد عبد الله بن عدي
الجرجاني أحاديث من رواية مطرف بن مازن وقال لمطرف غير ماذكرت افراد يتفرد بها عمن يرويها عنه ولم
أر فيما يرويه شيأ منكرا وقال أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي أخبرنا أبو سعيد قال حدثنا أبو العباس قال
أخبرنا الربيع قال قال الشافعي رضي الله تعالى عنه وقد كان من حكام الآفاق من يستحلف على المصحف
وذلك عندي حسن وقال وأخبرني مطرف بن مازن باسناد لا أحفظه ان ابن الزبير أمر بان يحلف على المصحف
قال الشافعي رضي الله عنه ورأيت مطرفا بصنعاء اليمن يحلف على المصحف وقال غيره قال الشافعي رضي الله
عنه ورأيت ابن مازن وهو قاضي صنعاء يغلظ باليمين بالمصحف وتوفي مطرف المذكور بالرقة وقيل بمنبج وكانت
وفاته في أواخر خلافة هرون الرشيد وتوفي هرون الرشيد ليلة السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة سنة
ثلاث وتسعين ومائة بطوس وكانت ولايته يوم الجمعة لاربع عشرة ليلة بقيت من ربيع الاول سنة سبعين

ومائة

المدارس الثمان بعد
ما كان قاضيا بحلب ولما
تخلص المرحوم من ربقة
الصبا فانتظم في سلك أرباب
الجد والجا وفرق الغث عن
السمين وميز الكاسد عن
الثمين قام على أقدام
الاقدام وشمر عن ساق
الجد والاهتمام في تحصيل
المعارف والفضائل واتقان
المقاصد والوسائل واشتغل
على أبيه حتى أجازله برواية
الحديث والتفسير راويا لهما
على المولى خواجه زاده
عن المولى فخر الدين
العجمي عن المولى حيدر
عن المولى سعد الدين
التفتازاني ثم قرأ على المولى
سيدي محمد القوجوي
وصار ملازما له ثم قرأ على
المولى محمود بن محمد بن
المشتهر بميرم چلبي وكمل عنده
العلوم الرياضية ولما جاء
الشيخ محمد التونسي
المغوشي الى قسطنطينية
قرأ عليه واشتغل لديه حتى
اجازله بان يروي عنه
التفسير والحديث وجميع
ما يجوز اجازته ويصح
روايته راويا عن الشيخ
شهاب الدين أحمد بن حجر
العسقلاني ودرس أولا
في مدرسة اورج باشا
بقصبة دمتوقه بخمسة
وعشرين ثم مدرسة المولى
محيي الدين ابن الحاج حسن
بقسطنطينية بثلاثين ثم
اسحاقية اسكوب باربعين
ثم المدرسة القلندرية
بالوظيفة المزبورة في مدينة

ومائة رحمه الله تعالى وهذا مطرف ليس من المشاهير الذين يحتاج الى ذكرهم والذي حملني على ذكره ان
الشيخ أبا اسحق الشيرازي رحمه الله تعالى ذكره في كتاب المهذب في باب اليمين في الدعاوى وفي فصل التغليظ
فقال وان حلف بالمصحف وما فيه من القرآن فقد حكى الشافعي رضي الله عنه عن مطرف بن مازن أن ابن
الزبير رضي الله عنهما كان يحلف على المصحف قال ورأيت مطرفا بصنعاء يستحلف على المصحف قال الشافعي
رضي الله عنه وهو حسن انتهى كلام صاحب المهذب ورأيت الفقهاء يسألون عن مطرف المذكور ولا
يعرفه أحد حتى غلط فيه صاحبنا عماد الدين أبو المجد اسمعيل بن أبي البركات هبة الله بن أبي الرضى بن باطيش
الموصلي الفقيه الشافعي في كتابه الذي وضعه على المهذب في أسماء رجاله والكلام على غريبه فقال مطرف
ابن عبد الله بن الشخير ثم قال وتوفي سنة سبع وثمانين يعني للهجرة فيالله العجب شخص يموت في هذا التاريخ
كيف يمكن ان يراه الشافعي رضي الله عنه ومولد الشافعي سنة خمسين ومائة بعد موت ابن الشخير بثلاث
وستين سنة وما أدري كيف وقع هذا الغلط فلو انه ما حكى تاريخ وفاته كان يمكن ان يقال ظن انه أدركه
الشافعي ولما انتهيت في هذه الترجمة الى هذا الموضع رأيت في تاريخ أبي الحسن عبد الباقي بن قانع الذي
جعله مرتبا على السنين ان مطرف بن مازن توفي سنة احدى وتسعين ومائة وهذا يوافق ما قاله الاول من أنه
توفي في أواخر خلافة هرون الرشيد والذي افادني هذه الترجمة على الصورة المحكية في الاول هو الشيخ الحافظ
زكي الدين أبو محمد عبد العظيم المنذري نفع الله به ومطرف بضم الميم وفتح الطاء المهملة وتشديد الراء
المكسورة وبعدها فاء والباقي معروف فلا حاجة الى ضبطه وتقييده وأما مطرف الذي ذكره عماد الدين فهو
أبو عبد الله مطرف بن عبد الله بن الشخير بن عوف بن كعب بن وقدان بن الحريش بن كعب بن ربيعة بن
عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد
ابن عدنان الحريشي كان فقيها وكان لوالده عبد الله صحبة وكان مطرف من أعبد الناس وانسكهم فذكروا
انه وقع بينه وبين رجل منازعة فرفع يديه وكان ذلك في مسجد البصرة وقال اللهم اني أسألك ان لا يقوم من
مجلسه حتى تكفيني اياه فلم يفرغ مطرف من كلامه حتى صرع الرجل فمات وأخذ مطرف وقدموه الى
القاضي فقال القاضي لم يقتله وانما دعا عليه فاجاب الله دعاءه فكان بعد ذلك تتقى دعوته ومات في سنة سبع
وثمانين من الهجرة وقال ابن قانع سنة خمس وتسعين والله تعالى أعلم

*(ابو منصور المظفر بن أبي الحسن بن ازدشير بن ابي منصور العبادي الواعظ المروزي
الملقب قطب الدين المعروف بالامير)*

كان من أهل مرو وله اليد الطولى في الوعظ والتذكير وحسن العبارة ومارس هذا الفن من صغره الى
كبره ومهر فيه حتى صار ممن يضرب به المثل في ذلك وصار عين ذلك العصر وشهد له الكل بالفضل وحيازة
قصب السبق وقدم بغداد فاقام بها قريبا من ثلاث سنين يعقد له فيها مجالس الوعظ ولقي من الخلق قبولا تاما
وحظي عند الامام المقتفي لامر الله ثم خرج منها رسولا الى جهة السلطان سنجر بن ملكشاه السلجوقي المقدم
ذكره فوصل الى خراسان ثم عاد الى بغداد وخرج منها الى خوزستان في رسالة فمات بعسكر مكرم في سلخ ربيع
الآخر يوم الخميس وقيل الاثنين سنة سبع وأربعين وخمسمائة وحمل تابوته الى بغداد ودفن بها في
الشونيزية في حظيرة الشيخ الجنيد بن محمد العبد الصالح رضي الله عنه ومولده في شهر رمضان سنة احدى
وتسعين وأربعمائة وسمع الحديث الكثير بنيسابور من أبي علي نصر الله بن أحمد بن عثمان الخشنامي وأبي
عبد الله اسمعيل بن الحافظ عبد الغافر الفارسي وغيرهما وروى عنه الحافظ أبو سعيد السمعاني وقال عنه
كان صحيح السماع ولم يكن موثوقا به في دينه رأيت منه أشياء وطالعت بخطه رسالة جمعها في اباحة شرب الخمر
سامحه الله تعالى وعفا عنه وكان والده أبو الحسن يعرف بالامير أيضا وكان مليح الوعظ حسن السيرة توفي
سنة نيف وتسعين وأربعمائة رحمهما الله تعالى والعبادي بفتح العين المهملة وتشديد الباء الموحدة وبعد
الالف دال مهملة هذه النسبة الى سنج عباد وهي قرية من قرى مرو وسنج بكسر السين المهملة وسكون النون

قسطنطنية ثم في مدرسة
مصطفى باشا في المدينة
المزبورة بخمسين ثم نقل الى
احدى المدرستين
المتجاورتين بادرنه ثم عاد
الى احدى المدارس الثمان
ثم نقل الى مدرسة السلطان
بايزيدخان في ادرنه ثم قلد
قضاء بروسه سنة اثنتين
وخمسين وتسعمائة ثم عاد
الى احدى المدارس الثمان
ثم قلد قضاء قسطنطينية
فاشتغل في اجراء الاحكام
الدينية الى ان عرضت له
عارضة الرمد فاضرت عيناه
وعميت كريمتاه فكان
مصداق ما ورد في الاثر اذا
جاء القضاء عمي البصر
فاستعفى عن المنصب
واستتاب عن سوالفه
واشتغل بتبييض بعض
تواليفه بيناهو في هذه
الامور اذ ابتلي بمرض
الباسور فنعي بقرب أجله
وانصرام أمله ولما تيقن
أقاربه بموته تضرعوا ان
يجعلهم في حل من تقصيرهم
في خدمته فاحسن في
الجواب واستملى هذا
الكتاب
بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين والصلاة
والسلام على نبيه محمد صلى
الله عليه وسلم وآله وصحبه
أجمعين وعلى المشايخ
الزاهدين وعلى الفقراء
الصابرين وعلى الاغنياء
الشاكرين وسلم عليهم
سلاما الى يوم الحشر والدين
ثم اني أشهد الله وأشهد

و بعدها جيم و باعمال مرو أيضا قرية كبيرة يقال لها سنج منها الفقيه أبو علي السنجي وقد تقدم ذكره في حرف الحاء وتكلمنا على سنج هنالك فلا يظن ظان انهما موضع واحد بل هما قريتان وقد نبه على ذلك جماعة من أرباب هذا الفن وأما أزدشير فقد تقدم الكلام على ضبطه في ترجمة الوزير سابور فلا حاجة الى اعادته والله تعالى أعلم

(أبو العز مظفر بن ابراهيم بن جماعة بن علي بن شامي بن احمد بن ناهض بن عبد الرزاق الشاعر العيلاني الحنبلي المذهب الملقب موفق الدين الشاعر المشهور المصري)

كان أديبا عروضيا شاعرا مجيدا صنف في العروض مختصرا جيدا دل على حذقه فيه وله ديوان شعر رائق وكان ضريرا فمن شعره

قالوا اعشقت وأنت أعمى * ظبيا كحيل الطرف ألمى * وحلاه ما عاينتها
فنقول قد شغلتك وهما * وخياله بك في المنا * م فما أطاف ولا ألما
من أين أرسل للفؤا * د وأنت لم تنظره سهما * وبأي جارحة وصلـ * ـت لوصفه نثرا ونظما
فأجبت اني موسوي العشق انصاتا وفهما * أهوى بجارحة السماع ولا أرى ذات المسمى

ولقد ذكرتني هذه الابيات أبياتا لرجل ضرير أيضا والشيء بالشيء يذكر وهي هذه

وغادة قالت لأترابها * يا قوم ما أعجب هذا الضرير
أيعشق الانسان ما لا يرى * فقلت والدمع بعيني غزير
ان لم تكن عيني رأت شخصها * فانها قد مثلت في الضمير

ومثل هذا قول المهذب عمر بن محمد المعروف بابن الشيخ الموصلي الاديب الشاعر المشهور من جملة قصيدة طويلة مدح بها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب والبيت المقصود قوله

واني امرؤ أحببتكم لمكارم * سمعت بها والاذن كالعين تعشق

وقد أخذ هذا المعنى من قول بشار بن برد المقدم ذكره

يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة * والاذن تعشق قبل العين احيانا

وكان الوزير صفي الدين أبو محمد عبد الله بن علي عرف بابن شكر قد عاد من الشام الى مصر فخرج أصحابه للقائه الى الخشبي المنزلة المجاورة للعباسة فكتب مظفر المذكور اليه هذه الابيات يعتذر من تأخره عن الخروج اليه وهي

قالوا الى الخشبي سرنا على عجل * نلقى الوزير جميعا من ذوي الرتب
ولم تسر أيها الاعمى فقلت لهم * لم أخش من تعب ألقى ولا نصب
وانما النار في قلبي لوحشته * فخفت أجمع بين النار والخشب

وهذا المعنى مطروق لكنه استعمله حسنا وأخبرني أحد أصحابه ان شخصا قال له رأيت في بعض تآليف أبي العلاء المعري ماصورته أصلحك الله وأبقاك لقد كان من الواجب أن تأتينا اليوم الى منزلنا الخالي لكي نحدث عهدا بك يا زين الاخلاء فما مثلك من غير عهد او غفل وسأله من أي الابحر هذا وهل هو بيت واحد أم أكثر فان كان أكثر فهل أبياته على روي واحد أم هي مختلفة الروي قال فافكر فيه ثم أجابه بجواب حسن فلما قال لي المخبر ذلك قلت له اصبر علي حتى انظر فيه ولا تقل ما قاله ثم افكرت فيه فوجدته يخرج من بحر الرجز وهو المجزوء منه وتشتمل هذه الكلمات على أربعة أبيات على روي اللام وهي على صورة يسوغ استعمالها عند العروضيين ومن لا يكون له بهذا الفن معرفة فانه ينكرها لاجل قطع الموصول منها ولا بد من الاتيان بها لتظهر صورة ذلك وهي

أصلحك الله وأبـ * ـقاك لقد كان من الـ * واجب أن تأتينا الـ * ـيوم الى منزلنا الـ
خالي لكي نحدث عهـ * ـدا بك يا زين الاخـ * ـلاء فما مثلك من * غير عهد او غفل

وهذا انما يدركه أهل هذا الشان بالمعاناة لانه من الاشعار المستعملة فلما استخرجته عرضته على ذلك الشخص فقال هكذا قال مظفر الاعمى وقال الشيخ زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري

ملائكتك باني عشت على ملة الاسلام وعدلت عن البدعة في الدين وارجو أن القاك بالاسلام في يوم الدين ثم ان أولادي واقرباي التمسوا مني ان أجعلهم في حل مما عملوا من الاساءة فيما وجب عليهم من رعاية حقي واني جعلتهم في حل ان عملوا في رعاية حقي فيما بعد ذلك والسلام على سيد الانام وصحبه الكرام فلما تم التحرير من لسان ذلك النحرير انقطع عن عالم الانس واتصل بحظائر القدس وقضى نحبه ولقي ربه روح الله روحه وزاد كل يوم فتوحه وذلك سنة ثمان وستين وتسعمائة وكان المولى المرحوم بحرا من المعارف والعلوم متسنما من الفضائل سنامها وغاربها مقيدا من المعاني شواردها وغرائبها وكان له اليد الطولى في تحرير المسائل وتصويرها وتدقيق المباحث وتنويرها تكل ألسنة الاقلام من أفواه المحابر أداءها وتقريرها ويكفيك آثاره المنيفة وتصانيفه الشريفة فمن رأى من السيف أثره فقد رأى أكثره وكان رحمه الله في جميع مباحثاته على النصفة والسداد راضيا بالحق عاريا عن المكابرة والعناد اذا أحس من أحد اللجاج والمنافسة أمسك عن التكلم والمباحثة وكان رحمه الله قليل الرغبة

المحدث المصري رحمه الله تعالى أخبرني الاديب موفق الدين مظفر الضرير الشاعر المصري انه دخل على القاضي السعيد بن سناء الملك قلت وسيأتي ذكره ان شاء الله تعالى واسمه هبة الله قال فقال لي يا أديب قد صنعت نصف بيت ولي أيام أفكر فيه ولا يأتي لي تمامه فقلت وما هو فانشدني

* بياض عذاري من سواد عذاره *

قال مظفر فقلت قد حصل تمامه وأنشدت

* كما جل ناري فيه من جلناره *

فاستحسنه وجعل يعمل عليه فقلت في نفسي أقوم والا يعمل المقطوع من كيسي وبالجملة فقد خرجنا عن المقصود لكن الكلام يسوق بعضه بعضا وكانت ولادة مظفر المذكور لخمس بقين من جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة بمصر وتوفي بها سحر يوم السبت التاسع من المحرم سنة ثلاث وعشرين وستمائة ودفن من الغد بسفح المقطم رحمه الله تعالى والعيلاني بفتح العين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعد اللام ألف نون هذه النسبة الى قيس عيلان وقيل قيس بن عيلان ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان فمن قال انه قيس عيلان فقد اختلفوا في عيلان ماذا فمنهم من قال اسم فرس كان له فأضيف اليه وقيل اسم كلب كان له وقيل اسم رجل كان قد حضنه وهو صغير وانما أضيف الى عيلان لانه كان في عصره شخص يقال له قيس كبة بضم الكاف وتشديد الباء الموحدة وهو اسم فرس كان له أيضا فكان كل واحد منهما يضاف الى ماله ليتميز عن الآخر والله أعلم وقد قيل ان قيس عيلان اسمه الناس بالنون وهو أخو الياس بالياء جد النبي صلى الله عليه وسلم

(أبو مسلم معاذ بن مسلم الهراء النحوي الكوفي من موالي محمد بن كعب القرظي)

قرأ عليه الكسائي وروى عنه وحكيت عنه في القراآت حكايات كثيرة وصنف في النحو كثيرا ولم يظهر له شيء من التصانيف وكان يتشيع وله شعر كشعر النحاة وكان في عصره مشهورا بالعمر الطويل وكان له أولاد وأولاد أولاد فمات الكل وهو باق وحكى بعض كتابه قال صحبت معاذ بن مسلم زمانا فسأله رجل ذات يوم كم سنك فقال ثلاث وستون قال ثم مكث بعد ذلك سنين وسأله كم سنك فقال ثلاث وستون فقلت أنا معك منذ احدى وعشرين سنة وكلما سألك أحد كم سنك تقول ثلاث وستون فقال لو كنت معي احدى وعشرين سنة أخرى ما قلت الا هذا وقال عثمان بن أبي شيبة رأيت معاذ بن مسلم الهراء وقد شد أسنانه بالذهب من الكبر وفيه يقول أبو السري سهل بن أبي غالب الخزرجي الشاعر المشهور

ان معاذ بن مسلم رجل * ليس لميقات عمره أمد
قد شاب رأس الزمان واكتهل الدهر * وأثواب عمره جدد
قل لمعاذ اذا مررت به * قد ضج من طول عمرك الامد
يا بكر حواء كم تعيش وكم * تسحب ذيل الحياة يا لبد
قد أصبحت دار آدم خربا * وأنت فيها كأنك الوتد
تسأل غربانها اذا نعبت * كيف يكون الصداع والرمد
مصححا كالظليم ترفل في * برديك مثل السعير تتقد
صاحبت نوحا ورضت بغلة ذي الـ * ـقرنين شيخا لولدك الولد
فارحل ودعنا فان غايتك الـ * ـموت وان شد ركنك الجلد

قوله تسحب ذيل الحياة يا لبد فهذا لبد آخر نسور لقمان بن عاد وكان لقمان قد سيره قومه وهم عاد الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه العزيز الى الحرم يستسقي لها فلما أهلكت عاد خير لقمان بين أن يعيش عمر سبع بعرات سمر أو عمر سبعة أنسر كلما هلك نسر خلف بعده نسر فاختار النسور فكان يأخذ الفرخ عند خروجه من البيضة فيربيه فيعيش ثمانين سنة وهكذا حتى هلك منها ستة وبقي السابع فسمي لبدا فلما كبر وعجز عن الطيران كان يقول له لقمان انهض لبد فلما هلك لبد مات لقمان وقد ذكرت العرب لبدا في أشعارها كثيرا فمن ذلك قول النابغة الذبياني

أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا * أخنى عليها الذي أخنى على لبد

رجعنا الى حديث معاذ فلما مات بنوه وحفدته قال

في دنياه كثير التشمر في تحصيل زلفاه صارفا لجميع أوقاته في تحصيل العلوم وعباداته وحكى بعض من أثق بكلامه انه أشار يوما بيده الى لسانه وقال ان هذا فعل ما فعل من التقصير والزلل وصدر عنه ما صدر من الحق والغلط غير انه ما تكلم في طلب المناصب الدنيوية قط وكان يكتب خطا مليحا يرغب فيه مع كمال السرعة وقد كتب الكتب بخطه الشريف وقال واحد من أعيان تلامذته حضرت طعامه ليلة من ليالي شهر رمضان وهو مدرس بالقلندرية وكان من عادته ان يدعو طلبته في كل ليلة من ليالي شهر رمضان فقال اني منذ توليت اسحاقية اسكوب جعلت لنفسي عادة وهي ان أكتب في كل سنة نسخة من تفسير البيضاوي وأبيعها بثلاثة آلاف درهم وانفق ذلك المبلغ على

(قوله عمر سبع بعرات جمع بعرة بالعين وهو في النسخ بالقاف وعبارة القاموس خير لقمان بين بقاء سبع بعرات سمر * من أظب عفر * في جبل وعر * لا يمسها القطر * أو بقاء سبعة أنسر اهـ ولولا لفظة عمر لجعلت تصحيف البعرات بالبقرات من النساخ فليتأمل قاله نصر الهوريني

مايرتجى فى العيش من قد طوى * من عمره الذاهب تسعينا * افنى بنيه و بنيهم فقد
جرعه الدهر الامرينا * لابدان يشرب من حوضهم * وان تراخى عمره حينا

وكان معاذ المذكور صديقا للكميت بن زيد الشاعر المشهور وقال محمد بن سهل راوية الكميت سار الطرماح الشاعر الى خالد بن عبد الله القسرى أمير العراقين وهو بواسط فامتدحه فامر له بثلاثين ألف درهم وخلع عليه حلتى وشى لاقيمة لهما فبلغ ذلك الكميت فعزم على قصده فقال له معاذ الهرا لاتفعل فلست كالطرماح فانه ابن عمه وبينكما بون أنت مضرى وخالد يمنى متعصب على مضر وأنت شيعى وهو أموى وأنت عراقى وهو شامى فلم يقبل اشارته وأبى الاقصد خالد فقصده فقالت اليمانية لخالد قد جاء الكميت وقد هجانا بقصيدة نونية قد فخر فيها علينا فحبسه خالد وقال فى حبسه صلاح لانه يهجو الناس ويتأكلهم فبلغ ذلك معاذا فغمه فقال

نصحتك والنصيحة ان تعدت * هوى المنصوح عز لها القبول
فخالفت الذى لك فيه رشد * فغالت دون ما أملت غول
فعاد خلاف ماتهوى خلافا * له عرض من البلوى طويل

فبلغ الكميت قوله فكتب اليه أراك كمهدى الماء للبحر حاملا * الى الرمل من يبرين متجرا رملا
ثم كتب تحته قد جرى على القضاء فما الحيلة الآن فأشار عليه أن يحتال فى الهرب وقال له ان خالدا قاتلك لامحالة فاحتال بامرأته وكانت تأتيه بالطعام وترجع فلبس ثيابها وخرج كانه هى فلحق بمسلمة بن عبد الملك فاستجاز به وقال خرجت خروج القدح قدح ابن مقبل * اليك على تلك الهزاهز ٢ والازل
على ثياب الغانيات وتحتها * عزيمة رأى أشبهت سلة النصل

فكان ذلك سبب نجاته من خالد وسأل شخص معاذا عن مولده فقال ولدت فى أيام يزيد بن عبد الملك أو فى أيام عبد الملك وتوفى سنة تسعين ومائة وقيل فى السنة التى نكب فيها البرامكة وهى سنة سبع وثمانين ومائة وهو الاصح وكان يزيد بن عبد الملك قد تولى بعد موت عمر بن عبد العزيز فى شهر رجب سنة احدى ومائة وتوفى فى شعبان سنة خمس ومائة فهذه المدة هى أيامه وأما أبوه عبد الملك فانه تولى بعد أبيه مروان فى شهر رمضان المعظم سنة خمس وستين ومات سنة ست وثمانين فهذه مدته وتوفى معاذ سنة سبع وثمانين ومائة وهو الاصح رحمه الله تعالى وكان يكنى أبا مسلم فولد له ولد سماه عليا فصار يكنى به والهرا بفتح الهاء وتشديد الراء وبعدها ألف ٣ مقصورة وانما قيل له ذلك لانه كان يبيع الثياب الهروية فنسب اليها وأما أبو السرى الشاعر صاحب الابيات الدالية المذكورة فانه نشأ بسجستان وادعى رضاع الجن وانه صار اليهم ووضع كتابا ذكر فيه أمر الجن وحكمتهم وانسابهم واشعارهم وزعم انه بايعهم للامين بن هرون الرشيد بالعهد فقربه الرشيد وابنه الامين وزبيدة أم الامين وبلغ معهم وأفادهم وله أشعار حسان وضعها على الجن والشياطين والسعالى وقال له الرشيد ان كنت رأيت ماذكرت فقد رأيت عجبا وان كنت ما رأيته فقد وضعت أدبا وأخباره كلها غريبة عجيبة والله تعالى أعلم

(القاضى أبو الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى بن حميد بن حماد بن داود المعروف بابن طرارا الجريرى النهروانى)

كان فقيها أديبا شاعرا عالما بكل فن ولى القضاء ببغداد بباب الطاق نيابة عن ابن صبر القاضى وروى عن جماعة من الائمة منهم أبو القاسم البغوى وأبو بكر بن داود ويحيى بن صاعد وأبو سعيد العدوى وأبو حامد محمد ابن هرون الحضرمى وغيرهم وأخذ الادب عن أبى عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفة المعروف بنفطويه وغيره وروى عنه جماعة من الائمة أيضا منهم أبو القاسم الازهرى والقاضى أبو الطيب الطبرى الفقيه الشافعى وأحمد بن على الثورى وأحمد بن عمر بن روح وذكر أحمد بن عمر بن روح ان أبا الفرج المذكور حضر فى دار لبعض الرؤساء وكان هناك جماعة من أهل الادب فقالوا له فى أى نوع من العلوم نتذاكر فقال أبو الفرج لذلك الرئيس خزانتك قد جمعت أنواع العلوم وأصناف الادب فان رأيت أن تبعث غلاما اليها تأمره أن يفتح

طعام الطلبة فى ليالى رمضان وسمعت من الثقات انه قال اتصلت ببعض المشايخ الصوفية وحصل لى بسببه الحمد لله تعالى بعض ما اشتاقه من نفائس السلوك وقد اتفق لى انسلاخ كلى وفارقت بدنى كل المفارقة فبينا انا على تلك الحالة اذ دخل وقت الظهر فقصدت التوضؤ للصلاة فلم أقدر على تحريك القالب واستعماله فيه حتى ذهب وقت الظهر ثم وقت العصر وأنا على تلك الحالة ثم عدت على حالتى الاولى اللهم احشرنا فى زمرة الصالحين السالكين ولا تجعلنا فى مهاوى الغفلة هالكين (ذكر تواليفه) منها الكتاب المسمى بالمعالم فى علم الكلام وحاشية على حاشية التجريد للشريف الجرجانى من أول الكتاب الى مباحث الماهية جمع فيه مقالات المولى على القوشى والمولى جلال الدين الدوانى والمولى مير صدر الدين والمولى ابن الخطيب وأداها باخصر عبارة وأليق اشارة ثم ذكر ماخطر له من تحقيق المقام وتبيين المرام وشرح

٢ الازل بفتح الهمزة وسكون الزاى الضيق والشدة اه قاموس
٣ قوله مقصورة فى القاموس ومعاذ الهراء لبيعه الثياب الهروية

بابها ويضرب بيده الى أى كتاب منها فيحمله ثم يفتحه وينظر فى أى العلوم هو فنتذاكره ونتجارى فيه قال ابن روح وهذا يدل على ان أبا الفرج كان له انسة بسائر العلوم وكان أبو محمد الباجى يقول اذا حضر القاضى أبو الفرج فقد حضرت العلوم كلها وقال لو أوصى رجل بثلث ماله لاعلم الناس لوجب ان يدفع الى أبى الفرج المعافى وكان ثقة مأمونا فى روايته وله شعر حسن من ذلك ما رواه عنه القاضى أبو الطيب الطبرى الفقيه الشافعى وهو

ألا قل لمن كان لى حاسدا * أتدرى على من أسأت الادب
أسأت على الله فى فعله * لانك لم ترض لى ما وهب
فجازاك عنه بان زادنى * وسد عليك وجوه الطلب

وذكره الشيخ أبو اسحق الشيرازى فى كتاب طبقات الفقهاء واثنى عليه ثم قال وأنشدنى قاضى بلدنا أبو على الداودى قال أنشدنى أبو الفرج لنفسه

أأقتبس الضياء من الضباب * وألتمس الشراب من السراب
أريد من الزمان النذل بذلا * وأريا من جنى سلع وصاب
ارجى أن ألاقى لاشتياقى * خيار الناس فى زمن الكلاب

ومن شعره أيضا مالك العالمين ضامن رزقى * فلماذا املك الخلق رقى

قد قضى لى بما على ومالى * خالق جل ذكره قبل خلقى
صاحب البذل والندى فى يسارى * ورفيقى فى عسرتى حسن رفق
فكما لا يرد عجزى رزقى * فكذا لايجر رزقى حذقى

وذكر انه عملها فى معنى قول على بن الجهم

لعمرك ما كل التعطل ضائر * ولا كل شغل فيه للمرء منفعه
اذا كانت الارزاق فى القرب والنوى * عليك سواء فاغتنم راحة الدعه

ومن غريب ما اتفق له ما حكاه أبو عبد الله الحميدى صاحب الجمع بين الصحيحين المقدم ذكره قال قرأت بخط أبى الفرج المعافى بن زكريا النهروانى حججت سنة وكنت بمنى أيام التشريق فسمعت مناديا ينادى يا أبا الفرج فقلت لعله يريدنى ثم قلت فى الناس خلق كثير ممن يكنى أبا الفرج ولعله ينادى غيرى فلم أجبه فلما رأى انه لا يجيبه أحد نادى يا أبا الفرج المعافى فهممت ان أجيبه ثم قلت قد يتفق أن يكون آخر اسمه المعافى ويكنى أبا الفرج فلم أجبه فرجع فنادى يا أبا الفرج المعافى بن زكريا النهروانى فقلت لم يبق شك فى منادانه اياى اذ ذكر اسمى وكنيتى واسم أبى وبلدى الذى أنسب اليه فقلت ها أنا ذا فما تريد قال لعلك من نهروان الشرق فقلت نعم فقال نحن نريد نهروان الغرب فعجبت من اتفاق الاسم والكنية واسم الاب وما انتسب اليه وعلمت ان بالمغرب موضعا يسمى النهروان غير النهروان الذى بالعراق ولابى الفرج المذكور عدة تصانيف ممتعة فى الادب وغيره وكتاب الجليس الانيس تصنيفه أيضا وكانت ولادته يوم الخميس لسبع خلون من شهر رجب سنة ثلاث وقيل خمس وثلثمائة وتوفى يوم الاثنين الثامن عشر من ذى الحجة سنة تسعين وثلثمائة بالنهروان رحمه الله تعالى وطرارا بفتح الطاء المهملة والراء وبعد الالف راء ثانية مفتوحة ثم ألف مقصورة وبعضهم يكتبه بالهاء بدلا من الالف فيقول طرارة والله أعلم والجريرى بفتح الجيم وكسر الراء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء هذه النسبة الى الامام محمد بن جرير الطبرى المقدم ذكره وانما نسب اليه لانه كان على مذهبه مقلدا له وقد تقدم فى ترجمته انه كان مجتهدا صاحب مذهب مستقل وكان له أتباع وأخذ بمذهبه جماعة منهم أبو الفرج المذكور وقد سبق الكلام على النهروان فاغنى عن الاعادة والله تعالى أعلم

(أبو تميم معد الملقب المعز لدين الله بن المنصور بن القائم بن المهدى عبيد الله)

قد تقدم ذكر والده وجده وجد أبيه وطرف من اخبارهم وكان المعز المذكور قد بويع بولاية العهد فى حياة أبيه المنصور اسمعيل ثم جددت له البيعة بعد وفاته فى التاريخ المذكور فى ترجمته ودبر الامور وساسها وأجراها على أحسن أحكامها الى يوم الاحد سابع ذى الحجة سنة احدى وأربعين وثلثمائة فجلس يومئذ على سرير ملكه ودخل عليه الخاصة وكثير من العامة وسلموا عليه بالخلافة وتسمى بالمعز ولم يظهر على أبيه حزنا ثم خرج الى بلاد افريقية يطوف بها ليمهد قواعدها ويقرر أسبابها فانقاد له العصاة من أهل تلك البلاد ودخلوا

القسم الثالث من كتاب المفتاح وشرح الفوائد الغياثية وهو شرح حافل يتضمن الرد على بعض المواضع من شرح المفتاح وكتاب سماه (بالشقائق النعمانية فى الدولة العثمانية) وقد جمعه بعد عماه وهو أول من تصدى له وكتاب ذكر فيه أنواع العلوم وضروبها وموضوعاتها وما اشتهر من المصنفات فى كل فن مع نبذ من تواريخ مصنفيها فجاء كتابا عزيزا غزير الفائدة وصنف كتابا كبيرا فى التاريخ جمع فيه ماذكره ابن خلكان واضاف اليه سير الصحابة والتابعين وغيرهم ثم اختصر منه مجلدا لطيفا وكتب حاشية من أول شرح المفتاح للشريف الجرجانى وادمج فيها كلمات أبيه المولى مصلح الدين ولم يتم وشرح العوامل من المختصرات وشرح ديباجة الهداية وديباجة الطوالع وله مختصر فى علم النحو على منوال مختصر البيضاوى وكتب رسائل وحقق فيها كثيرا من المسائل المشكلة والمباحث المعضلة وبقى أكثرها فى المسودة وما تيسر تبييضه تنيف على خمسة عشر منها صورة الخلاص فى سورة الاخلاص الرسالة الجامعه لوصف العلوم النافعه مسالك الخلاص فى مهالك

فى طاعته وعقد لغلمانه واتباعه على الاعمال واستندب لكل ناحية من يعلم كفايته وشهامته وضم الى كل واحد منهم جمعا كثيرا من الجند وأرباب السلاح ثم جهز أبا الحسن جوهرا القائد المذكور فى حرف الجيم وجمع معه جيش كثيف ليفتح ما استعصى عليه من بلاد المغرب فسار الى فاس ثم منها الى سجلماسة ففتحها ثم توجه الى البحر المحيط وصاد من سمكه وجعله فى قلال الماء وأرسله الى المعز ثم رجع الى المعز ومعه صاحب سجلماسة وصاحب فاس أسيرين فى قفصى حديد والشرح فى ذلك يطول وخلاصة الامر انه ما رجع القائد جوهر الى مولاه المعز الا وقد وطد له البلاد وحكم على أهل الزيغ والعناد من باب افريقية الى البحر المحيط فى جهة المغرب وفى جهة المشرق من باب افريقية الى أعمال مصر ولم يبق بلد من هذه البلاد الا أقيمت فيه دعوته وخطب له فى جمعته وجماعته الا مدينة سبتة فانها بقيت لبنى أمية أصحاب الاندلس ولما وصل الخبر الى المعز المذكور بموت كافور الاخشيذى صاحب مصر حسبما شرحناه فى ترجمته من هذا الكتاب تقدم المعز الى القائد جوهر المذكور ليتجهز للخروج الى مصر فخرج أولا الى جهة المغرب لاصلاح أموره وكان معه جيش عظيم وجمع قبائل العرب الذين يتوجه بهم الى مصر وجبى القطائع التى كانت على البربر فكانت خمسمائة ألف دينار وخرج المعز بنفسه فى الشتاء الى المهدية فاخرج من قصور آبائه خمسمائة حمل دنانير وعاد الى قصره ولما عاد جوهر بالرجال والاموال وكان قدومه على المعز يوم الاحد لثلاث بقين من المحرم سنة ثمان وخمسين وثلثمائة أمره المعز بالخروج الى مصر فخرج ومعه أنواع القبائل وقد ذكرت فى ترجمة جوهر تاريخ خروجه وتاريخ وصوله الى مصر فاغنى عن الاعادة وأنفق المعز فى العسكر المسير صحبته أموالا كثيرة حتى أعطى من ألف دينار الى عشرين دينارا وغمر الناس بالعطاء وتصرفوا فى القيروان وصبره وفى شراء جميع حوائجهم ورحلوا ومعه ألف حمل من المال والسلاح ومن الخيل والعدد ما لا يوصف وكان بمصر فى تلك السنة غلاء عظيم ووباء حتى مات فى مصر وأعمالها فى تلك المدة ستمائة ألف انسان على ما قيل ولما كان منتصف شهر رمضان المعظم سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وصلت البشارة الى المعز بفتح الديار المصرية ودخول عساكره اليها وانهزام الاخشيدية ووصلته النجب بعد ذلك تخبره بصورة الفتح وكانت كتب جوهر تتردد الى المعز باستدعائه الى مصر وتحثه كل وقت على ذلك ثم أرسل اليه يخبره بانتظام الحال بمصر والشام والحجاز واقامة الدعوة له بهذه المواضع فسر المعز بذلك سرورا عظيما ولما تقررت قواعده بالديار المصرية استخلف على افريقية بلكين بن زيرى بن مناد الصنهاجى المذكور فى حرف الباء وخرج المعز متوجها باموال جليلة المقدار ورجال عظيمة الاخطار وكان خروجه من المنصورية دار ملكه يوم الاثنين لثمان بقين من شوال سنة احدى وستين وثلثمائة وانتقل الى سردانية وأقام بها لتجتمع رجاله واتباعه ومن يستصحبه معه وفى هذه المنزلة عقد العهد لبلكين على افريقية فى التاريخ المذكور فى ترجمته ورحل عنها يوم الخميس خامس صفر سنة اثنتين وستين وثلثمائة ولم يزل فى طريقه يقيم بعض الاوقات فى بعض البلاد أياما ويجد السير فى بعضها وكان اجتيازه على برقة ودخل الاسكندرية يوم السبت لست بقين من شعبان من السنة المذكورة وركب فيها ودخل الحمام وقدم عليه بها قاضى مصر وهو أبو طاهر محمد بن أحمد وأعيان أهل البلاد وسلموا عليه وجلس لهم عند المنارة وخاطبهم بخطاب طويل يخبرهم فيه انه لم يرد دخول مصر لزيادة فى ملكه ولا لمال وانما أراد اقامة الحق والحج والجهاد وأن يختم عمره بالاعمال الصالحة وأن يأمر بعمل ما أمر به جده صلى الله عليه وسلم ووعظهم وأطال حتى بكى بعض الحاضرين وخلع على القاضى وبعض الجماعة وحملهم وودعوه وانصرفوا ثم رحل منها فى أواخر شعبان ونزل يوم السبت ثانى شهر رمضان المعظم على مينا ساحل مصر بالجيزة فخرج اليه القائد جوهر وترجل عند لقائه وقبل الارض بين يديه وبالجيزة أيضا اجتمع به الوزير أبو الفضل جعفر بن الفرات المذكور فى حرف الجيم وأقام المعز هنالك ثلاثة أيام وأخذ العسكر فى التعدية باثقالهم الى ساحل مصر ولما كان يوم الثلاثاء لخمس خلون من شهر رمضان المعظم من السنة عبر المعز النيل ودخل القاهرة ولم يدخل مصر وكانت قد زينت له وظنوا انه يدخلها وأهل القاهرة لم يستعدوا

الخواص أجل المواهب
فى معرفة وجوب الواجب
نزهة الالحاظ فى عدم
وضع الالفاظ للالفاظ
رسالة التعريف والاعلام
فى حل مشكلات الحد
التام القواعد الجليات
فى تحقيق مباحث الكليات
فتح الامر المغلق فى مسئلة
المجهول المطلق رسالة فى
تفسير آية الوضوء رسالة
فى تفسير قوله تعالى هو
الذى خلق لكم ما فى
الارض جميعا وكان رحمه
الله ينظم الشعر العربى
وقد كتب الى بعض
أصدقائه بعد عماه (شعر)
سقيت بسيط الارض فى كل
ساعة
بدمع جرى فى ذكر خير
الاحبة
وصفحة خدى كالوشاح
المفصل
بقطر دموع بين فانى عبرة
وعينى عقيق بياقوت مقلة
وانسان عينى عنبر فوق
جمرة
حرمت من الاحباب لذة
نظرة
فواحسرتا ان لم افق قبل
موتتى
ولا تجزعى يا نفس من نازل
جرى
بتقدير خلاق الاله البرية
فان الرضا والصبر فى كل محنة
من أخلاق أصحاب النفوس
الرضية
(نثر) ولما كتب المفتى أبو
السعود جزأ من تفسيره
وارسله اليه كتب عليه

للقائه لانهم بنوا الامر على دخوله مصر أولا ولما دخل القاهرة ودخل القصر ودخل مجلسا منه خر ساجدا لله تعالى ثم صلى ركعتين وانصرف الناس عنه وهذا المعز هو الذى تنسب اليه القاهرة فيقال القاهرة المعزية لانه الذى بناها له القائد جوهر وفى يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة أربع وستين عزل المعز القائد جوهرا عن دواوين مصر وجباية أموالها والنظر فى سائر أمورها وقد ذكرنا فى ترجمة الشريف عبد الله بن طباطبا ما دار بينه وبين المعز من السؤال عن نسبه وما أجابه به وما اعتمده بعد الدخول الى القصر وكان المعز عاقلا حازما سريا أديبا حسن النظر فى النجامة وينسب اليه من الشعر قوله

لله ما صنعت بنا * تلك المحاجر فى المعاجر
أمضى وأقضى فى النفو * س من الخناجر فى الحناجر
ولقد تعبت ببينكم * تعب المهاجر فى الهواجر

وينسب اليه أيضا

أطلع الحسن من جبينك شمسا * فوق ورد فى وجنتيك أطلا
وكأن الجمال خاف على الور * د جفافا فمد بالشعر ظلا

وهو معنى غريب بديع وقد مضى ذكر ولده تميم وشئ من شعره وسيأتى ذكر ولده العزيز نزار فى حرف النون ان شاء الله تعالى وكانت ولادته بالمهدية يوم الاثنين حادى عشر شهر رمضان سنة تسع عشرة وثلثمائة وتوفى يوم الجمعة الحادى عشر من شهر ربيع الآخر وقيل الثالث عشر وقيل لسبع خلون منه سنة خمس وستين وثلثمائة بالقاهرة رحمه الله تعالى ومعد بفتح الميم والعين المهملة وتشديد الدال المهملة والله تعالى أعلم

(أبو تميم معد الملقب المستنصر بالله بن الظاهر لاعزاز دين الله ابن الحاكم بن العزيز بن المعز لدين الله المذكور قبله)

وقد تقدم بقية النسب بويع بالامر بعد موت والده الظاهر وذلك يوم الاحد النصف من شعبان سنة سبع وعشرين وأربعمائة وجرى فى أيامه ما لم يجر فى أيام أحد من أهل بيته ممن تقدمه ولا ممن تأخره منها قضية أبى الحرث أرسلان البساسيرى المقدم ذكره فى حرف الهمزة فانه لما عظم أمره وكبر شأنه ببغداد قطع خطبة الامام القائم وخطب للمستنصر المذكور وذلك فى سنة خمسين وأربعمائة ودعى له على منابرها مدة سنة ومنها انه ثار فى أيامه على بن محمد الصليحى المقدم ذكره وملك بلاد اليمن كما شرحنا ودعى للمستنصر على منابرها بعد الخطبة وهو مشهور فلا حاجة الى الاطالة فى شرحه ومنها أنه أقام فى الامر ستين سنة وهذا أمر لم يبلغه أحد من أهل بيته ولا من بنى العباس ومنها انه ولى وهو ابن سبع سنين ومنها ان دعوتهم لم تزل قائمة بالمغرب منذ قام جدهم المهدى المقدم ذكره الى أيام المعز المذكور قبله ولما توجه المعز الى مصر واستخلف بلكين بن زيرى حسبما شرحناه كانت الخطبة فى تلك النواحى جارية على عادتها لهذا البيت الى أن قطعها المعز بن باديس الآتى ذكره ان شاء الله تعالى فى أيام المستنصر المذكور وذلك فى سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة وقال فى تاريخ القيروان ان ذلك كان فى سنة خمس وثلاثين والله تعالى أعلم بالصواب وفى سنة تسع قطع اسمه واسم آبائه من الحرمين الشريفين وذكر اسم المقتدى خليفة بغداد والشرح فى ذلك يطول ومنها انه حدث فى أيامه الغلاء العظيم الذى ما عهد مثله منذ زمان يوسف عليه السلام وأقام سبع سنين وأكل الناس بعضهم بعضا حتى قيل انه بيع رغيف واحد بخمسين دينارا وكان المستنصر فى هذه الشدة يركب وحده وكل من معه من الخواص مترجلين ليس لهم دواب يركبونها وكانوا اذا مشوا يتساقطون فى الطرقات من الجوع وكان المستنصر يستعير من ابن هبة الله صاحب ديوان الانشاء بغلته ليركبها صاحب مظلته وآخر الامر توجهت أم المستنصر وبناته الى بغداد من فرط الجوع وذلك فى سنة اثنتين وستين وأربعمائة وتفرق أهل مصر فى البلاد وتشتتوا ولم يزل هذا الامر على شدته حتى تحرك بدر الجمالى والد الافضل أمير الجيوش من عكا وركب البحر حسبما شرحناه فى ترجمة ولده الافضل شاهنشاه وجاء الى مصر وتولى تدبير الامور فانصلحت وشرح ذلك يطول وكانت ولادة المستنصر صبيحة يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة عشرين وأربعمائة وتوفى ليلة الخميس لاثنتى عشرة ليلة بقيت من ذى الحجة سنة سبع وثمانين وأربعمائة

هذه الابيات (شعر)
بنفسى جنابا حاز كل فضيلة
وصار لاظهار الحقائق
ضامنا
وأيد روح القدس حسان
طبعه
فجلى من الاسرار ما كان
كامنا
ونائع عن عرض النبى تادبا
ففى الحشر يلقاه من
الخوف آمنا
بك الملة الزهراء أضحت
منيرة
ففى الكوكب السيار قد
صرت ثامنا
(غيره)
وصلت حمى نجد أيا ريح
شمال
قفا نبك من ذكرى حبيب
ومنزل
فوا أسفا رسم المدارس
دارس
فهل عند رسم دارس من
معول
*(ومنهم العالم الفاضل
المولى يحيى بن نور الدين
الشهير بكوسج الامين)*
كان أبوه من زمرة الامناء
العثمانية وصار فى عهد
السلطان بايزيد خان متوليا
على الاخراجات الخاصة
السلطانية واختار المرحوم
من جودة طبعه وصفائه
جادة العلم على طريقة آبائه
فسلك مسلك التحصيل
وذهب مذهب التكميل
فاشتغل على أفاضل زمانه
وأماثل أقرانه وصاحب
الاعالى والاهالى حتى صار

رحمه الله تعالى قلت وهذه الليلة هي ليلة عيد الغدير أعني ليلة الثامن عشر من ذي الحجة وهو غدير خم بضم الخاء وتشديد الميم ورأيت جماعة كثيرة يسألون عن هذه الليلة متى كانت من ذي الحجة وهذا المكان بين مكة والمدينة وفيه غدير ماء ويقال انه غيضة هناك ولما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من مكة شرفها الله تعالى عام حجة الوداع ووصل الى هذا المكان وآخى علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال علي مني كهرون من موسى اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وللشيعة به تعلق كبير وقال الحازمي هو واد بين مكة والمدينة عند الجحفة غدير عنده خطب النبي صلى الله عليه وسلم وهذا الوادي موصوف بكثرة الوخامة وشدة الحر وقد تقدم ذكر جماعة من أهل بيته وسيأتي ذكر الباقين كل واحد في موضعه ان شاء الله تعالى والله أعلم

(أبو محفوظ معروف بن فيروز وقيل الفيرزان وقيل علي الكرخي الصالح المشهور)

وهو من موالي علي بن موسى الرضا وقد تقدم ذكره وكان أبواه نصرانيين فاسلماه الى مؤدبهم وهو صبي وكان المؤدب يقول له قل ثالث ثلاثة فيقول معروف بل هو الواحد فيضربه المعلم على ذلك ضربا مبرحا فهرب منه وكان أبواه يقولان ليته يرجع الينا على أي دين شاء فنوافقه عليه ثم انه أسلم على يد علي بن موسى الرضا ورجع الى أبويه فدق الباب فقيل له من بالباب فقال معروف فقيل له على أي دين فقال على الاسلام فاسلم أبواه وكان مشهورا باجابة الدعوى وأهل بغداد يستسقون بقبره ويقولون قبر معروف ترياق مجرب وكان سري السقطي المقدم ذكره تلميذه وقال له يوما اذا كانت لك حاجة الى الله تعالى فأقسم عليه بي وقال سري السقطي رأيت معروفا الكرخي في النوم كأنه تحت العرش والباري جلت قدرته يقول للملائكة من هذا وهم يقولون أنت تعلم يا ربنا فقال هذا معروف الكرخي سكر من حبي فلا يفيق الا بلقائي وقال معروف قال لي بعض أصحاب داود الطائي اياك أن تترك العمل فان ذلك الذي يقربك الى رضا مولاك فقلت وماذاك العمل قال دوام الطاعة لمولاك وحرمة المسلمين والنصيحة لهم وقال محمد بن الحسن سمعت أبي يقول رأيت معروفا الكرخي في النوم بعد موته فقلت له ما فعل الله بك فقال غفر لي فقلت بزهدك وورعك فقال لا بل بقبول موعظة ابن السماك ولزومي الفقر ومحبتي للفقراء وكانت موعظة ابن السماك ما رواه معروف قال كنت مارا بالكوفة فوقفت على رجل يقال له ابن السماك وهو يعظ الناس فقال في خلال كلامه من أعرض عن الله بكليته أعرض عنه الله جملة ومن أقبل على الله تعالى بقلبه أقبل الله تعالى برحمته عليه وأقبل بوجوه الخلق اليه ومن كان مرة ومرة فالله تعالى يرحمه وقتا ما فوقع كلامه في قلبي وأقبلت على الله تعالى وتركت جميع ما كنت عليه الا خدمة مولاي علي بن موسى الرضا وذكرت هذا الكلام لمولاي فقال يكفيك هذه موعظة ان اتعظت وقد تقدم ذكر ابن السماك في المحمدين وقيل لمعروف في مرض موته أوص فقال اذا مت فتصدقوا بقميصي فاني أريد أن أخرج من الدنيا عريانا كما دخلتها عريانا ومر معروف بسقاء وهو يقول رحم الله من يشرب فتقدم وشرب وكان صائما فقيل له ألم تك صائما فقال بلى ولكن رجوت دعاءه واخبار معروف ومحاسنه أكثر من أن تعد وتوفي سنة مائتين وقيل احدى ومائتين وقيل أربع ومائتين ببغداد وقبره مشهور بها يزار رحمه الله تعالى والكرخي بفتح الكاف وسكون الراء وبعدها خاء معجمة هذه النسبة الى الكرخ وهو اسم تسع مواضع ذكرها ياقوت الحموي في كتابه وأشهرها كرخ بغداد والصحيح ان معروفا الكرخي منه وقيل انه من كرخ جدان بضم الجيم وتشديد الدال المهملة وبعد الالف نون وهي بليدة بالعراق تفصل بين ولاية خانقين وشهرزور والله تعالى أعلم بالصواب

(المعز بن باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد الحميري الصنهاجي صاحب افريقية وما والاها من بلاد المغرب)

وقد سبق تمام نسبه عند ذكر ولده الامير تميم وكان الحاكم صاحب مصر قد لقبه شرف الدولة وسير له

معيد الدرس المفتي علاء الدين الجمالي وتميز في خدمته حتى زوجه بابنته ثم درس في مدرسة قاسم باشا بمدينة بروسه المشتهرة بمدرسة الامير سلطان بخمسة وعشرين ثم مدرسة ابراهيم باشا بقسطنطينية بثلاثين ثم مدرسة يلدرم خان في بروسه باربعين ثم مدرسة أحمد باشا بقصبة جورلي بخمسين ثم نقل الى مدرسة دار الحديث بادرنه ثم الى احدى المدارس الثمان ثم الى المدرسة التي بناها السلطان سليمان بجوار جامع ايا صوفيه ثم مدرسة السلطان مراد في مدينة بروسه ثم عاد الى احدى المدارس الثمان بستين ثم قلد قضاء بغداد ثم عزل عنه وعين له كل يوم ثمانون درهما بطريق التقاعد ولما بنى السلطان سليمان مدرسته بقسطنطينية وجعلها دار الاحاديث النبوية أعطاها المرحوم لاشتهاره بعلم الحديث وعين له كل يوم مائة درهم ثم اتفق انه اتهم ببيع الاعادة والملازمة وأخذ الرشا على اعطاء الجرات فبلغ ذلك الى السلطان فغضب عليه وعزله فاغتم له غما شديدا فلم يذهب كثير حتى توفي سنة ثمان وستين وتسعمائة وكان المرحوم من أفاضل الروم صاحب اليد الطولى في الحديث والتفسير وعلوم الوعظ

تشريفا وسجلا يتضمن اللقب المذكور وذلك في ذي الحجة سنة سبع وأربعمائة وكان ملكا جليلا عالي الهمة محبا لاهل العلم كثير العطاء وكان واسطة عقد بيته وقد تقدم ذكر أبيه وجده وجد أبيه ومدحه الشعراء وانتجعه الادباء وكانت حضرته محط بني الآمال وكان مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه بافريقية أظهر المذاهب فحمل المعز المذكور جميع أهل المغرب على التمسك بمذهب الامام مالك بن أنس رضي الله عنه وحسم مادة الخلاف في المذاهب واستمر الحال من ذلك الوقت الى الآن وقد تقدم في خبر المستنصر بالله العبيدي ان المعز المذكور قطع خطبته وخلع طاعته فلما فعل ذلك خطب للامام القائم بأمر الله خليفة بغداد فكتب اليه المستنصر يتهدده ويقول له هلا اقتفيت آثار آبائك في الطاعة والولاء في كلام طويل فأجابه المعز ان آبائي واجدادي كانوا ملوك المغرب قبل أن تملكه أسلافك ولهم عليهم من الخدم أعظم من التقديم ولو أخروهم لتقدموا باسيافهم واستمر على قطع الخطبة ولم يخطب في افريقية بعد ذلك لاحد من المصريين الى اليوم وأخبار المعز كثيرة وسيرته مشهورة فلا حاجة الى الاطالة وله شعر قليل لم أقف منه على شيء وكان المعز يوما جالسا في مجلسه وعنده جماعة من الادباء وبين يديه أترجة ذات أصابع فأمرهم المعز أن يعملوا فيها شيأ فعمل أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الشاعر المقدم ذكره قوله

أترجة سبطة الاطراف ناعمة * تلقى العيون بحسن غير منحوس

كأنما بسطت كفا لخالقها * تدعو بطول بقاء لابن باديس

فاستحسن ذلك منه وفضله على من حضر من الجماعة الادباء وكانت ولادته بالمنصورية ويقال لها صبرة من أعمال افريقية يوم الخميس لخمس مضين من جمادى الاولى سنة ثمان وتسعين وثلثمائة وذلك بعد أبيه باديس في التاريخ المذكور في ترجمته وبويع بالمحمدية من أعمال افريقية أيضا يوم السبت لثلاث مضين من ذي الحجة سنة ست وأربعمائة وتوفي رابع شعبان سنة أربع وخمسين وأربعمائة بالقيروان من مرض أصابه وهو ضعف الكبد ولم تطل مدة أحد من أهل بيته في الولاية كمدته ورثاه أبو علي الحسن بن رشيق المقدم ذكره بابيات على روي الكاف اضربت عن ذكرها خوف الاطالة وهذا المعز لا يعرف له اسم سوى المعز مع أني كشفت عنه كشفا تاما من الكتب وأفواه العلماء وأهل المغرب فلم يذكر أحد سوى المعز ولا تعرف كنيته أيضا والظاهر ان هذا اسمه فان أهل بيته لم يكن فيهم من تلقب حتى يقال هذا لقب فأثبته على قدر ما وجدته والله تعالى أعلم بالصواب

(أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي بالولاء تيم قريش البصري النحوي العلامة)

قال الجاحظ في حقه لم يكن في الارض خارجي ولا جماعي أعلم بجميع العلوم منه وقال ابن قتيبة في كتاب المعارف كان أشعار الغريب أغلب عليه واخبار العرب وايامها وكان مع معرفته لم يقم البيت اذا أنشده حتى يكسره وكان يخطئ اذا قرأ القرآن الكريم نظرا وكان يبغض العرب وألف في مثالبها كتبا وكان يرى رأي الخوارج وقال غيره ان هرون الرشيد أقدمه من البصرة الى بغداد سنة ثمان وثمانين ومائة وقرأ عليه بها أشياء من كتبه وأسند الحديث الى هشام بن عروة وغيره وروى عنه علي بن المغيرة الاثرم وأبو عبيد القاسم بن سلام المقدم ذكره وأبو عثمان المازني وأبو حاتم السجستاني وعمر بن شبة النميري وغيرهم وقد تقدم ذكر هؤلاء جميعهم وقال أبو عبيدة أرسل الى الفضل بن الربيع الى البصرة في الخروج اليه فقدمت عليه وكنت أخبر بخبره فاذن لي فدخلت عليه وهو في مجلس طويل عريض فيه بساط واحد قد ملأه وفي صدره فرش عالية لا يرتقى عليها الا بكرسي وهو جالس على الفراش فسلمت عليه بالوزارة فرد وضحك الي واستدناني حتى جلست معه على فراشه ثم سألني وبسطني وتلطف بي وقال أنشدني فانشدته من عيون الاشعار التي أحفظها جاهلية فقال لي قد عرفت أكثر هذا وأريد من ملح الشعر فانشدته فطرب وضحك وزاد نشاطا ثم دخل رجل في زي الكتاب وله هيئة حسنة فاجلسه الى جانبي وقال له أتعرف هذا فقال لا فقال هذا أبو عبيدة علامة أهل البصرة أقدمناه لنستفيد من علمه فدعا له الرجل وقرضه لفعله هذا ثم التفت الي وقال

والتذكير وله باع واسع في فن المحاضرات والتواريخ والمحاورات وكان رحمه الله لذيذ الصحبة حلو المحاورة خاليا عن الكبر والخيلاء مختلطا بالمساكين والفقراء وبالجملة كان رحمه الله رجلا كاملا وأتم الا أن فيه خصلة سميه يحيى ابن أكثم الذي هو أول من صرح بالميل الى المرد الملاح ذوي الخدود الصباح وهو الذي قال وأبان عما في البال (شعر)

انما الدنيا طعام
ومدام وغلام
فاذا فاتك هذا
فعلى الدنيا سلام

عفا الله عن سيآتهما وضاعف حسناتهما

(ومنهم المولى محمود الايديني المعروف بخواجه قايني)

كان أبوه من كبار القضاة الحاكمين في القصبات وطلب العلم وكتب وزبر حتى صار ملازما للمولى بدر الدين الاصفر فاتفق له عطفة من الزمان حيث تزوج باخته المولى خير الدين معلم السلطان فعلت به كلمته وارتفعت مرتبته فقلد مدرسة جندبك بمدينة بروسه بعشرين ثم مدرسة يري باشا بقصبة ساوري بخمسة وعشرين ثم المدرسة الافضلية بقسطنطينية بثلاثين ثم صار وظيفته فيها أربعين ثم درس بالمدرسة الحلبية بادرنه ثم

كنت اليك مشتاقا وقد سئلت عن مسئلة أفتأذن لى ان أعرفك قلت هات فقال قال الله تعالى طلعها كأنه رؤس الشياطين وانما يقع الوعد والايعاد بما قد عرف مثله وهذا لم يعرف قال فقلت انما كلم الله العرب على قدر كلامهم اما سمعت قول امرئ القيس

ايقتلنى والمشرفى مضاجعى * ومسنونة زرق كأنياب أغوال

وهم لم يروا الغول قط ولما كان أمر الغول يهولهم أوعدوا به فاستحسن الفضل ذلك واستحسنه السائل وازمعت عند ذلك اليوم ان أضع كتابا فى القرآن لمثل هذا وأشباهه ولما يحتاج اليه من علمه ولما رجعت الى البصرة عملت كتابى الذى سميته المجاز وسألت عن الرجل فقيل لى هو من كتاب الوزير وجلسائه وقال أبو عثمان المازنى سمعت أبا عبيدة يقول دخلت على هرون الرشيد فقال لى يا معمر بلغنى ان عندك كتابا حسنا فى صفة الخيل أحب ان أسمعه منك فقال الاصمعى وما تصنع بالكتب يحضر فرس فاحضر فقام الاصمعى فجعل يضع يده على عضو عضو منه ويقول هذا كذا قال فيه الشاعر كذا حتى انقضى قوله فقال لى الرشيد ما تقول فيما قال فقلت أصاب فى بعض وأخطأ فى بعض والذى أصاب فيه منى تعلمه والذى أخطأ فيه ما أدرى من أين أتى به وبلغ أبا عبيدة ان الاصمعى يعيب عليه كتاب المجاز فقال يتكلم فى كتاب الله تعالى برأيه فسأل عن مجلس الاصمعى فى أى يوم هو فركب حماره فى ذلك اليوم ومر بحلقته فنزل عن حماره وسلم عليه وجلس عنده وحادثه ثم قال له أبا سعيد ما تقول فى الخبز أى شئ هو فقال الذى تخبزه وتأكله فقال أبو عبيدة قد فسرت كتاب الله تعالى برأيك فان الله تعالى قال وقال الآخر انى أرانى أحمل فوق رأسى خبزا فقال الاصمعى هذا شئ بان لى فقلته ولم أفسره برأيى فقال أبو عبيدة والذى تعيب علينا كله شئ بان لنا فقلناه ولم نفسره برأينا وقام وركب حماره وانصرف وزعم الباهلى صاحب كتاب المعانى ان طلبة العلم كانوا اذا أتوا مجلس الاصمعى اشتروا البعر فى سوق الدر واذا أتوا مجلس أبى عبيدة اشتروا الدر فى سوق البعر لان الاصمعى كان حسن الانشاد والزخرفة لردئ الاخبار والاشعار حتى يحسن عنده القبيح وان الفائدة مع ذلك عنده قليلة وان أبا عبيدة كان معه سوء عبارة مع فوائد كثيرة وعلوم جمة ولم يكن أبو عبيدة يفسر الشعر وقال المبرد كان أبو زيد الانصارى اعلم من الاصمعى وأبى عبيدة بالنحو وكانا بعده يتقاربان وكان أبو عبيدة أكمل القوم وكان على ابن المدينى يحسن ذكر أبى عبيدة ويصحح روايته وقال كان لا يحكى عن العرب الا الشئ الصحيح وحمل أبو عبيدة والاصمعى الى هرون الرشيد للمجالسة فاختار الاصمعى لانه كان أصلح للمنادمة وكان أبو نواس يتعلم من أبى عبيدة ويصفه ويسب الاصمعى ويهجوه فقيل له ما تقول فى الاصمعى فقال بلبل فى قفص قيل له فما تقول فى خلف الاحمر فقال جمع علوم الناس وفهمها قيل فما تقول فى أبى عبيدة فقال ذاك أديم طوى على علم وقال اسحق بن ابراهيم النديم الموصلى يخاطب الفضل بن الربيع يمدح أبا عبيدة ويذم الاصمعى بقوله

عليك أبا عبيدة فاصطنعه * فان العلم عند أبى عبيده
وقدمه وآثره عليه * ودع عنك القريد بن القريده

وكان أبو عبيدة اذا أنشد بيتا لا يقيم وزنه واذا تحدث أو قرأ لحن اعتمادا منه لذلك ويقول النحو محدود ولم يزل يصنف حتى مات وتصانيفه تقارب مائتى مصنف فمنها كتاب مجاز القرآن الكريم وكتاب غريب القرآن وكتاب معانى القرآن وكتاب غريب الحديث وكتاب الديباج وكتاب التاج وكتاب الحدود وكتاب خراسان وكتاب خوارج البحرين واليمامة وكتاب الموالى وكتاب البله وكتاب الضيفان وكتاب مرج راهط وكتاب المنافرات وكتاب القبائل وكتاب خبر البراض وكتاب القرائن وكتاب البازى وكتاب الحمام وكتاب الحيات وكتاب العقارب وكتاب النوادح وكتاب النواشر وكتاب حضر الخيل وكتاب الاعيان وكتاب بيان باهلة وكتاب أيادى الازد وكتاب الخيل وكتاب الابل وكتاب الانسان وكتاب الزرع وكتاب الرحل وكتاب الدلو وكتاب البكرة وكتاب السرج وكتاب اللجام وكتاب الفرس وكتاب السيف وكتاب الشوارد وكتاب الاحتلام وكتاب مقاتل الفرسان وكتاب مقاتل الاشراف وكتاب الشعر والشعراء وكتاب فعل وأفعل

وكتاب

باحدى المدارس الثمان ثم قلد قضاء حلب ثم عزل ثم قلد قضاء مكة ثم عزل ثم أعيد اليها ثم عزل فقبل وصوله الى منزله أدركته منيته وانقطعت أمنيته بقصبة اسكدار سنة ثمان وستين وتسعمائة وكان المرحوم خلوقا بشوشا حليم النفس لا يتأذى منه أحد رحمه الله الصمد

(ومنهم المولى مصلح الدين)

كان رحمه الله من قصبة نيكسار فخرج بعد بلوغه الى سن البلوغ طالبا العلم من هذه الديار فدار البلاد واشتغل واستفاد حتى انتظم فى سلك أرباب الاستعداد ووصل الى خدمة المولى محيى الدين الفنارى فاشتغل عليه مدة وحصل من العلوم عدة ثم وصل الى خدمة المولى محمد باشا فاجتهد فى التحصيل والاستفادة حتى اذا انتقل المولى المزبور الى احدى المدرستين المتجاورتين بادرنه عينه لخدمة الاعادة ثم درس فى مدرسة صاروجه باشا بقصبة كليبولى بعشرين ثم مدرسة الامير أحمد الادرنوى بقصبة واردار بخمسة وعشرين ثم المدرسة الحجرية بادرنه بثلاثين ثم مدرسة برى باشا بأربعين ثم مدرسة أحمد باشا بقصبة جورلى بخمسين ثم نقل الى مدرسة مغنيسا فاشتغل فيها وافاد حتى

وكتاب المثالب وكتاب خلق الانسان وكتاب الفرق وكتاب الخف وكتاب مكة والحرم وكتاب الجمل وصفين وكتاب بيوتات العرب وكتاب اللغات وكتاب الغارات وكتاب المعاتبات وكتاب الملاومات وكتاب الاضداد وكتاب مآثر العرب وكتاب مآثر غطفان وكتاب ادعية العرب وكتاب مقتل عثمان رضى الله عنه وكتاب أسماء الخيل وكتاب العفة وكتاب قضاة البصرة وكتاب فتوح الاهواز وكتاب فتوح ارمينية وكتاب لصوص العرب وكتاب اخبار الحجاج وكتاب قصة الكعبة وكتاب الحمس من قريش وكتاب فضائل الفرس وكتاب ما تلحن فيه العامة وكتاب السواد وفتحه وكتاب من شكر من العمال وحمد وكتاب الجمع والتثنية وكتاب الاوس والخزرج وكتاب محمد وابراهيم ابنى عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين وكتاب الايام الصغير خمسة وسبعون يوما وكتاب الايام الكبير ألف ومائتا يوم وكتاب أيام بنى مازن واخبارهم وغير ذلك من الكتب النافعة ولولا خوف الاطالة لذكرت جميعها وقال أبو عبيدة لما قدمت على الفضل بن الربيع قال لى من أشعر الناس فقلت الراعى قال وكيف فضلته على غيره فقلت لانه ورد على سعيد بن عبد الرحمن الاموى فوصله فى يومه الذى لقيه فيه وصرفه فقال يصف حاله معه

وأنضاء تحن الى سعيد * طروقا ثم عجلن ابتكارا
حمدن مناخه وأصبن منه * عطاء لم يكن عدة ضمارا

فقال الفضل فما أحسن ما اقتضيتنا يا أبا عبيدة ثم غدا الى هرون الرشيد فاخرج لى صلة وأمر لى بشئ من ماله وصرفنى وكان أبو عبيدة معمر من موالى بنى عبيد الله بن معمر التيمى وقال له بعض الاجلاء تقع فى الناس فمن أبوك فقال أخبرنى أبى عن أبيه انه كان يهوديا من أهل باجروان فضى الرجل فتركه وكان أبو عبيدة جبانا لم يكن بالبصرة أحد الا وهو يداجيه ويتقيه على عرضه وخرج الى بلاد فارس قاصدا موسى بن عبد الرحمن الهلالى فلما قدم عليه قال لغلمانه احترزوا من أبى عبيدة فان كلامه كله دق ثم حضر الطعام فصب بعض الغلمان على ذيله مرقة فقال له موسى قد أصاب ثوبك مرق وأنا أعطيك عوضه عشر ثياب فقال أبو عبيدة لا عليك فان مرقك لا يؤذى أى ما فيه دهن ففطن لها موسى وسكت وكان الاصمعى اذا أراد الدخول الى المسجد قال انظروا لا يكون فيه ذاك يعنى أبا عبيدة تخوفا من لسانه فلما مات لم يحضر جنازته أحد لانه لم يكن يسلم من لسانه أحد لا شريف ولا غيره وكان وسخا ألثغ مدخول النسب مدخول الدين يميل الى مذهب الخوارج قال أبو حاتم السجستانى كان أبو عبيدة يكرمنى على أنى من خوارج سجستان وقال الثورى دخلت المسجد على أبى عبيدة وهو ينكث الارض جالسا وحده وقال لى من القائل

أقول لها وقد جشأت وجاشت * مكانك تحمدى أو تستريحى

فقلت له قطرى بن الفجاءة فقال فض الله فاك هلا قلت هو لامير المؤمنين أبى نعامة ثم قال لى اجلس واكتم على ما سمعت منى قال فما ذكرته حتى مات قلت انا وهذه الحكاية فيها نظر لان هذا البيت من جملة أبيات لعروة بن الاطنابة الانصارى الخزرجى واطنابة أمه واسم أبيه زيد بن مناة لا يكاد يخالف فيه أحد من أهل الادب فانها أبيات مشهورة للشاعر المذكور وذكر المبرد فى كتاب الكامل ان معاوية بن أبى سفيان الاموى قال اجعلوا الشعر أكبر همكم وأكثر آدابكم فان فيه مآثر اسلافكم ومواضع ارشادكم فلقد رأيتنى يوم الهزيمة وقد عزمت على الفرار فما ردنى الا قول ابن الاطنابة الانصارى

أبت لى عفتى وأبى بلائى * واخذى الحمد بالثمن الربيح
واجشامى على المكروه نفسى * وضربى هامة البطل المشيح
وقولى كلما جشأت وجاشت * مكانك تحمدى أو تستريحى
لأدفع عن مآثر صالحات * واحمى بعد عن عرض صريح

(رجعنا الى حديث أبى عبيدة) وكان لا يقبل شهادته أحد من الحكام لانه كان يتهم بالميل الى الغلمان قال الاصمعى دخلت انا وأبو عبيدة يوما المسجد فاذا على الاسطوانة التى يجلس اليها أبو عبيدة مكتوب على نحو من

ولى قضاء بغداد وفوض اليه الفتوى بهذه الديار وعين له من بيت المال كل سنة ألف وخمسمائة دينار وهو أول متولى بقضاء بغداد من قبل سلاطين آل عثمان فشرع فى اجراء الشرع المبين وأقام بها ست سنين فنال فيها ما نال من صنوف الامتعة والاموال ثم عزل وبقى فى التعطل والهوان ثم أعطى مدرسة السلطان مرادخان بيناهو فى تهيئة الاهب اذ قلد قضاء حلب ولم يمكث شهرين فى حلب المحروسة حتى جاءت له البشرى بقضاء بروسه ثم قلد قضاء ادرنه ثم قسطنطينية المحمية ثم عزل وعين له كل يوم مائة درهم وحسبت مدة قضائه فبلغت عشرين سنة ثم أعطى له دار الحديث التى بناها السلطان سليمان بقسطنطينية وزيد فى وظيفته ثلاثون فدام على المدارسة والمذاكرة حتى توفى سنة تسع وستين وتسعمائة *ويحكى انه قصد أن يتوضأ لصلاة الصبح فبيناهو فى أثنائه اذ أتاه ذلك الامر العظيم وألم به الخطب الجسيم وكان رحمه الله معروفا بالعلم والصلاح يرى عليه آثار الفوز والفلاح متقشفا فى اللباس متخشعا فى معاملة الناس وكان مهيب المنظر ولطيف المخبر حسن المناظرة طيب المعاشرة وكان رحمه

سبعة اذرع
صلى الاله على لوط وشيعته * أباعبيدة قل بالله آمينا

فقال لى ياأصمعى أمح هذا فركبت على ظهره ومحوته بعد أن اثقلته الى ان قال اثقلتنى وقطعت ظهرى فقلت له قد بقيت الطاء فقال هى شر حروف هذا البيت وقيل انه لما ركب ظهره واثقله قال له عجل فقال قد بقى لوط فقال من هذا نفر وكان الذى كتب البيت أبو نواس الحسن بن هانئ المقدم ذكره وقيل وجدت رقاع فى مجلس أبى عبيدة هذا البيت فيها وبعده

فأنت عندى بلا شك بقيتهم * منذ احتلمت وقد جاوزت سبعينا

وقال الزمخشرى فى كتاب ربيع الابرار فى باب الاسماء والكنى والالقاب سأل رجل أباعبيدة عن اسم رجل فما عرفه فقال كيسان انا أعرف الناس به هو خداش أو خراش أو رياش أو شئ آخر فقال أبو عبيدة ما احسن ما عرفته فقال اى والله وهو قرشى أيضا قال فما يدريك قال اما ترى كيف احتوشته الشينات من كل جانب واخبار أبى عبيدة كثيرة وكانت ولادته فى شهر رجب الفرد سنة عشر ومائة فى الليلة التى توفى بها الحسن البصرى رضى الله عنه وقد تقدم ذكره وقيل فى سنة احدى عشرة ومائة وقيل أربع عشرة وقيل ثمان وقيل تسع والاول أصح والذى يدل عليه ان الامير جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس ابن عبد المطلب رضى الله عنه سأله عن مولده فقال قد سبقنى الى الجواب عن مثل هذا عمر بن أبى ربيعة المخزومى وقد قيل له متى ولدت فقال فى الليلة التى مات فيها عمر بن الخطاب رضى الله عنه فاى خير رفع وأى شر وضع وأنا ولدت فى ليلة مات فيها الحسن البصرى رضى الله عنه فلينظر هنالك وتوفى سنة تسع ومائتين بالبصرة وقيل سنة احدى عشرة وقيل سنة عشر وقيل سنة ثلاث عشرة ومائتين وكان سبب موته رحمه الله تعالى ان محمد بن القاسم بن سهل النوشجانى أطعمه موزا فمات منه ثم أتاه أبو العتاهية فقدم اليه موزا فقال له ماهذا يا أباجعفر قتلت أباعبيدة بالموز وتريدان تقتلنى به لقد استحليت قتل العلماء وأبو عبيدة بضم العين المهملة واثبات الهاء فى آخره بخلاف القاسم بن سلام المتقدم ذكره فانه أبو عبيد بغير هاء ومعمر بفتح الميمين بينهما عين مهملة وفى آخره الراء والمثنى بضم الميم وفتح الثاء المثلثة وتشديد النون المفتوحة وفى آخره ياء مثناة من تحتها وباجروان التى والده منها بفتح الباء الموحدة وبعد الالف جيم مفتوحة ثم راء ساكنة وبعدها واو مفتوحة وبعد الالف نون وهو اسم لقرية من بلاد البلخ من أعمال الرقة واسم لمدينة بنواحى أرمينية من أعمال سروان عندها كما قيل عين الحياة التى وجدها الخضر عليه السلام وغالب ظنى ان أبا عبيدة من هذه المدينة وقيل ان باجروان اسم للقرية التى استطعم أهلها موسى والخضر عليهما السلام والنوشجانى بضم النون وسكون الواو والشين المعجمة وفتح الجيم وبعد الالف نون هذه النسبة الى نوشجان وهى بلدة من بلاد فارس والله تعالى أعلم بالصواب

(أبو الوليد معن بن زائدة بن عبد الله بن زائدة بن مطر بن شريك بن الصلب بضم الصاد المهملة وسكون اللام وآخره الباء الموحدة واسمه عمرو بن قيس بن شراحيل بن همام ابن مرة بن ذهل بن شيبان الشيبانى وبقية النسب معروف)

وقال ابن الكلبى فى كتاب جمهرة النسب هو معن بن زائدة بن مطر بن شريك بن عمرو بن قيس بن شراحيل ابن مرة بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل بن قاسط ابن هنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان كان جوادا شجاعا جزيل العطاء كثير المعروف ممدوحا مقصودا وقد سبق فى ترجمة مروان بن أبى حفصة الشاعر طرف من اخباره وكان مروان خصيصا به وأكثر مدائحه فيه وكان معن فى أيام بنى أمية متنقلا فى الولايات ومنقطعا الى يزيد ابن عمر بن هبيرة الفزارى أمير العراقين فلما انتقلت الدولة الى بنى العباس وجرى بين أبى جعفر المنصور وبين يزيد بن عمر المذكور من محاصرته بمدينة واسط ما هو مشهور وسيأتى فى ترجمة يزيد المذكور طرف من هذه الواقعة ان شاء الله تعالى أبلى يومئذ معن مع يزيد بلاء حسنا فلما قتل يزيد خاف معن من أبى

الله الذين الصحبة حسن النادرة ومن كلامه رحمه الله مثلنا مع حواشينا مثل الشمع الموقد بين أظهر قوم فانهم مستضيئون به ومنتفعون بنوره والشمع منتقص فى كل وقت وفان ومتداع الى الخزى والخسران ولا يخفى ان كلامه هذا أشبه قول الامام الغزالى ففقهاؤنا كذبالة النبراس هى فى الحريق وضوؤها للناس وقد أناف عمره على تسعين بعثه الله فى زمرة الصالحين

(ومنهم العالم العامل والعارف الكامل المولى مصلح الدين بن شعبان أرقدهما الله تعالى فى غرف الجنان)

ولد فى قصبة كليبولى وكان أبوه من التجار وأصحاب اليسار محبا للعلم وأربابه ومعظما لاصحابه فبذل فى تعليم ابنه مالا جزيلا ومبلغا جليلا ودار المرحوم على أفاضل عصره للاستفادة كالمولى القادرى والمولى طاشكبرى زاده فاحرز الفضائل والمعارف وجمع النوادر واللطائف وقال الشعر ومهر فى فنونه وتلقب بالسرورى واتسم كما هو دأب شعراء الروم والعجم وجعل يزاول كتب الاعاجم ويمارس حتى أصبح فارسا فى معرفة لسان فارس ثم وصل الى خدمة محيى الدين الفنارى فلما صار قاضيا بقسطنطينية

جعفر المنصور فاستتر عنه مدة وجرى له مدة استتاره غرائب فمن ذلك ما حكاه مروان بن أبى حفصة الشاعر المذكور قال أخبرنى معن بن زائدة وهو يومئذ متولى بلاد اليمن ان المنصور جد فى طلبى وجعل لمن يحملنى اليه مالا قال فاضطررت لشدة الطلب الى ان تعرضت للشمس حتى لوحت وجهى وخففت عارضى ولبست جبة صوف وركبت جملا وخرجت متوجها الى البادية لاقيم بها قال فلما خرجت من باب حرب وهو أحد أبواب بغداد تبعنى اسود متقلد بسيف حتى اذا غبت عن الحرس قبض على خطام الجمل فاناخه وقبض على يدى فقلت له ومابك فقال أنت طلبة أمير المؤمنين فقلت ومن انا حتى أطلب فقال أنت معن بن زائدة فقلت له ياهذا اتق الله عز وجل وأين أنا من معن فقال دع هذا فانى والله لاعرف بك منك فلما رأيت منه الجد قلت له هذا عقد جوهر قد حملته معى باضعاف ما جعله المنصور لمن يجيئه بى فخذه ولا تكن سببا لسفك دمى قال هاته فاخرجته اليه فنظر فيه ساعة وقال صدقت فى قيمته واست قابله حتى اسألك عن شئ فان صدقتنى أطلقتك فقلت قل قال ان الناس قد وصفوك بالجود فاخبرنى هل وهبت مالك كله قط قلت لا قال فنصفه قلت لا قال فثلثه قلت لا حتى بلغ العشر فاستحييت وقلت أظن أنى قد فعلت هذا قال ماذاك بعظيم أنا والله راجل ورزقى من أبى جعفر المنصور كل شهر عشرون درهما وهذا الجوهر قيمته ألوف دنانير وقد وهبته لك ووهبتك لنفسك ولجودك المأثور بين الناس ولتعلم ان فى هذه الدنيا من هو أجود منك فلا تعجبك نفسك ولتحقر بعد هذا كل جود فعلته ولا تتوقف عن مكرمة ثم رمى العقد فى حجرى وترك خطام الجمل وولى منصرفا فقلت ياهذا والله قد فضحتنى ولسفك دمى على أهون مما فعلت فخذ مادفعته لك فانى غنى عنه فضحك وقال أردت أن تكذبنى فى مقالى هذا والله لا آخذه ولا آخذ لمعروف ثمنا أبدا ومضى لسبيله فوالله لقد طلبته بعد أن أمنت وبذلت لمن يجئ به ماشاء فما عرفت له خبرا وكأن الارض ابتلعته ولم يزل معن مستترا حتى كان يوم الهاشمية وهو يوم مشهور ثار فيه جماعة من أهل خراسان على المنصور فوثبوا عليه وجرت مقتلة عظيمة بينهم وبين أصحاب المنصور بالهاشمية وهى مدينة بناها السفاح بالقرب من الكوفة ذكر غرس النعمة بن الصابى فى كتاب الهفوات ما مثاله لما فرغ السفاح من بناء مدينته بالانبار وذلك فى ذى القعدة سنة أربع وثلاثين ومائة وكان معن متواريا بالقرب منهم فخرج متنكرا معتما متلثما وتقدم الى القوم وقاتل قدام المنصور قتالا أبان فيه عن نجدة وشهامة وفرقهم فلما أفرج عن المنصور قال له من أنت ويحك فكشف لثامه فقال أنا طلبتك يا أمير المؤمنين معن بن زائدة فأمنه المنصور وأكرمه وحباه وكساه ورتبه وصار من خواصه ثم دخل عليه بعد ذلك فى الايام فلما نظر اليه قال هيه يامعن تعطى مروان بن أبى حفصة مائة ألف درهم على قوله

معن بن زائدة الذى زيدت به * شرفا على شرف بنو شيبان

فقال كلا يا أمير المؤمنين انما أعطيته على قوله فى هذه القصيدة

مازلت يوم الهاشمية معلنا * بالسيف دون خليفة الرحمن
فمنعت حوزته وكنت وقاءه * من وقع كل مهند وسنان

فقال أحسنت يامعن وقال له يوما يامعن ما أكثر وقوع الناس فى قومك فقال يا أمير المؤمنين

ان العرانين تلقاها محسدة * ولا ترى للئام الناس حسادا

ودخل عليه يوما وقد أسن فقال له كبرت يامعن فقال فى طاعتك يا أمير المؤمنين فقال وانك لجلد فقال على أعدائك يا أمير المؤمنين فقال وفيك بقية فقال لك يا أمير المؤمنين وعرض هذا الكلام على عبد الرحمن بن زيد زاهد أهل البصرة فقال ويح هذا ما ترك لربه شيأ وأشهر قصائد مروان فيه وأحسنها القصيدة اللامية التى ذكرت بعضها فى ترجمة مروان وهى طويلة تزيد على خمسين بيتا ولولا خوف الاطالة لذكرتها وله فيه من قصيدة

قد آمن الله من خوف ومن عدم * من كان جاراله من جور ذا الزمن
معن بن زائدة الموفى بذمته * والمشترى المجد بالغالى من الثمن
بر العطايا التى تبقى محامدها * غنما اذا عدها المعطى من الغبن

استنابه فكان هو من طلبة الموالى أول نائب فانهم من قبل كانوا يستخدمون الاجانب ثم درس فى مدرسة صاروجه باشا بقصبة كليبولى بعشرين ثم مدرسة برى باشا بقسطنطينية بخمسة وعشرين ثم صارت وظيفته فيها ثلاثين ثم صارت أربعين ثم عزل ثم أعطى بخمسين مدرسة قاسم باشا المبنية بقصبة غلطة تجاه قسطنطينية المشتهرة الآن باسم قاسم باشا بينا هو فى بعض الاسحار يطالع نفائس الاسفار اذ نادى منادى الجذبات ان لله فى أيام دهركم نفحات وقرع اسماع كل ساه ولاه ﴿ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله﴾ فلما سمع هذا الخطاب غلب عليه الشوق والانجذاب وترك التدريس واختار الخمول والانزواء واحب مراسم طريق أرباب الزهد والفناء وتاب على يد الشيخ محمود النقشبندى فلما توجه الى هذا الطريق وعلم انها صعب مضيق لا تسع الاثقال والاحمال ولا يسلكها الا الافراد من الرجال اختار مهماته وترك تجملاته وبنى مسجدا لله وتخلص لعبادة مولاه (شعر)

هنيئا لعبد له بلغة * من العيش مذخورة عنده
ينفر من الناس بغضا لهم * ويأنس بالله والوحده

بنى لشيبان مجد الا زوال له * حتى تزول ذووا الاركان من حضن

حضن بفتح الحاء المهملة والضاد المعجمة وبعدها نون اسم جبل عظيم بين نجد وتهامة بينه وبين تهامة مرحلة يقال فى المثل أنجد من رأى حضنا وله ذكر كثير فى الاشعار والاخبار ودخل على معن بعض الفصحاء يوما فقال له انى لو أردت ان استشفع اليك ببعض من يثقل عليك لوجدت ذلك سهلا ولكنى استشفعت اليك بقدرك واستغنيت بفضلك فان رأيت ان تضعنى من كرمك بحيث وضعت نفسى من رجائك فافعل وانى لم أكرم نفسى عن مسئلتك فأكرم وجهى عن ردك ولمعن اشعار جيدة أكثرها فى الشجاعة وقد ذكره أبو عبد الله بن المنجم فى كتاب البارع وأورد له عدة مقاطيع فمن ذلك قوله فى خطاب ابن أخى عبد الجبار بن عبد الرحمن وقد رآه يتبختر بين السماطين وكان قبل ذلك لقى الخوارج ففر منهم

هلا مشيت كذا غداة لقيتهم * وصبرت عند الموت يا خطاب
تختال خوار العنان كأنه * تحت العجاج اذا استحث عقاب
وتركت صحبك والرماح تنوشهم * وكذاك من قعدت به الاحساب

وقال أبو عثمان المازنى النحوى حدثنى صاحب شرطة معن قال بينما أنا على رأس معن اذا هو براكب يوضع فقال معن ما أحسب الرجل يريد غيرى ثم قال لحاجبه لا تحجبه قال فجاء حتى مثل بين يديه وأنشد

أصلحك الله قل ما بيدى * فما أطيق العيال اذ كثروا
ألح دهر رمى بكلكله * فارسلونى اليك وانتظروا

قال فقال معن وأخذته الاريحية لاجرم والله لاعجلن أوبتك ثم قال يا غلام ناقتى الفلانية وألف دينار فادفعها اليه فدفعها اليه وهو لا يعرفه هكذا روى هذا الخطيب فى تاريخه وأخباره ومحاسنه كثيرة وكان قد ولى سجستان فى أواخر أمره وانتقل اليها وله فيها آثار وماجريات وقصده الشعراء بها فلما كان سنة احدى وخمسين وقيل اثنتين وخمسين وقيل ثمان وخمسين ومائة كان فى داره صناع يعملون له شغلا فاندس بينهم قوم من الخوارج فقتلوه بسجستان وهو يحتجم ثم تبعهم ابن أخيه يزيد بن مزيد بن زائدة الآتى ذكره ان شاء الله تعالى فقتلهم باسرهم وكان قتله بمدينة بست ولما قتل معن رثاه الشعراء باحسن المراثى فمن ذلك قول مروان بن أبى حفصة شاعره المذكور وهى قصيدة من أفخر الشعر وأحسنه وأولها

مضى لسبيله معن وأبقى * مكارم لن تبيد ولن تنالا * كأن الشمس يوم أصيب معن
من الاظلام ملبسة جلالا * هو الجبل الذى كانت نزار * تهدمن العدو به الجبالا
وعطلت الثغور لفقد معن * وقد يروى بها الاسل النهالا * وأظلمت العراق وأورثتها
مصيبته المجللة اختلالا * وظل الشام يرجف جانباه * لركن العز حين وهى فمالا
وكادت من تهامة كل أرض * ومن نجد تزول غداة زالا * فان يعلوا البلاد له خشوع
فقد كانت تطول به اختيالا * أصاب الموت يوم أصاب معنا * من الاحياء أكرمهم فعالا
وكان الناس كلهم لمعن * الى ان زار حفرته عيالا * ولم يك طالب للعرف ينوى
الى غير ابن زائدة ارتحالا * مضى من كان يحمل كل ثقل * ويسبق فضل نائله السؤالا
وما عمد الوفود لمثل معن * ولا حطوا بساحته الرحالا * ولا بلغت أكف ذوى العطايا
يمينا من يديه ولا شمالا * وما كانت تجف له حياض * من المعروف مترعة سجالا
لأبيض لا يعد المال حتى * يعم به بغاة الخير مالا * فليت الشامتين به فدوه
وليت العمر مد له فطالا * ولم يك كنزه ذهبا ولكن * سيوف الهند والحلق المذالا
وما دته من الخطى سمر * ترى فيهن لينا واعتدالا
وذخرا من محامد باقيات * وفضل تقى به التفضيل نالا

ومن القصيدة أيضا

فبعد مدة ورد عليه كتاب من قاسم باشا بانى المدرسة المارذ كرها بانى قد بنيت تلك المدرسة لاجلك وشرطت درسها لك مادمت حيا فان لم تقبلها لاهدمنها من أساسها فاضطر المرحوم الى قبولها فاعطيت له ثانيا بخمسين فلما مضى عليه برهة من الزمان ابتلى بتعليم مصطفى خان بن السلطان سليمان خان فلما وصل اليه حل محلا رفيعا ومسندا منيعا وعلت كلمته وارتفعت مرتبته وكان لا يقطع أمرا الا بمشورته ولا يفعل شيأ الا بمباشرته ومعرفته وبقى فى أوفر جيش وأرغد عيش حتى غضب أبوه وقصد دماره ثم قتله ومحا آثاره فلما قتل بحربة العذاب وتقطعت به الاسباب وقتل بعضهم السلطان وقهر فلا جرم تفرقوا من سطوته شذر مذر فلما رأى المرحوم من بدره أفوله ساق الى دار الخمول حموله وتوجه ثانيا الى الانقطاع من الناس خوفا من حلول الباس فاستولى عليه من الفقر والفاقه ما لا يحتمله طاقه وكان يكتب فى بعض ازمانه ويقتات باثمانه وما اصدق من قال حيث ابان عن هذه الاحوال (شعر)
وانى رأيت الدهر منذ صحبته
محاسنه مقرونة بمعايبه
اذا سرنى فى أول الامر لم أزل
على حذر من غمه فى عواقبه
ومع ذلك لم يظهر العجز

مضى لسبيله من كنت ترجو * به عثرات دهرك أن تقالا * فلست بمالك عبرات عين
ابت بدموعها الا انهمالا * وفى الاحشاء منك غليل حزن * كحر النار يشتعل اشتعالا
وقائلة رأت جسمى ولونى * معا عن عهدها قلبا فحالا * أرى مروان عاد كذى نحول
من الهندى قد فقد الصقالا * رأت رجلا براه الحزن حتى * أضربه وأورثه خبالا
فقلت لها الذى أنكرت منى * لفجع مصيبة أنكى وعالا
وأيام المنون لها صروف * تقلب بالفتى حالا فحالا

ومن القصيدة أيضا

كأن الليل واصل بعد معن * ليالى قد قرن به فطالا * فلهف أبى عليك اذا العطايا
جعلن منى كواذب واعتلالا * ولهف أبى عليك اذا اليتامى * غدوا شعثا كأنهم سلالا
ولهف أبى عليك اذا القوافى * لممتدح بها ذهبت ضلالا * ولهف أبى عليك لكل هيجا
لها تلقى حواملها السخالا * أقمنا باليمامة اذ يئسنا * مقاما لا نريد به زيالا
وقلنا أين نرحل بعد معن * وقد ذهب النوال فلا نوالا * وما شهد الوقائع منك أمضى
وأكرم مقدما وأشد بالا * سيذكرك الخليفة غير قال * اذا هو فى الامور بلا الرجالا
ولا ينسى وقائعك اللواتى * على اعدائه جعلت وبالا * ومعتركا شهدت به حفاظا
وقد كرهت فوارسه النزالا * حباك اخو أمية بالمراثى * مع المدح الذى قد كان قالا
أقام وكان نحوك كل عام * يطيل بواسط الرحل اعتقالا
وألقى رحله أسفا وآلى * يمينا لا يشد له حبالا

وهذه المرثية من أحسن المراثى وقال عبد الله بن المعتز فى كتاب طبقات الشعراء دخل مروان بن أبى حفصة على جعفر البرمكى فقال له ويحك أنشدنى من مرثيتك فى معن بن زائدة فقال بل أنشدك من مدحى فيك فقال جعفر أنشدنى من مرثيتك فى معن فأنشأ يقول

وكان الناس كلهم لمعن * الى ان زار حفرته عيالا

حتى فرغ من القصيدة وجعل جعفر يرسل دموعه على خديه فلما فرغ قال له جعفر هل اثابك على هذه المرثية أحد من أولاده وأهله شيأ قال لا قال جعفر فلو كان معن حيا ثم سمعها منك كم كان يثيبك عليها قال أصلح الله الوزير أربعمائة دينار قال جعفر فانا نظن انه كان لا يرضى لك بذلك قد أمرنا لك عن معن رحمه الله تعالى بالضعف مما ظننت وزدناك نحن مثل ذلك فاقبض من الخازن ألفا وثمانمائة دينار قبل ان تنصرف الى رحلك فقال مروان يذكر جعفرا وما سمح به عن معن

نفحت مكافئا عن قبر معن * لنا مما تجود به سجالا * فعجلت العطية يا ابن يحيى
لنادبه ولم ترد المطالا * فكافى عن صدى معن جواد * باجود راحة بذل النوالا
بنى لك خالد وأبوك يحيى * بناء فى المكارم لن ينالا
كأن البرمكى بكل مال * تجود به يداه يفيد مالا

ثم قبض المال وانصرف وحكى أبو الفرج الاصبهانى فى كتاب الاغانى عن محمد البيدق النديم انه دخل على هرون الرشيد فقال له أنشدنى مرثية مروان بن أبى حفصة فى معن بن زائدة فانشده بعض هذه القصيدة فبكى الرشيد قال وكان بين يديه سكرجة فملأها من دموعه ويقال ان مروان بعد هذه القصيدة المرثية لم ينتفع بشعره فانه كان اذا مدح خليفة أو من دونه قال له أنت قلت فى مرثيتك

وقلنا أين نرحل بعد معن * وقد ذهب النوال فلا نوالا

فلا يعطيه الممدوح شيأ ولا يسمع قصيدته حدث الفضل بن الربيع قال رأيت مروان بن أبى حفصة وقد دخل على المهدى بعد موت معن بن زائدة فى جماعة من الشعراء فيهم سلم الخاسر وغيره فانشده مديحا فقال له من

والاسف وسار سيرة السلف وستر الحزن والكآبة وعمر مسجده وفتح بابه وأظهر الاهتمام فى أداء وظائف الخدام حتى حكم فرقة من الناس بان هذه الحالات ليست الا محض الكرامات وقصد اليه بالنذور والقرابين أرباب السفن وطائفة الملاحين وكان رحمه الله قد حفر قبره وتهيأ لموته وانتظره وادخر ألفى درهم للتجهيز والتكفين وأدى زكاته مدة عشر سنين ومات رحمه الله من مرض الهيضة سنة تسع وستين وتسعمائة وقبره رحمه الله تعالى عند مسجده فى قصبة قاسم باشا يسر الله فى عقباه ما شاء وحزن الناس بموته وتبركوا بتربته وقد ذهب عمره بالتجرد والانفراد ولم يمل الى التوليد والاستيلاد وكان رحمه الله بهى المنظر لطيف المخبر حلو المحاضرة حسن المحاورة موصوفا بالعفة والصلاح يلوح من جبينه آثار الفوز والفلاح وكان رحمه الله جوادا لا يلبث فى ساحة راحته غير جوده وسماحته وكان رحمه الله مكبا على التأليف وحريصا على التحرير والتصنيف فكتب كل ما خطر بباله من غير تمييز مستقيمه عن محاله ومع ذلك لم ينظر الى موضع مرتين ولم يرجع البصر كرتين فلم يتيسر له الاحسان والاجاده وخلت تصانيفه عن الافاده ولا غرو

أنت فقال شاعرك مروان بن أبي حفصة فقال له المهدي الست القائل * وقلنا أين نرحل بعد معن * وأنشده البيت المذكور وقد جئت تطلب نوالنا وقد ذهب النوال لا شئ لك عندنا جروا برجله قال فجروا برجله حتى أخرجوه فلما كان في العام المقبل تلطف حتى دخل مع الشعراء وانما كانت الشعراء تدخل على الخلفاء في ذلك الحين في كل عام مرة قال فمثل بين يديه وأنشده قصيدته التي أولها * طرقتك زائرة فحي خيالها * وقد تقدم ذكر بعضها في ترجمة مروان قال فانصت لها المهدي ولم يزل يزحف كلما سمع شيأ فشيأ منها حتى صار على البساط اعجابا بما سمع ثم قال له كم بيت هي فقال مائة بيت فامر له بمائة ألف درهم وهذا يخالف ماذكرناه في ترجمته لكنه يختلف باختلاف الروايات ويقال انها أول مائة ألف أعطيها شاعر في خلافة بني العباس قال الفضل بن الربيع فلم يلبث الايام أن أفضت الخلافة الى هرون الرشيد ولقد رأيت مروان ماثلا مع الشعراء بين يديه وقد أنشده شعرا فقال له من أنت فقال شاعرك مروان بن أبي حفصة فقال له ألست القائل في معن كذا وأنشده البيت ثم قال خذوا بيده فاخرجوه فانه لا شئ له عندنا ثم تلطف حتى دخل عليه بعد ذلك فانشده فاحسن جائزته ومن المراثي النادرة أيضا أبيات الحسين بن مطير بن الاشيم الاسدي في معن بن زائدة أيضا وهي من أبيات الحماسة

ألما على معن وقولا لقبره * سقتك الغوادي مربعا ثم مربعا

فياقبر معن كيف واريت جوده * وقد كان منه البر والبحر مترعا

ويا قبر معن أنت أول حفرة * من الارض خطت للمكارم مضجعا

بلى قد وسعت الجود والجود ميت * ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا

فتى عيش في معروفه بعد موته * كما كان بعد السيل مجراه مرتعا

ولما مضى معن مضى الجود وانقضى * واصبح عرنين المكارم اجدعا

وقد سبق لمعن في ترجمة الصاحب بن عباد نادرة مستظرفة فلا حاجة الى اعادتها هنا ولولا خوف الاطالة لاتيت من محاسنه بكل نادرة بديعة والحوفزان بن شريك الشيباني الموصوف بالكرم والشجاعة أخو جده مطر بن شريك وانما قيل له الحوفزان لان قيس بن عاصم المنقري حفزه بالرمح حين خاف أن يفوته ومعنى حفزه أي دفعه من خلفه واسم الحوفزان الحرث بن شريك وقيل ان الذي حفزه بسطام بن قيس الشيباني والاول أصح والله تعالى أعلم

(ابو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الازدي بالولاء الخراساني المروزي)

أصله من بلخ وانتقل الى البصرة ودخل بغداد وحدث بها وكان مشهورا بتفسير كتاب الله العزيز وله التفسير المشهور وأخذ الحديث عن مجاهد بن جبير وعطاء بن أبي رباح المقدم ذكره وأبي اسحق السبيعي وقد تقدم ذكره أيضا والضحاك بن مزاحم ومحمد بن مسلم الزهري وغيرهم وروى عنه بقية بن الوليد الحمصي وعبد الرزاق بن همام الصنعاني المقدم ذكره وحرمي بن عمارة وعلي بن الجعد وغيرهم وكان من العلماء الاجلاء حكي عن الامام الشافعي رضي الله عنه انه قال الناس كلهم عيال على ثلاثة على مقاتل بن سليمان في التفسير وعلى زهير بن أبي سلمى في الشعر وعلى أبي حنيفة في الكلام وروي ان أبا جعفر المنصور كان جالسا فسقط عليه الذباب فطيره فعاد اليه وألح عليه وجعل يقع على وجهه وأكثر من السقوط عليه مرارا حتى أضجره فقال المنصور انظروا من بالباب فقيل له مقاتل بن سليمان فقال علي به فاذن له فلما دخل عليه قال له هل تعلم لماذا خلق الله تعالى الذباب قال نعم ليذل الله عز وجل به الجبابرة فسكت المنصور وقال ابراهيم الحربي قعد مقاتل بن سليمان فقال سلوني عما دون العرش فقال له رجل آدم صلى الله عليه وسلم حين حج من حلق رأسه قال مقاتل ليس هذا من علمكم ولكن الله تعالى أراد أن يبليني لما أعجبتني نفسي وقال سفيان بن عيينة قال مقاتل بن سليمان يوما سلوني عما دون العرش فقال له انسان يا أبا الحسن أرأيت الذرة والنملة معاها في مقدمها أم في مؤخرها قال فبقي الشيخ لا يدري ما يقول له قال سفيان فظننت انها عقوبة عوقب بها وقد

فيه فما كل هاتفة ورقاء وما كل ناظرة زرقاء غير انه ترك من شروح بعض الكتب الفارسية آثارا جميله ومؤلفات لا يظفر عليها الا باعيان جليله (تواليفه العربية) منها الحواشي الكبرى على تفسير البيضاوي وأولها الحمد لله الذي جعلني كشاف القرآن وصيرني قاضيا بين الحق والبطلان والحواشي الصغرى عليه وشرح البخاري قريبا الى النصف وحاشية على التلويح وحاشية على أوائل الهداية وشرح لبعض المتون المختصرة (تصديته) شرح كتاب المثنوي المولوي في مائة كراس كبيرة وكان من عادته أن يعقد المجالس في مسجده وينقل ذلك الكتاب باوفى تقرير وأوضح بيان فيزدحم الناس عليه من كل مكان وشرح كتاب كلستان وكتاب بوستان وشرح ديوان حافظ الشيرازي وشرح كتاب شبستان خيال وشرح عدة رسائل في فن المعمى وقد ترجم عدة كتب بالتركي كالموجز من الطب وروض الرياحين من المحاضرات وقد بلغ عمره الى اثنتين وسبعين سنة كتب الله له ألف حسنه

(ومن علماء هذا الاوان المولى محيي الدين الشهير بجرجان)

نشأ رحمه الله في قصبة

اختلاف العلماء في أمره فمنهم من وثقه في الرواية ومنهم من نسبه الى الكذب قال بقية بن الوليد كنت كثيرا اسمع شعبة بن الحجاج وهو يسئل عن مقاتل فما سمعته قط ذكره الا بخير وسئل عبد الله بن المبارك عنه فقال رحمه الله لقد ذكر لنا عنه عبادة وروي عن عبد الله بن المبارك أيضا انه ترك حديثه وسئل ابراهيم الحربي عن مقاتل هل سمع من الضحاك بن مزاحم فقال لا مات الضحاك قبل ان يولد مقاتل باربع سنين وقال مقاتل اغلق علي وعلى الضحاك باب أربع سنين قال ابراهيم وأراد بقوله باب يعني باب المدينة وذلك في المقابر وقال ابراهيم أيضا ولم يسمع مقاتل عن مجاهد شيأ ولم يلقه وقال أحمد بن سيار مقاتل بن سليمان كان من أهل بلخ وتحول الى مرو وخرج الى العراق وهو منهم متروك الحديث ومهجر القول وكان يتكلم في الصفات بما لا تحل الرواية عنه وقال ابراهيم بن يعقوب الجوزجاني مقاتل بن سليمان كان دجالا جسورا وقال أبو عبد الرحمن النسائي الكذابون المعروفون بوضع الحديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة ابن أبي يحيى بالمدينة والواقدي ببغداد ومقاتل بن سليمان بخراسان ومحمد بن سعيد ويعرف بالمصلوب بالشام وذكر وكيع يوما مقاتل بن سليمان فقال كان كذابا وقال أبو بكر الآجري سألت أبا داود سليمان ابن الاشعث عن مقاتل بن سليمان فقال تركوا حديثه وقال عمرو بن علي الفلاس مقاتل بن سليمان كذاب متروك الحديث وقال البخاري مقاتل بن سليمان سكتوا عنه وقال في موضع آخر لا شئ البتة وقال يحيى بن معين مقاتل بن سليمان ليس حديثه بشئ وقال أحمد بن حنبل مقاتل بن سليمان صاحب التفسير ما يعجبني ان أروي عنه شيأ وقال أبو حاتم الرازي هو متروك الحديث وقال زكريا بن يحيى الساجي مقاتل بن سليمان من أهل خراسان قالوا كان كذابا متروك الحديث وقال أبو حاتم محمد بن حبان البستي مقاتل بن سليمان كان يأخذ عن اليهود والنصارى علم القرآن العزيز الذي يوافق كتبهم وكان مشبها يشبه الرب بالمخلوقين وكان يكذب مع ذلك في الحديث وبالجملة فان الكلام في حقه كثير وقد خرجنا عن المقصود لكن أردت ذكر اختلاف أقاويل العلماء في شأنه وتوفي سنة خمسين ومائة بالبصرة رحمه الله تعالى وقد تقدم الكلام على الازدي والمروزي فاغنى عن الاعادة والله تعالى أعلم بالصواب

(ابو الهيجاء مقاتل بن عطية بن مقاتل البكري الحجازي الملقب شبل الدولة)

كان من أولاد أمراء العرب فوقعت بينه وبين اخوته وحشة أوجبت رحلته عنهم ففارقهم ووصل الى بغداد ثم خرج الى خراسان وانتهى الى غزنة وعاد الى خراسان فاختص بالوزير نظام الملك وصاهره ولما قتل نظام الملك رثاه أبو الهيجاء المذكور ببيتين تقدم ذكرهما في ترجمته ثم عاد الى بغداد وأقام بها مدة وعزم على قصد كرمان مسترفدا وزيرها ناصر الدين مكرم بن العلاء وكان من الاجواد المشاهير فكتب الى الامام المستظهر بالله قصة يلتمس فيها الانعام عليه بكتاب الى الوزير المذكور مضمونه الاحسان اليه فوقع المستظهر على رأس قصته يا أبا الهيجاء ابعدت النجعة أسرع الله بك الرجعة وفي ابن العلاء مقنع وطريقه في الخير مهيع وما يسديه اليك يستحلي ثمرة شكره ويستعذب مياه بره والسلام فاكتفى أبو الهيجاء بهذه الاسطر واستغنى عن الكتاب وتوجه الى كرمان فلما وصلها قصد حضرة الوزير واستأذن في الدخول فاذن له فدخل عليه وعرض على رأيه القصة فلما رآها قام وخرج عن دسته اجلالا لها وتعظيما لكاتبها وأطلق لابي الهيجاء ألف دينار في ساعته ثم عاد الى دسته فعرفه أبو الهيجاء ان معه قصيدة يمدحه بها فاستنشده فانشده

دع العيس تذرع عرض الفلا * الى ابن العلاء والا فلا

فلما سمع الوزير هذا البيت أطلق له ألف دينار أخرى ولما أكمل انشاده القصيدة أطلق له ألف دينار أخرى وخلع عليه وقاد اليه جوادا بركبه وقال له دعاء أمير المؤمنين مسموع مرفوع وقد دعا لك بسرعة الرجوع وجهزه بجميع ما يحتاج اليه فرجع الى بغداد وأقام بها قليلا ثم سافر الى ماوراء النهر وعاد الى خراسان ونزل الى مدينة هراة وهوي بها امرأة وأكثر من التشبيب فيها ثم رحل الى مرو واستوطنها ومرض في آخر عمره

اقي يازي وطلب العلم وخرج من هذه البلاد فاجتمع بافاضل عصره واستفاد منهم المولى مصلح الدين المشتهر بطاشكبرى زاده والمولى محمد شاه الشهير بداية ثم صار ملازما للمولى خير الدين معلم السلطان ففاز بحظ الظهور من بين الاقران ثم درس بالمدرسة القرازية في بروسه بخمسة وعشرين ثم مدرسة أمير سلطان بثلاثين ثم مدرسة قره كوز باشا بقصبة قابه باربعين ثم مدرسة علي باشا بقسطنطينية بالوظيفة المسفورة ثم مدرسة كبيزة بخمسين ثم نقل الى مدرسة السلطان محمد بجوار مرقد أبي أيوب الانصاري عليه رحمة العزيز الباري ثم الى احدى المدارس الثمان ثم ولي الافتاء والتدريس باماسيه وعين له كل يوم سبعون درهما ثم زيد عليها عشرة ثم عزل بكائنة خروج السلطان بايزيد ابن السلطان سليمان ثم عين له كل يوم سبعون درهما وتوفي سنة سبع وستين وتسعمائة وكان رحمه الله رجلا سليما مأمون الصحبة مطرح التكلف كثير التواضع لا يضمر السوء لاحد * وخلاصة الامر المذكور ان بايزيد خان المزبور كان أميرا في قصبة كوتاهية فقلده أبوه السلطان سليمان امارة اماسيه ونصب مكانه أخاه

وتيسودن وحل الى البيمارستان وتوفى به فى حدود سنة خمس وخمسمائة رحمه الله تعالى وكان من جملة الادباء الظرفاء وله النظم البديع الرائق وبينه وبين العلامة أبى القاسم الزمخشرى المقدم ذكره مكاتبات ومداعبات وكتب اليه قبل الاجتماع به

هذا أديب كامل * مثل الدرارى درره * زمخشرى فاضل * أنجبه زمخشره
كالبحر ان لم أره * فقد أتانى خبره

فكتب اليه الزمخشرى

شعره أمطر شعرى شرفا * فاعتلى منه بباب الحسد
كيف لا يستأسد النبت اذا * بات مستسقيا بنوء الاسد

وله كل مقطوع لطيف رحمه الله تعالى والوزير المذكور هو الذى تقدم ذكره فى ترجمة أبى اسحق ابراهيم الغزى الشاعر المشهور فانه قصده بكرمان وامتدحه بقصيدة بائية طنانة ذكرت منها فى ترجمة الغزى بيتين هما من الشعر العجيب وضمنهما المعنى الغريب وأول هذه القصيدة

ورود ركايا الدمع تكفى الركائبا * وشم تراب الربع يشفى الترائبا
اذا شمت من برق العقيق عقيقه * فلا تتجع دون الجفون السحائبا

ومنها عند الخروج الى المديح

وعيس لها برهان عيسى بن مريم * اذا أقبل الفج العميق المطالبا
ترقصهن الآل اما طوافيا * تراهن فى أودية أو رواسبا *
سوانح كالبنيان تحسب اننى * مسحت المطايا اذ مسحت السباسبا
تنسمن من كرمان عرفا عرفته * فهن بلاعبن النشاط لواعبا *
يرين وراء الخافقين من المنى * مشارق لم يؤبه لها ومغاربا *
الى ماجد لم يقبل المجد وارثا * ولكن سعى حتى حوى المجد كاسبا
تبسم ثغر الدهر منه بصاحب * اذا جد لم يصحب سوى العزم صاحبا

ومنها أيضا

تصيخ له الاسماع مادام قائلا * وتعنو له الابصار مادام كاتبا
ولم أر ليثا خادرا قبل مكرم * ينافس فى العليا ويعطى الرغائبا
ولو لم يكن لينابع الجود لم يكن * اذا صال بالاقلام صارت مخالبا

ومنها أيضا

اذا زان قوما بالمناقب واصف * ذكرناله فضلا يزين المناقبا
له الشيم الشم التى لو تجسمت * لكانت لوجه الدهر عينا وحاجبا * ثنى نحو شمطاء الوزارة طرفه
فصارت بادنى لحظة منه كاعبا * تناول أولاها ومامد ساعدا * وأحرز أخراها وما قام واثبا

وهى من غرر القصائد وفى هذا الانموذج منها دلالة على الباقى والله أعلم

(ابو حسان المقلد بن المسيب بن رافع بن المقلد بن جعفر بن عمرو بن المهنى عبد الرحمن ابن يزيد بالتصغير ابن عبد الله بن زيد بن قيس بن حوثة بن طهفة بن حزن بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن العقيلى الملقب حسام الدولة صاحب الموصل)

كان أخوه أبو الذواد محمد بن المسيب أول من تغلب على الموصل وملكها من أهل هذا البيت وذلك فى سنة ثمانين وثلثمائة وتزوج بهاء الدولة أبو نصر بن عضد الدولة بن بويه الديلمى ابنته فلما مات أبو الذواد فى سنة سبع وثمانين قام أخوه المقلد المذكور بالملك من بعده وكان أعور وذكر شيخنا ابن الاثير فى تاريخه ان ذلك فى سنة ست وثمانين وان أبا الذواد لما توفى جاء المقلد فى الملك فلم يساعده بنو عقيل وقدموا أخاه عليا لكبر سنه ثم توصل بالخديعة حتى ملك وأطال القول فى ذلك فاختصرته وهذا حاصله وقال غير ابن الاثير انه كان فيه عقل وسياسة وحسن تدبير فغلب على سقى الفرات واتسعت مملكته ولقبه الامام القادر بالله وكناه وانفذ اليه

الاكبر سلطاننا السلطان سليم خان المظفر فاستشعر بايزيد خان المزبور من الامير المسفور ميلا من أبيه الى جانب أخيه بسبب ان كوتاهية قريبة الى قسطنطينية من اماسيه فامتلأت من ذلك نفسه حسدا وغيظا تاليا قوله تعالى تلك اذا قسمة ضيزى فصمم فى الخروج عن طاعة أبيه السلطان والاغارة على أخيه سليم خان فاجتمع عليه أصحاب البغى والفساد من الذين طغوا فى البلاد من لصوص الاتراك وأشرار الاكراد وجند الجنود وحشد الحشود وعزم على القتال مغترا بمن عنده من أرباب البغى والضلال ولم يدر ان حافر البئر لاخيه ساقط لا محالة فيه فلما وصل هذا الخبر الى أبيه السلطان أرسل اليه ينصحه ويعاتبه على هذا البغى والعدوان ولم يزده النصح الا البغى والنفور والرعونة والغرور ولم ينحرف عن جادة خسرانه ولم يرتدع عن طريقة طغيانه وأبى عن قبول النصح واستكبر وكان بغاثا فى أرضه فاستنسر فداس البلاد بمن التف عليه من أرباب الفساد وقصد الى قتال أخيه معلنا بالخروج عن طاعة أبيه فلما استيقنه السلطان أشار الى من عنده من الابطال والفرسان ليلحقوا الى ابنه سليم خان ويتفقوا على تدمير الفئة

باللواء والخلع فلبسها بالانبار واستخدم من الديلم والاتراك ثلاثة آلاف رجل واطاعته خفاجة وكان فيه فضل ومحبة لاهل الادب وينظم الشعر وحكى أبو الهيجاء عمران بن شاهين قال كنت اسايرمعتمد الدولة أبا المنيع قرواش بن المقلد المذكور ما بين سنجار ونصيبين فنزلنا ثم استدعانى بعد الزوال وقد نزل بقصر هنالك يعرف بقصر العباس بن عمرو الغنوى وكان مطلا على بساتين ومياه كثيرة فدخلت عليه فوجدته قائما يتأمل كتابة على الحائط فقرأتها فاذا هى

ياقصر عباس بن عمرو كيف فارقك ابن عمرك * قد كنت تغتال الدهور فكيف غالك ريب دهرك * واها لعزك بل لجو * دك بل لمجدك بل لفخرك

وتحتها مكتوب وكتبه على بن عبد الله بن حمدان بخطه فى سنة احدى وثلاثين وثلثمائة قلت وهذا الكاتب هو سيف الدولة بن حمدان ممدوح المتنبى وقد تقدم ذكره قال الراوى وكان تحت ذلك مكتوب

ياقصر ضعضعك الزما * ن وحط من علياء قدرك * ومحا محاسن أسطر
شرفت بهن متون جدرك * واها لكاتبها الكريم * وقدره الموفى لقدرك

وتحت الابيات مكتوب وكتبه الغضنفر بن الحسن بن على بن حمدان بخطه فى سنة اثنتين وستين وثلثمائة قلت وهذا الكاتب هو عدة الدولة بن ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حمدان ابن أخى سيف الدولة وقد سبق ذكر والده أيضا فى حرف الحاء وتحت ذلك مكتوب

ياقصر ما فعل الأولى * ضربت قبابهم بقعرك أخنى الزمان عليهم و * طواهم بطويل نشرك
واها لقاصر عمر من * يختال فيك وطول عمرك

وتحته مكتوب وكتبه المقلد بن المسيب بن رافع بخطه فى سنة ثمان وثمانين وثلثمائة قلت وهذا الكاتب هو المقلد المذكور صاحب هذه الترجمة وتحت ذلك مكتوب

ياقصر ما صنع الكرا * م الساكنون قديم عصرك
عاصرتهم فبددتهم * وشأوتهم طرا بصبرك ولقد أثار تفجعى * يا ابن المسيب رقم سطرك
وعلمت انى لاحق * بك ذاهب فى قفو اثرك

وتحته مكتوب وكتبه قرواش بن المقلد بن المسيب بخطه فى سنة احدى وأربعمائة قال الراوى فعجبت من ذلك وقلت لقرواش الساعة كتبت هذا فقال نعم وقد هممت بهدم القصر فانه مشؤم قد دفن الجماعة فدعوت له بالسلامة وانصرفت ورحلت بعد ثلاثة أيام ولم يهدم القصر م وهذا العباس بن عمرو الغنوى من أهل تل بنى سيار الذى بين الرقة ورأس عين بالقرب من حصن مسلمة بن عبد الملك بن مروان الحكمى وكان يتولى اليمامة والبحرين وسيره المعتضد بالله لحرب القرامطة فى أول أمرهم فقاتلوه وكسروه واسروه ثم أطلقوه فرجع الى المعتضد ودخل بغداد ليلة الاحد لاحدى عشرة ليلة مضت من شهر رمضان سنة سبع وثمانين ومائتين وقال أبو عبد الله العظمى الحلبى فى تاريخه الصغير مات العباس بن عمرو الغنوى فى سنة خمسين وثلثمائة ومن العجائب انه توجه اليهم فى عشرة آلاف فقتل الجميع وسلم وحده وعمرو بن الليث الصفار حارب اسمعيل ابن أحمد صاحب خراسان وهو فى خمسين ألفا فاخذوه ونجا الباقون وكان بين ما كتبه سيف الدولة وبين ما كتبه قرواش سبعون سنة وقد سبق نظير هذه الحكاية فى ترجمة عبد الملك بن عمير وما جرى له مع عبد الملك ابن مروان فلينظر هنالك وبينما المقلد المذكور فى مجلس انسه وهو بالانبار اذ وثب عليه غلام تركى فقتله وذلك فى صفر سنة احدى وتسعين وثلثمائة ويقال انه مدفون على الفرات بمكان يقال له شقيا بين الانبار وهيت وحكى ان هذا التركى سمعه وهو يقول لرجل ودعه وهو يريد الحج اذا جئت ضريح رسول الله صلى الله عليه وسلم فقف عنده وقل له عنى لولا صاحباك لزرتك وامامات رثاه الشريف الرضى بقصيدتين ورثاه جماعة من الشعراء وكان ولده معتمد الدولة أبو المنيع قرواش غائبا عنه ثم تقلد الامر من بعده وكان له عمان ينازعانه فى الامر أحدهما أبو الحسن بن المسيب والآخر أبو مرخ مصعب بن المسيب فتوفى أبو الحسن بن

الباغيه واستئصال الفرقة الطاغيه فاجابوه بالسمع والطاعه وتقلدوا بجرائز التباعه فلما وصل الفئة الباغية الى ظاهر قونية كالقضاء المبرم عارضهم السلطان سليم خان بجيش جرار عرمرم فلما اجتمع به الفئتان وتقابل الفريقان ودارت رحى الحرب وحمى الوطيس وتصادم الجيش بالجيش قامت معركة كلت عن وصفها ألسنة الاسنه وأحست بشدائدها فى الارحام الاجنه وتراءت الغلبة فى اليوم الاول من جانب البغاه على زمرة المهتدين السراه فلما أصبحوا فى اليوم الثانى وتعاطوا الحرب والنزال نادى منادى الحال ألان الحرب سجال ونصر الله جنوده ورفع أعلامه وبنوده فهزموهم باذن الله وما رميت اذ رميت ولكن الله رماه وقصموا أصلابهم ثم قسموا أسلابهم وهيهات الظفر من جانبهم والغدر عاجله العار وآجله الدخول فى النار وما اصدق ابن دريد حيث يقول

(شعر)

من ملك الحرص القياد لم يزل
يكرع فى ماء من الذى جرى
من لم يقف عند انتهاء قدره
تقاصرت عنه فسيحات الخطى
من ضيع الحزم جنى لنفسه
ندامة ألذع من سفع الذكا

المسيب سنة اثنتين وتسعين وتوفى أبو مرخ سنة سبع وتسعين فتفرد قرواش بالملك واستراح خاطره منهما وكانت له بلاد الموصل والكوفة والمدائن وسقى الفرات وخطب فى بلاده للحاكم صاحب مصر المقدم ذكره فى سنة احدى وأربعمائة ثم رجع عن ذلك ووصلت الغز الى الموصل ونهبوا دار قرواش وأخذوا منها ما يزيد على مائة ألف دينار فاستنجد بنور الدولة أبى الأغر دبيس بن صدقة المقدم ذكره فانجده واجتمعا على محاربة الغز فنصروا عليهم وقتل الكثير منهم ومدحه أبو على بن الشبل البغدادى الشاعر المشهور بقصيدة ذكر فيها هذه الواقعة فمنها قوله

نزهت أرضك عن قبور جسومهم * فغدت قبورهمو بطون الانسر
من بعد ما وطئوا البلاد وظفروا * من هذه الدنيا بكل مظفر
فضوار تاج السد عن يأجوجه * ولقوا ببأسك سطوة الاسكندر

وكان قرواش المذكور أديبا شاعرا ظريفا وله أشعار سائرة فمن ذلك ما أورده له أبو الحسن الباخرزى فى أول كتاب دمية القصر وهو قوله

لله در النائبات فانها * صدأ اللئام وصيقل الاحرار
ما كنت الا زبرة فطبعننى * سيفا واطلق طرقهن غرار

وأورد له أيضا

من كان يحمد أو يذم مورثا * للمال من آبائه وجدوده
فانا امرؤ لله أشكر وحده * شكرا كثيرا جالبا لمزيده
لى اشقر ملء العيان مغاور * يعطيك ما يرضيك من مجهوده
ومهند عضب اذا جردته * خلت البروق تموج فى تجريده
ومثقف لدن السنان كانما * ام المنايا ركبت فى عوده
وبذا حويت المال الا اننى * سلطت جودى على تبديده

ما احسن هذا الشعر وامتنه ومن المنسوب اليه أيضا

وآلفة للطيب ليست تغبه * منعمة الاطراف لينة اللمس
اذا ما دخان الند من جيبها علا * على وجهها ابصرت غيما على شمس

وذكر الباخرزى المذكور فى دمية القصر أيضا لابى حويه ابن عم الامير قرواش المذكور

قوم اذا اقتحموا العجاج رأيتهم * شمسا وخلت وجوههم أقمارا
لا يعدلون برفدهم عن سائل * عدل الزمان عليهم أو جارا
واذا الصريخ دعاهمو لملمة * بذلوا النفوس وفارقوا الاعمارا
واذا زناد الحرب أخمد نارها * قدحوا باطراف الاسنة نارا

ومن جملة شعراء دمية القصر أيضا الطاهر الجزرى وقد مدح قرواشا المذكور بقوله وهو فى نهاية الحسن فى باب الاستطراد

وليل كوجه البرقعيدى ظلمة * وبرد أغانيه وطول قرونه
سريت ونومى فيه نوم مشرد * كعقل سليمان بن فهد ودينه
على أولق فيه مضاء كأنه * أبو جابر فى طيشه وجنونه
الى أن بدا ضوء الصباح كأنه * سنى وجه قرواش وضوء جبينه

ولشرف الدين بن عنين الشاعر المقدم ذكره على هذا الاسلوب فى فقيهين كانا بدمشق ينبز أحدهما بالبغل والآخر بالجاموس

البغل والجاموس فى جدليهما * قد أصبحا عظة لكل مناظر
برزا عشية ليلة فتباحثا * هذا بقرنيه وذا بالحافر
ما أتقنا غير الصياح كأنما * لقيا جدال المرتضى بن عساكر
لفظ طويل تحت معنى قاصر * كالعقل فى عبد اللطيف الناظر
اثنان ما لهما وحقك ثالث * الا رقاعة مدلويه الشاعر

ولقد حكى بعض الاصحاب انه سأل ابن عنين عن أبيات الطاهر الجزرى فاستحسن بناءه عليها فلا أنه ما كان سمعها والله أعلم ومدلويه المذكور لقب كان ينبز به الرشيد عبد الرحمن بن محمد بن بدر بن الحسن ابن الفرج بن بكار الشاعر المعروف بابن النابلسى وكان مقيما بدمشق ولابن عنين فيه عدة مقاطيع هجو وتوفى فى منتصف صفر سنة تسع عشرة وستمائة بدمشق المحروسة ودفن بباب الصغير رحمه الله تعالى وذكر فى كتاب الدمية أيضا للطاهر الجزرى المذكور أبياتا لطيفة أحببت ذكرها وهى

ويقال ان عدد من قتل فى المعركة من الفريقين يزيد على عشرة آلاف سوى من هلك فى الطرق والاطراف ولما تفرق عسكر السلطان بايزيد المزبور كر راجعا وورد الى اماسيه هاربا نادما على فعله القبيح ومعترفا بخفته وطيشه الصريح فاحضر الشيخ خير الدين الايجادى والمولى جرجان وتاب على يد الشيخ المزبور عما صدر عنه من البغى والعدوان وأشهدهما على الرجوع والارتداع وأرسلهما الى السلطان للشهادة بذلك والاستشفاع وقبل وصولهما الى السلطان تحول عن رأيه وعاد الى غيه وأخذ أولاده الثلاثة الكبار وتوجه الى بلاد العجم بمن بقى عنده من الاشرار فقبل وصولهما الى عتبة السلطان ظهر خلاف ما جاآ به من خبر ترك العصيان فكره السلطان مجيئهما وتغير وحبسهما فى بيت فى قسطنطينية حتى يظهر جلية الخبر من انهما لم يقصدا النفاق ولم يتفقا على الاختلاق وأطلقهما وعزل المولى المزبور عن منصب الفتيا ثم عين له سبعين درهما على ما ذكرنا وآخر أمر الامير بايزيد انه سافر وجد فى سيره ولم يقدر أحد من الامراء العثمانية على منعه وضيره وان تابع الامر به اليهم

انظر الى خطأ ابن شبل فى الهوى * اذ لا يزال لكل قلب شائقا
شغل النساء عن الرجال وطالما * شغل الرجال عن النساء مراهقا
عشقوه أمرد فالتحى فعشقنه * الله أكبر ليس يعدم عاشقا

ثم وجدت فى كتاب الخريدة فى ترجمة أبى نصر ابن النحاس الحلبى البيتين الاخيرين من هذه الابيات الثلاثة وقال أورده أبو الصلت فى الخريدة له يعنى لابن النحاس والله أعلم (رجعنا الى حديث الامير قرواش) وكان كريما وهابا نهابا جاريا على سنن العرب نقل انه جمع بين أختين فى النكاح فلامته العرب على ذلك فقال خبرونى ما الذى نستعمله مما تبيحه الشريعة وكان يقول ما فى رقبتى غير خمسة أو ستة من أهل البادية قتلتهم فاما الحاضرة فما يعبأ الله بهم ودامت امارة قرواش مدة خمسين سنة فوقع بينه وبين أخيه بركة بن المقلد وكان خارج البلد فقبض بركة عليه فى سنة احدى وأربعين وأربعمائة وقيده وحبسه فى الجراحية احدى قلاع الموصل وتولى مكانه ولقب بركة بزعيم الدولة وأقام فى الامارة سنتين وتوفى فى ذى الحجة سنة ثلاث وأربعين فقام مقامه ابن أخيه أبو المعالى قريش بن أبى الفضل بدران بن المقلد وكان بدران المذكور صاحب نصيبين وتوفى فى رجب سنة خمس وعشرين وأربعمائة فاول ما فعل قريش انه قتل عمه قرواشا المذكور فى مجلسه فى مستهل رجب سنة أربع وأربعين وأربعمائة ودفن بتل توبة شرقى الموصل وكان فصيحا شرعيا شاعرا كريما شجاعا وقرواش بكسر القاف وسكون الراء وفتح الواو وبعد الالف شين معجمة وهو فعوال من القرش وهو فى اللغة الكسب والجمع وبه سميت قريش أيضا لانها كانت تعانى التجارة واجتمع قريش مع أرسلان البساسيرى المقدم ذكره على نهب دار الخلافة ثم ان الامام القائم بامر الله جرى على سجيته فى الحلم وكتب الى السلطان طغرلبك المقدم ذكره فى المجددين ليرضى عنه وورد الخبر بعد ذلك بموته أعنى قريش ابن بدران فى سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة فى أوائلها بالطاعون بمدينة نصيبين وكان عمره احدى وخمسين سنة وولى بعده امارة بنى عقيل ولده أبو المكارم مسلم بن قريش الملقب شرف الدولة وكان قد طمع فى الاستيلاء على بغداد بعد وفاة السلطان طغرلبك السلجوقى المقدم ذكره ثم رجع عن ذلك واستولى على ديار ربيعة ومضر وملك حلب وأخذ الاتاوة من بلاد الروم وقصد دمشق وحاصرها وكاد يأخذها فبلغه ان حران عصى عليه أهلها فرحل اليهم وحاربوه ففتحها وقتل خلقا كثيرا من أهلها وذلك فى سنة ست وسبعين وأربعمائة واتسعت له المملكة ولم يكن فى أهل بيته من ملك مثله وكانت سيرته من أحسن السير وأعدلها وكانت الطرقات فى بلاده آمنة ومن جملة ما نقل عنه ان ابن حيوس الشاعر المقدم ذكره مات عنده وخلف أكثر من عشرة آلاف دينار فحمل ذلك الى خزانته فرده وقال لا يتحدث عنى أحد أنى أعطيت شاعرا ما لا ثم شرهت نفسى فاخذته وانه دخل خزانتى مال جمع من أوساخ الناس وكان يصرف الجزية فى جميع بلاده الى الطالبيين لا يأخذ منها شيأ وهو الذى عمر سور الموصل وكان ابتداء عمارته يوم الاحد ثالث شوال سنة أربع وسبعين فرغ من عمارته فى ستة أشهر وأخباره كثيرة وجرى بينه وبين سليمان بن قتلمش السلجوقى صاحب الروم مصاف فقتل على باب انطاكية فى خامس عشر صفر سنة ثمان وسبعين وأربعمائة يوم الجمعة وعمره خمس وأربعون سنة وشهور هكذا قاله محمد بن عبد الملك الهمدانى فى كتابه الذى سماه المعارف المتأخرة وذكر أيضا ابن الصابى فى تاريخه ان مولد مسلم بن قريش يوم الجمعة الثالث والعشرين من رجب سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة والله أعلم وذكر المأمونى فى تاريخه انه وثب عليه خادم من خواصه فخنقه فى الحمام وذكر له واقعة فى ذلك وذلك فى سنة أربع وسبعين والله أعلم بالصواب ورتب السلطان ملكشاه السلجوقى المقدم ذكره ولده أبا عبد الله محمدا فى الرحبة وحران وسروج وبلد الخابور وزوجه أخته زليخا بنت السلطان ألب ارسلان وكان والده مسلم بن قريش اعتقل أخاه أبا سالم ابراهيم بن قريش بقلعة سنجار مدة أربع عشرة سنة فلما هلك مسلم وتقرر أمر ولده محمد فى الامارة اجتمع أهله على ابراهيم المذكور فاخرجوه وقدموه عليهم ثم اعتقله ملكشاه وولى ابن أخيه محمدا المذكور فلما مات ملكشاه أطلق وجمع ابراهيم العرب وحارب تاج الدولة تتش السلجوقى المذكور فى حرف التاء بمكان يعرف بالمضيع فقتله تاج الدولة تتش صبرا فى سنة ست

من جانب السلطان حتى وصل الى بلاد العجم فى قليل من الزمان فاستقبله رئيس الملحدين وعمدة المتمردين شاه طهماسب فى نفر يسير من أصحابه بمكن استئصاله بمن معه من خلاصة أحزابه فعرض على بايزيد خان بعض من أمرائه الشجعان أن يأخذوا طهماسب ويقتلوا أصحابه ويستأصلوا أحزابه فغلب عليه الجبن والخوف فلم يكن به راضيا وأخطأ فى رأيه ثانيا فكان فى الآخر مصداق ما قاله الشاعر

اذا المرء لم يعرف مصالح نفسه * ولا هو ان قال الاحباء يسمع
فلا ترج منه الخير واتركه انه * بايدى صروف الحادثات سيصفع

ولما اجتمعا أظهر طهماسب فى وجه بايزيد توددا عظيما ووعده جميلا وأتى به مع أصحابه الى بلده ثم فرق أصحابه بانواع الخدع والحيل حتى غدر به فحبسه مع أولاده فكان يضرب به المثل وقتل أكثر أصحابه وخلص بعضهم نفسه بالدخول فى مذهبهم الباطل واحتال بعضهم حتى وصل الى ديار الاسلام ونجا من ذلك الخطب الهائل اللهم سلط عليهم من يأخذ ثارهم ويخرب

وثمانين وأربعمائة ومن أمراء بني عقيل أيضاً أبو الحرث مهارش بن المجلي بن عليب بن قيان بن شعيب بن المقلد الأكبر بن جعفر بن عمرو بن المهنا المذكور في أول هذه الترجمة ومهارش المذكور هو صاحب الحديثة وهو الذي نزل عليه الإمام القائم في قصة البساسيري لما خرج من بغداد وبالغ في إكرامه وإجلاله والإحسان إليه فأقام عنده سنة وهي واقعة مشهورة فلا حاجة إلى شرحها وكان مهارش المذكور كثير الصدقة والصلوات ملازم الجمع والجماعات وتوفي في صفر سنة تسع وتسعين وأربعمائة وعمره ثمانون سنة والله تعالى أعلم

(أبو المتوج مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الملقب مخلص الدولة والد الأمير سديد الدولة أبي الحسن علي صاحب قلعة شيزر المتقدم ذكره)

كان رجلاً نبيل القدر سائر الذكر رزق السعادة في بنيه وحفدته وقد تقدم في ترجمة ولده المذكور طرف من بدء أمرهم وكيف ملك القلعة المذكورة وكان والده مقلد المذكور في جماعة كثيرة من أهل بيته مقيمين بالقرب من قلعة شيزر عند جسر بني منقذ المنسوب إليهم وكانوا يترددون إلى حماة وحلب وتلك النواحي ولهم بها الدور النفيسة والأملاك المثمنة وذلك كله قبل أن يملكوا قلعة شيزر وكان ملوك الشام يكرمونهم ويبجلون أقدارهم وشعراء عصرهم يقصدونهم ويمدحونهم وكان فيهم جماعة أعيان رؤساء كرماء أجلاء علماء وقد سبق ذكر أسامة بن منقذ وهو من أحفاده ولم يزل مخلص الدولة في رياسته وجلالته إلى أن توفي في ذي الحجة سنة خمسين وأربعمائة بحلب وحمل إلى كفرطاب ورأيت في ديوان ابن سنان الخفاجي الشاعر عقيب أشعاره في المذكور يقول ما صورته وقال يرثيه وقد توفي في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وأربعمائة والله أعلم بالصواب رحمه الله تعالى ورثاه القاضي أبو يعلى حمزة بن عبد الرزاق بن أبي حصين بهذه القصيدة وهي من فائق الشعر وأنشدها لولده أبي الحسن علي المذكور وسأذكرها كلها إن شاء الله تعالى وإن كانت طويلة لكنها غريبة قليلة الوجود بأيدي الناس وما رأيت أحداً قط يحفظ منها إلا أبياتاً يسيرة فأحببت ذكرها لذلك وهي هذه القصيدة

ألا كل حي مقصدات مقاتله * وآجل ما يخشى من الدهر عاجله
وهل يفرح الناجي السليم وهذه * خيول الردى قدامه وحبائله
لعمر الفتى إن السلامة سلم * إلى الحين والمغرور بالعيش آمله
فيسلب أثواب الحياة معارها * ويقضي غريم الدين من هو ماطله
مضى قيصر لم تغن عنه قصوره * وجدل كسرى ما جنته مجادله
وما صد هلكاً عن سليمان ملكه * ولا منعت منه أباه سرابله
ولم يبق الأمن يروح ويغتدي * على سفر ينأى عن الأهل قافله
وما نفس الإنسان إلا خزامة * بأيدي المنايا والليالي مراحله
فهل غال بدأ بمخلص الدولة الردى * وهل تنزوي عمن سواه غوائله
ولكنه حوض الحمام ففارط * إليه وتال المسرعات رواحله
لقد دفن الأقوام أروع لم تكن * بمدفونة طول الزمان فضائله
سقى جدثاً هالت عليه ترابه * أكفهم طل الغمام ووابله
ففيه سحاب يرفع المحل هديه * وبحر ندى يستغرق البر ساحله
كأن ابن نصر سائراً في سريره * حياً من الوسمي أقشع هاطله
يمر على الوادي فتثني رماله * عليه وبالنادي فتبكي أرامله
سرى نعشه فوق الرقاب وطالما * سرى جوده فوق الركاب ونائله
أناعيه إن النفوس منوطة * بقولك فانظر ما الذي أنت قائله

ديارهم ويمحوا آثارهم واضرب بهم في نحورهم ونج المسلمين من شرورهم واجعل من خباثت وجودهم الأرض طاهرة واجعلهم عبرة للعالمين في الأولى والآخرة ولما وصل الخبر إلى السلطان أرسل إلى طهماسب عدة من أمرائه مع هدايا سمية وتحف سنية وطلب منه أولاده المأسورين فسلمهم إليه مقتولين فلما قبضوا أجسادهم دفنوهم في بلدة سيواس رب اعف عنهم وارحمهم بحرمة سيد الناس وكان بايزيد خان المزبور معروفاً بالشجاعة والشهامة والفروسية والسخاء والاستقامة وكان محباً للعلم والعلماء ومتردداً إلى مجالس المشايخ والصلحاء وكان صاحب فهم وفراسة إلا أنه أعماه حب السلطنة والرياسة حتى صنع ما صنع ووقع فيما وقع وكان له الحظ الوافر من المعارف والمفاخر وكان ينظم الشعر بالتركي والفارسي وله بالفارسية (شعر)

آن سركه بانياز بر آستانه نيست
هر كز داش زنيل سعادت نشانه نيست
آن قصه از خسرو وشيرين ميكند
او حسب حال ماست فسون وفسانه نيست
زخسار خوب بداوري وموزون قامتي

بفيك الثرى لم تدر من حل بالثرى * جهلت وقد يستصغر المرء جاهله
هو السيد المهتز للمدح بدره * والعود عطفاه والطعن عامله
أفاض عيون الناس حتى كأنما * عيونهم مما تفيض أنامله
فباعاً بين سمحي لا تشحي بسائل * على ماجد لم يعرف الشح سائله
متى سألوه المال تبدو بنانه * وإن سألوه الضيم تبدو عوامله
وكم عاد عنه بالخسار مقنع * وكم نال منه قانع ما يحاوله
له الغلب القاضي على كل باسل * يجالده أو كل خصم يجادله
مجالسه في روضة طلها الندى * ولكنه في المجدمات مساجله
فيا عمره إني قصرت ولم تطل * منازله بل كفه بل حمائله
جرت تحته العلياء ملء فروجها * إلى غاية طالت على من يطاوله
فقامات حتى نال أقصى مراده * كما يستتم البدر تمت منازله
فتى طالما يعتاده الجيش عافياً * فينزله أو عادياً فينازله
صفوح عن الجاني وصفحة سيفه * إذا هي لم تقتله فالصفح قاتله
وادمى عسيب الطرف بعدك هلبه * وعادته أن يقذف الدم كاهله
فيا طرفه ما كان يعجزك حاملاً * إذا صارم لو أن ظهرك حامله
لقد كثر الملبوس بعد مروع * جرت ببيان المشكلات شواكله
إذا ظن لا يخطي كأن ظنونه * على ما يظن الناس عنه دلائله
فلا رحلت عنه نوازل رحمة * ضحى بها موصوله وأصائله
وروّى ثراه منهل العفو في غد * فقد روت العافين أمس مناهله
قضى الله أن يردي الأمير وهذه * صوافنه موقورة ومناصله
وكل فتى كالبرق أبرق غمده * إذا شامه أو كالذبالة ذابله
فليت ظباه صلت اليوم خلفه * فظلت على غير الصيام صواهله
بني منقذ صبراً فإن مصابكم * يصاب به حافي الأنام وناعله
لقد جل حتى كل واجد لوعة * إذا لج فيها ليس يوجد عاذله
إذا صوحت أيدي الرجال فأنتم * بني منقذ روض الندى وخمائله
وإن فر من وزر الزمان مفرح * فإنكم أوزاره ومعاقله
وصاحب على الصبر عنه فإنه * مصاحب صبر عن حبيب يزايله
وما نام حتى قام منك وراءه * أخو يقظات وافر العزم كامله
كأنكما توءمان في فلك العلا * فطالع هذا وذاك آفله
وما كفل الأمر العلي لهم * قيامك بالأمر الذي أنت كافله
سعيت إلى نيل المكارم سعيه * ولو كنت لا تسعى كفتك فواضله
ولم تر أن ترقى بما كان فاعلاً * أجل إنما المرفوع بالفعل فاعله
لعمرك إني في الذي عز كله * شريك عنان ناصح الود ناهله
وكيف خلو القلب من ذلك الهوى * وقد خلدت بين الشغاف دواخله

نجزت القصيدة بتمامها وكمالها وقد تقدم في ترجمة الصالح طلائع بن رزيك وزير مصر مرثية رثاه بها الفقيه عمارة اليمني وهي على وزن هذه المرثية ورويها ولم أذكر منها هنالك سوى أبيات قلائل لكثرة وجود ديوان عمارة بأيدي الناس وهذه لا تكاد توجد بكمالها فلهذا أثبتها ههنا وقد تقدم منها ذكر بيتين في ترجمة الوزير



هر كز ترا ز سر بقدم بال بانه نيست ٣
آنرا كه باجنين غزل عاشقانه نيست

ومن غرائب الاتفاق أنه كان تسمى في شعره بشاهي وقد ذهب في آخر عمره إلى شاه طهماسب والتجأ إليه وآل أمره إلى ما أوقفناك عليه

(ومنهم العالم الفاضل وواسطة عقد الأفاضل صاحب الجد والإفادة المولى محمد بن محمد الشهير بعرب زاده)*

نشأ رحمه الله طالباً للتحصيل وراغباً في التكميل فاشتغل على موالي عصره وأفاضل دهره وتتبع الكتب والرسائل وضبط القواعد والمسائل وبرز في الفنون وفاق وملأ بصيته الآفاق وصار ملازماً للمولى خير الدين معلم السلطان سليمان ثم قلد المدرسة التي بناها عبد السلام بقصبة جكمجه بخمس وعشرين ثم صارت وظيفته فيها ثلاثين ثم ولي بأربعين المدرسة التي بناها السلطان مراد الغازي بمدينة بروسه المشهور بقبلوجه ثم نقل عنها إلى مدرسة محمود باشا بقسطنطنية بخمسين وقبل أن يدرس فيها أعطي مدرسة

٣ آنركه باجنين غزل عاشقانه نيست
مصرع ٤ أوايش ساقط هست

جمال الدين أبي جعفر محمد المعروف بالجواد الاصبهاني وزير الموصل وتوفي أخوه أبو الغيث منقذ بن نصر بن منقذ سنة تسع وثلاثين وأربعمائة ورثاه الشيخ الاديب أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن يحيى بن الحسين ابن محمد بن الربيع بن سنان بن الربيع الخفاجي الحلبي الشاعر المشهور صاحب ديوان الشعر بقوله وهو من شعره القديم زمن الصبا

غربت خلائقك الحسان غريبة * ورمى الزمان دنوّها ببعاد
ذهبت كما ذهب الربيع وخلفت * فيض الدموع حرارة الاكباد

والخفاجي المذكور رثى مخلص الدولة المذكور أيضا بقصيدة طويلة رائية ومدحه باخرى حائية أجاد فيها والله تعالى أعلم

(ابو محمد مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيسي المقرى)

أصله من قيروان وانتقل الى الاندلس وسكن قرطبة وهو من أهل التبحر في علوم القرآن والعربية حسن الفهم والخلق جيد الدين والعقل كثير التآليف في علم القرآن محسنا لذلك مجودا للقرآآت السبع عالما بمعانيها ولد بالقيروان عند طلوع الشمس أو قبل طلوعها بقليل لسبع بقين من شعبان سنة خمس وخمسين وثلثمائة قال أبو عمرو المقرى الداني انه ولد سنة أربع وخمسين ونشأ بالقيروان وترعرع وسافر الى مصر وهو ابن ثلاث عشرة سنة فاختلف بها الى المؤدبين والعارفين بعلوم الحساب ثم رجع الى القيروان وكان اكماله لاستظهار القرآن بعد فراغه من الحساب وغيره من الآداب وذلك في سنة أربع وسبعين وثلثمائة ثم عاد الى مصر ثانية بعد استكماله القرآآت بالقيروان وحج في سنة سبع وسبعين ثم ابتدأ بالقرآآت على ابى الطيب عبد المنعم ابن عبيد الله بن غلبون الحلبي المقرى نزل مصر في أول سنة ثمان وسبعين فقرأ عليه بقية السنة وبعض سنة تسع ورجع الى القيروان وقد بقي عليه بعض القرآآت ثم عاد الى مصر مرة ثالثة في سنة اثنتين وثمانين فاستكمل ما بقي له ثم عاد الى القيروان في سنة ثلاث وثمانين وأقام بها يقرأ الى سنة سبع وثمانين ثم خرج الى مكة وأقام بها الى آخر سنة تسعين وحج أربع حجج متوالية ثم رجع من مكة في سنة احدى وتسعين فوصل الى مصر ثم رحل منها الى القيروان في سنة اثنتين وتسعين ثم ارتحل الى الاندلس وقدمها في رجب سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة فجلس للاقراء بجامع قرطبة وانتفع به خلق كثير وجوّدوا عليه القرآن وعظم اسمه في البلدة وجلّ فيها قدره ونزل عند دخوله قرطبة في مسجد النخيلة الذي بالرواقين عند باب العطارين فاقرأ به ثم نقله المظفر عبد الملك بن أبي عامر الى جامع الزاهرة وأقرأ فيه حتى انصرمت دولة آل عامر فنقله محمد بن هشام المهدى الى المسجد الخارج بقرطبة وأقرأ فيه مدة الفتنة كلها الى أن قلده الحسن بن جهور الصلاة والخطبة بالمسجد الجامع بعد وفاة يونس بن عبد الله وكان ضعيفا عنها على أدبه وفهمه وأقام في الخطابة الى أن مات رحمه الله تعالى وكان خيرا فاضلا متواضعا متدينا مشهورا باجابة الدعاء وله في ذلك أخبار فمن ذلك ما حكاه أبو عبد الله الطرفي المقرى قال كان عندنا بقرطبة رجل فيه بعض الحدة وكان له على الشيخ أبي محمد تسلط وكان يدنو منه اذا خطب فيغمزه ويحصي عليه سقطاته وكان الشيخ كثيرا ما يتلعثم ويتوقف فحضر ذلك الرجل في بعض الجمع وجعل يحد النظر الى الشيخ ويغمزه فلما خرج معنا ونزل في الموضع الذي كان يقرأ فيه قال لنا أمنوا على دعائي ثم رفع يديه وقال اللهم اكفنيه اللهم اكفنيه فامنا قال فاقعد ذلك الرجل وما دخل الجامع بعد ذلك اليوم وله تصانيف كثيرة نافعة فمنها الهداية الى بلوغ النهاية في معاني القرآن الكريم وتفسيره وأنواع علومه وهو سبعون جزأ ومنتخب الحجة لابي على الفارسي ثلاثون جزأ وكتاب التبصرة في القرآآت في خمسة أجزاء وهو من أشهر تواليفه والموجز في القرآآت جزآن وكتاب المأثور عن مالك في أحكام القرآن وتفسيره عشرة أجزاء وكتاب الرعاية لتجويد القرآن أربعة أجزاء وكتاب اختصار أحكام القرآن أربعة أجزاء وكتاب الكشف عن وجوه القرآآت وعللها عشرون جزأ وكتاب الايضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ثلاثة أجزاء وكتاب الايجاز في ناسخ القرآن ومنسوخه جزء وكتاب الزاهي في اللمع الدالة على مستعملات الاعراب أربعة أجزاء وكتاب التنبيه على أصول قراءة نافع وذكر الاختلاف عنه جزآن وكتاب الانتصاف

فيما

بنت السلطان سليمان ولم يذهب كثير حتى نقل الى احدى المدارس الثمان فداخله نوع من الغرور الذي يعمى القلوب التي في الصدور ونسى قوله تعالى ولا يغرنكم بالله الغرور تحرك على خلاف العادة وعين واحدا من طلبة المولى أبي السعود للاعادة فلما سمع تركه الادب قام المفتي على ساق الغضب وتهيأ للخصام وتأهب للانتقام فاضرم ناره وطلب ثاره وقصد الى أن يمحو آثاره فكتب الحكاية وعرضها على السلطان وأظهر الشكاية فلما سمع السلطان اساءته الادب استولى عليه ثائرة الغضب فامر أن يكتبوا صورة فتوى مضمونها من حقر شيخ الاسلام ومفتي الانام فما جزاؤه عند الائمة العظام فاجاب المفتي المزبور بثلاث كلمات العزل للأبد والضرب الاشد والنفي عن البلد فعزله السلطان وعزم على تحقيره فأمر بتأديبه وتعزيره فاحضر الى الديوان كواحد من الاوغاد وضرب على رؤس الاشهاد فلما جاوز الضرب الحد أمر بنفيه عن البلد فارتحل ورايه عزه منكوسه الى دار الملك بروسه ورجع بخفي حنين وأقام بها مدة سنتين لا أنيس له الا البعد والفراق وأيامه في الظلمة كليلة المحاق (شعر)

فيما رده على أبي بكر الادفوي وزعم انه غلط فيه في كتاب الامالة ثلاثة أجزاء وكتاب الرسالة الى أصحاب الانطاكي في تصحيح المد لورش ثلاثة أجزاء وكتاب الابانة عن معاني القراءة جزء وكتاب الوقف على كلا وبلى في القرآن جزآن وكتاب الاختلاف في عدد الاعشار جزء وكتاب الادغام الكبير في المخارج جزء وكتاب بيان الصغائر والكبائر جزء وكتاب الاختلاف في الذبيح من هو جزء وكتاب دخول حروف الجر بعضها مكان بعض جزء وكتاب تنزيه الملائكة عن الذنوب وفضلهم على بني آدم جزء وكتاب الياآت المشددة في القرآن والكلام جزء وكتاب اختلاف العلماء في النفس والروح جزء وكتاب ايجاب الجزاء على قاتل الصيد في الحرم خطأ على مذهب الامام مالك والحجة في ذلك جزء وكتاب مشكل غريب القرآن ثلاثة أجزاء وكتاب بيان العمل في الحج أول الاحرام الى زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم جزء وكتاب فرض الحج على من استطاع اليه سبيلا جزء وكتاب التذكرة لاختلاف القرّاء جزء وكتاب تسمية الاحزاب وكتاب منتخب كتاب الاخوان لابن وكيع جزآن وكتاب الحروف المدغمة جزآن وكتاب شرح التمام والوقف أربعة أجزاء وكتاب مشكل المعاني والتفسير خمسة عشر جزأ وكتاب هجاء المصاحف جزآن وكتاب الرياض مجموع خمسة أجزاء وكتاب المنتقى في الاخبار أربعة أجزاء وله في القرآآت واختلاف القراء وعلوم القرآن تصانيف كثيرة ولولا خوف التطويل لاستوعبت ذكرها وتوفي يوم السبت عند صلاة الفجر ودفن يوم الاحد ضحوة لليلتين خلتا من المحرم سنة سبع وثلاثين وأربعمائة بقرطبة ودفن بالربض وصلى عليه ولده أبو طالب محمد رحمه الله تعالى وحموش بفتح الحاء المهملة وتشديد الميم المضمومة وسكون الواو بعدها شين معجمة وقد تقدم الكلام على القيسي والقيروان وقرطبة فاغنى عن الاعادة وأبو الطيب عبد المنعم بن غلبون المقرى المصري المذكور في هذه الترجمة ذكره الثعالبي في كتاب اليتيمة فقال وكان على دينه وفضله وعلمه بالقرآن ومعانيه واعرابه متفننا في سائر علوم الادب أنشدت له قصيدة منها قوله

عليك باقلال الزيارة انها * اذا كثرت كانت الى الهجر مسلكا
ألم تر ان الغيث يسأم دائما * ويطلب بالايدي اذ هو أمسكا

وقال غير الثعالبي ولد أبو الطيب المذكور في رجب سنة تسع وثلثمائة وتوفي بمصر يوم الجمعة لسبع خلون من جمادى الاولى سنة تسع وثلثمائة رحمه الله تعالى

(ابو الحزم مكي بن ريان بن شبة بن صالح الماكسيني المولد الموصلي الدار المقرى النحوي الضرير الملقب صائن الدين)

كان والده يصنع الانطاع بماكسين ومات فقيرا لم يخلف شيأ وترك ولده أبا الحزم المذكور وأمه وبنتا فلم تقدر أمه على القيام بمصالحه بسبب الفقر وتضجرت منه ففارقها وخرج من بلده وقصد الموصل واشتغل بها بعلم القرآن والادب ثم رحل الى بغداد واجتمع بأئمة الادب وقرأ على أبي محمد بن الخشاب وابن الصفار وابن الانباري وأبي محمد سعيد بن الدهان وقد تقدم ذكرهم ثم عاد الى الموصل وتصدر بها للافادة وأخذ الناس عنه وانتشر ذكره في البلاد وبعد صيته وانتفع به خلق كثير وذكره أبو البركات بن المستوفي في تاريخ اربل فقال هو جامع فنون الادب وحجة كلام العرب المجمع على دينه وعقله والمتفق على علمه وفضله رحل الى بغداد ولقي بها مشايخ النحو واللغة والحديث وكان واسع الرواية قد نصب نفسه للانتفاع عليه بالقرآن العزيز وجميع ضروب الادب ثم قال وأنشدني من شعره وكان قد اشتغل عليه بالموصل أعني ابن المستوفي المذكور

سئمت من الحياة فلم أردها * تسالمني وتشجيني بريقي
عدوى لا يقصر في اذاى * ويفعل مثل ذلك بي صديقي
وقد أضحت لي الحدباء دارا * وأهل مودتي بلوى العقيق

والحدباء كنية الموصل ومن شعره أيضا

اذا احتاج النوال الى شفيع * فلا تقبله تضح قرير عين

الدهر دولاب يدور فيه السرور مع الشرور بينا الفتى فوق السما واذا به تحت الصخور ثم رضي عنه السلطان فاعطاه ثانيا احدى المدارس الثمان ثم نقل الى احدى المدارس السلطانية المعروفة عند الناس بالسليمانية ثم نقل من تلك العامرة الى قضاء القاهرة فلما عزم على السفر رأى مؤنة البر أكبر فقصد البحر في غير أوانه في زمن عتوّه وطغيانه كيف لا وقد أدبر الربيع وأقبل الشتاء وألقت وشاة الثلوج والامطار برودة بين الارض والسماء ولبس السحاب فروة السنجاب وعرض اقطان الثلج قوس السحاب على الحلج وكم ناصح بذل جهده واستفرغ في نصحه مجهوده ورب حازم نصح عرض عليه الرأى الصحيح الا أن سبق الكتاب أغفله عن طريق الصواب (شعر)

اذا انعكس الزمان على لبيب
يحسن رأيه ما كان قبحا
يعاني كل أمر ليس يعني
ويفسد ما رآه الناس صلحا

فلم يلتفت الى كلام وملام قائلا لا تكترثوا بشان الشتاء فانما هو برد وسلام فركب البحر وأصحابه يمنعون تاليا قوله تعالى اذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فلما انفصل من جزيرة ردوس

اذاعيف النوال المرد منى * فاولى أن يعاف لمنتبين

وله أيضا

على الباب عبد يسأل الاذن طالبا * له أدبالا أن نعمالك تحجب

فان كان اذن فهو كالخير داخل * عليك والافهو كالشر يذهب

وهذا مأخوذ من قول بعضهم

على الباب عبد من عبيدك واقف * بنعماك مغمور بشكرك معترف

أيدخل كالاقبال لازلت مقبلا * مدى الدهر ام مثل الحوادث ينصرف

ثم قال ابن المستوفى وكان قد أضر وهو ابن ثمان أو تسع سنين وكان أبدا يتعصب لابى العلاء المعرى و يطرب اذا قرئ عليه شعره للجامع بينهما من العمى والادب فسلك مسلكه فى النظم انتهى كلام ابن المستوفى قلت وحكى لى بعض من أخذ عنه انه لما كان ببلده كان جيرانهم ومعارفهم يسمونه بمكيكى تصغير مكى فلما ارتحل واشتغل وحصل اشتاقت نفسه الى وطنه فعاد اليه فتسامع به من بقى ممن كان يعرفه فزاروه وفرحوا به لكونه فاضلا من أهل بلدهم و بات تلك الليلة فلما كان السحر خرج الى الحمام فسمع امرأة فى غرفتها تقول لاخرى ماتدرين من جاء فقالت لا فقالت مكيكى بن فلانة فقال والله لاأقمت فى بلد ادعى فيها مكيكا وسافر من غير ريث بعد ان كان قد نوى الاقامة بها مدة وعاد الى الموصل ثم خرج الى الشام فى أواخر عمره لزيارة بيت المقدس فانتهى اليه وقضى منه وطره ورجع الى الموصل من حلب وكان دخوله الى الموصل فى شهر رمضان وتوفى ليلة السبت السادس من شوال سنة ثلاث وستمائة بالموصل وخلف له ولدا صغيرا ودفن بصحراء باب الميدان فى مقبرة المعافى بن عمران جوار أبى بكر القرطبى وابن الدهان النحوى رحمهم الله تعالى و يقال انه مات مسموما من جهة صاحب الموصل نور الدين أرسلان شاه المقدم ذكره فى حرف الهمزة لسبب اقتضى ذلك والله أعلم وريان بفتح الراء وتشديد الياء المثناة من تحتها و بعد الالف نون وشبة بفتح الشين المعجمة وتشديد الباء الموحدة و بعدها هاء ساكنة والماكسينى بفتح الميم و بعد الالف كاف مكسورة وسين مهملة مكسورة أيضا ثم ياء ساكنة مثناة من تحتها و بعدها نون هذه النسبة الى ماكسين وهى بلدة من أعمال الجزيرة على نهر الخابور وهى على صغرها تشابه المدن فى حسن بنائها ومنازلها

(ابو عبد الله مكحول بن عبد الله الشامى من سبى كابل)

قال ابن عائشة كان مولى لامرأة من قيس وكان سنديا لا يفصح وقال الواقدى كان مولى لامرأة من هذيل وقيل هو مولى سعيد بن العاص وقيل مولى لبنى ليث قال الخطيب كان جده شاول من أهل هراة فتزوج ابنة لملك من ملوك كابل ثم هلك عنها وهى حامل فانصرفت الى أهلها فولدت شهراز فلم يزل فى أخواله بكابل حتى ولد له مكحول فلما ترعرع سبى ثم وقع الى سعيد بن العاص فوهبه لامرأة من هذيل فاعتقته وكان معلم الاوزاعى المقدم ذكره فى حرف الهمزة وسعيد بن عبد العزيز قال الزهرى العلماء أربعة سعيد بن المسيب بالمدينة والشعبى بالكوفة والحسن البصرى بالبصرة ومكحول بالشام ولم يكن فى زمنه أبصر منه بالفتيا وكان لا يفتى حتى يقول لاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم هذا رأى والرأى يخطئ ويصيب وسمع أنس بن مالك و واثلة بن الاسقع وأبا هند الرازى وغيرهم وكان مقامه بدمشق وكان فى لسانه عجمة ظاهرة و يبدل بعض الحروف بغيره قال نوح بن قيس سأله بعض الامراء عن القدر فقال اساهر أنا يريد أساحر أنا وكان يقول بالقدر ورجع عنه وقال معقل بن عبد الاعلى القرشى سمعته يقول لرجل مافعلت تلك الهاجة يريد الحاجة وهذه العجمة تغلب على أهل السند يحكى عن أبى عطاء السندى الشاعر المشهور واسمه مرزوق وهو من موالى أسد بن خزيمة انه كان فى لسانه هذه العجمة فاجتمع حماد الراوية وحماد عجرد الشاعر المقدم ذكرهما وحماد بن الزبرقان النحوى وبكر بن مصعب المزنى فى بعض الليالى ليتذاكروا فقالوا مابقى شئ الا وقد تهيأ لنا فى مجلسنا هذا فلو بعثنا الى أبى عطاء السندى ليحضر عندنا و يتكمل به المجلس فارسلوا اليه فقال حماد بن الزبرقان أيكم يحتال لابى عطاء حتى يقول جرادة وزج وشيطان وانما اختار له هذه الالفاظ

هبت الرياح العاصفة وأومضت البروق الخاطفة وأظلمت السماء وطغت كرة الماء واضطرب البحر وماج وارتفعت الامواج وتواتر تواتر الكتائب وهجمت هجوم العدا على المراكب وظهر فى ظهر البحر أودية وجبال وأنجاد شاهقة وتلال فلما شاهدوا هذه الاحوال غابت الشمس فى الحال وعزمت على العروج والتحصن بالبروج واصفرت وجنة القمر من خوف الهلاك وتشبث بذيل الافلاك وأقبل عليهم الليل وأنذرهم بالشدة والويل والسفينة بين الصعود والهبوط وأهلها غارقون فى بحر اليأس والقنوط واذا موج عظيم كالجبل يدب نحوهم دبيب الاجل الى الامل فلما شاهدوا الويل سالت عبراتهم كالسيل وأخذوا فى الاستغفار والاستحلال وشرعوا فى التضرع والابتهال وطلبوا من الله الخلاص واجتهدوا فى طريق المناص الا أن ارادة الجبار ساقت المركب نحو التيار فلم يمكن لذلك الفوج الا الدخول فى الموج (بيت)

ما كل مايتمنى المرء يدركه تجرى الرياح بما لا تشتهى السفن

فلما انصب الماء عليهم وانقض تلوا قوله تعالى

لانه كان يبدل من الجيم زايا ومن الشين سينا فقال حماد الراوية أنا أحتال له فى ذلك فلم يلبثوا أن جاءهم أبو عطاء فقال لهم هيا كم الله يريد حياكم الله فقالوا له مرهبا مرهبا يريدون مرحبا مرحبا على لغته فقالوا له ألا تتعشى فقال قد تعسيت فهل عندكم نبيذ فقالوا نعم فاتى اليه بنبيذ فشرب حتى استرخى فقال له حماد الراوية يا أبا عطاء كيف معرفتك باللغز فقال هسن يريد حسن فقال له ملغزا فى جرادة

فما صفراء تكنى أم عوف * كان سويقتيها منجلان

فقال زرادة فقال صدقت ثم قال ملغزا فى زج

فما اسم حديدة فى الرمح ترسى * دوين الصدر ليست بالسنان

فقال أبو عطاء زز فقال حماد أصبت ثم قال ملغزا فى مسجد بجوار بنى شيطان وهو بالبصرة

أتعرف مسجدا لبنى تميم * فويق الميل دون بنى أبان

فقال هو فى بنى سيطان فقال أحسنت ثم تنادموا وتفاكهوا الى السحر فى أرغد عيش وهذا أبو عطاء من الشعراء المجيدين وكان عبدا أخرب والاخرب المشقوق الاذن وله فى كتاب الحماسة مقاطيع نادرة ولولا خشية الاطالة والخروج عن المقصود لذكرت جملة من شعره وتوفى مكحول المذكور سنة ثمان عشرة وقيل ثلاث عشرة وقيل ست عشرة وقيل اثنتى عشرة وقيل أربع عشرة ومائة رضى الله عنه وكابل بفتح الكاف و بعد الالف باء موحدة مضمومة ثم لام وهى ناحية معروفة ببلاد السند

(ابو الفتح ملكشاه بن الب ارسلان بن محمد بن داود بن ميكال بن سلجوق ابن دقاق الملقب جلال الدولة)

وقد تقدم ذكر أبيه وجماعة من أهل بيته ولما توفى أبوه فى التاريخ المذكور فى ترجمته كان ملكشاه فى صحبته ولم يصحبه قبلها فى سفر غير هذه المرة فولى الامر من بعده بوصية والده وتحليف الامراء والاجناد على طاعته ووصى وزيره نظام الملك أبا على الحسن المقدم ذكره فى حرف الحاء على تفرقة البلاد بين أولاده و يكون مرجعهم الى ملكشاه المذكور ففعل ذلك وعبر بهم نهر جيحون راجعا الى البلاد وقد شرحت الواقعة فى ترجمة والده فلا حاجة الى الاعادة فلما وصل الى البلاد وجد بعض أعمامه قد خرج عليه فعاجله وتصافا بالقرب من همذان فنصره الله عليه وانهزم عمه فتبعه بعض جند ملكشاه فاسروه وحملوه الى ملكشاه فبذل التوبة و رضى بالاعتقال وان لا يقتل فلم يجبه ملكشاه الى ذلك فانفذ له خريطة مملوءة من كتب أمرائه وانهم حملوه على الخروج عن طاعته وحسنوا له ذلك فدعا السلطان الوزير نظام الملك فاعطاه الخريطة ليفتحها و يقرأ مافيها فلم يفتحها وكان هناك كانون نار فرمى الخريطة فيه فاحترقت الكتب فسكنت قلوب العساكر وأمنوا ووطنوا أنفسهم على الخدمة بعد أن كانوا قد خافوا من الخريطة لان أكثرهم كان قد كاتبه وكان سبب ثبات قدم ملكشاه فى السلطنة وكانت هذه معدودة من جميل آراء نظام الملك ثم ان ملكشاه أمر بقتل عمه فخنق بوتر قوسه واستقرت القواعد للسلطان وفتح البلاد واتسعت عليه المملكة وملك مالم يملكه أحد من ملوك الاسلام بعد الخلفاء المتقدمين فانه ملك من كاشغر وهى مدينة فى أقصى بلاد الترك الى بيت المقدس طولا ومن القسطنطينية الى بلاد الخزر عرضا وكان قد قرر لمملكته ملك الدنيا وكان أحسن الملوك سيرة حتى كان يلقب بالسلطان العادل وكان منصورا فى الحروب ومغرما بالعمائر فحفر كثيرا من الانهار وعمر على كثير من البلدان الاسوار وأنشأ فى المفاوز رباطات وقناطر وهو الذى عمر جامع السلطان ببغداد فى سنة خمس وثمانين وأربعمائة وزاد فى دار السلطنة بها وصنع بطريق مكة مصانع وغرم عليها أموالا كثيرة خارجة عن الحصر وابطل المكوس والخفارات فى جميع البلدان وكان لهجا بالصيد حتى قيل انه ضبط مااصطاده بيده فكان عشرة آلاف فتصدق بعشرة آلاف دينار بعد ان نسى كثيرا منه وقال انى خائف من الله سبحانه وتعالى فى ازهاق الارواح لغير مأكلة وصار بعد ذلك كلما قتل صيدا تصدق بدينار وخرج من الكوفة لتوديع الحاج فجاوز العذيب وشيعهم بالقرب من الواقصة وصاد فى

ظلمات بعضها فوق بعض ولما ارتفعت تلك الطامة وفتح أعينهم الخاصة والعامة تفقد كل امرئ صاحبه و رفيقه ومصاحبه فاذا المرحوم وفرقة من رفقته وأرباب صحبته فقدوا ولم ير لهم أثر ولم يسمع عنهم خبر (بيت)

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

وحكى انه كان رحمه الله قاعدا فى كوثل السفينة مع سبعة عشر نفرا من أصحابه وخلاصة احزابه فلما غشيهم من اليم ماغشيهم وأحاطهم ذلك الموج الكبير رمى بالكوثل الى البحر مع من به من الكبير والصغير وكان المرحوم يقرأ القرآن ويسأل الفرج من الملك الرحمن فما غرق الا والمصحف على صدره أغرقهم الله فى بحار رحمته وجمع شملهم فى حدائق جنته وحلول الباس بهذه الفئة سنة تسع وستين وتسعمائة وقد مضى من عمره خمسون سنة وكان رحمه الله من فحول عصره وأكابر دهره صاحب تحقيق وتدقيق وتوفيق وتلفيق قوى الجنان نافذ الكلام يلوح من جبينه آثار الفوز والسعادة يصرف أكثر أوقاته فى مطالعة الكتب والعبادة وكان فى طريق الحق من السيوف

طريقه وحشا كثيرا فبنى هنالك منارة من حوافر الحمر الوحشية وقرون الظباء التي صادها في ذلك الطريق والمنارة باقية الى الآن وتعرف بمنارة القرون وذلك في سنة ثمانين وأربعمائة وكانت السبل في ايامه ساكنة والمخاوف آمنة تسير القوافل مما وراء النهر الى أقصى الشام وليس معها خفير ويسافر الواحد والاثنان من غير خوف ولا رهب وحكى محمد بن عبد الملك الهمداني في تاريخه ان السلطان ملكشاه المذكور توجه لحرب أخيه تتش فاجتاز بمشهد علي بن موسى الرضا رضي الله عنهما بطوس ودخل مع نظام الملك الوزير وصليا فيه وأطالا الدعاء ثم قال لنظام الملك باي شيء دعوت قال دعوت الله تعالى أن ينصرك و يظفرك باخيك فقال أما أنا فلم أدع بهذا بل قلت اللهم انصر اصلحنا للمسلمين وأنفعنا للرعية ثم قال الهمداني أيضا عقيب هذا وحكى ان واعظا دخل عليه ووعظه فكان في جملة ما حكى له ان بعض الاكاسرة اجتاز منفردا من عسكره على باب بستان فتقدم الى الباب وطلب ماء يشربه فاخرجت له صبية اناء فيه ماء السكر والثلج فشربه واستطابه فقال لها هذا كيف يعمل فقالت ان قصب السكر يزكو عندنا حتى نعصره بايدينا فيخرج منه هذا الماء فقال رجعي واحضري منه شيأ آخر وكانت الصبية غير عارفة به ففعلت فقال في نفسه الصواب ان أعوضهم عن هذا المكان وأصطفيه لنفسي فما كان باسرع من خروجها باكية وقالت ان نية سلطاننا قد تغيرت فقال ومن أين علمت ذلك قالت كنت آخذ من هذا ما أريد من غير تعسف والآن قد اجتهدت في عصر القصب فلم يسمح ببعض ما كان يأتي فعلم صدقها فرجع عن تلك النية ثم قال لها ارجعي الآن فانك تبلغين الغرض وعقد على نفسه أن لا يفعل ما نوى فخرجت الصبية ومعها ما شاءت من قصب السكر وهي مستبشرة فقال للواعظ فلم لا تذكر للرعية ان كسرى اجتاز على بستان فقال للناطور ناولني عنقودا من الحصرم فقال له ما يمكنني ذلك فان السلطان لم يأخذ حقه ولا تجوز لي خيانته فعجب الحاضرون من مقابلته الحكاية بمثلها ومعارضته بما أوجب الحق له ما أوجب الحق عليه وحكى الهمداني أيضا ان سواديا لقيه وهو يبكي فسأله السلطان عن سبب بكائه فقال ابتعت بطيخا بدريهمات لا أملك غيرها فلقيني ثلاثة أغلمة أتراك فأخذوه مني ومالي حيلة سواه فقال امسك واستدعى فراشا وكان عندنا كورة البطيخ وقال له ان نفسي اشتاقت الى البطيخ فطف في العسكر وانظر من عنده شيء منه فاحضره فعاد ومعه بطيخ فقال عند من رأيته قال عند الامير فلان فاحضره فقال له من أين لك هذا البطيخ فقال جاء به الغلمان فقال أريدهم الساعة فمضى وقد عرف نية السلطان فيهم فهربهم وعاد فقال لم أجدهم فالتفت الى السوادي وقال هذا مملوك وقد وهبته لك حيث لم يحضر القوم الذين أخذوا متاعك والله لئن خليته لاضربن رقبتك فاخذه السوادي بيده واخرجه من بين يدي السلطان فاشترى الامير منه نفسه بثلثمائة دينار وعاد السوادي وقال يا سلطان قد بعت المملوك بثلثمائة دينار فقال أوقد رضيت قال نعم قال امض مصاحبا وكانت البركة واليمن مقرونين بناصيته فكان اذا دخل أصبهان أو بغداد أو أي بلد كان دخل معه عدد لا يحصى كثرة فيرخص السعر وتنحط أثمان الاشياء عما كانت عليه و يكتسب المتعيشون مع عسكره الكسب الكثير وحكى الهمداني أيضا انه أحضرت اليه مغنية وهو بالري فاعجب بها فاستطاب غناءها فهم بها فقالت يا سلطان اني اغار على هذا الوجه الجميل ان يعذب بالنار فان الحلال أيسر وبينه و بين الحرام كلمة فقال صدقت واستدعى بالقاضي فتزوجها منه وابتنى بها وتوفي عنها وعيون محاسنه أكثر من ان تحصى وحكى الهمداني أيضا ان نظام الملك الوزير وقع للملاحين الذين عبروا بالسلطان والعسكر نهر جيحون على العامل بانطاكية وذلك لسعة المملكة وكانت أجرة المعابر أحد عشر ألف دينار وتزوج الامام المقتدي بالله أمير المؤمنين ابنة السلطان وكان السفير في الخطبة الشيخ أبو اسحق الشيرازي صاحب المهذب والتنبيه رحمه الله تعالى وأنفذه الخليفة الى نيسابور لهذا السبب فان السلطان كان هنالك فلما وصل اليه أدى الرسالة ونجز الشغل قال الهمداني أيضا وعاد الشيخ أبو اسحق الى بغداد في أقل من أربعة أشهر وناظر امام الحرمين هنالك فلما أراد الانصراف من نيسابور خرج امام الحرمين للوداع وأخذ بركابه حتى ركب أبو اسحق فظهر له في خراسان منزلة عظيمة وكانوا يأخذون التراب الذي وطئته بغلته

الصوارم لا يخاف في الله لومة لائم وكان ينظم الشعر المحكم المشتمل على نبذ من الحكم وقد ظفرت بهذه الابيات اللحيقة بالاثبات وقد قالها قبل موته بايام على ما نقله بعض الاعلام

(شعر)

أيا طالبا مالا وتزعم ماله كا * فمالك تدعو للعوارى بمالكا
قم واشتغل كسب الكمال فانه * كمالك عند الله ليس كمالكا
وناج بذكر الله انك باسمه * لناج من الاحزان في كل حالكا
الهي ومولائي علمتك محسنا * جميلا فاماني بنور جمالكا
وجد نظرة وارفع حجاب هويتي * ولا تحرمني نفحة من وصالكا
أتيتك من كل الوسائل عاريا * ولم أك في هذا شقيا وهالكا
نهاية آمالي لقاؤك مسرعا * فيا موصل المشتاق بلغ هنالكا

وعلق حواشي على تفسير البيضاوي وعلى الهداية والعناية وفتح القدير وصدر الشريعة وعلى شرح المفتاح للشريف وعلى المطول الان أكثرها في حواشي الكتب ولم يتيسر له الجمع والترتيب ضاعف الله اجره انه قريب مجيب

*(وممن انسلك في سلك هؤلاء السادة المولى نعمة

ويتبركون

ويتبركون به وكان زفاف ابنة السلطان الى الخليفة في سنة ثمانين وأربعمائة وفي صبيحة دخولها عليه أحضر الخليفة المقتدي عسكر السلطان على سماط صنعه لهم كان فيه أربعون ألف من سكر وفي بقية هذه السنة رزق الخليفة ولدا من ابنة السلطان سماه أبا الفضل جعفرا وزينت بغداد لاجله وكان السلطان قد دخل الى بغداد دفعتين وهي من جملة بلاده التي تحتوي عليها مملكته وليس للخليفة سوى الاسم فلما عاد اليها في الدفعة الثالثة دخلها في أوائل شوال سنة خمس وثمانين وأربعمائة وخرج من فوره الى ناحية دجيل لاجل الصيد فاصطاد وحشا وأكل من لحمه فابتدأت به العلة وافتصد فلم يكثر من اخراج الدم فعاد الى بغداد مريضا ولم يصل اليه أحد من خاصته فلما دخلها توفي ثاني يوم دخوله وهو السادس عشر من شوال سنة خمس وثمانين وأربعمائة رحمه الله تعالى وكانت ولادته في التاسع من جمادى الاولى سنة سبع وأربعين وأربعمائة ولما مات لم يشهد له أحد جنازة ولا صلى عليه أحد في الصورة الظاهرة ولا جلسوا للعزاء ولا حذف عليه ذنب فرس كعادة أمثاله بل كأنه اختلس من العالم وحمل تابوته الى أصبهان ودفن بها في مدرسة عظيمة موقوفة على طائفة الشافعية والحنفية ومن عجيب الاتفاق انه لما دخل بغداد في هذه المرة وكان للخليفة ولدان أحدهما المستظهر بالله والآخر أبو الفضل جعفر ابن بنت السلطان وقد تقدم ذكر ولادته وكان الخليفة قد بايع لولده المستظهر بولاية العهد من بعده لانه كان الاكبر فالزم السلطان الخليفة أن يخلعه ويجعل ابن بنته جعفرا ولي عهده ويسلم بغداد اليه ويخرج الخليفة الى البصرة فشق ذلك على الخليفة وبالغ في استنزال السلطان عن هذا الرأي فلم يفعل وطلب المهلة عشرة أيام ليتجهز فامهله فقيل ان الخليفة في تلك الايام يصوم ويطوي واذا أفطر جلس على الرماد للافطار وهو يدعو الله سبحانه وتعالى على السلطان فمرض السلطان في تلك الايام ومات وكفي الخليفة أمره وتزوج الامام المستظهر بالله ابنته خاتون العصمة في سنة اثنتين وخمسمائة وقد تقدم ذكر أولاده الثلاثة الملوك وهم بركيارق وسنجر ومحمد كل واحد له ترجمة في حرفه رحمهم الله تعالى أجمعين وكاشغر بفتح الكاف وبعد الالف شين معجمة ساكنة وغين معجمة مفتوحة وبعدها راء وقد ذكرت أين هي فلا حاجة الى اعادته والواقصة بفتح الواو وبعد الالف قاف مكسورة وبعدها صاد مهملة مفتوحة ثم هاء ساكنة وهي منزلة معروفة بطريق مكة يقال لها واقصة الحزون والباقي معروف فلا حاجة الى تفسيره

(ابو الحسن منصور بن اسمعيل بن عمر التميمي المصري الفقيه الشافعي الضرير)

أصله من رأس عين البلد المشهورة بالجزيرة وأخذ الفقه عن أصحاب الشافعي رضي الله عنه وعن أصحابه وله مصنفات في المذهب مليحة منها الواجب والمستعمل والمسافر والهداية وغير ذلك من الكتب وله شعر جيد سائر وذكره الشيخ أبو اسحق الشيرازي رحمه الله تعالى في طبقات الفقهاء وأنشد له

عاب التفقه قوم لا عقول لهم * وما عليه اذا عابوه من ضرر
ما ضر شمس الضحى والشمس طالعة * ان لا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

ومن هنا أخذ أبو العلاء المعري قوله من قصيدته المشهورة

والنجم يستصغر الابصار رؤيته * والذنب للطرف لا للنجم في الصغر

ومن شعره أيضا لي حيلة فيمن ينم * وليس في الكذاب حيله من كان يخلق ما يقو * ل فحيلتي فيه قليله وله أيضا الكلب احسن عشرة * وهو النهاية في الخساسة ممن ينازع في الريا * سة قبل أوقات الرياسة وحكى انه أصابته مسغبة في سنة شديدة القحط فرقي سطح داره ونادى باعلى صوته في الليل

الغياث الغياث يا أحرار * نحن خلجانكم وأنتم بحار
انما تحسن المواساة في الشدة لا حين ترخص الاسعار

فسمعه جيرانه فاصبح على بابه مائة حمل برا وحكاياته وأخباره مشهورة وتوفي في جمادى الاولى سنة ست وثلثمائة بمصر وقال الشيخ أبو اسحق في الطبقات انه مات قبل العشرين والثلثمائة رحمه الله تعالى وذكره

الله الشهير بروشني زاده)*

كان أبوه من زمرة القضاة الحاكمين في بعض القصبات فلما مات وترك لابنه أموالا جليلة أفناها في مستلذات نفسه في أزمنة قليلة وطلب العلم وحضر المجالس والمجامع حتى صار ملازما لعبد الواسع ثم درس بمدرسة بايزيد باشا في مدينة بروسه بعشرين ثم مدرسة قاسم باشا في المدينة المزبورة بخمسة وعشرين ثم فيها بمدرسة أحمد باشا ابن ولي الدين بثلاثين ثم فيها أيضا بمدرسة يلدرم خان باربعين ثم مدرسة طربوزن بخمسين ثم مدرسة السلطان في بروسه بالوظيفة المزبورة ثم صارت وظيفته فيها ستين وولي تفتيش أوقاف بروسه ثم قضاء بغداد ثم نقل الى قضاء حلب ثم عزل وولي مدرسة السلطان مراد في بروسه في كل يوم ثمانون درهما ثم عزل وعين له وظيفته السابقة ثم قلد قضاء المدينة المنورة على ساكنها الصلاة والسلام وحمدت سيرته فيها وتوفي وهو قاض فيها سنة تسع وستين وتسعمائة وكان رحمه الله خفيف الروح ظريف الطبع لذيذ الصحبة صاحب لطائف ونوادر ذا مشاركة في العلوم و يقال ان له يدا في علم الكلام وكان في لسانه بذاذة وسفه يحذر الناس من شره عفا الله تعالى عنه

القاضي أبو عبد الله في كتاب خطط مصر فقال أصله من رأس عين والرملة وقدم الى مصر وسكنها وتوفي سنة ست وثلثمائة وكان فقيها جليل القدر متصرفا في كل علم شاعرا مجيدا لم يكن في زمانه مثله بمصر وكان من أكرم الناس على أبي عبيد القاضي حتى كان منهما ما كان بسبب المسألة وكان لابي عبيد في كل عشية مجلس يذاكر فيه رجلا من أهل العلم ويخلو به خلا عشية الجمعة فانه كان يخلو بنفسه فيها فكان من العشايا عشية يخلو فيها بمنصور وعشية يخلو فيها بابي جعفر الطحاوي وعشية يخلو فيها بمحمد بن الربيع الجيزي وعشية يخلو فيها بعفان بن سليمان وعشية يخلو فيها بالسجستاني وعشية يخلو فيها للنظر مع الفقهاء وربما حدث فجرى بينه وبين منصور في بعض العشايا ذكر الحامل المطلقة ثلاثا ووجوب نفقتها فقال أبو عبيد زعم قوم ان لا نفقة لها في الثلاث وان نفقتها في الطلاق غير الثلاث فانكر ذلك منصور وقال قائل هذا ليس من أهل القبلة ثم انصرف منصور فحدث بذلك أبا جعفر الطحاوي فحكاه أبو جعفر لابي عبيد فانكره وبلغ ذلك منصورا فقال أنا أكذبه واجتمع الناس عند القاضي وتواعدوا الحضور ذلك فلما حضر ولم يتكلم أحد فابتدأ أبو عبيد وقال ما أريد أحدا يدخل على ما أريد منصورا ولا نصارا ولا منتصرا قوم عميت قلوبهم كما عميت أبصارهم يحكون عنا ما لم نقله فقال له منصور قد علم الله الكاذب ونهض فلم يأخذ أحد بيده غير أبي بكر ابن الحداد فانه أخذ بيده وخرج معه حتى ركب وزاد الامر فيما بينهما وتعصب الامير ذكا وجماعة من الجند وغيرهم لمنصور وتعصب للقاضي جماعة وشهد على منصور محمد بن الربيع الجيزي بكلام سمعه منه يقال ان منصورا حكاه عن النظام فقال القاضي ان شهد عليه آخر مثل ما شهد به عليه محمد بن الربيع ضربت عنقه فخاف على نفسه ومات في جمادى الاولى من السنة المذكورة وخاف أبو عبيد ان يصلي عليه لاجل الجند الذين تعصبوا لمنصور فتأخر عن جنازته لهذا السبب وحضرها الامير ذكا وابن بسطام صاحب الخراج وأوعب الناس ولم يتخلف أحد وذكر أبو عبيد ان منصورا قال عند موته

قضيت نحبي فسر قوم * حمقى بهم غفلة ونوم
كان يومي على حتم * وليس للشامتين يوم

فاطرق أبو عبيد ساعة ثم قال

تموت قبلي ولو بيوم * ونحن يوم النشور توم
فقد فرحنا وقد شمتنا * وليس للشامتين لوم

(ابو علي المنصور الملقب الحاكم بامر الله بن العزيز بن المعز بن المنصور بن القاسم ابن المهدي صاحب مصر)

وقد تقدم ذكر أجداده وجماعة من احفاده وسيأتي ذكر أبيه في حرف النون ان شاء الله تعالى وكلهم كانوا يتسمون بالخلفاء وتولى الحاكم المذكور عهد أبيه في حياته وذلك في شعبان سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة ثم استقل بالامر يوم وفاة والده على ما سيأتي في تاريخه ان شاء الله تعالى وكان جوادا بالمال سفاكا للدماء قتل عددا كثيرا من أماثل أهل دولته وغيرهم صبرا وكانت سيرته من أعجب السير يخترع كل وقت أحكاما يحمل الناس على العمل بها منها انه أمر الناس في سنة خمس وتسعين وثلثمائة بكتب سب الصحابة رضوان الله عليهم في حيطان المساجد والمقابر والشوارع وكتب الى سائر عمال الديار المصرية يأمرهم بالسب ثم أمر بقلع ذلك ونهى عنه وعن فعله سنة سبع وتسعين ثم تقدم بعد ذلك بمدة يسيرة بضرب من يسب الصحابة وتأديبه ثم يشهر ومنها انه أمر بقتل الكلاب في سنة خمس وتسعين وثلثمائة فلم ير كلب في الاسواق والازقة والشوارع الا قتل ومنها انه نهى عن بيع الفقاع والملوخيا والترمس والجرجير والسمك الذي لا قشر له وأمر بالتشديد في ذلك والمبالغة في تأديب من يتعرض لشئ منه وظهر على جماعة انهم باعوا أشياء منه فضربهم بالسياط وطيف بهم ثم ضربت أعناقهم ومنها انه في سنة اثنتين وأربعمائة نهى عن بيع الزبيب قليله وكثيره على اختلاف أنواعه ونهى التجار عن حمله الى مصر ثم جمع بعد ذلك منه جملة كثيرة وأحرق جميعها ويقال ان مقدار النفقة التي غرموها على احراقه كانت خمسمائة دينار وفي هذه السنة منع من بيع العنب وأنفذ الشهود الى الجيزة حتى قطعوا كثيرا من كرومها ورموها في الارض وداسوها بالبقر وجمع

(وقد حكى عنه) بعض الثقات غريبة ظهرت في أيام قضائه في بغداد وهي انه قال طلب أهل محلة من بغداد توسيع بعض الجوامع فعرضت ذلك على السلطان فورد الامر بالتوسيع فلما باشرناه وجدنا بجوار الجامع بعضا من القبور العتيقة منها قبر الشريف المرتضى علي بن طاهر فقصدنا نقل تلك القبور فلما فتحنا قبر الشريف رأيناه مكفنا كأنه وضع في أمس ذلك اليوم فرفع بعض من حضره طرف الكفن عن وجهه فاذا بشيخ جميل الصورة صاحب شيبة عظيمة لم يتطرق اليه شئ من آثار التفرق كأنه حي نائم فتعجبنا منه وغلب علينا دهشة وهيبة فلم نقدم على نقله واخراجه من قبره فتركناه ووسعنا قبره فبقي داخل المسجد والشريف هذا من أولاد علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وكان اماما في علم الكلام والادب والشعر وله تصانيف على مذهب الشيعة ومقالة في أصول الدين وله ديوان شعر وقد اختلف الناس في كتاب نهج البلاغة المجموع من كلام الامام علي رضي الله عنه هل هو جمعه أم جمع أخيه الرضي وله الكتاب الذي سماه الغرر والدرر يشتمل على فنون من الادب تكلم فيها على

ما كان في مخازنها من جرار العسل فكانت خمسة آلاف جرة وحملت الى شاطئ النيل وكسرت وقلبت في بحر النيل وفي هذه السنة أمر النصارى واليهود الا الخيابرة بلبس العمائم السود وان تحمل النصارى في أعناقهم الصلبان ما يكون طوله ذراعا ووزنه خمسة أرطال وان تحمل اليهود في أعناقهم قرامي الخشب على وزن صلبان النصارى ولا يركبوا شيئا من المراكب المحلاة وأن تكون ركبهم من الخشب ولا يستخدموا أحدا من المسلمين ولا يركبوا حمار المكاري مسلم ولا سفينة نوتيها مسلم وأن يكون في اعناق النصارى اذا دخلوا الحمام الصلبان وفي اعناق اليهود الجلاجل ليتميزوا عن المسلمين ثم أفرد حمامات اليهود والنصارى من حمامات المسلمين وحط على حمامات النصارى الصلبان وعلى حمامات اليهود صور القرامي وذلك في سنة ثمان وأربعمائة وفيها أمر بهدم الكنيسة المعروفة بقمامة وجميع الكنائس بالديار المصرية ووهب جميع ما فيها من الآلات وجميع ما لها من الارباع والاحباس لجماعة من المسلمين وتتابع اسلام جماعة من النصارى وفي هذه السنة نهى عن تقبيل الارض له وعن الدعاء والصلاة عليه في الخطب وان يجعل عوض ذلك السلام على أمير المؤمنين وفي سنة أربع وأربعمائة أمر ان لا ينجم أحد ولا يتكلم في صناعة النجوم وان ينفى المنجمون من البلاد فحضر جميعهم الى القاضي مالك بن سعيد الحاكم بمصر وعقد عليهم توبة وأعفوا من النفي وكذلك أصحاب الغناء وفي شعبان من هذه السنة منع النساء من الخروج الى الطرقات ليلا ونهارا ومنع الاساكفة من عمل الخفاف للنساء ومحيت صورهن من الحمامات ولم تزل النساء ممنوعات عن الخروج الى أيام ولده الظاهر المقدم ذكره وكانت مدة منعهن سبع سنين وسبعة أشهر وفي شعبان سنة احدى عشرة وأربعمائة تنصر جماعة ممن كان أسلم من النصارى فأمر ببناء ما كان قد هدم من كنائسهم ورد ما كان قد أخذ من احباسها وبالجملة فهذه نبذة من أحواله وان كان شرحها يطول وكان أبو الحسن علي المعروف بابن يونس المنجم قد صنع له الزيج المعروف بالحاكمي وهو زيج كبير مبسوط ونقلت من خط الحافظ أبي طاهر بن أحمد بن محمد السلفي رحمه الله تعالى ان الحاكم المذكور كان جالسا في مجلسه العام وهو حفل باعيان دولته فقرأ بعض الحاضرين قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما والقارئ في أثناء ذلك يشير الى الحاكم فلما فرغ من القراءة قرأ شخص آخر يعرف بابن المشجر وكان رجلا صالحا يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيأ لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوي عزيز فلما انتهت قراءته تغير وجه الحاكم ثم أمر لابن المشجر المذكور بمائة دينار ولم يطلق للآخر شيأ ثم ان بعض أصحاب ابن المشجر قال له أنت تعرف خلق الحاكم وكثرة استحالاته وما نأمن أن يحقد عليك وانه لا يؤاخذك في هذا الوقت ثم يؤاخذك بعد هذا فتتأذى منه ومن المصلحة عندي أن تغيب عنه فتجهز ابن المشجر للحج وركب في البحر وغرق فرآه صاحبه في النوم فسأله عن حاله فقال ما قصر الديان معنا ارسى بنا على باب الجنة رحمه الله تعالى وذلك ببركة جميل نيته وحسن قصده والحاكم المذكور هو الذي بنى الجامع الكبير بالقاهرة بعد ان كان قد شرع فيه والده العزيز بالله كما سيأتي ذكره في ترجمته ان شاء الله تعالى وأكمله ولده وبنى جامع راشدة بظاهر مصر وكان شروعه في عمارته يوم الاثنين سابع عشر شهر ربيع الاول سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة وكان متولي بنائه الحافظ أبا محمد عبد الغني بن سعيد والمصحح لمحرابه أبا الحسن علي بن يونس المنجم وقد تقدم ذكرهما وأنشأ عدة مساجد بالقاهرة وغيرها وحمل الى الجوامع من المصاحف والآلات الفضية والستور والحصر السامانية ما له قيمة طائلة وكان يفعل الشئ وينقضه وكانت ولادته بالقاهرة ليلة الخميس الثالث والعشرين من شهر ربيع الاول سنة خمس وسبعين وثلثمائة وكان يحب الانفراد والركوب على بهيمة وحده فاتفق انه خرج ليلة الاثنين السابع والعشرين من شوال سنة احدى عشرة وأربعمائة الى ظاهر مصر وطاف ليلته كلها وأصبح عند قبر الفقاعي ثم توجه الى شرقي حلوان ومعه ركابيان فأعاد أحدهما مع تسعة من العرب السويديين ثم

النحو واللغة وغير ذلك ولد رحمه الله سنة خمس وخمسين وثلثمائة ومات ببغداد سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة كذا ذكره ابن خلكان

(ومن العلماء العاملين والصلحاء الكاملين شاه علي چلبي ابن المرحوم قاسم بك)

وهو من الغلمان الذين يخدمون في دار السعادة العامرة في عهد السلطان محمد خان ولما خرج منها صار متوليا لبعض العمائر منها عمارة بولاير وكان رجلا من أرباب الفلاح وأصحاب الزهد والصلاح ونشأ ابنه المرحوم في حجر أبيه المرقوم فلما فرق الشمال من اليمين وميز الغث عن السمين وعلم ان شرف الانسان على ما نطق به نص القرآن بالفضل والتقى والعلم والنقا وان الدهر فرص وأكثره غصص والوقت سيف قاطع والعمر برق لامع سار نحو تحصيل العلوم الظاهرة وترتيب أسباب السعادة في الاولى والآخرة وقرأ على العالم الامجد عبد الرحمن بن علي المؤيد فلما حصل منها طرفا صالحا ترك كل ما يحبه ويهواه وتمحض لعبادة مولاه وكان شابا نشأ في عبادة الله وصاحب ارباب الحقيقة ورجال الطريقة منهم الشيخ محمود النقشبندي والشيخ جمال الدين الخلوتي وثبت في مداحض

أعادالر كابى الآخروذ كرهذاالر كابى انه خلفه عند القبر والمقصبة وبقى الناس على رسمهم يخرجون يلتمسون رجوعه ومعهم دواب المو كب الى يوم الخميس سلخ الشهر المذ كورثم خرج يوم الاحد ثانى ذى القعدة مظفرصاحب المظلة وخطلبا الصقلبى ونسيم متولى الستر وابن نشتكين التركى صاحب الرمح وجماعة من الاولياء الكتاميين والاتراك فبلغوا دير القصر والموضع المعروف بسلوان ثم أمعنوا فى الدخول فى الجبل فبينماهم كذلك اذ أبصروا حماره الاشهب الذى كان راكبا عليه المدعو بالقمر وهو على قرنة الجبل وقد ضربت يداه بسيف فأثر فيهما وعليه سرجه ولجامه فتتبعوا أثر الحمار فى الارض وأثر راجل خلفه وراجل قدامه فلم يزالوا يقصون هذا الاثر حتى انتهوا الى باب البركة التى فى شرقى حلوان فنزل اليها بعض الرجالة فوجد فيها ثيابه وهى سبع جباب ووجدت مزررة لم تحل ازرارها وفيها آثار السكاكين فأخذت وحملت الى القصر بالقاهرة ولم يشك فى قتله مع ان جماعة من المغالين فى حبه السخيفى العقول يظنون حياته وانه لابد أن يظهر ويحلفون بغيبة الحاكم وتلك خيالات هذيانية ويقال ان أخته دست عليه من يقتله لامر يطول شرحه والله أعلم وابن المشجر بضم الميم وفتح الشين المعجمة والجيم المشددة وبعدها راء وحلوان بضم الحاء المهملة وسكون اللام وفتح الواو وبعد الالف نون وهى قرية مليحة كثيرة النزه فوق مصر بمقدار خمسة أميال وكان يسكنها عبد العزيز بن مروان بن الحكم الاموى لما كان واليا بمصر نيابة عن أخيه عبد الملك أيام خلافته وبها توفى وبها ولد عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه

(أبو على المنصور الملقب الآمر باحكام الله بن المستعلى بن المستنصر بن الظاهر بن الحاكم العبيدى المذكور قبله)

وقد تقدم بقية نسبه وسبق ذكر والده فى الاحمدين فى حرف الهمزة وبويع الآمر بالولاية يوم مات أبوه فى التاريخ المذكور فى ترجمته وأقام بتدبير دولته الافضل شاهنشاه بن أمير الجيوش المذكور فى حرف الشين وكان وزير والده وقد ذكرنا فى ترجمته طرفا من اخبار الامير المذكور ولما اشتد الآمر وفطن لنفسه قتل الافضل حسبما تقدم شرحه واستوزر المأمون أبا عبد الله محمد بن أبى شجاع فاتك البطائحى فاستولى هذا الوزير عليه وقبح سمعته وأساء سيرته ولما كثر ذلك منه قبض عليه الآمر أيضا ليلة السبت رابع شهر رمضان سنة تسع عشرة وخمسمائة واستصفى جميع أمواله ثم قتله فى رجب سنة احدى وعشرين وصلب بظاهر القاهرة وقتل معه خمسة من اخوته أحدهم يقال له المؤتمن وكان متكبرا متجبرا خارجا عن طوره وله أخبار مشهورة وكان الآمر سيئ الرأى جائر السيرة مستهترا متظاهرا باللهو واللعب وفى أيامه أخذ الفرنج مدينة عكا فى شعبان سنة سبع وتسعين وأربعمائة وأخذوا طرابلس الشام بالسيف يوم الاثنين لاحدى عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة اثنتين وخمسمائة وكان أخذهم لها بالسيف ونهبوا ما فيها وأسروا رجالها وسبوا نساءها وأطفالها وحصل فى أيديهم من أمتعتها وذخائرها وكتب دار علمها وما كان فى خزائن أربابها ما لا يحد ولا يحصى وعوقب من بقى من أهلها واستصفيت أموالهم ثم وصلتها نجدة المصريين بعد فوات الامر فيها وفى هذه السنة ملكوا عرقة وكان نزولهم عليها أول شعبان من السنة المذكورة وفيها ملكوا بانياس وفيها تسلموا جبل الامان وتسلموا قلعة تبنين يوم الجمعة لثمان بقين من ذى الحجة سنة احدى عشرة وخمسمائة ثم تسلموا مدينة صور يوم الاثنين لسبع بقين من جمادى الاولى سنة ثمان عشرة وخمسمائة وكان الوالى بها من جهة الاتابك ظهير الدين طغتكين المذكور فى حرف التاء فى ترجمة تتش بن ألب ارسلان وكان يومئذ صاحب دمشق وما والاها ولما ملكوا صور ضربوا السكة باسم الآمر المذكور مدة ثلاث سنين ثم قطعوا ذلك وأخذوا بيروت يوم الجمعة الحادى والعشرين من شوال سنة ثلاث وخمسمائة بالسيف وأخذوا صيدا لعشر بقين من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسمائة وفى أيام الآمر أيضا سنة أربع وخمسمائة وقيل سنة احدى عشرة والله أعلم قصد بردويل الفرنجى الديار المصرية ليأخذها وانتهى الى الفرما ودخلها وأحرقها وأحرق جامعها ومساجدها ورحل عنها وهو مريض فهلك فى الطريق قبل وصوله الى العريش

فشق

الشكوك ثم وزع أوقاته بين العبادة والافادة حتى وصل عمره الى خمس وستين فقصر وقته فى العبادة ويحكى انه لازم فى كل مساء وصباح الصف الاول وتكبير الافتتاح فى جامع اياصوفيه أكثر من أربعين سنة ضاعف الله أجره فما أحسنه ولما لم تكن نفسه من نوع الرياسة خالية لم يقبل تدريس مدرسة ولا مشيخة زاوية وكلما طلب الاعيان صحبته وأحبوا رؤيته أظهر لهم الانقباض وأرى الاعراض لخلوص جوهره عن الأعراض وخلو قلبه عن الاغراض (شعر)

ان لله عبادا فطنا
طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
فكروا فيها فلما علموا
انها ليست لحى وطنا
جعلوها لجة واتخذوا
صالح الاعمال فيها سفنا

(وممن رزق التميز والاشتهار فى أنواع الفضل وضروبه لكن عاق ظهوره بخفائه وطلوعه بغروبه شمس الدين أحمد ابن أبى السعود عامله الله بلطفه فى دار الخلود)

ولد رحمه الله وآثار السيادة من ناصيته ظاهرة وأنوار السعادة فى جبينه باهرة يتلى من بياض غرته وصحيفة خده آيات نجابة أبيه وعزة جده ويروى من سلسلة هذا النجل النبيه حديث الولد سر أبيه فلما وصل

فشق أصحابه بطنه ورموا حشوته هنالك فهى ترجم الى اليوم ورحلوا بجثته فدفنوها بقمامة وسبخة بردويل التى فى وسط الرمل على طريق الشام منسوبة الى بردويل المذكور والحجارة الملقاة هنالك والناس يقولون هذا قبر بردويل انما هى هذه الحشوة وكان بردويل صاحب بيت المقدس وعكا ويافا وعدة بلاد من ساحل الشام وهو الذى أخذ هذه البلاد المذكورة من المسلمين وفى هذه السنة أيضا خرج المهدى محمد بن تومرت المقدم ذكره من مصر وصاحبها الآمر المذكور الى بلاد المغرب فى زى الفقهاء وجرى له هنالك ما سبق شرحه فى ترجمته وكانت ولادة الآمر يوم الثلاثاء ثالث عشر محرم سنة تسعين وأربعمائة بالقاهرة وتولى وعمره خمس سنين ولما انقضت أيامه خرج من القاهرة صبيحة يوم الثلاثاء ثالث ذى القعدة سنة أربع وعشرين وخمسمائة ونزل الى مصر وعدى على الجسر الى الجزيرة التى قبالة مصر فكمن له قوم بالاسلحة وتواعدوا على قتله فى السكة التى يمر فيها الى فرن هنالك فلما مر بهم وثبوا عليه فلعبوا عليه باسيافهم وكان قد جاوز الجسر وحده مع عدة قليلة من غلمانه وبطانته وخاصته وشيعته فحمل فى النيل فى زورق ولم يمت وأدخل القاهرة وهو حى وجىء به الى القصر فمات من ليلته ولم يعقب وهو العاشر من أولاد المهدى عبيد الله القائم بسجلماسه المقدم ذكره وانتقل الامر الى ابن عمه الحافظ عبد المجيد المقدم ذكره رحمهم الله تعالى وكان قبيح السيرة ظالما للناس بأخذ أموالهم وسفك دمائهم وارتكب المحظورات واستحسن القبائح فابتهج الناس بقتله وكان ربعة شديد الادمة جاحظ العينين حسن الخط والمعرفة والعقل وأما المأمون بن البطائحى الوزير المذكور فهو الذى بنى الجامع الاقمر بالقاهرة سنة خمس عشرة وخمسمائة وكان الافضل ابن أمير الجيوش قد شرع فى عمارة جامع النيل بظاهر مصر عند الرصد المطل على بركة الحبش فى سنة ثمان وتسعين وأربعمائة ولم يكمله فأكمله المأمون بعده فى مدة وزارته والله أعلم

(قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكى بن آق سنقر المعروف بالاعرج صاحب الموصل)

وقد تقدم ذكر طرف من خبره فى ترجمة أخيه نور الدين محمود صاحب الشام وذكر أولاده الثلاثة وهم سيف الدين غازى الذى تولى السلطنة بعده وعز الدين مسعود وعماد الدين زنكى صاحب سنجار واستوعبت فى ترجمة غازى ما جرى من نور الدين عقيب موت قطب الدين وانه قصد الموصل ثم قرر أمر غازى المذكور فيها ورتب أحوال أولاد أخيه كلهم وفى تلك السفرة بنى نور الدين الجامع النورى داخل الموصل وهو مشهور هنالك يقام فيه الجمعة وكان سبب عمارته ما حكاه العماد الاصبهانى فى البرق الشامى عند ذكره لوصول نور الدين الى الموصل انه كان بالموصل خربة متوسطة البلد واسعة وقد أشاعوا عنها ما ينفر القلوب منها وقالوا ما شرع فى عمارتها الا من ذهب عمره ولم يتم على مراده أمره فأشار عليه الشيخ الزاهد معين الدولة عمر الملا وكان من كبار الصالحين بابتناء الخربة وبنى بها جامعا وانفق فيها أموالا جزيلة ووقف على الجامع ضيعة من ضياع الموصل وكان قطب الدين قد تولى السلطنة بالموصل وتلك البلاد عقيب موت أخيه سيف الدين غازى الاكبر المقدم ذكره أيضا وكان حسن السيرة عادلا فى حكمه وفى دولته عظم شأن جمال الدين محمد الوزير الاصبهانى المعروف بالجواد المقدم ذكره وهو الذى قبض عليه حسبما سبق شرحه وكان مدبر دولته وصاحب رأيه الامير زين الدين على كجك والد مظفر الدين صاحب اربل وكان نعم المدبر والمشير لصلاحه وخيره وحسن مقاصده مع شجاعة تامة وفروسية مشهورة وقد تقدم أيضا ذكره فى ترجمة ولده مظفر الدين فى حرف الكاف ولم يزل قطب الدين المذكور على سلطنته ونفاذ كلمته الى أن توفى فى شوال سنة خمس وستين وخمسمائة وقيل فى الثانى والعشرين من ذى الحجة من السنة المذكورة وذكر أسامة بن منقذ فى كتاب له صغير ذكر فيه من أدركه فى عمره من ملوك البلدان قطب الدين المذكور توفى سلخ شهر ربيع الآخر سنة ست وستين وخمسمائة وليس بصحيح فان أخاه نور الدين كان بالموصل فى شهر ربيع الآخر وجاءته رسل الخليفة وهو مخيم على الموصل فى الشهر المذكور ولم يتوجه نور الدين اليها الا بعد وفاة أخيه قطب الدين وكان وفاته بالموصل ومدة عمره أكثر من أربعين سنة بقليل وخلف عدة أولاد وأكثرهم ملك البلاد وقد تقدم

أوان التحصيل وابان التكميل اجتهد فى احراز الفضائل والمعارف واتقان النوادر واللطائف واستضاء هلاله من شمس أبيه فصار بدرا واستمد نهره من سواكب مزنه فأصبح بحرا وحصل المعارف الجليلة فى الازمنة القليلة ووصل الى فنون عدة فى أدنى مدة وبالجملة لما كانت مرآة طبعه مجلوة أصبحت صور فضائل أبيه فيها مخبوة واشتغل أيضا على المولى طاشكبرى زاده ثم صار معيد الدرس أبيه وأكمل كل ما يهمه ويعنيه وصار فى الاشتهار كالشمس فى وسط النهار ولما وصل صيته الى سمع الوزير الكبير رستم باشا أحب رؤيته واستدعاه فلما اجتمع به أعجبه حسن كلامه فأحسن اليه من نفائس الكتب وتبناه ثم أعطاه مدرسته التى بناها فى قسطنطينية بخمسين وسنه اذ ذاك سبعة عشر فشرع فى القاء الدروس وأظهر أمورا خارجة عن طوق البشر ثم نقل الى احدى المدارس الثمان ثم الى مدرسة السلطان محمد ابن السلطان سليمان وتوفى رحمه الله وهو مدرس بها فى شهر جمادى الاولى من سنة سبعين وتسعمائة وما بلغ عمره ثلاثين سنة وكان سبب موته انه خالط بعض الاراذل ورغبه فى أكل بعض المعاجين فالبسه مال

ذكر أبيه وجده وجماعة من أهل بيته رحمهم الله تعالى

(أبو فيد مؤرج بن عمرو بن الحرث بن ثور بن سعد بن حرملة بن علقمة بن عمرو بن سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة السدوسى النحوى البصرى)

أخذ العربية عن الخليل بن أحمد وروى الحديث عن شعبة بن الحجاج وأبى عمرو بن العلاء وغيرهما وكان يقول قدمت من البادية ولا معرفة لى بالقياس فى العربية وانما كانت معرفتى قريحة وأول ما تعلمت القياس فى حلقة أبى زيد الانصارى بالبصرة ودخل الاخفش سعيد بن مسعدة على محمد بن المهلب فقال له محمد من أين جئت فقال الاخفش من عند القاضى يحيى بن أكثم قال فما جرى عنده قال سألنى عن الثقة المأمون المقدم من أصحاب الخليل بن أحمد من هو ومن الذى كان يوثق بعلمه فقلت النضر بن شميل وسيبويه ومؤرج السدوسى وكان الغالب على مؤرج المذكور اللغة والشعر وله تصانيف منها كتاب الانواء وهو كتاب حسن وكتاب غريب القرآن وكتاب جماهير القبائل وكتاب المعانى وغير ذلك واختصر نسب قريش فى مجلد لطيف سماه حذف نسب قريش وكان قد رحل مع المأمون من العراق الى خراسان وسكن مدينة مرو وقدم نيسابور وأقام بها وكتب عنه مشايخها وكان له شعر فمن ذلك ما أنشده هرون بن على بن يحيى المنجم فى كتابه المسمى بالبارع وهو قوله

روعت بالبين حتى ما أراع له * وبالمصائب من أهلى وجيرانى

لم يترك الدهر لى علقا أضن به * الا اصطفاه بنأى أو بهجران

ثم قال ابن المنجم المذكور وهذان البيتان من أملح ما قيل فى معناهما ومثلهما فى معناهما لبعض المحدثين وهو قوله

وفارقت حتى ما أراع من النوى * وان غاب جيران على كرام

فقد جعلت نفسى على النأى تنطوى * وعينى على فقد الحبيب تنام

ومن ههنا أخذ ابن التعاويذى المقدم ذكره قوله

وها أنا لا قلبى يراع لفائت * فيأسى ولا يلهيه حظ فيفرح

وهذا البيت من جملة قصيدة يذكر فيها توجعه لذهاب بصره فمنها قوله مشيرا الى زوجته

وباكية لم تشك فقدا ولا رمى * بجيرتها الادنين نأى مطوح

رمتها يد الايام فى ليث غابها * بفادح خطب والحوادث تفدح

رأت جللا لا الصبر يحمل بالفتى * على مثله يوما ولا الحزن يقبح

فلا غرو ان تبكى الدماء لكاسب * لها كان يسعى فى البلاد ويكدح

عزيز عليها ان ترانى جاثما * ومالى فى الارض البسيطة مسرح

وان لا اقود العيس تنفخ فى البرى * وجرد المذاكى فى الاعنة تمرح

اظل حبيسا فى قرارة منزل * رهين اسى أمسى عليه واصبح

مقامى منه مظلم الجو قاتم * ومسعاى ضنك وهو صحصان أفيح

اقاد به قود الجنيبة مسمحا * وما كنت لولا غدرة الدهر اسمح

كأنى ميت لا ضريح لجنبه * وما كل ميت لا ابالك يضرح

وها أنا لا قلبى يراع لفائت * فيأسى ولا يلهيه حظ فيفرح

فلله نصل فل منى غراره * وعود شباب عاد وهو مصوح

وسقيا لايام ركبت بها الهوى * جموحا ومثلى فى هوى الغى يجمح

وماضى صبا قضيت منه لبانتى * خلاسا وعين الدهر زرقاء تلمح

ليالى لى عند الغوانى مكانة * فالحاظها ترنو الى وتطمح

وليلى بها أضعاف مابى من الهوى * أعرض بالشكوى لها فتصرح

وهى طويلة طنانة مدح بها الامام الناصر لدين الله خليفة بغداد وقال المرزبانى وجدت بخط محمد بن العباس اليزيدى ما مثاله اهدى أبو فيد مؤرج السدوسى الى جدى محمد بن أبى محمد كساء فقال جدى فيه يمدحه

ساشكر ما أولى ابن عمرو مؤرج * وامنحه حسن الثناء مع الود

اغر سدوسى نماه الى العلا * أب كان صبا بالمكارم والمجد

أتينا أبا فيد نؤمل سيبه * ونقدح زندا غير كاب ولا صلد

فاصدرنا بالرى والبذل والنهى * ومازال محمود المصادر والورد

وما أصدق قول من قال
(شعر)
لعمرك ما الايام الا معارة
فما اسطعت من معروفها فتزود
عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدى
فلما أدام أكله تغير مزاجه فركدت انهاره الجارية وأصبحت حدائقه من النضارة عارية ومالت ازهاره الى الذبول وطوالعه الى الغروب والافول وباخرة طارت عنادله وانطفت قناديله وقامت قافلته الى السبيل ونادى منادى الحى الرحيل ولاحظه الزمان بعين القهر فأى نعيم لا يكدره الدهر وأى نهار لم يعقب بالليل وأى سرور لم يثن بالويل فانك لو ملكت ملك شداد وعاد اليك قدرة العمالقة وعاد ونصرت فصرت فى تخريب البلاد وايذاء العباد كتيمور وبختنصر وكسرت كسرى وهدمت قصر قيصر وتبعك تبع اليمان واجتمع على خوانك الخان والخاقان أليس غاية قوالك الفتور وآخر سكانك القبور
(شعر)
هب ان مقاليد الامور ملكتها
ودانت لك الدنيا وأنت همام
جبيت خراج الخافقين بسطوة
وفزت بعالم تستطعه أنام
ومتعت باللذات دهرا بغبطة
أليس حتم بعد ذاك حمام
فبين البرايا والخلود تباين
وبين المنايا والنفوس لزام

كسانى ولم استكسه متبرعا * وذلك اهنى ما يكون من الرفد

كسانيه فضفاضا اذا ما لبسته * تروضت مختالا وحرت عن القصد

كساء جمال ان أردت جمالة * وثوب شتاء ان خشيت من البرد

ترى حبكا فيه كأن اطرادها * فرند حديد صقلة سل من غمد

سأشكر ما عشت السدوسى بره * وأوصى بشكر للسدوسى من بعدى

واخبار مؤرج كثيرة وقال ابن النديم وجدت بخط عبد الله بن المعتز أن مؤرجا السدوسى كان من أصحاب الخليل بن أحمد وتوفى سنة خمس وتسعين ومائة فى اليوم الذى توفى فيه أبو نواس وهذا انما يستقيم على قول من ذهب الى ان أبا نواس توفى سنة خمس وتسعين ومائة وقد سبق الخلاف فيه وأما مؤرج فلا خلاف انه مات فى هذه السنة وقد ذكره ابن قتيبة فى كتاب المعارف وغيره وأبو فيد بفتح الفاء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها دال مهملة وهو فى الاصل ورد الزعفران وقيل هو الزعفران بعينه ومؤرج بضم الميم وفتح الواو المهموزة وكسر الراء المشددة وبعدها جيم وهو اسم فاعل من قولهم أرجت بين القوم اذا أغريت بينهم وقد تقدم الكلام على السدوسى فى ترجمة قتادة فى حرف القاف وقيل ان اسمه مرثد ومؤرج لقب له ومرثد بفتح الميم والثاء المثلثة وراء ساكنة وفى الآخر دال مهملة قال الجوهرى فى كتاب الصحاح يقال رثدت المتاع نضدته ووضعت بعضه على بعض أو الى جنب ثم قال بعد ذلك تركت بنى فلان مرتثدين ما تحملوا بعد أى ناضدين متاعهم قال ابن السكيت ومنه اشتق مرثد وهو اسم رجل والمرثد من أسماء الاسد وكان مؤرج المذكور يقول اسمى وكنيتى غريبان اسمى مؤرج والعرب تقول أرجت بين القوم وأرشت وأنا أبو فيد والفيد ورد الزعفران ويقال فاد الرجل يفيد فيدا اذا مات

(أبو الحسن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين ابن على بن أبى طالب رضى الله عنهم أحد الائمة الاثنى عشر رضى الله عنهم أجمعين)

قال الخطيب فى تاريخ بغداد كان موسى يدعى العبد الصالح من عبادته واجتهاده روى انه دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسجد سجدة فى أول الليل وسمع وهو يقول فى سجوده عظم الذنب عندى فليحسن العفو من عندك يا أهل التقوى ويا أهل المغفرة فجعل يرددها حتى أصبح وكان سخيا كريما وكان يبلغه عن الرجل انه يؤذيه فيبعث اليه بصرة فيها ألف دينار وكان يصر الصرر ثلثمائة دينار وأربعمائة دينار ومائتى دينار ثم يقسمها بالمدينة وكان يسكن المدينة فاقدمه المهدى بغداد فحبسه فرأى فى النوم على بن أبى طالب رضى الله عنه وهو يقول يا محمد فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم قال الربيع فارسل الى ليلا فراعنى ذلك فجئته فاذا هو يقرأ هذه الآية وكان أحسن الناس صوتا وقال على بموسى بن جعفر فجئته به فعانقه وأجلسه الى جنبه وقال يا أبا الحسن انى رأيت أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه فى النوم يقرأ على كذا فتؤمننى أن تخرج على أو على أحد من أولادى فقال والله لا فعلت ذلك ولا هو من شأنى قال صدقت أعطه ثلاثة آلاف دينار ورده الى أهله الى المدينة قال الربيع فاحكمت أمره ليلا فما أصبح الا وهو فى الطريق خوف العوائق وأقام بالمدينة الى أيام هرون الرشيد فقدم هرون من عمرة شهر رمضان سنة تسع وسبعين ومائة فحمل موسى معه الى بغداد وحبسه بها الى أن توفى فى محبسه * وذكر أيضا ان هرون الرشيد حج فاتى قبر النبى صلى الله عليه وسلم زائرا وحوله قريش وأفناء القبائل ومعه موسى بن جعفر فقال السلام عليك يا رسول الله يا ابن عم افتخارا على من حوله فقال موسى السلام عليك يا أبت فتغير وجه هرون الرشيد وقال هذا هو الفخر يا أبا الحسن حقا انتهى كلام الخطيب وقال أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى فى كتاب مروج الذهب فى اخبار هرون الرشيد ان عبد الله بن مالك الخزاعى كان على دار هرون الرشيد وشرطته فقال أتانى رسول الرشيد وقتا ما جاءنى فيه قط فانتزعنى من موضعى ومنعنى من تغيير ثيابى فراعنى ذلك فلما صرت الى الدار سبقنى الخادم فعرف الرشيد خبرى فاذن لى فى

وكان رحمه الله أعجوبة الزمان ونادرة الاوان فى الحفظ والفراسة والشمول والاحاطة صاحب اذعان صحيح ولسان طلق فصيح وكان رحمه الله غاية فى جراءة الجنان وسعة التقرير والبيان واتفق انه سافر متنزها وهو مدرس بمدرسة ابن السلطان الى بروسه فجمع من كان فيها من المدرسين والاعيان وعقد مجلسا فى الجامع الكبير فنقل من كتاب البخارى واظهر اليد البيضاء فى اتقان وتحريره وبالجملة كان رحمه الله بحيث لو عاش وامتد له مدة الانتعاش لبلغ مبلغ الكمل من الرجال ويشد اليه من الاقطار الرحال وما ظفرت على شئ من نتائج طبعه الكريم سوى ما كتبه من غير تسويد على حاشية القصيدة التى أنشأها أبوه المفتى أبو السعود التى أولها (بيت)
لمن الدنا وتضعضعت أركانها
وانقض فوق عروشها جدرانها
فجرى لها مجرى الشرح والبيان فلا علينا من أن نثبته فى هذا المكان وهذه صورته افاد أولا أدام الله عزته أن اقبال دولة الدنيا على صاحبها بحيث ذلت رقاب الاقبال لبلوغها ذروة الحسن والجمال ومباشرتها لثياب العز والاجلال وازر المجد والكمال والناس عطاش الا كادلزلال ألفاظها الرائقة

الدخول عليه فوجدته قاعدا على فرشه فسلمت عليه فسكت ساعة فطار عقلي وتضاعف الجزع على ثم قال ياعبد الله أتدرى لم طلبتك فى هذا الوقت قلت لا والله يا أمير المؤمنين قال انى رأيت الساعة فى منامى كان حبشيا قد أتانى ومعه حربة فقال ان خليت عن موسى بن جعفر الساعة والا نحرتك فى هذه الساعة بهذه الحربة فاذهب فخل عنه قال فقلت يا أمير المؤمنين أطلق موسى بن جعفر ثلاثا قال نعم امض الساعة حتى تطلق موسى بن جعفر وأعطه ثلاثين ألف درهم وقل له ان أحببت المقام قبلنا فلك عندى ما تحب وان أحببت المضى الى المدينة فالاذن فى ذلك لك قال فمضيت الى الحبس لاخرجه فلما رآنى موسى وثب الى قائما وظن انى قد أمرت فيه بمكروه فقلت لا تخف فقد أمرنى باطلاقك وان أدفع لك ثلاثين ألف درهم وهو يقول لك ان أحببت المقام قبلنا فلك ذلك ولك كل ما تحب وان أحببت الانصراف الى المدينة فالامر فى ذلك مطلق لك وأعطيته ثلاثين ألف درهم وخليت سبيله وقلت له لقد رأيت من أمرك عجبا قال فانى أخبرك بينما أنا نائم اذ أتانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ياموسى حبست مظلوما فقل هذه الكلمات فانك لا تبيت هذه الليلة فى الحبس فقلت بأبى وأمى ما أقول قال قل ياسامع كل صوت وياسائق الفوت ويا كاسى العظام لحما ومنشرها بعد الموت أسالك باسمائك الحسنى وباسمك الاعظم الاكبر المخزون المكنون الذى لم يطلع عليه أحد من المخلوقين ياحليما ذا أناة لا يقوى على اناته ياذا المعروف الذى لا ينقطع أبدا ولا يحصى عددا فرج عنى فكان ما ترى وله اخبار ونوادر كثيرة وكانت ولادته يوم الثلاثاء قبل طلوع الفجر سنة تسع وعشرين ومائة وقال الخطيب سنة ثمان وعشرين بالمدينة وتوفى لخمس بقين من رجب سنة ثلاث وثمانين ومائة وقيل سنة ست وثمانين ببغداد وقيل انه توفى مسموما وقال الخطيب توفى فى الحبس ودفن فى مقابر الشونيزية خارج القبة وقبره هناك مشهور يزار وعليه مشهد عظيم فيه قناديل الذهب والفضة وأنواع الآلات والفرش مالا يحد وهو فى الجانب الغربى وقد سبق ذكر أبيه واجداده وجماعة من احفاده رضى الله عنهم وارضاهم وكان الموكل به مدة حبسه السندى بن شاهك جد كشاجم الشاعر المشهور

(أبو الفتح موسى بن أبى الفضل يونس بن محمد بن منعة بن مالك بن محمد الملقب كمال الدين الفقيه الشافعى)

تفقه بالموصل على والده ثم توجه الى بغداد سنة احدى وسبعين وخمسمائة وأقام بالمدرسة النظامية يشتغل على المعيد بها السديد السلمانى المقدم ذكره وكان المدرس بها يومئذ الشيخ رضى الشيرازى أبا الخير أحمد ابن اسمعيل بن يوسف بن محمد بن العباس القزوينى فقرأ الخلاف والاصول وبحث الادب على الكمال أبى البركات عبد الرحمن بن محمد الانبارى المقدم ذكره وكان قد قرأ أولا على الشيخ أبى بكر يحيى بن سعدون القرطبى الآتى ذكره ان شاء الله تعالى فتميز ومهر ثم أصعد الى الموصل وعكف على الاشتغال ودرس بعد وفاة والده فى التاريخ الآتى ذكره فى ترجمته ان شاء الله تعالى فى موضعه بالمسجد المعروف بالامير زين الدين صاحب اربل وهذا المسجد رأيته وهو على وضع المدرسة وتعرف بالمدرسة الكمالية لانه نسب الى كمال الدين المذكور لطول اقامته به ولما اشتهر فضله انثال عليه الفقهاء وتبحر فى جميع الفنون وجمع من العلوم مالم يجمعه أحد وتفرد بعلم الرياضة ولقد رأيته بالموصل فى شهر رمضان سنة ست وعشرين وستمائة وترددت اليه دفعات عديدة لما كان بينه وبين الوالد رحمه الله من المؤانسة والمودة الاكيدة ولم يتفق لى الاخذ عنه لعدم الاقامة وسرعة الحركة الى الشام وكان الفقهاء يقولون انه يدرى أربعة وعشرين فنا دراية متقنة فمن ذلك المذهب فكان فيه أوحد الزمان وكان جماعة من الطائفة الحنفية يشتغلون عليه بمذهبهم ويحل لهم مسائل الجامع الكبير أحسن حل مع ماهى عليه من الاشكال المشهور وكان يتقن فن الخلاف العراقى والبخارى وأصول الفقه وأصول الدين ولما وصلت كتب فخر الدين الرازى الى الموصل وكان بها اذ ذاك جماعة من الفضلاء لم يفهم أحد منهم اصطلاحه فيها سواه وكذلك الارشاد للعميدى لما وقف عليه حلها فى ليلة واحدة واقراها على ماقالوه وكان يدرى فى الحكمة والمنطق والطبيعى والالهى وكذلك الطب ويعرف فنون الرياضة من اقليدس والهيئة والمخروطات والمتوسطات والمجسطى وأنواع الحساب المفتوح منه

وسلسال عبارتها الفائقة خفى صارت بحيث يشار اليها بالبنان وترمقها عيون الاعيان أقمار الحسن فى وجهها طالعة وغصون البهجة فى بساتين جمالها يانعة وارتفعت مكانتها الى حيث يناغى البرجيس ويعادل عرش بلقيس ثم لما أعرض عنها الزمان ودهاها الحدثان وصب على خواتيم ازهار حسنها امياه المصائب وتتابعت عليها الرزايا والنوائب وجر على عروشها اذيال البلى وخرعوا الى قصرها بانواع المحنة والبلى وجرت على هذا الاسلوب الازمان والدهور والاحقاب والعصور وتفرق عاكفو بابها المنيع ومجاورو مسكنها الرفيع وقد اقتضاهم من أوجدهم أن يفنوا وخلت عنهم الديار كأن لم يغنوا آل أمرها الى حال تغيرت عليها الشؤن والاحوال فسبحان من لا يعترى ملكه التبدل والانتقال ولا يجرى فى سلطانه تفرق وانفصال وبعد ذلك أشار الى مالا يخطر ببال أحد من الفرائد وبدائع الفوائد ليكون على المطلوب حجة نيرة واضحة المكنون وآية لقوم يعقلون

(ومن المخاديم الاعيان المولى قورد احمد جلبى بن خير الدين معلم السلطان سليمان)

والجبر والمقابلة والارثماطيقى وطريق الخطائين والموسيقى والمساحة معرفة لا يشاركه فيها غيره الا فى ظواهر هذه العلوم دون دقائقها والوقوف على حقائقها واستخرج فى علم الاوفاق طرقا لم يهتد اليها أحد وكان يبحث فى العربية والتصريف بحثا تاما مستوفيا حتى انه كان يقرأ كتاب سيبويه والايضاح والتكملة لابى على الفارسى والمفصل للزمخشرى وكان له فى التفسير والحديث وما يتعلق به وأسماء الرجال يد جيدة وكان يحفظ من التواريخ وأيام العرب ووقائعهم والاشعار والمحاضرات شيأ كثيرا وكان أهل الذمة يقرؤن عليه التوراة والانجيل وشرح لهما هذين الكتابين شرحا يعترفون أنهم لا يجدون من يوضحهما لهم مثله وكان فى كل فن من هذه الفنون كأنه لا يعرف سواه لقوته فيه وبالجملة فان مجموع ما كان يعلمه من الفنون لم يسمع عن أحد ممن تقدمه انه قد جمعه ولقد جاءنا الشيخ أثير الدين المفضل أبو عمر بن المفضل الابهرى صاحب التعليقة فى الخلاف والزيج والتصانيف المشهورة من الموصل الى اربل فى سنة خمس وعشرين وستمائة ونزل بدار الحديث وكنت اشتغل عليه بشئ من الخلاف فبينما أنا يوما عنده اذ دخل عليه بعض فقهاء بغداد وكان فاضلا فتجاريا فى الحديث زمانا وجرى ذكر الشيخ كمال الدين فى أثناء الحديث فقال له الاثير لما حج الشيخ كمال الدين ودخل بغداد كنت هناك فقال نعم فقال كيف كان اقبال الديوان العزيز فقال له ذلك الفقيه ما انصفوه على قدر استحقاقه فقال الاثير ما هذا الا عجب والله ما دخل بغداد مثل الشيخ فاستعظمت منه هذا الكلام وقلت له ياسيدنا كيف تقول كذا فقال ياولدى ما دخل بغداد مثل أبى حامد الغزالى ووالله ما بينه وبين الشيخ نسبة وكان لاثير على جلالة قدره فى العلوم يأخذ الكتاب ويجلس بين يديه ويقرأ عليه والناس يومئذ يشتغلون فى تصانيف الاثير ولقد شاهدت هذا بعينى وهو يقرأ عليه كتاب المجسطى ولقد حكى لى بعض الفقهاء انه سأل الشيخ كمال الدين عن الاثير ومنزلته فى العلوم فقال ما أعلم فقال وكيف هذا يامولانا وهو فى خدمتك منذ سنين عديدة ويشتغل عليك فقال لاننى مهما قلت له تلقاه بالقبول وقال نعم يامولانا وما حادثنى فى بحث قط حتى أعلم حقيقة فضله ولا شك انه كان يعتمد هذا القدر مع الشيخ تادبا وكان معيدا عنده بالمدرسة البدرية وكان يقول ما تركت بلادى وقصدت الموصل الا للاشتغال على الشيخ ومن يقف على هذه الترجمة فقد ينسبنى الى المغالاة فى حق الشيخ ومن كان من أهل تلك البلاد وعرف ما كان عليه الشيخ يعلم أنى ما اعرته وصفا ونعوذ بالله من الغلو والتساهل فى النقل ولقد ذكره أبو البركات المبارك بن المستوفى المقدم ذكره فى تاريخ اربل فقال هو عالم مقدم ضرب فى كل علم وهو فى علم الاوائل كالهندسة والمنطق وغيرهما ممن يشار اليه حل اقليدس والمجسطى على الشيخ شرف الدين المظفر ابن محمد بن المظفر الطوسى القارى يعنى صاحب الاصطرلاب الخطى المعروف بالعصا ثم قال ابن المستوفى وردت عليه مسائل من بغداد فى مشكلات هذا العلم فحلها واستصغرها ونبه على براهينها بعد ان احتقرها وهو فى الفقه والعلوم الاسلامية نسيج وحده ودرس فى عدة مدارس بالموصل وتخرج عليه خلق كثير فى كل فن ثم قال أنشدنى لنفسه وانفذها الى صاحب الموصل يشفع عنده

لئن شرفت أرض بمالك رقها * فمملكة الدنيا بكم تتشرف
بقيت بقاء الدهر أمرك نافذ * وسعيك مشكور وحكمك منصف
ومكنت فى حفظ البسيطة مثل ما * تمكن فى أمصار فرعون يوسف

قلت أنا ولقد أنشدنى هذه الابيات عنه أحد أصحابنا بمدينة حلب وكنت بدمشق سنة ثلاث وثلاثين وستمائة وبها رجل فاضل فى علوم الرياضة فاشكل عليه مواضع فى مسائل الحساب والجبر والمقابلة والمساحة واقليدس فكتب جميعها فى درج وسيرها الى الموصل ثم بعد أشهر عاد جوابه وقد كشف عن خفيها وأوضح غامضها وذكر ما يعجز الانسان عن وصفه ثم كتب فى آخر الجواب فليمهد العذر فى التقصير فى الاجوبة فان القريحة جامدة والفطنة خامدة قد استولى عليها كثرة النسيان وشغلتها حوادث الزمان وكثير مما استخرجناه وعرفناه نسيناه بحيث صرنا كأنا ما عرفناه وقال لى صاحب المسائل المذكورة ما سمعت

نشأ رحمه الله بكنف العز والعلا وفنن الجنة والسنا طالبا للمعارف ومستفيدا من كل عارف واشتغل على المولى عبد الباقى والمولى صالح بن جلال والمولى بستان وغيرهم من أرباب الفضل والكمال ثم صار ملازما من المولى محمد الشهير بجوى زاده وهو مفت بطريق الاعادة ثم صار ذلك العتيق مدرسا بسلمانية ازنيق فبعد قليل من الزمان نقل الى احدى المدارس الثمان فلما مضى عليه ست سنين صارت وظيفته فيها ستين ثم ظهر له العواطف السلطانية فنقل الى احدى المدارس السلمانية ثم عطف الزمان الى دمشق الشام فبعد سنتين ساءت به الظنون وحل به ريب المنون وذلك سنة ست وسبعين وتسعمائة وكان المرحوم مشاركا فى بعض العلوم حلو المصاحبة حسن المقاربة عذب المشرب سهل المطالب ذا وجه صبيح ولسان فصيح روح الله روحه

(ومنهم العالم البارع الاوحد الشيخ غرس الدين أحمد)

نشأ رحمه الله فى مدينة حلب ورغب فى العلوم وتشبث بكل سبب وقرأ المختصرات على الشيخ حسن السيوفى وحصل طرفا صالحا من فنون الادب ثم قصد الى التحصيل التام فارتحل

هذا الكلام الالاوائل المتقنين لهذه العلوم ماهذا من كلام أبناء زماننا وقد أطلت الشرح فى نشر علومه ولعمرى لقد اختصرت ولما توفى أخوه الشيخ عماد الدين محمد المقدم ذكره تولى الشيخ المدرسة العلائية موضع أخيه ولما فتحت المدرسة القاهرية تولاها ثم تولى المدرسة البدرية فى ذى الحجة سنة عشرين وستمائة وكان مواظبا على القاء الدروس والافادة وحضر فى بعض الايام دروسه جماعة من المدرسين أرباب الطيالس وكان العماد أبو على عمر بن عبد النور بن ماجوج بن يوسف الصنهاجى اللزنى النحوى البجائى حاضرا فانشد على البديهة قوله كمال كمال الدين للعلم والعلى * فهيهات ساع فى مساعيك يطمع

اذا اجتمع النظار فى كل موطن * فغاية كل أن تقول ويسمعوا
فلا تحسبوهم من عناد تطيلسوا * ولكن حياء واعترافا تقنعوا

وللعماد المذكور فيه أيضا

تجر الموصل الاذيال فخرا * على كل المنازل والرسوم * بدجلة والكمال هما شفاء
لهيم أولذى فهم سقيم * فذا بحر تدفق وهو عذب * وذا بحر ولكن من علوم

وكان الشيخ سامحه الله تعالى يتهم فى دينه لكون العلوم العقلية غالبة عليه وكانت تعتريه غفلة فى بعض الاحيان لاستيلاء الفكرة عليه بسبب هذه العلوم فعمل فيه العماد المذكور

أجدك ان قد جاد بعد التعبس * غزال بوصل لى واصبح مؤنسى
وعاطيته صهباء من فيه مزجها * كرقة شعرى أوكدين ابن يونس

وقد خرجنا عن المقصود بما الاحاجة بنا اليه وكانت ولادته يوم الخميس خامس صفر سنة احدى وخمسين وخمسمائة بالموصل وتوفى بها رابع عشر شعبان سنة تسع وثلاثين وستمائة ودفن فى تربتهم المعروفة بهم عند تربة غسان خارج باب العراق وقد سبق ذكر ولده شرف الدين أحمد فى حرف الهمزة وأخيه عماد الدين فى حرف الميم وسيأتى ذكر والده فى حرف الياء ان شاء الله تعالى رحمهم الله أجمعين وتوفى الشيخ رضى الدين القزوينى مدرس المدرسة النظامية المذكور فى أول هذه الترجمة فى الثالث والعشرين من المحرم سنة تسعين وخمسمائة وكانت ولادته فى شهر رمضان سنة اثنتى عشرة وخمسمائة بقزوين وموته بها أيضا ولولا خوف الاطالة لذكرت من مناقب الشيخ كمال الدين ما يستغرق الوصف وقد تقدم الكلام على الصنهاجى وأما اللزنى فهو بفتح اللام وسكون الزاى وبعدها نون هذه النسبة الى لزنة وهى قبيلة من البربر تسكن بالقرب من بجاية من عمل افريقية وتوفى العماد بن يوسف المذكور يوم الاحد ثالث عشر رجب من سنة تسع وأربعين وستمائة بدمشق ودفن بالباب الشرقى ثم نقل الى باب الصغير ومولده فى سنة أربع وسبعين وخمسمائة باصفون من شرق صعيد مصر رحمه الله تعالى والله أعلم

(أبو عبد الرحمن موسى بن نصير اللخمى بالولاء صاحب فتح الاندلس)

كان من التابعين رضى الله عنهم وروى عن تميم الدارى رضى الله عنه وكان عاقلا كريما شجاعا ورعا تقيا لله تعالى رضى الله عنه لم يهزم له جيش قط وكان والده نصير على حرس معاوية بن أبى سفيان ومنزلته عنده مكينة ولما خرج معاوية لقتال على بن أبى طالب رضى الله عنه لم يخرج معه فقال له معاوية مامنعك من الخروج معى ولى عندك يد لم تكافئنى عليها فقال لم يمكنى ان أشكرك بكفر من هو أولى بشكرى فقال ومن هو قال الله عز وجل فقال وكيف لا أم لك قال وكيف لا أعلمك هذا فاغض وأمض قال فاطرق معاوية مليا ثم قال أستغفر الله ورضى عنه وكان عبد الله بن مروان أخو عبد الملك بن مروان واليا على مصر وافريقية فبعث اليه ابن أخيه الوليد بن عبد الملك أيام خلافته يقول له أرسل موسى بن نصير الى افريقية وذلك فى سنة تسع وثمانين للهجرة وقال الحافظ أبو عبد الله الحميدى فى كتاب جذوة المقتبس ان موسى بن نصير تولى افريقية والمغرب سنة سبع وسبعين فارسله اليها فلما قدمها ومعه جماعة من الجند بلغه ان باطراف البلاد جماعة خارجين عن الطاعة فوجه ولده عبد الله فاتاه بمائة ألف رأس من السبايا ثم وجه ولده مروان الى جهة أخرى

فاتاه

ماشيا الى دمشق الشام وأخذ فيه الطب من مقدم الالباء ورئيس الاطباء العالم الذكى المشتهر بابن المكى ثم انتقل من تلك العامرة ماشيا الى القاهرة واشتغل فيها على العالم الجليل المقدار الشيخ المشتهر بابن عبد الغفار وأخذ منه الحكميات وعلوم الرياضيات وسائر العلوم العقلية قاطبة بالدروس الراتبة وأخذ الحديث وسائر علوم الدين من القاضى زكريا شيخ المفسرين فاصبح وهو لناصية العلوم آخذ وحكمه فى ممالك الفنون نافذ وتنقلت به الاحوال وتأخرت عنه الامثال وفاق على الاقران وسار بذكره الركبان ولما كانت فضائله ظاهرة عند سلطان القاهرة أحب رؤيته واستدعاه ورفع منزلته وأكرم مثواه ثم جعله معلما لابنه ومربيا لغصنه ولما وقع بين مخدومه وبين سلطان الروم من المنافسة حضر الوقعة المعروفة من جانب الجراكسة فلما التقى الجمعان وتراءت الفئتان وتقدم الابطال وتجمهم الرجال وهجم ليوث الاروام واسود الآجام على ذئاب الاعادى وثعالب البوادى وكتبوا باقلام السمر أحاديث الجرح والسقام وأوصلوا اليهم أخبار الموت برسل السهام وأرسلوا عليهم شواظا من نار واحلوا

فاتاه بمائة ألف فارس قال الليث بن سعد فبلغ الخمس ستين ألف رأس وقال أبو شبيب الصدفى لم يسمع فى الاسلام بمثل سبايا موسى بن نصير ووجد اكثر مدن افريقية خالية لاختلاف أيدى البربر عليها فكانت البلاد فى قحط شديد فامر الناس بالصوم والصلاة واصلاح ذات البين وخرج بهم الى الصحراء ومعه سائر الحيوانات وفرق بينها وبين أولادها فوقع البكاء والصراخ والضجيج وأقام على ذلك الى منتصف النهار ثم صلى وخطب بالناس ولم يذكر الوليد بن عبد الملك فقيل له ألا تدعو لامير المؤمنين فقال هذا مقام لا يدعى فيه غير الله عز وجل فسقوا حتى رووا ثم خرج موسى غازيا وتتبع البربر وقتل منهم قتلا ذريعا وسبى سبيا عظيما وسار حتى انتهى الى السوس الادنى لا يدافعه أحد فلما رأى بقية البربر ما نزل بهم استأمنوا وبذلوا له الطاعة فقبل منهم وولى عليهم واليا واستعمل على طنجة وأعمالها مولاه طارق بن زياد البربرى ويقال انه من الصدف وترك عنده تسعة عشر ألف فارس من البربر بالاسلحة والعدد الكاملة وكانوا قد أسلموا وحسن اسلامهم وترك موسى عندهم خلقا يسيرا من العرب لتعليم البربر القرآن وفرائض الاسلام ورجع الى افريقية ولم يبق بالبلاد من ينازعه من البربر ولا من الروم فلما استقرت له القواعد كتب الى طارق وهو بطنجة يأمره بغزو بلاد الاندلس فى جيش من البربر ليس فيه من العرب الا قدر يسير فامتثل طارق أمره وركب البحر من سبتة الى الجزيرة الخضراء من بر الاندلس وصعد الى جبل يعرف اليوم بجبل طارق لانه نسب اليه لما حصل عليه وكان صعوده اليه يوم الاثنين لخمس خلون من رجب سنة اثنتين وتسعين للهجرة فى اثنى عشر ألف فارس من البربر خلا اثنى عشر رجلا وذكر عن طارق انه كان نائما فى المركب وقت التعدية وأنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء الاربعة رضى الله عنهم يمشون على الماء حتى مروا به فبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفتح وأمره بالرفق بالمسلمين والوفاء بالعهد ذكر ذلك ابن بشكوال المقدم ذكره فى حرف الحاء فى تاريخ الاندلس وكان صاحب طليطلة ومعظم بلاد الاندلس ملك يقال له لزريق ولما اتصل طارق بالجبل المذكور كتب الى موسى بن نصير انى فعلت ما أمرتنى به وسهل الله سبحانه وتعالى بالدخول فلما وصل كتابه الى موسى ندم على تأخره وعلم انه ان فتح نسب الفتح اليه دونه فاخذ فى جمع العساكر وولى على القيروان ولده عبد الله وتبعه فلم يدركه الا بعد الفتح وكان لزريق المذكور قد قصد عدوا له واستخلف فى المملكة شخصا يقال له تدمير والى هذا الشخص تنسب بلاد تدمير بالاندلس فلما نزل طارق من الجبل بالجيش الذى معه كتب تدمير الى لزريق الملك انه قد وقع بارضنا قوم لا ندرى من السماء هم أم من الارض فلما بلغ ذلك لزريق رجع عن مقصده فى سبعين ألف فارس ومعه العجل يحمل الاموال والمتاع وهو على سرير بين دابتين عليه قبة مكللة بالدر والياقوت والزبرجد فلما بلغ طارقا دنوه قام فى أصحابه فحمد الله سبحانه وتعالى واثنى عليه بما هو أهله ثم حث المسلمين على الجهاد ورغبهم فى الشهادة ثم قال أيها الناس أين المفر والبحر من ورائكم والعدو أمامكم فليس لكم والله الا الصدق والصبر واعلموا أنكم فى هذه الجزيرة أضيع من الايتام فى مأدبة اللئام وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحته واقواته موفورة وأنتم لا وزر لكم غير سيوفكم ولا اقوات لكم الا ما تستخلصونه من أيدى أعدائكم وان امتدت بكم الايام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمرا ذهبت ريحكم وتعوضت القلوب برعبها منكم الجراءة عليكم فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذه الطاغية فقد القت به اليكم مدينته المحصنة وان انتهاز الفرصة فيه لممكن لكم ان سمحتم بأنفسكم للموت وانى لم أحذركم أمرا أنا عنه بنجوة ولا حملتكم على خطة أرخص متاع فيها النفوس ابدأ فيها بنفسى واعلموا انكم ان صبرتم على الاشق قليلا استمتعتم بالارفه الالذ طويلا فلا ترغبوا بانفسكم عن نفسى فما حظكم فيه أوفر من حظى وقد بلغكم ما انشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان من بنات اليونان الرافلات فى الدر والمرجان والحلل المنسوجة بالعقيان المقصورات فى قصور الملوك ذوى التيجان وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك من الابطال عربانا ورضيكم لملوك هذه الجزيرة اصهارا واختانا ثقة منه بارتياحكم للطعام واستماحكم لمجالدة الابطال والفرسان ليكون حظه معكم ثواب الله على اعلاء كلمته واظهار دينه بهذه الجزيرة

أكثرهم دار البوار وأخذ الصواعق والبروق فى اللمعان والشروق وأمطر عليهم السماء الحديد والحجارة وضيق عليهم هذه الدائرة وسالت بدمائهم الاباطح وشبعت من لحومهم الجوارح لم يثبت الجراكسة الاساعة من النهار ثم بدلوا الفرار من القرار وجعلوا أمام عسكر الروم يتواثبون وهم من ورائهم بهذا القول يتخاطبون (بيت)

جعلنا ظهور القوم فى الحرب أوجها
رقمنا بها ثغرا وعينا وحاجبا

وقتل الغورى فى المعركة ولم يعرف له قاتل وأسر ابنه والمولى المرحوم ولما جىء بهما الى السلطان سليم خان عفا عنهما وقابل جرمهما بالاحسان ثم لما عاد الى ديار الروم بعد فراغه من أمر مصر استصحب ابن الغورى والمولى المرحوم فاستوطن قسطنطينية وشرع فى اشاعة المعارف واذاعة النوادر واللطائف واشتغل عليه كثير من السادة وفازوا منه بالاستفادة وقد تشرفت برؤيته وتبركت بصحبته توفى رحمه الله سنة احدى وسبعين وتسعمائة وكان المرحوم رأسا فى جميع العلوم مستجمعا لشروط الفضائل وجامعا للعلوم الاواخر والاوائل برغم فى الرياضات أنوف الرؤس ويحاكى

٣ قوله متاع هكذا بالاصل والصواب مبيع لانه من باع الثلاثى اه مصححه

و يكون مغنمها خالصا لكم من دونه ومن دون المسلمين سواكم والله تعالى ولى انجادكم على ما يكون لكم
ذكرا فى الدارين واعلموا انى أول مجيب الى ما دعوتكم اليه وانى عند ملتقى الجمعين حامل بنفسى على طاغية
القوم لزريق فقاتله ان شاء الله فاحملوا معى فان هلكت بعده فقد كفيتم أمره ولن يعوزكم بطل عاقل
تسندون أمركم اليه وان هلكت قبل وصولى اليه فاخلفونى فى عزيمتى هذه واحملوا بانفسكم عليه واكتفوا
المهم من فتح هذه الجزيرة بقتله فانهم بعده يخذلون فلما فرغ طارق من تحريض أصحابه على الصبر فى مقاتلة
لزريق وأصحابه وما وعدهم من النيل الجزيل انبسطت نفوسهم وتحققت آمالهم وهبت ريح النصر عليهم
وقالوا له قد قطعنا الآمال مما يخالف ما عزمت عليه فاحضر اليه فانا معك وبين يديك فركب طارق وركبوا
وقصدوا مناخ لزريق وكان قد نزل بمتسع من الارض فلما تراءى الجمعان نزل طارق وأصحابه فباتوا ليلتهم فى
حرس الى الصبح فلما أصبح الفريقان تلببوا وعبوا كتائبهم وحمل لزريق على سريره وقد رفع على رأسه
رواق ديباج يظله وهو مقبل فى غاية البنود والاعلام وبين أيديه المقاتلة بالسلاح وأقبل طارق وأصحابه
عليهم الزرد ومن فوق رؤسهم العمائم البيض وبايديهم القسى العربية وقد تقلدوا السيوف واعتقلوا الرماح
فلما نظر اليهم لزريق قال أما والله ان هذه الصور التى رأينا ببيت الحكمة ببلدنا فداخله منهم رعب * ونتكلم
ههنا على بيت الحكمة ما هو ثم نتكلم على حديث الوقعة وأصل خبر بيت الحكمة ان اليونان وهم الطائفة
المشهورة بالحكمة كانوا يسكنون ببلاد المشرق قبل عهد الاسكندر فلما ظهرت الفرس واستولت على
البلاد وزاحمت اليونان على ما كان بايديهم من الملك انتقل اليونان الى جزيرة الاندلس لكونها طرفا فى آخر
العمارة ولم يكن لها ذكر يومئذ ولا ملكها أحد من الملوك المعتبرة ولا كانت عامرة وكان أول من عمر فيها
واختطها اندلس بن يافث بن نوح عليه السلام فسميت باسمه ولما عمرت الارض بعد الطوفان كان صورة
المعمور منها عندهم شكل طائر رأسه المشرق والجنوب والشمال رجلاه وما بينهما بطنه والمغرب ذنبه فكانوا
يزدرون المغرب لنسبته الى أخس الطائر وكانت اليونان لا ترى فناء الامم بالحروب لما ترى فيه من الاضرار
والاشتغال عن العلوم التى كان أمرها عندهم أهم الامور فلذلك انحازوا بين يدى الفرس الى الاندلس
فلما صاروا اليها أقبلوا على عمارتها فشقوا الانهار وبنوا المعاقل وغرسوا الكروم والجنان وشيدوا الامصار
وملؤها حرثا ونسلا وبنيانا فعظمت وطابت حتى قال قائلهم لما رأى بهجتها ان الطائر الذى صورت العمارة
على شكله وكان المغرب ذنبه كان طاوسا ومعظم جماله فى ذنبه فاغتبطوا بها تم اغتباط واتخذوا دار الملك
والحكمة بها مدينة طليطلة لانها اوسط البلاد وكان اهم الامور عندهم تحصينها عمن يتصل به خبرها من
الامم فنظروا فاذا ليس ثم من يحسدهم على أرغد العيش الا أرباب الشظف والشقاء وهم يومئذ طائفتان
العرب والبربر فخافوهم على جزيرتهم المعمورة فعزموا ان يتخذوا لدفع هذين الجنسين من الناس
طلسما فرصدوا لذلك ارصادا ولما كان البربر بالقرب منهم وليس بينهم سوى تعدية البحر ويرد عليهم منهم
طوائف منحرفة الطباع خارجة عن الاوضاع فازدادوا منهم نفورا وكثر تحذيرهم من مخالطتهم فى نسل أو
مجاورة حتى ثبت ذلك فى طباعهم وصار بغضهم مركبا فى غرائزهم فلما علم البربر عداوة أهل الاندلس وبغضهم
أبغضوهم وحسدوهم فلا تجد اندلسيا الا مبغضا بربريا ولا بربريا الا مبغضا اندلسيا الا أن البربر أحوج الى
أهل الاندلس من أهل الاندلس الى البربر لكثرة وجود الاشياء بالاندلس وعدمها بالبربر وكان بنواحى
غرب جزيرة الاندلس ملك يونانى بجزيرة يقال لها قادس وكانت له ابنة فى غاية الحسن والجمال فتسامع بها ملوك
الاندلس وكانت جزيرة الاندلس كثيرة الملوك لكل بلدة أو بلدتين ملك تناصفا منهم فى ذلك فخطبها كل
واحد منهم وكان أبوها يخشى من تزويجها لواحد منهم واسخاط الباقين فتحير فى أمره وأحضر ابنته
المذكورة وكانت الحكمة مركبة فى طباع القوم ذكورهم واناثهم ولذلك قيل ان الحكمة نزلت من السماء
على ثلاثة أعضاء من أهل الارض على أدمغة اليونان وأيدى أهل الصين وألسنة العرب فلما حضرت بين يديه
قال لها يا بنية انى قد أصبحت فى حيرة من أمرى قالت وما حيرك قال قد خطبك جميع ملوك الاندلس ومتى

ارضيت

في الطب أبقراط وجالينوس
وكان صاحب فنون
غريبة قادرا على أفاعيل
عجيبة ماهرا فى وضع الآلات
النجومية والهندسية
كالربع والاسطرلاب
وسائر الاسباب وكان رحمه
الله مظنة علم الكاف وعلم
الزايرجه بلا خلاف وكان
رحمه الله مشهورا بالحل فى
التعليم والافادة لارباب
الطلب والاستفادة ولم يقبل
مدة عمره وظيفة السلطان
وقطع حبال الامانى من
أرباب العزة بقدر الامكان
وكان يكتسب بطبابته
ويقتات بهدايا تلامذته
وكان يلبس لباسا خشنا
وعمامته صغيرة ويقنع من
القوت بالنزر القليل
والامور اليسيرة وكان رحمه
الله ينظم الابيات أعذب
من ماء الفرات وقال فى
قافية الطاء مادحا لبعض
الفضلاء وأظنه المولى صالح
ابن جلال عند كونه قاضيا
بحلب ومنها (قصيدة)
دعائى فلا يحصيه عد ولا ضبط
وشكرى لكم دوم فما كان يخط
وانى جميلا ثم اهدى تحية
لطب شذاها يطلب العود والقسط
فباح بها مسك وفاح بعطرها
وفى وجنة للورد منها أتى قسط
الى حضرة أحيى الانام بعلمها
وبان بها حكم الشريعة والشرط
فلا مطلب الا ذراها نعم ولا

أرضيت واحدا أسخطت الباقين فقالت اجعل الامر الى تتخلص من اللوم قال وما تصنعين قالت اقترح
لنفسى أمرا من فعله كنت زوجته ومن عجز عنه لم يحسن به السخط قال وما الذى تقترحين قالت اقترح
أن يكون ملكا حكيما قال نعم ما اخترت لنفسك وكتب فى أجوبة الملوك الخطاب انى جعلت الامر اليها
فاختارت من الازواج الملك الحكيم فلما وقفوا على الاجوبة سكت عنها كل من لم يكن حكيما وكان فى
الملوك رجلان حكيمان فكتب كل واحد منهما اليه أنا الرجل الحكيم فلما وقف على كتابيهما قال يا بنية
بقى الامر على اشكاله وهذان ملكان حكيمان أيهما أرضيته أسخطت الآخر قالت سأقترح على كل
واحد منهما أمرا يأتى به فايهما سبق الى الفراغ مما ألتمسه تزوجت به قال وما الذى تقترحين عليهما قالت
اننا ساكنون بهذه الجزيرة ونحن محتاجون الى رحى تدور بها وانى مقترحة على أحدهما ادارتها بالماء
العذب الجارى اليها من ذلك البر ومقترحة على الآخر طلسما يحصن به جزيرة الاندلس من البربر فاستظرف
أبوها اقتراحها وكتب الى الملكين بما قالته بنته فاجابا الى ذلك وتقاسماه على ما اختارا وشرع كل واحد فى
عمل ما ندب اليه من ذلك فاما صاحب الرحى فانه عمد الى خرز عظام اتخذها من الحجارة ونضد بعضها فى بعض
فى البحر المالح الذى بين جزيرة الاندلس والبر الكبير فى الموضع المعروف بزقاق سبتة وسد الفروج التى بين
الحجارة بما اقتضته حكمته وأوصل تلك الحجارة من البر الى الجزيرة وآثارها باقية الى اليوم فى الزقاق الذى بين
سبتة والجزيرة الخضراء وأهل الاندلس يزعمون ان ذلك أثر قنطرة كان الاسكندر قد عملها ليعبر عليها الناس
من سبتة الى الجزيرة والله أعلم أى ذلك أصح فلما تم تنضيد الحجارة للملك الحكيم جلب اليها الماء العذب من
موضع عال فى الجبل بالبر الكبير وسلطه على ساقية محكمة البناء وبنى بجزيرة الاندلس رحى على هذه
الساقية وأما صاحب الطلسم فانه أبطأ عمله بسبب انتظار الرصد الموافق لعمله غير انه عمل أمره وأحكمه
وابتنى بنيانا مربعا من حجر أبيض على ساحل البحر فى رمل حفر أساسه الى أن جعله تحت الارض بمقدار
ارتفاعه فوق الارض ليثبت فلما انتهى البناء المربع الى حيث اختار صور من النحاس الاحمر والحديد
المصفى المخلوطين باحكم الخلط صورة رجل بربرى له لحية وفى رأسه ذؤابة من شعر جعد قائم فى رأسه لجعودها
متأبط بصورة كساء قد جمع طرفيه على يده اليسرى بارطب تصوير وأحكمه فى رجليه نعل وهو قائم فى
رأس البناء على مستدق بمقدار رجليه فقط وهو شاهق فى الهواء طوله نيف عن ستين ذراعا أو سبعين وهو
محدد الاعلى الى أن ينتهى الى ما سعته قدر الذراع وقد مد يده اليمنى بمفتاح قفل قابضا عليه مشيرا الى البحر كأنه
يقول لا عبور وكان من تأثير هذا الطلسم فى البحر الذى تجاهه انه لم ير قط ساكنا ولا كانت تجرى فيه قط سفينة
بربرى حتى سقط المفتاح من يده وكان الملكان العاملان للطلسم والرحى يتسابقان الى التمام من عملهما
اذ كان بالسبق يستحق التزويج وكان صاحب الرحى قد فرغ لكنه يخفى أمره عن صاحب الطلسم
حتى لا يعلم به فيبطل عمل الطلسم وكان يود عمل الطلسم حتى يحظى بالمرأة والرحى والطلسم فلما علم اليوم
الذى يفرغ صاحب الطلسم فى آخره أجرى الماء بالجزيرة من أوله وأدار الرحى واشتهر ذلك واتصل الخبر
بصاحب الطلسم وهو فى أعلاه يصقل وجهه وكان الطلسم مذهبا فلما تحقق انه مسبوق ضعفت نفسه فسقط
من أعلى البناء ميتا وحصل صاحب الرحى على الرحى والمرأة والطلسم وكان من تقدم من ملوك اليونان
يخشى على جزيرة الاندلس من البربر للسبب الذى قدمنا ذكره فاتفقوا وعملوا الطلسمات فى أوقات اختاروا
ارصادها وأودعوا تلك الطلسمات تابوتا من الرخام وتركوه فى بيت بمدينة طليطلة وركبوا على ذلك البيت
بابا وأقفلوه وتقدموا الى كل من ملك منهم بعد صاحبه أن يلقى على ذلك الباب قفلا تأكيدا لحفظ ذلك
البيت فاستمر أمرهم على ذلك ولما جاء وقت انقراض دولة اليونان ودخول العرب والبربر الى جزيرة
الاندلس وذلك بعد مضى ستة وعشرين ملكا من ملوك اليونان من يوم عملهم الطلسمات بمدينة طليطلة
وكان الملك لزريق المذكور السابع والعشرين من ملوكهم فلما جلس فى ملكه قال لوزرائه وأهل الرأى
من دولته قد وقع فى نفسى من أمر هذا البيت الذى عليه ستة وعشرون قفلا شىء وأريد أن أفتحه لانظر

رحال الذى عزم الى غيرها تخطو
لقد جد أقوام وضاهوا بمثلها
فدون أمانيها القتادة والخرط
فكم من كبير قد جبرت لحاله
وفككت مأسورا أضر به الربط
وكم من اياد قد أناخت لكاهل
وما كادت الاقدام من حملها تخطو
سبقت الى الفضل السراة فمالهم
من الجهد الا دون عزمك قد حطوا
علوت الى ان جئت بالشهب منطقا
فسارت به الامثال والعرب والقبط
جمعت لانواع العلوم فلا ترى
لمثلك فردا فى الفنون له ضبط
لعمرى من أيام أرى فيه للعدا
كمودا وقد حاروا وقد ساءهم سخط
جواد له جود تراه على الرضا
والا تمنى ان فارسه سقط
فتلك أمانيهم وأحلام كاذب
فهل ثم عقبان يردعها البط
سلوا علماء الخافقين وفتية
بسمر القنا فى الجانبين لهم شرط
فهل كانت الانعام تأوى لبقعة
أقام بها الليث وفيها له سبط
فيا حبذا يوم وفيه تظلهم

مافيه فانه لم يعمل عبثا فقالوا أيها الملك صدقت لم يعمل عبثا ولا أقفل سدى بل المصلحة أن تلقى عليه قفلا كما فعل من تقدمك من الملوك وكان آباؤك وأجدادك لم يهملوا هذا فلا تهمله وسر سيرهم فقال ان نفسى تنازعنى الى فتحه فلابد لى منه فقالوا ان كنت تظن فيه مالا فقدره ونحن نجمع لك من أموالنا نظيره ولا تحدث علينا بفتحه حدثا لانعرف عاقبته فاصر على ذلك وكان رجلا مهابا فلم يقدروا على مراجعته وأمر بفتح الاقفال وكان على كل قفل مفتاحه معلقا فلما فتح الباب لم ير فى البيت شيأ الا مائدة عظيمة من ذهب وفضة مكللة بالجواهر وعليها مكتوب هذه مائدة سليمان بن داود عليهما السلام ورأى فى البيت ذلك التابوت وعليه قفل ومفتاحه معلق ففتحه فلم يجد فيه سوى رق وفى جوانب التابوت صور فرسان مصورة بأصباغ محكمة التصوير على أشكال العرب وعليهم الفراء وهم معممون على ذوائب جعد ومن تحتهم الخيل العربية وبأيديهم القسى العربية وهم مقلدون بالسيوف المحلاة معتقلون بالرماح فامر بنشر ذلك الرق فاذا فيه متى فتح هذا البيت وهذا التابوت المقفلان بالحكمة دخل القوم الذين صورهم فى التابوت الى جزيرة الاندلس وذهب ملك اليونان من أيديهم ودرست حكمتهم فهذا هو بيت الحكمة المقدم ذكره فلما سمع لزريق مافى الرق ندم على مافعل وتحقق انقراض دولتهم فلم يلبث الاقليلا حتى سمع ان جيشا وصل من المشرق جهزه ملك العرب يستفتح بلاد الاندلس انتهى الكلام على بيت الحكمة (ونعود الآن الى تتمة حديث لزريق وجيش طارق بن زياد) فلما رأى طارق لزريق قال لاصحابه هذا طاغية القوم فحمل وحمل أصحابه معه فتفرقت المقاتلة من بين يدى لزريق فخلص اليه طارق وضربه بالسيف على رأسه فقتله على سريره فلما رأى أصحابه مصرعه اقتحم الجيشان وكان النصر للمسلمين ولم تقف هزيمة اليونان على موضع بل كانوا يسلمون بلدا بلدا ومعقلا معقلا فلما سمع بذلك موسى بن نصير المذكور أولا عبر الجزيرة بمن معه ولحق بمولاه طارق فقال له يا طارق انه لن يجازيك الوليد بن عبد الملك على بلائك باكثر من أن يبيحك جزيرة الاندلس فاستبحه هنيأ مريأ فقال طارق أيها الامير والله لا أرجع عن قصدى هذا مالم أنته الى البحر المحيط وأخوض فيه بفرسى يعنى البحر الشمالى الذى تحت بنات نعش فلم يزل طارق يفتح وموسى معه الى أن بلغ جليقية وهى على ساحل البحر المحيط ثم رجع قال الحميدى فى جذوة المقتبس ان موسى بن نصير نقم على طارق اذ غزا بغير اذنه وسجنه وهم بقتله ثم ورد عليه كتاب الوليد باطلاقه فاطلقه وخرج معه الى الشام وكان خروج موسى من الاندلس وافدا على الوليد يخبره بما فتح الله سبحانه على يديه وما معه من الاموال فى سنة أربع وتسعين للهجرة وكان معه مائدة سليمان بن داود عليهما السلام التى وجدت فى طليطلة على ماحكاه بعض المؤرخين فقال كانت مصنوعة من الذهب والفضة وكان عليها طوق لؤلؤ وطوق ياقوت وطوق زمرد وكانت عظيمة بحيث انها حملت على بغل قوى فما سار قليلا حتى تفسخت قوائمه وكان معه تيجان الملوك الذين تقدموا من اليونان وكلها مكللة بالجواهر واستصحب ثلاثين ألف رأس من الرقيق ويقال ان الوليد كان قد نقم عليه أمرا فلما وصل اليه وهو بدمشق أقامه فى الشمس يوما كاملا فى يوم صائف حتى خر مغشيا عليه وقد أطلنا هذه الترجمة كثيرا لكن الكلام انتشر فلم يمكن قطعه مع انى تركت الاكثر وأتيت بالمقصود* ولما وصل موسى الى الشام ومات الوليد بن عبد الملك وقام من بعده سليمان أخوه وحج فى سنة سبع وتسعين للهجرة وقيل سنة تسع وتسعين فحج معه موسى بن نصير ومات فى الطريق بوادى القرى وقيل بمر الظهران على اختلاف فيه وكانت ولادته فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى سنة تسع عشرة للهجرة رحمه الله تعالى

(ابو الفتح موسى ابن الملك العادل سيف الدين ابى بكر بن أيوب الملقب الملك الاشرف مظفر الدين)

أول شئ ملكه من البلاد مدينة الرها سيره اليها والده من الديار المصرية فى سنة ثمان وتسعين وخمسمائة ثم أضيفت اليه حران وكان محبوبا الى الناس مسعودا مؤيدا فى الحروب من يومه لقى نور الدين أرسلان شاه صاحب الموصل المذكور فى حرف الهمزة وكان يوم ذاك من الملوك المشاهير الكبار وتواقعا فى مصاف

سيوف لكم بيض على روسهم رقط
ترود حياض الموت فيه نفوسهم
ونيران نقع من زفير لها الغط
وتهدى المنايا للنفوس بأسهم
وأقلام سمر من أسود بها نشط
فديتكم روحى لقد جئت بالخطا
فلم بدا منكم فحاشاه بى يسطو
فاين صوابى والخطا كان جبلتى
وأقدام ما أبغى عليه لقد خطوا
فسامح لمن أخطا وصنه تكرما
فابكار فكرى للخطائين قد خطوا
جزاك اله العرش عنى عطية
ويأتيك أفراح ويعقبها الغبط
(نثر) ولما وصل اليه القصيدة الميمية التى أنشأها المفتى أبو السعود عليه رحمة الرب الودود وهى التى أولها
(بيت)
أبعد سليمى مطلب ومرام
وغير هواها لوعة وغرام
صنع خطبة سنية وصنع عدة أبيات سينية وأرسلها الى المولى المزبور أستبدى باسم السلام الى السدة السنية وأستهدى من سناء سيدنا وسندنا بنسمة من نسماته السجسجية سالكا سبيل التسليم متمسكا بالصراط المستقيم نسج السحر فى سلك الاستقامة فسبى

فكسره وذلك فى سنة ستمائة وهى وقعة مشهورة فلا حاجة الى تفصيلها ولما توفى أخوه الملك الاوحد نجم الدين أيوب صاحب خلاط وميافارقين وتلك النواحى أخذ الملك الاشرف مملكته مضافة الى ملكه وذلك فى سنة تسع وستمائة وكان الملك الاوحد قد ملك خلاط فى سنة أربع وستمائة فاتسعت حينئذ مملكته وبسط العدل على الناس وأحسن اليهم احسانا لم يعهدوه ممن كان قبله وعظم وقعه فى قلوب الناس وبعد صيته وكان قد ملك نصيبين الشرق فى سنة ست وستمائة وأخذ سنجار سنة سبع وكذلك الخابور وملك معظم بلاد الجزيرة وكان يتنقل فيها وأكثر اقامته بالرقة لكونها على الفرات ولما مات ابن عمه الملك الظاهر صاحب حلب فى التاريخ المذكور فى ترجمته فى حرف العين عزم عز الدين كيكاوس صاحب الروم على حلب فسير أرباب الامر بحلب الى الملك الاشرف وسألوه الوصول اليهم لحفظ البلد فاجابهم الى سؤالهم وتوجه اليهم وأقام بالباروقيه بظاهر حلب مدة ثلاث سنين وجرت له مع صاحب الروم وابن عمه الملك الافضل صاحب سميساط وقائع مشهورة لا حاجة الى الاطالة فى شرحها ولما أخذت الفرنج دمياط فى سنة ست عشرة وستمائة حسبما شرحناه فى ترجمة الملك الكامل توجهت جماعة من ملوك الشام الى الديار المصرية لانجاد الملك الكامل وتأخر عنه الملك الاشرف المنافرة كانت بينهما فجاءه أخوه الملك المعظم المقدم ذكره فى حرف العين بنفسه وأرضاه ولم يزل يلاطفه حتى استصحبه معه فصادف عقيب وصوله اليها انتصار المسلمين على الفرنج وانتزاع دمياط من أيديهم وكانوا يرون ذلك بسبب من غرته ٣ ولما مات الملك المعظم فى التاريخ المذكور فى ترجمته قام بالامر من بعده ولده الملك الناصر صلاح الدين داود فقصده عمه الملك الكامل من الديار المصرية ليأخذ دمشق منه فاستنجد بعمه الملك الاشرف وكان يومئذ ببلاد المشرق فوصل اليه واجتمع به بدمشق ثم خرج منها متوجها الى أخيه الملك الكامل واجتمع به وجرى الاتفاق بينهما على أخذ دمشق من الملك الناصر وتسليمها الى الملك الاشرف ويبقى للملك الناصر الكرك والشوبك ونابلس وبيسان وتلك النواحى وينزل الملك الاشرف عن حران والرها وسروج والرقة ورأس عين ويسلمها الى الملك الكامل فاستتب الحال على ذلك وتسلم الملك الاشرف دمشق لاستقبال رجب سنة ست وعشرين وستمائة وانتقل الملك الكامل الى بلاده التى تسلمها بالشرق ليكشف أحوالها ويرتب أمورها واجتزت فى التاريخ المذكور بحران وهو بها وانتقل الاشرف الى دمشق واتخذها دار اقامة وأعرض عن بقية البلاد ونزل جلال الدين خوارزم شاه على خلاط وحاصرها وضايقها أشد مضايقة وأخذها فى سنة ست وعشرين من نواب الملك الاشرف وهو مقيم بدمشق ولم يمكنه فى ذلك الوقت قصدها للدفع عنها لاعذار كانت له ثم عقيب ذلك دخل الى بلاد الروم بالاتفاق مع سلطانها علاء الدين كيقباذ أخى عز الدين كيكاوس المذكور وتظافرا على قصد خوارزم شاه وضرب المصاف معه فان صاحب الروم أيضا كان يخاف على بلاده منه لكونه مجاوره فتوجها نحوه فى جيش عظيم من جهة الشام والشرق فى خدمة الملك الاشرف وعسكر صاحب الروم والتقوا بين خلاط وارزنكان بموضع يقال له ياسى جمارة فى يوم الجمعة ثانى عشر شهر رمضان سنة سبع وعشرين وستمائة وانكسر خوارزم شاه وهى وقعة مشهورة وعادت خلاط الى الملك الاشرف وقد خربت ثم رجع الى الشام وتوجه الى الديار المصرية وأقام عند أخيه الملك الكامل مدة ثم خرج فى خدمته قاصدين آمد ونزلوا عليها وفتحوها فى مدة يسيرة وذلك فى سنة تسع وعشرين وستمائة وأضافها الملك الكامل الى مملكته ببلاد الشرق ورتب فيها ولده الملك الصالح نجم الدين أيوب المذكور فى ترجمة والده وفى خدمته الطواشى شمس الدين صواب الخادم العالى ثم عاد كل واحد الى بلاده ثم كانت واقعة ببلاد الروم وهى مشهورة ورجع الكامل والاشرف ومن معهما من الملوك بغير حصول مقصود ولما رجعا خرج عسكر صاحب الروم على بلاد الكامل بالشرق فأخذها وأخربها ثم عاد الكامل والاشرف وأتباعهما ومن معهما من الملوك الى بلاد الشرق واستنقذوها من نواب صاحب الروم ثم رجعوا الى دمشق فى سنة ثلاث وثلاثين وستمائة وكنت يومئذ بدمشق فى تلك السفرة ورأيت الكامل والاشرف وكانا يركبان معا ويلعبان بالكرة بالميدان الاخضر الكبير كل يوم وكان شهر رمضان وكانا يقصدان بذلك تعبير النهار لاجل الصوم ولقد

٣ قوله بسبب من غرته هكذا بالاصل ولعله بسبب يمن غرته اهـ مصححه

النفوس واستدعى لسلمى
فاسرعت اليه كالعروس ثم سلاعنها بسلوان من التسليم وسلك أساطيرها عن سويدائه بسر سليم فسألت السخاء من سحاب سماحته فاسعفنى بها واسترقنى من ساعته فسمعت مستهاما فى سلسال سلسبيلها مسارعا لسلافها فسل سبيلها وأنشدت (شعر)
سطور لها حسن عن الشمس اسفرت
سبانى سن باسم وسلام
فسهل لها سفك النفوس وقد سعى
بساعد فيها سائف وسهام
فسرعان ماسلت سيوف نواعس
فسيرا فسيرا فالسيوف سطام
سليمى فما أسلو فسفكا أو اسمعى
فاسلو وفى أرسم ووسام
فيا حسرتا ما للسهاد مساعدى
وماسر الا حسرة وسمام
سقانى السخا سما وسار سنية
سحائب تسليم سعدن سجام
سخيت بنفسى ان سمحت بنفسها
بانس وتسليم عليك سلام
وقد أظهر البراعة فيمن أرسل ساعة (شعر)
يامفرد العصر قد بادرت بالطاعه
يامن حوى الجود والاوقات فى ساعه
نوعا من الخير قد لاحظتموه لنا

كنت أرى من تأدب كل واحد منهما مع الآخر شيأ كثيرا ثم وقعت بينهما وحشة وخرج الاشرف عن طاعة الكامل ووافقته الملوك باسرها وتعاهدهو وصاحب الروم وصاحب حلب وصاحب حماة وصاحب حمص وأصحاب الشرق على الخروج على الملك الكامل ولم يبق مع الملك الكامل سوى ابن أخيه الملك الناصر صاحب الكرك فانه توجه الى خدمته بالديار المصريه فلما تحالفوا وتحزبوا واتفقوا على الخروج على الملك الكامل مرض الملك الاشرف مرضا شديدا وتوفى يوم الخميس رابع المحرم سنة خمس وثلاثين وستمائة بدمشق ودفن بقلعتها ثم نقل الى التربة التى أنشئت له بالكلاسة فى الجانب الشمالى من جامع دمشق وكانت ولادته سنة ثمان وسبعين وخمسمائة بالديار المصريه بالقاهرة وقيل بقلعة الكرك رحمه الله تعالى هذه خلاصة أحواله وكان سلطانا كريما حليما واسع الصدر كريم الاخلاق كثير العطاء لا يوجد فى خزائنه شئ من المال مع اتساع مملكته ولا تزال عليه الديون للتجار وغيرهم ولقد رأى يوما فى دواة كاتبه وشاعره الكمال أبى الحسن على بن محمد المعروف بابن النبيه المصرى قلما واحدا فانكر عليه ذلك فانشده فى الحال دوبيت

قال الملك الاشرف قولا رشدا * اقلامك يا كمال قلت عددا
جاوبت لعظم كتب ما تطلقه * تحفى فتقط فهى تفنى أبدا

وطرب ليلة فى مجلس انسه على بعض الملاهى فقال لصاحب الملهى تمن على فقال تمنيت مدينة خلاط فاعطاها له وكان نائبه بها الامير حسام الدين المعروف بالحاجب على بن حماد الموصل فتوجه ذلك الشخص اليه ليتسلمها منه فعوضه الحاجب عنها جملة كثيرة من المال وصالحه عنها وكان له فى ذلك غرائب وكان يميل الى أهل الخير والصلاح ويحسن الاعتقاد فيهم وبنى بدمشق دار حديث فوض تدريسها الى الشيخ تقى الدين عثمان المعروف بابن الصلاح المقدم ذكره وكان بالعقيقة ظاهر دمشق خان يعرف بابن الزنجارى قد جمع أنواع أسباب الملاذ ويجرى فيه من الفسوق والفجور ما لا يحد ولا يوصف فقيل له عنه ان مثل هذا لا يليق أن يكون فى بلاد المسلمين فهدمه وعمره مسجدا جامعا غرم عليه جملة مستكثرة وسماه الناس جامع التوبة كانه تاب الى الله تعالى وأناب مما كان فيه وجرت فى خطابته نكتة لطيفة أحببت ذكرها وهى انه كان بمدرسة ست الشام التى خارج البلد امام يعرف بالجمال البستى أعرفه شيخا حسنا ويقال كان فى صباه يلعب بشئ من الملاهى وهى التى تسمى الجغانة ولما كبر حسنت طريقته وعاشر العلماء وأهل الصلاح حتى صار معدودا فى الاخيار فلما احتاج الجامع المذكور الى خطيب ذكر للملك الاشرف جماعة وشكر الجمال المذكور فتولى خطابته فلما توفى تولى موضعه العماد الواسطى الواعظ وكان يتهم باستعمال الشراب وكان صاحب دمشق يومئذ الصالح عماد الدين اسمعيل ابن الملك العادل بن أيوب فكتب اليه الجمال عبد الرحيم المعروف بابن زوتينة الرحبى أبياتا وهى

يا مليكا أوضح الحق لدينا وأبانه
جامع التوبة قد قلدنى منه أمانه
قال قل للملك الصا * لح أعلى الله شانه
يا عماد الدين يا من * حمد الناس زمانه
كم الى كم أنا فى ضر وبؤس واهانه
لى خطيب واسطى * يعشق الشرب ديانه
والذى قد كان من قبـ * ـل يغنى بجغانه
فكما نحن فما زلـ * ـنا ولا أبرح حانه
ردنى للنمط الاول واستبق ضمانه

وهذه الابيات فى بابها فى غاية الظرف وكان الرحبى المذكور قد وصل الى الديار المصريه فى رسالة من عند صاحب حمص وأنشدنى هذه الابيات وحكى السبب الحامل عليها وذلك فى بعض شهور سنة سبع وأربعين وستمائة ومدح الملك الاشرف أعيان شعراء عصره وخلدوا مدائحه فى دواوينهم فمنهم شرف الدين محمد بن عنين وقد سبق ذكره والبهاء أسعد السنجارى وقد سبق ذكره أيضا والشرف راجح الحلى وقد ذكرته فى ترجمة الملك الظاهر والكمال بن النبيه المذكور وكانت وفاته سنة تسع عشرة وستمائة بمدينة نصيبين الشرق وعمره تقديرا مقدار ستين سنة كذا أخبرنى صهره بالقاهرة والمهذب محمد بن أبى الحسين بن يمن بن على بن أحمد بن محمد بن

فكنت عبدا لكم فى الوقت والساعه

(ذكر تصانيفه) التذكرة فى علم الحساب ومتن وشرح فى علم الفرائض وحاشية على فلكيات شرح المواقف وحاشية على شرح الجامى للكافية الى آخر المرفوعات وحاشية على شرح النفيسى للموجز من الطب وشرح تفسير البيضاوى حوى جزأين من القرآن الكريم وكتاب فى علم الزايرجه وقد شرح القصيدة الميمية للمفتى أبى السعود وأتى به الى المولى المزبور فاستقبله وعانقه وأكرمه غاية الاكرام فلما نظر الى ما كتبه استحسنه وأعطاه بعضا من الاقمشة والعمائم وغيرها روح الله روحه ونور ضريحه

(ومنهم العالم الفاضل والنحرير الكامل المولى عبد الباقى ابن المولى علاء الدين العربى الحلبى) انتقل أبوه وهو صغير ونشأ فى حجر أخيه الكبير عبد الرحمن الشهير ببابك چلبى فلما انتبه من رقدة الصغر وتفكر فى هذه المعالم وافتكر علم ان تفاوت الرتب بالفضل والادب فترك لذاته فى تكميل ذاته فصاحب الروس والاهالى حتى وصل الى مجلس المفتى علاء الدين الجمالى فلما صار ملازما منه تقلد مدرسة قره كوز باشا بقصبة كوتاهيه بخمسة وعشرين ثم مدرسة

عثمان بن عبد الحميد الانصارى المعروف بابن الاردخل الموصلى الشاعر المشهور ومولده سنة سبع وسبعين وخمسمائة بالموصل وتوفى فى شهر رمضان سنة ثمان وعشرين وستمائة بميافارقين رحمه الله تعالى

(ابو عمران موسى بن عبد الملك الاصبهانى صاحب ديوان الخراج)

كان من جملة الرؤساء وفضلاء الكتاب وأعيانهم تنقل فى الخدم فى أيام جماعة من الخلفاء وكان اليه ديوان السواد وغيره فى أيام المتوكل وكان مترسلا وله ديوان رسائل وقد سبق طرف من خبره مع أبى العيناء فى ترجمته وما دار بينهما من المحاورة فى قضية نجاح بن سلمة وله شعر رقيق حسن فمن ذلك قوله

لما وردنا القادسية حيث مجتمع الرفاق * وشممت من أرض الحجا * ز نسيم أنفاس العراق
أيقنت لى ولمن أحب بجمع شمل واتفاق * وضحكت من فرح اللقا * ء كما بكيت من الفراق
لم يبق لى الا تجشم هذه السبع البواقى * حتى يطول حديثنا * لصفات ما كنا نلاقى

ولهذه الابيات حكاية مستظرفة أحببت ذكرها ههنا وقد سردها الحافظ أبو عبد الله الحميدى فى كتاب جذوة المقتبس وغيره من أرباب تواريخ المغاربة وهو ان أبا على الحسن بن الاشكرى المصرى قال كنت رجلا من جلاس الامير تميم أبى تميم وممن يخف عليه جدا وهذا تميم هو أبو المعز بن باديس المذكور فى حرف التاء قال فارسلنى الى بغداد فابتعت له جارية رائعة فائقة الغناء فلما وصلت اليه دعا جلساءه قال وكنت فيهم ثم مدت الستارة وأمرها بالغناء فغنت

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى * برق تألق موهنا لمعانه
يبدو كحاشية الرداء ودونه * صعب الذرا متمنع أركانه
فمضى لينظر كيف لاح فلم يطق * نظرا اليه وصده سجانه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه * والماء ما سمحت به أجفانه

وهذه الابيات ذكرها صاحب الاغانى للشريف أبى عبد الله محمد بن صالح الحسينى قال ابن الاشكرى فأحسنت الجارية ما شاءت فطرب الامير تميم ومن حضر ثم غنت

سيسليك عما فات دولة مفضل * أوائله محمودة وأواخره
ثنى الله عطفيه وألف شخصه * على البر مذ شدت عليه مآزره

قال فطرب الامير تميم ومن حضر طربا شديدا ثم غنت

أستودع الله فى بغداد لى قمرا * بالكرخ من فلك الازرار مطلعه

وهذا البيت لمحمد بن زريق الكاتب البغدادى من جملة قصيدة طويلة قال الراوى فاشتد طرب الامير تميم وأفرط جدا ثم قال لها تمنى ما شئت فقالت أتمنى عافية الامير وسلامته فقال والله لابد أن تتمنى فقالت على الوفاء أيها الامير بما أتمنى قال نعم فقالت أتمنى أن أغنى بهذه النوبة ببغداد قال فانتقع لون الامير تميم وتغير وجهه وتكدر المجلس وقام وقمنا قال ابن الاشكرى فلقينى بعض خدمه وقال لى ارجع فالامير يدعوك فوجدته جالسا ينتظرنى فسلمت وقمت بين يديه فقال لى ويحك أرأيت ما امتحنا به فقلت نعم أيها الامير فقال لابد من الوفاء لها ولا أثق فى هذا بغيرك فتأهب لتحملها الى بغداد فاذا غنت هناك فاصرفها فقلت سمعا وطاعة قال ثم قمت فتأهبت وأمرها بالتأهب وأصحبها جارية له سوداء تعادلها وتخدمها وأمر بناقة ومحمل فادخلت فيه وجعلتها معى وصرت الى مكة مع القافلة وقضينا حجنا ثم دخلنا فى قافلة العراق وسرنا فلما وردنا القادسية أتتنى السوداء وقالت لى تقول لك سيدتى أين نحن فقلت لها نزول بالقادسية فانصرفت اليها وأخبرتها فلم ألبث أن سمعت صوتها قد ارتفع بالغناء وغنت الابيات المذكورة فتصايح الناس من أقطار القافلة أعيدى بالله قال فما سمع لها كلمة قال ثم نزلنا الياسرية وبينها وبين بغداد نحو خمسة أميال فى بساتين متصلة ينزل الناس بها فيبيتون ليلتهم ثم يبكرون لدخول بغداد فلما كان وقت الصباح واذا بالسوداء قد أتتنى مذعورة فقلت ما لك قالت ان سيدتى ليست بحاضرة فقلت ويلك وأين هى قالت والله ما أدرى قال فلم

اسحق باشا بقصبة اينه كول بثلاثين ثم مدرسة قبلوجه بمدينة بروسه باربعين ونقل عنها الى مدرسة محمود باشا بقسطنطينية بخمسين ثم نقل الى احدى المدرستين المتجاورتين بادرنه ثم عاد الى احدى المدارس الثمان ثم نقل الى مدرسة السلطان بايزيد خان بادرنه ثم قلد قضاء حلب ثم نقل الى قضاء مكة شرفها الله تعالى ثم عزل ثم قلد قضاء بروسه ثم نقل الى قضاء القاهرة ثم عزل ثم قلد قضاء مكة ثانيا وقد تيسر له الحج وهو قاض بها وذلك سنة تسع وستين وتسعمائة ثم عزل بهذه السنة فلما عاد الى وطنه مات من الطاعون سنة احدى وسبعين وتسعمائة وقيل بلغ عمره الى ست وسبعين سنة ولم يعقب وليدا ولا وارثا رشيدا فاوصى بثلث ماله لوجوه الخيرات فبنوا به بعض الحجرات يسكنها فقراء الملازمين وكان رحمه الله من اعلام العلماء وأكابر الفضلاء صاحب أيد فى العلوم من بين أفاضل الروم وكان فى زمن تدريسه كثير العناية بالدرس وجمع الاماثل فلذلك اشتغل عليه كثير من الافاضل وكان رحمه الله نافذ الكلام صاحب اشتهار تام كثير الافادة مقبول الشهادة وكان يقال له انه لم يبلغ أحد ممن درس

أحس لها أثرا بعد ذلك ودخلت بغداد وقضيت حوائجى منها وانصرفت الى الامير تميم فأخبرته خبرها فعظم ذلك عليه واغتم له غما شديدا ثم مازال بعد ذلك ذاكرا لها واجما عليها والقادسية بفتح القاف وبعد الالف دال مهملة مكسورة وسين مهملة مكسورة أيضا وبعدها ياء مثناة من تحتها مشددة ثم هاء ساكنة وهى قرية فوق الكوفة وعندها كانت الوقعة المشهورة فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه والياسرية بفتح الياء المثناة من تحتها وبعد الالف سين مهملة مكسورة وراء مكسورة أيضا وبعدها ياء مثناة من تحتها مشددة ثم هاء ساكنة وقد ذكرنا أين هى فلا حاجة الى الاعادة وحكى اسحق بن ابراهيم أخو زيد بن ابراهيم أنه كان يتقلد السيروان نيابة عن موسى بن عبد الملك المذكور فاجتاز به ابراهيم بن العباس الصولى الشاعر المقدم ذكره وهو يريد خراسان والمأمون يومئذ بها وقد بايع بالعهد على بن موسى الرضا وهى قضية مشهورة وقد امتدحه ابراهيم المذكور بقصيدة ذكر فيها فضل آل على وانهم أحق بالخلافة من غيرهم قال اسحق بن ابراهيم المذكور فاستحسنت القصيدة وسألت ابراهيم بن العباس أن ينسخها ففعل ووهبته ألف درهم وحملته على دابة وتوجه الى خراسان ثم تراخت الايام الى زمن المتوكل فتولى ابراهيم المذكور موضع موسى بن عبد الملك المذكور وكان يحب أن يكشف أسباب موسى فعزلنى وأمر أن تعمل مؤامرة فعملت وحضرت للمناظرة عنها فجعلت احتج بما لا يدفع فلا يقبله ونحتكم الى الكتاب فلا يلتفت الى حكمهم ويسمعنى فى خلال ذلك غليظ الكلام الى ان أوجب على الكتاب اليمين على باب من الابواب فحلفت فقال ليست يمين السلطان عندك يمينا الانك رافضى فقلت له تأذن لى فى الدنو منك فاذن لى فقلت له ليس لى مع تعريضك بمهجتى للقتل صبر وهذا المتوكل ان كتبت اليه بما سمعته منك لم آمنه على نفسى وقد احتملت كل ماجرى سوى الرفض والرافضى من زعم أن على بن أبى طالب أفضل من العباس وان ولده أحق من ولد العباس بالخلافة قال ومن ذلك قلت أنت وخطك عندى به فاخبرته بالشعر الذى عمله فى المأمون وذكر فيه على بن موسى فوالله ماهو الا أن قلت له ذلك حتى سقط فى يده ثم قال لى أحضر الدفتر الذى بخطى فقلت له هيهات لا والله أو توثق لى بما أسكن اليه أنك لا تطالبنى بشئ مما جرى على يدى وتحرق هذه المؤامرة ولا تنظر لى فى حساب فحلف لى على ذلك بما سكنت اليه وحرق العمل المعمول وأحضرت له الدفتر فوضعه فى كفه وانصرفت وقد زالت عنى المطالبة ولموسى المذكور أخبار كثيرة اضربت عن ذكرها طلبا للاختصار وتوفى فى شوال سنة ست واربعين ومائتين رحمه الله تعالى والسيروان بكسر السين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الراء والواو وبعد الالف نون وهى كورة ماسبذان بفتح الميم وبعد الالف سين مهملة وباء موحدة وذال معجمة والجميع مفتوح وبعد الالف نون وهى قرية كان يسكنها المهدى بن المنصور أبى جعفر والد هرون الرشيد بها توفى وفى ذلك يقول مروان بن أبى حفصة الشاعر المقدم ذكره

وأكرم قبر بعد قبر محمد * نبى الهدى قبر بماسبذان

عجبت لايد هالت الترب فوقه * ضحى كيف لم ترجع بغير بنان

والسيروان اسم لاربعة مواضع هذا أحدها وبلاد الجبل عبارة عن عراق العجم الفاصل بين عراق العرب وخراسان وبلاده المشهورة أصبهان وهمذان والرى وزنجار والله أعلم

(ابو منصور موهوب بن أبى طاهر احمد بن الخضر الجواليقى البغدادى الاديب اللغوى)

كان اماما فى فنون الادب وهو من مفاخر بغداد قرأ الادب على الخطيب أبى زكريا التبريزى الآتى ذكره فى حرف الياء ان شاء الله تعالى ولازمه وتتلمذ له حتى برع فى فنه وهو متدين ثقة غزير الفضل وافر العقل مليح الخط كثير الضبط صنف التصانيف المفيدة وانتشرت عنه مثل شرح أدب الكاتب والمعرب ولم يعمل فى جنسه أكثر منه وتتمة درة الغواص تأليف الحريرى صاحب المقامات سماه التكملة فيما يلحن فيه العامة الى غير ذلك وكان يختار فى مسائل النحو مذاهب غريبة وكان فى اللغة أمثل منه فى النحو وخطه مرغوب فيه يتنافس الناس فى تحصيله والمغالاة فيه وكان اماما للامام المقتفى بالله يصلى به الصلوات الخمس وألف له كتابا

بالمدارس الثمان مبلغه فى الاشتهار والظهور من بين الاقران وكان يلقى مدة اقامته بالثمانية سبعة دروس أو ثمانية وهو بهذا التعيين والاشتهار لم يكن صاحب الاحاطة والاستحضار وكان رقيق الحاشية لين الجانب تطيب النفس بصحبته وكان رحمه الله فى غاية ميل للرياسة والجاه وقد بذل فى تحصيل قضاء العسكر أموالا عظيمة وقد بنى فى زمن قضائه بمدينة بروسه على ماء حار حماما عاليا من غرائب الدنيا يحصل منه مال عظيم فى كل سنة ووهبه للوزير الكبير رستم باشا ويذكره الناس بالظلمة وحكى بعض الثقات انى رأيته يوما فى باب الوزير المزبور وعليه أثر غم شديد فسألته عنه فتأوه ثم قال قد بذلت لهذا الوزير ثلاثين ألف دينار وقد دخلت عليه اليوم وما نظر الى نظر القبول والاختيار والحق ان ذلك الوزير بالغ فى الاقدام ولم يقصر فى السعى والاهتمام الا انه لم يساعده التقدير فلم تنفع جلالة الظهير ولم تثمر هذه الجسارة الا النقص وذاق المرحوم مذاق الحريص محروم ولعمرى قد أجاد من قال وأتى بأحسن المقال (شعر)

اذا لم يعنك الله فيما تريده

فليس لمخلوق اليه سبيل

وان هو لم ينصرك لم تلق ناصرا

وان عز أنصار وجل قبيل

لطيفا فى علم العروض وجرت له مع الطبيب هبة الله بن صاعد المعروف بابن التلميذ النصرانى الآتى ذكره ان شاء الله تعالى واقعة عنده وهى انه لما حضر اليه للصلاة به ودخل عليه أول دخلة فما زاده على أن قال السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله تعالى فقال له ابن التلميذ وكان حاضرا قائما بين يدى المقتفى وله ادلال الخدمة والصحبة ما هكذا يسلم على أمير المؤمنين يا شيخ فلم يلتفت ابن الجواليقى اليه وقال للمقتفى يا أمير المؤمنين سلامى هو ما جاءت به السنة النبوية وروى له خبرا فى صورة السلام ثم قال يا أمير المؤمنين لو حلف حالف ان نصرانيا أو يهوديا لم يصل الى قلبه نوع من أنواع العلم على الوجه المرضى لما لزمته كفارة الحنث لان الله تعالى ختم على قلوبهم ولن يفك ختم الله الا بالايمان فقال له صدقت واحسنت فيما فعلت وكأنما الجم ابن التلميذ بحجر مع فضله وغزارة أدبه وسمع ابن الجواليقى من شيوخ زمانه وأكثر واخذ الناس عنه علما جما وينسب اليه من الشعر شئ قليل فمن ذلك ما رأيته منسوبا اليه فى بعض المجاميع ولم أتحققه له وهو

ورد الورى سلسال جودك فارتووا * ووقفت خلف الورد وقفة حائم

حيران أطلب غفلة من وارد * والورد لا يزداد غير تزاحم

ثم وجدت هذين البيتين لابن الخشاب من جملة أبيات وحكى ولده أبو محمد اسمعيل وكان أنجب أولاده قال كنت فى حلقة والدى يوم الجمعة بعد الصلاة بجامع القصر والناس يقرؤن عليه فوقف عليه شاب وقال ياسيدى قد سمعت بيتين من الشعر ولم أفهم معناهما وأريد أن تسمعهما منى وتعرفنى معناهما فقال قل فانشده

وصل الحبيب جنان الخلد أسكنها * وهجره النار يصلينى به النارا

فالشمس بالقوس أمست وهى نازلة * ان لم يزرنى بالجوزاء ان زارا

قال اسمعيل فلما سمعهما والدى قال يابنى هذا شئ من معرفة علم النجوم وسيرها لا من صنعة أهل الادب فانصرف الشاب من غير حصول فائدة واستحيا والدى من ان يسئل عن شئ ليس عنده منه علم وقام وآلى على نفسه أن لا يجلس فى حلقته حتى ينظر فى علم النجوم ويعرف تسيير الشمس والقمر فنظر فى ذلك وحصل معرفته ثم جلس ومعنى البيت المسؤل عنه ان الشمس اذا كانت فى آخر القوس كان الليل فى غاية الطول لانه يكون آخر فصل الخريف واذا كانت فى آخر الجوزاء كان الليل فى غاية القصر لانه آخر فصل الربيع فكأنه يقول اذا لم يزرنى فالليل عندى فى غاية الطول وان زارنى كان الليل عندى فى غاية القصر والله أعلم ولبعض شعراء عصره فيه وفى المغربى مفسر المنامات وذكرها فى الخريدة لحيص بيص هكذا وجدتها فى مختصر الخريدة للحافظ

كل الذنوب ببلدتى مغفورة * الا اللذين تعاظما أن يغفرا * كون الجواليقى فيها ملقيا

أدبا وكون المغربى معبرا * فاسير لكنته تمل فصاحة * وغفول فطنته تعبر عن كرى

ونوادره كثيرة وكانت ولادته سنة ست وستين وأربعمائة وتوفى يوم الاحد منتصف المحرم سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ببغداد ودفن بباب حرب رحمه الله تعالى بعد أن صلى عليه قاضى القضاة الزينبى بجامع القصر والجواليقى نسبة الى عمل الجوالق وبيعها وهى نسبة شاذة لان الجموع لا ينسب اليها بل ينسب الى آحادها الا ما جاء شاذا مسموعا فى كلمات محفوظة مثل قولهم رجل انصارى فى النسبة الى الانصار والجواليق فى جمع جوالق شاذ أيضا لان الياء لم تكن موجودة فى مفرده والمسموع فيه جوالق بضم الجيم وجمعه جوالق بفتحها وهو باب مطرد قالوا رجل حلاحل اذا كان وقورا والجمع حلاحل وشجر عدامل اذا كان قديما وجمعه عدامل ورجل عراعر وهو السيد وجمعه عراعر ورجل علا كد اذا كان شديدا وجمعه علاكد وله نظائر كثيرة وهو اسم أعجمى معرب والجيم والقاف لا يجتمعان فى كلمة واحدة عربية البتة

(ابو الحسن المؤيد بن محمد بن على الطوسى الاصل النيسابورى الدار المحدث)

كان أعلى المتأخرين اسنادا لقى جماعة من الاعيان وأخذ عنهم وسمع صحيح مسلم من الفقيه أبى عبد الله محمد بن الفضل الفراوى المقدم ذكره وهو آخر من بقى من أصحابه وسمع صحيح البخارى من أبى بكر وجيه بن

وان هو لم يرشدك فى كل مسلك

ضللت ولو أن السماك دليل

(وممن انخرط فى سلك هؤلاء السادة وسلك مسلك أصحاب الفوز والسعادة الشيخ عبد الرحمن ابن الشيخ جمال الدين الشهير بشيخ زاده)

ولد رحمه الله فى قصبة مرزيفون ودخل وهو شاب فى زمرة أرباب الاستعداد فاجتمع مع أفاضل عصره واستفاد حتى وصل الى خدمة المولى حافظ العجمى وهو فى احدى المدارس الثمان ولما صار المولى محمد القره باغى مدرسا بمدرسة السلطان أورخان بقصبة ازنيق جعله معيد المدرسة فلما توفى المولى المزبور ترك المرحوم طريقة العلماء واتصل بالمولى المشتهر بعرب چلبى وهو مدرس بمدرسة قاسم باشا بقصبة أبى أيوب الانصارى فقام على أقدام الاقدام واهتم فى تحصيل المعارف غاية الاهتمام فمهر فى العلوم العربية والفنون الادبية وتميز فى الحديث والتفسير وعلوم الوعظ والتذكير ثم ولى مدرسة دار الحديث التى بناها محمود الدفترى بقصبة أبى أيوب الانصارى وعين خطيبا بجامع قاسم باشا يسر الله تعالى له فى عقباه ما يشا وكان حسن النغم

طاهر بن محمد الشحامى وأبى الفتوح عبد الوهاب بن شاه بن أحمد الشاذياخى وسمع الموطأ رواية أبى مصعب الا ما استثنى منه من أبى محمد هبة الله بن سهل بن عمر البسطامى المعروف بالسدى وسمع تفسير القرآن الكريم تصنيف أبى اسحق الثعلبى من أبى العباس محمد بن محمد الطوسى المعروف بعباسة وسمع أيضا من جماعة من شيوخ نيسابور منهم الفقيه أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجوارى وأم الخير فاطمة بنت أبى الحسن على بن المظفر بن زعيل وحدث بالكثير ورحل اليه من الاقطار ولنا منه اجازة كتبها من خراسان باستدعاء الوالد رحمه الله تعالى فى جمادى الآخرة سنة عشر وستمائة وانما ذكرته لشهرته وتفرده فى آخر عصره وكانت ولادته سنة أربع وعشرين وخمسمائة ظنا وتوفى ليلة العشرين من شوال سنة سبع عشرة وستمائة بنيسابور ودفن من الغد رحمه الله تعالى ثم بعد اثبات هذه الترجمة على هذه الصورة بسنين رأيت بخط الشيخ المؤيد المذكور فى اجازة وقد رفع نسبه فقال كتبه المؤيد محمد بن على بن الحسن بن محمد بن أبى صالح الطوسى رحمه الله تعالى

(ابو سعيد المؤيد بن محمد بن على بن محمد الالوسى الشاعر المشهور)

كان من أعيان شعراء عصره كثير الغزل والهجاء ومدح جماعة من رؤساء العراق وله ديوان شعر وكان منقطعا الى الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة وله فيه مدائح جيدة ذكره محب الدين بن النجار فى تاريخ بغداد فقال هو عطاف بن محمد بن على بن أبى سعيد الشاعر المعروف بالمؤيد ولد بالوس قرية بقرب الحديثة ونشأ بدجيل ودخل بغداد وصار جاويشا فى أيام المسترشد بالله وهجاه ابن الفضل الشاعر بابيات وكان قد لجأ الى خدمة السلطان مسعود بن محمد ملكشاه وقد تقدم ذكره قال وتفسح فى ذكر الامام المقتفى وأصحابه بما لا ينبغى فقبض عليه وسجن وذكره العماد الكاتب فى كتاب الخريدة فقال ترفع قدره وأثرى حاله ونفق شعره وكان له قبول حسن واقتنى املاكا وعقارا وكثر رياشه وحسن معاشه ثم عثر به الدهر عثرة صعب منها انتعاشه وبقى فى حبس الامام المقتفى أكثر من عشر سنين الى أن خرج فى أول خلافة الامام المستنجد سنة خمس وخمسين وخمسمائة ولقيته حينئذ وقد غشى بصره من ظلمة المطمورة التى كان فيها محبوسا وكان زيه زى الاجناد وسافر الى الموصل وله غزل حسن وأسلوب مطرب بنظم معجب وقد يقع له من المعانى المبتكرة ما يندر فمن ذلك قوله فى صفة القلم

ومثقف يغنى ويفنى دائما * فى طورى الميعاد والايعاد
قلم يفل الجيش وهو عرمرم * والبيض ما سلت من الاغماد
وهبت له الآجام حين نشابها * كرم السيول وهيبة الآساد

قلت انا ولقد رأيت هذه الابيات منسوبة الى غيره والله أعلم ولم يقل فى القلم أحسن من هذا المعنى ولبعضهم فى القلم أيضا وهو من هذا المعنى

وارقش مرهوب الشباة مهفهف * يشتت شمل الخطب وهو جميع
تدين له الآفاق شرقا ومغربا * وتعنو له أفلاكها وتطيع
حمى الملك مفطوما كما كان يحتمى * به الاسد فى الا جام وهو رضيع

ولبعضهم فى المعنى أيضا

عودله نوعان من لذة المنى * فبورك جان يجتنيه وغارس
تغنت عليه وهو رطب حمامة * وغنت عليه قينة وهو يابس

ومعنى البيت الثالث ٣ مأخوذ من قول بعضهم فى وصف طنبور

وطنبور مليح الشكل يحكى * بنغمته الفصيحة عندليبا
روى لما ذوى نغما فصاحا * حواها فى تقلبه قضيبا
كذا من عاشر العلماء طفلا * يكون اذا نشا شيخا أديبا

وهذا معنى مطروق أكثر الشعراء استعماله فمن ذلك قول بعضهم

جاءت بعود يناغيها ويسعدها * انظر بدائع ما يأتى به الشجر

٣ قوله البيت الثالث يعنى قوله * وهبت له الآجام الخ اه

غنت

طيب الالحان من جملة من يتغنى بالقرآن وكان يرتل الخطب بصوت أحلى من الرطب ثم عين له وظائف الوعظ والتذكير فى عدة من الجوامع فاعتنى بنقل الاحاديث والتفاسير وقد بلغت وظيفته كل يوم الى سبعين وتميز من أقرانه المفسرين وتوفى سنة احدى وسبعين وتسعمائة كان رحمه الله من أجلة العلماء وأكابر الفضلاء وقد حضرت مجلس تفسيره ومحفل وعظه وتذكيره فوجدته فى تحقيق المقام وتدقيق المرام واصلا الى الغاية وبالغا الى النهاية وكان لا يكتفى بالايماء والترشيح بل يبالغ فى التصريح والتوضيح بحيث يلحق ثوانى المعقولات باوائل المحسوسات ولا يحترز عن التكرار والاعادة حرصا على التعليم والافادة وبالجملة كان وحيدا فى طريقته وفريدا فى صنعته ويكفيه يوم مباحثاته ومفاخرته ما كتبه أبو السعود فى صورة اجازته هذه صورة الاجازة كتبتها بالتمام لغاية حسنها ونضارتها اللهم رب الارباب مالك الرقاب منزل الكتاب محق الحق وملهم الصواب صل وسلم على أفضل من أوتى الحكمة وفصل الخطاب وعلى آله الاوتاد وصحبه الاقطاب (وبعد) فلما توسمت فى رافع هاتيك

غنت عليه ضروب الطير ساجعة * حينا فلما ذوى غنى به البشر
فلا يزل عليه الدهر مصطحبا * يحيبه الاعجمان الطير والوتر

ولولا خوف التطويل والخروج عما نحن بصدده لذكرت عدة مقاطيع فى هذا المعنى ولبهاء الدين زهير المقدم ذكره من قصيدة يمدح بها اقسيس ابن الملك الكامل

وتهتز أعواد المنابر باسمه * فهل ذكرت أيامها وهى أغصان

ثم قال العماد فى بقية الترجمة وكان ولده محمد ذكاله شعر حسن هاجر الى الملك العادل نور الدين بالشام سنة أربع وستين وكان يومئذ بصرخد فمرض فانفذه الى دمشق فمات فى الطريق بقرية يقال لها رشيدة انتهى كلام العماد ومن شعر المؤيد المذكور من جملة قصيدة له رحمه الله تعالى

فيا بردها من نفحة حاجرية * على حر صدر ليس تخبو سمائمه * ويا حسنه طيفا وشى نور وجهه
بطيفى نغطانى من الشعر فاحمه * يجول وشاحاه على غصن بانة * سقاها الحيا فاخضر واهتز ناعمه
فلما رمى فى شملنا الصبح بالنوى * ولم يبق منها غير معنى ألازمه * وقفت بحزوى وهى منها معالم
قواء وجسمى قد تعفت معالمه * وقوف بنانى فى يمينى ولم أقف * وقوف شحيح ضاع فى الترب خاتمه
ولم يبق لى رسما بجسمى صدودها * فيشجى بدمعى كلما انهل طاسمه * ولا مقلة ابقت فتغرم نظرة
تبانية والمتلف الشئ غارمه * فلله وجدى فى الركاب كأنه * دموعى وقد حنت بليل روازمه
وقد مد من كف الثريا هلالها * فقبلته حتى تهاوت مناظمه

وهى قصيدة طويلة اجاد فيها وقد وازن بها قصيدة المتنبى فى سيف الدولة بن حمدان التى أولها

وفاؤكما كالربع اشجاه طاسمه * بأن تسعدا والدمع أشفاه ساجمه

وقد استعمل فى قصيدته انصاف أبيات من قصيدة المتنبى على وجه التضمين وأكثر شعره جيد وله أيضا من جملة أبيات قوله

رحلوا فافنيت الدموع لبعدهم * من بعدهم وعجبت اذ أنا باقى
وعلمت ان العود يقطر ماؤه * عند الوقود لفرقة الاوراق
وابيت مأسورا وفرحة ذكركم * عندى تعادل فرحة الاطلاق
لا تنكر الباوى سواد مفارقى * فالحرق يحكم صنعة الحراق

وكانت ولادته سنة أربع وتسعين وأربعمائة بالوس ونشأ بها وتوفى يوم الخميس الرابع والعشرين من شهر رمضان سنة سبع وخمسين وخمسمائة بالموصل وكان خروجه من بغداد سنة خمس وخمسين وخمسمائة ولما ذكرت تاريخ ولاية المستنجد ذكرت نكتة غريبة أحببت ذكرها وهو ما أخبرنى به بعض مشايخ العراق الفضلاء ان المستنجد رأى فى منامه فى حياة والده المقتفى كان ملكا نزل من السماء فكتب فى كفه أربع خاآت فلما استيقظ طلب معبر الرؤيا فقص عليه ما رآه فقال له تلى الخلافة فى سنة خمس وخمسين وخمسمائة فكان الامر كذلك وكان ذلك قبل وفاة والده بمدة والآلوسى بضم الهمزة واللام وبعدها واو ساكنة ثم سين مهملة هذه النسبة الى ألوس وهى ناحية عند حديثة عانة على الفرات هكذا ذكره عز الدين بن الاثير المقدم ذكره فيما استدركه على الحافظ ابن السمعانى لانه قال ألوس موضع بالشام فى الساحل عند طرسوس وهو بغدادى الدار والمنشأ لانه دخل بغداد فى صباه وقيدها ابن النجار الآلسى بمد الهمزة وضم اللام والله أعلم

(ابو سعيد المهلب بن أبى صفرة ظالم بن سراق بن صبح بن كندى بن عمرو بن عدى بن وائل بن الحرث بن العتيك بن الازد ويقال الاسد بالسين الساكنة ابن عمران بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء ابن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الازد الازدى العتكى البصرى)

قال الواقدى كان أهل دبا أسلموا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتدوا بعده ومنعوا الصدقة فوجه اليهم أبو بكر الصديق رضى الله عنه عكرمة بن أبى جهل المخزومى رضى الله عنه فقاتلهم وهزمهم واثخن فيهم القتل وتحصن كلهم فى حصن لهم وحصرهم المسلمون ثم نزلوا على حكم حذيفة بن اليمان فقتل مائة من اشرافهم وسبى ذراريهم وبعثهم الى أبى بكر الصديق رضى الله عنه وفيهم أبو صفرة غلام لم يبلغ فاعتقهم

الارقام زين العلماء الاعلام الالمعى الفطن اللبيب واللوذعى اللقن الاريب ذى الطبع السليم الوقاد والذهن القوى النقاد العاطف لاعنة عزائمه ابتغاء مرضاة الله من غير عاطف يثنيه والصارف لازمة صرائمه نحو تحصيل زلفاه بلا صارف يلويه الساعى فى تكميل النفس بالكمالات العلية بحسب قوتيه النظرية والعملية سليل المشايخ الاخيار نجل العلماء الابرار مولانا الشيخ عبد الرحمن ابن قدوة العارفين الشيخ جمال الملة والدين وفقه الله تعالى لما يحبه ويرضاه وأتاح له فى أولاه وأخراه ما هو له أولاه وأحراه دلائل نبل ظاهر فى الفنون ومخايل فضل باهر فى معرفة الكتاب المكنون أجزت له فى مطالعة الكتب الفاخرة واقتناص العلوم الزاخرة التى ألفها اساطين أئمة التفسير من كل وجيز وبسيط وصنفها سلاطين أسرة التقرير والتحرير من كل شامل ومحيط واستخراج ما فى مطاويها من الفوائد البارعة واستنباط ما فى تضاعيفها من الفرائد الرائعة وسوغت له افادتها للمقتبسين من أنوارها الرائقة تفسيرا وتقريرا وللمغتنمين من مغانم آثارها عظة وتذكيرا على ما نظمه بنان البيان فى سمط

أبو بكر رضى الله عنه وقال اذهبوا حيث شئتم فتفرقوا فكان أبو صفرة ممن نزل البصرة وقال ابن قتيبة فى كتاب المعارف هذا الحديث باطل أخطأ فيه الواقدى لان ابا صفرة لم يكن فى هؤلاء ولا رآه أبو بكر قط وانما وفد على عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو شيخ ابيض الرأس واللحية فامره ان يخضب فخضب فكيف يكون غلاما فى زمن أبى بكر وقد ولد المهلب وهو من أصاغر من ولد قبل وفاة النبى صلى الله عليه وسلم بسنين وقد كان فى ولده من ولد قبل وفاة النبى صلى الله عليه وسلم بثلاثين سنة وأكثر وكان المهلب المذكور من أشجع الناس وحمى البصرة من الخوارج وله معهم وقائع مشهورة بالاهواز استقصى أبو العباس المبرد فى كتابه الكامل اكثرها فهى تسمى بصرة المهلب لذلك ولولا طولها وانتشار وقائعه الذكرت طرفا منها وكان سيدا جليلا نبيلا روى انه قدم على عبد الله بن الزبير أيام خلافته بالحجاز والعراق وتلك النواحى وهو يومئذ بمكة فخلا به عبد الله يشاوره فدخل عليه عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف بن وهب القرشى الجمحى فقال من هذا الذى قد شغلك يا أمير المؤمنين يومك هذا قال اما تعرفه قال لا قال هذا سيد أهل العراق قال فهو المهلب بن أبى صفرة قال نعم فقال المهلب من هذا يا أمير المؤمنين قال هذا سيد قريش قال فهو عبد الله بن صفوان قال نعم قال ابن قتيبة فى المعارف ولم يكن يعاب بشئ الا بالكذب ثم قال ابن قتيبة بعد هذا وأنا أقول كان المهلب أتقى الناس لله عزوجل وأشرف وأنبل من أن يكذب ولكنه كان محربا وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة وكان يعارض الخوارج بالكلمة فيورّى بها عن غيرها يرهب بها الخوارج وكانوا يسمونه الكذاب و يقولون راح يكذب وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا أراد حربا ورّى بغيرها وقال أبو العباس المبرد فى الكامل فى شرح أبيات رمى فيها المهلب بالكذب ماصورته وقوله الكذاب لان المهلب كان فقيها وكان يعلم ماجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله كل كذب يكتب كذبا الا ثلاثة الكذب فى الصلح بين الرجلين وكذب الرجل لامرأته يعدها وكذب الرجل فى الحرب يتوعد و يتهدد وكان المهلب ربما صنع الحديث ليشد به أمر المسلمين و يضعف به أمر الخوارج وكان حى من الازد يقال لهم الندب اذا رأوا المهلب رائحا اليهم قالوا قد راح المهلب يكذب وفيه يقول رجل منهم

أنت الفتى كل الفتى * لو كنت تصدق ماتقول

وذكر المبرد فى كتاب الكامل فى أواخره فى فصل قتال الخوارج وماجرى بين المهلب والازارقة وكانت ركب الناس قديما من الخشب فكان الرجل يضرب بركابه فينقطع فاذا أراد الضرب والطعن لم يكن له معين أو معتمد فامر المهلب فضربت الركب من الحديد فهو أول من أمر بطبعها وأخبار المهلب كثيرة وتقلبت به الاحوال وآخر ماولى خراسان من جهة الحجاج بن يوسف الثقفى المقدم ذكره فانه كان أمير العراقين وضم اليه عبد الملك بن مروان خراسان وسجستان فاستعمل على خراسان المهلب المذكور وعلى سجستان عبد الله بن أبى بكرة فورد المهلب خراسان واليا عليها سنة تسع وسبعين للهجرة وكان قد أصيب بعينه على سمرقند لما فتحها سعيد بن عثمان بن عفان رضى الله عنه فى خلافة معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه فانه كان معه فى تلك الغزوة وقلعت أيضا عين طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعى المعروف بطلحة الطلحات المشهور بالكرم والجود وفى ذلك يقول المهلب

لئن ذهبت عينى لقد بقيت نفسى * وفيها بحمد الله عن تلك ماينسى

اذا جاء أمر الله احيا حيولنا * ولابد أن نعمى العيون لدى الرمس

وقيل ان المهلب قلعت عينه على الطالقان ولم يزل المهلب واليا بخراسان حتى أدركته الوفاة هنالك ولما حضره أجله عهد الى ولده يزيد الآتى ذكره ان شاء الله تعالى وأوصاه بقضايا وأسباب ومن جملة ماقال له يابنى استعقل الحاجب واستظرف الكاتب فان حاجب الرجل وجهه وكاتبه لسانه ثم توفى فى ذى الحجة سنة ثلاث وثمانين للهجرة بقرية يقال لها زاغول من أعمال مرو الروذ من ولاية خراسان رحمه الله تعالى وله كلمات لطيفة واشارات مليحة تدل على مكارمه ورغبته فى حسن السمعة والثناء الجميل فمن ذلك قوله الحياة خير من

السطور ورقه براعة البراعة فى طى رقها المنشور حسبما أجازلى شيخى و والدى المرحوم بحر المعارف ولجة العلوم صاحب النفس المطمئنة القدسية محرز الملكات الانسية المنسلخ عن النعوت الناسوتية الفانى فى أحكام الشؤن اللاهوتية العارف باطوار خطرات النفس الواقف على أسرار الحضرات الخمس مالك زمام الهداية والارشاد حجة الحق على كافة العباد محيى الشريعة والحقيقة والدين محمد بن مصطفى العماد المجاز له من قبل مشايخه الكبار لاسيما أستاذه الجليل المقدار الجليل الآثار الحبر السامى والبحر الطامى الصنديد الفريد والنحرير الجيد المجيد عم والدى علاء الملة والدين المولى الشهير بعلى قوشجى صاحب الشرح الجديد للتجريد واستاذى العلامة العظيم الشان والفهامة الجلى العنوان الامام الهمام السميدع القمقام نسيج وحده و وحيد عهده عبقرى لايوجد له مثال أوحدى يضرب بما آثره الامثال المولى البارع الامجد أبو المعالى عبد الرحمن بن على المؤيد المجاز له من قبل أستاذه المشهور جلالة قدره فيما بين الجمهور المعروف فضائله لدى القاصى والدانى جلال الملة

الموت والثناء الحسن خير من الحياة ولو أعطيت مالم يعطه أحد لاحببت أن تكون لى أذن أسمع بها مايقال فى غدا اذا مت وقد قيل ان هذا الكلام لولده يزيد والله أعلم وكان المهلب يقول لبنيه يابنى احسن ثيابكم ما كان على غيركم وقد أشار الى هذا أبو تمام الطائى فيما كتبه الى من يطلب منه كسوة

أنت العليم الطب أى وصية * بها كان أوصى فى الثياب المهلب

وقد ذكر الطبرى فى تاريخه انه توفى سنة اثنتين وثمانين والله أعلم والكلام على وفاته مذكور فى ترجمة ابنه يزيد فلينظر هنالك فانه مستوفى ولما حضره من يليه دعا بسهام فحزمت ثم قال أترونكم كاسريها مجمعة قالوا لا قال أفترونكم كاسريها مفرقة قالوا نعم قال هكذا الجماعة ثم مات ولما مات رثاه الشعراء وأكثروا وفى ذلك يقول نهار بن توسعة الشاعر المشهور

ألا ذهب الغزو المقرب للغنى * ومات الندى والجود بعد المهلب

أقاما بمرو الروذ لا يبرحانها * وقد فقدا من كل شرق ومغرب

وخلف المهلب عدة أولاد نجباء كرماء اجوادا أمجادا وقال ابن قتيبة فى كتاب المعارف و يقال انه وقع الى الارض من صلب المهلب ثلثمائة ولد وقد تقدم فى حرف الراء ذكر حفيده روح بن يزيد بن أبى حاتم بن قبيصة ابن المهلب وسيأتى ذكر يزيد فى حرف الياء ان شاء الله تعالى ومن سراة أولاده المغيرة وكان أبوه يقدمه فى قتال الخوارج وكان له معهم وقائع ماثورة تضمنتها التواريخ أبلى فيها بلاء أبان عن نجدته وشهامته وصرامته وتوجه صحبة أبيه الى خراسان واستنابه عنه بمرو الشاهجان وتوفى بها فى حياة أبيه سنة اثنتين وثمانين ورثاه أبو أمامة زياد الاعجم وهو زياد بن سليمان ويقال ابن جابر وهو ابن عبد القيس الشاعر المشهور بقصيدته الحائية السائرة التى أوّلها

قل للقوافل والغزاة اذا غزوا * للباكرين وللمجد الرائح * ان السماحة والمروءة ضمنا
قبرا بمرو على الطريق الواضح * فاذا عبرت بقبره فاعقر به * كوم الهجان وكل طرف سابح
وانضح جوانب قبره بدمائها * فلقد يكون أخادم وذبائح * واظهر ببزته وعقد لوائه
واهتف بدعوة مصلتين شرائح * أب الجنود معاقلا أوكافلا * وأقام رهن حفيرة وضرائح
وأرى المكارم يوم زيل بنعشه * زالت بفضل فواضل ومدائح * رجفت لمصرعه البلاد وأصبحت
منا القلوب لذاك غير صحائح * الآن لما كنت اكرم من مشى * وافترنابك عن سناه القادح
وتكاملت فيك المروءة كلها * أعقبت ذلك بالفعال الصالح * وكفى لنا حزنا ببيت حله
أحرى المنون فليس عنه بنازح * فعفت منابره وحط سروجه * عن كل طامحة وطرف طامح
واذا يناح على امرئ فليعلمن * ان المغيرة فوق نوح النائح * تبكى المغيرة خيلنا ورماحنا
والباكيات برنة وتصايح * مات المغيرة بعد طول تعرض * للقتل بين أسنة وصفائح
واذا الامور على الرجال تشابهت * وتوعرت بمغالق و مفاتح * فتل النحيل بمبرم ذى مرة
دون الرجال بفضل عقل راجح * وأرى الصعالك للمغيرة أصبحت * تبكى على طلق اليدين مسامح
كان الربيع لهم اذا انتجعوا الندى * وخبت لوامع كل برق لائح * كان المهلب بالمغيرة كالذى
ألقى الدلاء الى قليب المائح * فاصاب جمة ما استقى فسقى له * فى حوضه بنوازع وموائح
أيام لو يحتل وسط مفازة * فاضت معاطنها بشرب سائح * ان المهلب لن يزال لها فتى
يمرى قوادم كل حرب لاقح * بالمقربات لواحقا آطالها * يجتاب سهل سباسب وصحاصح
متلهفا تهفو الكتائب حوله * لمع المنون من النصيح الراجح * ملك أغر متوج يسموله
طرف الصديق بغض طرف الكاشح * رفاع الوية الحروب الى العدا * بسعود طير سوانح و بوارح

وهذه القصيدة من غرر القصائد ونخبها ولولا خوف الاطالة لاثبتها كلها وهى طويلة تزيد على خمسين بيتا وقد ذكرها أبو على القالى المقدم ذكره فى حرف الهمزة فى كتابه الذى جعله ذيلا على اماليه وتكلم على

والدين محمد بن أسعد الدوانى المجاز له من قبل أساتذته العظام الذين من زمرتهم والده العلى القدر سعد الملة والدين أسعد الصديقى المجاز من قبل مشايخه الفخام لاسيما أستاذه علامة العالم مسلم الفضل فيما بين جماهير الامم الغنى عن التعريف على الاطلاق المشتهر بلقبه الشريف فى أكناف الآفاق زين الملة والدين على المحقق الجرجانى وأستاذى الماجد الخطير والنقاب المحدث النحرير ذو القدر الاتم والفخر الاشم أبو الفضائل سيدى محمد بن محمد المجاز له من قبل أستاذه الفاضل وشيخه الكامل ذى النسب والفضل المولى المشتهر بحسن جلبى محشى شرح المواقف المجاز له من جهة شيخه الاجل وأستاذه الشامخ المحل وحيد عصره وأوانه وفريد دهره وزمانه علاء المجد والدين المشهور بالمولى الطوسى صاحب كتاب الذخر والله سبحانه أسأل مكبا على وجه الذل والمهانة ساجدا على جباه الضراعة والاستكانة أن يفيض عليهم سجال غفرانه وشآبيب رحمته ورضوانه ويهدينا سبيل الهدى ومناهج الرشاد ويقينا مصارع السوء يوم التناد انه رؤف بالعباد كتبه الفقير الى الله سبحانه

بعض أبياتها وقال انها قد تنسب الى الصلتان العبدى الشاعر المشهور لكن الاصح انها لزياد الاعجم والبيت الثانى منها تستشهد به النحاة فى كتبهم على جواز تذكير المؤنث اذا لم يكن له فرج حقيقى وهو أشهر بيت فى هذه القصيدة لكثرة استعمالهم له وقد أخذ بعض الشعراء معنى البيت الثالث والرابع فقال

اخلائى ان لم يكن لكما عقر * الى جنب قبره فاعقرانى

وانضحا من دمى عليه فقد كا * ن دمى من نداه لو تعلمان

وصاحب هذين البيتين هو الشريف أبو محمد الحسن بن محمد بن على بن أبى الضوء العلوى الحسينى نقيب مشهد باب التين ببغداد وهما من جملة قصيدة يرثى بها النقيب الطاهر والد عبد الله ذكر ذلك العماد الكاتب فى كتاب الخريدة وقال أيضا ان الشريف أبا محمد المذكور توفى سنة سبع وثلاثين وخمسمائة ببغداد رحمه الله تعالى ثم بعد وقوفى على ما ذكره العماد فى الخريدة وجدت هذين البيتين فى كتاب معجم الشعراء تأليف المرزبانى لاحمد بن محمد الخثعمى وكنيته أبو عبد الله ويقال أبو العباس ويقال انه الحسن وكان يتشيع ويهاجى البحترى وكان المغيرة بن المهلب قد مزق ديباجا كان على زياد الاعجم فقال زياد فى ذلك

لعمرك ما الديباج مزقت وحده * ولكنما مزقت عرض المهلب

فبلغ ذلك المهلب فارضاه واستعطفه وذكر أبو الحسين على بن أحمد السلامى فى كتاب تاريخ ولاة خراسان ان رجلا سمع من زياد الاعجم هذه القصيدة قبل أن يسمعها المهلب فانشده اياها فاعطاه مائة ألف درهم ثم أتاه زياد الاعجم فانشده اياها فقال له قد أنشدنيها رجل قبلك فقال انما سمعها منى فاعطاه مائة ألف درهم وللمهلب عقب كثير بخراسان يقال لهم المهالبة وفيهم يقول بعض شعراء الحماسة

نزلت على آل المهلب شاتيا * بعيدا عن الاوطان فى الزمن المحل

فما زال بى معروفهم وافتقادهم * وبرهم حتى حسبتهم أهلى

والوزير أبو محمد المهلبى المقدم ذكره فى حرف الحاء من نسله أيضا رحمهم الله أجمعين وفى اوائل هذه الترجمة أسماء تحتاج الى الضبط والكلام عليها فاما العتيك والازد فقد تقدم الكلام عليهما واما مزيقياء فهو بضم الميم وفتح الزاى وسكون الياء المثناة من تحتها وكسر القاف وفتح الياء الثانية وبعدها همزة ممدودة وهو لقب عمرو المذكور وكان من ملوك اليمن وانما لقب بذلك لانه كان يلبس كل يوم حلتين منسوجتين بالذهب فاذا أمسى مزقهما وخلعهما وكان يكره أن يعود فيهما ويأنف أن يلبسهما أحد غيره وهو الذى انتقل من اليمن الى الشام لقصة يطول شرحها والانصار من ولده وهم الاوس والخزرج وحكى أبو عمر بن عبد البر صاحب كتاب الاستيعاب فى كتابه الذى سماه القصد الامم فى أنساب العرب والعجم وهو كتاب لطيف الحجم أن الاكراد من نسل عمرو مزيقياء المذكور وانهم وقعوا الى أرض العجم فتناسلوا بها وكثر ولدهم فسموا الكرد وقال بعض الشعراء فى ذلك وهو يعضد ما قاله عمر بن عبد البر

لعمرك ما الاكراد أبناء فارس * ولكنه كرد بن عمرو بن عامر

وأما أبوه عامر فانما لقب بماء السماء لجوده وكثرة نفعه فشبه بالغيث وأما المنذر بن ماء السماء اللخمى أحد ملوك الحيرة فان أباه امرؤ القيس عمرو بن عدى وماء السماء أمه وهى بنت عوف بن جشم بن النمر بن قاسط وانما قيل لها ماء السماء لحسنها وجمالها وأما دبا بفتح الدال المهملة والباء الموحدة وبعدها ألف مقصورة وهو اسم موضع بين عمان والبحرين أضيفت جماعة من الازد اليه لما نزلوه وكان للازد عند تفرقهم حسبما ذكرناه فى أول هذه الترجمة أضيفت كل طائفة الى شئ يميزها عن غيرها فقيل أزد دبا وازد شنوأة وازد عمان وازد السراة ومرجع الكل الى الازد المذكور فلا يظن ظان أن الازد مختلف باختلاف المضافين اليه وقد قال الشاعر وهو النجاشى واسمه قيس بن عمرو بن مالك بن حرب بن الحرث بن كعب بن الحرث الحارثى

وكنت كذى رجلين رجل صحيحة * ورجل بها ريب من الحدثان

فاما التى صحت فازد شنوأة * وأما التى شلت فازد عمان

ولما

الراجى من جنابه عفوه وغفرانه أبو السعود الحقير عفى عنه

(ومن محاسن الدهر اللدود المولى محمد ابن المفتى أبى السعود)

ولد رحمه الله وسحابه يبرق عن مجد أصيل وصباحه يسفر عن شرف أثيل وكلم فى المهد عن طيب نجره كلؤلؤ يخبر عن كرم بحره فلما رأى أبوه رشاقة غصنه عطف عليه سوا كب مزنه فعما قليل صدق الناس فى استدلالهم بطيب الاصل على طيب الثمر وحقق تفرسهم ما تفرسوا فى الهلال ابن القمر ثم اتصل الى المولى محيى الدين الفنارى واشتغل لديه حتى شهد بفضله وأثنى عليه فاعطاه السلطان بتربيته مدرسة قاسم باشا بخمسين ثم نقل الى مدرسة السلطان محمد فى جوار أبى أيوب الانصارى عليه رحمة الملك البارى ثم نقل الى احدى المدارس الثمان ثم الى مدرسة السلطان سليم خان ثم قلد قضاء دمشق الشام من ألطف بلاد الاسلام فلما وصل اليها باشر القضاء بما يليق به من الصرامه والشهامة وكمال الاستقامه وتواتر الاخبار بشكر أهل هذه الديار ثم عزل عنه بلا سبب ثم قلد قضاء حلب فبعد مضى سنة ساءت به الظنون وحل به

ولما هزم المهلب قطرى بن الفجاءة المقدم ذكره بعث الى مالك بن بشير فقال انى موفدك الى الحجاج فسر فانما هو رجل مثلك وبعث اليه بجائزة فردها وقال انما الجائزة بعد الاستحقاق وتوجه فلما دخل على الحجاج قال ما اسمك قال مالك بن بشير قال ملك وبشارة ثم قال كيف تركت المهلب قال أدرك ما أمل وأمن ما خاف قال فكيف هو بجنده قال والد رؤف قال كيف رضاهم عنه قال وسعهم بالفضل وأقنعهم بالعدل قال كيف تصنعون اذا لقيتم عدوكم قال نلقاهم بجدنا فنطمع فيهم ويلقونا بجدهم فيطمعون فينا قال فما حال قطرى ابن الفجاءة قال كادنا بمثل ما كدناه به قال فما منعكم من اتباعه قال رأينا المقام من ورائه خيرا من اتباعه قال فاخبرنى عن ولد المهلب قال رعاة البيات حتى يأمنوه وحماة السرح حتى يردوه قال أيهم أفضل قال ذلك الى أبيهم قال لتقولن قال هم كحلقة مفرغة لا يعلم طرفاها قال أقسمت عليك هل رويت فى هذا الكلام قال ما أطلع الله أحدا على غيبه فقال الحجاج لجلسائه هذا والله الكلام المطبوع لا الكلام المصنوع قلت كان حق هذا الفصل ان يكون متقدما لكنه كذا وقع

(ابو الحسين مهيار بن مرزويه الكاتب الفارسى الديلمى الشاعر المشهور)

كان مجوسيا فاسلم ويقال ان اسلامه كان على يد الشريف الرضى أبى الحسن محمد الموسوى المقدم ذكره وهو شيخه وعليه تخرج فى نظم الشعر وقد وازن كثيرا من قصائده وكان شاعرا جزل القول مقدما على أهل وقته وله ديوان شعر كبير يدخل فى أربع مجلدات وهو رقيق الحاشية طويل النفس فى قصائده ذكره الحافظ أبو بكر الخطيب فى تاريخ بغداد واثنى عليه وقال كنت أراه يحضر جامع المنصور فى أيام الجمعات يعنى ببغداد ويقرأ عليه ديوان شعره ولم يقدر لى أن أسمع منه شيأ وذكره أبو الحسن الباخرزى المقدم ذكره فى كتاب دمية القصر فقال فى حقه هو شاعر له فى مناسك الفضل مشاعر وكانت تحت كل كلمة من كلماته كاعب وما فى قصيدة من قصائده بيت يتحكم عليه بلو وليت وهى مصبوبة فى قوالب القلوب وبمثلها يعتذر الزمان المذنب عن الذنوب ثم عقب هذا الكلام بذكر مقاطيع من شعره وأبيات من جملة قصائده وذكره أبو الحسن على بن بسام فى كتاب الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة وبالغ فى الثناء عليه وذكر شيأ من شعره ومن نظمه المشهور قصيدته التى أولها

سقى دارها بالرقمتين وحياها * ملث يحيل الترب فى الدار أمواها

وكيف بوصل الحبل من أم مالك * وبين بلاد ينازرود ولبناها

يراها بعين الشوق قلبى على النوى * فيحظى ولكن من لعينى برؤياها

فلله ما أصفى وأكدر حبها * وأبعدها منى الغداة وأدناها

اذا استوحشت عينى أنست بان أرى * نظائر تصبينى اليها واشباها

واعتنق الغصن الرطيب لقدها * وأرشف ثغر الكاس أحسبه فاها

ويوم الكثيب استشرفت لى ظبية * مولهة قد ضل بالقاع خشفاها

بدلة خوف الثكل حبة قلبها * فتزداد حسنا مقلتاها وليتاها

فما ارتاب طرفى فيك يا أم مالك * على صحة التشبيه انك اياها

فان لم تكونى خدها وجبينها * فانك أنت الجيد أو أنت عيناها

ألوامة فى حب دار عزيزة * يشق على رجم المطامع مرماها

دعوه ونجدا انها شأن قلبه * فلو ان نجدا بلغة ما تعداها

وهبكم منعتم أن يراها بعينه * فهل تمنعون القلب أن يتمناها

وليل بذات الاثل قصر طوله * سرى طيفها آها لذكرته آها

تخطت اليه الهول مشيا على الهوى * واخطاره لا يبعد الله ممشاها

وقد كاد أسداف الدجى أن يضلها * فما دلها الا وميض ثناياها

ريب المنون وذلك سنة احدى وسبعين وتسعمائة وما ناف عمره على أربعين سنة كان المرحوم من محاسن العصر ونوادر الدهر فى شدة ذكائه وصفاء ذهنه ونقائه يتلألأ من جبينه آثار النجابة ويلوح من وجناته أنوار السيادة وكان رحمه الله عالما أديبا ومخدوما لبيبا له اطلاع على المعارف والتواريخ وكان له معرفة تامة باحوال الخط وقد جمع الكثير من خطوط السلف وبذل فيه أموالا عظيمة وكان يكتب خطا مليحا فى الغاية وكان له اطلاع عظيم على قواعد اللسان الفارسى حتى بلغ الى أنه نظم الشعر الفارسى على أبلغ النظام بحيث يعجز عنه مهرة الاعجام

(شعر)

با آيين وقابستى مبانرا
باخيالست أين

چنين نازك خيالى كى توان
بستن محالست أين

ز بالاى توحيران نى شكر
سرو كلستان هم

عجب شيرين شمايل قامت
بااعتدالست اين

نهان شد آفتاب وماه نو
خوشتر نمى آيد

ز رويت آن خجل وز ابرويت
دار نفعالست اين

مكن عيبم اگر مى نالم از نار غم
هجران

غم هجران مكو صد كونه
اندوه وملالست اين

ومن شعره أيضا ان التى علقت قلبك حبها * راحت بقلب منك غير عاوق
عقدت ضمان وفائها من خصرها * نوهى كلا العقدين غير وثيق

ومن سائر شعره أيضا قوله رحمه الله تعالى

بكر العارض تحدوه النعامى * فسقاك الرى يا دار أماما
وبجرعاء الحمى قلبى فعج * بالحمى واقرأ على قلبى السلاما
وترحل فتحدّث عجبا * ان قلبا سار عن جسم اقاما
قل لجيران الغضى آها على * طيب عيش بالغضى لو كان داما
يصل العام ولا ينسا كمو * وقصار الوجد أن نسلخ عاما
حملوا ريح الصبا من نشركم * قبل أن تحمل شيحا وخزاما
وابعثوا أشباحكم لى فى الكرى * ان أذنتم لجفونى أن تناما

وهى قصيدة طويلة نقتصر من أطايبها على هذا القدر طلبا للاختصار ومن شعره قصيدته التى منها

أرقت فهل لهاجعة بسلع * على الارقين أفئدة ترق
نشدتك بالمودة يا ابن ودى * فانك بى من ابن أبى أحق
أسل بالجزع دمعك ان عينى * اذا استبرتها دمعا تعق
وان شق البكاء على المعافى * فلم أسألك الا ما يشق

وله فى القناعة وقد أحسن رحمه الله تعالى

يلحى على البخل الشحيح بماله * أفلا تكون بماء وجهك أبخلا
أكرم يديك عن السؤال فانما * قدر الحياة أقل من أن تسألا
ولقد أضم الى فضل قناعتى * وأبيت مشتملا بها متزملا
وأرى العدوّ على الخصاصة شارة * تصف الغنى فيخالنى متمولا
واذا امرؤ أفنى الليالى حسرة * وأمانيا أفنيتهن توكلا

ومن بديع مدائحه قوله من جملة قصيدة

واذا أولئك تفرقت أرواحهم * فكأنما عرفتك قبل الاعين
واذا أردت بان تفل كتيبة * لاقيتها فتسم فيها واكتن

وله من جملة قصيدة أبيات تتضمن العتب وهى

اذا صوّر الاشفاق لى كيف أنتم * وكيف اذا ما عنّ ذكرى صبرتم
تنفست عن عتب فؤادى مفصح * به ولسانى للحفاظ مجمجم
وَفى فىّ ماء من بقايا ودادكم * كثير ابه من ماء وجهى أرقتم
أرقت فما ضناعليه وبينه * وبين انسكاب ريثما أتكلم

وديوانه مشهور فلا حاجة الى الاطالة فى أثبات محاسنه ويعجبنى كثيرا قوله من جملة قصيدة طويلة بيت واحد وهو

منا أتتم من ظاعنين وخلفوا * قلوبا أبت أن تعرف الصبر عنهم

وتوفى ليلة الاحد لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة ثمان وعشرين وأربعمائة وفى تلك السنة توفى الرئيس أبو على بن سينا الحكيم المشهور حسبما تقدم ذكره فى ترجمته رحمه الله تعالى ورأيت فى بعض التواريخ انه توفى سنة ست وعشرين والاوّل أصح وذكر الباخرزى المذكور فى كتابه الدمية أيضا ولده الحسين بن مهيار ونسب اليه القصيدة الحائية التى من جملتها يا نسيم الريح من كاظمة * شدما هجت البكا والبرحا وهى قصيدة طويلة وهى من مشاهير قصائد مهيار ولا أعلم من أين وقع له هذا الغلط ومهيار بكسر الميم وسكون الهاء وفتح الياء المثناة من تحتها وبعد الالف راء ومرزويه بفتح الميم وسكون الراء وفتح الزاى والواو وبعدها ياء مثناة من تحتها ثم هاء ساكنة وهما اسمان فارسيان لا أعرف معناهما والله تعالى أعلم

حرف النون

(أبو عبد الله نافع مولى عبد الله بن عمر رضى الله عنهم)

كان

زحال ميلى بى صبر دل
هر كز نير سيدى
نيامد هيج ازو يادت نمى
دانم چه حالست اين
(وله أيضا)
ترا اى نوش لب كام دل وجان
مى توان كفتن
نجان بخش لبت را آب
حيوان ميتوان كفتن
قدت مانند سرو از ناز چون
قامت برافرازى
چو بخرامى ترا سرو خرامان
ميتوان كفتن
يكو بت كلرجان جعند
بم رديدن رو بت
سر كوى ترا رشك كلستان
ميتوان كفتن
بريزى بى كنه هر لحظه
خون صد مسلمانرا
ترا اى ترك بدخو
نامسلمان مى توان كفتن
مه من با تو دارد ميلى بى
خانمان حرفى
ولى حرفى كه بنهان
بارقيبان مى توان كفتن

(ومن العلماء الجليل المقدار المولى مصلح الدين ابن المولى محيى الدين المشتهر بابن المعمار)

توفى أبوه قاضيا بحلب فوجه المرحوم راحلة الطلب نحو ناصية العلم والادب فعطف على طلب الفضائل ساهرا فقطف من رياض العلوم ثمارا وزاهرا وقرأ على المولى محيى الدين الشهير بالمعلول ثم على المولى الشيخ محمد الشهير بجوى زاده ثم صار ملازما من المولى خير الدين معلم السلطان سليمان

كان ديلميا وأصابه مولاه عبد الله بن عمر فى غزاته وهو من كبار التابعين سمع مولاه وأبا سعيد الخدرى وروى عنه الزهرى وأيوب السختيانى ومالك بن أنس رضى الله عنهم وهو من المشهورين بالحديث ومن الثقات الذين يؤخذ عنهم ويجمع حديثهم ويعمل به ومعظم حديث ابن عمر عليه دار وقال مالك كنت اذا سمعت حديث نافع عن ابن عمر لا أبالى ان لا أسمعه من أحد غيره وأهل الحديث يقولون رواية الشافعى عن مالك عن نافع عن ابن عمر سلسلة الذهب لجلالة كل واحد من هؤلاء الرواة وحكى الشيخ أبو اسحق الشيرازى رحمه الله تعالى فى كتاب المهذب فى باب الوليمة والنثر عن نافع قال كنت أسير مع عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فسمع زمارة راع فوضع أصبعيه فى أذنيه ثم عدل عن الطريق فلم يزل يقول يا نافع أتسمع حتى قلت لا فاخرج أصبعيه عن أذنيه ثم رجع الى الطريق ثم قال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى هذا الاثر اشكال تسأل عنه الفقهاء وهو ان ابن عمر كيف سد أذنيه عن استماع صوت الزمارة ولم يأمر مولاه نافعا بفعل ذلك بل مكنه منه وكان يسأله كل وقت هل انقطع الصوت أم لا وقد أجابوا عن الاشكال بان نافعا حينئذ كان صبيا فلم يكن مكلفا حتى يمنعه عن الاستماع ويرد على هذا الجواب سؤال آخر وهو ان الصحيح ان اخبار الصبى غير مقبول فكيف ركن ابن عمر الى اخباره فى انقطاع الصوت وهذا الاثر يعضد حجة من قال ان رواية الصبى مقبولة وفى ذلك خلاف مشهور وليس هذا موضع الكلام عليه واخبار نافع كثيرة وتوفى سنة سبع عشرة وقيل سنة عشرين ومائة رضى الله عنه

(أبو رويم نافع بن عبد الرحمن بن أبى نعيم مولى جعونة بن شعوب الشجعى المقرى المدنى أحد القراء)

كان امام أهل المدينة والذى صاروا الى قراءته ورجعوا الى اختياره وهو من الطبقة الثالثة بعد الصحابة رضوان الله عليهم وكان محتسبا فيه دعابة وكان أسود شديد السواد قال ابن أبى أويس قال لى مالك رضى الله عنه قرأت على نافع وقال الاصمعى قال لى نافع أصلى من أصبهان هكذا قاله الحافظ أبو نعيم فى تاريخ أصبهان وكان قرأ على أبى ميمونة مولى أم سلمة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له راويان ورش وقالون وقد سبق ذكرهما فى حرف العين وتوفى نافع المذكور سنة تسع وستين ومائة وقيل سنة تسع وخمسين وقيل غير ذلك بالمدينة والاوّل أصح وقيل ان كنيته أبو الحسن وقيل أبو عبد الله وقيل أبو عبد الرحمن وقيل أبو نعيم والله أعلم بالصواب وجعونة بفتح الجيم وسكون العين المهملة وفتح الواو والنون وبعدها هاء ساكنة وهو فى الاصل الرجل القصير ثم سمى به الرجل وان لم يكن قصيرا وجعل عليه علما وكان جعونة حليف حمزة بن عبد المطلب وقيل حليف العباس بن عبد المطلب رضى الله عنهما وقيل حليف بنى هاشم وشعوب بفتح الشين المعجمة وضم العين المهملة وسكون الواو وبعدها باء موحدة وهو فى الاصل اسم المنية والشجعى بكسر الشين المعجمة وسكون الجيم وبعدها عين مهملة هذه النسبة الى بنى شجع وهم من بنى عامر بن ليث ولم يتعرض ابن السمعانى الى ذكر هذه النسبة

(أبو الفتح ناصر بن أبى المكارم عبد السيد بن على المطرزى الفقيه الحنفى النحوى الاديب الخوارزمى)

كانت له معرفة تامة بالنحو واللغة والشعر وأنواع الادب قرأ ببلده على أبيه وعلى أبى المؤيد الموفق بن أحمد ابن محمد المكى خطيب خوارزم وغيرها وسمع الحديث من أبى عبد الله محمد بن على بن أبى سعيد التاجر وغيره وكان تام المعرفة بفنه رأسا فى الاعتزال داعيا اليه ينتحل مذهب الامام أبى حنيفة رضى الله عنه فى الفروع فصيحا وكان فى الفقه فاضلا وله عدة تصانيف نافعة منها شرح المقامات للحريرى وهو على وجازته مفيد محصل للمقصود وله كتاب المغرب تكلم فيه على الالفاظ التى يستعملها الفقهاء من الغريب وهو للحنفية بمثابة كتاب الازهرى للشافعية وما أقصر فيه فانه أتى جامعا للمقاصد وله غير ذلك وانتفع الناس به وبكتبه ودخل بغداد حاجا سنة احدى وستمائة وكان معتزلى الاعتقاد وجرى له هناك مباحث مع جماعة من الفقهاء وأخذ أهل الادب عنه وكان سائر الذكر مشهور السمعة بعيد الصيت وله شعر فمن ذلك وفيه

ثم درس فى مدرسة الامير بدينة بروسه بخمسة وعشرين ثم مدرسة أحمد باشا ابن ولى الدين بالمدينة المزبورة بثلاثين ثم مدرسة يلدرم خان فى البلدة المذكورة باربعين ثم مدرسة أم السلطان سليم خان بقصبة طرابوزن بخمسين ثم ساعده عنها بعض الرؤساء حتى نقل الى مدرسة زوجة السلطان سليمان بقسطنطينية ثم نقل الى احدى المدارس الثمان ثم لما ابتنى السلطان سليمان المدرستين الواقعتين بشرق الجامع الذى بناه بقسطنطينية أعطى احداهما المرحوم والاخرى للمولى شمس الدين أحمد المشتهر بقاضى زاده فى كل يوم بستين درهما ثم قلد قضاء بروسه ثم عزل عنه لبعض زلاته الواقعة فى صكوكه ومراسلاته وبعد سنة ولى قضاء ادرنه ثم نقل الى قسطنطينية ودام عليه حتى وقع بينه وبين الوزير الكبير رستم باشا ما وقع نعزله وعين له كل يوم مائة درهم بطريق التقاعد ثم لما مات الوزير المزبور وانتصب مكانه على باشا اظهر له المرحوم رغبته فى قضاء مدينة النبى صلى الله عليه وسلم فقلد ذلك وبعد سنة عزل عنه فلما عاد وبلغ الى مصر أدركته المنية

صناعة قوله

وزند ندى فواضله ورى * وزند بافضائله نضير
ودر جلاله أبدا ثمين * ودر نواله أبدا غزير

وله
وانى لاستحيي من المجد أن أرى * حليف غوان أو اليف أغانى

وله
تعامى زمانى عن حقوقى وانه * قبيح على الزرقاء تبدى تعاميا
فان تنكر وافضلى فان رغاءه * كفى لذوى الاسماع منكم مناديا

وله اشعار كثيرة يستعمل فيها التجانس وكانت ولادته فى رجب سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة بخوارزم وهو كما يقال خليفة الزمخشرى فانه توفى فى تلك السنة بتلك البلدة كما سبق فى ترجمته وتوفى المطرزى يوم الثلاثاء الحادى والعشرين من جمادى الاولى سنة عشر وستمائة بخوارزم أيضا رحمه الله تعالى ورثى باكثر من ثلثمائة قصيدة والمطرزى بضم الميم وفتح الطاء المهملة وتشديد الراء وكسرها وبعدها زاى هذه النسبة الى من يطرز الثياب ويرقمها ولا أعلم هل كان يتعاطى ذلك بنفسه أم كان فى آبائه من يتعاطى ذلك فنسب له والله أعلم

(أبو منصور نزار الملقب العزيز بالله بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدى العبيدى صاحب مصر وبلاد المغرب)

قد تقدم ذكر والده واجداده وولده واحفاده ولى العهد بمصر يوم الخميس رابع شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلثمائة واستقل بالامر يوم وفاة أبيه وكان يوم الجمعة حادى عشر الشهر المذكور وفيه الخلاف المذكور فى ترجمة وسيرة أبيه وسلم عليه بالخلافة وكان كريما شجاعا حسن العفو عند القدرة وقصته مع افتكين التركى غلام معز الدولة مشهورة وعفا عنه لما ظفر به وكان قد غرم فى محاربته مالا جزيلا ولم يؤاخذه بما صدر منه وقد سبق فى ترجمة عضد الدولة بن بويه المتقدم ذكره فى حرف الفاء طرف من خبره فلا حاجة الى اعادته وهى قضية تدل على حلمه وحسن عفوه وذكر الامير المختار المعروف بالمسبحى انه الذى اختط أساس الجامع بالقاهرة مما يلى باب الفتوح وحفره وبدأ بعمارته سنة ثمانين وثلثمائة فى شهر رمضان ثم قال المسبحى أيضا وفى أيامه بنى قصر البحر بالقاهرة الذى لم يبن مثله فى شرق ولا غرب وقصر الذهب وجامع القرافة والقصور بعين شمس وكان أسمر أصهب الشعر أعين أشهل العين عريض المنكبين حسن الخلق قريبا من الناس لا يؤثر سفك الدماء يصيد بالخيل والجارح من الطير محبا للصيد مغرى به ويصيد السباع ويعرف الجوهر والبز وكان أديبا فاضلا ذكره أبو منصور الثعالبى فى كتاب يتيمة الدهر وأورد له شعرا قاله فى بعض الاعياد وقد وافق موت بعض أولاده وعقد عليه المأتم وهو

نحن بنو المصطفى ذوو محن * يجرعها فى الحياة كاظمنا
عجيبة فى الانام محنتنا * أوّلنا مبتلى وخاتمنا
يفرح هذا الورى بعيدهم * طرا وأعيادنا مآتمنا

ثم قال بعد فصل طويل وسمعت الشيخ أبا الطيب يحكى ان المروانى صاحب الاندلس كتب اليه نزار صاحب مصر كتابا يسبه فيه ويهجوه فكتب اليه أما بعد فانك قد عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لاجبناك والسلام فاشتد على نزار وأفحمه عن الجواب وذكر أبو الحسن الروحى فى كتاب تحفة الظرفاء فى تاريخ الخلفاء ان هذه الواقعة للحاكم المستنصر بالله بن عبد الرحمن الناصر لدين الله وهو المروانى صاحب الاندلس وبين العزيز المذكور وان المستنصر كتب الى العزيز يسبه ويهجوه فكتب اليه العزيز هذه الكلمات والله أعلم بالصواب وقد تقدم فى ترجمة جده المهدى عبيد الله طرف من اخبار نسبهم والطعن فيه وأكثر أهل العلم بالنسب لا يصححونه وقد تقدم فى ترجمة الشريف أبى محمد عبد الله بن طباطبا ما دار بينه وبين المعز والد هذا العزيز فى أمر النسب وما أجاب به المعز وصار هذا كالمستفيض بين الناس وفى مبادى ولاية العزيز المذكور صعد المنبر يوم الجمعة فوجد هناك ورقة فيها مكتوب

انا سمعنا نسبا منكرا * يتلى على المنبر فى الجامع
ان كنت فيما تدعى صادقا * فاذكر أبا بعد الاب الرابع
وان ترد تحقيق ما قلته * فانسب لنا نفسك كالطائع

اد

وفاته الامنية وذلك فى شهر شوال سنة اثنتين وسبعين وتسعمائة وسمعت من بعض العظام ان السبب فى اختياره عند عوده طريق مصر على طريق الشام انه فى بعض الليالى نام فسمع قائلا يقول فى المنام القضاء فى المصر فانتبه وغاص فى بحر الفكر ثم حكم بان هذه الرؤيا من الآيات الظاهرة بانه سيكون قاضيا بالقاهرة ولم يدر انها قاضية بانه سيصل فيها بالعيشة الراضية وكان المولى المرحوم بارعا فى كثير من العلوم معروفا بنقاء القريحة وجودة البديهة ومع ذلك ليس فيه رائحة كبر وتيه وكان كثير الانشراح محبا للمفاكهة والمزاح محبا لمعاشرة الاخوان ومكبا على مصاحبة الخلان أسكنه الله فى غرف الجنان وقد علق رحمه الله حواشى على حاشية المولى حسن چلبى على التلويح وبقى فى هامش الكتاب وهذه النسخة الآن موجودة فى الكتب وقفها الوزير الكبير على باشا فى مدرسته الجديدة وعلق أيضا حواشى على الدرر والغرر ولم تتم وقد عثرت له على كلمات كتبها فى هامش كتاب الجامى على الموضع يتساءل عنه الطلاب من قوله فى بحث العدد (ولا يجوز اضافة العدد الى جمع المذكر السالم فلا يقال ثلاثة

أولادع الانساب مستورة * وادخل بنا فى النسب الواسع
فان انساب بنى هاشم * يقصر عنها طمع الطامع

وانما قال فانسب لنا نفسك كالطائع لان هذه القصيدة جرت فى خلافة الطائع لله خليفة بغداد وصعد العزيز يوما آخر المنبر فرأى فيه ورقة مكتوبا فيها

بالظلم والجور قد رضينا * وليس بالكفر والحماقه
ان كنت أعطيت علم غيب * فقل لنا كاتب البطاقه

وانما كتب هذا لانهم كانوا يدعون علم المغيبات واخبارهم فى ذلك مشهورة وقد تقدم لابى الرقعمق أحمد بن محمد الانطاكى المقدم ذكره قصيدة رائية يمدح بها العزيز المذكور وأجود مدائحه فيه وزادت مملكته على مملكة أبيه وفتحت له حمص وحماة وشيزر وحلب وخطب له المقلد بن المسيب العقيلى صاحب الموصل بالموصل واعمالها فى المحرم سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة وضرب اسمه على السكة والبنود وخطب له باليمن ولم يزل فى سلطانه وعظم شأنه الى ان خرج الى بلبيس متوجها الى الشام فابتدأت به العلة فى العشر الاخير من رجب سنة ست وثمانين وثلثمائة ولم يزل مرضه يزيد وينقص حتى ركب يوم الاحد لخمس بقين من شهر رمضان من السنة المذكورة الى الحمام بمدينة بلبيس وخرج منها الى منزل الاستاذ أبى الفتوح برجوان المقدم ذكره وكان صاحب خزائنه بالقصر فاقام عنده وأصبح يوم الاثنين فاشتد به الوجع يومه ذلك وصبيحة نهار الثلاثاء وكان مرضه من حصاة وقولنج فاستدعى القاضى محمد بن النعمان وأبا محمد الحسن بن عمار الكتامى الملقب أمين الدولة وهو أول من تلقب من المغاربة وكان شيخ كتامة وسيدها وخاطبهما بما خاطبهما به فى أمر ولده الملقب الحاكم المقدم ذكره ثم استدعى ولده المذكور وخاطبه أيضا بذلك ولم يزل العزيز فى الحمام والامر يشتد به الى بين الصلاتين فى ذلك اليوم وهو نهار الثلاثاء الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة ست وثمانين وثلثمائة فتوفى فى مسلخ الحمام هكذا قال المسبحى وقال صاحب تاريخ القيروان ان الطبيب وصف له دواء يشربه فى حوض الحمام وغلط فيه فشربه فمات من ساعته ولم ينكتم موته ساعة واحدة وترتب موضعه ولده الحاكم أبو على المنصور المقدم ذكره وبلغ الخبر أهل القاهرة فخرج الناس غداة الاربعاء لتلقى الحاكم فدخل البلد وبين يديه البنود والرايات وعلى رأسه المظلة يحملها زيدان الصقلبى المذكور فى ترجمة برجوان فدخل القصر بالقاهرة عند اصفرار الشمس ووالده العزيز بين يديه فى عمارية وقد خرجت قدماه منها وأدخلت العمارية القصر وتولى غسله القاضى محمد بن النعمان ودفن عند أبيه المعز فى حجرة من القصر وكان دفنه عند العشاء الاخيرة وأصبح الناس يوم الخميس سلخ الشهر والاحوال مستقيمة وقد نودى فى البلدان لا مؤنة ولا كلفة وقد امنكم الله تعالى على أموالكم وأرواحكم فمن عارضكم أو نازعكم فقد حل ماله ودمه وكانت ولادة العزيز المذكور يوم الخميس رابع عشر المحرم سنة أربع وأربعين وثلثمائة بالمهدية من أرض افريقية وقال المختار المسبحى صاحب التاريخ المشهور قال لى الحاكم وقد جرى ذكر والده العزيز يا مختار استدعانى والدى قبل موته وهو عارى الجسم وعليه الخرق والضماد فاستدنانى وقبلنى وضمنى اليه وقال واغمى عليك يا حبيب قلبى ودمعت عيناه ثم قال امض يا سيدى والعب فانا فى عافية قال فمضيت والتهيت بما يلتهى به الصبيان من اللعب الى أن نقل الله سبحانه وتعالى العزيز اليه قال فبادر الى برجوان وأنا فى أعلى جميزة كانت فى الدار فقال انزل ويحك الله الله فينا وفيك قال فنزلت فوضع العمامة بالجوهر على رأسى وقبل لى الارض وقال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله تعالى وبركاته قال وأخرجنى حينئذ الى الناس على تلك الهيئة فقبل جميعهم لى الارض وسلموا على بالخلافة واخباره كثيرة والاختصار أولى

(أبو القاسم نصر بن أحمد بن نصر بن مأمون البصرى المعروف بالخبزأرزى الشاعر المشهور)

كان أميا لا يتهجى ولا يكتب وكان يخبز خبز الأرز بمربد البصرة فى دكان وكان ينشد اشعاره المقصورة على

مسلمين فلم يبق الامثلة لكنهم كرهوا أن يلى التمييز المجموع بالالف والتاء بعد ما تعوّد المجىء بعد ما هو فى صورة المجموع بالواو والنون أعنى عشرين الى تسعين) فهى هذه قوله التمييز بالرفع فاعل يلى والمجموع بالنصب مفعوله والمراد من التمييز اسم المعدود الذى هو مميز العدد مثل رجل ودرهم لانه التمييز حقيقة وبعد الاوّل معمول يلى وما بعد بعد مصدرية صلتها تعوّد والمجىء بالنصب مفعول لتعود فاعله كناية التمييز والثانى ظرف المجىء وما بعده موصولة بما بعده (والمعنى) ان العرب كرهوا أن يجىء التمييز الذى هو اسم المعدود بعد العدد المجموع جمع المؤنث اللازم على تقدير جمع المائة بالالف والتاء وأن يقال ثلثمائآت رجل بعد كون العادة أن يجىء بعد العدد الذى هو فى صورة الجمع المذكر مثل عشرين رجلا الى تسعين ويدل على كون ما قلنا شرح قوله تصريحه فى شرح قوله وجمعه وانما لم يقل وجمعهما لان استعمال جمع مائة مع مميزها مرفوض فى الاعداد لا يقال وثلثمائآت رجل تدبر وقيل (أراد به المولى شمس الدين المشتهر بقاضى زاده حل هذا المقام على وجه نزيل

الغزل والناس يزدحمون عليه ويتطرفون باستماع شعره ويتعجبون من حاله وأمره وكان أبو الحسين محمد بن محمد المعروف بابن لنكك البصرى الشاعر المشهور مع علو قدره عندهم ينتاب دكانه ليسمع شعره واعتنى به وجمع له ديوانا وكان نصر المذكور قد وصل الى بغداد وأقام بها دهرا طويلا وذكره الخطيب فى تاريخه وقال قرأ عليه ديوانه وروى عنه مقطعات من شعره المعافى بن زكريا الحريرى وأحمد بن منصور بن محمد بن حاتم النوشرى وعدة جماعة ورووا عنه وذكره الثعالبى فى كتاب اليتيمة وأورد له مقاطيع فمن ذلك قوله

خليلى هل أبصرتما أو سمعتما * بأكرم من مولى تمشى الى عبد
أتى زائرا من غير وعد وقال لى * أجلك عن تعليق قلبك بالوجد
فما زال نجم الوصل بينى وبينه * يدور بأفلاك السعادة والسعد
فطورا على تقبيل نرجس ناظر * وطورا على تعضيض تفاحة الخد

وأورد له أيضا
ألم يكفنى ما نالنى من هواكمو * الى أن طفقتم بين لاه وضاحك
شماتتكم بى فوق ما قد أصابنى * وما بى دخول النار فى طرمالك

وله أيضا
كم أناس وفوا لنا حين غابوا * وأناس جفوا وهم حضار * عرضوا ثم أعرضوا واستمالوا
ثم مالوا وجاوروا ثم جاروا * لا تلمهم على التجنى فلولم * يتجنوا لم يحسن الاعتذار

ومن شعره أيضا
وكان الصديق يزور الصديق * لشرب المدام وعزف القيان
فصار الصديق يزور الصديق * لبث الهموم وشكوى الزمان

وقال أحمد بن منصور بن محمد بن حاتم النوشرى أنشدنا أبو القاسم نصر بن أحمد الخبزأرزى لنفسه

بات الحبيب منادمى * والسكر يصبغ وجنتيه ثم اغتدى وقد ابتدا * صنع الخمار بمقلتيه
وهبت له عينى الكرى * وتعوضت نظرا اليه شكر الاحسان الزما * ن كما يساعدنى عليه

ومن شعره أيضا
كم أقاسى لديك قالا وقيلا * وعدات تترى ومطلا طويلا * جمعة تنقضى وشهر يولى
وأمانيك بكرة وأصيلا * ان يفتنى منك الجميل من الفعـ * ـل تعاطيت عنك صبرا جميلا
والهوى يستزيد حالا فحالا * وكذا ينسلى قليلا قليلا * ويك لا تأمنن صروف الليالى
انها تترك العزيز ذليلا * فكأنى بحسن وجهك قد صا * ح به اللحية الرحيل الرحيلا
فتبدلت حين بدلت بالنو * ر ظلاما وساء ذاك بديلا * فكأن لم تكن قضيبا رطيبا
وكأن لم تكن كثيبا مهيلا * عندها يشمت الذى لم تصله * ويكون الذى وصلت خليلا

وله أيضا
رأيت الهلال ووجه الحبيب * فكانا هلالين عند النظر * فلم أدر من حيرتى فيهما
هلال الدجى من هلال البشر * ولولا التورد فى الوجنتين * وما راعنى من سواد الشعر
لكنت أظن الهلال الحبيب * وكنت أظن الحبيب القمر

وذكر الخطيب فى تاريخ بغداد ما مثاله حكى أبو محمد عبد الله بن محمد الاكفانى البصرى قال خرجت مع عمى أبى عبد الله الاكفانى الشاعر وأبى الحسين بن لنكك وأبى عبد الله المفجع وأبى الحسن السماك فى بطالة عيد وأنا يومئذ صبى أصحبهم فمشوا حتى انتهوا الى نصر بن أحمد الخبزأرزى وهو جالس يخبز على طابقه فجلست الجماعة عنده يهنونه بالعيد ويتعرفون خبره وهو يوقد السعف تحت الطابق فزاد فى الوقود فدخنهم فنهضت الجماعة عند تزايد الدخان فقال نصر بن أحمد لابى الحسين بن لنكك متى أراك يا أبا الحسين فقال له أبو الحسين اذا اتسخت ثيابى وكانت ثيابه يومئذ جددا على أنقى ما يكون من البياض للتجمل بها فى العيد فمشينا فى سكة بنى سمرة حتى انتهينا الى دار أبى أحمد بن المثنى فجلس أبو الحسين بن لنكك وقال يا أصحابنا ان نصرا لا يخلى هذا المجلس الذى مضى لنا معه من شئ يقوله فيه ويجب ان نبدأه قبل أن يبدأنا واستدعى دواة وكتب

لنصر فى فؤادى فرط حب * أنيف به على كل الصحاب * أتيناه فبخرنا بخورا
من السعف المدخن للثياب * فقمت مبادرا وظننت نصرا * أراد بذاك طردى أو ذهابى

الابهام) هو ان النحاة كرهوا أن يلى الثلاث واخواته التمييز الذى جمع بالالف والتاء بعد صيرورة مجىء التمييز المفرد بعد العدد الذى هو فى صورة الاسم المجموع بالواو والنون عادة له مثلا لا يقال عشرون مئات فكذا لا يقال ثلثمائة آت فالعامل فى بعد الاول أن يلى وما بعده مصدرية والعامل فى بعد الثانى المجىء وما بعده موصوفة أو موصولة يرد عليه انهم كما لا يقولون عشرون مئات لا يقولون كذلك اه وهو فاسد بأحد الوجوه لفساد أصول الاعداد وهو الهادى الى سبيل الرشاد اه كلامه

(ومن الذين جلسوا فى مجالس الارشاد وهرع اليه الناس من كل حاضر وباد المنصور بعين عناية البارى الشيخ عبد اللطيف النقشبندى البخارى)

كان رحمه الله من أولاد موسى باشا من وزراء الديوان فى دولة السلطان محمد خان وكان فى أول أمره من طلبة العلم الشريف وخدمة كل فاضل عريف ثم ساقته العنايات السبحانية والجذبات الرحمانية الى طريق التصوف وترك التكلف وتاب على يد الشيخ محمود الاماسى خليفة الشيخ العارف أحمد البخارى

فقال متى أراك أبا حسين * فقلت له اذا اتسخت ثيابى

وأنفذ الابيات الى نصر فأملى جوابها فقرأناه فاذا هو قد أجاب

منحت أبا الحسين صميم ودى * فداعبنى بألفاظ عذاب * أتى وثيابه كقتير شيب
فعدن له كريعان الشباب * ظننت جلوسه عندى لعرس * فجدت له بتمسيك الثياب
فقلت متى أراك أبا حسين * فجاوبنى اذا اتسخت ثيابى
فان كان التقزز فيه خير * فلم يكنى الوصى أبا تراب

وحكى الخالديان الشاعران المشهوران فى كتاب الهدايا والتحف ان الخبزأرزى أهدى الى ابن يزداد والى البصرة قصا وكتب معه

أهديت مالو أن أضعافه * مطرح عندك ما بانا
كمثل بلقيس التى لم يبن * اهداؤها عند سليمانا
هذا امتحان لك ان ترضه * بان لنا أنك ترضانا

والشئ بالشئ يذكر وجدت فى هذا الكتاب نادرة ظريفة فأحببت ذكرها وهى أنه كان باصبهان رجل حسن النعمة واسع النفس كامل المروءة يقال له سماك بن النعمان وكان يهوى مغنية من أهل أصبهان لها قدر ومغنى تعرف بأم عمرو فلافراط حبه اياها وصبابته بها وهبها عدة من ضياعه وكتب عليه بذلك كتبا وحمل الكتب اليها على بغل فشاع الخبر بذلك وتحدث الناس به واستعظموه وكان باصبهان رجل متخلف بين الركاكة يهوى مغنية أخرى فلما اتصل به ذلك ظن بجهله وقلة عقله أن سماكا انما أهدى الى أم عمرو جلودا بيضا لا كتابة فيها وان هذا من الهدايا التى تستحسن ويجل موقعها عند من تهدى اليه فابتاع جلودا كثيرة وحملها على بغلين لتكون هديته ضعف هدية سماك وانفذها الى التى يحب فلما وصلت الجلود اليها ووقفت على الخبر فيها تغيظت عليه وكتبت اليه رقعة تشتمه وتحلف انها لا تكلمه أبدا وسألت بعض الشعراء أن يعمل أبياتا فى هذا المعنى لتودعها الرقعة ففعل وكانت الابيات

لا عاد طوعك من عصاكا * وحرمت من وصلى مناكا
فلقد فضحت العاشقيـ * ـن بقبح ما فعلت يداكا
أرأيت من يهدى الجلو * د الى عشيقته سواكا
وأظن انك رمت أن * تحكى بفعلك ذا سماكا
ذاك الذى أهدى الضيا * ع لام عمرو والصكاكا
فبعثت منتنة كأنـ * ـك قد مسحت بهن فاكا
من لى بقربك يارقيـ * ـع ولست أهوى ان أراكا
لكن لعلى ان أقطـ * ـع ما بعثت على قفاكا

ونقلت من هذا الكتاب أيضا ان اللبادى الشاعر خرج من بعض مدن اذربيجان يريد أخرى وتحته مهر له رائع وكانت السنة مجدبة فضمه الطريق وغلاما حدثا على حمار له قال فحادثته فرأيته أديبا راوية للشعر خفيف الروح حاضر الجواب جيد الحجة فسرنا بقية يومنا فأمسينا الى خان على ظهر الطريق فطلبت من صاحبه شيأ نأكله فامتنع أن يكون عنده شئ فرفقت به الى أن جاءنى برغيفين فأخذت واحدا ودفعت الى ذلك الغلام الآخر وكان غمى على المهر أن يبيت بغير علف أعظم من غمى على نفسى فسألت صاحب الخان عن الشعير فقال ما أقدر منه على حبة واحدة فقلت فاطلب لى وجعلت له جعيلة على ذلك فمضى وجاءنى بعد طويل وقال قد وجدت مكوكين عند رجل حلف بالطلاق انه لا ينقصهما عن مائة درهم فقلت ما بعد يمين الطلاق كلام فدفعت اليه خمسين درهما فجاءنى بمكوك فعلقته على دابتى وجلست أحادث الفتى وحماره واقف بغير علف فأطرق مليا ثم قال تسمع أيدك الله أبياتا حضرت الساعة فقلت هاتها فأنشد

ياسيدى شعرى نفاية شعركا * فلذاك نظمى ما يقوم بنثركا
وقد انبسطت اليك فى انشادما * هو فى الحقيقة قطرة من بحركا
انستنى وسررتنى وبررتنى * وجعلت أمرى من مقدم أمركا
وأريد أذكر حاجة ان تقضها * ألك عبد مدحك ما حييت وشكركا
انا فى ضيافتك العشية ههنا * فاجعل حمارى فى ضيافة مهركا *

فضحكت واعتذرت اليه من اغفالى أمر حماره وابتعت المكوك الآخر بخمسين درهما ودفعته اليه وبالجملة

وتميز لخدمته حتى زوجه بابنته ولما انتقل شيخه الى رب العباد اجلس المزبور مكانه للارشاد فى زاويته المعروفة المبنية بقسطنطينية المحمية وخدم ذلك المقام الشريف والمنزل المنيف الى أن حج سنة سبعين وتسعمائة وجاور بمكة المشرفة الى أن بقى أسبوع الى وصول الحاج من العام القابل ثم انتقل الى احسان ربه الشامل كان رحمه الله عالما عاقلا صالحا جامعة عدالته فى الحلم والتؤدة والوقار أسكنه الله تعالى فى جنات تجرى من تحتها الانهار

(ومن أرباب الفضل والكمال المولى صالح بن جلال)

كان أبوه من كبار زمرة القضاة الحاكمين فى القصبات ونشأ رحمه الله مشتغلا بالعلم وأربابه ومحبا بالفضل وأصحابه فاهتم فى التحصيل ورغب فى التكميل وقد تشرف بمجالس السادات وكان منه ما كان حتى صار ملازما من المولى خير الدين معلم السلطان سليمان ثم درس فى المدرسة السراجية بادرنه بخمسة وعشرين ثم مدرسة مراد باشا بقسطنطينية بثلاثين ثم مدرسة محمود باشا بهذه المدينة باربعين ثم صارت وظيفته فيها خمسين ثم ساعده الدهر واعانه الزمان حيث وصل منها الى

فقد خرجنا عن المقصود واخبار نصر المذكور ونوادره كثيرة وتوفى سنة سبع عشرة وثلثمائة رحمه الله تعالى وتاريخ وفاته فيه نظر لان الخطيب ذكر فى تاريخه ان أحمد بن منصور النوشرى المذكور سمع منه سنة خمس وعشرين وثلثمائة والخبز أرزى بضم الخاء المعجمة وسكون الباء الموحدة وفتح الزاى وبعدها همزة ثم راء ثم زاى وفتح الهمزة وضمها وتشديد الزاى وتخفيفها فى الارز يختلف باختلاف اللغات فى هذه الكلمة وفيها ست لغات الواحدة بضم الهمزة والراء وتشديد الزاى والاخرى بفتح الهمزة والباقى مثل الاولى والثالثة أرز بضم الهمزة وسكون الراء وتخفيف الزاى والرابعة مثل الثالثة لكن الراء مضمومة والخامسة رز بضم الراء وتشديد الزاى والسادسة رنز بضم الراء وسكون النون وتخفيف الزاى وانما نسب نصر المذكور هذه النسبة لانه كان يتعاطى هذه الحرفة كما تقدم ذكره فى أول هذه الترجمة وابن لنكك بفتح اللام وسكون النون وكافين متواليين وهو لفظ أعجمى معناه بالعربى أعيرج تصغير أعرج لان لنك كلمة معناها أعرج وعادة العجم اذا صغروا الاسما ألحقوا فى آخره كافا ومربد البصرة بكسر الميم وسكون الراء وفتح الباء الموحدة وبعدها دال مهملة وهو اسم موضع بالبصرة مشهور وهو فى الاصل اسم لكل مكان يحبس فيه الابل وغيرها ثم صار علما على الموضع المذكور

(أبو المرهف نصر بن منصور بن الحسن بن جوش بن حميد بن أثال بن ورد بن عطاف بن بشر بن جندل ابن عبيد الراعى بن الحصين بن معاوية بن جندل بن قطن بن ربيعة بن عبد الله بن الحرث بن نمير ابن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان النميرى الضرير الشاعر المشهور)

قدم بغداد فى صباه وسكنها الى حين وفاته وحفظ القرآن المجيد وتفقه على مذهب الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه وسمع الحديث من القاضى أبى بكر محمد بن عبد الباقى الانصارى وأبى البركات عبد الوهاب بن المبارك الانماطى وأبى الفضل محمد بن ناصر وغيرهم وقرأ الادب على أبى منصور بن الجواليقى وقال الشعر ومدح الخلفاء والوزراء والاكابر وحدث وكان زاهدا ورعا حسن المقاصد فى الشعر له ديوان شعر وذكره العماد الاصبهانى فى كتاب الخريدة وذكر شيأ من شعره وأورد نسبه على هذه الصورة وقال هو الذى أملاه على وعبيد الراعى المذكور فى عمود نسبه هو الشاعر المشهور صاحب الديوان الشعر وكان بينه وبين جرير مهاجاة وكان أبو المرهف المذكور قد كف بصره بالجدرى وعمره أربع عشرة سنة وذكر له العماد فى الخريدة هذا المقطوع من شعره وهو

ترى يتألف الشمل الصديع * وآمن من زمان ما يروع * وتأنس بعد وحشتنا بنجد
منازلنا القديمة والربوع * ذكرت بأعين العلمين عصرا * مضى والشمل ملتئم جميع
فلم أملك لدمعى رد غرب * وعند الشوق تعصيك الدموع * ينازعنى الى خنساء قلبى
ودون لقائها بلد شسوع * وأخوف ما أخاف على فؤادى * اذا ما أنجد البرق اللموع
لقد حملت من طول التنائى * عن الاحباب ما لا أستطيع

وشعره فيه رقة وجزالة وكان ببغداد كثير الانقطاع الى الوزير عون الدين بن هبيرة الآتى ذكره ان شاء الله تعالى وله فيه مدائح وكانت ولادته يوم الثلاثاء بعد العصر ثالث عشر جمادى الآخرة سنة احدى وخمسمائة بالرقة وتوفى يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ببغداد ودفن بباب حرب رحمه الله تعالى والنميرى بضم النون وفتح الميم وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء هذه النسبة الى نمير بن عامر المذكور فى عمود النسب فى أول الترجمة والباقى معروف

(ابو الفتوح نصر الله بن عبد الله بن مخلوف بن على بن عبد القوى بن قلاقس اللخمى الازهرى الاسكندرى الملقب القاضى الاعز الشاعر المشهور)

احدى المدارس الثمان بهمة اياس باشا الوزير الكبير بل بتقدير العزيز القدير ثم صار مأمورا من قبل السلطان سليمان بترجمة بعض الكتب الفارسية بالتركى فاتمها فى قليل من الزمان فاعطاه مدرسة السلطان بايزيد خان ثم قلد قضاء حلب وقال فى تاريخه الشيخ غرس الدين صاحب الفضل والادب (شعر)

بشراك ياشهبا لقد نلت الارب
وأتى الهنا فى صالح نعم الطلب
زال العنا قد أتاك صالح
فالشكر لله عليك قد وجب
بالعلم والحلم غدت أوصافه
أخو السخاء ابن التقى عالى النسب
فاتم فى الجود عنهم قد روى
أيضا لبيد عنهم يروى الادب
باليمن قد جاءت لنا أوقاته
ياسائلى تاريخه قاضى حلب *

ثم عزل عنه وفوض اليه تفتيش أحوال القاهرة فاصبحت بكمال استقامته عامرة فوجه اليه ثانيا قضاء حلب فلم يقبله ولم يرغب فاعيد الى مدرسته الاولى بثمانين ودام على الدرس بها سنين ثم قلد قضاء دمشق الشام ثم نقل الى قضاء مصر ذات الاهرام ثم عزل وبقى فى الحزن والهم ثم وجه اليه مدرسة أبى أيوب الانصارى بمائة درهم فعما قليل

وكان شاعرا مجيدا وفاضلا نبيلا صحب الشيخ الحافظ أبا طاهر أحمد بن محمد السلفى المقدم ذكره وانتفع بصحبته وله فيه غرر المدائح وقد تضمنها ديوانه وكان الحافظ المذكور كثيرا ما يثنى عليه ويتقاضاه بمديحه وقصد القاضى الفاضل عبد الرحيم المقدم ذكره بقصيدة موسومة أحسن فيها كل الاحسان وأولها

ماضر ذاك الريم أن لا يريم * لو كان يرثى لسليم سليم * وما على من وصله جنة
الا أرى من صده فى جحيم * أغيد ماهمت به روضة * أعل جسمى لا كون النسيم
رقيم خد نام عن ساهر * ما أجدر النوم بأهل الرقيم * وكيف لا يصرم ظبى وقد
سمعت فى النسبة ظبى الصريم * وعاذل دام ودام الدجى * بهيمة نادمتها فى بهيم
يغيظنى وهو على رسله * والمرء فى غيظ سواه حليم * قلت له لما عدا طوره
والقلب منى فى العذاب الاليم * اعذر فؤادى انه شاعر * من حبه فى كل واد يهيم
يارب خمر فمه كاسها * لم اقتنع من شربها بالشميم * أتبعت رشفا قبلا عندها
وقلت هذا زمزم والحطيم * فافترا ماعن اقاح الربا * يضحك أو در العقود النظيم
أو كان قد قبل مستحسنا * ماقبل الفاضل عبد الرحيم

وكان كثير الحركات والاشعار وفى ذلك يقول

والناس كثر ولكن لا يقدر لى * الا مرافقة الملاح والحادى

وفى آخر وقته دخل بلاد اليمن وامتدح بمدينة عدن أبا الفرج ياسر بن أبى الندى بلال بن جرير المحمدى وزير محمد وأبى السعود ولدى عمران بن محمد الراعى سبا بن أبى السعود بن زريع ابن العباس النامى صاحب بلاد اليمن فاحسن اليه وأجزل صلته وفارقه وقد أثرى من جهته فركب البحر فانكسر المركب به وغرق جميع ما كان معه بجزيرة الناموس بالقرب من دهلك وذلك يوم الجمعة خامس ذى القعدة سنة ثلاث وستين وخمسمائة فعاد اليه وهو عريان فلما دخل عليه أنشده قصيدته التى أولها

صدرنا وقد نادى السماح بنا ردوا * فعدنا الى مغناك والعود أحمد

وهذه القصيدة من القصائد المختارة ولو لم يكن فيها سوى هذا البيت لكفاه ثم انشده بعد ذلك قصيدة يصف فيها غرقه وأولها

سافر اذا حاولت قدرا * سار الهلال فصار بدرا * والماء يكسب ماجرى
طيبا ويخبث ما استقرا * وبنقلة الدرر النفيـ * ـسة بدلت بالبحر نحرا
يا راويا عن ياسر * خبرا ولم يعرفه خبرا * اقرأ بغرة وجهه
صحف المنى ان كنت تقرا * والثم بنان يمينه * وقل السلام عليك بحرا
وغلطت فى تشبيهه * بالبحر فاللهم غفرا * أو ليس نلت بذا غنى
جما ونلت بذاك فقرا * وعهدت هذا لم يزل * مدا وذاك يعود جزرا

وهى قصيدة طويلة أحسن فيها كل الاحسان ومعنى البيت الثانى منها مأخوذ من قول بديع الزمان صاحب المقامات المقدم ذكره فى حرف الهمزة فى أول رسالة قد ذكرتها فى ترجمته وهى الماء اذا طال مكثه ظهر خبثه والبيت الثالث من هذه القصيدة أيضا مأخوذ من قول صردر الشاعر المقدم ذكره فى حرف العين وهو

قلقل ركابك فى الفلا * ودع الغوانى للخدور * فمحالفو أوطانهم
أمثال سكان القبور * لولا التنقل ما ارتقت * درر البحور الى النحور

وله فى جارية سوداء وهو معنى غريب

رب سوداء وهى بيضاء معنى * نافس المسك عندها الكافور
مثل حب العيون يحسبه النا * س سوادا وانما هو نور

ومحاسن ابن قلاقس نادرة وكانت ولادته بثغر الاسكندرية يوم الاربعاء رابع شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة وتوفى ثالث شوال سنة سبع وستين وخمسمائة بعيذاب رحمه الله تعالى ودخل صقلية

همت عيناه فتقاعد بوظيفته المزبورة بالمدينة المسفورة فلما وصل عمر هذا العزيز الى حدود الثمانين اباده الزمان وأبلاه الدهر الخوان وذلك سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة * وكان المولى المرحوم مشاركا فى العلوم يحاكى السادة الكبار فى السكينة والوقار وكان المرحوم ذا نفس زكية وراحة سخية يراعى الحقوق القديمة كما هو عادة الطباع السليمة محسنا الى اخوانه متفضلا على جيرانه وقد كتب رحمه الله حواشى على شرح المواقف وعلى شرح الوقاية لصدر الشريعة وعلى شرح المفتاح للشريف الجرجانى وجمع بعده لطائف علماء الروم ونوادرهم وله ديوان شعر بالتركى وديوان منشآت بذلك اللسان أسكنه الله تعالى فى غرف الجنان

(ومن العلماء العظام المولى محيى الدين الشهير بابن الامام)

كان أبوه اماما فى جامع محمود باشا ونشأ رحمه الله طالبا لاكتساب المعالى وراغبا فى مصاحبة كل ماجد عالى ومارس الفنون الشريفة وتتبع المصنفات اللطيفة وقرأ على المولى الاعظم ابن كمال وغيره من أرباب الفضل والكمال وصار ملازما من المولى

فى شعبان سنة ثلاث وستين وكان وصوله الى اليمن سنة خمس وستين وكان بصقلية بعض القواد يقال له القائد أبو القاسم بن الحجر فاتصل به وأحسن اليه وصنف له كتابا سماه الزهر الباسم فى أوصاف أبى القاسم وأجاد فيه ولما فارق صقلية راجعا الى الديار المصرية وكان فى زمن الشتاء ردته الريح الى صقلية فكتب الى أبى القاسم المذكور قوله

منع الشتاء من الوصو * ل مع الرسول الى ديارى * فاعادنى وعلى اختيا
رى جاء من غير اختيارى * ولربما وقع الحما * ر وكان من غرض المكارى

وقلاقس بقافين الاولى مفتوحة والثانية مكسورة وبينهما لام ألف وفى آخره سين مهملة وهو جمع قلقاس وهو معروف واللخمى تقدم الكلام عليه وكذلك الازهرى وعيذاب بفتح العين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الذال المعجمة وبعد الالف باء موحدة وهى بليدة على شاطئ بحر جدة يعدى منها الركب المصرى المتوجه الى الحجاز على طريق قوص فى ليلة واحدة فى أغلب الاوقات فيصل الى جدة ومنها الى مكة حرسها الله تعالى مسافة يوم وبجدة قبر أم البشر حواء رضى الله عنها على ما يقال وقبرها هنالك ظاهر يزار وياسر المذكور قتله شمس الدولة توران شاه المقدم ذكره عند دخول اليمن

(أبو الفتح نصر الله بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى المعروف بابن الاثير الجزرى الملقب ضياء الدين)

كان مولده بجزيرة ابن عمر ونشأ بها وانتقل مع والده الى الموصل وبها اشتغل وحصل العلوم وحفظ كتاب الله الكريم وكثيرا من الاحاديث النبوية وطرفا صالحا من النحو واللغة وعلم البيان وشيأ كثيرا من الاشعار حتى قال فى أول كتابه الذى سماه الوشى المرقوم ما مثاله وكنت حفظت من الاشعار القديمة والمحدثة ما لا أحصيه كثرة ثم اقتصرت بعد ذلك على شعر الطائيين حبيب بن أوس يعنى أبا تمام وأبى عبادة البحترى وشعر أبى الطيب المتنبى فحفظت هذه الدواوين الثلاثة وكنت أكرر عليها بالدرس مدة سنين حتى تمكنت من صوغ المعانى وصار الادمان لى خلقا وطبعا وانما ذكرت هذا الفصل فى معرض ان المنشئ ينبغى أن يجعل دأبه فى الترسل حل المنظوم ويعتمد عليه فى هذه الصناعة ولما كملت لضياء الدين المذكور الادوات قصد جناب الملك الناصر صلاح الدين تغمده الله برحمته فى شهر ربيع الاول سنة سبع وثمانين وخمسمائة فوصله القاضى الفاضل بخدمة صلاح الدين فى جمادى الآخرة من السنة وأقام عنده الى شوال من السنة ثم طلبه ولده الملك الافضل نور الدين من والده فخيره صلاح الدين بين الاقامة فى خدمته والانتقال الى ولده ويبقى المعلوم الذى قرره له باقيا عليه فاختار ولده فمضى اليه وكان يومئذ شابا فاستوزره ولده الملك الافضل نور الدين على المقدم ذكره رحمه الله تعالى وحسنت حاله عنده ولما توفى السلطان صلاح الدين واستقل ولده الملك الافضل بمملكة دمشق استقل ضياء الدين المذكور بالوزارة وردت أمور الناس اليه وصار الاعتماد فى جميع الاحوال عليه ولما أخذت دمشق من الملك الافضل وانتقل الى صرخد حسبما شرحناه فى ترجمته وكان ضياء الدين قد أساء العشرة مع أهلها فهموا بقتله فاخرجه الحاجب محاسن بن عجم مستخفيا فى صندوق مقفل عليه ثم صار اليه وصحبه الى مصر لما استدعى لنيابة ابن أخيه الملك المنصور وقد تقدم ذكر ذلك كله فى ترجمة الملك الافضل فاغنى عن الاعادة ولما قصد الملك العادل الديار المصرية وأخذها من ابن أخيه كما ذكرناه هنالك وتعوض الملك الافضل البلاد الشرقية وخرج من مصر لم يخرج ضياء الدين فى خدمته لانه خاف على نفسه من جماعة كانوا يقصدونه فخرج منها مستترا وله فى كيفية خروجه مستخفيا رسالة طويلة شرح فيها حاله وهى موجودة فى ديوان رسائله وغاب عن مخدومه الملك الافضل مدة ولما استقر الافضل فى سميساط عاد الى خدمته وأقام عنده مدة ثم فارقه فى ذى القعدة من سنة سبع وستمائة واتصل بخدمة أخيه الملك الظاهر غازى صاحب حلب المقدم ذكره فلم يطل مقامه عنده ولا انتظم أمره وخرج مغاضبا وعاد الى الموصل فلم يستقم حاله فورد اربل فلم يستقم حاله فسافر الى سنجار ثم عاد الى الموصل واتخذها دار اقامته واستقر وكتب الانشاء لصاحبها ناصر الدين محمود ابن الملك القاهر عز الدين مسعود بن نور الدين أرسلان شاه المقدم ذكره

القادرى ثم درس فى مدرسة واجد باشا بكوتاهية بعشرين ثم صارت وظيفته خمسة وعشرين ثم درس فى مدرسة اسحق باشا بقصبة اينه كول بثلاثين ثم مدرسة يلدرم خان بمدينة بروسه بأربعين ثم مدرسة ككبز بخمسين ثم نقل من هذه الامكنة الى احدى المدرستين المتجاورتين بادرنه فلما قضى منها الاوطار أعطى مدرسة اسكدار وهو أول مدرس بها ورافع لنقابها ثم نقل الى احدى المدارس الثمان ثم مدرسة السلطان سليم خان ثم قلد قضاء حلب بلا رغبة منه وطلب فباشر القضاء فيها قدر سنتين ولم يتكلم بلفظ حكمت مرة فضلا عن مرتين ثم عزل عنه وعين له الثمانون حسبما العادة والقانون ثم صارت وظيفته مائة ونصب مفتيا باماسيه فقبل الحركة والمسافرة اتفق له سفر الآخرة وكان من العلماء العاملين والفضلاء الكاملين يحقق كلام القدماء ويدقق النظر فى مقالات الفضلاء وقد علق على أكثر الكتب المتداولة حواشى الا انه لم يتيسر له الجمع والترتيب والتبييض والتهذيب وكان رحمه الله معتزلا عن الناس غير متكلف فى اللباس وكان يصدر عنه لعدم اكتراثه بامور الدنيا وقلة مبالاته

فى حرف الهمزة وأتابك يومئذ الامير بدر الدين أبو الفضائل النورى وذلك فى سنة ثمانى عشر وستمائة ولقد ترددت الى الموصل من اربل أكثر من عشر مرات وهو مقيم بها وكنت أود الاجتماع به لآخذ عنه شيأ ولما كان بينه وبين الوالد رحمه الله تعالى من المودة الاكيدة فلم يتفق ذلك ثم فارقت بلاد المشرق وانتقلت الى الشام وأقمت به مقدار عشر سنين ثم انتقلت الى الديار المصرية وهو فى قيد الحياة ثم بلغنى بعد ذلك خبر وفاته وأنا بالقاهرة وسيأتى تاريخه فى أواخر الترجمة ان شاء الله تعالى ولضياء الدين من التصانيف الدالة على غزارة فضله وتحقيق نبله كتابه الذى سماه المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر وهو فى مجلدين جمع فيه فأوعى ولم يترك شيأ يتعلق بفن الكتابة الا ذكره ولما فرغ من تصنيفه كتبه الناس عنه فوصل الى بغداد منه نسخة فانتدب له الفقيه الاديب عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن حسين بن أبى الحديد المدائنى وتصدى لمؤاخذته والرد عليه وعنته وجمع هذه المؤاخذات فى كتاب سماه الفلك الدائر على المثل السائر فلما أكمله وقف عليه أخوه موفق الدين أبو المعالى أحمد ويدعى القاسم أيضا فكتب الى أخيه المذكور قوله

المثل السائر يا سيدى * صنفت فيه الفلك الدائرا
لكن هذا فلك دائر * تصير فيه المثل السائرا

وكانت ولادة عز الدين المذكور بالمدائن يوم السبت مستهل ذى الحجة سنة ست وثمانين وخمسمائة وتوفى فى بغداد سنة خمس وخمسين وستمائة وتوفى أخوه موفق الدين المذكور ببغداد فى سنة ست وخمسين وستمائة بعد ان أخذها التتر بقليل وكانا فقيهين أديبين فاضلين لهما أشعار مليحة ومولد الموفق المذكور فى جمادى الآخرة وقيل فى شهر ربيع الاول سنة تسعين وخمسمائة بالمدائن وله كتاب الوشى المرقوم فى حل المنظوم وهو مع وجازته فى غاية الحسن والافادة وله كتاب المعانى المخترعة فى صناعة الانشاء وهو أيضا نهاية فى بابه وله مجموع اختار فيه شعر أبى تمام والبحترى وديك الجن والمتنبى وهو فى مجلد واحد كبير وحفظه مفيد وقال أبو البركات بن المستوفى فى تاريخ اربل نقلت من خطه فى آخر هذا الكتاب المختار ما مثاله

تمتع به علقا نفيسا فانه * اختيار بصير بالامور حكيم
أطاعته أنواع البلاغة فاهتدى * الى الشعر من نهج اليه قويم

وله أيضا ديوان ترسل فى عدة مجلدات والمختار منه فى مجلد واحد ومن جملة رسائله ما كتبه الى مخدومه وقد سافر فى زمن الشتاء والبرد الشديد وينهى انه سار عن الخدمة وقد ضرب الدجن فيه مضاربه وأسبل عليه ذوائبه وجعل كل قرارة حفيرا وكل ربوة غديرا وخط كل أرض خطا وغادر كل جانب شطا كأنه يوازى يد مولانا فى شيمة كرمها والتثاث صوب ديمها والمملوك يستغفر الله من هذا التمثيل العارى عن فائدة التحصيل وفرق بين ما يملأ الوادى بمائه ومن يملأ النادى بنعمائه وليس ما ينبت زهرا يذهبه المصيف أو ثمرا يأكله الخريف كمن ينبت ثروة تفوت الاعطاف ويأكل المرتبع والمصطاف ثم استمر على مسيره يقاسى الارض ووحلها والسماء ووبلها ولقد جاد حتى أكثر وواصل حتى أضجر وأسرف حتى اتصل بره بالعقوق وما خاف المملوك لمع البوارق كما خاف لمع البروق ولم يزل من مواقع قطره فى حرب ومن شدة برده فى كرب والسلام ولما سمع صاحبنا الحسام عيسى بن سنجر بن بهرام المعروف بالحاجرى الاربلى المقدم ذكره هذا المعنى وهو قوله ومن شدة برده فى كرب أعجبه ونظم أبياتا ومن جملتها بيت أودعه هذا المعنى وهو

ويلاه من برد رضابه له * أشكو الى العذال منه الحريق

ومن وقف على هذا البيت ربما يتشوق الى الوقوف على بقية الابيات وهى قليلة فلا بأس بذكرها وهى

بين لوى الجزع ووادى العقيق * من لا الى السلوان عنه طريق
جان جنى النحلة من ريقه * حلو التثنى والثنايا رشيق
لولم تكن وجنته جنة * ما أنبتت ذاك العذار الانيق
واعجبا يفعل بى فى الهوى * ما تفعل الاعداء وهو الصديق
ويلاه من برد رضاب له * اشكو الى العذال منه الحريق
روحى فدى الظبى الذى قده * يفعل فعل السمهرى الدقيق

وقد سبق فى ترجمة النفيس القطرسى فى حرف الهمزة بيت من جملة أبياته الكافية يتضمن هذا المعنى وهو قوله

قصور فى مداراة الناس ومعاملاته ولذلك كانوا فيه يطعنون والى كل حدب ينسلون (بيت)

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها
كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

توفى رحمه الله فى أول الربيعين سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة

(ومنهم العالم العامل والسرى الكامل شيخنا واستاذنا تاج الدين ابراهيم ابن عبد الله سقى الله ثراه وجعل الجنة مثواه)

ولد رحمه الله على رأس تسعمائة فى ولاية حميد فخرج منها فى طلب العلم ودار البلاد واشتغل واستفاد وافنى عنفوان شبابه فى تحصيل العلم واكتسابه وصاحب أعيان الناس وشيد بنيان العلم باشد أساس وتلقى من الافاضل الدروس حتى شهد بفضله الرؤس واتصل بالمولى نور الدين الشهير بصاروكرز وصار منه ملازما ثم درس فى مدرسة ابراهيم الرواس بقسطنطينية بعشرين ثم بالمدرسة الواقعة بقصبة يبلونه الشهير بانها بمحال أوغلى بخمسة وعشرين ثم مدرسة القاضى الاسود بقصبة تيره ثم مدرسة اغراس ثم مدرسة سليمان باشا بازنيق فاشتغل فيها وكتب حاشية على صدر

أحرقت يا ثغر الحبيب * حشاى لما ذقت بردك

وأصل هذا المعنى لابن التعاويذى المقدم ذكره فى بيت من جملة قصيدته النونية المشهورة وهو

يذكى الجوى بارد من ثغره شبم * ويوقظ الوجد طرف منه وسنان

ومن رسائل ضياء الدين ما كتبه عن مخدومه الى الديوان العزيز من جملة رسالة وهى ودولته هى الضاحكة وان كان نسبها الى العباس فهى خير دولة أخرجت للزمن كما ان رعاياها خير أمة أخرجت للناس ولم يجعل شعارها من لون الشباب الا تفاؤلا بانها لا تهرم وأنها لا تزال محبوة من أبكار السعادة بالحب الذى لا يسلى والوصل الذى لا يصرم وهذا معنى اخترعه الخادم للدولة وشعارها وهو مما لا تخطه الاقلام فى صحفها ولا تجالته الخواطر فى افكارها أقول لعمرى ما أنصف ضياء الدين فى دعواه الاختراع لهذا المعنى وقد سبقه اليه ابن التعاويذى أيضا فى قصيدته السينية التى مدح بها الامام الناصر لدين الله أبا العباس أحمد أول يوم جلس فى دست الخلافة وهو يوم الاحد مستهل ذى القعدة سنة خمس وسبعين وخمسمائة وأول القصيدة

طاف يسعى بها على الجلاس * كقضيب الاراكة المياس

ومنها عند المخلص وهو المقصود بالذكر هنا

يا نهار المشيب من لى وهيها * ت بليل الشبيبة الدماس * حال بينى وبين لهوى واطرا
بى دهر أحال صبغة راسى * ورأى الغانيات شيبى فاعرضـ * ـن وقلن السواد خير لباس
كيف لا يفضل السواد وقد أضـ * ـحى شعارا على بنى العباس

ولا شك ان ضياء الدين زاد على هذا المعنى لكن ابن التعاويذى هو الذى فتح الباب وأوضح السبيل فسهل على ضياء الدين سلوكه وله من جملة رسالة فى ذكر العصا التى يتوكأ عليها الشيخ الكبير وهو معنى غريب وهذا المبتدا اضعفى خبر والقوس ظهرى وتر وان كان القاؤها اقامة فان حملها دليل على السفر وله فى وصف المسلوبين من جملة كتاب يتضمن البشرى بهزيمة الكفار وهو فسلبوا وعارضتهم الدماء عن اللباس فهم فى صورة عار وزيهم زى كاس وما أسرع ما خيط لهم لباسها المحمر غير انه لم يجب عليهم ولم يزر وما لبسوه حتى ألبس الاسلام شعار النصر الباقى على الدهر وهو شعار نسجه السنان الخارق لا الصنع الحاذق ولم يغب عن لابسه الاريثما غابت البيض فى الطلى والهام وألف الطعن بين ألف الخط واللام وأول هذا الفصل مأخوذ من قول البحترى سلبوا واشرقت الدماء عليهم * محمرة فكأنهم لم يسلبوا

وله رسالة يصف فيها الديار المصرية وهى طويلة ومن جملتها فصل فى صفة نيلها وقت زيادته وهو معنى بديع غريب لم أقف لغيره على أسلوبه وهو قوله وعذب رضابه فضاهى جنى النحل واحمر صفيحه فعلمت أنه قد قتل المحل وهذا المعنى نهاية فى الحسن ثم انى وجدت هذا المعنى لبعض العرب وقد أخذ ضياء الدين منه وهو قوله

لله قلب ما يزال يروعه * برق الغمامة منجدا أو مغورا
ما احمر فى الليل البهيم صفيحة * متحيرا الا وقد قتل الكرى

ولقد أحسن فى أخذه وتلطف فى نقله الى هذا المعنى ومثله قول عبد الله بن المعتز المقدم ذكره فى غلام أرمد

قالوا اشتكت عينه فقلت لهم * من كثرة القتل مسها الوصب
حمرتها من دماء من قتلت * والدم فى النصل شاهد عجب

وله كل معنى مليح فى الترسل وكان يعارض القاضى الفاضل فى رسائله فاذا أنشأ رسالة أنشأ مثلها وكان بينهما مكاتبات ومحاورات ولم يكن له فى النظم شئ حسن وسأذكر منه أنموذجا وهو

ثلاثة تعطى الفرح * كأس وكوب وقدح

وكان كثيرا ما ينشد

ماذبح الزق لها * الا ولهم ذبح
قلب كفاه من الصبابة انه * لبى دعاء الظاعنين وما دعى
ومن الظنون الفاسدات توهمى * بعد اليقين بقاءه فى أضلعى

وهذان البيتان من جملة أبيات للفقيه عمارة اليمنى المقدم ذكره ومحاسنه كثيرة وقد طال الشرح وذكره

الشريعة ورد فيها على المولى ابن كمال باشا رحمه الله فى مواضع كثيرة فلما انفصل عنها كتب رسالة وجمع فيها من مواضع رده عليه ستة عشر موضعا وأغلظ على المولى المزبور فى مواضع عديدة من تلك الرسالة وقال فى أوائل ديباجتها فاعلموا معاشر طلاب اليقين سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين ان المختصر الذى سوده الحبر الفاضل والبحر الكامل الشهير بابن كمال باشا نعمه الله فى روضة جنته بما يعلمه وما يشاء وسماه بالاصلاح والايضاح مع خروجه عن سنن الصلاح والفلاح باشتماله على تصرفات فاسدة واعتراضات غير واردة من السهو والزلل والخبط والخلل لاتيانه بما لا ينبغى وتحرزه عما ينبغى مشتمل على كثير من المسائل المخالفة للشرع بحيث لا يخفى بعد التنبيه للاصل والفرع ولا ينبغى الاعتقاد بحقيتها للمبتدى ولا العمل بها للمنتهى لوجود خلافها صريحا فى الكتب المعتبرات من المطولات والمختصرات ومن شك فيما ذكر بعد النظر فيما سيذكر أوشك أن يشك فى ضوء المصباح ووجود الصباح عند طلوع الاصباح ثم كتب نسختين ودفع احداهما الى الوزير محمد الصوفى وكان ينتسب اليه

أبو البركات بن المستوفى فى تاريخ اربل وبالغ فى الثناء عليه وقال ورد اربل فى شهر ربيع الاول سنة احدى عشرة وستمائة وكانت ولادته بجزيرة ابن عمر فى يوم الخميس العشرين من شعبان سنة ثمان وخمسين وخمسمائة وتوفى فى احدى الجمادين سنة سبع وثلاثين وستمائة ببغداد وقد توجه اليها رسولا من جهة صاحب الموصل وصلى عليه من الغد بجامع القصر ودفن بمقابر قريش فى الجانب الغربى بمشهد موسى بن جعفر رضى الله عنهما قال أبو عبد الله محمد بن النجار البغدادى فى تاريخ بغداد توفى يوم الاثنين التاسع والعشرين من شهر ربيع الآخر من السنة وهو أخبر لانه صاحب هذا الفن وقد مات عندهم وقد تقدم ذكر أخويه مجد الدين أبى السعادات المبارك وأبى الحسن على الملقب عز الدين وكان الاخوة الثلاثة فضلاء نجباء رؤساء لكل واحد منهم تصانيف نافعة رحمهم الله تعالى وكان لضياء الدين المذكور ولد نبيه له النظم والنثر الحسن وصنف عدة تصانيف نافعة من مجاميع وغيرها ورأيت له مجموعا جمعه للملك الاشرف ابن الملك العادل بن أيوب وأحسن فيه وذكر فيه جملة من نظمه ونثره ورسائل أبيه ومولده بالموصل فى شهر رمضان سنة خمس وثمانين وخمسمائة وتوفى بكرة نهار الاثنين ثانى جمادى سنة اثنتين وعشرين وستمائة واسمه محمد ولقبه الشرف رحمه الله تعالى

(ابو الحسن النضر بن شميل بن خرشة بن يزيد بن كلثوم بن عبدة بن زهير السكب الشاعر بن عروة ابن حليمة بن حجر بن خزاعى بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم التميمى المازنى النحوى البصرى)

كان عالما بفنون من العلم صدوقا ثقة صاحب غريب وفقه وشعر ومعرفة بأيام العرب ورواية الحديث وهو من أصحاب الخليل بن أحمد ذكره أبو عبيدة فى كتاب مثالب أهل البصرة فقال ضاقت المعيشة على النضر ابن شميل البصرى بالبصرة فخرج يريد خراسان فشيعه من أهل البصرة نحو من ثلاثة آلاف رجل ما فيهم الا محدث أو نحوى أو لغوى أو عروضى أو اخبارى فلما صار بالمربد جلس وقال يا أهل البصرة يعز على فراقكم والله لو وجدت كل يوم كيلجة باقلى ما فارقتكم قال فلم يكن أحد فيهم يتكلف له ذلك فسار حتى وصل خراسان فأفاد بها مالا عظيما وكانت اقامته بمرو وقد سبق فى أخبار القاضى عبد الوهاب المالكى نظير هذه الحكاية لما خرج من بغداد وسمع من هشام بن عروة واسمعيل بن أبى خالد وحميد الطويل وعبد الله بن عون وهشام بن حسان وغيرهم من التابعين وروى عنه يحيى بن معين وعلى بن المدينى وكل من أدركه من أئمة عصره ودخل نيسابور غير مرة وأقام بها زمانا وسمع منه أهلها وله مع المأمون بن هرون الرشيد لما كان مقيما بمرو حكايات ونوادر لانه كان يجالسه فمن ذلك ما حكاه الحريرى فى كتاب درة الغواص فى أوهام الخواص فى قوله ويقولون هو سداد من عوز فيلحنون فى فتح السين والصواب أن يقال بالكسر وقد جاء فى أخبار النحويين ان النضر بن شميل المازنى استفاد بافادة هذا الحرف ثمانين ألف درهم وساق خبره وذكر اسنادا انتهى فيه الى محمد بن ناصح الاهوازى قال حدثنى النضر بن شميل قال كنت أدخل على المأمون فى سمره فدخلت ذات ليلة وعلى ثوب مرقوع فقال يا نضر ما هذا التقشف حتى تدخل على أمير المؤمنين فى هذه الخلقان قلت يا أمير المؤمنين أنا شيخ ضعيف وحر مرو شديد فأتبرد بهذه الخلقان قال لا ولكنك قشف ثم أجرينا الحديث فاجرى هو ذكر النساء فقال حدثنا هشيم عن خالد عن الشعبى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيه سداد من عوز فاورده بفتح السين قال فقلت صدق يا أمير المؤمنين هشيم حدثنا عوف بن أبى جميلة عن الحسن عن على بن أبى طالب رضوان الله عليه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سداد من عوز قال وكان المأمون متكئا فاستوى جالسا وقال يا نضر كيف قلت سداد قلت لان السداد هنا لحن قال أو تلحننى قلت انما لحن هشيم وكان لحانة فتبع أمير المؤمنين لفظه قال فما الفرق بينهما قلت السداد بالفتح القصد فى الدين والسبيل والسداد بالكسر البلغة وكل ما سددت به شيأ فهو سداد قال أو تعرف العرب ذلك قلت نعم هذا العرجى يقول

والثانية الى الوزير الكبير رستم باشا فلما أعطاه اياها طالب الوزير المزبور قراءتها فلما وصل الى تشنيعه على المولى المزبور تغير الوزير غاية التغير بسبب انه كان قد قرأ على المولى المزبور فأخذ منه الرسالة وقال لا بد من ارسالها الى المفتى وهو يومئذ المولى أبو السعود فان كنت صادقا فى دعواك نعطيك ما تسأله وان كذبت فسنجزيك باساءتك الادب فخرج المرحوم من عنده مغموما ثم أمر الوزير المزبور لبعض العلماء أن يصور له بعضا من تلك الصور بحيث يفهمه وكان أول موضع منها قوله قال الفاضل الشهير بابن كمال باشا (وكره سدل الثوب الى قوله الوطء والتخلى فوق المسجد والبول فوقه وفوق بيت فيه مسجد) أى مكان أعد للصلاة وجعل له محراب وأشار الى هذا بتعريف الاول وتنكير الثانى (أقول) عد البول فوق المسجد من جملة المكروهات يخالف مخالفة بينة ما هو المصرح به فى الكتب المعتبرات والحال انه لم يؤيد كلامه بنقل وما هو الا سهو أو سبق قلم منه فلما سمع الوزير تلك المسئلة قال قد أساء الادب فيه أيضا حيث جوز البول فوق مسجد وما هو الا رجل سفيه انظر الى هذا

فقال له كذبت أنت تصلح فقال له قد حكمت لى على نفسك كيف يحل لك أن تولى قاضيا على أمانتك وهو كذاب وحكى الخطيب أيضا فى بعض الروايات ان المنصور لما بنى مدينته ونزلها ونزل المهدى فى الجانب الشرقى وبنى مسجد الرصافة أرسل الى أبى حنيفة فجىء به فعرض عليه قضاء الرصافة فابى فقال له ان لم تفعل ضربتك بالسياط قال أوتفعل قال نعم فقعد فى القضاء يومين فلم يأته أحد فلما كان فى اليوم الثالث أتاه رجل صفار ومعه آخر فقال الصفار لى على هذا درهمان وأربعة دوانق ثمن تور صفر فقال أبو حنيفة اتق الله وانظر فيما يقول الصفار قال ليس له على شىء فقال أبو حنيفة للصفار ما تقول فقال استحلفه لى فقال أبو حنيفة للرجل قل والله الذى لا اله الا هو فجعل يقول فلما رآه أبو حنيفة معتمدا على أن يقول قطع عليه وضرب بيده الى كمه فحل صرة وأخرج درهمين ثقيلين وقال للصفار هذان الدرهمان عوض عن باقى تورك فنظر الصفار اليهما وقال نعم فأخذ الدرهمين فلما كان بعد يومين اشتكى أبو حنيفة فمرض ستة أيام ثم مات وكان يزيد بن عمر بن هبيرة الفزارى أمير العراقين أراده أن يلى القضاء بالكوفة أيام مروان بن محمد آخر ملوك بنى أمية فابى عليه فضربه مائة سوط وعشرة أسواط كل يوم عشرة أسواط وهو على الامتناع فلما رأى ذلك خلى سبيله وكان أحمد بن حنبل رضى الله عنه اذا ذكر ذلك بكى وترحم على أبى حنيفة وذلك بعد أن ضرب أحمد على القول بخلق القرآن وقال اسمعيل بن حماد بن أبى حنيفة مررت مع أبى بالكناسة فبكى فقلت له يا أبت ما يبكيك فقال يا بنى فى هذا الموضع ضرب ابن هبيرة أبى عشرة أيام فى كل يوم عشرة أسواط على أن يلى القضاء فلم يفعل والكناسة بضم الكاف موضع بالكوفة وكان أبو حنيفة حسن الوجه حسن المجلس شديد الكرم حسن المواساة لاخوانه وكان ربعة من الرجال وقيل كان طوالا تعلوه سمرة أحسن الناس منطقا وأحلاهم نغمة وذكر الخطيب فى تاريخه ان أبا حنيفة رأى فى المنام كأنه ينبش قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث من سأل ابن سيرين فقال ابن سيرين صاحب هذه الرؤيا يثور علما لم يسبقه اليه أحد قبله قال الشافعى رضى الله عنه قيل لمالك هل رأيت أبا حنيفة فقال نعم رأيت رجلا لو كلمته فى هذه السارية أن يجعلها ذهبا لقام بحجته وروى حرملة بن يحيى عن الشافعى رضى الله عنه انه قال الناس عيال على هؤلاء الخمسة من أراد أن يتبحر فى الفقه فهو عيال على أبى حنيفة وكان أبو حنيفة ممن وفق له الفقه ومن أراد أن يتبحر فى الشعر فهو عيال على زهير بن أبى سلمى ومن أراد أن يتبحر فى المغازى فهو عيال على محمد بن اسحق ومن أراد ان يتبحر فى النحو فهو عيال على الكسائى ومن أراد أن يتبحر فى التفسير فهو عيال على مقاتل بن سليمان هكذا نقله الخطيب فى تاريخه وقال يحيى بن معين القراءة عندى قراءة حمزة والفقه فقه أبى حنيفة على هذا أدركت الناس وقال جعفر بن ربيع أقمت على أبى حنيفة خمس سنين فما رأيت أطول صمتا منه فاذا سئل عن الفقه تفتح وسال كالوادى وسمعت له دويا وجهارة فى الكلام وكان اماما فى القياس وقال على بن عاصم دخلت على أبى حنيفة وعنده حجام يأخذ من شعره فقال للحجام تتبع مواضع البياض فقال الحجام ولا تزد فقال ولم قال لانه يكثر قال فتتبع مواضع السواد لعله يكثر وحكيت لشريك هذه الحكاية فضحك وقال لو ترك أبو حنيفة قياسه لتركه مع الحجام وقال عبد الله بن رجاء كان لابى حنيفة جار بالكوفة اسكاف يعمل نهاره أجمع حتى اذا جنه الليل رجع الى منزله وقد حمل لحما فطبخه أو سمكة فيشويها ثم لا يزال يشرب حتى اذا دب الشراب فيه غرد بصوت وهو يقول

أضاعونى وأى فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر

فلا يزال يشرب ويردد هذا البيت حتى يأخذه النوم وكان أبو حنيفة يسمع جلبته كل ليلة وأبو حنيفة كان يصلى الليل كله ففقد أبو حنيفة صوته فسأل عنه فقيل أخذه العسس منذ ليال وهو محبوس فصلى أبو حنيفة صلاة الفجر من الغد وركب بغلته واستأذن على الامير فقال الامير ائذنوا له واقبلوا به راكبا ولا تدعوه ينزل حتى يطأ البساط ببغلته ففعل ولم يزل الامير يوسع له فى مجلسه وقال ما حاجتك فقال لى جار اسكاف أخذه العسس منذ ليال يأمر الامير بتخليته فقال نعم وكل من أخذ فى تلك الليلة الى يومنا هذا فأمر بتخليتهم أجمعين فركب أبو حنيفة والاسكاف يمشى وراءه فلما نزل أبو حنيفة مضى اليه وقال يا فتى أضعناك فقال لا بل حفظت

سلطانه فاحضر المرحوم وعرض عليه المرسوم وقال له لا بد من قبول هذا الحكم فليس لك الا الرضا بالقضاء فاضطرب المرحوم وأظهر النفرة عنه وعدم الرضا فلم يجد لنفسه ناصرا ومعينا فقام عنه كئيبا حزينا وترك الاسباب وأغلق الباب وتوجه الى جناب ربه وبات فاذا المعلم فى تلك الليلة مات هكذا ينجح ويظفر بالآمال من أخلص التوجه الى جناب حضرة المتعال ومن توكل على الله كفاه ومن التجأ الى غير بابه صفرت كفاه وما أحسن قول من قال أعذب من ماء الزلال (نظم)

وكم لله من لطف خفى
يدق خفاه عن فهم الذكى
وكم يسر أتى من بعد عسر
ففرج كربة القلب الشجى
وكم أمر تساء به صباحا
وتأتيك المسرة بالعشى
اذا ضاقت بك الاحوال يوما
فثق بالواحد الفرد العلى

وقد كتب رحمه الله حشية على بعض المواضع من شرح المفتاح للشريف يرد فيها على المولى ابن كمال باشا فى المواضع التى يدعى التفرد فيها وله عدة رسائل على مواضع من حاشية التجريد للشريف وله شرح لمتن المراح من علم التصريف

(ومنهم المعروف بدده خليفة)

كان رحمه الله من نواحى قصبة سونسه من بعض

ورعيت جزاك الله خيرا عن حرمة الجوار ورعاية الحق وتاب الرجل ولم يعد الى ما كان عليه وقال ابن المبارك رأيت أبا حنيفة فى طريق مكة وقد شوى لهم فصيل سمين فاشتهوا ان يأكلوه بخل فلم يجدوا شيئا يصبون فيه الخل فتحيروا فرأيت أبا حنيفة وقد حفر فى الرمل حفرة وبسط عليها السفرة وسكب الخل على ذلك الموضع فأكلوا الشواء بالخل فقالوا تحسن كل شىء فقال عليكم بالشكر فان هذا شىء ألهمته لكم فضلا من الله عليكم وقال ابن المبارك أيضا قلت لسفيان الثورى يا عبد الله ما أبعد أبا حنيفة عن الغيبة ما سمعته يغتاب عدوا له قط فقال هو أعقل من أن يسلط على حسناته ما يذهبها وقال أبو يوسف دعا أبو جعفر المنصور أبا حنيفة فقال الربيع صاحب المنصور وكان يعادى أبا حنيفة يا أمير المؤمنين هذا أبو حنيفة يخالف جدك كان عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما يقول اذا حلف على اليمين ثم استثنى بعد ذلك بيوم أو بيومين جاز الاستثناء وقال أبو حنيفة لا يجوز الاستثناء الا متصلا باليمين فقال أبو حنيفة يا أمير المؤمنين ان الربيع يزعم انه ليس لك فى رقاب جندك بيعة قال وكيف قال يحلفون لك ثم يرجعون الى منازلهم فيستثنون فتبطل ايمانهم فضحك المنصور وقال يا ربيع لا تتعرض لابى حنيفة فلما خرج أبو حنيفة قال له الربيع أردت أن تسيط بدمى قال لا ولكنك أردت أن تسيط بدمى فخلصتك وخلصت نفسى وكان أبو العباس الطوسى سيء الرأى فى أبى حنيفة وكان أبو حنيفة يعرف ذلك فدخل أبو حنيفة على المنصور وكثر الناس فقال الطوسى اليوم أقتل أبا حنيفة فاقبل عليه فقال يا أبا حنيفة ان أمير المؤمنين يدعو الرجل فيأمره بضرب عنق الرجل لا يدرى ما هو أيسعه أن يضرب عنقه فقال يا أبا العباس أمير المؤمنين يأمر بالحق أم بالباطل فقال بالحق قال أنفذ الحق حيث كان ولا تسأل عنه ثم قال أبو حنيفة لمن قرب منه ان هذا أراد أن يوثقنى فربطته وقال يزيد بن الكميت كان أبو حنيفة شديد الخوف من الله تعالى فقرأ بنا على بن الحسين المؤذن ليلة فى العشاء الآخرة سورة اذا زلزلت وأبو حنيفة خلفه فلما قضى الصلاة وخرج الناس نظرت الى أبى حنيفة وهو جالس يتفكر ويتنفس فقلت أقوم لا يشتغل قلبه بى فلما خرجت تركت القنديل ولم يكن فيه الا زيت قليل فجئت وقد طلع الفجر وهو قائم وقد أخذ بلحية نفسه وهو يقول يا من يجزى بمثقال ذرة خير خيرا ويا من يجزى بمثقال ذرة شر شرا أجر النعمان عبدك من النار ومما يقرب منها من السوء وأدخله فى سعة رحمتك قال فأذنت واذا القنديل يزهو وهو قائم فلما دخلت قال لى تريد أن تأخذ القنديل قلت قد أذنت لصلاة الغداة فقال اكتم على ما رأيت وركع ركعتين وجلس حتى أقمت الصلاة وصلى معنا الغداة على وضوء أول الليل وقال أسد بن عمرو صلى أبو حنيفة فيما حفظ عليه صلاة الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة وكان عامة ليله يقرأ جميع القرآن فى ركعة واحدة وكان يسمع بكاؤه فى الليل حتى يرحمه جيرانه وحفظ عليه انه ختم القرآن فى الموضع الذى توفى فيه سبعة آلاف ختمة وقال اسمعيل بن حماد بن أبى حنيفة عن أبيه لما مات أبى سألنا الحسن ابن عمارة أن يتولى غسله ففعل فلما غسله قال رحمك الله وغفر لك لم تفطر منذ ثلاثين سنة ولم تتوسد يمينك فى الليل منذ أربعين سنة وقد أتعبت من بعدك وفضحت القراء ومناقبه وفضائله كثيرة وقد ذكر الخطيب فى تاريخه منها شيأ كثيرا ثم أعقب ذلك بذكر ما كان الاليق تركه والاضراب عنه فمثل هذا الامام لا يشك فى دينه ولا فى ورعه وتحفظه ولم يكن يعاب بشىء سوى قلة العربية فمن ذلك ما روى ان أبا عمرو بن العلاء المقرى النحوى المقدم ذكره سأله عن القتل بالمثقل هل يوجب القود أم لا فقال لا كما هو قاعدة مذهبه خلافا للامام الشافعى رضى الله عنه فقال له أبو عمرو ولو قتله بحجر المنجنيق فقال ولو قتله بأبا قبيس يعنى الجبل المطل على مكة حرسها الله تعالى وقد اعتذروا عن أبى حنيفة بأنه قال ذلك على لغة من يقول ان الكلمات الست المعربة بالحروف وهى أبوه وأخوه وحموه وهنوه وفوه وذومال اعرابها يكون فى الاحوال الثلاث بالالف وأنشدوا فى ذلك

ان أباها وأبا أباها * قد بلغا فى المجد غايتاها

وهى لغة الكوفيين وأبو حنيفة من أهل الكوفة فهى لغته والله أعلم وهذا وان كان خروجا عن المقصود لكن الكلام ارتبط بعضه ببعض فانتشر وكانت ولادة أبى حنيفة سنة ثمانين للهجرة وقيل سنة احدى

الاثر الذى وكان فى أول الامر من أصحاب البضائع مشتغلا ببعض الصنائع وعالج صنعة الدباغة سنين حتى أناف عمره على عشرين وما قرأ حرفا من العلوم وما اجتمع بواحد من أرباب الفهوم ثم من الله تعالى عليه باكبر آلائه فصار من أعيان عصره وعلمائه كان رحمه الله مشتغلا بعمل الدباغة فى بلدة اماسيه فاتفق انه جاء بها مفت من علماء ذلك العصر فاجتمع فرقة من أعيان البلدة المزبورة لضيافة المفتى المزبور فذهبوا به الى بعض الحدائق وذهب المولى المزبور متطفلا لبعض أرباب المجلس فلما باشروا أمر الطعام طلبوا من يجمع لهم الحطب والمرحوم قائم على زى الدباغين الجهلة فقال المفتى المزبور مشيرا الى المرحوم ليذهب اليه هذا الجاهل ففهم منه المرحوم ازدراءه لشانه وعلم انه ليس ذلك الا من شائبة الجهل وذهب الى جمع الحطب وفى نفسه تاثر عظيم من ازدرائه وتحقيره فلما بعد عنهم نزل على ماء هنالك وتوضأ منه وصلى ركعتين ثم ضرب وجهه على الارض وتوجه بكمال التضرع والابتهال الى جناب حضرة المتعال وطلب منه الخلاص من ربقة الجهل والنقصان واللحوق بمعاشر الفضل

أضاعونى وأى فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر
فقال المأمون قبح الله من لا أدب له وأطرق مليا ثم قال مالك يا نضر قلت أريضة لى بمرو أتصابها وأمززها
قال أفلا نفيدك مالا معها قلت انى الى ذلك لمحتاج قال فأخذ القرطاس وأنا لا أدرى ما يكتب ثم قال كيف
تقول اذا أمرت أن يترب قلت أتربه قال فهو ماذا قلت مترب قال فمن الطين قلت طنه قال فهو ماذا
قلت مطين قال هذه أحسن من الاولى ثم قال يا غلام أتربه وطنه ثم صلى بنا العشاء وقال لخادمه تبلغ
معه الى الفضل بن سهل قال فلما قرأ الفضل القرطاس قال يا نضر ان أمير المؤمنين قد أمر لك بخمسين
ألف درهم فما كان السبب فيه فاخبرته ولم أكذبه فقال لحنت أمير المؤمنين فقلت كلا انما لحن هشيم
وكان لحانة فتبع أمير المؤمنين لفظه وقد تتبع ألفاظ الفقهاء ورواة الآثار ثم أمر لى بثلاثين ألف درهم
فاخذت ثمانين ألف درهم بحرف استفيد منى والبيت الذى استشهد به هو لعبد الله بن عمرو بن عثمان بن
عفان الاموى العرجى الشاعر المشهور وهو من جملة أبيات له وهى هذه الابيات

أضاعونى وأى فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر * وصبر عند معترك المنايا
وقد شرعت أسنتها لنحرى * أجرر فى الجوامع كل يوم * فيالله مظلمتى وقسرى
كانى لم أكن فيهم وسيطا * ولم تك نسبتى فى آل عمرو * عسى الملك المجيب لمن دعاه
سينجينى فيعلم كيف شكرى * فاجزى بالكرامة أهل ودى * وأجزى بالضغائن أهل وترى

وكان سبب عمله هذه الابيات ان محمد بن هشام بن اسمعيل المخزومى خال هشام بن عبد الملك لما كان والى مكة
حبس العرجى المذكور لانه كان يشبب بامه جيداء وهى من بنى الحرث بن كعب ولم يكن ذلك لمحبته اياها
بل ليفضح ولدها المذكور وأقام فى حبسه تسع سنين ثم مات فيه بعد ان ضربه بالسياط وشهره بالاسواق
فعمل هذه الابيات فى السجن وقد خرجنا عن المقصود ونرجع الآن الى تتمة أخبار النضر فمن ذلك ما حكاه
الحريرى فى درة الغواص أيضا فى أوائل الكتاب فى قوله ويقولون للمريض مسح الله ما بك بالسين
والصواب فيه مصح بالصاد ويحكى ان النضر بن شميل المازنى مرض فدخل عليه قوم يعودونه فقال له رجل
منهم يكنى أبا صالح مسح الله ما بك فقال لا تقل مسح بالسين ولكن قل مصح بالصاد أى أذهبه وفرقه أما سمعت
قول الاعشى

واذا ما الخمر فيها أزبدت * أفل الازباد فيها ومصح

فقال له الرجل ان السين قد تبدل من الصاد كما يقال الصراط والسراط وسقر وصقر فقال له النضر فاذا
أنت أبو سالح وتشبه هذه النادرة ما حكى أيضا ان بعض الادباء جوز بحضرة الوزير أبى الحسن بن الفرات أن
تقام السين مقام الصاد فى كل موضع فقال له الوزير أتقرأ جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم أم
من سلح فخجل الرجل وانقطع انتهى كلام الحريرى قلت أنا والذى ذكره أرباب اللغة فى جواز ابدال
الصاد من السين ان كل كلمة كان فيها سين وجاء بعدها أحد الحروف الاربعة وهى الطاء والخاء والغين
والقاف فيجوز ابدال السين بالصاد فتقول فى السراط الصراط وفى سخر لكم صخر وفى مسغبة مصغبة وفى
سيقل صيقل وقس على هذا كله ولم أر فى كتب اللغة من ذكر هذا وحكى فيه خلافا سوى الجوهرى فى
كتاب الصحاح فى لفظة صدغ فانه قال وربما قالوا السدغ بالسين قال محمد بن المستنير ان قوما من بنى تميم يقال
لهم بلعنبر يقلبون السين صادا عند أربعة أحرف عند الطاء والقاف والغين والخاء اذا كن بعد السين
ولا يبالى أثانية كانت أم ثالثة أم رابعة ان يكن بعدها يقولون سراط وصراط وبسطة وبصطة وسيقل
وصيقل وسرقت وصرقت ومسغبة ومصغبة ومسدغة ومصدغة وسخر لكم وصخر لكم والسخب
والصخب انتهى كلامه فى هذا الفصل وأخبار النضر كثيرة والاختصار أولى وله تصانيف كثيرة فمن ذلك كتاب
فى الاجناس على مثال الغريب وسماه كتاب الصفات قال على بن الكوفى الجزء الاول منه يحتوى على
خلق الانسان والجود والكرم وصفات النساء والجزء الثانى يحتوى على الاخبية والبيوت وصفات الجبال
والشعاب والجزء الثالث يحتوى على الابل فقط والجزء الرابع يحتوى على الغنم والطير والشمس والقمر

الجهل وسوء الفهم ثم لما
سمع مسئلة تجوز بيع
العبد فى نفقة زوجته مرة
بعد أخرى غضب غضبا
شديدا وقال انه تعريض
لى فعزم أن لا يوجه اليه
منصبا قطعا ونسى ذلك
المغرور ألا الى الله تصير
الامور فبقى المرحوم برهة
من الزمان فى مهامه الذل
والهوان واستولى عليه
القنوط والياس وقطع
أمنيته عن الناس فتوجه
الى جناب مولاه الى أن
قرع سمعه نداء لا تيأسوا
من روح الله وذلك انه
اتفق فتح سلطانية بروسه
وورد الامر من السلطان
بان يوجه الى أحد من
المعزولين ولم يوجد منهم
الا المرحوم وشخص آخر
يبغضه الوزير المزبور
أكثر من بغضه للمرحوم
فخاف أن يعطيها السلطان
ذلك الشخص فسارع فى
عرض المرحوم فقبله
السلطان ثم ندم على ما فعله
ولم ينفعه الندم بعد ما زلت
القدم وما أصدق من قال
(بيت)
اذا أتى وقت القضاء الغالب
بادرت الحاجة كف الطالب
فذهب المرحوم الى
مدرسته فشرع فى الافادة
وبيض فيهما كتبه على
صدر الشريعة من أول
كتاب الحج الى آخر الكتاب
فلما مضى عليه سبع سنين
أعطى احدى المدارس
الثمان وقد قرأت عليه فيها

والليل

والليل والنهار والالبان والكمأة والآبار والحياض والارشية والدلاء وصفة الخمر والجزء الخامس يحتوى
على الزرع والكرم والعنب وأسماء البقول والاشجار والرياح والسحاب والامطار وله كتاب السلاح
وكتاب خلق الفرس وكتاب الانواء وكتاب المعانى وكتاب غريب الحديث وكتاب المصادر وكتاب المدخل
الى كتاب العين للخليل بن أحمد وغير ذلك من التصانيف وتوفى فى سلخ ذى الحجة سنة أربع ومائتين وقيل فى
أولها وقيل سنة ثلاث ومائتين بمدينة مرو من بلاد خراسان وبها ولد ونشأ بالبصرة فلذلك نسب اليها رحمه
الله تعالى والنضر بفتح النون وسكون الضاد المعجمة وبعدها راء وشميل بضم الشين المعجمة وفتح الميم
وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها لام وخرشة بفتح الخاء المعجمة والراء والشين المعجمة وكلثوم بضم
الكاف والثاء المثلثة وبينهما لام ساكنة وعبدة بفتح العين والدال المهملة وبينهما باء موحدة وهاء ساكنة
والسكب بفتح السين المهملة وسكون الكاف وبعدها باء موحدة وانما قيل له سكب لقوله

* برق يضئ خلال البيت أسكوب * وحليمة بفتح الحاء المهملة وكسر اللام وسكون الياء المثناة من تحتها
وقال ابن الجوزى فى كتاب الالقاب فى ترجمة السكب هو زهير بن عروة بن جلهمة والله أعلم بالصواب وجلهمة
بضم الجيم والهاء وبينهما لام ساكنة وهو فى الاصل اسم لجنب الوادى يقال له جلهمة وجلهة بفتح الجيم
والهاء بغير ميم وبه سمى الرجل وحجر بضم الحاء المهملة وبعدها جيم ساكنة ثم راء وخزاعى بضم الخاء المعجمة
وفتح الزاى وبعد الالف عين مهملة مكسورة ثم ياء مشددة تشبه ياء النسب والباقى معروف فلا حاجة الى ضبطه

(الامام أبو حنيفة النعمان بن ثابت رضى الله عنه ابن زوطى بن ماه الامام الفقيه الكوفى مولى تيم الله بن ثعلبة وهو من رهط حمزة الزيات)

كان خزازا يبيع الخز وجده زوطى من أهل كابل وقيل من أهل بابل وقيل من أهل الانبار وقيل من أهل
نسا وقيل من أهل ترمذ وهو الذى مسه الرق فاعتق وولد ثابت على الاسلام وقال اسمعيل بن حماد بن أبى
حنيفة أنا اسمعيل بن حماد بن النعمان بن ثابت بن النعمان بن المرزبان من أبناء فارس من الاحرار والله
ما وقع علينا رق قط ولد جدى سنة ثمانين وذهب ثابت الى على بن أبى طالب رضى الله عنه وهو صغير فدعا له
بالبركة فيه وفى ذريته ونحن نرجو أن يكون الله تعالى قد استجاب ذلك لعلى فينا والنعمان بن المرزبان أبو
ثابت هو الذى أهدى لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه الفالوذج فى يوم مهرجان فقال مهرجونا كل يوم
هكذا قال الخطيب فى تاريخه والله تعالى أعلم وأدرك أبو حنيفة أربعة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين
وهم أنس بن مالك وعبد الله بن أبى أوفى بالكوفة وسهل بن سعد الساعدى بالمدينة وأبو الطفيل عامر بن
واثلة بمكة ولم يلق أحدا منهم ولا أخذ عنه وأصحابه يقولون لقى جماعة من الصحابة وروى عنهم ولم يثبت
ذلك عند أهل النقل وذكر الخطيب فى تاريخ بغداد أنه رأى أنس بن مالك رضى الله عنه وأخذ الفقه عن
حماد بن أبى سليمان وسمع عطاء بن أبى رباح وأبا اسحق السبيعى ومحارب بن دثار والهيثم بن حبيب الصراف
ومحمد بن المنكدر ونافعا مولى عبد الله بن عمر رضى الله عنهم وهشام بن عروة وسماك بن حرب وروى عنه عبد
الله بن المبارك ووكيع بن الجراح والقاضى أبو يوسف ومحمد بن الحسن الشيبانى وغيرهم وكان عالما عاملا
زاهدا عابدا ورعا تقيا كثير الخشوع دائم التضرع الى الله تعالى ونقله أبو جعفر المنصور من الكوفة الى
بغداد فأراده على ان يوليه القضاء فابى فحلف عليه ليفعلن فحلف أبو حنيفة أن لا يفعل فحلف المنصور ليفعلن
فحلف أبو حنيفة أن لا يفعل وقال انى لن أصلح الى قضاء فقال الربيع بن يونس الحاجب ألا ترى أمير
المؤمنين يحلف فقال أبو حنيفة أمير المؤمنين على كفارة أيمانه أقدر منى على كفارة أيمانى فأمر به الى
الحبس فى الوقت والعوام يدعون انه تولى عد اللبن أياما ليكفر بذلك عن يمينه ولم يصح هذا من جهة النقل
وقال الربيع رأيت المنصور ينازل أبا حنيفة فى أمر القضاء وهو يقول اتق الله ولا ترع فى أمانتك الا من
يخاف الله والله ما أنا مأمون الرضا فكيف أكون مأمون الغضب ولو اتجه الحكم عليك ثم تهددتنى أن
تغرقنى فى الفرات أو تلى الحكم لاخترت أن أغرق ولك حاشية يحتاجون الى من يكرمهم لك ولا أصلح لذلك

نبذا من كتاب الهداية ثم
نقل الى مدرسة أيا صوفيه
ثم نقل الى مدرسة السلطان
سليم خان ثم فوض اليه
الفتوى باماسيه فى كل يوم
بثمانين درهما فلما مضى
عليه خمس سنين انحرف
مزاجه وانكسر زجاجه
وهجمت عليه الامراض
فانفصل عنه وهو راض
وعين له الثمانون حسب
ما هو العادة والقانون وتوفى
رحمه الله فى أول الربيعين
من شهور سنة ثلاث
وسبعين وتسعمائة وكان
المرحوم بحر المعارف ولجة
العلوم واصلا الى التحقيق
ومالكا لازمة التدقيق
مشاركا فى العلوم العقلية
وبارعا فى الفنون النقلية
خصوصا فى الفقه وبابه فانه
من أكبر أربابه وكان
رحمه الله خليقا بالمراتب
العلية والمناصب السنية
الا انه خانه دهره ولم يساعده
عصره عوضه الله تعالى عن
المراتب الدنيوية بالدرجات
الاخروية وكان رحمه الله
ذا خصائل رضية وشمائل
مرضية متخلقا باخلاق الله
قانعا باليسير من دنياه شيخا
مباركا متبركا فاز كثير من
تلاميذه وفاق على أقرانه
وقد صدر عنه بعض الحالات
الشبيهة بالكرامات منها ان
وزير زمانه ابراهيم باشا
أمر أن يعطى مدرسته
معلم غلمانه فلم يقدر قاضى
العسكر على مخالفته
وعصيانه لشدة بأسه وقوة

وستين والاول أصح وتوفى فى رجب وقيل فى شعبان سنة خمسين ومائة وقيل ثلاث وخمسين والاول أصح وكانت وفاته ببغداد فى السجن ليلى القضاء فلم يفعل هذا هو الصحيح وقيل انه لم يمت فى السجن وقيل توفى فى اليوم الذى ولد فيه الامام الشافعى رضى الله عنهما ودفن فى مقبرة الخيزران وقبره هنالك مشهور بزار وزوطى بضم الزاى وسكون الواو وفتح الطاء المهملة وبعدها ألف مقصورة وهو اسم نبطى وكابل بفتح الكاف وضم الباء الموحدة بعد الالف وبعدها لام وهى ناحية معروفة من بلاد الهند ينسب اليها جماعة من العلماء وغيرهم وأما بابل والانبار فهما معروفان فلا حاجة الى الكلام عليهما وبنى شرف الملك أبو سعد محمد ابن منصور الخوارزمى مستوفى مملكة السلطان ملك شاه السلجوقى على قبر الامام أبى حنيفة مشهدا وقبة وبنى عنده مدرسة كبيرة للحنفية ولما فرغ من عمارة ذلك ركب اليها فى جماعة من الاعيان ليشاهدوها فبيناهم هنالك اذ دخل عليهم الشريف أبو جعفر مسعود المعروف بالبياضى الشاعر المقدم ذكره وأنشده

ألم تر ان العلم كان مبددا * فجمعه هذا المغيب فى اللحد
كذلك كانت هذه الارض ميتة * فانشرها فعل العميد أبى سعد

فاجازه أبو سعد جائزة سنية ولهذا أبى سعد مدرسة بمدينة مرو وله عدة ربط وخانات فى المفاوز وكان كثير الخير وعمل المعروف وانقطع آخر عمره عن الخدمة ولزم بيته وكانوا يراجعونه فى الامور وتوفى فى المحرم سنة أربع وستين وأربعمائة باصبهان رحمه الله تعالى وكان بناء المشهد والقبة فى سنة تسع وخمسين وأربعمائة وقد تقدم فى ترجمة ألب أرسلان محمد والد السلطان ملك شاه انه بنى مشهدا على قبر الامام أبى حنيفة وكذلك وجدته فى بعض التواريخ وقد غاب عنى الآن من أين نقلته ثم وجدت بعد ذلك ان الذى بنى المشهد والقبة أبو سعد المذكور والظاهر ان أبا سعد بناهما نيابة عن ألب أرسلان المذكور وهو كان المباشر كما جرت عادة النواب مع ملوكهم فنسبت العمارة اليه بهذا الطريق ويدل على ذلك ان تاريخ العمارة فى أيام ألب أرسلان وأبو سعد كان مستوفيا فى أيامه ثم استمر على وظيفته فى أيام ولده ملك شاه وهذا انما ذكرته لنجمع بين النقلين والله أعلم

(أبو حنيفة النعمان بن أبى عبد الله محمد بن منصور بن أحمد بن حيون أحد الائمة الفضلاء المشار اليهم)

ذكره الامير المختار المسبحى فى تاريخه فقال كان من أهل العلم والفقه والدين والنبل على ما لا مزيد عليه وله عدة تصانيف منها كتاب اختلاف أصول المذاهب وغيره انتهى كلام المسبحى فى هذا الموضع وكان مالكى المذهب ثم انتقل الى مذهب الامامية وصنف كتاب ابتداء الدعوة للعبيديين وكتاب الاخبار فى الفقه وكتاب الاقتصار فى الفقه أيضا وقال ابن زولاق فى كتاب أخبار قضاة مصر فى ترجمة أبى الحسن على بن النعمان المذكور ما مثاله وكان أبوه النعمان بن محمد القاضى فى غاية الفضل من أهل القرآن والعلم بمعانيه وعالما بوجوه الفقه وعلم اختلاف الفقهاء واللغة والشعر الفحل والمعرفة بايام الناس مع عقل وانصاف وألف لاهل البيت من الكتب آلاف أوراق باحسن تأليف وأملح سجع وعمل فى المناقب والمثالب كتابا حسنا وله ردود على المخالفين له رد على أبى حنيفة وعلى مالك والشافعى وعلى ابن سريج وكتاب اختلاف الفقهاء ينتصر فيه لاهل البيت رضى الله عنهم وله القصيدة الفقهية لقبها بالمنتخبة وكان أبو حنيفة المذكور ملازما صحبة المعز أبى تميم معد بن المنصور المقدم ذكره ولما وصل من افريقية الى الديار المصرية كان معه ولم تطل مدته ومات فى مستهل رجب سنة ثلاث وستين وثلثمائة بمصر وذكر أحمد بن محمد بن عبد الله الفرغانى فى سيرة القائد جوهر انه توفى فى ليلة الجمعة سلخ جمادى الآخرة من السنة وصلى عليه المعز وذكر ابن زولاق فى تاريخه بعد ذكر وفاة المعز وذكر أولاده وقضاة المعز فقال قاضيه الواصل معه من المغرب أبو حنيفة النعمان بن محمد الداعى ولما وصل الى مصر وجد جوهرا قد استخلف على القضاء أبا طاهر الذهلى البغدادى فاقره انتهى كلام ابن زولاق وكان والده أبو عبد الله محمد قد عمر ويحكى أخبارا كثيرة نفيسة حفظها وعمره مائة وأربع سنين وتوفى فى رجب سنة احدى وخمسين وثلثمائة وصلى عليه ولده أبو حنيفة المذكور ودفن فى

والعرفان متكلا على قوله تعالى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان ثم قام وأخذ من الحطاب ما يتحمله وجاء الى المجلس وفى وجهه جراحات تدمى من شدة مسح وجهه بالتراب فتضاحك القوم منه وظنوا ان ذلك من مصادمة الاشجار عند الاحتطاب فلما تم المجلس قام المرحوم وقبل يد المفتى وقال أريد ترك الصناعة والدخول فى طلب العلم فقال المفتى أبعد هذا تطلب العلم وهو لا يحصل الا بجهد جهيد وعهد مديد وعزم صادق وحزم فائق ولا بد من خدمة الاستاذ أكثر من المعتاد وأنت لا تتحمل بهذه المشاق ولا تحتمل ذلك الوثاق فتضرع المرحوم وأبرم عليه فى القبول الى أن قبله المفتى لخدمته ورضى بتعليمه فلما أصبح باع ما فى حانوته واشترى مصحفا وذهب الى باب المفتى وبدأ فى القراءة وقام فى الخدمة الى أن حصل مبانى العلوم ودخل فى سلك أرباب الاستعداد وتحرك على الوجه المعتاد حتى صار معيدا لدرس المولى سنان الدين المشتهر بألق فى مدرسة السلطان مراد بمدينة بروسه ثم تولى مدرسة بايزيد باشا فى البلدة المزبورة بعشرين ثم مدرسة أغا الكبير باماسيه بخمسة وعشرين ثم مدرسة

باب سلم وهو أحد أبواب القيروان وكان عمره مائة وأربع سنين وكان لابى حنيفة أولاد نجباء سراة فنهم أبو الحسن على بن النعمان أشرك المعز المذكور بينه وبين أبى طاهر محمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر بن بجير بن صالح بن أسامة الذهلى قاضى مصر فى الحكم ولم يزالا مشتركين فيه الى أن توفى المعز وأقام بالامر ولده العزيز نزار وقد تقدم ذكره أيضا فرد الى القاضى أبى الحسن المذكور أمر الجامعين ودار الضرب وهما على الاشتراك فى الحكم واستمر على ذلك الى أن لحقت القاضى أبا طاهر المذكور رطوبة عطلت شقه ومنعته من الحركة والسعى الا محمولا فركب العزيز المذكور الى الجزيرة التى بين مصر والجيزة فى مستهل صفر سنة ست وستين وثلثمائة فحمل أبو طاهر اليه فلقيه والشهود معه عند باب الصناعة فرآه نحيلا وسأله استخلاف ولده أبى العلاء بسبب ما يجده من الضعف فحكى عن العزيز انه قال ما بقى الا أن تقلدوه ثم قلد العزيز ثالث هذا اليوم القاضى أبا الحسن على بن النعمان المذكور القضاء مستقلا فركب الى جامع القاهرة وقرأ سجله ثم عاد الى الجامع العتيق بمصر وقرأ سجله وكان القارئ أخاه أبا عبد الله محمد بن النعمان وكان فى سجله القضاء بالديار المصرية والشام والحرمين والمغرب وجميع مملكة العزيز والخطابة والامامة والعيار فى الذهب والفضة والموازين والمكاييل ثم انصرف الى داره فى جمع عظيم ولم يتأخر عنه أحد وأقام القاضى أبو طاهر المذكور منقطعا فى بيته عليلا وأصحاب الحديث يترددون اليه ويسمعون عليه الى أن توفى سلخ ذى القعدة سنة سبع وستين وثلثمائة وسنه ثمان وثمانون سنة ومدة ولايته ست عشرة سنة وسبعة عشر يوما وأذن له العزيز أيضا ان ينظر فى الاحكام فى هذه المدة فلم يكن فيه فضل وكان قد حكم فى الجانب الغربى ببغداد أيضا ثم انتقل الى مصر ثم ان القاضى أبا الحسن استخلف فى الحكم أخاه أبا عبد الله محمدا وفوض اليه الحكم بدمياط وتنيس والفرما والجفار فخرج اليها واستخلف بها ثم عاد ثم سافر العزيز الى الشام فى سنة سبع وستين وسافر معه القاضى أبو الحسن المذكور وجلس أخوه محمد مكانه للحكم بين الناس وكان القاضى أبو الحسن المذكور متفننا فى عدة فنون منها علم القضاء والقيام به بوقار وسكينة وعلم الفقه والعربية والادب والشعر وأيام الناس وكان شاعرا مجيدا فى الطبقة العليا ومن شعره ما رواه أبو منصور الثعالبى فى كتاب يتيمة الدهر وهو قوله

ولى صديق ما مسنى عدم * مذ وقعت عينه على عدم
أغنى وأقنى وما يكلفنى * تقبيل كف له ولا قدم
قام بامرى لما قعدت به * ونمت عن حاجتى ولم ينم

وأورد له الثعالبى أيضا فى المعنى

صديق لى له ادب * صداقة مثله نسب
رعى لى فوق ما يرعى * وأوجب فوق ما يجب
فلو نقدت خلائقه * لبهرج عندها الذهب

وأورد له أبو الحسن الباخرزى المقدم ذكره فى كتابه دمية القصر وأوردها أيضا أبو محمد بن زولاق فى كتاب أخبار قضاة مصر فى ترجمة أبى الحسن المذكور أبياتا أحسن فيها كل الاحسان وهى

رب خود عرفت فى عرفات * سلبتنى بحسنها حسناتى
حرمت حين أحرمت نوم عينى * واستباحت حماى باللحظات
وأفاضت مع الحجيج ففاضت * من جفونى سوابق العبرات
ولقد أضرمت على القلب جمرا * محرقا اذ مشت الى الجمرات
لم أنل من منى منى النفس حتى * خفت بالخيف أن تكون وفاتى

ولم يزل أبو الحسن المذكور مستمرا على أحكامه وافر الحرمة عند العزيز حتى أصابته الحمى وهو بالجامع ينظر فى الاحكام فقام من وقته ومضى الى داره وأقام عليلا أربعة عشر يوما وتوفى فى يوم الاثنين لست خلون من رجب سنة أربع وسبعين وثلثمائة وأخرج تابوته من الغد الى العزيز وهو معسكر بسطح الجب عند الموضع المعروف الآن بالبركة فوضع التابوت فى المسجد المعروف بالبئر والجميزة وسار العزيز اليه من مخيمه حتى صلى عليه فى المسجد وردت الجنازة الى داره بالحمراء فدفن فيها والحمراء محلة بمصر وهى ثلاث حمراوات وانما قيل لها الحمراء لنزول الروم بها وأرسل العزيز الى أخيه أبى عبد الله محمد المذكور فى هذه الترجمة وكان

القاضى بتيره بثلاثين ثم مدرسة السلطان محمد ببرز يغون بار بعين ثم مدرسة أمير الامراء خسرو بمدينة آمد بخمسين ثم مدرسة خسرو باشا بمدينة حلب وهو أول مدرس بها وفوض اليه الفتوى بهذه الديار ثم نقل الى مدرسة سليمان باشا بقصبة ازنيق ثم نصب مفتيا بديار كعة ٢ وعين له كل يوم سبعون درهما ثم تقاعد عن المنصب وعين له كل يوم ستون درهما وتوفى رحمه الله سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة كان رحمه الله عالما فاضلا مجتهدا فى اقتناء العلوم وجمع المعارف آية فى الحفظ والاحاطة له اليد الطولى فى الفقه والتفسير وكتب رحمه الله تعالى حاشية على شرح التفتازانى فى الصرف وبسط الكلام وبالغ فى جمع الفوائد والمهمات وله منظومة فى علم الفقه وعدة رسائل من فنون عديدة رحمه الله (هذا آخر ما وقع) من وفياتهم فى دولة المرحوم السلطان سليمان بن سليم خان عاشر سلاطين آل عثمان فاتح ديار فارس بغداد قالع قلاع انكروس وبغدان بلغراد قامع آثار

٢ قوله بديار كعة هكذا بالاصل ولعله ربيعة فليحرر اه مصححه

يبوب عن أخيه أبي الحسن كما ذكرنا فقال له ان القضاء لك من بعد أخيك ولا نخرجه عن هذا البيت وكانت مدة ولاية أبي الحسن تسع سنين وخمسة أشهر وأربعة أيام وكانت ولادته بالمغرب في شهر ربيع الاول سنة تسع وعشرين وثلثمائة رحمه الله تعالى وأقامت مصر بغير قاض ينظر فيها ثمانية عشر يوما لان أبا عبد الله كان مريضا ثم خف عنه المرض فركب في وقته الى معسكر العزيز يوم الخميس لثمان بقين من رجب ثم عاد من عنده الى الجامع العتيق بمصر في يوم الجمعة وقد قلده العزيز القضاء وخلع عليه وقلده سيفا فلم يقدر على النزول في الجامع لضعفه من العلة فسار الى داره ونزل ولده وجماعة من أهل بيته الى الجامع العتيق بمصر وقرئ سجله بعد صلاة الجمعة وكان مثل سجل أخيه أبي الحسن في جميع ولايته وفي ذي القعدة سنة أربع وسبعين وثلثمائة استخلف ولده أبا القاسم عبد العزيز على القضاء بالاسكندرية بأمر العزيز وخلع عليه العزيز وفي يوم الجمعة مستهل جمادى الاولى سنة خمس وسبعين عقد القاضي محمد بن النعمان المذكور نكاح ولده أبي القاسم عبد العزيز المذكور على ابنة القائد أبي الحسن جوهر المقدم ذكره في حرف الجيم وكان العقد في مجلس العزيز ولم يحضره الا خواصه وكان الصداق ثلاثة آلاف دينار والكتاب ثوبا مصمتا وكان المعز أبو تميم معد والد العزيز المذكور قد تقدم وهو بالمغرب الى القاضي أبي حنيفة النعمان المذكور في أول ترجمة بعمل اسطرلاب فضة وأن يجلس مع الصائغ أحد ثقاته فاجلس أبو حنيفة ولده المذكور محمدا فلما فرغ الاسطرلاب حمله أبو حنيفة الى المعز فقال له من اجلست معه فقال ولدي محمدا فقال هو قاضي مصر فكان كما قال لان المعز كانت تحدثه نفسه أبدا باخذ مصر فلهذا تلفظ بهذا الكلام ووافقته السعادة مع المقادير وقال القاضي محمد المذكور كان المعز اذا رآني وأنا صبي بالمغرب يقول لولده العزيز هذا قاضيك وكان محمد جيد المعرفة بالاحكام متفننا في علوم كثيرة حسن الادب والدراية بالاخبار والشعر وأيام الناس وله شعر فمن ذلك قوله

أيا مشبه البدر بدر السماء * لسبع وخمس مضت واثنتين
ويا كامل الحسن في نعته * شغلت فؤادي وأسهرت عيني
فهل لي من مطمع أرتجيه * والا انصرفت بخفي حنين
ويشمت بي شامت في هواك * ويفصح لي ظلت صفر اليدين
فاما منت واما قتلت * فانت القدير على الحالتين

وكتب اليه عبد الله بن الحسن الجعفري السمرقندي

تعادلت القضاة على أمما * أبو عبد الاله فلا عديل
وحيد في فضائله غريب * خطير في مفاخره جليل
تألق بهجة ومضى اعتزاما * كما يتألق السيف الصقيل
فيقضي والسداد له حليف * ويعطي والغمام له رسيل
لو اختبرت قضاياه لقالوا * يؤيده عليها جبرئيل
اذا رقي المنابر فهو قس * وان حضر المشاهد فالخليل

فكتب اليه القاضي محمد المذكور

قرأنا من قريضك ما يروق * بدائع حاكها طبع رقيق
كأن سطورها روض أنيق * تضوّع بينها مسك فتيق
اذا ما أنشدت أرجت وطابت * منازلها بها حتى الطريق
وأنا تائقون اليك فاعلم * وأنت الى زيارتنا تتوق
فواصلنا بها في كل يوم * فانت بكل مكرمة حقيق

وقال ابن زولاق في اخبار قضاة مصر ولم نشاهد بمصر لقاض من القضاة من الرياسة ما شاهدناه لمحمد بن النعمان ولا بلغنا ذلك عن قاض بالعراق ووافق ذلك استحقاقا لما فيه من العلم والصيانة والتحفظ واقامة الحق والهيبة وفي المحرم سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة استخلف ولده أبا القاسم عبد العزيز المذكور في الاحكام بالقاهرة ومصر على الدوام بعد أن كان ينظر فيها يوم الاثنين والخميس لا غير فصار يسمع البينات ويحكم ويسجل وكان يخلفه أولا ولد أخيه وهو أبو عبد الله الحسين بن علي بن النعمان فصرفه لعشر خلون من جمادى الاولى سنة سبع وسبعين واستخلف ولده أبا القاسم عبد العزيز المذكور في الاثنين والخميس خاصة وارتفعت رتبة القاضي محمد عند العزيز حتى أصعده معه الى المنبر يوم عيد النحر سنة خمس وثمانين ولما توفي

الكفرة والحسد بن معفر
بجباه عتاة المشركين صاحب
الوقائع المشهورة والمناقب
المذكورة ملك ملك
الآفاق بسطوته وتطاطا
سراة العالمين عند سرادقات
عزته هو الذي هرب ملك
الشرق من بين يديه دربا
فدربا ودانت لهيبته الملوك
شرقا وغربا فياله من ملك
مجاهد تناول الكواكب
وهو قاعد أصبح البحر من
صارمه الصمصام في اضطراب
وتحصن المريخ من سهمه
في بروج السبع القباب
لو قصد الى كيوان في
حصنه لانزل ولو حمل بقناته
على السماك الرامح لتركه
رجلا أعزل وكان رحمه الله
ملكا ممدوحا ومحمودا مقداما
مظفرا مسعودا وقع منه
عداة الدين في العذاب
الاليم وبلغ ملكه الى
السبع الاقاليم وقد مات
رحمه الله وهو محاصر لقلعة
سكتوار التي لم ير مثلها في
حصانتها عين الفلك الدوار
تباهي في رفعة سورها
السماء وتناطح بروجها
الجمل وتصافح الجوزاء
وبالجملة كانت همته العلية
السلطانية سببا لالتحاقها
بالممالك العثمانية وقال
بعض من اعتنى بتواريخ
أيامه وضبط آثاره وأحكامه
انه فتح في أيامه ثلثمائة
وستون حصنا ما بين صغير
وكبير ولا ينبئك مثل خبير
وقد انتقل رحمه الله في

العزيز في التاريخ المذكور في ترجمته تولى غسله القاضي محمد المذكور وقام بالامر من بعده ولده الحاكم المقدم ذكره فاقر القاضي محمدا على اشغاله وزادت منزلته عنده رفعة وبسط يده ولما حصلت له المنزلة عنده والمكانة من الدولة كثرت علله ولازمه النقرس والقولنج فكان أكثر أوقاته عليلا والاستاذ أبو الفتوح برجوان المقدم ذكره في جلالته وعظم شأنه يعوده كل وقت ثم تزايدت علته وتوفي ليلة الثلاثاء بعد العشاء الآخرة رابع صفر سنة تسع وثمانين وثلثمائة وركب الحاكم الى داره بالقاهرة وصلى عليه ووقف على دفنه ثم انصرف الى قصره وكانت ولادته يوم الاحد لثلاث خلون من صفر سنة أربعين وثلثمائة بالمغرب ووهب الحاكم داره لبعض أصحابه فنقل القاضي محمد المذكور الى داره التي بمصر يوم الاربعاء لتسع خلون من شهر رمضان من السنة ثم نقل عشية الجمعة لعشر خلون من شهر رمضان المذكور الى مقبرة أخيه وأبيه بالقرافة رحمهم الله تعالى ولما مات القاضي محمد أبو عبد الله المذكور أقامت مصر بغير قاض أكثر من شهر ثم قلد الحاكم صاحب مصر القضاء أبا عبد الله الحسين بن علي بن النعمان الذي كان ينوب عن عمه القاضي محمد أبي عبد الله المذكور وصرفه واستخلف ولده أبا القاسم عبد العزيز وقد تقدم ذكر ذلك في هذه الترجمة وكانت ولاية الحسين المذكور لست خلون من شهر ربيع الاول سنة تسع وثمانين وثلثمائة واستمر في الحكم الى يوم الخميس سادس عشر رمضان سنة أربع وتسعين فصرف بابن عمه أبي القاسم عبد العزيز بن محمد المقدم ذكره ثم ضربت عنق الحسين بن علي بن النعمان المذكور يوم الاحد سادس المحرم سنة خمس وتسعين في حجرته واحرقت جثته وذلك بامر الحاكم لقصة يطول شرحها واستقل أبو القاسم في الاحكام وضم اليه الحاكم النظر في المظالم ولم يجتمعا قبله لاحد من أهله وعلت رتبته عند الحاكم وأصعده معه على المنبر يوم عيد الفطر بعد قائد القواد وكذلك في عيد النحر وتصلب في الاحكام وتشدد على من عانده من رؤساء الدولة ورسم على جماعة ممن وجب عليه حق فامتنع من الخروج منه ولم يزل قاضيا في جميع ما فوّضه اليه الحاكم الى ان صرفه عن ذلك جميعه يوم الجمعة سادس عشر رجب سنة ثمان وتسعين وثلثمائة وفوّض القضاء الى أبي الحسن مالك بن سعيد بن مالك الفارقي واخرجه عن أهل بيت النعمان ثم ان الحاكم أمر الاتراك بقتل القاضي أبي القاسم عبد العزيز المذكور والقائد أبي عبد الله الحسين بن جوهر وأبي علي اسمعيل أخي القائد فضل بن صالح فقتلوهم ضربا بالسيوف في ساعة واحدة لامر يطول شرحه وذلك يوم الجمعة الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة احدى وأربعمائة رحمهم الله تعالى وكانت ولادة أبي القاسم عبد العزيز المذكور يوم الاثنين مستهل ربيع الاول سنة أربع وخمسين وثلثمائة وأما القاضي أبو طاهر المذكور فقال أبو منصور أحمد بن عبد الله بن أحمد الفرغاني المصري في تاريخه انه كان كثير الرواية حسن المجالسة شيخ مع الشيوخ كهل مع الكهول شاب مع الشباب وتوفي لليلة بقيت من ذي القعدة سنة سبع وستين وثلثمائة رحمهم الله تعالى

(السيدة نفيسة ابنة أبي محمد الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين)

دخلت مصر مع زوجها اسحق بن جعفر الصادق رضي الله عنه وقيل دخلت مع أبيها الحسن وان قبره بمصر لكنه غير مشهور وانه كان واليا على المدينة من قبل أبي جعفر المنصور وأقام بالولاية مدة خمس سنين ثم غضب عليه فعزله واستصفى كل شئ له وحبسه ببغداد فلم يزل محبوسا حتى مات المنصور وولي المهدي فاخرجه من محبسه ورد عليه كل شئ ذهب له ولم يزل معه فلما حج المهدي كان في جملته فلما انتهى الى الحاجر مات هنالك وذلك في سنة ثمان وستين ومائة وهو ابن خمس وثمانين سنة وصلى عليه علي بن المهدي والحاجر على خمسة اميال من المدينة وقيل انه توفي ببغداد ودفن في مقبرة الخيزران والصحيح انه مات بالحاجر هكذا قاله الخطيب في تاريخه والله أعلم وكانت نفيسة من النساء الصالحات التقيات ويروى ان الامام الشافعي رضي الله عنه لما دخل مصر في التاريخ المذكور في ترجمته حضر اليها وسمع عليها الحديث وكان للمصريين فيها اعتقاد عظيم وهو الى الآن باق كما كان ولما توفي الامام الشافعي رضي الله عنه أدخلت جنازته اليها وصلت

اليوم الثاني والعشرين
من صفر سنة أربع
وسبعين وتسعمائة ولما
أتي بجنازته الى قسطنطينية
استقبلها جميع من في
البلد بكمال الهموم
والاحزان وصلوا عليه عند
جامعه المعروف ودعوا له
بالمغفرة والرضوان ودفنوه
قبالة الجامع المزبور
فسبحان الدائم الباقي على
مر الاعصار والدهور وكان
محبا للعلم معظما لاهله غاية
الاعظام ومهتما في اجراء
الشرع المبين بمزيد
الاهتمام وقد تيسر له من
الخيرات العظام والمبرات
الجسام ما لو تفرد باحداها
ملك من الملوك لكفته يوم
مفتخره منها الجامع الذي
بناه بقسطنطينية وهو
الذي لم تر مثله عين الزمان
ولم يبن مثله الى هذا الآن
لا يدانيه الخورنق ولا
الحصن الابلق وبنى
بجوانبه عدة مدارس
يدارس بها أنواع العلوم
وأرباب الحجا والفهوم
مما يتبهج به أولو النهى
والبرهان من علوم
الاديان والابدان وبنى
بها عمارة ملئت بنفائس
القرى للواردين من
الامصار والقرى سوى
ما يصرف لستمائة نفس من
طلبة العلم الشريف وسائر
المحاويج من القوي
والضعيف وبنى بها أيضا
مارستانا لمداواة المرضى
وتربية المجانين بانواع

عليه فى دارها وكانت فى موضع مشهدها اليوم ولم تزل به الى أن توفيت فى شهر رمضان سنة ثمان ومائتين ولما ماتت عزم زوجها المؤتمن اسحق بن جعفر الصادق على حملها الى المدينة ليدفنها هنالك فسأله المصريون بقاءها عندهم فدفنت فى الموضع المعروف بها الآن بين القاهرة ومصر عند المشاهد وهذا الموضع يعرف يوم ذاك بدرب السباع فخرب الدرب ولم يبق هنالك سوى المشهد وقبرها معروف باجابة الدعاء عنده وهو مجرب رضى الله عنها

حرف الواو

(أبو حذيفة واصل بن عطاء المعتزلى المعروف بالغزال مولى بنى ضبة وقيل مولى بنى مخزوم)

كان أحد الائمة البلغاء المتكلمين فى علوم الكلام وغيره وكان يلثغ بالراء فيجعلها غينا قال أبو العباس المبرد فى حقه فى كتاب الكامل كان واصل بن عطاء أحد الاعاجيب وذلك انه كان الثغ قبيح اللثغة فى الراء فكان يخلص كلامه من الراء ولا يفطن لذلك لاقتداره على الكلام وسهولة ألفاظه ففى ذلك يقول شاعر من المعتزلة وهو أبو الطروق الضبى يمدحه باطالة الخطب واجتنابه الراء على كثرة ترددها فى الكلام حتى كأنها ليست فيه

عليم بابدال الحروف وقامع * لكل خطيب يغلب الحق باطله

وقال آخر

ويجعل البر قمحا فى تصرفه * وخالف الراء حتى احتال للشعر
ولم يطق مطرا والقول يعجله * فعاد بالغيث اشفاقا من المطر

ومما يحكى عنه وقد ذكر بشار بن برد فقال اما لهذا الاعمى المكتنى بابى معاذ من يقتله اما والله لولا ان الغيلة خلق من اخلاق الغالية لبعثت اليه من يبعج بطنه على مضجعه ثم لا يكون لا سدوسيا ولا عقيليا فقال هذا الاعمى ولم يقل بشار ولا ابن برد ولا الضرير وقال من اخلاق الغالية ولم يقل المغيرية ولا المنصورية وقال ابعثت ولم يقل لارسلت وقال على مضجعه ولم يقل على مرقده ولا على فراشه وقال يبعج ولم يقل يبقر وذكر بنى عقيل لان بشارا كان يتوالى اليهم وذكر بنى سدوس لانه كان نازلا فيهم وذكر السمعانى فى كتاب الانساب فى ترجمة المعتزلى ٣ ان واصل بن عطاء كان يجلس الى الحسن البصرى رضى الله عنه فلما ظهر الاختلاف وقالت الخوارج بتكفير مرتكب الكبائر وقالت الجماعة بانهم مؤمنون وان فسقوا بالكبائر فخرج واصل بن عطاء عن الفريقين وقال ان الفاسق من هذه الامة لا مؤمن ولا كافر منزلة بين منزلتين فطرده الحسن عن مجلسه فاعتزل عنه وجلس اليه عمرو بن عبيد فقيل لهما ولاتباعهما معتزلون وقد أحلت فى ترجمة عمرو بن عبيد على هذا الموضع فى تبيين الاعتزال ولاى معنى سموا بهذا الاسم وقد ذكرت فى ترجمة قتادة بن دعامة السدوسى أنه الذى سماهم بذلك فكان واصل بن عطاء المذكور يضرب به المثل فى اسقاطه حرف الراء من كلامه واستعمل الشعراء ذلك فى اشعارهم كثيرا فمنه قول أبى محمد الخازن من جملة قصيدة طنانة طويلة يمدح بها الصاحب أبا القاسم اسمعيل بن عباد المقدم ذكره وهو

نعم تجنب لا يوم العطاء كما * تجنب ابن عطاء لفظة الراء

وقال آخر فى محبوب له الثغ

أعد لثغة لو أن واصل حاضر * ليسمعها ما أسقط الراء واصل

وقال آخر

أجعلت وصلى الراء لم تنطق به * وقطعتنى حتى كأنك واصل

لله دره ما أحسن قوله * وقطعتنى حتى كأنك واصل *

وقال آخر

فلا تجعلنى مثل همزة واصل * فتلحقنى حذفا ولا راء واصل

وقال أبو عمر يوسف بن هرون الكندى الاندلسى القرطبى الرمادى الشاعر المشهور الا انه لم يتعرض الى ذكر واصل وكانت وفاته سنة ثلاث وأربعمائة

لا الراء تطمع فى الوصال ولا أنا * الهجر يجمعنا فنحن سواء

٣ قوله فى ترجمة المعتزلى هكذا بالاصل ولعله سقط من قلم الناسخ من اسم المترجم له اه مصححه

والمعاجين ومنها الجسر العظيم الذى بناه على مرحلة من قسطنطينية وذلك احدى غرائب الدنيا فى الطول والعرض وقوة البناء ومنها النهر العظيم أتى به الى قسطنطينية وقسم على محلاتها أقساما تنيف على مائة واستخدم فيه خلقا عظيما وبذل مالا جسيما وبنى له فى طريقه أبنية عجيبة وطاقات غريبة التى يقول فى بعض أوصافها وبيان تاريخها المفتى أبو السعود وقد تقرب الى رب العظمة والجلال بانشاء الصنع البديع المثال الرفيع الدعائم الشامخ العماد والمنيع القوائم الراسخ الاوتاد الذى ساقاته كالمجرة فى المنوال وطاقاته لقوس قزح مثال واجراء ما فيه من العذب الفرات الذى لم تره العيون ولم يروه الرواة يروى العطاش ويحيى الموات كأنه جدول تشعب من ماء الحياة على أهل دار السلطنة السنية قسطنطينية المحمية وعلى من يردها من أقطار البلاد من كل حاضر وباد السلطان الاسعد الاعظم والخاقان الامجد الافخم مالك الامامة العظمى والسلطان الباهر وارث الخلافة الكبرى كابرا عن كابر مسخر الاقاليم بحرا وبرا معمر الممالك

فاذا خلوت كتبتها فى راحتى * وقعدت منتحبا أنا والراء

وهذا الباب متسع فلا حاجة الى الاطالة فيه ويكفى منه هذا الانموذج وقد عمل الشعراء فى اللثغة التى هى ابدال الثاء من السين شعرا كثيرا فمن ذلك ما يعزى لابى نواس ولم أجدها فى ديوانه والله أعلم الا أن تكون فى رواية على بن حمزة الاصبهانى فانها أكثر الروايات ولم أكشف هذه الابيات منها وهى أبيات حلوة ظريفة

وشادن سألته عن اسمه * فقال لى باللثغ عباث
باتت يعاطينى مخامسة * وقال لى قد هجع الناث
أما ترى حتى أكاليلنا * زينها النثرين والآث
فعدت من لثغته ألثغا * فقلت أين الطاث والكاث

ولو شرعت فى ذكر ما قيل على هذا النمط لطال الشرح ولم أجد فى لثغة الراء الا قليلا فمن ذلك قول بعضهم

اماو بياض الثغر ممن أحبه * ونقطة خال الخد فى عطفة الصدغ
لقد فتنتنى لثغة موصلية * رمتنى فى تيار بحر هوى اللثغ
ومستعجم الالفاظ عقرب صدغه * مسلطة دون الانام على لدغى
يكاد أصم الصم عند حديثه * الى اللثغة الغناء من لفظه يصغى
يقول وقد قبلت واضح ثغره * وكان الذى أهوى ونلت الذى أبغى
وقد نفضت كاس الحياء وأظهرت * على خده من لونها أحسن الصبغ
تغفق فشغب الخمغ من كغم غيغتى * يزيدك عند الشغب شكغا على شكغ

ولقد أجاد هذا الشاعر وجمع فى البيت الاخير راآت كثيرة وابدلها بالغين وللخبز أرزى الشاعر المقدم ذكره فى غلام يلثغ الراء أيضا لكنه لم يستعمل اللثغة الا فى آخر البيت الاخير من الاربعة أبيات

وشادن بالكرخ ذى لثغة * وانما شرطى فى اللثغ
ما شبه الزنبور فى خصره * حتى حكى العقرب فى الصدغ
فى فيه دريات لدغ اذا * أحرق قلبى شدة اللدغ
ان قلت فى ضمى له أين هو * تفديك روحى قال لا أدغى

وقد تسلسل الكلام وخرجنا عن المقصود من أخبار واصل بن عطاء وكان طويل العنق جدا بحيث كان يعاب به وفيه يقول بشار بن برد الشاعر المشهور المقدم ذكره

ماذا منيت بغزال له عنق * كعنق الدوان ولى وان مثلا
عنق الزرافة ما بالى وبالكم * تكفرون رجالا كفروا رجلا

وكانت بينهما منافسات وأحقاد وقد تقدم كلام واصل فى حق بشار وقال المبرد فى كتاب الكامل لم يكن واصل بن عطاء غزالا ولكنه كان يلقب بذلك لانه كان يلازم الغزالين ليعرف المتعففات من النساء فيجعل صدقته لهن ثم قال وكان طويل العنق ويروى عن عمرو بن عبيد أنه نظر اليه من قبل أن يكلمه فقال لا يصلح هذا ما دامت له هذه العنق وله من التصانيف كتاب أصناف المرجئة وكتاب فى التوبة وكتاب المنزلة بين المنزلتين وكتاب خطبته التى أخرج منها الراء وكتاب معانى القرآن وكتاب الخطب فى التوحيد والعدل وكتاب ما جرى بينه وبين عمرو بن عبيد وكتاب السبيل الى معرفة الحق وكتاب فى الدعوة وكتاب طبقات أهل العلم والجهل وغير ذلك واخباره كثيرة وكانت ولادته سنة ثمانين للهجرة بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وتوفى سنة احدى وثمانين ومائة

(أبو يزيد وثيمة بن موسى بن الفرات الوشاء الفارسى الفسوى)

وكان قد خرج من بلده الى البصرة ثم سافر الى مصر وارتحل منها الى الاندلس تاجرا وكان يتجر فى الوشى وصنف كتابا فى اخبار الردة وذكر فيه القبائل التى ارتدت بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم والسرايا التى سيرها اليهم أبو بكر الصديق رضى الله عنه وصورة مقاتلتهم وما جرى بينهم وبين المسلمين فى ذلك ومن عاد منهم الى الاسلام وقتال مانعى الزكاة وما جرى لخالد بن الوليد المخزومى رضى الله عنه مع مالك بن نويرة

احسانا وبرا فاتح بلاد المشارق والمغارب بنصر الله العزيز وجنده الغالب السلطان ابن السلطان السلطان سليمان بن سليم خان وقد اتفق الاتمام فى غرة ذى القعدة الحرام سنة اثنتين وسبعين وتسعمائة * وكان رحمه الله ذا حظ من المعارف والنوادر وله معرفة تامة بالتواريخ من الاوائل والاواخر وكان ينظم الشعر بالتركى والفارسى وله ديوان شعر بالتركى مشهور وله ديوان شعر بالفارسية أكثره جيد يستعذبه الطبع السليم والذهن المستقيم وله بالفارسية (شعر)

طراوت سمنت درقمرنمى يابم
حلاوت دهنت درشكرنمى يابم
مرا وحسن مه وتو ترا بمهر ووفا
نزا كتيست كه آن درشكر نمى يابم
شبى حكايت زلفت شنيدو بيخود شد
هنوز ازدل مسكين خبرنمى يابم
مكو كه صبر كن از كريه چون مرا بينى
چه جاى صبر كه ازخود اثرنمى يابم
بلا وفتنه بسى ديدم ازبتان چومه
ولى چو چشم تو يك فتنه كرنمى يابم (شعر)

اليربوعى أخى متمم بن نويرة الشاعر المشهور صاحب المراثى المشهورة فى أخيه مالك وصورة قتله وماقاله متمم
من الشعر فى ذلك وماقاله غيره وهو كتاب جيد يشتمل على فوائد كثيرة وقد تقدم فى ترجمة أبى عبد الله محمد
الواقدى انه صنف فى الردة كتابا أيضا أجاد فيه ولم أعرف لوثيمة المذكور من التصانيف سوى هذا الكتاب
وهو رجل مشهور ذكره أبو الوليد بن الفرضى صاحب تاريخ الاندلس فى كتابه وذكره الحافظ أبو عبد الله
الحميدى فى كتاب جذوة المقتبس وأبو سعيد بن يونس فى تاريخ مصر وأبو سعيد السمعانى فى كتاب الانساب
فى ترجمة الوشاء فقال كان يتجر فى الوشى وهو نوع من الثياب المعمولة من الابريسم فعرف به جماعة منهم
وثيمة المذكور ثم ان وثيمة عاد من الاندلس الى مصر ومات بها يوم الاثنين لعشر خلون من جمادى الاولى سنة
سبع وثلاثين ومائتين رحمه الله تعالى وقال أبو سعيد بن يونس المصرى فى تاريخه كان لوثيمة ولد يقال له
أبو رفاعة عمارة بن وثيمة حدث عن أبى صالح كاتب الليث بن سعد وعن أبيه وثيمة وغيرهما وصنف تاريخا على
السنين وحدث به ومولده بمصر وتوفى ليلة الخميس لست بقين من جمادى الآخرة سنة تسع وثمانين ومائتين
ووثيمة بفتح الواو وكسر الثاء المثلثة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الميم وبعدها هاء ساكنة والوثيمة فى
الاصل الجماعة من الحشيش والطعام والوثيمة الصخرة وبها سمى الرجل والله أعلم بالصواب والوثيمة أيضا
الحجر الذى يقدح النار تقول العرب فى أيمانها والذى أخرج العزق من الجريمة والنار من الوثيمة العذق بفتح
العين المهملة النخلة والجريمة النواة وأما الفارسى والفسوى فقد تقدم الكلام عليهما فى ترجمة الشيخ
أبى على الفارسى النحوى وأرسلان البساسيرى فاغنى عن الاعادة * واذ ذكرنا متمم بن نويرة وأخاه مالكا
فلابد من ذكر طرف من أخبارهما فانها مستملحة كان مالك بن نويرة المذكور رجلا سريا نبيلا يردف
الملوك والردافة موضعان أحدهما أن يردفه الملك على دابته فى صيد أو غيره من مواضع الانس والموضع الثانى
أنبل وهو أن يخلف الملك اذا قام عن مجلس الحكم فينظر بين الناس بعده وهو الذى يضرب به المثل فيقال
مرعى ولا كالسعدان وماء ولا كصداء وفتى ولا كمالك وكان فارسا شاعرا مطاعا فى قومه وكان فيه خيلاء
وتقدم وكان ذا لمة كبيرة وكان يقال له الجفول وقدم على النبى صلى الله عليه وسلم فيمن قدم من العرب فأسلم
فولاه النبى صلى الله عليه وسلم صدقة قومه ولما ارتدت العرب بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم بمنع الزكاة
كان مالك المذكور من جملتهم ولما خرج خالد بن الوليد رضى الله عنه لقتالهم فى خلافة أبى بكر الصديق
رضى الله عنه نزل على مالك وهو مقدم قومه بنى يربوع وقد أخذ زكاتهم وتصرف فيها فكلمه خالد فى معناها
فقال مالك انى آتى بالصلاة دون الزكاة فقال خالد أما علمت ان الصلاة والزكاة معا لاتقبل واحدة دون أخرى
فقال مالك قد كان صاحبك يقول ذلك قال خالد وما تراه لك صاحبا والله لقد هممت ان أضرب عنقك ثم
تجاولا بالكلام طويلا فقال له خالد انى قاتلك قال أو بذلك أمرك صاحبك قال وهذه بعد تلك والله لاقتلنك
وكان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما وأبو قتادة الانصارى رضى الله عنه حاضرين فكلما خالدا فى أمره
فكره كلامهما فقال مالك ياخالد ابعثنا الى أبى بكر فيكون هو الذى يحكم فينا فقد بعثت اليه غيرنا ممن جرمه
أكبر من جرمنا فقال خالد لا أقالنى الله ان لم أقتلك وتقدم الى ضرار بن الازور الاسدى بضرب عنقه فالتفت
مالك الى زوجته أم متمم وقال لخالد هذه التى قتلتنى وكانت فى غاية الجمال فقال له خالد بل الله قتلك برجوعك
عن الاسلام فقال مالك انا على الاسلام فقال خالد ياضرار اضرب عنقه فضرب عنقه وجعل رأسه أثفية لقدر
وكان من أكثر الناس شعرا كما تقدم ذكره فكانت القدر على رأسه حتى نضج الطعام وماخلصت النار
الى شواه من كثرة شعره قال ابن الكلبى فى جمهرة النسب قتل مالك يوم البطاح وجاء أخوه متمم فكان يرثيه
وقبض خالد امرأته فقيل انه اشتراها من الفىء وتزوج بها وقيل انها اعتدت بثلاث حيض ثم خطبها الى
نفسه فاجابته فقال لابن عمر وأبى قتادة رضى الله عنهما يحضران النكاح فابيا وقال له ابن عمر رضى الله عنه
تكتب الى أبى بكر رضى الله عنه وتذكر له أمرها فابى وتزوجها فقال فى ذلك أبو زهير السعدى

الا قل لحى أوطؤا بالسنابك * تطاول هذا الليل من بعد مالك

دلها كه اسير زلف يارند
درسلسله جنون نكارند
ارباب خردبزرع دل
جرتخم محبتت نكارند
بخرام بنازسوى بستان
عشاق حزين در انتظارند
ازسيمتان وفاجوييد ٣
خوش آنكه پرى وشان
مهروى
مقصوددل ترابرآرند
(شعر)
أى ازانتظاره توخجل افتاب
صبح
لعلت بخنده نمكين برده
آب صبح
تابان زجيب تيرهنت سينه
جوسيم
جونر وشنى ر وزسپيد
ازنقاب صبح
دلرا فراغ ميدهدوديدرا
فروغ
ديدارافتاب وشان وشراب
صبح
بستان مى صبوح محبت
يقال سعد
اين دم كه آفتاب كشايد
نقاب صبح
(ولما) انتقل الى رحمة الله
رثاه شعراء زمانه بالتركى
والفارسى ورثاه علماء أوانه
بالقصائد العربية منها
ماقال المفتى أبو السعود
وهى قصيدة طويلة فى
غاية اللطافة وقد ذكرت
نبذامنها (قصيدة)
اصوت صاعقة أم نفخة
الصور
فالارض قدذهبت من نقر
ناقور
٣ مصرع انجيراز سيمتنان
ساقطست اه

قضى خالد بغيا عليه لعرسه * وكان له فيها هوى قبل ذلك
فامضى هواه خالد غير عاطف * عنان الهوى عنها ولا متمالك
وأصبح ذا أهل وأصبح مالك * الى غير شئ هالكا فى الهوالك
فمن لليتامى والارامل بعده * ومن للرجال المعدمين الصعالك
أصيبت تميم غثها وسمينها * بفارسها المرجو سحب الحوالك

ولما بلغ الخبر أبا بكر وعمر رضى الله عنهما قال عمر لابى بكر رضى الله عنه ان خالدا قد زنى فارجمه قال ما كنت
لأرجمه فانه تأول فاخطأ قال انه قتل مسلما فاقتله به قال ما كنت لأقتله به فانه تأول فأخطأ قال فاعزله
قال ما كنت لأشيم سيفا سله الله عليهم أبدا هكذا سرد هذه الواقعة وثيمة المذكور والواقدى فى كتابيهما
والعهدة عليهما وكان أخوه متمم بن نويرة وكنيته أبو نهشل الشاعر المشهور كثير الانقطاع فى بيته قليل
التصرف فى أمر نفسه اكتفاء بأخيه مالك وكان أعور دميما فلما بلغه مقتل أخيه حضر الى مسجد رسول
الله صلى الله عليه وسلم وصلى الصبح خلف أبى بكر الصديق فلما فرغ من صلاته وانفتل فى محرابه قام متمم
فوقف بحذائه واتكأ على سية قوسه ثم أنشد

نعم القتيل اذا الرياح تناوحت * خلف البيوت قتلت ياابن الازور
أدعوته بالله ثم غدرته * لو هو دعاك بذمة لم يغدر

وأومأ الى أبى بكر رضى الله عنه فقال والله مادعوته ولا غدرته ثم أنشد

ولنعم حشو الدرع كان وحاسرا * ولنعم ماوى الطارق المتنور
لايمسك الفحشاء تحت ثيابه * حلو شمائله عفيف المئزر

ثم بكى وانحط عن سية قوسه فمازال يبكى حتى دمعت عينه العوراء فقام اليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه
فقال لوددت أنك رثيت زيدا أخى بمثل مارثيت به مالكا أخاك فقال ياأباحفص والله لو علمت أن أخى صار
بحيث صار أخوك مارثيته فقال عمر رضى الله عنه ماعزانى أحد عن أخى بمثل تعزيته وكان زيد بن الخطاب
رضى الله عنه قتل شهيدا يوم اليمامة وكان عمر رضى الله عنه يقول انى لأهش للصبا لانها تأتينى من ناحية أخى
زيد ويروى عن عمر رضى الله عنه انه قال لو كنت أقول الشعر كما تقول لرثيت أخى كما رثيت أخاك ويروى
ان متمما رثى زيدا فلم يجد فقال له عمر رضى الله عنه لم ترث زيدا كما رثيت مالكا فقال انه والله ليحركنى لمالك
مالايحركنى لزيد وقال له عمر رضى الله عنه يوما انك لجزل فأين كان أخوك منك فقال كان والله أخى فى
الليلة ذات الازيز والصراد يركب الجمل الثفال ويجنب الفرس الجرور وفى يده الرمح الثقيل وعليه الشملة
الفلوت وهو بين المزادتين حتى يصبح وهو متبسم والازيز بفتح الهمزة وزايين الاولى منهما مكسورة وبينهما
ياء مثناة من تحتها صوت الرعد والصراد بضم الصاد المهملة وتشديد الراء وفتحها وبعد الالف دال مهملة غيم
رقيق لاماء فيه والثفال بفتح الثاء المثلثة والفاء وهو الجمل البطىء فى سيره ولا يكاد يمشى من ثقله والجرور بفتح
الجيم على وزن فعول الفرس الذى يمنع القياد والشملة الفلوت التى لاتكاد تثبت على لابسها والمزادة الراوية
وهى معروفة وقال له عمر رضى الله عنه يوما أخبرنا عن أخيك قال ياأمير المؤمنين لقد أسرت مرة فى حى من
أحياء العرب فاخبر أخى فاقبل فلما طلع على الحاضرين ما كان أحد قاعدا الا قام على رجليه وما بقيت امرأة
الا وتطلعت من خلال البيوت فمانزل عن جمله حتى لقونى برمتى فحلنى هو فقال عمر رضى الله عنه ان هذا لهو
الشرف والرمة بضم الراء المهملة الحبل البالى ومنه قولهم دفع اليه الشىء برمته وأصله ان رجلا دفع الى رجل
بعيرا بحبل فى عنقه فقيل ذلك لكل من دفع شيأ بجملته وقال متمم أيضا لعمر رضى الله عنه أغار حى من أحياء
العرب على حى أخى مالك وهو غائب فجاءه الصريخ فخرج فى آثارهم على جمل يسوقه مرة ويركبه أخرى حتى
أدركهم على مسيرة ثلاث وهم آمنون فما هو الا ان رأوه فارسلوا مافى أيديهم من الاسرى والنعم وهربوا
فادركهم أخى فاستسلموا جميعا حتى كتفهم وصدر بهم الى بلاده مكتوفين فقال عمر رضى الله عنه قد كنا نعلم

أصاب منها الورى دهياء
داهية
وذاق منها البرايا صعقة
الطور
تصدعت قلل الاطواد
وارتعدت
كانها قلب مرعوب ومذعور
واغبرناصية الخضراء
وانكدرت
وكادتمتلئ الغبراء بالمور
ماجاء من عسكر الاسلام
من نبا
قدصيرالناس جمهور
الجماهير
فمن كئيب وملهوف ومن
دنف
عان بسلسلة الاحزان ماسور
فياله من حديث موحش
نكر
يعافه السمع مكروه ومنفور
تاهت عقول الورى من
هول وحشته
فاصبحوا مثل مجنون
ومسحور
دموعهم وقد انهلت
منابعها
كانها عين طوفان وتنور
اجفانهم سفن مشحونة بدم
تجرى ببحرمن العبرات
مسجور
أنى بوجه نهار لاضياءله
كأنه غارة شنت بديجور
أم ذا النعى سليمان الزمان
ومن
مضت أوامره فى كل مأمور
مدار سلطنة الدنيا
ومركزها
خليفة الله فى الآفاق
مذكور
يعلى معالم دين الله مظهرها

سخاءه وشجاعته ولم نعلم كل ما تذكره وله فيه المراثى النادرة فمن ذلك أبياته الكافية وهى فى كتاب الحماسة فى باب المراثى

لقد لامنى عند القبور على البكا * رفيقى لتذراف الدموع السوافك
فقال أتبكى كل قبر رأيته * لقبر ثوى بين اللوى والدكادك
فقلت له ان الشجا يبعث الشجا * فدعنى فهذا كله قبر مالك

وله فيه قصيدته العينية وهى طويلة بديعة ومن جملتها قوله

وكنا كندمانى جذيمة حقبة * من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
وعشنا بخير فى الحياة وقبلنا * أصاب المنايا رهط كسرى وتبعا
فلما تفرقنا كأنى ومالكا * لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

وقد يتشوف الواقف على هذا الكتاب الى الوقوف على شئ من اخبار جذيمة المذكور ونديميه وهو بفتح الجيم وكسر الذال المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الميم وبعدها هاء ساكنة وكنيته أبو مالك جذيمة بن مالك بن فهم بن دوس بن الازد الازدى صاحب الحيرة وما والاها وهو الابرش والوضاح وانما قيل له ذلك لانه كان أبرص فكانت العرب تهابه أن تنسبه الى البرص فعرفته باحد هذين الوصفين وهو من ملوك الطوائف وكان بعد عيسى عليه السلام بثلاثين سنة وكان من تيهه لا ينادم الا الفرقدين وكان له ابن أخت يقال له عمرو بن عدى بن نصر بن ربيعة بن الحرث بن مالك اللخمى ويقال له عمرو لانه أول من اعتم كارة من نجم وبقية النسب معروف واسم الاخت المذكورة رقاش وكان جذيمة شديد المحبة له فاستهوته الجن وأقام زمانا يتطلبه فلم يجده فاقبل رجلان من بنى القين يقال لاحدهما مالك والآخر عقيل ابنا فارج فصادفا عمرا فى البرية وهو أشعث الرأس طويل الاظفار سيئ الحال فعرفاه وحملاه الى خاله جذيمة بعد أن لما شعثه وأصلحا حاله فقال لهما جذيمة من فرط سروره به احتكما على فقالا منادمتك ما بقيت وبقينا فقال ذلك لكما فهما نديماه اللذان يضرب بهما المثل ويقال انهما نادماه أربعين سنة لم يعيدا عليه حديثا حدثاه به واياهما عنى أبو خراش الهذلى بقوله فى مرثية أخيه عروة

يقول أراه بعد عروة لاهيا * وذلك رزء لو علمت جليل
فلا تحسبى أنى تناسيت عهده * ولكن صبرى يا أميم جميل
ألم تعلمى أن قد تفرق قبلنا * نديما صفاء مالك وعقيل

هذه خلاصة حديثهم وان كان فيه طول وانما قصدت الايجاز وذكر أبو على القالى فى كتابه الذى جعله ذيلا على أماليه ان متمما المذكور قدم على عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكان به معجبا فقال يا متمم ما يمنعك من الزواج لعل الله تعالى أن ينشر منك ولدا فانكم أهل بيت قد درجتم فتزوج امرأة من أهل المدينة فلم تحظ عنده ولم يحظ عندها فطلقها ثم قال

أقول لهند حين لم أرض عقلها * أهذا دلال العشق أم أنت فارك
أم الصرم تهوين فكل مفارق * على يسير بعد ما مات مالك

فقال له عمر رضى الله عنه ما تنفك تذكر مالكا على كل حال فلم يمض على هذا الامر الا قليل حتى طعن عمر رضى الله عنه ومتمم بالمدينة فرثى عمر رضى الله عنه وبالجملة فانه لم ينقل عن أحد من العرب ولا غيرهم أنه بكى على ميته ما بكى متمم على أخيه مالك حكى الواقدى فى كتاب الردة أن عمر رضى الله عنه قال لمتمم ما بلغ من حزنك على أخيك فقال له لقد مكثت سنة لا أنام بليل حتى أصبح ولا رأيت نارا رفعت بليل الا ظننت نفسى ستخرج أذكر بها نار أخى كان يأمر بالنار فتوقد حتى يصبح مخافة أن يبيت ضيفه قريبا منه فتى يرى النار يأوى الى الرحل ولهو بالضيف يأتى مجتهدا أسر من القوم يقدم عليهم القادم لهم من السفر البعيد فقال عمر رضى الله عنه أكرم به (وحكى الواقدى) أيضا أنه قال له ما لقيت على أخيك من الحزن والبكاء قال كانت عينى هذه قد ذهبت وأشار اليها فبكيت بالصحيحة وأكثرت البكاء حتى أسعدتها العين الذاهبة وجرت بالدموع فقال عمر رضى الله عنه ان هذا الحزن شديد ما يحزن هكذا أحد على هالكه وقد ضربت الشعراء

في العالمين بسعى منه مشكور
بلهذمى الى الاعداء منعطف
ومشرفى على الكفار مشهور
له وقائع فى الاكناف شائعة
اخبارها زبرت فى كل طامور
ياعين لا تبرحى تبكين بعد ولا
تفار فى الدهر من دمع وساهور
وأهرقيه على الخدين هامعة
من الجفون الهوامى مثل عصمور
لا تطرفى طرفة نحو الدنا أبدا
لا تنظرى نظرة تلقاء منظور
يا نفس مالك فى الدنيا مخلفة
من بعد رحلته من هذه الدور
وكيف تمشين فوق الارض غافلة
أليس جثمانه فيها بمقبور
اتحسبين حلالا بعد ذلك ان
تستأخرى ساعة فى عالم الزور
دار البوار مدار الشر معدنه
كلا فبورى على آثاره بورى
حق على كل نفس ان تموت أسى
لكن ذلك أمر غير مقدور
فللمنايا مواقيت مقدرة
تأتى على قدر فى اللوح مسطور
(ومنها) فى مدح أبيه السلطان سليم خان
ممدوح ماجد زادت مهابته
تحت الخلافة فى عز وتنوير
جدا الجديدان فى أيام دولته
صارا كأنهما مسك بكافور
بدا بطلعته والناس فى كرب
وسوء حال من الاهوال منكور

الامثال بمالك وأخيه متمم فى أشعارهم فمن ذلك قول ابن حيوس الشاعر المقدم ذكره من جملة قصيدة

وفجعة بين مثل صرعة مالك * ويقبح بى أن لا أكون متمما

ومنه قول أبى بكر محمد بن عيسى الدانى المعروف بابن اللبانة فى قصيدته التى يرثى بها المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية لما قبض عليه يوسف بن تاشفين حسبما شرحناه فى ترجمة المعتمد وهو قوله

حكيت وقد فارقت ملكك مالكا * ومن ولهى أحكى عليك متمما

ومن ذلك أيضا قول بعضهم وأظنه ابن منير المذكور فى حرف الهمزة وهو أيضا من جملة أبيات ثم حققت قائله وهو نجم الدين أبو الفتح يوسف بن الحسين بن محمد عرف بابن المجاور الدمشقى

أيا مالكى فى القلب منك نويرة * وانسان عينى فى هواك متمم

ومنه قول أبى الغنائم بن المعلم الشاعر المقدم ذكره من جملة أبيات يصف فيها منزلا ويدعو له بالسقيا فقال

سقاه الحيا قبلى وجئت متمما * فلو مالك فيه دعيت متمما

ومنه قول القاضى السعيد بن سنا الملك بكيت بكلتا مقلتى كأننى * اتمم ما قد فات عينى متمما وهذا باب يطول شرحه وقد جاوزنا الحد بالخروج عما نحن بصدده ومتمم بضم الميم وفتح التاء المثناة من فوقها وبعدها ميمان الاولى منهما مشددة مكسورة وصدا فى قولهم ماء ولا كصدا فيه ثلاث لغات صدا بضم الصاد المهملة وتشديد الدال المهملة وألف مقصورة وصداء مثل الاول لكن الصاد مفتوحة والالف ممدودة فمن ضم قصر ومن فتح مد واللغة الثالثة صدآء بتخفيف الدال وهمزتين متواليتين والصاد مفتوحة وهى بئر معروفة مشهورة ماؤها عذب نمير والله تعالى أعلم

(أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى بن عبيد بن شملال بن جابر بن سلمة بن مسهر بن الحرث بن جشم بن أبى حارثة بن جدى بن بدول بن بحتر بن عتود بن عنين بن سلامان بن ثعل بن عمرو ابن الغوث بن جاهمة وهو طى بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان الطائى البحترى الشاعر المشهور)

ولد بمنبج وقيل بزردفنة وهى قرية من قراها ونشأ وتخرج بها ثم خرج الى العراق ومدح جماعة من الخلفاء أولهم المتوكل على الله وخلقا كثيرا من الاكابر والرؤساء وأقام ببغداد دهرا طويلا ثم عاد الى الشام وله أشعار كثيرة فيها ذكر حلب ونواحيها وكان يتغزل بها وقد روى عنه أشياء من شعره أبو العباس المبرد ومحمد ابن خلف بن المرزبان والقاضى أبو عبد الله المحاملى ومحمد بن أحمد الحكيمى وأبو بكر الصولى وغيرهم قال صالح بن الاصبغ التنوخى المنبجى رأيت البحترى ههنا عندنا قبل أن يخرج الى العراق يجتاز بنا فى الجامع من هذا الباب وأومأ الى جنبتى المسجد يمدح أصحاب البصل والباذنجان وينشد الشعر فى ذهابه ومجيئه ثم كان منه ما كان فى علوة التى شبب بها فى كثير من أشعاره وهى بنت زريقة الحلبية وزريقة أمها (وحكى أبو بكر) الصولى فى كتابه الذى وضعه فى أخبار أبى تمام الطائى أن البحترى كان يقول أول أمرى فى الشعر ونباهتى فيه أنى صرت الى أبى تمام وهو بحمص فعرضت عليه شعرى وكان يجلس ولا يبقى شاعر الا قصده وعرض عليه شعره فلما سمع شعرى أقبل على وترك سائر الناس فلما تفرقوا قال لى أنت أشعر من أنشدنى فكيف حالك فشكوت خلة فكتب الى أهل معرة النعمان وشهد لى بالحذق وشفع لى اليهم وقال لى امتدحهم فصرت اليهم فأكرمونى بكتابه ووظفوا لى أربعة آلاف درهم فكانت أول مال أصبته وقال أبو عبادة المذكور أول ما رأيت أبا تمام وما كنت رأيته قبلها أنى دخلت الى أبى سعيد محمد بن يوسف فامتدحته بقصيدتى التى أولها أأفاق صب من هوى فأفيقا * أم خان عهدا أم أطاع شفيقا فانشدته اياها فلما أتممتها سر بها وقال لى أحسن الله اليك يا فتى فقال له رجل فى المجلس هذا أعزك الله شعرى علقه هذا الفتى فسبقنى به اليك فتغير أبو سعيد وقال لى يا فتى قد كان فى نسبك وقرابتك ما يكفيك أن تمت به الينا ولا تحمل نفسك على هذا فقلت هذا شعرى أعزك الله فقال الرجل سبحان الله يا فتى لا تقل هذا ثم

كأنما هو بدر كان محتجبا
ثم انجلى وبدا من تحت تاهور
فاصبحت صفحات الارض مشرقة
وعاد أكنافها نورا على نور
سبحان من ملك جلت مفاخره
عن البيان بمنظوم ومنثور
كأنها وبراع الواصفين لها
بحر مقيس الى منقار عصفور
(وقال) المولى على الشهير بام الولد زاده رحمه الله
(شعر)
مضى ملك الدنيا ولم يبق مشرق
ولا مغرب الا له فيه نائح
ولم يغن عنه ماله ورجاله
من الموت شيأ والخيول السوابح
وما انا من رزء وان جل فاجع
ولا بحبور بعد موتك فارح
وقل للمنايا قد ظفرت سميدعا
براجمه للمشرقين مفاتح
وقل للعطايا بعد ذاك تعطلى
فان ولى الجود والطول طائح
امام الهدى بحر الندى قامع العدا
سليمان من بالفضل للناس سامح
لقد دفن المجد الرفيع بدفنه
وعز منيع والخلال الصوالح
وجدرايات السيادة ناصب
وجدلآيات السعادة واضح
وقد بكت الاقلام اذ فاض بالاسى
عليه كما رنت عليه الصفائح
ذرا الموت يفنى من أراد فانه
ثوى اليوم من يخشى عليه الفوادح

ابتدأ فانشد من القصيدة أبياتا فقال لى أبو سعيد نحن نبلغك ما تريد ولا تحمل نفسك على هذا فخرجت متحيرا لا أدرى ما أقول ونويت أن أسأل عن الرجل من هو فما أبعدت حتى ردنى أبو سعيد ثم قال لى جنيت عليك فاحتمل أتدرى من هذا فقلت لا قال هذا ابن عمك حبيب بن أوس الطائى أبو تمام فقم اليه فقمت اليه فعانقته ثم أقبل على يقرظنى و يصف شعرى وقال انما مزحت معك فلزمته بعد ذلك وكثر عجبى من سرعة حفظه وروى الصولى أيضا فى كتابه المذكور أن أبا تمام راسل أم البحترى فى التزوج بها فأجابته وقالت له اجمع الناس للاملاك فقال الله أجل من أن يذكر بيننا ولكن نتصافح ونتسامح وقيل للبحترى أيما أشعر أنت أم أبو تمام فقال جيده خير من جيدى و رديئى خير من رديئه وكان يقال لشعر البحترى سلاسل الذهب وهو فى الطبقة العليا و يقال انه قيل لابى العلاء المعرى أى الثلاثة أشعر أبو تمام أم البحترى أم المتنبى فقال المتنبى وأبو تمام حكيمان وانما الشاعر البحترى ولعمرى ما أنصفه ابن الرومى فى قوله

والفتى البحترى يسرق ما قا * ل ابن أوس فى المدح والتشبيب

كل بيت له يجوّد معنا * ه فمعناه لابن أوس حبيب

وقال البحترى أنشدت أبا تمام شيأ من شعرى فانشدنى بيت أوس بن حجر

اذا مقرم منا ذرى حد نابه * تخمط فينا ناب آخر مقرم

وقال نعيت الى نفسى فقلت أعيذك بالله من هذا فقال ان عمرى ليس يطول وقد نشأ لطيئ مثلك أما علمت أن خالد بن صفوان المنقرى رأى شبيب بن شبة وهو من رهطه وهو يتكلم فقال يابنى نعى نفسى الى احسانك فى كلامك لانا أهل بيت ما نشأ فينا خطيب الا مات من قبله قال فمات أبو تمام بعد سنة من هذا وقال البحترى أنشدت أبا تمام شعرا لى فى بعض بنى حميد وصلت به الى مال له خطر فقال لى أحسنت أنت أمير الشعراء بعدى فكان قوله هذا أحب الىّ من جميع ما حويته وقال ميمون بن هرون رأيت أبا جعفر أحمد بن يحيى ابن جابر بن داود البلاذرى المؤرخ وحاله متماسكة فسألته فقال كنت من جلساء المستعين فقصده الشعراء فقال لست أقبل الا ممن قال مثل قول البحترى فى المتوكل

فلو أن مشتاقا تكلف فوق ما * فى وسعه لمشى اليك المنبر

فرجعت الى دارى وأتيته وقلت قد قلت فيك أحسن مما قاله البحترى فى المتوكل فقال هاته فانشدته

ولو أن برد المصطفى اذ لبسته * يظن لظن البرد أنك صاحبه

وقال وقد أعطيته ولبسته * نعم هذه أعطافه ومناكبه

فقال ارجع الى منزلك وافعل ما آمرك به فرجعت فبعث الىّ سبعة آلاف دينار وقال ادخر هذه للحوادث من بعدى ولك على الجراية الكفاية ما دمت حيا وللمتنبى فى هذا المعنى

لو تعقل الشجر التى قابلتها * مدت محيية اليك الاغصنا

وسبقهما أبو تمام بقوله لو سعت بقعة لاعظام نعمى * لسعى نحوها المكان الحديث

والبيت الذى للبحترى من جملة قصيدة طويلة أحسن فيها كل الاحسان يمدح بها أبا الفضل جعفر المتوكل على الله ويذكر خروجه لصلاة عيد الفطر وأوّلها

أخفى هوى لك فى الضلوع وأظهر * وألام من كمد عليك وأعذر

والابيات التى يرتبط بها البيت المقدم ذكره هى

بالبر صمت وأنت أفضل صائم * و بسنة الله الرضية تفطر * فانعم بيوم الفطر عينا انه يوم أغر من الزمان مشهر * أظهرت عز الملك فيه بجحفل * لجب يحاط الدين فيه و ينصر خلنا الجبال تسير فيه وقد غدت * عددا يسير بها العديد الاكثر * فالخيل تصهل والفوارس تدعى والبيض تلمع والاسنة تزهر * والارض خاشعة تميد بثقلها * والجو معتكر الجوانب أغبر والشمس طالعة توقد فى الضحى * طورا و يطفيها العجاج الاكدر

حتى

لحا الله دنيانا وخطب صروفها
فلم يرمن اهوالها قط ناج
اذا أعجلت سهما من العيش ناعما
ثغن خلفه سهم من البؤس فادح
سلاف قصاراها زعاف ومركب
شهى اذا استلذذته فهو جامح
وتدجاد ماقد قيل فى وصف حظها
وماهو وصف ان تدبرت صالح
رويدك يامن غره طيف عزها
فعما قليل عنك ذلك نازح
وماهو الا كالشهاب وضوئه
يزول بآن بعدما هو لائح
وأودى ولكن طيب ذكراه خالد
الى الحشر يبقى وهو كالمسك فائح
الا أيها الملك السعيد المكرم
عليك سلام الله ماحن صادح
(وقال المخدوم محمد بن المولى بستان فى قصيدة طويلة)
نسيم الصبا رقت باشجان فرقة
حمامة ذات السدر جنت من الذعر
أحامى حمى الاسلام أودى وهل له
نعيت لدين أنت مالك من عذر
أزالت من الدنيا مراسم بهجة
وآلت مسرات الزمان الى الضر

٣ قوله بابى أنت الخ هكذا بالاصل وهو غير مستقيم الوزن فليحرر

حتى طلعت بضوء وجهك فانجلى * ذاك الدجى وانجاب ذاك العثير * فافتن فيك الناظرون فاصبع يومى اليك بها وعين تنظر * يجدون رؤيتك التى فازوا بها * من انعم الله التى لا تكفر ذكروا بطلعتك النبى فهللوا * لما طلعت من الصفوف وكبروا * حتى انتهيت الى المصلى لابسا نور الهدى يبدو عليك ويظهر * ومشيت مشية خاشع متواضع * لله لا يزهى ولا يتكبر فلو ان مشتاقا تكلف فوق ما * فى وسعه لمشى اليك المنبر * أبديت من فصل الخطاب بحكمة تنبى عن الحق المبين وتخبر * ووقفت فى برد النبى مذكرا * بالله تنذر تارة وتبشر

هذا القدر هو المقصود مما نحن فيه وهذا الشعر هو السحر الحلال على الحقيقة والسهل الممتنع فلله دره ما أسلس قياده وأعذب ألفاظه وأحسن سبكه وألطف مقاصده وليس فيه من الحشو شئ بل جميعه نخب وديوانه موجود وشعره سائر فلا حاجة الى الاكثار منه ههنا لكن نذكر من وقائعه ما يستظرف فمن ذلك انه كان له غلام اسمه نسيم فباعه فاشتراه أبو الفضل الحسن بن وهب الكاتب وقد سبق ذكر أخيه سليمان فى حرف السين ثم ان البحترى ندم على بيعه وتبعته نفسه فكان يعمل فيه الشعر و يذكر انه خدع وأن بيعه لم يكن من مراده فمن ذلك قوله انسيم هل للدهر وعد صادق * فيما يؤمله المحب الوامق

مالى فقدتك فى المنام ولم تزل * عون المشوق اذا جفاه الشائق * امنعت أنت من الزيارة رقبة منهم فهل منع الخيال الطارق * اليوم جازبى الهوى مقداره * فى أهله وعلمت أنى عاشق

فليهنا الحسن بن وهب انه * يلقى احبته ونحن نفارق

وله فيه اشعار كثيرة ومن اخباره انه كان بحلب شخص يقال له طاهر بن محمد الهاشمى مات أبوه وخلف له مقدار مائة ألف دينار فانفقها على الشعراء والزوّار فى سبيل الله فقصده البحترى من العراق فلما وصل الى حلب قيل له انه قد قعد فى بيته لدين ركبه فاغتم البحترى لذلك غما شديدا وبعث المدحة اليه مع بعض مواليه فلما وصلته ووقف عليها بكى ودعا بغلام له وقال له بع دارى فقال له أتبيع دارك وتبقى على رؤس الناس فقال لابد من بيعها فباعها بثلثمائة دينار فاخذ صرة وربط فيها مائة دينار وأنفذها الى البحترى وكتب اليه معها رقعة فيها هذه الابيات لو يكون الحباء حسب الذى أنـ * ـت لدينا به محل وأهل * لحثيت اللجين والدر واليا قوت حثوا وكان ذاك يقل * والاديب الاريب يسمح بالعذ * ر اذا قصر الصديق المقل

فلما وصلت الرقعة الى البحترى رد الدنانير وكتب اليه

٣ بابى أنت والله للبر أهل * والمساعى بعد وسعيك قبل * والنوال القليل يكثر ان شا ٤ مر جيك والكثير يقل * غير انى رددت برك اذ كا * ن ربا منك والربا لا يحل

واذا ما جزيت شعرا بشعر * قضى الحق والدنانير فضل

فلما عادت الدنانير اليه حل الصرة وضم اليها خمسين دينارا أخرى وحلف انه لا يردها عليه وسيرها فلما وصلت الى البحترى أنشأ يقول شكرتك ان الشكر للعبد نعمة * ومن يشكر المعروف فالله زائده

لكل زمان واحد يقتدى به * وهذا زمان أنت لا شك واحده

وكان البحترى كثيرا ما ينشد هذا الشعر و يعجبه وهو

حمام الاراك الا فاخبرينا * لمن تندبين ومن تعولينا * فقد شقت بالنوح منا القلوب وأبكيت بالندب منا العيونا * تعالى نقم ماتما للهموم * ونعول اخواننا الظاعنينا

ونسعد كن وتسعدننا * فان الحزين يواسى الحزينا

ثم انى وجدت هذه الابيات لنهان الفقعسى من لعرب وكان البحترى قد اجتاز بالموصل وقيل برأس عين ومرض بها مرضا شديدا وكان الطبيب يختلف اليه و يداويه فوصف له يوما مزورة ولم يكن عنده من يخدمه سوى غلامه فقال للغلام اصنع هذه المزورة وكان بعض رؤساء البلد عنده حاضرا وقد جاء يعوده فقال ذاك الرئيس هذا الغلام ما يحسن طبخها وعندى طباخ من نعته وصنعته و بالغ فى حسن صنعته

دموعى جودى فى رزيه عادل
عديل ابن خطاب مثيل أبى بكر
لقد ذاق من كاس الحمام امامنا
امام الهدى بحر الندى طيب البشر
أنام أنام العهد فى مهد عدله
فراح الى دوح على سندس خضر
تفضلت الايام بالجمع بيننا
ففرق من أجل القصور عن الشكر
كذلك دهر الدهر بؤس ونعمة
وناهيك تلك الحال فى الوعظ والذكر
فواحسرتا أن أنزل الدهر مثله
من القصر فى قعر الجنادل والصخر
فما اخضر بالمروين بعدك عوده
وما غردت ورقاء فى الروض ذى النور
وماقلبت أيدى الفوارس بعده
رماحا لدى الهيجاء ذى الكر والفر
سقى الله قبرا من سحائب نعمة
تضمن بحرا فى الندى صافى البر
الا أيها الملك الشهيد المجاهد
حليما كريما قد مضى طيب الذكر
عليك من الرحمن فضل ورحمة
وروح وريحان مدى الدهر والعصر
كما أنت فى الاولى بعز ونعمة
كذلك فى الاخرى وفى الحشر والنشر

فترك الغلام عملها اعتمادا على ذلك الرئيس وقعد البحترى ينتظرها واشتغل الرئيس عنها ونسى أمرها فلما ابطات عنه وفات وقت وصولها اليه فكتب الى الرئيس

وجدت وعدك زورا فى مزورة * حلفت مجتهدا احكام طاهيها
فلا شفى الله من يرجو الشفاء بها * ولا علت كف ملق كفه فيها
فاحبس رسولك عنى ان يجىء بها * فقد حبست رسولى عن تقاضيها

وأخباره ومحاسنه كثيرة فلا حاجة الى الاطالة ولم يزل شعره غير مرتب حتى جمعه أبو بكر الصولى ورتبه على الحروف وجمعه أيضا على بن حمزة الاصبهانى ولم يرتبه على الحروف بل على الانواع كما صنع بشعر أبى تمام وللبحترى أيضا كتاب حماسة على مثال حماسة أبى تمام وله كتاب معانى الشعر وكانت ولادته سنة ست وقيل خمس ومائتين وتوفى سنة أربع وثمانين وقيل خمس وثمانين وقيل ثلاث وثمانين ومائتين والاول أصح والله أعلم وقال ابن الجوزى فى كتاب أعمار الاعيان توفى البحترى وهو ابن ثمانين سنة والله أعلم بالصواب وكان موته بمنبج وقيل بحلب والاول أصح وقال الخطيب فى تاريخ بغداد انه كان يكنى أبا الحسن وأبا عبادة فاشير عليه فى أيام المتوكل أن يقتصر على أبى عبادة فانها أشهر ففعل وأهل الادب كثيرا ما يسألون عن قول أبى العلاء المعرى

وقال الوليد النبع ليس بمثمر * وأخطأ سرب الوحش من ثمر النبع

فيقولون من هو الوليد المذكور وأين من قال النبع ليس بمثمر ولقد سألنى عنه جماعة كثيرة والمراد بالوليد هو البحترى المذكور وله قصيدة طويلة يقول فيها

وعيرتنى سجال العدم جاهلة * والنبع عريان مافى فرعه ثمر

وهذا البيت هو المشار اليه فى بيت المعرى وانما ذكرت هذا لانه فائدة تستفاد وعبيد الله وأخوه أبو عبادة ابنا يحيى بن الوليد البحترى اللذان مدحهما المتنبى فى قصائده هما حفيدا البحترى الشاعر المذكور وكانا رئيسين فى زمانهما والبحترى بضم الباء الموحدة وسكون الحاء المهملة وضم التاء المثناة من فوقها وبعدها راء هذه النسبة الى بحتر وهو أحد أجداده كما تقدم ذكره فى عمود نسبه وزردفنة بفتح الزاى وسكون الراى وفتح الدال المهملة وسكون الفاء وفتح النون وبعدها هاء ساكنة وهى قرية من قرى منبج بالقرب منها ومنبج بفتح الميم وسكون النون وكسر الباء الموحدة وبعدها جيم وهى بلدة بالشام بين حلب والفرات بناها كسرى لما غلب على الشام وسماها منبه فعربت فقيل منبج ولكونها وطن البحترى كان يذكرها فى شعره كثيرا فمن ذلك قوله فى آخر قصيدة طويلة يخاطب بها الممدوح وهو أبو جعفر محمد بن حميد بن عبد الحميد الطوسى

لا انسين زمنا لديك مهذبا * وظلال عيش كان عندك سجسج
فى نعمة أوطنتها وأقمت فى * افيائها فكأننى فى منبج

وكان البحترى مقيما بالعراق فى خدمة المتوكل والفتح بن خاقان وله الحرمة التامة فلما قتلا كما هو مشهور فى أمرهما رجع الى منبج وكان يحتاج للترداد الى الوالى بسبب مصالح املاكه ويخاطبه بالامير لحاجته اليه ولا تطاوعه نفسه الى ذلك فقال قصيدة منها

مضى جعفر والفتح بين مؤمل * وبين صبيغ بالدماء مضرج
أأطلب أنصارا على الدهر بعدما * ثوى منهما فى الترب أوس وخزرج
أولئك ساداتى الذين بفضلهم * تحلت أفاريق الربيع المدبج
مضوا أمما قصدا وخلفت بعدهم * أخاطب بالتأمير والى منبج

وذكر المسعودى فى مروج الذهب ان هرون الرشيد اجتاز ببلاد منبج ومعه عبد الملك بن صالح وكان أفصح ولد العباس فى عصره فنظر الى قصر مشيد وبستان معتمر بالاشجار كثير الثمار فقال لمن هذا فقال هو لك ولى بك يا أمير المؤمنين قال وكيف بناء هذا القصر قال دون منازل أهلى وفوق منازل الناس قال فكيف مدينتك قال عذبة الماء باردة الهواء صلبة الموطا قليلة الادواء قال فكيف ليلها قال سحر كله انتهى كلام

(ذكر ما وقع من وفياتهم فى عهد السلطان سليم خان ابن السلطان سليمان)

(ومن مشايخ الطريقة ورجال الحقيقة الشيخ محيى الدين المشتهر بحكيم جلبى)

ولد رحمه الله بقصبة ازنكميد ونشأ طالبا للفضائل ومجتنبا عن الرذائل فخاض الغمار واقتحم الاخطار وقضى من العلوم الاوطار وبينا هو يسيح فى عالم فسيح عاريا عن الرباق وسائحا فى عالم الاطلاق اذ هبت الرياح من رياض الحقيقة وأومضت البروق من أراضى الطريقة وتنفس النسيم من ربع الحبيب فاشعل نيران المحبة فهاج كل قلب كئيب وقال كل يعقوب متلهف انى لاجد ريح يوسف وأخذ الصبا فى الهبوب وذكر صباحة المحبوب وشرع فى وصف ليلى بما هو ألذ واحلى فملا الآفاق صياح العشاق فلما قرع هذا الهديل سمعه أشرق عليه من نور المحبة لمعه وهجم عليه الشوق والغرام وغلب الوجد والهيام واستولى عليه سلطان الهوى وأغار جنود العشق والجوى فقام بالقلب العليل الى طلب المرشد والدليل فساقته عناية البارى الى خدمة الشيخ أحمد البخارى فوجد النجم الهادى فى الغيهب المتمادى والطريق

المسعودى وعبد الملك المذكور هو أبو عبد الرحمن عبد الملك بن صالح بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه وكانت منبج اقطاعا له وكان مقيما بها وتوفى سنة تسع وتسعين ومائة بالرقة رحمه الله تعالى وله بلاغة وفصاحة أضربت عن ذكرها خوف الاطالة وذكر ياقوت الحموى فى كتابه المشترك باب السقيا خمسة مواضع ثم قال فى آخر هذا الباب والخامس قرية على باب منبج ذات بساتين وهى وقف على ولد البحترى الشاعر وقد ذكرها أبو فراس بن حمدان فى شعره

(الوليد بن طريف بن الصلت بن طارق بن سيحان بن عمر بن مالك الشيبانى الشارى)

هكذا ذكره أبو سعيد السمعانى فى كتاب الانساب فى موضعين أحدهما فى ترجمة الاراقم والآخر فى ترجمة السيحانى بكسر السين المهملة الشارى أحد الشجعان الطغاة الابطال كان رأس الخوارج وكان مقيما بنصيبين والخابور وتلك النواحى وخرج فى خلافة هرون الرشيد وبغى وحشد جموعا كثيرة فارسل اليه هرون جيشا كثيفا مقدمه أبو خالد يزيد بن مزيد بن زائدة الشيبانى وسيأتى ذكره فى حرف الياء ان شاء الله تعالى فجعل يخاتله ويماكره وكانت البرامكة منحرفة عن يزيد فاغروا به الرشيد وقالوا انه يراعيه لاجل الرحم والا فشوكة الوليد يسيرة وهو يواعده وينتظر ما يكون من أمره فوجه اليه الرشيد كتاب مغضب وقال لو وجهت أحد الخدم لقام باكثر مما تقوم به ولكنك مداهن متعصب وأمير المؤمنين يقسم بالله لئن أخرت مناجزة الوليد ليبعثن اليك من يحمل رأسك الى أمير المؤمنين فلقى الوليد فظهر عليه فقتله وذلك فى سنة تسع وسبعين ومائة عشية أول خميس فى شهر رمضان وهى واقعة مشهورة تضمنتها التواريخ وكان للوليد المذكور أخت تسمى الفارعة وقيل فاطمة تجيد الشعر وتسلك سبيل الخنساء فى مراثيها لاخيها صخر فرثت الفارعة أخاها الوليد بقصيدة أجادت فيها وهى قليلة الوجود ولم أجد فى مجاميع كتب الادب الا بعضها حتى ان أبا على القالى لم يذكر منها فى اماليه سوى أربعة أبيات فاتفق انى ظفرت بها كاملة فاثبتها لغرابتها مع حسنها وهى هذه

بتل نهاكى رسم قبر كأنه * على جبل فوق الجبال منيف
تضمن مجدا عدمليا وسوددا * وهمة مقدام ورأى حصيف
فيا شجر الخابور مالك مورقا * كأنك لم تحزن على ابن طريف
فتى لا يحب الزاد الا من التقى * ولا المال الا من قنا وسيوف
ولا الذخر الا كل جرداء صلدم * معاودة للكر بين صفوف
كأنك لم تشهد هناك ولم تقم * مقاما على الاعداء غير خفيف
ولم تستلم يوما لورد كريهة * من السرد فى خضراء ذات رفيف
ولم تسع يوم الحرب والحرب لاقح * وسمر القنا ينكزنها بانوف
حليف الندى ماعاش يرضى به الندى * فان مات لا يرضى الندى بحليف
فقدناك فقدان الشباب وليتنا * فديناك من فتياننا بالوف
ومازال حتى ازهق الموت نفسه * شجا لعدو أو نجا لضعيف
ألا يا لقومى للحمام وللبلى * وللارض همت بعده برجوف
ألا يا لقومى للنوائب والردى * ودهر ملح بالكرام عنيف
وللبدر من بين الكواكب اذ هوى * وللشمس لما أزمعت بكسوف
ولليث كل الليث اذ يحملونه * الى حفرة ملحودة وسقيف
الا قاتل الله الحشى حيث أضمرت * فتى كان للمعروف غير عيوف
فان يك أرداه يزيد بن مزيد * فرب زحوف لفها بزحوف
عليه سلام الله وقفا فاننى * أرى الموت وقاعا بكل شريف

ولها فيه مراث كثيرة فمن ذلك قولها فيه أيضا

الاسهل فى بيداء مجهل فتبسل يده وتشبث بذيله وأخذ فى الاجتهاد بيومه وليله ودخل بحسن الارادة فى ربقة التسليم والعبادة وتبتل الى الله فى سره واعلانه وجد واجتهد وتميز عن أقرانه بيناهو فى السعى والمجاهدة اذا ابتلى بالامراض الهائلة فحصل من علم الطب الطرف العظيم حتى اشتهر باسم الحكيم وانتفع الناس بطبابته كما انتفعوا فى طريق الحق بحذاقته (وتوفى رحمه الله سنة أربع وسبعين وسبعمائة) ودفن بحظيرة الشيخ ابن الوفاء بقرب الشيخ على السابق ذكره * كان المرحوم من أجلة مشايخ الروم صاحب الكرامات العلية والمقامات السنية كثير النفع للمسلمين رفعه الله تعالى فى أعلى عليين

(ومنهم المولى علاء الدين المنوغادى)

نشأ رحمه الله فى حجر خاله وتربى بغيث نواله وهو معلم الوزير الكبير اياس المشتهر بأبى الليث بين الناس ودار على موالى عصره للاستفادة حتى صار ملازما من المولى الشهير بكمال باشازاده ثم تقلد بعضا من المدارس وجعل يزاول العلوم ويمارس ثم ولى مدرسة اينه كول بثلاثين ثم مدرسة

ذكرت الوليد وأيامه * اذا الارض من شخصه بلقع * فاقبلت أطلبه فى السماء
كما يبتغى أنفه الاجدع * أضاع له قومك فليطلبوا * افادة مثل الذى ضيعوا
لوان السيوف التى حدها * يصيبك تعلم ما تصنع نبت عنك اذ جعلت هيبة * وخوفا لصولك لا تقطع

وكان الوليد يوم المصاف ينشد

أنا الوليد بن طريف الشارى * قسورة لا يصطلى بنار * جوركم أخرجنى من دارى

ويقال انه لما انكسر جيش الوليد وانهزم تبعه يزيد بنفسه حتى لحقه على مسافة بعيدة فقتله وأخذ رأسه ولما قتله وعلمت بذلك أخته المذكورة لبست عدة حربها وحملت على جيش يزيد فقال يزيد دعوها ثم خرج فضرب بالرمح فرسها وقال اغربى غرب الله عينك فقد فضحت العشيرة فاستحيت وانصرفت وطريف بفتح الطاء المهملة وكسر الراء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها فاء وتل نهاكى أظنه فى بلد نصيبين وهو موضع الواقعة المذكورة والخابور نهر معروف أوله من رأس عين وآخره عند قرقيسيا يصب فى الفرات وعلى هذا النهر مدن صغار تشبه الكبار فى عمارة بلادها وأسواقها وكثرة خيراتها وهو مشهور فلا حاجة الى ضبطه والشارى بفتح الشين المعجمة وبعد الالف راء وهو واحد الشراة وهم الخوارج وانما سموا بذلك لقولهم انا شرينا أنفسنا فى طاعة الله أى بعناها بالجنة حين فارقنا الائمة الجائرة والخنساء اسمها تماضر بضم التاء المثناة من فوقها وفتح الميم وبعد الالف ضاد مكسورة معجمة وبعدها راء وهى ابنة عمرو بن الشريد السلمى والخنس تأخر الانف عن الوجه مع ارتفاع الارنبة ولذلك قيل لها الخنساء لانها كانت على هذه الصفة واخبارها مع أخيها مشهورة فى مراثيها وغيرها وقد سبق طرف من أخبار أخيها صخر فى ترجمة أبى أحمد العسكرى فى حرف الحاء وقد اختلف فى موضع قبره فقيل انه مدفون عند عسيب وهو جبل مشهور ببلاد الروم وان القبر الذى هناك ينسب الى امرئ القيس بن حجر الكندى الشاعر المشهور ليس لامرئ القيس وانما هو لصخر المذكور وقيل ان كل واحد من امرئ القيس وصخر مدفون هناك وقال الحافظ أبو بكر الحازمى المقدم ذكره فى كتاب ما اتفق لفظه وافترق مسماه ان عسيبا جبل حجازى ودفن عنده صخر أخو الخنساء فعلى هذا يكون عسيب اسم الجبلين أحدهما بالروم وهو الاشهر والآخر بالحجاز وكان من لوازم ياقوت الحموى ان يذكره فى كتابه الذى وضعه فى البلاد المشتركة الاسماء ولم أجده ذكره فيه والله تعالى أعلم

(ابو عبد الله وهب بن منبه اليمانى صاحب الاخبار والقصص)

وكانت له معرفة باخبار الاوائل وقيام الدنيا وأحوال الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم وسير الملوك وذكر عنه ابن قتيبة فى كتاب المعارف انه كان يقول قرأت من كتب الله تعالى اثنين وسبعين كتابا ورأيت له تصنيفا ترجمه بذكر الملوك المتوجة من حمير واخبارهم وقصصهم وقبورهم واشعارهم فى مجلد واحد وهو من الكتب المفيدة وكان له اخوة منهم همام بن منبه كان أكبر من وهب وروى عن أبى هريرة رضى الله عنه وهو معدود من جملة الابناء ومعنى قولهم فلان من الابناء ان أبا مرة سيف بن ذى يزن الحميرى صاحب اليمن لما استولت الحبشة على ملكه توجه الى كسرى أنوشروان ملك الفرس يستنجده عليهم وقصته فى ذلك مشهورة وخبره طويل وخلاصة الامر انه سير معه سبعة آلاف وخمسمائة فارس من الفرس وجعل مقدمهم وهرز هكذا قاله ابن قتيبة وقال محمد بن اسحق لم يسير معه سوى ثمانمائة فارس فغرق منهم فى البحر مائتان وسلم ستمائة قال أبو القاسم السهيلى والقول الاول أشبه بالصواب اذ يبعد مقاومة الحبشة بستمائة فارس فلما وصل الجيش الى اليمن جرت الواقعة بينهم وبين الحبشة فاستظهرت الفرس عليهم وأخرجوهم من البلاد وملك سيف بن ذى يزن ووهرز وأقاموا اربع سنين وكان سيف بن ذى يزن قد اتخذ من اولئك الحبشة خدما فخلوا به يوما وهو فى متصيد له فزرقوه بحرابهم فقتلوه وهربوا فى رؤس الجبال وطلبهم أصحابه فقتلوهم جميعا وانتشر الامر باليمن ولم يملكوا عليهم أحدا غير أن أهل كل ناحية ملكوا عليهم رجلا من حمير فكانوا كملوك الطوائف حتى أتى الله بالاسلام ويقال انها بقيت فى أيدى الفرس ونواب كسرى فيها وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم

داود باشا بقسطنطينية باربعين ثم مدرسة طرابوزن بخمسين ثم عزل فوقع فى الحزن والاسى حتى أعطى مدرسة مغنيسا ثم عزل وبقى فى التعطل والهوان حتى أعطى احدى المدارس الثمان ثم نقل الى مدرسة أياصوفيه فاشتغل فيها وأفاد الى أن قلد قضاء بغداد ثم عزل وعين له كل يوم ثمانون ودام عليه حتى ألم بساحته المنون وذلك سنة أربع وسبعين وتسعمائة * كان رحمه الله معروفا بالكمال ومعدودا من الرجال جرئ الجنان طليق اللسان حلو المحاورة لطيف النادرة مهتما بجمع الامائل وراغبا فى مصاحبة الافاضل روح الله روحه ونور ضريحه

(ومنهم المولى شمس الدين أحمد ابن أخى القرامانى المشهور بمعلم الوزير الاعظم أحمد باشا)

كان رحمه الله من بلدة قونيه وخرج منها لطلب العلوم فاجتمع مع الكثير من الاماجد القروم حتى وصل الى خدمة المولى سعد الله محشى تفسير البيضاوى فعكف على تحصيل المعارف واكتساب اللطائف حتى صار ملازما فتقلد مدرسة المولى خسرو فى مدينة بروسه بعشرين ثم صارت وظيفته فيها خمسة وعشرين ثم المدرسة

وباليمن من قواد ابرويز عاملان أحدهما فيروز الديلمى والآخر اذويه واسلما وهما اللذان دخلا على الاسود العنسى مع قيس بن المكشوح لما ادعى الاسود النبوة باليمن وقتلاه والقصة فى ذلك مشهورة فلا حاجة الى ذكرها والمقصود من هذا كله ان جيش الفرس لما استوطن اليمن تأهلوا ورزقوا الاولاد فصار أولادهم وأولاد أولادهم يدعون الابناء لانهم من ابناء اولئك الفرس وكان طاوس العالم المقدم ذكره منهم أيضا وقد أومأت الى ذلك فى ترجمته ولم اشرحه كما فعلت ههنا واخبار وهب شهيرة فلا حاجة الى ذكر شئ منها ويكفى فى هذا الموضع ذكر هذه الفائدة وتوفى وهب المذكور فى المحرم سنة عشر وقيل أربع عشرة وقيل ست عشرة ومائة بصنعاء اليمن وعمره تسعون سنة رضى الله عنه وقد تقدم الكلام على صنعاء فى ترجمة عبد الرزاق الصنعانى وفى هذه الترجمة أسماء أعجمية لو قيدتها لطال الشرح وهى مشهورة فتركتها

(ابو البخترى وهب بن وهب بن وهب بن كثير بن عبد الله بن زمعة بن الاسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب القرشى الاسدى المدنى)

حدث عن عبيد الله بن عمر العمرى وهشام بن عروة بن الزبير وجعفر بن محمد الصادق وغيرهم وروى عنه رجاء ابن سهل الصاغانى وأبو القاسم بن سعيد بن المسيب وغيرهما وكان متروك الحديث مشهورا بوضعه انتقل من المدينة الى بغداد فى خلافة هرون الرشيد فولاه القضاء بعسكر المهدى فى شرقى بغداد وقد تقدم الكلام على هذا الموضع فى ترجمة الواقدى فى حرف الميم ثم عزله وولاه القضاء بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم بعد بكار بن عبد الله الزبيرى وجعل اليه ولاية حربها مع القضاء ثم عزله فقدم بغداد وأقام بها الى ان توفى وذكر الخطيب فى تاريخ بغداد فى ترجمة القاضى أبى يوسف يعقوب بن ابراهيم الحنفى انه كان قاضى القضاة فى بغداد فلما مات ولى الرشيد مكانه أبا البخترى وهب بن وهب القرشى وكان فقيها اخباريا نسابا جوادا سريا سخيا يحب المديح ويثيب عليه العطاء الجزيل وكان اذا اعطى قليلا أو كثيرا أتبعه عذرا الى صاحبه وكان يتهلل عند طلب الحاجة اليه حتى لو رآه من لا يعرفه لقال هذا الذى قضيت حاجته وكان جعفر الصادق بن محمد الباقر المقدم ذكره قد تزوج بأمه بالمدينة وله عنه روايات واسانيد واسم أمه عبدة بنت على بن يزيد بن ركانة ابن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف وأمها بنت عقيل بن أبى طالب وقد ذكره الخطيب فى تاريخ بغداد وبالغ فى تقريظه والثناء عليه وقال دخل عليه شاعر فانشده

اذا افتر وهب خلته برق عارض * تبعق فى الارضين أسعده السكب
وما ضر وهبا ذم من خالف الملا * كما لا يضر البدر ينبحه الكلب
لكل اناس من أبيهم ذخيرة * وذخر بنى فهر عقيد الندى وهب

قال فاستهل أبو البخترى ضاحكا وسر سرورا شديدا ثم دعا غلامه فأسر اليه شيأ فأتاه بصرة فيها خمسمائة دينار فدفعها اليه (وحكى) أبو الفرج الاصبهانى فى كتاب الاغانى فى ترجمة أبى دلف العجلى قال أخبرنى أحمد بن عبد الله بن عمار قال كنا عند أبى العباس المبرد يوما وعنده فتى من ولد أبى البخترى وهب بن وهب القاضى أمرد حسن الوجه وفتى من ولد أبى دلف العجلى شبيه به فى الجمال فقال المبرد لابن أبى البخترى أعرف لجدك قصة طريفة من الكرم حسنة لم يسبق اليها فقال وما هى قال دعى رجل من أهل الادب الى بعض المواضع فسقوه نبيذا غير الذى كانوا يشربون منه فقال فيهم

نبيذان فى مجلس واحد * لايثار مثر على مقتر
فلو كان فعلك ذا فى الطعام * لزمت قياسك فى المسكر
ولو كنت تطلب شأو الكرام * صنعت صنيع أبى البخترى
تتبع اخوانه فى البلاد * فأغنى المقل عن المكثر

فبلغت الابيات أبا البخترى فبعث اليه بثلثمائة دينار قال ابن عمار فقلت له قد فعل جد هذا الفتى فى مثل هذا المعنى ما هو أحسن من هذا قال وما فعل قلت بلغه ان رجلا افتقر بعد ثروة فقالت له امرأته افترض فى الجند فقال

اليك عنى فقد كلفتنى شططا * حمل السلاح وقول الدارعين قف

الجحريه بادرنه بثلاثين ثم مدرسة داود باشا بقسطنطينية باربعين ثم صارت وظيفته فيها خمسين ثم نقل الى مدرسة بنت السلطان بقصبة اسكدار ثم الى احدى المدارس الثمان ثم الى مدرسة أياصوفيه بستين ثم الى مدرسة السلطان سليم خان بالوظيفة المزبورة ثم قلد قضاء المدينة المنورة ثم عزل فقبل وصول خبر العزل توفى بها فى أوائل سنة أربع وسبعين وتسعمائة * كان المرحوم مشاركا فى بعض العلوم وله حظ من المعارف واللطائف بشوشا حسن السمت ساعيا فى أمر من يلوذ به وكان له أخ أصغر منه اسمه محمد توفى قبله باشهر وهو مدرس باحدى المدارس السليمانية

(ومنهم المولى يعقوب الشهير بجالق)

* كان رحمه الله من قصبة انقره فلما قارب أوان التحصيل خرج منها راغبا فى التكميل فاجتمع بالافاضل السادة وجد فى الاستفادة حتى صار ملازما من المولى شيخ محمد المشتهر بجوى زاده ثم درس بمدرسة خاص كوى بعشرين ثم صارت وظيفته فيها خمسة وعشرين ثم درس بها ثانيا بثلاثين ثم درس بمدرسة قره كوز باشا بقصبة قلبه باربعين ثم

أمن رجال المنايا خلتني رجلا * أمسي وأصبح مشتاقا الى التلف
تمشي المنايا الى غيري فاكرهها * فكيف أمشي اليها بارز الكتف
حسبت أن نزال القرن من خلقي * أو ان قلبي في جنبي أبي دلف

فاحضره أبو دلف ثم قال كم أملت امرأتك ان يكون رزقك قال مائة دينار وقال وكم أملت ان تعيش قال عشرين سنة قال فكذلك ما أملت به امرأتك في مالنا ودون مال السلطان وأمر باعطائه اياه قال فرأيت وجه ولد أبي دلف يتهلل وانكسر ابن ابي البختري انكسارا شديدا انتهى كلام صاحب الاغاني في هذا الفصل وقد سبق في ترجمة أبي دلف القاسم بن عيسى العجلي ذكر هذه الابيات وقائلها وصورة الحال وبينها وبين هذه الرواية اختلاف يسير وأما الابيات الاولى التي في أبي البختري فهي لابي عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن ابن عطية العطوي الشاعر المشهور ونسبته بالعطوي الى جده عطية المذكور وهو من البصرة من موالي بني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وكان معتزليا وله ديوان شعر وروى الخطيب أيضا في تاريخه ان أبا البختري قال لأن أكون في قوم أعلم مني أحب الي من أكون في قوم أنا أعلم منهم وروى أيضا في تاريخه ان هرون الرشيد لما قدم المدينة أعظم ان يرقى منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في قباء ومنطقة فقال أبو البختري حدثني جعفر بن محمد الصادق عن أبيه قال نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم وعليه قباء ومنطقة مخنجرا بخنجر فقال المعافي التميمي

ويل وعول لابي البختري * اذا توافى الناس للمحشر * من قوله الزور واعلانه
بالكذب في الناس على جعفر * والله ما جالسه ساعة * للفقه في بدو ولا محضر
ولا رآه الناس في دهره * يمر بين القبر والمنبر * ياقاتل الله ابن وهب لقد
أعلن بالزور وبالمنكر * يزعم ان المصطفى أحمدا * آتاه جبريل التقي البري
عليه خف وقباء أسود * مخنجرا في الحقو بالخنجر

وحكى جعفر الطيالسي ان يحيى بن معين وقف على حلقته وهو يحدث بهذا الحديث عن جعفر الصادق فقال له كذبت يا عدو الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاخذني الشرط فقلت لهم هذا يزعم ان رسول رب العالمين جبريل نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه قباء قال فقالوا لي هذا والله قاص كذاب وأفرجوا عني وقال ابن قتيبة في كتاب المعارف وكان أبو البختري ضعيفا في الحديث وقال الخطيب في تاريخه قال ابراهيم الحربي قيل لاحمد بن حنبل تعلم أحدا روى لا سبق الا في خف أو حافر أو جناح فقال ماروى هذا الا ذاك الكذاب أبو البختري وله من التصانيف كتاب الروايات وكتاب طسم وجديس وكتاب صفة النبي صلى الله عليه وسلم وكتاب فضائل الانصار وكتاب الفضائل الكبير ويحتوي على جميع الفضائل وكتاب نسب ولد اسمعيل عليه السلام ويحتوي على قطعة من الاحاديث والقصص وأخباره ومحاسنه كثيرة وتوفي سنة مائتين للهجرة ببغداد في خلافة المأمون رحمه الله تعالى وقد ذكره ابن قتيبة في كتاب المعارف في موضعين عقد له أولا ترجمة وتكلم على حاله ثم ذكره في ثلاثة أسماء في نسق أبو البختري وهب بن وهب وعده معه في ملوك الفرس بهرام بن بهرام بن بهرام وفي الطالبيين حسن بن حسن بن حسن وفي غسان الحرث الاصغر بن الحرث الاعرج بن الحرث الاكبر هؤلاء الذين ذكرهم ابن قتيبة وقد جاء في المتأخرين أبو حامد الغزالي وهو محمد بن محمد بن محمد وقد سبق ذكره في المحمدين وأبو البختري بفتح الباء الموحدة وسكون الخاء المعجمة وفتح التاء المثناة من فوقها وبعدها راء وهو مأخوذ من البخترة التي هي الخيلاء وهو يتصحف على كثير من الناس بالبحتري الشاعر المقدم ذكره وزمعة بفتح الزاي والميم والعين المهملة وبعدها هاء ساكنة وهي في الاصل اسم للهنة الزائدة من وراء الظلف وبها سمي الرجل وقد تقدم الكلام على الاسدي والمدني قلت وبعد الفراغ من هذه الترجمة ظفرت بنكتة ينبغي الحاقها بها وهي ان أبا البختري المذكور قال كنت أدخل على هرون الرشيد وابنه القاسم الملقب بالمؤتمن بين يديه فكنت أدمن النظر اليه عند دخولي وخروجي

فقال

بمدرسة سراي بخمسين ثم بمدرسة أحمد باشا بقصبة جورلي بالوظيفة المزبورة ثم نقل الى دار الحديث بادرنه ثم الى احدى المدارس الثمان ثم قلد قضاء بغداد توفي وهو قاض بها سنة أربع وسبعين وتسعمائة وكان رحمه الله معروفا بالعلم والفضل ومراعاة الحقوق السابقة وكان محمود السيرة حسن السريرة سليم الصدر طارحا للتكلف والتصنع

(ومنهم المولى تاج الدين ابراهيم)

قرأ رحمه الله على بعض علماء زمانه ورؤساء أوانه حتى ساقه الدهر الى خدمة المولى المعظم كمال باشازاده فعكف على التحصيل والاستفادة وسعى في تكميل ذاته حتى صار ملازما منه بحكم وفاته ثم درس بعدة من المدارس المبنيات في بعض النواحي والقصبات حتى قلد مدرسة يري باشا بقصبة اطنه بخمسين ثم نقل عنها الى مدرسة مناستر في مدينة بروسه بالوظيفة المزبورة ثم نقل الى سلطانية بروسه ثم الى احدى المدارس الثمان ثم الى مدرسة مغنيسا ثم الى المدرسة التي بناها السلطان سليمان بمدينة دمشق وفوض اليه الفتوى بهذه الديار وعين له كل يوم ثمانون درهما فدام عليه

وقال له بعض ندمائه ما أرى أبا البختري الا يحب رؤس الحملان ففطن له الرشيد فلما دخلت عليه قال أراك تدمن النظر الى أبي القاسم تريد أن تجعل انقطاعه اليك قلت أعيذك بالله يا أمير المؤمنين أن ترميني بما ليس في وأما ادماني النظر اليه فلان جعفرا الصادق رضي الله تعالى عنه روى باسناده عن آبائه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث يزدن في قوة النظر النظر الى الخضرة والى الماء الجاري والى الوجه الحسن نقلتها من خط القاضي كمال الدين بن العديم من مسودة تاريخه والله تعالى أعلم بالصواب

حرف الهاء

(الشريف أبو السعادات هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسني المعروف بابن الشجري البغدادي)

كان اماما في النحو واللغة وأشعار العرب وأيامها وأحوالها كامل الفضائل متضلعا من الادب صنف فيه عدة تصانيف فمن ذلك كتاب الامالي وهو أكبر تآليفه وأكثرها افادة أملاه في أربعة وثمانين مجلسا وهو يشتمل على فوائد جمة من فنون الادب وختمه بمجلس قصره على أبيات من شعر أبي الطيب المتنبي تكلم عليها وذكر ماقاله الشراح فيها وزاد من عنده ماسنح له وهو من الكتب الممتعة ولما فرغ من املائه حضر اليه أبو محمد عبد الله المعروف بابن الخشاب المقدم ذكره والتمس منه سماعه عليه فلم يجبه الى ذلك فعاداه ورد عليه في مواضع من الكتاب ونسبه فيها الى الخطا فوقف أبو السعادات المذكور على ذلك الرد فرد عليه في رده وبين وجوه غلطه وجمعه كتابا وسماه الانتصار وهو على صغر حجمه مفيد جدا وسمعه عليه الناس وجمع أيضا كتابا سماه الحماسة ضاهى به حماسة أبي تمام الطائي وهو كتاب غريب مليح أحسن فيه وله في النحو عدة تصانيف ما اتفق لفظه واختلف معناه وشرح اللمع لابن جني وشرح التصريف الملوكي وكان حسن الكلام حلو الالفاظ فصيحا جيد البيان والتفهيم وقرأ الحديث بنفسه على جماعة من الشيوخ المتأخرين مثل أبي الحسن المبارك بن عبد الجبار بن أحمد بن القاسم الصيرفي وأبي علي محمد بن سعيد بن شهاب الكاتب وغيرهما وذكره الحافظ أبو سعيد بن السمعاني في كتاب الذيل وقال اجتمعنا في دار الوزير أبي القاسم علي بن طراد الزينبي وقت قراءتي عليه الحديث وعلقت عنه شيأ من الشعر في المدرسة ثم مضيت اليه وقرأت عليه جزأ من امالي أبي العباس ثعلب النحوي (وحكى) أبو البركات عبد الرحمن بن الانباري النحوي المقدم ذكره في كتابه الذي سماه مناقب الادباء ان العلامة أبا القاسم محمود الزمخشري المقدم ذكره لما قدم بغداد قاصدا الحج في بعض أسفاره مضى الى زيارة شيخنا أبي السعادات بن الشجري فمضينا معه اليه فلما اجتمع به أنشده قول المتنبي

واستكبر الاخبار قبل لقائه * فلما التقينا صغر الخبر الخبر

ثم انشده بعد ذلك

كانت مساءلة الركبان تخبرنا * عن جعفر بن فلاح أحسن الخبر
ثم التقينا فلا والله ما سمعت * أذني باحسن مما قد رأى بصري

وهذان البيتان قد تقدم ذكرهما في ترجمة جعفر بن فلاح وهما منسوبان الى أبي القاسم محمد بن هانئ الاندلسي وقد تقدم ذكره أيضا وينسبان الى غيره أيضا والله تعالى أعلم قال ابن الانباري فقال العلامة الزمخشري روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما قدم عليه زيد الخيل قال له يا زيد ما وصف لي أحد في الجاهلية فرأيته في الاسلام الا رأيته دون ما وصف لي غيرك قال ابن الانباري فخرجنا من عنده ونحن نعجب كيف يستشهد الشريف بالشعر والزمخشري بالحديث وهو رجل أعجمي وهذا الكلام وان لم يكن عين كلام ابن الانباري فهو في معناه لاني لم أنقله من الكتاب بل وقفت عليه منذ زمان وعلق معناه بخاطري وانما ذكرت هذا لان الناظر فيه قد يقف على كتاب ابن الانباري فيجد بين الكلامين اختلافا فيظن اني تسامحت في النقل وكان أبو السعادات المذكور نقيب الطالبيين بالكرخ نيابة عن والده الطاهر وله شعر حسن فمن ذلك قصيدة يمدح بها الوزير نظام الدين أبا نصر المظفر بن علي بن محمد بن جهير وأولها

حتى توفي سنة أربع وتسعين وتسعمائة وكان رحمه الله معروفا بالعلوم الدينية والمسائل اليقينية خصوصا الفقه فانه كان معدودا من أصحابه ومذكورا في عدد أربابه وكان رحمه الله لين الجانب صحيح العقيدة صاحب الاخلاق الحميدة

(ومنهم المولى الخطير والسميدع النحرير المولى محمد بن عبد الوهاب بن عبد الكريم قراهم الله في دار النعيم)

* كان جده المولى عبد الكريم قاضيا بالعسكر في دولة السلطان محمد خان وولي أبوه عبد الوهاب الدفترداريه في عهد السلطان سليم خان ونشأ رحمه الله غائصا في غمار العلوم ولجج المعارف طالبا لدرر الفضائل واللطائف ساعيا في اقتناء أنواع العلوم راغبا في اقتناص شوارد المنطوق والمفهوم واشتغل على المولى اسرافيل زاده والمولى جوي زاده ثم اشتغل برهة من الزمان على المفتي أبي السعود في احدى المدارس الثمان ثم وصل الى معدن الفضل والكمال ومحط رحال الرجال المخصوص في عهده بالافادة المولى الشهير بكمال باشازاده فتبحر في العلوم ومهر وكسر معارضيه وقهر وغلب على أقرانه وفاق وطار طائر

هذى السدرة والغدير الطافح * فاحفظ فؤادك اننى لك ناصح
ياسدرة الوادى الذى ان ضله السارى هداه نشره المتفاوح * هل عائد قبل الممات لمغرم
عيش تقضى فى ظلالك صالح * ما أنصف الرشأ الضنين بنظرة * لمادعى مصفى الصبابة طامح
شط المزار به وبوئ منزلا * بصميم قلبك فهودان نازح * غصن يعطفه النسيم وفوقه
قمر يحف به ظلام جانح * واذا العيون تساهمته لحاظها * لم يرو منه الناظر المتراوح
ولقد مررنا بالعقيق فشاقنا * فيه مراتع للمها ومسارح * ظلنابه نبكى فكم من مضمر
وجدا اذاع هواه دمع سافح * برت السنون رسومها فكأنما * تلك العراض المقفرات نواضح
يا صاحبى تأملا حييتما * وسقى دياركما الملث الرائح * ادمى بدت لعيوننا أم ربرب
أم خرد أكفالهن رواجح * أم هذه مقل الصوار رنت لنا * خلل البراقع أم قنا وصفائح
لم يبق جارحة وقد واجهننا * الا وهن لها بهن جوارح * كيف ارتجاع القلب من أسر الهوى
ومن الشقاوة ان يراض القارح * لو بله من ماء ضارج شربة * ما اثرت للوجد فيه لواقح
ومن ههنا يخرج الى المديح فاضربت عنه خوف الاطالة ولم يكن المقصود الا اثبات شئ من نظمه ليستدل به على طريقته فيه ومن شعره أيضا

هل الوجد خاف والدموع شهود * وهل مكذب قول الوشاة جحود
وحتى متى تفنى شؤنك بالبكا * وقد حد حد البكاء لبيد
وانى وان خفت قناتى كبرة * لذو مرة فى النائبات جليد

وفيه اشارة الى أبيات لبيد بن ربيعة العامرى وهى

تمنى ابنتاى ان يعيش أباهما * وهل انا الا من ربيعة أو مضر * فقوما فنوحا بالذى تعلمانه
ولا تخمشا وجها ولا تحلقا شعر * وقولا هو المرء الذى لاصديقه * اضاع ولا خان العهود ولا غدر
الى الحول ثم اسم السلام عليكما * ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

والى هذا أشار أبو تمام الطائى بقوله ظعنوا فكان بكاء حول بعدهم * ثم ارعويت وذاك حكم لبيد
وقال الشريف أبو السعادات المذكور أنشدنى أبو اسمعيل الحسين الطغرائى قلت قد تقدم ذكره لنفسه

اذا مالم تكن ملكا مطاعا * فكن عبدا لمالكه مطيعا * وان لم تملك الدنيا جميعا
كما تهواه فاتركها جميعا * هما سيبان من ملك ٣ * ينيلان الفتى الشرف الرفيعا
فمن يقنع من الدنيا بشئ * سوى هذين عاش بها وضيعا

وكان بين أبى السعادات المذكور وبين أبى محمد الحسن بن أحمد بن محمد بن حكينا البغدادى الحريمى الشاعر المشهور وهو المذكور فى ترجمة أبى محمد القاسم بن على الحريرى صاحب المقامات تنافس جرت العادة بمثله بين اهل الفضائل فلما وقف على شعره عمل فيه قوله

ياسيدى والذى يعيذك من * نظم قريض يصدا به الفكر
مالك من جدك النبى سوى * انك ماينبغى لك الشعر

وشعره وماجرياته كثيرة والاختصار أولى وكانت ولادته فى شهر رمضان سنة خمسين وأربعمائة وتوفى يوم الخميس السادس والعشرين من شهر رمضان سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة ودفن من الغد فى داره بالكرخ من بغداد رحمه الله تعالى والشجرى بفتح الشين المعجمة والجيم وبعدها راء هذه النسبة الى شجرة وهى قرية من اعمال المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وشجرة أيضا اسم رجل وقد سمت به العرب ومن بعدها وقد انتسب اليه خلق كثير من العلماء وغيرهم ولا أدرى الى من ينتسب الشريف المذكور منهما هل هو نسبة الى القرية أم الى أحد أجداده كان اسمه شجرة والله أعلم وقد تقدم الكلام على الكرخى رضى الله عنه فاغنى عن الاعادة

(أبو القاسم هبة الله بن الحسين بن يوسف وقيل أحمد المنعوت بالبديع الاسطرلابى الشاعر المشهور أحد الادباء الفضلاء)

٣ قوله من ملك الخ هكذا بالاصل والبيت مكسور ولعله من ملك وترك أو نحو ذلك اه مصححه

فيلسوف فى الآفاق وجمع من الفنون انحيار وشهد بفضله الكبار وسلب الشمس رتبة الاشتهار ثم درس فى مدرسة صاروجه باشا بقصبة كليبولى بخمسة وعشرين ثم بالمدرسة الحجرية بادرنه بثلاثين ثم المدرسة القلندرية بقسطنطينية باربعين ثم مدرسة سليمان باشا بازنيق بخمسين ثم ساعده الزمان فنقل الى احدى المدارس الثمان ثم الى مدرسة السلطان سليم خان فلما قضى منها الارب تقلد قضاء حلب ثم قضاء دمشق الشام ثم قضاء مصر ذات الاهرام ثم خانه الدهر ورماه بالتعب فعزل بعد ثلاثة أشهر بلا سبب فلم يثمر ذلك المنصب الا النصب ثم استقضى ثانيا بدمشق المحروسة ثم نقل الى قضاء بروسه ثم صار قاضيا بالعسكر المنصور فى ولاية أناطولى المعمورة فوفى حقوقه برأيه الرصين ودام عليه مدة ست سنين ثم عزل لامر يطول بيانه ويورث الكسل شرحه وتبيانه وحاصله صيانة أمر دينه الخطير ومخالفة الوزير الكبير وعين له كل يوم مائة وخمسون درهما على حسب العادة وان كان خليقا بالزيادة فلما وصل عمر هذا العرنين الى حدود الستين غاله أجله وانصرم عمله فحزن بموته كل شريف

كان وحيد زمانه فى عمل الآلات الفلكية متقنا لهذه الصناعة وحصل له من جهة عملها مال جزيل فى خلافة الامام المسترشد وله مامات لم يخلفه فى شغله مثله وقد ذكره أبو المعالى الحظيرى فى كتابه الذى سماه زينة الدهر وذكره العماد الكاتب الاصبهانى فى كتاب الخريدة وكل منهما اثنى عليه وأورد عدة مقاطيع من شعره فمن ذلك قوله

أهدى لمجلسه الكريم وانما * أهدى له ماحزت من نعمائه
كالبحر يمطره السحاب وماله * فضل عليه لانه من مائه

وهذان البيتان من أحسن شعره وقد قيل انهما لغيره وله أيضا

اذاقنى حمرة المنايا * لما كتسى خضرة العذار وقد تبدى السواد فيه * وكارتى بعد فى العيار

هكذا وجدت هذين البيتين فى زينة الدهر تأليف أبى المعالى الحظيرى منسوبين الى البديع المذكور ورأيت فى موضع آخر انهما لابى محمد بن حكينا المذكور فى ترجمة الشريف أبى السعادات بن الشجرى والله أعلم وهذه العبارة من اصطلاح البغاددة فانهم يقولون وكارتى بعد فى العيار بمعنى انه ناشب معه لم يتخلص منه والكارة عندهم فى الدقيق بمثابة الجملة فى ديار مصر ومن شعره أيضا

قال قوم عشقته أمرد الخد وقد قيل انه نكريش
قلت فرخ الطاوس أحسن ماكا * ن اذا ما علا عليه الريش

قوله نكريش لفظة أعجمية والاصل فيها نيك ريش معناها لحية جيدة وهو على ماتقرر من اصطلاح العجم انهم يقدمون ويؤخرون فى الفاظهم المركبة فنيك جيد وريش لحية وكان كثير الخلاعة يستعمل المجون فى اشعاره حتى يفضى به الى الفحش فى اللفظ فلهذا اقتصرت له على هذه النبذة مع كثرة شعره وكان قد جمعه ودونه واختار ديوان ابن حجاج ورتبه على مائة واحد وأربعين بابا وجعل كل باب فى فن من فنون شعره وقفاه وسماه درة التاج من شعر ابن حجاج وكان ظريفا فى حركاته وتوفى سنة أربع وثلاثين وخمسمائة بعلة الفالج ودفن بمقبرة الوردية بالجانب الشرقى من بغداد رحمه الله تعالى والاسطرلابى بفتح الهمزة وسكون السين المهملة وضم الطاء المهملة وبعدها راء ثم لام الالف ثم باء موحدة هذه النسبة الى الاسطرلاب وهو الآلة المعروفة قال كوشيار بن لبان بن باشهرى الجيلى صاحب كتاب الزيج فى رسالته التى وضعها فى علم الاسطرلاب ان الاسطرلاب كلمة يونانية معناها ميزان الشمس وسمعت بعض المشايخ يقول ان لاب اسم الشمس بلسان اليونان فكأنه قال اسطر الشمس اشارة الى الخطوط التى فيه وقيل ان أول من وضعه بطلميوس صاحب المجسطى وكان سبب وضعه له انه كان معه كرة فلكية وهو راكب فسقطت منه فداستها دابته فخسفتها فبقيت على هيئة الاسطرلاب وكان أرباب علم الرياضة يعتقدون ان هذه الصورة لاترسم الافى جسم كرى على هيئة الافلاك فلما رآه بطلميوس على تلك الصورة علم انه يرتسم فى السطح ويكون نصف دائرة ويحصل منه مايحصل من الكرة فوضع الاسطرلاب ولم يسبق اليه وما اهتدى أحد من المتقدمين الى ان هذا القدر يتأتى فى الخط ولم يزل الامر مستمرا على استعمال الكرة والاسطرلاب الى أن استنبط الشيخ شرف الدين الطوسى المذكور فى ترجمة الشيخ كمال الدين بن يونس رحمهما الله تعالى وهو شيخه فى فن الرياضة ان يضع المقصود من الكرة والاسطرلاب فى خط فوضعه وسماه العصا وعمل له رسالة بديعة وكان قد أخطأ فى بعض هذا الوضع فاصلحه الشيخ كمال الدين المذكور وهذبه والطوسى أول من أظهر هذا فى الوجود ولم يكن أحد من القدماء يعرفه فصارت الهيئة توجد فى الكرة التى هى جسم لانها تشتمل على الطول والعرض والعمق وتوجد فى السطح الذى هو مركب من الطول والعرض بغير عمق وتوجد فى الخط الذى هو عبارة عن الطول فقط بغير عرض ولا عمق ولم يبق سوى النقطة ولا يتصور أن يعمل فيها شئ لانها ليست جسما ولا سطحا ولا خطا بل هى طرف الخط كما ان الخط طرف السطح والسطح طرف الجسم والنقطة لاتتجزأ فلا يتصور ان يرتسم فيها شئ وهذا وان كان خروجا عما نحن بصدده لكنه أيضا فائدة والاطلاع عليه أولى من اهماله وسياق الكلام جره والله تعالى أعلم

ووضيع طفل رضيع وبكاء البعيد بكاء القريب كأنه للناس حميم أو نسيب واشمأز الخاطر فتمثلت بقول الشاعر (شعر)
أجرى المدامع بالدم المهراق خطب أقام قيامة الآماق
ان قيل مات فلم يمت من ذكره حى على مر الليالى باقى
وذلك فى السابع والعشرين من رمضان من شهور سنة خمس وخمسين وتسعمائة وكان المولى المرحوم طودا من المعارف والعلوم كاشف معضلات العلوم المشهورة رافع استار الفنون المستورة له فى العربية أيد يقصر عنها باع أبى عبيد لو طلع بغرته الغراء لفر من بين يديه الفراء ولو رأيت فى الفقه ابكار افكاره اللطيفة لحكمت بانه محمد أو أبو حنيفة والعجب انه مع ذلك الفضل الباهر والتقدم الظاهر ليس فيه رائحة عجب وتيه حلو الفكاهة طيب المعاشرة أبو المعارف أخو مكاشرة وكان رحمه الله عالى الهمة عظيم الشان يرى احسانه كل قاص ودان يغبطه الغيث على نواله وينسج البحر على منواله لم تجد راحته بدون المعروف راحة حيث جبل على الكرم والسماحة وكأنه وجد الخيار لنفسه فى خلقه فمن السخاء تكونا واذا أخذ فى العذل أقاربه ومن

(ابو القاسم هبة الله بن الفضل بن القطان عبد العز يز بن محمد بن الحسين بن على بن احمد بن الفضل بن يعقوب بن يوسف بن سالم المعروف بابن القطان الشاعر المشهور البغدادى)

قد سبق شئ من شعره وطرف من خبره فى ترجمة حيص بيص فى حرف السين وفى ترجمة ابن السوادى فى أواخر حرف العين وكان أبو القاسم المذ كور قد سمع الحديث من جماعة من المشايخ وسمع عليه وكان غاية فى الخلاعة والمجون كثير المزاح والمداعبات مغرى بالولوع بالمتجرفين والهجاء لهم وله فى ذلك نوادر ووقائع وحكايات ظريفة وله ديوان شعر وقد ذكره أبو سعد السمعانى فى كتاب الذيل فقال شاعر مجود مليح الشعر رقيق الطبع الا أن الغالب عليه الهجاء وهو ممن يتقى اسانه ثم قال كتبت عنه حديثين لا غير وعلقت عنه مقطعات من شعره وذ كر الحافظ السلفى أباه أبا عبد الله الفضل بن عبد العز يز وقال ان بعض أولاد المحدثين سأله عن مولده فقال سنة ثمانى عشرة وأر بعمائة ليلة الجمعة رابع عشر رجب وقال أبو غالب شجاع بن فارس الذهلى مات يوم الار بعاء ودفن من الغد لست بقين من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وأر بعمائة بمقبرة معروف الكرخى رضى الله عنه وذ كر العماد الكاتب الاصبهانى فى كتاب الخريدة أبا القاسم المذ كور فقال وكان مجمعا على ظرفه ولطفه وله ديوان شعر أكثره جيد وعبث فيه بجماعة من الاعيان وثلبهم ولم يسلم منه أحد لا الخليفة ولا غيره وأخبرنى بعض المشايخ انه رآه وقال كنت يومئذ صبيا فلم آخذ عنه شيأ لكنى رأيته قاعدا على طرف دكان عطار ببغداد والناس يقولون هذا ابن الفضل الهجاء وسمع الحديث من جماعة منهم أبوه وأبو طاهر محمد بن الحسن الباقلانى وأبو الفضل أحمد بن الحسن جيرون الامين وأبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن طلحة بن محمد بن عثمان الكرخى وغيرهم وله مع حيص بيص ماجريات فمن ذلك ان الحيص بيص خرج ليلة من دار الوز ير شرف الدين أبى الحسن على بن طراد الز ينبى فنبح عليه جرو كلب وكان متقلدا سيفا فوكزه بعقب السيف فمات فبلغ ذلك ابن الفضل المذ كور فنظم أبياتا وضمنها بيتين لبعض العرب قتل أخوه ابنا له فقدم اليه ليقتاد منه فالقى السيف من يده وأنشدهما والبيتان المذ كوران يوجدان فى الباب الاول من كتاب الحماسة ثم ان ابن الفضل المذ كور عمل الابيات فى ورقة وعلقها فى عنق كلبة لها أجر ورتب معها من يطردها وأولادها الى باب دار الوز ير كالمستغيثة فاخذت الورقة من عنقها وعرضت على الوز ير فاذا فيها

يا أهل بغداد ان الحيص بيص أتى * بفعلة أكسبته الخزى فى البلد
هو الجبان الذى أبدى تشاجعه * على جرى ضعيف البطش والجلد
وليس فى يده مال يديه به * ولم يكن ببواء عنه فى القود
فانشدت جعدة من بعد ما احتسبت * دم الابيلق عند الواحد الصمد
(أقول للنفس تأساء وتعزية * احدى يدى اصابتنى ولم ترد
كلاهما خلف من فقد صاحبه * هذا أخى حين ادعوه وذا ولدى)

والبيت الثالث مأخوذ من قول بعضهم

قوم اذا ما جنى جانيهم أمنوا * من لوم احسابهم ان يقتلوا قودا

وهو من جملة أبيات فى الكراس الذى أوله لقى بشار و ينظر فى الحماسة وهذا التضمين فى غاية الحسن ولم أسمع مثله مع كثرة ما يستعمل الشعراء التضمين فى اشعارهم الا ما أنشدنى الشيخ مهذب الدين أبو طالب محمد المعروف بابن الخيمى المذ كور فى ترجمة الشيخ تاج الدين الكندى فى حرف الراء لنفسه وأخبرنى انه كان بدمشق وقد رسم السلطان بحلق لحية شخص له وجاهة بين الناس فحلق نصفها وحصلت فيه شفاعة فعفى عنه فى الباقى فعمل فيه ولم يصرح باسمه بل رمزه وستره وهو

زرت ابن آدم لما قيل قد حلقوا * جميع لحيته من بعد ما ضربا * فلم أر النصف محلوقا فقمت له
مهنيا بالذى منها له وهبا * فقام ينشدنى والدمع يخنقه * بيتين ما نظما مينا ولا كذبا

يصاحبه و يقاربه يلاطفهم فى الجواب ويخاطبهم بهذا الخطاب (شعر)
أعاذل ان الجود ليس بمهلكى
ولا يخلد النفس الشحيحة لؤمها
وتذ كر اخلاق الفتى وعظامه
مغيبة فى الارض بال رميمها
ولنكتب من ايا ديه مثالا وتفاصيله اجمالا بيناهو جالس فى مجلسه وقاعد فى محافل أنسه اذ دخل عليه سائل بدمع سائل وابتاس فقر هائل فسارع نحوه بالاحترام وقصده بالعطية والانعام فامر باحضار ستين درهما فاذا غلط الخادم وأتى بالدنانير مكان الدراهم فما استكثره وما استكبره بل استقله واستصغره وأعطاه جملة الدنانير فكاد السائل من فرحه يطير حيث وصل فوق بغيته وأكثر من أمنيته ولما جمع المولى محيى الدين المشتهر بسباهى زاده حواشيه التى علقها على حاشية التجريد للشريف الجرجانى صدرها باسمه وعرضها عليه أعطاه مائة دينار ومدرسة بثلاثين وقد حسب ما حصل له مدة قضائه بالعسكر فبلغ الى سبعين ألف دينار ومات رحمه الله وعليه أربعة آلاف دينار وبالجملة كان رحمه الله للعلماء خاتما وللأجواد خاتما وفى الجود

(اذا اتتك لحلق الذقن طائفة * فاخلع ثيابك منها ممعنا هربا
وان أتوك وقالوا انها نصف * فان أطيب نصفيها الذى ذهبا)

والبيتان الاخيران منها فى كتاب الحماسة أيضا فى باب مذمة النساء لكن الاول منهما فيه تغيير فان بيت الحماسة

لا تنكحن عجوزا ان أتيت بها * واخلع ثيابك منها ممعنا هربا

وحضر ليلة الحيص بيص وابن الفضل المذ كور على السماط عند الوز ير فى شهر رمضان فاخذ ابن الفضل قطاة مشوية وقدمها الى الحيص بيص فقال الحيص بيص للوز ير يا مولانا هذا الرجل يؤذينى فقال الوز ير كيف ذلك قال لانه يشير الى قول الشاعر

تميم بطرق اللؤم اهدى من القطا * ولو سلكت سبل المكارم ضلت

وكان الحيص بيص تميميا كما تقدم فى ترجمته وهذا البيت للطرماح بن حكيم الشاعر وهو من جملة أبيات وبعد هذا البيت

أرى الليل يجلوه النهار ولا أرى * خلال المخازى عن تميم تجلت
ولو ان برغوثا على ظهر قملة * يكر على صفى تميم لولت

ودخل ابن الفضل المذ كور يوما على الوز ير المذ كور الز ينبى وعنده الحيص بيص فقال قد عملت بيتين ولا يمكن ان يعمل لهما ثالث لانى قد استوفيت المعنى فيهما فقال له الوز ير هاتهما فانشده

زار الخيال بخيلا مثل مرسله * فما شفانى منه الضم والقبل
ما زارنى قط الا كى يوافقنى * على الرقاد فينفيه و يرتحل

فالتفت الوز ير الى الحيص بيص وقال له ما تقول فى دعواه فقال ان اعادهما سمع الوز ير لهما ثالثا فقال له الوز ير أعدهما فاعادهما فوقف الحيص بيص لحظة ثم أنشد

وما درى ان نومى حيلة نصبت * لطيفه حين اعيا اليقظة الحيل

فاستحسن الوز ير ذلك منه وسمعت لبعض المعاصرين ولم أتحقق أنه له حتى اعينه وقد أخذ هذا المعنى ونظمه وأحسن فيه وهو

يا ضرة القمرين من لمتيم * ارديته وأحلت ذاك على القضا
وحياة حبك لم ينم عن سلوة * بل كان ذلك للخيال تعرضا
لا تاسفى ان زار طيفك فى الكرى * ما كان الا مثل شخصك معرضا

ثم وجدت هذه الابيات لابى العلاء ابن أبى الندى المعروف ولما هجا قاضى القضاة جلال الدين الز ينبى بالقصيدة الكافية المقدم ذكرها فى ترجمة ابن السوادى ولولا طولها لذكرتها سير اليه أحد الغلمان فاحضره وصفعه وحبسه فلما طال حبسه كتب الى مجد الدين بن الصاحب استاذ دار الخليفة أبياتا يقول فيها

اليك اطل مجد الدين اشكو * بلاء حل لست له مطيقا
وقوما بلغوا عنى محالا * الى قاضى القضاة الندب سيقا
فاحضرنى بباب الحكم خصم * غليظ جرنى كما وزيقا
واخفق نعله بالصفع راسى * الى ان اوجس القلب الخفوقا
على الخصم الاداء وقد صفعنا * الى ان ما تهدينا الطريقا
فيا مولاى هب ذا الافك حقا * ايحبس بعد ما استوفى الحقوقا

ولما خرج من السجن أنشد

عندى الذى طرف بى انه * قد غض من قدرى وآذانى
فالحبس ما غير لى خاطرا * والصفع ما لين آذانى

وقد سبق فى ترجمة الحيص بيص أبياته الميمية فى هجوه وجواب الحيص عنها ولما ولى الزينبى المذ كور الوزارة دخل عليه ابن الفضل المذ كور والمجلس محتفل باعيان الرؤساء وقد اجتمعوا للهناء فوقف بين يديه ودعا له وأظهر السرور والفرح ورقص فقال الوز ير لبعض من يفضى اليه بسره قبح الله هذا الشيخ فانه يشير برقصه الى ما تقول العامة فى امثالها ارقص للقرد فى زمانه وقد نظم هذا المعنى فى أبيات وكتبها الى بعض الرؤساء وهى

يا كمال الدين الذى * هو شخص مشخص
والرئيس الذى به * ذنب دهر يمحص
خذ حديثى فانه * نبأ سوف يرخص
كلما قلت قد تبغدد قومى تحمصوا

حاتما وكان فى طرف عال من تعظيم شعائر الله وكان من عادته انه لا يكتب شيأ بالقلم الذى يكتب به اسم الله عز وجل ومن عادته انه لا ينام ولا يضطجع فى بيت كتبه تعظيما للعلم الشريف وقد كتب رحمه الله تعالى عدة مقالات على منوال مقامات الحريرى وكتب حاشية على البيضاوى من أول الكتاب الى سورة طه وعلق حواشى على حاشية المولى جلال الدين الدوانى للتجريد وكتب أشياء أخر الا أنها لم تظهر بعد موته وكان رحمه الله ينظم الابيات بعدة ألسنة ولغات فمن نتائج طبعه الشريف بلسان عربى لطيف هذا الكلام الذى سلب الماء رقته وغصب النحل ريقته (قصيدة)
أرج الصبا من جانب العلياء
فغدا المعاهد طيب الارجاء
قد جاد بالعرف الجميل على الورى
فتبادر الارواح فى الاحياء
فكأن سلمى أرسلت من مرسل
وعقيصة من عنبر سوداء
أو حلت الازرار من ديباجها
من حلة مسكية فيحاء
أو اشفقت ريح على أهل الجوى
تهدى اليهم عرفها لشفاء
فى دارهم لا دار شرحوا لها
للعاشقين دواء أى دواء

ليس الاستريشا * ل و باب محصص وغواش على الرؤ * س عليها المقرنص
والرواشن والمنا * ظر والخيل ترقص وانا القـرد كل يو * م لـكلاب ابصبص
كل من صفق الزما * ن له قمت أرقص محن لا يفيـد ذا النون منها التبرصص
فتى أسمع الندا * ء وقد جاء مخلص

ومثل هذا قول بعضهم اذا رأيت امرأ وضيعا * قد رفع الدهر من مكانه
فكن له سامعا مطيعا * معظما من عظيم شانه * فقـد سمعنا بان كسرى
قد قال يوما لترجمانه * اذا زمان السباع ولى * ارقص الى القرد فى زمانه

(وحكى) انه دخل مرة على بعض أهل بغداد وقد تولى ولاية كبيرة ولم يكن من أهلها فسلم عليه ودعا له وهنأه بالولاية وأظهر الفرح والسرور ثم خرج فقال بعض الحاضرين هذا يشير الى قول الناس فى أمثالهم ارقص للقرد فى زمانه وله القصيدة الرائيـة المشهورة التى جمع فيها خلقا من الاكابر ونبز كل واحد منهم بشئ وفيها يقول تكريت تعجزنا ونحن بجهلنا * نمضى لنأخذ ترمذا من سنجر

ومنها البيت السائر وهو نسب الى العباس ليس شبيهه * فى الضعف غير الباقلاء الاخضر
وأنشدنى له بعض أصحابنا المتأدبين قوله

سعى احسانه بينى * وبين الدهر بالصلح ايادملات بيتى * على بيت من المدح

ودخل يوما على الوزير ابن هبيرة وعنـده نقيب الاشراف وكان ينسب الى البخل وكان فى شهر رمضان والحر شديد فقال له الوزير أين كنت فقال فى مطبخ سـيدى النقيب فقال له ويحك ايش عملت فى شهر رمضان فى المطبخ فقال وحياة مولانا كسرت الحر فيه فتبسم الوزير وضحك الحاضرون وخجل النقيب وهذا الكلام على اصطلاح أهل تلك البلاد فانهم يقولون كسرت الحر فى الموضع الفـلانى اذا اختار موضعا باردا يقيل فيه وقصد دار بعض الاكابر فى بعض الايام فلم يؤذن له فى الدخول فعز عليه فاخرجوا من الدار طعاما واطعموه كلاب الصيد وهو يبصره فقال مولانا يعمل بقول الناس لعن الله شجرة لا تظل أهلها وقعد يوما مع زوجته يأكل طعاما فقال لها اكشفى رأسك ففعلت وقرأ قل هو أحد فقالت له ما الخبر فقال ان المرأة اذا كشفت رأسها لم تحضر الملائكة عليهم السلام واذا قرأ قل هو الله أحد هربت الشياطين وأنا أكره الزحمة على المائدة وأخباره كثيرة وكانت ولادته سنة سبع وسبعين وأربعمائة وقال السمعانى سألتـه عن مولده فقال ولدت ضحى نهار الجمعة السابع من ذى الحجة سنة ثمان وسبعين وتوفى يوم السبت الثامن والعشرين من رمضان وقيل يوم عيد الفطر سنة ثمان وخمسين وخمسمـائة ببغداد ودفن بمقبرة معروف الكرخى رحمه الله تعالى وقال السمعانى توفى يوم عيد الفطر والله أعلم ولولا ايثار الاختصار لذكرت من احواله ومضحكاته شيأ كثيرا فانه كان آية فى هذا الباب وقوله فى الابيات الدالية ولم يكن ببواء عنه فى القود فالبواء بفتح الباء الموحدة وبعدها الواو والهمزة ممدودة ومعناه السواء يقال دم فلان بواء لدم فلان اذا كان مكافئا له وجعدة المذكورة فى هـذه الابيات أيضا بفتح الجيم والدال المهملة وبينهما عين مهملة ساكنة وهو اسم من أسماء الكلبة هكذا سمعته ولم أره فى شئ من كتب اللغة بل الذى قاله أرباب اللغة ان أبا جعـدة كنية الذئب وجعـدة اسم النعجة كنى الذئب بها لمحبته اياها والله أعلم

(القاضى السعيد ابن سناء الملك هبة الله ابن القاضى الرشيد أبى الفضل جعفر بن المعتمد سناء الملك أبى عبد الله محمد بن هبة الله بن محمد السعدى الشاعر المشهور المصرى)

صاحب الديوان الشعر البديع والنظم الرائق أحد الفضلاء الرؤساء النبـلاء وكان كثير التخصص والتنعم وافر السعادة محظوظا من الدنيا أخذ الحديث عن الحافظ أبى طاهر أحمد بن محمد السلفى الاصـبهانى رحمه الله تعالى واختصر كتاب الحيوان للجاحظ وسمى المختصر روح الحيوان وهى تسمية لطيفة وله ديوان جمعه موشحات سماه دار الطراز وجمع شيأ من الرسائل الدائرة بينه وبين القاضى الفاضل وفيـه كل معنى مليح

لكن من يهوى يموت بحسرة
وبمحنة وبدمعة حمراء
هل من سفير معرب فيعبر
عن حالة الشخص الضعيف النائى
فمخبر بلسان صدق ناطق
بصبابتى وبخلتى وولائى
وبان لى أرقا طويلا منذ ما
سامرتها فى ليلة قمراء
أين السرى أهـل الهوى نحو الحمى
فى رفقة من فرقة الفقراء
اذ أسرعت معى القـلوص بسيرها
مندوحة عن موضع وحداء
هبت هوى بالايشق غبارها
وتلقت الارياح بالبيداء
اذ ما قضت عن دجلة وطر الها
وأنختها بالخطة الخضراء
لما نجحت بستر باب جنته
حييتها بسكينة وحياء
من خيفـة ردت بجانب حاجب
فى خفية عن أعين الرقباء
ألقت حديثا جوف ليـل خافيا
عنهم الى باجمل الالقاء
يا حبذا عمر الفتى فى نيله
ما قد رجا زمنا بحسن رجاء
لكنه آن لطيف زائل
متسارع فى نقلة وفناء
كعمود دولاب يمر وينقضى
مر السحاب وشبه جرى الماء
هيهات هيهات النجاح بمرة
غير التى مرت من الآناء
فوق الجبال الراسيات طرائفى
ومع الاسود الضاريات مرائى
وبذا الزمان بدا الامور كما ترى
بالعكس فى الكرماء واللؤماء

واتفق

واتفق فى عصره بمصر جماعة من الشعراء المجيدين وكان لهم مجالس يجرى بينهم فيها مفاكهات ومحاورات يروق سماعها ودخل فى ذلك الوقت الى مصر شرف الدين بن عنين المقدم ذكره فى المحمدين فاحتفوا به وعملوا له دعوات وكانوا يجتمعون على ارغد عيش وكانوا يقولون هذا شاعر الشام وجرت لهم محافل سطرت عنهـم ولولا خشية الاطالة لذكرت بعضها ومن محاسن شعره بيتان من جملة قصيدة يمدح بها القاضى الفاضل رحمه الله تعالى وهما لو ابصر النظام جوهر ثغرها * لما شك فيه انه الجوهر الفرد
ومن قال ان الخيزرانة قدها * فقولوا له اياك ان يسمع القد

ومن شعره أيضا لا الغصن يحكيك ولا الجؤذر * حسنك مما كثروا أكثر
يا باسما أبدى لنا ثغره * عقدا ولكن كله جوهر قال لى اللاحى أما تستمع * فقلت يا لاحى أما تبصر

وله يتغزل بجارية عمياء شمسى بغير الشعر لم تحتجب * وفى سوى العينين لم تكسف
مغمدة المرهف لكنها * تجرح بالجفن بلا مرهف
رأيت منها الخلد فى جؤذر * ومقلتى يعقوب فى يوسف

وله فى غلام ضرب ثم حبس بنفسى من لم يضربوه لريبة * ولكن ليبدو الورد فى ساتر الغصن
ولم يودعوه السجـن الا مخافة * من العين ان تعدو على ذلك الحسن
وقالوا له شاركت فى الحسن يوسفا * فشاركه أيضا فى الدخول الى السجن

وله من جملة أبيات وما كان تركى حبه عن ملالة * ولكن لامر يوجب القول بالترك
أراد شريكا فى الذى كان بيننا * وايمان قلبى قد نهانى عن الشرك

وله أيضا يا عاطل الجيد الا من محاسنه * عطلت فيك الحشا الا من الحزن
فى سلك جفنى در الدمع منتظم * فهل لجيـدك فى عقـد بلا ثمن
لا تخش منى فانى كالنسيم ضنى * وما النسيم بمخشى على الغصن

وهذا البيت مأخوذ من قول ابن قلاقس وقد تقدم ذكره فى ترجمته وهو
اغيد ماهمت به روضة * اعل جسمى لا كون النسيم

ومن نثره فى وصف النيل فى سنة كان ناقصا ولم يوف الزيادة التى جرت بها العادة ويقال انه كتبه من جمـلة رسالة الى القـاضى الفاضل وهو وأما أمر الماء فانه نضبت مشارعه وتقطعت أصابعه وتيمم العمود لصـلاة الاستسقاء وهم المقياس من الضعف بالاستلقاء وهذا من أحسن ما يوصف به نقصان النيل وكان بمصر شاعر يقال له أبو المكارم هبة الله بن وزير بن مقلد الكاتب فبلغ القاضى السعيد المذكور عنه انه هجاه فاحضره اليه وادبه وشتمه وكتب اليه نشو الملك أبو الحسن على بن مفرج المغربى الاصل المصرى الدار والوفاة المعروف بابن المنجم الشاعر المعروف قل للسعيد أدام الله نعمته * صديقنا ابن وزير كيف تظلمه
صفعته اذ غدا يهجوك منتقما * فكيف من بعد هذا ظلت تشتمه
هجو بهجو وهذا الصفع فيه ربا * والشرع ما يقتضيه بل يحرمه
فان تقل ماله هجو عنـده ألم * فالصفع والله أيضا ليس يؤلمـه

ولما مدح السعيد المذكور شمس الدولة توران شاه أخا السلطان صلاح الدين المقدم ذكره فى حرف التاء بقصيدته التى أولها تقنعت لكن بالحبيب المعمم * وفارقت لكن كل عيش مذمم
تعصب عليه جماعة من شعراء مصر وعابوا هذا الاستفتاح وهجنوه فكتب اليه ابن الدروى الشاعر المذكور فى ترجمة سيف الدولة المبارك بن منقذ

قل للسعيد مقال من هو معجب * منه بكل بديعة ما أعجبا * لقصيدك الفضل المبين وانما
شعراؤنا جهلوا به المستغربا * عابوا التقنع بالحبيب ولو رأى الطائى ما قد حكته لتعصبا

ونوادر القاضى السـعيد كثيرة وتوفى فى العشر الاول من شهر رمضان سـنة ثمان وستمائة بالقاهرة وذكر

والناس قد نبذوا وراء ظهورهم
غر الوجوه وزمرة السعداء
الاخرقون بقبـة من عزة
وأولو النهى منبوذة بعراء
أضحى اللبيـب غمامـه كظلامه
لا يستبيـن وصبحه كمساء
وشؤنه شتى بربع دارس
فى صيفه وربيعه وشتاء
ورمان بالكره الزمان ورميه
لا فيه زيغ رمية بسواء
وبقيت فى هذا الحضيض وشيمتى
فى أوجها تعلو على الجوزاء
بمناط حد من مكارم جمة
أورثتها عن سادة الآباء
متسنمون بعهدهـم قنن العلا
متوسمون بحليـة الحنفاء
غصن كريم زاد طوبى عرقه
من عرقه وأصوله الكرماء
يلقى النفوس معطرا انفاسها
ومروحا للروح والسوداء
لا فى اعتبار للزمان وأهله
الاشكل البقلة الحمقاء
فالآن فى هـذا الضئيل تحمل
ما لا يطيق لعدله أكفائى
خطبى عظيم صاحبى وقيتما
من كربة فى غربة صماء
لا ترتجى تفصيله من قارض
أو كاتب بالشعر والانشاء
ما كان لى مع سوء حالى هذه
بين الورى سمح من الرحماء
لما رأوا منى تحمل شـدة
تبدو أبواعنى أشداباء
فتقطع الاسباب فى نيل المنى
عن دابر الاخفى نداء
فدعاء فى ازنيق طاب سكينه

صاحب الكمال فى عقود الجمان انه توفى يوم الاربعاء رابع الشهر المذكور رحمه الله تعالى وذكره العماد الكاتب فى كتاب الخريدة فقال كنت عند القاضى الفاضل فى خيمته بمرج الدلهمية ثامن عشر ذى القعدة سنة سبعين وخمسمائة فأطلعنى على قصيدة له كتبها اليه من مصر وذكر أن سنه لم يبلغ العشرين سنة فأعجبت بنظمه ثم ذكر القصيدة العينية التى أولها

فراق قضى للهم والقلب بالجمع * وهجر تولى صلح عينى مع الدمع

وعلى هذا التقدير يكون مولده فى حدود سنة خمسين وخمسمائة وقيل انه توفى سنة ثمان وأربعين والله أعلم ثم قال العماد بعد الفراغ من ذكر هذه القصيدة ثم وصل يعنى القاضى السعيد المذكور الى الشام فى شهر رمضان سنة احدى وسبعين وخمسمائة فى الخدمة الفاضلية فوجدته فى الذكاء آية قد أحرز فى صناعة النظم والنثر غاية تلقى عرابة العربية له باليمين رايه وقد ألحقه الاقبال الفاضل فى الفضل قبولا وجعل طين خاطره على الفطنة مجبولا وأنا أرجو أن ترقى فى الصناعة رتبته وتفرز عند تمادى أيامه فى العلم بقيته وتصفو من الصبا منقبته وتروى بماء الدراية رويته وتستكثر فوائده وتؤثر قلائده وتوفى والده جعفر فى منتصف شهر رمضان سنة ثمانين وخمسمائة ثم رأيت بخط بعض أصحابنا ممن له عناية بهذا الفن انه توفى يوم الثلاثاء خامس ذى الحجة سنة اثنتين وتسعين ومولده منتصف شوال سنة خمس وعشرين وخمسمائة والله أعلم وأبو المكارم هبة الله بن وزير بن مقلد الشاعر المصرى المذكور فى هذه الترجمة فان العماد الاصبهانى ذكره فى كتاب الخريدة وقال مررت الى مصر فى سنة ست وتسعين وخمسمائة فسألت عنه فأخبرت بوفاته رحمه الله تعالى

(ابو القاسم وابو الكرم هبة الله بن على بن مسعود بن ثابت بن هاشم بن غالب بن ثابت الانصارى الخزرجى المنستيرى الاصل المصرى المولد والدار المعروف بابوصيرى)

كان أديبا كاتبا له سماعات عالية وروايات تفرد بها وألحق الاصاغر بالاكابر فى علو الاسناد ولم يكن فى آخر عصره فى درجته مثله وسمع بقراءة الحافظ أبى طاهر السلفى وابراهيم بن حاتم الاسدى على أبى صادق مرشد بن يحيى بن القاسم المدينى امام الجامع العتيق بمصر رحمهم الله تعالى والبوصيرى المذكور آخر من روى فى الدنيا كلها عن أبى صادق مرشد بن يحيى بن القاسم المدينى المذكور وأبى الحسين على بن الحسين بن عمر الفراء الموصلى وأبى عبد الله محمد بن بركات هلال السعيدى النحوى سماعا وروى أيضا عن أبى الفتح سلطان بن ابراهيم بن المسلم المقدسى وهو آخر من روى عنه سماعا فى الارض كلها وسمع عليه الناس وأكثروا ورحلوا اليه من البلاد وكان جده مسعود قدم من المنستير الى بوصير فأقام بها الى أن عرف فضله فى دولة المصريين فطلب الى مصر وكتب فى ديوان الانشاء وولده على والد أبى القاسم المذكور بمصر واستقر وابها واشتهروا وكان أبو القاسم يسمى سيد الاهل أيضا لكن هبة الله أشهر وكانت ولادته سنة ست وخمسمائة بمصر وقيل بل ولد يوم الخميس خامس ذى القعدة سنة خمسمائة وتوفى الليلة الثانية من صفر سنة ثمان وتسعين وخمسمائة ودفن بسفح المقطم وقال ياقوت الحموى فى كتاب البلدان المشتركة الاسماء انه مات فى شوال رحمه الله تعالى والخزرجى بفتح الخاء المعجمة وسكون الزاى وفتح الراء وبعدها جيم هذه النسبة الى الخزرج وهو أخو الاوس بفتح الهمزة وسكون الواو وبعدها سين مهملة وهما ابنا حارثة بن ثعلبة ابن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء وتمام النسب معروف وهما ابنا قيلة بفتح القاف وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح اللام وبعدها هاء ساكنة ومن ذريتهما أنصار النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة والمنستير بضم الميم وفتح النون وسكون السين المهملة وكسر التاء المثناة من فوقها وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء وهى بليدة بافريقية بناها هرثمة بن أعين الهاشمى فى سنة ثمانين ومائة وكان هرون الرشيد قد ولاه افريقية وقدم اليها يوم الخميس لثلاث خلون من شهر ربيع الآخر سنة تسع وسبعين ومائة وقد تقدمت الحوالة على هذا الموضع فى ترجمة الامير تميم بن المعز بن باديس وبوصير بضم الباء الموحدة وسكون

الواو وكسر الصاد المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء وتعرف ببوصير قوريدس ويقال كوريدس وهى بليدة باعمال البهنسا من صعيد مصر وقد تقدم الكلام فى ترجمة عبد الحميد الكاتب على بوصير الفيوم وبالجيزة أيضا بليدة يقال لها بوصير السدر وبكورة السمنودية أيضا بليدة يقال لها بوصير فهذا الاسم يشترك فيه أربعة بلاد والكل بالديار المصرية والمنستير معبد بين المهدية وسوسة يأوى اليه الصالحون المنقطعون للعبادة فيه قصور شبيهة بالخانقاهات وعلى تلك القصور سور واحد ذكره ياقوت فى كتابه

(ابو الحسن هبة الله بن ابى الغنائم بن التلميذ الطبيب صاعد بن هبة الله بن ابراهيم بن على المعروف بابن التلميذ النصرانى الطبيب الملقب أمين الدولة البغدادى)

ذكره العماد الاصبهانى فى كتاب الخريدة فقال سلطان الحكماء وبالغ فى الثناء عليه وقال هو مقصد العالم فى علم الطب بقراط عصره وجالينوس زمانه ختم به هذا العلم ولم يكن فى الماضين من بلغ مداه فى الطب عمر طويلا وعاش نبيلا جليلا ورأيته وهو شيخ بهى المنظر حسن الرواء عذب المجتلى والمجتنى لطيف الروح ظريف الشخص بعيد الهم عالى الهمة ذكى الخاطر مصيب الفكر حازم الرأى شيخ النصارى وقسيسهم ورأسهم ورئيسهم وله فى النظم كلمات رائقة وحلاوة جنيه وغزارة بهيه ومن شعره لغزا فى الميزان

ماواحد مختلف الاسماء * يعدل فى الارض وفى السماء * يحكم بالقسط بلا رياء
أعمى يرى الارشاد كل راء * أخرس لامن علة وداء * يغنى عن التصريح بالايماء
يجيب ان ناداه ذو امتراء * بالرفع والخفض عن النداء * يفصح ان علق فى الهواء

فقوله مختلف الاسماء يعنى ميزان الشمس وهو الاسطرلاب وسائر آلات الرصد وهو معنى قوله يحكم فى الارض وفى السماء وميزان الكلام النحو وميزان الشعر العروض وميزان المعانى المنطق وهذه الميزان والمكيال والذراع وغير ذلك ثم ذكر بعد ذلك جملة من مقاطيع شعره نأتى بذكر بعضها ان شاء الله تعالى وذكر فى ترجمة الحكيم معتمد الملك أبى الفرج يحيى بن التلميذ النصرانى الطبيب ما مثاله وكان أبو الحسن ابن صاعد حين توفى معتمد الملك أبو الفرج قام مقامه وهو ابن بنته فنسب اليه وعرف به وذكر فى كتاب انموذج الاعيان من شعراء الزمان فيمن أدرك بالسماع أو بالعيان ان ابن التلميذ المذكور كان متفننا فى العلوم ذا رأى رصين وعقل متين طالت خدمته للخلفاء والملوك وكانت منادمته أحسن من التبر المسبوك والدر فى السلوك اجتمعت به مرارا فى آخر عمره وكنت أعجب فى أمره كيف حرم الاسلام مع كمال فهمه وغزارة عقله وعلمه والله يهدى من يشاء بفضله ويضل من يريد بحكمه وكان اذا ترسل استطال وسطا واذا نظم وقع بين أرباب النظم وسطا وأورد شيأ من شعره أيضا وذكره أبو المعالى الحظيرى المقدم ذكره فى حرف الشين فى كتابه زينة الدهر وأورد له مقاطيع فمن ذلك قوله

يامن رمانى عن قوس فرقته * بسهم هجر على تلافيه
ارض لمن غاب عنك غيبته * فذاك ذنب عقابه فيه

وذكر العماد فى الخريدة البيت الثانى منسوبا الى محمد بن حكينا البغدادى وضم اليه بعد هذا قوله

لو لم ينله من العقاب سوى * بعدك عنه لكان يكفيه

وذكر له الحظيرى أيضا

عاتبت اذ لم يزر خيالك والنوم بشوقى اليك مسلوب
فزارنى منعما وعاتبنى * كما يقال المنام مقلوب

ومما ذكره العماد فى الخريدة فقال وأنشدنى أبو المعالى هبة الله بن الحسن بن محمد بن عبد المطلب فقال أنشدنى أبو الحسن بن التلميذ لنفسه

كانت بلهنية الشبيبة سكره * فصحوت واستأنفت سيرة مجمل
وقعدت ارتقب الغناء كراكب * عرف المحل فبات دون المنزل

بمشاهد النجباء والشهداء
مستجمع الشروط بحيالها
مستشفعا عن اكرم الشفعاء
جلى تحيات عليه جميعها
حتى القيامة عدة الاشياء
متضرعا لله جل صفاته
وعلت له الحسنى من الاسماء
وبى خزائن كل شئ عنده
آلاؤه جلت عن الاحصاء
ومراقبا لاجابة من عنده
سبحانه ربى سميع ندائى
(ويقول فى قصيدة ميمية)
وكنت من الجيل الجميل خصالهم
أولئك أعلام العلوم عظام
وقد شيد أس العلم بيتا معظما
وجل له سقف وعز دعام
رفيع البنا فوق السموات منزلا
عزيز المحل عن أن يكون يرام
وقد ساد من بين الخليقة أهله
فهم سادة فى العالمين فخام
وودعت لذاتى على نيل نيلهم
وقلت على ميل النفوس سلام
تجنبت بحجب النفس عن أكل مطمع
بسوءلى هذا اما على ملام
(وفيها يقول)
كفانى كفاف النفس ما أنا قاصد
الى دولة فيها الانام خصام
فهل هى الا نحو طيف اناعس
وهل هى الا ما أراه منام
فيا عجبا لامرء يعقد قلبه
على شهوات ضرهن لزام
ولله صعلوك قنوع بحظه
وما معه عند اللئام لؤام
قناعته أغنته عن كل حاجة
فذاك أمير والزمان غلام
(وفيها يقول)
وشأن الفتى لا يستقر بحالة
حوادث دهر ما لهن نظام
فسكر وصحو وعزة ومذلة
سرور وغم صحة وسقام
لاعوام ملك غاية ونهاية
وأيام عز آخر وتمام
وعمران أرض عرضة لخرابها
ولذات عمران علمت سمام
فان كنت مما قلت فى شق ريبة
وعندك فيه مرية وخصام
فسر واعتبر بالخاويات على الثرى
أفيها قعود هل ترى وقيام
(وله بالفارسية)
أين عاشق نه از خود اى پارسا خدارا
اكنون مكن ملامت درويش بى نوارا
من جام عشق جانان روز ازل كشيدم
زان دم خراب ومستم كو يار آشنارا
زان روز اسير يارم رسواى روزكارم
بى صبر وبى قرارم رحمى كن اين كدارا
حسنت عالم آرا عشقت حالت افزا
ديكر چه كونه كويم ياران باصفارا
مستى وباده نوشى از خور نشد محمد
اى پير پاك مشرب عذرم شنو خدارا

والثانى منهماذ كره ابن المنجم فى كتاب البارع لمسلم بن الوليد الانصارى وذ كرأن محمد بن حكينا المذ كور
مرض فقصده ليعالجه فعالجه فلما عوفى أعطاه دراهم فعمل فيه شعرا

لما تيممته وبى مرض * الى التداوى والبرء محتاج * آسى وواسى فعدت أشكره
فعل امرئ للهم فراج * فقلت اذ برنى وأبرأنى * هـذا طبيب عليه زرياج

وعمل فيه أيضا فى المعنى

جادوا ستنقذ المريض وقدكا * دضنى ان يلف ساقا بساق
والذى يدفع المنون عن النفـ * ـس جدير بقسمة الارزاق

وقصد مرة ان يعبر اليه دجلة ليداويه فكتب اليه شعرا

ان امرأ القيس الذى * هام بذات المحمل
كانت شفاه عبرة * وعبرة تصلح لى

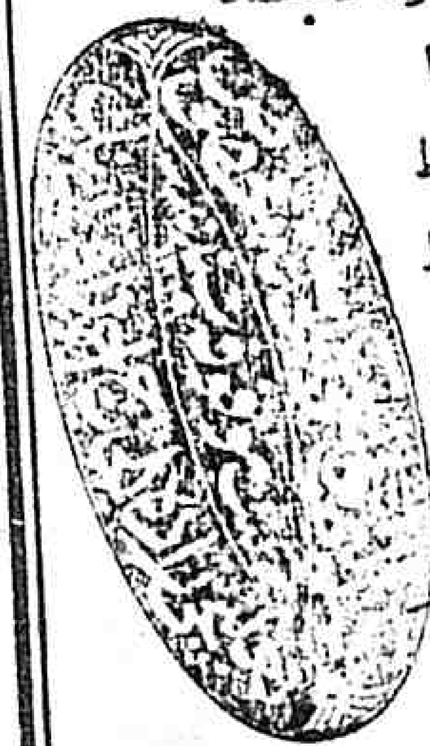
وكان ابن حكينا المذ كور قد عمى فى آخر عمره وجرت بينهما منافرة فى أمر واشتهى مصالحته فكتب اليه

واذا شئت ان تصالح بشا * ربن برد فاطرح عليه أباه

فسير اليه ما طلب واسترضاه وكانت له معه وقائع كثيرة وانما كتب اليه هذا البيت لان بشار بن برد كان أعمى كما تقدم ذكره فى ترجمته فلما عمى شبه نفسه به وكان مطلوبه بردا ومعنى قوله فاطرح عليه أباه لان عادة أهل بغداد اذا أراد الانسان ان يصالح من خاصمه والخصم ممتنع يقال له اطرح عليه فلانا يعنى ادخل عليه به ليشفع له وقد حصلت له التورية فى هذا البيت ومن الشعر المنسوب اليه وهو مشهور قوله ثم وجدتهما للناصح ابن الدهان النحوى الموصلى

تعس الزمان فللغرام قضية * ليست على نهج الحجى تنقاد
منها بقاء الشوق وهو بزعمهم * عرض وتفنى دونه الاجساد

وله أيضا وذكر العماد فى الخريدة ان هذين البيتين لابى على المهندس المصرى وهما



تقسم قلبى فى محبة معشر * بكل فتى منهم هواى منوط
كان فؤادى مركز وهم له * محيط وأهوائى اليه خطوط

وله أيضا

جودة كالطبيب فيها يداوى * سوء أحوال الناحسن الصنيع
فهو كالموميا اذا انكسر العظـ * ـم ومثل الترياق للملسوع

ثم وجدت هذين البيتين فى ديوان ابن الحجاج الشاعر وقوله فى ولده سعيد

حبى سعيدا جوهر ثابت * وحبه لى عرض زائل
به جهاتى الست مشغولة * وهو الى غيرى بها مائل

وكان أبو القاسم على بن أفلح الشاعر المتقدم ذكره قد نقه من المرض وهو يعالجه فكتب اليه يشكو جوعه وقد نهاه عن استعمال الغذاء الا بأمره والذى كتبه

أنا جوعان فانقذ * نى من هذى المجاعه
فرجى فى الكسرة الخبـ * ـز ولو كانت قطاعه
لا تقل لى ساعة تصـ * ـبر ما لى صبر ساعه
فهواى اليوم لا يقـ * ـبل فى الخبز شفاعه

فوقف ابن التلميذ على هذه الابيات وكتب اليه جوابها

هكذا الاضياف مثلى * يتشا كون المجاعه
غير انى لست أعطيـ * ـك مضرا بشفاعه
فتعلل بسويق * فهو خير من قطاعه
بحياتى قل لما نر * سمه سمعا وطاعه

فلما وصلت الابيات الى ابن افلح كتب اليه الجواب

ان مرسومك عندى * قد توخيت استماعه
غير انى لم أقل من * نيتى سمعا وطاعه
ودفعت الجوع والله فلم استطع دفاعه
فاكفنى كلفة الا * ن وجنبنى صداعه

فكتب اليه ابن التلميذ

أنا فى الشعر ضعيف الطبـ * ـع منزور البضاعه
ولك الخاطر قد أو * تى طبعا وصناعه
ومتى لم تكف شر السـ * ـجوع لم تكف صداعه
فعلى اسم الله قدم * أخذه من بعد ساعه

وكان

(وله أيضا)
عاشق كيسوى مشكينم
بكو جانانه را
شفقتى زنجيرمى بايد چنين
ديوانه را
دارم اندرسينه مهران برى
پيكر كنون
من بكنج آبا كردم كنج اين
ويوانه را
حالت عشق وجنون ازعاشق
ويرانه پرس
بجان مـن ازمن شنو اين
دلفريب افسانه را
انكسارم زانكه آمد نوبتم
وربزم مى
سنك زد ساقى پيمان شكن
پيمانه را
دام ذلت رانمى افتد محمد
بهرمال
شاهباز اوج استغنا نخواهد
دانه را
(زلفت راشح نوايى)
تلبـه رابدردل قاتيـق
يارموايكن تدبيرايكا
هرنه دم كم پند بردم قيلمادى
تاثيرا كا
ايتب ابردم كوش نصيحت
أول سنى كوش ايتمدى
هرنى باب وفضلدن قيلمشم
تعزيرا كا
اوزا تكه عالمغه نوشب نايدى
بوعالمدين خلاص
اوزاوز يدين هم بو نوا يرش
مكرتقديرا كا
مين نى قلغاى مين فنا بازار
ينكر رسوا يبوز
هرنى كم تقدير قلغاى بولغاى
تقـديرا كا
نى معالجه بن اثر تابقاى
نى ناصحدن خبر

وكان بين ابن التلميذ المذ كور وبين أوحد الزمان أبى البركات هبة الله بن على بن ملكان الحكيم المشهور صاحب كتاب المعتبر فى الحكمة تنافر وتنافس كما جرت العادة بمثله بين أهل كل فضيلة وصنعة ولهما فى ذلك أمور ومجالس مشهورة وكان يهوديا ثم أسلم فى آخر عمره وأصابه الجذام فعالج نفسه بتسليط الافاعى على جسده بعد ان جوّعها فبالغت فى نهشه فبرئ من الجذام وعمى وقصته فى ذلك مشهورة فعمل فيه ابن التلميذ المذ كور

لنا صديق يهودى حماقته * اذا تكلم تبدو فيه من فيه
يتيه والكلب أعلى منه منزلة * كأنه بعد لم يخرج من التيه

وكان ابن التلميذ كثير التواضع وأوحد الزمان متكبرا فعمل فيهما البديع الاسطرلاب المقدم ذكره

أبو الحسن الطبيب ومقتفيه * أبو البركات فى طرفى نقيض
فهذا بالتواضع فى الثريا * وهذا بالتكبر فى الحضيض

ولابن التلميذ فى الطب تصانيف مليحة فمن ذلك كتاب أقراباذين وهو نافع فى بابه وبه عمل اطباء هذا الزمان وله كتابان وحواش على كليات ابن سينا وغير ذلك وكان شيخه فى الطب أبا الحسن هبة الله بن سعيد صاحب التصانيف المشهورة منها كتاب التلخيص والمغنى فى الطب وهو جزء واحد وكتاب الاقناع وهو أربعة أجزاء وقد انتقدوا عليه هذه التسمية وقالوا كان ينبغى أن يكون الامر بالعكس لان المغنى هو الذى يغنى عن غيره فكان الكتاب الاكبر أولى بهذا الاسم والاقناع هو الذى تقع القناعة به فالمختصر أولى بهذا الاسم وله كل شئ مليح من تصنيف فى طب أو أدب وكان حسن السمت كثير الوقار حتى قيل انه لم يسمع منه بدار الخلافة مدة تردداه اليها شئ من المجون سوى مرة واحدة بحضرة المقتفى الخليفة وذلك انه كان له راتب بدار القوارير ببغداد فقطع ولم يعلم الخليفة بذلك فاتفق انه كان عنده يوما فلما عزم على القيام لم يقدر عليه الا بكلفة ومشقة من الكبر فقال له المقتفى كبرت يا حكيم فقال نعم يا مولانا وتكسرت قواريرى وهذا فى اصطلاح أهل بغداد ان الانسان اذا كبر يقال تكسرت قواريره فلما قال الحكيم هذه اللفظة قال الخليفة هذا الحكيم لم أسمع منه هزلا منذ خدمنا فافا كشفوا قضيته فكشفوها فوجدوا راتبه بدار القوارير قد انقطع فطالعوا الخليفة بذلك فتقدم بردها عليه وكان الذى قد قطعه الوزير عون الدين بن هبيرة وزاده اقطاعا آخر وأخباره كثيرة وتوفى فى صفر سنة ستين وخمسمائة ببغداد وقد ناهز المائة من عمره وقال ابن الازرق الفارقى فى تاريخه مات ابن التلميذ فى عيد النصارى وكان قد جمع من سائر العلوم مالم يجتمع فى غيره ولم يبق ببغداد من الجانبين من لم يحضر البيعة وشهد جنازته وليس فى هذه الترجمة ما يحتاج الى التقييد سوى ملكان جد أوحد الزمان وهو بفتح الميم والكاف وبينهما لام ساكنة وبعد الالف نون وقد تقدم فى ترجمة ابن الجواليقى ما دار بينهما بحضرة الامام المقتفى قلت وبعد فراغى من ترجمة أمين الدولة بن التلميذ المذ كور وقفت على كتاب جمعه شيخنا موفق الدين أبو محمد عبد اللطيف بن يوسف البغدادى وجعله سيرة لنفسه وجمعه بخطه وذ كر فى أوائله ابن التلميذ ووصفه بالعلم فى صناعة الطب وأصابته ثم قال ومنها انه أحضرت اليه امرأة محمولة لا يعرف أهلها فى الحياة هى أم فى الممات وكان الزمان شتاء فأمر بتجريدها وصب عليها الماء المبرد صبا متتابعا كثيرا ثم أمر بنقلها الى مجلس دفئ قد بخر بالعود والندود فثئت باصناف الغراء ساعة فعطست وتحركت وقعدت وخرجت ماشية مع أهلها الى منزلها ومنها انه أتى مرة بمريض يعرق دما فى زمن الصيف فسأل تلاميذه وقد رخمسين نفسا فلم يعرفوا المرض فامره با كل خبز شعير مع باذنجان مشوى ففعل ذلك ثلاثة أيام فبرئ فسأله أصحابه عن العلة قال ان دمه قدرق ومسامه قد تفتحت وهذا الغذاء من شأنه تغليظ الدم وتكثيف المسام ومن مروءته ان ظهر داره كان يلى المدرسة النظامية فاذا مرض فقيه نقله اليه وقام فى مرضه عليه فاذا أبل صرفه وذ كر شيخنا موفق الدين قبل ان هذا ولد أمين الدولة المذ كور كان شيخه قد انتفع به وكان شيخنا قد ناهز ثمانين سنة ولديه تجربة فاضلة وغوص على أسرار الطبيعة برى الامراض كانها وراء زجاج لا يعتريه فيها ولا فى مداواتها شك وكان أكثر ما يصف المفردات أو ما يقل تركيبه ولم أر من

اى محمد خليفة خايفة
قويمق ايرتدبيرا كا
(وله أيضا)
جانغايتدى ردوغم قيلماس
دمى جانان انكا
اول جهاندن فارغ وبولماش
جهان حيران انكا
اوفراغت عالمية دردد
لدين بى خبر
مين جنون دشتنة بولدم
زار وسركردان انكا
أورجكب فريادين يتوركه
اول قوباش
بوتعالى دالاحل تيماس
دمى افغان انكا
مين اوزمدين باردم اوبازعاج
نطاردين بولغاى
مين اوزمكا اول سكا كلمالك
امكان ايماس اكا
اى محمد تابدى كوب جوره
جفا شيدا كونكل
مين نه قلغاى مين وفا قيلماس
كوكل الغان اكا
(وله أيضا)
أفلا برثى لحالى افلا
قمر فى السحب عنى أفلا
قلت مر العيش والعمر
انقضى
قال لى مه كلما مر حلا
(وله أيضا)
اكرآن مى دهد جانى
بدر كاهش مسرمارا
رسد بركلاه ما برفعت چرخ
والارا
تومى درد لبرى افزون زمهرو
يان دهرا كنون
كه مه ازروزن كردون همى
ايدتماشارا
وله أشعار تركية لطيفة
أضربنا عن ذكرها لشهرتها

يستحق الطب غيره وكان يقول ينبغى للعاقل أن يختار من الثياب مالا تحسده عليه العامة ولا تحتقره فيه الخاصة وكان لباسه الابيض الرفيع ثم قال وخنق فى دهليز داره الثلث الاول من الليل وكان قد أسلم قبل موته وفى نفسى عليه حسرات رحمه الله تعالى نقلته ملخصا

(أبو عبد الله هرون بن على بن يحيى بن أبى منصور المنجم البغدادى الاديب الفاضل)

وقد تقدم ذكر ولده على فى حرف العين وكان هرون المذكور حافظا راوية للاشعار حسن المنادمة لطيف المجالسة صنف كتاب البارع فى اخبار الشعراء المولدين وجمع فيه مائة وواحدا وستين شاعرا وافتتحه بذكر بشار بن برد العقيلى وختمه بمحمد بن عبد الملك بن صالح واختار فيه من شعر كل واحد عيونه وقال فى أوله انى لما عملت كتابى فى اخبار شعراء المولدين ذكرت ما اخترته من أشعارهم وتحريت فى ذلك الاختيار أقصى ما بلغته معرفتى وانتهى اليه علمى والعلماء يقولون دل على عاقل اختياره وقالوا اختيار الرجل من وفور عقله وقال بعضهم شعر الرجل قطعة من كلامه وظنه قطعة من عقله واختياره قطعة من علمه وطول الكلام فى هذا وذكر ان هذا الكتاب مختصر من كتاب ألفه قبل هذا فى هذا الفن وانه كان طويلا فحذف منه أشياء فاقتصر على هذا القدر وبالجملة فانه من الكتب النفيسة فانه يغنى عن دواوين الجماعة الذين ذكرهم فانه اختصر أشعارهم وأثبت منها زبدتها وترك زبدها وهذا الكتاب هو الذى ذكرته فى ترجمة العماد الكاتب الاصبهانى وقلت ان كتاب الخريدة وكتاب الخطيرى والباخرزى والثعالبى فروع عليه وهو الاصل الذى نسجوا على منواله وله كتاب النساء وما جاء فيهن من الخبر ومحاسن ما قيل فيهن من الشعر والكلام الحسن ولم أظفر له بشئ من الشعر حتى أورده وذكره فى كتابه البارع المذكور أباه أبا الحسن على بن يحيى بن أبى منصور وسرد له مقاطيع وقد ذكرته فى ترجمة مفردة فى حرف العين فلينظر هنالك ثم أردفه بذكر أخيه يحيى بن على بن يحيى وعدله جملة مقاطيع أوردها ولا حاجة بنا الى ذكرها فى هذا الموضع بل نذكرها فى ترجمته ان شاء الله تعالى وتوفى أبو عبد الله المذكور سنة ثمان وثمانين ومائتين وهو حدث السن رحمه الله تعالى وسيأتى ذكر أخيه يحيى بن على فى حرف الياء ان شاء الله تعالى وكان أبو منصور جد أبيه منجم أبى جعفر المنصور أمير المؤمنين وكان مجوسيا وكان ابنه يحيى متصلا بذى الرياستين الفضل بن سهل المقدم ذكره وكان الفضل يعمل برأيه فى أحكام النجوم فلما حدثت الكائنة على الفضل حسبما ذكرناها فى ترجمته صار يحيى المذكور منجم المأمون ونديمه فاجتباه واختص به ورغبه فى الاسلام فاسلم على يده فصار بذلك مولاه وهم أهل بيت فيهم جماعة من الفضلاء والادباء والشعراء جالسوا الخلفاء ونادموهم وقد عقد لهم الثعالبى فى كتاب اليتيمة بابا مستقلا وذكر فيه جماعة منهم رحمهم الله تعالى وتوفى يحيى المذكور بحلب عند خروج المأمون الى طرسوس ودفن بها فى مقابر قريش وقبره هنالك مكتوب عليه اسمه

(أبو المنذر هشام بن عروة بن الزبير بن العوام القرشى الاسدى)

وقد تقدم ذكر أبيه فى حرف العين وكان هشام أحد تابعى المدينة المشهورين المكثرين فى الحديث المعدودين من أكابر العلماء وجلة التابعين وهو معدود فى الطبقة الرابعة من أهل المدينة رضى الله عنهم وسمع من عمه عبد الله بن الزبير وابن عمر رضى الله عنهما ورأى جابر بن عبد الله الانصارى وأنس بن مالك وسهل بن سعيد وقيل انه رأى ابن عمر ولم يسمع منه وروى عنه يحيى بن سعيد الانصارى وسفيان الثورى ومالك بن أنس وأيوب السختيانى وابن جريج وعبيد الله بن عبد الله بن عمر والليث بن سعد وسفيان بن عيينة ويحيى بن سعيد القطان ووكيع وغيرهم وقدم الكوفة أيام أبى جعفر المنصور فسمع منه الكوفيون وكانت ولادته سنة احدى وستين للهجرة وقال أبو اسحق ابراهيم بن على بن محمد الذهلى ولد عمر بن عبد العزيز وهشام بن عروة والزهرى وقتادة والاعمش ليالى قتل الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما وكان قتله يوم عاشوراء سنة احدى وستين للهجرة وقدم بغداد على المنصور وتوفى بها سنة ست وأربعين

(ومن العلماء الاعيان السيد حسن بن سنان)

ولد رحمه الله فى قصبة نيكسار فخرج طالبا للعلم من هذه الديار فدار البلاد حتى انتظم فى سلك أرباب الاستعداد ثم وصل الى خدمة المفتى أبى السعود وهو فى مدرسة كليوزه فاشتغل عليه ثمان سنين فنال به أعلى المراتب ووصل الى أشرف المآرب ثم صار ملازما من المولى خير الدين معلم السلطان سليمان ثم تقلد مدرسة الامير ببروسه بخمسة وعشرين ثم مدرسة عبد السلام بحكمجه بثلاثين ثم مدرسة قره كوز باشا بقصبة قلبه بأربعين ثم مدرسة مناستر بخمسين ثم مدرسة زوجة السلطان سليمان بقسطنطينية ثم نقل الى احدى المدارس الثمان ثم قلد قضاء حلب ثم نقل الى مكة واستقر فيها مدة خمس سنين وقد رأيت أهل الحرم يشكرونه ويدعون له بالخير ثم نقل الى قضاء بروسه ثم نقل الى قضاء ادرنه ثم عزل وعين له كل يوم تسعون درهما بطريق التقاعد وتوفى سنة خمس وسبعين وتسعمائة ليلة العيد من ذى الحجة وكان المولى المرحوم مشاركا فى كثير من العلوم يستوعب أكثر أوقاته مطالعة الكتب النافعة

ومائة وقيل خمس وأربعين وقيل سنة سبع رضى الله عنه وصلى عليه المنصور ودفن بمقبرة الخيزران بالجانب الشرقى وقيل قبره بالجانب الغربى بخارج السوق نحو باب قطربل وراء الخندق على مقابر باب حرب وهو ظاهر وهنالك معروف وعليه لوح منقوش انه قبر هشام بن عروة ومن قال انه بالجانب الشرقى قال ان القبر الذى بالجانب الغربى هو قبر هشام بن عروة المروزى صاحب عبد الله بن المبارك والله أعلم بالصواب وله عقب بالمدينة وبالبصرة وذكر الخطيب فى تاريخ بغداد أن المنصور قال له يوما يا أبا المنذر تذكر يوم دخلت عليك أنا واخوتى الخلائف وأنت تشرب سويقا بقصبة يراع فلما خرجنا من عندك قال لنا أبونا اعرفوا لهذا الشيخ حقه فانه لا يزال فى قومكم بقية ما بقى قال لا أذكر ذلك يا أمير المؤمنين فلما خرج هشام قيل له يذكرك أمير المؤمنين ما تمت به اليه فتقول لا أذكره فقال لم أكن أذكر ذلك ولم يعودنى الله فى الصدق الا خيرا وروى عنه انه دخل على المنصور فقال يا أمير المؤمنين اقض عنى دينى فقال وكم دينك قال مائة ألف قال وأنت فى فقهك وفضلك تأخذ دين مائة ألف ليس عندك قضاؤها فقال يا أمير المؤمنين شب فتيان من فتياننا فاحببت ان أبوئهم وخشيت أن ينتشر على من أمرهم ما أكره فبوأتهم واتخذت لهم منازل وأولمت عنهم ثقة بالله وبأمير المؤمنين قال فردد عليه مائة ألف استعظاما لها ثم قال قد أمرنا لك بعشرة آلاف فقال يا أمير المؤمنين اعطنى ما أعطيت وأنت طيب النفس فانى سمعت أبى يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من أعطى عطية وهو بها طيب النفس بورك للمعطى والمعطى له قال فانى طيب النفس بها وأهوى الى يد المنصور يقبلها فمنعه وقال يا ابن عروة انا نكرمك عنها ونكرمها عن غيرك وأخباره كثيرة رضى الله عنه

(أبو المنذر هشام بن أبى النضر محمد بن السائب بن بشر بن عمرو الكلبى النسابة الكوفى)

قد تقدم ذكر أبيه فى المحمدين وما جرى له مع الفرزدق الشاعر وحدث هشام عن أبيه وروى عنه ابنه العباس وخليفة بن خياط ومحمد بن سعد كاتب الواقدى ومحمد بن أبى السرى البغدادى وأبو الاشعث أحمد ابن المقدام وغيرهم وكان هشام من أعلم الناس بعلم الانساب وله كتاب الجمهرة فى النسب وهو من محاسن الكتب فى هذا الفن وكان من الحفاظ المشاهير وذكر الخطيب فى تاريخ بغداد عنه انه دخل بغداد وحدث بها وانه قال حفظت ما لم يحفظه أحد ونسيت ما لم ينسه أحد كان لى عم يعاتبنى على حفظ القرآن فدخلت بيتا وحلفت أن لا أخرج منه حتى أحفظ القرآن فحفظته فى ثلاثة أيام ونظرت يوما فى المرآة فقبضت على لحيتى لآخذ ما دون القبضة فأخذت ما فوق القبضة وله من التصانيف شئ كثير فمن ذلك كتاب حلف عبد المطلب وخزاعة وكتاب حلف الفضول وكتاب حلف تميم وكلب وكتاب المنافرات وكتاب بيوتات قريش وكتاب فضائل قيس بن عيلان وكتاب الموردات وكتاب بيوتات ربيعة وكتاب الكنى وكتاب شرف قصى وولده فى الجاهلية والاسلام وكتاب ألقاب قريش وكتاب ألقاب اليمن وكتاب المثالب وكتاب النوافل وكتاب ادعاء معاوية زيادا وكتاب أخبار زياد ابن أبيه وكتاب صنائع قريش وكتاب المشاجرات وكتاب المعاتبات وكتاب ملوك الطوائف وكتاب ملوك كندة وكتاب افتراق ولد نزار وكتاب تفريق الازد وكتاب طسم وجديس وتصانيفه تزيد على مائة وخمسين تصنيفا وأحسنها وأنفعها كتابه المعروف بالجمهرة فى معرفة الانساب ولم يصنف فى بابه مثله وكتابه الذى سماه المنزل فى النسب أيضا وهو أكبر من الجمهرة وكتاب الموجز فى النسب وكتاب الفريد صنفه للمأمون فى الانساب وكتابه الملوكى صنفه لجعفر بن يحيى البرمكى فى النسب أيضا وكان واسع الرواية لايام الناس واخبارهم فمن روايته انه قال اجتمعت بنو أمية عند معاوية بن أبى سفيان فعاتبوه فى تفضيل عمرو بن العاص وادعاء زياد ابن أبيه فتكلم معاوية ثم حرك عمرا على الكلام فقال فى بعض كلامه أنا الذى أقول فى يوم صفين

اذا تخازرت وما بى من خزر * ثم كسرت العين من غير عور
ألفيتنى ألوى بعيد المستمر * أحمل ما حملت من خير وشر
* كالحية الصماء فى أصل الشجر *

وعباداته وقد طالع كتبا كثيرة وجمع المسائل وكتب الفوائد وحرر الرسائل وكان رحمه الله رجلا صالحا دينا مشكور السيرة فى قضائه والناس يبالغون فى مدحه وثنائه ويكفيك ما جاء فى الاخبار ونقله بعض الاخيار من أن واحدا من أهل مكة عرض عليه عشرين ألف دينار فى قضية لا تستوجب الغائلة والضرر فى وقت لا يطلع عليه فرد من افراد البشر فعبس وبسر وتولى وأدبر وطرده وكسر قلبه بل أراد ضربه فانظر الى أهل الرجولية ولا شك انه من الامداد الرسولية جزاه الله تعالى بمزيد احسانه وأسكنه فى أرائك جنانه (ورثاه) ابنه الاكبر بعد الممات بقصيدة فلنذكر منها بعض الابيات

فالكل نفس أن تموت وتقبرا
ولكل أنف شامخ أن تعفرا
ولكل سيف لا محالة كلة
ولكل رمح الطعن أن يتكسرا
ولكل روض أن يغير حسنه
من بعد أن قد صار روضا أزهرا
ولكل أمر غاية ونهاية
ولكل خطب العز أن يتعسرا
أين السليل الطاهر الشيخ النقى
من كان فى العلم الرئيس الاكبرا

أما والله ما أنا بالوانى ولا العانى وانى أنا الحية الصماء التى لا يسلم سليمها ولا ينام كليمها وانى أنا المرء ان همزت كسرت وان كويت أنضجت فمن شاء فليشاور ومن شاء فليؤامر مع أنهم والله لو عاينوا من يوم الهرير ما عاينت أولو ولوا ماوليت لضاق عليهم المخرج ولتفاقم بهم المنهج اذ شد علينا أبو الحسن وعن يمينه وشماله المباشرون من أهل البصائر وكرام العشائر فهنالك والله شخصت الابصار وارتفع الشرار وتقلصت الخصى الى مواضع الكلى وقارعت الامهات عن ثكلها وذهلت عن حملها واحمرا الحدق واغبر الافق والجم العرق وسال العلق وثار القتام وصبر الكرام وحام الاثام وذهب الكلام وأزبدت الاشداق وكثر العناق وقامت الحرب على ساق وحضر الفراق وتضاربت الرجال باغماد سيوفها بعد فناء نبلها وتقصفت رماحها فلا يسمع يومئذ الا التغمغم من الرجال والتحمحم من الخيل الجياد ووقع السيوف على الهام كأنه دق غاسل بخشبته على منصته فدأب ذلك يوما حتى ظعن الليل بغسقه وأقبل الصبح بفلقه ثم لم يبق من القتال الا الهرير والزئير لعلمهم انى أحسن بلاء وأعظم عناء واصبر على اللاواء وانى واياكم كما قال الشاعر

وأغضى على أشياء لو شئت قلتها * ولو قلتها لم أبق للصلح موضعا
وان كان عودى من نضار فاننى * لاكرمه من أن أخاطر خروعا

والمأثور عنه كثير وتوفى سنة أربع ومائتين وقيل سنة ست والاول أصح والله تعالى أعلم بالصواب

(أبو عبد الله هشام بن معاوية الضرير النحوى الكوفى)

صاحب أبى الحسن على بن حمزة الكسائى أخذ عنه كثيرا من النحو وله فيه مقالة تعزى اليه وله فيه تصانيف عديدة فمن ذلك كتاب الحدود وهو صغير وكتاب المختصر وكتاب القياس وغير ذلك وكان اسحق بن ابراهيم ابن مصعب قد كلم المأمون يوما فلحن فى بعض كلامه فنظر اليه المأمون ففطن لما أراد فخرج من عنده وجاء الى هشام المذكور فتعلم عليه النحو وقال أبو مالك الكندى توفى هشام بن معاوية الضرير النحوى سنة تسع ومائتين رحمه الله تعالى

(أبو فراس همام الفرزدق)

وقال ابن قتيبة فى طبقات الشعراء هميم بالتصغير ابن غالب وكنيته أبو الاخطل ابن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم واسمه بحر بن عوف سمى بذلك لجوده ابن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر التميمى المعروف بالفرزدق الشاعر المشهور صاحب جرير كان أبوه غالب من جلة قومه وسرواتهم وأمه ليلى بنت حابس أخت الاقرع بن حابس ولابيه مناقب مشهورة ومحامد مأثورة فمن ذلك انه أصاب أهل الكوفة مجاعة وهو بها فخرج أكثر الناس الى البوادى فكان هو رئيس قومه وكان سحيم ابن وثيل الرياحى رئيس قومه واجتمعوا بمكان يقال له صوأر فى أطراف السماوة من بلاد كلب على مسيرة يوم من الكوفة وهو بفتح الصاد المهملة وسكون الواو وفتح الهمزة وبعدها راء فعقر غالب لاهله ناقة وصنع منها طعاما واهدى الى قوم من بنى تميم لهم جلالة جفانا من ثريد ووجه الى سحيم جفنة فكفأها وضرب الذى أتاه بها وقال أنا مفتقر الى طعام غالب اذا نحر هو ناقة نحرت أنا أخرى فوقعت المنافرة بينهما وعقر سحيم لاهله ناقة فلما كان من الغد عقر لهم غالب ناقتين فعقر سحيم لاهله ناقتين فلما كان اليوم الثالث عقر غالب ثلاثا فعقر سحيم ثلاثا فلما كان اليوم الرابع عقر غالب مائة ناقة فلم يكن عند سحيم هذا القدر فلم يعقر شيأ وأسرها فى نفسه فلما انقضت المجاعة ودخل الناس الكوفة قال بنو رياح لسحيم جررت علينا عار الدهر هلا نحرت مثل ما نحر وكنا نعطيك مكان كل ناقة ناقتين فاعتذر أن ابله كانت غائبة وعقر ثلثمائة ناقة وقال للناس شانكم والاكل وكان ذلك فى خلافة على بن أبى طالب رضى الله عنه فاستفتى فى حل الاكل منها فقضى بحرمتها وقال هذه ذبحت لغير مأكلة ولم يكن المقصود منها الا المفاخرة والمباهاة فالقيت لحومها على كناسة الكوفة فاكلتها الكلاب والعقبان والرخم وهى قصة مشهورة وعمل فيها الشعراء أشعارا كثيرة

قاضى قضاة المسلمين على
الهدى
شجا ترى فى الفضل بحرا
أخضرا
حسن الفعال كاسمه
وصفاته
فيمثله متكاملا من أبصرا
وكفى له كون ابن بنت
المصطفى
شرفا على جم الفخار ومفخرا
لو بت أحصر من مناقب
فضله
لعييت اذ تيسك المنى لن
تحصرا
ما كان تبصر اعين من قبله
أن يلحد البحر العظيم ويقبرا
طويت مناشر جوده من
بعد أن
كانت له أعلام فضل تنشرا
فضى لدعوة ربه لما دعى
متشوقا متشكرا مستبشرا
لا زال تسقى من غوادى رحمة
روضاته عطرا وطيبا عنبرا
يارب روح روحه فى قبره
ما أقبل الريح النسيم وأدبرا
والله ما أنسى لذائذ ذكركم
حتى اموت على الفراش
واحشرا
ان كنت عناقى التراب مغيبا
ماذ كرك المحمود عنا مهجرا
أنت الذى أسهدتنى بفراقه
ما كنت أدرى قبله دلج
السرى
طوبى لقبر أنت فيه مضاجع
قد جاور البدر الزهى الانورا
لا زلت فى روض النعيم مخلدا
ياخير من صلى وصام وأفطرا
وسقاك ربك من حياض
جنانه
يوم الظماء ماء طهورا كوثرا

فمن ذلك قول جرير يهجو الفرزدق وهو بيت تستشهد به النحاة فى كتبهم وهو من جملة قصيدة

تعدون عقر النيب أفضل مجدكم * بنى ضوطرى لولا الكمى المقنعا

ومن ذلك قول المجلى أخى بنى قطن بن نهشل

وقد سرنى ان لا تعد مجاشع * من المجد الا عقر ناب بصوأر

وكان غالب المذكور أعور وسحيم المذكور هو ابن وثيل عمرو بن جوين بن وهيب بن حمير الشاعر الذى يقول

انا ابن جلا وطلاع الثنايا * متى أضع العمامة تعرفونى

وهذا البيت من جملة أبيات وله ديوان شعر صغير والوثيل الرشاء الضعيف وقيل الليف وكان الفرزدق كثير التعظيم لقبر أبيه فما جاءه أحد واستجار به الا نهض معه وساعده على بلوغ غرضه فمن ذلك ما حكاه المبرد فى كتاب الكامل ان الحجاج بن يوسف الثقفى لما ولى تميم بن زيد القينى بلاد السند دخل البصرة فجعل يخرج من أهلها من شاء فجاءت عجوز الى الفرزدق فقالت انى استجرت بقبر أبيك وأتت منه بحصيات فقال ما شانك قالت ان تميم بن زيد خرج بابن لى معه ولا قرة لعينى ولا كاسب على غيره فقال لها وما اسم ابنك فقالت خنيس فكتب الى تميم مع بعض من شخص

تميم بن زيد لا تكونن حاجتى * بظهر فلا يعيا على جوابها
فهب لى خنيسا واحتسب فيه منة * لعبرة أم ما يسوغ شرابها
أتتنى فعاذت يا تميم بغالب * وبالحفرة السافى عليها ترابها
وقد علم الاقوام انك ماجد * وليث اذا ما الحرب شبت شهابها

فلما ورد الكتاب على تميم تشكك فى الاسم فلم يعرف اخنيس أم حبيش ثم قال انظروا من له مثل هذا الاسم فى عسكرنا فاصيب ستة ما بين خنيس وحبيش فوجههم اليه وحضر يوما الفرزدق ونصيب الشاعر المشهور عند سليمان بن عبد الملك الاموى وهو يومئذ خليفة فقال سليمان للفرزدق أنشدنى شيأ وانما أراد سليمان أن ينشده مدحا له فانشده فى مدح أبيه

وركب كأن الريح تطلب عندهم * لها ترة من جذبها بالعصائب
سروا يخبطون الريح وهى تلفهم * الى شعب الاكوار ذات الحقائب
اذا آنسوا نارا يقولون انها * وقد خصرت أيديهم نار غالب

فاعرض سليمان عنه كالمغضب فقال نصيب يا أمير المؤمنين ألا أنشدك فى رويها ما لعله لا يتضع عنها قال هات فانشده

أقول لركب صادرين لقيتهم * قفا ذات أوشال ومولاك قارب
قفوا اخبرونى عن سليمان اننى * لمعروفه من أهل ودان طالب
فعاجوا فأثنوا بالذى أنت أهله * ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

فقال سليمان للفرزدق كيف تراه فقال هو أشعر أهل جلدته ثم قام وهو يقول

وخير الشعر أشرفه رجالا * وشر الشعر ما قال العبيد

وكان نصيب عبدا أسود لرجل من أهل وادى القرى فكاتب على نفسه ومدح عبد العزيز بن مروان فاشترى ولاءه وكنيته أبو الجناء وقيل أبو محجن وللفرزدق فى مفاخر أبيه أشياء كثيرة وأما جده صعصعة بن ناجية فانه كان عظيم القدر فى الجاهلية واشترى ثلاثين موؤدة منهن بنت لقيس بن عاصم المنقرى وفى ذلك يقول الفرزدق يفتخر به

وجدى الذى منع الوائدات * وأحيا الوئيد فلم يوأد

وهو أول من أسلم من أجداد الفرزدق وقد ذكره فى كتاب الاستيعاب فى جملة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وقد اختلف أهل المعرفة بالشعر فى الفرزدق وجرير والمفاضلة بينهما والاكثرون على ان جريرا أشعر منه وكان بينهما من المهاجاة والمعاداة ما هو مشهور وقد جمع لهما كتاب يسمى النقائض وهو من الكتب المشهورة وكان جرير قد هجاه بقصيدته الرائية التى من جملتها

(ومن هؤلاء السادة المولى مصلح الدين المشتهر بداود زاده)

قرأ رحمه الله على أفاضل عصره وأماثل دهره منهم المولى محيى الدين الشهير بقطب الدين زاده ثم صار ملازما من المولى خير الدين معلم السلطان سليمان ثم تولى مدرسة جند بك ببروسه بخمسة وعشرين ثم مدرسة سليمان باشا بقصبة يكى شهر بثلاثين ثم بها ثانيا باربعين ثم مدرسة قاسم باشا خارج قسطنطينية ثم نقل عنها الى مدرسة خانقاه ثم الى مدرسة الخاصكية ثم الى احدى المدارس الثمان ثم الى مدرسة سليم خان ثم قلد قضاء المدينة المنورة يحكى انه لما دخل الحرم أعتق مماليكه واجتهد فى أداء مناسك الحج واهتم غاية الاهتمام وبعد قليل انتقل الى جوار ربه السميع ودفن بالبقيع وكان المرحوم صاحب ايد فى العلوم سهل القياد صحيح الاعتقاد ذا همة علية وسماحة جلية يراعى مع الاخوان الخلان الحقوق السابقة اذا نزلت بالثقة وبالجملة كان رحمه الله صاحب عزم وحزم الا أن فيه خصلة ابن حزم الذى قال فى شانه بعض أرباب البيان لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقان سحا الله سيآتهما وضاعف حسناتهما وقد علق رحمه الله فى أثناء الدرس حواشى على بعض المواضع من شرح المفتاح للشريف الجرجانى

وكنت اذا حالت بدار قوم * ظعنت بخزية وتركت عارا

فاتفق بعد ذلك أن الفرزدق نزل بامرأة من أهل المدينة وجرى له معها قضية يطول شرحها وخلاصة الامر انه راودها عن نفسها بعد ان كانت قد اضافته وأحسنت اليه فامتنعت عليه فبلغ الخبر عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وهو يومئذ والى المدينة فامر باخراجه من المدينة فلما اخرج وأركبوه ناقته لينفوه قال قاتل الله ابن المراغة يعنى جريرا كأنه شاهد هذا الحال حيث قال * وكنت اذا حالت بدار قوم * وأنشد البيت المذكور وشهد الفرزدق عند بعض القضاة شهادة فقال له قد أجزنا شهادتك ثم قال لاصحاب القضية زيدونا فى الشهود فقيل للفرزدق حين انفصل عن مجلس القاضى انه لم يجز شهادتك فقال وما يمنعه من ذلك وقد قذفت ألف محصنة ومن شعره المشهور قوله وهو مقيم بالمدينة

هما دلتانى من ثمانين قامة * كما انقض باز أقتم الريش كاسره
فلما استوت رجلاى فى الارض قالتا * أحى فيرجى أم قتيل نحاذره
فقلت ارفعا الاسباب لا يشعروا بنا * وأقبلت فى أعجاز ليل أبادره
أحاذر بوابين قد وكلا بنا * وأسود من ساج تصر مسامره

فلما بلغت جريرا الابيات عمل من جملة قصيدة طويلة

لقد ولدت أم الفرزدق فاجرا * فجاءت بوزار قصير القوادم
يوصل حبليه اذا جن ليله * ليرقى الى جاراته بالسلالم
تدليت تزنى من ثمانين قامة * وقصرت عن باع العلا والمكارم
هو الرجس يا أهل المدينة فاحذروا * مداخل رجس بالخبيثات عالم
لقد كان اخراج الفرزدق عنكم * طهورا لما بين المصلى وواقم

فلما وقف الفرزدق على هذه القصيدة جاوبه بقصيدة طويلة يقول فى جملتها

وان حراما أن أسب مقاعسا * بآبائى الشم الكرام الخضارم
ولكن نصفا لو سببت وسبنى * بنو عبد شمس من مناف وهاشم
أولئك آبائى فجئنى بمثلهم * وأعتد أن أهجو كليبا بدارم

ولما سمع أهل المدينة أبيات الفرزدق المذكورة أولا اجتمعوا وجاؤا الى مروان بن الحكم الاموى وكان يومئذ والى المدينة من قبل معاوية بن أبى سفيان الاموى فقالوا ما يصلح أن يقال مثل هذا الشعر بين أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أوجب على نفسه الحد فقال مروان لست أحده أنا ولكن اكتب الى من يحده ثم أمره بالخروج من المدينة وأجله ثلاثة أيام وفى ذلك يقول الفرزدق

توعدنى وأجلنى ثلاثا * كما وعدت لمهلكها ثمود

ثم كتب مروان الى عامله يأمره فيه أن يحده ويسجنه وأوهمه انه قد كتب له بجائزة ثم ندم مروان على ما فعل فوجه عنه سفيرا وقال انى قلت شعرا فاسمعه ثم أنشد

قل للفرزدق والسفاهة كاسمها * ان كنت تارك ما أمرتك فاجلس
ودع المدينة انها مرهوبة * واقصد لمكة أو لبيت المقدس
واذا اجتنيت من الامور عظيمة * فخذن لنفسك بالدفاع الاكيس

قوله فاجلس أى اقصد الجلساء وهى نجد وسميت بذلك لارتفاعها لان الجلوس فى اللغة هو الارتفاع ولما وقف الفرزدق على الابيات فطن لما أراد مروان فرمى الصحيفة وقال

يا مروان مطيتى محبوسة * ترجو الحباء وربها لم ييأس * وحبوتنى بصحيفة مختومة
يخشى على بها حباء النقرس * ألق الصحيفة يا فرزدق لا تكن * نكدا كمثل صحيفة المتلمس

واذ ذكرنا صحيفة المتلمس فقد يتشوف الواقف على هذا الكتاب أن يعلم قصتها ومن خبرها ان المتلمس واسمه

(وممن ألقى اليه الدهر قياده فتقدم على كثير من الافاضل على خلاف العادة وتحرك فى ميادين العز كيف يشاء المولى محمود معلم الوزير الكبير محمد باشا) * ولد بقصبة سراى نخرج منها راغبا فى التحصيل والاستفادة واشتغل على كثير من الافاضل والسادة وقرأ على المولى عبد الباقى والمولى صالح وصار ملازما من المولى محيى الدين الشهير بالمعلول ثم درس فى مدرسة خاص كوى بعشرين ثم مدرسة خواجه خير الدين بقسطنطينية بخمسة وعشرين ثم بها ثانيا بثلاثين ثم مدرسة رستم باشا بقسطنطينية بأربعين ثم صار وظيفته فيها خمسين ثم نقل الى مدرسة أبى أيوب الانصارى ثم الى احدى المدارس الثمان ثم الى احدى المدارس التى بناها السلطان سليمان ثم ولى قضاء القاهرة فبعد شهرين من الظفر بالمرام والدخول الى مصر ذات الاهرام توفى فى رابع محرم الحرام سنة سبع وسبعين وتسعمائة وكان المرحوم مشاركا فى بعض العلوم صحيح العقيدة صاحب الاخلاق الحميدة لا يؤذى الناس مع كمال قدرته ونهاية مكنته وقد باشر القضاء بكمال الاستقامة جزاه الله بمزيد احسانه يوم القيامة

*(ومنهم العالم العامل

جرير بن عبد المسيح بن عبد الله بن زيد بن دوقل بن حرب بن وهب بن جلى بن أحمس بن ضبيعة الاضجم بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان وانما لقب بالمتلمس لقوله من جملة قصيدة

فهذا أوان العرض طن ذبابه * زنابيره والازرق المتلمس

وهو بضم الميم وفتح التاء المثناة من فوقها واللام وكسر الميم الثانية وتشديدها وبعدها سين مهملة كان قد هجا عمرو بن هند اللخمى ملك الحيرة وهجاه أيضا طرفة بن العبد البكرى الشاعر المشهور وهو ابن أخت المتلمس المذكور فاتصل هجوهما بعمرو بن هند المذكور فلم يظهر لهما شيأ من التغير ثم مدحاه بعد ذلك فكتب لكل منهما كتابا الى عامله بالحيرة وأمره بقتلهما اذا وصلا اليه وأوهمهما انه قد كتب لهما بصلة فلما وصلا الى الحيرة قال المتلمس لطرفة كل واحد منا قد هجا الملك ولو أراد أن يعطينا الاعطانا ولم يكتب لنا الى الحيرة فهلم ندفع كتبنا الى من يقرؤها فان كان فيها خير دخلنا الحيرة وان كان فيها شر فررنا قبل أن يعلم بمكاننا فقال طرفة بن العبد ما كنت لافتح كتاب الملك فقال المتلمس والله لافتحن كتابى ولاعلمن ما فيه ولا أكون كمن يحمل حتفه بيده فنظر المتلمس فاذا غلام قد خرج من الحيرة فقال له أتقرأ يا غلام فقال نعم فقال هلم فاقرأ هذا الكتاب فلما نظر اليه الغلام قال ثكلت المتلمس أمه فقال لطرفة افتح كتابك فما فيه الامثل ما فى كتابى فقال ان كان اجترأ عليك فلم يكن ليجترئ على ويوغر صدور قومى بقتلى فالقى المتلمس صحيفته فى نهر الحيرة وفر الى الشام ودخل طرفة الحيرة فقتل وقصته فى ذلك مشهورة فصار يضرب المثل بصحيفة المتلمس لكل من قرأ صحيفة فيها قتله والى هذا أشار الحريرى فى المقامة العاشرة بقوله ففضضتها فعل المتلمس من مثل صحيفة المتلمس وللابله الشاعر المقدم ذكره فى المحمدين قصيدة يقول فيها

يقرأ المتيم من صحيفة خده * فى الهجر مثل صحيفة المتلمس

(رجعنا الى تتمة خبر الفرزدق)

ثم خرج هاربا حتى أتى سعيد بن العاص الاموى وعنده الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر رضى الله عنهم فاخبره الخبر فامر له كل واحد منهم بمائة دينار وراحلة وتوجه الى البصرة وقيل لمروان أخطأت فيما فعلت فانك عرضت عرضك لشاعر مضر فوجه وراءه رسولا ومعه مائة دينار وراحلة خوفا من هجائه (ومن أخبار الفرزدق) ما حكى انه نزل فى بعض أسفاره فى بادئة وأوقد نارا فرآها ذئب فأتاه فاطعمه من زاده وأنشده

واطلس عسال وما كان صاحبا * دعوت بنارى موهنا فاتانى
فلما أتى قلت ادن دونك اننى * واياك فى زادى لمشتركان
فبت اقد الزاد بينى وبينه * على ضوء نار مرة ودخان
وقلت له لما تكشر ضاحكا * وقائم سيفى فى يدى بمكان
تعش فان عاهدتنى لا تخوننى * نكن مثل من يا ذئب يصطحبان
وأنت امرؤ يا ذئب والغدر كنتما * أخيين كانا أرضعا بلبان
ولو غيرنا نبهت تلتمس القرى * رماك بسهم أو شباة سنان

وكان قد أنشد سليمان بن عبد الملك الاموى قصيدة ميمية فلما انتهى منها الى قوله

ثلاث واثنتان فهن خمس * وسادسة تميل الى شمام * فبتن بجانبى مصرعات
وبت أفض اغلاق الختام * كان مغالق الرمان فيه * وجمر غضى قعدن عليه حامى

فقال له سليمان قد أقررت عندى بالزنا وأنا امام ولا بد من اقامة الحد عليك فقال الفرزدق ومن أين أوجبت على يا أمير المؤمنين فقال يقول الله تعالى الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة فقال الفرزدق ان كتاب الله يدرؤه عنى بقوله والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون فانا قلت ما لم أفعل فتبسم سليمان وقال أولى لك * وتنسب اليه مكرمة يرجى له بها الجنة وهى انه لما حج هشام بن عبد الملك فى أيام ابيه فطاف وجهد ان يصل الى الحجر ليستلمه فلم يقدر عليه لكثرة الزحام فنصب

بتعلم السلطان جهانكير) * وقد نشا رحمه الله فى القرية القريبة أكردبوس وشب على تحصيل العلم وشمر عن ساق الاجتهاد حتى تميز وانتظم فى سلك أرباب الاستعداد وسلك فى الطريقة المعتادة حتى وصل الى خدمة المولى المشتهر بحوى زاده ثم وصل الى خدمة المولى عبد الواسع فنال به ما نال وحصل عنده الآمال فلما صار ملازما منه قلده المدرسة التى بناها بقصبة ديموتوقه بعشرين ثم زاد فى وظيفته فصارت خمسة وعشرين ولما توفى المولى المزبور تقاعد فى المدرسة وتشبث بذيل القناعة واشتغل بتهذيب نفسه بقدر الاستطاعة ولما مضى عليه برهة من الزمان نصب معلما للسلطان جهانكير ابن السلطان سليمان فدام على تعليمه الى ان أخمد الدهر ناره وعفى آثاره وعين له كل يوم خمسون درهما على طريق التقاعد ثم زيد عليه عشرون فدام عليه حتى الم به ريب المنون وذلك فى المحرم سنة سبع وسبعين وتسعمائة وكان رحمه الله عالما عاملا وورعا ديناسريع الفهم قوى الذهن حسن الاخلاق طيب الله ثراه وجعل الجنة مثواه

*(ومن العلماء الاخيار المولى محيى الدين الشهير بابن النجار) *

له منبر وجلس عليه ينظر الى الناس ومعه جماعة من أعيان أهل الشام فبينما هو كذلك اذ أقبل زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم وقد تقدم ذكره وكان من أحسن الناس وجها وأطيبهم أرجا فطاف بالبيت فلما انتهى الى الحجر تنحى له الناس حتى استلم فقال رجل من أهل الشام من هذا الذى قد هابه الناس هذه الهيبة فقال هشام لا أعرفه مخافة ان يرغب فيه أهل الشام فيملكوه وكان الفرزدق حاضرا فقال أنا أعرفه فقال الشامى من هو يا أبا فراس فقال

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته * والبيت يعرفه والحل والحرم * هذا ابن خير عباد الله كلهم
هذا التقى النقى الطاهر العلم * اذا رأته قريش قال قائلها * الى مكارم هذا ينتهى الكرم
ينمى الى ذروة العز التى قصرت * عن نيلها عرب الاسلام والعجم * يكاد يمسكه عرفان راحته
ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم * فى كفه خيزران ريحه عبق * من كف اروع فى عرنينه شمم
يغضى حياء و يغضى من مهابته * فما يكلم الا حين يبتسم * ينشق نور الهدى عن نور غرته
كالشمس ينجاب عن اشراقها الظلم * منشقة من رسول الله نبعته * طابت عناصره والخيم والشيم
هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله * بجده أنبياء الله قد ختموا * الله شرفه قدما وعظمه
جرى بذاك له فى لوحه القلم * فليس قولك من هذا بضائره * العرب تعرف من انكرت والعجم
كلتا يديه غياث عم نفعهما * تستوكفان ولا يعروهما عدم * سهل الخليقة لا تخشى بوادره
يزينه اثنان حسن الخلق والشيم * حمال أثقال أقوام اذا فدحوا * حلو الشمائل تحلو عنده نعم
ما قال لا قط الا فى تشهده * لولا التشهد كانت لاءه نعم * لا يخلف الوعد ميمون نقيبته
رحب الفناء اريب حين يعتزم * عم البرية بالاحسان فانقشعت * عنها الغيابة والاملاق والعدم
من معشر حبهم دين و بغضهم * كفر وقربهم منجى ومعتصم * ان عد اهل التقى كانوا أئمتهم
أو قيل من خير أهل الارض قيل هم * لا يستطيع جواد بعد غايتهم * ولا يدانيهم قوم وان كرموا
هم الغيوث اذا ما أزمة ازمت * والاسد اسد الشرى والباس محتدم * لا ينقص العسر بسطا من اكفهم
سيان ذلك ان أثروا وان عدموا * مقدم بعد ذكر الله ذكرهم * فى كل بدء ومختوم به الكلم
يأبى لهم ان يحل الذم ساحتهم * خيم كريم وأيد بالندى ديم * أى الخلائق ليست فى رقابهم
لاولية هذا أوله نعم * من يعرف الله يعرف أوليته * والدين من بيت هذا ناله الامم

ولما سمع هشام هذه القصيدة غضب وحبس الفرزدق وأنفذ له زين العابدين اثنى عشر ألف درهم فردها وقال مدحته لله تعالى لا للعطاء فقال انا أهل بيت اذا وهبنا شيأ لا نستعيده فقبلها وقال محمد بن حبيب المقدم ذكره صعد الوليد بن عبد الملك المنبر فسمع صوت ناقوس فقال ما هذا فقيل البيعة فأمر بهدمها وتولى بعض ذلك بيده فتتابع الناس يهدمون فكتب اليه الاخزم ملك الروم ان هذه البيعة قد أقرها من كان قبلك فان يكونوا أصابوا فقد أخطأت وان تكن أصبت فقد أخطؤا فقال من يجيبه فقالوا الفرزدق فكتب اليه وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما الآية وأخبار الفرزدق كثيرة والاختصار أولى وتوفى بالبصرة سنة عشر ومائة قبل جرير بأربعين يوما وقيل بثمانين يوما وقال أبو الفرج بن الجوزى فى كتاب شذور العقود انهما توفيا سنة احدى عشرة ومائة وقال العسكرى ان الفرزدق لقى على بن أبى طالب رضى الله عنه وتوفى سنة عشرة وقيل اثنى عشر وقيل أربع عشرة ومائة وقال ابن قتيبة فى طبقات الشعراء ان الفرزدق أصابته الدبيلة فقدم البصرة وأتى بطبيب فسقاه قار البيض فجعل يقول أتعجلون لى القار وأنا فى الدنيا ومات وقد قارب المائة والله تعالى أعلم وقد سبق فى ترجمة جرير ما قاله جرير لما بلغه وفاة الفرزدق فاغنى عن الاعادة رحمهما الله تعالى وذكر المبرد فى كتاب الكامل قال التقى الحسن البصرى والفرزدق فى جنازة فقال الفرزدق للحسن أتدرى ما يقول الناس يا أبا سعيد يقولون اجتمع فى هذه الجنازة خير الناس وشر الناس قال الحسن كلا لست بخيرهم ولست بشرهم

نشأ رحمه الله فى قصبة أسكوب فخرج منها طالبا للمعارف ومستفيدا من كل عارف واتصل بالمولى اسحق فاكثر من التحصيل والاستفادة حتى صار ملازما منه بطريق الاعادة ثم درس بالمدرسة الوسطى بقصبة ثيره بعشرين ثم مدرسة الامير حمزة بمدينة بروسه بخمسة وعشرين ثم مدرسة عبد السلام بحكمجه بثلاثين ثم مدرسة محمد باشا بقصبة صوفيه باربعين ثم المدرسة الحلبية بادرنه بخمسين ثم نقل الى سلطانية بروسه ثم الى احدى المدارس الثمان ثم ولى قضاء بغداد ثم عزل عنه وعين له كل يوم سبعون درهما بطريق التقاعد توفى رحمه الله سنة سبع وسبعين وتسعمائة وكان رحمه الله عالما فاضلا أديبا لبيبا صاحب طبع سليم وذهن مستقيم لذيذ الصحبة حلو المثافنة عاريا عن الخيلاء والكبر صافيا كصفاء العقيان والتبر وكان رحمه الله ينظم الشعر بالتركى والعربى (فمن نظمه)

يا من خلق الخلق على أحسن ذات
ميزت ذوى النطق باعلى الملكات
فى كل صفات من كل جهات
طوبى لنفوس بذلت أنفس شئ

ولكن ما اعددت لهذا اليوم قال شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله منذ ستين سنة فتزعم بعض التميمية ان الفرزدق رؤى فى المنام فقيل له ما صنع بك ربك فقال غفر لى فقيل باى شئ فقال بالكلمة التى نازعنيها الحسن وهمام بفتح الهاء وتشديد الميم الاولى وناجية بالنون والجيم المكسورة وبعدها ياء مثناة من تحتها وعقال بكسر العين المهملة وفتح القاف ومحمد بن سفيان هو أحد الثلاثة الذين سموا بمحمد فى الجاهلية وذكرهم ابن قتيبة فى كتاب المعارف وقال السهيلى فى كتاب الروض الانف لا يعرف فى العرب من تسمى بهذا الاسم قبله صلى الله عليه وسلم الا ثلاثة طمع اباؤهم حين سمعوا بذكر محمد صلى الله عليه وسلم و بقرب زمانه وانه يبعث فى الحجاز أن يكون ولدا لهم ذكرهم ابن فورك فى كتاب الفصول وهم محمد بن سفيان بن مجاشع جد جد الفرزدق الشاعر والآخر محمد بن أحيحة بن الجلاح وهو أخو عبد المطلب جد رسول الله صلى الله عليه وسلم لامه والآخر محمد بن حمران بن ربيعة وكان آباء هؤلاء الثلاثة قد وفدوا على بعض الملوك وكان عنده علم بالكتاب الاول فاخبرهم بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم و باسمه وكان كل واحد منهم قد خلف امرأته حاملا فنذر كل واحد منهم ان ولد له ذكر ان يسميه محمدا ففعلوا ذلك واما مجاشع فهو بضم الميم وفتح الجيم و بعد الالف شين معجمة مكسورة ثم عين مهملة ودارم بفتح الدال المهملة و بعد الالف راء مكسورة و بعدها ميم و بقية النسب معروف والفرزدق بفتح الفاء والراء وسكون الزاى وفتح الدال المهملة و بعدها قاف وهو لقب عليه واختلف كلام ابن قتيبة فى تلقيبه به فقال فى أدب الكاتب الفرزدق قطع العجين واحدتها فرزدقة وانما لقب به لانه كان جهم الوجه وقال فى كتاب طبقات الشعراء انما لقب بالفرزدق لغلظه وقصره شبه بالقبيبة التى تشرب بها النساء وهى الفرزدقة والقول الاول أصح لانه كان أصابه جدرى فى وجهه ثم برأ منه فبقى وجهه جهما متغضنا وروى ان رجلا قال له يا أبا فراس كأن وجهك احراح مجموعة فقال له تامل هل ترى فيها حر أمك والاحراح بحاء ين مهملتين جمع حرح وهو الفرج فحذفت فى المفرد حاؤه الثانية فبقى حر ومتى جمع عادت الحاء الثانية فقالوا أحراح لان الجمع ترد الاشياء الى أصولها وكانت زوجة الفرزدق ابنة عمه وهى النوار بفتح النون ابنة اعين بن ضبيعة بن عقال المجاشعى وجدها ضبيعة هو الذى عقر الجمل الذى كانت عليه عائشة أم المؤمنين يوم وقعة الجمل رضى الله عنها وكان قد خطبها يعنى النوار رجل من قريش فبعثت الى الفرزدق تسأله أن يكون وليها اذ كان ابن عمها فقال ان بالشام من هو أقرب اليك منى وما أنا آمن أن يقدم قادم منهم فينكر ذلك على فاشهدى انك قد جعلت أمرك الى ففعلت فخرج بالشهود وقال لهم قد أشهد تكم انها جعلت أمرها الى وأنا أشهدكم انى قد تزوجتها على مائة ناقة حمراء سود الحدق فغضبت من ذلك واستعدت عليه وخرجت الى عبد الله بن الزبير وأمر الحجاز والعراق يومئذ اليه وخرج الفرزدق أيضا اليه فاما النوار فنزلت على خولة بنت منظور بن ريان الفزارى امرأة عبد الله بن الزبير فرفعتها وسألتها الشفاعة لها وأما الفرزدق فنزل على حمزة بن عبد الله بن الزبير وهو ابن خولة المذكورة ومدحه فوعده الشفاعة فتكلمت خولة فى النوار وتكلم حمزة فى الفرزدق فانجحت خولة وأمر عبد الله ابن الزبير ان لا يقربها حتى يصيرا الى البصرة فيحتكما الى عامله عليها فخرجا وقال الفرزدق فى ذلك

أما بنوه فلم تنجح شفاعتهم * وشفعت بنت منظور بن ريانا
ليس الشفيع الذى يأتيك متزرا * مثل الشفيع الذى يأتيك عريانا

ثم ان الفرزدق اتفق معها وبقى زمانا لا يولد له ولد ثم ولد له بعد ذلك عدة أولاد وهم لبطة وسبطة وحبطة وركضة وزمعة وكلهم من النوار وليس لواحد من ولده عقب الا من النساء وقال ابن خالويه ومن أولاد الفرزدق كلطة وجلطة والله أعلم ثم ان الفرزدق طلق النوار لامر يطول شرحه وندم على ذلك وله فيها أشعار فمنها قوله

ندمت ندامة الكسعى لما * غدت منى مطلقة نوار
وكانت جنتى فخرجت منها * كآدم حين أخرجه الضرار

وله فى ذلك اخبار ونوادر يطول شرحها وليس هذا موضع استيفائه ومات للفرزدق ابن صغير فصلى عليه ثم

فى حبك يا معطى أسباب نجاتى
طوعا وقبولا حين العقبات
ما كنت على عمرى من عمرى حينا
أسرفت مدى العمر لاجل الشهوات
لكن مرارا من كيس حياتى
من جاء الى بابك بالتوب الهى
اذ يسقط بالاوب كاوراق نبات
لا يرجع خلوا أجرام عصاة
أرجو بك أن تعفو يا غافر ذنبى
اذ كنت مقرا بوفود السقطات
كلا وجميعا وقت الدعوات

(ومنهم المولى عبد الرحمن المشتهر بالداورزاده) توفى أبوه مدرسا بسلطانية بروسه ولما توجه المرحوم نحو تحصيل المعارف والعلوم صاحب الاهالى والاعالى حتى صار ملازما من المفتى علاء الدين على الجمالى ثم تولى بعض المدارس وجعل يزاول العلوم ويمارس حتى قلد مدرسة أورج باشا بقصبة ديموتوقه بخمسة وعشرين ثم مدرسة المولى المشتهر بابن الحاج حسن بثلاثين ثم مدرسة المولى عرب بقصبة ثيره باربعين ثم القلندرية بالوظيفة الاولى ثم المدرسة الحلبية بخمسين ثم مدرسة أبى أيوب الانصارى ثم احدى المدارس الثمان ثم مدرسة

التفت الى الناس فقال
ومانحن الامثلهم غيراننا * أقمنا قليلا بعدهم ثم نرحل
فمات بعد ذلك بايام قلائل رحمه الله تعالى

(أبو الحسن هلال بن المحسن بن أبي اسحق ابراهيم بن هلال بن ابراهيم بن زهرون ابن حيون الصابي الحراني الكاتب)

هو حفيد أبي اسحق الصابي صاحب الرسائل المشهورة وقد سبق ذكر جده في حرف الهمزة سمع هلال المذكور أباعلي الفارسي النحوي المقدم ذكره وعلى بن عيسى الرماني المقدم ذكره أيضا وأبا بكر أحمد ابن محمد بن الجراح الخراز وغيرهم وذكره الخطيب في تاريخ بغداد وقال كتبنا عنه وكان صدوقا وكان أبو الحسن صابئيا على دين جده ابراهيم فاسلم هلال المذكور في آخر عمره وسمع من العلماء في حال كفره لانه كان يطلب الادب ورأيت له تصنيفا جمع فيه حكايات مستملحة وأخبارا نادرة وسماه كتاب الاماثل والاعيان ومنتدى العواطف والاحسان وهو مجلد واحد ولا أعلم هل صنف سواه أم لا وكان ولده غرس النعمة أبو الحسن محمد بن هلال المذكور ذا فضائل جمة وتآليف نافعة منها التاريخ الكبير المشهور ومنها الكتاب الذي سماه الهفوات النادرة من المغفلين المحظوظين والسقطات الباردة من المغفلين المحظوظين جمع فيه كثيرا من الحكايات التي تتعلق بهذا الباب فمما نقلته منه ان عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس رضي الله عنه وهو عم السفاح وأبي جعفر المنصور أنفذ الى ابن أخيه السفاح في أول ولايتهم مشيخة من أهل الشام يطارفه بعقولهم واعتقادهم وانهم حلفوا انهم ما علموا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة يرثونه غير بني أمية حتى وليتم أنتم ونقلت منه أيضا حكاية وان كانت سخيفة لكنها طريفة ولا بد في المجاميع من الاحماض ومزج الهزل بالجد والحكاية المذكورة هي ان أبا سعيد ماهك بن بندار المجوسي الرازي كان من كبار الديلم المشهور بخلفهم الشائعة فيه أخبارهم وكان يكتب لعلي بن سامان أحد قواد الديلم فأراد الوزير أبو محمد المهلبي أن ينفذ ماهك في بعض الخدم فقال له وقد أراد الخروج من عنده يا أبا سعيد لا تبرح من الدار حتى أوقفك على شيء أريده معك فقال السمع والطاعة لامر سيدنا الوزير ونهض من بين يديه فقال الوزير هذا رجل مجنون وربما طال بي الشغل وضاق صدره فانصرف فتقدموا الى البواب ان لا يدعه يخرج من الباب فجلس ماهك طويلا وأراد دخول الخلاء فقام يطلب ذلك فرأى الاخلية مقفلة وكان قد تقدم الوزير بذلك وقال كان دار أبي جعفر الصيمري منتنة الرائحة لاجل خلاء كان بها للعامة الناس فوجد ماهك الخلاء الخاص غير مقفل وعليه ستر مسبل فرفع الستر ليدخل فجاء الفراش فمنعه ودفعه فقال يا هذا أليس هذا خلاء فقال بلى فقال أريد أن أعمل فيه حاجتي فلم تمنعني قال هذا خلاء خاص لا يدخله غير الوزير قال فبقية الاخلية مقفلة فكيف أعمل وقد جئت أخرج فمنعني البواب فأخرى في ثيابي فقال الفراش استأذن في دخول الخلاء ليتقدم لك بذلك ويفتح لك أحد الاخلية فتقضي حاجتك فاشتد به الامر فكتب الى الوزير رقعة وقال فيها قد احتاج عبد سيدنا الوزير ماهك الى بعض ما يحتاج اليه الناس ولا يحسن ذكره والفراش يقول لا تدخل والبواب يقول لا تخرج وقد تحير العبد في البين والامر في الشدة فان رأى سيدنا الوزير أن يفسح لعبده بان يعمل ما يحتاج اليه في خلائه فعل ان شاء الله تعالى والسلام ورفع الرقعة الى بعض الحجاب فأوصلها الى الوزير فلم يعلم ما أراد بالرقعة فاستعلم ما الصورة فعرف بها فضحك واستلقى على ظهره ووقع على ظهر الرقعة يخرى أبو سعيد أعزه الله بحيث يختار ان شاء الله تعالى فجاء الحاجب بها فأخذها ودفعها الى الفراش وقال هذا ما طلبت وهو توقيع سيدنا الوزير فقال الفراش التوقيعات يقرؤها أبو العلاء بن ابرونا كاتب ديوان الدار وانا لا أحسن ان أكتب ولا أقرأ فصاح ماهك في الدار هات من يقرأ في الدار صلا آخر افضحك فراش آخر وأخذه بيده وحمله الى بعض الحجر حتى قضى حاجته ونقلت من هذا الكتاب أيضا ان ارطاة بن سمية دخل على عبد الملك بن مروان وكان قد أدرك الجاهلية والاسلام فرآه عبد الملك شيخا كبيرا فاستنشده ما قاله في طول عمره فانشده

السلطان بايزيد خان بادرنه ثم قلد قضاء المدينة على سا كنها أفضل الصلوات ما تعاقب النور والظلمات ثم عزل ثم قلد قضاء حلب ثم عزل وتوفي سنة سبع وسبعين وتسعمائة وكان رحمه الله معروفا بالعلم وجمع الاماثل في زمن تدريسه فصيحا حاز ماجد المحاضرة مقبول المناظرة محمود السيرة في قضائه وقد رأيت أهل المدينة يبالغون في ثنائه رحمه الله تعالى وأحسن اليه يوم جزائه

(ومنهم العالم الفاضل نفر الاماجد والافاضل الذي تفتخر بمثله الادوار والازمان المولى مصلح الدين المشتهر ببستان) ولد رحمه الله تعالى سنة أربع وتسعمائة بقصبة تيره فلما نشأ وشب وبلغ ابان الطلب ترك التواني والتناعس وهجر التقاعد والتقاعس فخرج من تلك البلاد وتشبث بذيل السعي والاجتهاد حتى انتظم في سلك أرباب الاستعداد واجتمع من الافاضل بمن يمكن معه الاجتماع كالمولى محيي الدين الفناري والمولى شجاع ثم عطف الزمام نحو الاشتغال على المولى المعظم المشتهر بابن الكمال فجعل العكوف على التحصيل لزاما فلك من العلوم عنانا وزماما واحرز عنده من الفضائل ما احرز سابق في مضمار المعارف فبرز وجرى في

رأيت المرء تاكله الليالي * كاكل الارض ساقطة الحديد
وماتبغي المنية حين تأتي * على نفس ابن آدم من مزيد
واعلم أنها ستكر حتى * توفي نذرها بابي الوليد

فارتاع عبد الملك وظن انه عناه لانه كان يكنى بابي الوليد وعلم ارطاة بسهوه وزلته فقال يا أمير المؤمنين اني أكنى بابي الوليد وصدقه الحاضرون فسرى عن عبد الملك قليلا ونقلت منه أيضا ان أبا العلاء صاعد بن مخلد كاتب الموفق قرأ على الموفق كتابا فلم يفهم معناه وقرأه الموفق ففهمه فقال فيه عيسى بن القاشي

أرى الدهر يمنع من جانبه * ويهدي الحظوظ الى عائبه
وكم طالب سببا مجلبا * فاعيا عياه على طالبه
ومن عجب الدهر ان الامير * أصبح أكتب من كاتبه

والموفق المذكور هو ابن أحمد طلحة بن المتوكل وهو والد المعتضد الخليفة العباسي ونقلت منه أيضا ان اعرابيا شهد الموقف مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال الاعرابي فصاح به صائح من خلفه يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال يا أمير المؤمنين فقال رجل من خلفي دعاه باسم ميت مات والله أمير المؤمنين فالتفت اليه فاذا هو رجل من بني لهب بكسر اللام وهم من بني النضر بن الازد وهم ازجر قوم وقد أشار كثير عزة الى ذلك في قوله

سألت أخا لهب ليزجر زجرة * وقد صار زجر العالمين الى لهب

قال الاعرابي فلما وقفنا لرمي الجمار اذ حصاة قد صكت صلعة عمر رضي الله عنه فادمته فقال قائل أشعر والله أمير المؤمنين والله لا يقف هذا الموقف بعدها فالتفت اليه فاذا هو اللهبي بعينه فقتل عمر رضي الله عنه قبل الحول وهذه الحكاية في كتاب الكامل أيضا وقوله دعاه باسم ميت انما قال ذلك لان أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان يقال له يا خليفة رسول الله فلما توفي وتولى عمر رضي الله عنه قيل له خليفة خليفة رسول الله فقال للصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين هذا أمر يطول شرحه فان كل من يتولى يقال له خليفة من كان قبله حتى يتصل برسول الله صلى الله عليه وسلم وانما أنتم المؤمنون وانا أميركم فقيل له يا أمير المؤمنين فهو أول من دعي بهذا الاسم وكان لفظ الخليفة مختصا بابي بكر الصديق رضي الله عنه فلهذا قال دعاه باسم ميت وذكر عمر بن شبة المقدم ذكره في اخبار البصرة عن الشعبي ان أول من دعا لعمر رضي الله عنه على المنبر أبو موسى الاشعري بالبصرة وهو أول من كتب لعبد الله أمير المؤمنين فقال عمر اني لعبد الله واني لعمر واني لامير المؤمنين وقال عوانة أول من سماه أمير المؤمنين عدي بن حاتم الطائي وأول من سلم عليه بها المغيرة بن شعبة وقال غيره جلس عمر يوما فقال والله ما ندري كيف نقول أبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا خليفة أبي بكر فانا خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن جاء بعدي يقال له خليفة خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل اسم قالوا الامير قال كلكم أمير قال المغيرة نحن المؤمنون وأنت أميرنا فأنت أمير المؤمنين والله أعلم وقد خرجنا عن المقصود وكانت ولادة هلال المذكور في شوال سنة تسع وخمسين وثلثمائة وتوفي ليلة الخميس سابع عشر رمضان سنة ثمان وأربعين وأربعمائة رحمه الله تعالى

(أبو عبد الرحمن الهيثم بن عدي بن عبد الرحمن بن زيد بن أسيد بن جابر بن عدي بن خالد بن خيثم بن أبي حارثة بن جدي بن تدول بن بحتر بن عتود بن عنين بن سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن جلهمة وهو طيء الطائي الثعالبي البحتري الكوفي)

كان راوية اخباريا نقل من كلام العرب وعلومها واشعارها ولغاتها الكثير وكان أبوه نازلا بواسط وكان خيرا وكان الهيثم يتعرض لمعرفة أصول الناس ونقل أخبارهم فاورد معايبهم وأظهرها وكانت مستورة فكره لذلك ونقل عنه انه ذكر العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه بشيء فحبس لذلك عدة سنين ويقال انه نقل عنه زورا ولبسوا عليه ما لم يقله وكان قد صاهر قوما فلم يرضوه فاذاعوا ذلك عنه وحرفوا الكلام وكان يرى رأي الخوارج وله من الكتب المصنفة كتاب المثالب وكتاب المعمرين وكتاب بيوتات العرب وكتاب بيوتات قريش وكتاب هبوط آدم عليه السلام وافتراق العرب ونزولها منازلها وكتاب نزول العرب بخراسان والسواد وكتاب نسب طي وكتاب مديح أهل الشام وتاريخ العجم وبني أمية وكتاب من تزوج من

ميدانها الى أبعد أمد وبنى بيت التقدم على أثبت عمد وصار ملازما من المولى خير الدين معلم السلطان سليمان ثم تقلد مدرسة المولى يكان بمدينة بروسه ثم عزله بعض الامور واقتضت بعض الحيثيات اختياره قضاء بعض القصبات ثم رجع عنه بعد ما باشر القضاء برأيه الرصين وأخذ مدرسة المولى عرب بقصبة تيره باربعين ثم ساعده الدهر وأعانه الزمان حيث انتسب الى زوجة السلطان سليمان فاعطته مدرسته المبنية في قسطنطينية المحمية فبعد قليل من الزمان نقل الى احدى المدارس الثمان ثم قلد قضاء بروسه ثم قضاء ادرنه ثم قضاء قسطنطينية فلما وصلت مدة قضائه الى أربع سنين ولي قضاء العسكر بولاية أناطولي فبعد عشرة أيام توفي المولى الشيخ محمد المشتهر بجوي زاده وهو قاض بالعسكر بولاية روم ايلي فنقل المرحوم الى مكانه واستقر فيه خمس سنين ثم عزل وعين له كل يوم مائة وخمسون درهما (وتوفي في العشر الاخير من رمضان سنة سبع وسبعين وتسعمائة) ودفن ليلة القدر بقرب زاوية السيد البخاري خارج قسطنطينية كان رحمه الله من أكابر العلماء والفحول الفضلاء تنشرح النفوس بروايته

الموالى فى العرب وكتاب الوفود وكتاب خطط الكوفة وكتاب ولاة الكوفة وكتاب تاريخ الاشراف الكبير وكتاب تاريخ الاشراف الصغير وكتاب طبقات الفقهاء والمحدثين وكتاب كنى الاشراف وكتاب خواتم الخلفاء وكتاب قضاة الكوفة والبصرة وكتاب المواسم وكتاب الخوارج وكتاب النوادر وكتاب التاريخ على السنين وكتاب اخبار الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه ووفاته وكتاب اخبار الفرس وكتاب عمال الشرط لامراء العراق وغير ذلك من التصانيف واختص بمجالسة المنصور والمهدى والهادى والرشيد وروى عنهم قال الهيثم قال لى المهدى ويحك ياهيثم ان الناس يخبرون عن الاعراب شحا ولؤما وكرما وسماحا وقد اختلفوا فى ذلك فما عندك فقلت على الخبير سقطت خرجت من عند أهلى أريد دار قرابة لى ومعى ناقة أركبها اذ ندت فذهبت فجعلت أتبعها حتى أمسيت فادركتها ونظرت فاذا خيمة اعرابى فأتيتها فقالت ربة الخباء من أنت فقلت ضيف فقالت وما يصنع الضيف عندنا ان الصحراء لواسعة ثم قامت الى بر فطحنته ثم عجنته وخبزته وقعدت فأكلت ولم ألبث ان جاء زوجها ومعه لبن فسلم ثم قال من الرجل فقلت ضيف فقال مرحبا حياك الله ثم قال يافلانة ما أطعمت ضيفك شيأ فقالت لا فدخل الخباء وملأ قعبا من لبن ثم أتانى به وقال اشرب فشربت شرابا هنيأ فقال ماأراك أكلت شيأ وما أراها أطعمتك فقلت لا والله فدخل اليها مغضبا وقال ويلك أكلت وتركت ضيفك فقالت وما أصنع به أطعمه طعامى وجاراها فى الكلام حتى شجها ثم أخذ شفرة وخرج الى ناقتى فنحرها فقلت ماصنعت عافاك الله فقال لا والله ما يبيت ضيفى جائعا ثم جمع حطبا واجج نارا وأقبل يكبب ويطعمنى ويأكل ويلقى اليها ويقول كلى لا أطعمك الله حتى اذا أصبح تركنى ومضى فقعدت مغموما فلما تعالى النهار أقبل ومعه بعير ما يسأم الناظر اليه من النظر فقال هذا مكان ناقتك ثم زودنى من ذلك اللحم ومما حضره وخرجت من عنده فضمنى الليل الى خباء فسلمت فردت السلام صاحبة الخباء وقالت من الرجل فقلت ضيف فقالت مرحبا بك حياك الله وعافاك فنزلت ثم عمدت الى بر فطحنته وعجنته ثم خبزته خبزا روته بالزبد واللبن ثم وضعته بين يدى فقالت كل واعذر فلم ألبث ان أقبل اعرابى كريه الوجه فسلم فرددت عليه السلام فقال من الرجل قلت ضيف قال وما يصنع الضيف عندنا ثم دخل الى أهله فقال أين طعامى فقالت أطعمته الضيف فقال أتطعمين الضيف طعامى فتجاريا فى الكلام فرفع عصاه وضرب بها رأسها فشجها فجعلت أضحك فخرج الى فقال وما يضحكك قلت خير فقال والله لتخبرنى فاخبرته بقضية المرأة والرجل الذين نزلت عندهما قبله فاقبل على وقال ان هذه التى عندى هى أخت ذلك الرجل وتلك التى عنده أختى فبت ليلتى متعجبا وانصرفت وأغرب من هذه الحكاية ماروى ان رجلا من الاولين كان يأكل وبين يديه دجاجة مشوية فجاءه سائل فرده خائبا وكان الرجل مترفا فوقع بينه وبين امرأته فرقة وذهب ماله وتزوج السائل امرأته فبينما الزوج الثانى يأكل بين يديه دجاجة مشوية جاءه سائل فقال لامرأته ناوليه الدجاجة فناولته ونظرت اليه فاذا هو زوجها الاول فاخبرته بالقصة فقال الزوج الثانى أنا والله ذلك المسكين الاول الذى خيبنى فحول الله نعمته وأهله الى لقلة شكره وحكى الهيثم أيضا قال صار سيف عمرو بن معديكرب الزبيدى الذى كان يسمى بالصمصامة الى موسى الهادى بن المهدى وكان عمرو قد وهبه لسعيد بن العاص الاموى فتوارثه ولده الى ان مات المهدى فاشتراه موسى الهادى منهم بمال جليل وكان من أوسع بنى العباس كفا وأكثرهم عطاء فجرد الصمصامة وجعلها بين يديه وأذن للشعراء فدخلوا عليه ودعا بمكتل فيه بدرة وقال قولوا فى هذا السيف فبدر ابن يامين البصرى وأنشد يقول

حاز صمصامة الزبيدى من بيـ * ـن جميع الانام موسى الامين
سيف عمرو وكان فيما سمعنا * خير ما أغمدت عليه الجفون
أخضر اللون بين حديه برد * من ذباح تميش فيه المنون
أوقدت فوقه الصواعق نارا * ثم شابت فيه الزعاف القيون
فاذا ماسللته بهر الشمـ * ـس ضياء فلم تكد تستبين
ما يبالى من انتضاه لضرب * أشمال سطت به أم يمين
يستطير الابصار كالقبس المشـ * ـعل ما تستقر فيه العيون

ويضرب المثل بذكائه يغبطه الناس على نقاء قريحته وسرعة بديهته ألمعيا فطنا لبيبا لوذعيا فذا أديبا وكان اذا باحث أقام للاعجاز برهانا وأصمت الببابا واذهانا وكانت المشاهير من كبار التفاسير مركوزة فى صحيفة خاطره كأنها موضوعة لدى ناظره وأما العلوم العقلية فهو ابن بجدتها وآخذ بناصيتها وقد كتب حاشية على تفسير البيضاوى لسورة الانعام وعلق حواشى على مواضع أخر الا أنه لم يتيسر له التبييض والاتمام بسبب انه سلك مسلك الزهد والصلاح واتسم بسمة أصحاب الفوز والفلاح وكان جامعا بين العلم والتقوى متمسكا من حبال الشريعة الشريفة بالسبب الاقوى وكان يحفظ القرآن الكريم ويختم فى صلواته فى كل أسبوع مرة وقال يوما انى منذ خمسين سنة لم يتفق لى قضاء صلاة الصبح فكيف غيرها وكان رحمه الله يقول لابد انى أموت فى انقضاء رمضان وأدفن ليلة القدر وكان الامر كما قال وكان مشايخ زمانه يقولون انه كمل الطريقة الصوفيه وكان المرحوم الوالد بالى بن محمد شريكا له فى زمن اشتغاله وصار ملازما من المولى كمال باشازاده فى القضية الواقعة بين المولى المزبور وبين جوى زاده

وكان

وكان الفرند والجوهر الجا * رى فى صفحتيه ماء معين
نعم مخراق ذى الحفيظة فى الهيـ * ـجاء يعصى به ونعم القرين

فقال الهادى أصبت والله مافى نفسى واستخفه السرور فامر له بالمكتل والسيف فلما خرج من عنده قال للشعراء انما حرمتم من اجلى فشانكم والمكتل ففى السيف غناى فاشترى منه السيف بمال جزيل وقال المسعودى فى كتاب مروج الذهب اشتراه الهادى منه بخمسين ألفا ولم يذكر من هذه الابيات الا بعضها والذباح بضم الذال المعجمة وفتح الباء الموحدة وبعد الالف حاء مهملة وهو نبت قاتل لتسميته وقد جاء كثيرا فى الشعر ويعصى بفتح الصاد يقال عصى بكسر الصاد يعصى اذا ضرب بالسيف وهو خلاف عصى يعصى اذا ارتكب الذنب (وحكى المسعودى) فى مروج الذهب فى ولاية هشام بن عبد الملك أن الهيثم بن عدى المذكور روى عن معمر بن هانئ الطائى قال خرجت مع عبد الله بن على وهو عم السفاح والمنصور فانتهينا الى قبر هشام بن عبد الملك فاستخرجناه صحيحا مافقدنا منه الا خرمة أنفه فضربه عبد الله ثمانين سوطا ثم أحرقه فاستخرجنا سليمان بن عبد الملك من أرض دابق فلم نجد منه شيأ الا صلبه واضلاعه ورأسه فاحرقناه وفعلنا ذلك بغيرهما من بنى أمية وكانت قبورهم بقنسرين ثم انتهينا الى دمشق فاخرجنا الوليد بن عبد الملك فما وجدنا فى قبره لا قليلا ولا كثيرا واحتفرنا عن عبد الملك فما وجدنا الا شؤن رأسه ثم احتفرنا عن يزيد بن معاوية فما وجدنا منه الا عظما واحدا ووجدنا خطا أسود كأنما خط بالرماد بالطول فى لحده ثم تتبعنا قبورهم فى جميع البلدان فاحرقنا ما وجدنا فيها منهم وكان سبب فعل عبد الله ببنى أمية هذا الفعل ان زيد بن زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم وقد سبق ذكره فى ترجمة الوزير محمد بن بقية خرج على هشام بن عبد الملك وسمت نفسه على طلب الخلافة وتبعه خلق من الاشراف والقراء فسار به يوسف بن عمر الثقفى أمير العراقين وسيأتى ذكره ان شاء الله تعالى فانهزم أصحاب زيد وبقى فى جماعة يسيرة فقاتلهم أشد قتال وهو يقول متمثلا

ذل الحياة وعز الممات * وكلا أراه طعاما وبيلا
فان كان لابد من واحد * فسيرى الى الموت سيرا جميلا

وحال المساء بين الفريقين فانصرف زيد مثخنا بالجراح وقد أصابه سهم فى جبهته فطلبوا من ينزع النصل وأتى بحجام من بعض القرى فاستكتموه أمره فاستخرج النصل فمات من ساعته فدفنوه فى ساقية ماء وجعلوا على قبره التراب والحشيش وأجروا الماء على ذلك وحضر الحجام مواراته فعرف الموضع فلما أصبح مضى الى يوسف متنصحا له فدله على موضع قبره فاستخرجه يوسف وبعث برأسه الى هشام فكتب اليه هشام ان اصلبه عريانا فصلبه يوسف كذلك ففى ذلك يقول بعض شعراء بنى أمية يخاطب آل أبى طالب وشيعتهم من جملة أبيات

صلبنا لكم زيدا على جذع نخلة * ولم أر مهديا على الجذع يصلب

وبنى تحت خشبته عمود ثم كتب هشام الى يوسف يأمره باحراقه وتذريته فى الرياح وكان ذلك فى سنة احدى وعشرين وقيل اثنتين وعشرين ومائة وذكر أبو بكر بن عياش وجماعة من الاخباريين ان زيدا أقام مصلوبا خمس سنين عريانا فلم ير أحد له عورة سترا من الله سبحانه وتعالى وقال بعضهم ان العنكبوت نسج على عورته وذلك بالكناسة بالكوفة فلما كان فى أيام الوليد بن يزيد وظهر ولده يحيى بن زيد بخراسان وهى واقعة مشهورة كتب الوليد الى عامله بالكوفة ان احرق زيدا بخشبته ففعل به ذلك وأذرى رماده فى الرياح على شاطئ الفرات والله تعالى أعلم أى ذلك كان فهذا الذى حمل عبد الله بن على على مافعله ببنى أمية انتصارا لبنى عمه وانتقاما لهم بنظير ما فعل بهم وقال الهيثم ايضا استعملت على صدقات بنى فزارة فجاءنى رجل منهم فقال اريك عجبا فقلت بلى فانطلق الى شاهق جبل فاذا فيه صدع فقال لى ادخل فقلت انما يدخل الدليل قال فدخل فاتبعته ودخل معنا أناس فكان ربما ضاق الجبل واتسع فاذا نحن بضوء فدنونا منه واذا خرق ذاهب فى الارض واذا عكاكيز فى الجبل فجذبناها فاذا هى سهام عاد واذا كتاب منقور فى الجبل مقدار

وخلاصة ذلك الخبر انه لما فتح احدى المدارس الثمان امتحن المولى محيى الدين الفنارى والمولى القادرى والمولى جوى زاده والمولى اسرافيل زاده والمولى اسحق ووقع الامتحان من كتب الهداية والتلويح والمواقف فطالعوا فيها وحرروا رسائل وكان المولى كمال باشازاده يومئذ مفتيا بدار السلطنة وقد كان كتب قبل هذا كتابا فى أصول الفقه وسماه تغيير التنقيح فاتفق ان له فى محل الامتحان من ذلك الكتاب ردا على صاحب التنقيح فلما وقف عليه المولى جوى زاده نقله فى رسالته بلفظ قيل وأجاب عنه فلما تم الامتحان وتقرر رجحان المولى جوى زاده سعى بعض اعدائه الى المفتى المزبور بانه كتب كلامك فى رسالته بتخفيف وتنقيص فغضب المفتى وشكا الى السلطان فامر بحبسه وتسلية المفتى فارسل اليه من يتعرف ذلك فقال المفتى لا أتسلى بدون قتله فعزم السلطان على أن يقتله فى الحجر الا انه لم يسارع فيه لما انه كان يسمع فى المولى جوى زاده من الفضل والتقوى ثم أشار الى بعض الرؤساء بان يسعوا فى ازالة غضب المفتى واثارة ناره فسعى طائفة من العلماء وغيرهم واستشفعوا وتضرعوا اليه

اصبعين أو أكثر واذا هو مكتوب بالعربية وهو

الا هل الى أبيات سفح بذى اللوى * لوى الرمل فاصدقن النفوس معاد
بلادلنا كانت وكنا نحبها * اذا الناس ناس والبلاد بلاد

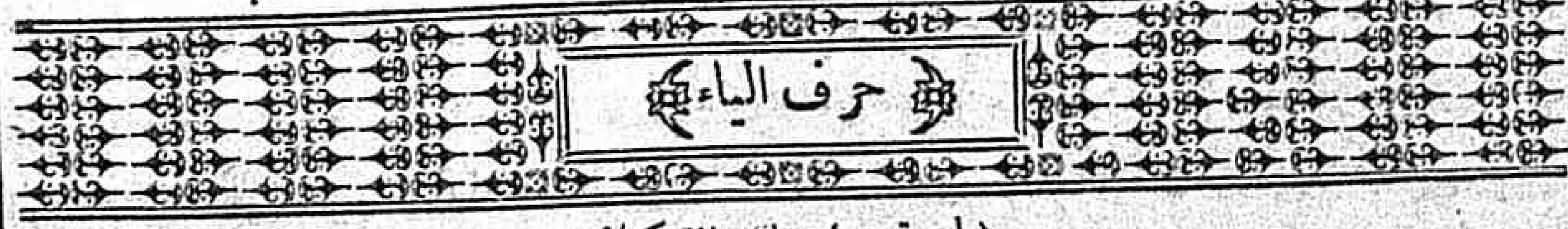
وروى ان أبا نواس الحسن بن هانئ الحكمى الشاعر المقدم ذكره حضر مجلس الهيثم بن عدى فى حداثته والهيثم لا يعرفه فلم يستدنه ولا قرب مجلسه فقام مغضبا فسأل الهيثم عنه فخبر باسمه فقال انا لله هذه والله بلية لم أجنها على نفسى قوموا بنا اليه لنعتذر فساروا اليه ودق الهيثم الباب عليه وتسمى له فقال ادخل فدخل فاذا هو قاعد يصفى نبيذا له وقد أصلح بيته بما يصلح به مثله فقال المعذرة الى الله تعالى ثم اليك وما عرفتك وما الذنب الا لك حيث لم تعرفنا نفسك فنقضى حقك ونبلغ الواجب من برك فأظهر له قبول العذر فقال الهيثم استعهدك من قول سبق منك فى فقال ما قد مضى فلا حيلة فيه ولك الامان مما استأنف فقال ما الذى مضى جعلت فداك قال بيت مر وأنا فيما ترى يعنى من الغضب قال فانشدنيه فدافعه فالح عليه فانشده

ياهيثم بن عدى لست للعرب * ولست من طيء الا على شغب
اذا نسبت عديا فى بنى ثعل * فقدم الدال قبل العين فى النسب

فقام من عنده ثم بلغه بعد ذلك بقية الابيات وهى

لهيثم بن عدى فى تلونه * فى كل يوم له رحل على خشب * فما يزال اخا حل ومرتحل
الى الموالى واحيانا الى العرب * له لسان يزجيه بجوهره * كانه لم يزل يغدو على قتب
كأننى بك فوق الجسر منتصبا * على جواد قريب منك فى الحسب * حتى نراك وقد درعته قصا
من الصديد مكان الليف والكرب * لله أنت فما قربى نهم بها * الا اجتلبت لها الانساب من كثب

فعاد الهيثم الى أبى نواس وقال له يا سبحان الله قد أمنتنى وجعلت لى عهدا ان لا تهجونى فقال انهم يقولون مالا يفعلون وأخبار الهيثم كثيرة وقد أطلنا الشرح وكانت ولادته قبل سنة ثلاثين ومائة وتوفى غرة المحرم سنة ست وقيل سبع ومائتين وقال ابن قتيبة فى كتاب المعارف سنة تسع ومائتين والله تعالى أعلم بالصواب رحمه الله تعالى وله عقب ببغداد وقال السمعانى فى كتاب الانساب فى ترجمة البحترى انه توفى سنة تسع ومائتين بفم الصلح وله ثلاث وتسعون سنة وزاد غيره ان وفاته كانت عند الحسن بن سهل وقد تقدم فى ترجمة بوران ان زواجها بالمأمون كان فى هذا التاريخ بهذا الموضع والظاهر انه كان فى جملة من حضر فتوفى هنالك وقد تقدم الكلام على الطائى والبحترى والثعلى بضم الثاء المثلثة وفتح العين وبعدها لام هذه النسبة الى ثعل بن عمرو بن الغوث بن طى وقد تقدم تتمة هذه النسبة فى ترجمة البحترى فى حرف الواو فلتنظر هنالك وتنسب الى ثعل المذكور عدة بطون منها بحتر وسلامان وغيرهما ومن هذه القبيلة عمرو بن المسبح الثعلى الذى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفود العرب فأسلم بالمدينة وهو ابن مائة وخمسين سنة وكان ارمى العرب وفيه يقول امرؤ القيس جندح بن حجر الكندى الشاعر المشهور رب رام من بنى ثعل * مخرج كفيه من ستره وهذه من جملة ما استشهد به ابن قتيبة فى كتاب طبقات الشعراء على قرب زمن امرئ القيس من زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه كان قبله بمقدار أربعين سنة هذا خلاصة ما قاله والله تعالى أعلم



حرف الياء

(ياروق بن ارسلان التركمانى)

كان متقدما جليل القدر فى قومه واليه تنسب الطائفة الياروقية من التركمان وكان عظيم الخلقة هائل المنظر سكن بظاهر حلب فى جهتها القبلية وبنى على شاطئ قويق فوق تل مرتفع هو وأهله وأتباعه أبنية كثيرة مرتفعة وعمائر متسعة وتعرف الآن بالياروقية وهى شبه القرية وسكنها هو ومن معه وهى الى

وغيروا الرسالة وعرضوها عليه وقالوا ان ما ذكر كذب وافتراء عليه فلما أحسوا منه الميل الى العفو أتوا به اليه فلما دخل عليه باس نعله فخرج من عنده فعفا عنه السلطان وذهب الى احدى المدرستين المتجاورتين بادرنه وحرم من الدخول فى المدارس الثمان ثم قصد السلطان الى المفتى بالاحسان تسلية للامر السابق وجزاء للعفو المذكور فارسل اليه من الكتب والآنية وغيرها وطلب منه أن يعين عدة من طلبته للملازمة فعين رحمه الله فمن عين المرحوم الوالد وكان عنده بمرتبة ثم درس المرحوم بمدرسة خاص كوى بعشرين ثم مدرسة أمير الامراء بادرنه بخمسة وعشرين ثم ساقه بعض الامور الى اختيار منصب القضاء وتولى عدة مناصب حتى توفى بقصبة جورلى وهو مسافر الى قصبة بوردين بعد تقليد قضائه بثمانية وثلاثين ودفن بالقصبة المزبورة وذلك فى شهر رجب وقد ولد رحمه الله سنة احدى وتسعمائة وقد قرأت عليه الصرف والنحو ونبذا من علم الفروع وأنا فى ذلك مكمل لاول العقول وكان رحمه الله حديد الذهن صاحب القريحة صحيح العقيدة بحاثا بالعلم معروفا به بين الاهالى وقد كتب تفسيرا من المعتبرات بخطه

اليوم معمورة مسكونة آهلة تتردد اليها أهل حلب فى أيام الربيع ويتنزهون هنالك فى الخضرة على قويق وهو موضع كثير الانشراح والانس وتوفى ياروق المذكور فى المحرم عام أربع وستين وخمسمائة رحمه الله تعالى هكذا ذكره بهاء الدين المعروف بابن شداد فى سيرة السلطان صلاح الدين رحمهما الله تعالى وياروق بفتح الياء المثناة من تحتها وبعد الالف راء مضمومة ثم واو ساكنة وفى الآخر قاف وقويق بضم القاف وفتح الواو وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها قاف وهو نهر صغير بظاهر حلب يجرى فى الشتاء والربيع وينقطع فى الصيف وقد ذكرته الشعراء فى أشعارهم كثيرا خصوصا أبا عبادة البحترى فانه كرر ذكره فى عدة قصائد فمن ذلك قوله فى جملة قصيدة

يابرق أسفر عن قويق فطرتى * حلب فاعلى القصر من بطياس * عن منبت الورد المعصفر صبغة
فى كل ناحية ومجنى الآس * أرض اذا استوحشت ثم أتيتها * حشدت على فاكثرت ايناسى

وبطياس بفتح الباء الموحدة وسكون الطاء المهملة وفتح الياء المثناة من تحتها وبعد الالف سين مهملة وهى قرية كانت بظاهر حلب ودثرت ولم يبق لها اليوم أثر وكان صالح بن على بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب رضى الله عنهم قد بنى بها قصرا وسكنه هو وبنوه وهو بين النيرب والصالحية وهما قريتان فى شرقى حلب وكان القصر على الرابية المشرفة على النيرب ولم يبق منه فى هذا الزمان سوى آثار دارسة هكذا وجدته مضبوطا بخط بعض الفضلاء من أهل حلب والله تعالى أعلم

(ابو الدر ياقوت بن عبد الله الموصلى الكاتب الملقب أمين الدين المعروف بالملكى نسبته الى السلطان ملكشاه أبى الفتح بن سلجوق بن محمد بن ملكشاه الاكبر)

نزل الموصل وأخذ النحو عن أبى محمد سعيد بن المبارك المعروف بابن الدهان النحوى وقرأ عليه من تصانيفه جملة وكان ملازمه وقرأ عليه ديوان المتنبى والمقامات الحريرية وغير ذلك وكتب الكثير وانتشر خطه فى الآفاق وكان فى نهاية الحسن ولم يكن فى آخر زمانه من يقاربه فى حسن الخط ولا يؤدى طريقة ابن البواب فى النسخ مثله مع فضل غزير ونباهة تامة وكان مغرى بنسخ الصحاح للجوهرى فكتب منها نسخا كثيرة كل نسخة فى مجلد واحد رأيت منها عدة نسخ وكل نسخة تباع بمائة دينار وكتب عليه خلق كثير وانتفعوا به وكانت له سمعة كبيرة فى زمانه وقصده الناس من البلاد وسير اليه من بغداد النجيب أبو عبد الله الحسين بن على بن أبى بكر الواسطى قصيدة مدحه بها ولم يكن رآه بل على السماع به وهى قصيدة جيدة فى بابها ووصف حسن خطه فابلغ وهى

أين غزلان عالج والمصلى * من ظباء سكن نهر المعلى * ابتلاك الكثبان اغصان بان
وبدور من أفقها تتجلى * أم لتلك الغزلان حسن وجوه * لو تراءت للمزن أصبح سهلا
أين خودانها من النرجس الغض اذا ناخز النسيم استقلا * أين ذاك العرار من صبغة الور
د اذا جاده الغمام وطلا * أبجر عائها كواكب نارنج دنا فى غصونه فتدلى
أيقنت ان ماعدجلة كفؤ * كذب القاسطون حاشا وكلا * ألدار السلام فى الارض شبه
معجز أن ترى لبغداد مثلا * كل يوم تبدى وجوها خلاف الامس حسنا كانما هى حبلى
وصبايا يصبو الحليم اليهن اذا ما خطرن شكلا ودلا * يعتصبن العصائب الناصريا
ت فيحللن منك عقدا وحلا * ليس يرقبن فيك الا ولا يعـ * ـرفن شيأ غير الصحاح والا
مرتع للقلوب فيه ربيع * متوال اذا الربيع تولى * بلدة تستفاد فيها المعالى
والمعانى علما وجدا وهزلا * لم يفتها من الكمال سوى يا * قوت لو أنها به تتحلى
من لها أن يضوع نشر أمين الدين فيها وحسبها ذاك فضلا * لو رجت ان يزورها الانبرى الصبا
مت فيها يقول أهلا وسهلا * ولئن وافت الرواة بريا * ه اليها فان رؤياه أحلى
بحر جود له الاكارم تتلو * وجواد عنه المكارم تتلى

خصوصا مؤلفات أستاذه المولى ابن كمال باشازاده حيث كتب جميع كتبه ورسائله وعلق حواشى على بعض المواضع من شرحه للفرائض وعلى بعض المواضع من الاصلاح والايضاح وكان له اليد الطولى فى الكلام والهيئة والحساب وكتب على بعض المواضع منها كلمات لطيفة وكان رحمه الله محمود السيرة فى قضائه عامله الله بلطفه يوم جزائه

(ومن العلماء الاعيان المولى مصلح الدين الشهير بكوجك بستان)

نشأ رحمه الله بقصبة بركى وطلب العلم ودار البلاد واشتغل واستفاد حتى انتظم فى سلك أرباب الاستعداد ودخل مجالس الفحول منهم المولى محيى الدين المشتهر بالمعلول وصار معيد الدرس المولى عبد الرحمن فى مدرسة زوجة السلطان سليمان خان ثم درس بالمدرسة الخاتونية بقسطنطينية بعشرين ثم صارت وظيفته فيها خمسة وعشرين ثم درس بمدرسة مراد باشا فى المدينة المزبورة بثلاثين وقد قرأت عليه فى تلك المدرسة طرفا من شرح المفتاح للشريف الجرجانى ثم نقل عنها الى المدرسة الافضلية باربعين ثم درس بالمدرسة القلندرية بخمسين ثم نقل الى مدرسة زوجة السلطان سليمان

جامع شارد العلوم ولولا * ه لكانت أم الفضائل ثكلى * ذو يراع تخاف صولته الاسـ
ـد وتعنو له الكتائب ذلا * واذا افترّ ثغره عن سواد * فى بياض فالبيض والسمر خجلا
يقظ فى حراسة الملك لا يعـ * ـمل سهما ولا يجرد نصلا * انما يبعث البلاغة ارسا
لا اذا كانت الصحائف رسلا * فيعيد الجبار ممتثلا خو * فالماقد أصلّ فيها وأملى
وتراه طورا يجيل يديه * بقداح العلوم فصلا ففصلا * مثل وشى الرياض أو كنظيـ
ـم الدر يزهى خطا ولفظا ونقلا * فاتئد يا مريد مثل مين الدين مهلا أتعبت نفسك مهلا
سيدى يا أخا السماح وطرا الـ * ـمجد وابن العلى ورب المعلى * أنت بدر والكاتب بن هلال
كأبيه لا خير فيمن تولى * ان يكن أوّلا فانك بالتفـ * ـضيل أولى لقد سبقت وصلى
يا أمين الدين الذى جمع الـ * ـله به للسماح والفضل شملا * أنا من قادة الثناء الى
حبك حتى يظل تيها ويتلى * واذا سجل الثناء بقاض * صار فيه أخو الشهادة عدلا
فارض بكرا ما راض قط أبوها * فكره بابنة ليخطب بعلا * لا لجزاء يريد عنها ولا أجـ
ـرا ولكن رآك للمدح أهلا * ودعاه اليك داعى وداد * جاء يبغى من حسن رأيك وصلا
واذا ما تعـ * ـذر القرب فالقلـ * ـب كفيل به ورأيك أعلى
فابق واسلم ما جرد الافق جيشا * من ظلام وجرد الصبح نصلا

وتوفى أمين الدين المذكور بالموصل سنة ثمانى عشرة وستمائة وقد أسن وتغير خطه من الكبر رحمه الله تعالى

(ابو الدر ياقوت بن عبد الله الرومى الملقب مهذب الدين الشاعر المشهور)

مولى أبى منصور الجيلى التاجر اشتغل بالعلم وأكثر من الادب واستعمل قريحته فى النظم فأجاد فيه ولما تميز ومهر سمى نفسه عبد الرحمن وكان مقيما بالمدرسة النظامية ببغداد وعده ابن الذهبى فى كتاب الذيل من جملة من اسمه عبد الرحمن وذكر أنه نشأ ببغداد وحفظ القرآن العزيز وقرأ شيأ من الادب وكتب خطا حسنا وقال الشعر وأكثر النظم منه فى الغزل والتصابى وذكر المحبة وراق شعره وحفظته الناس وأورد له مقطوعا من الشعر وذكر انه أنشده اياه وهو خليلى لا والله ماجن غاسق * وأظلم الا حن أو جن عاشق وبقيته فى المجموع الصغير وأشعاره سائرة يتغنى بها وهى رقيقة لطيفة فمن ذلك قوله

ان غاض دمعك فالاحباب قد بانوا * فكل ما تدعى زور وبهتان
وكيف تأنس أو تنسى خيالهمو * وقد خلا منهمو ربع وأوطان
لا أوحش الله من قوم نأوا فنأى * عن النواظر أقمار وأغصان
ساروا فسار فؤادى اثر ظعنهم * وبان جيش اصطبارى ساعة بانوا
لا افترّ ثغر الثرى من بعد بعدهم * ولا ترنح أيك لا ولا بان
أجرى دموعى وأذكى النار فى كبدى * غداة بينهم همّ وأحزان
طوفان نوح نوى فى مقلتى وفى * طى الحشا لخليل الله نيران
لو كابد الصخر ما كابدت من كمد * فيكم لجاد له أحد ولبنان
وذاب يذبل من وجدى ورض على * رضوى ولان لما ألقاه ثهلان
يا من تملك رقى حسن بهجته * سلطان حسنك مالى منه احسان
كن كيف شئت فمالى عنك من بدل * أنت الزلال لقلبى وهو ظمآن

ومن شعره ألا مبلغ وجدى بها وغرامى * ومهد الى دار السلام سلام * نسيم الصبا بلغ تحية مشتم الى معشر لم يرع عهد ذمامى * وصف بعض أشواقى اليه لعله * يرق لذلى فى الهوى وهيامى * أيا رحبة الزوراء لى فيك شادن * نفى بعده من مقلتىّ منامى * بديع جمال بان صبرى لبينه وعرضنى اعراضه لحمامى * يصد اذا ما صد عن عينى الكرى * ويمزج دمعى هجوه بمدامى

نمان ثم الى احدى المدارس الثمان ثم الى مدرسة مغنيسا وفوض اليه الفتوى بهذه النواحى وعين له كل يوم سبعون درهما ثم زيد عليها عشرة ثم عشرون فصارت وظيفته فى كل يوم مائة فاشتغل فيها وأفاد وأفتى وأجاد حتى أبلاه الدهر وأباد فى أوائل ذى الحجة سنة سبع وسبعين وتسعمائة وكان المرحوم مشاركا فى أكثر العلوم قوّالا بالحق متصلبا فى دينه مشتغلا بما يهمه ويعنيه ومجتهدا فى احراز العلوم النافعة غاية الاجتهاد جزاه الله بمزيد احسانه يوم التناد

(ومن زمرة هؤلاء السادة المولى عبد الله الشهير بغزالى زاده)

كان رحمه الله من أولاد الامام أبى حامد الغزالى قرأ رحمه الله على الافاضل واشتغل على المولى سعد الله محشى تفسير البيضاوى ثم صار ملازما من المولى مصلح الدين المشتهر بطاشكبرى زاده ثم درس بالمدرسة الجانبازية بقسطنطينية بعشرين ثم تقلد قضاء بعض القصبات فاشتهر بكمال السداد والاستقامة فجمع قضاء سلانيك وسدوقبسى وقلد المرحوم بثلثمائة درهم فى كل يوم ثم أمر بتفتيش أوقاف القاهرة فأصبحت بحسن تدابيره عامرة فلما عاد منها قلد قضاء قصبة أبى أيوب الانصارى

حياتى

حياتى وموتى فى يديه وجنتى * ونارى وريى فى الهوى وأوامى
ففى بعده عنى وفاتى وقربه * حياتى واسعادى ونيل مرامى
ومن وجنتيه نار وجدى وخصره * نحولى ومن سقم الجفون سقامى
فكن عاذرى يا عاذلى فدلاله * دليل على وجدى به وغرامى

ورأيت كثيرا من الفقهاء بالشام وبلاد الشرق يحفظون له قصيدة أوّلها

جسدى لبعدك يا مثير بلابلى * دنف بحبك ما أبلّ بلا بلى * يا من اذا ما لام فيه لوائمى
أوضحت عذرى بالعذار السائل * أأجيز قتلى فى الوجيز لقاتلى * أم حل فى التهذيب أم فى الشامل
أم فى المهذب أن يعذب عاشق * ذو مقلة عبرى ودمع هاطل
أم طرفك الفتاك قد أفتاك فى * تلف النفوس بسحر طرف بابلى

وهى أكثر من هذا لكن هذا القدر هو الذى استحضرته فى هذا الوقت منها وأنشدنى له بعض الادباء بمدينة حلب أبياتا منها قوله

ألست من الولدان أحلى شمائلا * فكيف سكنت القلب وهو جهنم

ثم قال وقد انتقدوا عليه فى بغداد فى هذا البيت فأفكرت فيه ثم قلت له لعل الانتقاد من جهة انه ما يلزم من كونه أحلى شمائل من الولدان أنه لا يكون فى جهنم فانه قد يكون أحلى شمائل منهم وليس الممتنع الا أن يكون الولدان فى جهنم فقال نعم هذا الذى أخذ عليه وأخبرنى بعض الافاضل بمدينة اربل فى سنة خمس وعشرين وستمائة قال كنت ببغداد فى سنة عشرين وستمائة بالمدرسة النظامية فقعدت يوما على بابها الى جانب أبى الدر المذكور ونحن نتذاكر الادب اذ جاء شيخ ضعيف القوى والحال يتوكأ على عصا فجلس قريبا منا فقال لى أبو الدر أتعرف هذا فقلت لا فقال هذا مملوك حيص بيص الذى يقول فيه

تشربش أو تقمص أو تقبى * فلن تزداد عندى قط حبا
تملك بعض حبك كل قلبى * فان ترد الزيادة هات قلبا

قال فجعلت أنظر اليه وأفكر فيما كان عليه وما آل حاله اليه ولقد طلبت أنا هذين البيتين فى ديوان الحيص بيص فلم أجدهما فيه والله أعلم ولابى الدر المذكور ديوان شعر سمعت انه صغير ولم أقف عليه بل على مقاطيع كثيرة منه وشعره متداول بالعراق وبلاد الشرق والشام ويكفى منه هذا القدر وقد تقدم فى حرف الخاء فى ترجمة الشيخ الخضر بن عقيل الاربلى له ثلاث أبيات دالية ثم انى ملكت من ديوانه نسختين فى سنة سبع وستين وستمائة بدمشق المحروسة وهو صغير الحجم يدخل فى عشر كراريس ورأيت فى بعض التواريخ المتأخرة ان أبا الدر المذكور وجد ميتا فى منزله ببغداد فى الثانى عشر من جمادى الاولى سنة اثنتين وعشرين وستمائة وقال الناس انه كان قد توفى قبل ذلك بايام رحمه الله تعالى وقال ابن النجار فى تاريخ بغداد وجد أبو الدر فى داره ميتا يوم الاربعاء خامس عشر جمادى الاولى من السنة وكان قد خرج من النظامية فسكن فى دار بدرب دينار الصغير ولم يعلم متى مات وأظنه ناطح الستين والله أعلم والرومى بضم الراء وسكون الواو وبعدها ميم هذه النسبة الى بلاد الروم وهو اقليم مشهور متسع كثير البلاد (وههنا نكتة غريبة) يحتاج اليها ويكثر السؤال عنها وهى ان أهل الروم يقال لهم بنو الاصفر واستعملته الشعراء فى أشعارهم فمن ذلك قول عدى بن زيد العبادى من جملة قصيدته المشهورة

وبنو الاصفر الكرام ملوك الـ * ـروم لم يبق منهمو مذكور

ولقد تتبعت ذلك كثيرا فلم أجد ما يشفى الغليل حتى ظفرت بكتاب قديم اسمه اللفيف ولم يكتب عليه اسم مؤلفه فنقلت منه ما صورته عن العباس عن أبيه قال انخرم ملك الروم فى الزمان الاوّل فبقيت منه امرأة فتنافسوا فى الملك حتى وقع بينهم شر فاصطلحوا على أن يملكوا أول من يشرف عليهم فجلسوا مجلسا لذلك وأقبل رجل من اليمن معه عبد له حبشى يريد الروم فأبق العبد منه فأشرف عليهم فقالوا انظروا فى أى شئ

مع قصبة غلطه بثلثمائة وورد الامر من السلطان بان يتخذ طلبة للتعليم ويباشر الدرس من الكتب المتداولة المعهودة ويعامل معاملة قضاة الشام وحلب المعمورة كل ذلك بعناية الوزير الكبير رستم باشا فلما عزل الوزير المزبور عزل المرحوم عن القضاء وعين له كل يوم ستون درهما ثم زيد عليها عشرون فصارت وظيفته كل يوم ثمانين درهما وتوفى رحمه الله فى أواخر ذى الحجة سنة سبع وسبعين وتسعمائة وكان رحمه الله صاحب ذهن وقاد وطبع نقاد قوى المناظرة جيد المحاضرة محمود السيرة حسن السريرة ورعا دينا منقطعا الى الله مشتغلا باوامر مولاه خاليا عن الكبر والخيلاء طارحا للتكلف متخلقا باخلاق المشايخ والصلحاء وقد تلقن الذكر من السيد ولايت وتزوج ابنته ويقال انه كمل الطريقة الزينية وكان رحمه الله صاحب اليد الطولى فى علم الفقه وأمور القضاء وقد كتب رحمه الله تعالى شرحا للاسماء الحسنى وجمع فيه فوائد وفرائد فلما بقى منه القليل وقعت له واقعة بان أسرع فى اتمامه فان الوقت قريب فسارع رحمه الله فى اتمامه فلما فرغ منه ومضى عليه عدة أيام مرض وتمادى

وقعتم فزوجوه تلك المرأة فولدت غلاما فسموه الاصفر فخاصمهم المولى فقال الغلام صدق انا عبده فارضوه فاعطوه حتى رضي فبسبب ذلك قيل للروم بنو الاصفر لصفرة لون الولد لكونه مولدا بين الحبشي والمرأة البيضاء والله أعلم

(أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الجنس الحموي المولد البغدادي الدار الملقب شهاب الدين)

أسر من بلاده صغيرا وابتاعه ببغداد رجل تاجر يعرف بعسكر بن أبي نصر ابراهيم الحموي وجعله في الكتاب لينتفع به في ضبط تجائره وكان مولاه عسكر لا يحسن الخط ولا يعلم شيأ سوى التجارة وكان ساكنا ببغداد وتزوج بها واولد عدة أولاد ولما كبر ياقوت المذكور قرأ شيأ من النحو واللغة وشغله مولاه بالاسفار في متاجره فكان يتردد الى كيش وعمان وتلك النواحي ويعود الى الشام ثم جرت بينه وبين مولاه نبوة أوجبت عتقه فابعده عنه وذلك في سنة ست وتسعين وخمسمائة فاشتغل بالنسخ بالاجرة وحصل بالمطالعة فوائد ثم ان مولاه بعد مدة ألوى عليه وأعطاه شيأ وسفره الى كيش ولما عاد كان مولاه قد مات فحصل شيأ مما كان في يده وأعطى أولاد مولاه وزوجته ما أرضاهم به وبقيت بيده بقية جعلها رأس ماله وسافر بها وجعل بعض تجارته كتبا وكان متعصبا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكان قد طالع شيأ من كتب الخوارج فاشتبك في ذهنه منه طرف قوي وتوجه الى دمشق في سنة ثلاث عشرة وستمائة وقعد في بعض أسواقها وناظر بعض من يتعصب لعلي رضي الله عنه وجرى بينهما كلام أدى الى ذكره عليا رضي الله عنه بما لا يسوغ فثار الناس عليه ثورة كادوا يقتلونه فسلم منهم وخرج من دمشق منهزما بعد ان بلغت القضية الى والي البلد فطلبه فلم يقدر عليه ووصل الى حلب خائفا يترقب وخرج عنها في العشر الاول أو الثاني من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وستمائة وتوصل الى الموصل ثم انتقل الى اربل وسلك منها الى خراسان وتحامى دخول بغداد لان المناظر له بدمشق كان بغداديا وخشي أن ينقل قوله فيقتل فلما انتهى الى خراسان أقام بها يتجر في بلادها واستوطن مدينة مرو مدة وخرج عنها الى نسا ومضى الى خوارزم وصادفه وهو بخوارزم خروج التتر وذلك في سنة ست عشرة وستمائة فانهزم بنفسه كبعثه يوم الحشر من رمسه وقاسى في طريقه من المضايقة والتعب ما كان يكل عن شرحه اذا ذكره ووصل الى الموصل وقد تقطعت به الاسباب وأعوزه دني المآكل وخشن الثياب وأقام بالموصل مدة مديدة ثم انتقل الى سنجار وارتحل منها الى حلب وأقام بظاهرها في الخان الى ان مات في التاريخ الآتي ذكره ان شاء الله تعالى ونقلت من تاريخ اربل الذي عني بجمعه أبو البركات بن المستوفي المقدم ذكره أن ياقوتا المذكور قدم اربل في رجب سنة سبع عشرة وستمائة وكان مقيما بخوارزم وفارقها للواقعة التي جرت فيها بين التتر والسلطان محمد بن تكش خوارزم شاه وكان قد تتبع التواريخ وصنف كتابا سماه ارشاد الالباء الى معرفة الادباء يدخل في أربع جلود كبار ذكر في أوله قال وجمعت في هذا الكتاب ما وقع الي من أخبار النحويين واللغويين والنسابين والقراء المشهورين والاخباريين والمؤرخين والوراقين المعروفين والكتاب المشهورين وأصحاب الرسائل المدونة وأرباب الخطوط المنسوبة المعينة وكل من صنف في الادب تصنيفا أوجمع فيه تأليفا مع ايثار الاختصار والاعجاز في نهاية الايجاز ولم آل جهدا في اثبات الوفيات وتبيين المواليد والاوقات وذكر تصانيفهم ومستحسن أخبارهم والاخبار بانسابهم وشئ من أشعارهم في ترداذي الى البلاد ومخالطتي للعباد وحذفت الاسانيد الا ما قل رجاله وقرب مناله مع الاستطاعة لاثباتها سماعا واجازة الا انني قصدت صغر الحجم وكبر النفع وأثبت مواضع نقلي ومواطن أخذي من كتب العلماء المعول في هذا الشان عليهم والرجوع في صحة النقل اليهم ثم ذكر انه جمع كتابا في أخبار الشعراء المتأخرين والقدماء ومن تصانيفه أيضا كتاب معجم البلدان وكتاب معجم الشعراء وكتاب معجم الادباء وكتاب المشترك وضعا المختلف صقعا وهو من الكتب النافعة وكتاب المبدا والمآل في التاريخ وكتاب الدول ومجموع كلام أبي علي الفارسي وعنوان كتاب الاغاني والمقتضب في النسب يذكر فيه انساب العرب وكتاب أخبار المتنبي وكانت له همة عالية في تحصيل المعارف وذكر القاضي الاكرم جمال

الدين

به المرض حتى توفي في السنة المزبورة

(ومنهم المولى جعفر ابن عم المفتي أبي السعود)
نشأ رحمه الله بقصبة اسكليب وطلب العلم وانتظم في سلك طلابه بعد ما أفنى عنفوان شبابه وشرع في التحصيل بالقراءة والسماع حتى صار ملازما من المولى شجاع ثم درس في عدة مدارس حتى ولي مدرسة آق شهر بثلاثين ثم مدرسة مرزيفون باربعين ثم مدرسة المولى المشتهر بافضل زاده بقسطنطينية بالوظيفة الاولى ثم مدرسة علي باشا بخمسة وأربعين ثم صار وظيفته فيها خمسين ثم نقل الى مدرسة السلطان بايزيدخان بادرنه ثم قلد قضاء دمشق فبعد مضي سبعة أشهر ولي قضاء العسكر بولاية أناطولي فدام عليه ست سنين ثم عزل وعين له كل يوم مائة وخمسون درهما (وتوفي رحمه الله سنة ثمان وسبعين وتسعمائة) وقد أناف عمره على ثمانين كان رحمه الله رجلا دينا ورعا ذا احظ عظيم من الزهد والصلاح متسما بسمة أرباب الفوز والفلاح يصرف أكثر أوقاته في العبادة يتراءى عليه آثار الفوز والسعادة وكان متصلبا في دينه قوالا بالحق غير مكترث بمداراة الخلق وكانت مدة قضائه بالعسكر

الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن ابراهيم بن عبد الواحد الشيباني القفطي وزير صاحب حلب كان رحمه الله تعالى في كتابه الذي سماه أنباء الرواة على ابناء النحاة ان ياقوتا المذكور كتب اليه رسالة من الموصل عند وصوله اليها هاربا من التتر يصف فيها حاله وما جرى له معهم وهي بعد البسملة والحمدلة كان المملوك ياقوت بن عبد الله الحموي قد كتب هذه الرسالة من الموصل في سنة سبع عشرة وستمائة حين وصوله من خوارزم طريد التتر أبادهم الله تعالى الى حضرة مالك رقه الوزير جمال الدين القاضي الاكرم أبي الحسن علي بن يوسف بن ابراهيم بن عبد الواحد الشيباني ثم التيمي تيم شيبان بن ثعلبة بن عكابة اسبغ الله عليه ظله وأعلى في درجة السيادة محله وهو يومئذ وزير صاحب حلب والعواصم شرحا لاحوال خراسان وأحواله وايماء الى بدء أمره بعد ما فارقه ومآله واحجم عن عرضها على رأيه الشريف اعظاما وتهيبا وفرارا من قصورها عن طوله وتجنبا الى أن وقف عليها جماعة من منتحلي صناعة النظم والنثر فوجدهم مسارعين الى كتبها متهافتين على نقلها وما يشك أن محاسن مالك رقه حلتها وفي أعلى درج الاحسان أحلتها فشجعه ذلك على عرضها على مولاه وللآراء علوها في تصفحها والصفح عن زللها فليس كل من لمس درهما صيرفيا ولا كل من اقتنى درا جوهريا وها هي بسم الله الرحمن الرحيم أدام الله على العلم أهليه والاسلام وبنيه ما سوغهم وحباهم ومنحهم وأعطاهم من سبوغ ظل المولى الوزير أعز الله أنصاره وضاعف مجده واقتداره ونصر ألويته وأعلامه وأجرى باجراء الارزاق في الآفاق أقلامه وأطال بقاه ورفع الى عليين علاه في نعمة لا يبلى جديدها ولا يحصى عددها ولا عديدها ولا ينتهي الى غاية مديدها ولا يفل حدها ولا حديدها ولا يقل وادها ولا وديدها وأدام دولته للدنيا والدين يلم شعثه ويهزم كرثه ويرفع مناره ويحسن بحسن أثره آثاره ويفتق نوره وأزهاره وينير نواره ويضاعف انواره وأسبغ ظله للعلوم وأهلها وللآداب ومنتحليها والفضائل وحامليها يشيد بتشييد فضله بنيانها ويرصع بناصع مجده تيجانها ويروض ببيانع علائه زمانها ويعظم بعلومه الشريفة بين البرية شأنها ويمكن في أعلى درج الاستحقاق امكانها ومكانها ويرفع بنفاذ الامر قدره للدول الاسلامية والقواعد الدينية يسوس قواعدها ويعين مساعدها ويهين معاندها ويعضد بحسن الايالة معاضدها وينهج بجميل المقاصد مقاصدها حتى يعود حسن تدبيره غرة في جبهة الزمان وسنة يقتدي بها من طبع على العدل والاحسان يكون له أجرها ما دام الملوان وكر الجديدان وما أشرقت من الشرق شمس وارتاحت الى مناجاة حضرته الباهرة نفس وبعد فالمملوك ينهي الى المقر العالي المولوي والمحل الاكرم العلي أدام الله سعادته مشرقة النور مبلغة السول واضحة الغرر بادية الحجول ما هو مكتنف بالاريحية المولوية عن تبيانه مستغن بما منحها من صفاء الآراء عن امضاء قلمه لايضاحه وبيانه قد أحسبه ما وصف به عليه الصلاة والسلام المؤمنين وان من أمتي لمكلمين وهو شرح ما يعتقده من الولاء ويفتخر به من التعبد للحضرة الشريفة والاعتزاء وقد كفته تلك الالمعية عن الاظهار المشبه بالملق مما تجنه الطوية لان دلائل غلو المملوك في دين ولائه في الآفاق واضحة وطبيعة سكة اخلاص الوداد باسمه الكريم على صفحات الدهر لائحة وايمانه بشرائع الفضل الذي طبق الآفاق حتى اصبح بناء المكارم متين ٣ وتلاوته لاحاديث المجد القريبة الاسانيد بالمشاهدة لديه مبين ودعا أهل الآفاق الى المغالاة في الايمان بامامة فضله الذي تلقاه باليمين وتصديقه بجملة سودده الذي تفرد بالتوخي لنظم شارده وضم مبدده بعرق الجبين حتى قد أصبح للفضل كعبة لم يفترض حجها على من استطاع اليه السبيل ويقتصر بقصدها على ذوي القدرة دون المعتر وابن السبيل فان لكل منهم حظا يستمده ونصيبا يستعد به ويعتده فللعظماء الشرف الضخم من معينه وللعلماء اقتناء الفضائل من قطينه وللفقراء توقيع الامان من نوائب الدهر وغض جفونه وفرضوا من مناسكه للبهجة الشريفة السلام والتبجيل وللكف البسيطة الاستلام والتقبيل وقد شهد الله تعالى للمملوك انه في سفره وحضره وعلنه وسره وخبره ومخبره شعاره تعطير مجالس الفضلاء ومحافل العلماء بفوائد حضرته والفضائل المستفادة

من تواريخ الايام مذكورة بالخير على السن الخواص والعوام (ويحكى) انه لما قلد قضاء دمشق أبى قبوله فاجتمع اليه أصحابه وعدوا عليه ديونه وقالوا لا بد من قبوله حتى تقضى هذه الديون فقبله بعد تردد في عدة أيام وكان يقول بعده متندما على قبوله بدلت ديوني المعلومة بالمجهولة وما صنعت شيأ غيره ولقد صدق فيما قال وأتى باحسن المقال

(ومنهم العالم الامجد والبارع الاوحد المولى شاه محمد بن حزم)
كان رحمه الله من أولاد ولي الله المولى جلال الدين القنوي صاحب المثنوي الفارسي ولد رحمه الله بقصبة قره حصار ونشأ على تحصيل العلوم والمعارف في هذه الديار ثم اتصل الى المولى محيي الدين المشتهر بمرحبا فاستفتح به مغالق الفنون واستوسع مضايق السجون وأخذ منه العلوم المختلفة الانواع باتقان

٣ قوله حتى أصبح بناء المكارم متين هكذا بالاصل ولينظر أين خبر أصبح فان كان متين ووقف عليه بالسكون لاجل السجع فأين خبر قوله وايمانه ولعله محذوف لدلالة خبر أصبح عليه فلتحرر هذه العبارة اهـ مصححه

من فضيلته افتخارا بذلك بين الانام وتطر بزالما يأتى به فى أثناء الكلام

اذا أنا شرّفت الورى بقصائدى * على طمع شرفت شعرى بذكره

عنون عليك أن أسلموا قل لاتمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هدا كم للايمان ان كنتم صادقين لاحرمنا الله معاشر أوليائه موادفضائله المتتالية ولا اخلانا كافة عبيده من أياديه المتواليه اللهم رب الارض المدحية والسموات العلية والرياح المسخرة والبحار المسجرة اسمع ندائى واستجب دعائى وبلغنى فى معاليه مانؤمله ونرتجيه بمحمد وصحبه وذويه وقد كان المملوك لما فارق الجناب الشريف وانفصل عن مقر العز اللباب والفضل المنيف أراد استعتاب الدهر الكالح واستدرار خلف الزمن الغشوم الجامح اغترارا بان فى الحركة بركة والاغتراب داعية الاكتساب والمقام على الاقتار ذل وانتقام وجليس البيت فى المحافل سكيت

وقفت وقوف الشك ثم استمرّ لى * يقينى بان الموت خير من الفقر
فودعت من أهلى وبالقلب مابه * وسرت عن الاوطان فى طلب اليسر
وباكية للبين قلت لها اصبرى * فللموت خير من حياة على عسر
سأكسب مالا أو أموت ببلدة * يقل بها فيض الدموع على قبرى

فامتطى غارب الامل الى الغربة وركب ركب التطواف مع كل صحبة قاطع الاغوار والانجاد حتى بلغ السدّ أو كاد فلم يصحب له دهره الحرون ولا رق له زمانه المفتون

ان الليالى والايام لو سئلت * عن عيب أنفسها لم تكتم الخبرا

فكانه فى جفن الدهر قذى وفى حلقه شجا يدافعه بنبل الامنيه حتى اسلمه الى ربقة المنيه

لايستقرّ بارض أو يسير الى * أخرى لشخص قريب عزمه نائى
يوما بحزوى ويوما بالعقيق ويو * ما بالعزيب ويوما بالخليصاء
وتارة ينتحى نجدا وآونة * شعب الحزون وحينا قصر تيماء

وهيهات مع حرفة الادب بلوغ وطر أو ادراك ارب ومع عبوس الحظ ابتسام الدهر الفظ ولم أزل سع الزمان فى تفنيد وعتاب حتى رضيت من الغنيمة بالاياب والمملوك مع ذلك يدافع الايام ويزجيها ويعلل المعيشة ويرجيها متقنعا بالقناعة والعفاف مشتملا بالنزاهة والكفاف غير راض بذلك الشمل ولكن مكره أخاك لا بطل متسليا باخوان قد ارتضى خلائقهم وأمن بوائقهم عاشرهم بالالطاف ورضى منهم بالكفاف لا خيرهم يرتجى ولا شرهم يتقى

ان كان لابد من أهل ومن وطن * فحيث آمن من الغى ويأمننى

قد ألزم نفسه أن يستعمل طرفا طماحا وأن يركب طرفا جماحا وان يلحق بيض طمع جناحا أوان يستقدح زندا واريا وشحاحا وأدبنى الزمان فلا أبالى * هجرت فلا أزار ولا أزور

ولست بقائل ماعشت يوما * أسار الجند أم ركب الامير

وكان المقام بمروالشاهجان المفسر عندهم بنفس السلطان فوجد بها من كتب العلوم والآداب وصحائف أولى الافهام والالباب ماشغله عن الاهل والوطن وأذهله عن كل خل صفى وسكن فظفر منها بضالته المنشوده وبغية نفسه المنقوده فاقبل عليها اقبال النهم الحريص وقابلهما بمقام لا يزمع عنها محيص فجعل يرتع فى حدائقها ويستمتع بحسن خلقها وخلائقها ويسرح طرفه فى طرفها ويتلذذ بمبسوطها ونتفها واعتقد المقام بذاك الجناب الى أن يجاور التراب

اذا ما الدهر بيتنى بجيش * طليعته اغتمام واغتراب * شننت عليه من جهتى كمينا
أميراه الذبالة والكتاب * وبت أنص من شيم الليالى * عجائب من حقائقها ارتياب
بها أجلو همومى مستريحا * كما جلى همومهم الشراب

الى

وابداع وقطف من رياض الفضائل أثمارها وأنوارها وبلغ من لجج المعارف أعماقها وأغوارها ثم وصل الى مجلس المولى الشيخ محمد المشتهر بجوى زاده فاكثر من التحصيل والاستفادة حتى صار ملازما منه بطريق الاعادة فتميز من اقرانه ففاز بحظ الظهور وحاز قصبات السبق من بين ذلك الجمهور ثم درس بمدرسة المولى خسرو ببروسه بعشرين ثم المدرسة السراجية بمدينة أدرنه بخمسة وعشرين ثم مدرسة الجامع العتيق بالمدينة المزبورة ثلاثين ثم مدرسة رستم باشا بكوتاهيه بار بعين ثم المدرسة المبنية بقسطنطينية المحمية بخمسين ثم نقل الى مدرسة بنت السلطان بقصبة اسكدار وقد قرأت عليه فى هذه المدرسة جزأ من شرح المواقف للشريف الجرجانى من أول مباحث الكم وقد عرضت عليه فى الدرس الاول كلامين فى حاشية المولى حسن جلبى على ذلك فقال قرأت هذا المقام على المولى جوى زاده فعرضت عليه هذين الكلامين فاستحسنهما ثم قرأت عليه جزأ من كتاب الهداية ثم نقل عنها الى احدى المدارس الثمان ثم الى مدرسة السلطان سليم خان بقسطنطينية ولما ابتنى السلطان سليمان المدرستين

الى أن حدث بخراسان ماحدث من الخراب والويل المبير والتباب وكانت لعمر الله بلادا مونقة الارجاء رائقة الانحاء ذات رياض أريضه وأهويه صحيحة مريضه قد تغنت أطيارها فتمايلت طربا أشجارها وبكت أنهارها فتضاحكت أزهارها وطاب روح نسيمها فصح مزاج اقليمها ولعهدى بتلك الرياض الانيقه والاشجار المتهدلة الوريقه وقد ساقت اليها أرواح الجنائب زقاق خمر السحائب فسقت مروجها مدام الطل فنشأ على ازهارها حباب كاللؤلؤ المتحلل فلما رويت من تلك الصهباء أشجاره رنحها من النسيم خماره فتدانت ولا تدانى المحبين وتعانقت ولا عناق العاشقين يلوح من خلالها شقائق قد شابه اشتقاق الهوى بالعليل فشابه شفتى غادتين دنتا للتقبيل وربما اشتبه على النحرير بائتلاف الجمر وقد انتابه رشاش القطر ويريد بهارا يبهر ناضره فيرتاح اليه ناظره كأنه صنوج من العسجد أو دنانير من الابريز تنتقد ويتخلل ذلك اقحوان تخاله ثغر المعشوق اذا عض خد عاشق فلله درها من نزهة راهق ولون رائق وجملة أمرها انها كانت أنموذج الجنة بلا مين فيهما ماتشتهى الانفس وتلذ العين قد اشتملت عليهما المكارم وارجحنت فى ارجائها الخيرات الفائضة للعالم فكم فيهما من خير راقت خيره ومن امام توجب حياة الاسلام سيره آثار علومهم على صفحات الدهر مكتوبه وفضائلهم فى محاسن الدنيا والدين محسوبه والى كل قطر مجلوبه فما من متين علم وقويم رأى الا ومن مشرقهم مطلعه وما من معرفة فضل الا عندهم مغربه واليهم مترعه وما نشا من كرم أخلاق بلا اختلاق الا وجدته فيهم ولا اعراق فى طيب اعراق الا اجتنيته من معانيهم أطفالهم رجال وشبابهم أبطال ومشايخهم ابدال شواهد مناقبهم باهره ودلائل مجدهم ظاهره ومن العجب العجاب ان سلطانهم المالك هان عليه ترك تلك الممالك وقال لنفسه اله والك والا فانت فى الهوالك وأجفل اجفال الرال وطفق اذا رأى غير شئ ظنه رجلا بل رجال كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين لكنه عز وجل لم يورثها قوما آخرين تنزيها لاولئك الابرار عن مقام المجرمين بل ابتلاهم فوجدهم شاكرين وبلاهم فالقاهم صابرين فألحقهم بالشهداء الابرار ورفعهم الى درجات المصطفين الاخيار وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيأ وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون فجاس خلال تلك الديار أهل الكفر والالحاد وتحكم فى تلك الاستار أولو الزيغ والعناد فاصبحت تلك القصور كالممحوّ من السطور وأمست تلك الاوطان مأوى للاصداء والغربان يتجاوب فى نواحيها البوم ويتناوح فى أراجيها الريح السموم يستوحش فيها الانيس ويرثى لمصابها ابليس

كأن لم يكن فيها أوانس كالدمى * وأقيال ملك فى بسالتهم أسد
فمن حاتم فى جوده وابن مامة * ومن أحنف ان عد حلم ومن سعد
تداعى بهم صرف الزمان فأصبحوا * لنا عبرة تدمى الحشا ولمن بعد

فانا لله وانا اليه راجعون من حادثة تقصم الظهر وتهدم العمر وتفت فى العضد وتوهى الجلد وتضاعف الكمد وتشيب الوليد وتحب لب الجليد وتسوّد القلب وتذهل اللب فحينئذ تقهقر المملوك على عقبه ناكصا ومن الاوبة الى حيث تستقر فيه النفس بالامن آيسا بقلب واجب ودمع ساكب ولب عازب وحلم غائب فتوصل وما كاد حتى استقر بالموصل بعد مقاساة اخطار وابتلاء واصطبار وتمحيص الاوزار واشراف غير مرة على البوار والتبار لانه مر بين سيوف مسلوله وعساكر مفلوله ونظام عقود محلوله ودماء مسكوبة مطلوله وكان شعاره كلما علا قتبا أو قطع سببا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا فالحمد لله الذى أقدرنا على الحمد وأولانا نعما تفوت الحصر والعد وجملة الامر انه لولا فسحة فى الاجل لعز أن يقال سلم البائس أو وصل ولصفق عليه أهل الوداد صفقة المغبون والحق بألف ألف ألف ألف هالك بأيدى الكفار أو يزيدون وخلف خلفه جل ذخيرته ومستمد معيشته

تنكر لى دهرى ولم يدر اننى * أعز واحداث الزمان تهون

الواقعتين بغربى الجامع الذى بناه بقسطنطينية وجه احداهما للمرحوم والاخرى للمولى على الشهير بحناوى زاده ثم قلد قضاء القاهرة ثم نقل الى قضاء أدرنه ثم الى قضاء قسطنطينية ثم عزل وعين له كل يوم مائة درهم فلما مضى عليه عدة شهور بغته أجله وهو فى اثناء الوضوء لصلاة الصبح (وذلك سنة ثمان وسبعين وتسعمائة) وكان يقول أوان تدريسه لابد أن اكون قاضيا بقسطنطينية المحمية ولا أرى أن اتجاوز هذا المنصب وسئل يوما عن سبب حصول ذلك العلم فقال انى أملقت جدا بعد عزلى عن السراجية ولم أقدر على أخذ المنصب فعرض لى غاية القلق والاضطراب حتى توجهت الى قبور بعض العصبات فاخذنى النوم على هذا الفكر فرأيت فى منامى أستاذى المولى جوى زاده فدعانى فذهبت اليه فقال دع عنك هذا الفكر فانك تكون قاضيا بقسطنطينية وكان الامر كما قال كان رحمه الله من الرجال الفحول فى كل منقول ومعقول ذا رأى أصيل وفكر أثيل مهيب المنظر عجيب الخبر وقد أوتى بسطة فى اللسان وجراءة فى الجنان وسعة فى البيان قوى المناظرة سريع المذاكرة شديد الايضاح جاره ولا يشق غباره

وبات يريني الخطب كيف اعتداؤه * وبت أريه الصبر كيف يكون

و بعد فليس للمملوك ما يسلى به خاطره و يعزى به قلبه وناظره الا التعلل بازاحة العلل اذا هو بالحضرة الشريفة مثل

فاسلم ودم وتمل العيش فى دعة * ففى بقائك ما يسلى عن السلف
فانت للمجد روح والورى جسد * وأنت در فلا تاسى على الصدف

والمملوك الآن بالموصل مقيم يعالج ما حزبه من هذا الامر المقعد المقيم يزجى وقته ويمارس حرفته وبخته تكاد تقول له باللسان القويم تالله انك لفى ضلالك القديم يديب نفسه فى تحصيل اغراض هى لعمر الله اعراض من صحف يكتبها وأوراق يستصحبها نصبه فيها طويل واستماعه بها قليل ثم الرحيل وقد عزم بعد قضاء نهمته و بلوغ بعض وطر قرونته أن يستمد التوفيق و يركب سنن الطريق عساه أن يبلغ أمنيته من المثول بالحضره واتحاف بصره من خلالها ولو بنظره و يلقى عصا الترحال بفنائها الفسيح ويقيم تحت ظل كنفها الى أن يصادفه الاجل المريح و ينظم نفسه فى سلك مماليكها بحضرتها كما ينتمى اليها فى غيبتها ان مدت السعادة بضبعه وسمح له الدهر بعد الخفض برفعه فقد ضعفت قواه عن درك الآمال وعجز عن معاركة الزمان والنزال اذ ضمت البسيطة اخوانه وحجب الجديدان أقرانه ونزل المشيب بعذاره وضعفت قوى أوطاره وانقض باز الشيب على غراب شبابه فقنصه وتبدلت محاسنه عند أحبابه مساوى وخصصه واكب نهار الحلم على ليل الجهل فوقصه واستعاض من حلة الشباب القشيب خلق الكبر والمشيب

وشباب بان منى وانقضى * قبل ان أقضى منه اربى
ما أرجى بعده الا الفنا * ضيق الشيب على مطلبى

ولقد ندب المملوك أيام الشباب بهذه الابيات وما أقل غناء الباكى على من عد فى الرفات

تنكرلى مذ شبت دهرى فاصبحت * معارفه عندى من النكرات
اذا ذكرتها النفس حنت صبابة * وجادت شؤن العين بالعبرات
الى أن أتى دهر يحسن ما مضى * و يوسعنى من ذكره حسرات
فكيف ولما يبق من كاس مشربى * سوى جرع فى قعره كدرات
وكل اناء صفوه فى ابتدائه * و يرسب فى عقباه كل قذاة

والمملوك يتيقن انه لا يتفق لهذا القدر الذى مضى الا النظر اليه بعين الرضا ولرأى المولى الوزير الصاحب كهف الورى فى المشارق والمغارب فيما يلاحظه منه بعادة مجده مزيد مناقب ومراتب والسلام ولقد طالت هذه الترجمة بسبب طول الرسالة ولم يمكن قطعها وقال صاحبنا الكمال الشعارى الموصلى فى كتاب عقود الجمان أنشدنى أبو عبد الله محمد بن محمود المعروف بابن النجار البغدادى صاحب تاريخ بغداد قال أنشدنى ياقوت المذكور لنفسه فى غلام تركى وقد رمدت عينه وعليها رفائد سوداء

ومولد للترك تحسب وجهه * بدرا يضىء سناه بالاشراق
أرخى على عينيه فضل وقاية * ليرد فتنتها عن العشاق
تالله لوان السوابق دونها * نفذت فهل لوقاية من واق

وكانت ولادة ياقوت المذكور فى سنة أربع أو خمس وسبعين وخمسمائة ببلاد الروم هكذا قاله وتوفى يوم الاحد العشرين من شهر رمضان سنة ست وعشرين وستمائة فى الخان بظاهر مدينة حلب حسبما قدمنا ذكره فى أول الترجمة رحمه الله تعالى وكان قد وقف كتبه على مسجد الزيدى الذى بدرب دينار ببغداد وسلمها الى الشيخ عز الدين أبى الحسن على بن الاثير صاحب التاريخ الكبير فحملها الى هناك ولما تميز ياقوت المذكور واشتهر سمى نفسه يعقوب وقدم حلب للاشتغال بها فى مستهل ذى القعدة سنة وفاته وكان عقيب موته الناس يثنون عليه ويذكرون فضله وادبه ولم يقدر لى الاجتماع به

(ابو زكريا يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام بن عبد الرحمن المرى البغدادى الحافظ المشهور)

كان اماما عالما حافظا متقنا قيل انه من قرية نحو الانبار تسمى نقيا وكان أبوه كاتبا لعبد الله بن مالك وقيل

انه

وبالجملة كان ممن تعقد عليه الخناصر اذا تطقد أهل الفضائل والمآثر الا أنه كان متكبرا معجبا بما حواه تابعا لكل ما استهواه وكان أكثر مباحثاته خالية عن الانصاف مستبدا على المكابرة والاعتساف عفا الله تعالى عن سيآته وضاعف حسناته وقد كتب رحمه الله حواشى على كتاب الاصلاح والايضاح للمولى المرحوم كمال باشازاده ولم تتم وحاشية على حاشية التجريد للشريف الجرجانى ولم تتم أيضا وهما موضوعان بخطه فى الكتب الموقوفة بخزانة المدارس السليمانية وكتب رسالة تتعلق بالوقف استحسنها فضلاء عصره غاية الاستحسان وقد عثرت على كلمات كتبها فى هامش نسخة من كتاب الجامى فى بحث العدد الذى مر ذكره فى ترجمة المولى مصلح الدين الشهير بعمار زاده وهى هذه (حل هذا المقام عندى هو انه كره العرب أن يلى التمييز المجموع بالالف والتاء ثلاثا واخواته حين ما قصد التعبير عن عقود المائة بعد ما تعود مجىء تلك العقود من مراتب الاعداد بعد ما هو فى صورة المجموع بالواو والنون كزهوا التعبير عن عقود المائة بالتمييز المجموع بالالف والتاء للمباينة بين الجمعين فلا يرد عليه النقض

انه كان على خراج الرى فمات فخلف لابنه يحيى المذكور ألف ألف درهم وخمسين ألف درهم فانفق جميع المال على الحديث وسئل يحيى المذكور كم كتبت من الحديث فقال كتبت بيدى هذه ستمائة ألف حديث وقال راوى هذا الخبر وهو أحمد بن عقبة وانى أظن أن المحدثين قد كتبوا له بايديهم ستمائة ألف وستمائة ألف وخلف من الكتب مائة قمطر وأربع حباب شرابية مملوأة كتبا وهو صاحب الجرح والتعديل وروى عنه الحديث كبار الائمة منهم أبو عبد الله محمد بن اسمعيل البخارى وأبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى وأبو داود السجستانى وغيرهم من الحفاظ وكان بينه و بين الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه من الصحبة والالفة والاشتراك بالاشتغال بعلوم الحديث ما هو مشهور ولا حاجة الى الاطالة فيه وروى عنه هو وأبو خيثمة وكانا من أقرانه وقال على بن المدينى انتهى العلم بالبصرة الى يحيى بن أبى كثير وقتادة وعلم الكوفة الى اسحق والاعمش وانتهى علم الحجاز الى ابن شهاب وعمرو بن دينار وصار علم هؤلاء الستة بالبصرة الى سعيد ابن أبى عروبة وشعبة ومعمر وحماد بن سلمة وأبى عوانة ومن أهل الكوفة الى سفيان الثورى وسفيان بن عيينة ومالك بن أنس ومن أهل الشام الى الاوزاعى وانتهى علم هؤلاء الى محمد بن اسحق وهشيم ويحيى ابن سعيد وابن أبى زائدة ووكيع وابن المبارك وهو أوسع هؤلاء علما وابن مهدى ويحيى بن آدم وصار علم هؤلاء جميعا الى يحيى بن معين وقال أحمد بن حنبل كل حديث لا يعرفه يحيى بن معين فليس هو بحديث وكان يقول ههنا رجل خلقه الله لهذا الشان يظهر كذب الكذابين يعنى يحيى بن معين وقال ابن الرومى ما سمعت أحدا قط يقول الحق فى المشايخ غير يحيى بن معين وغيره كان يتحامل بالقول وقال يحيى ما رأيت على رجل قط خطأ الا سترته وأحببت أن أزين أمره وما استقبلت رجلا فى وجهه بأمر يكرهه ولكن أبين له خطأه فيما بينى وبينه فان قبل ذلك والا تركته وكان يقول كتبنا عن الكذابين وسجرنا به التنور وأخرجنا به خبزا نضيجا وكان ينشد كثيرا

المال يذهب حله وحرامه * طرا ويبقى فى غد آثامه
ليس التقى بمتق لالهه * حتى يطيب شرابه وطعامه
ويطيب ما يحوى وتكسب كفه * و يكون فى حسن الحديث كلامه
نطق النبى لنا به عن ربه * فعلى النبى صلاته وسلامه

وقد ذكره الدارقطنى فيمن روى عن الامام الشافعى رضى الله عنه وقد سبق فى ترجمة الشافعى خبره معه وما جرى بينه و بين الامام أحمد بن حنبل فى ذلك وسمع أيضا من عبد الله بن المبارك وسفيان بن عيينة وكان يحيى يحج فيذهب الى مكة و يرجع الى المدينة فلما كان آخر حجة حجها خرج الى المدينة ورجع الى المدينة فاقام بها ثلاثة أيام ثم خرج حتى أتى المنزل مع رفقائه فباتوا فرأى فى النوم هاتفا يهتف به يا أبا زكريا أترغب عن جوارى فلما أصبح قال لرفقائه امضوا فانى راجع الى المدينة فمضوا ورجع وأقام بها ثلاثة أيام ثم مات فحمل على اعواد النبى صلى الله عليه وسلم وكانت وفاته لسبع ليال من ذى القعدة سنة ثلاث وثلاثين ومائتين هكذا قاله الخطيب فى تاريخ بغداد وهو غلط قطعا لما تقدم ذكره وهو انه خرج الى مكة للحج ثم رجع الى المدينة ومات بها ومن يكون قد حج كيف يتصور ان يموت بذى القعدة من تلك السنة فلو ذكر انه توفى فى ذى الحجة لامكن و يحتمل ان يكون هذا غلطا من الناسخ لكنى وجدته فى نسختين على هذه الصورة فيبعد أن يكون من الناسخ والله أعلم ثم ذكر بعد ذلك ان الصحيح انه مات قبل أن يحج وعلى هذا يستقيم ما قاله من تاريخ الوفاة ثم نظرت فى كتاب الارشاد فى معرفة علماء الحديث تأليف أبى يعلى الخليل بن عبد الله بن أحمد بن ابراهيم بن الخليل الحافظ أن يحيى بن معين المذكور توفى لسبع ليال بقين من ذى الحجة من السنة المذكورة فعلى هذا يكون قد حج وذكر الخطيب أيضا ان مولده كان آخر سنة ثمان وخمسين ومائة ثم قال بعد ذكر وفاته انه بلغ سبعا وسبعين سنة الا عشرة أيام وهذا أيضا لا يصح من جهة الحساب فتأمله ورأيت فى بعض التواريخ انه عاش خمسا وسبعين سنة والله أعلم وصلى عليه والى المدينة ثم صلى عليه مرارا

بثلاثة آلاف لانها جمع مشترك بين المذكر والمؤنث بخلاف ذينك الجمعين هذا ما تيسر فى المقام والسوق للمرام) انتهى كلامه

(ومنهم المولى أحمد بن عبد الله المشتهر بالفورى)

كان رحمه الله فى أول أمره من عبيد اسكندر جلبى الدفترى فلما تفرس فيه مخايل أرباب السداد وشمائل أصحاب الرشاد لم يزل ساعيا فى تهذيبه واقرائه حتى انتظم فى سلك أرباب الاستعداد ثم دخل مجالس السادة منهم المولى أحمد المشتهر بطاشكبرى زاده وقرأ على المولى عبد الباقى وغيره من الاعيان حتى صار ملازما من المولى مصلح الدين المشتهر ببستان ثم درس فى عدة مدارس وجعل يزاول العلوم ويمارس حتى ولى مدرسة قبلوجه ببروسه باربعين ثم مدرسة على باشا بقسطنطينية بخمسين ثم نقل الى مدرسة زوجة السلطان سليمان المشتهرة بالمدرسة الخاصكية ثم الى احدى المدارس الثمان ثم الى مدرسة السلطان بايزيد خان بمدينة دمشق وفوض اليه الافتاء بهذه الديار وعين له كل يوم ثمانون درهما فلم يذهب كثير حتى توفى رحمه الله سنة ثمان وسبعين وتسعمائة وقيل فى تاريخه برفت فورى وكان

ودفن بالبقيع وكان بين يدى جنازته رجل ينادى هذا الذى كان ينفى الكذب عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثاه بعض المحدثين فقال

ذهب العليم بعيب كل محدث * وبكل مختلف من الاسناد
وبكل وهم فى الحديث ومشكل * يعيا به علماء كل بلاد

رضى الله عنه ومعين بفتح الميم وكسر العين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون وبسطام بكسر الباء الموحدة وسكون السين المهملة وفتح الطاء المهملة وبعد الالف ميم والباقى معروف فلا حاجة الى ضبطه ورأيت فى بعض التواريخ انه يحيى بن معين بن غياث بن زياد بن عون بن بسطام مولى الجنيد بن عبد الرحمن الغطفانى المرى أمير خراسان من قبل هشام بن عبد الملك الاموى والاول أشهر واصح أعنى النسب والمرى بضم الميم وتشديد الراء هذه النسبة الى مرة غطفان وهو مرة بن عوف بن سعيد بن ذبيان بن بغيض بن ريث ابن غطفان وهى قبيلة كبيرة مشهورة وفى العرب عدة قبائل تنسب اليها يقال لكل واحدة منها مرة وأما نقياى فقال ابن السمعانى فى كتاب الانساب انها بفتح النون وكسر القاف أو فتحها وبعدها ياء مفتوحة تحتها نقطتان وبعد الالف ياء ثانية وهى من قرى الانبار منها يحيى بن معين النقيابى قال الخطيب ويقال ان فرعون كان من أهل هذه القرية والله أعلم

(ابو محمد يحيى بن يحيى بن كثير بن وسلاس وقيل وسلاسن بن شمال بن منغايا الليثى)

أصله من البربر من قبيلة يقال لها مصمودة مولى بنى ليث فنسب اليهم وجده كثير يكنى أبا عيسى وهو الداخل الى الاندلس وسكن قرطبة وسمع بها من زياد بن عبد الرحمن بن زياد اللخمى المعروف بسبطون القرطبى راوى موطا مالك بن أنس رضى الله عنه وسمع من يحيى بن مضر القيسى الاندلسى ثم رحل الى المشرق وهو ابن ثمان وعشرين سنة فسمع من مالك بن أنس الموطا غير أبواب فى كتاب الاعتكاف شك فى سماعه فيها فاثبت روايته فيها عن زياد وسمع بمكة من سفيان بن عيينة وبمصر من الليث بن سعد وعبد الله بن وهب وعبد الرحمن بن القاسم وتفقه بالمدينتين والمصريين من أكابر اصحاب مالك بعد انتفاعه به وملازمته له وكان مالك يسميه عاقل أهل الاندلس وسبب ذلك فيما يروى انه كان فى مجلس مالك جماعة من أصحابه فقال قائل قد حضر الفيل فخرج أصحاب مالك كلهم لينظروا اليه ولم يخرج يحيى فقال له مالك مالك لا تخرج فتراه لانه لا يكون بالاندلس فقال انما جئت من بلدى لانظر اليك وأتعلم من هديك وعلمك ولم أجئ لانظر الى الفيل فاعجب به مالك وسماه عاقل أهل الاندلس ثم ان يحيى عاد الى الاندلس وانتهت اليه الرياسة بها وبه انتشر مذهب مالك فى تلك البلاد وتفقه به جماعة لا يحصون عددا وروى عنه خلق كثير وأشهر روايات الموطا وأحسنها رواية يحيى بن يحيى المذكور وكان مع امامته ودينه معظما عند الامراء مكينا عفيفا عن الولايات متنزها جلت رتبته عن القضاء فكان أعلى قدرا من القضاة عند ولاة الامر هنالك لزهده فى القضاء وامتناعه منه قال أبو محمد على بن أحمد المعروف بابن حزم الاندلسى المقدم ذكره مذهبان انتشرا فى مبدأ أمرهما بالرياسة والسلطان مذهب أبى حنيفة فانه لما ولى قضاء القضاة أبو يوسف يعقوب صاحب أبى حنيفة وسيأتى ذكره ان شاء الله تعالى كانت القضاة من قبله فكان لا يولى قضاء البلدان من أقصى المشرق الى أقصى افريقية الا أصحابه والمنتمين اليه والى مذهبه ومذهب مالك بن أنس عندنا فى بلاد الاندلس فان يحيى ابن يحيى كان مكينا عند السلطان مقبول القول فى القضاة فكان لا يلى قاض فى أقطار بلاد الاندلس الا بمشورته واختياره ولا يشير الا باصحابه ومن كان على مذهبه والناس سراع الى الدنيا فاقبلوا على ما يرجون بلوغ أغراضهم به على ان يحيى بن يحيى لم يل قضاء قط ولا أجاب اليه وكان ذلك زائدا فى جلالته عندهم وداعيا الى قبول رأيه لديهم (وحكى) أحمد بن أبى الفياض فى كتابه قال كتب عند الامير عبد الرحمن بن الحكم الاموى المعروف بالمرتضى صاحب الاندلس فارسل الى الفقهاء يستدعيهم اليه فاتوا الى القصر وكان عبد الرحمن المذكور قد نظر فى شهر رمضان الى جارية له كان يحبها حبا شديدا فعبث بها ولم يملك نفسه ان وقع

عليها

رحمه الله عالما فاضلا ذكى الطبع خفيف الروح لطيف المباحثة لذيذ الصحبة وقد ولع فى آخر عمره فى مطالعة الكتب وتحرير الخواطر وقد كتب حواشى على بعض المواضع من تفسير البيضاوى وبيضها فى كراريس وعلق حواشى على الدرر والغرر للمولى خسرو من أول الكتاب الى آخره وله يد فى قول الشعر بالتركى والانشاء وله بعض رسائل منشآت على لسان العرب وله رسالة لطيفة فى علم الخط وقد قال فى أول ديباجتها الحمد لمن علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم والصلاة والسلام على النبى الامى الاكرم الذى ما خط فى القط قط وما رقم وقال فى آخرها وجعلتها رسالة منفردة ومجلة متفردة ليسهل تحريره على أصحاب القلم ويتيسر تظيره لارباب الرقم هدية لكل كاتب طالب وتحفة لكل راقم راغب راجيا ان تبقى هى ببقاء الزمان وينتفع بها فى بعض الاوقات والاوان وتكون وسيلة لدعائهم لهذا العبد الجانى بعد انقراض عمرى وأوانى امتثالا لقول من قال الخط باقى والعمر فانى

(ومن العلماء العاملين والفضلاء الكاملين المولى يحيى بن عمر)

كان أبوه من قصبة اماسيه

عليها ثم ندم ندما شديدا فسأل الفقهاء عن توبته من ذلك وكفارته فقال يحيى بن يحيى يكفر ذلك بصوم شهرين متتابعين فلما بدر يحيى بن يحيى بهذه الفتيا سكت بقية الفقهاء حتى خرجوا من عنده فقال بعضهم لبعض وقالوا ليحيى مالك لم تفته بمذهب مالك فعنده انه مخير بين العتق والاطعام والصيام فقال لو فتحنا له هذا الباب سهل عليه أن يطأ كل يوم ويعتق رقبة فيه ولكن حملته على أصعب الامور لئلا يعود ولما انفصل يحيى عن مالك ليعود الى بلاده ووصل الى مصر رأى عبد الرحمن بن القاسم يدون سماعه من مالك فنشط الى الرجوع الى مالك ليسمع المسائل التى كان ابن القاسم دونها عنه فرحل اليه ثانية فالفى مالكا عليلا فاقام عنده الى أن مات وحضر جنازته فعاد الى ابن القاسم وسمع منه سماعه من مالك ذكر ذلك ابو الوليد بن الفرضى فى تاريخه وذكر أيضا فيه ما مثاله وانصرف يحيى بن يحيى الى الاندلس فكان امام وقته وواحد بلاده وكان رجلا عاقلا قال محمد بن عمر بن كنانة فقيه الاندلس عيسى بن دينار وعالمها عبد الملك بن حبيب وعاقلها يحيى بن يحيى وكان يحيى ممن اتهم ببعض الامر فى الهيج فخرج الى طليطلة ثم استأمن فكتب له الامير الحكم أمانا وانصرف الى قرطبة وكان أحمد بن خالد يقول لم يعط أحد من اهل العلم بالاندلس منذ دخلها الاسلام من الحظوة وعظم القدر وجلالة الذكر ما أعطيه يحيى بن يحيى وقال ابن بشكوال فى تاريخه ان يحيى بن يحيى مجاب الدعوة وكان قد أخذ فى نفسه وهيئته ومقعده هيئة مالك (وحكى) عنه انه قال أخذت ركاب الليث بن سعد فاراد غلامه ان يمنعنى فقال دعه ثم قال لى الليث خدمك اهل العلم فلم تزل بى الايام حتى رأيت ذلك ثم قال وتوفى يحيى بن يحيى فى رجب سنة أربع وثلاثين ومائتين وقبره بمقبرة بنى عامر يستسقى به وهذه المقبرة بظاهر قرطبة وزاد أبو عبد الله المهدى فى كتاب جذوة المقتبس ان وفاته لثمان بقين من الشهر المذكور وقال أبو الوليد بن الفرضى فى تاريخه انه توفى سنة ثلاث وثلاثين وقيل سنة أربع وثلاثين فى رجب والله أعلم بالصواب وأما وسلاوس فهو بكسر الواو وسينين مهملتين الاولى منهما ساكنة وبينهما لام ألف وزاد فيه نون فيقال وسلاوسن ومعناه بالبربرية سيتهم وشمال بفتح الشين المعجمة وتشديد الميم وبعد الالف لام ومنغايا بفتح الميم وسكون النون وفتح الغين المعجمة وبعد الالف ياء معجمة باثنتين من تحتها وبعدها ألف مقصورة ومعناه عندهم قاتل والله تعالى أعلم وقد تقدم الكلام على الليثى والبربرى ومصمودة

(ابو محمد يحيى بن اكثم بن محمد بن قطن بن سمعان بن مشنج التميمى الاسيدى المروزى من ولد أكثم بن صيفى التميمى حكيم العرب)

كان فقيها عالما بالفقه بصيرا بالاحكام ذكره الدارقطنى فى أصحاب الشافعى رضى الله عنه وقال الخطيب فى تاريخ بغداد كان يحيى بن أكثم سليما من البدعة ينتحل مذهب أهل السنة سمع عبد الله بن المبارك وسفيان بن عيينة وغيرهما وقد مر ذكره فى ترجمة سفيان وما دار بينهما وروى عنه أبو عيسى الترمذى وغيره وقال طلحة بن محمد بن جعفر فى حقه يحيى بن أكثم أحد اعلام الدنيا وقد اشتهر أمره وعرف خبره ولم يستتر عن الكبير والصغير من الناس فضله وعلمه ورياسته وسياسته لامره وأمر أهل زمانه من الخلفاء والملوك واسع العلم بالفقه كثير الادب حسن المعارضة قائم بكل معضلة وغلب على المأمون حتى لم يتقدمه أحد عنده من الناس جميعا وكان المأمون ممن برع فى العلوم فعرف من حال يحيى بن أكثم وما هو عليه من العلم والعقل ما أخذ بمجامع قلبه حتى قلده قضاء القضاة وتدبير أهل مملكته فكانت الوزراء لا تعمل فى تدبير الملك شيأ الا بعد مطالعة يحيى بن أكثم ولا نعلم أحدا غلب على سلطانه فى زمانه الا يحيى بن أكثم وأحمد بن أبى دواد وسئل رجل من البلغاء عن يحيى بن أكثم وابن أبى دواد أيهما أنبل فقال كان أحمد يجد مع جاريته وابنته ويحيى يهزل مع خصمه وعدوه وكان يحيى سليما من البدعة ينتحل مذهب أهل السنة بخلاف أحمد بن أبى دواد وقد تقدم فى ترجمته طرف من اعتقاده وتعصبه للمعتزلة وكان يحيى يقول القرآن كلام الله فمن قال انه مخلوق يستتاب فان تاب والا ضربت عنقه وذكر الفقيه أبو الفضل عبد العزيز بن على بن عبد الرحمن الاشنهى الملقب زين الدين فى كتاب الفرائض فى آخر مسائل الملقبات وهى الرابعة عشر المعروفة بالمامونية

وكان قاضيا فى بعض القصبات وقد وقع ولادة المرحوم على رأس تسعمائة ونشأ رحمه الله فى قصبة طرابوزن وأميرها يومئذ السلطان سليم خان ابن السلطان بايزيد خان فداخلت أم المولى المسفور دار الامير المزبور وابنه السلطان سليمان يومئذ صغير لم ينتظم له المشى بالاقدام ولم يبلغ رتبة الانفطام فارضعته برهة من الزمان فصار رضيعى لبان وبعد الالتيا والتى رغب المرحوم فى تحصيل المعارف والعلوم وجد فى الطلاب وقلقل الركاب وتعانى شدائد الاسفار واستفتح مغالق الاسفار الى أن حوى المعارف وحازها وتحقق حقائق العلوم ومجازها وصاحب الاماجد والاعالى حتى صار ملازما من المولى علاء الدين الجالى ويقال انه فى أوان طلبه واشتغاله اعتزل الناس مدة سبع سنين واعتكف فى غار بقرب طرابوزن مكبا على الاشتغال فى العلوم ثم درس بمدرسة سونسه بعشرين ثم بالمدرسة الجانبازية بقسطنطينية بخمسة وعشرين ثم مدرسة المولى محمد ابن الحاجى حسن بثلاثين ثم المدرسة الافضلية باربعين ثم مدرسة مصطفى باشا بخمسين كل ذلك بالمدينة المزبورة ثم نقل الى مدرسة

وهي أبوان وابنتان لم تقسم التركة حتى ماتت احدى البنتين وخلفت من في المسئلة سميت مامونية لان المأمون أراد ان يولي رجلا على القضاء فوصف له يحيى بن أكثم فاستحضره فلما حضر دخل عليه وكان دميم الخلق فاستحقره المأمون لذلك فعلم ذلك يحيى فقال يا أمير المؤمنين سلني ان كان القصد علمي لا خلقي فسأله عن هذه المسئلة فقال يا أمير المؤمنين الميت الاول رجل أم امرأة فعرف المأمون انه قد عرف المسئلة فقلده القضاء وهذه المسئلة ان كان الميت الاول رجلا تصح المسئلتان من أربعة وخمسين وان كانت امرأة لم يرث الجد في المسئلة الثانية شيأ لانه أبو أم فتصح المسئلتان من ثمانية عشر سهما وذكر الخطيب في تاريخ بغداد أن يحيى بن أكثم ولي قضاء البصرة وسنه عشرون سنة ونحوها فاستصغره أهل البصرة فقالوا كم سن القاضي فعلم انه قد استصغر فقال أنا أكبر من عتاب بن اسيد الذي وجهه النبي صلى الله عليه وسلم قاضيا على مكة يوم الفتح وأنا أكبر من معاذ بن جبل الذي وجهه النبي صلى الله عليه وسلم قاضيا على اليمن وأنا أكبر من كعب ابن سور الذي وجهه عمر بن الخطاب رضي الله عنه قاضيا على أهل البصرة فجعل جوابه احتجاجا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولى عتاب بن اسيد مكة بعد فتحها وله احدى وعشرون سنة وقيل ثلاث وعشرون وكان اسلامه يوم فتح مكة وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحبك وأكون معك فقال أوما ترضى ان أستعملك على آل الله تعالى فلم يزل عليهم حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وبقي يحيى سنة لا يقبل بها شاهدا فتقدم اليه احد الامناء فقال أيها القاضي قد وقفت الامور وتريثت الاحوال فقال وما السبب قال في ترك القاضي قبول الشهود فاجاز في ذلك اليوم منها سبعين شاهدا وقال غير الخطيب كانت ولاية القاضي يحيى بن أكثم القضاء بالبصرة سنة اثنتين ومائتين وقد سبق في ترجمة حماد بن أبي حنيفة ان يحيى المذكور ولي البصرة بعد اسمعيل بن حماد بن أبي حنيفة وحدث محمد بن منصور قال كنا مع المأمون في طريق الشام فامر فنودي بتحليل المتعة فقال يحيى بن أكثم لي ولابي العيناء بكرا غدا اليه فان رأيتما للقول وجها فقولا والا فاسكتا الى ان أدخل قال فدخلنا عليه وهو يستاك ويقول وهو مغتاظ متعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى عهد أبي بكر رضي الله عنه وأنا أنهى عنهما ومن أنت يا جعل حتى تنهى عما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه فاومأ أبو العيناء الى محمد بن منصور وقال رجل يقول في عمر بن الخطاب ما يقول نكلمه نحن فامسكنا فجاء يحيى بن أكثم فجلس وجلسنا فقال المأمون ليحيى مالي اراك متغيرا فقال هو غم يا أمير المؤمنين لما حدث في الاسلام قال وما حدث فيه قال النداء بتحليل الزنا قال الزنا قال نعم المتعة زنا قال ومن أين قلت هذا قال من كتاب الله عز وجل وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى قد أفلح المؤمنون الى قوله والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون يا أمير المؤمنين زوجة المتعة ملك يمين قال لا قال فهي الزوجة التي عند الله ترث وتورث وتلحق الولد ولها شرائطها قال لا قال فقد صار متجاوز هذين من العادين وهذا الزهري يا أمير المؤمنين روى عن عبد الله والحسن ابني محمد بن الحنفية عن أبيهما عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه قال أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أنادي بالنهي عن المتعة وتحريمها بعد ان كان قد أمر بها فالتفت الينا المأمون فقال أمحفوظ هذا من حديث الزهري فقلنا نعم يا أمير المؤمنين رواه جماعة منهم مالك رضي الله عنه فقال أستغفر الله نادوا بتحريم المتعة فنادوا بها قال أبو اسحق اسمعيل بن حماد ابن زيد بن درهم الازدي القاضي الفقيه المالكي البصري وقد ذكر يحيى بن أكثم فعظم أمره وقال كان له يوم في الاسلام لم يكن لاحد مثله وذكر هذا اليوم وكانت كتب يحيى في الفقه أجل كتب فتركها الناس لطولها وله كتب في الاصول وله كتاب أورده على العراقيين سماه كتاب التنبيه وبينه وبين داود بن علي مناظرات كثيرة ولقيه رجل وهو يومئذ على القضاء فقال أصلح الله القاضي كم آكل قال فوق الجوع ودون الشبع فقال فكم أضحك قال حتى يسفر وجهك ولا يعلو صوتك قال فكم أبكي قال لا تمل من البكاء من خشية الله تعالى قال فكم أخفي عملي قال ما استطعت قال فكم أظهر منه قال مقدار ما يقتدي بك البر الخير

ويؤمن

بنت السلطان اسكدار ثم الى احدى المدارس الثمان فاتفق انه أرسل مكتوبا الى رضيعها السلطان سليمان وشنع عليه لبعض المنكرات وأغلظ في الكلام فاشمأز منه خاطر السلطان فعزله وعين له كل يوم خمسين درهما ثم زاد عليها عشرة فانقطع المرحوم عن التردد الى أبواب الوزراء والامراء في حديقته التي عمرها من قبل في موضع من توابع قسطنطينية يقال له بشك طاش ويحكى في سبب اختياره تلك البقعة انه وقعت له في أثناء المجيء من طرابزن واقعة هائلة ملخصها انه أتى اليه في منامه شخص وعاتبه على مجيئه ودخوله في قسطنطينية وأشار الى الخروج منها وخوفه فلما أصبح وفكر وتأمل وتفكر لم يجد بدا من تركها بالكلية فقام من وقته وتتبع نواحي قسطنطينية حتى أشرف على تلك البقاع فاذا المجذوب قاعد عند بئر فلما رأى المرحوم ناداه بأن هات درهما واحدا حتى أبيع لك هذه الديار وأشار الى تلك الحوالي والرياض فلما سمعه دفع اليه ما طلبه فقال المجذوب خذ مبيعك وأشار ثانيا الى تلك الاطراف فتتبع المرحوم أصحاب تلك البقاع حتى أشرف على تلك البقعة

ويؤمن عليك قول الناس قال الرجل سبحان الله قول قاطن وعمل ظاعن وكان يحيى من أدهى الناس وأخبرهم بالامور ورأيت في بعض المجاميع ان احمد بن أبي خالد الاحول وزير المأمون وقف بين يدي المأمون وخرج يحيى بن أكثم من بعض المستراحات فوقف فقال له المأمون اصعد فصعد وجلس على طرف السرير معه فقال أحمد يا أمير المؤمنين ان القاضي يحيى صديقي وممن أثق به في جميع أموري وقد تغير عما عهدته منه فقال المأمون يا يحيى ان فساد أمر الملوك بفساد خاصتهم وما يعدلكما عندي أحد فما هذه الوحشة بينكما فقال له يحيى يا أمير المؤمنين والله انه ليعلم أني له على أكثر مما وصف ولكنه لما رأى منزلتي منك هذه المنزلة خشي أن أتغير له يوما فأقدح فيه عندك فأحب أن يقول لك هذا ليأمن مني وانه والله لو بلغ نهاية مساءتي ما ذكرته بسوء عندك أبدا فقال المأمون أكذلك هو يا أحمد قال نعم يا أمير المؤمنين قال أستعين بالله عليكما فما رأيت أتم دهاء ولا أعظم فتنة منكما ولم يكن فيه ما يعاب به سوى ما كان يتهم به من الهنات المنسوبة اليه الشائعة عنه والله أعلم بحاله فيها وذكر الخطيب في تاريخه انه ذكر لاحمد بن حنبل رضي الله عنه ما يرميه الناس به فقال سبحان الله من يقول هذا وأنكر ذلك انكارا شديدا وذكر عنه انه كان يحسد حسدا شديدا وكان متفننا فكان اذا نظر الى رجل يحفظ الفقه سأله عن الحديث واذا رآه يحفظ الحديث سأله عن النحو واذا رآه يعلم النحو سأله عن الكلام ليقطعه ويخجله فدخل اليه رجل من أهل خراسان ذكي حافظ فناظره فرآه متفننا فقال له نظرت في الحديث قال نعم قال ما تحفظ من الاصول قال أحفظ عن شريك عن أبي اسحق عن الحرث ان عليا رضي الله عنه رجم لوطيا فامسك يحيى عنه ولم يكلمه ثم قال الخطيب أيضا ودخل على يحيى بن أكثم ابنا مسعدة وكانا على نهاية الجمال فلما رآهما يمشيان في الصحن أنشد يقول

يا زائرينا من الخيام * حياكم الله بالسلام لم تأتياني وبي نهوض * الى حلال ولا حرام

يحزنني أن وقفتما بي * وليس عندي سوى الكلام

ثم أجلسهما بين يديه وجعل يمازحهما حتى انصرفا ويقال انه عزل عن الحكم بسبب هذه الابيات ورأيت في بعض المجاميع ان يحيى بن أكثم مازح الحسن بن وهب المذكور في ترجمة أخيه سليمان بن وهب وهو يومئذ صبي فلاعبه ثم خمشه فغضب الحسن فانشد يحيى

أيا قمرا خمشته فتغضبا * وأصبح لي من تيهه متجنبا

اذا كنت للتخميش والعض كارها * فكن أبدا يا سيدي متنقبا * ولا تظهر الاصداغ للناس فتنة

وتجعل منها فوق خديك عقربا * فتقتل مسكينا وتفتن ناسكا * وتترك قاضي المسلمين معذبا

وقال أحمد بن يونس الضبي كان ابن زيدان الكاتب يكتب بين يدي يحيى بن أكثم القاضي وكان غلاما جميلا متناهي الجمال فقرص القاضي خده فخجل الغلام واستحيا وطرح القلم من يده فقال له يحيى خذ القلم واكتب ما أملي عليك ثم أملى الابيات المذكورة والله أعلم وقال اسمعيل بن محمد بن اسمعيل الصفار سمعت أبا العيناء في مجلس أبي العباس المبرد يقول كنت في مجلس أبي عاصم النبيل وكان أبو بكر بن يحيى بن أكثم حاضرا فنازع غلاما فارتفع الصوت فقال أبو عاصم مهيم فقالوا هذا أبو بكر بن يحيى بن أكثم ينازع غلاما فقال ان يسرق فقد سرق له أب من قبل هكذا ذكره الخطيب في تاريخه وذكر الخطيب أيضا في تاريخه أن المأمون قال ليحيى المذكور من الذي يقول

قاض يرى الحد في الزناء ولا * يرى على من يلوط من باس

قال أوما يعرف أمير المؤمنين من القائل قال لا قال يقوله الفاجر أحمد بن أبي نعيم الذي يقول

لا أحسب الجور ينقضي وعلى الـ * أمة وال من آل عباس

قال فافحم المأمون خجلا وقال ينبغي أن ينفى أحمد بن أبي نعيم الى السند وهذان البيتان من جملة أبيات أولها

أنطقني الدهر بعد اخراس * لنائبات أطلن وسواسي * يا بؤس للدهر لا يزال كما

يرفع ناسا يحط من ناس * لا أفلحت أمة وحق لها * بطول نكس وطول انعاس

ترضى بيحيى يكون سائسها * وليس يحيى لها بسواس

فاشتراها في يومه ذلك وبات بها ليلة ثم استوطنها وعمر اطرافها وبنى فيها عدة مدارس ومسجدا وخانقاه وحماما ومقاما سماه بخضراق بناء على أنه يعتقد أن ذلك هو مجمع البحرين الذي اجتمع فيه الخضر بموسى على نبينا وعليهما الصلاة والسلام وكان سببا لاحياء تلك الناحية واعتزل عن الناس واشتغل بنفسه فحصل للناس فيه اعتقاد عظيم وقبول تام وقصدوه بالنذر والقرابين واجتمع فيه من الفقراء والمسافرين جمع كثير وجم غفير حتى وصل الى أنه أنفق عليهم كل يوم من الخبز ما قيمته تنيف على مائة درهم سوى ما يصرفه في سائر الحوائج والاطعمة وكان يقع منه ذلك ووظيفته كل يوم ستون درهما فلذلك نسبه بعضهم الى معرفة علم الكاف وبعضهم الى علم الدفائن وكان يتردد اليه أرباب الحاجات من كل حدب يطلبون منه الشفاعة الى الوزراء وسائر الحكام وهو لا يضن بشيء ويبذل مقدوره في حوائجهم وقد استخف بعض الرؤساء بمكتوبه فاعقبه نكبة من العزل أو الموت وذلك انه أرسل في بعض شأنه مكتوبا الى الوزير علي باشا من وزراء السلطان سليمان عليه الرحمة والرضوان فلم

قاض يرى الحد فى الزناء ولا * يرى على من يلوط من باس * يحكم للامرد العزيز على
مثل جرير ومثل عباس * ٣ فالحمد لله قد ذهب الـ * عدل وقل الوفاء فى الناس
أميرنا يرشى ثم حاكمنا * يلوط ولراس شر من راس * لو صلح الدين واستقام لقد
قام على الناس كل مقياس * لاأحسب الجور ينقضى وعلى الـ * أمة وال من آل عباس

وظنى انها أكثر من هذا لكن الخطيب لم يذكر الاهذا القدر ونقلت من أمالى أبى بكر محمد بن القاسم لانبارى المقدم ذكره ان القاضى يحيى بن أكثم قال لرجل يأنس به و يمازحه ماتسمع الناس يقولون فى قال ما أسمع الاخيرا قال ماسالك لتزكينى قال أسمعهم يرمون القاضى بالابنة قال فضحك وقال اللهم اغفر المشهور عنا غير هذا (وحكى) أبو الفرج الاصبهانى فى كتاب الاغانى ليحيى المذكور وقائع فى هذا الباب وان المأمون لما تواتر النقل عن يحيى بهذا أراد امتحانه فاخلى له مجلسا واستدعاه وأوصى مملوكا خزريا أن يقف عندهما وحده واذا خرج المأمون يقف المملوك عند يحيى فلا ينصرف وكان المملوك فى غاية الحسن فلما اجتمعا بالمجلس وتحادثا وانصرف المأمون كأنه يقضى حاجة فوقف المملوك فتجسس المأمون عليهما وكان قد قرر معه أن يعبث بيحيى علما منه ان يحيى لا يتجاسر عليه خوفا من المأمون فلما عبث به المملوك سمعه المأمون وهو يقول لولا أنتم لكنا مؤمنين فدخل المأمون وهو ينشد

وكنا نرجى أن نرى العدل ظاهرا * فأعقبنا بعد الرجاء قنوط
متى تصلح الدنيا و يصلح أهلها * وقاضى قضاة المسلمين يلوط

وهذان البيتان لابى حكيمة راشد بن اسحق الكاتب وراشد له فيه مقاطيع كثيرة وذكر المسعودى فى مروج الذهب فى ترجمة المأمون جملة من أخبار يحيى فى هذا الباب أضربنا عن ذكرها ومما يناسب حكاية المأمون مع يحيى بسؤاله عن البيت لمن هو فأجابه يحيى ببيت آخر من القصيدة ما يروى ان معاوية بن أبى سفيان الاموى لما مرض مرض موته واشتدت علته وحصل الياس منه دخل عليه بعض أولاد على بن أبى طالب رضى الله عنه يعوده ولا استحضر الآن من هو فوجده قد استند جالسا يتجلد له لئلا يتشفى به فضعف عن القعود فاضطجع وأنشد

وتجلدى للشامتين أريهم * أنى لريب الدهر لا أتضعضع

فقام العلوى من عنده وهو ينشد

واذا المنية أنشبت أظفارها * ألفيت كل تميمة لاتنفع

فعجب الحاضرون من جوابه وهذان البيتان من جملة قصيدة طويلة لابى ذؤيب خويلد بن خالد الهذلى يرثى بها بنيه وكان قد هلك له خمس بنين فى عام واحد أصابهم الطاعون وكانوا هاجروا معه الى مصر وهلك أبو ذؤيب المذكور فى طريق مصر وقيل فى طريق افريقية مع عبد الله بن الزبير ثم وجدت فى كتاب فلك المعانى لابن الهبارية فى الباب التاسع من الكتاب المذكور ان الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما دخل على معاوية فى علته فقال اسندونى ثم تمثل ببيت أبى ذؤيب وأنشد البيت المذكور فسلم الحسن ثم أنشد البيت الثانى والله أعلم وذكرها أبو بكر بن داود الظاهرى فى كتاب الزهرة منسوبة الى الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما والله أعلم قلت ولم يذكر ابن الهبارية مرض موته ولا الظاهرى أنه كان فى علة الموت ولا يمكن ذلك لان الحسن توفى قبل معاوية والحسين لم يحضر وفاة معاوية لانه كان بالحجاز ومعاوية توفى بدمشق ثم وجدت فى أول كتاب التعازى تاليف أبى العباس المبرد هذه القصة جرت للحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه * ومثل ذلك ما يحكى ان عقيل بن أبى طالب هاجر أخاه عليا والتحق بمعاوية فبالغ معاوية فى بره وزاد فى اكرامه ارغاما لعلى رضى الله عنه فلما قتل على واستقل معاوية بالامر ثقل عليه أمر عقيل فكان يسمعه ما يكره لينصرف عنه فبينما هو يوما فى مجلس حفل باهل الشام اذ قال معاوية أتعرفون أبا لهب الذى أنزل الله فى حقه قوله تعالى تبت يدا أبى لهب من هو فقال أهل الشام لا فقال معاوية هو عم هذا وأشار الى عقيل فقال عقيل فى الحال أتعرفون امرأته التى قال الله فى حقها وامرأته حمالة الحطب فى جيدها حبل من مسد من هى فقالوا لا قال هى عمة هذا وأشار الى معاوية وكانت عمته أم جميل بنت حرب بن

٣ قوله فالحمد الخ كذا بالاصل والشطر الاول غير مستقيم ولعله فالحمد لله جل قد االخ أونحوذلك اه

يعبابه وكتب فى ورقة ترى العجب ترى العجب بين جمادى ورجب وأرسلها اليه فلما اطلع عليها ازداد افكارا واستخفافا بشانه معتمدا على قوة سلطانه فلم يذهب هذان الشهران الا وقد نزل به الخطب الكبير الذى يستوى بين الغنى والفقير والسلطان والوزير بأمر الله العزيز القدير ولما صارت السلطنة الى سلطاننا السلطان سليم خان طلبه فى بعض الايام واستنصح منه وأرسل اليه من المال جملة وقضى حوائجه كان ذلك فى أواخر عمره (وقد توفى رحمه الله فى اليوم التاسع من ذى الحجة بعد العصر) وصلى عليه المفتى أبو السعود بعد صلاة م ودفن بقرب من حديقته فى موضع عينه قبل موته وقد اجتمع فى جنازته خلق عظيم مع بعده عن البلد وذلك سنة ثمان وسبعين وتسعمائة * كان رحمه الله عالما فاضلا مستحضرا من العلوم نفائسها وكان مقصد الطلبة مع انقطاعه عن الجماعة وكان صاحب جذبة عظيمة ونفس مباركة وبالجملة كان رحمه الله مظنة الولاية ومئنة الكرامة وكان قبره مقصدا للناس يزورونه و يتبركون به و ينفقون على من عنده من الفقراء وله معارف جزئية كالشعر والانشاء

أمية بن عبد شمس بن عبد مناف زوجة أبى لهب بن عبد العزى وهى المشار اليها فى هذه السورة فكان ذلك من الاجوبة المسكتة و يقرب من هذا أيضا ان بعض الملوك حاصر بعض البلاد وكان معه عساكر عظيمة بكثرة الرجال والخيل والعدد فكتب الملك المحاصر الى صاحب البلد كتابا يشير اليه بانه يسلم البلد اليه ولا يقاتله وذكر ماجاء به من الرجال والاموال والآلات ومن جملة الكتاب قوله تعالى حتى اذا أتوا على وادى النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فلما وصل الكتاب الى صاحب البلد وتأمله وقرأه على خواصه قال من يجاوب عن هذا فقال بعض الكتاب انا فكتب اليه فتبسم ضاحكا من قولها فاستحسن الحاضرون جوابه ومثل هذا أيضا ما حكاه ابن رشيق القيروانى فى كتاب الانموذج وهو ان عبد الله بن ابراهيم بن المثنى الطوسى المعروف بابن المؤدب المهدى الاصل القيروانى البلد الشاعر المشهور كان مغرى بالسياحة وطلب الكيمياء والاحجار وكان محروما مقترا عليه متلافا فاذا أفاد شيأ أتلفه فخرج مرة يريد جزيرة صقلية فاسره الروم فى البحر وأقام مدة طويلة مأسورا الى ان هادن ثقة الدولة يوسف بن عبد الله بن محمد بن الحسين القضاعى صاحب صقلية الروم و بعث اليه بالاسرى فكان عبد الله المذكور فيمن بعث فامتدح عبد الله المذكور ثقة الدولة بقصيدة شكره فيها على صنعه ورجا صلته فلم يصله بشئ أرضاه وكانت فيه رغبة فتكلم وطلب طلبا شديدا وهو مستخف عند من يعرف من أهل صناعته وطالت المدة فخرج سكران يشترى نقلا فاشعر الا وقد أخذ وحمله صاحب الشرطة حتى ادخله على ثقة الدولة فقال له ما الذى بلغنى يا بانس قال المحال ايد الله سيدنا الامير قال ومن هو الذى يقول فى شعره

* فالحر ممتحن باولاد الزنا * قال هو الذى يقول * وعداوة الشعراء بئس المقتنى * فتنمر ساعة ثم أمر له بمائة دينار وأخرجه من المدينة كراهية ان تقوم عليه نفسه و يعاقبه بعد ان عفا عنه فخرج منها وهذا المستشهد به عجزا بيتين من شعر المتنبى فى قصيدته النونية التى يمدح بها بدر بن عمار واولها

الحب ما منع الكلام الالسنا * والذ شكوى عاشق ما أعلنا

وهى من مشاهير قصائده وأول العجز الاول

وانه المشير عليك فى بضلة * فالحر ممتحن باولاد الزنا

وأول العجز الثانى

ومكايد السفهاء واقعة بهم * وعداوة الشعراء بئس المقتنى

واذ قد ذكرنا ثقة الدولة المذكور فنذكر قصيدة أبى محمد عبد الله بن محمد التنوخى المعروف بابن قاضى ميلة التى مدحه بها فى عيد النحر وهى قصيدة بديعة لا توجد بكمالها فى أيدى الناس ولقد ظفرت بها على ظهر كتاب ولم يكن عندى منها سوى البعض ولا سمعت أحدا يروى منها الا ذلك القدر فاحببت اثباتها لحسنها وغرابتها وهى هذه

يذيل الهوى دمعى وقلبى المعنف * وتجنى جفونى الوجد وهو المكلف
وانى ليدعونى الى ماسبقته * وفارقت مغناه الاغن المشنف
واحور ساجى الطرف أما وشاحه * فصفر وأما ردفه ففوف
يطيب اجاج الماء من نحو أرضه * يحيى و يندى ريحه وهو حرجف
وآيسنى من وصله أن دونه * متالف تسرى الريح فيها فتتلف
وغيران يجفو النوم كى لا يرى لنا * اذا نام شملا فى الكرى يتألف
يظل على ما كان من قرب دارنا * وغفلته عما مضى يتأسف
وجون يحزن الرعد يستن ودقه * يرى برقه كالحية الصل تطرف
كأنى اذا ما لاح والرعد معول * وجفن السحاب الجون بالماء يذرف
سليم وصوت الرعد راق ورقه * كنفث الرقى من سوء ما أتكلف
ذكرت به ريا وما كنت ناسيا * فأذكر لكن لوعة تتضعف
ولما التقينا محرمين وسيرنا * بلبيك ربا والركائب تعسف

* (ومنهم المولى احمد بن محمد بن حسن السامسونى) تولى جده المولى حسن قضاء العسكر فى دولة السلطان محمد خان وتوفى أبوه قاضيا بمدينة أدرنه ولهما تصانيف يتداولها الناس قرأ رحمه الله على موالى عصره وأفاضل مصره وجد واجتهد واشتغل واستفاد حتى صار معيد الدرس المولى قوام المشتهر بقاضى بغداد ثم تشرف بالتلمذ والاستفادة من المولى علاء الدين المشتهر بمؤيد زاده ولما صار ملازما منه درس بمدرسة مراد باشا بقسطنطينية بعشرين ثم صار وظيفته فيها خمسة وعشرين ثم بمدرسة ابن الحاجى حسن بثلاثين ثم صار وظيفته فيها خمسة وثلاثين ثم بالمدرسة الحلبية بادرنه بأربعين ثم صار وظيفته فيها خمسة وأربعين ثم بمدرسة مصطفى باشا بقسطنطينية بخمسين ثم نقل الى مدرسة السلطان بايزيدخان بادرنه ثم قلد قضاء بروسه ثم نقل الى قضاء أدرنه ثم نقل الى قضاء قسطنطينية ثم عزل ثم عين للتدريس فى مدرسة السلطان بايزيد خان بقسطنطينية وعين له كل يوم مائة درهم ثم نقل بهذه الوظيفة الى احدى المدارس الثمان ثم نصب للتفتيش العام فى ديار العرب والعجم وعين له كل يوم

نظرت اليها والمطى كأنما * غوارب سامنها معاطس رعف
فقالت أمامنكن من يعرف الفتى * فقد رابنى من طول ما يتشوف
أراه اذا سرنا يسير حذاءنا * ونوقف أحقاف المطى فيوقف
فقلت لتربيها ابلغاها بأننى * بها مستهام قالتا نتلطف
وقولا لها يا أم عمرو أليس ذا * منى والمنى فى خيفة ليس يخلف
تفاءلت فى أن تبذلى طارف الوفا * بأن عن لى منك البنان المطرف
وفى عرفات ما يخبر أننى * بعارفة من عطف قلبك اسعف
واما دماء الهدى فهى هدى لنا * يدوم ورائى فى الهوى يتألف
وتقبيل ركن البيت اقبال دولة * لنا وزمان بالمودة يعطف
فاوصلتا ما قلته فتبسمت * وقالت احاديث العيافة زخرف
بعيشى ألم اخبركما أنه فتى * على لفظه برد الكلام المفوف
فلا تأمنا ما استطعتما كيد نطقه * وقولا ستدرى اينا اليوم اعيف
اذا كنت ترجو فى منى الفوز بالمنى * ففى الخيف من اعراضنا تتخوف
وقد انذر الاحرام أن وصالنا * حرام وانا عن مزارك نصدف
وهذا وقذفى بالحصى لك مخبر * بان النوى بى عن ديارك تقذف
وحاذر نفارى ليلة النفر انه * سريع فقل من بالعيافة اعرف
فلم ار مثلينا خليلى مودة * لكل لسان ذى غرارين مرهف
اما انه لولا أغن مهفهف * واشنب براق واحور أوطف
لراجع مشتاق ونام مسهد * وايقن مرتاب واقصر مدنف
وعاذلة فى بذل ما ملكت يدى * لراج رجانى دون صحبى تعنف
تقول اذا افنيت مالك كله * وأحوجت من يعطيكه قلت يوسف
أغر قضاعى يكاد نواله * لكثرة ما يدعو الى الشكر يجحف
اذا نحن اخلفنا مخايل ديمة * وجدنا حيا معروفه ليس يخلف
سعى وسعى الاملاك فى طلب العلا * ففازوا . كدوا اذ أخف وأقطفوا
ويقظان شاب البطش باللين والتقى * بكفيه ما يرجى وما يتخوف
حسام على من ناصب الدين مصلت * وستر على من راقب الله مغدف
يسايره جيشان رأى وفيلق * ويصحبه سيفان عزم ومرهف
مطل على من شاءه فكأنما * على حكمه صرف الردى يتصرف
يرى رأيه ما لا ترى عين غيره * ويغرى به ما ليس يغرى المثقف
رعى الله من ترعى حمى الدين عينه * ويحمى ربى الاسلام والليل اغضف
ومن وعده فى مسرح الحمد مطلق * وانفاذه فى ذمة الحلم موقف
ومن يضرب الاعداء هبرا فينثنى * صناديدهم والبيض بالهام تقذف
رماهم بجر ضعضع الارض رزه * كأن الروابى فيه بالنبل تدلف
كأن الردينيات فى رونق الضحى * اراقم فى طام من الآل تزحف
يعود الدجى من بيضه وهو أبيض * ويبدو الضحى من نقعه وهو اكلف
ويحجب نور الشمس بالنقع عنهم * ففعل الظبا فى هامهم لا يكيف
لهم كل عام منك جاؤك فيلق * تسائل عنهم بالعوالى فتلحف

ثلثمائة وخمسون درهما واستمر على ذلك سنة ثم صار وظيفته كل يوم أربعمائة درهم واستمر على ذلك سنتين ثم عاد الى مدرسته بمائة درهم ثم قلد قضاء حلب برغبة منه وطلب بسبب انه أحاطه الديون واستغرقته حقوق الناس لسخائه القريب الى حد الاسراف ثم عزل وعين له كل يوم مائة درهم بطريق التقاعد (وتوفى فى أوائل المحرم سنة تسع وسبعين وتسعمائة) كان رحمه الله عالما فاضلا متدينا مشكور السيرة فى قضائه بحيث تعدمدته من تواريخ الايام ويشكره ويدعوله كل من يعرفه من الخواص والعوام وكان رحمه الله فى الطبقة العليا من البر والسماحة وكان مائلا الى الظهور ومحبا للرياسة وقد حكى بعض الثقات خبرا غريبا يتعلق بعزله عن قضاء قسطنطينية وهو انه كان من حواشيه رجل صالح معتقد يقعد فى بعض دكاكين قسطنطينية متجرا وكان يتردد اليه بعض الصلحاء والمجذوبين فاذا برجل مجذوب أتاه صبيحة يوم فقال للسوقى فى أثناء كلامه ألك عندى حاجة فخطر له كون المولى المزبور قاضيا بالعسكر فذكره له والتمس منه التوجه فى ذلك فقال المجذوب ان اردت حصول ذلك المطلوب

اذا ما طووا كشحا على قرح عامهم * وبلوا من الآلام انشأت تعرف
فكم من اغم الوجه غما وتركته * وهاديه من عثنون لحييه اكثف
هو المقضب الماضى بهواه فانثنى * صريعا تراه حبترا وهو اسقف
لعمرى لقد عاديت فى الله طالبا * رضاه وقد ابليت ما الله يعرف
وطالبتهم فى الاهل حتى تركتهم * فرادى وفى الاديان حتى تحنفوا
فيا ثقة الملك الذى الملك سهمه * براش لأكباد الاعادى وبرصف
هنيألك العيد الذى منك حسنه * يروق ومن أوصافك الغر يوصف
بدا معلم الارجاء يزهى كأنما * على عطفه وشى العراق المسقف
أتى بعد حول زائرا عن تشوق * وقد كان ذا طرف للقياك يطرف
فطوقته عزا وشنفته به * فلاح لنا وهو المحلى المشنف
وقابله بالسعد نجلك جعفر * فيا لك من عيد بملكين تتحف
فلا زلت تستجدى فتولى وترتجى * فتكفى وتستدعى لخطب فتكشف

تجزت القصيدة وكان لثقة الدولة المذكور ولد يدعى تاج الدولة جعفر بن ثقة الدولة وكان أديبا شاعرا وله الابيات السائرة فى غلامين على أحدهما ثوب ديباج احمر وعلى الآخر ثوب ديباج اسود وهى

أرى بدرين قد طلعا * على غصنين فى نسق * وفى ثوبين قد صبغا
صباغ الخد والحدق * فهذا الشمس فى شفق * وهذا البدر فى غسق

وكان عمله لهذه الابيات فى سنة سبع وعشرين وخمسمائة ولما توجه المأمون الى مصر وذلك فى سنة خمس عشرة ومائتين دخلها العشر خلون من المحرم وخرج منها سلخ صفر من السنة كان معه القاضى يحيى بن أكثم فولاه قضاء مصر وحكم بها ثلاثة أيام ثم خرج مع المأمون وعده ابن زولاق فى جملة قضاة مصر لذلك وروى عن يحيى بن أكثم انه قال اختصم الى فى الرصافة الجد الخامس يطلب ميراث ابن ابن ابن ابن ابنه وكان عبد الصمد بن أبى عمرو بن المعذل بن غيلان بن المحارب بن البحترى العبدى البصرى الشاعر المشهور يلازم الترداد الى القاضى يحيى المذكور ويغشى مجالسه وكان بعض الاحيان لا يقدر على الوصول اليه الا بمشقة ومذلة يقاسيها فانقطع عنه فلامته زوجته فى ذلك مرارا فانشدها

تكلفنى اذلال نفسى لعزها * وهان عليها ان أهان لتكرما
تقول سل المعروف يحيى بن أكثم * فقلت سليه رب يحيى بن أكثما

ولم تزل الاحوال تختلف عليه وتتقلب به الى أيام المتوكل على الله فلما عزل القاضى محمد ابن القاضى أحمد بن أبى دواد عن القضاء فوض الولاية الى القاضى يحيى وخلع عليه خمس خلع ثم عزله فى سنة أربعين ومائتين وأخذ أمواله وولى فى رتبته جعفر بن عبد الواحد بن جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس الهاشمى فجاء كاتبه الى القاضى يحيى فقال له سلم الديوان فابى فقال شاهدان عدلان على أمير المؤمنين انه أمرنى بذلك فأخذ منه الديوان قهرا وغضب عليه المتوكل فأمر بقبض أملاكه وألزم منزله ثم حج وحمل أخته معه وعزم على أن يجاور فلما اتصل به رجوع المتوكل له بداله فى المجاورة ورجع يريد العراق فلما وصل الى الربذة توفى بها يوم الجمعة منتصف ذى الحجة سنة ستين وأربعين ومائتين وقيل غرة سنة ثلاث وأربعين ودفن هنالك رحمه الله تعالى وعمره ثلاث وثمانون سنة وأكثم بفتح الهمزة وسكون الكاف وفتح الثاء المثلثة وبعدها ميم وهو الرجل العظيم البطن والشبعان أيضا يقال بالثاء المثلثة والتاء المثناة من فوقها ومعناهما واحد ذكره فى كتاب المحكم (وحكى) أبو عبد الله الحسين بن عبد الله بن سعيد قال كان يحيى بن أكثم القاضى صديقالى وكان يودنى وأوده فمات يحيى فكنت اشتهى ان أراه فى المنام فأقول ما فعل الله بك فرأيته ليلة فى المنام فقلت ما فعل الله بك فقال غفرلى الا انه وبخنى ثم قال لى يا يحيى خلطت على نفسك فى الدنيا فقلت

فقل للمولى المزبور يفرز لى من ماله مائتى دينار ويعين واحدا من عبيده للعتق فاذا فعل ذلك يحصل المراد ان شاء الله تعالى فذهب ذلك الرجل السوقى الى المولى المزبور وعرض عليه القصة وأخبره بما جرى بينه وبين المجذوب فلما سمعه استخف به وضحك وقال ان أولياء الله المتصرفين فى عالم الملكوت متبرؤن من طلب مال فى عمل لهم وأما قضاء العسكر فطريق الذى لا يفوتنى وما أنت الا رجل ابله فقال له السوقى لعل فى ذلك حكمة خفية وباحث معه وآل الامر الى ان قال المولى المزبور ان عين ذلك لرجل يوم النصب نفعل ما ذكره فافترقا على ذلك فلما أصبح السوقى وفتح حانوته صبحه المجذوب وسأله عن القضية فلم يجبه بشئ واستحيا من المجذوب فقال المجذوب قد سمعت كل ما جرى بينك وبينه فاخذ من الحانوت ورقة وطواها على طولها ثم قطعها قطعتين وقال انا افعل بمن طلب التعيين كذلك وقد عزلته عن منصبه ودمرته تدميرا فلما سمعه السوقى تطير منه وقامت قيامته فقبل يد المجذوب واستعفى وبكى وقال له المجذوب لم ادر انعطافك لهذا القدر فاذا لابد من تدارك الامر فى الجملة ففعل افعالا غريبة خارجة عن طور العقل ثم

يارب اتكلت على حديث حدثني به أبو معاوية الضرير عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انك قلت انى لأستحيي ان أعذب ذا شيبة بالنار فقال قد عفوت عنك يا يحيى وصدق نبيي الا انك خلطت على نفسك فى دار الدنيا هكذا ذكره ابو القاسم القشيرى فى الرسالة وقطن بفتح القاف والطاء المهملة وبعدها نون وسمعان بفتح السين المهملة ومشنج كشفت عنه كثيرا من الكتب وأرباب هذه الصناعة فلم أقف منه على حقيقة ثم وجدت فى نسخة من تاريخ بغداد للخطيب وهى صحيحة مسموعة وقد قيد هذا الاسم بضم الميم وفتح الشين المعجمة وفتح النون المشددة وفى آخره جيم هذا أقصى ماقدرت عليه والله أعلم بالصواب ثم وجدته فى المختلف والمؤتلف لعبد الغنى بن سعيد كما قيد به ههنا والاسيدى بضم الهمزة وفتح السين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وتشديدها وبعدها دال مهملة هذه النسبة الى أسيد وهو بطن من تميم يقال له أسيد بن عمرو بن تميم وقد تقدم الكلام على التميمى والمروزى والربذة بفتح الراء والباء الموحدة والذال المعجمة وبعدها هاء ساكنة وهى قرية من قرى المدينة على طريق الحاج ينزلونها عند عبورهم عليها وهى التى نفى عثمان بن عفان أباذر الغفارى رضى الله عنهما اليها وأقام بها حتى مات وقبره ظاهر هنالك يزار وميلة بكسر الميم وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح اللام وبعدها هاء ساكنة وهى بليدة من أعمال افريقية وتوفى جعفر بن عبد الواحد القاضى المذكور ويكنى أبا عبد الله سنة ثمان وخمسين ومائتين وقيل سنة ثمان وستين وقيل سنة تسع وستين بطرسوس

(أبو زكريا يحيى بن معاذ الرازى الواعظ أحد رجال الطريقة)

ذكره أبو القاسم القشيرى فى الرسالة وعده من جملة المشايخ وقال فى حقه نسيج وحده فى وقته له لسان فى الرجاء خصوصا وكلام فى المعرفة خرج الى بلخ وأقام بها فى مدة ورجع الى نيسابور ومات بها ومن كلامه كيف يكون زاهدا من لاورع له تورع عما ليس لك ثم ازهد فيما لك وكان يقول الجوع للمريدين رياضة وللتائبين تجربة وللزهاد سياسة وللعارفين مكرمة والوحدة جليس الصديقين والفوت أشد من الموت لان الفوت انقطاع عن الحق والموت انقطاع عن الخلق والزهد ثلاثة أشياء القلة والخلوة والجوع ومن خان الله فى السر هتك ستره فى العلانية وسمع اسحق بن سليمان الرازى ومكى بن ابراهيم البلخى وعلى بن محمد الطنافسى وروى عنه الغرباء من أهل الرى وهمذان وخراسان أحاديث مسندة قليلة وذكره الخطيب فى تاريخ بغداد فقال قدم بغداد واجتمع اليه بها مشايخ الصوفية والنساك ونصبوا له منصة وأقعدوه عليها وقعدوا بين يديه يتحاورون فتكلم الجنيد فقال له يحيى اسكت ياخروف مالك والكلام اذا تكلم الناس وكان له اشارات وعبارات حسنة فمن كلامه الكلام الحسن حسن وأحسن من الكلام معناه وأحسن من معناه استعماله وأحسن من استعماله ثوابه وأحسن من ثوابه رضا من يعمل له ومن كلامه حقيقة المحبة أن لاتزيد بالود ولاتنقص بالجفاء وكان يقول من لم يكن ظاهره مع العوام فضة ومع المريدين ذهبا ومع العارفين درا وياقوتا فليس من حكماء الله المريدين وكان يقول أحسن شئ كلام صحيح من لسان فصيح فى وجه صبيح كلام دقيق يستخرج من بحر عميق على لسان رجل رقيق وكان يقول الهى كيف أنساك وليس لى رب سواك الهى لا أقول لا أعود لانى أعرف من نفسى نقض العهود ولكنى أقول لا أعود لعلى أموت قبل ان أعود ومن دعائه اللهم ان كان دينى قد أخافنى فان حسن ظنى بك قد أجارنى اللهم سترت على فى الدنيا ذنوبا أنا الى سترها فى القيامة أحوج وقد أحسنت بى اذ لم تظهرها لعصابة المسلمين فلا تفضحنى فى ذلك اليوم على رؤس العالمين يا أرحم الراحمين ودخل على علوى ببلخ زائرا له ومسلما عليه فقال له العلوى أيد الله الاستاذ ما تقول فينا أهل البيت قال ما أقول فى طين عجن بماء الوحى وسقى بماء الرسالة فهل يفوح منه الا مسك الهدى وعنبر التقى فحشا العلوى فاه بالدر ثم زاره من الغد فقال يحيى بن معاذ ان زرتنا فبفضلك أو زرناك فلفضلك فلك الفضل زائرا أو مزورا ومن كلامه مابعد طريق على صديق ولا استوحش فى طريق من سلك فيه الى حبيب ومن كلامه مسكين ابن آدم لو خاف

قال وأما العزل فلابد من الوقوع اليوم الفلانى فراح الى سبيله وبقى السوقى مغموما منتظر الذلك اليوم فلما جاء ذلك اليوم وقع العزل على ما أخبر به المجذوب ولم يتيسر القضاء بالعسكر ومات على الحسرة والندامة

(وممن فاز بحظ الظهور وملك مقاليد الامور واتته الرياسة منقادة وجاءه العز والسودد فوق العادة وعن قريب أخلق ديباج عزه الجديدان ومزق جلباب سودده أيدى الحدثان فعاد كأن لم يكن شيأ مذكورا وكان ذلك فى الكتاب مسطورا المولى عطاء الله معلم السلطان الاعظم والخاقان الاكرم السلطان سليم خان بن السلطان سليمان خان)

نشأ رحمه الله بقصبة توركى من ولاية ايدين صار فالراغ عمره فى احراز العلوم والمعارف بحيث لايلويه عن تحصيلها عائق ولاصارف وتشرف بمجالس الافاضل ومحافل الاماثل وقرأ على العالم الخطير والسميدع النحرير نادرة الزمان علامة الاوان المفتى أبو السعود وهو مدرس بمدرسة داود باشا ثم على الامام الهمام السرى القمقام قدوة المدققين أسوة المحققين المولى سعد الله محشى تفسير البيضاوى وهو قاض بقسطنطينية حميت عن البلية ثم صار ملازما

النار كما يخاف الفقر دخل الجنة وقال ماصحت ارادة أحد قط فمات حتى حن الى الموت واشتهاء اشتهاء الجائع الى الطعام لارتداف الآفات واستيحاشه من الاهل والاخوان ووقوعه فيما يتحير فيه صريح عقله وقال من لم ينظر فى الدقيق من الورع لم يتصل الى الجليل من العطاء وقال ليكن حظ المؤمن منك ثلاث خصال ان لم تنفعه فلا تضره وان لم تسره فلا تغمه وان لم تمدحه فلا تذمه وقال عمل كالسراب وقلب من التقوى خراب وذنوب بعدد الرمل والتراب ثم تطمع فى الكواعب الاتراب هيهات أنت سكران بغير شراب ما أكملك لو بادرت أملك ما أجلك لو بادرت أجلك ما أقواك لو خالفت هواك وله فى هذا الباب كل كلام مليح وتوفى سنة ثمان وخمسين ومائتين بنيسابور رحمه الله تعالى وقال محمد بن عبد الله قرأت على اللوح فى قبر يحيى بن معاذ الرازى مات حكيم الزمان يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله تعالى وبيض وجهه وألحقه بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لست عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى سنة ثمان وخمسين ومائتين

(أبو زكريا يحيى بن عبد الوهاب ابن الامام أبى عبد الله محمد بن اسحق بن محمد بن يحيى بن منده ابن الوليد بن منده بن بطة بن استندار بن جهار بخت بن فيرزان)

واسم منده ابراهيم ومنده لقب وقيل اسم استندار الفيرزان والله أعلم العبدى كان من الحفاظ المشهورين وأحد أصحاب الحديث المبرزين وقد سبق ذكر جده أبى عبد الله محمد فى حرف الميم وهو أبو زكريا بن أبى عمرو بن أبى عبد الله بن أبى محمد بن أبى يعقوب من أهل أصبهان وهو محدث ابن محدث ابن محدث ابن محدث ابن محدث وكان جليل القدر وافر الفضل واسع الرواية ثقة حافظا فاضلا مكثرا صدوقا كثير التصانيف حسن السيرة بعيد التكلف أوحد أهل بيته فى عصره خرج التخاريج لنفسه ولجماعة من الشيوخ الاصبهانيين وسمع أبا بكر محمد بن عبد الله بن زيد الضبى وأبا طاهر محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الرحيم الكاتب وأبا منصور محمد بن عبد الله بن فضلويه الاصبهانى وأباه أبا عمرو وعمه أبا الحسن عبيد الله وأبا القاسم عبد الرحمن وأبا العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن النعمان القضاعى وأبا عبد الله محمد بن على بن محمد الجصاص وأبا بكر محمد بن على بن الحسين الجوردانى وأبا طاهر أحمد بن محمود الثقفى ورحل الى نيسابور وسمع بها أبا بكر أحمد بن منصور بن خلف المقرى وأبا بكر أحمد بن منصور البيهقى وبهمذان أبا بكر محمد ابن عبد الرحمن بن محمد النهاوندى وبالبصرة أبا القاسم ابراهيم بن محمد بن أحمد الشاهد وعبد الله بن الحسين السعدانى وجماعة كثيرة سواهم وصنف تاريخ أصبهان وغيره من الجوع ودخل بغداد حاجا وحدث بها وأملى بجامع المنصور وكتب عنه الشيوخ منهم أبو الفضل محمد بن ناصر وعبد القادر بن أبى صالح الجيلى وأبو محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد بن أحمد بن الخشاب النحوى فى خلق كثير لشهرته وثبته وروى عنه أبو البركات عبد الوهاب بن المبارك الانماطى الحافظ وأبو الحسن على بن أبى تراب الزنكوى الخياط البغدادى وأبو طاهر يحيى بن عبد الغفار بن الصباغ وأبو الفضل محمد بن هبة الله بن العلاء الحافظ وجماعة كثيرة وذكره الحافظ ابن السمعانى فى كتاب الذيل وقال كتب لى الاجازة بجميع مسموعاته ثم قال سألت عنه أبا القاسم اسمعيل بن محمد الحافظ فاثنى عليه ووصفه بالحفظ والمعرفة والدراية ثم قال سمعت أبا بكر محمد ابن أبى نصر بن محمد الكفتوانى الحافظ يقول بيت ابن منده بدئ بيحيى وختم بيحيى يريد فى معرفة الحديث والعلم والفضل وذكره الحافظ عبد الغافر بن اسمعيل بن عبد الغافر الفارسى المقدم ذكره فى سياق تاريخ نيسابور فقال أبو زكريا يحيى بن عبد الوهاب بن منده رجل فاضل من بيت العلم والحديث المشهور فى الدنيا سافر وأدرك المشايخ وسمع منهم وصنف على الصحيحين وكان يروى باسناده المتصل الى بعض العلماء انه قال كثرة الضحك امارة الحمق والعجلة من ضعف العقل وضعف العقل من قلة الرأى وقلة الرأى من سوء الادب وسوء الادب يورث المهانة والمجون طرف من الجنون والحسد داء لادواء له والنمائم تورث الضغائن وكان يروى بالاسناد المتصل الى الاصمعى انه قال دخلت فى البادية الى مسجد فقام الامام يصلى فقرأ انا أرسلنا نوحا الى قومه وأرتج عليه فجعل يكررها ويقول انا أرسلنا نوحا الى قومه فقال اعرابى من ورائه وهو

بطريق الاعادة من المولى المشتهر باسرافيل زاده ثم درس بيلدرم خان بقصبة مدرنى بعشرين ثم بالمدرسة الخاتونية بتوقات بخمسة وعشرين ثم صار وظيفته فيها ثلاثين ثم بمدرسة القاضى حسام بقسطنطينية باربعين ثم نقل بخمسين الى مدرسة الوزير الكبير رستم باشا بالمدينة المزبورة وهو أول مدرس بها ثم عين لتعليم السلطان سليم خان وهو يومئذ أمير بلواء مغنيسا ولما وصلت نوبة السلطنة الى مخدومه علت كلمته وارتفعت مرتبته واستقام أمره واشتعل جمره حيث بالغ فى اكرامه وأفرط فى اعزازه واعظامه وكان يراجعه فى الامور المهمة تارة مكاتبة وأخرى مشافهة وكان يدعوه الى الدار العامرة ويجتمع به فى كل شهر مرتين أو مرة ولما انتظم له الحال على ذلك المنوال وورث به زيادة وحصل مراده اشتغل بايثار حواشيه وتقديم متعلقاته وتلامذته وأوصلهم الى المناصب الجليلة فى الازمنة القليلة وقدم الصغار على المشايخ الكبار وقد أشرف روض الفضائل بذلك الى الذبول ومال نجم المعارف الى الافول وصغت شمس العلم للغروب وركدت ريحها بعد الهبوب فضج الناس بالتضرع والابتهال الى جناب حضرة المتعال

قائم يصلي ياهذا ان لم يذهب نوح فارسل غيره وكان يحيي المذ كور كثيرا ما ينشد

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى * وللمشترى دنياه بالدين أعجب

وأعجب من هذين من باع دينه * بدنيا سواه فهو من ذين أخيب

وكانت ولادته غداة يوم الثلاثاء تاسع عشر شوّال سنة أربع وثلاثين وأربعمائة وتوفي يوم عيد النحر سنة اثنتي عشرة وخمسمائة باصبهان ومولده بها أيضا رحمه الله تعالى ولم يخلف في بيت ابن منده بعده مثله وقال ابن نقطة في كتابه اكمال الاكمال توفي يوم السبت ثاني عشر ذي الحجة من سنة احدى عشرة وخمسمائة وذكر ان مولد أبيه عبد الوهاب سنة ست وثمانين وثلثمائة وتوفي في جمادى الآخرة من سنة خمس وسبعين وأربعمائة رحمه الله تعالى وقد سبق الكلام على ضبط أسماء أجداده في ترجمة جده أبي عبد الله محمد

(أبو بكر يحيي بن سعدون بن تمام بن محمد الازدى القرطبي الملقب صائن الدين أحد الائمة المتأخرين في القرا آت وعلوم القرآن الكريم والحديث والنحو واللغة وغير ذلك)

خرج من الاندلس في عنفوان شبابه وقدم ديار مصر فسمع بالاسكندرية أبا عبد الله محمد بن أحمد بن ابراهيم الرازى وبمصر أبا صادق مرشد بن يحيي بن القاسم المدني المصرى وأبا طاهر أحمد بن محمد الاصبهاني المعروف بالسلفي وغيرهم ودخل بغداد سنة سبع وعشرين وخمسمائة وقرأ بها القرآن الكريم على الشيخ أبي محمد بن عبد الله بن علي المقرى المعروف بابن بنت الشيخ أبي منصور الخياط وسمع عليه كتبا كثيرة منها كتاب سيبويه وقرأ الحديث على أبي بكر محمد بن عبد الباقي البزاز المعروف بقاضي المارستان وأبي القاسم بن الحصين وأبي العز بن كادش وغيرهم وكان دينا ورعا عليه وقار وهيبة وسكينة وكان ثقة صدوقا ثبتا نبيلا قليل الكلام كثير الخير مفيدا أقام بدمشق مدة طويلة واستوطن الموصل ورحل عنها الى أصبهان ثم عاد الى الموصل وأخذ عنه شيوخ ذلك العصر وذكره الحافظ ابن السمعاني في كتاب الذيل وقال انه اجتمع به بدمشق وسمع منه مشيخة أبي عبد الله الرازى وانتخب عليه أجزاء وسأله عن مولده فقال ولدت في سنة ست وثمانين وأربعمائة بمدينة قرطبة من ديار الاندلس ورأيت في بعض الكتب ان مولده سنة سبع وثمانين والاول أصح وكان شيخنا القاضي بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم المعروف بابن شداد قاضي حلب رحمه الله تعالى يفتخر برؤيته وقراءته عليه وسيأتي ذلك في ترجمته ان شاء الله تعالى وقال كنا نقرأ عليه بالموصل ونأخذ عنه وكنا نرى رجلا يأتي اليه كل يوم فيسلم عليه وهو قائم ثم يمد يده الى الشيخ بشئ ملفوف فيأخذه الشيخ من يده ولا نعلم ماهو ويتركه ذلك الرجل ويذهب ثم تقفينا ذلك فعلمنا انها دجاجة مسموطة كانت برسم الشيخ في كل يوم يبتاعها له ذلك الرجل ويسمطها ويحضرها اليه واذا دخل الشيخ الى منزله تولى طبخها بيده وذكر في كتابه الذي سماه دلائل الاحكام انه لازم القراءة عليه احدى عشرة سنة آخرها سنة سبع وستين وخمسمائة وكان الشيخ أبو بكر القرطبي المذكور كثيرا ما ينشد مسندا الى الخير الكاتب الواسطي رواهما بالاسناد المتصل اليه انه قاله

جرى قلم القضاء بما يكون * فسيان التحرك والسكون

جنون منك أن تسعى لرزق * ويرزق في غشاوته الجنين

وقال أنشدنا أبو الوفاء عبد الباقي بن وهب بن حسان قال أنشدنا أبو عبد الله محمد بن منيع بمصر لنفسه

لي حيلة فيمن ينم وليس في الكذاب حيله

من كان يخلق ما يقو * ل فحيلتي فيه قليله

وتوفي الشيخ أبو بكر المذكور بالموصل في يوم عيد الفطر سنة سبع وستين وخمسمائة رحمه الله تعالى

(أبو سليمان وقيل أبو سعيد يحيي بن يعمر العدواني الوشقي النحوى البصرى)

كان تابعيا لقي عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما ولقي غيرهما وروى عنه قتادة بن دعامة السدوسي واسحق بن سويد العدوى وهو أحد قراء البصرة وعنه أخذ عبد الله بن أبي اسحق القراءة وانتقل الى خراسان وتولى القضاء بمرو وكان عالما بالقرآن الكريم والنحو ولغات العرب وأخذ النحو عن

فعاجله سهم المنية قبل حصول الامنية وحل بساحته المنون وساءت به الظنون فاضحى عبرة وعظة للعالمين وكان مثلا وسلفا للآخرين (بيت)

من ذا الذي لا يذل الدهر صعبته

ولا تلين يد الايام صعدته

(وذلك في أوائل صفر من سنة تسع وسبعين وتسعمائة) بعد ما مضى من دولته مقدار خمس سنين وحضر جنازته في بيته عامة العلماء والوزراء ونزل السلطان الى الباب العالي وأخذ باطراف نعشه الوزير الكبير محمد باشا وسائر الوزراء والامراء الحاضرين وأتوا بجنازته الى جامع السلطان سليمان وصلى عليه المفتي أبو السعود ودفن بزاوية الشيخ ابن الوفاء بمدينة قسطنطينية وفي غد ذلك اليوم ورد الامر بالزيادة على وظائف ابنائه وتعيين الوظائف لعدة من خدامه ما بين رق وحر تنيف على خمسين نفسا ويروى انه رأى قبل مرضه في منامه كانه قاعد في صدر مجلس حافل بالناس وهم مطرقون حوله وظهر رجل على زى الصوفية وبيده عصا فلما قرب من المجلس توجه اليه وخاطبه فقال قم من مجلسك ياسيئ الادب قال فلم التفت اليه فكرر الخطاب ثانيا فثالثا وكررت عدم الالتفات فهجم على

أبي الاسود الدؤلي المقدم ذكره يقال ان أبا الاسود لما وضع باب الفاعل والمفعول به زاد فيه رجل من بني ليث أبوابا ثم نظر فاذا في كلام العرب مالا يدخل فيه فاقصر عنه فيمكن ان يكون هو يحيي بن يعمر المذكور اذ كان عداده في بني ليث لانه حليف لهم وكان شيعيا من الشيعة الاولى القائلين بتفضيل أهل البيت من غير تنقيص لذى فضل من غيرهم (حكى) عاصم بن أبي النجود المقرى المقدم ذكره ان الحجاج بن يوسف الثقفي بلغه ان يحيي بن يعمر يقول ان الحسن والحسين رضي الله عنهما من ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يحيي يومئذ بخراسان فكتب الحجاج الى قتيبة بن مسلم والي خراسان وقد تقدم ذكره أيضا ان ابعث الى بيحيي بن يعمر فبعث به اليه فقام بين يديه فقال أنت الذي تزعم ان الحسن والحسين من ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لالقين الاكثر منك شعرا أو لتخرجن من ذلك قال فهو أماني ان خرجت قال نعم قال فان الله جل ثناؤه يقول ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزى المحسنين وزكريا ويحيي وعيسى الآية قال وما بين عيسى وابراهيم أكثر مما بين الحسن والحسين ومحمد صلوات الله عليه وسلامه فقال الحجاج وما أراك الا قد خرجت والله لقد قرأتها وما علمت بها قط وهذا من الاستنباطات البديعة الغريبة العجيبة فلله دره ما أحسن ما استخرج وأدق ما استنبط قال عاصم ثم ان الحجاج قال له أين ولدت فقال بالبصرة قال أين نشأت قال بخراسان قال فهذه العربية أنى هي لك قال رزق قال خبرني هل ألحن فسكت فقال أقسمت عليك فقال اما اذ سألتني أيها الامير فانك ترفع ما يوضع وتضع ما يرفع فقال ذلك والله اللحن السيئ قال ثم كتب الى قتيبة اذا جاءك كتابي هذا فاجعل يحيي بن يعمر على قضائك والسلام وروى ابن سلام عن يونس بن حبيب قال قال الحجاج ليحيي بن يعمر أتسمعني ألحن قال في حرف واحد قال في اى قال في القرآن قال ذلك أشنع ثم قال له ماهو قال تقول قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم الى قوله أحب اليكم فتقرؤها بالرفع قال ابن سلام كأنه لما طال الكلام نسي ما ابتدأ به فقال الحجاج لاجرم لا تسمع لي لحنا قال يونس فألحقه بخراسان وعليها يزيد بن المهلب ابن أبي صفرة والله أعلم أى ذلك كان قال ابن الجوزى في كتاب شذور العقود في سنة أربع وثمانين للهجرة نفى الحجاج يحيي بن يعمر لانه قال له هل ألحن فقال تلحن لحنا خفيا فقال أجلتك ثلاثا فان وجدتك بعد بارض العراق قتلتك فخرج (وحكى) أبو عمرو ونصر بن علي عن نوح بن قيس قال حدثنا عثمان بن محصن قال خطب أمير بالبصرة فقال اتقوا الله فانه من يتق الله فلا هوارة عليه فلم يدروا ما قال الامير فسألوا يحيي بن يعمر فقال الهوارة الضياع يقول من يتق الله فليس عليه ضياع قال القزاز في كتاب الجامع الهورات المهالك واحدها هورة قال الراوى فحدثت بهذا الحديث الاصمعي فقال هذا شئ لم أسمع به قط حتى كان الساعة منك ثم قال ان كلام العرب لواسع لم أسمع بذا قط (وحكى) الاصمعي قال حدثنا أبي قال كتب يزيد بن المهلب ابن أبي صفرة وهو بخراسان الى الحجاج كتابا يقول فيه انا لقينا العدو فاضطررناهم الى عرعرة الجبل ونحن بالحضيض فقال الحجاج ما لابن المهلب ولهذا الكلام فقيل له ان ابن يعمر عنده فقال فذاك اذا وكان يحيي ابن يعمر يعمل الشعر وهو القائل

أبي الاقوام الا بغض قومي * قديما بغض الناس السمينا

وقال خالد الحذاء كان لابن سيرين مصحف منقوط نقطه يحيي بن يعمر وكان ينطق بالعربية المحضة واللغة الفصحى طبيعة فيه غير متكلف واخباره ونوادره كثيرة وتوفي سنة تسع وعشرين ومائة رحمه الله تعالى ويعمر بفتح الياء المثناة من تحتها والميم وبينهما عين مهملة وفي الاخير راء وقيل بضم الميم والاول أصح وأشهر ويعمر بفتح الميم مضارع قولهم عمر الرجل بفتح العين وكسر الميم اذا عاش زمانا طويلا وانما سمى بذلك تفاؤلا بطول العمر كما سمى يحيي بذلك أيضا والعدواني بفتح العين المهملة والواو وبينهما دال مهملة ساكنة وبعد الالف نون هذه النسبة الى عدوان واسمه الحرث بن عمرو بن قيس عيلان وانما قيل له عدوان لانه عدا على أخيه فهم بقتله والوشقي بفتح الواو وسكون الشين المعجمة وبعدها قاف هذه النسبة الى وشقة بن

وضربني بعصاه التي بيده ورفعني من مجلسي قهرا فلما نجوت من يده سألت بعض الحاضرين عنه فقالوا انه الشيخ محيي الدين الاسكليبي أبوه المفتي أبو السعود فانتبهت مذعورا فوجدت في بدني ثقلة ولم يذهب الأيام قلائل حتى هجمني هذا المرض ولعل السبب في ذلك ما وقع بينه وبين المفتي المزبور من المعاداة والمشاجرة بسبب انه ظهرت منه أقوال الى تخفيف المفتي المزبور وازدرائه كان رحمه الله فاضلا ورعا ديناذكيا قوى الطبع صحيح الفكر أصيل الرأى آية في التدبير والتصرف الا ان فيه التعصب الزائد وقد كتب رسالة تشتمل على فنون خمسة الحديث والفقه والمعاني والكلام والحكمة وعملت لها خطبة سنية تتضمن غرر المدائح أولها الحمد لله على جميل عطائه وجزيل نعمائه التي تقاصرت صحائف الايام دون احاطة آلائه ولما وقع نظره عليها وقع في حيز الاستحسان الا أنه لم يحصل منه طائل ولم يفد عندنا اظهار الفضائل ولعل ذلك الحرمان الصريح من الاطراء الواقع في المديح (وممن اشتهر بفضله وعرفانه فاضحى مقصودا لطلبة عصره وأوانه الشيخ رمضان عليه الرحمة والرضوان)

عوف بن بكر بن يشكر بن عدوان المذكور

(أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الاسلمي المعروف بالفراء الديلمي الكوفي مولى بني أسد وقيل مولى بني منقر)

كان أبرع الكوفيين واعلمهم بالنحو واللغة وفنون الادب (حكى) عن أبي العباس ثعلب انه قال لولا الفراء لما كانت عربية لانه خلصها وضبطها ولولا الفراء لسقطت العربية لانها كانت تتنازع ويدعيها كل من أرادو يتكلم الناس فيها على مقادير عقولهم وقرائحهم فتذهب وأخذ النحو عن أبي الحسن الكسائي وهو والاحمر المقدم ذكره من أشهر أصحابه وأخصهم به وكان قد ورد بغداد في أيام المأمون فبقي يتردد على بابه مدة لا يصل اليه فبينما هو ذات يوم على الباب اذ جاء أبو بشر ثمامة بن الاشرس النميري المعتزلي وكان خصيصا بالمأمون قال ثمامة فرأيت ابهة أديب فجلست اليه ففاتشته عن اللغة فوجدته بحرا وفاتشته عن النحو فشاهدته نسيج وحده وعن الفقه فوجدته رجلا فقيها عارفا باختلاف القوم وبالنجوم ماهرا وبالطب خبيرا وبايام العرب وأشعارها حاذقا فقلت له من تكون وما أظنك الا الفراء فقال أنا هو فدخلت فاعلمت أمير المؤمنين المأمون فامر باحضاره لوقته وكان سبب اتصاله به وقال قطرب دخل الفراء على الرشيد فتكلم بكلام لحن فيه مرات فقال جعفر بن يحيى البرمكي انه قد لحن يا أمير المؤمنين فقال الرشيد للفراء أتلحن فقال الفراء يا أمير المؤمنين ان طباع أهل البدو الاعراب وطباع أهل الحضر اللحن فاذا تحفظت لم ألحن واذا رجعت الى الطباع لحنت فاستحسن الرشيد قوله وقال الخطيب في تاريخ بغداد ان الفراء لما اتصل بالمامون أمره ان يؤلف ما يجمع به أصول النحو وما سمع من العربية وأمر أن يفرد بحجرة من حجر الدار ووكل به جواري وخدما يقمن بما يحتاج اليه حتى لا يتعلق قلبه ولا تتشوق نفسه الى شئ حتى انهم كانوا يؤذنونه باوقات الصلاة وصيرله الوراقين وألزمه الامناء والمنفقين فكان يملي والوراقون يكتبون حتى صنف الحدود في سنتين وأمر المأمون بكتبه بالخزائن فبعد أن فرغ من ذلك خرج الى الناس وابتدأ بكتاب المعاني قال الراوي وأردنا ان نعد الناس الذين اجتمعوا لاملاء كتاب المعاني فلم نضبطهم فعددنا القضاة فكانوا ثمانين قاضيا فلم يزل يمليه حتى أتمه ولما فرغ من كتاب المعاني خزنه الوراقون عن الناس ليكسبوا به وقالوا لانخرجه الا لمن أراد ان ننسخه له على خمس أوراق بدرهم فشكا الناس الى الفراء فدعا الوراقين فقال لهم في ذلك فقالوا انما صحبناك لننتفع بك وكل ما صنفته فليس بالناس اليه من الحاجة ما بهم الى هذا الكتاب فدعنا نعيش به فقال فقاربوهم تنتفعوا وينتفعوا فأبوا عليه فقال سأريكم وقال للناس اني ممل كتاب معان أتم شرحا وابسط قولا من الذي أمليت فجلس يملي فاملى الحمد في مائة ورقة فجاء الوراقون اليه وقالوا نحن نبلغ الناس ما يحبون فنسخوا كل عشر أوراق بدرهم وكان سبب املائه كتاب المعاني ان أحد أصحابه وهو عمر بن بكير كان يصحب الحسن بن سهل المقدم ذكره فكتب الى الفراء ان الامير الحسن لا يزال يسألني عن أشياء من القرآن لا يحضرني عنها جواب فان رأيت أن تجمع لي أصولا وتجعل ذلك كتابا يرجع اليه فعلت فلما قرأ الكتاب قال لاصحابه اجتمعوا حتى أملي عليكم كتابا في القرآن وجعل لهم يوما فلما حضروا خرج اليهم وكان في المسجد رجل يؤذن فيه وكان من القراء فقال له اقرأ فقرأ فاتحة الكتاب ففسرها حتى مر في القرآن كله على ذلك يقرأ الرجل والفراء يفسره وكتابه هذا نحو ألف ورقة وهو كتاب لم يعمل مثله ولا يمكن أحدا أن يزيد عليه وكان المأمون قد وكل الفراء يلقن ابنيه النحو فلما كان يوما أراد الفراء أن ينهض الى بعض حوائجه فابتدرا الى نعل الفراء يقدمانها له فتنازعا أيهما يقدمها فاصطلحا على أن يقدم كل واحد منهما فردة فقدماها وكان المأمون له على كل شئ صاحب خبر فرفع ذلك الخبر اليه فوجه الى الفراء فاستدعاه فلما دخل عليه قال من أعز الناس قال ما أعرف أعز من أمير المؤمنين قال بلى من اذا نهض يقاتل على تقديم نعليه وليا عهد المسلمين حتى رضي كل واحد منهما أن يقدم له فردا قال يا أمير المؤمنين لقد أردت منعهما عن ذلك ولكن خشيت ان أدفعهما عن مكرمة سبقا اليها أو أكسر نفوسهما عن شريفة حرصا عليها وقد روي عن ابن عباس رضي الله

كان رحمه الله من بليدة بره من بلاد الروم فخرج منها في طلب المعارف والعلوم فاتصل الى مجالس السادة وتحرك في ميادين الطلب على الطريقة المعتادة وقرأ على العالم النحرير المولى محمد الشهير بمرحبا ثم وصل الى خدمة المولى المفتي سعد ابن عيسى ثم حبب له العزلة والانقطاع فسلك مسالك القناعة والانجماع ورغب عن قبول المنصب واختار خطابة جامع أحمد باشا في قصبة چورلى فتقاعد في القصبة المزبورة وأكب على الاشتغال والافادة من الكتب المشهورة فاجتمع اليه الطلبة وأهرعوا من الاماكن والبقاع وانتفعوا به أي انتفاع وكتب رحمه الله في أثناء درسه حاشية لطيفة على حواشي المولى الخيالي على شرح العقائد للعلامة التفتازاني توافقها في الدقة والوجازة وكتب أيضا حاشية على شرح المسعودية من آداب البحث وعلق حواشي على بعض المواضع من شرح المفتاح للشريف الجرجاني (وتوفي رحمه الله في القصبة المزبورة سنة تسع وسبعين وتسعمائة) وكان رحمه الله عالما فاضلا مدققا يذلل من العلوم صعابها ويكشف عن وجوه مخدراتها حجابها ويحل ببنان افكاره الصائبة

عنهما انه أمسك للحسن والحسين رضي الله عنهما ركابيهما حين خرجا من عنده فقال له بعض من حضر أتمسك لهذين الحدثين ركابيهما وأنت أسن منهما فقال له اسكت يا جاهل لا يعرف الفضل لاهل الفضل الا ذوو الفضل فقال له المأمون لو منعتهما عن ذلك لاوجعتك لوما وعتبا وألزمتك ذنبا وما وضع ما فعلاه من شرفهما بل رفع من قدرهما وبين عن جوهرهما ولقد ظهرت لي مخيلة الفراسة بفعلهما فليس يكبر الرجل وان كان كبيرا عن ثلاث عن تواضعه لسلطانه ووالده ومعلمه العلم وقد عوضتهما بما فعلاه عشرين ألف دينار ولك عشرة آلاف درهم على حسن أدبك اياهما وقال الخطيب أيضا كان محمد بن الحسن الفقيه ابن خالة الفراء وكان الفراء يوما جالسا عنده فقال الفراء قل رجل أنعم النظر في باب من العلم فأراد غيره الا سهل عليه فقال له محمد يا أبا زكريا قد أنعمت النظر في العربية فاسألك عن باب من الفقه فقال هات على بركة الله تعالى قال ما تقول في رجل صلى فسها فسجد سجدتين للسهو فسها فيهما ففكر الفراء ساعة ثم قال لاشئ عليه فقال له محمد ولم قال لان التصغير عندنا لا تصغير له وانما السجدتان تمام الصلاة فليس للتمام تمام فقال محمد ما ظننت آدميا يلد مثلك وقد سبقت هذه الحكاية في ترجمة الكسائي ونبهت عليها باذكرته ههنا وكان الفراء يميل الى الاعتزال (وحكى) سلمة بن عاصم عن الفراء قال كنت أنا وبشر المريسي المقدم ذكره في بيت واحد عشرين سنة فما تعلم مني شيأ ولا تعلمت منه شيأ وقال الجاحظ دخلت بغداد حين قدمها المأمون في سنة أربع ومائتين وكان الفراء يحبني وأنا أشتهي أن يتعلم شيأ من علم الكلام فلم يكن له فيه طبع وقال أبو العباس ثعلب كان الفراء يجلس للناس في مسجده الى جانب منزله وكان يتفلسف في تصانيفه حتى يسلك في ألفاظه كلام الفلاسفة وقال سلمة بن عاصم اني لاعجب من الفراء كيف كان يعظم الكسائي وهو أعلم بالنحو منه وقال الفراء أموت وفي نفسي شئ من حتى لانها تخفض وترفع وتنصب ولم ينقل من شعره غير هذه الابيات وقد رواها أبو حنيفة الدينوري عن أبي بكر الطوال

يا أميرا على جريب من الار * ض له تسعة من الحجاب
جالسا في الخراب يحجب فيه * ما سمعنا بحاجب في خراب
لن تراني لك العيون بباب * ليس مثلي يطيق رد الجواب

ثم وجدت هذه الابيات لابن موسى الملفوف والله أعلم ومولد الفراء بالكوفة وانتقل الى بغداد وجعل أكثر مقامه بها وكان شديد طلب المعاش لا يستريح في بيته وكان يجمع طول السنة فاذا كان في آخرها خرج الى الكوفة فأقام بها أربعين يوما في أهله يفرق عليهم ما جمعه ويبرهم وله من التصانيف الكتابان المقدم ذكرهما وهما الحدود والمعاني وكتابان في المشكل أحدهما أكبر من الآخر وكتاب البهاء [٣] وهو صغير الحجم ووقفت عليه بعد ان كتبت هذه الترجمة ورأيت فيه أكثر الالفاظ التي استعملها أبو العباس ثعلب في كتاب الفصيح وهو في حجم الفصيح غير انه غيره ورتبه على صورة أخرى وعلى الحقيقة ليس لثعلب في الفصيح سوى الترتيب وزيادة يسيرة وفي كتاب البهاء أيضا ألفاظ ليست في الفصيح قليلة وليس في الكتابين اختلاف الا في شئ قليل وله كتاب اللغات وكتاب المصادر في القرآن وكتاب الجمع والتثنية في القرآن وكتاب الوقف والابتداء وكتاب المفاخر وكتاب آلة الكتاب وكتاب النوادر وكتاب الواو وغير ذلك من الكتب وقال سلمة بن عاصم أملى الفراء كتبه كلها حفظا لم يأخذ بيده نسخة الا في كتابين كتاب ملازم وكتاب يافع ويفعة قال أبو بكر الانباري ومقدار الكتابين خمسون ورقة ومقدار كتب الفراء ثلاثة آلاف ورقة وقد مدحه محمد بن الجهم بقصيدة على روي الواو الموصولة بالهاء المكسورة أضربت عن ذكرها خوف الاطالة وتوفي الفراء سنة سبع ومائتين في طريق مكة وعمره ثلاث وستون سنة رحمه الله تعالى والفراء بفتح الفاء وتشديد الراء وبعدها ألف ممدودة وانما قيل له فراء ولم يكن يعمل الفراء ولا يبيعها لانه كان يفري الكلام ذكر ذلك الحافظ السمعاني في كتاب الانساب وعزاه الى كتاب الالقاب وذكر أبو عبيد الله المرزباني في كتابه ان زيادا والد الفراء كان أقطع لانه حضر وقعة الحسين بن علي رضي الله عنهما فقطعت يده في ذلك الحرب وهذا عندي فيه نظر لان الفراء عاش ثلاثا وستين سنة فتكون ولادته سنة أربع وأربعين ومائة وحرب

عقد المشكلات ويرفع بأيدي أنظاره الثاقبة عقال المعضلات مواظبا على النظر والافادة حتى أفناه الدهر واباده وكان رحمه الله ظريف الطبع لذيذ الصحبة حلو المحاضرة ينظم الشعر على لسان الترك بابلغ النظام ويتمشى فيه بهشتي كما هو دأب شعراء الروم والاعجام وقد عثر على كلمات له علقها على موضع من شرح كافية ابن الحاجب للفاضل الهندي مما يمتحن به اذهان الطلبة فاثبتها في هذا المقام وختمت بها ذلك الكلام قال قال الشارح (والاسناد اليه) أي الى الاسم فورد أن قوله والاسناد اليه عطف على المبتدأ فيكون حينئذ في حكمه وخبره في حكم خبره فالمآل اسناد الشئ الى الاسم من خواص الاسم فهذا لغو من الكلام واجاب عنه بقوله (والحكم عليه) أي الاسناد اليه (بالخصوص) أي بكونه خاصة الاسم (باعتبار الطبيعة النوعية) للاسم المتناول للمسند والمسند اليه (دون الصنفية) وهي قسم المسند اليه (المستفادة) وصف للطبيعة الصنفية (ومن اليه المختص به)

[٣] لعله كتاب البهاء الابجد على حرف أبجد وهو مذكور في كشف الظنون غير منسوب اه

الحسين كانت سنة احدى وستين للهجرة فبين حرب الحسين وولادة الفراء أربع وثمانون سنة فكم قد عاش أبوه فان كان الاقطع جده فيمكن والله أعلم ومنظور بفتح الميم وسكون النون وضم الظاء المعجمة وسكون الواو وبعدها راء وقد تقدم الكلام على الديلمي وبني أسد وأما بنو منقر فهو بكسر الميم وسكون النون وفتح القاف وبعدها راء هو منقر بن عبيد بن مقاعس واسمه الحرث بن عمرو بن كعب بن سعد ابن زيد مناة بن تميم بن مر وهي قبيلة كبيرة ينسب اليها خلق كثير من الصحابة رضوان الله عليهم وغيرهم ومنها خالد بن صفوان وشبيب بن شبة وصفوان وشبة ابنا عبد الله بن عمرو بن الاهتم المنقري وهما أعني خالدا وشبيبا المشهوران بالفصاحة والبلاغة والخطابة ولخالد مجالس مشهورة مع أمير المؤمنين السفاح ولشبيب مع المنصور والمهدي وغيرهما وقد تقدم ذكر خالد وشبيب في ترجمة البحتري في حرف الواو

(أبو محمد يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي المعروف باليزيدي المقري النحو اللغوي)

صاحب أبي عمرو بن العلاء المقري البصري وهو الذي خلفه في القيام بالقراءة بعده وسكن بغداد وحدث بها عن أبي عمرو بن العلاء وابن جريج وغيرهما وروى عنه محمد ابنه وأبو عبيد القاسم بن سلام واسحق ابن ابراهيم الموصلي وجماعة من أولاده وحفدته وأبو عمر والدوري وأبو حمدون الطيب ابن اسمعيل وأبو شعيب السوسي وعامر بن عمر الموصلي وأبو خلاد سليمان بن خلاد وغيرهم وخالف أبا عمرو في حروف يسيرة من القراءة اختارها لنفسه وكان يؤدب أولاد يزيد بن منصور بن عبد الله بن يزيد الحميري خال المهدي واليه كان ينتسب ثم اتصل بهرون الرشيد فجعل ولده المأمون في حجره وكان يؤدبه وكان ثقة وهو أحد القراء الفصحاء العالمين بلغات العرب والنحو وكان صدوقا وله التصانيف الحسنة والنظم الجيد وشعره مدون وصنف كتاب نوادر في اللغة على مثال كتاب نوادر الاصمعي الذي صنفه لجعفر البرمكي وفي مثل عدد ورقه وأخذ علم العربية وأخبار الناس عن أبي عمرو والخليل بن أحمد ومن كان معاصرهما (وحكى) عن أبي حمدون الطيب بن اسمعيل قال شهدت ابن أبي العتاهية وقد كتب عن أبي محمد اليزيدي قريبا من ألف مجلد عن أبي عمرو بن العلاء خاصة فيكون ذلك عشرة آلاف ورقة لان تقدير المجلد عشر ورقات وأخذ عن الخليل من اللغة أمرا عظيما وكتب عنه العروض في ابتداء وضعه له الا ان اعتماده على أبي عمرو لسعة علم أبي عمرو باللغة وكان أبو محمد المذكور يعلم الصبيان بحذاء دار أبي عمرو بن العلاء وكان أبو عمرو يدنيه ويميل اليه لذكائه وكان أبو محمد المذكور صحيح الرواية وله من التصانيف كتاب النوادر المقدم ذكره وكتاب المقصور والممدود ومختصر في النحو وكتاب النقط والشكل وقال ابن المنادي أكثرت من السؤال عن أبي محمد اليزيدي ومحله من الصدق ومنزلته من الثقة لعدة من شيوخنا بعضهم أهل عربية وبعضهم أهل قرآن وحديث فقالوا هو ثقة صدوق لا يدفع عن سماع ولا يرغب عنه في شئ غير ما يتوهم عليه من الميل الى المعتزلة وقد روى عنه الغريب أبو عبيد القاسم بن سلام وكفى به وما ذاك الا عن معرفة منه به وكان يجلس في أيام الرشيد مع الكسائي في مجلس واحد ويقرئان الناس وكان الكسائي يؤدب الامين وهو يؤدب المأمون فأما الامين فان أباه أمر الكسائي أن يأخذ عليه بحرف حمزة وأما المأمون فان أباه أمر أبا محمد أن يأخذ عليه بحرف أبي عمرو (قال الاثرم) دخل اليزيدي يوما على الخليل بن أحمد وهو جالس على وسادة فاوسع له واجلسه معه فقال له اليزيدي أحسبني ضيقت عليك فقال الخليل ماضاق موضع على اثنين متحابين والدنيا لا تسع اثنين متباغضين وسأل المأمون اليزيدي عن شئ فقال لا وجعلني الله فداك يا أمير المؤمنين فقال لله درك ماوضعت الواو قط في موضع أحسن من موضعها في لفظك هذا ووصله وحمله وقال اليزيدي دخلت على المأمون يوما والدنيا غضة وعنده قينة تغنيه وكانت من أجل أهل دهرها فانشدت

و زعمت أني ظالم فهجرتني * ورميت في قلبي بسهم نافذ
فنعم هجرتك فاغفري وتجاوزي * هذا مقام المستجير العائذ
هذا مقام فتى أضر به الهوى * قرح الجفون بحسن وجهك لائذ

وصف لقوله اليه وضمير به راجع الى الصنف والجار داخل على المقصور وملخصه ان المراد اسناد الشئ الى صنف الاسم من خواص نوع الاسم فلا لغو كما اذا قيل سواد الحبشي خاصة لنوع الانسان فيفيد الخبر معنى غير منفهم من المبتدا فاعرف هذا

(ومن الذين ارتقوا مدارج العزة والسيادة پير أحمد المشتهر بليس زاده)

توفي أبوه منفصلا عن قضاء القاهرة وقرأ المرحوم على المولى محيي الدين المشتهر بعرب زاده وصار ملازما من المولى بستان واتفق له عطفة من الزمان حيث تزوج ابنة المولى عطاء الله معلم السلطان سليم خان فطلعت نجوم سعادته وشرقت شموس سيادته حيث وصل في الازمنة القليلة الى المناصب الجليلة وقلد أولا مدرسة ابن الحاجي حسن بثلاثين ثم مدرسة ابراهيم باشا بقسطنطينية بأربعين ثم جعل وظيفته فيها خمسين ثم نقل بالوظيفة المزبورة الى مدرسة رستم باشا بقسطنطينية ثم الى مدرسة اسكدار ثم نقل الى احدى المدارس الثمان توفي وهو مدرس بها في مدة قريبة من موت المولى عطاء الله صهره وكان رحمه الله حسن الشكل لطيف الطبع محبا للعلم وساعيا في اقتناء الكتب النفيسة وقد جمع منها

ولقد أخذتم من فؤادي أنسه * لاشل ربي كف ذاك الآخذ

فاستعاد المأمون الصوت ثلاث مرات ثم قال يا يزيدي أيكون شئ أحسن مما نحن فيه قلت نعم يا أمير المؤمنين قال وما هو قلت الشكر لمن خولك هذا الانعام العظيم الجليل فقال أحسنت وصدقت ووصلني وأمر بمائة ألف درهم يتصدق بها فكأني أنظر الى البدر وقد أخرجت والمال يفرق وشكا اليزيدي الى المأمون حاجة أصابته ودينا لحقه فقال ما عندنا في هذه الايام ما ان أعطيناكه بلغت به ما تريد فقال يا أمير المؤمنين ان الامر قد ضاق علي وان غرمائي قد أرهقوني فاحتل لي ففكر المأمون واستقر الامر على أن يحضر اليزيدي الى الباب اذا جلس المأمون في مجلس الانس وعنده ندماؤه ويكتب رقعة يطلب فيها الدخول أو اخراج بعض الندماء اليه فلما جلس المأمون حضر اليزيدي الى الباب ودفع للخادم رقعة مختومة فادخلها الى المأمون ففضها فاذا فيها مكتوب

يا خير اخوان وأصحاب * هذا الطفيلي على الباب
فصيروني واحدا منكم * أو أخرجوا لي بعض أصحابي

فقرأها المأمون على من حضر وقال ما ينبغي أن يدخل مثل هذا الطفيلي على مثل هذا الحال فارسل المأمون يقول له دخولك في مثل هذا الوقت متعذر فاختر لنفسك من أحببت ان تنادمه فلما وقف على الرسالة قال ما أرى لنفسي اختيارا سوى عبد الله بن طاهر فقال له المأمون قد وقع الاختيار عليك فصر اليه فقال يا أمير المؤمنين فأكون شريك الطفيلي فقال ما يمكنني رد أبي محمد عن أمره فان أحببت أن تخرج اليه والا فافتد نفسك منه فقال على عشرة آلاف درهم فقال لا أحسب ذلك يقنعه منك ومن مجالستك فلم يزل يزيد عشرة آلاف على عشرة آلاف والمأمون يقول لا أرضى له بذلك حتى بلغ مائة ألف درهم فقال له المأمون عجلها له فكتب له بها الى وكيله ووجه رسولا وأرسل اليه المأمون وهو يقول قبض هذا المبلغ في مثل هذا الحال أصلح لك من منادمته على مثل حاله فقبل ذلك منه وكان ظريفا في جميع أحواله (وحكى) أبو أحمد جعفر البلخي في كتابه ان اليزيدي المذكور سأل الكسائي عن قول الشاعر

ما رأينا خربا نقر عنه البيض صقر * لا يكون العير مهرا لا يكون المهر مهر

الخرب بفتح الخاء المعجمة والراء وفي آخرها الباء الموحدة الذكر من الحبارى والعير بفتح العين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء وهو الذكر من حمر الوحش فقال الكسائي يجب أن يكون مهر منصوبا على انه خبر كان ففي البيت على هذا التقدير اقواء فقال اليزيدي الشعر صواب لان الكلام قد تم عند قوله لا يكون الثانية وهي مؤكدة للاولى ثم استأنف الكلام فقال المهر مهر وضرب بقلنسوته الارض وقال أنا أبو محمد فقال له يحيى بن خالد البرمكي أتكتني بحضرة أمير المؤمنين والله ان خطأ الكسائي مع حسن أدبه لأحسن من صوابك مع سوء أدبك فقال اليزيدي ان حلاوة الظفر اذهبت عني التحفظ قلت انا أقول الكسائي في البيت اقواء ليس بجيد فان اصطلاح أرباب علم القوافي ان الاقواء يختص باختلاف الاعراب في حرف الروي بالرفع والجر لا غير بأن يكون أحد البيتين مرفوعا والآخر مجرورا فأما اذا كان الاختلاف بالنصب مع الرفع والجر فان ذلك يسمى اصرافا لا اقواء والى هذا أشار أبو العلاء المعري في قوله من جملة قصيدة طويلة يرثي بها الشريف الطاهر والد الرضي والمرتضى المقدم ذكرهما وهو في صفة نعيب الغراب

بنيت على الايطاء سالمة من الاقـ * ـواء والاكفاء والاصراف

وهذا البيت متعلق بما قبله ولا يظهر معناه الا بذكر ما تقدم ولا حاجة بنا الى ذكره هنا بل ذكرنا موضع الاستشهاد لا غير وقد قيل ان الاصراف من جملة أنواع الاقواء فعلى هذا يستقيم ما قاله الكسائي وهذا الفصل وان كان دخيلا لكنه ما خلا عن فائدة وغالب شعر اليزيدي جيد وقد ذكره هرون بن المنجم المقدم ذكره في كتاب البارع وأورد له عدة مقاطيع فمن ذلك قوله يهجو الاصمعي الباهلي المقدم ذكره

أين لي دعي بني أصمع * متى كنت في الاسرة الفاضله
ومن أنت هل أنت الا امرؤ * اذا صح أصلك من باهله

النفائس واللطائف والنوادر والظرائف الى ان بدد الدهر شملها واقفر ربعها ومنزلها

(ومن العلماء الاعيان المولى سنان)

كان رحمه الله من قصبة آق حصار من لواء صارخان وقد انتظم المرحوم في سلك الطلاب بعدما وصل الى سن الشباب ولما حصل الطرف الصالح من العرفان صار ملازما من المولى المشتهر بابن بكان ثم درس بمدرسة جاي بعشرين ثم مدرسة طه قلي بورلي بخمسة وعشرين ثم مدرسة بركي بالوظيفة المزبورة ثم بمدرسة بالي كسرى بثلاثين ثم المدرسة الخاتونية بتوقات باربعين ثم مدرسة المولى يكان بمدينة بروسه بالوظيفة المزبورة ثم درس بالمدرسة الحلبية بادرنه بخمسين ثم نقل عنها الى مدرسة بنت السلطان سليمان باسكدار ثم نقل الى احدى المدارس الثمان الى مدرسة السلطان محمد ابن السلطان سليمان فاشتغل فيها وأفاد وتحرك على الوجه المعتاد حتى فرق الدهر شمله وأباد (وكان ذلك في أوائل شعبان المنخرط في سلك شهور سنة تسع وسبعين وتسعمائة) وكان رحمه الله عالما صالحا ذكي الطبع جيد القريحة صحيح التودد للمشايخ الصوفية مترددا اليهم ومستمدا من أنفاسهم

ثم قال ابن المنجم وهذا البيت من نادر أبيات المحدثين فى الهجاء قلت أنا وهذا مأخوذ من قول حماد بن عجرد فى بشار بن برديهجوه

نسبت الى برد وأنت لغيره * وهب أن بردا لك أملح من برد

وله أيضا فى الهجاء

استبق ودابى المقا * تل حين تدنو من طعامه
سيان كسر رغيفه * أو كسر عظم من عظامه
ويصوم كرها ضيفه * لم ينو أجرا فى صيامه

وقد سبق فى ترجمة أبى العباس المبرد مقطوع من شعره فى شيبة بن الوليد وكان له أخبار ونوادر فمن ذلك مارواه انه أخذ رجلا ادعى النبوّة فأتى به الى المهدى فقال له أنت نبى فقال نعم فقال والى من بعثت فقال وهل تركتمونى اذهب الى أحد ساعة بعثت وضعتمونى فى الحبس فضحك المهدى واستتابه وكان لليزيدى خمسة بنين كلهم علماء أدباء شعراء رواة لاخبار الناس وهم أبو عبد الله محمد وابراهيم وأبو القاسم اسمعيل وأبو عبد الرحمن عبد الله وابو يعقوب اسحق وكلهم ألف فى اللغة والعربية وكان محمد أسنهم وأشعرهم وهو القائل فيما رواه دعبل بن على الخزاعى المقدّم ذكره من جملة أبيات

أتطعن والذى تهوى مقيم * لعمرك ان ذا خطر عظيم
اذا ما كنت للحدثان عونا * على مع الزمان فمن ألوم
شقيت به فما أنا عنه سال * ولا هو اذ شقيت به رحيم

وهو القائل

يابعيد الدار موصو * لا بقلبى ولسانى
ربما باعدك الدهـ * ـر فادنتك الامانى

وله أشعار كثيرة جيدة وكان يؤدّب المأمون مع أبيه وثقل سمعه فى آخر عمره وكان قد خرج مع المأمون الى خراسان وأقام بخدمته فى مدينة مرو ثم بقى الى أيام المعتصم وخرج معه الى مصر فتوفى بها رحمه الله تعالى وأما والده أبو محمد المذكور فانه توفى سنة اثنتين ومائتين رحمه الله تعالى بخراسان والظاهر انه كان بمرو فانه كان قد خرج مع المأمون من بغداد وكانت اقامة المأمون بمرو ثم وجدت فى طبقات القراء لابى عمرو الدانى انه توفى فى التاريخ المذكور بمرو ثم قال بعد ذلك وقال ابن المنادى وقيل انه بلغ من السن دون المائة باعوام يسيرة ومات بالبصرة ودفن بها والاوّل أصح والله أعلم وقد تقدم فى حرف الميم ذكر حفيده أبى عبد الله محمد بن العباس بن أبى محمد اليزيدى المذكور وشرح طرف من أخباره وفضله وتاريخ وفاته والعدوى بفتح العين والدال المهملتين وكسر الواو وهذه النسبة الى عدى بن عبد مناة بن اد بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وهى قبيلة مشهورة ولم يكن أبو محمد المذكور منهم وانما كان من مواليهم كان جدّه المغيرة مولى لامرأة من بنى عدى فنسب اليهم وقد سبق فى أوّل هذه الترجمة ذكر سبب نسبته الى يزيد فأغنى عن الاعادة وفى ذريته جماعة كثيرة أفاضل مشاهير أصحاب تصانيف وأشعار رائقة مشهورة ولولا خوف الاطالة لذكرت شيأ منها واليزيديون يفتخرون بالكتاب الذى وضعه ابراهيم بن أبى محمد المذكور فى اللغة وسماه كتاب ما اتفق لفظه وافترق معناه جمع فيه كل الالفاظ المشتركة فى الاسم المختلفة فى المسمى ورأيته فى أربع مجلدات وهو من الكتب النفيسة يدل على غزارة علم مؤلفه وسعة اطلاعه وله غير ذلك تآليف حسنة نافعة وكذلك بقية اليزيديين صنفوا كتبا مشهورة مشكورة وكان يزيد الحميرى خال المهدى مقدّما فى دولة بنى العباس ولى للمنصور البصرة واليمن ومات فى سنة خمس وستين ومائة بالبصرة وفيه قال بشار بن برد الشاعر المقدّم ذكره

أباخالد قد كنت مباع عمره * صغيرا فلما شبت خيمت بالشاطى
وكنت جوادا سابقا ثم لم تزل * بآخر حتى جئت تخطو من الخاطى
فأنت بما تزداد من طول رفعة * وتنقص من مجد كذاك بافراط
كسنور عبد الله بيع بدرهم * صغيرا فلما شب بيع بقيراط

قلت قد كشفت عن سنور عبد الله المطان وسألت أهل المعرفة بهذا الشان فما عرفت الخبر عن ذلك ولا عثرت له على أثر والله أعلم ثم ظفرت بقول الفرزدق وهو

رأيت الناس يزدادون يوما * ويوما فى الجميل وأنت تنقص
كمثل الهر فى صغر يغالى * به حتى اذا ما شب يرخص

ومن

الطيبة وكان رحمه الله شديد القيام فى مصالح من يلوذ به شديد النفع لمن يتردد اليه وبالجملة كان رحمه الله حسنة من حسنات الايام وبقية من السلف الكرام وقد روى بعد موته فى المنام فقيل له هل غفر الله لك فقال نعم ولكثير من الذين جاؤا بعدى قال الرائى وقلت له وكيف وجدت الدار الآخر بالنسبة الى الاولى قال لاشك ان الدار الآخرة خير للذين يؤمنون بالله واليوم الآخر وفى الدنيا أيضا خير ثم سألت عن بعض الاشخاص الذين ماتوا قبل موته فاخبر بالاجتماع بالبعض دون الآخر

(وممن صبغ يده بالوان العلوم واظهر اليد البيضاء فى كل منثور ومنظوم وشنف آذان الدهر بغرر كلماته وقلد جيد الزمان بدرر مصنوعاته واعترف بفضله الكثير من الافاضل السادة المولى علاء الدين على بن محمد المشتهر بحناوى زاده) ولد رحمه الله سنة ثمان عشرة وتسعمائة فى قصبة اسبارسه من لواء حميد وكان أبوه من قضاة بعض القصبات قرأ رحمه الله على المولى محيي الدين المشتهر بالمعلول والمولى سنان الدين محشى تفسير البيضاوى والمولى محيي الدين المشتهر

ومن ههنا أخذ بشار قوله وليس المراد هرا بعينه بل هو يكون له قيمة فى صغره وينقص منها فى كبره

(أبو زكريا يحيى بن على بن محمد بن الحسن بن بسطام الشيبانى التبريزى المعروف بالخطيب أحد أئمة اللغة)

كانت له معرفة تامة بالادب من النحو واللغة وغيرهما قرأ على الشيخ أبى العلاء المعرى وأبى القاسم عبد الله ابن على الرقى وأبى محمد الدهان اللغوى وغيرهم من أهل الادب وسمع الحديث بمدينة صور من الفقيه أبى الفتح سليم بن أيوب الرازى ومن أبى القاسم عبد الكريم بن محمد بن عبد الله بن يوسف الدلال الساوى البغدادى وأبى القاسم عبد الله بن على وغيرهم وروى عنه الخطيب الحافظ أبو بكر أحمد بن على بن ثابت صاحب تاريخ بغداد والحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر وأبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقى وأبو الحسن سعد الخير بن محمد بن سهل الاندلسى وغيرهم من الاعيان وتخرج عليه خلق كثير وتلمذوا له وذكره الحافظ أبو سعيد السمعانى فى كتاب الذيل وكتاب الانساب وعدد فضائله ثم قال سمعت أبا منصور محمد بن عبد الملك بن الحسن بن خيرون المقرى يقول أبو زكريا يحيى بن على التبريزى ما كان بمرضى الطريقة وذكر عنه أشياء ثم قال وذاكرت أنا مع أبى الفضل محمد بن ناصر الحافظ بما ذكره ابن خيرون فسكت عنه وكأنه ما أنكر ما قال ثم قال ولكن كان ثقة فى اللغة وما كان ينقله وصنف فى الادب كتبا كثيرة مفيدة منها شرح الحماسة وكتاب شرح ديوان المتنبى وكتاب شرح سقط الزند وهو ديوان أبى العلاء المعرى وشرح المعلقات السبع وشرح المفضليات وله تهذيب غريب الحديث وتهذيب اصلاح المنطق وله فى النحو مقدّمات حسنة والمقصود منها اسرار الصنعة وهى عزيزة الوجود وله كتاب الكافى فى علم العروض والقوافى وكتاب فى اعراب القرآن سماه الملخص رأيته فى أربع مجلدات وشروحه لكتاب الحماسة ثلاثة أكبر وأوسط وأصغر وله غير ذلك من التآليف وقد سبق فى ترجمة الخطيب أبى بكر أحمد بن على بن ثابت الحافظ ذكره وما دار بينهما عند قراءته عليه بدمشق فلينظر هناك ودرس الادب بالمدرسة النظامية ببغداد وكان سبب توجهه الى أبى العلاء المعرى انه حصلت له نسخة من كتاب التهذيب فى اللغة تأليف أبى منصور الازهرى فى عدة مجلدات لطاف وأراد تحقيق ما فيها وأخذها عن رجل عالم باللغة فدل على المعرى فجعل الكتاب فى مخلاة وحملها على كتفه من تبريز الى المعرة ولم يكن له ما يستأجر به مركوبا فنفذ العرق من ظهره اليها فأثر فيها البلل وهى ببعض الوقوف ببغداد واذا رآها من لا يعرف صورة الحال فيها ظن أنها غريقة وليس بها سوى عرق الخطيب المذكور هكذا وجدت هذه الحكاية مسطورة فى كتاب اخبار النحاة الذى ألفه القاضى الاكرم ابن القفطى الوزير بمدينة حلب كان رحمه الله تعالى والله أعلم بصحة ذلك وكان الخطيب المذكور قد دخل مصر فى عنفوان شبابه فقرأ عليه بها الشيخ أبو الحسن طاهر بن بابشاذ النحوى المقدّم ذكره شيأ من اللغة ثم عاد الى بغداد واستوطنها الى الممات وكان يروى عن أبى الحسن محمد بن المظفر بن محرز البغدادى جملة من شعره فمن ذلك قوله على ما حكاه السمعانى فى كتاب الذيل فى ترجمة الخطيب وهى من أشهر اشعاره

خليلى ما أحلى صبوحى بدجلة * وأطيب منه بالصراة غبوقى
شربت على الماءين من ماء كرمة * فكانا كدر ذائب وعقيق
على قمرى أفق وأرض تقابلا * فمن شائق حلو الهوى ومشوق
فمازلت أسقيه وأشرب ريقه * ومازال يسقينى ويشرب ريقى
وقلت لبدر التم تعرف ذا الفتى * فقال نعم هذا أخى وشقيقى

وهذه الابيات من أملح الشعر وأطرفه والبيت الاخير منها يستمد من معنى قول أبى بكر محمد بن عيسى الدانى المعروف بابن اللبانة الاندلسى فى مدح المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية المقدم ذكره من جملة قصيدة طويلة

سألت أخاه البحر عنه فقال لى * شقيقى الا انه الساكن العذب

ما كفاه أنه جعله شقيق البحر حتى رجحه عليه فقال الساكن العذب والبحر مضطرب مالح وهذا من خالص

بعرجبا ثم صار معيد الدرس المولى صالح الاسود ولما توفى المولى المزبور رغب فيه المولى الشيخ محمد المشتهر بجوى زاده فارتبط به وكان أول درس قرأ عليه من شرح العضد وقد كتب رحمه الله على هذا الموضع من شرح العضد رسالة لطيفة وعرضها على المولى المزبور فاستحسنها غاية الاستحسان وكان المولى محيي الدين المزبور يقول حين ما سئل عنه وعن المولى شاه محمد السابق ذكره انهما منى بمنزلة عينى لا أفضل أحدهما على الآخر ولما صار ملازما من المولى محيي الدين المزبور كتب رسالة يحقق فيها بحث نفس الامر وعرضها على المولى أبى السعود وهو قاض بالعساكر المنصورة يومئذ فقلده المدرسة الجامية بادرنه بعشرين ثم قلد مدرسة الامير حمزة فى بروسه بخمسة وعشرين ثم مدرسة ابن ولى الدين فى البلدة المزبورة بثلاثين ثم مدرسة رستم باشا بكوتاهيه باربعين ثم مدرسته التى ابتناها بقسطنطينية ثم الى احدى المدارس الثمان ولما ابتنى السلطان سليمان المدرستين الواقعتين فى الجانب الغربى من الجامع قلد احداهما للمولى المزبور والاخرى المولى شاه محمد السابق ذكره لمزيد اشتهارهما بالفضيلة

المدح وابدعه وأول هذه القصيدة · بكت عند توديعي فما علم الركب * أذاك سقيط الطل أم لؤلؤ رطب
وتابعها سرب وانى لمخطئ * نجوم الدياجي لا يقال لها سرب

وهى قصيدة طويلة ولولا خوف الاطالة والخروج عما نحن بصدده لذكرتها كلها ولكن يكفى منها هذا الانموذج وكان الخطيب أيضا يروى عن ابن محير المذكور ومن شعره قوله

يانساء الحى من مضر * ان سلمى ضرة القمر
ان سلمى لا فجعت بها * أسلمت طرفى الى السهر
فهى ان صدت وان وصلت * مهجتى منها على خطر
وبياض الشعر أسكنها * من سواد القلب والبصر

وللخطيب المذكور شعر فمن ذلك قوله

فمن يسأم من الاسفار يوما * فانى قد سئمت من المقام
أقمنا بالعراق على رجال * لئام ينتمون الى لئام

وقال الخطيب المذكور كتب الى العميد الفياض

قل ليحيى بن على * والاقاويل فنون | غير انى لست من يكذب فيها او يخون
أنت عين الفضل ان مد الى الفضل عيون | أنت من عز به الفضـ * ـل وقد كاد يهون
فقت من كان وأتعبـ * ـت لعمرى من يكون | قد مضى فيك قران * ومضى قبل قرون
واذا قيس بك الكل فصحو ودجون | واذا فتش عنهم * فالاحاديث شجون
قد سمعنا ورأينا * فسهول وحزون | ووزنا بك من كا * ن فقيل وقيون
أين شيبان وازد * كل مازال ظنون | انك الاصل ومن دو * نك فى العلم غصون
انك البحر واعيا * ن ذوى الفضل عيون | ليس كالسيف وان حلل فى الحكم جفون
ليس كالقدح المعلى * ليس كالبيت الحجون | ليس كالجد وان آ * نس هزل ومجون
ليس فى الحسن سواء * أبدا بيض وجون | ليس كالابكار فى اللطـ * ـف وان راقتك عون
قلت للحساد كونوا * كيف شئتم أن تكونوا | سبق الزائد بالفضـ * ـل فعزوا أو فهونوا
دمت ما خالف فى الحدحرالك وسكون | وتلقاك المنى ما * قر بالطير الوكون
ان ودى لك عما * يصم الود مصون | ليس لى فيه ظهور * تتنافى أو بطون
بل لقلبى فيك صب * بالمصافاة يكون | غلق الرهن وقد تغلـ * ـق فى الحب رهون
ومن الناس أمين * فى هواه وخؤن

وقال ابن الجواليقى قال لنا شيخنا الخطيب أبو زكريا فكتبت أنا الى العميد الفياض المذكور هذه الابيات

قل للعميد أخى العلا الفياض * أنا قطرة من بحرك الفياض
شرفتنى ورفعت ذكرى بالذى * ألبستنيه من الثنا الفضفاض
ألبستنى حلل القريض تفضلا * فرفلت منها فى علا ورياض
انى أتيتك بالحصى عن لؤلؤ * ابرزته من خاطر مرتاض
وبخاطرى عن مثل ذاك توقف * ما أن يكاد يجود بالابعاض
العارض البحر الغطامط جدول * أم درة تنقاس بالرضراض
يافارس النظم المرصع جوهرا * والنثر يكشف غمة الامراض
يرمى به الغرض البعيد وقد غدا * فكرى يقصر عن مدى الاغراض
لا تلزمنى من ثنائك موجبا * حقا فلست لحقه بالقاضى
فلقد عجزت عن القريض وربما * أعرضت عنه أيما اعراض

الباهرة ثم قلد قضاء دمشق ثم نقل الى قضاء بروسه ثم الى قضاء أدرنه ثم الى قضاء قسطنطينية ثم صار قاضيا بالعساكر المنصورة فى ولاية أناطولى وبعد عدة أشهر اتفق سفر السلطان الى مدينة أدرنه وكان مبتلى بعلة عرق النسا فاشتدت بالحركة وشدة البرد وعالجه بعض المتطببة ودهنه بدهن فيه بعض السموم ثم أعقبه بالطلاء بدهن النفط فنفذ السم الى باطنه فكان ذلك سبب موته فانه مات رحمه الله عقيب الطلاء المزبور (وذلك فى اليوم السابع من شهر رمضان من شهور سنة تسع وسبعين وتسعمائة) وحضر جنازته عامة الوزراء والعلماء وصلى عليه فى الجامع العتيق ودفن بظاهر باب أدرنه فى المقابر المشهورة بمقابر الناظر الواقعة على طريق القسطنطينية وكان رحمه الله أحد أماجد القروم فى كل منطوق ومفهوم ذا نفس علية وسجية سنية ذلل من العلوم صعابها ورفع عن مخدرات الفنون قناعها وحجابها فأمست عرائس النكات اليه مزفوفة وأصبحت عرائس الفوائد المهمات لديه مجلوة مكشوفة خاض فى غمار العلوم فجاء بكل فريدة يتنافس فيها آذان الايام وقصد ميادين الفهوم فأتى بكل رهينة

أنعم على ببسط عذرى اننى * اقررت عندك بالانفاض

وكانت ولادته سنة احدى وعشرين وأربعمائة وتوفى فجأة يوم الثلاثاء لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسمائة ببغداد ودفن فى مقبرة باب ابرز رحمه الله تعالى وبسطام بكسر الباء الموحدة وسكون السين المهملة وفتح الطاء المهملة وبعد الالف ميم وقد تقدم الكلام على الشيبانى والتبريزى فاغنى عن الاعادة

(أبو الحسين يحيى بن عبد المعطى بن عبد النور الزواوى الملقب زين الدين النحوى الحنفى)

كان أحد أئمة عصره فى النحو واللغة وسكن دمشق زمانا طويلا واشتغل عليه خلق كثير وانتفعوا به وصنف تصانيف مفيدة ثم ان الملك الكامل أرغبه فى الانتقال الى مصر فسافر اليها وتصدر بالجامع العتيق بمصر لاقراء الادب وقرر له على ذلك جار ولم يزل الى أن توفى فى سلخ ذى القعدة سنة ثمان وعشرين وستمائة بالقاهرة ودفن من الغد على شفير الخندق بقرب تربة الامام الشافعى رضى الله عنه وقبره هنالك ظاهر ومولده سنة أربع وستين وخمسمائة رحمه الله تعالى والزواوى بفتح الزاى وبين الواوين ألف هذه النسبة الى زواوة وهى قبيلة كبيرة بظاهر بجاية من أعمال افريقية ذات بطون وأفخاذ والله أعلم

(أبو أحمد يحيى بن على بن يحيى بن أبى منصور المعروف بابن المنجم واسمه أبان بن حسيس بن وريد بن كاد بن مهاسد بن ادحسيس بن مروح اد بن أساد بن مهر حسيس بن يزجرد)

كان فى أول أمره نديم الموفق أبى أحمد طلحة بن المتوكل على الله والموفق المذكور هو ولد المعتضد بالله ولم يل الموفق الخلافة بل كان نائبا عن أخيه المعتمد على الله ولم يزل فى محاربة القرامطة وأمره فى ذلك مشهور وقصته طويلة وليس هذا موضع ذكرها ثم ان يحيى المذكور نادم الخلفاء بعد الموفق واختص بمنادمة المكتفى بالله بن المعتضد وعلت رتبته عنده وتقدم على خواصه وجلسائه وكان متكلما معتزلى الاعتقاد وله فى ذلك كتب كثيرة وكان له مجلس يحضره جماعة من المتكلمين بحضرة المكتفى وصنف كتبا كثيرة فمن ذلك كتاب الباهر فى أخبار شعراء مخضرمى الدولتين ابتدأ فيه ببشار بن برد وآخر من أثبت فيه مروان بن أبى حفصة ولم يتممه وتممه ولده أبو الحسن أحمد بن يحيى وعزم على ان يضيف الى كتاب أبيه سائر الشعراء المحدثين فذكر منهم أبا دلامة ووالبة بن الحباب ويحيى بن زياد ومطيع بن اياس وأبا على البصير وكان أبو الحسن أحمد المذكور متكلما فقيها على مذهب أبى جعفر الطبرى وله كتب صنفها منها كتاب أخبار أهله ونسبهم فى الفرس وكتاب الاجماع فى الفقه على مذهب ابى جعفر الطبرى وكتاب المدخل الى مذهب الطبرى ونصرة مذهبه وكتاب الاوقات وغير ذلك وليحيى المذكور مع المعتضد وقائع ونوادر فمن ذلك ما حكاه أبو الحسن على ابن الحسين بن على المسعودى فى كتاب مروج الذهب عن يحيى المذكور انه قال كنت يوما بين يدى المعتضد وهو مغضب فاقبل بدر مولاه وكان شديد الغرام به فلما رآه من بعيد ضحك وقال يا يحيى من الذى يقول من الشعراء

فى وجهه شافع يمحو اساءته * من القلوب وجيه حيثما شفعا

فقلت يقوله الحكم بن عمرو السارى فقال لله دره أنشدنى هذا الشعر فانشدته

ويلى على من أطار النوم فامتنعا * وزاد قلبى على أوجاعه وجعا
كانما الشمس من اعطافه لمعت * حسنا أو البدر من ازراره طلعا
مستقبل بالذى يهوى وان كثرت * منه الذنوب ومعذور بما صنعا
فى وجهه شافع يمحو اساءته * من القلوب وجيه حيثما شفعا

وذكر أبو الفتح كشاجم الشاعر المشهور فى كتابه الذى سماه المصايد والمطارد فى الفصل الذى ذكر فيه صيد الاسد بالنشاب ما مثاله حدث أبو أحمد يحيى بن على بن يحيى المنجم النديم نديم المكتفى بالله قال وجد على أمير المؤمنين المكتفى بالله عند منصرفه من الرقة لركوبى الماء منها الى المرحلة الاولى قبل أن يركبه هو وذلك ان أبا العباس أحمد بن عبد الصمد حملنى على ذلك وسألنى ان أكون معه فى سفينة ففعلت ولم أظن ان

يتسابق عليها كمت الشهور والاعوام وكان رحمه الله واسع المعرفة كثير الافتنان جاريا فى ميدان المعارف بغير عنان وقد اخترع الكثير من المعانى وولد وقلد جيد الزمان بخرائد منثورة ومنظومة ما قلد وكان شيخ العربية وحامل لوائه وشمس بروجه وكواكب سمائه كلما أنطق البراعة أعجز وكلما وعد الانجاز وفى ذلك الوعد وأنجز وقد أثبت له فى هذه المجلة ما تستعذبه وتستطيبه وتحكم به أنه على الحقيقة امام هذا الشان وخطيبه قال رحمه الله وفيه تورية لطيفة (شعر)

أرى من صدغك المعوج دالا
ولكن نقطت من مسك خالك
فاصبح داله بالنقط ذالا
فها أناها لك من أجل ذالك

وله أيضا فى هذا الباب مما يستعذب جدا ويستطاب (شعر)

لهيب نار الهوى من أين جاء الى
احشاك حتى رأينا القلب وهاجا
ومادروا أنه من سحر مقلته
ألفى سبيلا الى قلبى ومنهاجا

(وله) فى معرض النصيحة هذه الكلمات الفصيحة (شعر)

أنفق فان الله كافل عبده
فالرزق فى اليوم الجديد جديد

المكتفي ينكر ذلك ولا يحتمل تأخيري عنه ولا احلالي به فلما صرنا الى الدالية أمر بان أرد منها الى قرقيسيا وأقيم بها حتى اصيد سبعا وأحضره اليه فردني وردمعي عدة من المغنين كانوا قد ركبوا الماء فكتبت اليه بابيات فلم تعطفه فرجعت الى الرحبة وأقمت عند أبي محمد عبد الله بن الحسن بن سعيد القطربلي في قصف وشرب وصبوح وغبوق وهو على غاية السرور بمقامي عنده وكان معنا أبو جعفر محمد بن سليمان بن محمد بن عبد الملك الزيات فكتبت من الرحبة كتابا الى الوزير أبي الحسين القاسم بن عبيد الله وأنفذت فيه شعرا أساله ان يقرأه على المكتفي وهو

تعس الدهر ان يسر وان يسـ * ـعدنا بالاحبة الاجتماع
فرماني واخوة لي بسهم * نفر النفس فهي منه شعاع
فرددنا الى وراء ومر الناس * قدما فاشتدت الاوجاع
لو سمعنا بمثل ما نالنا أفـ * ـزعنا منه في سوانا السماع
كلفونا صيد السباع وانا * لبخيران لم تصدنا السباع
ان عصينا فواجب أي قوم * كلفوا فوق طوعهم فأطاعوا
كل شئ يجوز تكليفه الانـ * ـسان الا ما كان لا يستطاع
لم تزل تمزح الملوك لكن * مع ذاك المزاح جود وساع
وتوانى الوزير عنا فضعنا * في سبيل الاله حق مضاع
قد مددنا الايدي اليه وأضحت * عائذات بفضله الاطماع
شافع لا يخاف ردا اذا ما * رد عما تريده الشفاع
عبثات الملوك يتبعها الانـ * ـس واثمارها عطايا تباع
أولنا باولى دولته خيـ * ـر الديه فالخير النفاع

وأنفذ الكتاب مع محمد بن سليمان الخرائطي في الخرائط فلم يضعه القاسم من يده حتى دخل على المكتفي فقرأه عليه وأنشده الابيات فاستحسنها وقال يكتب الساعة بتخلية سبيله وحمله الينا فلم يكن أسرع من أن وافاني الرسول فوافيت وأنشدت المكتفي ببغداد

عادليلي القصير في كرخ بغدا * د بقرقيسيا على طويلا
أجميلان تتركوني وعضو * ن رهينا بها اغريباذليلا
مفردا بالعقاب مشترك الذ * ـب فصبرا حسبي ربي وكيلا
ان قضى الله لي رجوعا الى بغ * ـداد لاهالكا بغمي قتيلا
وأراني الخليفة المكتفي بالله * وابن الخلائف المأمولا
كالذي قد عهدت لا معرضا عني ولا واجدا ولا مستحيلا
كل شئ أسامه حسن عنـ * ـدي اذا الرأى منه كان جميلا

فاستحسنها ورق لشكواي بها حتى تبينت ذلك في وجهه وكلامه واخبار يحيى ومحاسنه كثيرة وكانت ولادته سنة احدى وأربعين ومائتين وتوفي ليلة الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول سنة ثلثمائة رحمه الله تعالى وقد تقدم ذكر والده علي وأخيه هرون وابن أخيه علي ولم أرفع في نسبهم الا في هذه الترجمة لاني لم أظفر بالنسب على هذه الصورة الالما وصلت الى هذا الموضع فنقلته كما وجدته من كتاب الفهرسة لابي الفرج محمد بن اسحق النديم ولم أضبط شيأ من أسماء أجداده لاني لم أتحقق فيها شيأ فنقلتها كما وجدتها

(أبو بكر يحيى بن عبد الرحمن بن بقي الاندلسي القرطبي الشاعر المشهور)

صاحب الموشحات البديعة قال الفتح محمد بن عبد الله القيسي في كتاب مطمح الانفس في حق أبي بكر المذكور انه كان نبيلا في النثر والنظام كثير الارتباط في سلكه والانتظام أحرز خصالا وطرز محاسنه بكرا وآصالا وجرى في ميدان الاحسان الى أبعد أمد وبنى من المعارف على أثبت عمد الا ان الايام حرمته وقطعت حبل رعايته وصرمته ولم تتم له وطرا ولم تسجم عليه من الحظوة مطرا ولا نولته من الحرمة نصيبا ولا أنزلته مرعى خصيبا فصار راكب صهوات وقاطع فلوات لا يستقر يوما ولا يستحسن قوما مع توهم لا يظفره بامان وتقلب ذهن كواهي الجمان الا ان يحيى بن علي بن القاسم نزعه عن ذلك الطيش واقطعه جانبا من العيش وارقاه الى سمائه وسقاه صوب نعمائه وفيأه ظلاله وبوأه أثر النعمة تجوس خلاله فصرف فيه أقواله وشرف بتوافيه نواله وأفرده منها بانفس درر وقلد لبته منها بقصائد غرر وذكر الفتح بن محمد بن عبد الله القيسي

كالبئر ينزح ماؤه فيزيد
(وله أيضا) من هذا الباب في الحث على الثقة بمسبب الاسباب (شعر)
توكل على الرحمن في كل حاجة
تريد فان الله أكرم كافل
ولا تتوغل في المآثم غافلا
عن الله ان الله ليس بغافل
(وله) في صورة المناجاة وقرع باب الحاجات (شعر)
يامن يقيل عثار العبد بالكرم
اذا أتاه من الذلات في ندم
أرشد بنور الهدى نفسي فقد بقيت
من المظالم في داج من الظلم
(وله أيضا) في هذا الباب من التضرع الى جناب رب الارباب (شعر)
ياناصرا بدبيب رجل نميلة
جنح الظلام بصخرة صماء
ياسامعا لنعيق أضعف ضفدع
دنف جريح تحت لج الماء
أمنن بقطرة رحمة تمحو بها
آثار ذنب جل عن احصاء
وقد جرى بينه وبين شيخنا ومولانا قطب الدين مفتي الحنفية بمكة شرفها الله تعالى مراسلة فكتب اليه قصيدة بائية تشتمل على أبيات لطيفة ونكات شريفة (منها قوله)
سلام حكى بالميم عينا معينة
يروي رياض الحب بالسلسل العذب
على ماجد ماعد مقول قائل
شاهوات أربى على الصارم العضب

المذكور في حقه أيضا في كتاب قلائد العقيان هو رافع راية القريض وصاحب آية التصريح فيه والتعريض أقام شرائعه وأظهر روائعه وصار عصيه طائعه اذا نظم أزرى بنظم العقود وأتى بأحسن من رقم البرود ضفا عليه حرمانه وماصفا له زمانه انتهى كلام الفتح وقد أثبت لابي بكر المذكور هذا المقطوع من الشعر ولم أر الفتح ذكره في واحد من كتابيه المذكورين مع انه من أحسن شعره وأشهره وهو

بابي غزال غازلته مقلتي * بين العزيب وبين شطي بارق
وسألت منه زيارة تشفي الجوى * فأجابني منها بوعد صادق
بتنا ونحن من الدجى في لجة * ومن النجوم الزهر تحت سرادق
عاطيته والليل يسحب ذيله * صهباء كالمسك الفتيق الناشق
وضممته ضم الكمي لسيفه * وذؤابتاه حمائل في عاتقي
حتى اذا مالت به سنة الكرى * زحزحته عني وكان معانقي
أبعدته عن أضلع تشتاقه * كي لا ينام على وساد خافق
لما رأيت الليل آخر عمره * قد شاب في لممه ومفارق
ودعت من أهوى وقلت تأسفا * اعزز علي بأن أراك مفارقي

وقد ذكر بعض هذه الابيات الحافظ أبو الخطاب بن دحية في كتابه الذي سماه المطرب من أشعار أهل المغرب ومن شعره قصيدة يمدح بها يحيى بن علي بن القاسم المذكور في هذه الترجمة وهي طويلة ومن مدائحها قوله

نوران ليسا يحجبان عن الورى * كرم الطباع ولا جمال المنظر
وكلاهما جمعا ليحيى فليدع * كتمان نور علائه المتشهر
في كل أفق من جميل ثنائه * عرف يزيد على دخان المجمر
زدفي شمائله وزدفي جوده * بين الحديقة والغمام الممطر
ندب عليه من الوقار سكينة * فيها حفيظة كل ليث مخدر
مثل الحسام اذا انطوى في غمده * ألقى المهابة في نفوس الحضر
أربى على البحر الخضم لانه * في كل كف منه خمسة أبحر
أقبلت مرتادا لجودك انه * صوب الغمامة بل زلال الكوثر
ورأيت وجه النجح عندك أبيضا * فركبت نحوك كل لج أخضر
تجري اليك بنا سفائن اتلع * مثل البعير مخزم في المنخر
وبنات أعوج قد برمن بصحبتي * مما قطعن من اليباب المقفر

وأورد له صاحب قلائد العقيان مقطوعا وهو

يا أفتك الناس ألحاظا وأطيبهم * ريقا متى كان فيك الصاب والعسل
في صحن خدك وهي الشمس طالعة * ورد يزيدك فيه الراح والخجل
ايمان حبك في قلبي يجدده * من خدك الكتب أو من لحظك الرسل
ان كنت تجهل اني عبد مملكة * مرني بما شئت آتيه وامتثل
لو اطلعت على قلبي وجدت به * من فعل عينيك جرحا ليس يندمل

وذكره العماد الكاتب في الخريدة وأورد له عدة مقاطيع ثم أعاد ذكره في آخر الكتاب وأورد له

ومشمولة في الكاس تحسب أنها * سماء عقيق رصعت بالكواكب
بنت كعبة اللذات في حرم الصفا * فحج اليها الحظ من كل جانب

ومحاسنه في الشعر كثيرة وتوفي سنة أربعين وخمسمائة رحمه الله تعالى وبقي بفتح الباء الموحدة وكسر القاف وتشديد الياء

(أبو الفضل يحيى بن سلامة بن الحسين بن محمد الملقب معين الدين المعروف بالخطيب الحصكفي)

صاحب الديوان الشعر والخطب والرسائل ولد بطنزة ونشا بحصن كيفا وقدم بغداد واشتغل بالادب على الخطيب أبي زكريا التبريزي المقدم ذكره وأتقنه حتى مهر فيه وقرأ الفقه على مذهب الامام الشافعي رضي الله عنه وأجاد فيه ثم رحل عن بغداد راجعا الى بلاده ونزل ميافارقين واستوطنها وتولى بها الخطابة وكان اليه أمر الفتوى بها واشتغل عليه الناس وانتفعوا بصحبته وذكره العماد الاصبهاني في كتاب الخريدة وقال في حقه كان علامة الزمان في علمه ومعري العصر في نثره ونظمه له الترصيع البديع والتجنيس

يدور عليه المدح من كل فاضل
كمنطقة الافلاك دارت على القطب
عسى دعوة من عنده مستجابة
تبدل بعدي من حجاز الى القرب
مقيم لكم ما طاف في البيت طائف
على على الاخلاص والصدق والحب
(وأجاب) الشيخ قطب الدين المزبور بقصيدة يمدحه ويدعوله بهذه الابيات (شعر)
ومن عجب نظم من الروم قد أتى
لاغنته أعيت جهابذة الغرب
ناظمه مامر يوما بذي طوى
ولا المنحنى والاخشبين ولا الهضب
ولكنه من نظم من فاق عصره
ذكاء وفضلا بالغريزة والكسب
فصيح بليغ لو دعى منؤه
اذا قال لم يترك مقالا لذي لب
قصدتم بهذا العبد حوز ولائه
فكاتبتموه وهو رق لكم مسبي
سلبتم فؤادي واصطباري وسلوتي
كأنكم الاعراب في سنة النهب
واني على عهد المحبة ثابت
فهل ممكن غير الثبات على القطب
(وقد عمل) رحمه الله تعالى رحمة واسعة رسالة قلمية أبدع فيها كل الابداع

النفيس والتطبيق والتحقيق واللفظ الجزل الرقيق والمعنى السهل العميق والتقسيم المستقيم والفضل السائر المقيم ثم قال العماد بعد كثرة الثناء عليه وتعداد محاسنه وكنت أحب لقاءه وأحدث نفسي عند وصولي الى الموصل بالاتصال به وأنا شغف بالاستفادة كلف بمجالسة الفضلاء للاستزادة فعاق دون لقائه بعد الشقة وضعفي عن تحمل المشقة ثم ذكر له عدة مقاطيع فمن ذلك قوله

وخليع بت أعزله * و يرى عزلي من العبث
قلت ان الخمرة مخبثة * قال حاشاها من الخبث
قلت فالأرفاث تتبعها * قال طيب العيش في الرفث
قلت منها القيء قال أجل * شرفت عن مخرج الحدث
وسأجفوها فقلت متى * قال عند الكون في الجدث

قلت أنا ولقد أخذ الخطيب المذكور قوله * شرفت عن مخرج الحدث * من قول بعضهم ولا أعرفه لكنها أبيات سائرة وهي

ولائم لامني في الخمر قلت له * اني سأشربها حيا وفي جدثي
قم فاسقني قهوة حمراء صافية * صرفا حراما فاني غير مكترث
فان يكن حللوها بالطبخ ففي * حشاي نار تبقيها على الثلث
قالوا فلم تتقاياها فقلت لهم * اني أنزهها عن مخرج الحدث

ثم قال العماد الاصبهاني وأنشدني له بعض الفضلاء ببغداد خمسة أبيات كالخمسة السيارات مستحسنات مطبوعات مصنوعات وهي

أشكو الى الله من نارين واحدة * في وجنتيه وأخرى منه في كبدي
ومن سقامين سقم قد أحل دمي * من الجفون وسقم حل في جسدي
ومن نمومين دمعي حين أذكره * يذيع سري و واش منه بالرصد
ومن ضعيفين صبري حين أذكره * وودّه ويراه الناس طوع يدي
مهفهف رق حتى قلت من عجب * أخصره خنصري أم جلده جلدي

ومن مليح شعره أبيات في هجو مغن رديء وهي

ومسمع غناؤه * يبدل بالفقر الغنى
شهدته في عصبة * رضيتهم لي قرنا
ابصرته فلم تخب * فراستي لما دنا
وقلت من ذا وجهه * كيف يكون محسنا
ورمت أن أروح للظن به ممتحنا
فقلت من بينهم * هات أخي غن لنا
ويوم سلع لم يكن * يومي بسلع هينا
فانشال منه حاجب * وحاجب منه انحنى
وامتلأ المجلس من * فيه نسيما منتنا
أوقع اذ وقع في الانفس أسباب العنا
وقال لما قال من * يسمع في ظل الغنا
وما اكتفى باللحن والتخليط حتى لحنا
هذا وكم تكشخن الـ * وغد وكم تقرننا
يوهم زمرا انه * قطعه ودندنا
وصاح صوتا نافرا * يخرج من حد البنا
ومادري محضره * ماذا على القوم جنى
فذا يسد أنفه * وذا يسد الاذنا
ومنهمو جماعة * تستر عنه الاعينا
فاغتظت حتى كدت من * غيظي ابث الشجنا
وقلت ياقوم اسمعوا * اما المغني أو أنا
أقسمت لا أجلس أو * يخرج هذا من هنا
جروا برجل الكلب ان السقم هذا والضنا
قالوا القدر جئتنا * وزلت عنا المحنا
بخرت في اخراجه * راحة نفسي والثنا
وحين ولى شخصه * قرأت فيهم معلنا
الحمد لله الذي * أذهب عنا الحزنا

ولم أسمع مع كثرة ماقيل في هذا الباب مثل هذا المقطوع في هذا المعنى وللخطيب المذكور أيضا في هذا المعنى وهو

ومسمع قوله بالكره مسموع * محجب عن بيوت الناس ممنوع
غنى فبرق عينيه وحرك لحـ * ـييه فقلنا الفتى لاشك مصروع
وقطع الشعر حتى ود أكثرنا * أن اللسان الذي في فيه مقطوع

بحسن الترتيب ولطف الاختراع وقد أثبت له ما يستجاد ويحكم الناظر فيه انه أحسن وأجاد مدّ باعه في العلوم ومده فيه شبر حبر ماهر اذا رأيت آثاره تقول ما أحسن هذا الحبر قادر على تحرير العلم وتحبيره يتكلم و يذر على الكافور عبيره فيا حسن تعبيره اذا شكل رفع الاشكال واذا قيد أطلق العقول من العقال طورا يجلس في الدست مثل الكرام الصيد وطورا يبيت على كهف المحبرة باسطا ذراعيه بالوصيد كأنه يتنزه في مراتع الطرب و يتسمر في بلابل القصب اذا شط داره شط عنه مزاره فهو يبكي كالغمامه و ينوح كالحمامه يذكر لداته وأترابه و يحن الى أول أرض مس جلده ترابه على الانامل خطيب مصقع ألف تراه تارة في الدواة وأخرى على الاصبع يقوم في خدمة الناس واذا تلت له أجر يقول على الراس يتعيش بكسب يمينه و يقتات من عرق جبينه لفظوا باسمه فصحا وهو محرف أرادوا أن يصحفوه فلم يتصحف ميزاب عين الحكمة عنه نابع مقياس بحر أصابع أخرس ولكن لسانه قاري يتكلم بعد ماقطع رأسه وهو حكمة الباري مداح لكنه لايفارقه الهجا يستر طرة صبح تحت أذيال الدجى

لم يأت دعوة أقوام بأمرهم * ولامضى قط الا وهو مصفوع

وقد سبق له في ترجمة الشيخ الشاطبي في حرف القاف مقطوع لغز في نعش وهو معنى مليح وأكثر شعره على هذا الاسلوب في اللطافة وجودة المقاصد وكان يتشيع قلت وهذا من الزيادات التي أدخلها الكتاب الداخلون في عموم الحديث من مجوس هذه الامة والله أعلم وهو في شعره طاهر وكان بمدينة آمد شابان بينهما مودة أكيدة ومعاشرة كثيرة فركب أحدهما ظاهر البلد وطرد فرسه فتقنطر فمات وقعد الآخر يستعمل الشراب فشرق فمات في ذلك النهار فعمل فيهما بعض الادباء

تقاسما العيش صفوا والردى كدرا * وماعهدنا المنايا قط تنقسم
وحافظا الود حتى في حمامهما * وقلما في المنايا تحفظ الذمم

فلما وقف الخطيب المذكور على البيتين قال هذا الشاعر قصر اذ لم يذكر سبب موتهما وقد قلت فيهما

بنفسي أخيان من آمد * أصيبا بيوم مشوم عبوس
فهذاك ميت من الصافنات * وهذاك ميت من الخندريس

قلت ولو قال

وهي ذاك ميت من الصافنات * وهذاك ميت من الصافيات

لكان أحسن لاجل المجانسة وكان يجعل البيت الاول

بنفسي أخيان من آمد * أصيبا بيوم شديد الاذات

أو ما يناسب هذا ثم وجدت البيتين الاولين في كتاب الحسان تأليف القاضي الرشيد بن الزبير المقدم ذكره في حرف الهمزة وقد نسبهما الى الفقيه أبي علي الحسن بن احمد المعلم المقري لكن هكذا وجدت الحكاية بخط بعض المغربيين والله أعلم وللخطيب المذكور الخطب المليحة والرسائل المنتقاة ولم يزل على رياسته وجلالته وافادته الى أن توفي سنة احدى وقيل ثلاث وخمسين وخمسمائة وكانت ولادته في حدود سنة ستين وأربعمائة رحمه الله تعالى والحصكفي بفتح الحاء وسكون الصاد المهملة وفتح الكاف وفي آخرها فاء هذه النسبة الى حصن كيفا وهي قلعة حصينة شاهقة بين جزيرة ابن عمر وميافارقين وكان القياس أن ينسبوا اليها الحصني وقد نسبوا اليه أيضا كذلك لكن اذا نسبوا الى اثنين أضيف أحدهما الى الآخر ركبوا من مجموع الاسمين اسما واحدا ونسبوا اليه كما فعلوا ههنا وكذلك نسبوا الى رأس عين فقالوا رسعني والى عبد الله وعبد شمس وعبد الدار عبدلي وعبشمي وعبدري وكذلك كل ماهو نظيره وأما طنزة فهي بفتح الطاء المهملة وسكون النون وفتح الزاي في آخرها هاء ساكنة وهي بليدة صغيرة بديار بكر فوق الجزيرة العمرية خرج منها جماعة من المحدثين وغيرهم ونسبوا اليها قال عماد الدين الاصبهاني الكاتب في كتاب الخريدة منها ابراهيم ابن عبد الله بن ابراهيم الطنزي وهو القائل

واني لمشتاق الى أرض طنزة * وان خانني بعد التفرق اخواني
سقى الله أرضا لوظفرت بتربها * كحلت به من شدة الشوق أجفاني

ثم قال عماد الدين المذكور بعد هذا كان الشاعر حيا في شهر رمضان سنة ثمان وستين وخمسمائة

(أبو طاهر يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الحميري صاحب افريقية وماوالاها)

قد تقدم ذكر والده ورفعت نسبه هنالك وتقدم ذكر جماعة من أجداده في هذا الكتاب وكانت ولاية الامير يحيى المذكور بالمهدية خلافة عن أبيه تميم يوم الجمعة لاربع بقين من شهر ذي الحجة سنة سبع وتسعين وأربعمائة والطالع الدرجة السابعة من الجدي ثم استقل بالامر يوم وفاة والده وقد سبق ذلك في ترجمته وكان عمر الامير يوم الاستقلال ثلاثا وأربعين سنة وستة أشهر وعشرين يوما وركب على العادة وأهل دولته محتفون به ورجع الى قصره وغير لباس جميع أهل الدولة من الخواص والجند بخلع سنية وكانوا قد غيروا لباسهم لموت أبيه ووهب للاجناد والعبيد أموالا كثيرة ووعدهم مواعد سارة ورأيت في كتاب الجمع والبيان في أخبار القيروان الذي ألفه ولد أخيه عز الدين الامير أبو محمد عبد العزيز بن شداد بن تميم بن المعز

(وله رسالة سيفية) أجاد فيها كل الاجادة على ما اعترف به الجمهور من الافاضل السادة وقد أثبت منها ماشهد بتقدمه وبريك منتهى تقدمه بطل اذا أنسل من مقامه بقي مشهورا ذكرا اذا قارف أولد ويلا وثبور انجم في ليالي الخطوب ساطع نص في مسائل الحروب قاطع قاطع الاكتاف والاعناق يجري على الرأس اذا قامت الحرب على ساق صاحب الندى والباس فيه باس شديد ومنافع للناس أغنى صاحب النصاب سلطان ملك الرقاب رومي النصل دمشقي الاصل لاي يوم أجل ليوم الفصل باسه شديد وطبعه حديد ذو علائق لكن اذا كان مجردا يكون من أصحاب اليمين وقد يعتكف في خلوة القراب وهو من المقربين يرتعد كالمحموم وهو مسلول شقيق ومدقوق فلذلك اعتراه نحول يدب النمل عليه ويفر الاسد من بين يديه جدول ماء هب عليه نسيم النصر شعلة نار ترمي بشرر كالقصر عالم لا ينظر الى متن الا وشرحه حاكم لا يحضره شاهد الا ويجرحه عالم بالضرب والتفريق ماهر في القطيعة على التحقيق شروق غربه يسفر من فجر يوم الحرب تقوم القيامة اذا طلعت الشمس من ذلك الغريب

ابن باديس ان الامير تميما قبل وفاته بمدة يسيرة دعا ولده يحيى المذكور وكان فى دار الامارة مع خاصته وجلسائه فمضى يحيى ومن معه اليه فوجدوا تميما فى بيت المال فامرهم بالجلوس ثم قال لاحدهم قم فادخل ذلك البيت وخذ منه الكتاب الذى صفته كذا فى مكان كذا فقام وأتى به فاذا هو كتاب ملحمة فقال له عد من أوله كذا وكذا ورقة واقرأ الصفحة التى تنتهى اليها فقرأها واذا فيها الملك المغدور وهو الطويل القامة الذى على وركه الايمن خال وفى جنبه الايسر شامة فقال الامير تميم أطبق الكتاب واردده الى موضعه ففعل فقال تميم اما العلامتان فقد رأيتهما وبقيت على الثالثة قم أنت ياشريف وأنت يافلان حتى تحققا عندى خبر العلامة الثالثة فقاموا وقام يحيى معهم الى موضع مستور عن تميم وكشف لهم عن جسمه فرأوا شامة على جنبه الايسر هلالية الشكل فاتوا تميما فعرفوه فقال لم أعطه أنا شيأ الله تعالى الذى أعطاه ثم قال انى أخبركم بحديث عجيب وذلك انه عرض على النخاس والدته فاستحسنتها ومالت نفسى اليها فاشتريتها وسلمتها الى خدام القصر وأمرت النخاس أن يرجع الى قبض الثمن ثم دبرت فى مال طيب حلال أخرج ثمنها منه فبينما أنا مفكر فى ذلك اذ سمعت السائل يصيح ويرفع صوته فى الاذن على مطالعتى فاخرجت رأسى من الطاق وقلت له ماشانك فقال كنت الساعة أحفر فى قصر المهدى اذ وجدت صندوقا عليه قفل فتركته على حاله وجئت مطالعا بامره فانفذت معه من اثق به فاذا فيه أثواب مذهبات الاعلام قد أفناها الدهر فامرت بسبك اعلامها فلم تزد ولم تنقص عن ثمن الجارية فعجب الحاضرون من ذلك ودعوا له ثم أمر لهم بدنانير وكساء وانصرفوا قال عبد العزيز المذكور وقد أدركت هذا الكتاب المشار اليه عند السلطان الحسن رحمه الله تعالى يعنى الحسن بن على بن يحيى المذكور وحكى عن الكتاب أمورا وقضايا ذكر انها ستكون وكانت كما ذكر (رجعنا الى حديث يحيى) ولما جلس فى الملك قام بالامر وعدل فى الرعية وفتح قلاعا لم يتمكن أبوه من فتحها قال عبد العزيز فى تاريخه وفى أيامه يعنى يحيى وصل الى المهدية من طرابلس المهدى محمد بن تومرت المقدم ذكره قادما من الحج فنزل بمسجد قبل مسجد السبت فاجتمع اليه جماعة من أهل المهدية وقرؤا عليه كتابا فى علم أصول الدين وشرع فى تغيير المنكر فرفع أمره الى يحيى فاحضره وجماعة من الفقهاء فرأى ماهو عليه من الخشوع والتقشف والعلم فسأله الدعاء فقال له أصلحك الله لرعيتك ونفع بها ذريتك وأقام مدة يسيرة بالمهدية ثم انتقل الى المنستير فأقام بها مدة ثم انتقل الى بجاية وقد تقدم فى ترجمة والده الامير تميم ان محمد بن تومرت المذكور اجتاز بتلك البلاد فى أيامه والله تعالى أعلم أى ذلك كان ثم قال عبد العزيز وفى سنة سبع وخمسمائة أتى الى المهدية قوم غرباء فقصدوا يحيى بمطالعة زعموا فيها انهم من أهل الصناعة الكبيرة من الواصلين الى نهايتها فأذن لهم بالدخول عليه فلما مثلوا بين يديه طالبهم بأن يظهروا له من الصناعة ما يقف عليه فقالوا نحن نزيل من القصدير التدخين والصدأ حتى يرجع لا فرق بينه وبين الفضة ونعمل لمولانا من السروج والبنود والقباب والاوانى قناطير من الفضة يجعل عوضا منها ما يريده ويستعمل جميع ذلك فى مهماته وسألوه أن يكون ذلك فى خلوة فأجابهم وأحضرهم للعمل ولم يكن عند الامير يحيى سوى الشريف أبى الحسن على والقائد ابراهيم قائد الأعنة وكانوا هم ثلاثة وكانت بينهم امارة فامكنتهم الفرصة فقال أحدهم دارت البوطقة فتواثبوا وقصد كل واحد منهم واحدا بسكاكينهم فاما الذى قصد الامير يحيى فقال أنا سراج وكان يحيى جالسا على مصطبة فضربه فجاءت على أم رأسه فقطعت طاقات فى العمامة ولم تؤثر فى رأسه واسترخت يده بالسكين على صدره فخدشته وضربه يحيى برجله فالقاه على ظهره فسمع الخدام الضجة ففتحوا باب القصر من عندهم فدخل يحيى فاغلق الباب دونه وأما الشريف فلم يزل به الذى قصده حتى قتله وأما القائد ابراهيم فانه شهر سيفه ولم يزل يقاتل الثلاثة وكسر الجند الباب الذى كان بينهم ودخلوا فقتلوهم وكان زيهم زى أهل الاندلس فقتل فى البلد جماعة ممن يلبس ذلك الزى فخرج الامير يحيى فى الحال ومشى فى البلد وسكن الفتنة وكان يحيى عادلا فى دولته ضابطا الامور رعيته عارفا بخرجه ودخله مدبرا فى جميع ذلك على ما يوجبه النظر العقلى ويقتضيه الرأى الحكمى ونعته فى الملاحم الملك

اذا ضرب فى الارض يجمع ضروبا من الضرائب لا يخلق منه الانسان وان كان ماء دافقا يخرج من بين الصلب والترائب جدول ماء جرى فى ساحة روض فظهر منه رؤس نباته فبدت عليها سورة زرائه عامل للمقاطعة ملتزم حاكم به مواد الخصام تحسم كانه سيف الآمدى فى الدلائل الكلامية وقائعة فى مسائل الحروب تدعى الواقعات الحسامية ينسل من النبل له كالخدم تقوم الرماح فى خدمته على القدم ذكر له حيضة طائر يقع على البيضة (وله) أشعار فارسية لطيفة أذكر نبذا منها

(غزل) چه شد كه أز در ما يار در نمى آيد
مرا دخاطر عشاق بر نمى آيد
چه كونه أز دل واز جان مرا باخبر شد
دو ماه شد كه ازان سه خبر نمى آيد
بكرم بند بخونم كه خون ديده مرا
شبى برفت كه تادر كر نمى آيد
دلم نماند وز دابر خبر نمى شنوم
سرم برفت وشب غم بسر نمى آيد
قدم بخلوت مانه كه بى فروغ رخت
شب فراق على را سحر نمى آيد

(وله أيضا)
خطش آشوب جهانست وبرآمد چه كنم
جان من أز تر بيمار برامد چه كنم

المغدور وتحقق له هذا النعت بهذه الواقعة التى ذكرناها وكان كثير المطالعة لكتب الاخبار والسير عارفا بها رحيما بالضعفاء شفيقا على الفقراء يطعمهم فى الشدائد فيرفق بهم ويقرب أهل العلم والفضل من نفسه وساس العرب فى بلاده فهابوه وانكفت أطماعهم وكان له نظر حسن فى صناعة النجوم والاحكام وكان حسن الوجه على حاجبه شامة أشهل العينين مائلا فى قده الى الطول دقيق الساقين وكان عنده جماعة من الشعراء قصدوه ومدحوه وخلدوا مدائحه فى دواوينهم ومن جملة شعرائه أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبى الصلت الشاعر المقدم ذكره أقام تحت كنفه بعد ان جاب الارض وتقاذفت به البلدان وله الرسالة المشهورة التى وصف بها مصر وعجائبها وشعراءها وغير ذلك وله فيه مدائح كثيرة أجاد فيها وأحسن وله أيضا مدائح فى ولده أبى الحسن على وولد ولده الحسن بن على ومن جملة قوله من مديحه قصيدة

وارغب بنفسك الا عن ندى ووغى * فالمجد أجمع بين الناس فى الجود
كدأب يحيى الذى أحيت مواهبه * موت الرجاء بانجاز المواعيد
معطى الصوارم والهيف النواعم وال * جرد الصلادم والبزل الجلاعيد
أشم أشوس مضروب سرادقه * على أشم بفرع النجم معقود
اذا بدا بسرير الملك محتبيا * رأيت يوسف فى محراب داود
من اسرة تخذوا الماذى لباسهم * واستوطنوا صهوات الضمر القود
محسدون على ان لا نظير لهم * وهل رأيت عظيما غير محسود
فان تكن جمعتكم أسرة كرمت * فليس فى كل عود نفحة العود
أقول للراكب المزجى مطيته * يطوى بها الارض من بيد الى بيد
٢ لا تطلب الماء عذبا فى مشارعه * وتطلب الرى فى الصم الجلاميد
هذى موارد يحيى غير ناضبة * وذا الطريق اليها غير مسدود
حكم سيوفك فيما أنت طالبه * فللسيوف قضاء غير مردود

وله فيه غير ذلك ولما كان يوم الاربعاء وهو عيد النحر سنة تسع وخمسمائة توفى يحيى فجأة وذلك ان منجمه قال له يوما ان فى تسييره مولدك فى هذا النهار عليك عكسا فلا تركب فامتنع من الركوب وخرج أولاده ورجال دولته الى المصلى فلما انقضت الصلاة حضر رجال الدولة على ماجرت به العادة للسلام وقراء القرآن وأنشد الشعراء وانصرفوا الى الايوان فأكل الناس وقام يحيى الى مجلس الطعام فلما وصل الى باب المجلس أشار الى جارية من حظاياه فاتكأ عليها فما خطا من باب البيت سوى ثلاث خطوات حتى وقع ميتا وكان ولده على نائبه على سفاقس وهى بلدة من أعمال افريقية فاحضر وعقدت له الولاية ودفن يحيى فى القصر على ماجرت به العادة ثم نقل بعد سنة الى قصر السيدة بالمنستير وهى بلدة بافريقية أيضا وخلف ثلاثين ولدا ذكورا وأما على المذكور القائم مقام أبيه يحيى فان مولده بمدينة المهدية صبيحة يوم الاحد لخمس عشرة ليلة خلت من شهر صفر سنة سبع وتسعين وأربعمائة وكان أبوه قد ولاه سفاقس فلما مات أبوه اجتمع أعيان دولته على كتاب كتبوه عن أبيه اليه يأمره بالوصول اليه مسرعا فوصله الكتاب ليلا فخرج لوقته ومعه طائفة من أمراء العرب وجد فى المسير فوصل الظهر من يوم الخميس الثانى من يوم العيد ودخل القصر ولم يقدم شيأ على تجهيز أبيه والصلاة عليه ودفنه وفى صبيحة يوم الجمعة ثالث عشر ذى الحجة جلس للناس فدخلوا عليه وسلموا بالامارة ثم ركب فى جيوشه وجموعه ثم عاد الى القصر وفى أيامه توجه أخوه أبو الفتوح بن يحيى الى الديار المصرية ومعه زوجته بلاره بنت القاسم وولده العباس صغيرا على الثدى فوصل الى الاسكندرية فانزل وأكرم بأمر الآمر صاحب مصر يومئذ فأقام مدة يسيرة وتوفى فتزوجت زوجته بلاره بالعادل بن السلار واسمه على المقدم ذكره فى هذا الكتاب فى حرف العين وشب العباس وقدمه الحافظ صاحب مصر وولى الوزارة بعد العادل المذكور وذكر شيخنا ابن الاثير فى تاريخه فى حوادث سنة اثنتين وخمسمائة

كفته بودم كه تنوشم مى ان شوخ جهان
جام وردست زدر مست ورآمد چه كنم
عهد آن بود كه با كس نكشايم رازش
لبك ان اشك روان ابرده درآمد چه كنم
زاهدم وندم وسرمست بر وخرده مكير
روزى من ز قضا اين قدر آمد چه كنم
چون ببالين من آمد ز فرح مردوم پيش
أى على عمر عزيزم بسر آمد چه كنم

(وله أيضا)
چون روز وصل زود كذشت وشب فراق
غمكين چرا شويم كه اين نيز بكذرد

(وله أيضا)
بر سينه شرحهاى فروان كه تيغ هجران كرد
مجال نيست تن من كه شرح نتوان كرد

(وله أيضا)
كفتم خبرى كوى مرا كفت دهن نيست
ابرام نكردم چه كنم جاى سخن نيست

(وله أيضا)
زمانه بادل تو عهد بى وفايى نيست
اكرچه عهد ووفا نيست ررزمانه تو

٢ قوله لا تطلب هكذا بالاصل ولعل الصواب لا تترك اه مصححه

حديث الثلاثة الذين جاؤا الى يحيي فى معنى الكيمياء فقال كان مجيئهم فى هذه السنة وانهم لما وثبوا على يحيي وجرى فى فكرته قبل هذا صادف ذلك مجيء أبي الفتح المذكور وأصحابه الى القصر وعليهم السلاح فمنعوا من الدخول وثبت عند يحيي ان ذلك كان باتفاق بينهم فاخرج أبو الفتوح وزوجته وهى ابنة عمه الى قصر زيادو وكل بهما الى أن مات يحيي وملك ابنه على فسيرهما على البحر الى الديار المصرية فوصلا الى الاسكندرية انتهى كلامه ولم تزل أمور على بن يحيي جارية على السداد الى أن توفى يوم الثلاثاء لسبع بقين من شهر ربيع الآخر سنة خمس عشرة وخمسمائة ودفن فى القصر بعد أن فوض الامر من بعده الى ولده أبي يحيي الحسن بن على بن يحيي ومولد الحسن المذكور بمدينة سوسة فى رجب سنة اثنتين وخمسمائة فكان عمره يوم ولايته اثنتى عشرة سنة وتسعة أشهر ولما كان ثانى يوم وفاة أبيه خرج للناس فسلموا عليه وهنؤه بما صار اليه ثم ركب والجيوش محتفة به وجرت فى أيامه وقائع وأمور يطول شرحها فمن ذلك ان زجار الفرنجى صاحب صقلية أخذ طرابلس الغرب عنوة بالسيف فى يوم الثلاثاء سادس المحرم سنة احدى وأربعين وخمسمائة وقتل أهلها وسبى الحريم والاطفال وأخذ الاموال ثم شرع فى عمارتها وتحصينها بالرجال والعدد ثم أخذ المهدية يوم الاثنين ثانى عشر صفر سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة وذلك ان الحسن بن على لما علم عجزه عن مقاومته خرج من المهدية هاربا وقد استصحب ماخف عليه حمله من النفائس وخرج أهل البلد أيضا هاربين الامن أقعده العجز عن الهرب فدخل اليه الفرنج وملكوه وصادفوا فيه من الاموال والذخائر مالا يعد ولا يحصى وكان عدة من ملك من أهل بيتهم وأولهم زيرى المقدم ذكره فى حرف الزاى الى هذا الحسن بن على تسعة ملوك ومدة ولايتهم مائة سنة وثمان سنين وانقرضت دولة بنى باديس ثم ان الحسن بن على توجه نحو القلعة وهى قلعة حصينة بافريقية تجاور تونس وكان صاحبها أبو محفوظ محرز بن زياد أحد أمراء الغرب فاقام عنده قليلا ثم ظهر له منه الضجر والسآمة فقصد الديار المصرية ليكون عند الحافظ العبيدى صاحبها يومئذ فنمى خبره الى نائب زجار بالمهدية فجعل عليه العيون وجعل عشرين شينيا ليمسكه فى البحر فبلغ الحسن ذلك فرجع عن هذا الرأى ثم قصد أن يتوجه الى جهة عبد المؤمن بن على بمراكش وأنفذ ثلاثة من أولاده الى صاحب بجاية وهى آخر أعمال افريقية ليستأذنه فى الوصول اليه وبعد ذلك يتوجه الى عبد المؤمن فاضمر له الغدر وخاف من اجتماعه بعبد المؤمن ان يتفقا على مافيه ضرره فكتب اليه كتابا على يد أولاده يقول له لا حاجة لك فى الرواح الى عبد المؤمن ونحن نفعل معك ونصنع وأجزل له من المواعيد الحسنة فتوجه اليه فلما قرب من بجاية لم يخرج للقائه وعدل به الى الجزائر وهى بلدة فوق بجاية من جهة الغرب وأنزلوه بها فى مكان لا يليق بمثله ورتبوا له من الاقامة مالا يصلح لبعض أتباعه ومنعوه من التصرف وكان وصوله الى الجزائر فى المحرم سنة أربع وأربعين وخمسمائة ثم ان عبد المؤمن فتح بجاية فى سنة سبع وأربعين وهرب صاحبها الى القسطنطينية ثم ان زجار صاحب صقلية هلك فى العشر الاخير من ذى الحجة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ولما هلك زجار ملك بعده ابنه غنيم بن زجار وعليه قدم أبو الفتوح نصر الله بن قلاقس الشاعر المقدم ذكره ومدحه وأجازه وذلك فى سنة ثلاث وستين وخمسمائة ولما هلك غنيم ملكت ابنته وهى أم الانبرور ملك المانية فى زماننا ثم هلكت أم الانبرور وخلفته صغيرا فملك واستمر ملكه وكان عاقلا فاضلا وبينه وبين الملك الكامل صاحب مصر مراسلات وغيرها ثم ان عبد المؤمن الملك وصل الى المهدية وملكها بعد جهد جهيد وكان دخوله اليها بكرة يوم عاشوراء سنة خمس وخمسين وخمسمائة فولى بها نائبا وكان الحسن بن على قد وصل صحبته فرتبه مع النائب لتدبير أمورها لكونه عارفا باحوالها وأقطعه بها ضيعتين وأعطاه دورا سكنها هو وأولاده وأتباعه ولم أقف على تاريخ وفاة الحسن بن على المذكور ثم قتل محرز بن زياد المذكور فى وقعة سطيف يوم الخميس فى العشر الاوسط من ربيع الآخر سنة خمس وخمسين وخمسمائة وهذا الحسن بن على هو الذى صنف له أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت كتاب الحديقة

(ابو الفضل يحيي بن خالد بن برمك وزير هرون الرشيد)

بهانه ازبى خونز برماجه
محبوبى
بست قاتل ماحسن بى
بهانه تو
(وله) أشعار تركية أضربنا عن ذكرها بناء على مقتضى عادتنا (وله) من التآليف حاشية على حاشية التجريد للشريف الجرجانى وحاشية شرح الكافية للمولى عبد الرحمن الجامى وحاشية الدرر والغرر للمولى خسرو ولم يتم وله الاسعاف فى علم الاوقاف وله حاشية على كتاب الكراهية من الهداية وله رسالتان متعلقتان بالوقف كتبهما فى الحادثة التى وقعت بينه وبين المولى شاه محمد وهى معروفة وقد علق رحمه الله حواشى على المولى حسن جلبى لشرح المواقف للشريف الجرجانى من أول الكتاب الى آخره وله كتاب المنشآت على لسان التركى وكتاب الاخلاق وله رسالة ضخمة تتعلق بالتفسير كتبها بعد ماجرت المناظرة بينه وبين الشيخ بدر الغزى

(ومن المشايخ العظام والسادات الكرام الشيخ يعقوب الكرمانى)

ولد رحمه الله ببلدة شخلو وكان ابوه من الاجناد العثمانية والعساكر السلطانية وقد رغب المرحوم فى تحصيل المعارف والعلوم فدار البلاد واشتغل واستفاد حتى انتظم فى سلك ارباب

وقد تقدم ذكر ولديه الفضل وجعفر كل واحد منهما فى بابه وكان جدهم برمك من مجوس بلخ وكان يخدم النوبهار وهو معبد كان للمجوس بمدينة بلخ توقد فيه النيران واشتهر برمك المذكور وبنوه بسدانته وكان برمك عظيم المقدار عندهم ولم أعلم هل أسلم أم لا وساد ابنه خالد وتقدم فى الدولة العباسية وتولى الوزارة لابى العباس بعد أبي سلمة حفص الخلال المقدم ذكره وقد ذكرته فى ترجمة جعفر وذكرت هناك تاريخ وفاته وقال أبو الحسن المسعودى فى كتاب مروج الذهب لم يبلغ مبلغ خالد بن برمك أحد من ولده فى جوده ورأيه وبأسه وعلمه وجميع خلاله لا يحيي فى رأيه ووفور عقله ولا الفضل بن يحيي فى جوده ونزاهته ولا جعفر بن يحيي فى كتابته وفصاحة لسانه ولا محمد بن يحيي فى سروره وبعد همته ولا موسى بن يحيي فى شجاعته وبأسه ولما بعث أبو مسلم الخراسانى قحطبة بن شبيب الطائى لمحاربة يزيد بن عمر بن هبيرة الفزارى عامل مروان بن محمد على العراقين وكان خالد بن برمك فى جملة من كان معه فنزلوا فى طريقهم فبينماهم على سطح بعض دورها يتغدون اذ نظروا الى الصحراء وقد أقبلت منها اقاطيع الوحش من الظباء وغيرها حتى كادت تخالط العسكر فقال خالد لقحطبة أيها الامير نادفى الناس ومرهم ان يسرجوا ويلجموا قبل أن تهجم عليهم الخيل فقام قحطبة مذعورا فلم يرشيأ يروعه فقال ياخالد ماهذا الرأى فقال قد نزل اليك العدو أما ترى اقاطيع الوحش قد أقبلت ان وراءها جمعا كثيفا فاركبوا حتى رأوا الغبار ولولا خالد لهلكوا وأما يحيي فانه كان من النبل والعقل وجميع الخلال على أكمل حال وكان المهدى بن أبي جعفر المنصور قد ضم اليه ولده هرون الرشيد وجعله فى حجره فلما استخلف هرون عرف له حقه وقال له ياأبت أنت أجلستنى فى هذا المجلس ببركتك ويمنك وحسن تدبيرك وقد قلدتك الامر ودفع له خاتمه وفى ذلك يقول الموصلى وأظنه ابراهيم النديم أو ابنه اسحق

ألم تر أن الشمس كانت سقيمة * فلما ولى هرون أشرق نورها

بيمن أمين الله هرون ذى الندى * فهرون واليها ويحيي وزيرها

وكان يعظمه واذا ذكره قال أبي وجعل اصدار الامور وايرادها اليه الى أن نكب البرامكة فغضب عليه وخلده فى الحبس الى أن مات فيه وقتل ابنه جعفر حسبما تقدم فى ترجمته وكان من العقلاء الكرماء البلغاء ومن كلامه ثلاثة أشياء تدل على عقول أربابها الهدية والكتاب والرسول وكان يقول لولده اكتبوا أحسن ماتسمعون واحفظوا أحسن ماتكتبون وتحدثوا بأحسن ماتحفظون وكان يقول الدنيا دول والمال عارية ولنا فيمن قبلنا أسوة ولمن بعدنا عبرة وقال الفضل بن مروان المقدم ذكره سمعت يحيي بن خالد يقول من لم أحسن اليه فانا مخير فيه ومن أحسنت اليه فانا مرتهن به وقال القاضى يحيي بن أكثم سمعت المأمون يقول لم يكن كيحيي بن خالد وكولده أحد فى الكفاية والبلاغة والجودة والشجاعة ولقد صدق القائل حيث يقول

أولاد يحيي أربع * كاربع الطبائع

فهم اذا اختبرتهم * طبائع الصنائع

قال القاضى فقلت له يا أمير المؤمنين أما الكفاية والبلاغة والسماحة فنعرفها فيهم ففى من الشجاعة فقال فى موسى بن يحيي وقد رأيت ان أوليه ثغر السند وقال اسحق بن ابراهيم النديم الموصلى المقدم ذكره حدثنى أبي قال أتيت يحيي بن خالد بن برمك فشكوت اليه ضيقة فقال ويحك ما أصنع بك ليس عندنا فى هذا الوقت شئ ولكن ههنا أمر أدلك عليه فكن فيه رجلا قد جاءنى خليفة صاحب مصر يسألنى أن أستهدى صاحبه شيأ وقد أبيت ذلك عليه فألح علي وقد بلغنى انك قد أعطيت بجاريتك فلانة ثلاثة آلاف دينار فهو اذا استهديته اياها وأخبره انها قد أعجبتنى فاياك أن تنقصها من ثلاثين ألف دينار وانظر كيف تكون قال فوالله ماشعرت الا بالرجل وافانى فساومنى بالجارية فقلت له لا أنقصها من ثلاثين ألف دينار فلم يزل يساومنى حتى بذل لى عشرين ألف دينار فلما سمعتها ضعف قلبى عن ردها فبعتها وقبضت العشرين ألفا ثم صرت الى يحيي ابن خالد فقال لى كيف صنعت فى بيعك الجارية فأخبرته وقلت والله ماملكت نفسى ان أجبت الى العشرين ألفا حين سمعتها فقال انك لخسيس فخذ جاريتك بارك الله لك فيها وهذا خليفة صاحب فارس قد جاءنى فى مثل هذا فاذا ساومك بها فلا تنقصها من خمسين ألف دينار فانه لابد أن يشتريها منك بذلك فجاءنى الرجل

الاستعداد بيناهو فى اشتغاله وتحصيل مجده وكماله اذ رأى صورة الحشر فى المنام وشاهد فيها شدائد الساعة واهوال القيامة فوقع فى حسرة واضطراب وأراد التشبث بالاسباب فاطلع على فئة فى غشيهم ترهقهم ذلة ولا قترة وهم عن شدائد ذلك اليوم سالمون من الذين لا خوف عليهم ولاهم يحزنون واذا بمناد ينادى ويعلأ بصوته ذلك المنادى ان أردت سبيل الخلاص ورمت طريق المناص فلتجهد فى اللحوق والانضمام الى هذه الاقوام فان لهم الزلفى عند ربهم فى دار السلام فرامهم المرحوم وقصد وجد واجتهد حتى لحق بهم وانضم اليهم فلما انتبه من المنام حصل له تيقظ عظيم وتنبه تام وترك الرسوم المعتادة ورام الدخول فى مسالك الصوفية السادة وصحب منهم الكثير ولم يقنع باليسير حتى وصل الى قطب العارفين وبقية السلف الصالحين الشيخ سنان الدين المشتهر بسنبل فدخل فى زمرة أصحابه وبالغ فى التادب بآدابه وأتى من الزهد والعبادة بما هو فوق العادة واجتهد بالقيام والصيام حتى كان يفطر مرة فى ثلاثة أيام واجتنب الماء ستة أشهر ولم يشرب ونعماذلك المشرب ولما وصل الشيخ المسفور

فاستمت عليه خمسين ألف دينار فلم يزل يساومني حتى أعطاني ثلاثين ألف دينار فضعف قلبي عن ردها ولم أصدق بها فاوجبتها له ثم صرت الى يحيى بن خالد فقال لي بكم بعت الجارية فاخبرته فقال ويحك ألم تؤدبك الاولى عن الثانية قال فقلت والله ضعفت عن ردشئ لم أطمع فيه قال فقال هذه الجارية جاريتك فخذها اليك قال فقلت جارية افدت بها خمسين ألف دينار ثم أملكها أشهدك انها حرة واني قد تزوجتها هكذا رأيت الحكاية ثم نظرت في كتاب أخبار الوزراء تاليف الجهشياري فقال ان يحيى قال لابراهيم الموصلي لا تقبل أقل من مائة ألف دينار وانه باعها بثلاثين ألف دينار وقال الاصمعي دخلت على يحيى يوما فقال يا أصمعي هل لك زوجة فقلت لا فقال فجارية فقلت خادمة فامر باخراج جارية في غاية الحسن والجمال والظرف فقال لها قد وهبتك لهذا وقال يا أصمعي خذها لك وشكرته ودعوت له فلما رأت الجارية ذلك بكت وقالت يا سيدي تدفعني الى هذا مع ما ترى من سماجته وقبحه فقال لي هل لك أن أعوضك عنها ألفي دينار ودخلت الجارية الى داره فقال لي انكرت على هذه الجارية أمرا فأردت أن أعاقبها ثم رحمتها فقلت له هلا أعلمتني حتى كنت لحقت على صورتي الاصلية من غير ان اسرح لحيتي واصلح عمتي واتطيب واتجمل فضحك وأمر لي بالف دينار اخرى (وحكى) اسحق النديم أيضا قال كانت صلات يحيى بن خالد اذا ركب لمن تعرض له مائتي درهم فركب ذات يوم فتعرض له أديب شاعر وانشده

يا سمي الحصور يحيى اتيحت * لك من فضل ربنا جنتان
كل من مر في الطريق عليكم * فله من نوالكم مائتان
مائتا درهم لمثلي قليل * هي منكم للقابس العجلان

قال له يحيى صدقت وأمر بحمله الى داره فلما رجع من دار الخلافة سأله عن حاله فذكر انه تزوج وقد أخذ بواحدة من ثلاث اما ان يؤدي المهر وهو أربعة آلاف واما ان يطلق واما ان يقيم جارا للمرأة يكفيها الى ان يتهيأ له نقلها فامر له يحيى باربعة آلاف للمهر وباربعة آلاف لثمن منزل وباربعة آلاف لما يحتاج اليه المنزل وباربعة آلاف للبنية وأربعة آلاف يستظهر بها فاخذ عشرين ألفا وانصرف وقال محمد بن مناذر الشاعر حج هرون الرشيد ومعه ابناه الامين محمد والمأمون عبد الله وحج معه يحيى بن خالد وابناه الفضل وجعفر فلما صاروا بالمدينة جلس الرشيد ومعه يحيى بن خالد فاعطى الناس عطاءهم ثم جلس الامين ومعه الفضل فاعطاهم العطاء وكان أهل المدينة يسمون ذلك العام ٢ عام الاعطية الثلاثة ولم يروا مثل ذلك قط فقلت في ذلك

أتانا بنو الاملاك من أرض برمك * فيا طيب أخبار باحسن منظر
لهم رحلة في كل عام الى العدى * وأخرى الى البيت العتيق المعطر
اذا نزلوا بطحاء مكة أشرقت * بيحيى وبالفضل بن يحيى وجعفر
فتظلم بغداد وتجلو لنا الدجى * بمكة ما حجوا ثلاثة أقمر
فما خلقت الا لجود اكفهم * وأقدامهم الا لاعواد منبر

وذكر الخطيب في تاريخ بغداد في ترجمة أبي عبد الله محمد بن عمر الواقدي انه قال كنت خياطا ٣ بالمدينة في يدي مائة ألف درهم للناس أضارب بها فتلفت الدراهم فشخصت الى العراق فقصدت يحيى بن خالد فجلست في دهليزه وأنست بالخدم والحجاب وسألتهم أن يوصلوني اليه فقالوا اذا قدم الطعام اليه لم يحجب عنه أحد ونحن ندخلك عليه ذلك الوقت فلما حضر طعامه أدخلوني فاجلسوني معه على المائدة فسألني من أنت وما قصتك فأخبرته فلما رفع الطعام وغسلنا أيدينا دنوت منه لاقبل رأسه فاشمأز من ذلك فلما صرت الى الموضع الذي يركب منه لحقني خادم معه كيس فيه ألف دينار فقال الوزير يقرأ عليك السلام ويقول لك استعن بهذا على أمرك وعد الينا في اليوم الثاني فأخذته وانصرفت وعدت في اليوم الثاني فجلست معه على المائدة فأنشأ يسألني كما سألني في اليوم الاول فلما رفع الطعام دنوت منه لاقبل رأسه فاشمأز مني فلما صرت الى الموضع الذي يركب منه لحقني خادم معه كيس فيه ألف دينار فقال لي الوزير يقرأ عليك السلام ويقول لك استعن بهذا على أمرك وعد الينا في غد فاخذته وانصرفت فعدت في اليوم الثالث كما أمر فاعطيت مثل

الى رحمة ربه الغفور وانتصب مكانه الشيخ مصلح الدين المشتهر بمركز أنف المرحوم من مبايعته وتاخر عن متابعته الى أن رأى في منامه مجلسا عظيما حضر فيه الرسول الاكرم صلى الله تعالى عليه وسلم والشيخ مصلح الدين المزبور قام على كرسي يفسر سورة طه بتحقيق تام في حضرة الرسول عليه الصلاة والسلام وعلى رأس الشيخ عمامة ترى تارة خضراء وتارة سوداء فسئل المرحوم من بعض الحاضرين فاجاب أن خضرتها تشير الى تمام شريعته وسوادها الى كمال جهة طريقته فترك التأنف بعد ذلك وعد صحبته من أحسن المسالك ودام لديه على الاجتهاد الى ان كمل الطريقة الخلوتية واذن له فيها بالارشاد ثم انتقلت به الاحوال الى ان فوض اليه المشيخة في زاوية مصطفى باشا بقسطنطينية المحمية

٢ قوله عام الاعطية الثلاثة فيه انه لم يتقدم الا عطا آن فلعله سقط منه ثم جلس المأمون ومعه جعفر فاعطاهم العطاء كما يدل عليه سياق الحكاية فليحرر اه مصححه

٣ قوله خياطا هكذا بالاصل ولعله حناط أي بائع الحنطة والا فالخياط لا تناسبه المضاربة اه مصححه

ذلك الذي أعطيت في الاول والثاني فلما كان في اليوم الرابع أعطيت كما أعطيت قبل ذلك وتركني بعد ذلك أقبل رأسه وقال انما منعتك ذلك لانه لم يكن وصل اليك من معروفي ما يوجب هذا فالآن قد لحقك بعض النفع مني يا غلام أعطه الدار الفلانية يا غلام افرش له الفرش الفلاني يا غلام أعطه مائتي ألف درهم يقضي دينه بمائة ألف ويصلح شانه بمائة ألف ثم قال لي الزمني وكن في داري فقلت أعز الله الوزير لو أذنت لي بالشخوص الى المدينة لاقضي الناس أموالهم ثم أعود الى حضرتك كان ذلك أرفق بي قال قد فعلت وأمر بتجهيزي فشخصت الى المدينة فقضيت ديني ثم رجعت اليه فلم أزل في ناحيته ودخل عليه يوما أبو قابوس الحميري وأنشده

رأيت يحيى اتم الله نعمته * عليه يؤتي الذي لم يؤته أحد
ينسى الذي كان من معروفه أبدا * الى الرجال ولا ينسى الذي يعد

فقضى حوائجه ووصله بجملة من المال قلت قد عمل هذا البيت الثاني شرف الدولة مسلم بن قريش وقد قال له رجل لا تنس أيها الامير حاجتي فقال اذا قضيتها أنسيتها ولمسلم بن الوليد الانصاري في يحيى بن خالد

أجدك هل تدرين ان رب ليلة * كأن دجاها من قرونك ينشر
صبرت لها حتى تجلت بغرة * كغرة يحيى حين يذكر جعفر

وكان يحيى يقول اذا أقبلت الدنيا فانفق فانها لا تفنى واذا أدبرت فانفق فانها لا تبقى وقال ذكر النعمة من المنعم تكدر ونسيان المنعم عليه كفر وتقصير وقال النية الحسنة مع العذر الصادق يقومان مقام النجح وقال اذا أدبر الامر كان العطب في الحيلة وقال الحسن بن سهل المقدم ذكره من غيرته الولاية لاخوانه علمنا ان الولاية أكبر منه أخذنا ذلك عن صاحب ديوان المكارم أبي علي يحيى بن خالد بن برمك وكان ليحيى كاتب يختص بخدمته ويقرب من حضرته فعزم على ختان ولده فاحتفل له الناس على طبقاتهم وهاداه أعيان الدولة ووجوه الكتاب والرؤساء على اختلاف منازلهم وكان له صديق قد اختلت أحواله وضاقت يده عما يريده لذلك مما دخل فيه غيره فعمد الى كيسين كبيرين نظيفين فجعل في أحدهما ملحا وفي الآخر اشنانا مطيبا وكتب معهما رقعة نسختها لو تمت الارادة لاسعفت بالعادة ولو ساعدت المكنة على بلوغ الهمة لاتبعت السابقين الى برك وتقدمت المجتهدين في كرامتك لكن قعدت القدرة عن البغية وقصرت الجدة عن مباراة أهل النعمة وخفت أن تطوى صحائف البر وليس لي فيها ذكر فانفذت المبتدأ بيمنه وبركته والمختتم بطيبه ونظافته صابرا على ألم التقصير ومتجرعا غصص الاقتصار على اليسير فاما ما لم أجد اليه السبيل في قضاء حقك فالقائم فيه بعذري قول الله عز وجل ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج والسلام فلما حضر يحيى بن خالد الوليمة عرض عليه كاتبه الهدايا جميعها حتى الكيسين والرقعة فاستظرفها وأمر أن يملأ الكيسان مالا ويردا عليه فكان ذلك أربعة آلاف دينار وقال رجل ليحيى والله لانت أحلم من الاحنف بن قيس فقال له ما يقرب الي من أعطاني فوق حقي ونادى اسحق بن ابراهيم الموصلي أحد غلمانه فلم يجبه فقال سمعت يحيى بن خالد يقول مما يدل على حلم الرجل سوء أدب غلمانه وكان يحيى يساير الرشيد يوما فوقف له رجل فقال يا أمير المؤمنين عطبت دابتي فقال الرشيد يعطى خمسمائة درهم فغمزه يحيى فلما نزلوا قال له الرشيد يا أبت أومأت الي بشئ ولم أعرفه فقال مثلك لا يجري هذا القدر على لسانه انما يذكر مثلك خمسة آلاف ألف عشرة آلاف ألف فقال اذا سئلت مثل هذا كيف أقول فقال تقول يشترى له دابة وبالجملة فان أخبارهم كثيرة لا يحتمل هذا المختصر الاطالة أكثر من هذا ولما قتل هرون الرشيد جعفر بن يحيى البرمكي كما ذكرناه في حرف الجيم من هذا الكتاب نكب البرامكة وحبس يحيى وابنه الفضل كما ذكرناه في حرف الفاء من هذا الكتاب وكان حبسهما في الرافقة وهي الرقة القديمة مجاورة الرقة الجديدة وهي البلدة المشهورة الآن على شاطئ الفرات ويقال لهما الرقتان تغليبا لاحد الاسمين على الآخر كما قيل العمران والقمران وغير ذلك (وحكى) الجهشياري في كتاب أخبار الوزراء ان يحيى بن خالد اشتهى في وقت من الاوقات في محبسه وهو مضيق عليه سكباجة فلم يطلق له

فسلك مسالك المشايخ السادة في تربية أرباب الارادة واجتمع عليه الطلاب ودخلوا عليه من كل باب وكان يعظ في الجامع الشريف باحسن وجه وأوضح طريق ويفسر القرآن الكريم في اثنائه باتقان وتحقيق وينتفع الناس بمجالسه الشريفة ونصائحه اللطيفة (الى أن توفي رحمه الله في شهر ذي القعدة سنة تسع وسبعين وتسعمائة) ضاعف الله حسناته وافاض علينا من سجال بركاته

(ومن علماء العصر والزمن المولى محمد بن خضر شاه بن محمد المشتهر بابن الحاجي حسن)
كان ابوه من قضاة بعض البلدان وجده المغفور توفي قاضيا بالعسكر في أيام السلطان بايزيدخان وقرأ المرحوم على افاضل عصره وصار ملازما من المولى خير الدين معلم السلطان سليمان خان ثم تقلد المدرسة القرازية بمدينة بروسه بخمسة وعشرين ثم مدرسة عبد السلام بكمجة بثلاثين ثم مدرسة رستم باشا بكوتاهية باربعين ثم مدرسة خانقاه بقسطنطينية بخمسين وهو مدرس بها بعدما جعلت مدرسة فانه لما ابتنتها السيدة حرم زوجة السلطان سليمان جعلتها خانقاها للصوفية ثم بدلتها مدرسة لاقتضاء بعض الامور

اتخاذها الابشقة فلما فرغ منها سقطت القدر من يد المتخذ لها فانكسرت فانشد يحيى أبياتا يخاطب بها الدنيا ومضمونها اليأس وقطع الاطماع ولم يزل يحيى فى حبس الرافقة الى أن مات فى الثالث من المحرم سنة تسعين ومائة فجأة من غير علة وهو ابن سبعين سنة وقيل أربع وسبعين وصلى عليه ابنه الفضل ودفن فى شاطئ الفرات فى ربض هرثمة ووجد فى جيبه رقعة فيها مكتوب بخطه قد تقدم الخصم والمدعى عليه فى الاثر والقاضى هو الحكم العدل الذى لا يجور ولا يحتاج الى بينة فحملت الرقعة الى الرشيد فلم يزل يبكى يومه كله وبقى أياما يتبين الاسى فى وجهه رحمهما الله تعالى وكان يحيى يجرى على سفيان الثورى رضى الله عنه فى كل شهر ألف درهم وكان سفيان يقول فى سجوده اللهم ان يحيى كفانى أمر دنياى فاكفه أمر آخرته فلما مات يحيى رآه بعض اخوانه فى النوم فقال له ما صنع الله بك قال غفر لى بدعاء سفيان وقيل ان صاحب هذه القضية هو سفيان بن عيينة لا سفيان الثورى والله تعالى أعلم قال الجهشيارى ندم الرشيد على ما كان منه فى أمر البرامكة وتحسر على ما فرط منه فى أمرهم وخاطب جماعة من اخوانه بانه لو وثق منهم بصفاء النية لأعادهم الى حالهم وكان الرشيد كثيرا ما يقول حملونا على فصحائنا وكفاتنا وأوهمونا انهم يقومون مقامهم فلما صرنا الى ما أرادوا لم يغنوا عنا وأنشد

أقلوا علينا لا أبا لأبيكمو * من اللوم أو سدوا المكان الذى سدوا

قلت هذا البيت للحطيئة الشاعر وبعده

أولئك قوم ان بنوا أحسنوا البنا * وان عاهدوا وفوا وان عقدوا شدوا

قلت وذكر الزمخشرى فى كتاب ربيع الابرار ما مثاله انه وجد تحت فراش يحيى بن خالد البرمكى رقعة فيها مكتوب

وحق الله ان الظلم لوم * وان الظلم مرتعه وخيم

الى ديان يوم الدين نمضى * وعند الله تجتمع الخصوم

(ابو المظفر الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة بن محمد بن هبيرة بن سعد بن الحسين بن احمد بن الحسن ابن جهم بن عمرو بن هبيرة بن علوان بن الحوفزان)

وهو الحرث بن شريك بن عمرو بن قيس بن شرحبيل بن مرة بن همام بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أقصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد ابن عدنان الشيبانى الملقب عون الدين هكذا ساق نسبه جماعة منهم ابن الدبيثى فى تاريخه وابن الفارسى فى كتاب الوزراء وغيرهما وانما أخرج له هذا النسب بعد سنين من وزارته وذكره الشعراء فى مدائحهم وهو من قرية من بلاد العراق تعرف بقرية بنى أوقر بالقاف من أعمال دجيل وهى دور عرمانيا بالعين المهملة والياء المثناة من تحت وتعرف الآن بدور الوزير نسبة اليه وكان والده من أجنادها ودخل بغداد فى صباه واشتغل بالعلم وجالس الفقهاء والادباء وكان على مذهب الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه وسمع الحديث وحصل من كل فن طرفا وقرأ الكتاب العزيز وختمه بالقراآت والروايات وقرأ النحو واطلع على أيام العرب وأحوال الناس ولازم الكتابة وحفظ ألفاظ البلغاء وتعلم صناعة الانشاء وكانت قراءته الادب على أبى منصور بن الجواليقى وتفقه على أبى الحسين محمد بن محمد الفراء وصحب الشيخ أبا عبد الله محمد بن يحيى بن على بن مسلم بن موسى بن عمران الزبيدى الواعظ وسمع الحديث النبوى من أبى عثمان اسمعيل بن محمد بن قيلة الاصبهانى ومن أبى القاسم هبة الله بن محمد بن الحسين الكاتب ومن بعدهما وحدث عن الامام المقتفى لامر الله أمير المؤمنين وعن غيره وسمع منه خلق كثير منهم الحافظ أبو الفرج بن الجوزى وأول ولايته الاشراف بالاقرحة الغربية ثم نقل الى الاشراف على الاقامات المخزنية ثم قلد الاشراف بالمخزن ولم يطل فى ذلك مكثه حتى قلد فى سنة اثنتين وأربعين كتابة ديوان الزمام ثم ترقى الى الوزارة وكان سبب توليته الوزارة على ما حكاه الذى جمع سيرته انه قال من جملة ما رفع قدر الوزير ونقله الى الوزارة ما جرى من مسعود البلالى شحنة بغداد نيابة عن السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقى وكان مسعود أحد الخدم الخصيان

وشرطت لمن يدرس فيها النقل الى المدرسة التى بنتها قبل ذلك فى المدينة المزبورة فنقل المرحوم عنها الى هذه المدرسة بالوظيفة المذكورة ثم نقل الى احدى المدارس الثمان ثم الى مدرسة أياصوفيه بستين ثم الى احدى المدارس السليمانية ثم قلد قضاء المدينة المنورة ثم نقل الى قضاء مكة المشرفة ولم يتفق لاحد من علماء الروم فى سالف العصور تولية القضاء فى الحرمين الشريفين غير المولى المزبور ولاختصاصه بهذه الفضيلة من البين لقبه أهل هذه الديار بقاضى الحرمين (وانتقل رحمه الله بمكة المشرفة فى اوائل ذى الحجة سنة تسع وسبعين وتسعمائة) وقد وقع وصول ماء عرفات بمكة فى هذه السنة وكان يعمل له فى سنة سبعين بهمة السيدة مهروماه بنت السلطان سليمان فانها لما وصلت اليها قلة المياه بمكة ومضايقة أهل الحرم الشريف فيها وأخبرت بامكان مجيء ماء عرفات الى مكة شرفها الله تعالى قصدت اليه واعتنت بعمارته وأنفقت فيه أموالا جزيلة الى ان تيسرت لها هذه المثوبة العظمى فى السنة المزبورة فاتفق دخولها بموت المولى المزبور وكذلك مجيء الحاج فى السنة المزبورة فاتفق أن اجتمع فى جنازته خلق

الحبشيين الكبار من أمراء دولته من سوء أدبه فى الحضرة وخروجه عن معتاد الواجب وانتشار مفسدى أصحابه وكان وزير الخليفة اذ ذاك قوام الدين أبو القاسم على بن صدقة بن على بن صدقة قد كتب عن الخليفة الى السلطان مسعود عدة كتب يعتمد الانكار على مسعود البلالى على ما صدر منه فلم يرجع بجواب فلما قلد عون الدين بن هبيرة كتابة ديوان الزمان خاطب الخليفة فى مكاتبة السلطان مسعود بالقضية فوقع اليه قد كان الوزير كتب فى ذلك عدة كتب فلم يجيبوه فراجع عون الدين فى ذلك سؤاله الى ان أجيب فكتب من انشائه رسالة وهى طويلة فاضربت عن ذكرها وحاصل الامر فيها انه دعا له وأذكره ما كان أسلافه يعاملون الخلفاء به من حسن الطاعة والتادب معهم والذب عنهم ممن يعتاب عليهم وشكا من مسعود البلالى وانه كاتب فى ذلك عدة دفعات وما جاءه جواب وأطال القول فى ذلك وكان هذا فى سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة فى شهر ربيع الآخر فما مضى على هذا الا قليل حتى عاد الجواب بالاعتذار والذم لمسعود البلالى والانكار لما اعتمده فاستبشر المقتفى باشارة عون الدين وعظم سروره بذلك وحسن موقع عون الدين من قلبه ولم يزل عنده مكينا حتى استوزره وقال مصنف السيرة وكان أيضا من جملة أسباب وزارته انه فى سنة ثلاث وأربعين وصل الى بغداد الامير البتناش ٢ المسعودى صاحب اللحف وهو صقع بالعراق ويذكر السلطانى وقصداها فى جموع كثيرة وصدر منهم فتن عظيمة تضمنتها التواريخ فشرع الوزير قوام الدين بن صدقة فى تدبير الحال فاخفق مسعاه فحينئذ استاذن عون الدين الخليفة فى امرهم فاذن له فى ذلك فخاطب هؤلاء الخارجين على الخليفة وأحسن التدبير فى ذلك حتى كف شرهم ثم قوى عليهم حتى نهبت العامة أموالهم وجرت المقادير بهذه الاحوال لرفع ابن هبيرة ووضع الوزير ابن صدقة فانه عند انقضاء هذا المهم استدعى الخليفة المقتفى عون الدين بمطالعة على يد أميرين من أمراء الدولة فتبين بقراءته لها التباشر فى اسرته فركب الى دار الخليفة فى جماعته وتسامع الناس بوزارته ولما وصل الى باب الحجرة استدعى فدخل وقد جلس له المقتفى بمثمنة التاج فقبل الارض وسلم وتحدثا ساعة بما لم يحط به غيرهما علما ثم خرج وقد جهز واله التشريف على عادة الوزراء فلبسه ثم استدعى ثانيا فقبل الارض ودعا بدعاء أعجب الخليفة ثم أنشده

سأشكر عمرا ما تراخت ٣ منيتى * ايادى لم تمنن وان هى جلت

رأى خلتى من حيث يخفى مكانها * فكانت بمرأى منه حتى تجلت

قلت وهذان البيتان لابراهيم بن العباس الصولى المقدم ذكره وهى ثلاثة أبيات والثانى منهما بعد الاول

فتى غير محجوب الغنى عن صديقه * ولا مظهر الشكوى اذا النعل زلت

ولما أنشد عون الدين هذين البيتين غير نصف البيت الثانى منهما فان الشاعر قال

* فكانت قذى عينيه حتى تجلت * فرأى انه يخاطب الخليفة بهذه العبارة فغيره تأدبا ثم ان عون الدين خرج فقدم له حصان أدهم سائل الغرة محجل وعليه من الحلى ما جرت به عادتهم مع الوزراء والشرح فى ذلك يطول فاختصرته وخرج بين يديه أرباب المناصب وأعيان الدولة وأمراء الحضرة وجميع خدام الخلافة وسائر حجاب الديوان والطبول تضرب امامه والمستند وراءه محمول على عادتهم فى ذلك حتى دخل الديوان ونزل على طرف الديوان وجلس فى الدست وقام لقراءة عهده الشيخ سديد الدولة أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الانبارى ولولا خوف الاطالة لذكرت العهد فانه بديع فى بابه لكن قصدى الاقتصار فاعرضت عن ذكره وهو مشهور فى أيدى الناس فلما فرغ من قراءته قرأ القراء وانشد الشعراء وتولى الوزارة يوم الاربعاء ثالث عشر ربيع الآخر من سنة أربع وأربعين وخمسمائة وكان لقبه جلال الدين فلما ولى الوزارة لقبوه عون الدين وكان عالما فاضلا ذا رأى صائب وسريرة صالحة وظهر منه فى أيام ولايته ما شهد له بكفايته وحسن مناصحته فشكر له ذلك ولحظ بعين الرعاية وتوفرت له أسباب السعادة وكان مكرما لاهل العلم يحضر مجلسه الفضلاء على اختلاف فنونهم ويقرأ عنده الحديث عليه وعلى الشيوخ بحضوره ويجرى من البحث والفوائد ما يكثر ذكره وصنف كتبا فن ذلك كتاب الافصاح عن شرح معانى الصحاح وهو يشتمل

كثير وجم غفير من العلماء والصلحاء وشهدوا له بالخير وحسن الخاتمة ودعوا له بالمغفرة الدائمة وكان المرحوم من أعيان أفاضل الروم معدودا من الرجال مذكورا فى عداد أرباب الفضل والكمال نظيفا وجيها عظيم التؤدة والوقار بحيث نسبه الناس الى الغرور والاستكبار غفر له الملك الغفار

(ومن العلماء الاعلام وفضلاء الاعجام المولى مصلح الدين اللارى)

ولد رحمه الله فى اللار وهى بالراء المهملة مملكة بين الهند والشيراز اشتغل رحمه الله على مير غياث بن مير صدر الدين المستغنى بشهرته التامة عن التوصيف والتبيين وقرأ أيضا على مير كمال الدين حسين تلميذ المولى المعروف لدى القاصى والدانى جلال الملة والدين محمد الدوانى ثم ذهب الى بلاد الهند واقتحم شدائد الاسفار واتصل بالامير همايون من أعاظم ملوك هذه الديار وحل عنده محلا رفيعا ومنزلا منيعا وتلمذ منه

٢ قوله البتناش ويذكر هكذا بالاصل ولتراجع كتب التاريخ فى اسمى هذين الاميرين اه

٣ قوله ما تراخت فى المعاهد ان تراخت وأن الشعر لابن الزبير بفتح الزاى وكسر الباء اه

على تسعة عشر كتابا شرح الجمع بين الصحيحين وكشف عما فيه من الحكم النبوية وكتاب المقتصد بكسر الصاد المهملة وشرحه ابو محمد بن الخشاب النحوى المشهور فى أربع مجلدات شرحا مستوفيا واختصر كتاب اصلاح المنطق لابن السكيت وله كتاب العبادات فى الفقه على مذهب الامام أحمد وأرجوزة فى المقصور والممدود وارجوزة فى علم الخط وغير ذلك وذكر شيخنا عز الدين أبو الحسن على بن محمد المعروف بابن الاثير الجزرى فى تاريخه الصغير الاتابكى فى فصل حصار الملك محمد وزين الدين بغداد وذلك فى ذى القعدة من سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة ان المقتفى لامر الله جد فى حفظ بغداد وقام وزيره عون الدين بن هبيرة فى هذا الامر المقام الذى يعجز عنه غيره قال وأمر المقتفى فنودى ببغداد من جرح وقت القتال فله خمسة دنانير فكان كل من جرح يوصل ذلك اليه فحضر بعض العامة عند الوزير مجروحا فقال الوزير هذا جرح صغير لا تستحق عليه شيأ فعاد الى القتال فضرب فى جوفه فخرجت امعاؤه فعاد الى الوزير فقال يامولانا الوزير يرضيك هذا فضحك منه وأمر له بصلة وأحضر له من يعالجه انتهى كلام ابن الاثير قلت وهذا محمد هو ابن محمود بن محمد ابن ملكشاه السلجوقى وزين الدين هو أبو الحسن على بن بكتكين المعروف بكعك والد مظفر الدين صاحب اربل وقال غير ابن الاثير ان الملك اسمه محمد شاه وان هذه القضية كانت فى سنة اثنتين وخمسين والله أعلم ذكر ذلك ابن الجوزى فى كتاب شذور العقود وهو أخبر لانها بلده وهو بها وقد ذكرت محمد شاه فى ترجمة أبيه وتوفى الامام المقتفى لامر الله أبو عبد الله محمد بن المستظهر ليلة الاحد ثانى ربيع الاول سنة خمس وخمسين وخمسمائة وبويع ولده المستنجد بالله أبو المظفر يوسف فدخل عليه وبايعه وأقره على وزارته وأكرمه وكان خائفا منه ان يعزله فلم يعزله ولم يتعرض له ولم يزل مستمرا فى وزارته الى حين وفاته ومدحه جماعة من اماثل شعراء عصره منهم أبو الفوارس سعد بن محمد المعروف بابن صيفى الملقب حيص بيص المقدم ذكره وله فيه مدائح منتخبة فمن ذلك قوله

يهز حديث الجود ساكن عطفه * كما هز شرب الحى صهباء قرقف
ويرسو اذا طاشت حبا القوم واغتدت * صعاب الذرا من زعزع الخطب ترجف
صروم الدنايا هاجر كل سبة * ولكنه بالمجد صب مكلف
يضيق بادنى العار ذرعا وصدره * باهوال مايدنى من المجد نفنف
اذا قيل عون الدين يحيى تألق الـ * ـغمام وماس السمهرى المثقف

وكانت عوائدهم فى بغداد فى شهر رمضان ان الاعيان يحضرون سماط الخليفة عند الوزير وهم يسمون السماط الطبق وكان الحيص بيص من جملة من يحضر الطبق وكانت نفسه أبية وهمته عربية واذا احضروا الطبق تخطاه وقعد فوقه من ارباب المراتب جماعة ليس فيهم فضل فيجد فى نفسه لذلك مشقة عظيمة فكتب الى الوزير عون الدين يستعفيه من الحضور

ياباذل المال فى عدم وفى سعة * ومطعم الزاد فى صبح وفى غسق
وحاشر الناس اغنتهم فواضله * الى مزيد من النعماء مندفق
فى كل بيت خوان من مكارمه * يميرهم وهو يدعوهم الى الطبق
فاض النوال فلولا خوف منعمه * من باس عدلك نادى الناس بالغرق
وكل أرض بها صوب وساكبه * حتى الوغى من نجيع الخيل والفرق
صن منكبى عن زحام ان غضبت له * تمكن الطعن من عرضى ومن خلقى
فان رضيت به فالذل منقصة * فكم تكلفته حملا فلم أطق
أنا المريض بأحداث وسورتها * وليس غير اياتى حافظ رمقى
وهب لى كعطاياك التى كثرت * فالجود بالعز فوق الجود بالورق
ان اصفرار محيا الشمس من حزن * على علاها لمرماها الى الافق

ولقبه بالاستاذ وعامله باللطف والرأفة الى ان أفناه الدهر وأباد وقامت الفتن والحوادث من بعده فى تلك البلاد فخرج المرحوم عنها قاصدا الى زيارة بيت الله الحرام واقامة شعائر شرائع الاسلام فلما تيسر له الحج وحصل له الروم رام الدخول فى بلاد الروم فانتقل من بلد الى بلد ومن مدينة الى مدينة حتى وصل الى قسطنطينية فاجتمع بمن فيها من الافاضل الفحول وباحث معهم فى المعقول والمنقول ولما اجتمع بالمولى أبى السعود اضمحل عنده ولم يظاهر له وجود وعين له كل يوم خمسون درهما من بيت المال فلم يجد فيهما مايرضيه من التوجه والاقبال فلم يختر الاقامة فى هذه البلدة البديعة وخرج الى ديار بكر وربيعة فلما وصل الى آمد وشاع له المحاسن والمحامد استدعاه اميره اسكندر باشا وصاحبه فاستحسنه واعجبه وبالغ فى ثنائه وعطائه وعينه معلما لنفسه وأبنائه وزاد على وظيفته وأبرم عليه الاقامة فى البلدة المسطورة ثم قلد المدرسة التى بناها خسرو باشا فى البلدة المزبورة وأرسل اليه المنشور من جانب السلطان بان يلتحق بزمرة الموالى فتعين كل نوبة ثلاثة من طلبته لملازمة الباب العالى فدام على الدرس والافادة حتى درسه الدهر وأباده (وذلك فى شهر ذى الحجة سنة تسع

وان توهم قوم انه حمق * فربما اشتبه التوقير بالحمق

واهدى الى الوزير عون الدين دواة بلور مرصعة بمرجان وفى مجلسه جماعة منهم الحيص بيص فقال الوزير يحسن أن يقال فى هذه الداوة شئ من الشعر فقال بعض الحاضرين وكان ضريرا ولم أقف على اسمه

ألين لداود الحديد كرامة * يقدره فى السرد كيف يريد
ولان لك البلور وهى حجارة * ومعطفه صعب المرام شديد

فقال الحيص بيص انما وصفت صانع الدواة ولم تصفها فقال الوزير من عير عيرفقال الحيص بيص

صيغت دواتك من يوميك فاشتبها * على الانام ببلور ومرجان
فيوم سلمك مبيض بفيض ندى * ويوم حربك قان بالدم القانى

ثم وجدت البيتين الاولين فى كتاب الجنان تأليف القاضى الرشيد أحمد بن الزبير الغسانى المذكور فى أوائل هذا الكتاب ونسبهما الى القاضى الرشيد أحمد بن قاسم الصقلى قاضى مصر وذكر أنه دخل على الافضل شاهان شاه أمير الجيوش بمصر وقد تقدم ذكره أيضا فرأى بين يديه دواة من عاج محلاة بمرجان فقال بديهيا

ألين لداود الحديد كرامة * يقدره فى السرد كيف يريد
ولان لك المرجان وهو حجارة * على انه صعب المرام شديد

ومدحه أبو عبد الله محمد بن بختيار المعروف بالابله الشاعر المقدم ذكره بقصائد عديدة منها وهى أحسنها فلهذا ذكرتها وهى

ولع النسيم وبانة الجرعا * وصغالك الا الحلى والردعا * يادمية ضاقت خلاخلها
عنها وضقت بحبها ذرعا * قد كنت ذا دمع وذا جلد * فبقيت لاجلدا ولادمعا
صيرت جسمى للضنى سكنا * وسكنت بعد تبالة الجرعا * يامن رأى ادماء سانحة
قلبى لها لا المنحنى مرعى * لانت بمثل الغصن مئزرها * وحكت بعود أراكة طلعا
واذا تراجعك الكلام فلا * تعد دلايام الصبا رجعى * ولقد سعت بالكاس يصحبنى
سكر اللواحظ وعثة المسعى * فى مستنير الزهر ماصنعت * أبراده عدن ولاصنعا
باكرت منتزعا ثراه وما * ركب الـ... ـام لبانة فرعا * سلت عليه البارقات ظبا
لبس الغدير لخوفها درعا * ياعاذلى ان شئت تسمعنى * عذلا فشق لصخرة سمعا
طبعا جبلت على الغرام كما * جبل الوزير على الندى طبعا

وخرج بعد هذا الى المديح فاضربت عنه ولولا خوف الاطالة لذكرته ومدحه أبو الفتح محمد بن عبد الله سبط ابن التعاويذى المقدم ذكره بقصيدة واحدة وهى

سقاها الحيا من أربع وطلول * حكت دنفى من بعدهم ونحولى * ضمنت لها اجفان عين قريحة
من الدمع مدرار الشؤن همول * لئن حال رسم الدار عما عهدته * فعهد الهوى فى القلب غير محيل
خليلى قد هاج الغرام وشاقنى * سنى بارق بالابرقين كليل * ووكل طرفى بالسهاد لتنظرى
قضاء ملئ بالديون مطول * اذا قلت قد أنحلت جسمى صبابة * تقول وهل حب بغير نحول
وان قلت دمعى بالاسى فيك شاهدى * تقول شهود الدمع غير عدول * فلا تعذلانى ان بكيت صبابة
على ناقض عهد الوفاء ملول * فأبرح مايلقى به الصب فى الهوى * ملال حبيب ام ملام عذول
ودون الكثيب الفرد بيض عقائل * لعبن بالباب لنا وعقول * غداة التقت الحاظها وقلوبنا
فلم تجل الا عن دم وقتيل * ألا حبذا وادى الاراك وقد وشت * بريالك ريحا شمال وقبول
وفى أبرديه كلما اعتلت الصبا * شفاء فؤاد الغرام عليل * دعوت سلوا فيك غير مساعدى
وحاولت صبرا عنك غير جميل * تعرفت اسباب الهوى وحملته * على كاهل للنائبات حمول
فلم احظ فى حب الغوانى بطائل * سوى رعى ليل بالغرام طويل

وسبعين وتسعمائة (وقد أناف عمره على ستين سنة * كان رحمه الله عالما فاضلا محققا كاملا غزير الفهم كثير الاحاطة واسع المعرفة مشاركا فى العلوم النقلية صاحب اليد الطولى فى الفنون العقلية شرح تهذيب المنطق والتذكرة من علم الهيئة ورسالة المولى فى الفن المزبور وكتب فيه متنا لطيفا وعلق حاشية على شرح الهداية الحكمية للقاضى ميرحسين وحاشية على شرح الطوالع للاصفهانى وحاشية على شرح المولى جلال للتهذيب وحاشية على بعض المواضع من شرح المواقف للشريف الجرجانى وحاشية على تفسير البيضاوى الى آخر الزهراوين وشرح شمائل النبى صلى الله عليه وسلم بالعربى والفارسى وجمع تاريخا كبيرا على لسان فارس من بدء العالم الى زمانه وكتب على مواضع من الهداية ورسائل عديدة يطول ذكرها وقصد معارضة المفتى أبى السعود فى قصيدته الميمية وكلف نفسه ماليس فى وسعه فكان فى الآخر مصداق ماقاله الشاعر

(بيت شعر)

اذا لم تستطع أمرا فدعه * وجاوزه الى ماتستطيع

ولنذكر منها ماقدمه حتى نريك أين يضع قدمه

(قصيدة)

ومنها

الى كم تمنيني الليالى بماجد * رزين وقار الحلم غير عجول
أهز اختيالا فى هواه معاطفى * واسحب تيها فى ثراه ذيولى
لقد طال عهدى بالنوال واننى * لصب الى تقبيل كف منيل
وان يدى يحيى الوزير لكافل * بمالى وعون الدين خير كفيل

وكان عون الدين كثيرا ما ينشد

ما ناصحتك خبايا الود من أحد * مالم ينلك بمكروه من العذل
مودتى لك تابى ان تسامحنى * بان أراك على شئ من الزلل

وذكر الشيخ شمس الدين أبو المظفر يوسف بن فرغلى بن عبد الله سبط الشيخ جمال الدين أبى الفرج بن الجوزى فى تاريخه الذى سماه مرآة الزمان ورأيته بدمشق فى أربعين مجلدا وجميعه بخطه وكان أبوه فرغلى مملوك عون الدين بن هبيرة المذكور وزوجه بنت الشيخ جمال الدين أبى الفرج المذكور فاولدها شمس الدين فولاؤه له أنه سمع مشايخه ببغداد يحكون ان عون الدين قال كان سبب ولايتى المخزن أننى ضاق ما بيدى حتى فقدت القوت اياما فاشار على بعض اهلى أن امضى الى قبر معروف الكرخى رضى الله عنه فاسأل الله تعالى عنده فان الدعاء عنده مستجاب قال فاتيت قبر معروف فصليت عنده ودعوت ثم خرجت لاقصد البلد يعنى بغداد فاجتزت بعطفاء قلت وهى محلة من محال بغداد قال فرأيت مسجدا مهجورا فدخلت لاصلى فيه ركعتين واذا أنا بمريض ملقى على بارية فقعدت عند رأسه وقلت ماتشتهى فقال سفرجلة قال فخرجت الى بقال هناك فرهنت عنده مئزرى على سفرجلتين وتفاحة وأتيته بذلك فاكل من السفرجلة ثم قال اغلق باب المسجد فاغلقته فتنحى عن البارية وقال احفر ههنا فحفرت واذا بكوز فقال خذ هذا فانت أحق به فقلت أما لك وارث فقال لا وانما كان لى أخ وعهدى به بعيد وبلغنى انه مات ونحن من الرصافة قال فبينما هو يحدثنى اذ قضى نحبه فغسلته وكفنته ودفنته ثم اخذت الكوز وفيه مقدار خمسمائة دينار وأتيت الى دجلة لاعبرها واذا ملاح فى سفينة عتيقة وعليه ثياب رثة فقال معى معى فنزلت معه واذا به من أكثر الناس شبها بذلك الرجل فقلت من أين أنت فقال من الرصافة ولى بنات وأنا صعلوك قلت فمالك أحد قال لا كان لى أخ ولى منذ زمان ما أدرى ما فعل الله به قال فقلت ابسط حجرك فبسطه فصببت المال فيه فبهت فحدثته الحديث فسألنى ان اخذ نصفه فقلت لا والله ولا حبة ثم صعدت الى دار الخلافة وكتبت رقعة فخرج عليها اشراف المخزن ثم تدرجت الى الوزارة وقال جدى الشيخ أبو الفرج فى كتاب المنتظم وكان الوزير يسأل الله تعالى الشهادة ويتعرض لاسبابها وكان صحيحا يوم السبت ثانى عشر جمادى الاولى من سنة ستين وخمسمائة فنام ليلة الاحد فى عافية فلما كان فى وقت السحر قاء فاحضر طبيبا كان يخدمه فسقاه شيأ فقال انه سم فمات وسقى الطبيب بعده بنحو ستة أشهر سما فكان يقول سقيت كما سقيت ومات الطبيب وقال فى المنتظم أيضا وكنت ليلة مات الوزير نائما على سطح مع أصحابى فرأيت فى المنام كأنى فى دار الوزير وهو جالس فدخل رجل وبيده حربة قصيرة فضربه بها بين انثييه فخرج الدم كالفوارة فضرب الحائط فالتفت فاذا بخاتم من ذهب ملقى فاخذته وقلت ان أعطيه أنتظر خادما يخرج فاعطيه اياه وانتبهت وحدثت أصحابى بالرؤيا فلم أستتم الحديث حتى جاء رجل فقال مات الوزير فقال بعض الحاضرين هذا محال أنا فارقته أمس العصر وهو فى كل عافية وجاء آخر وصح الحديث وقال لى ولده لابد أن تغسله فاخذت فى غسله ورفعت يده لاغسل مغابنه (قلت) المغابن مطاوى البدن مثل الابط وغيره واحدها مغبن بفتح الميم وكسر الباء الموحدة وسكون الغين المعجمة قال فسقط الخاتم من يده فحين رأيت الخاتم تعجبت من المنام قال ورأيت فى وقت غسله آثارا فى وجهه وجسده تدل على انه مسموم فلما خرجت جنازته غلقت أسواق بغداد ولم يتخلف عن جنازته احد وصلى عليه فى جامع القصر وحمل الى باب البصرة فدفن فى مدرسته التى انشأها وقد دثرت الآن ورثاه جماعة من الشعراء انتهى كلام أبى الفرج بن الجوزى وقال مؤلف سيرة الوزير المذكور ان سبب موته كان بلغما ثار بمزاجه وقد خرج مع المستنجد للصيد فسقى مسهلا فقصر عن استفراغه فدخل الى بغداد يوم الجمعة سادس جمادى

كفالك ابتاسا فى هواك ملام
وقلت لمن شاء السلام سلام
أسار أسير العشق صوب سلامة
أكان مكان العاشقين سلام
وما كنت وحدى بالمحبة هائما
فذلك كثير فى الزمان قدام
لكم زمرة تاهت بتيه محبة
فكم هام فى هذا الهيام هيام
ومن قال من ليلاى حرفا أسرنى
وكل كلام غير ذلك كلام
حمامة منى بلغيها تحية
وان جاءتى بعد البعاد حمام
رمانى زمانى فى مقاحم هجره
ومن عين عينى الدموع سجام
وأقرح أجفانى وأحرق مهجتى
بما صب عينى واستقاد غرام
فلا عبراتى بالعيون لتنتهى
ولا زفراتى بالفراق تضام
فياليت شعرى أرى روح وصله
ويرتاح قلب قد حواه ضرام
أيبدو ولا آلام الفراق مفرق
ويرجى لأسباب الوصال ضيام
طويت طوامير الوفاء مغاضبا
أليست عهود بيننا وذمام
فآها لأزمان الفراق وطولها
فساعة يوم من فراقك عام
فلو فى الفلا أشكو فلا شك أنه
ليبكى على حالى الفلا وأكام
وكان اشتهارى باصطبارى لمحنة

الاولى زائرا متحاملا الى المقصورة لصلاة الجمعة فصلى بها وعاد الى داره فلما كان وقت صلاة الصبح عاوده البلغم فوقع مغشيا عليه فصرخ الجوارى فافاق فسكتهن وبلغ الخبر ولده عز الدين ابا عبد الله محمدا وكان ينوب عنه فى الوزارة فبادر اليه فلما دخل عليه قال له قد بث استاذ الدار عضد الدين ابو الفرج محمد بن عبد الله ابن هبة الله بن المظفر بن رئيس الرؤساء المعروف بابن المسلمة جماعة تستعلم ماهذا الصياح فتبسم الوزير على ماهو عليه من تلك الحال وانشد

وكم شامت بى عند موتى جهالة * بظلم يسل السيف بعد وفاتى
ولو علم المسكين ماذا يناله * من الضر بعدى مات قبل مماتى

ثم تناول مشروبا فاستفرغ به ثم استدعى بماء فتوضأ للصلاة وصلى قاعدا فسجد فابطأ فحركوه فاذا هو ميت فطولع به الامام المستنجد فامر بدفنه وخلف ولدين احدهما عز الدين المذكور والآخر شرف الدين أبو الوليد مظفر وأما مولده فقد ذكر أبو عبد الله محمد بن القادسى فى تاريخ الوزراء انه ولد فى سنة سبع وتسعين وأربعمائة على ماذكره من لفظه رحمه الله تعالى قال بعضهم رأيته فى المنام بعد موته فسألته عن حاله فقال

قد سئلنا عن حالنا فاجبنا * بعد ماحال حالنا وحجبنا
فوجدنا مضاعفا ما كسبنا * ووجدنا ممحصا ما اكتسبنا

ولما بلغ خبر موته عضد الدين بن المظفر استاذ الدار المذكور كان بحضرته سبط ابن التعاويذى المذكور قبل هذا وهو من موالى بنى المظفر فان أباه كان مملوكا لبعض بنى المظفر واسمه بشتكين فسماه ابنه عبد الله فاراد سبط ابن التعاويذى ان يتقرب الى عضد الدين لعلمه مابينه وبين الوزير فانشده مرتجلا

قال لى والوزير قد مات قوم * قم لنبكى أبا المظفر يحيى
قلت أهون عندى بذلك رزأ * ومصابا وابن المظفر يحيا

وقال آخر ولا أذكر اسمه الآن لكنه من الشعراء المشاهير

أيا رب مثل الماجد ابن هبيرة * يموت ويحيا مثل يحيى بن جعفر
يموت بحيى كل فضل وسودد * ويحيا بيحيى كل جهل ومنكر

والمقصود أن محاسنه كثيرة وقد أطلت هذه الترجمة حتى استوفيت مقاصدها ورأيت فى كتاب النبراس فى تاريخ خلفاء بنى العباس تاليف أبى الخطاب بن دحية غلطة احببت التنبيه عليها فى هذا الكتاب كى لا يقف عليها أحد فيظنه مصيبا فيما ذكره وهو انه قال فى خلافة المقتفى لامر الله ما مثاله وسعد بوزيره أبى المظفر عون الدين يحيى بن محمد بن هبيرة وقد ذكر المؤرخون فضائل جده التى حازها عون الدين من بعده ثم ذكر مكرمة جرت لعمر بن هبيرة الفزارى أمير العراقين فى دولة بنى أمية وظن ابن دحية المذكور أن الوزير المذكور من ذريه ذلك المتقدم وعجبت منه من ذلك فان الوزير شيبانى النسب كما شرحناه فى أول الترجمة وذاك فزارى النسب كما يأتى فى ترجمة ولده يزيد بن عمر بن هبيرة ان شاء الله تعالى وأين شيبان من فزاره ولا شك انه ما أوقعه فى هذا الامر الا الامارة فى نسب الوزير فقد جاء فيه عمر بن هبيرة فتوهم ان هذا هو ذاك وليس الامر كما توهمه ومثل ابن دحية لا يعذر فقد كان حافظا ومطلعا على أمور الناس وهذا الامر واضح لكن الخطا موكل بالانسان (قلت) وأكثر من جرى ذكره فى هذه الترجمة قد تقدم ذكره فى هذا التاريخ وأفردت لكل واحد منهم ترجمة مستقلة سوى الشيخ الزبيدى فانه كان كبير القدر يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وما انتفع الوزير الا بصحبته وما ذكرته فى هذا التاريخ فينبغى التنبيه عليه اذ مثله لا يهمل وكان دخوله بغداد فى سنة تسع وخمسمائة وتوفى فى شهر ربيع الاول سنة خمس وخمسين وخمسمائة رحمه الله تعالى وقال أبو عبد الله بن النجار فى تاريخ بغداد كان مولده بزبيد فى ليلة الاربعاء الثانى والعشرين من المحرم سنة ستين وأربعمائة وتوفى ليلة الاثنين مستهل شهر ربيع الآخر سنة خمس وخمسين وخمسمائة ودفن بمقبرة جامع المنصور ببغداد رحمه الله تعالى وقول الآخر

ولكن صبرا فى نوالك حرام
لقدك قد قامت حدود رشاقة
وخدك خد الحسن فيه تمام
وصاحب مصباح الصباحة مصبحا
فأنت وشمس سيد وغلام
(وقال بعد أبيات)
وفارقت أبناء الزمان جميعهم
وما اللبيب باللئام لؤام
ولا لطف فى خل من الخير قد خلا
ولا نفع فى سحب لهن جهام
لهم فى أداء المنجيات تكاسل
لهم فى لزوم المهلكات لزام
وليس لاقبال الزمان ادامة
وليس لادبار الدهور مدام
فكل نهار يحدث الليل بعده
ولا ليل الامن قفاه عيام
فلا تك مسرورا ولا متحزنا
أنالك نهارا أو عراك ظلام
كبوقلمون فى التلون دهرنا
وليس لما أبدى الزمان دوام
تعاقيب حالات الانام كما ترى
دليل على هذا الكلام تمام
سرور وأحزان شباب وشيبة
غنى واحتياج صحة وسقام
حياة وموت لذة وتألم
وعسر ويسر محنة وحمام
ألا انما الدنيا كأحلام نائم
فعن ذاك أيقاظ الانام نيام
وطوفان نوح قد نجا منه فرقة
ولكن طوفان المنية عام
فما قاومت موتا صلابة رستم
وقد زال حام بالزوال وسام
وأين ملوك قد بنوا فى بلادهم
وكان لديهم ما يكاد يرام
بساحتهم للناس كان تزاحم
وفيها سجود وركع وقيام

أيارب مثل الماجد ابن هبيرة * يموت ويحيا مثل يحيى بن جعفر

فالمراد به أبو الفضل يحيى بن القاسم عبد الله بن محمد بن المعمر بن جعفر الملقب زعيم الدين تولى النظر بالمخزن في جمادى الآخرة سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة الى سنة سبع وستين ففيها ناب في الوزارة بعد عزل أبي الفرج بن المظفر ولم يزل على ذلك الى ان توفي وكان مشكورا محمود السيرة محبا لاهل العلم وكانت ولادته ليلة الجمعة بعد العشاء الاخيرة التاسع والعشرين من صفر سنة احدى عشرة وخمسمائة وتوفي ليلة العشرين من شهر ربيع الاول سنة سبعين وخمسمائة ببغداد ودفن من الغد في الحربية بتربة له رحمه الله تعالى

(أبو طالب يحيى بن أبي الفرج سعيد بن أبي القاسم هبة الله بن علي بن فرغلي بن زبادة الشيباني الكاتب المنشئ الواسطي الاصل البغدادي المولد والدار والوفاة الملقب قوام الدين وقيل عميد الدين)

كان من الاعيان الاماثل والصدور الافاضل انتهت اليه المعرفة بامور الكتابة والانشاء والحساب مع مشاركته في الفقه وعلم الكلام والاصول وغير ذلك وله النظم الجيد جالس ابا المنصور بن الجواليقي وقرأ عليه وعلى من بعده وسمع الحديث من جماعة وخدم الديوان من صباه الى أن توفي عدة خدمات وكان مليح العبارة في الانشاء جيد الفكرة حلو الترصيع لطيف الاشارة وكان الغالب عليه في رسائله العناية بالمعاني أكثر من طلب السجع وله رسائل بليغة وشعر رائق وفضله أكثر من أن يذكر وتولى النظر بديوان البصرة وواسط والحلة ولم يزل على ذلك الى أن طلب من واسط والحلة ولم يزل على ذلك الى المحرم سنة خمس وسبعين وخمسمائة ورتب حاجبا بباب المتولي وقلد النظر في المظالم ثم عزل عن ذلك في شهر ربيع الاول سنة سبع وسبعين ثم أعيد اليه في جمادى الاولى سنة اثنتين وثمانين فلما قتل استاداره وهو مجد الدين أبو الفضل هبة الله بن علي بن هبة الله ابن محمد بن الحسن المعروف بابن الصاحب وكان قتله يوم السبت تاسع عشر ربيع الاول سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ترتب ابن زبادة المذكور مكانه ثم عزل في سنة خمس وثمانين وعاد الى واسط فاقام بها الى أن استدعي في شهر رمضان سنة اثنتين وتسعين وقلد ديوان الانشاء في يوم الاثنين الثاني والعشرين من شهر رمضان ثم رد اليه النظر في ديوان المقاطعات فكان على ذلك الى حين وفاته وكان حسن السيرة محمود الطريقة متدينا حدث بشيء يسير وكتب الناس عنه كثيرا من نظمه ونثره فمن ذلك قوله

باضطراب الزمان ترتفع الانذال فيه حتى يعم البلاء
وكذا الماء ساكنا فاذا حرك ثارت من قعره الاقذاء

وله أيضا

اني لأعظم ما يلقونني جلدا * اذا توسطت حول الحادث النكد
كذلك الشمس لا تزداد قوتها * الا اذا حصلت في زبرة الاسد

وكتب الى الامام المستنجد يهنيه بالعيد

يا ماجدا أجل قدرا أن نهنيه * لنا الهناء بظل منك ممدود
الدهر أنت ويوم العيد منك وما * في العرف أنا نهني الدهر بالعيد

وله أيضا عفا الله عنه

ان كنت تسعى للسعادة فاستقم * تنل المراد ولو سموت الى السما
ألف الكتابة وهو بعض حروفها * لما استقام على الجميع تقدما

وله أيضا رحمه الله تعالى

لا تغبطن وزير الملوك وان أنا * له الدهر منهم فوق همته
واعلم بان له يوما تمور به الارض الوقور كما مارت لهيبته
هرون وهو أخو موسى الشقيق له * لولا الوزارة لم يأخذ بلحيته

وله كل معنى مليح وله ديوان رسائل وقفت عليه في بلادنا ولم يحضرني شيء منه كي أثبته ههنا وقال أبو عبد الله محمد بن سعيد الدبيثي في تاريخه أنشدنا أبو طالب يحيى بن سعيد بن هبة الله يعني ابن زبادة المذكور من حفظه قال أنشدنا أبو بكر أحمد بن محمد الارجاني لما قدم بغداد علينا في سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة لنفسه (قلت) وهو ناصح الدين أبو بكر أحمد بن الارجاني المقدم ذكره قوله

مناجقهم طاحت وبادت جنودهم
مناجقهم قد بددت وسهام
وأين بنو مروان أين بلادهم
وأين وليد وأين راح هشام
مضى آل عباس ولم يبق بأسهم
ولم يبق منهم عدة وعرام
فيا راجيا في غمرة الجهل والهوى
سيلقاك في هذا الرسوخ ندام
عليك بهرب ثم رهب من الهوى
هوى وهوى في الجحيم توأم
عجبت لمن أضحى من الزاد خاليا
أليس له نحو المعاد رغام
فتب خالصا من كل اثم فانه
يصير مصير الآثمين أثام

(ومن العلماء والفضلاء والمشايخ الشيخ أبو سعيد ابن الشيخ صنع الله)

كان الشيخ صنع الله المذكور من قرية لوزه كان من أعمال تبريز وقد اشتغل هو والمولى عبد الرحمن الجامي على الشيخ عبيد الله النقشبندي قدس سره العزيز فحصل عنده ما حصل من الشرافة ودام في خدمته حتى شرفه بالاذن والخلافة ولما رجع من خراسان الى بلاده واشتغل بالارشاد والافادة اجتمع عليه الكثير من أرباب الطلب والارادة الى ان نبت في تلك النواحي بذور الالحاد وفاش وظهرت الطائفة المعروفة بقزلباش

ومقسومة العينين من دهش النوى * وقد راعها بالعيس رجع حداء
تجيب باحدى مقلتيها تحيتي * وأخرى تراعي أعين الرقباء
رأت حولها الواشين طافوا فغيضت * لها مدمعا واستعصمت بحياء
فلما بكت عيني غداة وداعهم * وقد روعتني فرقة القرناء
بدت في محياها خيالات ادمعي * فغاروا وظنوا أن بكت لبكائي

وكتب اليه أبو الغنائم محمد بن علي المعروف بابن المعلم الهرثي الشاعر المقدم ذكره وقد عزل عن نظر واسط

ولأنت ان لم يبلل الغيث الثرى * تروي الورى بسماحك الهتان
لم يعزلوك عن البلاد لحالة * تدعو الى النقصان والشنآن
بل مذ رأوا آثار جودك زاخرا * حفظوا بلادهم عن الطوفان

(قلت وحكى) لي الوجيه أبو عبد الله محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن سويد التاجر التكريتي قال كان الشيخ محيي الدين أبو المظفر يوسف بن الحافظ جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي الواعظ المشهور قد توجه رسولا من بغداد الى الملك العادل ابن الملك الكامل ابن الملك العادل ابن أيوب سلطان مصر في ذلك الوقت وكان أخوه الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل محبوسا في قلعة الكرك يومئذ وقد شرحت ذلك في ترجمة الكامل في هذا التاريخ قال الوجيه فلما عاد محيي الدين راجعا الى بغداد وقدم دمشق كنت بها فدخلت عليه أنا والشيخ أصيل الدين أبو الفضل عباس بن عثمان بن شهاب الاربلي وكان رئيس التجار في عصره وجلسنا نتحدث معه فقال قد حلفت الملك الناصر داود صاحب الكرك أن لا يخرج الملك الصالح من الحبس الا بامر أخيه الملك العادل قال فقال له الاصيل يا مولانا هذا بأمر الديوان العزيز فقال محيي الدين وهل هذا يحتاج الى اذن هذا اقتضته المصلحة ولكن أنت تاريخ يا أصيل فقال يعني مولانا اني قد كبرت وما أدري ما أقول وانا أحكي لمولانا حكاية في هذا المعنى أعرفها من غرائب الحكايات قال هات فقال كان ابن رئيس الرؤساء ناظر واسط يحمل في كل شهر حملا من واسط وهو ثلاثون ألف دينار لا يمكن أن يتأخر يوما واحدا عن العادة فتعذر في بعض الاشهر كمال الحمل فضاق صدره لذلك وذكره لنوابه فقالوا له يا مولانا هذا ابن زبادة عليه من الحقوق أضعاف ذلك ومتى حاسبته قام بما يتم الحمل وزيادة فاستدعاه وقال له لم لا تؤدي كما يؤدي الناس فقال أنا معي خط الامام المستنجد بالمسامحة قال فهل معك خط مولانا الامام الناصر قال لا قال قم واحمل ما يجب عليك قال ما التفت الى أحد ولا أحمل شيأ ونهض من المجلس فقال النواب لابن رئيس الرؤساء أنت صاحب الوسادتين وناظر النظار ما على يدك يد ومن هو هذا حتى يقابلك بمثل هذا القول ولو كبست داره وأخذت ما فيها ما قال لك أحد شيأ وحملوه عليه حتى ركب بنفسه وأجناده وكان ابن زبادة يسكن قبالة واسط وقدموا الى ابن رئيس الرؤساء السفن حتى يعبر اليه واذا بزبزب قد قدم من بغداد فقال ما قدم هذا الا في مهم ننظر ما هو ثم نعود الى ما نحن بسببه فلما دنا من الزبزب فاذا فيه خادم من خدام الخليفة فصاحوا به الارض الارض فقبل الارض وناولوه مطالعة وفيها قد بعثنا خلعة ودواة لابن زبادة فتحمل الخلعة على رأسك والدواة على صدرك وتمشي راجلا اليه وتلبسه الخلعة وتجهزه الينا وزيرا فحمل الخلعة على رأسه والدواة على صدره ومشى اليه راجلا فلما رآه ابن زبادة أنشده ابن رئيس الرؤساء

اذا المرء حي فهو يرجى ويتقى * وما يعلم الانسان ما في المغيب

وأخذ يعتذر اليه فقال له ابن زبادة لا تثريب عليكم اليوم وركب في الزبزب الى بغداد وما علموا أن أحدا سلمت اليه الوزارة غيره فلما وصل الى بغداد أول ما نظر فيه أن عزل ابن رئيس الرؤساء عن نظر واسط وقال هذا ما يصلح لهذا المنصب ثم قال الاصيل ولا يأمن مولانا ان يخرج الملك الصالح ويملك ويعود اليه رسولا ويقع وجهك في وجهه ونستحي منه فانشده محيي الدين قوله

وحتى يؤب القارظان كلاهما * وينشر في الموتى كليب لوائل

قطعوا في البلاد فاكثروا فيها الفساد فخرج المرحوم الى ديار الاكراد وأقام مدة في بدليز ثم اعاده حب الوطن الى تبريز ولما وقف على رجوعه ذلك الرجل الرذيل رئيس تلك الطائفة الطاغية اسمعيل عزم على قتله وزجره فطلبه من فوره ولما دخل عليه لم يسجد له على ما هو العادة لمن دخل عليه ومثل بين يديه وخاطبه بغير الخوف والخشية والوحشة فوقع على اسمعيل منه هيبة عظيمة ودهشة وبعد ذلك تكلم في خلاصه صدره مير جمال الدين الاصفهاني فلم يتقدم على قتله ورده سالما الى منزله وولد في تبريز الشيخ أبو سعيد المزبور وقال في تاريخ ولادته جمال الدين المسفور (شعر فارسي)

هشتم ذي قعده نهصد و بيست
متولد بساعة خيرست
بوسعيدي ما كه داد خدا
ثاني بوسعيد بوالخيرست

فلما شب ودب وبلغ ابان الطلب قرأ على العلماء الاعلام وفضلاء الاعجام منهم الفاضل المشهور مير غياث الدين المنصور الى أن بلغ مبلغ الرجال وشهد له أساتذته بالفضل والكمال وبالغوا في مدحه وثنائه وفرط ذكائه ولما خرج منلا أحمد القزويني الى بلاد الروم في صورة الحاج أراد الشيخ أبو سعيد الخروج

فما كان الا مدة يسيرة حتى خرج الملك الصالح من حبس الكرك وملك مصر وكان ما كان قلت وكنت بمصر ومحيى الدين بها رسول الى الملك العادل وقبض العادل وجاء الصالح فخرج محيى الدين للقائه وشاهدت ذلك هكذا ذكر لى الوجيه هذه الحكاية وفيها غلط اما من الوجيه واما من الاصيل فان ابن زبادة ما ولى الوزارة ولا تولى الاماذ كرته فى أوائل ترجمته فان كان هذا صحيحا فيكون ذلك لما طلب للانشاء كما شرحته والله أعلم بالصواب قال ابن الدبيثى المذكور سألت أبا طالب بن زبادة عن مولده فقال ولدت يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من صفر سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة وتوفى ليلة الجمعة السابع والعشرين من ذى الحجة سنة أربع وتسعين وخمسمائة وصلى عليه بجامع القصر ودفن بالجانب الغربى بمشهد الامام موسى بن جعفر رضى الله عنهما يعنى ببغداد وزبادة بفتح الزاى وهو القطعة من الزباد الذى يتطيب به النسوان والله أعلم

(ابو الفضل يحيى بن نزار بن سعيد المنبجى)

ذكره الحافظ ابو سعيد عبد الكريم بن السمعانى فى كتاب الذيل على تاريخ الخطيب المختص ببغداد فقال له شعر مطبوع غير متكلف وكتب لى أبياتا من شعره وسمعت منه وسألته عن مولده فقال ولدت فى المحرم من سنة ست وثمانين وأربعمائة بمنبج وأورد له مقاطيع انشده اياها فمن ذلك قوله

أبيض غض زاد خط عذاره * لعاشقه فى همه والبلابل * تموج بحار الحسن فى وجناته

فتقذف منها عنبرا فى السواحل * وتجرى بخديه الشبيبة ماءها * فتنبت ريحانا جنوب الجداول

قلت وقد خطرت لى على هذا مؤاخذة وهى انه جعل فى البيت الثانى بحار الحسن تموج فى وجناته فكيف يقول فى البيت الثالث وتجرى بخديه الشبيبة ماءها وما مقدار ماء الشبيبة بالنسبة الى بحار الحسن وما كفى هذا حتى جعلها جداول والجداول الانهار وأين الانهار من البحار ثم انه فى البيت الثانى قد شبه العذار بالعنبر فكيف يجعله فى البيت الثالث ريحانا وأين العنبر من الريحان وان كان كل واحد من العنبر والريحان قد جرت عادة الشعراء أن يشبهوا به العذار لكن فى مقطوع واحد من الشعر مالهم عادة يجمعون بينهما وكنت قد سمعت فى زمن الاشتغال بالادب بيتين استحسنتهما ولم أعرف قائلهما وهما

ياعاذلى فى حب ذى عارض * ما البلد المخصب كالماحل

تموج بحر الحسن فى خده * فيقذف العنبر فى الساحل

فلما كان فى أوائل سنة اثنتين وسبعين وستمائة وقفت بالقاهرة المحروسة على مجلد من كتاب السيل والذيل تأليف عماد الدين الكاتب الاصبهانى وقد جعله ذيلا على كتابه خريدة القصر فرأيت فيه ترجمة يحيى بن نزار المنبجى المذكور وقد ذكر له مقدار عشرة أبيات يمدح بها السلطان نور الدين محمود بن زنكى رحمه الله تعالى وفى جملة الابيات البيت الثانى من هذين البيتين فعلمت ان الذى نظم ذلك المعنى فى البيت الثانى من الثلاثة هو الذى نظم هذين البيتين فى هذه الابيات التى ذكرها فى كتاب السيل ثم بعد ذلك بقليل جاءنى صاحبنا جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن أحمد المعروف بالحافظ اليغمورى فتذاكرنا وجرى ذكر البيتين وقال انهما لعماد الدين أبى المناقب حسام الدين بن عدى بن يونس الحلى نزيل دمشق وذكر انه سمعهما منه وادعاهما لنفسه فقلت له البيت الذى فيه المعنى ليس له بل هو ليحيى بن نزار المنبجى ويكون العماد الحلى قد نظم البيت الاول وجعله توطئة للثانى واستعمله على وجه التضمين كما جرت العادة فى مثله لكن كان ينبغى ان ينبه على انه تضمين كى لا يعتقد من يقف عليهما انهما له فان البيت الاول ليس فى جملة ابيات يحيى المنبجى التى مدح بها نور الدين محمود ارحمه الله تعالى ثم من بعد ذلك خطرت لى مؤاخذة على العماد الحلى فانه قال فى بيته الذى جعله توطئة للثانى * ما البلد المخصب كالماحل * والخصب والمحل انما يكون بسبب النبات وعدمه والبيت الثانى الذى هو التضمين شبه العذار بالعنبر وأين النبات من العنبر فالتوطئة بين البيتين ليست بملائمة وهذه المؤاخذة مثل المؤاخذة المتقدمة على الابيات الثلاثة وكنت وقفت على بيتين للعماد الحلى أنشدنيهما عنه جماعة وهما

قيل لى من هويت قد عبث الشعـ * ـر بخديه قلت ماذاك عاره

معه فى هذه الصورة فحبسه طهماسب شاه وجهه مع عم له وصادرهما بعشرة آلاف دينار ووكل بهما من يقبض منهما المبلغ المرقوم فوضعوا أيديهم على أملاكه وبرباعه وباعوها بأرخص الاثمان وسعوا فى اتلافها بقدر الامكان فلم يبلغوا المبلغ المزبور فعرضوا القصة على طهماسب فأمر بتعذيبهما بانواع العذاب ولم يقصروا حتى قطعوا لحومهما بالكلاب وأطعموها قدر سنة للكلاب فرجهما بعض من وكل بهما فسامح فى الحفظ والمراقبة فهرب الشيخ أبو سعيد ووصل الى أردبيل وخلص نفسه من العذاب الوبيل فانه من دخل بها ينجو من أذاهم وان كان من أكبر عداهم وكان عمه شيخا كبيرا فلم يمكنه الهرب فبقى فى أيديهم أسيرا وكسيرا وقرأ المرحوم فيها على منلا حسين واشتغل عنده قدر سنتين ولما قصد السلطان الاعظم سليمان خان المعظم الى فتوح ديار العجم وسار حتى وطئ بخيله ورجله هذه البلاد ليستاصل ما فيها من أرباب الزيغ والفساد وانقض صقور الاروام على عصافير الاعجام فتفرقوا من سطوتهم تفرق الاغنام عندما حمل عليها أسود الآجام فطرح منه الشيخ المزبور وزاح غمه وتخلص من أيدى الظلمة

جرة الخد احرقت عنبر الخا * ل فمن ذلك الدخان عذاره

وسنح لى عليهما مؤاخذة مثل المؤاخذة المذكورة وهى انه لما قيل له ان الشعر عبث بخديه ما انكر ذلك بل قال ماذاك عاره فقد وافق على انه شعر غاية مافى الباب انه قال هذا الشعر ما هو عاره فكيف يقول بعد هذا جرة الخد أحرقت عنبر الخال الى آخره فجعل العذار دخان العنبر وأين دخان العنبر من الشعر بل كان ينبغى أن يقول لهم هذا ما هو شعر بل هو دخان العنبر حتى يتم له المعنى وقد نظم صاحبنا ورفيقنا فى الاشتغال بحلب عون الدين أبو الربيع سليمان بن بهاء الدين بن عبد المجيد العجمى الحلبى بيتين ألم فيهما بهذا المعنى وهما

لهيب الخد حين بدا لعينى * هوى قلبى عليه كالفراش

فاحرقه فصار عليه خالا * وها أثر الدخان على الحواشى

وقد أحسن فى هذا المعنى وسلم من تلك المؤاخذة لكن وقع فى مؤاخذة أخرى وهى انه جعل العذار دخان احتراق قلبه والعماد جعله دخان العنبر وبين الدخانين بون كبير فهذا طيب الرائحة وذاك كريه الرائحة وقد سبق فى ترجمة عبد الله الشنترينى بيتان أبدع فيهما وهما

ومهفهف رقت حواشى حسنه * فقلوبنا وجدا عليه رقاق

لم يكس سالفه العذار وانما * نفضت عليه صباغها الاحداق

والاصل فى هذا الباب كله قول أبى اسحق ابراهيم الصابى الكاتب فى غلامه الاسود واسمه يمن وقد سبق ذكر الابيات فى ترجمته من هذا الكتاب والمقصود منها ههنا قوله فى أولها

لك وجه كأن يمناى خطته * بلفظ تمله آمالى

فيه معنى من البدور ولكن * نفضت صبغها عليه الليالى

وبيتا عون الدين فيهما المام بقول أبى الحسين أحمد بن منير الطرابلسى المقدم ذكره

لا تخالوا الخال بعلو خده * قطرة من دم جفنى نطفت

ذاك من نار فؤادى جذوة * فيه ساحت وانطفت ثم طفت

قلت وقد خرجنا عن المقصود وانتشر الكلام لكن ما خلا عن فائدة (وقال أبو سعيد) السمعانى أيضا انشدنى يحيى بن نزار المنبجى لنفسه لو صد عنى دلالا أو معاتبة * لكنت أرجو تلاقيه وأعتذر

لكن ملالا فلا أرجو تعطفه * جبر الزجاج عسير حين ينكسر

وله غير هذا نظم مليح ومعان لطيفة وقال أبو الفرج صدقة بن الحسين بن الحداد فى تاريخه المرتب على السنين ما مثاله سنة أربع وخمسين وخمسمائة فى ليلة الجمعة سادس ذى الحجة مات يحيى بن نزار المنبجى ببغداد ودفن بالوردية قيل انه وجد فى اذنه ثقلا فاستدعى انسانا من الطرقية فامتص أذنه فخرج شئ من مخه فكان سبب موته رحمه الله تعالى وقال السمعانى هو أخو أبى الغنائم التاجر المعروف وذكر أبا الغنائم ووصفه واثنى عليه فى ترجمة مستقلة فى كتاب الذيل أيضا رحمه الله تعالى وأما العماد الحلى فانه كان أديبا ظريفا على ما يحكى عنه من النوادر وله نظم مليح فى المقطعات دون القصائد وكان يحفظ المقامات وشرحها وتوفى ليلة الاربعاء عاشر شهر ربيع الاول سنة تسع وعشرين وستمائة بدمشق ودفن بمقابر الصوفية وعرف بابن الجمال وولد فى سنة ستين وخمسمائة تقديرا بقوص ونشأ بالحلة فنسب اليها ثم وجدت فى مسوداتى بخطى بيتا منسوبا الى الوجيه أبى الحسن على بن يحيى بن الحسين بن أحمد المعروف بابن الدورى الاديب الشاعر وهو

عذاره دخان ندخاله * وريقه من ماء ورد خده

ثم وجدت منسوبا الى ابن سناء الملك المقدم ذكره والصحيح انها الاسعد بن مماتى المقدم ذكره أيضا هذا

سمراء قد أزرت بكل أسمر * بلونها ولينها وقدها * انفاسها دخان ندخالها

وريقها من ماء ورد خدها * لو كتب البدر الى خدمتها * رسالة ترجمها بعبدها

ورأيت للمهذب أبى نصر محمد بن محمد بن ابراهيم بن الحسن الحلبى المعروف بابن البرهان الحاسب المنجم

عمه وصمما الخروج الى ديار الروم وعزما على السفر فالتحقا بالعسكر المظفر فسارا بهم وعادا معهم الى الروم فى ايابهم ولما وصلوا الى آمد توفى عمه فازداد بالوحدة همه وغمه وذلك (سنة خمس وخمسين وتسعمائة) ولما وصل الى حلب عين له من جانب السلطان كل يوم عشرة انصاف فاستقلها الشيخ المزبور فاستجاز الحج وكان فى قلبه الذهاب الى الهند لما بينه وسلطانه من معارفة قديمة ومحبة أكيدة فوقف عليه الوزير الكبير رستم باشا فاستماله وطيب قلبه واستصحبه الى قسطنطينية وعين له خمسة عشر درهما ثم زاد فى وظيفته فصارت خمسة وثلاثين وحصل له القبول التام عند الخواص والعوام وترادفت عليه العطيات وتكررت الترقيات حتى بلغت وظيفته فى وزارة على باشا الى مائة وكان ذلك سنة احدى وستين وتسعمائة وحج رحمه الله سنة ست وسبعين وتسعمائة وتوفى بقسطنطينية فى أوائل جمادى الاولى (سنة ثمانين وتسعمائة) ودفن بحظيرة الشيخ وفا وقال فيه بعض أحبائه شعرا فارسيا

چون شيخ أبو سعيد مرحوم

زين دار فنا بآن بروشد

از بس كه وفا نمود با خلق

ميدان وفا ازان او شد

الصبري ومهفهف رقت نضارة وجهه * فالعين تنظر منه أحسن منظر
أصلى بنار الخد عنبر خاله * فبدا العذار دخان ذاك العنبر
فعلمت ان العماد المحلي انما أخذ ذلك المعنى من أحد هؤلاء والله سبحانه وتعالى أعلم

*(أبو الحسين يحيى بن أبي علي منصور بن الجراح بن الحسين بن محمد بن داود بن الجراح المصري
وهذه الزيادة في نسبه وجدتها بخط بعض الادباء ولا أحققها والاول أصح)*

الكاتب الملقب تاج الدين كتب في ديوان الانشاء بالديار المصرية مدة طويلة وكتب الكثير وكان خطه في غاية الجودة وكان فاضلا أديبا متفننا له فطرة حسنة وشعر فائق ورسائل انيقة سمع الحديث بثغر الاسكندرية المحروسة على الحافظ أبي طاهر السلفي وأبي الثناء حماد بن هبة الله الحراني وحدث وسمع الناس عليه وله لغز في الدملج الذي تلبسه النساء وهو بديع في بابه فاحببت ذكره وهو نثر ماشئ قلبه حجر ووجهه قمر ان نبذته صبر واعتزل البشر وان أجعته رضي بالنوى وانطوى على الخوى وان اشبعته قبل قدمك وصحب خدمك وان غلفته ضاع وان ادخلته السوق أبى أن يباع وان أظهرته جمل المتاع وأحسن الامتاع وان شددت ثانيه وحذفت منه القافية كدر الحياة وأوجب التخفيف في الصلاة وأحدث وقت العصر الضجر ووقت الفجر الخدر وجمع بين حسن العقبى وقبح الاثر هذا وان فصلته دعالك وابقى ما ان ركبته هالك وربما بلغك آمالك وكثر مالك واحسن بعون المساكين مآلك والسلام قلت وهذا اللغز قد يقف عليه من لا يعرف طريق حله فيعسر عليه تفسيره فيحتاج الى الايضاح فاقول اما قوله ماشئ قلبه حجر فراده قلب حروف دملج فانا اذا قلبنا هذه الحروف يخرج منها جلمد وهو الحجر وقوله ووجهه قمر يريد أنه مستدير كالقمر وقوله ان نبذته صبر واعتزل البشر فالبشر جمع بشرة فالانسان اذا ألقى الدملج عنه صبر واعتزل بشرته اذ ليس فيه أهلية المنع فهو يصبر ويعتزل المكان الذي كان فيه وقوله وان اجعته رضي بالنوى فالنوى لفظ مشترك يقع على البعد وعلى نوى التمر وعادتهم في بلاد العراق ان يطحنوا نوى التمر والرطب والبسر ويعلفوا به البقر وقصد ههنا هذه التورية فان الدملج اذا خرج من العضد أو من الساق فقد جاع لانه يكون فارغ الجوف ويرضى بالنوى الذي هو البعد عن عضو صاحبه ويقولون فلان يرضى بالنوى اذا كان فقيرا لا يجد ما يتبلغ به فهو يجتزئ بمص النوى وهذا يفعله أهل الحجاز والبلاد المجدبة كثيرا القليلة الاقوات عندهم فقد استعمل صاحب هذا اللغز لفظة النوى في هذين المعنيين وهذه هي التورية وقوله وانطوى على الخوى فالخوى هو الخلو واذا كان فارغ الجوف فهو خاو وقوله وان أشبعته قبل قدمك مراده بالاشباع هنا لبس الدملج فان صاحبه اذا لبسه فقد ملأ جوفه ويكون فوق القدم فكأنه يقبله وقوله وصحب خدمك فيه تورية أيضا فان الخدم جمع خادم وهذا الجمع قليل الاستعمال لهذا الواحد فانه لا يقال فاعل وجمعه فعل الا في الفاظ مسموعة مثل خادم وخدم وغائب وغيب وحارس وحرس وجامد وجمد وغير ذلك فهو موقوف على السماع وخدم جمع خدمة أيضا وهو سير يشد في رسغ البعير تشد اليه شريحة النعل وبه سمي الخلخال خدمة لانه ربما كان من سيور يركب فيه الذهب والفضة ويجمع على خدام أيضا وقوله وان غلفته ضاع هذا فيه تورية أيضا فان التغليف ان يجعل للشئ غلافا والتغليف استعمال الطيب أيضا وقوله ضاع فيه تورية أيضا فانه يقال ضاع الشئ من الضياع وضاع الطيب اذا عبقت رائحته وقوله وان أدخلته السوق أبى أن يباع فالسوق جمع ساق وفيه التورية أيضا لان السوق موضع البيع والشراء والسوق كما ذكرناه وقوله أبى أن يباع لان العادة انه لا يباع الا اذا أخرج من العضو الذي هو فيه ولا يباع قبل اخراجه فكأنه قبل الاخراج أبى البيع وقوله وان أظهرته جمل المتاع وأحسن الامتاع فهذا ظاهر لا حاجة الى تفسيره وقوله وان شددت ثانيه وهو الميم وحذفت منه القافية وهي الجيم فيبقى الدمل وهو يكدر الحياة بألمه ويوجب التخفيف بالصلاة للالم أيضا وقوله وأحدث وقت العصر الضجر فالعصر فيه التورية أيضا لانه اسم للصلاة وهو مصدر لفعل عصر وكذلك الفجر لانه اسم للصبح

كان رحمه الله عالما فاضلا مدققا محققا جامعا بين المعقول والمنقول حاويا للفروع والاصول مع كمال الورع والديانة والزهد والصيانة وكان من غاية نزاهته وكمال طهارته لا يلبس لباسا من الثقال والخفاف الا بعد غسله حتى الفرو والخفاف وكان لا يجلس أحدا على بساطه وان لم يقصر في ملاطفته وانبساطه ولا يصافحه الا ويغسل يده بعده وكان رحمه الله من الاسخياء الامجاد والكرماء الاجواد يبذل ما يقدر عليه ويفرق على الناس ما يجتمع لديه غير متكلف في اللباس غير مكترث بمداراة الناس يقول الحق ويعمل به راجيا الثواب من ربه وقد ذهب عمره بالتجرد والانفراد ولم يقيد نفسه بقيود الاهل والاولاد وكان رحمه الله نافذ الكلام صاحب القبول التام موقرا عند الملوك والوزراء مقبولا لدى الحكام والامراء بحيث لا يرد له كلام ولا يفوته مرام ولا يعوزه مطلوب سبحان من سخر له القلوب

(ومنهم المولى شمس الدين أحمد ابن الشيخ مصلح الدين المشتهر بمعلم زاده)

كان الشيخ مصلح الدين المزبور من المشايخ المقبولة في الدولة العثمانية على ما ذكر مفصلا في الشقائق النعمانية ينتهي نسبه الى

وهو مصدر لفعل فجر فالانسان في وقت عصر الدمل يحصل له الضجر والقلق واذا فجره وخلص منه حصل له الخدر والراحة وقوله وجمع بين حسن العقبى وقبح الاثر فقصد المقابلة بين الحسن والقبح ولا شك ان عقبى انفجار الدمل حسنة وان كان الاثر الذي يبقى في المكان قبيحا وقوله وان فصلته دعالك معناه انك اذا فصلت أحد النصفين من لفظ الدملج من النصف الآخر فالنصف الاول منه دم وهو دعاء للانسان بالدوام وقوله وأبقى ما ان ركبته هالك فان الباقي منه لج واللج هو لج البحر وان كان النصف من الدملج مخففا ولج البحر مشددا لكنهم يغتفرون مثل هذا في الالغاز والتصاحيف والاحاجي ولا يبالون به ولا شك أن ركوب البحر أمر هائل فلهذا قال هالك وربما بلغك آمالك لانه يوصل الانسان الى الموضع الذي يقصده وقوله وكثر مالك معناه اذا ركبه الانسان للتجارة وقوله وأحسن بعون المساكين مآلك فعون المساكين هو السفينة كما قال الله تعالى أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فهي عون لهم على حاجتهم وسد خلتهم ومآل الشئ عاقبة أمره والله تعالى أعلم قلت وفي اللغز ثمان لغات لغز بضم اللام وسكون الغين ولغز بضمهما ولغز بضم اللام وفتح الغين ولغز بفتح اللام وسكون الغين ولغز بفتحهما وألغوزة بضم الهمزة وسكون اللام وضم الغين ولغيزى بضم اللام وتشديد الغين مع القصر ولغيزاء مثل الاول الا أن الغين مخففة ومفتوحة والالف ممدودة وقد طال الكلام لكن الحاجة دعت اليه كي لا يبقى فيه التباس على سامعه ورأيت في مجموع بخط بعض الفضلاء بيتين منسوبين اليه وهما هذان

امد كفي الى البيضاء أقلعها * من لحيتي فتفديها بسوداء
هذي يدي وهي مني لا تطاوعني * على مرادي فما ظني باعدائي

وكانت ولادة المذكور في ليلة السبت خامس عشر شعبان سنة احدى وأربعين وخمسمائة وتوفي في خامس شعبان سنة ست عشرة وستمائة بدمياط والعدو المخذول محاصرها رحمه الله تعالى وجراح بفتح الجيم وتشديد الراء وبعد الالف حاء مهملة ثم ان العدو ملك دمياط يوم الثلاثاء السابع والعشرين من الشهر المذكور والله أعلم ونقلت من خط الشيخ مهذب الدين أبي طالب محمد بن علي اللغوي المعروف بابن الخيمي الحلي نزيل مصر أن العدو نزل قبالة دمياط يوم الثلاثاء ثاني عشر ربيع الاول سنة خمس عشرة وستمائة ونزل البر الشرقي يوم الثلاثاء سادس عشر ذي القعدة من السنة وأخذ الثغر يوم الثلاثاء السادس والعشرين من شعبان سنة ست عشرة وستمائة واستعيدت منهم يوم الاربعاء تاسع عشر رجب سنة ثمان عشرة وستمائة ومدة نزولهم عليها الى أن انفصلوا عنها ثلاث سنين وثلاثة أشهر وسبعة عشر يوما ومن الاتفاق العجيب نزولهم عليها يوم الثلاثاء واحاطتهم بها يوم الثلاثاء وملكهم لها يوم الثلاثاء وقد جاء في الخبر ان الله تعالى خلق المكروه يوم الثلاثاء ولفظة دمياط سريانية وأصلها بالذال المعجمة ويقولون هي ذمط وتفسيره القدرة الربانية فكأنه اشارة الى مجمع البحرين العذب والملح والله تعالى أعلم

*(ابو الحسن يحيى بن عيسى بن ابراهيم بن الحسين بن علي بن حمزة بن ابراهيم بن الحسين
ابن مطروح الملقب جمال الدين)*

من أهل صعيد مصر ونشا هناك وقام بقوص مدة وتنقلت به الاحوال في الخدم والولايات ثم اتصل بخدمة السلطان الملك الصالح أبي الفتح أيوب الملقب نجم الدين ابن السلطان الملك الكامل ابن السلطان الملك العادل بن أيوب وكان اذ ذاك نائبا عن أبيه الملك الكامل بالديار المصرية ولما اتسعت مملكة الكامل بالبلاد المصرية بل بالبلاد الشرقية فصار له آمد وحصن كيفا وحران والرها والرقة ورأس عين وسروج وما انضم الى ذلك سير اليها ولده الملك الصالح المذكور نائبا عنه وذلك في سنة تسع وعشرين وستمائة فكان ابن مطروح المذكور في خدمته ولم يزل يتنقل في تلك البلاد الى ان وصل الملك الصالح الى مصر مالكا لها وكان دخوله القاهرة يوم الاحد السابع والعشرين من ذي القعدة سنة سبع وثلاثين وستمائة ثم وصل ابن مطروح بعد ذلك الى الديار المصرية في أوائل سنة تسع وثلاثين وستمائة فرتبه السلطان ناظرا في الخزانة ولم

قطب العارفين وقدوة الواصلين العمدة المفخم الشيخ ابراهيم بن أدهم قرأ رحمه الله في أوان طلبه على المولى سعد بن عيسى بن أمير خان ثم صار معيدا لدرس المولى محيي الدين المشتهر بداية وهو مدرس باحدى المدارس الثمان وكان له عنده رتبة جليلة ومنزلة جزيلة يحكى انه مرض وهو يسكن في بعض الحجرات فعاده المولى المرحوم فيها ثلاث مرات ولما صار ملازما منه درس أولا بمدرسة بايزيد باشا بمدينة بروسه بعشرين ثم بمدرسة واجد باشا بكوتاهيه بخمسة وعشرين ثم بمدرسة القاضي الاسود بتيره بثلاثين ثم بالمدرسة الخنجرية في بروسه باربعين ثم بالمدرسة المشهورة بمناستر في المدينة المسفورة بخمسين ثم نقل الى مدرسة رودس بالوظيفة المزبورة ثم نقل الى مدرسة مغنيسا بستين ثم نقل الى احدى المدارس الثمان بالوظيفة المزبورة ثم عاد الى مغنيسا بسبعين ثم قلد قضاء حلب ثم نقل الى قضاء بروسه ثم صار قاضيا بالعسكر في ولاية أناطولي وبقي فيه عدة أشهر فنقل الى قضاء العسكر في ولاية روم ايلي ودام فيه خمس سنين كان بينه وبين عطاء الله معلم السلطان مصاهرة واتصال فحصل له بسببه شوكة العظمة والاقبال

نزل يقرب منه و يحظى عنده الى ان ملك الملك الصالح دمشق فى الدفعة الثانية وكان ذلك فى جمادى الاولى من سنة ثلاث وأربعين وستمائة ثم ان السلطان بعد ذلك رتب بدمشق نوابا فكان ابن مطروح فى صورة وزير لها ومضى اليها وحسنت حالته وارتفعت منزلته ثم ان الملك الصالح توجه الى دمشق فوصلها فى شعبان سنة ست وأربعين وجهز عسكرا الى حمص لاستنقاذها من يدى نواب الملك الناصر أبى المظفر يوسف الملقب صلاح الدين ابن الملك العزيز بن الملك الظاهر بن السلطان صلاح الدين صاحب حلب فانه كان قد انتزعها من صاحبها الملك الاشرف مظفر الدين أبى الفتح موسى بن الملك المنصور ابراهيم بن الملك المجاهد أسد الدين شيركوه عنوة وكان منتميا الى الملك الصالح فخرج من مصر لاسترداد حمص له فعزل ابن مطروح عن ولايته بدمشق وسيره مع العسكر المتوجه الى حمص وأقام الملك الصالح بدمشق الى أن ينكشف له ما يكون من أمر حمص فبلغه ان الفرنج قد اجتمعوا بجزيرة قبرص على عزم قصد الديار المصرية فسير الى عسكره المحاصرين بحمص وأمرهم أن يتركوا ذلك المقصد و يعودوا لحفظ الديار المصرية فعاد بالعسكر وابن مطروح فى الخدمة والملك الصالح متغير عليه متنكر له لامور نقمها عليه فطرق الفرنج البلاد فى أوائل سنة سبع وأربعين وملكوا دمياط يوم الاحد الثانى والعشرين من صفر من السنة وخيم الملك الصالح عسكره على المنصورة وابن مطروح مواظب على الخدمة مع الاعراض عنه ولما مات الملك الصالح ليلة النصف من شعبان سنة سبع وأربعين بالمنصورة وصل ابن مطروح الى مصر وأقام بها فى داره الى أن مات هذه جملة حاله على الاجمال وكانت أدواته جميلة وخلاله حميدة جمع بين الفضل والمروءة والاخلاق المرضية وكان بينى و بينه مودة أكيدة ومكاتبات فى الغيبة ومجالسات فى الحضرة تجرى فيهما مذاكرات أدبية لطيفة وله ديوان شعر أنشدنى أكثره فمن ذلك قوله فى أول قصيدة طويلة

هى رامة فخذوا يمين الوادى * وذروا السيوف تقر فى الاغماد
وحذار من لحظات أعين عينها * فلكم صرعن بها من الآساد
من كان منكم واثقا بفؤاده * فهناك ما أنا واثق بفؤادى
ياصاحبىّ ولى بجرعاء الحمى * قلب أسير ماله من فادى
سلبته منى يوم بانوا مقلة * مكحولة أجفانها بسواد
وبحىّ من أنا فى هواه ميت * عين على العشاق بالمرصاد
وأغن مسكىّ اللمى معسوله * لولا الرقيب بلغت منه مرادى
كيف السبيل الى وصال محجب * مابين بيض ظبا وسمر صعاد
فى بيت شعر نازل من شعره * فالحسن منه عاكف فى بادى
حرسوا مهفهف قده بمثقف * فتشابه المياس بالمياد
قالت لنا ألف العذار بخده * فى ميم مبسمه شفاء الصادى

وهى طويلة اقتصرت منها على هذا القدر للاختصار ومن ذلك قوله

علقته من آل يعرب لحظه * امضى وأفتك من سيوف عريبه
أسكنته فى المنحنى من أضلعى * شوقا لبارق ثغره وعذيبه
ياعائبى ذاك الفتور بطرفه * خاوه لى انا قد رضيت بعيبه
لدن ومامر النسيم بعطفه * أرج ومانفح العبير بجيبه

وكان فى بعض أسفاره قد نزل فى طريقه بمسجد وهو مريض فقال

يارب اذ عجز الطبيب فداونى * بلطيف صنعك واشفنى ياشافى
أنا من ضيوفك قد حسبت وان من * شيم الكرام البر بالاضياف

و وجدت بعد موته رقعة فيها مكتوب هذان البيتان وأخبرنى انه جرى بينه و بين أبى الفضل جعفر بن شمس الخلافة الشاعر المقدم ذكره منازعة فى بيت هو من جملة قصيدته التى أولها

من لى بغصن بالالحاظ ممنطق * حلو الشمائل واللمى والمنطق
مثرى الروادف مملق من خصره * أسمعت فى الدنيا بمثر مملق

والبيت الذى قد وقع فيه النزاع قوله

فنال ما نال من الامتعة والاموال ولم يقدر أحد على المعارضة والسؤال الى أن أشرف المولى عطاء الله جلبى على الموت والانتقال فتحرك عداه واغتنموا الفرصة على اذاه ودب عقاربهم وقام أباعدهم وأقاربهم وسعوا فيه حتى عزل وأفل بدره لكن رفع من الجهة الاخرى قدره فعين له كل يوم مائتا درهم وكان العادة والقانون فى وظيفة أمثاله مائة وخمسين (وتوفى فى ربيع الاول سنة ثمانين وتسعمائة) وقد أناف عمره على سبعين سنة وقد اتفق موته على هيئة مرضية وصفة رضية تدل على حسن خاتمته وسعادته فى عاقبته يحكى انه قام ضحوة يوم فتوضأ وأسبغ الوضوء ولبس الالبسة النظيفة وصلى ركعات وأخذ بيده سبحة واضطجع على فراشه واشتغل بالتسبيح والتهليل فعاجله سهم المنية وهو على تلك الفعلة السنية فانتقل الى جوار ربه الصمد ولم يشعر بموته من الحاضرين أحد ونقل جسده من هذه الرباع المانوسة الى حظيرة فى فناء مسجده الذى بناه فى مدينة بروسه ووقع فى هذا اتفاق غريب هو أنى كنت أكتب ترجمة المولى محيى الدين المشتهر بعرب زاده وقد انتهيت الى قولى فيها وارتحل راية عزه منكوسة الى دار الملك بروسة

وأقول ياأخت الغزال ملاحة * فتقول لاعاش الغزال ولابقى

فزعم ابن شمس الخلافة ان هذا البيت له من جملة قصيدة هى فى ديوانه وعمل كل واحد منهما محضرا شهد فيه جماعة بان البيت له وحلف لى ابن مطروح ان البيت له وكان محترزا فى أقواله ولم تعرف منه الدعوى بما ليس له والله المطلع على السرائر وأنشدنى له بعض أصحابنا قال انشدنى لنفسه

يامن لبست عليه أثواب الضنى * صفرا موشعة بحمر الادمع
أدرك بقية مهجة لولم تذب * أسفا عليك نفيتها عن أضلعى

وكان فى مدة انقطاعه فى داره وضيق صدره بسبب عطلته وكثرة كلفته قد حدث فى عينيه ألم انتهى به الى مقاربة العمى وكنت أجتمع به فى كل وقت فتأخرت عنه مدية لعذر أوجب ذلك وكنت فى ذلك الوقت أنوب فى الحكم بالقاهرة المحروسة عن قاضى القضاة بدر الدين أبى المحاسن يوسف بن الحسن بن على الحاكم بالديار المصرية المعروف بقاضى سنجار فكتب الىّ ابن مطروح يقول

يامن اذا استوحش طرفى له * لم يخل قلبى منه من أنس
والطرف والقلب على ماهما * عليه مأوى البدر والشمس

وله أيضا من جملة قصيدة طويلة

ملك الملاح ترى العيو * ن عليه دائرة يطق
وخيم بين الضلو * ع وفى الفؤاد له سبق
وخصر تثبت الابصار فيه * كأن عليه من حذق نطاقا

والبيت الاول مأخوذ من قول المتنبى

والبطق بفتح الياء المثناة من تحتها والطاء المهملة و بعدها قاف وهى عبارة عن جماعة من الجند يبيتون كل ليلة حول خيمة الملك محيطين به يحرسونه اذا كان مسافرا وهو لفظ تركى والسبق بفتح السين المهملة والباء الموحدة و بعدها قاف وهى خيمة الملك اذا كان مسافرا فانه تقدم له خيمة الى المنزلة التى يتوجه اليها حتى اذا جاءها كانت مجهزة له ينزل فيها ولا يتوقف على انتظار وصول الخيمة التى كان بها فى تلك المنزلة التى رحل منها وله بيتان ضمنهما بيت المتنبى وأحسن فيهما وهما

اذا ماسقانى ريقه وهو باسم * تذكرت مابين العذيب و بارق
و يذكرنى من قده ومدامعى * مجر عوالينا ومجرى السوابق

وهذا المعنى للمتنبى فى أول قصيدة بديعة طويلة وهى

تذكرت مابين العذيب وبارق * مجر عوالينا ومجرى السوابق

وكانت بينه و بين بهاء الدين المقدم ذكره فى حرف الزاى صحبة قديمة من زمن الصبا واقامتهما ببلاد الصعيد ثم اتصلا بخدمة الملك الصالح وهما على تلك المودّة حتى كانا كالاخوين وليس بينهما فرق فى أمور الدنيا وبينهما مكاتبات بالاشعار فيما يجرى لهما فأخبرنى بهاء الدين زهير أن جمال الدين بن مطروح كتب اليه فى بعض الايام يطلب منه درج ورق وكان قد ضاق به الوقت وأظنهما كانا ببلاد المشرق معا

أفلست ياسيدى من الورق * فدبدرج كعرضك اليقق
وان أتى بالمداد مقترنا * فمرحبا بالخدود والحدق

قال بهاء الدين زهير وقد فتح الراء من الورق وكسرها تنبيها على حاله فكتب اليه

مولاى سيرت ما رسمت به * وهو يسير المداد والورق
وعز عندى سير ذاك وقد * شبهته بالخدود والحدق

وقد سبق فى ترجمة بهاء الدين ذكر بيتين كتبهما ابن مطروح الى بهاء الدين وذكرت السبب فى نظم ذينك البيتين على ماحكاه لى بهاء الدين ثم بعد ذلك وصل الى الديار المصرية من الموصل بعض الادباء وجرى حديث ماذكره لى بهاء الدين زهير وأنه أنشدنى بيت ابن الحلاوى وهو قوله

تعيرها وتعيز المادحين بها * فقل لنا أزهير أنت أم هرم

اذ جاء واحد من طلبته وأخبرنى بموته وقال هذه سفينته التى تذهب الى بروسه * كان رحمه الله عالما فاضلا محققا كاملا مشاركا فى العلوم العقلية مبرزا فى الفنون الشرعية النقلية له بالفقه الفة أى الفة قادر على الافتاء بغير كلفة وكان لين الجانب مجبولا على اللطف والكرم مطبوعا على أحسن الشيم غير ان فيه طمعا زائدا وحرصا وافرا سامحه الله أولا وآخرا

(ومن المشايخ الاعيان وأفاضل العصر والاوان الشيخ بالى الخلوتى المعروف بسكران)

كان أبوه معلما للسلطان أحمد ابن السلطان بايزيد خان فلما غالته المنية وفاته حصول الامنية من السلطنة العظمى والمملكة الكبرى وسلم زمام الزمان وعنان الاوان الى يد السلطان سليم استقضاه فى بعض البلاد وعينه للحكم بين العباد وولد رحمه الله ببلدة تيره من لواء أيدين ونشأ فى طلب العلم وتحصيل الفضائل وصاحب الاكابر والافاضل وجد واجتهد وكان منه ما كان حتى صار ملازما من المولى خير الدين معلم السلطان ثم درس بمدرسة خواجه سنان المعروف بكينكجى فى مدينة قسطنطينيه بخمسة وعشرين فعامل الطلبة بالدرس والافادة مع اشتغاله

فقال ذلك الاديب هذه القصيدة أنشدنيها ناظمها ابن الحلاوى ونحن بالموصل وأروى عنه هذا البيت على خلاف هذه الرواية فانه أنشدنى تجيدها ثم تجدو من أنالك بها * فقل لنا زهير أنت أم هرم فما أدرى هل ابن الحلاوى أنشدها أولا كما رواه بهاء الدين زهير ثم غير البيت كما رواه هذا الاديب أم حصل الغلط لاحدهما والله تعالى أعلم مع ان كل واحد من الطريقين حسن وقصة زهير بن أبى سلمى المزنى الشاعر الجاهلى المشهور معلومة فلاحاجة الى شرحها والخروج عما نحن بصدده فانه كان يمدح هرم بن سنان المزنى أحد أمراء العرب فى الجاهلية وكان هرم كثير العطاء له حتى آلى على نفسه انه لا يسلم عليه زهير الا أعطاه غرة من ماله فرسا أو بعيرا أو عبدا أو أمة فأجحف ذلك بهرم فجعل زهير يمر بالجماعة فيهم هرم فيقول عموا صباحا خلا هرما وخيركم تركت (ونعود الى ما كنا فيه من حديث ابن مطروح) بلغنى انه كتب قبل ارتفاع درجته رقعة تتضمن شفاعة فى قضاء شغل بعض أصحابه أرسلها الى بعض الرؤساء فكتب ذلك الرئيس فى جوابه هذا الامر على فيه مشقة فكتب جوابه ثانيا لولا المشقة فلما وقف عليها ذلك الرئيس قضى شغله وفهم ماقصده وهو قول المتنبى لولا المشقة ساد الناس كلهم * الجود يفقر والاقدام قتال وهذا من لطيف الاشارات وأنشدنى الاديب الفاضل جمال الدين أبو الحسين يحيى بن عبد العظيم بن يحيى ابن محمد بن على المعروف بالجزار المصرى قصيدة بديعة مدح بها جمال الدين بن مطروح المذكور وهى بديعة طويلة فاقتصرت منها على ذكر غزلها وهو هذا

هو ذا الربع ولى نفس مشوقه * فاحبس الركب عسى أقضى حقوقه

فقبيح بى فى شرع الهوى * بعد ذاك البر أن أرضى عقوقه

لست انسى فيه ليلات مضت * مع من أهوى وساعات أنيقه

ولئن أضحى مجازا بعدهم * فغرامى فيه مازال حقيقه

ياصديقى والكريم الحرفى * مثل هذا الوقت لاينسى صديقه

ضع يدا منك على قلبى عسى * أن تهدى بين جنبى خفوقه

فاض دمعى مذ رأى ربع الهوى * ولكم فاض وقد شام بروقه

نفد اللؤلؤ من أدمعه * فغدا ينثر فى الترب عقيقه

قف معى واستوقف الركب فان * لم يقف فاتركه يمضى وطريقه

فهى أرض قلما يلحقها * آمل والركب لم اعدم لحوقه

طالما استجليت فى ارجائها * من يتيه البدر اذ يدعى شقيقه

يفضح الورد احمرارا خده * وتود الخمر لو تشبه ريقه

فيه الحسن خليق لم يزل * والمعانى بابن مطروح خليقه

وكانت ولادته يوم الاثنين ثامن رجب سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة باسيوط وتوفى ليلة الاربعاء مستهل شعبان سنة تسع وأربعين وستمائة بمصر ودفن بسفح الجبل المقطم وحضرت الصلاة عليه ودفنه وأوصى أن يكتب عند رأسه دو بيت نظمه فى مرضه وهو

أصبحت بقعر حفرة مرتهنا * لا أملك من دنياى الا كفنا

يامن وسعت عباده رحمته * من بعض عبادك المسيئين أنا

ومما ذكر انه وجد فى رقعة مكتوبة تحت رأسه بعد موته رحمه الله تعالى

أتجزع للموت هذا الجزع * ورحمة ربك فيها الطمع

ولو بذنوب الورى جئته * فرحمته كل شئ تسع

رحمه الله تعالى وتوفى قاضى القضاة بدر الدين يوسف المذكور يوم السبت رابع عشر رجب سنة ثلاث وستين وستمائة بالقاهرة ودفن فى تربته المجاورة لمدرسته بالقرافة الصغرى وأخبرنى مرارا عديدة انه ولد

بالزهد والعبادة ثم ترك التدريس وسلك مسلك الصوفية السادة وكان سبب فراغه على ماحكى أنه رأى فى منامه وهو فى أوائل طلبه بمدينة بروسه انه يمشى فى بعض الطرق فسمع أصواتا عالية فقصدها فاذا بقوم من الصوفية قعدوا يذكرون الله تعالى ويرفعون أصواتهم بالذكر الجميل ويزينونها بمفاخر التمجيد والتهليل فتقرب منهم فاذا برجل مراقب فى ناحية منهم فلما وقع نظره عليه رفع رأسه وأشار بيده ودعا اليه فلما حصل عنده قال له لم لم تدخل فى هذه الحلقة ولا تلتحق بتلك الطائفة فاجاب بان فى قلبى مايمنعنى عن ذلك ويعوقنى عنه وهو اتمام مراسم الطريق واحرازا مآثر العلوم الظاهرة والاجتماع بالمولى الفلانى والاشتغال عليه فاذا حصل الى ذلك لا يبقى فى خاطرى مايشوش على فالتحق بكم وأدخل فى مذهبكم ولما انتبه ومضى عليه السنون وتنقلت به الاحوال والشؤن وهو مكب على الطلب والاشتغال واكتساب الفضل والكمال الى ان أتى قسطنطينية فبين هو يسير فى بعض طرقاتها بزمرة من خلانه وطائفة من اخوانه فاذا باصوات عالية تخرج من زاوية فقصد المرحوم هذا المكان بمن عنده من الاصحاب

فى شهر ربيع الاول سنة ثمان وسبعين وخمسمائة فى جبال بلد اربل وهو ززارى النسب رحمه الله تعالى وأسيوط بضم الهمزة وسكون السين المهملة وضم الياء المثناة من تحتها وبعدها واو ساكنة ثم طاء مهملة وهى بليدة بالصعيد الاعلى من ديار مصر ومنهم من يسقط الهمزة ويضم السين فيقول سيوط والله تعالى أعلم

(ابو على يحيى بن عيسى بن جزلة الطبيب صاحب كتاب المنهاج الذى رتبه على الحروف وجمع فيه أسماء الحشائش والعقاقير والادوية وغير ذلك شيأ كثيرا)

وكان نصرانيا ثم أسلم وصنف رسالة فى الرد على النصارى وبين عوار مذاهبهم ومدح فيها الاسلام وأقام الحجة على انه الدين الحق وذكر فيها ماقرأه فى التوراة والانجيل من ظهور النبى صلى الله عليه وسلم وانه نبى مبعوث وان اليهود والنصارى أخفوا ذلك ولم يظهروه ثم ذكر فيها معايب اليهود والنصارى وهى رسالة حسنة أجاد فيها وقرئت عليه فى ذى الحجة سنة خمس وثمانين وأربعمائة وكان سبب اسلامه انه كان يقرأ على أبى على الوليد المعتزلى ويلازمه فلم يزل يدعوه الى الاسلام ويذكر له الدلائل الواضحة حتى هداه الله تعالى وحسن اسلامه وهو تلميذ أبى الحسن سعيد بن هبة الله بن الحسن وبه انتفع فى الطب وكان له نظر فى الادب وكتب الخط الجيد وصنف للامام المقتدى بأمر الله كثيرا من الكتب فمن ذلك كتاب تقويم الابدان وكتاب منهاج البيان فيما يستعمله الانسان وكتاب الاشارة فى تلخيص العبارة ورسالة فى مدح الطب وموافقته للشرع والرد على من طعن عليه ورسالة كتبها الى اليا القس لما أسلم وغير ذلك من التصانيف وهو من المشاهير فى علم الطب وعمله وذكره أبو المظفر يوسف سبط أبى الفرج بن الجوزى فى تاريخه الذى سماه مرآة الزمان فقال انه لما أسلم استخلفه أبو الحسن القاضى ببغداد فى كتب السجلات وكان يطبب أهل محلته ومعارفه بغير أجرة ويحمل اليهم الاشربة والادوية بغير عوض ويتفقد الفقراء ويحسن اليهم ووقف كتبه قبل وفاته وجعلها فى مشهد أبى حنيفة رضى الله عنه ذكر هذا كله فى سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة وعادته أن يذكر الانسان ويشرح أحواله فى سنة وفاته فان كتابه مرتب على السنين وذكر صاحب كتاب البستان الجامع لتواريخ الزمان ان ابن جزلة مات سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة وزاد أبو الحسن الهمذانى فى أواخر شعبان نقله عنه ابن النجار فى تاريخ بغداد وذكر غيره ان اسلامه كان فى سنة ست وستين وأربعمائة زاد ابن النجار فى تاريخه يوم الثلاثاء حادى عشر جمادى الآخرة رحمه الله تعالى وجزلة بفتح الجيم وسكون الزاى وفتح اللام وبعدها هاء ساكنة والله تعالى أعلم

(ابو الفتوح يحيى بن حبش بن أميرك الملقب شهاب الدين السهروردى الحكيم المقتول بحلب)

وقيل اسمه أحمد وقيل كنيته اسمه وهو أبو الفتوح وذكر أبو العباس أحمد بن أبى أصيبعة الخزرجى الحكيم فى كتاب طبقات الاطباء ان اسم السهروردى المذكور عمر ولم يذكر اسم أبيه والصحيح الذى ذكرته أولا فلهذا بنيت الترجمة عليه فانى وجدته بخط جماعة من أهل المعرفة بهذا الفن وأخبرنى به جماعة أخرى لا أشك فى معرفتهم فقوى عندى ذلك فترجمت عليه والله أعلم كان المذكور من علماء عصره قرأ الحكمة وأصول الفقه على الشيخ مجد الدين الجيلى بمدينة المراغة من أعمال أذربيجان الى أن برع فيهما وهذا مجد الدين الجيلى هو شيخ فخر الدين الرازى وعليه تخرج وبصحبته انتفع وكان اماما فى فنونه وقال فى طبقات الاطباء كان السهروردى المذكور أوحد أهل زمانه فى العلوم الحكمية جامعا للعلوم الفلسفية بارعا فى الاصول الفقهية مفرط الذكاء فصيح العبارة وكان علمه أكثر من عقله ثم ذكر انه قتل فى أواخر سنة ست وثمانين وخمسمائة والصحيح ماسنذكره فى أواخر هذه الترجمة ان شاء الله تعالى وعمره نحو ست وثلاثين سنة ثم قال ويقال انه يعرف علم السيمياء (وحكى) بعض فقهاء العجم انه كان فى صحبته وقد خرجوا من دمشق قال فلما وصلنا الى القابون القرية التى على باب دمشق فى طريق من يتوجه الى حلب لقينا قطيع غنم مع تركمانى فقلنا للشيخ يامولانا نريد من هذه الغنم رأسا نأكله فقال معى عشرة دراهم خذوها

والخلان فاذا بقوم يذكرون الله المجيد ويرفعون أصواتهم بالتمجيد والتوحيد وصفت الملائكة بهم وأنزلت السكينة فى قلوبهم فقرب منهم فاذا برجل مراقب براصدر به وبراقب فلما حضر عنده قال ألم يان للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله واعلم ان المولى العلانى قد مات وذهب عرض الاشتغال عليه وفات تأمله المرحوم فاذا هو الذى رأى فى المنام وجرى بينهما من الكلام فلم يؤخر فى الانابة والابتهال وتاب على يده فى الحال ثم سأل عن الرجل فاذا هو الشيخ رمضان والزاوية زاوية على باشا وكان الشيخ رمضان المزبور معدودا من الرجال ومعروفا بالفضل والكمال صاحب الكرامات الجلية والمراتب العلية (منها) ماحكاه المرحوم وقال انى كنت فى بعض الاحيان عند الشيخ اذ دخل عليه شخص وسلم عليه وقال ان المولى محيى الدين المشتهر بجوى زاده يسلم عليكم ويسألكم عن فصوص الشيخ ابن العربى هل هو على الحق أو الباطل وكان المولى المزبور معروفا بتبطيله ومشهورا بالتعصب عليه فلما سمعه الشيخ غضب وقال ما يطلب من ارسالك من الشيخ وهل يريد الاطلاع على دررمكامن

واشتر وابهارأس غنم وكان هناك تركمانى فاشتريناه منه وأسابها ومشينا قليلا فلحقنا رفيق له وقال ردوا هذا الرأس خذوا أصغر منه فان هذا ماعرف يبيعكم يساوى هذا الرأس أكثر من ذلك وتقاولنا نحن واياه فلما عرف الشيخ ذلك قال انا خذوا الرأس وامشوا وأنا أقف معه وأرضيه فتقدمنا نحن وبقى الشيخ يتحدث معه ويطيب قلبه فلما أبعدنا قليلا تركه وتبعنا وبقى التركمانى يمشى خلفه ويصيح به وهو لا يلتفت اليه فلما لم يكلمه لحقه بغيظ وجذب يده اليسرى وقال أين تروح وتخلينى واذا بيد الشيخ قد انخلعت من عند كتفه وبقيت فى يد التركمانى ودمها يجرى فبهت التركمانى وتحير فى أمره فرمى اليد وخاف فرجع الشيخ وأخذ تلك اليد بيده اليمنى ولحقنا وبقى التركمانى راجعا وهو يتلفت اليه حتى غاب عنه فلما وصل الشيخ الينا رأينا فى يده اليمنى منديلا لاغير (قلت) ويحكى عنه مثل هذا أشياء كثيرة والله أعلم بصحتها وله تصانيف فمن ذلك كتاب التنقيحات فى أصول الفقه وكتاب التلويحات وكتاب الهياكل وكتاب حكمة الاشراق وله الرسالة المعروفة بالغربة الغربية على مثال رسالة الطير لابى على بن سينا ورسالة حى بن يقظان لابن سينا أيضا وفيها بلاغة تامة أشار فيها الى حديث النفس وما يتعلق بها على اصطلاح الحكماء ومن كلامه الفكر فى صورة قدسية يتلطف بها طالب الاريحية ونواحى القدس دار لا يطؤها القوم الجاهلون وحرام على الاجساد المظلمة ان تلج ملكوت السموات فوحد الله وأنت بتعظيمه ملآن واذكره وأنت من ملابس الاكوان عريان ولو كان فى الوجود شمسان لانطمست الاركان وأبى النظام ان يكون غير ما كان (مفرد)

خفيت حتى قلت لست بظاهر * وظهرت من سعى على الاكوان

(آخر)

لو علمنا اننا مانلتقى * لقضينا من سليمى وطرا

اللهم خلص لطيفى من هذا العالم الكثيف وتنسب اليه أشعار فمن ذلك ماقاله فى النفس على مثال أبيات ابن سينا العينية وهى مذكورة فى ترجمته فى حرف الحاء واسمه الحسين فقال هذا الحكيم

خلعت هيا كلها بجرعاء الحمى * وصبت لمغناها القديم تشوقا * وتلفتت نحو الديار فشاقها
ربع عفت اطلاله فتمزقا * وقفت تسائله فرد جوابها * رجع الصدى أن لا سبيل الى اللقا
فكأنما برق تألق بالحمى * ثم انطوى فكأنه ما ابرقا

ومن شعره المشهور قوله

أبدا تحن اليكم الارواح * ووصالكم ريحانها والراح
وقلوب أهل ودادكم تشتاقكم * والى لذيذ لقائكم ترتاح
وارحمتا للعاشقين تكلفوا * ستر المحبة والهوى فضاح
بالسران باحوا تباح دماؤهم * وكذا دماء العاشقين تباح
واذا هموا كتموا تحدث عنهم * عند الوشاة المدمع السفاح
وبدت شواهد للسقام عليهم * فيها المشكل امرهم ايضاح
خفض الجناح لكم وليس عليكم * للصب فى خفض الجناح جناح
فالى لقاكم نفسه مرتاحة * والى رضاكم طرفه طماح
عودوا بنور الوصل من غسق الجفا * فالهجر ليل والوصال صباح
صافاهم فصفوا له فقلوبهم * فى نورها المشكاة والمصباح
وتمتعوا فالوقت طاب لقربكم * راق الشراب ورقت الاقداح
ياصاح ليس على المحب ملامة * ان لاح فى افق الوصال صباح
لاذنب للعشاق ان غلب الهوى * كتمانهم فنما الغرام فباحوا
سمحوا بأنفسهم وما بخلوا بها * لما دروا ان السماح رباح
ودعاهم داعى الحقائق دعوة * فغدوا بها مستأنسين وراحوا
ركبوا على سنن الوفا ودموعهم * بحر وشدة شوقهم ملاح
والله ما طلبوا الوقوف ببابه * حتى دعوا وأتاهم المفتاح
لايطربون لغير ذكر حبيبهم * أبدا فكل زمانهم افراح
حضروا وقد غابت شواهد ذاتهم * فتهتكوا لما رأوه وصاحوا
أفناهم عنهم وقد كشفت لهم * حجب البقا فتلاشت الارواح
فتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم * ان التشبه بالكرام فلاح
قم يانديم الى المدام فهاتها * فى كاسها قد دارت الاقداح
من كرم اكرام بدن ديانة * لاخمرة قد داسها الفلاح

هذا الكتاب وغيره مافى تضاعيفه مع أكله فى كل يوم سبع مرات وشبعه من الحرام والشيخ قدس سره ما كتبه الا بعد ما ارتاض خمس عشرة سنة فعاد الرسول بأسوأ وجه وأقبح صورة قال المرحوم فقلت له لو تلطفتم به ودار يتم فى الجواب لكان أسلم لكم ولاحبابكم بعدكم فان له قدرة على الجفا والاذى فقال لابأس بهم غاية الامر انهم يعقدون مجلسا ويدعوننى اليه فنجعل هكذا قال المرحوم لما تكلم الشيخ هذه الكلمة جذب جيبه على وجهه فغاب عن موضعه الذى هو فيه فأخذتنى الحيرة والاضطراب وأحاطت بى الدهشة الى ان جاء وحضر بعد ساعة وقال هكذا نفعل اذا اضطررنا فقلت له ياسيدى هل هو من علم السيمياء قال لا ولكن يحصل للنفوس الناطقة بسبب المجاهدات الشاقة والرياضات الصادقة اتصال بالمجردات فتقتدر على اعدام بدنها وايداعها فى آن وكذا يحصل لها القدرة على مايشبههما من الافاعيل العجيبة والامور الغريبة (ولنعد الى ما كنا فيه) وهو انه لما تاب على يد الشيخ وتلقن الذكر عنه ودخل حجرة من حجرات الزاوية المزبورة لم يرض الشيخ بفراغه عما فيه بالكلية

وله فى النظم والنثر أشياء لطيفة لاحاجة الى الاطالة بذكرها وكان شافعى المذهب ويلقب بالمؤيد بالملكوت وكان يتهم بانحلال العقيدة والتعطيل ويعتقد مذهب الحكماء المتقدمين واشتهر ذلك عنه فلما وصل الى حلب أفتى علماؤها باباحة قتله بسبب اعتقاده وماظهر لهم من سوء مذهبه وكان أشد الجماعة عليه الشيخان زين الدين ومجد الدين ابنا جهبل وقال الشيخ سيف الدين الآمدى المقدم ذكره فى حرف العين اجتمعت بالسهروردى فى حلب فقال لى لابد أن أملك الارض فقلت له من أين لك هذا قال رأيت فى المنام كأنى شربت ماء البحر فقلت لعل هذا يكون اشتهار العلم وما يناسب هذا فرأيته لا يرجع عما وقع فى نفسه ورأيته كثير العلم قليل العقل ويقال انه لما تحقق القتل كان كثيرا ماينشد

أرى قدمى أراق دمى * وهان دمى فهاندمى

والاول ماخوذ من قول أبى الفتح على بن محمد البستى المقدم ذكره

الى حتفى مشى قدمى * أرى قدمى أراق دمى
فلم أنفك من ندم * وليس بنافعى ندمى

وكان ذلك فى دولة الملك الظاهر صاحب حلب ابن السلطان صلاح الدين رحمه الله فحبسه ثم خنقه باشارة والده السلطان صلاح الدين وكان ذلك فى خامس رجب سنة سبع وثمانين وخمسمائة بقلعة حلب وعمره ثمان وثلاثون سنة وذكره القاضى بهاء الدين المعروف بابن شداد قاضى حلب فى أوائل سيرة صلاح الدين وقد ذكر حسن عقيدته فقال كان كثير التعظيم لشعائر الدين وأطال الكلام فى ذلك ثم قال ولقد أمر ولده صاحب حلب بقتل شاب نشأ يقال له السهروردى قيل عنه انه معاند للشرائع وكان قد قبض عليه ولده المذكور لما بلغه من خبره وعرف السلطان به فأمر بقتله فقتله وصلبه أياما ونقل سبط ابن الجوزى فى تاريخه عن ابن شداد المذكور انه قال لما كان يوم الجمعة بعد الصلاة سلخ ذى الحجة سنة سبع وثمانين وخمسمائة أخرج الشهاب السهروردى ميتا من الحبس بحلب فتفرق عنه أصحابه (قلت) وأتيت حلب سنين للاشتغال بالعلم الشريف ورأيت أهلها مختلفين فى أمره وكل واحد يتكلم على قدر هواه فمنهم من ينسبه الى الزندقة والالحاد ومنهم من يعتقد فيه الصلاح وانه من أهل الكرامات ويقولون ظهر لهم بعد قتله ما يشهد له بذلك وأكثر الناس على انه كان ملحدا لا يعتقد شيأ نسأل الله تعالى العفو والعافية والمعافاة الدائمة فى الدين والدنيا والآخرة وان يتوفانا على مذهب أهل الحق والرشاد وهذا الذى ذكرته فى تاريخ قتله هو الصحيح وهو خلاف مانقلته فى أول هذه الترجمة وقد قيل ان ذلك كان فى سنة ثمان وثمانين وليس بشئ أيضا وحبش بفتح الحاء المهملة والباء الموحدة وبالشين المعجمة وأميرك بفتح الهمزة وبعدها ميم مكسورة ثم ياء مثناة من تحتها ساكنة وبعدها راء مفتوحة ثم كاف وهو اسم أعجمى معناه أمير تصغير أميروهم يلحقون الكاف فى آخر الاسم للتصغير وقد تقدم الكلام على سهرورد فى ترجمة الشيخ أبى النجيب عبد القاهر السهروردى فليطلب منه والله تعالى أعلم بالصواب

(أبو جعفر يزيد بن القعقاع القارئ مولى عبد الله بن عياش بن أبى ربيعة المخزومى عتاقة ويعرف أبو جعفر المذكور بالمدنى)

أخذ القراءة عرضا عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما وعن مولاه عبد الله بن عياش بن أبى ربيعة وعن أبى هريرة رضى الله عنه وسمع عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ومروان بن الحكم ويقال قرأ على زيد بن ثابت رضى الله عنه وروى القراءة عنه عرضا نافع بن عبد الرحمن بن أبى نعيم وسليمان بن مسلم بن جماز وعيسى بن وردان الحذاء وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وله قراءة قال أبو عبد الرحمن النسائى يزيد بن القعقاع ثقة وكان يقرئ الناس بالمدينة قبل وقعة الحرة وقال محمد بن القاسم المالكى أبو جعفر يزيد بن القعقاع مولى أم سلمة رضى الله عنها زوج النبى صلى الله عليه وسلم قال ويقال انه جندب بن فيروز مولى عبد الله بن عياش المخزومى وكان من أفضل الناس وقال سليمان بن مسلم أخبرنى أبو جعفر يزيد بن القعقاع أنه كان يقرئ فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الحرة وكانت الحرة على رأس ثلاث وستين

فجمع بين الطريقين حتى بلغ رتبة التدريس وكان يخرج من الحجرة ويذهب الى المدرسة ويدرس فيها ويعود الى الحجرة فيشتغل بالذكر الى أن غلب عليه الحال وانكشف المآل وحبب له الانقطاع والاعتزال فترك التدريس والافادة وتمحض للزهد والعبادة الى ان حصل وكمل وبلغ مراتب الكمل وفوض اليه المشيخة فى زاويه داخل قسطنطينية فاشتغل بالارشاد والافادة وتربية أرباب الارادة (الى ان توفى رحمه الله فى شهر ذى القعدة سنة ثمانين وتسعمائة) وصلى عليه فى جامع السلطان محمد خان واجتمع فى جنازته خلق كثير لايحصون عددا ودفن فى داخل قسطنطينية تجاه زاويته المزبورة وبنى على قبره كان رحمه الله عالما فاضلا عابدا صالحا معرضا عن أبناء الدنيا غير مكترث بالاغنياء لم يدخل قط باب أمير ولم يطأ مجلس وزير لم يعبأ بأرباب الحكم والمناصب ولم يتردد الى بابهم ولم يتقيد بما عندهم ومابهم كلما أرادوا صحبته وأحبوا رؤيته قابلهم بالاجتناب ودفعهم بأحسن جواب وكان رحمه الله مشهورا برد صدقاتهم ودفع عطياتهم ومع ذلك ترك من النقد مايقرب ثمانية آلاف دينار وقوم سائر

سنة من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وأخبرني انه كان يمسك المصحف على مولاه عبد الله بن
عياش وكان من أقرأ الناس وكنت أرى كل ما يقرأ وأخذت عنه قراءته وأخبرني انه أتى به الى أم سلمة
رضي الله عنها وهو صغير فمسحت على رأسه ودعت له بالبركة قال سليمان المذكور وسألته متى أقرأت
القرآن فقال أقرأت أو قرأت فقلت لا بل أقرأت فقال ههات قبل الحرة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
بثلاث وخمسين سنة وقال نافع بن أبي نعيم لما غسل أبو جعفر يزيد بن القعقاع القارئ بعد وفاته نظروا
ما بين نحره الى فؤاده مثل ورقة المصحف فما شك أحد ممن حضره انه نور القرآن وقال سليمان بن مسلم أخبرني
أبو جعفر يزيد بن القعقاع حين كان نافع يمر به فيقول أترى هذا كان يأتيني وهو غلام له ذؤابة فيقرأ على
ثم كفرني وهو يضحك قال سليمان وقالت أم ولد أبي جعفر ان ذلك البياض الذي كان بين نحره وفؤاده
صار غرة بين عينيه وقال سليمان رأيت أبا جعفر بعد موته في المنام وهو على الكعبة فقلت له أبا جعفر قال
نعم اقرأ اخواني عني السلام واخبرهم ان الله تعالى جعلني من الشهداء الاحياء المرزوقين واقرأ أبا حازم
السلام وقل له يقول لك أبو جعفر الكيس الكيس فان الله عز وجل وملائكته يتراءون مجالسك بالعشيات
وقال مالك بن أنس كان أبو جعفر القارئ رجلا صالحا يفتي الناس بالمدينة وقال خليفة بن خياط مات
أبو جعفر يزيد بن القعقاع سنة اثنتين وثلاثين ومائة بالمدينة وقال غيره مات سنة ثمان وعشرين ومائة وقال
أبو علي الاهوازي في أول كتاب الاقناع في القرا آت قال ابن جماز ولم يزل أبو جعفر امام الناس في القراءة
الى أن توفي سنة ثلاث وثلاثين ومائة بالمدينة وقيل انه توفي في سنة ثلاثين ومائة والله أعلم قلت وقد تكرر ذكر
الحرة في هذه الترجمة في مواضع وقد يتشوق الى الوقوف على معرفة ذلك من لا علم له به والحرة في الاصل اسم
لكل أرض ذات حجارة سود فتى كانت بهذه الصفة قيل لها حرة والحرار كثيرة والمراد بهذه الحرة حرة واقم
بالقاف المكسورة وهي بالقرب من المدينة في جهتها الشرقية كان يزيد بن معاوية بن أبي سفيان في مدة
ولايته قد سير الى المدينة جيشا مقدمه مسلم بن عقبة المري فنهبها وأخرج أهلها الى هذه الحرة فكانت الوقعة
بها وجرى فيها ما يطول شرحه وهو مسطور في التواريخ حتى قيل انه بعد وقعة الحرة ولدت أكثر من ألف
بكر من أهل المدينة ممن ليس لهن أزواج بسبب ما جرى فيها من الفجور ثم ان مسلم بن عقبة المري لما قتل أهل
المدينة وتوجه الى مكة نزل به الموت بموضع يقال له ثنية هرشى فدعا حصين بن نمير السكوني وقال له يا برذعة الحمار
ان أمير المؤمنين عهد الى ان نزل بي الموت أن أوليك الجيش وأكره خلافه عند الموت ثم انه أوصى اليه بامور
يعتمدها ثم قال لئن دخلت النار بعد قتلى أهل الحرة اني اذا لشقي وأما واقم فانه اسم أطم من آطام المدينة
والاطم بضم الهمزة والطاء المهملة شبيه بالقصر وكان مبنيا عند هذه الحرة فأضيفت الحرة اليه فقيل حرة
واقم والله تعالى أعلم

(أبو روح يزيد بن رومان القارئ مولى الزبير بن العوّام المدني)

أخذ القراءة عرضا عن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي وسمع ابن عباس وعروة بن الزبير رضي الله
عنهم وروى القراءة عنه عرضا نافع بن أبي نعيم قال يحيى بن معين يزيد بن رومان ثقة وقال وهب بن جرير
حدثنا أبي قال رأيت محمد بن سيرين ويزيد بن رومان يعتدان الآي في الصلاة وقال يزيد بن رومان كنت
أصلي الى جنب نافع بن جبير بن مطعم فيغمزني فافتح عليه ونحن نصلي وروى يزيد أن الناس كانوا يقومون
في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بثلاث وعشرين ركعة في شهر رمضان وتوفي يزيد في سنة ثلاثين ومائة
رحمه الله تعالى ورومان بضم الراء وسكون الواو وبعدها ميم ثم ألف ونون

(أبو خالد يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الازدي)

قد تقدم ذكر أبيه في حرف الميم ورفعت نسبه وتكلمت عليه فأغنى عن الاعادة ههنا ذكر ابن قتيبة في كتاب
المعارف وجماعة من المؤرخين انه لما مات أبوه في التاريخ المذكور في ترجمته كان قد استخلف ولده يزيد مكانه

ويزيد

أملاكه بعشرة آلاف
دينار فتحير الناس في اقامة
السبب وقضوا منه العجب
وكان رحمه الله في غاية
الحب والميل الى خيار الخيل
وكان يكثر من اقتناء
الصافنات ويرسل بعضها
الى الامراء الغزاة وقد ذهب
عمره بالتجرد والانفراد ولم
يتقيد بقيد الاهل والاولاد
وكان رحمه الله صاحب
جذبة عظيمة وغاية قبول
وله في تعبير المنامات ما يبهر
العقول ومن عادته رحمه
الله انه يحضر في بعض
الجنائز فيلقن الميت
ويخاطبه على ما هو المعروف
فيسمع من الميت صوته
الذي يسمع منه في حياته
مجيبا عما يسأله وقد سمعه
غير واحد من العلماء
الاعيان في متفرقات الاحيان
ومن ذلك طعنه على علماء
أوانه ومشايخ زمانه خصوصا
الشيخ مصلح الدين المشتهر
بنور الدين زاده فانه حصل
بينهما وحشة عظيمة فانه
كان يطعن فيه على الفعل
المزبور ويقول انه بدعة
ابتدعها ولم يسبق اليها أحد
من المشايخ العظام والافاضل
الكرام وهو يجيب بان
ساحة الكرامات متسعة
ورتبة الاولياء متفاوتة
ولا يضرنا عدم السبق فيه
وكان يطعن المرحوم فيه
بسبب تردده الى باب
الاغنياء ودخوله مجالس
الوزراء والامراء ويحتج
من منع في القليل والكثير

ويزيد ابن ثلاثين سنة فمكث نحوا من ست سنين من يومئذ نعزله عبد الملك بن مروان برأي الحجاج بن يوسف
الثقفي وولى مكانه في خراسان قتيبة بن مسلم الباهلي قلت وقد تقدم ذكره في حرف القاف وصار يزيد في يد
الحجاج قلت وكان الحجاج زوج أخته هند بنت المهلب وكان الحجاج يكره يزيد لما يرى فيه من النجابة فيخشى
منه لئلا يترتب مكانه فكان يقصده بالمكروه في كل وقت حتى لا يثب عليه وكان الحجاج في كل وقت يسأل
المنجمين ومن يعاني هذه الصناعة عمن يكون مكانه فيقولون رجل اسمه يزيد فلا يرى من هو أهل لذلك سوى
يزيد المذكور والحجاج يومئذ أمير العراقين وكذا وقع فانه لما مات الحجاج ولي يزيد مكانه هذا قول المؤرخين
* ونعود الى تتمة ما ذكره في المعارف قال فعذبه الحجاج وهرب يزيد من حبسه الى الشام يريد سليمان بن
عبد الملك فأتاه فشفع له الى اخيه الوليد بن عبد الملك فأمنه وكف عنه ثم ولاه سليمان خراسان حين أفضت اليه
الخلافة فافتتح جرجان ودهستان وأقبل يزيد يريد العراق فتلقاه موت سليمان بن عبد الملك فصار الى البصرة
فأخذه عدي بن أرطاة فأوثقه وبعث به الى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فحبسه عمر فهرب من حبسه وأتى
البصرة ومات عمر فخالف يزيد وخلع يزيد بن عبد الملك فوجه اليه أخاه مسلمة فقتله * وقال الحافظ أبو القاسم
المعروف بابن عساكر في تاريخه الكبير يزيد بن المهلب ولي امارة البصرة لسليمان بن عبد الملك ثم نزعه عمر
ابن عبد العزيز وولى عمر عدي بن أرطاة وقدم به على عمر مسخوطا عليه وحكى عن أنس بن مالك وعمر بن
عبد العزيز وأبيه المهلب وروى عنه عبد الرحمن وأبو عيينة بن المهلب وأبو اسحق السبيعي وغيرهم وقال
الاصمعي ان الحجاج قبض على يزيد وأخذه بسوء العذاب فسأله أن يخفف عنه العذاب على أن يعطيه كل يوم
مائة ألف درهم فان أداها والا عذبه الى الليل قال فجمع يوما مائة ألف درهم ليشتري بها عذابه في يومه فدخل
عليه الاخطل الشاعر فقال

أبا خالد بادت خراسان بعدكم * وصاح ذووا الحاجات أين يزيد
فلا مطر المروان بعدك مطرة * ولا اخضر بالمروين بعدك عود
فما لسرير الملك بعدك بهجة * ولا لجواد بعد جودك جود

قوله في البيت الثاني فلا مطر المروان ولا اخضر بالمروين هما تثنية مرو واحدهما مرو الشاهجان وهي
العظمى والاخرى مرو الروذ وهي الصغرى وكلتاهما مدينتان مشهورتان بخراسان وقد تكرر ذكرهما
في هذا الكتاب قال فاعطاه المائة ألف فبلغ ذلك الحجاج فدعا به وقال يا مرو زي أفيك هذا الكرم وأنت بهذه
الحالة قد وهبت لك عذاب اليوم وما بعده قلت هكذا ذكر ابن عساكر والمشهور ان صاحب هذه الواقعة
وهذه الابيات هو الفرزدق ثم اني رأيت هذه الابيات في ديوان زياد الاعجم والله أعلم بالصواب وذكر الحافظ
أيضا ان يزيد لما هرب من الحجاج قاصدا سليمان بن عبد الملك وهو يومئذ بالرملة فاجتاز في طريقه بالشام على
أبيات عرب فقال لغلامه استسقنا من هؤلاء لبنا فأتاه بلبن فشربه فقال أعطهم ألف درهم فقال الغلام ان
هؤلاء لا يعرفونك قال لكني أعرف نفسي أعطهم ألف درهم فاعطاهم وقال الحافظ أيضا حج يزيد بن المهلب
فطلب حلاقا فجاء فحلق رأسه فامر له بألف درهم فتحير ودهش وقال بهذا الالف أمضي الى أمي فلانة فاشتريها
فقال أعطوه ألفا أخرى فقال امرأتي طالق ان حلقت رأس أحد بعدك فقال أعطوه ألفين آخرين وقال
المدائني وكان سعيد بن عمرو بن العاص مواخيا ليزيد بن المهلب فلما حبس عمر بن عبد العزيز يزيد منع
الناس من الدخول اليه فأتاه سعيد فقال يا أمير المؤمنين لي على يزيد خمسون ألف درهم وقد حلت بيني
وبينه فان رأيت ان تاذن لي فاقتضيه فأذن له فدخل عليه فسر به يزيد وقال كيف وصلت الي فاخبره سعيد
فقال والله لا تخرج الا وهي معك فامتنع سعيد فألف يزيد ليقبضنها فوجه الى منزله حتى حمل الى سعيد خمسون
ألف دهم وزاد ابن عساكر فقال وفي ذلك قال بعضهم

فلم أر محبوسا من الناس ماجدا * حبا زائرا في السجن غير يزيد
سعيد بن عمرو اذ أتاه أجازه * بخمسين ألفا عجلت لسعيد

يئس الفقير على باب الامير
وهو يجيب عن سؤاله
ويخبر عما في باله بان ذلك
يتضمن اصلاح بعض
الامور التي تتكفل مصالح
الجمهور واعانة الاخ المسلم
واغاثة المظلوم وانجائه من
يد الظالم وكان الناس في
أمرهما فرقتين وفي
تحقيقهما فئتين فمنهم من
يرجح ذاك على هذا ويعد
مسلكه أحسن المسالك
ومنهم من يعكس الامر
فيقدم هذا على ذلك عفا
عنهما الملك القادر فانه أعلم
بما في الضمائر

*(وممن تشرفت بنظمه
هذه القلادة المولى علي بن
عبد العزيز المشتهر بام
الولدزاده)*

كان أبوه قد تولى قضاء
حلب في الدولة العثمانية
على ما هو المذكور في
الشقائق النعمانية نشأ
رحمه الله متأنقا في رياض
المعارف والعلوم ومتدرجا
في معارج المنثور والمنظوم
فاقتطف من أزاهيرها أبهاها
واجتنى من ثمارها ألذها
وأحلاها وسقته شآبيب
العلوم زلالها ومدت دوحة
المعارف عليه ظلالها وجدد
من مباني العلوم ما خاق
ودرس وشيد قواعد
البيان وأسس ولما صار
ملازما من المولى محيي الدين
الفناري درس بمدرسة
بايزيد باشا في مدينة بروسه
بخمسة وعشرين ثم
بمدرسة والده بقسطنطينية

وقال يزيد يوماوالله للحياة أحب من الموت ولثناء حسن أحب الى من الحياة ولوانى أعطيت مالم يعطه أحد لأحببت أن يكون لى اذن أسمع بها غداما يقال فى اذا أنامت وقد سبق ذكر هذا الكلام فى ترجمة أبيه المهلب وأنه من كلامه لامن كلام ابنه يزيدوالله أعلم وقال أبوالحسن المدائنى باع وكيل يزيد بن المهلب بطيخاءه من مغل بعض أملاكه بأربعين ألف درهم فبلغ ذلك يزيد فقال له يزيد تركتنا بقالين أما كان فى عجائز الازدمن تقسمه فيهن وغضب غضباشديداومدحه عمر بن لجا بشعر يقول فيه

آل المهلب قوم ان نسبتهم * كانوا المكارم آباء وأجدادا

كم حاسد لهم يعيابفضلهم * ومادنامن مساعيهم ولا كادا

ان العرانين تلقاهامحسدة * ولا ترى للئام الناس حسادا

لوقيل للمجدحدعنهم وخلهم * بما احتكمت من الدنيالماحادا

ان المكارم أرواح يكون لها * آل المهلب دون الناس أجسادا *

وقال الاصمعى قدم على يزيد بن المهلب قوم من قضاعة فقال رجل منهم

والله ماندرى اذا مافاتنا * طلب لديك من الذى نتطلب

ولقدضربنافى البلادفلم نجد * احداسوالك الى المكارم ينسب

فاصبرلعادتك التى عودتنا * أولا فارشدنا الى من نذهب

فامرله بالف دينارفلما كان فى العام المقبل وفدعليه فانشده

مالى أرى أبوابهم مهجورة * وكان بابك مجمع الاسواق

حابوك أم هابوك أم شاموا الندى * بيديك فاجتمعوا من الآفاق

انى رأيتك للمكارم عاشقا * والمكرمات قليلة العشاق

فامرله بعشرة آلاف درهم واجمع علماء التاريخ على انه لم يكن فى دولة بنى أمية أكرم من بنى المهلب كما لم يكن فى دولة بنى العباس أكرم من البرامكة والله أعلم وكان لهم فى الشجاعة أيضامواقف مشهورة (وحكى ابن الجوزى فى كتاب الاذكياء أن يزيد بن المهلب وقعت عليه حية فلم يدفعها عن نفسه فقال له أبوه ضيعت العقل من حيث حفظت الشجاعة ولماخرج عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث بن قيس الكندى على الحجاج وقصته مشهورة أتى تستر فاجتمع اليه جماعة فذكروا يوما آل المهلب ووقعوا فيهم فقال عبد الرحمن لحريش بن هلال القريعى وكان فى القوم مالك يا أباقدامة لاتتكلم فقال والله ماأعلم أحدا أصون لنفسه فى الرخاء ولا أبذل لها فى الشدة منهم وقدم عبد الرحمن بن سليم الكلبى على المهلب فرأى بنيه قدركبوا عن آخرهم فقال آنس الله الاسلام بتلاحقكم أما والله لئن لم تكونوا أسباط نبوة انكم لأسباط ملحمة ومات ابن لحبيب بن المهلب بن أبى صفرة فتقدم أخاه يزيد ليصلى عليه فقيل له أتقدمه وأنت أسن منه والميت ابنك فقال ان أخى قد شرفه الناس وشاع فيهم له الصيت ورمقته العرب بابصارها فكرهت ان أضع منه ماقدرفعه الله تعالى ونظر مطرف بن عبد الله بن الشخير الى يزيد بن المهلب وهو يمشى وعليه حلة يسحبها فقال له ماهذه المشية التى يبغضها الله ورسوله فقال يزيد أماتعرفنى فقال بلى أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت بين ذلك تحمل العذرة قلت وقد نظم هذا المعنى أبو محمد عبد الله البسامى الخوارزمى

عجبت من معجب بصورته * وكان من قبل نطفة مذره

وفى غدبعدحسن صورته * يصيرفى الارض جيفة قذره

وهوعلى عجبه ونخوته * مابين جنبيه يحمل العذره

وذكر الحافظ المعروف بابن عساكر فى تاريخه الكبير فى ترجمة أبى خراش مخلد بن يزيد بن المهلب ان مخلدا أحد الاسخياء الممدوحين وفدعلى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه يكلمه فى أمر أبيه يزيد وقد حبسه عمر وكان أبوه قدولاه جرجان فاجتاز فى طريقه بالكوفة فأتاه حمزة بن بيض الحنفى الشاعر المشهور فى جماعة من أهل الكوفة فقام بين يديه وأنشده

أتيناك فى حاجة فاقضها * وقل مرحبا يجب المرحب

ثلاثين ثم بمدرسة هراز غرادبار بعين ثم بالمدرسة الخنجرية فى بروسة بخمسة وأربعين ثم صاروظيفته فيها خمسين ثم انفصل وبقى فى شدائد العزل عدة سنين وجرعه الدهر الغشوم بكاسات الغموم والهموم وألبسه ملابس الذل والهوان حتى اضطره الى مضايق الامتحان ونعماقيل (شعر)

لاتنكرى ياعزان ذل الفتى ذوالاصل واستعلى لئيم المحتد

ان البزاة رؤسهن عواطل والتاج معقود برأس الهدهد

ثم قلد مدرسة أبى أيوب الانصارى عليه رحمة البارى ثم نقل الى احدى المدارس الثمان ثم الى مدرسة السلطان محمد بن السلطان سليمان ثم قلد قضاء حلب فباشره بالعفة والامانة والنزاهة والديانة وقبل ان يقضى منه الوطرغاض منهل عيشه وتكدر ومات بعدعدة أشهر ولم يكمل سنة (فى شهر محرم سنة احدى وثمانين وتسعمائة) كان رحمه الله عالما أديبا وفاضلا لبيبا مبرزا فى ميدان الفضل والبراعة حائزا قصبات السبق فى مضمار هذه الصناعة حمل الوية العلم والادب بايدى الهمة والطلب فلك نجوم اسرار كلام العرب وقلد جيد الزمان بخرائد بدائع البيان وقد أثبت من هذه الخرائد مايزين به صدور الصحف

ولا

ولاتكلنا الى معشر * متى يعدواعدة يكذبوا

فانك فى الفرع من أسرة * لهم خضع الشرق والمغرب

وفى أدب فيهم مانشأت * فنعم لعمرك ما أدبوا

بلغت لعشر مضت من سنيـ * ـك مايبلغ السيد الاشيب

فهمك فيهاجسام الامور * وهم لداتك أن يلعبوا

وجدت فقال الاسائل * فيسأل أو راغب يرغب

فمنك العطية للسائلين * وممن ببابك أن يطلبوا

فقال هات حاجتك فقضاها وقيل أمر له بمائة ألف درهم وقدم على مخلد رجل قدزاره قبل ذلك فأجازه وقضى حقه فلماعاد اليه قال له مخلد ألم تكن أتيتنا فأجزناك فقال بلى قال فما الذى ردك الينا قال قول الكميت فيك

فأعطى ثم أعطى ثم عدنا * فأعطى ثم عدت له فعادا

مرارا ما أعود اليه الا * تبسم ضاحكا وثنى الوسادا

فاضعف له ما كان أعطاه وقال قبيصة بن عمر المهلبى كان يزيد بن المهلب قد فتح جرجان وطبرستان وأخذ صول وهورئيس من رؤسائهم قال كان صاحب جرجان وهوجد ابراهيم بن العباس الصولى وأبى بكر محمد بن يحيى الصولى الاديبين الشاعرين المشهورين قال فأصاب يزيد أموالا كثيرة وعروضا كثيرة فكتب الى سليمان بن عبد الملك انى قد فتحت طبرستان وجرجان ولم يفتحهما أحد من الاكاسرة ولا أحد ممن كان بعدهم غيرى وانى باعث اليك بقطارات عليها أحمال الاموال والهدايا يكون أولها عندك وآخرها عندى فلمامات سليمان وأفضت الخلافة الى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه بعده أخذ عمر بهذه العدة لسليمان فحبسه فقدم ابنه مخلد على عمر قال قبيصة المهلبى وهب مخلد من لدن خروجه من مرو الشاهجان الى أن وردد مشق ألف ألف درهم فلما أراد مخلد الدخول على عمر لبس ثيابا مستنكرة وقلنسوة لاطية فقال له عمر لقد شمرت فقال له اذا شمرتم شمرنا واذا أسبلتم أسبلنا ثم قال له قدوسع الناس عفوك فما بالك حبست هذا الشيخ فان تكن عليه بينة عادلة فاحكم عليه والافيمينه أوفصالحه على ضياعه فقال يزيد اماالايمين فلا تتحدث العرب ان يزيد بن المهلب صبر عليها ولكن ضياعى فيها وفاء لمايطالب ومات مخلد وهوابن سبع وعشرين سنة فقال عمر لوأراد الله بهذا الشيخ خيرالأبقى له هذا الفتى ويقال ان مخلد بن يزيد أصابه الطاعون فمات وصلى عليه عمر ابن عبد العزيز رضى الله عنه ثم قال اليوم مات فتى العرب وأنشد متمثلا

على مثل عمرو تذهب النفس حسرة * وتضحى وجوه القوم مغبرة سودا

ورثاه حمزة بن بيض الحنفى المقدم ذكره بأبيات منها

وعطلت الاسرة منك الا * سريرك يوم تحجب بالثياب

وآخرعهدنابك يوم يحثى * عليك بدابق نهل التراب

وقال الفرزدق يرثيه

وماحملت ايديهم من جنازة * ولا ألبست أثوابها مثل مخلد

أبوك الذى تستهزم الخيل باسمه * وان كان فيهاقيد شبرمطرد

وقد علموا اذشد حقويه انه * هوالليث ليث الغاب لاباالمعربد

قلت وهذا يدل على ان مخلد بن يزيد مات فى حدود سنة مائة من الهجرة لان عمر بن عبد العزيز ولى الخلافة فى صفر سنة تسع وتسعين وتوفى فى رجب سنة احدى ومائة وقدمات عنده وصلى عليه ويدل على ان موت مخلد كان بدابق ماتقدم من مرثية حمزة بن بيض ودابق قرية من اعمال حلب من جانبها الشمالى واليها ينسب المرج الذى يقال له مرج دابق وبه كانت وفاة سليمان بن عبد الملك وقبره هناك مشهور (ونعود الى ذكر يزيد) قال أبوجعفر الطبرى فى تاريخه الكبيران المغيرة بن المهلب كان نائبا عن أبيه بمرو وعمله كله ومات فى رجب سنة اثنتين وثمانين كماذكرناه فى ترجمة المهلب فأتى الخبر الى يزيد وعلم أهل العسكر ولم يعلموا المهلب واحب يزيد ان يعلمه من النساء فصرخن فقال المهلب ماهذا فقيل مات المغيرة فاسترجع وجزع حتى ظهر جزعه عليه فلامه بعض خاصته فدعا يزيد فوجهه الى مرووجعل يوصيه بما يعمل ودموعه تنحدر على

والجرائد فى رسالته القلمية يسئلونك عن ذى القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا انه فتى مكن له فى الارض وأوتى من كل شئ سببا قدسعى فى الاقاليم والولايات الى ان بلغ سعيه الظلمات حكيم ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه أديب حازقصبات البلاغة ببديع بيانه نبى صاحب كتاب وآيات قدأتى بالمعجزات والبينات حدث عن مغيبات الانباء وأجرى من أصبعه الماء كأنه ذو النون التقمه نون ونبذه بالعراء أويعقوب يدوم على الانين والبكاء كعب الاحبار يحدث باساطير الاولين ويخبر عماجرى على القرون الاقدمين مسود متى مابعد أهل المآثر تنعقد عليه الخناصر عامل يرفع وينصب للجرولا يعمل جزما اذا لحقه الكسر هندى الساق دقيق أعجمى لكنه معرب ملاق حتى اذا تحدث أطرق ورشح الحياء جبينه بالعرق منقب الحكم والعرفان تجرى منه عينان نضاختان فتق اللسان لايبقى عن الناس فاه واهذا لايخلص عن التفريع قفاه سبط البنان فى الكرم شديد باسه ولايجىء منه برالاان تقطع رأسه حسيب يتبلج السودد من جبينه من أصحاب اليمن قدأوتى كتابه بيمينه صاحب لبيب وكاتب

لحيته وكتب الحجاج الى المهلب يعزيه عن المغيرة وكان سيدا قلت وكان للمغيرة ابن اسمه بشر ذكره ابو تمام الطائى فى كتاب الحماسة فى الباب واورد من شعره قوله فى يزيد

جفانى يزيد والمغيرة قد جفا * وامسى يزيد لى قد ازور جانبه
وكلهم قد نال شبعا لبطنه * وشبع الفتى لؤم اذا جاع صاحبه
فياعم مهلا واتخذنى لنوبة * تنوب فان الدهر جم نوائبه
انا السيف الا ان للسيف نبوة * ومثلى لا تنبو عليك مضاربه
على اى باب ابتغى الاذن بعدما * حجبت عن الباب الذى انا حاجبه *

(رجعنا الى تتمة كلام الطبرى) وكان المهلب يوم مات المغيرة مقيما بكش وراء النهر لحرب اهلها فسار يزيد فى ستين فارسا فلقيهم خمسمائة من الترك فى المفازة وحاصل الامر انه جرى بينهم قتال شديد ورمى يزيد فى ساقه ثم ان المهلب صالح اهل كش على فدية وانصرف عنهم متوجها الى مرو فلما وصل الى زاغول قرية من اعمال مرو الروذ اصابته الشوصة فدعا اولاده حبيبا ومن حضره من ولده ودعا بسهام فحزمت وقال افترونكم كاسريها مجتمعة فقالوا لا قال افترونكم كاسريها مفترقة قالوا نعم قال هكذا الجماعة ثم اوصاهم وصية طويلة لا حاجة الى ذكرها ثم قال فى آخرها وقد استخلفت يزيد وجعلت حبيبا على الجند حتى يقدم بهم على يزيد فلا تخالفوا يزيد فقال له ولده المفضل لو لم تقدمه لقدمناه ومات المهلب حسبما شرحناه فى ترجمته واوصى الى حبيب فصلى عليه حبيب ثم سار الى مرو فكتب يزيد الى عبد الملك بوفاة المهلب واستخلافه اياه فأقره الحجاج ثم انه عزله فى سنة خمس وثمانين واستعمل اخاه المفضل وكان سبب ذلك ان الحجاج وفد على عبد الملك فمر فى منصرفه بدير فنزله فقيل له ان بهذا الدير شيخا من اهل الكتب عالما فدعا به وقال يا شيخ هل تجدون فى كتبكم ما انتم فيه ونحن فقال نعم نجد ما مضى من امركم وما انتم فيه وما هو كائن قال اسمى ام موصوفا قال كل ذلك موصوف بغير اسم واسم بغير صفة قال فما تجدون صفة امير المؤمنين قال نجده فى زماننا الذى نحن فيه انه ملك أقرع من يقم لسبيله يصرع قال ثم من قال رجل يقال له الوليد قال ثم ماذا قال رجل اسمه اسم نبى يفتح به على الناس قلت وهو سليمان بن عبد الملك قال أفتعلم ما يلى قال نعم قال فمن يليه بعدى قال رجل يقال له يزيد قال فى حياتى أم بعد موتى قال لا أدرى قال أفتعرف صفته قال يغدر غدرة لا أعرف غير هذا قال فوقع فى نفسه انه يزيد بن المهلب وارتحل فسار سبعا وهو وجل من قول الشيخ وقدم فكتب الى عبد الملك أن يستعفيه من العراق فكتب اليه قد علمت الذى تعنى وانك تريد ان تعلم رأيى فيك ثم ان الحجاج أجمع على عزل يزيد فلم يجد لذلك سبيلا حتى قدم الخيار بن سبرة وكان من فرسان المهلب وكان مع يزيد فقال له الحجاج أخبرنى عن يزيد فقال حسن الطاعة لين السيرة قال كذبت أصدقنى عنه فقال الله أجل وأعظم قد أسرج ولم يلجم قال صدقت واستعمل الخيار على عمان بعد ذلك ثم كتب الى عبد الملك يذم يزيد وآل المهلب وخلاصة الامر انه كرر القول مع عبد الملك فى ذلك الى ان كتب اليه عبد الملك قد أكثرت فى يزيد وآل المهلب فسم لى رجلا يصلح لخراسان فسمى له مجاعة بن سعيد السعدى فكتب اليه عبد الملك ان رأيك الذى دعاك الى استفساد آل المهلب هو الذى دعاك الى مجاعة بن سعيد السعدى فانظر لى رجلا حازما ماضيا لامرك فسمى قتيبة بن مسلم الباهلى فكتب اليه أن وله فبلغ يزيد أن الحجاج عزله فقال لاهل بيته من ترون الحجاج يولى خراسان قالوا رجلا من ثقيف قال كلا والله ولكنه يكتب الى رجل منكم بعهده فاذا قدمت عليه ولى غيره وأخلق بقتيبة ابن مسلم قال فلما أذن عبد الملك للحجاج فى عزل يزيد كره أن يكتب بعزله فكتب اليه أن استخلف أخاك المفضل وأقبل فاستشار يزيد الحصين بن المنذر فقال له أقم واعتل فان أمير المؤمنين حسن الرأى فيك وانما أتيت من الحجاج فان أقمت ولم تعجل رجوت ان يكتب اليه ان يقر يزيد فقال انا أهل بيت بورك لنا فى الطاعة وأنا أكره المعصية والخلاف وأخذ فى الجهاز فابطأ ذلك على الحجاج فكتب الى أخيه المفضل انى قد وليتك خراسان فجعل المفضل يستحث يزيد فقال له يزيد ان الحجاج لا يقرك بعدى وانما دعاه الى ما صنع مخافة أن أمتنع عليه قال بل حسدتنى قال يزيد انا لا أحسدك ولكن ستعلم وخرج يزيد فى شهر ربيع الآخر سنة

أديب ما من علم الا وله فيه قدم راسخ وما من رقعة من رقاع الاوهام الا وهو بمحققات توقيعاته لها ناسخ نقاش الاوان يصور النقوش الصينية على بسط الروم مدرس الزمان قد صبغ يده فى جميع العلوم اذا أنشأ وشى اذا عبر حبر ظلوم خرق استار الاسرار وسرق من خزائن الافكار فقبض وأخذ باليمين وتل للجبين وحزمت أطرافه وقطع منه الوتين أصم وهو يسمع الدعاء ينطق ويتحدث والعجب ان رأسه فى الماء أبكم قارئ معبد جار صامت ولكنه كليم مكب على وجهه مع انه يمشى سويا على صراط مستقيم (ومن كلماته) اللطاف فى وصف الصوارم والاسياف ملك فى قبضته الامور كأنه سفاح أو تيمور وهو لسلم المسلمين برهان ساطع ولتبار الكافرين نص قاطع شجاع يقتحم العقبات جواد يفك الرقبات يهز عطفه فى المهالك ولا يصرف وجهه قطعا فى المعارك بأسه شديد ولسانه حديد آخذ الايدى معطى الايادى أقعس وانط لا يؤمن منه الهلاك والشطط أمير يملك رقاب العباد شديد الصولة لكنه سهل القياد نار فى فعله ماء فى شكله غيم يخرج امطار الدماء من خلاله جعل الله الجنة تحت ظلاله سام تسجد له الرؤس

خمس وثمانين فعزل الحجاج المفضل وولى قتيبة بن مسلم الباهلى وقيل فيروز بن حصين وقال حصين بن منذر ليزيد المذكور

أمرتك أمرا حازما فعصيتنى * فاصبحت مسلوب الامارة نادما
فما انا بالباكى عليك صبابة * وما انا بالداعى لترجع سالما

فلما قدم قتيبة خراسان قال للحصين كيف قلت ليزيد قال قلت

أمرتك أمرا حازما فعصيتنى * فنفسك أولى اللوم ان كنت لائما
فان يبلغ الحجاج أن قد عصيته * فانك تلقى أمره متفاقما

قال فماذا أمرته به فعصاك قال أمرته أن لا يدع صفراء ولا بيضاء الا حملها الى الامير وفى تولية قتيبة وعزل يزيد قال عبد الله بن همام السلولى

أقتيب قد قلنا غداة أتيتنا * بدل لعمرك من يزيد أعور
ان المهلب لم يكن كأبيكم * هيهات شانكموا أدق وأحقر
شتان من بالصنج أدرك والذى * بالسيف شمر والحروب تسعر
حولان باهلة الألى فى ملكهم * مات الندى فيهم وعاش المنكر

قوله بدل أعور هذا مثل يضرب به للرجل المذموم يتولى بعد الرجل المحمود يقال بدل أعور وخلف أعور وقوله من بالصنج أدرك يقال ان قتيبة كان يضرب بالصنج فى بدء أمره وقوله حولان باهلة جمع أحول وكان قتيبة أحول وهذا الجمع مثل قولهم اسود وسودان واحمر وحمران وقد قيل ان هذه الابيات ليست لعبد الله ابن همام وانها النهار بن توسعة اليشكرى ثم ذكر الطبرى فى سنة تسع وتسعين ان الحجاج خرج الى الاكراد الذين غلبوا على عامة أرض فارس فخرج يزيد معه واخواه المفضل وعبد الملك وجعل عليهم فى العسكر كهيئة الخندق وجعلهم فى فسطاط قريبا منه وجعل عليهم حرسا من أهل الشام واغرمهم ستة آلاف ألف وأخذ يعذبهم وكان يزيد يصبر صبرا حسنا وكان الحجاج يغيظه ذلك فقيل له انه رمى بنشابة فثبت أصلها فى ساقه فصار لا يمسها شئ الا صاح فان حركت أدنى شئ سمعت صوته فأمر ان يعذب به و يدهق ساقه فلما فعل به ذلك صاح وأخته هند عند الحجاج فلما سمعت صياح يزيد صاحت وناحت فطلقها ثم انه كف عنهم واقبل يستأديهم فأخذوا يؤدون وهم يعملون فى المخلاص من مكانهم فبعثوا الى مروان بن المهلب وهو بالبصرة يأمرونه أن يضمر لهم الخيل ويرى الناس انه يريد بيعها ويعرضها على البيع ويغلى بها كى لا تشترى فتكون لنا عدة ان نحن قدرنا ان نجو من ههنا ففعل ذلك مروان بن المهلب وحبيب بالبصرة يعذب أيضا فأمر يزيد بالحرس فصنع لهم طعام كثير فأكلوا وأمر لهم بشراب فسقوا وكانوا متشاغلين به ولبس يزيد ثياب طباخه ووضع على لحيته لحية بيضاء وخرج فرآه بعض الحرس فقال كأن هذه مشية يزيد فجاء حتى استعرض وجهه ليلا فرأى بياض اللحية فانصرف عنه وقال هذا شيخ وخرج المفضل على اثره ولم يفطن له فجاؤا الى سفينة وقد هيؤها فى البطائح وبينهم وبين البصرة ثمانية عشر فرسخا فلما انتهوا الى السفينة أبطأ عليهم عبد الملك وشغل عنهم فقال يزيد للمفضل اركب بنا فانه لاحق فقال المفضل وكان عبد الملك أخاه لأمه لا والله لا أبرح حتى يجئ عبد الملك ولو رجعت الى السجن فأقام يزيد حتى جاءهم عبد الملك وركبوا فى السفينة وساروا ليلتهم حتى أصبحوا ولما أصبح الحرس علموا بذهابهم فرفع ذلك الى الحجاج ففزع لذلك الحجاج وذهب وهمه انهم ذهبوا قبل خراسان وبعث البريد الى قتيبة بن مسلم يخبره قدومهم ويأمره ان يستعد لهم وبعث الى امراء الثغور والكور أن يرصدوهم ويستعدوا وبعث الى الوليد بن عبد الملك يخبره بهم وانه لا يراهم أرادوا الا خراسان ولم يزل الحجاج يظن بيزيد ما صنع وكان يقول انى لأظنه يحدث نفسه بمثل الذى صنع ابن الاشعث (قلت ابن الاشعث هو عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث بن قيس الكندى وكان قد خرج على عبد الملك ابن مروان وقصته مشهورة مذكورة فى التواريخ) قال الطبرى ولما دنا يزيد من البطائح استقبلته الخيل وقد هيئت لهم فخرجوا عليها ومعهم دليل فأخذ بهم على السماوة وأتى الحجاج بعد يومين فقيل له انما أخذ الرجل طريق الشام وهذه الخيل لهم فى الطريق وقد أتى من رآهم متوجهين فى البر فبعث الى الوليد يعلمه

ويخضع له الاعناق حام يحمى بيضة الدين فى الآفاق ذكر بلا ارتياب الا انه شعار ارباب الحجاب يحيض ويتدهن ويتحلى من أساور من فضة ويتزين صوفى تجرد وقطع العلائق وتصفى عن كدورات العوائق يجلس فى الزوايا ويحلى عن اصداء الرزايا من آل حرب أجل مشاجح وكفاه قوله تعالى وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع (ومن كلام ذلك النحرير) فى وصف الشمع المنير جميل كحيل العين بين المحاجر وط الهامة بادى البشرة ضحاك بالطبع مستقيم القامة كوكب درى باهر النور والسناء يهدى الله لنوره من يشاء يقصده الاوباش من الفراش روما لاطفائه ونبوره يريدون ان يطفؤا نور الله بافواههم والله متم نوره نديم يحسن انتناسه بين جلاسه والعجب انه تزداد حياته بعد قطع رأسه اسكندر يخوض فى الظلام الحالك مبارز يتبرى الرأس فى المهالك زاهد يحيى الليالى ويقيم أصبعه لتوحيد الرب المتعالى يشهد بوحدانية الرحمن ويداوم ذكر آيات النور والدخان هيفاء تلهى عيون الباصرين فاقع لونه تسر الناظرين عليل منى بالحرقة فاسود لسانه وذاب جسمه واحترق

بذلك ومضى يزيد حتى قدم فلسطين فنزل على وهيب بن عبد الرحمن الازدى وكان كريما على سليمان بن عبد الملك وجاء وهيب حتى دخل على سليمان فقال ان يزيد واخوته عندى وقد أتوا هربا من الحجاج متعوذين بك فقال ائتنى بهم فهم آمنون لا يوصل اليهم أبدا وانا حى فجاء بهم حتى دخلوا عليه فكانوا فى مكان أمن وكتب الحجاج الى الوليد بن عبد الملك ان آل المهلب خانوا مال الله وهربوا منى ولحقوا بسليمان فلما بلغ الوليد مكانهم عند سليمان أخيه هوّن عليه بعض ما كان فى نفسه وطار غضبا للمال الذى ذهبوا به وكتب الوليد الى أخيه سليمان ان يزيد بن المهلب عندك وقد آمنته وانما عليه ثلاثة آلاف ألف كان الحجاج غرمهم ستة آلاف ألف فادى ثلاثة آلاف ألف وبقيت ثلاثة آلاف ألف فهى عليه فكتب اليه الوليد لا والله لا أؤمنه حتى تبعث به الى فكتب اليه لئن انا بعثت به اليك لاجيئن معه فأنشدك الله أن لا تفضحنى ولا تخفرنى فكتب اليه الوليد والله لئن جئتنى به لا أؤمنه فقال يزيد ابعثنى اليه فوالله ما احب أن أوقع بينك وبينه عداوة وحربا ولا ان يتشاءم بى لكما الناس ابعث الىّ بى وارسل معى ابنك واكتب اليه بالطف ماقدرت عليه فارسل ابنه أيوب معه وكان الوليد أمره ان يبعث به اليه فى وثاق فبعثه اليه وقال لابنه اذا أردت ان تدخل عليه فادخل أنت ويزيد فى سلسلة على الوليد ففعل ذلك حتى انتهيا الى الوليد فدخلا عليه فلما رأى ابن أخيه فى سلسلة مع يزيد قال والله قد بلغنا من سليمان ثم ان الغلام دفع كتاب أبيه الى عمه وقال يا أمير المؤمنين نفسى فداؤك فلا تخفر ذمة أبى وأنت أحق من منعها ولا تقطع منا رجاء من رجا السلامة فى جوارنا لمكاننا منك ولا تذل من رجا العز فى الانقطاع الينا العزنا بك وقرأ الكتاب فاذا فيه لعبد الله الوليد أمير المؤمنين من سليمان بن عبد الملك أما بعد يا أمير المؤمنين فوالله انى لا أظن انه لو استجار بى عدو قد نابذك وجاهدك لانزلته وأجرته فانك لا تذل جارى ولا تخفر جوارى بل انى لم اجر الا سامعا مطيعا حسن البلاء والاثر فى الاسلام هو وأبوه وأهل بيته وبعد فقد بعثت به اليك فان كنت انما تعرف قطيعتى والاخفار لذمتى والابلاغ فى مساءتى فقد قدرت ان أنت فعلت ذلك وانا أعيذك بالله من اختيار قطيعتى وانتهاك حرمتى وترك برى وصلتى فوالله يا أمير المؤمنين ما تدرى ما بقائى وبقاؤك ولا متى يفرق الموت بينى وبينك فان استطاع أمير المؤمنين أدام الله سروره ان لا يأتى علينا أجل الوفاة الا وهو لى واصل ولحقى مؤد وعن مساءتى نازع فليفعل والله يا أمير المؤمنين ما أصبحت لشئ من أمور الدنيا بعد تقوى الله فيها باسرّ منى برضاك وسرورك ولرضاك مما التمس به رضوان الله فان كنت يا أمير المؤمنين تريد يوما من الدهر مسرتى وصلتى وكرامتى واعظام حقى فتجاوز لى عن يزيد وكل ما طالبته به فهو على فلما قرأ كتابه قال لقد شققنا على سليمان ثم دعا ابن أخيه فأدناه منه ثم تكلم يزيد فحمد الله تعالى واثنى عليه وصلى على نبيه وآله وسلم ثم قال يا أمير المؤمنين ان بلاءكم عندنا أحسن البلاء فمن ينسى ذلك فلسنا بناسيه ومن يكفر فلسنا بكافريه وقد كان من بلائنا اهل هذا البيت فى طاعتكم والطعن فى أعين أعدائكم فى المواطن العظام فى المشارق والمغارب ما ان المنة فيه عظيمة فقال له اجلس فجلس فآمنه وكف عنه ورجع الى سليمان وسعى اخوته فى المال الذى كتب عليه وكتب الى الحجاج انى لم أصل الى يزيد واهل بيته مع سليمان فاكفف عنهم وانته عن الكتاب الى فيهم فلما بلغ ذلك الحجاج كف عنهم وكان ابو عيينة عند الحجاج عليه ألف الف درهم فتركها له وكف عن حبيب بن المهلب واقام يزيد عند سليمان تسعة أشهر فى رغد عيش وانعم بال لا تأتى سليمان هدية الا أرسل نصفها اليه وقال بعض جلساء يزيد له لم لا تتخذ لك دارا فقال وما اصنع بها ولى دار حاصلة مجهزة على الدوام فقال له وأين هى فقال ان كنت متوليا فدار الامارة وان كنت معزولا فالسجن ومن كلام يزيد ما يسرنى انى كفيت امور دنياى كلها ولى الدنيا بحذافيرها فقيل له ولم ذلك فقال انى أكره عادة العجز ثم ان الحجاج مات فى شوال سنة خمس وتسعين للهجرة وقيل كانت وفاته لخمس ليال بقين من شهر رمضان فى السنة وعمره ثلاث وخمسون سنة وقيل اربع وخمسون سنة ولما حضرته الوفاة استخلف يزيد بن ابى كبشة على الحرب والصلاة بالمصرين البصرة والكوفة وولى خراجهما يزيد بن ابى مسلم فاقرهما الوليد وكذلك فعل بكل من استخلفه الحجاج وقيل بل الوليد هو الذى

ولاهما

جنانه أوصب قد أفناه الهوى وأحرق كبده حر النوى فؤاده يحترق وجسده تحت رق شيخ فان قد اشتعل منه الرأس شيبا وسابت العبرات من جفونه سيبا (وله رسائل أخرى جزيلة) وآثار من المنثور جليلة ولنكتف بهذا القدر اليسير فان القليل يدل على الكثير وله من المنظوم درر الفوائد وغرر القصائد ومن كلماته المستأهلة للورود قصيدته الميمية التى عارض بها ميمية المفتى أبى السعود ولنورد فيها الابيات الحليقة للاثبات

قصيدة

أبا لصد تحلو عشرة ونداموفى القلب من نار الغرام ضرام
شربت بذكر العامرية قهوةفسكرى الى يوم القيام مدام
تكدر وردى بعد بعد مزارهاولم يبق عيش فى صفا ومنام
وسد على الدهر أبواب سلوتىفيا فرحة الدنيا عليك سلام
وطال نواحى بالنواحى بزفرةوأعدمنى برح النوى وغرام
الا بلغا عنى الى من بذا الحىتحية صب قد عراه هيام
وقولا لها عنى لقد شفنى الضناوزاد نحيبى بعدها وسقام
سلبت لذيذ النوم مذ حل بى الهوىوذلك شئ فى الوداد حرام
رمانى زمانى بالبعاد ومالىلذكرك دمعى كالعيون سجام

ولاهما وكانت ولاية الحجاج بالعراقين عشرين سنة ثم توفى الوليد بن عبد الملك يوم السبت النصف من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين للهجرة بدير مروان قلت وهو بسفح جبل قاسيون ظاهر دمشق ودفن فى مقابر باب الصغير ظاهر دمشق وبويع سليمان بن عبد الملك فى اليوم الذى مات فيه اخوه الوليد وفى هذه السنة اعنى سنة ست وتسعين عزل سليمان بن عبد الملك يزيد بن ابى مسلم عن العراق وامر عليه يزيد بن المهلب وقال خليفة بن خياط جمع ليزيد المصران يعنى الكوفة والبصرة سنة سبع وتسعين والله اعلم وجعل صالح ابن عبد الرحمن على الخراج وامره ان يقتل آل ابى عقيل فكان يعذبهم وكان يلى عذابهم عبد الملك بن المهلب وكان الوليد قد عزم على خلع أخيه سليمان عن ولاية العهد ويجعل ولى عهده ولده عبد العزيز بن الوليد وتابعه على ذلك الحجاج وقتيبة بن مسلم الباهلى والى خراسان الذى تولى بعد يزيد بن المهلب كما سبق ذكره قبل هذا فلما ولى سليمان الخلافة خافه قتيبة بن مسلم وتوهم انه يعزله ويولى خراسان يزيد بن المهلب فكتب الى سليمان كتابا يهنئه بالخلافة ويعزيه عن الوليد ويعلمه بلاءه وطاعته لعبد الملك والوليد وانه على مثل ما كان لهما عليه من الطاعة والنصيحة ان لم يعزله عن خراسان وكتب اليه كتابا آخر يعلمه فيه فتوحه ومكانه وعظم قدره عند ملوك العجم وهيبته فى صدورهم ويذم المهلب وآل المهلب ويحلف بالله لئن استعمل يزيد على خراسان ليخلعنه وكتب كتابا ثالثا فيه خلعه وبعث بالكتب الثلاثة مع رجل من باهلة وقال له ادفع اليه هذا الكتاب فان كان يزيد بن المهلب حاضرا فقرأه ثم ألقاه اليه فادفع اليه هذا الكتاب وان قرأ الاول فاحتبسه ولم يدفعه الى يزيد فاحتبس الكتابين الآخرين قال فقدم رسول قتيبة بن مسلم على سليمان وعنده يزيد بن المهلب فدفع اليه الكتاب فقرأه ثم ألقاه الى يزيد فدفع اليه الكتاب الآخر فقرأه ثم رماه الى يزيد فأعطاه الكتاب الثالث فقرأه فتغير لونه ثم دعا بطين فختمه ثم أمسكه بيده وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى كان فى الكتاب الاول وقيعة فى يزيد بن المهلب وذكر غدره وكفره وقلة شكره وفى الكتاب الثانى تناعل يزيد ٣ وفى الكتاب الثالث لئن لم تقرنى على ما كنت عليه وتؤمننى لاخلعنك خلع النعل ولأملأنها عليك خيلا ورجالا ثم ان سليمان أمر برسول قتيبة أن ينزل بدار الضيافة فلما أمسى دعا به واعطاه صرة فيها دنانير وقال هذه جائزتك منى وهذا عهد صاحبك على خراسان فسر وهذا رسولى معك بعهده فخرج الباهلى ومعه رسول سليمان فلما كان بحلوان تلقاهم الناس بخلع قتيبة فرجع رسول سليمان ودفع العهد الى رسول قتيبة فوصل به اليه فاستشار اخوته فقالوا لا يثق بك سليمان بعد هذا ثم ان قتيبة قتل كما ذكرته فى ترجمته فى حرف القاف مع الاختصار لان الشرح فى ذلك يطول ثم ان يزيد بن المهلب نظر فى نفسه لما تولى العراق فقال ان العراق قد أخربها الحجاج وانا اليوم رجاء أهل العراق ومتى قدمتها وأخذت الناس للخراج وعذبتهم عليه صرت مثل الحجاج أدخل على الناس الحرب وأعيد عليهم تلك السجون التى قد عافاهم الله منها ومتى لم آت سليمان بمثل ما جاء به الحجاج لم يقبل منى فأتى يزيد سليمان فقال أدلك على رجل بصير بالخراج توليه اياه وهو صالح بن عبد الرحمن مولى بنى تميم فقال قد قبلنا رأيك فاقبل يزيد الى العراق وكان صالح قدم العراق قبل قدوم يزيد ونزل واسط ولما قدم يزيد خرج الناس يتلقونه ولم يخرج صالح حتى قرب من المدينة ثم خرج اليه وبين يديه أربعمائة من أهل الشام فلقى يزيد وسايره فلما دخل المدينة قال له صالح قد فرغت لك هذه الدار فنزل يزيد ومضى صالح حتى أتى منزله وضيق صالح على يزيد فلم يملكه شيأ واتخذ يزيد ألف خوان يطعم الناس عليها فأخذها صالح فقال له يزيد اكتب ثمنها على واشترى متاعا كثيرا وصك صكا الى صالح ليبتاعها منه فلم ينفذها فرجعوا الى يزيد فغضب وقال هذا عملى بنفسى فلم يلبث ان جاء صالح فأوسع له يزيد فجلس وقال ليزيد ما هذه الصكاك ان الخراج لا يقوم لها ولقد أنفذت لك منذ ايام صكا بمائة ألف درهم وعجلت لك ارزاقك وسألت مالا فأعطيتك فهذا لا يقوم له شئ ولا يرضى به أمير المؤمنين وتؤخذ به فقال له يزيد يا با الوليد أجز هذه الصكاك هذه المرة وضاحكه فقال انى أجيزه فلا تكثرن على فقال لا ولما ولى سليمان يزيد العراق لم يوله خراسان فقال سليمان لعبد الملك بن المهلب كيف أنت يا عبد الملك ان وليتك خراسان قال

٣ هكذا بالاصل فليحرر

أتحسب ان الحب سهل قيادهوهل هو الا للشجون مقام
فسقيا لحب قد سقانى بدرهالى حين حين ليس منه فطام
وبين فؤادى والسلو تباينوبين سهادى والجفون لزام
يحن شوقى للحمى وأجارعاذا ما تغنت فى الغصون حمام
اليها ولوعى لا الى الربع والحمىولولا هواها ما الحمى وخيام

(وفيها يقول)

أما تستحى يا نفس ماذا التسوفالى كم بحب الغانيات نضام
اما آن آن الانقضاء من الهوىلكل أوان آخر وتمام
أتحسب ان الدهر باق بحالهوحاشاه من أن يكون دوام
تقلب تارات تدوم على الورىهوان وعز سلوة وهيام
وكل حبور ان تنارت بعبرةيبور وان البور منه ختام
هب الدهر قد ألقى اليك قيادهوفزت بجد لم ينله همام
وعشت حميدا ألف عام بسوددلك الخلق طرا خادم وغلام
ألست قصارى الأمر أن لك مصرعمهول حوته وحشة وظلام
اما تعتبر ممن مضوا السبيلهموهم تحت طاقات الرغام نيام
فرب نعيم شاه وجه نعيمهورب حمام قد محاه حمام
وكم من ملوك فى اللوا فارقوا اللواولم تغن عنهم حشمة وعرام

يجدني أمير المؤمنين حيث يحب ثم أعرض سليمان عن ذلك وكتب عبد الملك الى رجال من خاصته بخراسان ان أمير المؤمنين عرض على ولاية خراسان فبلغ الخبر الى أخيه يزيد وقد ضجر بالعراق وقد ضيق عليه صالح ابن عبد الرحمن ولم يصل معه الى شيء فدعا يزيد عبد الله بن الاهتم فقال انى أريدك لامر قد أهمني وقد أحببت ان تكفينيه قال مرني بما أحببت قال انا فيما ترى من الضيق وقد اضجرني ذلك وخراسان شاغرة وقد بلغني ان أمير المؤمنين ذكرها لعبد الملك بن المهلب فهل من حيلة قال نعم سرحني الى أمير المؤمنين فاني أرجو ان آتيك بعهده عليها قال فاكتم ما اخبرتك به وكتب الى سليمان كتابين أحدهما يذكر له فيه أمر العراق وأثنى فيه على ابن الاهتم وذكر له علمه بها ووجه ابن الاهتم وحمله على البريد وأعطاه ثلاثين ألفا وسار سبعا فقدم بكتاب يزيد على سليمان فدخل عليه وهو يتغدى فجلس ناحية فأتى بدجاجتين فأكلهما ثم قال له سليمان لك مجلس بعد هذا نعود اليه ثم دعا به بعد ثالثة فقال له سليمان ان يزيد بن المهلب كتب الى يذكر علمك بالعراق وبخراسان ويثني عليك فكيف علمك بها قال أنا أعلم الناس بها بها ولدت وبها نشأت قال ما أحوج أمير المؤمنين الى مثلك يشاوره في أمرها فأشر على برجل أوليه خراسان قال أمير المؤمنين أعلم بمن يريد يولى فان ذكر منهم أحدا أخبرته برأيي فيه وهل يصلح أم لا فسمى سليمان رجلا من قريش فقال ليس من رجال خراسان فسمى عبد الملك بن المهلب فقال لا حتى عدد رجالا فكان في آخر من ذكر وكيع بن أبي سويد فقال يا أمير المؤمنين وكيع رجل شجاع صارم مقدام وليس بصاحبها ومع هذا انه لم يقد ثلثمائة قط فرأى لاحد عليه طاعة قال صدقت ويحك فمن لها قال رجل أعلمه لم تسمه قال فمن هو قال لا أبوح باسمه الا أن يضمن لى أمير المؤمنين بستر ذلك وأن يجيرني منه ان علم قال نعم سمه لى قال يزيد بن المهلب قال ذلك بالعراق والمقام بها أحب اليه من المقام بخراسان قال قد علمت يا أمير المؤمنين ولكن تكرهه فيستخلف على العراق رجلا ويسير قال أصبت الرأى فكتب عهد يزيد بن المهلب على خراسان وكتب اليه ان ابن الاهتم كما ذكرت من عقله ودينه وفضله ورأيه ودفع الكتاب وعهد يزيد اليه فسار سبعا فقدم على يزيد فقال له ما وراءك فأعطاه الكتاب فقال ويحك أعندك خبر فأعطاه العهد فأمر يزيد بالجهاز للمسير من ساعته ودعا ابنه مخلدا فقدمه الى خراسان فسار من يومه ثم سار يزيد الى خراسان فأقام بها ثلاثة أشهر أو أربعة ثم غزا جرجان وطبرستان ودهستان وفتحها وذلك في سنة ثمان وتسعين وقتل من أصحاب يزيد على حصار بعض قلاع جرجان خمسة آلاف رجل فحلف يزيد يمينا مغلظة انه ليقتلنهم حتى تطحن الرحى بدمائهم فأكثر من قتلهم فكانت الدماء لا تجرى حتى صب عليها الماء فجرت وطحنت وأكل مما طحنت بدمائهم ثم مات سليمان بن عبد الملك يوم الجمعة لعشر ليال بقين من صفر سنة تسع وتسعين للهجرة وقيل لعشر ليال مضين من صفر والله أعلم بدابق قرية من شمالى حلب وعهد الى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فعزل عمر في هذه السنة يزيد بن المهلب عن العراق وجعل مكانه عدى بن ارطاة الفزارى فأخذ يزيد وأوثقه وبعث به الى عمر بن عبد العزيز وكان عمر يبغض يزيد وأهل بيته ويقول هؤلاء جبابرة ولا أحب مثلهم وكان يزيد يبغض عمر ويقول انى لأظنه مرائيا ولما وصل يزيد سأله عمر عن الاموال التى كتب بها الى سليمان فقال كنت من سليمان بالمكان الذى قد رأيت وانما كتبت الى سليمان لأسمع الناس به وقد علمت ان سليمان لم يكن ليأخذني بشيء مما سمعت ولا بأمر أكرهه فقال عمر لا أجد في أمرك الا حبسك فاتق الله وأد ما قبلك فانها حقوق المسلمين ولا يسعني تركها ثم رده الى محبسه وذكر البلاذرى في كتاب فتوح البلدان في الفصل المتضمن حديث جرجان وطبرستان أن يزيد ابن المهلب لما فرغ من أمر جرجان سار الى طبرستان ثم سار الى خراسان فتلقته الهدايا ثم ولى ابنه مخلدا خراسان وانصرف الى سليمان فكتب اليه ان معه خمسة وعشرين ألف ألف درهم فوقع الكتاب في يد عمر ابن عبد العزيز فأخذ يزيد به وحبسه وبعث عمر الى الجراح بن عبد الله الحكمى فسرحه الى خراسان ثم قدم مخلد بن يزيد على عمر وجرى بينهما ما سبق ذكره فلما خرج مخلد بن يزيد قال عمر هذا عندى خير من أبيه فلم يلبث مخلد الا قليلا حتى مات ولما أبى يزيد أن يؤدى المال الى عمر ألبسه جبة من صوف وحمله على جمل ثم قال

سيروا

وربّ عظام من ذوى القدر والعلا
فهاهم رفات في الرموس عظام
وأبرز جياد في الورى كان درهم
على الناس عاما في الجدود كرام
طوتهم بأيدى النائبات دهورهم
فلم يبق منهم مخبر وسام
فسبحان من لا ينقضى عز ملكه
وليس يدانيه الفناء مدام
(وقد قال رحمه الله قريبا من رمسه فكأنه نعى الى نفسه)
ديباج عمرى أبلاه الجديدان
وصرصر الشيب أمت هدم بنيانى
طلائع الضعف استولت على بدنى
فصار معترك الاوجاع جثمانى
آن الرحيل ولكن ما ادخرت له
وكل حاوى الردى للموت ماراني
لازال موتى يأتيني على عجل
فيكفت الذيل في تخريب أركانى
لهفى على زمن ولى بمعصية
ثم انقضى العمر في غى وخسران
وهى من قصيدة طويلة أبياتها قريبة المآل منسوجة على هذا المنوال ولما عرضت عليه قصيدته النونية استحسنها وعارضها بقصيدة سنية ولنأت ببعض الابيات من القصيدتين وحذف الابيات الاخر من البين (قصيدة)

سيروا به الى دهلك قلت وهى جزيرة في بحر عيذاب بالقرب من سواكن كان الخلفاء يحبسون بها من نقموا عليه قال فلما أخرج يزيد مر وابه على الناس فجعل يزيد يقول أمالى عشيرة يذهب بى الى دهلك انما يذهب الى دهلك بالفاسق المريب سبحان الله أمالى عشيرة فدخل الى عمر سلامة بن نعيم الخولانى وقال يا أمير المؤمنين أردد يزيد الى محبسه فانى أخاف ان أمضيته أن ينتزعه قومه فانى رأيت قومه قد غضبوا له فرده الى محبسه ولم يزل في محبسه حتى بلغه مرض عمر وقيل ان عدى بن ارطاة سلمه الى وكيع بن حسان بن أبى أسود التميمى مغلولا مقيدا في سفينة ليوصله الى عين التمر حتى يحمل الى عمر فعرض لوكيع ناس من الازد لينتزعوه منه فوثب وكيع وانتضى سيفه وقطع قلس السفينة وأخذ سيف يزيد بن المهلب وحلف بطلاق امرأته ليضربن عنقه ان لم يتفرقوا عنه فناداهم يزيد وأعلمهم بيمين وكيع فتفرقوا ومضى به حتى سلمه الى الجند الذين بعين التمر وحمله الجند الى عمر فحبسه ولما كان يزيد في حبس عمر دخل عليه الفرزدق فرآه مقيدا فأنشده

أصبح في قيدك السماحة والـ	ـجود وحمل الديات والحسب
لا بطران ترادفت نعم	وصابر في البلاء محتسب

فقال له يزيد ويحك ماذا صنعت أسأت الى قال ولم ذاك قال تمدحني وانا على هذه الحالة فقال له الفرزدق رأيتك رخيصا فأحببت ان أسلف فيك بضاعتى فرمى يزيد اليه بخاتمه وقال شراؤه ألف دينار وهو ربحك الى ان يأتيك رأس المال واستمر يزيد في محبسه الى ان مرض عمر في سنة احدى ومائة فخاف يزيد بن المهلب من يزيد بن عبد الملك بن مروان أن يلى الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز وكان يزيد بن المهلب لما ولى العراق قد عذب آل أبى عقيل وهم رهط الحجاج كما سبق ذكره وكانت أم الحجاج بنت محمد بن يوسف بن الحكم بن أبى عقيل عند يزيد بن عبد الملك وهى أم الوليد بن يزيد فاسق بنى أمية وهى بنت أخى الحجاج وكان يزيد بن عبد الملك قد عاهدها لئن أمكنه الله من يزيد بن المهلب ليقطعن منه طابقا فكان يخشى ذلك فأخذ يعمل في الهرب فبعث الى مواليه فأعدوا له ابلا وكان مرض عمر في دير سمعان فلما اشتد مرض عمر نزل يزيد من محبسه وخرج حتى أتى المكان الذى فيه ابله وقد واعدهم اليه واحتمل وخرج فلما جاوز كتب الى عمر انى والله لو علمت انك تبقى ما خرجت من محبسى ولكنى لم آمن يزيد بن عبد الملك فقال عمر اللهم ان كان يزيد يريد بهذه الامة شرا فاكفهم شره واردد كيده في نحره ومضى يزيد بن المهلب وزعم الواقدى أن يزيد بن المهلب انما هرب من سجن عمر بعد موت عمر قلت وجدت في مسودة تاريخ القاضى كمال الدين بن العديم الحلبى ان عمر حبس يزيد بن المهلب وابنه معاوية بحلب وهربا منها والله أعلم ثم توفى عمر بن عبد العزيز يوم الجمعة وقيل الاربعاء لخمس ليال بقين من رجب سنة احدى ومائة رحمه الله تعالى بدير سمعان وقيل انه مات لعشر بقين من رجب من السنة وهو ابن تسع وثلاثين سنة وأشهر وقيل انه مات بخناصرة وخناصرة بضم الخاء المعجمة وبعدها نون وبعد الالف صاد مهملة مكسورة وبعد الراء هاء وهى بليدة قديمة بالقرب من حمص وذكرها المتنبى في قوله

أحب حمصا الى خناصرة * وكل نفس تحب محياها

وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكان يقال له أشج بنى امية وذلك ان دابة من دواب أبيه كانت شجته قال نافع مولى ابن عمر كنت اسمع ابن عمر كثيرا ما يقول ليت شعرى من هذا الذى من ولد عمر في وجهه علامة يملأ الارض عدلا وقال سالم الافطس ان عمر بن عبد العزيز رمحته دابة وهو غلام بدمشق فأتى أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو يبكى فضمته اليها وجعلت تمسح الدم عن وجهه ودخل أبوه عليها وهو على تلك الحال فاقبلت عليه تعذله وتلومه وتقول ضيعت ابنى ولم تضم اليه خادما ولا حاضنا يحفظه من مثل هذا فقال لها اسكتى يا أم عاصم فطوبى لك ان كان هذا أشج بنى أمية وقال حماد بن زيد ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه مر بعجوز تبيع لبنا معها في سوق الليل فقال لها يا عجوز لا تغشى المسلمين وزوار بيت الله تعالى ولا تشوبى اللبن بالماء فقالت نعم يا أمير المؤمنين ثم مر بها بعد ذلك فقال لها يا عجوز ألم أتقدم اليك ان لا تشوبى لبنك بالماء فقالت والله ما فعلته فقالت ابنة لها من داخل الخباء أغشا

غنى الطيور بأطيب الالحان
في شجرة بمنابر الافنان
فاهتز منها كل شيء في الربا
أوما رأيت تمايل الاغصان
فكأنها تبكى الربيع وحسنه
لما ألم الشمس بالميزان
واصفر وجه الروض وجنة عاشق
بانت حبيبته مع الاظعان
من بعد ما ابتسمت به أزهاره
كحبيبة مالت الى الاحسان
فبكى الغمام من الغموم على الربا
وصبا النسيم كعاشق ولهان
سقيا الروض قد قصدت نسيمه
فاستقبلت بالروح والريحان
واذا أتيت بسحرة نهاره
نظرت الى عقاتى وسنان
لله أيام مضت في روضة
جادت لطائفها عن الحسبان
أنفقت نقد العمر في لذاتها
بعت الثمين بأرخص الاثمان
يا صاح ناول قهوة وردية
تنسى النديم شقائق النعمان
في اللمس ماء في الحشى كالنار قد
يحمر من ذا وجنة النشوان
تالله لو رأت المجوس لهيبها
في كوزها سجدوا الى الكيزان
لا تطلبوا المصباح ان ليل دجا
فالكاس متقد كدر قيان
عاطيتها خمصانة تسبى النهى
من دونها بجمالها الفتان
ورأيت في الاقداح عكس روائها
فعجبت من حوراء في النيران
(وقد قال رحمه الله تعالى)
ورقاء قد غنت على العيدان

وكذا جمعت على نفسك فسمعها عمر فهم بمعاقبة العجوز فتركها الكلام ابنتها ثم التفت الى بنيه فقال أيكم يتزوج هذه فلعل الله عز وجل يخرج منها نسمة طيبة مثلها فقال عاصم بن عمر أنا أتزوجها فزوجها اياه فولدت له أم عاصم فتزوج أم عاصم عبد العزيز بن مروان فولدت له عمر بن عبد العزيز ثم تزوج بعدها حفصة وفيها قيل ليست حفصة من نساء أم عاصم وذكر الشيخ شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزغلي بن عبد الله سبط الشيخ جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي في كتاب جوهرة الزمان في تذكرة السلطان عن ابن عمر قال بينما أبي يعس بالمدينة اذ سمع امرأة وهي تقول لابنتها يا بنية قومي فشوبي اللبن بالماء فقالت يا أماه أما سمعت منادي أمير المؤمنين انه نادى أن لا يشاب اللبن بالماء فقالت وأين أنت من مناديه الساعة فقالت اذا لم يرني مناديه ألم يرني رب مناديه وفي رواية أخرى قالت والله ما كنت لأطيعه في الملا وأعصيه في الخلا قال فبكى عمر رضي الله عنه فلما أصبح دعا بالمرأة وبابنتها وسأل هل لها زوج فقالت ليس لها زوج فقال يا عبد الله تزوج هذه فلو كانت بي حاجة الى النساء لتزوجتها فقلت انا في غنى عنها فقال يا عاصم تزوجها فتزوجها فجاءت بابنة فحملت بعمر بن عبد العزيز ولما مات عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه ولي مكانه يزيد ابن عبد الملك بن مروان ثم ان يزيد بن المهلب لحق بالبصرة فغلب عليها وأخذ عامل يزيد بن عبد الملك وهو عدي بن أرطاة الفزاري فحبسه وخلع يزيد بن عبد الملك ورام الخلافة لنفسه فجاءته احدى حظاياه وقبلت الارض بين يديه وقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين فانشدها

رويدك حتى تنظري عم تنجلي * غمامة هذا العارض المتألق

قلت وهذا البيت من جملة أبيات لبشر بن قطنة الاسدي قلت ولا حاجة الى تفصيل الحال فيه فان شرحه يطول وهذه خلاصته ثم ان يزيد بن عبد الملك جهز لقتاله أخاه مسلمة بن عبد الملك وابن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك ومعهما الجيش وخرج يزيد بن المهلب للقائهم واستخلف على البصرة ولده معاوية بن يزيد عنده الرجال والاموال والاسرى وقدم بين يديه أخاه عبد الملك بن المهلب وسار حتى نزل العقر قلت هي عقر بابل وهي عند الكوفة بالقرب من كربلاء الموضع الذي قتل فيه الحسين رضي الله عنه والعقر بفتح العين المهملة وسكون القاف وبعدها راء وهو في الاصل اسم القصر والمواضع المسماة بالعقر أربعة أحدها هذا ولا حاجة الى ذكر الباقي وقد ذكرها ياقوت الحموي في كتابه الذي سماه المشترك وضعا المختلف صقعا قال الطبري ثم أقبل مسلمة بن عبد الملك حتى نزل على يزيد بن المهلب فاصطفوا ثم اقتتل القوم فشد أهل البصرة على أهل الشام فكشفوهم ثم ان أهل الشام كروا عليهم فكشفوهم وكان على مقدمة جيش يزيد أخوه عبد الملك فلما انكشف جاء الى أخيه يزيد وكان الناس يبايعون يزيد بن المهلب وكانت مبايعته على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وان لا تطأ الجنود بلادهم ولا بيضتهم ولا تعاد عليهم سيرة الفاسق الحجاج وكان مروان بن المهلب بالبصرة يحرض الناس على حرب أهل الشام ويسرح الناس الى أخيه يزيد وكان الحسن البصري رضي الله عنه يثبط الناس عن يزيد بن المهلب فقال يوما في مجلسه يا عجبا لفاسق من الفاسقين ومارق من المارقين غبر برهة من دهره ينتهك لله في هؤلاء القوم كل حرمة ويركب له فيهم كل معصية ويأكل ما أكلوا ويقتل من قتلوا حتى اذا منعوه لماظة كان يتلمظها قال أنا لله غضبان فاغضبوا ونصب قصبا عليها خرق وتبعه رجراجة رعاع هباء ما لهم افئدة وقال أدعوكم الى سنة عمر بن عبد العزيز ألا وان من سنة عمر ان توضع رجلاه في قيد ثم يوضع حيث وضعه عمر فقال له رجل أتعذر أهل الشام يا أبا سعيد يعني بني أمية فقال أنا أعذرهم لا عذرهم الله والله لقد حدثنا ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم اني حرمت المدينة بما حرمت به بلدك مكة فدخلها أهل الشام ثلاثا لا يغلق لها باب الا أحرق بما فيه حتى ان الاقباط والانباط ليدخلون على نساء قريش فينتزعون خمرهن من رؤسهن وخلاخلهن من أرجلهن بسيوفهم على عواتقهم وكتاب الله تعالى تحت أرجلهم انا أقتل نفسي لفاسقين تنازعا هذا الامر والله لوددت ان الارض أخذتهما خسفا جميعا فبلغ ذلك يزيد بن المهلب فاتى الحسن هو وبعض بني عمه الى حلقته في المسجد

سحرا تسجع أطيب الالحان
فكأنها رأت الربيع فانشدت
في حسنه الاشعار للندمان
مالت اليها الغصن تسمع سجعها
قد صارت الاوراق كالآذان
وأطيب ألحان بدت من شجوها
شق القميص شقائق النعمان
ورأيت فيء الروض منها راقصا
متصفق الامواج في الغدران
وافى النسيم على الحدائق في السرى
فشقائق الاغصان كالخلان
وتكاملت تيجان ازهار الربا
من لؤلؤ الانداء في القيعان
فالجو لابس حلة مائية
فبدا بوجه مشرق اللمعان
والورد قد ورد الرياض بشوكه
وأتى بكل حديقة كجنان
والبان نقش غصنه اذنابه
والكم قد بسمت كثغر قيان
والراح في راح الحبيب تديرها
سقيا لها من راحة الابدان
وعتيقة في عصرها أعجب بها
توفي الشيوخ شمائل الفتيان
لو شاهدت عباد شمس جامها
ابريقها خر واعلى الاذقان
لهفي على أيام أنس قد مضت
هي غرة في جبهة الازمان
كم ليلة نادمت فيها غادة
تسبي النهى بصوارم الاجفان
(وله قصيدة في قافية اللام)
يعذر موردها بعدما أطال الكلام لغاية لطافتها عن العذل والملام (قصيدة)

متنكرين فسلموا عليه ثم خلوا به وصار الناس ينظرون اليهم فلاحاه يزيد فدخل في ملاحاتهما ابن عم يزيد فقال له الحسن فما أنت وذاك يا ابن اللخناء فاخترط سيفه ليضربه به فقال يزيد ما تصنع قال اقتله فقال له يزيد اغمد سيفك فوالله لو فعلت لانقلب من معنا علينا قلت ويزيد بن المهلب المذكور هو الذي عناه ابن دريد في مقصورته المعروفة بالدريدية بقوله

وقد سما قبلي يزيد طالبا * شأو العلا فما وهي ولا ونى

وكل من شرح الدريدية تكلم على هذا البيت وشرح قصته وكانت اقامة يزيد بن المهلب منذ اجتمع هو ومسلمة بن عبد الملك ثمانية أيام حتى اذا كان يوم الجمعة لاربع عشرة مضت من صفر سنة اثنتين ومائة أمر مسلمة ان تحرق السفن فاحرقت والتقى الجمعان وشبت الحرب فلما رأى الناس الدخان وقيل لهم احترق الجسر انهزموا فقيل ليزيد قد انهزم الناس فقال مم انهزموا فقيل له احرق الجسر فلم يلبث أحد فقال قبحهم الله بق دخن عليه فطار وكان يزيد لا يحدث نفسه بالفرار وجاءه من أخبره ان أخاه حبيبا قد قتل فقال لا خير في العيش بعد حبيب قد كنت والله أبغض الحياة بعد الهزيمة فوالله ما ازددت لها الا بغضا امضوا قدما فقال أصحابه فعلمنا ان الرجل قد استقتل وأخذ من يكره القتال ينكص وأخذوا ينسلون وبقيت معه جماعة حسنة وهو يزدلف فكلما مر بخيل كشفها أو جماعة من أهل الشام عدلوا عنه وعن سنن أصحابه فجاء أبو رؤبة المرجي وقال ذهب الناس فهل لك ان تنصرف الى واسط فانها حصن تنزلها ويأتيك مدد أهل البصرة ويأتيك أهل عمان والبحرين في السفن وتضرب خندقا فقال له قبح الله رأيك ألي تقول ذا الموت أيسر علي من ذلك فقال له فاني أتخوف عليك أما ترى ما حولك من جبال الحديد فقال له فانا أباليها أجبال حديد كانت أو جبال نار اذهب عنا ان كنت لا تريد قتالا معنا وأقبل على مسلمة لا يريد غيره حتى اذا دنا منه دعا مسلمة بفرسه ليركبه فعطفت عليه خيول أهل الشام وعلى أصحابه فقتل يزيد بن المهلب وقتل معه أخوه محمد وجماعة من أصحابه وقال القحل بفتح القاف وسكون الحاء المهملة وآخره لام ابن عياش الكلبي لما نظر الى يزيد يا أهل الشام هذا يزيد والله لاقتلنه أو ليقتلني ان دونه باسا فمن يحمل معي يكفيني أصحابه حتى أصل اليه فقال له ناس من أصحابه نحن نحمل معك فحملوا باجمعهم فاضطربوا ساعة وسطع الغبار وانفرج الفريقان عن يزيد قتيلا وعن القحل بن عياش بآخر رمق فاومأ الى أصحابه يريهم مكان يزيد وجاء برأس يزيد مولى لبني مرة فقيل له أنت قتلته فقال لا وفي أثناء الوقعة نظر الحواري بن زياد الى برذون عائر فقال الله أكبر هذا برذون الفاسق ابن المهلب قد قتله الله ان شاء الله تعالى فطلبوه فأتى مسلمة برأسه فلم يعرف الرأس فقال حبار النبطي مهما ظننتم فلا تظنوا ان الرجل هرب ولقد قتل فقال مسلمة وما علامة ذلك فقال اني سمعته أيام ابن الاشعث يقول قبح الله ابن الاشعث هبوه غلب على أمره أما كان يغلب على الموت ألا مات كريما قلت ذكر الامير أبو نصر بن ماكولا في باب الفحل والقحل والجحل ما مثاله وأما القحل فمثل الفحل الا أن أوله قاف فهو القحل بن عياش بن حسان بن سمير بن شراحيل بن عزير قتل يزيد بن المهلب وقتله يزيد ضرب كل واحد منهما صاحبه فقتله فلما أتى برأس يزيد الى مسلمة لم يعرف ولم ينكر فقيل له مر برأسه فليغسل ثم ليعمم ففعل به ذلك فعرفه فبعث به الى أخيه يزيد بن عبد الملك مع خالد بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط وقال خليفة بن خياط ولد يزيد بن المهلب سنة ثلاث وخمسين وتوفي مقتولا يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من صفر سنة اثنتين ومائة والله أعلم ولما جاءت هزيمة يزيد واسط أخرج معاوية بن يزيد بن المهلب اثنين وثلاثين أسيرا كانوا في يديه فضرب أعناقهم منهم عدي بن ارطاة ثم خرج وقد قال له القوم ويحك لا نراك تقتلنا الان أباك قد قتل ثم أقبل حتى أتى البصرة ومعه المال والخزائن وجاء المفضل بن المهلب واجتمع جميع أهل المهلب بالبصرة وقد كانوا يتخوفون الذي كان فأعدوا السفن البحرية وتجهزوا بكل الجهاز واراد معاوية بن يزيد بن المهلب أن يتأمر على آل المهلب فاجتمعوا وأمروا عليهم المفضل بن المهلب وقالوا للمفضل أكبرنا سنا وانما أنت غلام حدث السن كبعض فتيان أهلك فلم يزل المفضل عليهم حتى خرجوا الى كرمان وبكرمان فلول كثيرة

ماذا نوالك والركائب تحمل
أين التفجع والدموع الهطل
ألغير هذا اليوم كنت تصونها
ام عن تسابلها المدامع تبخل
تالله حق ان تريق بها دما
يوم النوى لا ادمعا تتسلسل
هل وقفة بجنوب قاع في النقى
يوما وهل عند الابيرق منزل
لله در الحب يستنق به
وضر البصائر والغرائز تنبل
ودعتها والعين ترفل في الدما
والكبد حرى والفؤاد معلل
يا صاح ان السيل قد بلغ الزبى
ايه بذكراها بها التعلل
مالوعتي وتجني الالوا
لولا هواها ما الدخول فحومل
تبد ونوازع من صبابتها اذا
ازرت بريا ها الصبا والشمال
اني يواري الصب غلواء الهوى
والدمع جار والجوانح تحل
لم انس ايام الوصال بذي غضى
اذراح واشينا ودار السلسل
مازال تنقص صبابتي وتصبري
في كل حين والتحنق يكمل
وحديث وجدي في الهوى متواتر
لكن دمعي مرسل ومسلسل
يا حسنها وجمالها ودلالها
شمس الظهيرة من سناها تأفل
ذاب الفؤاد من الجوى ومرامه
ريم برامة في الاباطح يرفل
ان طرفك الفتاك يجحد قتلتي
فلجحدك الفاني دليل فيصل
يا عاذلي لو ذقت من بوح الهوى

فاجتمعوا الى المفضل وبعث مسلمة بن عبد الملك فى طلب آل المهلب وطلب الفلول فأدركوهم فى عقبة بفارس فاشتد قتالهم فقتل المفضل وجماعة من خواصه ثم قتل آل المهلب عن آخرهم الا أبا عيينة وعثمان بن المفضل فانهما نجوا ولحقا بخاقان ورتبيل وبعث مسلمة برؤسهم الى أخيه يزيد وهو على حلب فلما نصبوا خرج لينظر اليهم فقال لاصحابه هذا رأس المفضل والله لكأنه جالس معى يحدثنى وقال غير الطبرى لما حمل رأس يزيد بن المهلب الى يزيد بن عبد الملك نال منه بعض جلسائه فقال له مه ان يزيد طلب جسيما وركب عظيما ومات كريما ولما فرغ مسلمة من حرب آل المهلب جمع له أخوه يزيد ولاية الكوفة والبصرة وخراسان فى هذه السنة ولما قتل يزيد بن المهلب رثاه شاعره ثابت قطنة بمراث كثيرة حسنة منها قوله

كل القبائل بايعوك على الذى * تدعو اليه وتابعوك وساروا
حتى اذا استعر القنا وتركتهم * رهن الاسنة أسلموك وطاروا
ان يقتلوك فان قتلك لم يكن * عارا عليك ورب قتل عار

قلت وهذا ثابت قطنة من شعراء خراسان وفرسانهم وذهبت عينه فكان يحشوها قطنة وقد كان يزيد بن المهلب استعمله على بعض كور خراسان فلما علا المنبر ارتج عليه فلم ينطق حتى نزل فدخل عليه الناس فقال

فان لا أقم فيكم خطيبا فاننى * بسيفى اذا جد الوغى لخطيب

فقالوا لو كنت قلت هذا على المنبر لكنت أخطب الناس ذكره ابن قتيبة فى كتاب طبقات الشعراء وقال ابن الكلبى فى جمهرة النسب هو ثابت بن كعب بن جابر بن كعب بن كرمان بن طرفة بن وهب بن مازن بن تميم بن الاسد بن الحرث بن العتيك بن الاسد بن عمران بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء وفيه يقول صاحب الفيل الحنفى وكانا يتهاجيان

أبا العلاء لقد لاقيت مغلطة * يوم العروبة من كرب وتخنيق
تلوى اللسان اذا رمت الكلام به * كما هوى زلق من شاهق النيق
لما رمتك عيون الناس ضاحية * انشأت تجرض لما قمت بالريق

وقال غير الطبرى ان الذى قتل يزيد بن المهلب هو الهذيل بن زفر بن الحرث الكلابى وقال الكلبى نشأت والناس يقولون ضحى بنو أمية بالدين يوم كربلاء وبالكرم يوم العقر وقال محمد بن واسع لما جاء نعى يزيد أتتنى باكية عمانية تندب لى قتل آل المهلب وقال عباد بن عباد مكثنا نيفا وعشرين سنة بعد قتل آل المهلب لا تولد فينا جارية ولا يموت منا غلام وقال خليفة بن خياط سنة اثنتين ومائة فيها قتل يزيد بن المهلب يوم الجمعة لاثنتى عشرة ليلة خلت من صفر وهو ابن تسع وأربعين سنة رحمه الله تعالى فلقد كان من النجباء الكرماء العظماء الفرسان وروى ان مسلمة بن عبد الملك دخل على أخيه يزيد بن عبد الملك حين خلعه يزيد بن المهلب فرآه فى ثوب مصبوغ فقال له أتلبس مثل هذا وأنت ممن قيل فيه

قوم اذا حاربوا شدوا مآزرهم * دون النساء ولو باتت بأطهار

فقال له مسلمة ذاك ونحن نحارب أكفاءنا من قريش فاما ان نعق ناعق فلا ولا كرامة قلت وهذا البيت للاخطل التغلبى النصرانى الشاعر المشهور

(أبو العلاء يزيد بن أبى مسلم دينار الثقفى مولاهم)

كان مولى الحجاج بن يوسف الثقفى وكاتبه وكان فيه كفاية ونهضة قدمه الحجاج بسببهما وقد تقدم فى ترجمة يزيد بن المهلب ان الحجاج لما حضرته الوفاة استخلفه على الخراج بالعراق فلما مات الحجاج أقره الوليد بن عبد الملك على حاله ولم يغير عليه شيأ وقيل ان الوليد هو الذى ولاه بعد موت الحجاج وقال الوليد يوما مثلى ومثل الحجاج وابن أبى مسلم كرجل ضاع منه درهم فوجد دينارا ولما مات الوليد وتولى أخوه سليمان عزل يزيد ابن أبى مسلم وبعث مكانه يزيد بن المهلب بن أبى صفرة الازدى المذكور قبله وأحضر اليه يزيد بن أبى مسلم فى جامعة وكان رجلا قصيرا دميما قبيح الوجه عظيم البطن تحتقره العين فلما نظر اليه سليمان قال أنت يزيد

وغرامها ماذقت لم تك تعذل

(وممن تعانى العلم والعمل وحصل وكمل فالتحق فى شبابه بالمشايخ الكمل الشيخ محيى الدين الشهير بيركيلو)

كان رحمه الله من قصبة بالى كسرى وكان أبوه رجلا عالما من أصحاب الزوايا ولا غرو فيه فان فى الزوايا خبايا ونشأ المرحوم فى طلب المعارف والعلوم ووصل الى مجالس العظام ودخل محافل الكرام وعكف على التحصيل والافادة من الافاضل السادة منهم المولى محيى الدين المشتهر باخى زاده وصار ملازما من المولى عبد الرحمن احد قضاة العسكر فى عهد السلطان سليمان ثم غلب عليه الزهد والصلاح ولاح فى جبينه آيات الفوز والفلاح فتحول عن مضايق الشكوك الى مسارح السلوك واتصل بخدمة المرشد السامى الشيخ عبد الله القرمانى البيرامى فخدمه مدة بحسن الارادة واستفرغ مجهوده فى الزهد والعبادة ثم أمره شيخه بالعود والاشتغال بمدارسة العلوم ومذاكرة المنطوق والمفهوم والتصدى للامر بالمعروف والنهى عن المنكرات والوعظ بالزواجر الزاجرات وحصل بينه وبين المولى عطاء الله محبة أكيدة ومودة شديدة فاقبل بحسن الالتفات عليه وبنى مدرسة فى قصبة بركى

ابن أبى مسلم قال نعم أصلح الله أمير المؤمنين قال لعن الله من أشركك فى أمانته وحكمك فى دينه قال لا تفعل يا أمير المؤمنين فانك رأيتنى والامور مدبرة عنى ولو رأيتنى والامور مقبلة على لاستعظمت ما استصغرت ولاستجللت ما احتقرت فقال له سليمان قاتله الله فما أشد عقله وأعضب لسانه ثم قال سليمان يا يزيد أترى صاحبك الحجاج يهوى بعد فى نار جهنم أم قد استقر فى قعرها فقال يزيد لا تقل ذلك يا أمير المؤمنين فان الحجاج عادى عدوكم ووالى وليكم وبذل مهجته لكم فهو يوم القيامة عن يمين عبد الملك وعن يسار الوليد فاجعله حيث أحببت وفى رواية أخرى انه يحشر غدا بين أبيك وأخيك فضعهما حيث شئت فقال سليمان قاتله الله فما أوفاه لصاحبه اذا اصطنعت الرجال فلتصطنع مثل هذا فقال رجل من جلساء سليمان يا أمير المؤمنين اقتل يزيد ولا تستبقه فقال يزيد من هذا فقالوا فلان بن فلان فقال يزيد لقد بلغنى أن أمه ما كان شعرها يوارى أذنيها فلم يتمالك سليمان ان ضحك وأمر بتخليته ثم كشف عنه سليمان فلم يجد عليه خيانة لا درهما ولا دينارا فهم باستكتابه فقال له عمر بن عبد العزيز أنشدك الله يا أمير المؤمنين ان لا تحيى ذكر الحجاج باستكتابك كاتبه فقال يا أبا حفص انى كشفت عنه فلم أجد عليه خيانة فقال عمر أنا أوجدك من هو أعف عن الدينار والدرهم منه فقال سليمان من هو قال ابليس ما مس دينارا ولا درهما بيده وقد أهلك هذا الخلق فتركه سليمان وحدث جويرية بن أسماء أن عمر بن عبد العزيز بلغه ان يزيد بن أبى مسلم خرج فى جيش من جيوش المسلمين فكتب الى عامل الجيش أن يرده وقال انى لاكره أن أستنصر بجيش هو فيهم ونقل الحافظ أبو القاسم المعروف بابن عساكر فى تاريخ دمشق فى ترجمة يزيد المذكور عن يعقوب انه قال فى سنة احدى ومائة أمر يزيد بن أبى مسلم على افريقية ونزع اسمعيل بن عبيد الله بن أبى المهاجر مولى بنى مخزوم فسار أحسن سيرة وفى سنة اثنتين ومائة قتل يزيد وقال الطبرى فى تاريخه الكبير وكان سبب ذلك انه كان فيما ذكر عزم أن يسير فيهم بسيرة الحجاج بن يوسف فى أهل الاسلام الذين سكنوا الامصار ممن كان أصله من السواد من أهل الذمة فاسلم بالعراق ممن ردهم الى قراهم ورساتيقهم ووضع الجزية على رقابهم على نحو ما كانت تؤخذ منهم وهم على كفرهم فلما عزم على ذلك تآمروا فاجتمع رأيهم على قتله فقتلوه وولوا على أنفسهم الوالى الذى كان قبل يزيد بن أبى مسلم وكتبوا الى يزيد بن عبد الملك انا لم نخلع أيدينا عن الطاعة ولكن يزيد بن أبى مسلم سامنا ما لا يرضى به الله والمسلمون فقتلناه وأعدنا عاملك فكتب اليهم يزيد بن عبد الملك انى لم أرض ما صنع يزيد بن أبى مسلم وأقر محمد بن يزيد على افريقية وكان ذلك فى سنة اثنتين ومائة وقال الوضاح بن أبى خيثمة أمرنى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه باخراج قوم من السجن وفيهم يزيد بن أبى مسلم فاخرجتهم وتركته فحقد على فبينا انا بافريقية اذ قيل قدم يزيد واليا فهربت منه وعلم بمكانى فأمر بطلبى فظفر بى وحملت اليه فلما رآنى قال طالما سألت الله تعالى ان يمكننى منك فقلت وانا والله لطالما سألت الله ان يعيذنى منك فقال ما أعاذك الله والله لأقتلنك ولو سابقنى فيك ملك الموت لسبقته ثم دعا بالسيف والنطع فاتى بهما وأمر بالوضاح فأقيم بالنطع وكتف وقام وراءه رجل بالسيف وأقيمت الصلاة فخرج يزيد اليها فلما سجد أخذته السيوف وادخل الى الوضاح من قطع أكتافه واطلقه وأعيد الى الولاية محمد بن يزيد مولى الانصار والله أعلم قلت كان الوضاح حاجب عمر بن عبد العزيز فلما مرض أمر الوضاح باخراج المحابيس فاخرجهم سوى يزيد المذكور فلما مات عمر هرب الوضاح الى افريقية خوفا من يزيد وجرى ما جرى وكان مرض عمر بخناصرة هكذا قاله الطبرى محمد بن يزيد وابن عساكر قال اسمعيل ابن عبيد الله والله أعلم بالصواب وقوله واحضر اليه يزيد بن أبى مسلم فى جامعة فالجامعة الغل لانها تجمع اليدين الى العنق وقوله وكان رجلا قصيرا دميما الدميم بالدال المهملة القبيح المنظر ومنه قول عمر رضى الله عنه لا تزوجوا بناتكم من الرجل الدميم فانه يعجبهن منه ما يعجبه منهن واما الذميم بالذال المعجمة فانه المذموم وكذا قول ابن الرومى الشاعر المشهور

كضرائر الحسناء قلن لوجهها * حسدا وبغيا انه لدميم

بالدال المهملة أيضا وانما قيدته بالضبط لانه يتصحف على الناس كثيرا وخناصرة بضم الخاء المعجمة ثم نون

وفوض تدريسها اليه وعين له كل يوم ستين درهما فكان رحمه الله يدرس تارة ويعظ اخرى بما هو أليق وأحرى فقصده الناس من كل فج عميق وأوى اليه الطلبة من مكان سحيق واجتمع عليه الطلاب واشتغلوا عليه من كل فصل وباب واكب هو على الاشتغال بيومه وأمسه وانتفع الناس بوعظه ودرسه فكم من أسير فى غيابة الجهالة مقيد بسلاسل الشؤن والبطالة نال بسببه من شرف العلم وعزه ما ناله وكم من تائه بهامه هواه عاد الى السبيل بهداه كان رحمه الله فى طرف عال من الفضل والكمال وتتبع الكتب والرسائل وجمع القواعد والمسائل وجمع العلم وتبحر فيه وحوى من الفضل والمعرفة ما يكفيه شرح مختصر البيضاوى فى النحو وكتب متناططا فى علم الفرائض وله فى الحديث وتفسير القرآن والفقه تعاليق ورسائل اخترمته دونها المنية ففاته حصول الامنية وكان رحمه الله آية فى الزهد والصيانة ونهاية فى الورع والديانة رأسا فى التجنب والتقوى متمسكا بما هو أتم وأقوى قائما على الحق فى كل مكان يرد على من خالف الشريعة كائنا من كان لا يهاب أحدا لعلو رتبته وسمو منزلته جاء فى آخر عمره الى

و بعد الالف صاد مهملة مكسورة ثم راء بعدها هاء وهى بليدة قديمة من أعمال الاحص من ولاية حلب بالقرب من قنسرين كان عمر بن عبد العزيز أميرا بها من جهة سليمان بن عبد الملك بن مروان وهى التى عناها المتنبى بقوله

أحب حصا الى خناصرة * وكل نفس تحب محياها

وذكرها عدى بن الرقاع العاملى الشاعر المشهور فى قصيدته الدالية المشهورة فقال

واذا الربيع تتابعت انواؤه * فسقى خناصرة الاحص وجادها

(أبو خالد يزيد بن أبى المثنى عمر بن هبيرة بن معية بن سكين بن خديج بن بغيض بن مالك بن سعد بن عدى بن فزارة)

ونسب فزارة معروف فلا حاجة الى الاطالة بذكره قال ابن دريد معية تصغير معى وهو الواحد من امعاء البطن وقد ردوا على ابن دريد هذا القول فقالوا بل صوابه انه تصغير معاوية وسكين بضم السين المهملة وفتح الكاف وخديج بضم الخاء المعجمة وبغيض بفتح الباء الموحدة والباقى معلوم لا حاجة الى ضبطه ذكر الحافظ أبو القاسم بن عساكر فى تاريخه الكبير ان أصله من الشام وانه ولى قنسرين للوليد بن يزيد بن عبد الملك وكان مع مروان بن محمد آخر ملوك بنى أمية يوم غلب على دمشق وجمع له ولاية العراق ومولده سنة سبع وثمانين وذكره ابن عياش فى تسمية من ولى العراق وجمع له المصران وهما البصرة والكوفة وكذلك ذكره ابن قتيبة فى كتاب المعارف فى تسمية من ولى العراقين وعده من الولاة الذين جمع لهم العراقان فكان أولهم زياد ابن أبيه الذى استلحقه معاوية بن أبى سفيان وآخرهم يزيد بن عمر بن هبيرة صاحب هذه الترجمة ثم قال ولم يجمع العراقان لاحد بعد هؤلاء وذكره أيضا قبل هذا فى ترجمة أبيه عمر فقال وكان أبو جعفر المنصور حصر يزيد بواسط شهورا ثم أمنه وافتتح البلد صلحا وركب اليه يزيد فى أهل بيته وكان أبو جعفر يقول لا يعز ملك هذا فيه ثم قتله وقال خليفة بن خياط وفى سنة ثمان وعشرين ومائة وجه مروان بن محمد يزيد بن عمر بن هبيرة واليا على العراق وذلك قبل قتل الضحاك يعنى ابن قيس الشيبانى الخارجى فسار حتى نزل هيت وكان شجاعا جسيما طويلا خطيبا أكولا شجاعا وكان فيه حسد وذكره أبو جعفر الطبرى فى تاريخه فى سنة ثمان وعشرين ومائة فقال وفى هذه السنة وجه مروان بن محمد يزيد بن عمر بن هبيرة الى العراق لحرب من بها من الخوارج ثم ذكر فى سنة اثنتين وثلاثين ومائة خروج قحطبة بن شبيب أحد دعاة بنى العباس لما أظهروا أمرهم بخراسان وتلك النواحى وكان أبو مسلم الخراسانى المقدم ذكره فى حرف العين أعظم الاعوان وأصل تلك القضية حتى انتظمت أمورها كما هو مشهور وقد سبق فى ترجمة أبى مسلم طرف من هذا الحديث ولا حاجة الى التطويل فيه وكان خروج قحطبة بأرض العراق وقصد محاربة يزيد بن عمر بن هبيرة وجرت وقائع يطول شرحها وحاصل الامر أن قحطبة خاض الفرات عند الفلوجة القرية المشهورة بالعراق ليقاتل يزيد بن هبيرة وكان فى قبالته فغرق قحطبة فى عشية الاربعاء عند غروب الشمس لثمان خلون من المحرم من السنة وقام ولده الحسن بن قحطبة مقامه فى تقدمة الجيش وهى واقعة مشهورة طويلة وليس هذا موضع ذكرها وكان معن بن زائدة الشيبانى المقدم ذكره من اتباع يزيد بن هبيرة المذكور من أكبر أعوانه فى الحروب وغيرها فيقال انه فى تلك الليلة ضرب قحطبة بن شبيب بالسيف على رأسه وقيل على عاتقه فوقع فى الماء فاخرجوه حيا فقال ان مت فادفنونى فى الماء لئلا يقف أحد على خبرى وقيل فى غرقه غير ذلك والله أعلم (عدنا الى حديث ابن هبيرة) وكان من خبره ان جيوش خراسان التى كان مقدمها قحطبة ثم ولده الحسن من بعده استظهرت عليه فهزمت عسكره ولحق ابن هبيرة بمدينة واسط فتحصن بها ثم وصل أبو العباس عبد الله ابن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه الملقب بالسفاح وأخوه أبو جعفر عبد الله ابن محمد الملقب بالمنصور من الحميمة بضم الحاء المهملة القرية التى كانت مسكن بنى العباس فى اطراف الشام من أرض البلقاء الى الكوفة وبها جماعة من أشياعهم ونوابهم ومن قام معهم باقامة دولتهم وازالة دولة بنى أمية التى أميرها اذ ذاك مروان بن الحكم الاموى المعروف بالجعدى والمنبوز بالحمار آخر ملوكهم

قسطنطينية ودخل مجلس الوزير محمد باشا وكلمه فى قمع الظلمة ودفع المظالم بكلمات أحد من السيوف الصوارم وملأ بفرائد المواعظ ذلك النادى ولكن لا حياة لمن ينادى وكان المرحوم لا يرى الاستئجار على التلاوة وتعليم العلوم ويباحث فيه مع الفحول بالمنقول والمعقول وتوفى رحمه الله فى شهر جمادى الاولى سنة احدى وثمانين وتسعمائة وهو مكب على الزهد والعبادة كتب الله له الحسنى وزيادة

(ومن العلماء الاعيان الذين أصابتهم عين العصر والزمان بعد تسليم المجد الاثيل قياده المولى محيى الدين المشتهر بنكسارى زاده)

كان رحمه الله تعالى نخبة أولاد المولى مصلح الدين النكسارى السابق ذكره فى هذا الكتاب فلا نعيد فى ذلك الخطاب والمرحوم مذ تخلص من ربقة صباه ضم صبحه الى مساه وجد فى الطلب واحتمل أعباء النصب واستفرغ مجهوده فى تحصيل الفضائل وتكميل الخصائل ودخل مجلس القرم الهمام السميدع القمقام المفتى أبى السعود وتميز فى خدمته حتى زوجه بابنته وشرفه بخلع التعليم والافادة الى ان صار ملازما منه بطريق الاعادة درس أولا بمدرسة

فلما وصلوا الى الكوفة بويع أبو العباس السفاح بها يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائة وقيل ان المبايعة كانت فى شهر ربيع الاول والاول أصح وظهر أمر بنى العباس وقويت شوكتهم وأدبرت دولة بنى مروان فعند ذلك وجه السفاح أخاه أبا جعفر المنصور الى واسط لحرب يزيد بن عمر بن هبيرة فجاء المنصور الى العسكر الذى مقدمه الحسن بن قحطبة وهو مقابل يزيد بن هبيرة بواسط فنزل عليه وقال أبو جعفر الطبرى فى تاريخه الكبير وجرت السفراء بين أبى جعفر المنصور وبين ابن هبيرة حتى جعل له امانا وكتب له كتابا فمكث يشاور فيه العلماء أربعين ليلة حتى رضيه ابن هبيرة ثم أخذه الى أبى جعفر فانفذه أبو جعفر الى أبى العباس السفاح فامر بامضائه له وكان رأى أبى جعفر الوفاء له بما أعطاه وكان أبو العباس السفاح لا يقطع أمرا دون أبى مسلم الخراسانى صاحب الدعوة وكان لابى مسلم عين على السفاح يكتب اليه باخباره كلها فكتب أبو مسلم الى السفاح ان الطريق السهل اذا ألقيت فيه الحجارة فسد لا والله لا يصلح طريق فيه ابن هبيرة ولما تم كتاب الامان خرج ابن هبيرة الى أبى جعفر فى ألف وثلثمائة من البخارية فاراد ان يدخل الحجرة على دابته فقام اليه الحاجب فقال مرحبا بابى خالد انزل راشدا وقد أطاف بالحجرة عشرة آلاف من أهل خراسان فنزل ودعا له بوسادة ليجلس عليها ثم دعا بالقواد فدخلوا ثم قال له الحاجب ادخل يا أبا خالد فقال أنا ومن معى فقال انما استأذنت لك وحدك فقام فدخل ووضعت له وسادة وحادثه ساعة ثم قام وأتبعه أبو جعفر بصره حتى غاب عنه ثم مكث يقيم عنه يوما ويأتيه يوما فى خمسمائة فارس وثلثمائة راجل فقال يزيد بن أبى حاتم لابى جعفر أيها الامير ان ابن هبيرة ليأتى فيتضعضع له العسكر وما نقص من سلطانه شئ فقال أبو جعفر للحاجب قل لابن هبيرة يدع الجماعة ويأتينا فى حاشيته فقال له الحاجب ذلك فتغير وجهه وجاء فى حاشيته نحو من ثلاثين فقال له الحاجب كانك تأتينا متأهبا فقال ان أمرتم ان نمشى اليكم مشينا فقال ما أردنا بك استخفافا ولا أمر الامير بما أمر به الا نظرا لك فكان بعد ذلك يأتى فى ثلاثة وقال محمد بن كثير كلم ابن هبيرة يوما أبا جعفر فقال ياهناه أو يا أيها المرء ثم رجع فقال أيها الامير ان عهدى بكلام الناس بمثل ما خاطبتك به فسبقنى لسانى بما لم أرده وألح أبو العباس السفاح على أبى جعفر يأمره بقتله وهو يراجعه فكتب اليه والله لتقتلنه أو لارسلن اليه من يخرجه من حجرتك ثم يقتله فازمع على قتله فبعث أبو جعفر من ختم بيوت المال ثم بعث الى وجوه مع ابن هبيرة فحضروا وخرج الحاجب من عند أبى جعفر وطلب ابن الحوثرة ومحمد بن نباتة وهما من الاعيان فقاما فدخلا وقد أجلس أبو جعفر ثلاثة من خواصه فى مائة من جماعته فى حجرته فنزعت سيوفهما وكتفا ثم ادخلوا بعدهما اثنين ففعل بهما كذلك وبعدهم جماعة أخرى فعل بهم كذلك فقال موسى بن عقيل أعطيتمونا عهد الله ثم خنتم انا لنرجو أن يدرككم الله وجعل ابن نباتة يضرط فى لحية نفسه فقال له ابن الحوثرة ان هذا لا يغنى عنك شيأ فقال كانى كنت انظر الى هذا فقتلوا وأخذت خواتمهم وانطلق حازم والهيثم بن شعبة والاغلب بن سالم فى نحو من مائة فارسلوا الى ابن هبيرة انا نريد هذا المال فقال ابن هبيرة لحاجبه انطلق فدلهم عليه فاقاموا عند كل بيت نفرا ثم جعلوا ينظرون فى نواحى الدار ومع ابن هبيرة ابنه داود وكاتبه عمر بن أيوب وحاجبه وعدة من مواليه وبنى له صغير فى حجره فجعل ينكر نظرهم فقال اقسم بالله ان فى وجوه القوم لشرا فاقبلوا نحوه فقام حاجبه فى وجوههم وقال وراءكم فضربه الهيثم بن شعبة على حبل عاتقه فصرعه وقاتل ابنه داود فقتل وقتل مواليه ونحى الصبى من حجره وقال دونكم هذا الصبى وخر ساجدا فقتل وهو ساجد ومضوا برؤسهم الى أبى جعفر فنادى بالامان للناس وقال أبو عطاء السندى واسمه مرزوق وقيل أفلح مولى بنى أسد يرثى ابن هبيرة

الا ان عينا لم تجد يوم واسط * عليك بجارى دمعها لجمود
عشية قام النائحات وشققت * جيوب بايدى مأتم وخدود
فان تمس مهجور الفناء فربما * أقام به بعد الوفود وفود
وانك لم تبعد على متعهد * بلى كل من تحت التراب بعيد

قلت وهذه المرثية ذكرها أبو تمام الطائى فى كتاب الحماسة فى باب المراثى قلت الى ههنا انتهى ما نقلته من

مرادباشا بقسطنطينية بثلاثين وهو أول مدرس من ابناء القضاة بالوظيفة المزبورة أولا ثم درس بالمدرسة القلندرية بالبلدة المسفورة باربعين ثم صار وظيفته فيها خمسين ثم نقل الى مدرسة السيدة المعظمة اسماخان بنت السلطان سليم خان المبنية فى جوار أبى أيوب الانصارى عليه رحمة الملك البارى ثم نقل الى احدى المدارس الثمان وتوفى رحمه الله مطعونا وهو مدرس بها فى أواسط جمادى الآخرة (سنة احدى وثمانين وتسعمائة) وما بلغ عمره أربعين سنة ولعل ذلك مما فيه من العجب الزائد وازدراء الناس والوقوع فى اعراضهم كثيرا وقد وقع لى واقعة غريبة بعد موته أرجو الخير فيها واستبشر بذكرها وهى انه لما رأيته فى المنام سألته عما بدا له بعد موته فأخبر عن نفسه وقال لما انتقلت من هذه الدار ادخلت مجلس النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو غاص بالاكابر وقد اجتمع حوله من ختم لهم بالايمان فغلبنى هيبة ذلك المجلس وأخذنى دهشة وحيرة فاذا بقائل يقول كيف كان اعتقادك فى الدنيا وعلى أى شئ ختمت فما قدرت على الجواب بما عرض لى من الحيرة فاستمات من

تاريخ الطبرى مقتضبا فانى جمعته من عدة مواضع حتى انتظم على هذه الصورة وأما غير الطبرى فانه قال لما قدم أبو جعفر على الحسن بن قحطبة تحول له الحسن من سرادقه فانزله فيه وأقاموا يقتتلون أياما وثبت معن ابن زائدة مع ابن هبيرة وطال الحصار عليهم وكان أبو جعفر المنصور يقول ابن هبيرة يخندق على نفسه مثل النساء وبلغ ابن هبيرة ذلك فارسل اليه أنت القائل كذا وكذا ابرز الى لترى فارسل اليه المنصور ما أجد لك ولى مثلا الا كاسد لقى خنزيرا فقال له الخنزير بارزنى فقال له الاسد ما أنت لى بكفؤ فان بارزتك فنالنى منك شر كان ذلك عارا على وان قتلتك قتلت خنزيرا فلم أحصل على حمد ولا فى قتلك فخر فقال له الخنزير ان لم تبارزنى لأعرفن السباع انك جبنت عنى فقال له الاسد احتمال عار كذبك أيسر من تلطخ براثنى بدمك ثم ان المنصور كاتب القواد وفهم ابن هبيرة فطلب الصلح فأجابه المنصور وكتبوا كتاب الصلح والامان وسيره المنصور الى أخيه السفاح فامضاه وكتب فيه فان غدر ابن هبيرة أو نكث فلا عهد له ولا أمان وكان من رأى المنصور الوفاء له وقال أبو الحسن المدائنى لما كتب المنصور بينه وبين ابن هبيرة كتاب الصلح خرج الى المنصور وبينه وبينه ستر فقال ابن هبيرة أيها الامير ان دولتكم بكر فاذيقوا الناس حلاوتها وجنبوهم مرارتها تصل محبتكم الى قلوبهم ويعذب ذكركم على ألسنتهم ومازلنا منتظرين لدعوتكم قال فرفع المنصور الستر بينه وبينه وقال فى نفسه عجبا لمن يأمرنى بقتل مثل هذا وصار ابن هبيرة يخرج الى المنصور فى آخر أمره فى ثلاثة من أصحابه يتغدى ويتعشى عنده وكان يثنى له وسادة فيقال انه كان يكاتب عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه ويدعو اليهم والى خلع السفاح وجاءه كتاب أبى مسلم الخراسانى يحثه على قتل ابن هبيرة فكتب السفاح الى المنصور يأمره بقتله فقال لا أفعل وله فى عنقى بيعة وأيمان فلا أضيعها بقول أبى مسلم فكتب اليه السفاح انى لا أقتله بقول أبى مسلم بل بنكثه وغدره ودسيسته الى آل أبى طالب وقد أبيح لنادمه فلم يجبه المنصور وقال هذا افساد الملك فكتب اليه السفاح لست منى ولست منك ان لم تقتله فقال المنصور للحسن بن قحطبة اقتله أنت فامتنع فقال حازم بن خزيمة أنا اقتله فدخل عليه وهو فى جماعة من قواد خراسان وهو فى القصر وعنده ابنه داود وكاتبه ومواليه وعليه قميص مصرى وملاءة موردة وعنده الحجام وهو يريد أن يحجمه فلما رآهم سجد فقتلوه وقتلوا ابنه وكاتبه ومن كان معه وحملوا رأسه الى المنصور وكان معن بن زائدة غائبا عن واسط عند السفاح فسلم وبعث المنصور برأس ابن هبيرة الى السفاح وكان ذلك فى سنة اثنتين وثلاثين ومائة قال الهيثم بن عدى لما قتل ابن هبيرة قال بعض الخراسانيين لبعض أصحاب ابن هبيرة ما كان أكبر رأس صاحبكم فقال له الرجل أما نكم له كان أكبر وذكر الخطيب أبو زكريا التبريزى فى كتاب شرح الحماسة فى باب المراثى عند ذكره أبيات أبى عطاء السندى الدالية المقدم ذكرها التى رثى بها يزيد المذكور فقال وكان المنصور قد حلف له وأكد الايمان فلما قتله وحمل رأسه اليه قال المنصور للحرسى أترى طينة رأسه ما أعظمها فقال الحرسى طينة ايمانه أعظم من طينة رأسه وهدم المنصور قصر واسط وقال الحافظ ابن عساكر فى تاريخه الكبير كان ابن هبيرة اذا أصبح أتى بعس (قلت العس بضم العين المهملة وبعدها سين مهملة مشددة وهو القدح الكبير) قال وفيه لبن قد حلب على عسل واحيانا على سكر فيشربه قبل صلاة الغداة فاذا صلى الغداة جلس فى مصلاه حتى تحل الصلاة فيصلى ثم يدخل فيحركه اللبن فيدعو بالغداء فيأكل دجاجتين وناهضين ونصف جدى وألوانا من اللحم (والناهض بالنون وبعد الهاء المكسورة ضاد معجمة وهو الفرخ من الحمام) قال ثم يخرج فينظر فى امور الناس الى نصف النهار ثم يدخل فيدعو جماعة من خواصه واعيان الناس ويدعو بالغداء فيتغدى ويضع منديلا على صدره ويعظم اللقم ويتابع فاذا فرغ من الغداء تفرق من كان عنده ودخل الى نسائه فلا يزال حتى يخرج الى صلاة الظهر ثم ينظر بعد الظهر فى امور الناس فاذا صلى العصر وضع له سرير ووضعت الكراسى للناس فاذا أخذ الناس مجالسهم أتوهم بعساس اللبن والعسل وألوان الاشربة (قلت والعساس بكسر العين جمع عس وقد تقدم الكلام عليه) ثم توضع السفرة والطعام للعامة ويوضع له ولأصحابه خوان مرتفع فيأكل معه الوجوه الى المغرب

الاطراق فوصل يدى الى صورة فتوى كتبها أبى تتضمن اعتقاد أهل السنة من التوحيد وغيره فأخذتها وناولتها السائل وقلت انى ختمت على مافى طى هذا الكتاب وانه هو الذى وقع عليه اعتقادى وكان به اعتمادى فاكتفى منى بهذا القدر وليعلم انه وان كان يحصل للداخل فى هذا الجمع العظيم كمال الحيرة والدهشة الا أن فيه من التوسيع والعفو ما يزيد على المأمول ويربو على المسؤل فانه جاء بعدى كثير من أرباب الملاهى وضعفاء الناس وغفر لجميعهم وعفى عنهم خصوصا الخلفاء الاربعة فان بشفاعتهم يعفى عن خلق لا يحصون كثرة ولا يحتملون عدة اللهم اجعلنا مظاهر ألطافك الكاملة ورأفتك الوافرة الشاملة كان رحمه الله من الذين برزوا فى ميدان الفضل والبيان واحرزوا التحصيل عند سابق الفرسان تضلع من العلم وبلغ الى نصابه ولم ينض عنه ثوب شبابه ولج فى بيوت المعارف من كل باب والتحق بالشيوخ وهو فى سن الشباب وكان من جملة من تدرع الصيانة وبرز فى العفاف والديانة وقد ألحق نفسه بزمرة الصوفية واسترشد ببعض المشايخ الخلوتية وكان فى قول الحق من السيوف الصوارم

ثم

ثم يتفرقون للصلاة ثم تأتيه سماره فيحضرون مجلسا يجلسون فيه حتى يدعوهم فيسامرهم حتى يذهب عامة الليل وكان يسئل فى كل ليلة عشرة حوائج فاذا أصبحوا قضيت وكان رزقه ستمائة ألف درهم فكان يقسم كل شهر فى أصحابه من قومه ومن الفقهاء والوجوه وأهل البيوتات جملة مستكثرة فقال عبد الله بن شبرمة الضبى القاضى الفقيه الكوفى وكان من سماره

اذا نحن اعتمنا ومال بنا الكرى * أتانا باحدى الراحتين عياض

وعياض بوابه واحدى الراحتين الدخول والانصراف ولم يكن له منديل فكان اذا دعا بالمنديل قام الناس وقال شيخ من قريش اذن يزيد بن عمر بن هبيرة فى يوم صائف شديد الحر للناس فدخلوا عليه وعليه قميص خلق مرقوع الجيب فجعلوا ينظرون اليه ويتعجبون منه ففطن لهم فتمثل بقول ابراهيم بن هرمة

قد يدرك الشرف الفتى ورداؤه * خلق وجيب قميصه مرقوع

واخباره ومحاسنه كثيرة مشهورة وقال خليفة بن خياط قتل ابن هبيرة بواسط يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة سنة اثنتين وثلاثين ومائة رحمه الله تعالى وقال أبو جعفر الطبرى فى تاريخه توفى الحسن ابن قحطبة فى سنة احدى وثمانين ومائة

(أبو خالد يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبى صفرة الازدى)

قد تقدم ذكر بقية نسبه فى ترجمة جده المهلب بن أبى صفرة وقد ذكرت أخاه روح بن حاتم فى حرف الراء وعم أبيه يزيد بن المهلب ومن ولده الوزير أبو محمد الحسن بن محمد المهلبى المقدم ذكره وهم أهل بيت كبير اجتمع فيه خلق كثير من الاعيان الامجاد النجباء ذكر ابن جرير الطبرى فى تاريخه ان الخليفة أبا جعفر المنصور عزل حميد بن قحطبة عن ولاية مصر فولاها نوفل بن الفرات ثم عزله وولى يزيد بن حاتم وذلك فى سنة ثلاث وأربعين ومائة ثم ان المنصور عزله عن مصر فى سنة اثنتين وخمسين ومائة وجعل مكانه محمد بن سعيد وقال أبو سعيد بن يونس فى تاريخه ولى يزيد بن حاتم مصر فى سنة أربع وأربعين ومائة وزاد غيره فى منتصف ذى القعدة ثم ان المنصور خرج الى الشام وزيارة بيت المقدس فى سنة أربع وخمسين ومن هنالك سير يزيد بن حاتم الى افريقية لحرب الخوارج الذين قتلوا عامله عمر بن حفص وجهز معه خمسين ألف مقاتل سارت معه واستقر يزيد المذكور والياً بافريقية من يومئذ وكان وصوله اليها واستظهاره على الخوارج فى سنة خمس وخمسين ودخل مدينة القيروان فى هذا التاريخ وكان جوادا سريا مقصودا ممدوحا قصده جماعة من الشعراء فاحسن جوائزهم وكان أبو اسامة ربيعة بن ثابت الاسدى الرقى وقيل انه من موالى سليم قد قصد يزيد بن أسيد بضم الهمزة وفتح السين المهملة بن زافر بن أسماء بن أسيد بن قنفذ بن جابر بن قنفذ بن مالك بن عوف ابن امرئ القيس بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن حصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد ابن عدنان وهو يومئذ والى أرمينية وكان قد وليها زمانا طويلا لابى جعفر المنصور ثم من بعده لولده المهدى وكان يزيد المذكور من أشراف قيس وشجعانهم ومن ذوى الآراء الصائبة ومدحه ربيعة المذكور بشعر أجاد فيه فقصر فى حقه ومدح يزيد بن حاتم فبالغ فى الاحسان اليه فقال ربيعة قصيدة يفضل فيها يزيد ابن حاتم على يزيد بن أسيد وكان فى لسان يزيد بن أسيد تمتمة فعرض بذكرها فى هذه الابيات فقال

حلفت يمينا غير ذى مثنوية * يمين امرئ آلى بها غير آثم
لشتان ما بين اليزيدين فى الندى * يزيد سليم والاغر ابن حاتم
يزيد سليم سالم المال والفتى * أخو الازد للاموال غير مسالم
فهم الفتى الازدى اتلاف ماله * وهم الفتى القيسى جمع الدراهم
فلا يحسب التمتام أنى هجوته * ولكننى فضلت أهل المكارم
فيا أيها الساعى الذى ليس مدركا * بمسعاته سعى البحور الخضارم
سعيت ولم تدرك نوال ابن حاتم * لفك أسير واحتمال العظائم

لا يخاف فى الله لومة لائم لا يثنى عنان عزمته المجالس ولا يصرفه زمام صرعته طغية المنافس شديد العزم والباس يخافه الناس قلما تلد مثله النساء عليه رحمة الله تعالى ما تعاقب الصبح والمساء

(ومن المخاديم الاعيان وخاص أبناء العصر والاوان عبد الكريم بن محمد بن أبى السعود)

نشأ رحمه الله فى روضة المجد والافضال ودوحة العز والاقبال الى أن منى والده بشدائد الفرقة والانتقال فتكفل أمره جده المولى أبو السعود وأسبل عليه اذيال ملابس الفضل والجود وتربى فى كنف حمايته عدة سنين الى أن صار ملازما منه وقلد أولا بمدرسة محمود باشا بخمسين وكان ذلك له تعظيما لجده على خلاف العادة فتصدى مدة للدرس والافادة ثم نقل الى مدرسة أبى أيوب الانصارى عليه رحمة البارى ثم نقل الى احدى المدارس الثمان ثم الى احدى مدارس السلطان سليمان وقد أسرع فى النقل والحركات حتى مضى بين نصبه هذا وقراءته المختصرات قدر ثمان أو تسع سنوات وتوفى رحمه الله مدرسا بهذه المدرسة وما بلغ عمره ثلاثين سنة (وذلك سنة احدى وثمانين وتسعمائة) كان رحمه الله

كفاك بناء المكرمات ابن حاتم * وتمت وما الازدى عنها بنائم
فيا ابن أسيد لاتسام ابن حاتم * فتقرع ان ساميته سن نادم
هو البحران كافت نفسك خوضه * تهالكت فى آذيه المتلاطم
تمنيت مجدا فى سليم سفاهة * أمانى خال أو أمانى حالم
الا انما آل المهلب غرة * وفى الحرب قادات لكم بالخزائم
هم الانف فى الخرطوم والناس بعدهم * مناسم والخرطوم فوق المناسم
قضيت لكم آل المهلب بالعلا * وتفضيلكم حقا على كل حالم
لكم شيم ليست لخلق سواكم * سماح وصدق الناس عند الملاحم
مهينون للاموال فيما ينوبكم * مناعيش دفاعون عن كل جارم

قال دعبل بن على الخزاعى الشاعر المقدم ذكره قلت لمروان بن أبى حفصة الشاعر وقد تقدم ذكره أيضا ياأبا السمط من أشعركم من جماعة المحدثين قال أيسرنا بيتا قلت ومن هو قال الذى يقول

لشتان مابين اليزيدين فى الندى * يزيد سليم والاغر ابن حاتم

وكنت قد ذكرت بعض هذه الابيات فى ترجمة أخيه روح بن حاتم ثم انى ظفرت بها أكمل من تلك فاحببت ان أفرد له ترجمة وأذكر ماجرى له لان مثله لا يصلح أن يكون ضميمة فى ترجمة أخيه وكان ربيعة بن ثابت الرقى قد قصده قبل هذه المرة فلم يره من الاحسان ما كان يرجوه فنظم أبياتا من جملتها

أرانى ولا كفران لله راجعا * بخفى حنين من نوال ابن حاتم

ولما عقد أبو جعفر المنصور ليزيد المهلبى المذكور على بلاد افريقية وليزيد السلمى المذكور على ديار مصر خرجا معا فكان يزيد المهلبى يقوم بكفاية الجيشين فقال ربيعة الرقى المذكور

يزيد الخيران يزيد قومى * سميك لا يجود كما تجود
تقود كتيبة ويقود أخرى * فترزق من تقود ومن يقود

قلت وهذا يدل على ان ربيعة المذكور مولى بنى سليم لقوله يزيد قومى * وفد أشعب المشهور بالطمع على يزيد وهو بمصر فجاس فى مجلسه فدعا بغلامه فساره فقام أشعب فقبل يده فقال له يزيد لم فعلت هذا فقال لانى رأيتك تسارغلامك فظننت انك قد امرت لى بشئ فضحك منه وقال مافعلت هذا ولكنى افعل ووصله واحسن اليه وقال الطرطوشى فى كتاب سراج الملوك قال سحنون بن سعيد كان يزيد بن حاتم حكيما يقول والله ماهبت شيأ قط هيبتى لرجل ظلمته وانا اعلم انه لاناصر له الا الله تعالى فيقول الله حسبك الله بينى و بينك وذكر ابو سعيد السمعانى فى كتاب الانساب ان المسهر التميمى الشاعر وفد على يزيد بن حاتم بافريقية فانشده

اليك قصرنا النصف من صلواتنا * مسيرة شهر ثم شهر نواصله
فلانحن نخشى ان يخيب رجاؤنا * لديك ولكن اهنا البر عاجله

فأمر يزيد بوضع العطاء فى جنده جميعه وكان معه خمسون ألف مرتزق فقال من أحب أن يسرنى فليضع لزائرى هذا من عطاياه درهمين فاجتمع له مائة ألف درهم وضم يزيد الى ذلك مائة ألف أخرى ودفعهما اليه قلت ثم وجدت البيتين المذكورين لمروان بن أبى حفصة والله أعلم وقد ذكره الحافظ المعروف بابن عساكر فى تاريخ دمشق فقال بعد ذكر أحواله وولاياته ان يزيد بن حاتم قال لجلسائه انسبوا الى ثلاثة أبيات فقال صفوان بن صفوان من بنى الحرث بن الخزرج أفيك فقال فيمن شئتم فكأنها كانت فى فمه فقال

لم أدر ما الجود الا ما سمعت به * حتى لقيت يزيدا عصمة الناس
لقيت أجود من يمشى على قدم * مفضلا برداء الجود والباس
لو نيل بالمجد جود كنت صاحبه * وكنت أولى به

قال صفوان ثم كففت فقال أتمم فقلت

من آل عباس

وقلت

تخذوه مؤدبا ذا وجاهة فقية من الكرم والحزم والنباهة مشهورا بحسن الخط والكتابة من بين من حل بهذه المثابة مستحسنا فى الزى واللباس متلطفا معاملة الناس وقد داوم على الاشتغال والدرس حتى أفضت به المنية الى الرمس *(ومن قرع بعوالى صيته مسامع الاكوان وافتخر بدرة وجوده صدف العصر والاوان وألقى اليه الشرف الواضح مقاليده وملك من العز الشامخ طريفه وتليده واستولى على عمائر البراعة ببيض الطروس وسمر اليراعة وبرز فى هذه الاقطار وساد وبنى بيت التقدم على أرفع الاعماد المولى المعظم والمفتى المفخم أبو السعود بن محمد ابن مصطفى العماد)* كان أبوه من جملة من خلص نفسه السرية عن الكدرات البشرية وجمع بين الشريعة والطريقة مع التضلع من العلوم الرسمية بالحقيقة وقد وقع نبذة من بخار سماء مآثره وقطرة من مواطر سحائب مفاخره فى الشقائق النعمانية وسيأتى فى هذه العجالة اليسيرة بعض مناقبه الجمة الكثيرة ولد رحمه الله سنة ثمان وتسعين وثمانمائة بقرية قريبة من قسطنطينية المحمية من خواص أوقاف الزاوية التى بناها السلطان بايزيدخان عليه الرحمة والرضوان للشيخ محيى الدين

وقلت لا يصلح فقال لا يسمعن هذا منك أحد وقال عوت ابن المزرع قال لى الاصمعى يوما وقد جئته مسلما عليه الى أن ذكر شعر الشعراء المحسنين المداحين من المولدين فقال لى ياأباعثمان ابن المولى من المحسنين المداحين ولقد اسهرنى فى ليلتى هذه حسن مديحه يزيد بن حاتم حيث يقول

واذا تباع كريمة أو تشترى * فسواك بائعها وأنت المشترى * واذا تخيل من سحابك لامع
سبقت مخيلته يد المستمطر * واذا صنعت صنيعة أتممتها * بيدين ليس نداهما بمكدر
واذا الفوارس عددت أبطالها * عدوك فى أبطالهم بالخنصر

ولما قدم عليه ابن المولى المذكور أنشده وهو أمير مصر

ياواحد العرب الذى * أضحى وليس له نظير لو كان مثلك آخر * ما كان فى الدنيا فقير

فدعا يزيد بخازنه وقال كم فى بيت مالى قال فيه من الورق والعين مامبلغه عشرون ألف دينار فقال ادفعها اليه ثم قال ياأخى المعذرة الى الله تعالى واليك ولو أن فى ملكى غيرها لما ادخرتها عنك وهذا ابن المولى هو أبو عبد الله محمد بن مسلم وعرف بابن المولى * وروى الاصمعى أيضا ان يزيد لما كان بافريقية جاءه البشير يخبره انه ولد له مولود بالبصرة فقال قد سميته المغيرة وكان عنده المسهر التميمى فقال بارك الله لك أيها الامير فيه وبارك له فى بنيه كما بارك لجده فى أبيه ولم يزل يزيد واليا بافريقية الى أن توفى بها يوم الثلاثاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة سبعين ومائة بالقيروان ودفن بباب سلم واستخلف على افريقية ولده داود بن يزيد فعزله هرون الرشيد فى سنة اثنتين وسبعين ومائة وولاها عمه روح بن حاتم المقدم ذكره والله تعالى أعلم

(ابو خالد وأبو الزبير يزيد بن مزيد بن زائدة وهو ابن أخى معن بن زائدة الشيبانى المقدم ذكره)

وقد استوفيت ذكر نسبه هنالك فلا حاجة الى اعادته ههنا كان يزيد المذكور من الامراء المشهورين والشجعان المعروفين كان واليا بارمينية فعزله عنها هرون الرشيد سنة اثنتين وسبعين ومائة ثم ولاه اياها وضم اليه اذربيجان فى سنة ثلاث وثمانين وقد سبق طرف من خبره فى ترجمة الوليد بن طريف الشيبانى الخارجى فانه هو الذى تولى محاربته وقتله وذكر أرباب التاريخ ان الوليد بن طريف الشيبانى لما خرج على هرون الرشيد ببلاد الجزيرة وهى فيما بين الفرات وشط الموصل وذلك فى سنة ثمان وسبعين ومائة وكثر جمعه من الشراة حتى انتشر وافى تلك البلاد ونهض اليهم عامل ديار ربيعة فقتلوه وساروا الى ديار مضر فحصر واعبد الملك بن صالح بن على العباسى بالرقة فاستشار هرون الرشيد يحيى بن خالد البرمكى فيمن يوجهه لحرب الوليد ابن طريف فقال له يحيى بن خالد البرمكى وجه موسى بن حازم التميمى فان فرعون كان اسمه الوليد فغرقه موسى عليه السلام فوجهه اليه الرشيد فى جيش كثيف فلاقاه الوليد فى أصحابه فهزمه الوليد وقتله فلما بلغ ذلك الرشيد وجه اليه معمر بن عيسى العبدى فكانت بينهما عدة وقائع بناحية دارا من ديار ربيعة فلما اتصل ذلك وكثرت جموع الوليد وظهر هذا الظهور العظيم قال الرشيد ليس لها الا الاعرابى يزيد بن مزيد الشيبانى فقال بكر بن النطاح الشاعر

لاتبعثن الى ربيعة غيرها * ان الحديد بغيره لا يفلح

فوجه الرشيد اليه يزيد المذكور فى عسكر ضخم وأمره بمناجزته فقصده يزيد وجعل الوليد يراوغه ويزيد يتبعه وكان الوليد ذامكر ودهاء ثم كانت بينهما حروب صعبة وبلغ الرشيد مماطلة يزيد بن مزيد له فوجه اليه خيلا بعد خيل ثم بعث اليه من يعنفه فسار يزيد فى طلبه ثم نزل يصلى الصبح فلم يتم صلاته حتى طلع الوليد عليه فى عسكره واصطفت الخيلان وتزاحف الناس فلما شبت الحرب ناداه يزيد ياوليد ماحاجتك الى التستر بالرجال ابرز لى فقال نعم والله فبرز الوليد وبرز اليه يزيد ووقف العسكران فلم يتحرك منهما أحد فتطاردا ساعة وكل واحد منهما لا يقدر على صاحبه حتى مضت ساعات من النهار فامكنت يزيد فيه الفرصة فضرب رجله فسقط وصاح بخيله فسقطوا عليه واحتز وارأسه وذكر أبو يعقوب اسحق بن ابراهيم المعروف بابن الفرات الهروى فى تاريخه ان الوليد بن طريف قتله يزيد بن مزيد بالحديثة من أرض الجزيرة قلت وهذه الجزيرة هى الجزيرة الفراتية والحديثة بالقرب من عانة وتعرف بحديثة النورة وهى على فراسخ من الانبار

المسفور والد المولى المزبور وقد مهد له فى مهد الصواب وسخر له أبيات الخطاب وتربى فى حجر العلم حتى رباه وارتضع ثدى الفضل الى أن ترعرع وحبا ولازال يخدم العلوم الشريفة حتى رحب باعه واستد ساعده واشتد اتساعه وقد استفاد من الاجلة الكرام والاعزة الفخام على ماذكره نفسه فى صورة الاجازة للشيخ عبد الرحمن المشتهر بشيخ زاده فلا نطيل الكلام بالتكرار والاعادة وقد نقل عنه رحمه الله انه قال مرة قرأت على والدى الشيخ محيى الدين حاشية التجريد للشريف الجرجانى من أول الكتاب الى آخره مع جميع الحواشى المنقولة عنه وقد قرأت عليه شرح المفتاح للعلامة المسفور مرتين وشرح المواقف له أيضا بالتمام والكمال ولما صار ملازما من المولى سيدى جابى قلد التدريس فى مدرسة كقرى بخمسة وعشرين فتردد فى القبول فنقل فى اثنائه الى مدرسة اسحق باشا ببلدة اينه كول بثلاثين ولما انفصل عنها قلد بعد عدة اشهر مدرسة داود باشا بمدينة قسطنطينية باربعين ثم نقل عنها الى مدرسة على باشا بالمدينة المزبورة بخمسين ولما بنى الوزير مصطفى باشا مدرسته التى بقصبة كبكبوزه نقل اليها

وهى غير حديثة الموصل ووجه يزيد برأس الوليد الى الرشيد وبكتاب الفتح مع ابنه أسد بن يزيد وفى ذلك يقول أبو الوليد مسلم بن الوليد الانصارى الشاعر المشهور وكان منقطعا الى يزيد ومختصا به

سل الخليفة سيفا من بنى مطر * يمضى فيخترق الاجسام والهاما
عاش الوليد مع العامين أعواما * لولا يزيد ومقدار له سبب
أكرم به وبآباء له سلفوا * ابقوا من المجد ايا ماوأياما

ولما انصرف يزيد الى باب الرشيد قدمه ورفع رتبته وقال له يا يزيد ما أكثر أمراء المؤمنين فى قومك قال نعم الا أن منابرهم الجذوع يعنى الجذوع التى يصلبون عليها اذا قتلوا وكان قتل الوليد بن طريف فى سنة تسع وسبعين ومائة كما سبق ذكره فى ترجمته ورثته أخته الفارعة بتلك الابيات الفائية المذكورة هنالك وقالت أخته الفارعة فيه أيضا

يابنى وائل لقد فجعتكم * من يزيد سيوفه بالوليد
لوسيوف سوى سيوف يزيد * قاتلته لاقت خلاف السعود
وائل بعضها يقتل بعضا * لا يفل الحديد غير الحديد

وقد روى ان هرون الرشيد لما جهز يزيد بن مزيد الى حرب الوليد بن طريف أعطاه ذا الفقار سيف النبى صلى الله عليه وسلم وقال له خذه يا يزيد فانك ستنصر به فأخذه ومضى وكان من هزيمة الوليد وقتله ما قد شرحناه وفى ذلك يقول مسلم بن الوليد الانصارى من جملة قصيدة يمدح بها يزيد بن مزيد المذكور

اذكرت سيف رسول الله سنته * وبأس أول من صلى ومن صاما

يعنى بأس على بن أبى طالب رضى الله عنه اذ كان هو الضارب به * وقد ذكر هشام بن الكلبى فى جمهرة النسب شيأ يتعلق بذى الفقار وهى فائدة يحسن ذكرها ههنا فانه قال فى نسب قريش منبه ونبيه ابنا الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم القرشى كانا سيدى بنى سهم فى الجاهلية قتلا يوم بدر كافرين وكانا من المطعمين والعاص بن نبيه قتل مع أبيه وكان له ذو الفقار فقتله على بن أبى طالب رضى الله عنه يوم بدر وأخذه منه وقال غير ابن الكلبى ان ذا الفقار أعطاه النبى صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه والفقار بفتح الفاء جمع فقارة الظهر يقال فى جمعها فقار وفقارات ويقال ذو الفقار بكسر الفاء أيضا والفقار جمع فقرة بكسر الفاء وسكون القاف ولم يأت مثله فى الجموع الا قولهم ابرة وابار (رجعنا الى حديث ذى الفقار) وكان سبب وصوله الى هرون الرشيد ما ذكره أبو جعفر الطبرى باسناد متصل الى عمر بن المتوكل عن أمه وكانت أمه تخدم فاطمة بنت الحسين بن على رضى الله عنهما قالت كان ذو الفقار مع محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم يوم قتل فى محاربته لجيش أبى جعفر المنصور العباسى والواقعة مشهورة فلما أحس محمد بالموت دفع ذا الفقار الى رجل من التجار كان معه وكان له عليه أربعمائة دينار وقال له خذ هذا السيف فانك لا تلقى أحدا من آل أبى طالب الا أخذه منك وأعطاك حقك فكان السيف عند ذلك التاجر حتى ولى جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه اليمن والمدينة فاخبر عنه فدعا بالرجل فاخذ منه السيف وأعطاه أربعمائة دينار فلم يزل عنده حتى قام المهدى بن المنصور واتصل خبره به فاخذه ثم صار الى موسى الهادى ثم الى أخيه هرون الرشيد وقال الاصمعى رأيت الرشيد بطوس متقلدا سيفا فقال يا أصمعى ألا أريك ذا الفقار قلت بلى جعلنى الله فداك فقال استل سيفى هذا فاستللته فرأيت فيه ثمانى عشرة فقارة (قلت خرجنا عن المقصود فلنرجع الى تتمة حديث يزيد بن مزيد) ذكر الخطيب أبو بكر أحمد بن على بن ثابت البغدادى فى تاريخ بغداد ان يزيد المذكور دخل على الرشيد فقال له الرشيد يا يزيد من الذى يقول فيك

لا يعبق الطيب كفيه ومفرقه * ولا يمسح عينيه من الكحل
قد عود الطير عادات وثقن بها * فهن يتبعنه فى كل مرتحل

قال لا أدرى يا أمير المؤمنين فقال أيقال فيك مثل هذا الشعر ولا تعرف قائله فانصرف خجلا فلما صار الى منزله قال لحاجبه من بالباب من الشعراء فقال مسلم بن الوليد الانصارى قال ومنذ كم هو مقيم على الباب قال

ثم نقل الى مدرسة السلطان محمد بمدينة بروسه ثم نقل الى احدى المدارس الثمان وقد انشد رحمه الله لنفسه عند قفوله عنها هذه الابيات

(شعر)

دنا النأى عن نجد فاصبحت قائلا
وداعا لمن قد حل هذى المنازلا
فيا حبذا تيك المعالم والربا
بها كل من تهوى وما كنت آملا
نسيم الصبا عرج عليها ونادها
سقاك الغوادى والبلاثم وابلا
وسلم على قطانها باستكانة
وبلغ دعائى هؤلاء الاماثلا
ونبئهم نبا اشتياقى وقل لهم
فؤادى بمغناهم وان كنت راحلا
ويا شاهقا خلف الحمى ثم دونه
عليك سلام بكرة وأصائلا
لبست الثياب البيض بعدى فاننى
على مأتم مذ سقت عنك الرواحلا
ولم أر أمرا سرنى منذ أصبحت
صروف النوى بينى وبينك حائلا
نأت عنك دارى لا قلى وسآمة
بلى فعل التقدير ما كان فاعلا
وان تبرح الاشواق تزداد فى الحشى
الى ان أرى أمرا من الدهر هائلا

منذ زمان طويل منعته من الوصول اليك لما عرفته من اضاقتك قال أدخله فادخله فانشده هذه القصيدة حتى ختمها فقال لوكيله بع ضيعتى الفلانية واعطه نصف ثمنها واحتبس نصفا لنفقتنا فباعها بمائة ألف درهم فاعطى مسلما خمسين ألفا فرفع الخبر الى الرشيد فاستحضر يزيد وسأله عن الخبر فأعلمه الحديث فقال قد أمرت لك بمائتى ألف درهم لتسترجع الضيعة بمائة ألف درهم وتزيد شاعرك خمسين ألفا وتحبس خمسين ألفا لنفسك قال أبو بكر بن الانبارى قال أبى سرق مسلم بن الوليد هذا المعنى من قول النابغة الذبيانى حيث يقول

اذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم * عصائب طير تهتدى بعصائب
يصاحبنهم حتى يغزن مغارهم * من الضاريات بالدماء الدوارب
جوانح قد أيقن أن قبيله * اذا ما التقى الجمعان أول غالب
لهن عليهم عادة قد عرفنها * اذا عرض الخطى فوق الكواثب

الكواثب بالثاء المثلثة وبعدها الباء الموحدة جمع كاثبة وهى ما يقرب من منسج الفرس أمام قربوس السرج قلت وأول قصيدة مسلم بن الوليد الانصارى

اجررت ذيل خليع فى الصبا غزل * وقصرت همم العذال عن عذلى
حاط الخلافة سيف من بنى مطر * أقام قائمه من كان ذا ميل
كم صائل فى ذرا علياء مملكة * لولا يزيد بنى شيبان لم يصل
ناب الامام الذى يفتر عنه اذا * ما افترت الحرب عن انيابها العصل
يفتر عند افترار الحرب مبتسما * اذا تغير وجه الفارس البطل
ينال بالرفق ما تعيا الرجال به * كالموت مستعجلا يأتى على مهل
لا يرحل الناس الا عند حجرته * كالبيت يضحى اليه ملتقى السبل
يكسو السيوف نفوس الناكثين به * ويجعل الهام تيجان القنا الذبل
يغدو فتغدو المنايا فى اسنته * شوارعا تتحدى الناس بالاجل
اذا طغت فئة عن غب طاعته * عنا لها الموت بين البيض والاسل
تراه فى الأمن فى درع مضاعفة * لا يأمن الدهر ان يدعى على عجل

وذكر أبو الفرج الاصبهانى فى كتاب الاغانى فى ترجمة مسلم بن الوليد الانصارى أن يزيد بن مزيد قال أرسل الى الرشيد يوما فى وقت لا يرسل فيه الى مثلى فأتيته لابسا سلاحى مستعد الامر ان أراده فلما رآنى ضحك الى وقال من الذى يقول فيك تراه فى الامن فى درع مضاعفة * لا يأمن الدهر أن يدعى على عجل

لله من هاشم فى أرضه جبل * وأنت وابنك ركنا ذلك الجبل

فقلت لا أعرفه يا أمير المؤمنين فقال سوأة لك من سيد قوم يمدح بمثل هذا الشعر ولا يعرف قائله وقد بلغ أمير المؤمنين فرواه ووصل قائله وهو مسلم بن الوليد فانصرفت ودعوت به ووصلته ووليته (قلت) وهذان البيتان من جملة القصيدة التى ذكرت منها الابيات التى قبلها وقد روى ان عمه معن بن زائدة كان يقدمه على أولاده فعاتبته امرأته فى ذلك وقالت له لم تقدم يزيد ابن أخيك وتؤخر بنيك ولو قدمتهم لتقدموا ولو رفعتهم لارتفعوا فقال لها ان يزيد قريب منى وله على حق الولد اذ كنت عمه وبعد فان بنى ألوط بقلبى وأدنى من نفسى ولكنى لا أجد عندهم من الغناء ما أجد عنده ولو كان ما يطلع به يزيد فى بعيد لصار قريبا أو عدو لصار حبيبا وسأريك فى هذه الليلة ما تبسطين به عذرى يا غلام اذهب فادع حساما وزائدة وعبد الله وفلانا وفلانا حتى أتى على جميع أولاده فلم يلبسوا أن جاؤا فى الغلائل المطيبة والنعال السندية وذلك بعد هدأة من الليل فسلموا وجلسوا ثم قال معن يا غلام ادع يزيد فلم يلبث أن دخل عجلا وعليه سلاحه فوضع رمحه بباب المجلس ثم دخل فقال معن له ما هذه الهيئة يا أبا الزبير فقال جاءنى رسول الامير فسبق وهمى الى أنه يريدنى لمهم فلبست سلاحى وقلت ان كان الامر كذلك مضيت ولم أعرج وان كان غير ذلك فنزع هذه الآلة عنى

بلى ان أحكام الطبيعة كلها خيال سيغدو وعند ذلك باطلا وقد شرحت هذه الابيات فى نصف يوم من الاوقات لو كتبه كاتب فى اليوم الواحد لعده من أكبر المحامد ثم قلد رحمه الله قضاء بروسه ثم نقل الى قضاء قسطنطينية المحروسة ثم نقل الى قضاء العسكر فى ولاية روم ايلى ودام عليه مدة ثمانى سنين وقد ربى بزلال احسانه دوحة العلوم والفضائل وقلد جيد الزمان بخرائد افضاله وهو عاطل فعادت روضة المعارف الى بهائها ودوحة الآداب الى مائها ونمائها ولما انتقل المولى المرحوم عمدة أفاضل الروم حسنة العصر والاوان المولى سعد ابن عيسى بن أميرخان اضطرب أمر الفتوى وانتقل من يد الى يد ولم يثبت سقف بيته على عمد الى أن سلم زمامه اليه والقيت مقاليده لديه فنظم مصالحه نظم اللآل واشتغل بتشييد مبانيه أحسن الاشتغال وسيقت اليه الركائب من كل قطر وجانب وازدحم على بابه الوفود من أصحاب المجد والجدود وشملت شمائله العامة الخاصة والعامة وذلك سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة ودام على هذه الفعلة الحسنة نحوا من ثلاثين سنة وكتب الجواب مرارا فى يوم واحد على ألف رقعة مع حسن

من أيسر شئ فقال معن انصرفوا فى حفظ الله فلما خرجوا قالت زوجته قد تبين لى عذرك فانشد متمثلا

نفس عصام سوّدت عصاما * وعلمته الكرّ والاقداما * وصيرته ملكا هماما

والى هذه الحالة أشار مسلم بن الوليد بقوله

تراه فى الامن فى درع مضاعفة * لا يامن الدهر أن يدعى على عجل

وقد روى ان مسلم بن الوليد لما انتهى فى انشاده هذه القصيدة الى هذا البيت قال له يزيد بن مزيد الممدوح هلا قلت كما قال اعشى بكر بن وائل فى مدح قيس بن معديكرب

واذا تجئ كتيبة ملمومة * شهباء تجتنب الكماة نزالها
كنت المقدم غير لابس جنة * بالسيف تضرب معلما أبطالها

فقال مسلم قولى أحسن من قوله لانه وصفه بالخرق وأنا وصفتك بالحزم والخرق بضم الخاء المعجمة وسكون الراء و بعدها قاف وهو الاسم من عدم معرفة العمل قلت وقيس الذى مدحه الاعشى هو والد الاشعث بن قيس الكندى أحد الصحابة رضوان الله عليهم قلت وقد تقدم الكلام على قوله قد عوّد الطير عادات وثقن بها * وانه أخذ هذا المعنى من أبيات النابغة الذبيانى فى البائية التى تقدم ذكرها وقد وافقه فى أخذ هذا المعنى جماعة منهم أبو نواس قال عمر الوراق سمعت أبا نواس ينشد قصيدته الرائية التى أولها

أيها المنتاب من عفره * لست من ليلى ولا سمره لا أذود الطير عن شجر * قد بلوت المرّ من ثمره

قال فحسدته عليها فلما بلغ الى قوله

واذا مج القنا علقا * يتراءى الموت فى صوره * راح يثنى عن مفاضته
اسد يدمى شبا ظفره * وثناء الطير غدوته * ثقة بالسبع من جزره

قلت له ما تركت للنابغة شيأ حيث قال

اذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم * عصائب طير تهتدى بعصائب

فقال اسكت فلئن لم أحسن الاختراع لما أسأت فى الاتباع وأخذ هذا المعنى أبو تمام حبيب بن أوس الطائى فقال

وقد ظللت عقبان أعلامه * ضحى بعقبان طير فى الدماء نواهل
أقامت على الرايات حتى كأنها * من الجيش الا أنها لم تقاتل

وقال المتنبى أيضا يطمع الطير فيهم طول أكلهم * حتى تكاد على احيائهم تقع

وللمتنبى أيضا فى صفة جيش وقد ألم بهذا المعنى

وذى لجب لا ذو جناح أمامه * بناج ولا الوحش المثار بسالم * تمر عليه الشمس وهى ضعيفة
تطالعه من بين ريش القشاعم * اذا ضوءها لاقى من الطير فرجة * تدوّر فوق البيض مثل الدراهم

ولما كان يزيد واليا على اليمن قصده أبو الشمقمق مروان بن محمد مولى مروان الجعدى الشاعر المشهور الكوفى وكنيته أبو محمد وكان مشهورا بابى الشمقمق وهو فى حال رثة وكان راجلا فمدحه وشرح حاله بقوله

رحل المطى اليك طلاب الندى * ورحلت نحوك ناقة نعليه * اذ لم تكن لى يا يزيد مطية
فجعلتها فى السفار مطيه * تحدو أمام اليعملات وتعتلى * فى السير تترك خلفها المهريه
من كل طاوية الحشى مزورّة * قطعا لكل تنوفة دوّيه * تنتاب أكبر وائل فى بيتها
حسبا وقبة مجدها مبنيه * أعنى يزيدا سيف آل محمد * فرّاج كل شديدة مخشيه
يوماه يوم للمواهب والجدا * خضل ويوم دم وخطف منيه
ولقد أتيتك واثقا بك عالما * أن لست تسمع مدحة بنسيه

فقال صدقت يا شمقمق واست أقبل مدحة بنسية أعطوه ألف دينار ومدحه أبو الفضل منصور بن سلمة النمرى الشاعر المشهور بقصيدة طويلة بائية أحسن فيها كل الاحسان منها قوله

لو لم يكن لبنى شيبان من حسب * سوى يزيد لفاقوا الناس بالحسب

المقاطع والمقاصد وقد سارت أجوبته فى جميع العلوم فى الآفاق مسير النجوم وجعلت رشحات أقلامه تميمة بحر لكونها يتيمة بحر فياله من بحر وكان يكتب الجواب على منوال ما يكتبه السائل من الخطاب واقعا على لسان العرب والعجم والروم من المنثور والمنظوم وقد أثبت منهما ما يستعذبه الناظر ويستحسنه أرباب البصائر

(صورة السؤال)

ما قول مولانا وسيدنا وقدوتنا وموضح مشكلاتنا وفاتق رتق معضلاتنا كعبة المجد والكمال قامع الزيغ والضلال نقاب العلماء الاعلام وشيخ مشايخ الاسلام لا زالت دعائم الشرع شارعة بيمن وجوده واسعاد الدين كائرا بكتائب سعوده فى قوم اتخذوا قول لا اله الا الله موضوعا لتحريف النغمات ورعاية لصناعة الاصوات فطورا يزيدون وطورا ينقصون على حسب ما يلائم الصناعات الباطلات والآراء الفاسدات لا يرجون فى ذلك لله تعالى وقارا بل اتخذوا ذلك لبدعتهم شعارا

(صورة الجواب)

ماذكر أمر مخترع مكروه ومكر مبتدع بئسما مكروه فتردوا فى مهاوى الردى ومصارعه والتحقوا بالذين يحرفون الكلم عن

ما عرف الناس أن الجود مدفعة * للذم لكنه يأتى على النسب

وذكر أبو العباس المبرد فى كتاب الكامل ان يزيد بن مزيد المذكور نظر الى رجل ذى لحية عظيمة وقد تلفلفت على صدره واذا هو خاضب فقال له انك من لحيتك فى مؤنة فقال اجل ولذلك أقول

لها درهم للدهن فى كل ليلة * وآخر للحناء يبتدران
ولولا نوال من يزيد بن مزيد * لصوّت فى حافاتها الجلمان

قلت الجلمان بفتح الجيم واللام تثنية جلم وهو المقص وقال هرون الرشيد يوما يا يزيد انى قد أعددتك لامر كبير فقال يا أمير المؤمنين ان الله عز وجل قد أعد لك منى قلبا معقودا بنصيحتك ويدا مبسوطة لطاعتك وسيفا مشحوذا على عدوك فاذا شئت فقل وذكر المسعودى فى كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر أن هذه المقالة دارت بين هرون الرشيد ومعن بن زائدة عم يزيد المذكور ثم قال بعد هذا وقيل ان هذا الكلام من كلام يزيد بن مزيد (قلت انا) وهذا لا يمكن أن يكون بين الرشيد ومعن أصلا لان معنا قتل فى خلافة أبى جعفر المنصور حسبما تقدم ذكره فى ترجمته على الاختلاف فى السنة وهو بعد الخمسين ومائة فكيف يمكن أن يقول له الرشيد ذلك والرشيد ولى الخلافة فى سنة سبعين ومائة وذكر ابن عون فى كتاب الاجوبة المسكتة ان الرشيد قال ليزيد المذكور فى لعب الصوالجة كن مع عيسى بن جعفر فابى يزيد فغضب الرشيد وقال أتأنف أن تكون معه فقال قد حلفت لامير المؤمنين أن لا أكون عليه فى جد ولا لعب ورأيت فى بعض المجاميع حكاية عن بعضهم انه قال كنت مع يزيد بن مزيد فاذا صائح فى الليل يا يزيد بن مزيد فقال على بهذا الصائح فلما جئ به قال له ما حملك على ان ناديت بهذا الاسم فقال نفقت دابتى ونفدت نفقتى وسمعت قول الشاعر فتيمنت به فقال وما قال الشاعر فانشد

اذا قيل من للمجد والجود والندى * فناد بصوت يا يزيد بن مزيد

فلما سمع يزيد مقالته هش له وقال له أتعرف يزيد بن مزيد قال لا والله قال انا هو وأمر له بفرس أبلق كان معجبا به وبمائة دينار وقد أطلنا القول فى هذه الترجمة لكن الكلام شجون يتعلق بعضه ببعض ومحاسن يزيد كثيرة وتوفى سنة خمس وثمانين ومائة ورثاه أبو محمد عبد الله بن أيوب التيمى الشاعر المشهور وقيل هذه المرثية لابى الوليد مسلم بن الوليد الانصارى الشاعر المشهور والصحيح انها للتيمى المذكور وهى

أحقا أنه اودى يزيد * تبين أيها الناعى المشيد * أتدرى من نعيت وكيف فاهت
به شفتاك كان بها الصعيد * أحامى المجد والاسلام اودى * فما للارض ويحك لا تميد
تأمل هل ترى الاسلام مالت * دعائمه وهل شاب الوليد * وهل شيمت سيوف بنى نزار
وهل وضعت على الخيل اللبود * وهل تسقى البلاد ثقال مزن * بدرّتها وهل يخضر عود
أما هدّت لمصرعه نزار * بلى وتقوّض المجد المشيد * وحل ضريحه اذ حل فيه
طريف المجد والحسب التليد * أما والله ما تنفك عينى * عليك بدمعها أبدا تجود
وان تجمد دموع لئيم قوم * فليس لدمع ذى حسب جمود * أبعد يزيد تختزن البواكى
دموعا أو يصان لها خدود * لتبكك قبة الاسلام لما * وهت أطنابها ووهى العمود
ويبكى شاعر لم يبق دهر * له نشبا وقد كسد القصيد * فان يهلك يزيد فكل حى
فريس للمنية أو طريد * لقد عزى ربيعة ان يوما * عليها مثل يومك لا يعود

قلت وهذا البيت الاخير قد استعمله الشعراء كثيرا فمن ذلك قول مطيع بن اياس يرثى يحيى بن زياد الحارثى من جملة أبيات فاذهب بمن شئت اذ ذهبت به * ما بعد يحيى فى الرزء من ألم

وقول أبى نواس يرثى الامين وكنت عليه أحذر الموت وحده * فلم يبق لى شئ عليه أحاذر

وقول ابراهيم بن العباس الصولى يرثى ابنه

أنت السواد لمقلة * تبكى عليك وناظر من شاء بعدك فليمت * فعليك كنت أحاذر

مواضعه فيجعلون تلاوة المثانى كنغمات الاغانى فو الذى أنزلها بالحق المبين وجعلها كلمة باقية الى يوم الدين لئن لم ينتهوا عما هم فيه من المنكر النكر يه ولم يرجعوا كلمة التوحيد الى نهجها السديد ليمسنهم عذاب شديد وانما الذى ندب اليه وحرض المؤمنون عليه تزيين الاصوات بالقرآن الجليل من غير تغيير فيه ولا تبديل والله يقول الحق وهو يهدى السبيل وهى حسبى ونعم الوكيل

(صورة السؤال)

خوجه دين وداور دنيا مفتى عصر وقدوه علما خواجه دين وداور اسلام جه توبسد جواب اين فتوى زيد درحالت كمال بلوغ كويد از روى اهتمام تمام تا بده سال هر زنى خواهم بطلاق ثلاث باد حرام نسخ باء انحلال اين سوكند هيج ممكن بود بقول امام هر كه كويد جواب أجرش را بدهد ذو الجلال والاكرام

(صورة الجواب)

كر خصوص عبارة حالف آنجنين شد بوقت سوف كلام بطلب مى شود يمين منحل بعد أزان عقد ميرسد بتمام نى تردد بمذهب ذكران نى توقف بغير رأى امام حجت حق و پيشواى خلق مقتداى مشايخ اسلام كفت أين رأ أبو

وذكر أبو الفرج الاصبهانى فى كتاب الاغانى فى ترجمة مسلم بن الوليد باسناد متصل الى أحمد بن أبى سعيد قال أهديت الى يزيد بن مزيد جارية وهو يأكل فلما رفع يده من الطعام وطئها فلم ينزل عنها الاميتا وهو ببردعة فدفن فى مقابر بردعة وكان مسلم بن الوليد معه فى جملة أصحابه فقال يرثيه

قبر ببردعة استسر ضريحه * خطرا تقاصر دونه الاخطار
أبقى الزمان على ربيعة بعده * حزنا لعمر الله ليس بعار
سلكت بك العرب السبيل الى العلا * حتى اذا سبق الردى بك حاروا
تقضت بك الاحلاس آمال الغنى * واسترجعت زوّارها الامصار
فاذهب كما ذهبت غوادى مزنة * أثنى عليها السهل والاوعار

وقيل ان هذا البيت الاخير أبلغ شئ قيل فى المراثى وهذه الابيات فى كتاب الحماسة فى باب المراثى وبردعة بفتح الباء الموحدة وسكون الراء وبعدها دال مهملة ثم عين مهملة وهى مدينة من أقصى بلاد أذربيجان قلت هكذا رأيته فى التواريخ وأهل تلك البلاد يقولون بردعة من اقليم اران والله أعلم ويقال بردعة أيضا بالذال المعجمة وكذلك بردعة الدابة يقال بالدال والذال وقد قيل ان مسلم بن الوليد انما رثى بهذه الابيات يزيد بن أحمد السلمى وقيل بل رثى بها مالك بن على الخزاعى وان أول الابيات * قبر بحلوان استسر ضريحه * لان الذى قيلت فيه مات بحلوان بضم الحاء المهملة وهى آخر مدينة بأرض السواد من أعمال العراق والله أعلم بالصواب فى ذلك كله وذكر أبو عبيد الله المرزبانى فى كتاب معجم الشعراء ان أبا البلهاء عمير بن عامر مولى يزيد بن مزيد الشيبانى هو القائل

نعم الفتى فجعت به اخوانه * يوم البقيع حوادث الايام
سهل الفناء اذا حللت ببابه * طلق اليدين مؤدّب الخدّام
واذا رأيت صديقه وشقيقه * لم تدر أيهما ذوو الارحام

وذكر أبو تمام الطائى هذه الابيات فى كتاب الحماسة فى باب المراثى لمحمد بن بشير الخارجى وقيل ابن بسير بالسين المهملة وهو فعيل من اليسر وبشير من البشارة وهو من خارجة عدوان قبيلة وليس من الخوارج والله أعلم بالصواب فى ذلك كله ورثاه منصور النمرى وهو فى كتاب الحماسة بقوله

أبا خالد ما كان أدهى مصيبة * أصابت معدّا يوم أصبحت ثاويا
لعمرى لئن سر الاعادى فاظهروا * شماتا لقد مرّوا بربعك خاليا
فان يك أفنته الليالى وأوشكت * فان له ذكرا سيفنى اللياليا

وكان ليزيد ولدان نجيبان جليلان سيدان أحدهما خالد بن يزيد وهو ممدوح أبى تمام الطائى وله فيه أحسن المدائح وقد تضمنها ديوانه فلا حاجة الى ذكر شئ منها لشهرة ديوانه والآخر محمد بن يزيد كان موصوفا بالكرم وانه لا يرد طالبا فان لم يحضره مال لم يقل لا بل يعد ثم يعجل العدة ومدحه أحمد بن أبى فنن صالح بن سعيد بقوله ثم وجدت هذه الابيات لابى الشيص الخزاعى فى كتاب البارع

عشق المكارم فهو مشتغل بها * والمكرمات قليلة العشاق
وأقام سوقا للثناء ولم تكن * سوق الثناء تعد فى الاسواق
بث الصنائع فى البلاد فأصبحت * تجبى اليه محامد الآفاق

وكان خالد بن يزيد قد تولى الموصل من جهة المأمون فوصل اليها وفى صحبته أبو الشمقمق الشاعر الذى ذكرته فى هذه الترجمة فلما دخل خالد الى الموصل نشب اللواء الذى لخالد فى سقف باب المدينة فاندق فتطير خالد من ذلك فأنشده أبو الشمقمق ارتجالا

ما كان مندق اللواء لريبة * تخشى ولا سوء يكون معجلا
لكن هذا الرمح أضعف متنه * صغر الولاية فاستقل الموصلا

فبلغ الخليفة ما جرى فكتب الى خالد بن يزيد قد زدناك ولاية ديار ربيعة كلها فكتب رجل استقل الموصل ففرح بذلك وأجزل جائزة ابى الشمقمق ولما انتقض أمر أرمينية فى ايام الواثق جهز اليها خالد بن يزيد المذكور فى جيش عظيم فاعتل فى الطريق ومات فى سنة ثلاثين ومائتين ودفن بمدينة دبيل ارمينية رحمه الله تعالى

السعود حضير كثير بن عبادر بأنام ولم يزل يفتح أقفال المشكلات ويسهل طرق المعضلات ويبث كنوز الرموز ويلقى مكامن بحار اللطائف على سواحل الظهور والبروز ويجيب عن الاسئلة السداد باجوبة حسان الى ان دعى من جنان ربه الى رياض الجنان (وكان ذلك فى أوائل جمادى الاولى من شهور سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة) وقد حضر جنازته العلماء والوزراء وسائر أرباب الديوان وخلق لا يحصون كثرة وشهدوا له بالرحمة والرضوان وصلى عليه المولى سنان محشى تفسير البيضاوى فى جامع السلطان محمد خان وذهبوا به الى جوار أبى أيوب الانصارى وهم يبالغون فى ثنائه ودفنوه فى حظيرة أعدها لنفسه وابنائه

سبحان من لم يزل عليا * ليس له فى العلو ثانى
قضى على خلقه المنايا * فكل حى سواه فانى

ولما تقاص ظله وكان ظليلا لم يترك بعده مثيلا وعديدا وترك الافتاء وقد اضطرب بحره وعرى من غرر الفرائد نحره وتعطلت أسواقه النافقة وسكنت راياته الخافقة ولم يجد من يأخذه بحقه ويتحمل بشقه ونعما قيل حريا بالقبول لا يعلم قدر البدر الا بعد الافول * كان رحمه الله من الذين

*(ابو

(ابو عثمان يزيد بن زياد بن ربيعة بن مفرغ بن ذى العشيرة بن الحرث بن دأل بن عوف بن عمرو بن يزيد بن مرة بن مرثد بن مسروق بن يزيد بن يحصب الحميرى)

وبقية النسب من يحصب معروفة فلا حاجة الى ذكرها هكذا ساق هذا النسب ابن الكلبى فى كتاب جمهرة النسب غير انه لم يذكر ترجمة يزيد بل ذكرها صاحب الاغانى وأكثر العلماء يقولون هو يزيد بن ربيعة بن مفرغ ويسقطون زيادا وقال صاحب الاغانى انما لقب جده مفرغا لانه راهن على سقاء من لبن يشربه كله فشربه حتى فرغه فسمى مفرغا وذكر فى ترجمة حفيده السيد الحميرى فى كتاب الاغانى أيضا ان ابن عائشة قال مفرغ هو ربيعة ومفرغ لقبه ومن قال ربيعة بن مفرغ فقد أخطأ والله أعلم وقال الفضل بن عبد الرحمن النوفلى كان مفرغ المذكور حدادا باليمن فعمل لامرأة قفلا وشرط عليها عند فراغه منه أن تحيبه بلبن كرش ففعلت فشرب منه ووضعه فقالت له ردّ على الكرش فقال ما عندى شئ أفرغه فيه قالت لا بد منه ففرغه فى جوفه فقالت انك لمفرغ فعرف به وهو من حمير فيما يزعم أهله وذكر ابن الكلبى وأبو عبيدة ان مفرغا كان شعابا بتبالة (قلت) تبالة بفتح التاء المثناة من فوقها وبعدها باء موحدة ثم ألف ولام وفى آخرها هاء وهى بليدة على طريق اليمن للخارج من مكة وهذا المكان كثير الخصب له ذكر فى الاخبار والامثال والاشعار وهى أوّل ولاية وليها الحجاج بن يوسف الثقفى ولم يكن رآها قبل ذلك فخرج اليها فلما قرب منها سأل عنها فقيل له انها وراء تلك الاكمة فقال لا خير فى ولاية تسترها أكمة ورجع عنها محتقرا لها وتركها فضربت العرب بها المثل وقالت للشئ الحقير أهون من تبالة على الحجاج (قال الراوى) فادعى يزيد انه من حمير وهو حليف آل خالد بن أسيد بن أبى العيص الاموى وقيل انه كان عبدا للضحاك بن عوف الهلالى وأنعم عليه وكان يزيد شاعرا غزلا محسنا والسيد الحميرى الشاعر المشهور من ولده وهو اسمعيل بن محمد بن بكار ابن يزيد المذكور كذا ذكره ابن ماكولا فى كتاب الاكمال ولقبه السيد وكنيته أبو هاشم وهو من كبار الشيعة وله فى ذلك أخبار وأشعار مشهورة ومن محاسن شعر يزيد المذكور قوله من جملة قصيدة يمدح بها مروان بن الحكم الاموى وكان قد أحسن مروان اليه

وأقمتموا سوق الثناء ولم تكن * سوق الثناء تقام فى الاسواق
فكأنما جعل الاله اليكمو * قبض النفوس وقسمة الارزاق

والبيت الاوّل من هذين البيتين تقدم ذكره فى ترجمة يزيد بن مزيد بن زائدة الشيبانى منسوبا الى أحمد بن أبى فنن الشاعر المشهور يمدح به خالد بن يزيد بن مزيد المذكور من جملة أبيات والله أعلم بالصواب فى ذلك ولما ولى سعيد بن عثمان بن عفان رضى الله عنه خراسان عرض على يزيد بن مفرغ أن يصحبه فأبى ذلك وصحب عباد بن زياد ابن أبيه فقال له سعيد أما اذ أبيت أن تصحبنى وآثرت صحبة عباد فاحفظ ما أوصيك به ان عبادا رجل لئيم فاياك والدالة عليه وان دعاك اليها من نفسه فانها خدعة منه لك عن نفسك واقلل زيارته فانه ملول ولا تفاخره وان فاخرك فانه لا يحتمل لك ما كنت أحتمله ثم دعا سعيد بمال فدفعه اليه وقال له استعن به على سفرك فان صح لك مكانك من عباد والا فمكانك عندى ممهد فأتنى ثم صار سعيد الى خراسان وخرج ابن مفرغ مع عباد فلما بلغ عبيد الله بن زياد أمير العراقين صحبة يزيد أخاه عبادا شق عليه فلما سار عباد شيعه أخوه عبيد الله وشيعه الناس وجعلوا يودّعونه فلما أراد عبيد الله أن يودّع أخاه دعا ابن مفرغ فقال له انك سألت عبادا أن يصحبك فاجابك وقد شق علىّ فقال له ولم أصلحك الله قال لان الشاعر لا يقنعه من الناس ما يقنع بعضهم من بعض لانه يظن فيجعل الظن يقينا ولا يعذر فى موضع العذر وان عبادا يقدم على أرض حرب فيشتغل بحروبه وخراجه عنك فلا تعذره أنت وتكسونا شرا وعارا فقال له لست كما ظن الامير وان لمعروفه عندى شكرا كثيرا وان عندى ان أغفل أمرى عذرا ممهدا فقال لا ولكن تضمن لى ان أبطأ عليك بما تحبه أن لا تعجل عليه حتى تكتب الى قال نعم قال امض اذا على الطائر الميمون قال فقدم عباد خراسان وقيل سجستان فاشتغل بحروبه وخراجه فاستبطأه ابن مفرغ ولم يكتب الى أخيه عبيد الله بن زياد

فعدوا من الفضائل والمعارف على سنامها وغاربها وضربت له نوبة الامتياز فى مشارق الارض ومغاربها وتفرد فى ميدان فضله فلم يجاره احد وضاقت عن احاطته صدور الحصر والحد ما صارع احدا الا صرعه وما صمم شيأ الا قطعه انقطع عن القرين ولم يبق من يعارضه ويكايده وقد وصل تلاميذه وأصحابه الى المناصب السمية والمراتب السنية فكان لا يضيع منه كلام ولا يفوت له مرام ولو تكلم فى نقل الجبال الراسيات والاطواد الشامخات لأثر كلامه ولو قصد الى راحلة الدهر لالقت لديه زمامه وحصل له من المجد والاقبال والشرف والافضال ما لا يمكن شرحه بالمقال وقد عاقه الدرس والفتوى والاشتغال بما هو أهم وأقوى عن التفرغ للتصنيف سوى أنه اختلس فرصا وصرفها الى التفسير الشريف وقد أتى فيه بما لم تسمع به الاذهان ولم تقرع به الآذان فصدق المثل السائر كم ترك الاول للآخر وسماه بارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم ولما وصل منه الى آخر سورة ص ورد التقاضى من طرف السلطان سليمان خان وظهر كمال الرغبة والانتظار فلم يمكن التوقف والقرار فبيض الموجود

يشكوه كما ضمن له ولكنه بسط لسانه فذمه وهجاه وكان عباد كبير اللحية كأنها جوالق فسار ابن مفرغ مع عباد يوما فدخلت الريح فيها فنفشتها فضحك ابن مفرغ وقال لرجل من لخم كان الى جانبه

ألا ليت اللحى كانت حشيشا * فتعلفها خيول المسلمينا

فسعى بها اللخمى الى عباد فغضب من ذلك غضبا شديدا وقال لا تحمل بى عقوبته فى هذه الساعة مع صحبته لى وما أؤخرها الا لاشفى نفسى منه فانه كان يقوم فيشتم أبى فى عدة مواضع وبلغ الخبر ابن مفرغ فقال انى لاجد ريح الموت من عباد ثم دخل عليه فقال أيها الامير انى قد كنت مع سعيد بن عثمان وقد بلغك رأيه فى وجميل أثره على وقد اخترتك عليه فلم أحظ منك بطائل وأريد أن تأذن لى بالرجوع فلا حاجة لى فى صحبتك فقال له أما اختيارك اياى فقد اخترتك كما اخترتنى واستصحبتك حين سألتنى وقد أعجلتنى عن بلوغ محبتى فيك وطلبت الاذن لترجع الى قومك فتفضحنى فيهم وأنت على الاذن قادر بعد أن أقضى حقك وبلغ عبادا أنه يسبه ويذكره وينال من عرضه فدس الى قوم كان لهم عليه دين أن يقدموه اليه ففعلوا فحبسه وضربه ثم بعث اليه أن بعنى الاراكة وبردا وكانت الاراكة قينة لابن مفرغ وبرد غلامه رباهما وكان شديد الضن بهما فبعث اليه ابن مفرغ مع الرسول أيبيع المرء نفسه وولده فأخذهما عباد منه وقيل انه باعهما عليه فاشتراهما رجل من أهل خراسان فلما دخلا منزله قال له برد وكان داهية أديبا أتدرى ما اشتريت قال نعم اشتريتك وهذه الجارية قال لا والله ما اشتريت الا العار والدمار والفضيحة أبدا ما حييت ففزع الرجل وقال له كيف ذلك ويلك قال نحن ليزيد بن مفرغ والله ما أصاره الى هذه الحالة الا لسانه وشره أفتراه يهجو عبادا وهو أمير خراسان وأخوه عبيد الله أمير العراقين وعمهما الخليفة معاوية بن أبى سفيان فى ان استبطأه ويمسك عنك وقد ابتعتنى وابتعت هذه الجارية وهى نفسه التى بين جنبيه والله ما أرى أحدا أدخل بيته أشأم على نفسه وأهله مما أدخلته منزلك فقال اشهدك انك واياها له فان شئتما أن تمضيا اليه فامضيا وعلى أنى أخاف على نفسى ان بلغ ذلك ابن زياد وان شئتما أن تكونا له عندى فافعلا قال فاكتب اليه بذلك فكتب الرجل الى ابن مفرغ الى الحبس بما فعله فكتب اليه يشكر فعله وسأله ان يكونا عنده حتى يفرج الله عنه وقال عباد لحاجبه ما أرى هذا يعنى ابن مفرغ يبالى بالمقام فى الحبس فبع فرسه وسلاحه وأثاثه واقسم ثمنها بين غرمائه ففعل ذلك وبقيت عليه بقية حبسه بها فقال ابن مفرغ فى بيعهما

شريت بردا ولو ملكت صفقته * لما تطلبت فى بيع له رشدا * لولا الدعى ولولا ما تعرض لى من الحوادث ما فارقته أبدا * يا برد ما مسنا دهر أضر بنا * من قبل هذا ولا بعناله ولدا

معنى شريت بعت وهو من الاضداد يقع على الشراء والبيع والابيات أكثر من هذا فتركت الباقى وعلم مفرغ انه ان أقام على ذم عباد وهجائه وهو فى حبسه زاد نفسه شرا فكان يقول للناس اذا سألوه عن حبسه رجل أدبه أميره ليقوم من أوده ويكف عن غربه وهذا العمرى خير من جر الامير ذيله على مداهنة صاحبه فلما بلغ ذلك عبادا رق له وأخرجه من السجن فهرب حتى أتى البصرة ثم خرج منها الى الشام وجعل يتنقل فى مدنها هاربا ويهجو زيادا وولده فمن ذلك قوله فى تركه سعيد بن عثمان بن عفان رضى الله عنه واتباعه عباد بن زياد ويذكر بيع برد عليه

أصرمت حبلك من امامه * من بعد أيام برامه * فالريح تبكى شجوها والبرق يضحك فى الغمامه * لهفى على الامر الذى * كانت عواقبه ندامه تركى سعيدا ذا الندى * والبيت ترفعه الدعامه * ليثا اذا شهد الوغى ترك الهوى ومضى أمامه * فتحت سمرقند له * وبنى بعرصتها خيامه وتبعت عبد بنى علا * ج تلك أشراط القيامة * جاءت به حبشية سكاء تحسبها نعامه * من نسوة سود الوجو * ه ترى عليهن الدمامه وشريت بردا ليتنى * من بعد برد كنت هامه

وأرسله الى الباب العالى جامع أشتات المحاسن والمعالى صهره المولى محمد المشتهر بابن المعلول فقابله السلطان بحسن القبول وأنعم عليه بما أنعم وزاد فى وظيفته كل يوم خمسمائة درهم وقال فى تاريخه محمد المشتهر بالمنشى (شعر)

ان سلطان سرير اللسن
حفه الله بسعد راكز
أبرز اليوم لنا تفسيره
باسه كل أريب رائز
بحر علم زاخر أمواجه
قد علت كل لبيب فائز
كيف يطرى وجلاياه لقد
سحرت كل أديب راجز
اذ وعى ذاك امام الامة
قد حباه بحباء ناجز
هام للملك عمادا يعتنى
شاطبا كل غوى ناخز
أيها المنشى قل تاريخه
باح تفسير كلام معجز

وبعد ذلك تيسر له الختام ورتبه بالكمال والتمام وقد أرسله الى السلطان ثانيا بعد اتمامه فقابله السلطان بمزيد لطفه وانعامه وزاد فى وظيفته مائة أخرى سوى ما قدر له وأجرى ولما ارتبط به المولى حسن بك وهو من خدام الوزير الاعظم رستم باشا قرأ عليه دروسا من الكشاف من أول سورة الفتح فكتب رحمه الله حواشى على الكتاب المزبور مع قلة الاسفار وكثرة الاسفار حيث كان المرحوم يومئذ قاضيا بالعسكر فخرج مع السلطان

ياهامة تدعو صدى * بين المشقر واليمامه * فالهول يركبه الفتى حذر المخازى والسآمه * والعبد يقرع بالعصا * والحر تكفيه الملامه

قلت قوله وتبعت عبد بنى علاج بنو علاج بطن من ثقيف وسيأتى ذكره عند ذكر الحرث بن كلدة فى هذه الترجمة ان شاء الله تعالى قاله أبو بكر بن دريد فى كتاب الاشتقاق وأنشد عليه

آل أبى بكرة استفيقوا * هل تعدل الشمس بالسراج
ان ولاء النبى أعلى * من دعوة فى بنى علاج

وهذا القول له سبب يذكر عند ذكر أبى بكرة نفيع بن الحرث فى هذه الترجمة ان شاء الله تعالى وقوله فى البيت الآخر * سكاء تحسبها نعامه * يقال اذن سكاء اذا كانت صغيرة والسكاء أيضا التى لا أذن لها والعرب تقول كل سكاء تبيض وكل شرقاء تلد والشرقاء التى لها أذن طويلة والسكاء بفتح السين المهملة وتشديد الكاف والشرقاء بفتح الشين المعجمة وسكون الراء وبعدها قاف والضابط عندهم فيه ان كل حيوان له أذن ظاهرة فانه يلد وكل حيوان ليست له أذن ظاهرة فانه يبيض (قال الراوى) ثم ان ابن مفرغ لج فى هجاء بنى زياد حتى تغنى أهل البصرة بأشعاره فطلبه عبيد الله طلبا شديدا حتى كاد يؤخذ فلحق بالشام واختلف الرواة فيمن رده الى ابن زياد فقال بعضهم رده معاوية بن أبى سفيان وقال بعضهم بل رده يزيد بن معاوية والصحيح انه يزيد لان عبادا انما ولى سجستان فى أيام يزيد (قلت ثم) ذكر صاحب الاغانى عقيب هذا الفصل ان سعيد بن عثمان بن عفان رضى الله عنه دخل على معاوية بن أبى سفيان فقال له علام جعلت ولدك يزيد ولى عهدك فوالله لابى خير من أبيه وأمى خير من أمه وأنا خير منه وقد وليناك فما عزلناك وبنا نلت ما نلت فقال له معاوية أما قولك ان أباك خير من أبيه فقد صدقت لعمر الله ان عثمان لخير منى وأما قولك ان أمك خير من أمه فحسب المرأة أن تكون فى بيت قومها وأن يرضاها بعلها وينجب ولدها وأما قولك انك خير من يزيد فوالله يا بنى ما يسرنى ان لى بيزيد ملء الغوطة [٢] ذهبا مثلك وأما قولك انكم وليتمونى فما عزلتمونى فما وليتمونى وانما ولانى من هو خير منكم عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأقررتمونى وما كنت بئس الوالى لكم لقد قمت بثاركم وقتلت قتلة أبيكم وجعلت الامر فيكم وأغنيت فقيركم ورفعت الوضيع منكم فكلمه يزيد فى أمره فولاه خراسان * رجعنا الى حديث ابن مفرغ (قال الراوى) ولم يزل يتنقل فى قرى الشام ويهجو بنى زياد وأشعاره تنقل الى البصرة فكتب عبيد الله بن زياد أمير العراق الى معاوية وقيل الى يزيد وهو الاصح يقول ان ابن مفرغ هجا زيادا وبنى زياد بما هتكه فى قبره وفضح بنيه طول الدهر وتعدى الى أبى سفيان فقذفه بالزنا وسب ولده وهرب من سجستان وطلبته حتى لفظته الارض وهرب الى الشام يتمضغ لحومنا ويهتك أعراضنا وقد بعثت اليك بما قد هجانا به لتنتصف لنا منه ثم بعث بجميع ما قاله ابن مفرغ فيهم فأمر يزيد بطلبه فجعل يتنقل فى البلاد حتى لفظته الشام فأتى البصرة ونزل على الاحنف ابن قيس قلت وهو الذى يضرب به المثل فى الحلم وقد سبق ذكره واسمه الضحاك قال فاستجار به فقال له الاحنف انى لا أجير على ابن سمية فاعزله وانما يجير الرجل على عشيرته واما على سلطانه فلا ثم انه مشى الى غيره فلم يجره أحد فأجاره المنذر بن الجارود العبدى وكانت ابنته تحت عبيد الله بن زياد وكان المنذر من أكرم الناس عليه فاغتر بذلك وأدل بموضعه منه وطلبه عبيد الله وقد بلغه وروده البصرة فقيل له اجاره المنذر ابن الجارود فبعث عبيد الله الى المنذر فأتاه فلما دخل عليه بعث عبيد الله بالشرط فكبسوا داره وأتوه بابن مفرغ ولم يشعر ابن الجارود والا بابن المفرغ قد أقيم على رأسه فقام ابن الجارود الى عبيد الله فكلمه فيه فقال أذكرك الله أيها الامير أن تخفر جوارى فانى قد أجرته فقال عبيد الله يا منذر انه ليمدحن أباك ويمدحنك وقد هجانى وهجا أبى ثم تجيره على لا ها الله لا يكون ذلك أبدا ولا أغفرها له فغضب المنذر فقال له لعلك تدلى بكرمتك عندى ان شئت والله لأبتنها بتطليق البتة فخرج المنذر من عنده وأقبل عبيد الله على ابن مفرغ فقال له بئس ما صحبت به عبادا فقال بئس ما صحبنى عباد اخترته لنفسى على سعيد بن عثمان وأنفقت على صحبته

[٢] قوله ذهبا مثلك كذا بالاصل ولعله ابناء مثلك أو ذهبا مع مثلك فليحرر اه

فيمن حضر السفر فتقلبوا فى البلاد ونازلوا قلعة بلغراد ولما وقع الخلاف بينه وبين المولى محمد المشتهر بجوى زاده فى جواز وقف النقود الذى شاع فى هذه الديار وجرى عليه التعامل فى تلك الاقطار كتب رحمه الله رسالة يحقق فيها جوازه وأكثر من الدلائل والنقول الدالة مطلقا على جواز وقف المنقول اذ جرى عليه التعامل سيما من الفحول * وله رحمه الله حاشية على العناية من أول كتاب البيع من الهداية تسعها عدة من الكراريس والاوراق وقد منع الزيادة كثرة القيود وتواتر الفتوى من الآفاق وكان رحمه الله طويل القد خفيف العارضين غير متكلف فى الطعام واللباس غير ان فيه نوع مداهنة واكتراث بمداراة الناس وفيه الميل الزائد والنعومة الى أرباب الرياسة والحكومة وكان رحمه الله ذا مهابة عظيمة وتؤدة جسيمة قلما يقع فى مجالسه للعظام المبادرة بالخطاب والكلام وكان واسع التقرير سائغ التحرير يلتقط الدر من كلمه ويتناثر الجوهر من حكمه اذا نثر تراه بحرا زاخرا واذا نظم قلد جيد البيان درا فاخرا وكتب رحمه الله صورا تتعلق باوقاف الملوك والوزراء وقد أربى فيه على من تقدم

٣ قوله ابن عبد مناف سقط هنا الخامس وهو جد من أجداد الشافعي بدليل ما بعده ولينظر من هو اه

جميع ما أملكه وظننت انه لا يخلو من عقل زياد وحلم معاوية وسماحة قريش فعدل عن ظني كله ثم عاملني بكل قبيح وتناولني بكل مكروه من حبس وغرم وشتم وضرب فكنت كمن شام برقا خلبا في سحاب جهام فاراق ماءه طمعا فيه فمات عطشا وما هربت من أخيك الا لما خفت أن يجري فيما يندم عليه وقد صرت الآن في يديك فشأنك فاصنع بي ما شئت فأمر بحبسه وكتب الى يزيد بن معاوية يسأله أن يأذن له في قتله فكتب اليه يزيد اياك وقتله ولكن تناوله بما ينكله ويشد سلطانك ولا يبلغ نفسه فان له عشيرة هي جندي وبطانتي ولا ترضى بقتله مني ولا تقنع الا بالقود منك فاحذر ذلك واعلم انه الجد منهم ومني وانك مرتهن بنفسه ولك في دون تلفها مندوحة تشقي من الغيظ فورد الكتاب على عبيد الله فأمر بابن مفرغ فسقي نبيذا حلوا قد خلط معه الشبرم وقيل التربد فاسهل بطنه فطيف به وهو على تلك الحال وقرن بهرة وخنزيرة فجعل يسلح والصبيان يتبعونه ويصيحون عليه وألح عليه ما يخرج منه حتى أضعفه فسقط فقيل لعبيد الله لا تأمن أن يموت فأمر به أن يغسل ففعلوا فلما اغتسل قال

يغسل الماء ما فعلت وقولي * راسخ منك في العظام البوالي

فرده عبيد الله الى الحبس وقيل لعبيد الله كيف اخترت له هذه العقوبة فقال لانه سلح علينا فاحببت ان تسلح الخنزيرة عليه وكان مما قاله ابن مفرغ في عباد بن زياد من جملة أبيات عديدة

اذا أودى معاوية بن حرب * فبشر شعب قعبك بانصداع
فاشهد ان أمك لم تباشر * أبا سفيان واضعة القناع
ولكن كان أمر فيه لبس * على وجل شديد وارتياع

وقال أيضا

ألا ابلغ معاوية بن صخر * مغلغلة عن الرجل اليماني
أتغضب أن يقال أبوك عف * وترضى أن يقال أبوك زاني
فاشهد ان رحمك من زياد * كرحم الفيل من ولد الاتان
واشهد انها ولدت زيادا * وصخر من سمية غير دان

قلت قوله فاشهد أن رحمك من زياد البيت الثالث أخذه من قول أبي الوليد وقيل أبي عبد الرحمن حسان بن ثابت الانصاري رضي الله عنه في بيت من جملة أبيات وهي قوله

لعمرك ان الك من قريش * كال السقب من رأل النعام

الال بكسر الهمزة وتشديد اللام وهو الرحم والسقب بفتح السين المهملة وسكون القاف وبعدها باء موحدة وهو الذكر من ولد الناقة والرأل بفتح الراء وبعدها همزة وفي آخره لام وهو ولد النعام وهذه الابيات قالها حسان في أبي سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وهو ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وكان أخاه من الرضاعة أرضعتهما حليمة ابنة أبي ذؤيب السعدية وكان من أكثر الناس شبها برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له فيه هجاء وكان حسان يجاوب عنه فمن ذلك هذه الابيات الميمية ومن ذلك قوله أيضا

ألا أبلغ أبا سفيان عني * مغلغلة فقد برح الخفاء
هجوت محمدا فاجبت عنه * وعند الله في ذاك الجزاء
أتهجوه ولست له بكفء * فشركما لخيركما الفداء
فان أبي ووالده وعرضي * لعرض محمد منكم وقاء

وقوله فشركما لخيركما الفداء فيه كلام لاهل العلم لاجل خير وشر لانهما من ادوات التفضيل وتقتضي المشاركة وانما أجابه حسان بأمر النبي صلى الله عليه وسلم له في ذلك قلت والجماعة الذين كانوا يشبهون النبي صلى الله عليه وسلم من أهل بيته خمسة أبو سفيان المذكور والحسن بن علي بن أبي طالب وجعفر بن أبي طالب وقثم بن العباس بن عبد المطلب ٣ بن عبد مناف وهو جد الشافعي رضي الله عنهم أجمعين ثم ان أبا سفيان اسلم عام الفتح وكان ذلك في السنة الثامنة من الهجرة وحسن اسلامه وخرج مع النبي صلى الله عليه وسلم الى الطائف وحنين ولما انهزم المسلمون يوم حنين كان أبو سفيان أحد السبعة الذين ثبتوا مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى رجع المسلمون اليهم وكانت النصرة لهم وكسبوا من الغنائم ستة آلاف رأس من الرقيق ثم من النبي صلى الله عليه وسلم عليهم فأطلقهم والشرح في ذلك يطول وليس هذا موضعه وكان أبو سفيان

وثنى بما يدل على غاية رسوخ القدم (ومن زواهر) درر عبابه ما كتبه في رسالة أرسلها الى أحبابه قال رحمه الله وأما حال البعاد من آلام النأي والبعاد وما دهمه من تباريح الشوق والغرام واعتراه من لواعج الوجد والاوام مذ غاب طلعتكم عن العين ونعب بيننا غراب البين وزمت الركاب للرحال وانبت من بيننا حبل الاتصال فلا يحيط بها نطاق التحرير ولا يعلمها الا العليم الخبير

(وله فيها)

يا بائنا ومحله بفؤادي
كيف البعاد وأينما تفتاز
زمت ركابك للرحيل بدولة
الله جارك حيثما تجتاز
وجدي وأشواقي اليك حقيقة
والشوق منه حقيقة ومجاز

(وله من المنظوم) ما يستميل الاذواق السليمة بلذائذ جناه الكريمة (ومنها) قصيدته الميمية التي شهد الاساطين برصانة بنيانها واعتنى الافاضل بشرحها وبيانها وقد عارض فيها ميمية الفاضل السري امام هذا الشأن أبي العلاء المعري وقد أثبت منها بعض أبياته ليكون من آياته (قصيدة)

أبعد سليمى مطلب ومرام
وغير هواها لوعة وغرام
وفوق حماها ملجأ ومثابة
ودون ذراها موقف ومقام
وهيهات ان يثنى الى غير بابها

المذكور يومئذ ممسكا لجام بغلة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يفارقها وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اني لأرجو أن يكون فيه خلف من حمزة بن عبد المطلب وشهد له بالجنة فقال أبو سفيان بن الحرث من شباب أهل الجنة أو سيد فتيان أهل الجنة والله أعلم وأكثر العلماء يقولون اسمه كنيته ليس له اسم سواها وقيل اسمه المغيرة وقيل المغيرة أخوه وهو أبو سفيان لا غير ويقال انه ما رفع رأسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلم حياء منه لما تقدم من هجائه (رجعنا الى حديث ابن مفرغ) وهو من شعراء الحماسة وهو القائل

ألا طرقتنا آخر الليل زينب * سلام عليكم هل لما فات مطلب
وقالت تجنبنا ولا تقربننا * فكيف وأنتم حاجتي أتجنب
يقولون هل بعد الثلاثين ملعب * فقلت وهل قبل الثلاثين ملعب
لقد جل خطب الشيب ان كان كلما * بدت شيبة يعرى من اللهو مركب

وذكر مظفر الاندلسي في تاريخه الكبير في جملة هذه الابيات

فلوان لحمي اذوهي لعبت به * كرام ملوك اواسود واذؤب
لهون من وجدي وسلى مصيبتي * ولكنما اودى بلحمي اكلب

ولما بلغ الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما وفاة معاوية بن أبي سفيان وبيعة ولده يزيد بن معاوية عزم على قصد الكوفة بمكاتبة جماعة من أهلها كما هو مشهور في هذه الواقعة التي قتل فيها الحسين رضي الله عنه فكان في تلك المدة يتمثل كثيرا بقول يزيد بن مفرغ المذكور من جملة أبيات

لا ذعرت السوام في غلس الصبح * مغيرا ولا دعيت يزيدا
يوم اعطى على المخافة ضيما * والمنايا يرصدنني ان أحيدا

فعلم من سمع ذلك منه انه سينازع يزيد بن معاوية في الامر فخرج الحسين الى الكوفة وأميرها يومئذ عبيد الله ابن زياد فلما اقترب منها سير اليه جيشا مقدمه عمر بن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فقتل الحسين رضي الله عنه بالطف وجرى ما جرى وروي ان معاوية بن أبي سفيان كتب الى الحسين رضي الله عنه اني لاظن في رأسك نزوة ولا بد لك من اظهارها ووددت لو أدركتها فاغتفرها لك وروي عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه انه قال لو كنت من قتلة الحسين وغفر الله لي وأدخلني الجنة لما دخلتها حياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عبيد الله بن زياد لحارثة بن بدر الغداني ما تقول في وفي الحسين يوم القيامة قال يشفع له أبوه وجده صلى الله عليه وسلم ويشفع لك أبوك وجدك فاعرف من ههنا ما تريد ونقلت من تاريخ شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزغلي المعروف بسبط الحافظ جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي الواعظ الذي سماه مرآة الزمان ورأيته بخطه في أربعين مجلدا بدمشق وقد رتبه على السنين فقال في السنة التاسعة والخمسين للهجرة بعد ان قص حديث يزيد بن مفرغ مع بني زياد فقال في آخر الحديث مات يزيد بن مفرغ في سنة تسع وستين للهجرة والله أعلم وقال أبو اليقظان في كتاب النسب مات عباد بن زياد في سنة مائة للهجرة بجرود قلت وجرود بفتح الجيم وضم الراء وسكون الواو وبعدها دال مهملة وهي قرية من اعمال دمشق من جهة حمص ويكون في أرضها من حمر الوحش شئ كثير يجاوز الحصر ولما وصل بعض عسكر الديار المصرية الى الشام في اثناء سنة ستين وستمائة وتوجهوا بعسكر الشام الى انطاكية وكنت يومئذ بدمشق أقاموا عليها قليلا ثم عادوا فدخلوا مصر في سلخ شعبان من السنة وأخبرني بعضهم بقضية غريبة يصلح أن نذكرها هنا لغرابتها وهي انهم نزلوا على جرود المذكورة واصطادوا من الحمر الوحشية شيأ كثيرا على ما قالوا فذبح واحد من الجماعة حمارا وطبخ لحمه الطبخ المعتاد فلم ينضج ولا قارب النضج فزادني الحطب والايقاد فلم يؤثر فيه شيأ ومكث يوما كاملا يفعل ذلك وهو لا يفيد شيأ فقام شخص من الجند وأخذ الرأس يقلبه فوجد على أذنه وسما فقرأه فاذا هو بهرام جور فلما وصلوا الى دمشق أحضروا تلك الاذن عندي فوجدت الوسم ظاهرا وقد رق شعر الاذن الى ان بقي كالهباء وموضع الوسم بقي اسود وهو بالقلم الكوفي وهذا بهرام جور من ملوك

عنان المطايا أو يشد حزام
هي الغاية القصوى فان فات نيلها
فكل منى الدنيا علي حرام
سلا النفس عنها واطمأنت بنأيها
سلو رضيع قد عراه فطام
وصب سقاه الدهر سلوان رشده
فامسى وما للقلب منه هيام
صحا عن سلاف الغي بعد انهماكه
عليه فبان الكأس عنه وجام
محوت نقوش الجاه عن لوح خاطري
فاضحى كان لم يجر فيه ملام
نسيت أساطير الفخار كأنها
حديث ليال قد محاه نيام
أنست بلأواء الزمان وذله
فيا عزة الدنيا عليك سلام
الى كم أعاني تيهها ودلالها
ألم يأن عنها سلوة وسآم
على حين شيب قد ألم بمفرق
وعاد دهام الشعر وهو ثغام
طلائع ضعف قد أغارت على القوى
ونار بميدان المزاج قتام
فلا هي في برج الجمال مقيمة
ولا أنا في عهد الحمول مدام
وعادت قلوص العزم عنها كليلة
وقد جب منها غارب وسنام

(وله)

فكم عثرة ما أورثت غير عثرة
ورب كلام في القلوب كلام
لقد تم أزمان المسرات وانقضت
لكل زمان غاية وتمام

الفرس وكان قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بزمان طويل وكان من عاداته انه اذا كثر عليه ما يصطاده وسمه وأطلقه والله أعلم كم كان عمر الحمار لما وسمه والله أعلم لو تركوه ولم يذبحوه كم كان يعيش وعلى الجملة فان حمار الوحش من الحيوانات المعمرة وهذا الحمار لعله عاش ثمانمائة سنة أو أكثر وهذه حمر ودفى أرضها جبل المدخن المشهور وقد ذكره أبو نواس فى قصيدته التى ذكر فيها المنازل لما قصد الخصيب بمصر فقال

واقفر اشرافا كأنس تدمر * وهن الى رعن المدخن صور

والمدخن بضم الميم وبالدال المهملة وفتح الخاء المعجمة المشددة وبعدها نون وسمى المدخن لانه لا يزال عليه مثل الدخان من الضباب ثم بعد هذا وجدت فى كتاب مفاتيح العلوم تأليف محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف الخوارزمى أن بهرام جور بن بهرام بن سابور ذى الاكتاف وسمى بهرام جور لانه كان مولعا بصيد العير وهو الحمار الوحشى والاهلى أيضا انتهى كلامه ثم حسبت مدة ملكهم بعد هذا فكانت الى سنة الهجرة النبوية مقدار مائتين وست عشرة سنة فقد عاش هذا الحمار منذ وسمه بهرام جور الى ان ذبح فى سنة ستين وستمائة مقدار ثمانمائة سنة وأكثر والله أعلم قلت وقد تكرر فى هذه الترجمة حديث زياد وبنيه وسمية وأبى سفيان ومعاوية وهذه الاشعار التى قالها يزيد بن مفرغ فيهم ومن لا يعرف هذه الاسباب قد يتشوف الى الاطلاع عليها فنورد منها شيأ مختصرا فأقول ان أبا الجبر الملك الذى ذكره أبو بكر بن دريد فى المقصورة المشهورة فى البيت الذى يقوله فيها وهو

وخامرت نفس أبى الجبر جوى * حتى حواه الحتف فيمن قد حوى

كان أحد ملوك اليمن واسمه كنيته وقيل هو أبو الجبر يزيد بن شراحيل الكندى وقيل أبو الجبر بن عمرو تغلب عليه قومه فخرج الى بلاد فارس يستجيش عليهم كسرى فبعث معه جيشا من الاساورة فلما ساروا الى كاظمة ونظروا وحشة بلاد المغرب وقلة خيرها قالوا الى أين نمضى مع هذا فعمدوا الى سم فدفعوه الى طباخه ووعدوه بالاحسان اليه ان ألقى ذلك السم فى طعام الملك ففعل ذلك فلما استقر الطعام فى جوفه حتى اشتد وجعه فلما علم الاساورة ذلك دخلوا عليه فقالوا له انك قد بلغت الى هذه الحالة فاكتب لنا الى الملك كسرى انك قد اذنت لنا فى الرجوع فكتب لهم بذلك ثم ان أبا الجبر خف ما به فخرج الى الطائف البليدة التى بقرب مكة وكان بها الحرث بن كلدة طبيب العرب الثقفى فعالجه فابرأه فاعطاه سمية بضم السين المهملة وفتح الميم وتشديد الياء المثناة من تحتها وفى آخرها هاء وعبيدا بضم العين المهملة تصغير عبد وكان كسرى قد أعطاهما أبا الجبر فى جملة ما أعطاه ثم ارتحل أبو الجبر يريد اليمن فانتقضت عليه العلة فمات فى الطريق ثم ان الحرث بن كلدة الثقفى زوج عبيدا المذكور سمية المذكورة فولدت سمية زيادا على فراش عبيد وكان يقال له زياد بن عبيد وزياد بن سمية وزياد ابن أبيه وزياد ابن أمه وذلك قبل أن يستلحقه معاوية كما سيأتى ان شاء الله تعالى وولدت سمية أيضا أبا بكرة نفيع بن الحرث بن كلدة المذكور ويقال نفيع بن مشروح وهو الصحابى المشهور بكنيته رضى الله عنه وولدت أيضا شبل بن معبد ونافع بن الحرث وهؤلاء الاخوة الاربعة هم الذين شهدوا على المغيرة بن شعبة رضى الله عنه بالزنا وسيأتى خبر ذلك بعد الفراغ من حديث زياد ان شاء الله تعالى وكان أبو سفيان صخر بن حرب الاموى والد معاوية بن أبى سفيان يتهم فى الجاهلية بالترداد الى سمية المذكورة فولدت سمية زيادا فى تلك المدة ولكنها ولدته على فراش زوجها عبيد ثم ان زيادا كبر وظهرت منه النجابة والبلاغة وهو أحد الخطباء المشهورين فى العرب بالفصاحة والدهاء والعقل الكثير حتى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان قد استعمل أبا موسى الاشعرى رضى الله عنه على البصرة فاستكتب زيادا ابن أبيه ثم ان زيادا قدم على عمر رضى الله عنه من عند أبى موسى فأعجب به عمر رضى الله عنه فأمر له بألف درهم ثم تذكرها بعد ما مضى فقال لقد ضاع ألف أخذها زياد فلما قدم عليه بعد ذلك قال له ما فعل ألفك يا زياد قال اشتريت بها عبيدا فاعتقته يعنى أباه فقال ما ضاع ألفك يا زياد هل أنت حامل كتابى الى أبى موسى الاشعرى فى عزلك عن كتابته قال نعم يا أمير المؤمنين ان لم يكن ذلك عن سخطة قال ليس عن سخطة قال فلم

فسرعان ما مرت وولت وليتها
تدوم ولكن مالهن دوام
دهور تقضت بالمسرة ساعة
وآن تولى بالمساءة عام
فلله در الغم حيث أمدنى
بطول حياة والغموم سمام
أرى عمر نوح كل عام عمر بى
وما حام حام حول ذاك وسام
فما عشت لا أنسى حقوق صنيعة
وهيهات ان ينسى لدى ذمام
كما اعتاد أبناء الزمان وأجمعت
عليه فتام اثر ذاك فتام
تبدلت الاطوار وانحل عقدها
وبدد من جيد الزمان نظام
خبت نار أعلام المعارف والهدى
وشب لنيران الضلال ضرام
وكان سرير العلم صرحا ممردا
يناغى القباب السبع وهى عظام
منيفا رفيعا لا يطار غرابه
عزيزا منيعا لا يكاد يرام
له شرف قد جل عن أن يناله
غوائل أيدى الحادثات قدام
فجرت عليه الرامسات ذيولها
فخرت عروش منه ثم دعام
محا الذاريات الهوج آيات حسنه
فلم يبق منها آية ووسام
وسيق الى دار المهانة أهله
مساق أسير لا يزال يضام
فما كل قيل قيل علم وحكمة
وما كل افراد الحديد حسام
فللدهر تارات تمر على الورى
نعيم وبؤس صحة وسقام

تأمره بذلك قال كرهت ان أحمل الناس على فضل عقلك واستكتب أبو موسى بعد زياد أبا الحصين بن أبى الحر العنبرى فكتب الى عمر رضى الله عنه كتابا فلحن فى حرف منه فكتب اليه ان قنع كاتبك سوطا وكان عمر رضى الله عنه اذا وفد عليه من البصرة رجل احب أن يكون زيادا ليشفيه من الخبر وكان عمر رضى الله عنه قد استعمله على بعض اعمال البصرة ثم عزله وقال ما عزلتك لجريمة ولكن كرهت أن احمل الناس على فضل عقلك وكان عمر رضى الله عنه قد بعثه فى اصلاح فساد وقع باليمن فرجع من وجهه وخطب خطبة لم يسمع الناس مثلها فقال عمرو بن العاص أما والله لو كان هذا الغلام من قريش لساق العرب بعصاه فقال أبو سفيان انى لأعرف الذى وضعه فى رحم أمه فقال له على بن أبى طالب رضى الله عنه ومن هو يا أبا سفيان قال أنا قال مهلا أبا سفيان فقال أبو سفيان

أما والله لولا خوف شخص * يرانى يا على من الاعادى * لأظهر سره صخر بن حرب
وان تكن المقالة عن زياد * وقد طالت مجاملتى ثقيفا * وتركى بهم ثمر الفؤاد

فلما صار الامر الى على رضى الله عنه وجه زيادا الى فارس فضبط البلاد وحمى وجبى واصلح الفساد فكاتبه معاوية يروم افساده على على رضى الله عنه فلم يفعل ووجه بكتابه الى على رضى الله عنه وفيه شعر تركه فكتب اليه على انى ما وليتك ما وليتك الا وأنت أهل لذلك عندى ولن تدرك ما تريده مما أنت فيه الا بالصبر واليقين وانما كانت من أبى سفيان فلتة زمن عمر رضى الله عنه لا يستحق بها نسبا ولا ميراثا وان معاوية يأتى المرء من بين يديه ومن خلفه فاحذره ثم احذره والسلام فلما قرأ زياد الكتاب قال شهد لى أبو الحسن ورب الكعبة فذلك الذى جرأ يزيد بن معاوية على ما صنع فلما قتل على رضى الله عنه وتولى ولده الحسن رضى الله عنه ثم فوض الامر الى معاوية كما هو مشهور اراد معاوية استمالة زياد اليه وقصد تأليف قلبه ليكون معه كما كان مع على رضى الله عنه فتعلق بذلك القول الذى صدر من أبيه بحضرة على وعمرو بن العاص فاستلحق زيادا فى سنة أربع وأربعين للهجرة فصار يقال له زياد بن أبى سفيان فلما بلغ أخاه ابا بكرة ان معاوية استلحقه وانه رضى بذلك حلف يمينا ان لا يكلمه ابدا وقال هذا زنى أمه وانتفى من أبيه والله ما علمت سمية رأت ابا سفيان قط ويله ما يصنع بام حبيبة بنت ابى سفيان زوج النبى صلى الله عليه وسلم أيريد ان يراها فان حجبته فضحته وان رآها فيالها من مصيبة يهتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمة عظيمة وحج زياد فى زمن معاوية ودخل المدينة فاراد الدخول على ام حبيبة لانها اخته على زعمه وزعم معاوية ثم ذكر قول اخيه ابى بكرة فانصرف عن ذلك وقيل ان ام حبيبة حجبته ولم تأذن له فى الدخول عليها وقيل انه حج ولم يزر من اجل قول أبى بكرة وقال جزى الله ابا بكرة خيرا فما يدع النصيحة على كل حال وقدم زياد على معاوية وهو نائب عنه وحمل معه هدايا جليلة من جملتها عقد نفيس فاعجب به معاوية فقال زياد يا أمير المؤمنين دوخت لك العراق وجبيت لك برها وبحرها وحملت اليك لبها وقشرها وكان يزيد بن معاوية جالسا فقال له اما انك اذ فعلت ذلك فانا نقلناك من ثقيف الى قريش ومن عبيد الى ابى سفيان ومن القلم الى المنابر فقال له معاوية حسبك وريت بك زنادى وقال أبو الحسن المدائنى أخبرنا أبو الزبير الكاتب عن ابن اسحق قال اشترى زياد اباه عبيدا فقدم زياد على عمر رضى الله عنه فقال له ما صنعت باول شئ أخذت من عطائك قال اشتريت به أبى قال فاعجب ذلك عمر رضى الله عنه وهذا ينافى استلحاق معاوية اياه ولما ادعى معاوية زيادا دخل عليه بنو امية وفيهم عبد الرحمن بن الحكم اخو مروان بن الحكم الاموى فقال له يا معاوية لو لم تجد الا الزنج لاستكثرت بهم علينا قلة وذلة فاقبل معاوية على اخيه مروان بن الحكم وقال اخرج عنا هذا الخليع فقال مروان والله انه لخليع ما يطاق قال معاوية والله لولا حلمى وتجاوزى لعلمت انه يطاق ألم يبلغنى شعره فى وفى زياد ثم قال لمروان اسمعنيه فقال

ألا أبلغ معاوية بن صخر * لقد ضاقت بما يأتى اليدان
أتغضب ان يقال أبوك عف * وترضى ان يقال أبوك زان

وقد تقدم ذكر بقية هذه الابيات منسوبة الى يزيد بن مفرغ وفيها خلاف هل هى ليزيد بن مفرغ ام لعبد

تشكل فيها كل شئ بشكل ما
يعانده والناس عنه نيام
فعز بهون والهوان بعزة
تنبه فيها تيك الحياة منام
وجانب عن اللذات واهجر زلالها
وأيقن بان الرى منه أوام
يرى النقص فى زى الكمال كأنها
على رأس ربات الجمال عمام
فدعها وما فيها هنيئا لاهلها
ولا يك فيها رغبة وسوام
هب أن مقاليد الامور ملكتها
ودانت لك الدنيا وأنت همام
جبيت خراج الخافقين بسطوة
وفزت بما لم تستطعه أنام
ومتعت باللذات دهرا بغبطة
أليس بحتم بعد ذاك حمام
فبين البرايا والخلود تباين
وبين المنايا والنفوس لزام
سل الارض عن حال الملوك التى خلت
الهم فوق فرق الفرقدين مقام
لديهم ألوف من خميس عرمرم
لهم شوكة تسبى النهى وعرام
فهل هم على ما هم عليه وحولهم
من العز جند يحضرون لهام
وما بال ذى الاوتاد ما خطب قومه
وما صنعت عاد وابن ارام
وما شأن شداد وهل هو خالد
بجنته والعيش منه مدام
ألم بهم ريب المنون فغالهم
فهم تحت أطباق الرغام رغام

الرحمن بن الحكم فمن رواها لابن مفرغ روى البيت الاول على تلك الصورة ومن رواها لعبد الرحمن رواها على هذه الصورة ولما استلحق معاوية زيادا وقربه وأحسن اليه وولاه صار من أكبر الاعوان على بنى على بن أبى طالب رضى الله عنه حتى قيل انه لما كان أمير العراقين طلب رجلا يعرف بابن سرح من أصحاب الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه وكان فى الامان الذى كتب لاصحاب الحسن رضى الله عنه لما نزل عن الخلافة لمعاوية فكتب الحسن الى زياد من الحسن الى زياد اما بعد فقد علمت ما كنا أخذنا لاصحابنا من الامان وقد ذكر لى ابن سرح انك عرضت له فاحب ان لا تعرض له الا بخير والسلام فلما أتاه الكتاب وقد بدأ فيه بنفسه ولم ينسبه الى ابى سفيان غضب وكتب اليه من زياد بن أبى سفيان الى الحسن أما بعد فانه أتانى كتابك فى فاسق تأويه الفساق من شيعتك وشيعة أبيك وايم الله لأطلبنه ولو كان بين جلدك ولحمك وان احب الناس الى لحما أن آكله اللحم أنت منه فلما قرأه الحسن رضى الله عنه بعث به الى معاوية فلما قرأه غضب وكتب الى زياد من معاوية بن أبى سفيان الى زياد أما بعد فان الحسن بن على بعث الى بكتابك اليه جواب كتاب كان كتبه اليك فى ابن سرح فأكثرت التعجب منه وقد علمت ان لك رأيين رأيا من أبى سفيان ورأيا من سمية فأما رأيك من أبى سفيان فحلم وحزم وأما رأيك من سمية فكما يكون رأى مثلها ومن ذلك كتابك الى الحسن تسبه وتعرض له بالفسق ولعمرى لأنت أولى بذلك منه فان كان الحسن ابتدأ بنفسه ارتفاعا عنك فان ذلك لن يضعك واما تركك تشفيعه فيما شفع فيه اليك فحظ دفعته عن نفسك الى من هو أولى به منك فاذا أتاك كتابى فخل ما بيدك لابن سرح ولا تعرض له فيه فقد كتبت الى الحسن يخبره ان شاء أقام عنده وان شاء رجع الى بلده وانه ليس لك عليه سبيل بيد ولا لسان واما كتابك الى الحسن باسمه ولا تنسبه الى ابيه فان الحسن ويحك ممن لا يرمى به الرجوان أفاستصغرت أباه وهو على بن أبى طالب رضى الله عنه أم الى أمه وكلته وهى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذلك أفخر له ان كنت عقلت والسلام (قوله لا يرمى به الرجوان) بفتح الراء والجيم وهو لفظ مثنى ومعناه المهالك قلت وقد رويت هذه الحكاية على صورة أخرى وهى كان سعيد بن سرح مولى كريز بن حبيب بن عبد شمس من شيعة على بن أبى طالب رضى الله عنه فلما قدم زياد ابن أبيه الكوفة واليا عليها اخافه وطلبه فأتى المدينة فنزل على الحسن بن على رضى الله عنه فقال له الحسن ما السبب الذى اشخصك وازعجك فذكر له قصته وصنيع زياد به فكتب اليه الحسن اما بعد فانك عمدت الى رجل من المسلمين له مالهم وعليه ما عليهم فهدمت عليه داره وأخذت ماله وعياله فاذا أتاك كتابى هذا فابن له داره واردد عليه ماله وعياله فانى قد أجرته فشفعنى فيه فكتب اليه زياد من زياد بن أبى سفيان الى الحسن بن فاطمة أما بعد فقد أتانى كتابك تبدأ فيه باسمك قبل اسمى وأنت طالب للحاجة وأنا سلطان وأنت سوقة وكتابك الى فى فاسق لا يأويه الا فاسق مثله وشر من ذلك توليه أباك وقد آويته اقامة منك على سوء الرأى ورضى بذلك وايم الله لا تسبقنى اليه ولو كان بين جلدك ولحمك فان أحب لحم الى ان آكله للحم أنت منه فأسلمه بجريرته الى من هو أولى به منك فان عفوت عنه لم أكن شفعتك وان قتلته لم أقتله الا بحبه اباك فلما قرأ الحسن رضى الله عنه الكتاب كتب الى معاوية يذكر له حال ابن سرح وكتابه الى زياد فيه واجابة زياد اياه ولف كتابه فى كتابه وبعث به اليه وكتب الحسن الى زياد من الحسن بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى زياد بن سمية عبد بنى ثقيف الولد للفراش وللعاهر الحجر فلما قرأ معاوية كتاب الحسن رضى الله عنه ضاقت به الشام وكتب الى زياد أما بعد فان الحسن بن على بن ابى طالب رضى الله عنهما بعث الى بكتابك جواب كتابه اليك فى ابن سرح فأكثرت التعجب منه وعلمت أن لك رأيين أحدهما من أبى سفيان وآخر من سمية فأما الذى من أبى سفيان فحلم وحزم وأما الذى من سمية فكما يكون رأى مثلها ومن ذلك كتابك الى الحسن تشتم أباه وتعرض له بالفسق ولعمرى لأنت أولى بالفسق من الحسن ولأبوك اذ كنت تنسب الى عبيد أولى بالفسق من أبيه فان كان الحسن بدأ بنفسه ارتفاعا عنك فان ذلك لم يضعك وأما تشفيعه فيما شفع اليك فيه فحظ دفعته عن نفسك الى من هو أولى به منك فاذا قدم عليك كتابى هذا فخل ما فى يدك لسعيد بن سرح وابن

وأمسوا أحاديثا وأصبح ملكهم
هباء وباد التاج ثم وهام
فسبحان رب العرش ليس لملكه
تناه وحد مبدأ وختام

وهذه قصيدة طويلة تنيف على تسعين بيتا (وله) مشيرا الى تعلق النفس الانسانى بالعلم الجسمانى قصيدة

طال الثواء بدارة الهجران
مثوى الكروب قرارة الاشجان
معمورة اللأواء معترك الردى
مأوى الخطوب غيابة الاحزان
ياحيرة لغريب ألقاه النوى
فى مهمه ناء عن العمران
شط المزار عن الاخلة وانقضى
زمن اتصال الاهل والاوطان
قد كان من ملاعبات أقدارهم
ومكانهم قد فاق كل مكان
ما ان يحد جهاتهم بحدد
كلا ولا أوقاتهم بزمان
تبدو ضمائرهم بغير مترجم
يجرى تحاورهم بغير لسان
بينا يسير على بلهنية من الـ
عيش الرغيد بروضة الرضوان
يختال فى حلل الكرامة زاهيا
مستنزها فى ساحة السبحان
اذ ناله مالم يمر ببياله
وبدا له ماليس فى الحسبان
فجرى عليه براعة التقدير بالـ
أمر المقدر أيما جريان
فهوى بمهواة العناصر بغتة
فكأنما يرمى به الرجوان

له داره ولا تعرض به واردد عليه ماله فقد كتبت الى الحسن أن يخبر صاحبه بذلك فان شاء أقام عنده وان شاء رجع الى بلده فليس لك عليه سلطان بيد ولا لسان وأما كتابك الى الحسن باسمه واسم أمه ولا تنسبه الى أبيه فان الحسن ويلك ممن لا يرمى به الرجوان أفاستصغرت أباه وهو على بن أبى طالب أم الى أمه وكلته لا أم لك فهى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلك أفخر له ان كنت تعقل والسلام وقال عبيد الله بن زياد ماهجيت بشىء أشد على من قول ابن مفرغ

فكر ففى ذاك ان فكرت معتبر * هل نلت مكرمة الا بتأمير
عاشت سمية ماعاشت وما علمت * ان ابنها من قريش فى الجماهير

وقال قتادة قال زياد لبنيه وقد احتضر ليت أباكم كان راعيا فى أدناها وأقصاها ولم يقع بالذى وقع فيه * قلت فبهذا الطريق كان ينظم ابن مفرغ هذه الاشعار فى زياد وبنيه ويقول انهم ادعياء حتى قال فى زياد وأبى بكرة ونافع أولاد سمية

ان زيادا ونافعا وأبا * بكرة عندى من أعجب العجب
هم رجال ثلاثة خلقوا * فى رحم أنثى وكلهم لأب
ذا قرشى كما يقول وذا * مولى وهذا ابن عمه عربى

وهذه الابيات تحتاج الى زيادة ايضاح فاقول قال أهل العلم بالاخبار ان الحرث بن كلدة بن عمرو بن علاج بن أبى سلمة بن عبد العزى بن غيرة بن عوف بن قسى وهو ثقيف هكذا ساق هذا النسب ابن الكلبى فى كتاب الجمهرة وهو طبيب العرب المشهور ومات فى أول الاسلام وليس يصح اسلامه وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر سعد بن أبى وقاص ان يأتى الحرث بن كلدة يستوصفه فى مرض نزل به فدل ذلك على انه جائز أن يشاور أهل الكفر فى الطب اذا كانوا من أهله وكان ولده الحرث بن الحرث من المؤلفة قلوبهم وهو معدود فى جملة الصحابة رضى الله تعالى عنهم ويقال ان الحرث بن كلدة كان رجلا عقيما لا يولد له وانه مات فى خلافة عمر رضى الله عنه ولما حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم الطائف قال أيما عبد تدلى الى فهو حر فنزل أبو بكرة رضى الله عنه من الحصن فى بكرة (قلت وهى بفتح الباء الموحدة وسكون الكاف وبعدها راء ثم هاء وهى التى تكون على البئر وفيها الحبل يستقى به والناس يسمونها بكرة بفتح الكاف وهو غلط الا ان صاحب كتاب العين حكاها بالفتح أيضا وهى لغة ضعيفة لم يحكها غيره) قال فكناه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكرة لذلك وكان يقول أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأراد أخوه نافع ان يدلى نفسه فى البكرة أيضا فقال له الحرث بن كلدة أنت ابنى فاقم فاقام ونسب الى الحرث وكان أبو بكرة قبل ان يحسن اسلامه ينسب الى الحرث أيضا فلما حسن اسلامه ترك الانتساب اليه ولما هلك الحرث بن كلدة لم يقبض أبو بكرة من ميراثه شيأ تورعا هذا عند من يقول ان الحرث أسلم والا فهو محروم من الميراث لاختلاف الدين فلهذا قال ابن مفرغ الابيات الثلاثة البائية لان زيادا ادعى انه قرشى باستلحاق معاوية له وأبو بكرة اعترف بولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ونافع كان يقول انه ابن الحرث بن كلدة الثقفى وأمهم واحدة وهى سمية المذكورة وهذا سبب نظم البيتين فى آل أبى بكرة كما تقدم ذكره وعلاج جد الحرث بن كلدة كما ذكرته هذه قصة زياد وأولاده ذكرتها مختصرة * قلت الان قول ابن مفرغ فى البيت الثانى وكلهم لاب ليس بجيد فان زيادا ما نسبه أحد الى الحرث بن كلدة بل هو ولد عبيد لانه ولد على فراشه وأما أبو بكرة ونافع فقد نسبا الى الحرث فكيف يقول وكلهم لاب فتأمله وذكر ابن النديم فى كتابه الذى سماه الفهرست ان أول من ألف كتابا فى المثالب زياد ابن أبيه فانه لما طعن عليه وعلى نسبه عمل ذلك لولده وقال لهم استظهروا به على العرب فانهم يكفون عنكم واما حديث المغيرة بن شعبة الثقفى والشهادة عليه فان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان قد رتب المغيرة أميرا على البصرة وكان يخرج من دار الامارة نصف النهار وكان أبو بكرة يلقاه فيقول اين يذهب الامير فيقول فى حاجة فيقول ان الامير يزار ولا يزور قالوا وكان يذهب الى امرأة يقال لها أم جميل بنت عمرو وزوجها الحجاج بن عتيك بن الحرث بن وهب الجشمى وقال ابن الكلبى فى كتاب جمهرة

نأت الديار عن الاهالى والذرا
وتجاورت باسافل وأدانى
طورا يفارقهم وليس مفارقا
حينا يدانيهم وليس بدانى
يوما يعاديهم بموجب طبعه
وقتا يؤانسهم بحكم قران
فاعتادهم بعد التباو والتى
وسرى اليه خليقة الجيران
قد خولطت أنواره بغياهب
واسود شعلة ناره بدخان
تبدو شوارقها لديه تلألؤا
ايماض برق فاتر اللمعان
ياحائرا فى أمره مالى متى
تحثو بدار مذلة وهوان
حتام ترتع فى مراتع غفلة
والام تسلك مسلك الخسران
فكأن قلبك فى جناحى طائر
بادى التقلب دائم الخفقان
مازلت تبغى مطلبا عن مطلب
وتحل فى مغنى عقيب مغانى
أوما كفى ماقد بلغت من المنى
قد كان مافى حيز الامكان
ألقى الزمان اليك حبل قياده
مع مابه من شدة وحران
ورقيت فى صهوات عز شامخ
والناس بين معزز ومهان
وبلغت من زلفاه أقصى مبلغ
هل بعد ذلك من منى وأمانى
لو أنت نلت كل ماقد رمته
فاعلم بان جميع ذلك فانى
قوض خيامك وارتحل من سوحهم
ودع التوانى لات حين توانى
سر فى فضاء العالم العلوى كم
هذا الجثوم بعالم الجثمان
أنسيت أياما مضين بأهلها
ونقضت عهد أولئك الاعيان
والدهر قد جربت من أطواره
مالا يحيط به نطاق بيان

النسب هي أم جميل بنت الافقم بن محجن بن أبي عمرو بن شعبة بن الهرم وعدادهم في الانصار وزاد غير ابن الكلبي فقال الهرم بن رويبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن والله أعلم (قال الراوى) فبينما أبو بكرة في غرفة مع اخوته وهم نافع وزياد المذكوران وشبل بن معبد والجميع أولاد سمية المذكورة فهم اخوة لام وكانت أم جميل المذكورة في غرفة أخرى قبالة هذه الغرفة فضربت الريح باب غرفة أم جميل ففتحته ونظر القوم فاذاهم بالمغيرة مع المرأة على هيئة الجماع فقال أبو بكرة هذه بلية قد ابتليتم بها فانظروا فنظروا حتى أثبتوا فنزل أبو بكرة فجلس حتى خرج عليه المغيرة فقال له انه كان من أمرك ماقد علمت فاعتزلنا قال وذهب المغيرة ليصلى بالناس الظهر ومضى أبو بكرة فقال ابو بكرة لا والله لا تصل بنا وقد فعلت مافعلت فقال الناس دعوه فليصل فانه الامير واكتبوا بذلك الى عمر رضى الله عنه فكتبوا اليه فامرهم ان يقدموا عليه جميعا المغيرة والشهود فلما قدموا عليه جلس عمر رضى الله عنه فدعا بالشهود والمغيرة فتقدم أبو بكرة فقال له رأيته بين فخذيها قال نعم والله لكاني انظر الى تشريم جدرى بفخذيها فقال له المغيرة لقد ألطفت في النظر فقال أبو بكرة لم آل ان أثبت مايخزيك الله به فقال عمر رضى الله عنه لا والله حتى تشهد لقد رأيته يلج فيها ولوج المرود في المكحلة فقال نعم أشهد على ذلك فقال اذهب مغيرة ذهب ربعك ثم دعا نافعا فقال له علام تشهد قال على مثل شهادة أبي بكرة قال لا حتى تشهد انه ولج فيها ولوج الميل في المكحلة قال نعم حتى بلغ قذذه (قلت القذذ بالقاف المضمومة وبعدها ذالان معجمتان وهى ريش السهم) قال الراوى فقال له عمر رضى الله عنه اذهب مغيرة قد ذهب نصفك ثم دعا الثالث فقال له علام تشهد فقال على مثل شهادة صاحبي فقال له عمر رضى الله عنه اذهب مغيرة ذهب ثلاثة أرباعك ثم كتب الى زياد وكان غائبا وقدم فلما رآه جلس له في المسجد واجتمع عنده رؤس المهاجرين والانصار فلما رآه مقبلا قال انى أرى رجلا لا يخزى الله على لسانه رجلا من المهاجرين ثم ان عمر رضى الله عنه رفع رأسه اليه فقال ماعندك ياسلح الحبارى فقيل ان المغيرة قام الى زياد فقال لامخبا للعطر بعد عروس قلت وهذا مثل للعرب لاحاجة الى الكلام عليه فقد طالت هذه الترجمة كثيرا (قال الراوى) فقال له المغيرة يازياد اذكر الله تعالى واذكر موقف يوم القيامة فان الله تعالى وكتابه ورسوله وأمير المؤمنين قد حقنوا دمى الا ان تتجاوز الى مالم تر مما رأيت فلا يحملنك سوء منظر رأيته على ان تتجاوز الى مالم تر فوالله لو كنت بين بطنى وبطنها مارأيت ان يسلك ذكرى فيها قال فدمعت عينا زياد واحمر وجهه وقال ياأمير المؤمنين أما ان أحق ماحق القوم فليس عندى ولكن رأيت مجلسا وسمعت نفسا حثيثا وانتهازا ورأيته مستبطنها فقال له عمر رضى الله عنه رأيته يدخل كالميل في المكحلة فقال لا وقيل قال زياد رأيته رافعا رجليها فرأيت خصيتيه تردد الى مابين فخذيها ورأيت حفزا شديدا وسمعت نفسا عاليا فقال عمر رضى الله عنه رأيته يدخله ويخرجه كالميل في المكحلة فقال لا فقال عمر رضى الله عنه الله أكبر قم يامغيرة اليهم فاضربهم فقام الى أبي بكرة فضربه ثمانين وضرب الباقين وأعجبه قول زياد ودرأ الحد عن المغيرة فقال أبو بكرة بعد ان ضرب أشهد أن المغيرة فعل كذا وكذا فهم عمر رضى الله عنه أن يضربه حدا ثانيا فقال له على بن أبي طالب رضى الله عنه ان ضربته فارجم صاحبك فتركه واستتاب عمر أبا بكرة فقال انما تستتيبنى لتقبل شهادتى فقال أجل فقال لا أشهد بين اثنين مابقيت في الدنيا فلما ضربوا الحد قال المغيرة الله أكبر الحمد لله الذى أخزاكم فقال عمر رضى الله عنه بل أخزى الله مكانا رأوك فيه وذكر عمر بن شبة في كتاب أخبار البصرة أن أبا بكرة لما جلد أمرت أمه بشاة فذبحت وجعلت جلدها على ظهره فكان يقال ماذاك الا من ضرب شديد وحكى عبد الرحمن بن أبي بكرة ان أباه حلف لا يكلم زيادا ماعاش فلما مات أبو بكرة كان قد أوصى أن لا يصلى عليه الا أبو برزة الاسلمى وكان النبي صلى الله عليه وسلم آخى بينهما وبلغ ذلك زيادا فخرج الى الكوفة وحفظ المغيرة بن شعبة ذلك لزياد وشكره ثم ان أم جميل وافت عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالموسم والمغيرة هناك فقال له عمر أتعرف هذه المرأة يامغيرة فقال نعم هذه أم كلثوم بنت على فقال عمر أتتجاهل على والله ماأظن أبا بكرة كذب عليك ومارأيتك الاخفت أن أرمى بحجارة من السماء * قلت

حرب غدا وعدا على أبنائه
قد سل سيف البغى والعدوان
ماض عليهم حكمه واذاجنى
ذهبت جنايته بغير ضمان
من ذا الذى لم تلقه أيدى
الردى
من ذا الذى ينجو من الحدثان
قد آن من شمس الحياة
طلوعها
من حضرة الاشباح والابدان
فتنح من دار الغرور وفر من
سامى الرواق وشامخ الاركان
صلى الاله على مشرفه مدى الـ
أيام والاحقاب والازمان
(وله رحمه الله تعالى)
مقالة غراعز قائلها
مذكورة في النهى دلائلها
قويمة لاترى بها عوجا
لاقدس الله من يجادلها
آياتها سطرت على صحف الـ
عالم ممتازة فواصلها
كانما ذاك عند معتبر
رسالة صدرت مسائلها
ليس به ذرة وان صغرت
الا وفى ضمنها مخايلها
كانها علم على حدب
أوقد في رأسها مشاعلها
تخبر عن كل نكتة سئلت
بغير خلف فاين سائلها
ان رمت تحقيق ماسمعت فسر
في الارض بارزة مراحلها
طف بالبلاد التى تبوأها
صدر الملوك وقف تسائلها
أين الذى اختطها ومصرها
وأين معمورها وعاطلها
من شق انهارها وعمرها
ومن له حفرت جداولها
قل للمصانع أين صانعها
وللافاعيل أين فاعلها
وسل قصورا عطت مراسمها

ذكر الشيخ أبو اسحق الشيرازى في أول باب عدد الشهود في كتاب المهذب وشهد على المغيرة ثلاثة أبو بكرة ونافع وشبل بن معبد وقال زياد رأيت استا تنبو ونفسا يعلو ورجلين كأنهما اذنا حمار ولا أدرى ماوراء ذلك فجلد عمر الثلاثة ولم يحد المغيرة قلت وقد تكلم الفقهاء على قول على رضى الله عنه لعمر ان ضربته فارجم صاحبك فقال أبو نصر بن الصباغ المقدم ذكره وهو صاحب كتاب الشامل في المذهب يريد أن هذا القول ان كان شهادة أخرى فقد تم العدد وان كان هو الاول فقد جلدته عليه والله أعلم وذكر عمر ابن شبة في أخبار البصرة أن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه قال لعمر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقطعنى البحرين فقال ومن يشهد لك بذلك قال المغيرة بن شعبة فابى ان يجيز شهادته قلت وقد طالت هذه الترجمة وسببه انها اشتملت على عدة وقائع فدعت الحاجة الى الكلام على كل واحدة منها فانتشر القول لاجل ذلك وماخلا عن فوائد

* (أبو المكشوح يزيد بن سلمة بن سمرة بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة المعروف بابن الطثرية الشاعر المشهور) *

هكذا ساق نسبه أبو عمرو الشيبانى وانما قيل لجده سلمة الخير لانه كان لقشير ولد آخر يقال له سلمة الشر قال وقد قيل انه يزيد بن المنتشر بن سلمة وذكر ابن الكلبى انه يزيد بن الصمة أحد بنى سلمة الخير بن قشير وذكر البصريون انه من ولد الاعور بن قشير وذكره أبو الحسن على بن عبد الله الطوسى في أول ديوان يزيد بن الطثرية المذكور وكان الطوسى قد اعتنى به وجمعه فقال كان ابن الطثرية شاعرا مطبوعا عاقلا فصيحا كامل الادب وافر المروءة لا يعاب ولا يطعن عليه وكان سخيا شجاعا له أصل ومحل في قومه من قشير وكان من شعراء بنى أمية مقدما عندهم وقال غير الطوسى كان يزيد بن الطثرية يسمى مودقا تسمى بذلك لحسن وجهه وحسن شعره وحلاوة حديثه فكانوا يقولون انه اذا جلس بين النساء ودقهن يقال استودقت المرأة وودقت اذا مالت الى الفحل لاجل الجماع والاصل في هذه اللفظة أن تكون لذوات الحوافر ثم نقلت الى بنى آدم وهى بالدال المهملة والقاف والمودق هو الذى يجعل النساء يملن عليه وكان يزيد كثيرا مايجلس عند النساء ويتحدث معهن ويقال انه كان عنينا لا يأتى النساء وليس له عقب وهو من أعيان الشعراء ذكره أبو تمام الطائى في كتاب الحماسة في عدة مواضع فمن ذلك قوله في باب النسيب



عقيلية اما ملاث ازارها * فدعص وأما خصرها فنبيل
تيقظ أكناف الحمى ويظلها * بنعمان من وادى الاراك مقيل
أليس قليلا نظرة ان نظرتها * اليك وكل ليس منك قليل
فياخلة النفس التى ليس دونها * لنا من أخلاء الصفاء خليل
ويا من كتمنا حبه لم يطع به * عدوا ولم يؤمن عليه دخيل
أما من مقام اشتكى غربة النوى * وخوف العدا فيه اليك سبيل
فديتك أعدائى كثير وشقتى * بعيد وأشياعى لديك قليل
فلا تحملى ذنبى وأنت ضعيفة * فحمل دمى يوم الحساب ثقيل
وكنت اذا ماجئت جئت لعلة * فأفنيت علاتى فكيف أقول
فما كل يوم لى بارضك حاجة * ولا كل يوم لى اليك رسول

وكان أبو الفرج الاصبهانى صاحب كتاب الاغانى قد جمع شعر يزيد بن الطثرية في ديوان وأورد له قوله

ألا بابى من قد برى الجسم حبه * ومن هو موموق الى حبيب
ومن هو لا يزداد الا تشوقا * وليس يرى الا عليه رقيب
وانى وان أحموا على كلامها * وحالت أعاد دوننا وحروب
لمثن على ليلى ثناء يزينها * قوافٍ بافواه الرجال تطيب

وظلت أيدى البلى تزاولها
وقد تصدى لنسخ آيتها
حكم الزبور وما يقابلها
تجبك فيما سألت معربة
عن الشؤن التى تحاولها
تروى أحاديث أمة سلفت
رواية لا يرد قائلها
عبارة عبقرية عريت
عن الحروف ومايشاكلها
على طراز يكاد تفهمه الـ
أمة مجنونها وعاقلها
قائلة وهى في مقالتها
محققة لا يظن باطلها
كم من ملوك علت أرائكها
بعزة لا يذل نائلها
ودولة لا ترام شامخة
وحشمة لا يضام واصلها
دانت لهم كل أمة وغدت
ترهب من بأسهم قبائلها
يخاف بطشتها مرازبها
يهاب سطوتها أماثلها
لم يبق في الملك من يعارضها
ولا على الارض من يعادلها
تشرفت باسمهم منابرها
وأزينت منهم محافلها
امتلأ الارض من كتائبهم
فلم يسع بحرها وساحلها
الى خزائنهم وسدتهم
تجبى عوائدها وحاصلها
فبينما هم على بلهنية
ونعمة لا يخيب آملها
أصابهم ما أصابهم فغدوا
في هوة لا يريم نازلها
نابتهم النائبات فانقلبوا
الى ديار خلت منازلها
مفازة لا يفوز سالكها
طريقة لا يؤب سابلها
لم أدر هل صدهم صوارفها
عن ذاك أم غالهم غوائلها
بلى أناخت بهم نوائبها

أليلى احذرى نقض القوى لا يزل لنا * على النأى والهجران منك نصيب
وكونى على الواشين لداء شغبة * كما ان للواشى ألد شغوب
فان خفت ان لا تحكمى مرة الهوى * فردّى فؤادى والمزار قريب

وأورده له أيضا

بنفسى من لو مر برد بنانه * على كبدى كانت شفاء أنامله
ومن هابنى فى كل شئ وهبته * فلا هو يعطينى ولا أنا سائله

وأما أبو الحسن الطوسى فانه أورده له

وانى لاستحيى من الله ان أرى * رديفا لوصل أو على رديف
وان أرد الماء المطا حسبة * وأتبع وصلا منك وهو ضعيف

قلت ورأيت فى موضع آخر بعد البيت الاول

وانى للماء المخالط للقذى * وان كثرت وراده لعيوف

وأورده له الطوسى أيضا

الا رب راج حاجة لا ينالها * وآخر قد تقضى له وهو جالس
يجول لها هذا وتقضى لغيره * وتأتى الذى تقضى له وهو آيس

وأورده له أيضا من جملة أبيات

برغمى أطيل الصد عنها اذا نأت * أحاذر أسماعا عليها وأعينا
أتانى هواها قبل ان أعرف الهوى * فصادف قلبا خاليا فتمكنا

وأورده له أيضا

وقولا اذا عدت ذنوبا كثيرة * علينا تجناها ذرى ما تعيبا
هبينى امرأ اما بريا أظلمته * واما مسيأ تاب بعد وأعتبا
فلما أبت لا تقبل العذر وارتمى * بها كذب الواشين شأوا مغربا
تعزيت عنها بالسلو ولم أكن * لمن ضن عنى بالمودة أقربا
وكنت كذى داء تبغى لدائه * طبيبا فلما لم يجده تطببا

وأورده له أبو عبد الله المرزبانى فى كتاب معجم الشعراء وهى فى الحماسة أيضا وقد رويت أيضا لعبد الله بن الدمينة الخثعمى والله تعالى أعلم (الدمينة بوزن جهينة)

بنفسى وأهلى من اذا عرضوا له * ببعض الاذى لم يدر كيف يجيب
ولم يعتذر عذر البرىء ولم تزل * به رعدة حتى يقال مريب

وأورده له المرزبانى فى المعجم أيضا

حننت الى ريا ونفسك باعدت * مزارك من ريا وشعبا كما معا
فما حسن أن تأتى الامر طائعا * وتجزع ان داعى الصبابة أسمعا
قفا ودعا نجدا ومن حل بالحمى * وقل لنجد عندنا أن يودعا
ولما رأيت البشر أعرض دوننا * وحالت بنات الشوق يحنن نزعا
وليست عشيات الحمى برواجع * عليك ولكن خل عينيك تدمعا
بكت عينى اليمنى فلما زجرتها * عن الجهل بعد الشيب أسبلتا معا
تلفت نحو الحى حتى وجدتنى * وجعت من الاظعان ليتا وأخدعا
وأذكر أيام الحمى ثم أنثنى * على كبدى من خشية أن تقطعا

قلت وهى أبيات فى غاية الرقة واللطافة وذكرها أبو تمام الطائى فى كتاب الحماسة فى أول باب النسيب وقال انها للصمة بن عبد الله القشيرى والله أعلم بالصواب فى ذلك وقال أبو عمر يوسف بن عبد البر صاحب كتاب الاستيعاب فى أخبار الصحابة رضى الله عنهم وقد قدم ذكره فى كتاب بهجة المجالس مامثاله للصمة بن عبد الله القشيرى

اما وجلال الله لو تذكرينى * كذكريك ما كفكفت للعين أدمعا

فقالت

ثم أحلت بهم كلا كلها
فما لهم ناصر يخلصهم
ولا لهم عسكر يقابلها
لا تحسب الارض بعد باقية
يد العجاريف لا تداخلها
ولا قباب السماء سامية
متينة كاملا هيا كلها
سوف تكون النجوم كاسفة
حيران طالعها وآفلها
فيا لها من ملمة نزلت
ان الدناجة نوازلها
والدهر صعب الخطوب
منكرها
ومشكل النائبات هائلها
ان كل ما فى الوجود من نعم
الا تزولك أو تزايلها
فلا يغرنكم زخارفها
فلا يصدنكم شواغلها
سلطنة الدهر هكذا دول
تعز سلطان من يداولها
وهذه قصيدة تنيف على
ستين بيتا (وقال رحمه الله)
لمن الديار تضعضعت أركانها
وانقض فوق عروشها
جدرانها
أضحت مثابة كل بوم
صادح
وتفرقت أيدى سبا سكانها
ولقد علاها وحشة وكأنها
صحف الكتاب قد انمحى
عنوانها
أو بقعة الدنيا تناهى أمرها
قامت قيامتها وآن أوانها
اذ ليست الدنيا تدوم بحالة
سيان عندى عزها وهوانها
أو غادة خلقت ثياب جمالها
وتمزقت بيد الردى أردانها
ومحا محاسنها الصروف كأنها
مثل القلوب تراكمت
أحزانها

فقالت بلى والله ذكرا لو أنه * يصب على الصخر الاصم تصدعا

ثم قال بعد ذلك وأكثرهم ينسبون اليه هذا الشعر

حننت الى ريا ونفسك باعدت * مزارك من ريا وشعبا كما معا

وذكر الابيات بكمالها كما ذكرها فى الحماسة وبعد الفراغ منها قال ومنهم من ينميها الى قيس بن ذريح والى المجنون أيضا والاكثر أنها للصمة والله أعلم قلت فقد وقع الاختلاف فى أن هذه الابيات العينية هل هى ليزيد بن الطثرية أم للصمة بن عبد الله القشيرى أم لقيس بن ذريح أم للمجنون والله أعلم قلت وذكره المرزبانى فى كتاب الموثق فقال أنشدنى أبو الجيش لابن الطثرية

وحنت قلوصى بعد هدء صبابة * فيا روعة ماراع قلبى حنينها
فقلت لها صبرا فكل قرينة * مفارقها لابد يوما قرينها

وأورده له أيضا

كيف العزاء وأنت أومق من مشى * والنفس معولة ودارك نائية
بيديك قتلى ان أردت منيتى * وشفاء نفسى ان أردت شفائيه
ولقد عرفت فما أويت لمدنف * ما النفس عنك وان نأيت بساليه

وأورده له أيضا

اذا نحن جئنا لم نجمل بزينة * حذار الاعادى وهى باد جمالها
ولا نبتديها بالسلام ولم نقل * لهم من توقى شرهم كيف حالها

وأورده له أشياء كثيرة غير هذا فلنقتصر على هذا القدر وقال أبو بكر أحمد بن يحيى بن جابر البلاذرى فى كتاب أنساب الاشراف بعد ماذكر مقتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان الاموى الحكمى ووقائع جرت فى سنة ست وعشرين ومائة فكان فى أثناء ذلك وقعة قتل فيها المندلث بن ادريس الحنفى وقتل معه يزيد بن الطثرية المذكور على قرية يقال لها الفلج بفتح الفاء واللام وفى آخره الجيم وأظنها من قرى اليمامة ثم وجدت فى كتاب أبى بكر الحازمى الذى صنفه فى اسماء المواضع ان فلج بفتح الفاء واللام وآخره جيم قرية عظيمة لبنى جعدة بها منبر يقال له الفلج من ناحية اليمامة وقال غيره فلج بينها وبين هجر التى هى قصبة البحرين ستة أيام والله اعلم وذكر ابو اسحق الزجاج فى كتاب معانى القرآن الكريم فى سورة الفرقان ان الرس قرية باليمامة يقال لها فلج فتكون هى هذه القرية على ماقال واما الذى جاء فى قول الشاعر

وان الذى حانت بفلج دماؤهم * هم القوم كل القوم يا أم خالد

فانه بفتح الفاء وسكون اللام وهو وادبين البصرة وحمى ضرية قرية بالقرب من مكة شرفها الله تعالى وأما فلجة الذى جاء فى شعر العرب

ألا حبذا اعلام فلجة بالضحى * وخيم روابى حلتها المنصب
يقولون ملح ماء فلجة آجن * أجل هو مملوح الى القلب طيب

فهذا الاسم يقع على موضعين أحدهما منزل بين مكة والبصرة والثانى موضع بالعقيق وكانت به الواقعة فى السنة التى قتل فيها الوليد بن يزيد الاموى المذكور (رجعنا الى ما كنا فيه) وكان قتل الوليد فى جمادى الآخرة يوم الخميس لليلتين بقيتا منها بالبخراء بفتح الباء الموحدة وسكون الخاء المعجمة وبعد الراء ألف ممدودة وهى من سنة ست وعشرين ومائة وذكر أبو الحسن الطوسى المذكور فى هذه الواقعة ان الراية كانت مع يزيد بن الطثرية فلما قتل المندلث وهرب أصحابه ثبت يزيد بن الطثرية بالراية وكان عليه جبة خز فتشبثت فى عشرة وهى بضم العين المهملة وفتح الشين وبعدها راء مفتوحة ثم هاء وهى شجرة لها صمغ من شجر العضاه قال فعثر فضربه بنو حنيفة حتى قتلوه (قلت) وذكر هذه الواقعة بعد قتل الوليد فى التاريخ المذكور فيكون قتل يزيد بن الطثرية بين تاريخ قتل الوليد بن يزيد وبين آخر سنة ست وعشرين ومائة والله أعلم وذكر أبو الفرج الاصبهانى فى أول الديوان الذى جمعه من شعر يزيد بن الطثرية ان بنى حنيفة قتلته فى خلافة بنى العباس والاول أصح ولما قتل يزيد بن الطثرية رثاه القحيف بن عمير بن سليم الندى بن عبد الله العقيلى بقوله

ألا تبكى سراة بنى قشير * على صنديدها وعلى فتاها

لحقت بحزب الغابرين
لذاتها
وغدت الى دار البلى أقرانها
وتنكرت فى ذاتها وصفاتها
أرأيت ما صنعت بها أزمانها
او محفل بجماعة السمار قد
نفرت فصد الزافيات ارانها
او بيت شعر ظل منسوخا كما
نسخت ظلال فاستنار مكانها
اذ قام فى نادى البراعة منشد
ركن البلاغة قسها سحبانها
ينشى بدائع يستحيل منالها
يروى قصائد عبقريا شأنها
غرر تعاطى نظمها نقادها
حكم تولى درسها لقمانها
يبدى لآلى صانهن نحورها
يحكى جواهر زانها أوزانها
ألفاظها اصداف اشتملت على
درر فرائد قد غلت أثمانها
لقد اضمحل بنظمها نظم
الورى
كحبال سحر اذ بدا ثعبانها
لله در اديب أدرك فضلها
بل سادة جادت بها اذهانها
هم سادة ملكوا زمام تقدم
فى حلبة للفضل هم فرسانها
نشؤا بارض بوركت
وتقدست
ارجاؤها فسهولها ومتانها
ارض بها نزلت على خير الورى
آيات وحى باهر برهانها
يا رفعة فازت بها ومكانة
يا عزة قد حازها قطانها
طوبى لعين عاينت آثارها
وتكحلت بغبارها اجفانها
(وله بطريق التنبيه
والنصيحة هذه الكلمات
الفصيحة)
الا من بنى فلين ركا مشيدا
ويرقى منيع السمك صرحا
ممردا

أبا المكشوح بعدك من يحامى * ومن يزجى المطى على وجاها

ورثى القحيف أيضا الوليد بن يزيد ورثاه أخوه ثور بن سلمة بقوله

أرى الاثل من بطن العقيق مجاورى * مقيما وقد غالت يزيد غوائله

وهى من الشعر المختار وذكر أبو تمام الطائى فى الحماسة ان هذه الابيات لاخته زينب بنت الطثرية وقيل انها لأمه والله أعلم وذكر الطوسى المذكور ان هذه الواقعة كانت بالعقيق وقال ياقوت الحموى فى كتاب المشترك وضعا ان العقيق عشرة مواضع قال الاصمعى ان الاعقة الاودية التى تشقها السيول ثم عد المواضع فقال الثالث عقيق عارض بارض اليمامة وهو واد واسع مما يلى العرمة تندفق فيه شعاب العارض وفيه عيون وقرى ثم قال والعقيق من قرى اليمامة لبنى عقيل وهو عقيق مرة فى طريق اليمن من اليمامة (قلت) فيحتمل ان يكون المراد بقوله بطن العقيق فى هذا البيت العقيق الاول ويحتمل العقيق الثانى والله أعلم وانما كنى ابن الطثرية بأبى المكشوح لانه كان على كشحه كى نار والكشح بفتح الكاف وسكون الشين المعجمة وبعدها الحاء المهملة وهى الخاصرة والطثرية بفتح الطاء المهملة وسكون الثاء المثلثة ٣ وبعدها راء ثم ياء النسب وهاء التأنيث وهى أمه ينسب يزيد المذكور اليها وهى من بنى طثر بن عنز بن وائل والطثر الخصب وكثرة اللبن يقال ان أمه كانت مولعة باخراج زبد اللبن ويقال ان أمه ولدت فى عام هذا وصفه وقيل بل ولدته فى عام هذا شأنه فسميت الطثرية وطثرة اللبن زبدته والله أعلم (قلت) وهذا الكلام فى النفس منه شئ فانهم قالوا ان أمه من بنى طثر بن عنز بن وائل فعلى هذا تكون أمه منسوبة الى هذه القبيلة فلا معنى حينئذ لقولهم ان أمه ولدت فى عام هذا وصفه أو ولدها فى عام هذا شأنه أو كانت أمه تخرج الزبد من اللبن فتأمله الا ان يكون عندهم فيه خلاف هل هو منسوب الى القبيلة أم الى هذا المعنى الثانى والله أعلم بالصواب فى ذلك وروى لزينب بنت الطثرية أخت يزيد المذكور شئ كثير من الشعر فمن ذلك قولها فى المديح

أشم اذا ما جئت للعرف طالبا * حباك بما تحتو عليه انامله

ولو لم يكن فى كفه غير نفسه * لجاد بها فليتق الله سائله

وينسب هذان البيتان الى زياد الاعجم أيضا والبيت الثانى منهما يوجد فى ديوان أبى تمام الطائى أيضا فى قصيدته التى أولها أجل أيها الربع الذى خف أهله * فقد أدركت فيك النوى ما تحاوله والله أعلم بالصواب

(أبو يوسف يعقوب بن أبى سلمة دينار وقيل ميمون الملقب بالماجشون القرشى التيمى)

من موالى آل المنكدر من اهل المدينة سمع ابن عمر رضى الله عنهما وعمر بن عبد العزيز ومحمد بن المنكدر وعبد الرحمن بن هرمز الاعرج وروى عنه ابناه يوسف وعبد العزيز وابن اخيه عبد العزيز بن عبد الله بن أبى سلمة وقال يعقوب بن شيبة الماجشون يعقوب بن ابى سلمة مولى الهدير وكان يعقوب مع عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فى ولاية عمر المدينة يحدثه ويأنس به فلما استخلف عمر رضى الله عنه قدم عليه الماجشون فقال له عمر انا تركناك حيث تركنا لبس الخز فانصرف عنه وذكره محمد بن سعد فى كتاب الطبقات وقال يعقوب بن شيبة قال مصعب وكان الماجشون يعين ربيعة الرأى على أبى الزناد لان أبا الزناد كان معاديا لربيعة الرأى فكان أبو الزناد يقول مثلى ومثل الماجشون مثل ذئب كان يلح على أهل قرية فيأكل صبيانهم فاجتمعوا له وخرجوا فى طلبه فهرب منهم فانقطعوا عنه الا صاحب فخار فانه ألح فى طلبه فوقف له الذئب فقال هؤلاء أعذرهم فأنت مالى ومالك والله ما كسرت لك فخارة قط والماجشون ما كسرت له كبرا ولا بربطا قط وقال ابن الماجشون عرج بروح الماجشون فوضعناه على سرير الغسل وقلنا للناس نروح به فدخل غاسل اليه يغسله فرأى عرقا يتحرك فى أسفل قدمه فاقبل علينا وقال أرى عرقا يتحرك ولا أرى ان أعجل عليه فاعتللنا على الناس بالامر الذى رأيناه وفى الغد جاء الناس وغدا الغاسل عليه فرأى العرق على حاله فاعتذرنا الى الناس فمكث ثلاثا على حاله ثم انه استوى جالسا فقال ائتونى بسويق فأتى به فشربه فقلنا له

خبرنا

بجيبا غريب الصنع تسبى له النهى
بديع المراقى عبقريا منجدا
على طرز ابيات فلله دو من
تصدى لبناها فانشا وأنشدا
على حسن تنظيم ولطف صناعة
تباهى به عقد الثريا المنضدا
صنائع لاتبلى الجديدان وسمها
ويبقى على مر العصور مخلدا
وماذا بناء يبتنى من حجارة
وطين سيغدو عن قريب مبددا

(وله بطريق التحية والسلام على بعض الاحبة الكرام)

سلالة الاكابر العظام
نتيجة الاماجد الفخام
لطف الاله الملك العلام
عليك منى أفضل السلام
يا لك من سميدع همام
كهف الانام مفضل منعام
كم لك من مفاخر جسام
فقت بها طوائف الانام
لازلت فى عز وفى اكرام
مدى الليالى ومدى الايام
ما احتجب السماء بالغمام
واختلط الضياء بالظلام

(ولما ورد عليه) من شريف مكة كتاب أبدع فى الجواب وكتب فيه هذا الشعر المستطاب

وخريدة برزت لنا من خدرها

٣ قوله وسكون الثاء المثلثة الخ عبارة القاموس وطثر بطن من الازد وطثرية محركة أم يزيد بن الطثرية الشاعر القشيرى اه

خبرنا ما رأيت قال نعم عرج بروحى فصعد بى الملك حتى أتى سماء الدنيا فاستفتح ففتح له ثم هكذا فى السموات حتى انتهى الى السماء السابعة فقيل له من معك قال الماجشون فقيل له لم يؤذن له بعد بقى من عمره كذا كذا سنة وكذا كذا شهرا وكذا كذا يوما وكذا كذا ساعة ثم هبط بى فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر عن يمينه وعمر عن يساره وعمر بن عبد العزيز بين يديه فقلت للملك الذى معى من هذا قال هذا عمر بن عبد العزيز قلت انه لقريب المقعد من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انه عمل بالحق فى زمن الجور وانهما عملا بالحق زمن الحق ذكر ذلك يعقوب بن شيبة فى ترجمة الماجشون وذكر أبو الحسن محمد بن أحمد بن القواس الوراق ان يعقوب الماجشون مات سنة أربع وستين ومائة رحمه الله تعالى هكذا نقلته كله من تاريخ الحافظ أبى القاسم المعروف بابن عساكر الذى جعله تاريخا لدمشق وذكر ابن قتيبة فى كتاب المعارف فى ترجمة محمد ابن المنكدر ان الماجشون من مواليه واسمه يعقوب وكان فقيها ثم قال بعد ذلك وكان للماجشون أخ يقال له عبد الله بن أبى سلمة وابنه عبد العزيز بن عبد الله يكنى أبا عبد الله توفى ببغداد وصلى عليه المهدى ودفنه فى مقابر قريش وذلك فى سنة أربع وستين ومائة قلت وقد تقدم فى هذا الكتاب ترجمة ولده عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله وذكرت ما قاله العلماء فى معنى الماجشون فاغنى عن الاعادة هنا والله أعلم (قوله ما كسرت له كبرا ولا بربطا) الكبر بفتح الكاف والباء الموحدة وبعدها راء وهو طبل ذو وجه واحد والبربط بفتح الباءين الموحدتين بينهما راء ساكنة وفى آخره طاء مهملة وهو نوع من العود الذى للغناء وأصله بر وهو الصدر بالفارسى وبط وهو الطائر المعروف فلما كان هذا الملهى يشبه صدر البط سمى به واسمه بالعربى العود والمزهر أيضا بكسر الميم وسكون الزاى وفتح الهاء وبعدها راء وبالعجمى البربط كما ذكرناه والله أعلم

(القاضى أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم بن حبيب بن خنيس بن سعد بن حبتة الانصارى)

وسعد بن حبتة أحد الصحابة رضى الله عنهم وهو مشهور فى الانصار بأمه وهى حبتة بنت مالك من بنى عمرو بن عوف وأما أبو سعد بن حبتة فهو عوف بن بجير بن معاوية بن سلمى بن بجيلة حليف بنى عمرو بن عوف الانصارى هكذا ساق نسب سعد بن حبتة فى الاستيعاب وأما الخطيب أبو بكر البغدادى فانه قال فى تاريخه هو سعد بن بجير بن معاوية بن قحافة بن بليل بن سدوس بن عبد مناف بن أبى سامة بن شحمة بن سعد بن عبد الله ابن قداد بن ثعلبة بن معاوية بن زيد بن الغوث بن بجيلة كان القاضى أبو يوسف المذكور من أهل الكوفة وهو صاحب أبى حنيفة رضى الله عنه وكان فقيها عالما حافظا سمع أبا اسحق الشيبانى وسليمان التيمى ويحيى بن سعيد الانصارى والاعمش وهشام بن عروة وعطاء بن السائب ومحمد بن اسحق بن يسار وتلك الطبقة وجالس محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى ثم جالس أبا حنيفة رضى الله تعالى عنه النعمان بن ثابت وكان الغالب عليه مذهب أبى حنيفة رضى الله عنه وخالفه فى مواضع كثيرة وروى عنه محمد بن الحسن الشيبانى الحنفى وبشر بن الوليد الكندى وعلى بن الجعد واحمد بن حنبل ويحيى بن معين فى آخرين وكان قد سكن بغداد وتولى القضاء بها لثلاثة من الخلفاء المهدى وابنه الهادى ثم هرون الرشيد وكان الرشيد يكرمه ويجله وكان عنده حظيا مكينا وهو أول من دعى بقاضى القضاة ويقال انه أول من غير لباس العلماء الى هذه الهيئة التى هم عليها فى هذا الزمان وكان ملبوس الناس قبل ذلك شيأ واحدا لا يتميز أحد عن أحد بلباسه ولم يختلف يحيى بن معين وأحمد بن حنبل وعلى بن المدينى فى ثقته فى النقل وذكر أبو عمر بن عبد البر صاحب كتاب الاستيعاب فى كتابه الذى سماه كتاب الانتهاء فى فضائل الثلاثة الفقهاء ان أبا يوسف المذكور كان حافظا وانه كان يحضر المحدث ويحفظ ٣ خمسين ستين حديثا ثم يقوم فيمليها على الناس وكان كثير الحديث وقال محمد بن جرير الطبرى وتحامى حديثه قوم من أهل الحديث من أجل غلبة الرأى عليه وتفريعه الفروع والاحكام مع صحبة السلطان وتقلده القضاء (وحكى) أبو بكر الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد ان أبا يوسف قال كنت أطلب الحديث والفقه وأنا مقل رث الحال فجاءنى أبى يوما وانا عند أبى

كالبدر يبدو من خلال غمام
عربية فتنكرت وازينت
بملابس الاعجام والاروام
عرضت على كل الانام جمالها
كى تستميل قلوبهم بتمام
تسبى من العرب العقول باسرها
وتطير لب الروم والاعجام
وتقودهم اسراء نحو ديارهم
بسلاسل من لوعة وغرام
طوبى لمن رزق الوقوف ببابها
فهو المرام وأى أى مرام
باب اليه تشوقى وتوجهى
حرم عليه تحيتى وسلامى
ياليت شعرى هل افوز بزورة
يوما وقد ضربت هناك خيامى

(وله على نمط الضراعة بباب من تجب له الطاعة)

لاهم يا مقلب القلوب
وكاشف الغموم والكروب
وعالم الاسرار والغيوب
هون على جملة الخطوب

(ولما انتقل) الى رحمة الله تعالى رثاه من أصحابه المخدوم المبجل نادرة الزمن السيد مصطفى بن السيد حسن بقصيدة جيدة النظام ولنختم ببعض أبياتها هذا الكلام (مرثية)

ياجامع الاموال والاسباب
يامالكا للخلق بالارهاب
لاتلهك الدنيا بحسن مثالها
كل يصير الى فنا وذهاب

٣ قوله خمسين ستين كذا بالاصل ولعله خمسين أو ستين فليحرر اه

حنيفة فانصرفت معه فقال يابني لا تمد رجلك مع ابي حنيفة فان أبا حنيفة خبزه مشوي وأنت تحتاج الى المعاش فقصرت عن كثير من الطلب وآثرت طاعة أبي فتفقدني أبو حنيفة رضي الله عنه وسأل عني فجعلت أتعاهد مجلسه فلما كان أول يوم أتيته بعد تأخري عنه قال لي ما شغلك عنا قلت الشغل بالمعاش وطاعة والدي فجلست فلما انصرف الناس دفع الي صرة وقال استمتع بها فنظرت فاذا فيها مائة درهم وقال لي الزم الحلقة واذا فرغت هذه فاعلمني فلزمت الحلقة فلما مضت مدة يسيرة دفع الي مائة أخرى ثم كان يتعهدني وما اعلمته بخلة قط ولا أخبرته بنفاد شيء وكأنه كان يخبر بنفادها حتى استغنيت وتمولت ثم قال الخطيب (وحكى) ان والد أبي يوسف مات وخلف أبا يوسف طفلا صغيرا وان أمه هي التي أنكرت عليه حضور حلقة أبي حنيفة ثم روى الخطيب أيضا بسند متصل الى علي بن الجعد قال أخبرني أبو يوسف القاضي قال توفي أبي وخلفني صغيرا في حجر أمي فاسلمتني الى قصار أخدمه فكنت أدع القصار وأمر الى حلقة أبي حنيفة رضي الله عنه فاجلس اسمع فكانت أمي تجيء خلفي الى الحلقة فتأخذ بيدي فتذهب بي الى القصار وكان أبو حنيفة رضي الله عنه يعنى بي لما يرى من حضوري وحرصي على التعلم فلما كثر ذلك على أمي وطال عليها هربي قالت لابي حنيفة ما لهذا الصبي فساد غيرك هذا صبي يتيم لا شيء له وانما أطعمه من مغزلي وآمل ان يكسب دانقا يعود به على نفسه فقال لها أبو حنيفة مري يا رعناء ها هو ذا يتعلم أكل الفالوذج بدهن الفستق فانصرفت عنه وقالت له أنت شيخ قد خرفت وذهب عقلك ثم لزمته فنفعني الله تعالى بالعلم ورفعني حتى تقلدت القضاء وكنت أجالس الرشيد وآكل معه على مائدته فلما كان في بعض الايام قدم الى هرون الرشيد فالوذجة فقال لي يا يعقوب كل منها فليس في كل يوم يعمل لنا مثلها فقلت وما هذا يا أمير المؤمنين فقال هذه فالوذجة بدهن الفستق فضحكت فقال لي مم ضحكك فقلت خيرا أبقى الله أمير المؤمنين قال لتخبرني وألح علي فاخبرته بالقصة من أولها الى آخرها فتعجب من ذلك وقال لعمري ان العلم لينفع دنيا ودينا وترحم على أبي حنيفة وقال كان ينظر بعين عقله ما لا ينظره بعين رأسه (وحكى) علي بن المحسن التنوخي عن أبيه عن جده قال كان سبب اتصال أبي يوسف بالرشيد انه كان قدم بغداد بعد موت أبي حنيفة رضي الله عنه فحنث بعض القواد في يمين فطلب فقيها يستفتيه فجيء له بابي يوسف فافتاه انه لم يحنث فوهب له دنانير وأخذ له دارا بالقرب منه ودخل ذلك القائد يوما على الرشيد فوجده مغموما فسأله عن سبب غمه فقال شيء من أمر الدين قد احزنني فاطلب لي فقيها كي أستفتيه فجاءه بابي يوسف قال أبو يوسف فلما دخلت الى ممر بين الدور رأيت فتى حسنا عليه أثر الملك وهو في حجرة محبوس فأومأ الي باصبعه مستغيثا فلم افهم منه ارادته وادخلت الى الرشيد فلما مثلت بين يديه سلمت ووقفت فقال لي ما اسمك فقلت يعقوب أصلح الله أمير المؤمنين قال ما تقول في امام شاهد رجلا يزني هل يحده قلت لا فحين قلتها سجد الرشيد فوقع لي انه قد رأى بعض أهله على ذلك وان الذي أشار الي بالاستغاثة هو الزاني ثم قال الرشيد من أين قلت هذا قلت لان النبي صلى الله عليه وسلم قال ادرؤا الحدود بالشبهات وهذه شبهة يسقط الحد معها قال وأي شبهة مع المعاينة قلت ليس توجب المعاينة لذلك أكثر من العلم بما جرى والحدود لا تكون بالعلم وليس لاحد أخذ حقه بعلمه فسجد مرة أخرى وأمر لي بمال جزيل وان ألزم الدار فما خرجت حتى جاءتني هدية الفتى وهدية أمه وجماعته وصار ذلك أصلا للنعمة ولزمت الدار فكان هذا الخادم يستفتيني وهذا يشاورني ولم يزل حالي يقوى عند الرشيد حتى قلدني القضاء قلت وهذا يخالف ما نقلته قبل هذا من انه ولي القضاء لثلاثة من الخلفاء والله أعلم بالصواب وقال طلحة بن محمد بن جعفر أبو يوسف مشهور الامر ظاهر الفضل وهو صاحب أبي حنيفة وافقه أهل عصره ولم يتقدمه أحد في زمانه وكان النهاية في العلم والحكم والرياسة والقدر وهو أول من وضع الكتب في أصول الفقه على مذهب أبي حنيفة واملى المسائل ونشرها وبث علم أبي حنيفة في اقطار الارض قال عمار بن أبي مالك ما كان في أصحاب أبي حنيفة مثل أبي يوسف لولا أبو يوسف ما ذكر أبو حنيفة ولا محمد بن أبي ليلى ولكنه هو الذي نشر قولهما وبث علمهما وقال محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة مرض أبو يوسف في زمن أبي حنيفة مرضا خيف عليه منه فعاده أبو حنيفة ونحن معه فلما خرج

أين الذين ترفعوا بنعوتهم
وتمنعوا بالملك والانساب
الدهر بدد بالمنية شملهم
وماهم منها بسهم مصاب
يا طالما ركبوا الجياد وطالما
سارت لديهم قادة الركاب
يا من تنعم بالقصور بعيشة
اذكر هوانك في الثرى
وتراب
كم واثق بالدهر يامل راحة
والموت مستتر له بالباب
كم عامر قصرا ليخلد عيشه
امسى قتيلا واليا بخراب
أين الذي يسبي النهى
بكلامه
وقد انتهى في الحسن
والاعراب
شمس البلاد وصدرها
ورئيسها
مفتي الانام وواحد الاقطاب
اعني بذاك ابا السعود الفاضلا
ورئيس أهل العلم والالباب
امسى رهينا في القبور الى
القيا
م وماله من عودة واياب
قد خاض في بحر البقاء وشب نيـ
ـران الجوى في مهجة
الاحباب
نبذ الجميع وراءه فكانه
شمس توارت في الضحى
بسحاب
بكت الصخور بموته فلاجله
جرت العيون من الفلا
وشعاب
ولفقده شهب السماء تلهبت
نارا ودمع السحب في تسكاب
والرعد مضطرب الحشا متلهف
والبرق من ذاق لظى ولهاب
والليل قد لبس السواد ونجمه

من

من عنده وضع يده على عتبة بابه وقال ان يمت هذا الفتى فانه اعلم من عليها وأومأ الى الارض وقال أبو يوسف سألني الاعمش عن مسئلة فاجبته عنها فقال لي من أين لك هذا فقلت من حديثك الذي حدثتناه أنت ثم ذكرت له الحديث فقال لي يا يعقوب اني لاحفظ هذا الحديث قبل ان يجتمع أبواك وما عرفت تاويله حتى الآن وقال هلال بن يحيى كان أبو يوسف يحفظ التفسير والمغازي وايام العرب وكان أقل علومه الفقه ولم يكن في اصحاب أبي حنيفة مثل أبي يوسف وذكر أبو الفرج المعافى بن زكريا النهرواني في كتاب الجليس والانيس عن الشافعي رضي الله عنه انه قال مضى أبو يوسف ليسمع المغازي من محمد بن اسحق او من غيره واخل بمجلس أبي حنيفة أياما فلما أتاه قال له أبو حنيفة يا أبا يوسف من كان صاحب راية جالوت فقال له ابو يوسف انك امام وان لم تمسك عن هذا سألتك والله على رؤس الملا ايما كان أولا وقعة بدر أو احد فانك لا تدري أيهما كان قبل الآخر فامسك عنه وذكر في الكتاب المذكور أيضا عن علي بن الجعد ان القاضي ابا يوسف كتب يوما كتابا وعن يمينه انسان يلاحظ ما يكتبه ففطن له ابو يوسف فلما فرغ من الكتابة التفت اليه وقال له هل وقفت على شيء من خطا فقال لا والله ولا حرف واحد فقال له ابو يوسف جزيت خيرا حيث كفيتنا مؤنة قراءته ثم انشد

كانه من سوء تأديبه * اسلم في كتاب سوء الادب

وقال حماد بن أبي حنيفة رأيت أبا حنيفة يوما وعن يمينه أبو يوسف وعن يساره زفر وهما يتجادلان في مسئلة فلا يقول أبو يوسف قولا الا أفسده زفر ولا يقول زفر قولا الا أفسده أبو يوسف الى وقت الظهر فلما أذن المؤذن رفع أبو حنيفة يده فضرب بها فخذ زفر وقال لا تطمع في رياسة ببلدة فيها أبو يوسف وقضى لابي يوسف على زفر ولم يكن بعد أبي يوسف في أصحاب أبي حنيفة مثل زفر وقال طاهر بن أحمد الزبيري كان يجلس الى أبي يوسف رجل فيطيل الصمت فقال له أبو يوسف الا تتكلم فقال بلى متى يفطر الصائم فقال اذا غابت الشمس فقال فان لم تغب الى نصف الليل فضحك أبو يوسف وقال أصبت في صمتك واخطأت انا في استدعاء نطقك ثم تمثل

عجبت لازراء الغبي بنفسه * وصمت الذي قد كان بالقول أعلما
وفي الصمت ستر للغبي وانما * صحيفة لب المرء ان يتكلما

ومن كلام أبي يوسف صحبة من لا يخشى العار عار يوم القيامة وكان يقول رؤس النعم ثلاثة أولها نعمة الاسلام التي لا تتم نعمة الا بها والثانية نعمة العافية التي لا تطيب الحياة الا بها والثالثة نعمة الغنى التي لا يتم العيش الا بها وقال علي بن الجعد سمعت أبا يوسف يقول العلم شيء لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك وأنت اذا أعطيته كلك من اعطائه البعض على غرر وكان أبو يوسف راكبا وغلامه يعدو وراءه فقال له رجل أتستحل أن يعدو غلامك وراءك لم لا تركبه فقال له أيجوز عندك ان أسلم غلامي مكاريا قال نعم قال أبو يوسف فيعدو معي كما كان يعدو لو كان مكاريا وقال يحيى بن عبد الصمد خوصم أمير المؤمنين الهادي الى القاضي أبي يوسف في بستان وكان الحكم في الظاهر للهادي وفي الباطن خلاف ذلك فقال الهادي للقاضي أبي يوسف ما صنعت في الامر الذي نتنازع اليك فيه فقال خصم أمير المؤمنين يسألني ان أحلف أمير المؤمنين ان شهوده شهدوا على حق فقال له الهادي وترى ذلك قال فقد كان ابن أبي ليلى يراه فقال أرددا البستان عليه وانما احتال عليه أبو يوسف لعلمه ان الهادي لا يحلف وقال بشر بن الوليد الكندي قال لي القاضي أبو يوسف بينا انا البارحة قد أويت الى فراشي فاذا داق يدق الباب دقا شديدا فأخذت علي ازاري وخرجت فاذا هرثمة بن الاعين فسلمت عليه فقال أجب أمير المؤمنين فقلت يا أبا حاتم لي بك حرمة وهذا وقت كما ترى ولست آمن أن يكون امير المؤمنين قد دعاني لامر من الامور فان أمكنك ان تدفع عني ذلك الى غد فلعله ان يحدث له راي فقال ما لي الى ذلك سبيل قلت كيف كان السبب قال خرج الي مسرور الخادم فأمرني ان آتي بك أمير المؤمنين فقلت أتأذن لي ان أصب علي ماء واتحنط فان كان أمر من الامور كنت قد أحكمت شأني وان رزق الله العافية فلن يضرني فأذن لي فدخلت فلبست ثيابا جددا وتطيبت بما أمكن من الطيب ثم خرجنا فمضينا حتى أتينا دار أمير المؤمنين هرون الرشيد فاذا مسرور واقف فقال له هرثمة قد جئت به فقلت لمسرور يا أبا هاشم خدمتي

فقد الهجوع مسهر الاهداب
قد كنت بحر الشريعة لم تزل
تلقي لنا درر الكلام عجاب
ما العلم الا ما حويت حقيقة
وعلوم غيرك في الفلا
كسراب
ذا ماجد قدرا جلالة قدره
لا يستطاع بيانها بكتاب
هذا هو الشمس المنير بنوره
خسف البدور وزال كل
شهاب
كم قد أرانا من سماء كلامه
نجم الهدى في اوج افق
صواب
اني لأقسم لو تضوع لفقده
أنفت صدور الغانيات أثواب
يا من بفقد حياته ووجوده
أمست قصور الفضل شر
يباب
أمسيت جار الكريم وجاره
في جنة ومكارم وشراب
لا جار من أفضوا الى سبل
الهوى
وتشبثوا في غيهب بصعاب
هيهات للافلاك يأتي مثله
ولو انها دارت مدى الاحقاب
يرجى له عند الاله بطول ما
خدم الورى زلفى وحسن
مآب
يا رب روح روحه بسعادة
وكرامة في جنة وثواب
(هذا آخر) ما وقع من
وفيات أولئك الاعيان في
دولة السلطان سليم خان
ابن السلطان سليمان وقد
انقضت أيام دولته الباهرة
وأعوام غرته الزاهرة في
أوائل رمضان من شهور
سنة اثنتين وثمانين
وتسعمائة وقد وقع جلوسه

وحومتى وميلى وهذا وقت ضيق أفتدرى لم طلبنى أمير المؤمنين قال لا فقلت فمن عنده قال عيسى بن جعفر قلت ومن قال ما عندهما ثالث ثم قال لى مر فاذا صرت فى الصحن فانه فى الرواق وهو ذاك جالس فحرك رجلك فى الارض فانه سيسألك فقل انا قال ابو يوسف فجئت ففعلت ذلك فقال من هذا فقلت يعقوب فقال ادخل فدخلت فاذا هو جالس وعن يمينه عيسى بن جعفر فسلمت فرد السلام على وقال أظننا روعناك فقلت أى والله وكذلك من خلفى فقال اجلس فجلست حتى سكن روعى ثم التفت الى وقال يا يعقوب أتدرى لم دعوتك قلت لا قال دعوتك لاشهدك على هذا ان عنده جارية سألته ان يهبها لى فامتنع وسألته ان يبيعها فابى والله لئن لم يفعل لاقتلنه قال ابو يوسف فالتفت الى عيسى فقلت وما بلغ الله بجارية تمنعها امير المؤمنين وتنزل نفسك فى هذه المنزلة فقال لى عجلت على فى القول قبل ان تعرف ما عندى قلت وما فى هذا من الجواب قال ان على يمينا بالطلاق والعتاق وصدقة ما املك ان لا ابيع هذه الجارية ولا اهبها فالتفت الى الرشيد فقال هل له فى ذلك من مخرج قلت نعم قال وما هو قلت يهب لك نصفها و يبيعك نصفها فيكون لم يهب ولم يبع فقال عيسى ويجوز ذلك قلت نعم قال فاشهدك انى قد وهبت له نصفها وبعته نصفها الباقى بمائة الف دينار فقال له الرشيد قبلت الهبة واشتريت نصفها بمائة الف دينار ثم طلب منه الجارية فأتى بالجارية والمال فقال خذها يا أمير المؤمنين بارك الله لك فيها فقال الرشيد يا يعقوب بقيت واحدة فقلت وما هى فقال هى مملوكة ولا بد ان تستبرأ والله لئن لم ابت معها ليلتى هذه انى لاظن ان نفسى ستخرج فقلت يا امير المؤمنين تعتقها وتتزوجها فان الحرة لا تستبرأ قال فانى قد اعتقتها فمن يزوجنيها فقلت انا فدعا بمسرور وحسين فخطبت وحمدت الله تعالى ثم زوجته اياها على عشرين الف دينار ودعا بالمال فدفعه اليها ثم قال لى يا يعقوب انصرف ورفع راسه الى مسرور وقال يا مسرور فقال لبيك قال احمل الى يعقوب مائتى الف درهم وعشرين تختا ثيابا فحمل معى ذلك قال بشر بن الوليد فالتفت الى ابو يوسف وقال هل رأيت بأسا فيما فعلت فقلت لا قال خذ حقك من هذا المال قلت وما حقى قال العشر قال بشر فشكرته ودعوت له وذهبت لاقوم فاذا بعجوز قد دخلت فقالت يا ابا يوسف ان ابنتك تقرئك السلام وتقول لك والله ما وصل الى فى ليلتى هذه من امير المؤمنين الا المهر الذى قد عرفته وقد حملت اليك النصف منه وخلفت الباقى لما احتاج اليه فقال رديه فوالله لا قبلتها اخرجتها من الرق وزوجتها امير المؤمنين وترضى لى بهذا قال بشر فلم نزل نطلب اليه انا وعمومتى حتى قبلها وامر لى منها بألف دينار وقال ابو عبد الله اليوسفى ان ام جعفر زبيدة ابنة جعفر زوجة الرشيد كتبت الى ابى يوسف ما ترى فى كذا واحب الاشياء الى ان يكون الحق فيه كذا فأفتاها بما احبت فبعثت اليه بحق فضة فيه حقاق فضة مطبقات فى كل واحد لون من الطيب وفى جام دراهم وسطها جام فيه دنانير فقال له جليس له قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهديت له هدية فجلساؤه شركاؤه فيها فقال أبو يوسف ذاك حين كانت الهدايا اللبن والتمر وقال يحيى بن معين كنت عند أبى يوسف القاضى وعنده جماعة من أصحاب الحديث وغيرهم فوافته هدية أم جعفر احتوت على تخوت دبيقى ومصمت وشرب وطيب وتماثيل ند وغير ذلك فذاكرنى رجل بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتته هدية وعنده قوم جلوس فهم شركاؤه فيها فسمعه أبو يوسف فقال انى تعرض ذلك انما قاله النبى صلى الله عليه وسلم والهدايا يومئذ الاقط والتمر والزبيب ولم تكن الهدايا ما ترون يا غلام أشل الى الخزائن ونقلت من كتاب اسمه اللطيف ولم يذكر فيه من هو مصنفه قال كان عبد الرحمن بن مسهر أخو على بن مسهر قاضيا على المبارك (قلت المبارك بضم الميم وبعدها باء موحدة وبعد الالف راء مفتوحة وبعدها كاف وهى بليدة بين بغداد وواسط على شاطئ دجلة) قال فبلغ القاضى خروج الرشيد الى البصرة ومعه ابو يوسف القاضى فى الحراقة فقال عبد الرحمن القاضى لاهل المبارك اثنوا على عند أمير المؤمنين وعند القاضى أبى يوسف فابوا عليه ذلك فلبس ثيابه وقلنسوة طويلة وطيلسانا اسود وجاء الى الشريعة فلما اقبلت الحراقة رفع صوته وقال يا امير المؤمنين نعم القاضى قاضينا قاضى صدق ثم مضى الى شريعة اخرى وقال مثل مقالته الاولى فالتفت هرون الرشيد الى ابى يوسف وقال يا يعقوب هذا شر قاض

على سرير الملك فى أوائل ربيع الاول سنة أربع وسبعين وتسعمائة وفى أيامه انقطعت الحروب والفتن بين العرب والروم فى بلاد اليمن وسلم زمامها اليه وألقيت مقاليدها لديه ودانت الاقيال بسطوته وخضعت الاشراف عند سرادقات هيبته على ما أنبأ عليه مفصلا فى كتابه المسمى بنادرة الزمن فى تاريخ اليمن وقد رام فتح جزيرة قبرس فأنفذ اليه جيشا وأمر عليهم وزيره الرابع مصطفى باشا فقرن المسلمون بيمن التأييد والنصر وانخذل الكفار فوقعوا فى شرك القتل والاسر وملئت هذه الدار بالنهب والغارة وزينت أكنافها بشعائر الاسلام من الصلاة والزكاة والصيام وقد أرسل بحرية وبرية للحرب الى أقصى ممالك الغرب فشحنت السفن برجال لباسهم حديد وقلوبهم جلاميد فنزلوا كالقضاء المبرم على رؤس الكفرة اللئام ونازلوا مدينة تونس وفتحوها عنوة فى عدة أيام واستخلصوها من يد الكفار واستأصلوا من بها من الفجرة الشرار واستولوا على القلعة الموسومة بحلق الواد التى لم يخلق مثلها فى البلاد وكانت من أحصن معاقل الكفار وأحسن ما بنى من القلاع المتان فى هذه الديار

فى الارض قاض فى موضع لا يثنى عليه الا رجل واحد فقال له ابو يوسف واعجب من هذا يا امير المؤمنين هو القاضى يثنى على نفسه قال فضحك هرون وقال هذا اظرف الناس هذا لا يعزل ابدا وكان الرشيد اذا ذكره يقول هذا لا يعزل ابدا وقيل لابى يوسف اتولى مثل هذا القضاء فقال انه أقام ببابى مدة وشكا الى الحاجة فوليته وقال ابو العباس احمد بن يحيى المعروف بثعلب صاحب كتاب الفصيح اخبرنى بعض اصحابنا ان الرشيد قال لابى يوسف بلغنى انك تقول ان هؤلاء الذين يشهدون عندك وتقبل اقوالهم متصنعة فقال نعم يا امير المؤمنين قال وكيف ذاك قال لان من صح ستره وخلصت امانته لم يعرفنا ولم نعرفه ومن ظهر امره وانكشف خبره لم يأتنا ولم نقبله وبقيت هذه الطبقة وهم هؤلاء المتصنعة الذين اظهروا الستر وابطنوا غيره فتبسم الرشيد وقال صدقت وقال محمد بن سماعة سمعت أبا يوسف فى اليوم الذى مات فيه يقول اللهم انك تعلم انى لم اجر فى حكم حكمت فيه بين اثنين من عبادك تعمدا ولقد اجتهدت فى الحكم بما وافق كتابك وسنة نبيك صلى الله عليه وسلم وكل ما اشكل على جعلت ابا حنيفة بينى وبينك وكان عندى والله ممن يعرف أمرك ولا يخرج عن الحق وهو يعلمه (قلت) وهذا الكلام مأخوذ من قول ابى محمد عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على ابن ابى طالب رضى الله عنه وقد رؤى يمسح على خفيه فقيل له اتجوز المسح قال نعم قد مسح عمر بن الخطاب رضى الله عنه ومن جعل عمر بينه وبين الله فقد استوثق ذكر هذا ابن قتيبة فى ترجمة على رضى الله عنه واخبار ابى يوسف كثيرة وأكثر الناس من العلماء على تفضيله وتعظيمه وقد نقل الخطيب البغدادى فى تاريخه الكبير الفاظا عن عبد الله بن المبارك ووكيع بن الجراح ويزيد بن هرون ومحمد بن اسمعيل البخارى وابى الحسن الدارقطنى وغيرهم ينبو السمع عنها فتركت ذكرها والله اعلم بحاله وكانت ولادة القاضى ابى يوسف سنة ثلاث عشرة ومائة وتوفى يوم الخميس اول وقت الظهر لخمس خلون من شهر ربيع الاول سنة اثنتين وثمانين ومائة ببغداد وقيل توفى سنة اثنتين وتسعين ومائة والاول اصح وولى القضاء سنة ست وستين ومائة ومات وهو على القضاء رحمه الله تعالى واما ولده يوسف فانه كان قد نظر فى الراى وفقه وسمع الحديث من يونس ابن أبى اسحق السبيعى والسرى بن يحيى وغيرهما وولى القضاء بالجانب الغربى من بغداد فى حياة ابيه وصلى بالناس الجمعة فى مدينة المنصور بامر هرون الرشيد ولم يزل على القضاء الى ان مات فى رجب سنة اثنتين وتسعين ومائة ببغداد وذكر الخطيب البغدادى ان ابا يوسف القاضى لما مات ولى الرشيد مكانه ابا البخترى وهب بن وهب القرشى قلت وقد تقدم ذكره فى حرف الواو وكان ابو يعقوب الخريمى الشاعر المشهور صديقا لابى يوسف ولابنه يوسف فلما توفى ابو يوسف سمع الخريمى رجلا يقول اليوم مات الفقه فانشد الخريمى

يا ناعى الفقه الى اهله * ان مات يعقوب ولا تدرى * لم يمت الفقه ولكنه
حول من صدر الى صدر * القاه يعقوب الى يوسف * فزال من صلب الى ظهر
فهو مقيم فاذا ما ثوى * وحل حل الفقه فى قبر

رحمهما الله تعالى وخنيس بضم الخاء المعجمة تصغير اخنس وهو الذى تأخر انفه عن وجهه مع ارتفاع قليل فى الارنبة فالرجل اخنس والمرأة خنساء وهذا التصغير يسمى تصغير ترخيم وحقيقته أن تحذف منه الحروف الزوائد ويصغر الباقى كما قالوا أزهر وزهير واسود وسويد واحمد وحميد وغير ذلك وحبتة بفتح الحاء المهملة وسكون الباء الموحدة وبعدها تاء مثناة من فوقها ثم هاء ساكنة وكشفت عن معنى هذا الاسم فى عدة مواضع من كتب اللغة وغيرها فلم اجده وبحير بفتح الباء الموحدة وكسر الحاء المهملة وقيل هو بضم الباء وبالجيم المفتوحة والاول اصح والباقى معروف لا حاجة الى ضبطه وسعد بن حبتة من جملة من استصغر يوم احد هو والبراء بن عازب وابو سعيد الخدرى رضى الله عنهم فردهم النبى صلى الله عليه وسلم ورآه النبى صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وهو يقاتل قتالا شديدا مع حداثة سنه فدعاه وقال له من أنت فقال سعد بن حبتة فقال اسعد الله جدك ومسح على رأسه رضى الله عنه وخنيس هو صاحب جهارسوج خنيس بالكوفة وهو لفظ عجمى تفسيره بالعربى اربع طرق لان هذا المكان رحبة مربعة تفترق الى أربع جهات والله تعالى أعلم

عذراء ما خطبها أحد من الملوك ذوى الجدود الا وقابلته بالردود والصدود فأمهرها المسلمون كل سيف مسلول حتى تيسر لهم بحول الله تعالى الوصلة والدخول فلما ظفروا بها أولدوها اليباب والخراب وجعلوها مثابة للبوم والغراب وبالجملة كان رحمه الله تعالى حاله من المفاخر والمآثر مصداق ما قاله الشاعر

هو المقيم وقد سارت مآثره
كأن علياه من دنياه تنتظم

حيث لم يباشر الحروب بنفسه حتى أوصلته المنية الى رمسه ويقال انه رحمه الله مات بالعلة المعروفة بليث عب وقد جهله رئيس الاطباء ابن غرس الدين فظنه برسا فعالجه بعلاجه فازداد المرض واستقر به المرض فلم ينفعه الطبيب والحكيم ذلك تقدير العزيز العليم وكان منهمكا على لذاته فى المساء والصباح ويكب على اللعب واللهو ويرجح السكر على الصحو مبتلى بشرب الراح ومبتهجا بالكؤس والاقداح فكأنه عمل بما قيل وجعل عليه الاعتماد والتعويل

اشرب على زهر الرياض يشوبه
زهر الخدود وزهرة الصهباء
من قهوة تنسى الهموم وتبعث الشـ
ـوق الذى قد ظل فى الاحشاء

(أبو محمد يعقوب بن اسحق بن زيد بن عبد الله بن أبي اسحق الحضرمي بالولاء البصري المقرى المشهور)

وهو أحد القراء العشرة وهو المقرى الثامن وله فى القرا آت رواية مشهورة منقولة عنه وهو من أهل بيت العلم بالقرا آت والعربية وكلام العرب والرواية الكثيرة للحروف والفقه وكان من أقرأ القراء وأخذ عنه عامة حروف القرآن مسندا وغير مسند من قراءة الحرميين والعراقيين وأهل الشام وغيرهم واخذ هو القراءة عرضا عن سلام بن سليمان الطويل ومهدى بن ميمون وأبي الاشهب العطاردى وغيرهم وروى عن حمزة حروفا وسمع الحروف من أبي الحسن الكسائى وسمع من جده زيد بن عبد الله وشعبة وأما اسناده فى القراءة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه قرأ على سلام المذكور وقرأ سلام على عاصم بن أبي النجود وقرأ عاصم على أبي عبد الرحمن السلمى وقرأ أبو عبد الرحمن على على بن أبي طالب رضى الله عنه وقرأ على على رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى القراءة عن يعقوب المذكور عرضا جماعة منهم روح بن عبد المؤمن ومحمد بن المتوكل وأبو حاتم السجستانى وغيرهم وسمع منه الزعفرانى واقتدى به فى اختياره علية البصريين بعد أبي عمرو بن العلاء فهم أو أكثرهم على مذهبه وكان طاهر بن عبد المؤمن بن غلبون امام الجامع بالبصرة لا يقرأ الا بقراءة يعقوب وقال ابو الحسين بن المنادى قرأ يعقوب على أبي عمرو وغلط فى ذلك وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم سئل أحمد بن حنبل رضى الله عنه عن يعقوب الحضرمى فقال صدوق وسئل أبو حاتم الرازى عنه فقال صدوق وقال أبو حاتم السجستانى كان يعقوب الحضرمى أعلم من ادركنا ورأينا بالحروف والاختلاف فى القرآن الكريم وتعليله ومذهب النحويين فى القرآن الكريم وله كتاب سماه الجامع جمع فيه عامة اختلاف وجوه القرا آت ونسب كل حرف الى من قرأ به وبالجملة فانه كان امام اهل البصرة فى عصره فى القرا آت وكان يأخذ اصحابه بعدد آى القرآن العزيز فان أخطأ احدهم فى العدد اقامه وتوفى يعقوب المذكور فى ذى الحجة وقيل فى جمادى الاولى سنة خمس ومائتين وهو الاصح وعاش هو وابوه اسحق وجده زيد كل واحد منهم ثمانيا وثمانين سنة رحمهم الله اجمعين واما جد ابيه عبد الله بن ابى اسحق الحضرمى فانه كان من الائمة الاعلام المشار اليهم فى علومهم قال ابو عبيدة معمر بن المثنى اول من وضع العربية ابو الاسود الدؤلى ثم ميمون الاقرن ثم عنبسة الفيل ثم عبد الله بن ابى اسحق الحضرمى وقد جاء فى رواية اخرى ان عنبسة قبل ميمون والله اعلم بالصواب وكان فى زمان عبد الله بن ابى اسحق عيسى بن عمر الثقفى وابو عمرو بن العلاء ومات عبد الله قبلهما وذكر أبو عبد الله المرزبانى فى كتاب المقتبس فى اخبار النحويين ان المبرد قال أجمعت العلماء باللغة ان أول من وضع العربية ابو الاسود الدؤلى وانه لقن ذلك عن على بن أبي طالب رضى الله عنه ثم أخذ النحو عن أبي الاسود عنبسة بن معدان المهرى وأخذه عنه ميمون الاقرن وأخذه عنه عبد الله الحضرمى وأخذه عنه عيسى بن عمر وأخذه عنه الخليل بن أحمد وأخذه عنه سيبويه وأخذه عنه الاخفش وكان بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الاشعرى رضى الله عنه قد جمع بين عبد الله وأبي عمرو بن العلاء وبلال يومئذ متولى البصرة قال أبو عمرو فغلبنى أبو اسحق بالهمز فنظرت فيه بعد ذلك وبالغت فيه وكان عبد الله كثيرا ما يأخذ عن الفرزدق الغلط فى شعره فقال الفرزدق والله لاهجونه ببيت يسير بين اهل الادب ويتمثلون به فعمل

فلو كان عبد الله مولى هجوته * ولكن عبد الله مولى مواليا

وانما قال الفرزدق ذلك لان عبد الله مولى الحضرميين وهما حلفاء بنى عبد شمس بن عبد مناف والحليف عند العرب مولى ولهم على ذلك شواهد ولولا خوف الاطالة لذكرت طرفا من ذلك لكن ليس هذا موضع ذكره

*(أبو عوانة يعقوب بن اسحق بن ابراهيم بن زيد النيسابورى ثم الاسفراينى الحافظ
صاحب المسند الصحيح المخرج على كتاب مسلم بن الحجاج)*

كان أبو عوانة أحد الحفاظ الجوادين والمحدثين المكثرين طاف الشام ومصر والبصرة والكوفة وواسط والحجاز والجزيرة واليمن وأصبهان والرى وفارس قال الحافظ أبو القاسم المعروف بابن عساكر فى تاريخ

وقد من الله تعالى عليه قبل موته بالتيقظ العظيم والتنبه التام فاعرض عن الملاهى ورغب فى صحبة المشايخ الكرام وقعد عن كل خلق ردى وتاب على يد الشيخ سليمان الخلوتى الآمدى وكسر آلات اللهو وأوانى الشراب وانقطع مدة عن الندمان والاصحاب وبدل ترنمات الاغانى بتلاوة السبع المثانى ودام على هذه الصفات السنية حتى غالته أغوال المنية وانتقل من هذه الدنيا الدنية

(ذكر ماوقع من وفياتهم)

فى دولة السلطان مرادخان ابن السلطان سليم خان أيد الله تعالى خيام دولته على عماد الخلود والدوام وزاد فى عزه وسعوده على أجداده الكرام)*

(وممن طلب العلم وخاض فى عبابه بعد ما أفنى فى هوساته عنفوان شبابه وتسنم باجتهاده ذرا الامانى الطبيب الياس القرمانى)

ولد رحمه الله بلواء قرمان وشب على التعطل والهوان الى أن من الله تعالى عليه بالرغبة والطلب فى تحصيل العلم والادب فخرج من بلاده بعد ما جاوز سن البلوغ وكان منه ما كان وانتقل من مكان الى مكان حتى وصل الى خدمة الحكيم اسحق وحصل عنده بعض العلوم سيما الطب وفتح

دمشق سمع أبو عوانة بدمشق يزيد بن محمد بن عبد الصمد واسمعيل بن محمد بن قيراط وشعيب بن اسحق وغيرهم وبمصر يونس بن عبد الاعلى وابن أخى وهب والمزنى والربيع ومحمدا وسعدا ابنى عبد الحكم وبالعراق سعدان بن نصر والحسن الزعفرانى وعمر بن شبة وغيرهم وبخراسان محمد بن يحيى الذهلى ومسلم بن الحجاج ومحمد بن رجاء السندى وغيرهم وبالجزيرة على بن حرب وغيره وروى عنه أبو بكر الاسماعيلى وأحمد ابن على الرازى وأبو على الحسين بن على وابو أحمد على وسليمان الطبرانى ومحمد بن يعقوب بن اسمعيل الحافظ وأبو الوليد الفقيه وابنه أبو مصعب محمد بن عوانة وحج خمس مرات وقال كنت بالمصيصة فكتب الى أخى محمد ابن اسحق فكان فى كتابه

فان نحن التقينا قبل موت * شفينا النفس من مضض العتاب
وان سبقت بنا أيدى المنايا * فكم من غائب تحت التراب

وقال أبو عبد الله الحاكم أبو عوانة من علماء الحديث واثباتهم ومن الرحالة فى أقطار الارض لطلب الحديث توفى سنة ست عشرة وثلثمائة وقال حمزة بن يوسف السهمى رؤى بجرجان سنة اثنتين وتسعين ومائتين قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر حدثنى الشيخ صالح الاصيل أبو عبد الله بن محمد بن محمد عمر الصفار الاسفراينى أن قبر أبي عوانة باسفراين مزار العالم ومتبرك الخلق وبجنب قبره قبر الراوية عنه أبي نعيم عبد الملك بن أبي الحسن الازهر الاسفراينى فى مشهد واحد داخل المدينة على يسار الداخل من باب نيسابور من اسفراين وقريب من مشهده مشهد الامام الاستاذ أبي اسحق الاسفراينى على يمين الداخل من نيسابور وبجنب قبره قبر الاستاذ أبي منصور البغدادى الامام الفقيه المتكلم صاحبه الصاحب بالجنب حيا وميتا المتظاهرين لنصرة الدين بالحجج والبراهين سمعت جدى الامام عمر بن الصفار رحمه الله تعالى ونظر الى القبور حول قبر الامام الاستاذ أبي اسحق واشار الى المشهد وقال قد قيل ههنا من الائمة والفقهاء على مذهب الامام الشافعى رضى الله عنه أربعون اماما كل واحد منهم لو تصرف فى المذهب وأفتى برأيه واجتهاده يعنى على مذهب الشافعى لكان حقيقا بذلك والعوام يتقربون الى مشهد الاستاذ أبي اسحق أكثر مما يتقربون الى أبي عوانة وهم لا يعرفون قدر هذا الامام الكبير المحدث أبي عوانة لبعد العهد بوفاته وقرب العهد بوفاة الاستاذ أبي اسحق وأبو عوانة هو الذى أظهر لهم مذهب الامام الشافعى رضى الله عنه باسفراين بعدما رجع من مصر وأخذ العلم عن أبي ابراهيم المزنى رحمه الله تعالى وكان جدى اذا وصل الى مشهد الاستاذ لا يدخله احتراما بل كان يقبل عتبة المشهد وهى مرتفعة بدرجات ويقف ساعة على هيئة التعظيم والتوقير ثم يعبر عنه كالمودع لعظيم الهيبة واذا وصل الى مشهد أبي عوانة كان أشد تعظيما له واجلالا وتوقيرا ويقف أكثر من ذلك رحمهم الله تعالى أجمعين وعوانة بفتح العين المهملة وبعد الالف نون وقد تقدم الكلام على النيسابورى والاسفراينى فلا حاجة الى الاعادة

(أبو يوسف يعقوب بن اسحق المعروف بابن السكيت صاحب كتاب اصلاح المنطق وغيره)

ذكره الحافظ ابن عساكر فى تاريخ دمشق فقال حكى عن أبي عمرو واسحق بن مرار الشيبانى ومحمد بن مهنا ومحمد بن صبح بن السماك الواعظ وحكى عنه أحمد بن فرح المقرى ومحمد بن عجلان الاخبارى وأبو عكرمة الضبي وأبو سعيد السكرى وميمون بن هرون الكاتب وغيرهم وكان يؤدب أولاد المتوكل وقال قال محمد بن السماك من عرف الناس داراهم ومن جهلهم ماراهم ورأس المداراة ترك المماراة وروى ابن السكيت أيضا عن الاصمعى وأبي عبيدة والفراء وجماعة غيرهم وكتبه جيدة صحيحة منها اصلاح المنطق وكتاب الالفاظ وكتاب فى معانى الشعر وكتاب القلب والابدال ولم يكن له نفاذ فى علم النحو وكان يميل فى رأيه واعتقاده الى مذهب من يرى تقديم على بن أبي طالب رضى الله عنه قال أحمد بن عبيد شاورنى ابن السكيت فى منادمة المتوكل فنهيته فحمل قولى على الحسد وأجاب الى ما دعى اليه من المنادمة فبينما هو مع المتوكل يوما جاء المعتز والمؤيد فقال المتوكل يا يعقوب أيما أحب اليك ابناى هذان أم الحسن والحسين فغض ابن السكيت من ابنيه وذكر الحسن والحسين رضى الله عنهما بما هما أهله فأمر الاتراك فداسوا بطنه فحمل الى داره فمات

حانوتا فى بعض الاسواق وتكسب مدة بالطبابة وبيع المعاجن والاشربة الى أن قلد المولى المشتهر باخى زاده مدرسة پيرى باشا بقصبة سلورى وفى المرحوم طلب المعارف والعلوم فباع مافى حانوته وترك عياله فى بيته وهاجر الى المولى المزبور ودخل احدى حجرات المدرسة وابتدأ من المختصر الموسوم بالمقصود واشتغل عليه فيها برهة من الزمان ثم عاد الى بيته وتفقد عياله ثم عاد الى المدرسة المزبورة وكان ما كان الى أن حصل من العلوم الآلية القدر الصالح مع الاشتغال بصالح بيته كل ذلك بعد ما ظهر البياض فى لحيته ثم ترقى الى المقاصد والمسائل وتتبع الكتب والرسائل وطالع الاحاديث والتفاسير وفاز بالحظ الاوفى فى الزمان اليسير وحرر عدة من الرسائل فحقق فيها كلام بعض الاماثل وحقق ماقاله النبى الامجد من طلب شيأ وجد وجد (واستشهد رحمه الله فى شهر ذى القعدة من شهور سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة) كان رحمه الله من العلماء العاملين مع كمال الورع والتصلب فى الدين آية فى الزهد والتقوى متمسكا من الشريعة الشريفة بما هو أحكم وأقوى مشاركا فى العلوم العقلية متبحرا فى العلوم

بعد غد ذلك اليوم وكان ذلك فى سنة أربع وأربعين ومائتين وقال عبد الله بن عبد العزيز وكان نهى يعقوب عن اتصاله بالمتوكل

نهيتك يا يعقوب عن قرب شادن * اذا ماسطا أربى على كل ضيغم

فذق واحس ما استحسيته لا أقول اذ * عثرت لعا بل لليدين وللفم

(وحكى) ان الفراء سأل ابن السكيت عن نسبه فقال خوزى أصلحك الله من دورق (قلت) وهى بفتح الدال المهملة وبعد الواو الساكنة راء ثم قاف وهى بليدة من أعمال خوزستان من كور الاهواز قلت والاهواز من خوزستان أيضا قال فبقى الفراء أربعين يوما فى بيته لا يظهر لاحد من أصحابه فسئل عن ذلك فقال سبحان الله أستحى أن أرى ابن السكيت لانى سألته عن نسبه فصدقنى وفيه بعض القبح قال أبو الحسن الطوسى كنا فى مجلس أبى الحسن على اللحيانى وكان عازما على ان يملى نوادره ضعف ما أملى فقال يوما تقول العرب مثقل استعان بذقنه فقام اليه ابن السكيت وهو حدث فقال يا أبا الحسن انما هو مثقل استعان بدفيه يريدون الجمل اذا نهض بحمله استعان بجنبيه فقطع الاملاء فلما كان المجلس الثانى أملى فقال تقول العرب هو جارى مكاشرى فقام اليه ابن السكيت فقال أعزك الله وما معنى مكاشرى انما هو مكاسرى كسر بيتى الى كسر بيته قال فقطع اللحيانى الاملاء فما أملى بعد ذلك شيأ وقال أبو العباس المبرد ما رأيت للبغداديين كتابا أحسن من كتاب ابن السكيت فى المنطق وقال أحمد بن محمد بن أبى شداد شكوت الى ابن السكيت ضائقة فقال هل قلت شيأ قلت لا قال فأقول أنا ثم انشدنى

نفسى تروم أمورا لست مدركها * مادمت أحذر ما يأتى به القدر

ليس ارتحالك فى كسب الغنى سفرا * لكن مقامك فى ضر هو السفر

وقال ابن السكيت كتب رجل الى صديق له قد عرضت لى قبلك حاجة فان نجحت فالفانى منها حظى والباقى حظك وان تعذرت فالخير مظنون بك والعذر مقدم لك والسلام ونقل من خطه ما مثاله عرض سلمان بن ربيعة الباهلى الجند فمر عمرو بن معديكرب الزبيدى على فرس له فقال له سلمان ان هذا الفرس هجين فقال عمرو بل هو عتيق فقال سلمان هو هجين فقال عمرو هو عتيق فأمر سلمان فعطش ثم دعا بطشت فيه ماء ودعا بخيل عتاق فشربت وجاء فرس عمرو فثنى يده وشرب وهذا صنيع الهجين فقال له سلمان أو ترى فقال عمرو اجل الهجين يعرف الهجين فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكتب الى عمرو قد بلغنى ما قلت لاميرك وبلغنى ان لك سيفا تسميه الصمصامة وعندى سيف اسميه مصمما وايم الله لئن وضعته على هامتك لا أقلع حتى أبلغ به رهابتك فان سرك ان تعلم أحق ما أقول فعد والسلام والرهابة على وزن السحابة عظم فى الصدر مشرف على البطن مثل اللسان والله أعلم وقال أبو عثمان المازنى اجتمعت بابن السكيت عند محمد بن عبد الملك الزيات الوزير فقال محمد بن عبد الملك سل أبا يوسف عن مسئلة فكرهت ذلك وجعلت أتباطأ وأدافع مخافة ان أوحشه لانه كان صديقا لى فألح على محمد بن عبد الملك وقال لم لا تسأله فاجتهدت فى اختيار مسئلة سهلة لأقارب يعقوب فقلت له ما وزن نكتل من الفعل من قول الله تعالى فأرسل معنا أخانا نكتل فقال لى نفعل قلت ينبغى أن يكون ماضيه كتل فقال لا ليس هذا وزنه انما هو نفتعل فقلت له نفتعل كم حرف هو قال خمسة أحرف قلت فنكتل كم حرف هو قال أربعة أحرف فقلت أيكون أربعة أحرف بوزن خمسة حروف فانقطع وخجل وسكت فقال محمد بن عبد الملك فانما تأخذ كل شهر ألفى درهم على انك لا تحسن وزن نكتل قال فلما خرجنا قال لى يعقوب يا أبا عثمان هل تدرى ما صنعت فقلت له والله لقد قاربتك جهدى ومالى فى هذا ذنب قلت وذكر أبو الحسن بن سيده هذه الحكاية فى أوّل خطبة كتابه المحكم فى اللغة لكنه قال ان ذلك كان بين يدى المتوكل والله أعلم وقال غير ابن عساكر كان يعقوب بن السكيت يؤدب مع أبيه بمدينة السلام فى درب القنطرة صبيان العامة حتى احتاج الى الكسب فجعل يتعلم النحو (وحكى) عن أبيه انه كان قد حج فطاف بالبيت وسعى وسأل الله تعالى أن يعلم ابنه العلم فتعلم النحو واللغة وجعل يختلف الى قوم من أهل القنطرة فأجروا له كل دفعة عشرة دراهم وأكثر حتى اختلف الى بشر وهرون ابنى هرون

اخو بن

الشرعية النقلية مهما بالنظر فى كتب أرباب الاجتهاد ومن دونهم ممن جمع لهم التقليد والرشاد وكان يفسر القرآن الكريم وينتفع بمجلسه خلق عظيم وكان رحمه الله تعالى فى أول أمره معرضا عن ابناء الدنيا قانعا بكسبه من جهة طبابته فاتفق انه ابتلى بعض الامراء بالامراض الهائلة فراجع المرحوم فى ذلك فعالجه وانتفع به فاستشفع له وسعى فى حقه حتى عين له وظيفة من بيت المال فاستحداه طبعه واستلذه نفسه من حيث لم يدر أن السم فى الدسم فخالط الامراء وتقرب لهم بالطب واتصل بالوزير الكبير محمد باشا وأمره بترجمة أبى يوسف فاتمها ورفعها اليه وفى اثناء ذلك جلس السلطان الافخم مرادخان المعظم على سرير السلطنة فقوى به أمر فرهاد باشا وكان معزولا عن الوزارة فشاع عوده اليها على خلاف مراد الوزير الكبير محمد باشا بشفاعة السيدة صفية حظية السلطان وأم أولاده الكرام بسبب انها كانت فى أول أمرها من جوارى السيدة بنت السلطان محمد بن السلطان سليمان زوجة فرهاد باشا المزبور وكان فرهاد باشا المسفور مبتلى بحبس البول يراجع فى ذلك الطبيب

أخوين كانا يكتبان لمحمد بن عبد الله بن طاهر الخزاعى فما زال يختلف اليهما والى أولادهما دهرا فاحتاج ابن طاهر الى رجل يعلم أولاده فجعل ولده فى حجر ابراهيم بن اسحق المصعبى فرتب يعقوب وجعل له رزقا خمسمائة درهم ثم جعلها ألف درهم وقال أبو العباس ثعلب كان ابن السكيت يتصرف فى أنواع العلوم وكان أبوه رجلا صالحا وكان من أصحاب أبى الحسن الكسائى حسن المعرفة بالعربية وكان سبب قعود يعقوب للناس وقصدهم اياه انه عمل شعر أبى النجم العجلى وجوده فقلت ادفعه لى لانسخه فقال يا أبا العباس حلفت بالطلاق انه لا يخرج من يدى ولكنه بين يديك فانسخه واحضر يوم الخميس فلما وصلت اليه عرف بى فحضر بحضورى قوم ثم انتشر ذلك فحضر الناس وقال ثعلب أيضا أجمع أصحابنا انه لم يكن بعد ابن الاعرابى أعلم باللغة من ابن السكيت وكان المتوكل قد ألزمه تأديب ولده المعتز بالله فلما جلس عنده قال له باى شئ يحب الامير أن نبدأ يريد من العلوم فقال المعتز بالانصراف قال يعقوب فأقوم قال المعتز فانا أخف نهوضا منك فقام فاستعجل فعثر بسراويله فسقط والتفت الى يعقوب خجلا وقد احمر وجهه فأنشد يعقوب

يصاب الفتى من عثرة بلسانه * وليس يصاب المرء من عثرة الرجل

فعثرته فى القول تذهب رأسه * وعثرته بالرجل تبرأ على مهل

فلما كان من الغد دخل يعقوب على المتوكل فأخبره بما جرى فأمر له بخمسين ألف درهم وقال قد بلغنى البيتان وكان يعقوب يقول أنا أعلم من أبى بالنحو وأبى أعلم منى بالشعر واللغة وقال الحسين بن عبد المجيب الموصلى سمعت ابن السكيت يقول فى مجلس أبى بكر بن أبى شيبة

ومن الناس من يحبك حبا * ظاهر الحب ليس بالتقصير

فاذا ما سألته عشر فلس * ألحق الحب باللطيف الخبير

وكان لابن السكيت شعر وهو مما تثق النفس به فمن ذلك قوله

اذا اشتملت على اليأس القلوب * وضاق لما به الصدر الرحيب * وأوطنت المكاره واستقرت

وأرست فى أماكنها الخطوب * ولم تر لانكشاف الضر وجها * ولا أغنى بحيلته الاريب

أتاك على قنوط منك غوث * يمن به اللطيف المستجيب

وكل الحادثات اذا تناهت * فموصول بها فرج قريب

وكان العلماء يقولون اصلاح المنطق كتاب بلا خطبة وأدب الكاتب تأليف ابن قتيبة خطبة بلا كتاب لانه طول الخطبة وأودعها فرائد وقال بعض العلماء ما عبر على جسر بغداد كتاب فى اللغة مثل اصلاح المنطق ولا شك انه من الكتب النافعة الممتعة الجامعة لكثير من اللغة ولا نعرف فى حجمه مثله فى بابه وقد عنى به جماعة فاختصره الوزير أبو القاسم الحسين بن على المعروف بابن المغربى المتقدم ذكره وهذبه الخطيب أبو زكريا التبريزى وتكلم على الابيات المودعة فيه لابن السيرافى وهو كتاب مفيد ولابن السكيت أيضا كتاب الزبرج وكتاب الالفاظ وكتاب الامثال وكتاب المقصور والممدود وكتاب المذكر والمؤنث وكتاب الاجناس وهو كبير وكتاب الفرق وكتاب السرج واللجام وكتاب الوحوش وكتاب الابل وكتاب النوادر وكتاب معانى الشعر الكبير وكتاب معانى الشعر الصغير وكتاب سرقات الشعراء وكتاب فعل وأفعل وكتاب الحشرات وكتاب الاصوات وكتاب الاضداد وكتاب الشجر والنبات وما اتفقوا عليه وغير ذلك من الكتب ومع شهرته لا حاجة الى الاطالة فى ذكر فضله وقد روى فى قتله غير ما ذكرته أولا فقيل ان المتوكل كان كثير التحامل على على بن أبى طالب رضى الله عنه وابنيه الحسن والحسين رضى الله عنهم أجمعين وقد تقدم فى ترجمة أبى الحسن على بن محمد المعروف بابن بسام أبيات تدل على هذا أيضا وكان ابن السكيت من المغالين فى محبتهم والتوالى لهم فلما قال له المتوكل تلك المقالة قال ابن السكيت والله ان قنبرا خادم على رضى الله عنه خير منك ومن ابنيك فقال المتوكل سلوا لسانه من قفاه ففعلوا ذلك به فمات وذلك فى ليلة الاثنين لخمس خلون من رجب سنة أربع وأربعين ومائتين وقيل سنة ست وأربعين وقيل سنة ثلاث وأربعين والله أعلم بالصواب وبلغ عمره

الناس المذكور وينتفع بآرائه فاتفق انه أمر فرهاد باشا فى أثناء ماذكر باكل المعجون المعروف بمثروديطوس فأكله ومات بعد أيام قلائل بعلة الزحير فاتهم الطبيب المزبور وقيل انه سمه فى ذلك المعجون باشارة الوزير محمد باشا فدخلت زوجته الى السلطان وطلبت الثار وهمت بقتل الطبيب المسفور فأخذ وحبس أياما ثم أخرج وفتش فلم يثبت عليه شئ واستشفع فى خلاصه المفتى وبعض العلماء والصلحاء فاطلق فاجتمع عدة من خدام فرهاد باشا وترصدوا له يوما فى باب داره ولما خرج رحمه الله صبيحة ذلك اليوم الى صلاة الصبح هجموا عليه وضربوه بسكاكين وجرحوه عدة جراحات وبقروا بطنه فمات رحمه الله من وقته وهربت القتلة ولما وقف السلطان على ذلك غضب على جميع خدام فرهاد باشا فأخذ منهم ستون نفرا وصلب منهم عشرة أشخاص منهم الزعيم ابن أخى فرهاد باشا ونفى الباقون عن البلد فسبحان من جعل لكل شئ حدا

*(ومن خاض غمار المجاهدات واقتحم اخطار مشاق العبادات وتسنم فى طريق الحق على تلاله ووهاده وجاهد فى الله حق جهاده

ثمانيا وخمسين سنة ولما مات سير المتوكل لولده يوسف عشرة آلاف درهم وقال هذه دية والدك رحمه الله تعالى
وقال أبو جعفر أحمد بن محمد المعروف بابن النحاس كان أول كلام المتوكل مع ابن السكيت من احاثم صار
جدا وقيل ان المتوكل أمره ان يشتم رجلا من قريش وان ينال منه فلم يفعل فأمر القرشى ان ينال منه
فأجابه ابن السكيت فقال له المتوكل أمرتك فلم تفعل فلما شتمك فعلت وأمر به فضرب وحمل من عنده صريعا
والله أعلم أى ذلك كان وقد تقدم فى ترجمة عبد الله بن المبارك مثل هذه القضية لما سئل عن معاوية وعمر بن
عبد العزيز أيهما أفضل والسكيت بكسر السين المهملة والكاف المشددة وبعدها ياء مثناة من تحتها ثم تاء
مثناة من فوقها وعرف بذلك لانه كان كثير السكوت طويل الصمت وكل ما كان على وزن فعيل أو فعليل
فانه مكسور الاول وقوله خوزى بضم الخاء المعجمة وبعد الواو زاى هذه النسبة الى خوزستان وهو اقليم
بين البصرة وبلاد فارس

(ابو يوسف يعقوب بن الليث الصفار الخارجى)

قد اكثر أهل التاريخ من ذكر هذا الرجل وذكر أخيه عمرو وما ملكا من البلاد وقتلا من العباد وما جرى
للخلفاء معهما من الوقائع وقد اخترت من ذلك ما أودعته فى هذه الاوراق فأقول قال أبو عبد الله بن محمد الازهر
الاخبارى حدثنى على بن محمد وكان عالما بامور يعقوب بن الليث الصفار ومحاربته وأول أمره انه وأخاه
عمرا كانا صفارين فى حداثتهما وكانا يظهران الزهد وان رجلا من أهل سجستان كان مشهورا بالتطوع
فى قتال الخوارج يقال له صالح بن النضر الكنانى المطوعى من أهل بست فصحباه وحظيا به فقتلت الخوارج
الذين يقال لهم الشراة أخا يعقوب المذكور وأقام صالح المذكور يعقوب المذكور مقام الخليفة ثم هلك
صالح المذكور فتولى مكانه درهم بن الحسين من المطوعة أيضا فصار يعقوب مع درهم كما كان مع صالح ثم
ان صاحب خراسان احتال لدرهم حتى ظفر به فحمل الى بغداد فحبس بها ثم أطلق وخدم السلطان ثم لزم بيته
يظهر النسك والحج والاقتصاد حتى غلظ أمر يعقوب * وذكر شيخنا عز الدين أبو الحسن على بن محمد
المعروف بابن الاثير فى تاريخه فى سنة سبع وثلاثين ومائتين ابتداء أمر يعقوب المذكور فقال فى هذه السنة
تغلب انسان من أهل بست اسمه صالح بن النضر الكنانى على سجستان ومعه يعقوب بن الليث فعاد طاهر بن
عبد الله بن طاهر بن الحسين أمير خراسان واستنقذها منه ثم ظهر بها انسان اسمه درهم بن الحسين من
المطوعة فغلب عليها وكان غير ضابط لامور عسكره وكان يعقوب بن الليث قائد عسكره فلما رأى أصحاب
درهم ضعفه وعجزه اجتمعوا على يعقوب بن الليث وملكوه أمرهم لما رأوا من تدبيره وحسن سياسته وقيامه
بامرهم فلما تبين له ذلك لم ينازعه فى الامر وسلمه اليه واعتزل عنه فاستبد يعقوب بالامر وضبط البلاد وقويت
شوكته وقصدته العساكر من كل ناحية فصار من أمره ما سنذكره (رجعنا الى تمام ما ذكره على بن أحمد)
قال فلما دخل درهم بن الحسين بغداد تولى يعقوب أمر المطوعة وحارب الخوارج الشراة فرزق الظفر بهم
حتى أفناهم وأخرب ضياعهم وأطاعه أصحابه بمكره ودهائه طاعة لم يطيعوها أحدا كان قبله ثم اشتدت
شوكته وزادت صولته فغلب على سجستان وهراة وبوشنج وما والاها وكانت الترك بتخوم سجستان وملكهم
رتبيل ويسمى هذا القبيل من الترك الدرارى فرضه أهل سجستان على قتالهم وأعلموه انهم أضر من
الشراة الخوارج وأوجب محاربة فقراء الترك بقتل رتبيل ملكهم وقتل ثلاثة من ملوكهم بعد رتبيل
ويسمى كل ملك لهم رتبيل وانصرف يعقوب الى سجستان وقد حمل رؤسهم مع رؤس ألوف منهم فرهبته
الملوك الذين حوله منهم ملك المولتان وملك الرخج وملك الطبسين وملك زابلستان وملك السند ومكران
وغيرهم وأذعنوا له وكان قصده هراة وبوشنج فى سنة ثلاث وخمسين ومائتين وأمير خراسان يومئذ محمد بن
طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعى وعامله عليها محمد بن أوس الانبارى فخرج لمحاربته فى تعبية
وبأس شديد وزى جميل وأحسن مقاومته حتى احتال له يعقوب فحال بينه وبين دخول المدينة وهى بوشنج
وانحاز محمد بن أوس منهزما فقيل انه لم يقاتله أحد احسن موافقته كما أحسنها ابن أوس ودخل يعقوب بوشنج

وأفنى عمره فى زاوية الزهد
والعبادة شيخنا الشيخ مصلح
الدين ابن الشيخ علاء
الدين المشتهر بجراح زاده)*
ولد الشيخ رحمه الله بمدينة
أدرنه فى شهر صفر سنة
احدى وتسعمائة ونشأ
طالبا للعلوم والمعارف
وساعيا فى اقتناء شوارد
اللطائف وقرأ رحمه الله
مدة كتاب المفتاح باتقان
وتحقيق على المولى لطف
الله ابن المولى شجاع وهو
مدرس فى مدرسة الجامع
العتيق ثم أفاض الله تعالى
عليه سجال رحمته من
شآبيب لطفه ورأفته
فهبت عليه نسائم الزهد
والصلاح وناداه منادى
الفوز والصلاح فأجابه
بالسمع والطاعة وتحمل
مشاق العبادات بقدر
الاستطاعة وتبتل الى الله
سبحانه وجد واجتهد حتى
علا أقرانه وقد سألته رحمه
الله عن سبب سلوكه
ودخوله فى طريق الصوفية
فقال رحمه الله كنت فى أوائل
حالى وأوان طلبى فى غاية
الاعراض عن طريق
الصوفية واتفق انى اجتمعت
فى بعض الليالى مع الاخوان
والخلان وتجارينا فى
شجون الكلام وقضينا
الوطر عما يكون وكان
فنام كل من فى المجلس فاذا
بصيحة عظيمة وأصوات
مزعجة من طرف السماء
فرفعت رأسى فرأيت حجرا
عظيم القدر نزل على البيت

وهراة

وهراة وصارت المدينتان فى يده وظفر بجماعة من الطاهرية وهم المنسوبون الى طاهر بن الحسين الخزاعى
فحملهم الى سجستان حتى وجه الخليفة المعتز بالله اليه المعروف بابن بلعم وهو رجل من الشيعة برسالة وكتاب
فاطلقهم قال ابن الازهر الاخبارى المذكور حدثنى محمد بن عبد الله بن مروان قال حدثنى ابن بلعم المذكور
قال صرت اليه بكتاب أمير المؤمنين المعتز بالله الى زرنج (قلت وهى بفتح الزاى والراء وسكون النون وبعدها
جيم وهى كرسى بلاد سجستان) قال ابن بلعم فاستأذنت عليه فأذن لى فدخلت ولم أسلم عليه وجلست بين يديه
من غير أمره ودفعت اليه الكتاب فلما أخذه قلت له قبل كتاب أمير المؤمنين فلم يقبله وفضه فتراجعت
القهقرى الى باب مجلسه الذى كان فيه ثم قلت السلام عليك أيها الامير ورحمة الله فأعجبه ذلك وأحسن
مثواى ووصلنى وأطلق الطاهرية وقال ابن بلعم المذكور أيضا دخلت على يعقوب الصفار يوما فقال لى
ينبغى أن يجيئنا رجل مستأمن من ناحية فارس ومعه ثلاثة أنفس أو أربعة بل هو تمام الخمسة قال فانكرت
هذا منه وأمسكت فما علمت الا وحاجبه قد دخل فسلم وقال أيها الامير بالباب رجل مستأمن ومعه أربعة
أنفس فقال أدخله فدخل وسلم وقال أيها الامير معى أربعة أنفس فاذن لهم فدخلوا عليه فالتفت الى
الحاجب وقلت قد أخذتم فى المخاريق فحلف لى أيمانا مغلظة انهم جاؤا بغتة ما علم بهم أحد من الناس وسألت
يعقوب بعد ذلك وقلت له أيها الامير لقد رأيت منك عجبا فى أمر المستأمنة فكيف علمت بهم فقال أخبرك انى
فكرت فى أمر فارس ورأيت غرابا واقفا بازاء طريقها واختلجت احدى أصابع رجلى ثم تبع بعضها بعضا
فعلمت انه عضو غير شريف وانه سيأتينا من ذلك الصقع قوم مستأمنة أو رسل ليسوا باجلة فكانوا هؤلاء
وقال على بن الحكم سألت يعقوب بن الليث الصفار عن الضربة التى على وجهه وهى منكرة على قصبة أنفه
ووجنته فذكر ان ذلك أصابه فى بعض وقائع الشراة وانه طعن رجلا منهم فرجع عليه فضربه هذه الضربة
فسقط نصف وجهه حتى رد وخيط قال فمكثت عشرين يوما فى فى أنبوبة قصب وفى مفتوح لئلا ينفرج
رأسى وكان يصب فى حلقى الشئ بعد الشئ من الغذاء قال حاجبه وقد كان مع هذه الضربة يخرج ويعبى
أصحابه للحرب ويقاتل وأرسل يعقوب الى المعتز بالله هدية سنية من جملتها مسجد فضة مخلع يصلى فيه خمسة
عشر انسانا وسأل ان يعطى بلاد فارس ويقرر عليه خمسة عشر ألف ألف درهم على ان يتولى خراج على بن
الحسين بن قريش وكان على فارس ثم شخص يعقوب من سجستان فى اثر كتابه الى المعتز يريد كرمان ثم نزل بم
(قلت وهى بالباء الموحدة المفتوحة وبعدها ميم مخففة وهى الحد الفاصل بين سجستان وكرمان) قال وكان
بكرمان العباس بن الحسين بن قريش أخو على بن الحسين المذكور ومعه أحمد بن الليث الكردى فخرجا
عن كرمان يريدان شيراز وقدم يعقوب أخاه على ابن الليث الى السيرجان (قلت وهى بكسر السين المهملة
وسكون الياء المثناة من تحتها ثم راء وجيم وبعد الالف نون وهى مدينة كرمان) قال وضم اليه جماعة
فاقام هو وعلى بم فرد أحمد بن الليث الكردى اليه من الطريق فى جمع كثير من الاكراد وغيرهم فصاروا الى
درابجرد (قلت وهى بفتح الدال المهملة ثم راء وألف وبعدها باء موحدة ثم جيم مكسورة ثم راء وبعدها دال
مهملة وهذا الاسم يقع بالاشتراك على ثلاثة مواضع الاول كورة عظيمة مشهورة بفارس قصبتها دارابجرد
والثانى قرية بفارس ايضا من اعمال اصطخر فيها معدن الزئبق فيحتمل ان يكون مصيرهم الى الاولى أو الى
الثانية واما الثالثة فهو موضع بنيسابور ولا يحتمل مصيرهم اليه لانه بخراسان فلا تعلق له بفارس) قال الراوى
فظفر احمد بن الليث بجماعة من أصحاب يعقوب يطلبون العلف فقتل بعضهم وهرب منهم جماعة ووجه
أحمد بن الليث برؤس من قتل من أصحاب يعقوب الى فارس فنصب على بن الحسين رؤسهم فبلغ الخبر يعقوب
فدخل كرمان فندب على بن الحسين لمحاربته طوق بن المغلس فى خمسة آلاف من الاكراد سوى من تقدم
مع أحمد بن الليث الكردى وسار طوق حتى نزل على مدينة اياس من عمل كرمان فورد عليه كتاب يعقوب
يعلمه انه اخطأ اذ دخل عملا ليس اليه فرد عليه طوق انت بعمل الصفر اعلم منك بعمل الحروب فعظم ذلك على
يعقوب وكان فى عسكر طوق ثلثمائة رجل من الابناء فوافى يعقوب مدينة اياس فاوقع بطوق وقتل أصحابه

الذى كنا فيه فكسر
السقف ونزل الى ساحة
البيت وغاب فى الارض
فاستيقظ من هذه الصيحة
العظيمة كل نائم من أهل
المجلس وأخذوا يتساءلون
عنها ولم يطلعوا على شئ
وعادوا الى النوم وحصل
لى من ذلك دهشة عظيمة
وكادت أن تذهب باسى
فقمت عن المجلس مرتاعا
وازداد تأثرى فى كل وقت
وحين الى أن يفتر عقلى ولم
يبق لى من الروية الا
القليل فنزلت الطريق
وبعت جميع ملابسى
الفاخرة وأنا على هذه الحالة
من الاعراض عن طريق
الصوفية وفى أثناء ذلك
دعانى أبى اليها وكلمنى فى
الدخول فيها وقابلته
بالانكار والاعراض قال
ولم أذكر حتى رفع الغطاء
عن بصرى وانكشف لى
أحوال القبور فكنت
ألازم المقابر وأبيت عندها
وكان أصحابى وأقاربى فى
العذل والملامة وأنا فى عدم
الالتفات اليهم والاعراض
عن كلامهم فسألته رحمه
الله عن كيفية رؤيته
واطلاعه على أهل القبور
فقال رحمه الله رأيتهم
قاعدين فى قبورهم
كالاحياء فى بيوتهم فمنهم
من اتسع قبره فبقى فى
السعة والحبور والرفاهية
والسرور ومنهم من لا يقدر
على القيام لضيق المقام
ومنهم من امتلأ قبره

وهزم من بقي منهم وصبر الابناء الثلثمائة حتى اشجوا يعقوب فاعطاهم الأمان فلم يقبلوا حتى قتلوا عن آخرهم وقتل يعقوب في هذه الوقعة ألفي رجل واسر الفا واسر طوق بن المفلس وقيده بقيد خفيف ووسع عليه في مطعمه وغيره واستخرج منه الاموال ورحل يعقوب عن اياس ودخل عمل فارس تخندق على بن الحسين على نفسه بشيراز وذلك في يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة خمس وخمسين ومائتين وكتب على بن الحسين الى يعقوب يعلمه ان طوق بن المفلس فعل مافعل من غير أمره وانه لم يأمره بمحاربته وقال له ان كنت تطلب كرمان فقد خلفتها وراءك وان كنت تطلب فارس فكتاب من أمير المؤمنين بتسليم العمل لأنصرف فرد عليه يعقوب بان كتابا من السلطان معه لا يتهيأ أن يوصله حتى يدخل البلد وانه ان اخلى له البلد فقد ودع وازاح علته والا فالسيف بيننا والموعد مرج سنكان وهو مرج واسع بينه وبين شيراز ثلاثة فراسخ وكتب صاحب البريد ووجوه البلد الى يعقوب يعلمونه انه ماينبغي له مع ماوهب له الله تعالى من التطوع والديانة وقتل الخوارج ونفيهم عن بلاد خراسان وسجستان التسرع الى سفك الدماء لان على بن الحسين لن يسلم البلد الا بكتاب الخليفة واعتد اهل شيراز للحصار وقد كانت المنهزمة من أصحاب طوق أسروا ثلاثة انفس من اصحاب يعقوب فحبسهم على بن الحسين وقد كان طوق وقت خروجه الى يعقوب اشترى دارا بشيراز بسبعين ألف درهم وقدر للنفقة عليها مالا فكتب طوق الى ابنه لا تقطع البناء عن الدار فان الامير يعقوب قد اكرمني واحسن الي وسأل في اطلاق الثلاثة المأسورين من أصحاب يعقوب وكان يعقوب سأله ذلك ليطلقه اذا وفدوا عليه فقال على بن الحسين اكتبوا الى يعقوب ليصلب طوق بن المفلس وان اقل عبد من عبيده أكبر عنده منه وسأل يعقوب طوق بن المفلس عن أمور على بن الحسين فضعف أمره عنده فتقرب طوق الى يعقوب بمال عنده بشيراز وانه يكتب الى اهله في حمله اليه ليقوى به على حربه فأمره يعقوب أن يفعل ذلك فكتب الى ابنه فوقع الكتاب في يد على بن الحسين فأخذ المال وغيره من دار طوق وحمله الى داره وزحف يعقوب واحتشد على بن الحسين قال أحمد بن الحكم قال لي يعقوب اخبرني عن على ابن الحسين امسلم هو قلت نعم قال افرأيت مسلما يوجه بالاكراد الكفار الى بلاد المسلمين فيقتلونهم ويحملون نساءهم ويأخذون أموالهم ألم تعلم أن أحمد بن الليث الكردي قتل بكرمان سبعمائة انسان على دم واحد وافتض الاكراد مائتي بكر من أهل البيوتات وحملوا معهم نحو ألفي امرأة الى بلادهم أفرأيت مسلما يرضى بهذا قال قلت فعل أحمد هذا من غير أمره ثم قال له يعقوب في بعض مناظراته قل لعلي بن الحسين ان معي قوما أحرارا جئت بهم وليس يتأتى لي ردهم الا بما يحبون فوجه الي بما يرضيهم ووجه لي في نفسي مايشبه مثلي من البر فاذا فعلت فأنا اخولك وعونك على من حاربك وأدفع لك كرمان تأكلها وانصرف الى عملي وارتحل يعقوب فنزل قرية يقال لها خوزستان ووافى أحمد بن الحكم الى على بن الحسين يوم الثلاثاء لثمان خلون من جمادي الاولى من السنة وعلى يده كتاب يعقوب قال ابن الحكم فلم يفهم على بن الحسين شيأ مما جئت به من الدهش وحاصل الكتاب بعد الدعاء له فهمت كتابك وذكرك أن ورودي هذا البلد العظيم خطأ بغير اذن أمير المؤمنين فاني لست ممن تطمع نفسه في محاولة ظلم ولا ممن يمكنه ذلك وقد أسقطت عنك مؤنة الاهتمام في هذا الباب فان البلد لامير المؤمنين ونحن عبيده نتصرف بأمره في أرضه وسلطانه وفي طاعة الله وطاعته وقد استمعت من رسولك ورجعت اليه في جواب ماعملته وأدائه مايورده عليك مما رجوت لنا ولك فيه صلاحا فان استعملته ففيه السلامة ان شاء الله تعالى وان أبيت فان قدر الله تعالى نافذ لامحيص عنه ونحن نعتصم بالله من الهلكة ونعوذ به من دواعي البغي ومصارع الخذلان ونرغب اليه في السلامة في ديننا ودنيانا بلطفه مد الله في عمرك وكتب يوم الاثنين لليلة خلت من جمادي الاولى سنة خمس وخمسين ومائتين ثم تزاحف الفريقان وقد اجتمع في عسكر على بن الحسين خمسة عشر ألف انسان ووجه أحمد بن الليث في طلائع يعقوب وذلك في غداة الاربعاء لاربع خلون من الشهر المذكور ولما كان يوم الخميس وافت طلائع يعقوب ثم التقى الجيشان فحملوا حملة وفي الثانية ازالوا أصحاب على بن الحسين عن مواضعهم

بالدخان ومنهم من أحمى قبره بالنيران ورأيت بعضهم في غاية الضعف والاضطراب ويتألم ويضطرب كالسحاب والسراب وانا اتكلم معهم واستخبر حالهم واستفسر أسباب موتهم فيجيبون ويسألوني الدعاء وأنا اجد نفسي في اثناء ذلك تارة في قسطنطينية وتارة في بروسه وتارة في غيرهما من الامكنة التي ما رأيتها وانا في جميع ذلك كالهائم الولهان الذي مسه الجان وكنت في غاية العجز عن اكل الطعام لظهور نجاسته وانكشاف عدم طهارته ودامت هذه الحالة لي مدة سبعة أشهر فبينا أنا مقيم بدار والدي وقد انتشر سواد الليل في الآفاق ونام كل من في البيت من الصغير والكبير اذ جاء رجل فاخذ بيدي وذهب فذهبت معه فمررنا بمواضع غريبة وأمكنة عجيبة مارأيتها ولا سمعتها من قبل حتى وصلنا الى سفح جبل ورأيت فيه شخصا قاعدا فتقدم الرجل فيه وقال جئت بطالبك وقدمني اليه فجلست بحذائه فاخذ ذلك الشخص بيدي اليمنى فوضع فيها علامة فاذا جيء بشخص آخر ففعل به مافعل بي ثم أمرنا بالقيام والدخول الى حظيرة هنالك فلما ذهبنا اليه فتح لنا باب الحظيرة فنظرنا الى داخلها فرأيناها

وصدقت المجالدة فانهزموا ومروا على وجوههم لا يلوي أحد على أحد وعلى بن الحسين يتبع أصحابه ويصيح فيهم أن ارجعوا وقفوا ويناشدهم الله تعالى فلم يلتفتوا اليه وبقي في عدة من أصحابه ثم وافق المنهزمة أبواب شيراز مع العصر يوم الخميس المذكور وكانت الوقعة بعد الظهر فضاقت عليهم الابواب فمروا على وجوههم في نواحي شيراز وبلغت هزيمتهم الاهواز وكانت القتلى منهم مقدار خمسة آلاف وأصابت على بن الحسين ثلاث ضربات واعتورته أسياف أصحاب يعقوب وسقط عن دابته فارادوا قتله فاعلمهم انه على بن الحسين فاخذوا عمامته ووضعوها في وسطه وقادوه الى يعقوب وطلب الذي أسره الثواب من يعقوب فامر له بعشرة آلاف درهم فابى ان ياخذها فقال انما جئتني بكتاب اسرته مالك عندي غيرها فانصرف الرجل وقنع يعقوب عليا عشرة أسواط بيده وأخذ حاجبه بلحيته فنتف أكثرها وأمر يعقوب ان يقيد بقيد فيه عشرون رطلا وصيره مع طوق بن المفلس في الخيمة وكان قد أنفذ الى ابن المفلس وقيده أيضا وسار يعقوب من فوره الى شيراز وتفرق أصحاب على بن الحسين في النواحي ثم دخل يعقوب الى شيراز والطبول تضرب بين يديه وظن ان أهل شيراز يؤذونه ويستحل دماءهم واموالهم بحربهم فلم ينطق أحد لانه كان وعد أصحابه انه ان ظفر أن يطلقهم وينهب شيراز وبلغ القوم ذلك فلزموا بيوتهم ورجع يعقوب من ليلته الى عسكره بعد أن طاف شيراز فلما أصبح نادى بالامان ليخرجوا الى الاسواق فخرج الناس ونادى في كتاب على بن الحسين أن برئت الذمة ممن آواهم وحضرت الجمعة فأمر الخطيب فدعا للامام المعتز بالله ولم يدع لنفسه فقيل له في ذلك فقال الامير لم يقدم بعد وقال انما مقامي عندكم عشرة أيام ثم ارجع الى عمل سجستان وبعث أخاه الى منزل على ابن الحسين فاحضر الفرش والاثاث وفتش على الاموال فلم يقف عليها فاحضر عليا فتهدده وتوعده فذكر انه يدلهم على المال فحمل الى منزله فأحضر ألف بدرة وقيل أربعمائة بدرة وعوض يعقوب أصحابه من نهب شيراز كل رجل ثلثمائة درهم ثم عذب يعقوب عليا بانواع العذاب وعصر أنثييه وشد الجوزتين على صدغيه فقال على قد أخذت ما أخذت مني فرشي وقيمته أربعون ألف دينار وألح عليه بالعذاب وقيده بأربعين رطلا فدلهم على موضع في داره فاستخرجوا منه أربعة آلاف ألف درهم وجوهرا كثيرا ثم ألح عليه بالعذاب وسلمه الى الحسن بن درهم فضربه وعذبه وشتمه وعذب طوق بن المفلس أيضا وحبسهما في بيت واحد وارتحل يعقوب من شيراز يوم السبت لليلتين بقيتا من جمادي الاولى من السنة الى بلاده وحمل على بن الحسين وطوق بن المفلس معه فلما أتى كرمان ألبسهما المصبغ من الثياب وقنعهما بمقانع ونادى عليهما وحبسهما ومضى الى سجستان وخلع الخليفة المعتز بالله لثلاث خلون من رجب من السنة المذكورة وتولى الخلافة الامام المهتدي مع صلاة الظهر من يوم الثلاثاء لاربع عشرة بقيت من رجب سنة ست وخمسين ومائتين ثم بويع المعتمد على الله ولم يكن ليعقوب الصفار في خلافة المهتدي كبير امر بل كان يغزو ويحارب من يليه من الملوك بسجستان وأعمالها ويتطرق كور خراسان وماقرب من قومستان ونواحي هراة وبوشنج وما اتصل بسجستان ثم عاد يعقوب الى بلاد فارس وجبى غلاتها ورجع بثلاثين ألف ألف درهم وسار الى سجستان وأقام محمد بن واصل بفارس يتولى الحرب والخراج ويكاتب الخليفة ويحمل بعض مايجبى من الاموال فكان مقدار مايحمل في السنة خمسة آلاف ألف درهم من الخراج من بلاد فارس وكان مقيما بها غالبا عليها ولو امكن الخليفة صرفه عنها ببعض أوليائه لما أقره ثم ورد الخبر في جمادي الآخرة من سنة ثمان وخمسين ومائتين بدخول يعقوب بمدينة بلخ ثم خرج منها ودخل نيسابور في ذي القعدة من سنة تسع وخمسين ومائتين واحتاط على محمد بن طاهر الخزاعي أمير خراسان وجميع الطاهرية ثم خرج عنها في المحرم من سنة ستين ومائتين ومعه محمد بن طاهر مقيدا ونيف وستون من أهله وتوجه نحو جرجان للقاء الحسن بن زيد العلوي أمير طبرستان وجرجان ولما بلغ الحسن بن زيد أن يعقوب يقصده أخذ من أموال الخراج ثلاثة عشر ألف ألف درهم بقايا وسلفا وتخلص من جرجان الى طبرستان ودخل يعقوب جرجان ووجه من أصحابه من أخذ شاوية طبرستان وكان بجرجان يعلق على دوابه كل يوم ألف قفيز ثم خرج يعقوب الى

مملوءة من النيران الصافية ليس فيها دخان ولا سواد فامتنعنا عن الدخول فاجبرنا عليه وأغلق الباب من ورائنا فعملت النار فينا ما تعمل في أمثالنا واحترقنا بها بحيث لم يبق منا موضع لا في ظاهر الجسد ولا في باطنه الا وقد مسته النار ثم فتح الباب وأمرنا بالخروج وجاء الرجل وأخذ بيدي واوصلني الى مكاني الذي أخذني منه فلما أصبحت وقام والدي الى الصلاة جاء لي ورآني متنكرا مضطربا مما وقع لي من شدائد هذه الليلة فسألني عن هذه الحالة فقصصت له الواقعة فقال ان هذه النار جذبة من نيران المحبة والهيام ولمعة من حرارة العشق والغرام وان هذه الواقعة تدل على انك ستصير طالبا للحق ومحبا للتصوف وأربابه قال رحمه الله فمن هذه الليلة أخذ ولهي في الانتقاص وجنوني في الارتفاع وزال عني بالتدريج ماحصل لي من الكشف والحركات المخالفة للعادة وعن لي الميل الى التصوف واشتد الانجذاب الى جناب رب الارباب ودخلت في ربقة التسليم والعبادة وظهر في أمري ماشاء الله واراده وتبت على يد والدي واخذت في المجاهدة والاشتغال وترقيت عنده من منزل الى منزل ومن حال الى حال ثم

طبرستان وخرج اليه الحسن بن زيد فى خلق كثير وأعلم يعقوب أصحابه انه يقتل من انهزم منهم وتقدم بنفسه للحرب فتبعه خمسمائة فارس من عبيده فحمل على الحسن وأصحابه حملة واحدة فكانت الهزيمة على القوم وكان الحسن بن زيد قد أعد فى كل قرية مركوبا فى طريقه لانهزامه وكان برذونا وبغلا لانه كان رجلا ثقيلا كثير اللحم وتلاحق أصحاب يعقوب به فتبع الحسن بن زيد فى خمسة آلاف خيل جريدة وأخذ يعقوب مما كان مع الحسن بن زيد ثلثمائة وقر مالا أكثرها عين وظفر بجماعة من آل أبى طالب فاساء اليهم وأسرهم وكانت الوقعة يوم الاثنين لاربع بقين من رجب سنة ستين ومائتين ثم تقدم يعقوب فدخل آمل (قلت وهى بالهمزة الممدودة والميم المضمومة وبعدها لام وهى كرسى بلاد طبرستان) قال وهرب الحسن ابن زيد الى مدينة يقال لها سالوس فلم يجد من أهلها ما كان يعهده منهم فتنحى عنهم ثم خرج يعقوب من آمل فى طلب الحسن بن زيد فرحل مرحلة واحدة وبلغه الخبر أن الحسين بن طاهر بن عبد الله قد دخل مرو الروذ ومعه صاحب خوارزم فى ألفى تركى فانزعج يعقوب لذلك وقصر فى الايغال فى طلب الحسن بن زيد فرجع وكتب الى أمير الرى فى ذى الحجة من سنة ستين يأمره ان يخرج من الرى ويعلمه ان أمير المؤمنين قد ولاه اياه فبلغ ذلك الخليفة فانكره وعاقب غلمانه الذين كانوا ببغداد بالحبس وأخذ الاموال ثم دخلت سنة احدى وستين ومائتين ويعقوب ببلاد طبرستان فخرج فى المحرم يريد جرجان فلحقه الحسن بن زيد من ناحية البحر فيمن اجتمع اليه من الديلم وأهل الجبال وطبرستان فشتت يعقوب وقتل من لحق من أصحابه فانهزم يعقوب الى جرجان فجاءت زلزلة عظيمة قتلت من أصحابه ألفى انسان ورجعت طبرستان الى الحسن بن زيد وهى آمل وشاوية وما يتصل بهما وأقام يعقوب بجرجان يعسف أهلها بالخراج ويأخذ أموال الناس ودامت الزلزلة ثلاثة أيام وأتى جماعة من أهل جرجان الى بغداد فسئلوا عن يعقوب الصفار فذكروه بالجبروت والعسف فعزم الخليفة على النهوض اليه واستعد لذلك ولما رجع الصفار الى خوار الرى ورجع الحاج عن الموسم كتب الخليفة المعتمد على الله الى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين وهو يومئذ متولى العراق بان يجمع الحاج من أهل خراسان وطبرستان وجرجان والرى ويقرأ عليهم كتابا منه اليه فجمع الحاج القادمين من أقاصى البلاد وقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين بالوقوع فى الصفار وعمل ثلاثين نسخة ودفع الى أهل كل كورة نسخة لتذيع الاخبار بهذه النسخ فى الآفاق ونمى الخبر الى يعقوب الصفار بما كان من حبس غلمانه وما كان من الحاج فى دار عبيد الله وما دفع اليه من النسخ وانكشف له رأى الخليفة فى قصده فرجع الى نيسابور وانما رجع لانه لم يجد عدة تصلح للقاء الخليفة ولما دخل الى نيسابور أساء الى أهلها باخذ الاموال ورجع يريد جهة سجستان فى جمادى الاولى من سنة احدى وستين ولما رجع الى سجستان كتب الخليفة الى أصحاب الممالك بخراسان وذوى الجاه والعدد بتولية كل رجل ناحية فوردت الكتب وأصحاب الصفار متفرقون فى كور خراسان ثم ان الصفار وصل الى عسكر مكرم من أعمال خوزستان وكاتب الخليفة وسأله ولاية خراسان وبلاد فارس وما كان مضموما الى طاهر بن الحسين الخزاعى من الكور وشرطتى بغداد وسر من رأى وان يعقد له على طبرستان وجرجان والرى وأذربيجان وقزوين وان يعقد له على كرمان وسجستان والسند وأن يحضر من قرئت عليهم الكتب التى نسخت فى دار عبيد الله بن عبد الله ابن طاهر ويقرأ عليهم خلاف ما قرئ عليهم أولا من ذكره ليبطل ذلك الكتاب بهذا الكتاب ففعل ذلك الموفق بالله أبو أحمد طلحة بن المتوكل على الله وهو أخو الخليفة المعتمد على الله وكان الموفق مستوليا على الامور كلها وليس للمعتمد معه سوى اسم الخلافة لا غير وأجابه الى ما طلب وجمع الناس وقرأ عليهم ما أحبه الصفار وأجيب الى الولاية التى طلبها واضطربت الموالى بسر من رأى من اجابة الخليفة الى ما طلبه الصفار وتحركوا ثم ان الصفار لم يلتفت الى ما أجيب اليه من ذلك ودخل السوس وهى أيضا مدينة من اعمال خوزستان بالقرب من عسكر مكرم ولما دخلها عزم على محاربة الخليفة المعتمد وتأهب له الخليفة لينحدر اليه فى دجلة ثم تقدم الصفار وتقدم اليه عسكر الخليفة وقد كانت الموالى ارتابت واتهمت الخليفة الموفق

ارسلنى الى قدوة أرباب الطريق ولى الله تعالى على التحقيق صاحب الكرامات المشهورة والاخبار المأثورة الشيخ عبد الرحيم المؤيدى المشتهر بحاجى جلبى فخدمته مدة وحصلت من فنون التصوف عدة وكان منى ما كان فظهر ما فى حيز الامكان ودمت على المصابرة والاجتهاد اثنتى عشرة سنة واجيز لى بالارشاد وقد سألته عن آخر الحالات التى وقعت له عند شيخه فقال رحمه الله كنت مقيما فى بعض الخلوات عند الشيخ عبد الرحيم المؤيدى وانا مداوم على الذكر ومشتغل بالتوحيد فاذا بشخص عظيم الهيبة دخل على وقصد الى ومزق جسدى بيديه كل ممزق وتركنى فعاد جسدى الى حالته الاولى فعاد فى التمزيق وتكرر ذلك من الطرفين واستمر ساعات وعرض لى من ذلك انزعاج كلى واضطراب عظيم وحصل لى من الفناء والسكون ما لا يمكن تعبيره فعرضت ذلك على الشيخ ففرح به وبشرنى بحصول المطلوب واجاز لى بعد ذلك بالارشاد وارسلنى الى والدى قلت ولما انتقل والده رحمه الله قام هو مقامه فى زاوية الشيخ شجاع واكب على الاشتغال ولازم التوجه والاقبال الى جناب حضرة المتعال وعامل الله فى سره

وتوهمت

وتوهمت ان اقبال الصفار بسبب ما أنفذ اليه من الكتب والا فأى عجب أعجب من خارج قصد من زرنج كرسى سجستان وهى الحد الفاصل بين السند والترك وخراسان الوصول الى بلاد العراق لمحاربة الخليفة وهو فى جيوشه وعدده وتقادم مملكته فى شرق الارض وغربها والصفار منفرد بجيشه ليس معه من يعضده ولا يشاركه فى هذا الامر ولما بلغ الخليفة ذلك دعا ببرد النبى صلى الله عليه وسلم وقضيبه وأخذ القوس ليكون أول من رمى ولعن الصفار فطابت أنفس الموالى ولما كان صبيحة الاحد لتسع خلون من رجب وردت عساكر الصفار فى التعبية الى موضع يقال له اصطربند وهى قرية بين السيب ودير العاقول من النهروان الى واسط وجمع أصحابه ليحمل بهم وتقدم بنفسه كما كان يفعل قبل ذلك وأقبل وعليه دراعة ديباج أسود ولما تواقف الصفان خرج من الموالى خشنج القائد فقام بين الصفين وقال لاصحاب الصفار يا أهل خراسان وسجستان ما عرفنا كم الا بطاعة السلطان وتلاوة القرآن وحج البيت وطلب الآثار وان دينكم لا يتم الا بطاعة الامام وما نشك ان هذا الملعون قد موه عليكم وقال لكم ان السلطان قد كتب اليه بالحضور وهذا السلطان قد خرج لمحاربته فمن آمن منكم بالحق وتمسك بدينه وشرائع الاسلام فلينفرد عنه أن كان شاقا للعصا محاربا للسلطان فلم يجيبوه عن كلام وكان هذا خشنج شجاعا مقداما ولما تخلص محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر ابن الحسين أمير خراسان من أسر الصفار وقد تقدم ذكر أسره وحمله مقيدا قال له خشنج يا آل طاهر اشتريتمونا بأموالكم وأهديتمونا الى ولد العباس فاستخلفونا وملكونا الضياع والاموال حتى قدنا الجيوش وحاربنا عن بيضة الاسلام فما خرجنا من الدنيا حتى حاربنا الصفار عنك يا والى خراسان مع مولانا أمير المؤمنين وخلصناك بعد الاسر والقيد الثقيل من مدينة الى مدينة على بغل اكاف ورددناك من العراق الى خراسان فالحمد لله على ما تفضل به مولانا من خلاصك وأولانا هذا الفعل الجميل فيك (رجعنا الى تتمة خبر الصفار) قال الراوى وحرر عسكر الصفار فكانت مساحة معسكره ميلا فى ميل وكانت دوابهم فى غاية الفراهية وقيل ان جمعهم كان يزيد على عشرة آلاف انسان ووضع الخليفة العطاء فى الجند وقطع ما فى الطريق من الشعر والدغل واستعدوا للحرب وجدوا فيها وشمروا وقيل ما هو الا أن تنصروا أو تنهزموا فلا ترجع دولتكم اليكم ووقف الخليفة المعتمد بنفسه والى جانب ركابه محمد بن خالد بن يزيد بن مزيد بن زائدة الشيبانى وقد تقدم ذكر جده يزيد ووقف معه جماعة كتنفوا الخليفة من أهل البأس والنجدة وتقدم بين يديه الرماة بالنشاب وكشف الموفق أخو الخليفة رأسه وقال أنا الغلام الهاشمى وحمل على أصحاب الصفار وقتل بين الطائفتين خلق كثير فلما رأى الصفار تلك الحال ولى راجعا تاركا أمواله وخزائنه وذخائره ومر على وجهه فلم تتبعه العساكر وما أفلت من أصحابه رجل الا بسهم أصابه وأدركهم الليل فتساقطوا فى الانهار لازدحامهم وثقل الجراح بهم قال أبو الساج داود بن دوست وهو الذى تنسب اليه الاجناد الساجية ببغداد للصفار لما انهزم ما رأيت معك شيأ من تدبير الحروب وكيف كنت تغلب الناس فانك جعلت ثقلك وأموالك وأسراك امامك وقصدت بلدا على قلة المعرفة منك به وبمغايضه وأنهاره بغير دليل وقاتلت يوم الاحد والريح عليك وسرت من السوس الى واسط فى أربعين يوما وأحوال العسكر مختلة فلما توافت عددهم وجاءتهم أموالهم واستحكم أمرهم عليك أقبلت من واسط الى دير العاقول فى يومين وتأخرت عند امكان الفرصة وأقبلت تعدو فى موضع التثبت فقال الصفار لم أعلم انى أحارب ولم أشك فى الظفر وتوهمت ان الرسل ترد الى فبدروا الامر فأتيت بما قدرت عليه (قلت هذا آخر ما نقلته من كلام ابن الازهر مع الاختصار) ونقلت من تاريخ أبى الحسين عبيد الله بن أحمد بن طاهر الذى جعله ذيلا على تاريخ أبيه فى اخبار بغداد وقد أطال القول فيه فاختصرته وحذفت ما تكرر منه فقال كان وثوب يعقوب بن الليث على درهم وغلبته على سجستان يوم السبت لخمس خلون من المحرم سنة سبع وأربعين ومائتين وكانت ولاية درهم ثلاث سنين بعد اخراجه صالح بن النضر وهو رجل من بنى كنانة من سجستان فى ذى الحجة سنة سبع وثلاثين ومائتين ولم يزل يعقوب الصفار مقيما بسجستان يحارب الشراة والاتراك ويظهر انه متطوع حتى كانت سنة ثلاث وخمسين

وجهره حتى صار فريد عصره ووحيد دهره وفتح باب التربية والارشاد على أرباب السعى والاجتهاد فرب ساع قطع بصارم تربيته صريمة الامل وحصل بهمته الشريفة طرفا صالحا وكمل ثم نقل الى زاوية الشيخ محيى الدين بقسطنطينية المحمية فشرفها بقدمه الشريف ونورها بروائه اللطيف وأقام بها مدة سبع سنين وقد اتصلت به فى اقامته ذلك وتبركت بمجالسته الشريفة وأنفاسه اللطيفة وكلما مر ذلك بالخاطر يذكرنى قول الشاعر

وكانت بالعراق لنا ليال
سرقناهن من أيدى الزمان
جعلناهن تاريخ الليالى
وعنوان المسرة والامانى

وأكرر كثيرا ما فى البال ما أنشده بعضهم وقال

ليالى اللذات سقيا لك
ما كنت الا فرحا كلك
عودى كما كنت لنا أولا
فنحن ان عدت عبيد لك

ثم عاد رحمه الله الى مدينة ادرنه وانتقل بها الى رحمة الله تعالى ودفن بقرب زاوية الشيخ شجاع (وكان ذلك فى شهر محرم من شهور سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة) كان رحمه الله بحرا من بحار الحقيقة وكهفا منيعا لارباب الطريقة متخليا عن العلائق الناسوتية متحليا فى مفاخر الحلل اللاهوتية مهبطا للانوار السبحانية

ومائتين نخرج الى هراة ثم قصد بوشنج وحاصرها وأخذها عنوة وكان ذلك فى خلافة المعتز ومات المعتز ويعقوب على حاله ولم يزل على ذلك الى أيام المعتمد على الله ثم دخل بلخ وخرج منها ثم وصل الى رامهرمز وهو يظهر الطاعة للخليفة المعتمد وذلك فى المحرم من سنة اثنتين وستين ومائتين ثم أرسل رسله الى المعتمد فدخلوا بغداد لاربع عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة من السنة المذكورة ثم سار الى واسط وأقام بها نائبا عنه ثم صار الى دير العاقول يوم السبت لثمان خلون من رجب ثم سار الى اصطربند فنزل بها ولما اتصل خبره بالمعتمد وانه يقصد بغداد جمع أصحابه من الاطراف وخرج من سرمن رأى قاصدا محاربته ودخل بغداد يوم الاحد لخمس بقين من ذى الحجة من السنة قال أبو الفرج كاتب القاضى أبى عمر ولما نهض الخليفة لمحاربة الصفار لم تزل كتبه تسير اليه من الطريق يأمره بالانصراف ويحذره سوء عاقبة فعله وان أمير المؤمنين قد نهض اليه فى العدد والعدد وكتب الصفار وارده بانى قد علمت نهوض أمير المؤمنين ليشرفنى وينبه على موقعى منه ثم عبى الخليفة جيشه للقتال على القرية المذكورة وأرسلوا الماء على طريق الصفار فكان سبب هزيمته فانهم أخذوا عليه الطريق وهو لا يدرى واصطف الفريقان ولم يزل القوم يحمل بعضهم على بعض حتى انهزم الصفار فغنم الناس من أثقاله غنيمة عظيمة وتوهموا ان ذلك حيلة منه ومكر ولولا ذلك لاتبعوه ولقد حدثنى من حضر ذلك أن رشق الجند الموالى كان فى ذلك الوقت عشرين ألف سهم وانصرف الخليفة مسرورا بما فتح الله عليه وكان ممن تخلص من أسره ذلك اليوم أبو عبد الله محمد بن طاهر أمير خراسان وجاء الى الخليفة وهو فى قيده ففك الخليفة عنه القيد وخلع عليه خلعة سلطانية وذكر المعتمد ذلك النهار انه رأى تلك الليلة فى المنام كأن انسانا كتب على صدره انا فتحنا لك فتحا مبينا وقص الرؤيا على خواصه وقال لهم قد وثقت بنصر الله تعالى وقبل الوقعة وردت كتب الصفار الى الخليفة وفيها الخضوع والتضرع ويخبر بأنه لم يجئ الا لخدمة أمير المؤمنين والتشرف بالمثول بين يديه والنظر اليه وان يموت تحت ركابه فقال المعتمد نحن فى مخاريق الصفار بعد أعلموه أنه ماله عندى الا السيف وأمر الخليفة بالكتاب الى أبى أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وهو عم محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر يخبره بالفتح وخلاص ابن أخيه محمد بن طاهر فكتب اليه وهو يومئذ متولى الشرطة ببغداد نيابة عن أخيه المذكور فانه كان يتولى خراسان وشرطتى بغداد وسرمن رأى وفى الكتاب فصول طويلة وحاصله أنه عدد ذنوب الصفار وما قابله الخليفة به من الاحسان والانعام وانه قلده خراسان والبلاد التى تقدم ذكرها قبل هذا وانه رفع مرتبته وأمر بتكنيته فى كتبه وأقطعه الضياع السنية ولم يبق شيأ مما يقدر فيه استصلاحه الا فعله فما زاده ذلك الا البغى والطغيان والتمس أشياء ان ردعنها قصد أبواب الخليفة لاثارة الفتنة وابتغاء الغلبة فلم ير أمير المؤمنين اجابته الى ما التمسه وتابع الكتب بالرجوع الى أعماله الجليلة التى ولاه اياها وحذره التعرض لزوال النعم التى أنعم الله عليه بها فقد خالفه وعصاه وخرج عن طاعته وعرفه انه ان أقام على المصير الى الباب فقد عصاه وخرج عن طاعته ثم وجه اليه فى ذلك مرة بعد أخرى مع جماعة من القضاة والفقهاء والقواد وقدر بتوجههم اليه أنه يرجع الى ما هو الزم به وأوجب عليه فأقام على سبيل واحد فى البغى والعناد والعصيان ولم يثنه الارشاد ولم يزل استحواذ الشيطان عليه يقوده الى الحين ويصده عن سبيل النجاة الى مهاوى الهلكة فلما تبين لامير المؤمنين ذلك منه رأى ان يقضى عليه فى أمر مثله فنهض متوكلا على الله تعالى معتمدا على كفايته لدفع الملعون عما يحاوله وهو يغذ السير الى المصرع الذى سبق به قضاء الله تعالى فيه حتى توسط الطريق بين مدينة السلام وواسط واظهر اعلاما على بعضها الصلبان واستنجد أهل الشرك على الايمان وبارز الله بسريرته ليسلمه بجريرته وفارق شرائع الاسلام وأحكامه نقضا للعهود ونكثا وخفرا للذمة واعلانا للمشاقة فقدم أمير المؤمنين أخاه الموفق بالله أحمد ولى عهد المسلمين ومعه جماعة من موالى أمير المؤمنين الذين أخلصوا لله طاعتهم وثبت فى المحاماة عن دولته بصائرهم وأتبعهم أمير المؤمنين الرغبة الى الله تعالى فى تأييدهم ونصرهم على عدوهم ولعنه أمير المؤمنين فى الاوقات والمواقف التى علم الله صدق نيته فيها وألحقه وباهله ووقف أمير المؤمنين يتأمل ما يكون من أخيه ومواليه

وأوليائه وتواصل الامداد والجيوش اليهم وكان الموفق بالله فى قلب العسكر فنهض الملعون عدو الله فى شياع ضلالته قد ادرع العصيان وتسربل البغى واعتمد على وفور حشده وكثرة أشياعه واتباعه فلما تراءى الجمعان شهر عدو الله واشياع ضلالته السلاح وأسرعوا الى موالى أمير المؤمنين وأتباعه وأوليائه وشرعت فى الملعون وضلاله سيوف الحق باترة ورماحه طاعنة وسهامه نافذة حتى أثخن الملعون بالجراح ورأى اتباع ضلالته ما حل به فبادروا بالويل والثبور وانكب عليهم موالى أمير المؤمنين وأولياؤه يقتلون فيهم ويأسرون منهم وعجل الله الى النار من جماعته من لا يحصى عدده ولم يزل الامر كذلك حتى انتزع أبو عبد الله محمد بن طاهر مولى أمير المؤمنين سالما من أيديهم وحسروا عن مستقرهم فولى الباقون منهزمين مغلولين لا يلوون على شئ وأسلم الله تعالى الملعون وهم وما كانوا حووه وملكوه فى سالف الايام التى أملى الله تعالى لهم فيها أقطار الارض من الاموال والامتعة والاثاث والابل والدواب والبغال والحمير فأفاءه الله على الموالى وسائر الاولياء وملكهم اياه وساروا به الى رحالهم وعلى الجملة فان هذا الكاتب أطال القول فى ذلك فاختصرته ثم كتب فى آخره وكتبه عبيد الله بن يحيى يوم الاربعاء لاثنتى عشرة ليلة خلت من رجب سنة اثنتين وستين ومائتين ثم قال هذا المؤرخ بعد هذا ومضى الصفار منهزما الى واسط يتخطف أصحابه أهل القوى ويأخذ أسلحتهم واسلابهم ولم يتبعه الموالى مخافة رجعته ولاشتغالهم بالنهب والكسب فأمسكوا عنه ورجع الخليفة الى معسكره ثم رجع الصفار الى السوس وجبى الاموال ثم قصد تستر وحاصرها وأخذها ورتب فيها نائبا وكثر جمعه ثم رحل الى فارس فى شوال وكان الخليفة قد رجع الى المدائن وأقام بها يومين ثم دخل بغداد ومنها الى سرمن رأى ودخلها يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شعبان ثم ذكر المؤرخ بعد هذا وورد الخبر الى الخليفة بوفاة يعقوب بن الليث الصفار يوم الثلاثاء لاربع عشرة ليلة خلت من شوال والذى أصيب فى بيوت أمواله من العين أربعة آلاف ألف دينار ومن الورق خمسون ألف ألف درهم ووافى أحمد بن الاصبغ يوم الخميس لسبع بقين من شوال وقد كان الخليفة أنفذه ليصلح أمر يعقوب فانصرف من عند يعقوب فلما قرب من واسط اتصل به وفاة يعقوب وقد كان قلد خراسان وفارس وكرمان والرى وقم وأصبهان وصيرت اليه الشرطتان ببغداد وسرمن رأى على ان يوليهما من أحب وعلى أن يوجه ثلثى ما يجبى من خراج البلاد التى يتولاها من جميع الاموال وتولى أخوه عمرو بن الليث مكانه باجتماع عسكر يعقوب عليه ووردت كتب عمرو الى الموفق أخى الخليفة المعتمد على الله بالسمع والطاعة وان يتولى ما كان أخوه يتولاه فأجيب الى سؤاله وولاه فى ذى القعدة من السنة (قلت) سياقه هذا التاريخ يدل على ان يعقوب الصفار توفى فى بقية سنة اثنتين وستين ومائتين لانه حكى الوقعة فى هذه السنة وان يعقوب انهزم ثم قال عقيب هذا وورد الخبر بوفاة يعقوب فى شوال ولم يذكر السنة فيدل على موته فى تلك السنة والذى أعرفه من عدة تواريخ خلاف هذا فان أبا الحسين السلامى ذكر فى كتاب تاريخ ولاة خراسان فى أول الفصل المختص بعمرو بن الليث الصفار أنه أصابه القولنج فأشير عليه بالعلاج فامتنع منه واختار الموت عليه فمات بجنديسابور من خوزستان يوم الثلاثاء لاربع عشرة ليلة خلت من شوال من سنة خمس وستين ومائتين وقال أبو الوفاء الفارسى رأيت على قبر يعقوب بن الليث صحيفة وقد كتبوا عليها

ملكت خراسانا وأكناف فارس * وما كنت من ملك العراق بآيس

سلام على الدنيا وطيب نسيمها * اذا لم يكن يعقوب فيها بجالس

ورأيت بخطى فى جملة مسوداتى ان يعقوب بن الليث الصفار توفى سنة خمس وستين ومائتين بالاهواز وحمل تابوته الى جنديسابور فدفن بها وكتب على قبره هذا قبر يعقوب المسكين وكتب بعده

أحسنت ظنك بالايام اذ حسنت * ولم تخف سوء ما يأتى به القدر

وسالمتك الليالى فاغتررت بها * وعند صفو الليالى يحدث الكدر

ورأيت بخطى أيضا فى موضع آخر انه توفى بجنديسابور ومات بها وبها قبره والله أعلم وهو قاصد العراق فى

ومخزنا للاسرار الالهامية منجمعا عن الناس معرضا عن تكلفاتهم وراغبا عن بدعهم ومزخرفاتهم لا يطوف بأبواب الامراء ولا يطرق مجالس الاغنياء مشتغلا بنفسه فى يومه وأمسه وله كشوفات عجيبة واشرافات على الخواطر غريبة وظنى به كونه محيطا بجميع احوال من استرشد به وتشبث بسببه وله اليد الطولى فى تصريف قبول المريدين وتربية المسترشدين ولولا تزكية النفس واحتمال التبجح والرياء لذكرت ما ظهر لى عند اقامتى فى زاويته الشريفة فى بعض الاوقات المنيفة بانفاسه الطيبة وهممه الصيبة وحكى بعض من أثق به من الاشراف انه قال كنت معتكفا عنده فى بعض الايام ولما صليت الصبح جلست فى المسجد مشتغلا بالذكر والشيخ رحمه الله فى الجانب الآخر من المسجد متوجها الى القبلة مراقبا وكان يلاحظنى بنظره الشريف احيانا ويلتفت الى مرارا فبينا أنا على هذه الحالة اذ عرض لى انجذاب عظيم وتوجه تام وغلب على الوجد والحال وظهر لى أمور غريبة وآثار عجيبة كادت ان تذهب بلبى ومن الله تعالى فى اثناء ذلك بنعم لا يليق ذكرها واستمر ذلك لى ما دام الشيخ

بالساقى مكانه دائما على الوصف السابق * وله رحمه الله كرامات عظيمة وافعال غريبة أتبرك منها بذكر نبذ (منها) ما ذكره المولى المعروف بالفضل والاجادة محيى الدين المشتهر بأخى زاده قال كنت مدرسا بمدرسة الجامع العتيق بمدينة أدرنه فدخل على واحد من الصوفية وقال جئتك مبشرا لك وراجيا منك شيأ أستعين به على كفاف عيالى فسألته عما يبشر به فقال انك تكون مدرسا بمدرسة الوزير الكبير رستم باشا التى بناها بقصبة خيره بولى فى اليوم الفلانى ويأتيك الخبر فى الساعة الفلانية قال سلمه الله فعرض لى انكار عظيم وازدراء بشانه حيث أخبرنى عن الآتى وطلب عليه الاجر فقصدت الى ان لا اتصدق عليه بشئ وأرده محروما ثم بدا لى ان اساله عن كيفية حصول ذلك الخبر له فسألته فقال انى رجل من احباء الشيخ مصلح الدين المعروف بجراح زاده ذو عيال كثيرة وقد غلبنى الفقر وركبنى الدين فشكوت اليه من ذلك وشرحت حالى فقال لى اجتمعت فى هذه الليلة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرنى بان المولى محيى الدين المدرس بمدرسة الجامع العتيق سيوجه اليه مدرسة رستم باشا

التاريخ المذكور وكانت وفاته بعلة القولنج وأخبره طبيبه أن لادواء له الا الحقنة فامتنع منها واختار الموت
عليها وكانت مدة علته بالقولنج والفواق ستة عشر يوما ومدة تغلبه على سجستان وتلك النواحي أربع عشرة
سنة وشهورا وذكر شيخنا ابن الاثير في تاريخه في سنة خمس وستين ومائتين انه مات فيها يعقوب بن الليث
في تاسع عشر شوال من السنة وذكر حديث القولنج وامتناعه من الحقنة وانه مات بجند يسابور من كور
الاهواز (قلت) وهي من أعمال خوزستان بين العراق وبلاد فارس وقال شيخنا أيضا وكان الخليفة
المعتمد قد أنفذ اليه رسولا يترضاه ويستميله ويقلده أعمال فارس فوصل الرسول اليه ويعقوب مريض
فجلس له وجعل عنده سيفا ورغيفا من خبز الخشكار ومعه بصل وأحضر الرسول فأدى الرسالة وقال له قل
للخليفة اني عليل فان مت فقد استرحت منك واسترحت مني وان عوفيت فليس بيني وبينك الا السيف هذا
حتى آخذ بثاري أو تكسرني وتفقرني فأعود الى هذا الخبز والبصل وعاد الرسول فلم يلبث يعقوب ان مات
وقال ابن حوقل في كتاب المسالك والممالك ان جنديسابور مدينة خصبة واسعة الخير وبها نخل وزرع كثير
ومياه وقطنها يعقوب بن الليث الصفار لخصبها واتصالها بالميرة الكثير وكان الحسن بن زيد العلوي يسمي
يعقوب السندان لثباته وكان قل أن يرى متبسما وكان عاقلا حازما وكان يقول كل من عاشرته
أربعين يوما ولا تعرف أخلاقه لا تعرفها في أربعين سنة ولما تولى عمرو أحسن في التدبير والسياسة غاية
الاحسان حتى يقال ما أدرك في حسن السياسة للجنود والهداية الى قوانين المملكة منذ زمن طويل مثل
عمرو بن الليث وذكر السلامي في كتاب أخبار خراسان شيأ كثيرا من كفايته ونهضته وقيامه بقواعد
المملكة والولاية فتركته طلبا للاختصار وذكر انه كان ينفق في الجند في كل ثلاثة أشهر مرة ويحضر
بنفسه على ذلك وان عارض الجيش يقعد والاموال بين يديه والجند بأسرهم حاضرون وينادي المنادي أولا
باسم عمرو بن الليث فتقدم دابته الى العارض بجميع آلة الفارس فيتفقدها ويأمر بوزن ثلثمائة درهم باسم
عمرو فتحمل اليه في صرة فيأخذ الصرة فيقبلها ويقول الحمد لله الذي وفقني لطاعة أمير المؤمنين حتى
استوجبت منه الرزق ثم يضعها في خفه فتكون لمن ينزع خفه ثم يدعى بعد ذلك بأصحاب الرسوم على مراتبهم
فيتعرض لآلاتهم التامة ولدوابهم الفرهة ويطالبون بجميع ما يحتاج اليه الفارس والراجل من صغير آلة
وكبيرها فمن أخل باحضار شيء منها حرموه رزقه فاعترض يوما فارس كانت له دابة في غاية الهزال فقال له عمرو
ياهذا تأخذ مالنا تنفقه على امرأتك فتسمنها وتهزل دابتك التي عليها تحارب وبها تجد الارزاق امض فليس
لك عندي شيء فقال له الجندي جعلت لك الفدا لو اعترضت امرأتي لاستسمنت دابتي فضحك عمرو وأمر
باعطائه وقال استبدل بدابتك (قلت) ذكر القاضي كمال الدين المعروف بابن العديم الحنبلي في تاريخ حلب
حكاية يليق أن أذكرها ههنا لانها مثل هذه الحكاية وهي كان كسرى انوشروان ابن قباذ قد ولى رجلا من
الكتاب نبيها معروفا بالعقل والكفاية يقال له بابك بن النهروان ديوان الجند فقال لكسرى أيها الملك انك
قد قلدتني أمرا من صلاحه أن تحتمل لي بعض الغلظة في الامور وهي عرض الجنود في كل أربعة أشهر
وآخذ كل طبقة بكمال آلتها ومحاسبة المؤدبين على ما يأخذون على تاديب الرجال بالفروسية والرمي والنظر
في مبالغتهم في ذلك وتقصيرهم فان ذلك ذريعة الى اجراء السياسة مجاريها فقال كسرى ما المجاب بما سأل
بأحظى من المجيب لاشتراكهما في فضله وانفراد المجيب بعد بالراحة حقق مقالتك فأمر فبنيت له في موضع
العرض مصطبة وبسط له عليها الفرش الفاخرة ثم جلس ونادى مناديه لا يبقين أحد من المقاتلة الا حضر
للعرض فاجتمعوا ولم ير كسرى فيهم فأمرهم فانصرفوا وفعل ذلك في اليوم الثاني ولم ير كسرى فيهم فأمرهم
فانصرفوا فنادى في اليوم الثالث أيها الناس لا يتخلفن من المقاتلة أحد ولا من أكرم بالتاج والسرير فانه
عرض لا رخصة فيه ولا محاباة فبلغ كسرى ذلك فتسلح بسلاحه ثم ركب فاعترض على بابك وكان الذي
يؤخذ به الفارس تجفافا ودرعا وجوشنا وبيضة ومغفرا وساعدين وساقين ورمحا وترسا وحرزا تلزمه منطقة
وطبرزينا وعمودا وجعبة فيها قوسان بوترهما وثلاثين نشابة ووترين ملفوفين يعلقهما الفارس في مغفره

و يصل الخبر اليه في اليوم
الفلاني في الساعة الفلانية
وانا ما رأيت ذلك المدرس
قط ولا أعرفه بشيء فاذهب
اليه وبشره بذلك الخبر
فلعله يسأل بشيء
تستعين به على فقرك
وتسد به بعض جوعتك
فاعتمدت عليه وجئت اليك
لذلك الغرض قال سلمه الله
فذهب عني بعض ما عرض
لي من الانكار والانتقاص
لما سمعته قبل ذلك من
محاسن الشيخ المزبور
ومعارفه فاعطيته شيأ
وقلت له اذا كان الامر
كما قلت وحصل ما بشرتني
به زدت على ذلك واتكفل
ببعض مهماتك فذهب
الصوفي وبقيت في الامنية
والرجاء الى ان وصلت
البشارة في ذلك الوقت
الذي عينه الصوفي وكان
الامر كما قال (وقال) أيضا
سلمه الله خرجنا ذات يوم
من البلدة المزبورة قاصدين
الى بعض البقاع وكان اليوم
شديد الحر وفقدنا
الطريق فبقينا في المضيق
وغلبتنا الحرارة وركبنا
العطش ولم يوجد في الرحل
ماء ولا من يدلنا عليه فغلبنا
الضعف والحيرة وكدنا أن
نموت من العطش والحرارة
قال سلمه الله فنزلت عن
دابتي وقعدت متفكرا في
أمري فاذا بسواد ظهر من
بعيد فامعنت النظر فيه
ساعة فتيقنت انه انسان
يقصد الينا فاستقبله واجد

ظهريا فاعترض كسرى على بابك بسلاح تام خلا الوترين اللذين يستظهر بهما فلم يجز بابك على اسمه فذكر
كسرى الوترين فعلقهما في مغفره واعترض على بابك فاجاز على اسمه وقال لسيد الكماة أربعة آلاف درهم
ودرهم وكان أكثر ماله من الرزق أربعة آلاف درهم ففضل كسرى بدرهم واحد فلما قام بابك من
مجلسه دخل على كسرى فقال أيها الملك لا تلمني على ما كان من اغلاظي فما أردت به الى الدربة للمعدلة
والانصاف وحسم مادة المحاباة قال كسرى ما أغلظ علينا أحد فيما يريد به اقامة أودنا وصلاح ملكنا الا
احتملناله غلظته كاحتمال الرجل شرب الدواء الكريه لما يرجوه من منفعته (رجعنا الى تتمة اخبار عمرو
ابن الليث الصفار) قال السلامي أيضا كان رافع بن هرثمة تبعا لابي ثور وكان أبو ثور أحد قواد محمد بن
طاهر الخزاعي فلما وافى يعقوب الصفار نيسابور كان أبو ثور من جملة من مايل يعقوب على محمد بن طاهر فلما
انصرف يعقوب الى سجستان صحبه أبو ثور ومعه رافع بن هرثمة وكان رجلا طويل اللحية كريه الوجه قليل
الطلاقة فدخل يوما الى يعقوب فلما خرج من عنده قال يعقوب اني لا أميل الى هذا الرجل فيلحق بحيث شاء
فباع رافع جميع آلاته ثم انصرف الى منزله بامين وهي من قرى كنج ورستاقه وأقام هنالك الى ان استقدمه
أحمد بن عبد الله الخجستاني (وخجستان من جبل هراة من قرى باذغيس) وكان الخجستاني من اتباع
يعقوب الصفار ثم خلع طاعته وتغلب على نيسابور وبسطام في سنة احدى وستين ومائتين وكان يظهر الميل
الى الطاهرية مستميلا بذلك قلوب أهل نيسابور اليه حتى انه كان يكتب في كتبه أحمد بن عبد الله الطاهري
ثم كتب الخجستاني الى رافع بن هرثمة وهو في بلده يستقدمه فقدم عليه فجعله صاحب جيشه وللخجستاني
حروب ومواقف مشهورة وليس الغرض ذكر شيء منها ههنا ثم ان غلامين من غلمانه اتفقا عليه وقتلاه وقد
سكر ونام وذلك في ليلة الاربعاء لست بقين من شوال سنة ثمان وستين ومائتين وكان رافع بن هرثمة غائبا
فقدم بعد ذلك على جيش الخجستاني فقدموه عليهم وبايعوه بمدينة هراة وقيل بنيسابور ثم عزل الموفق بالله
عمرو بن الليث الصفار عن ولاية خراسان وجعلها لابي عبد الله محمد بن طاهر الخزاعي في سنة احدى وسبعين
ومائتين وهو مقيم ببغداد فاستخلف محمد بن طاهر عليها رافع بن هرثمة ماخلا أعمال ماوراء النهر فان الموفق
بالله أقر عليها نصر بن أحمد بن اسد الساماني خليفة لمحمد بن طاهر ثم وردت كتب الموفق على رافع بقصد
جرجان وطبرستان وكانتا للحسن بن زيد العلوي وتوفي سنة سبعين ومائتين واستولى عليها أخوه محمد بن زيد
فجاءه رافع في سنة أربع وسبعين ففارقهما محمد بن زيد الى استراباذ فحاصره بها رافع مدة سنتين ثم فارقها
ليلا في نفر يسير الى بلاد الديلم واستولى رافع على طبرستان في سنة سبع وسبعين ومائتين ثم توفي الخليفة
المعتمد على الله في رجب في سنة تسع وسبعين ومائتين وتولى الخلافة بعده المعتضد بالله أبو العباس أحمد بن
الموفق المذكور وولى المعتضد أبا ابراهيم اسمعيل بن أحمد الساماني ماوراء النهر بعد وفاة أخيه أحمد بن نصر
المذكور (قلت وكانت وفاة نصر لسبع بقين من جمادى الآخرة سنة تسع وسبعين بسمرقند) قال وعزل
رافع بن هرثمة عن خراسان وولاها عمرو بن الليث وبقي رافع بالري ثم انه هادن الملوك المجاورين له ليستعين
بهم على عمرو بن الليث فلما تم له ذلك خرج الى نيسابور فواقعه عمرو بن الليث في شهر ربيع الآخر من سنة
ثلاث وثمانين ومائتين وهزمه عمرو وتبعه الى أبيورد وقصد رافع ان يخرج منها الى هراة أو مرو فعلم عمرو أن
مقصده سرخس فقصدها عمرو ليأخذ عليه الطريق فعلم رافع ذلك فخرج من أبيورد ومعه دليل فاخذ به على
جبال طوس حتى أورده باب نيسابور فدخلها فعاد عمرو اليها وحاصره بها فانهزم رافع وأصحابه ووصل الى
نواحي خوارزم على الجمازات وحمل معه ما كان من آلة ومال في شرذمة قليلة وذلك يوم السبت لخمس بقين من
شهر رمضان سنة ثلاث وثمانين ومائتين فوجه اليه أمير خوارزم نائبا يقوم بخدمته وما يحتاج اليه الى ان يصل
خوارزم فوجده النائب في خف من أصحابه فقتله لسبع خلون من شوال يوم الجمعة سنة ثلاث وثمانين
وحز رأسه وحمله الى عمرو بن الليث وهو بنيسابور فأنفذ عمرو رأسه الى المعتضد بالله ولم يكن رافع
ابن هرثمة وانما هرثمة زوج أمه وانتسب رافع اليه لشهرته ورافع بن تومرد قال ابن جرير الطبري في

مناوجاء به الينا فلما وصل
الينا أنزل عن ظهره غرارة
وأخرج منها عدة بطاطيخ
ووضعها بين يدي وقال ان
الشيخ مصلح الدين المشتهر
بجراح زاده يسلم عليكم
ويقول لتأكلوا من هذه
ولتسيروا الى الطريق
الفلاني ولا تخرجوا بعد
ذلك الى السفر بغير زاد
وعدة فسألته عن مكانه
وعن سبب مجيئه فقال ان
وراء هذا الجبل قرية للشيخ
فيه ضيعة وكان مقيما فيها
اذ خرج من بيته وقال ان
المولى محيي الدين مدرس
المدرسة الفلانية فقد
الطريق وجهده العطش
ووقع في أمر عظيم فليقم
منكم أحد وليأخذ من هذه
البطاطيخ ما يحمل وليسارع
اليه وليدله على الطريق
فانه مقيم في الموضع الفلاني
فاجبت وقصدت نحوكم
فكان الامر كما رأيتم (وقد
حكى) واحد من مريديه
يسمى عثمان الرومي قال
أوقدت شمعة في بعض
الليالي وادخلتها حجرتي
ووضعتها على اسطوانة
وأخذت في شغلي فاخذني
النوم فلم أتنبه الا وقد
احترقت الاسطوانة وكادت
الحجرة ان تحترق منها
فدفعت النار وشكرت الله
تعالى في دفعها ولم يطلع
على ذلك أحد وما أخبرت
بذلك أحدا فلما أصبحت
وحضرت مجلس الشيخ
عاتبني وقال كدت ان

تاريخه في سنة ثلاث وثمانين وفي يوم الجمعة لثمان بقين من ذي القعدة قرئت الكتب على المنابر بقتل رافع بن هرثمة وقدم رسول عمرو بن الليث الصفار برأس رافع الى بغداد يوم الخميس لاربع خلون من المحرم سنة أربع وثمانين ومائتين على المعتضد فأمر بنصبه في الجانب الشرقي الى الظهر ثم تحويله الى الجانب الغربي بقية النهار الى الليل ثم ردوه الى دار السلطان قال السلامي وصلت خراسان الى شط جيحون لعمرو بن الليث (قلت) وقد مدح البحتري الشاعر المشهور رافع ابن هرثمة وكناه أبا يوسف في مديحه وأرسلها اليه فأرسل له عشرين ألف درهم وهو بالعراق قال السلامي ولما توجه عمرو بن الليث براس رافع ابن هرثمة الى المعتضد سأل أن يولوه عمل ماوراء النهر مثل ما كان برسم عبد الله بن طاهر فوعدوه بذلك ثم أرسل اليه المعتضد هدايا فوصلته وهو في نيسابور فابى ان يقبلها دون الوفاء بما وعدوه من توليه أعمال ماوراء النهر فكتب الرسول الى المكتفي بالله بن المعتضد وكان بالري وعنده جماعة من خواص أبيه بما سأله عمرو فانفذوا اليه العهد بها فحمل اليه العهد والهدايا التي سيرها له المعتضد بالله وامتنع من أخذها وكان في الهدايا سبعة دسوت خلع فوضعت بين يديه وأفاض عليه الرسول الخلع واحدة بعد أخرى وكلما لبس خلعة صلى ركعتين ثم وضع العهد قدامه فقال ماهذا قال هذا الذي سألته فقال عمرو وما اصنع به فان اسمعيل ابن أحمد لا يسلم الى ذلك الا بمائة ألف سيف فقال انت سألته فشمر الآن لتتولى العمل في ناحيته فاخذ العهد وقبله ووضعه بين يديه ثم انفذ عمرو الى الرسول ومن معه سبعمائة ألف درهم وصرفهم ثم جهز عمرو جيشا الى اسمعيل بن أحمد فعبر اسمعيل اليهم نهر جيحون وقاتلهم فقتل بعضهم بعضا وهزم الباقين وعمرو بن الليث الصفار في نيسابور وكانت الوقعة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شوال سنة ست وثمانين ومائتين وعاد اسمعيل الى بخارا وهي من أعمال ماوراء النهر قال السلامي انتدب عمرو بن الليث لمحاربة اسمعيل ابن أحمد ابن بشر فلما عبر اسمعيل جيحون دخل موسى السنجري على محمد بن بشر وهو يحلق رأسه فقال له هل استأذنت اسمعيل في حلق رأسك يعني ان رأسه لاسمعيل لانه انتصب لمحاربته فقال له محمد اعزب عني لعنك الله ثم تحاربوا من الغد ثم انكشف أصحاب ابن بشر وقبضوا عليه وحز رأسه في جملة سائر الرؤس وحملوها الى اسمعيل وادخلوا جماعة من أصحابه ليميزوا الرؤس عن رأس ابن بشر فاعلم بعضهم اسمعيل بما قال موسى السنجري لابن بشر فتعجب بما جرى الفال به وذكر الطبري في تاريخه في سنة سبع وثمانين ومائتين ما مثاله وفي يوم الاربعاء لخمس بقين من جمادى الاولى ورد كتاب فيما ذكر على السلطان انه كانت بين اسمعيل بن أحمد وبين عمرو بن الليث وقعة فأسر عمرا واستباح عسكره وكان من خبر عمرو واسمعيل ان عمرا سأل السلطان ان يوليه ماوراء النهر فولاه ذلك ووجه اليه وهو مقيم بنيسابور بالخلع على ماوراء النهر لمحاربة اسمعيل بن أحمد فكتب اليه اسمعيل انك قد وليت دنيا عريضة وأنا في يدي ماوراء النهر وانا في ثغر فاقنع بما في يدك واتركني مقيما بهذا الثغر فأبى اجابته الى ذلك وذكر له من أمر نهر بلخ وشدة عبوره فقال عمرو ولو شئت ان اسكره ببدر الاموال واعبره لفعلت فلما يئس اسمعيل من انصرافه عنه جمع من معه من الدهاقين وعبر النهر الى الجانب الغربي وجاء عمرو بن الليث فنزل بلخ وأخذ اسمعيل عليه النواحي فصار كالمحاصر وندم على مافعل وطلب المحاجزة فيما ذكر فأبى اسمعيل عليه ذلك ولم يكن بينهم قتال كثير حتى هزم عمرو فولى هاربا ومر بأجمة في طريقه قيل له انها اقرب فقال لعامة من معه امضوا في الطريق الواضح ومضى في نفر يسير فدخل الاجمة ووحلت به دابته فوقعت ولم يكن له في نفسه حيلة ومضى من معه ولم يلووا عليه وجاء أصحاب اسمعيل فاخذوه اسيرا فلما بلغ المعتضد ماجرى مدح اسمعيل وذم عمرا وقال يقلد أبو ابراهيم اسمعيل كل مافي يد عمرو ويوجه اليه بالخلع * ثم ذكر الطبري ايضا في سنة ثمان وثمانين ما مثاله وفي أول جمادى الاولى يوم الخميس ادخل عمرو بن الليث بغداد وذكر لي ان اسمعيل بن أحمد خيره بين المقام عنده أسيرا وبين توجيهه الى أمير المؤمنين فاختار توجيهه الى أمير المؤمنين فوجهه وقال السلامي في اخبار خراسان ثم خرج عمرو الى بلخ فلاقاه بها اسمعيل فهزمه وقبض عليه وذلك يوم الثلاثاء النصف من ربيع الاول سنة سبع وثمانين ومائتين وانفذه

تحترق بالبيت لاتعد الى مثل ذلك وكن على بصيرة وتحفظ في أمرك * ولما وصلنا من التحرير والتسطير الى هذا المقام عرض لنا أن نذكر نبذا من مناقب الاجلة الكرام الذين مر ذكرهم في عرض هذا الكلام مستمدا من أرواحهم الطيبة ومستدرا من سحائب بركاتهم الصيبة وقد ارتكب مافي التطويل من الكلفة والزحمة معتمدا على ماقيل عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة (فأولهم) بحسب سلسلة الطريقة وأقدمهم في الظاهر والباطن بحسب الحقيقة شهرة الديار والآفاق ولي الله تعالى بالاتفاق الشيخ محيي الدين وقد ولد ذلك الفحل النجيب بقصبة تسمى اسكليب ونشأ طالبا للمعارف والعلوم فدار في بلاد العجم والعرب والروم واجتمع مع كثير من الافاضل السادة وفاز منهم بالتلمذ والاستفادة وبرز في الفنون ومهر وتضلع من العلوم وتبحر ثم صرف عنان العزيمة عن العلوم الرسمية الى المعارف الالهية السمية واتصل بالمرشد السري الشيخ ابراهيم القيصري وهو من نخب خلفاء الشيخ المعروف بآق شمس الدين بين الانام وهو من خلص خلفاء الشيخ حاج

مقبلا

مقيدا الى سمرقند (قلت وهي من بلاد ماوراء النهر أيضا والنهر هو جيحون) قال وضم اليه أخاه أبا يوسف احدمه الى ان ورد عليه من عند المعتضد عبد الله بن الفتح بعهد خراسان واللواء والتاج والخلع في سنة ثمان وثمانين وقدم معه اشناس ليتولى حمل عمرو بن الليث الى بغداد فسلمه اسمعيل اليه فحمله وقال ابن أبي طاهر المذكور قبل هذا في تاريخه ان عمرو بن الليث الصفار انهزم وقتل خلق كثير من أصحابه وكانت الوقعة على باب بلخ يوم الاربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ربيع الآخر سنة سبع وثمانين ومائتين وقبل ذلك هرب ابن أبي ربيعة كاتب عمرو بن الليث الى اسمعيل بن أحمد ومعه قائد من قواده في خلق كثير فاصبح عمرو في يوم الوقعة وقد عرف الخبر ثم كثر هرب أصحابه الى اسمعيل فضعف قلب عمرو وهرب واشتغل اسمعيل بالعسكر وبعث في طلب عمرو جيشا فوجدوه واقفا على فرس فقبضوا عليه وسيره اسمعيل الى المعتضد واخبره بما جرى وانه سيره الى سمرقند حتى يرد عليه أمير المؤمنين فاشتد سرور الخليفة بذلك وقلد الخليفة اسمعيل ما كان مقلده عمرو مضافا الى عمله وتوجه عبد الله بن الفتح الى اسمعيل في طلب عمرو فلما وصل الى اسمعيل وجهه اليه فاحضر عمرا فقيده فأرسله والى جانبه رجل من أصحاب اسمعيل بيده سيف مشهور وقيل لعمرو ان تحركت في أمرك احد رمينا رأسك اليهم فلم يتحرك احد ووصلوا الى النهروان يوم الثلاثاء لثلاث بقين من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين وحل قيد عمرو فلما كان يوم الخميس مستهل جمادى الاولى ركب الجند للقائه وعمرو في القبة قد ارخى جلالها عليه فلما بلغ باب السلامة انزل عمرو من القبة والبس دراعة ديباج وبرنس السخط وحمل على جمل له سنامان يقال له اذا كان ضخما على هذه الصورة الفالج في غاية الارتفاع وكان عمرو قد اهداه فيما اهدى للخليفة وقد البس الجمل الديباج وحلي بذوائب وأرسان مفضضة وادخل بغداد فاشتقها في الشارع الاعظم الى دار الخليفة بقصر الحسني وعمرو رافع يديه يدعو ويتضرع دهاء منه فرقت له العامة وامسكت عن الدعاء عليه ثم ادخل الى الخليفة وقد جلس له واحتفل به فوقف بين يديه ساعة وبينهما قدر خمسين ذراعا وقال له هذا ببغيك يا عمرو ثم اخرج من بين يديه الى حجرة قد أعدت له وكان أخوه يعقوب الصفار قد تزوج امرأة من العرب من بلد سجستان فلما توفي يعقوب تزوجها أخوه عمرو ثم توفيت ولم تخلف ولدا وكان لها ألف وسبعمائة جارية قال بعضهم كنت عند أبي على الحسين بن محمد بن فهم المحدث فدخل رجل من أصحاب الحديث فقال له يا أبا علي رأيت عمرو بن الصفار امس على جمل فالج من الجمال التي كان أهداها عمرو ومنذ ثلاث سنين الى الخليفة فأنشد أبو علي

وحسبك بالصفار نبلا وعزة * يروح ويغدو في الجيوش أميرا

حباهم باجمال ولم يدر أنه * على جمل منها يقاد أسيرا

وعمل في ذلك علي بن محمد بن نصر بن بسام الشاعر المقدم ذكره

أيها المغتر بالدنـ * ـيا أما أبصرت عمرا ... اركب الفالج بعد الـ * ـملك والعزة قسرا

وعليه برنس للسخط اذلالا وقهرا ... رافعا كفيه يدعو الله اسرارا وجهرا

أن ينجيه من القتـ * ـل وأن يعمل صفرا

قال الطبري وتوفي المعتضد بالله ليلة الاثنين لثمان بقين من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين وتولى الخلافة ولده المكتفي بالله أبو محمد علي وكان غائبا في الرقة عند موت أبيه فقدم بغداد وأمر يوم الثلاثاء لثمان خلون من جمادى الآخرة من السنة المذكورة بهدم المطامير التي كان أبوه احتفرها لاجل الجرائم ومات عمرو بن الليث الصفار في غد هذا اليوم ودفن بالقرب من القصر الحسني وقد كان المعتضد عند موته لما امتنع من الكلام أمر بقتل عمرو بالايماء والاشارة ووضع يده على رقبته وعلى عينه أي اذبح الاعور وكان عمرو أعور فلم يفعل صافي الحرمي ذلك وهو الذي أمره المعتضد بقتله وانما امتنع من قتله لعلمه بحال المعتضد وقرب وفاته وكره قتل عمرو ولما دخل المكتفي بغداد سأل فيما قيل القاسم بن عبد الله عن عمرو أحي هو فقال نعم فسر بحياته وقال أريد أن أحسن اليه وكان عمرو يهدي الى المكتفي ويبر اليه برا كثيرا أيام

بيرام والشيخ محيي الدين المزبور وان كان بفضله المشهور وكماله الباهر وتقدمه الظاهر مصداق ماقلت (بيت)

حاز الفضائل والمآثر جمة ... لم تحص لو ذكرت بكل لسان

الا أني أتبرك بابداء نبذ من بحار مآثره وقطرة من سحاب سماء مفاخره وأثبت في آخر هذه التراجم المباركة رسالة من نتائج طبعه الشريف هدية لكل طالب جاب وماهر عريف (منها) ماحكاه الشيخ مصطفى رحمه الله تعالى اني ابتليت بالحمى وأنا في ست أو سبع من العمر وقد اشتدت بي حتى أشرفت على الموت فاتفق ان الشيخ محيي الدين المزبور جاء الى مدينة أدرنه فأخذ والدي بيدي وجاء بي الى مجلسه الشريف فقبلت يده وقمت بين يديه فسأل والدي فقال انه ابني مصطفى وقد ابتلي بالحمى الشديدة فأيسنا من حياته فنرجو في ذلك همتكم العالية فقال الشيخ اذهب به الى السوق واشتر له ثوبا من شعر الشاة وألبسه فانها تتركه ان شاء الله تعالى قال رحمه الله فذهب بي والدي الى السوق وفعل ما أوصاه به الشيخ فتركتني الحمى من اليوم ولم تعد الي مادمت ألبس هذا الثوب (ومنها) مارواه المنولي العلامة محيي الدين المشتهر بأخي زاده قال اجتمعت

مقامه بالرى فى حياة أبيه المعتضد فذكران القاسم كره سؤاله عنه ودس اليه من قتله وكانت مدة مملكته اثنتين وعشرين سنة تقريبا (قلت) وانما قيل ليعقوب الصفار لانه كان يعمل الصفر وهو النحاس وهو بضم الصاد المهملة وسكون الفاء وبعدها راء وكان أخوه عمرو يكرى الحمير (حكى) شيخ من الصفارين قال كان يعقوب وهو غلام فى دكانه يتعلم عمل الصفر ولم أزل أتأمل بين عينيه وهو صغير ما آل أمره اليه قيل له وكيف ذلك قال ما تأملته قط من حيث لا يعلم بتأملى اياه الا وجدته مطرقا اطراق ذى همة وفكر وروية فكان من أمره ما كان وقال على بن المرزبانى الاصفهانى الكاتب سألت بعض أصحاب بنى الصفار عن عمرو بن الليث أخى يعقوب الصفار وصناعته وعمرو يومئذ محبوس بمدينة السلام فسكت عنى فلما توفى عمرو قال لى كنت سألتنى عن عمرو وصناعته ولم يكن من الحزم اخبارك وهو يرجى ويخشى فاعلم الآن انه لم يزل مكاريا الى أن عظم شأن أخيه يعقوب وتمكن من خراسان فلحق به وترك اكراء الحمير (قلت) ذكر جماعة من أرباب التواريخ فى كتبهم ان أبا أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعى المقدم ذكره فى هذا التاريخ كان يقول عجائب الدنيا ثلاث جيش العباس بن عمرو الغنوى يؤسر العباس وحده وينجو من القتل ثم يطلق ويقتل جميع جيشه وكانوا عشرة آلاف وجيش عمرو بن الليث يؤسر عمرو وحده ويموت فى السجن ويسلم جميع جيشه وكانوا خمسين ألفا وأنا أترك فى بيتى بطالا وولى ابنى العباس الجسرين ببغداد (قلت) وكان من حديث العباس بن عمرو الغنوى ان القرامطة لما اشتد أمرهم وانتشروا فى البلاد وبالغوا فى القتل أرسل اليهم المعتضد بالله فى سنة سبع وثمانين ومائتين جيشا مقدمه العباس المذكور فأسره أبو سعيد القرمطى رئيس القرامطة فى الوقعة وأسر جميع من معه من الجيش وفى اليوم الثانى من الوقعة احضر أبو سعيد القرمطى الاسرى فقتلهم بأسرهم وأحرقهم وأطلق العباس فجاء الى المعتضد وحده وكان ذلك فى آخر شعبان من السنة وكانت الوقعة بين البصرة والبحرين وهى قصة طويلة مشهورة وهذا خلاصتها اذ ليس هذا موضع التطويل فى شرحها وسيأتى ذكرها مع الاستقصاء فى التاريخ الكبير ان شاء الله تعالى (قلت) والبيتان المذكوران قبل هذا وانهما مكتوبان على قبر يعقوب الصفار وآخر البيت الاول منهما * وما كنت من ملك العراق بآيس * هذا نصف بيت من جملة أبيات ترنم بها معاوية بن أبى سفيان الاموى لما تغلب على الشام وجاءه جرير بن عبد الله البجلى برسالة من على بن أبى طالب رضى الله عنه وكان على اذ ذاك مقيما بالكوفة فلما أدى جرير الرسالة الى معاوية وانفض المجلس أمر معاوية بنزول جرير فى مكان قريب منه وجعل يترنم بهذه الابيات تلك الليلة ليسمع جرير فيعيد ذلك على على رضى الله عنه والابيات المشار اليها هى

تطاول ليلى واعترانى وساوسى * لآت أتى بالترهات البسابس * أتانى جرير والحوادث جمة بتلك التى فيها اجتداع المعاطس * أكايدها والسيف بينى وبينه * ولست لأثواب الدنى بلابس ان الشام أعطت طاعة يمنية * تواصفها أشياخها فى المجالس * فان يفعلوا أصدم عليا بجبهة تغث عليه كل رطب ويابس * وانى لأرجو فوق ما أنا سائل * وما أنا من ملك العراق بآيس

(قلت) الترهات بضم التاء المثناة من فوقها وتشديد الراء وبعد الهاء والالف تاء ثانية والبسابس بفتح الباء الموحدة وبعدها سين مهملة وبعد الالف باء ثانية مكسورة ثم سين ثانية وهى الباطل وأصل الترهات الطرق الصغار غير الجادة تتشعب عنها الواحدة ترهة فارسى معرب ثم استعير فى الباطل فقيل الترهات البسابس والجبهة الخيل والجبهة الجماعة من الناس أيضا فكأنه قال اصدمه بالخيل والرجال والباقى معروف لا حاجة الى تفسيره ورأيت بخط بعض أهل هذا الفن ان عمرو بن الليث لما أسر ملك بعده بلاد فارس حفيده طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث المذكور لاثنتى عشرة ليلة بقيت من صفر سنة ثمان وثمانين ومائتين ثم قبض عليه غلام جده سبك السبكرى فى سنة ست وتسعين ومائتين ومعه أخوه يعقوب بن محمد وبعث بهما الى مدينة السلام ثم ولى بعده الليث بن على بن الليث وهو ابن أخى يعقوب وعمرو بن الليث المذكورين كان

يوما بالشيخ العارف بالله محيى الدين المشهور بحكيم جابى فتحادثنا زمانا وانجر الكلام الى ذكر المشايخ فقال المرحوم كيف اعتقادكم فى الشيخ محيى الدين الاسكليبى فقلت انى وان كنت حسن الظن وجميل الاعتقاد فيه الا أنى لم أطلع على شئ من مآثره فقال المرحوم فاعلم انه كان رحمه الله من الرجال الكاملين مملوأ بالمعارف الالهية من فرقه الى قدمه وروحه المطهرة متصرفة الآن فى هذه الاقطار وان أرباب السلوك وطلبة المعارف الالهية مستفيدون من معارفه الجليلة وأنا أخبركم بما وقع لى بينما أنا قاعد فى المحراب بعد صلاة الصبح والمريدون مشتغلون بالاوراد وفى المسجد أيضا أناس غيرهم فاذا بالشيخ محيى الدين المزبور دخل من باب المسجد وفى يده ثوب مخصوص للشيوخ البيرامية فلما رأيته قمت اجلالا فجاء الى وسلم على فرددت سلامه فقال ان هذا الثوب الذى فى يدى أرسله اليك سيدنا وسيد الانام محمد عليه الصلاة والسلام لألبسكم اياه فتهيأت فلما تهيأت ألبسنى هذا الثوب فلما لبسته حصل لى من الفتوح والكشوف ما لا يحتمله البيان ثم قال بارك الله لك فى بلوغك هذه المرتبة

تغلب على بلاد سجستان فى سنة ست وتسعين ومائتين وجرى بين سبك السبكرى وطاهر بن محمد المذكور ما جرى واستقرت البلاد بيد السبكرى فاستخلف الليث المذكور على سجستان اخاه المعدل بن الليث وسار الى بلاد فارس فهرب السبكرى منه يطلب من الخليفة النجدة فجرد المقتدر بالله الجيوش فى شهر رمضان سنة ست وتسعين وقدم عليهم مؤنسا المظفر وبدرا الكبير والحسين بن حمدان والتقوا مع الليث بن على فانهزم جيشه وأسر هو وأخوه محمد وابنا اسمعيل وعاد مؤنس الى بغداد ومعه الاسرى فى المحرم سنة سبع وتسعين وشهر الليث بن على على الفيل وولى المعدل بن على بن الليث على سجستان فسار اليه أحمد بن اسمعيل السامانى فى خلق كثير من الفارس والراجل فأخذ منها البلاد ثم ملك سبك السبكرى الصفارى مدة ثم حمل معه محمد بن على بن الليث الى بغداد وانقضى أمر الصفارية والله أعلم

(ابو يوسف يعقوب بن أبى يعقوب يوسف بن أبى محمد عبد المؤمن بن على القيسى الكومى صاحب بلاد المغرب)

قد تقدم ذكر جده عبد المؤمن وسيأتى ذكر أبيه يوسف ان شاء الله تعالى كان صافى السمرة جدا الى الطول ما هو جميل الوجه أفوه أعين شديد الكحل ضخم الاعضاء جهورى الصوت جزل الالفاظ من أصدق الناس لهجة وأحسنهم حديثا وأكثرهم اصابة بالظن مجربا للامور ولى وزارة أبيه فبحث عن الاحوال بحثا شافيا وطالع مقاصد العمال والولاة وغيرهم مطالعة افادته معرفة جزئيات الامور ولما مات أبوه فى التاريخ الآتى فى ترجمته ان شاء الله تعالى اجتمع رأى أشياخ الموحدين وبنى عبد المؤمن على تقديمه فبايعوه وعقدوا له الولاية ودعوه أمير المؤمنين كأبيه وجده ولقبوه المنصور فقام بالامر أحسن قيام وهو الذى أظهر أبهة ملكهم ورفع راية الجهاد ونصب ميزان العدل وبسط أحكام الناس على حقيقة الشرع ونظر فى أمور الدين والورع والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وأقام الحدود حتى فى أهله وعشيرته الاقربين كما أقامها فى سائر الناس أجمعين فاستقامت الاحوال فى أيامه وعظمت الفتوحات ولما مات أبوه كان معه فى الصحبة فباشر تدبير المملكة من هنالك وأول ما رتب قواعد بلاد الاندلس فاصلح شأنها وقرر المقاتلين فى مراكزها ومهد مصالحها فى مدة شهرين وأمر بقراءة البسملة فى أول الفاتحة فى الصلوات وأرسل بذلك الى سائر بلاد الاسلام التى فى مملكته فأجاب قوم وامتنع آخرون ثم عاد الى مراكش التى هى كرسى ملكهم فخرج عليه على بن اسحق بن محمد بن على بن غانية المستولى الملثم من جزيرة ميورقة فى شعبان سنة ثمانين وملك بجاية وما حولها فجهز اليه الامير يعقوب عشرين ألف فارس وأسطولا فى البحر ثم خرج بنفسه فى أول سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة فاستعاد ما أخذ من البلاد ثم عاد الى مراكش وفى سنة ست وثمانين بلغه ان الفرنج ملكوا مدينة شلب وهى فى غرب جزيرة الاندلس فتجهز اليها بنفسه وحاصرها وأخذها وأنفذ فى الوقت جيشا من الموحدين ومعه جماعة من العرب ففتحوا أربع مدن من بلاد الفرنج كانوا قد أخذوها من المسلمين قبل ذلك بأربعين سنة وخافه صاحب طليطلة وسأله الصلح فصالحه خمس سنين وعاد الى مراكش فلما انقضت مدة الهدنة ولم يبق منها سوى القليل خرجت طائفة من الفرنج فى جيش كثيف الى بلاد المسلمين فنهبوا وسبوا وعاثوا عيثا فظيعا فانتهى الخبر الى الامير يعقوب وهو بمراكش فتجهز لقصدهم فى جحفل عرمرم من قبائل الموحدين والعرب واحتفل وجاز الى الاندلس وذلك فى سنة احدى وتسعين وخمسمائة فعلم الفرنج به فجمعوا خلقا كثيرا من أقاصى بلادهم وأدانيها وأقبلوا نحوه (قلت) ورأيت بدمشق فى أواخر سنة ثمان وستين وستمائة جزأ بخط الشيخ تاج الدين عبد الله بن حمويه شيخ الشيوخ كان بها وكان قد سافر الى مراكش وأقام بها مدة وكتب فصولا تتعلق بتلك الدولة فمن ذلك فصل يتعلق بهذه الوقعة فينبغى ذكره ههنا * فقال لما انقضت الهدنة بين الامير أبى يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن صاحب المملكة الغربية وبين الاذفونش الفرنجى صاحب غرب جزيرة الاندلس وقاعدة مملكته يومئذ طليطلة وذلك فى أواخر سنة تسعين وخمسمائة عزم الامير يعقوب وهو حينئذ بمراكش على التوجه الى جزيرة الاندلس لمحاربة الفرنج وكتب

السنية فانه كمل طريقك وانتهى أمرك ثم خرج من المسجد وغاب من فوره وبقى على الثوب وكنت ظننت ان جميع الحاضرين اطلعوا على هذه الاحوال فاذا هم غافلون عن جميع ما جرى بيننا ولم يطلعوا على مجىء الشيخ ولم يروا قيامى له قال رحمه الله وقد لبست هذا الثوب مدة حتى تخرق على وخلفته فى البيت (قلت) وهذا غير مستبعد من أمثال أولئك الفحول وقد وقع نظائره لافراد الناس (منها) ما حكاه الشيخ محيى الدين أحمد بن ابراهيم النحاس الدمشقى فى كتابه المسمى بمشارع الاشواق قال توجهت الى الاسكندرية فى سنة احدى وثمانمائة فمررت برشيد فرافقنى جماعة من اعيانها فمررنا بتل يعرف بتل بورى وقد كان حصل فيه معركة بين المسلمين والفرنج واستشهد به جماعة فحكوا عن رجل من أهل رشيد وأثنوا عليه خيرا أنه مر ليلة بهذا التل فوجد به عسكرا وخياما ونيرانا فظن انه السركجاه من القاهرة ونزل هنالك قالوا فدخل بينهم فسألوه الى أين تتوجه فاخبرهم انه متوجه الى القاهرة فقال له بعضهم انى مرسل معك كتابا الى أهلى فاوصله اليهم ثم كتب الكتاب ودفعه اليه وعرفه أمارة بينه وبين أهله قال

الى ولاة الاطراف وقواد الجيوش بالحضور وخرج الى مدينة سلا ليكون اجتماع العساكر بظاهرها فاتفق انه مرض مرضا شديدا حتى أيس منه أطباؤه فتوقف الحال عن تدبير ذلك الجيش فحمل الامير يعقوب الى مراكش فطمع المجاور ونله من العرب وغيرهم في البلاد وعاثوا فيها وأغاروا على النواحي والاطراف وكذلك فعل الاذفونش فيما يليه من بلاد المسلمين بالاندلس واقتضى الحال تفرقة جيوش الامير يعقوب شرقا وغربا واشتغلوا بالمدافعة والممانعة فكثر طمع الاذفونش في البلاد وبعث رسولا الى الامير يعقوب يتهدد ويتوعد ويطلب بعض الحصون المتاخمة له من بلاد الاندلس وكتب اليه رسالة من انشاء وزير له يعرف بابن الفخار وهي باسمك اللهم فاطر السموات والارض وصلى الله على السيد المسيح روح الله وكلمته الرسول الفصيح أما بعد فانه لا يخفى على ذي ذهن ثاقب ولا ذي عقل لازب انك أمير الملة الحنيفية كما أني أمير الملة النصرانية وقد علمت الآن ما عليه رؤساء أهل الاندلس من التخاذل والتواكل واهمال الرعية واخلادهم الى الراحة وأنا أسومهم بحكم القهر وخلاء الديار وأسبي الذراري وأمثل بالرجال ولا عذر لك في التخلف عن نصرهم اذا أمكنتك يد القدرة وأنتم تزعمون أن الله تعالى فرض عليكم قتال عشرة منا بواحد منكم فالآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا ونحن الآن نقاتل عشرة منكم بواحد منا لا تستطيعون دفاعا ولا تملكون امتناعا وقد حكى لي عنك انك أخذت في الاحتفال وأشرفت على ربوة القتال وتماطل نفسك عاما بعد عام تقدم رجلا وتؤخر أخرى فلا أدري أكان الجبن قد أبطأ بك أم التكذيب بما وعدربك ثم قيل لي انك لا تجد الى جواز البحر سبيلا لعلة لا يسوغ لك التقحم معها وها أنا أقول لك ما فيه الراحة لك وأعتذر لك وعنك على أن تفي بالعهود والمواثيق والاستكثار من الرهاب وترسل الي جملة من عبيدك بالمراكب والشواني والطرائد والمسطحات وأجوز بحماتي اليك فأقاتلك في أعز الاماكن لديك فان كانت لك فغنيمة كبيرة جلبت اليك وهدية عظيمة مثلت بين يديك وان كانت لي كانت يدي العليا عليك واستحقبت امارة الملتين والحكم على البرين والله تعالى يوفق للسعادة ويسهل الارادة لا رب غيره ولا خير الا خيره ان شاء الله تعالى فلما وصل كتابه الى الامير يعقوب مزقه وكتب على ظهر قطعة منه ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون الجواب ما ترى لا ما تسمع وكتب اليه

ولا كتب الا المشرفية والقنا * ولا رسل الا الخميس العرمرم

قلت وهذا البيت للمتنبي ثم أمر بكتب الاستنفار واستدعى الجيوش من الامصار وضرب السرادقات بظاهر البلد من يومه وجمع العساكر وسار الى البحر المعروف بزقاق سبتة فعبر فيه الى الاندلس وسار الى أن دخل بلاد الفرنج وقد اعتدوا واحتشدوا وتأهبوا فكسرهم كسرة شنيعة وذلك في سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة انتهى ما نقلته من الجزء المذكور (قلت) ثم وجدت في كتاب تذكرة العاقل وتنبيه الغافل تأليف أبي الحجاج يوسف بن محمد بن ابراهيم الانصاري البياسي هذه المكاتبة وجوابها قد كتبها الاذفونش ابن فردكند الى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين الآتي ذكره بعد هذا ان شاء الله تعالى وجواب يوسف على هذه الصورة أيضا والله أعلم (قلت) وذكر البياسي بعد هذا ما يدل على انه نقلها من خط ابن الصيرفي الكاتب المصري فان كان كذلك فما يمكن أن تكون هذه الرسالة الى يعقوب بن يوسف لان ابن الصيرفي متقدم التاريخ على زمان يعقوب بكثير والله أعلم ورأيت جماعة من فضلاء المغاربة ينكرون هذا التاريخ ويذكرون ما نشرحه ان شاء الله تعالى وهو ان الفرنج جمعوا جمعا عظيما وقصدوه وبلغ الامير يعقوب خبر مسيرهم وكثرة جموعهم فهاله ذلك وجد في السير نحوهم حتى التقوا في شمالي قرطبة على قرب قلعة رباح في مرج الحديد وفيه نهر رشيقة فعبر الى منزله الفرنج وصافهم وذلك يوم الخميس التاسع من شعبان سنة احدى وتسعين وخمسمائة واقتفى في ذلك طريقة أبيه وجده فانهما أكثر ما كانوا يصافون يوم الخميس ومعظم حركاتهم في صفر ووقع القتال وبرزت الابطال وصبرت الرجال فأمر الامير يعقوب فرسان الموحدين وأمراء العرب أن يحملوا ففعلوا وانهزم الفرنج وعمل فيهم السيف واستأصلهم وما نجا ملكهم الا في نفر يسير

فلما وصلت الى القاهرة سألت عن البيت فارشدت اليه فلما طرقت الباب قالوا ما تريد قلت معي كتاب من فلان فقالوا أنت مجنون ان فلانا قتل في الوقعة برشيد منذ سنين فلما ذكرت لهم الامارة عرفوا صدقي ودفعت اليهم الكتاب فتعجبوا لذلك غاية التعجب انتهى كلامه * وله في هذا الباب نظائر كثيرة أضربنا عن ذكرها (ومن كرامته) قدس سره ما حكاه الشيخ علاء الدين المذكور وهو سبب دخوله في سلك التصوف فانه كان رحمه الله في أوائل أمره من افراد السلطان بايزيد خان فاتفق انه غزا مرة بعض بلاد الكفار فسافر هو معهم ولما قفلوا من هذه الغزوة أخذهم في أثناء الطريق برد شديد وأمطار كثيرة وسحائب هاطلة وسيول هائلة فر المرحوم قبل المغرب بقرية ليضيف أهلها فابوا أن يضيفوه فذهب عنها وقد أقبل بسواده الليل وأمطار السماء وكثر السيل وأمسى كل واد كالبحر العظيم ونزل من السماء العذاب الاليم والشيخ علاء الدين المسفور مجد على المسير والذهاب متوكلا على الملك الوهاب فانتهى مسيره الى نهر يعرف بالنهر الاسود وقد استمد ذلك النهر من السيول الجارية والامطار النازلة

ولولا

ولولا دخول الليل لم يبق منهم أحد وغنم المسلمون أموالهم حتى قيل ان الذي حصل لبيت المال من دروعهم ستون ألف درع وأما الدواب على اختلاف أنواعها فلم يحصر لها عدد ولم يسمع في بلاد الاندلس بكسرة مثلها ومن عادة الموحدين انهم لا يأسرون مشركا محاربا ان ظفروا به ولو كان ملكا عظيما بل تضرب رقابهم كثروا أو قلوا فلما أصبح جيش المسلمين اتبعوهم فالفوهم قد أخلوا قلعة رباح لما داخلهم من الرعب فملكها الامير يعقوب وجعل فيها واليا وجيشا ولكثرة ما حصل له من الغنائم لم يمكنه الدخول الى بلاد الفرنج في ذلك الوقت فعاد الى مدينة طليطلة وحاصرها وقاتلها أشد قتال وقطع أشجارها وشن الغارات على بلادها وأخذ من اعمالها حصونا كثيرة وقتل رجالها وسبى حريمها وخرب بنيانها وهدم أسوارها وترك الفرنج في أسوأ حال ولم يبرز اليه أحد من المقاتلة ثم رجع اشبيلية وأقام بها الى أثناء سنة ثلاث وتسعين فعاد الى بلاد الفرنج مرة ثالثة وفعل فيها كفعله المتقدم فلم يبق للفرنج قدرة على لقائه وضاقت عليهم الارض بما رحبت فارسلوا اليه يلتمسون منه الصلح فاجابهم الى ذلك لما بلغه من أخبار علي بن اسحق الميورقي المقدم ذكره في هذه الترجمة فانه كان قد خرج على بلاد افريقية وخرب أكثر بلادها وتوجه نحو الفرنج وسوّلت له نفسه النزول على بجاية لما علمه من اشتغال الامير يعقوب بجزيرة الاندلس والجهاد فيها وتأخره عن بلاد المغرب مدة ثلاث سنين فأوقع الصلح بينه وبين ملوك بلاد الاندلس جميعا على ما اختاروه ولمدة خمس سنين ثم عاد الى مراكش في أواخر سنة ثلاث وتسعين ولما وصل اليها أمر باتخاذ الاحواض والزوايا وآلات السفر للتوجه الى بلاد افريقية فاجتمع اليه مشايخ الموحدين وقالوا له يا سيدنا قد طالت غيبتنا بالاندلس فنا من له خمس سنين وغير ذلك فتنعم علينا بالمهلة هذا العام وتكون الحركة في أول سنة خمس وتسعين فاجابهم الى سؤالهم وانتقل الى مدينة سلا وشاهد ما فيها من المتنزهات المعدة له وكان قد بنى بالقرب من المدينة المذكورة مدينة عظيمة سماها رباط الفتح على هيئة الاسكندرية في الاتساع وحسن التقسيم واتقان البناء وتحصينه وتحسينه وبناها على البحر المحيط الذي هناك وهي على نهر سلا مقابلة لها من البر القبلي وطاف تلك البلاد وتنزه فيها ثم رجع الى مراكش (قلت) وبعد هذا اختلفت الروايات في أمره فمن الناس من يقول انه ترك ما كان فيه وتجرد وساح في الارض حتى انتهى الى بلاد الشرق وهو مستخف لا يعرف ومات خاملا ومنهم من يقول انه لما رجع الى مراكش كما ذكرناه توفي غرة جمادى الاولى وقيل في شهر ربيع الآخر في سابع عشر وقيل في غرة صفر ولم ينقل شيء من أحواله بعد ذلك الى حين وفاته سنة خمس وتسعين وخمسمائة بمراكش وقيل بمدينة سلا رحمه الله تعالى وكانت ولادته على ما ذكره ليلة الاربعاء رابع شهر ربيع الاول سنة أربع وخمسين وخمسمائة رحمه الله تعالى (قلت) ثم حكى لي جمع كثير بدمشق في شهر شوال سنة ثمانين وستمائة ان بالقرب من المجدل البليدة التي من اعمال البقاع العزيزي قرية يقال لها حمارة والى جانبها مشهد يعرف بقبر الامير يعقوب ملك الغرب وكل أهل تلك النواحي متفقون على ذلك وليس عندهم فيه خلاف وهذا القبر بينه وبين المجدل مقدار فرسخين من جهتها القبلية بغرب والله أعلم وكان ملكا جوادا عادلا متمسكا بالشرع المطهر يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر كما ينبغي من غير محاباة ويصلي بالناس الصلوات الخمس ويلبس الصوف ويقف للمرأة وللضعيف ويأخذ لهم بالحق وأوصى أن يدفن على قارعة الطريق ليترحم عليه من يمر به وسمعت عنه حكاية يليق ان نذكرها هنا وهي ان الامير الشيخ أبا محمد عبد الواحد ابن الشيخ أبي حفص عمر والد الامير أبي زكريا يحيى بن عبد الواحد صاحب افريقية كان قد تزوج أخت الامير يعقوب المذكور وأقامت عنده ثم جرت بينهما منافرة فجاءت الى بيت أخيها الامير يعقوب فسير الامير عبد الواحد في طلبها فامتنعت عليه فشكا الامير عبد الواحد الى قاضي الجماعة بمراكش وهو القاضي أبو عبد الله محمد بن علي بن مروان فاجتمع القاضي المذكور بالامير يعقوب وقال له ان الشيخ أبا محمد عبد الواحد يطلب أهله فسكت الامير يعقوب ومضى على ذلك أيام ثم ان الشيخ عبد الواحد اجتمع بالقاضي المذكور في قصر الامير يعقوب بمراكش وقال له أنت قاضي المسلمين وقد طلبت أهلي فما جاؤني فاجتمع القاضي بالامير يعقوب وقال له يا أمير المؤمنين الشيخ عبد

فاشتد طغيانه وعظم عصيانه وغيب الجسر المبني عليه وانبسط في أكناف الوادي فدخل المرحوم أوائل الماء غافلا عما وراءه من كثرة المياه بسبب ظلمة الليل وتراكم السحب ولما ذهب في الماء زمانا زاد ارتفاع الماء حتى غلب على دابته فخشي الغرق فعزم على العود فقصد الطريق الذي جاء منه فاستولى عليه الحيرة والاضطراب ولم يشك في الهلاك والتباب فاخذ في التضرع والاستغفار منتظرا للموت والتبار فاذا بصوت من ورائه فالتفت اليه فاذا هو رجل على هيئة واحد من أرباب السفر فسلم على الشيخ علاء الدين وقال فقد تم الطريق ووقعتم في المضيق فقال الشيخ نعم فسبقه الرجل وقال للشيخ سر ولا تتخلف عن أثري فسار الرجل والشيخ سائر في أثره الى أن وصلوا الجسر وعبروه وساروا في الماء الى أن نزل الماء الى ركب الدواب قال الشيخ فالتفت الرجل وأشار بيده الى ناحية فقال سر الى هذه الجهة تنج ان شاء الله تعالى فاذا برق خطف بصري ولما عاد نظرت اليه فلم أره فسرت الى هذه الناحية وخلصت من تلك الورطة الهائلة وأنا في غاية العجب من حال الرجل الدليل ودلالته الى السبيل قال

الواحد قد طلب أهله مرة وهذه الثانية فسكت الامير يعقوب ثم بعد ذلك بمدة لقى الشيخ عبد الواحد القاضى بالقصر المذكور وقد جاء الى خدمة الامير يعقوب فقال له يا قاضى المسلمين قد قلت لك مرتين وهذه الثالثة أنا أطلب أهلى وقد منعونى عنهم فاجتمع القاضى بالامير يعقوب وقال له يا مولانا ان الشيخ عبد الواحد قد تكرر طلبه لاهله فاما ان تسير اليه أهله والا فاعزلنى عن القضاء فسكت الامير يعقوب وقيل انه قال له يا أبا عبد الله ماهذا الاجد كبير ثم استدعى خادما وقال له فى السر تحمل أهل الشيخ عبد الواحد اليه فحملت اليه فى ذلك النهار ولم يتغير على القاضى ولا قال له شيأ يكرهه وتبع فى ذلك حكم الشرع المطهر وانقاد لاوامره وهذه حسنة تعدله وللقاضى أيضا فانه بالغ فى اقامة منار الشرع والعدل وكان الامير أبو يوسف يعقوب يشدد فى الزام الرعية باقامة الصلوات الخمس وقتل فى بعض الاحيان على شرب الخمر وقتل العمال الذين تشكو الرعايا منهم وأمر برفض فروع الفقه وان الفقهاء لا يفتون الا بالكتاب والسنة النبوية ولا يقلدون أحدا من الائمة المجتهدين المتقدمين بل تكون أحكامهم بما يؤدى اليه اجتهادهم من استنباطهم القضايا من الكتاب والحديث والاجماع والقياس ولقد أدركنا جماعة من مشايخ المغرب وصلوا الينا بالبلاد وهم على ذلك الطريق مثل أبى الخطاب بن دحية وأخيه أبى عمرو ومحيى الدين بن العربى نزيل دمشق وغيرهم وكان يعاقب على ترك الصلوات ويأمر بالنداء فى الاسواق بالمبادرة اليها فمن غفل عنها أو اشتغل بمعيشته عزره تعزيرا بليغا وكان قد عظم ملكه واتسعت دائرة سلطنته حتى انه لم يبق بجميع أقطار بلاد المغرب من البحر المحيط الى برقة الا من هو فى طاعته وداخل فى ولايته الى غير ذلك من جزيرة الاندلس وكان محسنا محبا للعلماء مقربا للادباء مصغيا الى المدح مثيبا عليه وله ألف أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجراوى كتابه الذى سماه صفوة الادب وديوان العرب فى مختار الشعر وهو مجموع مليح أحسن فى اختياره كل الاحسان والى الامير يعقوب تنسب الدنانير اليعقوبية المغربية وكان قد أرسل اليه السلطان صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن أيوب الآتى ذكره ان شاء الله تعالى رسولا من بنى منقذ فى سنة سبع وثمانين وخمسمائة يستنجده على الفرنج الواصلين من بلاد المغرب الى الديار المصرية وساحل الشام ولم يخاطبه بأمير المؤمنين بل خاطبه بامير المسلمين فعز ذلك عليه ولم يجبه الى ما طلبه منه والرسول المذكور هو شمس الدولة أبو الحرث عبد الرحمن بن نجم الدولة أبى عبد الله محمد بن مرشد وقد سبق فى ترجمة عمه اسامة بن منقذ تتمة نسبه هكذا ذكره الحافظ زكى الدين عبد العظيم المنذرى فى كتاب الوفيات وقال توفى سنة ستمائة بالقاهرة ومولده فى شيزر سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة وله نظم ونثر (رجعنا الى حديث يعقوب) وكان من شعراء دولته أبو بكر يحيى بن عبد الجليل بن عبد الرحمن بن مجبر الاندلسى المرسى ولقد نظرت فى ديوانه فوجدت أكثر مدائحه فى الامير يعقوب فمن ذلك قوله

أتراه يترك الغزلا * وعليه شب واكتهلا * كلف بالغيد ما عقلت
نفسه السلوان مذ عقلا * غير راض عن سجية من * ذاق طعم الحب ثم سلا
أيها اللوام ويحكمو * ان لى عن لومكم شغلا * ثقلت عن لومكم أذن
لم يجد فيها الهوى ثقلا * تسمع النجوى وان خفيت * وهى ليست تسمع العذلا
نظرت عينى لشقوتها * نظرات وافقت أجلا * غادة لما مثلت لها
تركتنى فى الهوى مثلا * هى زينى الشباب فقد * صار فى أجفانها كحلا
أبطل الحق الذى بيدى * سحر عينيها وما بطلا * عرضت دلا فاذ فطنت
بولوعى أعرضت خجلا * وبدا لى انها وجلت * من هنات تبعث الوجلا
حسبت انى سأحرقها * اذ رأت رأسى قد اشتعلا * ياسراة الحى مثلكمو
يتلافى الحادث الجللا * قد نزلنا فى جواركمو * فشكرنا ذلك النزلا
ثم واجهنا ظباءكمو * فلقينا الهول والوهلا * أضمنتم أمن جيرتكم

مثل

وحمه الله ثم انى لما وصلت الى محمية أدرنه ومضى على أيام وأخذ العساكر السلطانية يجيؤن اليها اجتمع على طائفة من أهل المحلة واتفقوا على ضيافة فسألتهم عن سببها فقالوا ان للسلطان شيخا يقال له الشيخ محيى الدين الاسكليبى رجل شريف من أولياء الله تعالى نقصد التبرك بصحبته والتشرف برؤيته قال الشيخ فدخلت فيهم وكنت من جملة أرباب الضيافة ثم انهم أحضروا الطعام وهيؤا المجلس ودعوا الشيخ المسفور فأجاب دعوتهم وحضر مجلسهم فاذا هو الشخص الذى ظهر لى فى تلك الليلة الشديدة وكان سببا لخلاصى من هذه الورطة العظيمة قال المرحوم فصبرت حتى تم المجلس وتفرق أربابه فذهبت اليه وقبلت رجله فقال من أنت فقلت هو الذى خلصته من تلك الورطة فى الموضع الفلانى والليلة الفلانية وعرضت عليه القصة بتمامها فأنكرها وتغير على وقال غلطت ووهمت وافتريت على فقلت له ياسيدى عندى من اليقين والجزم ما لا يزول بامثال هذه الكلمات فلم يمكن الا الاعتراف فقربنى اليه وأقر بالقصة ووصانى بالسر وعدم الاشاعة والافشاء فما قمت من هذا المجلس الا وقد حصل لى

مثل ما أمنتم السبلا * وأردتم عضب أنفسهم * فبثثتم بينها المقلا
ليتناخضنا السيوف ولم * نلق تلك الاعين النجلا * عارضتنا منكم فئة
أحدثت فى عهدنا دخلا * ثعليات جفونهمو * وهمو لم يعرفوا ثعلا
أشرعوا الاعطاف ناعمة * حين أشرعن القنا الذبلا * واستفزتنا عيونهمو
فخلعنا البيض والاسلا * ورمتنا بالسهام فلم * نر الا الحلى والحللا
نصروا بالحسن فانتهبوا * كل قلب بالهوى جذلا * عطلتنى الغيد من جلدى
وأنا حليتها الغزلا * حملت نفسى على منن * سمتها صبرا فما احتملا
ثم قالت سوف تتركها * سلبا للحب أو نفلا * قلت أما وهى قد علقت
بامير المؤمنين فلا * ماعدا نامثلها ملكا * من رآه أدرك الأملا
اودع الاحسان صفحته * ماء بشر ينقع العللا * فاذا ما الجود حركه
* فاض فى يمناه فانهملا *

قلت وهى قصيدة طويلة عدد أبياتها مائة وسبعة أبيات فنقتصر منها على هذا المقدار وكانت وفاة هذا الشاعر يوم الاضحى فى سنة سبع وثمانين وخمسمائة بمراكش وهو ابن ثلاث وخمسين سنة ودخل الاديب أبو اسحق ابراهيم بن يعقوب الكانمى الاسود الشاعر على الامير يعقوب فانشده

أزال حجابه عنى وعينى * تراه من المهابة فى حجاب
وقربنى تفضله ولكن * بعدت مهابة عند اقترابى

وكانم بكسر النون جنس من السودان وهم بنو عم تكرور وكل واحدة من هاتين القبيلتين لا تنسب الى أب ولا أم وانما كانم اسم بلدة بنواحى غانة وهى دار ملك السودان الذين بجنوب الغرب فسمى هذا الجنس باسم هذه البلدة وتكرور اسم للارض التى هم فيها وسمى جنسهم باسم أرضهم والجميع من بنى كوش بن حام بن نوح عليه السلام والله أعلم ولما حضرت الوفاة الامير يعقوب المذكور وقضى نحبه بايع الناس ولده أبا عبد الله محمد بن يعقوب وتلقب بالناصر ونهض الى افريقية فهزم الميورقى المذكور وارتجع المهدية من نوابه وقد كان استولى عليها فى مدة اشتغال الامير يعقوب بالاعداء ثم تحرك محمد بن يعقوب الى جزيرة الاندلس فكانت وقعة العقاب فى سنة تسع وستمائة وتوفى الامير محمد سنة ست عشرة وستمائة لعشر خلون من شعبان ومولده فى سنة ست وسبعين وخمسمائة والمغاربة تقول ان محمد بن يعقوب المذكور أوصى عبيده المشتغلين بحراسة بستانه بمراكش ان كل من ظهر لهم بالليل فهو مباح الدم لهم ثم أراد ان يختبر قدر أمره لهم فتنكر وجعل يمشى فى البستان ليلا فعندما رأوه جعلوه غرضا لرماحهم فجعل يقول انا الخليفة انا الخليفة فما تحققوه حتى هلك والله أعلم بصحة ذلك ثم ولى بعده أبو يعقوب يوسف بن محمد ابن الامير يعقوب وتلقب بالمستنصر بالله ومولده أول شوال سنة أربع وتسعين ولم يكن فى بنى عبد المؤمن أحسن وجها منه ولا أبلغ فى المخاطبة الا انه كان مشغوفا براحته فلم يبرح عن حضرته فضعفت الدولة فى أيامه ومات فى شوال أو ذى القعدة سنة عشرين وستمائة ولم يخلف ولدا فاتفق أرباب الدولة على تولية أبى محمد عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن لكبر سنه ووفور علمه فلم يحسن التدبير ولا دارى أهل دولته فخلعوه وخنقوه بعد تسعة أشهر من ولايته ولما تولى عبد الواحد بمراكش كان بالاندلس أبو محمد عبد الله ابن الامير يعقوب المذكور فامتنع بمرسية ورأى انه أحق بالامر من عبد الواحد وخرج الى ما فى جهته من بلاد الاندلس فاستولى عليها بغير كلفة وتلقب بالعادل فلما خنق عبد الواحد بمراكش ثارت الفرنج بالاندلس على عبد الله المذكور وتواقعوا وانهزم أصحابه هزيمة شنيعة وهرب هو وركب البحر يريد مراكش وترك باشبيلية أخاه أبا العلاء ادريس ابن الامير يعقوب وقاسى عبد الله شدائد فى طريقه الى مراكش من العربان فلما وصلها اضطربت أحواله وقبض عليه أهل مراكش وتفاوضوا فيمن يقدمونه

الرغبة التامة فى التصوف وازدادنى الشوق والانجذاب الى جنات رب الارباب وبآخرة تبت على يد الشيخ المسفور ودخلت فى زمرة مريديه ثم سافر الشيخ الى وطنه باسكليب ولم يمكن لى المسير لقيد الاهل والاولاد فبقيت فى انجذاب واضطراب الى أن جاء الشيخ مصلح الدين السيروزى من خلفاء الشيخ محيى الدين المزبور فذهبت اليه واشتغلت عليه الى أن سافر الى اسكليب وقصد زيارة الشيخ فقمت معه وتركت المنصب والعيال وسافرت معه الى اسكليب وأقمت عند الشيخ عدة سنين وأنا فى غاية المجاهدة والطلب ثم عدت الى وطنى ثم الى الشيخ الى أن نلت المراد وأجازلى بالارشاد وكان الشيخ علاء الدين المرحوم من أجلة مشايخ الروم صاحب كرامات سنية ومراتب سمية أفنى عمره فى العبادة والرياضة فافاض الله تعالى عليه من العلم والمعرفة ما أفاضه وقد فوض اليه المشيخة فى زاوية الشيخ شجاع بمدينة ادرنه ودام على التربية والارشاد حتى أناف عمره على مائة سنة (ومن كراماته) ما حكاه شيخنا الشيخ مصلح الدين رحمه الله قال كنا جلوسا فى خارج الزاوية المزبورة مع بعض

فوقع اختيارهم على أبي زكريا يحيى بن الناصر محمد بن يعقوب وهو اذذاك كما يقال وجه غر لم يجرب الامور فلم يلبث الا أياما قلائل حتى ورد الخبر من الاندلس ان أبا العلاء ادريس ابن الامير يعقوب ادعى الخلافة باشبيلية وبايعه أهل الاندلس ثم آل أمره الى ان حصره العرب بمراكش وهزموا عسكره مرة بعد أخرى حتى ضجر منه أهل مراكش وتشاءموا به واخرجوه عنهم فهرب الى جبل الدرن ثم أرسل في الباطن جماعة من أهل مراكش ليعود اليها ويقتل من بها من أعوان أبي العلاء ادريس فحضر اليها وقتل المذكورين وجاء أبو العلاء من الاندلس وقد خرج عليه بها الامير محمد بن يوسف بن هود الجذامي ودعا الى بني العباس فمال اليه الناس ورجعوا عن أبي العلاء ادريس فانتهى الى مراكش وبها يحيى بن الناصر محمد فتواقعوا وانهزم يحيى من أبي العلاء الى الجبل واستولى أبو العلاء على مراكش وجمع يحيى رجالا وقصد أبا العلاء بمراكش فهزمه أبو العلاء مرارا واضعف جماعته فألجأته الضرورة الى الاستجارة بقوم في حصن بجهة تلمسان وكان لغلام منهم عنده ثار بابيه فرصده يوما وهو راكب فطعنه فقتله واستبد أبو العلاء بالامر وتلقب بالمأمون وكان شجاعا حازما صارما فتاكا ثم ان أبا العلاء مات في الغز وحتف أنفه ولم أتحقق تاريخ وفاته ثم أخبرني بعض أهل بلادهم انه توفي سنة ثلاثين وستمائة والله أعلم واخفى ولده موته حتى دبر أمره وبلغ مأمنه وهو أبو محمد عبد الواحد بن أبي العلاء ادريس وتلقب بالرشيد وتقدم بعد موت أبيه وغلب على أخيه الاكبر واستبد بالامر وكان أبوه أبو العلاء قد أزال اسم المهدي أبي عبد الله محمد بن تومرت المقدم ذكره من الخطبة يوم الجمعة فأعاده ولده الرشيد المذكور واستمال به قلوب جماعته وتحبب اليهم وكان الى سنة احدى وأربعين وستمائة ملك المغرب الاقصى وبعض الاندلس ولم أعلم ما وراء ذلك حتى أذكره وبعد تسطير هذه الترجمة اجتمعت ببعض أهل مراكش ممن عنده فضيلة ومعرفة وكان قريب العهد ببلاده فأخبرني ان الرشيد المذكور توفي غريقا في صهريج ببستان له بحضرة مراكش في سنة أربعين وستمائة وكتم حاجبه أمره مدة فجهل لذلك شهر وفاته وولي بعده أخوه لابيه المعتضد ويعرف بالسعيد وهو أبو الحسن علي بن ادريس ثم خرج الى ناحية تلمسان وحاصر قلعة بينها وبين تلمسان مسافة يوم واحد وقتل هناك على ظهر فرسه في صفر سنة ست وأربعين وستمائة وولي بعده المرتضى أبو حفص عمر بن أبي ابراهيم بن يوسف في شهر ربيع الآخر من السنة وفي الحادي والعشرين من المحرم سنة خمس وستين وستمائة دخل الواثق أبو العلاء ادريس بن أبي عبد الله يوسف بن عبد المؤمن المعروف بابن دبوس مراكش وهرب المرتضى الى أزمور وهي من نواحي مراكش فقبض عليه عامله بها وبعث الى الواثق بذلك فأمره الواثق بقتله فقتله في العشر الاخير من شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين وستمائة بموضع يقال له كامة بعده عن مراكش ثلاثة أيام وأقام الواثق ثلاث سنين وقتل في الحرب التي كانت بينه وبين بني مرين ملوك تلمسان وانقرضت دولة بني عبد المؤمن وكان قتل الواثق في المحرم سنة ثمان وستين بموضع بينه وبين مراكش مسيرة ثلاثة أيام في جهتها الشمالية واستولى بنو مرين على ملكهم وملكهم الآن أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق بن حمامة والله تعالى أعلم وأما علي بن اسحق الميورقي فقد تكرر ذكره في هذه الترجمة وكان أبوه أبو ابراهيم اسحق بن محو بفتح الحاء المهملة وبعدها ميم مشددة مضمومة ثم واو ابن علي ويعرف بابن غانية الصنهاجي صاحب ميورقة ومنورقة ويابسة وهي ثلاث جزائر متجاورة في البحر الغربي فتوفي سنة ثمانين وخمسمائة وخلف أربع بنين وهم أبو عبد الله محمد توجه بعد موت أبيه الى الموحدين بالاندلس فاعطوه مدينة دانية واحسنوا اليه غاية الاحسان وأبو الحسن علي وأبو زكريا يحيى خرجا الى بلاد افريقية وفعلا الافاعيل العجيبة المشهورة بين الناس من الحروب والعبث في البلاد فمات علي ولا أعلم تاريخ وفاته لكنه كان حيا في سنة احدى وتسعين واستمر يحيى على حاله فطالت مدته وذكره الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري في كتاب الوفيات فقال خرج من ميورقة في شعبان سنة ثمانين وخمسمائة واستولى على بلاد كثيرة وكان مشهورا بالشجاعة والاقدام وتوفي في أواخر شوال سنة ثلاث وثلاثين وستمائة في البرية من قطر تلمسان وكان خروجه

المريدين وقد وقعت في محلة الدباغين من المدينة المسفورة اذ جاء رجل دباغ فباس يد والدي وقبل رجله وقال لولا أنت لما فتحت القلعة فقال والدي ما هذه القلعة وليس لي منها خبر ولا أثر وعاد الرجل الى ضراعته واستكانته وهو مستديم على انكاره فسألنا الرجل عن القصة فقال خرجت في زمرة من الدباغين غازيا مع السلطان فلما حاصرنا القلعة الفلانية وعزمنا على فتحها ودارت رحى الحرب واشتعل ضرم الطعن والضرب عصت القلعة وأبت الفتح وتحير العسكر ويئسوا من فتحها فاذا بشيخ في يده راية هجم على الكفار وفرقهم تفريق الغبار عندما يهب عليه الصرصر الجرار وطلع على القلعة ونصب عليها الراية فاتصل بعقبه أناس من العسكر الاسلامية ودخلوا القلعة من هذا الموضع وتيسر فتحها بسبب ذلك الرجل فامعنت أنا وبعض رفقائي في ذلك الرجل فاذا هو الشيخ علاء الدين فلم يشك انه من جملة من سافر الى هذه الغزوة وحضر فتح القلعة وتعجبنا من عدم رؤيته في أثناء الطريق قال الشيخ رحمه الله لما خلوت مع والدي سألته عن حقيقة الامر وأبرمت عليه كشف هذا السر فازداد

على بني عبد المؤمن وبقي أصغر الاخوة وهو أبو محمد عبد الله مالك ميورقة الى سنة تسع وتسعين وخمسمائة فجهز اليه الناصر محمد بن يعقوب المذكور اسطولا فنزل بساحل ميورقة فبرز اليهم وكان شجاعا كريما فعثر به فرسه فسقط الى الارض فقتلوه وحملوا رأسه الى مراكش وعلقوا جثته على السور وأخذوا ميورقة وبقيت بأيديهم الى أن تغلب الفرنج عليها في سنة سبع وعشرين وستمائة وفعلوا فيها العظائم من القتل والاسر وغير ذلك واذفونش بضم الهمزة وسكون الذال المعجمة وضم الفاء وسكون الواو وبعدها نون ثم شين معجمة وهو اسم لاكبر ملوك الفرنج وهو صاحب طليطلة

(أبو عبد الله يعقوب بن داود بن عمر بن عثمان بن طهمان السلمي بالولاء مولى أبي صالح عبد الله ابن حازم السلمي والي خراسان)

كان يعقوب المذكور كاتب ابراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه الذي خرج هو وأخوه محمد على أبي جعفر المنصور بالبصرة ونواحيها وقتلا في سنة خمس وأربعين ومائة وقصتهما مشهورة في التواريخ وليس هذا موضع ذكرها وكان أبوه داود بن طهمان واخوته كتابا النصر بن سيار عامل خراسان من جهة بني أمية ولما مات داود نشأ ولده أبو علي يعقوب المذكور وكان أهل أدب وفضل وافتنان في صنوف العلم ولما ظهر المنصور على ابراهيم بن عبد الله المذكور ظفر بيعقوب بن داود المذكور فحبسه في المطبق في سنة أربع وأربعين ومائة وقيل سنة ست وأربعين ومائة (قلت) ولعله الاصح لان ابراهيم قتل في سنة خمس وأربعين كما ذكرناه الا ان يكون قد ظفر بيعقوب قبل قتل ابراهيم وذلك في أول خروجه والله أعلم وكان يعقوب سمحا جوادا كثير البر والصدقة واصطناع المعروف وذكره دعبل ابن علي الخزاعي الشاعر المشهور في كتابه الذي جمع فيه أسماء الشعراء وكان مقصود اممدوحا مدحه أعيان شعراء عصره مثل أبي الشيص الخزاعي وسلم الخاسر وأبي خنيس وغيرهم ولما مات المنصور وقام بالامر ولده المهدي جعل يعقوب يتقرب اليه حتى أدناه واعتمد عليه وعلت منزلته عنده وعظم شأنه حتى خرج كتابه الى الدواوين ان أمير المؤمنين المهدي قد آخى يعقوب بن داود فقال في ذلك سلم بن عمرو المعروف بالخاسر

قل للامام الذي جاءت خلافته * تهدى اليه بحق غير مردود
نعم القرين على التقوى أعنت به * أخوك في الله يعقوب بن داود

وحج المهدي في سنة ستين ومائة ويعقوب معه وفي سنة احدى وستين تقدم اليه بتوجيه الامناء الى العمال في جميع الآفاق ففعل ذلك فلم يكن ينفذ شيء من الكتب للمهدي حتى يرد كتاب من يعقوب الى أمينه بانفاذه وكان وزير المهدي أبا عبيد الله معاوية بن عبد الله بن يسار الاشعري الطبراني صاحب مربعة أبي عبيد الله ببغداد وكان جده يسار مولى عبد الله بن عضادة الاشعري فلم يزل الربيع بن يونس المقدم ذكره في حرف الراء يسعى به الى المهدي وصح على ابنه الزندقة فقتله المهدي وكان الربيع بعد ذلك يقبح أمره عنده ويقول له لا تثق به بعد قتلك ابنه ويذكر كفاية يعقوب بن داود حتى عزله عن الوزارة وافرده في ديوان الرسائل واستوزر يعقوب في سنة ثلاث وستين ثم ان المهدي عزل أبا عبيد الله عن ديوان الرسائل في سنة سبع وستين ورتب فيه الربيع بن يونس المذكور وكان أبو عبيد الله يتصل الى المهدي على عادته رعاية منه لخدمته فقال في ذلك علي بن الخليل الكوفي من جملة أبيات

قل للوزير أبي عبيد الله هل من باقيه * يعقوب يلعب بالامو * ر وأنت تنظر ناحيه
ادخلته فعلا عليـ * ـك كذا لشؤم الناصيه * واخذت حتفك جاهدا * بيمينك المتراخيه

وغلب يعقوب على أمور المهدي كلها وكان المنصور قد خلف في بيوت المال تسعمائة ألف ألف درهم وستين ألف درهم وكان الوزير أبو عبيد الله يشير على المهدي بالاقتصاد في الانفاق وحفظ الاموال فلما عزل وولي يعقوب زين له هواه فانفق الاموال وأكب على اللذات والشرب وسماع الغناء واشتغل يعقوب بالتدبير ففي ذلك يقول بشار بن برد الشاعر المشهور المقدم ذكره في حرف الباء

على أن يقول بعرفه من يصل الى هذه الرتبة وستقف ان شاء الله تعالى عند بلوغك هذه الرتبة بلغنا الله واياكم الى المراتب العلية وأفاض علينا من سجال ألطافه الخفية والجلية (وأما الشيخ عبد الرحيم المؤيدي) فكان أوحد زمانه وفريد عصره وأوانه من الذين فازوا بالقدح المعلى وحازوا المنصب الاوفر والحظ الاعلى وكان رحمه الله في أوائل أمره من طلبة العلم الشريف وحصل من العلم والادب ما ينتهج بامثاله وينسج على منواله وصار ملازما من المولى المشتهر بخطيب زاده ثم قلد ابراهيم الرواس ٣ بمدينة قسطنطينية ثم اتفق انه اتصل بالشيخ محيي الدين السابق ذكره وتزوج ابنته وظهر فيه مخايل الزهد والورع بينا هو في ذلك اذ عرض له بعض الامراض الهائلة واشتد الى أن أشرف على الموت ولما أيس من صحته قال لزوجته بنت الشيخ المسفور هل لك أن تروحي الى أبيك وتقولي له عني اني أيست من الحياة ولم يبق لي بعد ذلك رجاء السلامة وها أنا

٣ قوله ثم قلد ابراهيم الرواس هكذا بالاصل ولعله ثم قلد وظيفة ابرهيم الرواس أو نحو ذلك فليحرر

بنى امية هبوا طال نومكمو * ان الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا * خليفة الله بين الزق والعود

وكان أبو حارثة الهندى يتقلد خزن بيوت الاموال فلما خلت من الاموال دخل الى المهدى ومعه المفاتيح وقال له اذا كنت قد أنفقت جميع الاموال فما معنى هذه المفاتيح معى مر من يقبضها منى فقال له المهدى دعها معك فان الاموال تأتيك ثم سير فى استحثاث الاموال فوردت عليه فى مدة يسيرة وقصر فى النفقات قليلا فتوفرت الاموال وتشاغل أبو حارثة فى قبض ما ورد عليه وتصحيحه فلم يدخل الى المهدى ثلاثة أيام فقال المهدى ما فعل هذا الاعرابى الاحمق فخبر بالسبب فى تأخره فدعا به وقال له ما أخرك عنا فقال ورود الاموال فقال يا أحمق توهمت ان الاموال لا تأتينا فقال يا أمير المؤمنين ان الحادث لو حدث واحتيج الى المال ولم يصلح الا به لم ينتظر حتى توجه فى حمله (وروى) ان المهدى حج فى بعض السنين فمر بميل وعليه كتاب فوقف وقرأه فاذا هو

لله درك يا مهدى من رجل * لولا اتخاذك يعقوب بن داود

فقال لمن معه اكتب تحته على رغم انف الكاتب لهذا وتعسا لجده فلما انصرف وقد وقف على الميل فقلنا لم يقف عليه الا لشىء قد علق بقلبه من ذلك الشعر فكان كذلك لانه أوقع بيعقوب بعد قليل وكثرت الاقوال فى يعقوب ووجد اعداؤه فيه مقالا وذكروا خروجه على المنصور مع ابراهيم بن عبد الله العلوى وعرفه بعض خدمه انه سمعه يقول بنى هذا الرجل منتزها أنفق عليه خمسين ألف ألف درهم من أموال المسلمين وكان المهدى قد بنى عيسى باد وأراد المهدى أمرا فقال له يعقوب هذا يا أمير المؤمنين السرف فقال يا ويلك وهل يحسن السرف الا بأهل الشرف وكان يعقوب قد ضجر مما كان فيه وسأل المهدى الاقالة وهو يمتنع ثم ان المهدى أراد ان يمتحنه فى ميله الى العلوية فدعا به يوما وهو فى مجلس فرشه موردة وعليه ثياب موردة وعلى رأسه جارية على رأسها ثياب موردة وهو مشرف على بستان فيه صنوف الاوراد فقال له يا يعقوب كيف ترى مجلسنا هذا قال على غاية الحسن فمتع الله أمير المؤمنين به فقال له جميع ما فيه لك وهذه الجارية لك ليتم سرورك وقد أمرت لك بمائة ألف درهم فدعا له فقال له المهدى لى اليك حاجة فقام يعقوب قائما وقال يا أمير المؤمنين ما هذا القول الا لموجدة وأنا استعيذ بالله من سخطك فقال احب ان تضمن لى قضاءها فقال السمع والطاعة فقال له والله فقال والله فقال له والله فقال والله ثلاثا فقال له ضع يدك على رأسى واحلف به ففعل ذلك فلما استوثق منه قال له هذا فلان بن فلان رجل من العلوية أحب ان تكفينى مؤنته وتريحنى منه فخذه اليك فحوله اليه وحول اليه الجارية وما كان فى المجلس والمال فلشدة سروره بالجارية جعلها فى مجلس يقرب منه ليصل اليها ووجه فاحضر العلوى فوجده لبيبا فهما فقال له ويحك يا يعقوب تلقى الله تعالى بدمى وانا رجل من ولد فاطمة رضى الله عنها بنت محمد صلى الله عليه وسلم فقال له يعقوب يا هذا أفيك خير فقال ان فعلت معى خيرا شكرت ودعوت لك فقال له خذ هذا المال وخذ أى طريق شئت فقال طريق كذا وكذا آمن لى فقال له امض مصاحبا وسمعت الجارية الكلام كله فوجهت مع بعض خدمها به وقالت قل له هذا فعل الذى آثرته على نفسك بى وهذا جزاؤك منه فوجه المهدى فشحن الطريق حتى ظفر بالعلوى وبالمال ثم وجه الى يعقوب فاحضره فلما رآه قال له ما حال الرجل قال قد اراحك الله منه قال مات قال نعم قال والله قال والله قال فضع يدك على رأسى فوضع يده على رأسه وحلف به فقال يا غلام اخرج الينا من فى هذا البيت ففتح بابه عن العلوى والمال بعينه فبقى يعقوب متحيرا وامتنع الكلام عليه فما درى ما يقول فقال له المهدى لقد حل دمك ولو آثرت اراقته لارقته ولكن احبسوه فى المطبق فحبسوه وامر بان يطوى عنه خبره وعن كل أحد فأقام فيه سنتين وشهورا فى أيام المهدى وجميع أيام الهادى موسى بن المهدى وخمس سنين وشهورا من أيام هرون الرشيد ثم ذكر يحيى بن خالد البرمكى أمره وشفع فيه فأمر باخراجه فاخرج وقد ذهب بصره فاحسن اليه الرشيد ورد اليه ماله وخيره المقام حيث يريد فاختار مكة فاذن له فى ذلك فاقام بها حتى مات فى سنة سبع وثمانين ومائة ولما أطلق يعقوب سأل عن جماعة من اخوانه فاخبر بموتهم فقال

أموت خاليا عن العرفان واذهب غريبا عن الاهل والاوطان وهل لا يمكن الاحسان الى بقدر الامكان فقامت وذهبت الى أبيها الشيخ وبكت عنده وأخبرت بما قاله فقام الشيخ وذهب الى زوجها ومعه عدة من أصحابه وفيهم الشيخ علاء الدين والد شيخنا الشيخ مصلح الدين فلما دخلوا البيت جلس الشيخ عند فراشه وعاده واستخبر عن حاله فأعاد عليه الشيخ عبد الرحيم ما قاله أولا وأفرط فى التضرع والابرام ونعما قيل الابرام يحصل المرام فرق له الشيخ فأومأ الى بعض الحاضرين بان يوضئ الشيخ عبد الرحيم فوضؤه ثم قال أجلسوه الى القبلة وقال للشيخ علاء الدين اجلس أنت خلفه وامسكه واضممه اليك ثم قام الشيخ عبد الرحيم وصاح صيحة ورمى بنفسه على الارض وبقى مغشيا عليه مدة ولما افاق سأله الشيخ عما ظهر له فاخبر به ثم قال الشيخ انى اظنك فى أعلى رتبة من ذلك الا انه يكفى لك ذلك ان شاء الله تعالى (ولما) سافر الى مكة حاجا ووصل الى بلدة قونية استقبله روح الشيخ جلال الدين صاحب المثنوى المولوى وعانقه وخاطبه بهذا البيت الفارسى

خشنودم از تواى بسر
دارم بسى باتو نظر

لكل أناس مقبر بفنائهم * فهم ينقصون والقبور تزيد
هم جيرة الاحياء أما محلهم * فدان وأما الملتقى فبعيد

قلت وهذان البيتان ذكرا فى باب المراثى فى كتاب الحماسة قلت هكذا ذكر تاريخ وفاته محمد بن عبدوس الكوفى المعروف بالجهشيارى فى كتابه تاريخ الوزراء وذكر غيره ان يعقوب بن داود مات سنة اثنتين وثمانين ومائة والله أعلم بالصواب وقال عبد الله بن يعقوب بن داود أخبرنى أبى ان المهدى حبسه فى بئر وبنى عليه قبة فمكث فيها خمس عشرة سنة وكان يدلى له فيها كل يوم رغيف خبز وكوز ماء ويؤذن باوقات الصلاة قال فلما كان فى رأس ثلاث عشرة سنة أتانى آت فى منامى فقال

حنا على يوسف رب فاخرجه * من قعر جب وبيت حوله غمم

قال فحمدت الله تعالى وقلت أتانى الفرج ثم مكثت حولا لا أرى شيأ فلما كان رأس الحول الثانى أتانى ذلك الآتى فانشدنى

عسى فرج يأتى به الله انه * له كل يوم فى خليقته أمر

قال ثم أقمت حولا آخر لا أرى شيأ ثم أتانى ذلك الآتى بعد الحول فقال

عسى الكرب الذى أمسيت فيه * يكون وراءه فرج قريب
فيأمن خائف ويفك عان * ويأتى أهله النائى الغريب

فلما أصبحت نوديت فظننت انى أوذن بالصلاة فدلى حبل اسود وقيل لى اشدد به وسطك ففعلت واخرجت فلما قابلت الضوء عشى بصرى وانطلقوا بى فادخلت على الرشيد فقيل لى سلم على أمير المؤمنين فقلت السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته المهدى فقال الرشيد لست به فقلت السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته الهادى فقال لست به فقلت السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته الرشيد فقال الرشيد يا يعقوب ابن داود والله ما شفع فيك الى أحد غير انى حملت الليلة صبية لى على عنقى فذكرت حملك اياى على عنقك فرثيت لك من المحل الذى كنت به فاخرجتك وكان يعقوب يحمل الرشيد وهو صغير ويلاعبه ولما حبس المهدى يعقوب رتب فى الوزارة أبا جعفر الفيض بن أبى صالح وكان من غلمان عبد الله بن المقنع وكان شديد الكبر وكان أبوه نصرانيا وفيه يقول الشاعر

يا حابسى عن حاجتى ظالما * أحوجك الله الى الفيض
ذاك الذى يأتيك معروفه * كانما يمشى على البيض

وطهمان بفتح الطاء المهملة وسكون الهاء وبعدها ميم وبعد الالف نون وكانت ولادة أبى عبيد الله معاوية الاشعرى فى سنة مائة وتوفى سنة سبعين ومائة وقيل فى سنة تسع وستين وقيل مات فى الوقت الذى مات فيه موسى الهادى وكانت وفاته ببغداد ودفن فى مقابر قريش وتوفى الفيض فى سنة ثلاث وسبعين ومائة وتولى الوزارة بعده الربيع بن يونس وقد سبق ذكره فى ترجمة بشار بن برد الشاعر وذكر ان يعقوب بن داود أعان على قتله ولما مات يعقوب رثاه أبو حنش الهلالى وقيل النميرى واسمه حضير بن قيس البصرى وعاش مائة سنة بابيات هى فى كتاب الحماسة أولها

يعقوب لا تبعد وجنبت الردى * فليبكين زمانك الرطب الثرى

(أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن ابراهيم بن هرون بن داود بن كلس وزير العزيز نزار بن المعز العبيدى صاحب مصر المقدم ذكرهما)

كان يعقوب أولا يهوديا يزعم انه من ولد هرون بن عمران أخى موسى بن عمران عليهما السلام وقيل انه كان يزعم انه من ولد السموأل بن عاديا اليهودى صاحب الحصن المعروف بالابلق وهو المشهور بالوفاء وقصته مع امرئ القيس الكندى الشاعر المشهور مشهورة مستفيضة بين العلماء فى الوفاء له فى ودائعه وكان يعقوب المذكور قد ولد ببغداد ونشأ بها عند باب القز وتعلم الكتابة والحساب وسافر به أبوه من بغداد الى الشام وانفذه الى مصر سنة احدى وثلاثين وثلثمائة فانقطع الى بعض خواص الاستاذ كافور الاخشيدى المقدم

خوش آمدى جان بدر
أهلا وسهلا مرحبا

ولما سافر الى البلدة المزبورة مرة ثانية لتفتيش بعض الكتب الموقوفة بواقعة وقعت لها ودخل الزاوية المعروفة وحضر مجلس السماع عانقه روح الشيخ جلال الدين المسفور ودار به عدة دورات وهو يقول بيت

خوش باش كه أحوال فقروفنا
دل تو مخزن أينها بود بهمت ما

وكان رحمه الله يصف الشيخ جلال الدين المزبور بصفاته التى كان عليها على ما ضبطه به من اعتنى به وكان يقول ما سمعت البيتين قبل ذلك من أحد وقد ظهر له كشوفات حقة وكرامات محققة (منها) ما حكاه الثقات وتطابق عليه الرواة ان امام المرحوم السلطان بايزيد خان المسمى بيكاش أخذ جوهرة ثمينة من السلطان المزبور ليعرضها على بعض من له خبرة بعلم الاحجار فوضعها فى موضع من بيته ثم عاد اليه فلم يجدها فسقط فى يده وتحير فى أمره وتردد الى الرمالين والمشايخ فلم يفيدوا شيأ فاتفق انه اجتمع بالشيخ عبد الرحيم وقص عليه القصة وعرض عليه اضطرابا عظيما وكان بينهما حقوق سابقة ومعرفة قديمة فرق له الشيخ فراقب زمانا ثم رفع رأسه وقال هل فى طرف من عرصة دارك

ذكره فجعله كافور على عمارة داره ثم صار ملازما الباب داره فرأى كافور من نجابته وشهامته وصيانته ونزاهته وحسن ادراكه ما نفق عليه فاستحضره وأجلسه فى دوانه الخاص وكان يقف بين يديه و يخدم و يستوفى الاعمال والحسابات و يدخل بين يديه فى كل شئ ثم لم تزل أحواله تتزايد مع كافور حتى صار الحجاب والاشراف يقومون له و يكرمونه ولم تتطاع نفسه الى اكتساب مال وارسل له كافور شيأ فرده عليه وأخذ منه القوت خاصة وتقدم كافور الى سائر الدواوين ان لا يمضى دينار ولا درهم الا بتوقيعه فوقع فى كل شئ وكان يبر ويصل من اليسير الذى يأخذه هذا كله وهو على دينه ثم انه أسلم يوم الاثنين لثمان عشرة ليلة خلت من شعبان سنة ست وستين وثلثمائة ولزم الصلاة ودراسة القرآن الكريم ورتب لنفسه رجلا من أهل العلم شيخا عارفا بالقرآن المجيد والنحو حافظا لكتاب السيرافى فكان يبيت عنده و يصلى به و يقرأ عليه ولم تزل حاله تزيد وتنمى مع كافور الى ان توفى كافور فى التاريخ المذكور فى ترجمته وكان أبو الفضل جعفر بن الفرات المقدم ذكره فى حرف الجيم وزير كافور يحسده و يعاديه فلما مات كافور قبض ابن الفرات على جميع الكتاب وأصحاب الدواوين وقبض على يعقوب بن كلس فى جملتهم فلم يزل يتوصل و يبذل الاموال حتى أفرج عنه فلما خرج من الاعتقال اقترض من أخيه وغيره مالا وتجمل به وسار مستخفيا طالبا بلاد المغرب فلقى القائد جوهر بن عبد الله الرومى مولى المعز العبيدى المقدم ذكره فى الطريق وهو متوجه بالعساكر والخزائن الى الديار المصرية ليملكها فرجع فى الصحبة وقيل انه استمر على قصده وانتهى الى افريقية وتعلق بخدمة المعز العبيدى المقدم ذكره ثم رجع الى الديار المصرية ولم يزل يترقى الى ان ولى الوزارة للعزيز نزار بن المعز وعظمت منزلته عنده واقبلت عليه الدنيا وانثال الناس عليه ولازموا بابه ومهد قواعد الدولة وساس أمرها أحسن سياسة ولم يبق لاحد معه كلام وكان فى أيام المعز يتصرف فى الخدم الدوانية ثم انتقل الى العزيز من بعده وتولى وزارة العزيز يوم الجمعة ثامن عشر رمضان سنة ثمان وستين وثلثمائة وقال ابن زولاق فى تاريخه بعد ذكر تاريخ وفاة المعز ما مثاله وممن وزر للمعز الوزير يعقوب بن كلس وهو أول من وزر للدولة الفاطمية فى الديار المصرية وكان من جملة كتاب كافور فلما وصل المعز أحسن فى خدمته وبالغ فى طاعته الى ان استوزره هذا آخر كلام ابن زولاق وقال غيره كان يعقوب يحب أهل العلم و يجمع عنده العلماء ورتب لنفسه مجلسا فى كل ليلة جمعة يقرأ فيه مصنفاته على الناس وتحضره القضاة والفقهاء والقراء والنحاة وجميع أرباب الفضائل وأعيان العدول وغيرهم من وجوه الدولة وأصحاب الحديث فاذا فرغ من مجلسه قام الشعراء ينشدونه المدائح وكان فى داره قوم يكتبون القرآن الكريم وآخرون يكتبون كتب الحديث والفقه والادب حتى الطب و يعارضون ويشكلون المصاحف و ينقطونها وكان من جملة جلسائه الحسين ابن عبد الرحيم المعروف بالزلازلى مصنف كتاب الاسجاع ورتب فى داره القراء والائمة يصلون فى مسجد اتخذه فى داره وأقام فى داره مطابخ لنفسه ولجلسائه ومطابخ لغلمانه وحاشيته وأتباعه وكان ينصب كل يوم خوانا لخاصته من أهل العلم والكتاب وخواص أتباعه ومن يستدعيه و ينصب موائد عديدة يأكل عليها الحجاب وبقية الكتاب والحاشية وصنع فى داره ميضاة للطهور بثمانية بيوت تختص بمن يدخل داره من الغرباء وكان يجلس كل يوم عقب صلاة الصبح و يدخل عليه الناس للسلام وتعرض عليه رقاع الناس فى الحوائج والظلامات وقرر عند مخدومه العزيز جماعة جعلهم قوادا يركبون بالمواكب والعبيد ولا يخاطب واحد منهم الا بالقائد وكان من جملة هؤلاء القواد القائد أبو الفتوح فضل بن صالح الذى تنسب اليه منية القائد فضل وهى بليدة بالاعمال الجيزية من الديار المصرية ثم ان الوزير المذكور شرع فى تحصين داره ودور غلمانه بالدروع والحرس والسلاح والعدد وعمرت ناحيته بالاسواق واصناف ما يباع من الامتعة ومن المطعوم والمشروب والملبوس و يقال ان داره كانت بالقاهرة فى موضع مدرسة الوزير صفى الدين أبى محمد عبد الله بن على المعروف بابن شكر المختصة بالطائفة المالكية وان الحارة المعروفة بالوزيرية التى بالقاهرة داخل باب سعادة منسوبة الى أصحابه لانهم كانوا يسكنونها وكان الوزير أبو الفضل بن الفرات المقدم ذكره

بغدو

أحجار مبثوثة باقية من البناء فقال الامام نعم فقال ان واحدة من جواريك أخذت هذه الجوهرة من الموضع الذى تركتها فيه ووضعتها تحت حجر من تلك الاحجار ووصفها بصفتها وأخبره بعلامتها فقام الامام عن مجلسه الشريف واسرع الى داره ووصل الى ذلك الموضع وعرف الحجارة فرفعها فوجد الجوهرة وشكر الله تعالى وخلص من الاضطراب ببركة الشيخ رحمه الله (ومنها) انه وقع فى زاوية اجتماع عظيم وأظنها القراءة مولد النبى صلى الله عليه وسلم وقد حضر فيها الاشراف من العلماء والامراء وفيهم المفتى المعظم والمولى المفخم أحمد بن كمال باشازاده واسكندر جلبى الدفتدار وغلب على الشيخ رحمه الله فى اثناء المجلس حال وراقب زمانا ثم رفع رأسه وقال لاقيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجرى بيننا مصاحبة ومكالمة وكان من جملة كلامه عليه الصلاة والسلام قل لمفتيكم ليهتم فى أمر الفتوى فانه يهمل فيها وقد وقع له فى هذا الاسبوع خمسة أجوبة على خلاف الشرع الشريف فلما سمعه المفتى المزبور صلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقال صدق رسول الله وصدقتم فى خبركم عنه عليه الصلاة

يغدو اليه و يروح و يعرض عليه محاسبات القوم الذين يريد محاسبتهم و يعول عليه فيها و يجلس معه فى مجلسه وربما جبسه ليؤاكله فيأكل معه بعد ان جرى عليه ما سبق ذكره وكانت همته عظيمة وجوده وافرا وأكثر الشعراء من مدائحه ولقد نظرت فى ديوان أبى حامد أحمد بن محمد الانطاكى المنبوز بأبى الرقعمق الشاعر المقدم ذكره فوجدت أكثر مديحه فى الوزير المذكور والقصيدة التى نقلت بعضها فى ترجمته مدح بها الوزير المذكور ورأيت فى تاريخ الامير المختار عز الملك محمد بن القاسم المعروف بالمسبحى المقدم ذكره فصلا طويلا يتعلق بشرح حال الوزير المذكور ومعظم ما ذكرته هنا نقلته منه وصنف الوزير المذكور كتابا فى الفقه ٣ مما سمعه من المعز وولده العزيز وجلس فى شهر رمضان سنة تسع وستين وثلثمائة مجلسا حضره العام والخاص وقرأ فيه الكتاب بنفسه على الناس وحضر هذا المجلس الوزير أبو الفضل بن الفرات المذكور وجلس فى الجامع العتيق بمصر جماعة يفتون الناس من هذا الكتاب وسمعت من جماعة من المصريين يقولون ان الوزير المذكور كانت له طيور فائقة أهلية مختارة تسبق كل طائر بسابقها وكان لمخدومه العزيز طيور أيضا سابقة فاخرة فسابقه العزيز يوما ببعض الطيور فسبق طائر الوزير فعز ذلك على العزيز ووجد أعداؤه الى الطعن فيه سبيلا فقالوا للعزيز انه قد اختار من كل صنف أجوده وأعلاه ولم يبق منه الا أدناه حتى الحمام وقصدوا بذلك الاغراء به حسدا منهم لعله يتغير عليه فاتصل ذلك بالوزير فكتب الى العزيز

قل لامير المؤمنين الذى * له العلا والنسب الثاقب
طائرك السابق لكنه * جاء وفى خدمته الحاجب

فاعجبه ذلك منه وسرى عنه ما كان وجده عليه هكذا ذكره القاضى الرشيد بن الزبير المقدم ذكره فى كتاب الجنان وذكر غيره ان هذين البيتين لولى الدولة أبى محمد أحمد بن على المعروف بابن خيران الكاتب الشاعر المصرى وقد سبق ذكره فى ترجمة أبى الحسن على بن أحمد بن نوبخت الشاعر وانما لم أفرده بترجمة لانى لم أظفر بتاريخ وفاته وقد التزمت فى هذا الكتاب انى لا أذكر الا من وقفت على تاريخ وفاته وذكره أبو القاسم على بن منجب بن سليمان الكاتب المعروف بابن الصيرفى المصرى فى جزء سماه الاشارة الى من نال الوزارة وذكر فيه وزراء المصريين الى عصره وابتدأ بذكر يعقوب المذكور فقال كان كاتبا يهوديا صائنا لنفسه محافظا على دينه جميل المعاملة مع التجار فيما يتولاه واتصل بخدمة كافور الاخشيدى فحمد خدمته ورد اليه زمام دوانه بمصر والشام فضبطه له على حسب ارادته وكان سبب حظوته عنده أن يهوديا قال له ان فى دار ابن البلدى بالرملة عشرين ألف دينار مدفونة فى موضع وقد توفى فكتب يعقوب الى كافور رقعة يقول ان فى دار ابن البلدى بالرملة عشرين ألف دينار مدفونة فى موضع أعرفه وأنا أخرج أحملها فأجابه الى ذلك وانفذ معه البغال لحملها وورد الخبر بموت بكير بن هرون التاجر فجعل اليه النظر فى تركته واتفق موت يهودى بالفرما ومعه أحمال كتان فأخذها وفتحها فوجد فيها عشرين ألف دينار فكتب الى كافور بذلك فتبرك به وكتب اليه بحملها فباع الكتان وحمل الجميع وسار الى الرملة فحفر الدار التى لابن البلدى وأخرج المال وهو ثلاثون ألف دينار فكتب الى كافور عرفت الاستاذ انها عشرون ألف دينار فوجدتها ثلاثين ألف دينار فازداد محله من قلبه وتصوره بالثقة ونظر فى تركة ابن هرون واستقصى وحمل منها مالا كثيرا فارسل اليه كافور صلة كثيرة فأخذ منها ألف درهم ورد الباقى وقال هذه كفايتى فزاد أمره عنده حتى انه كان يشاوره فى أكثر أموره وقال عبد الله أخو مسلم العلوى رأيت يعقوب قائما يساير كافورا فلما مضى قال لى أى وزير بين جنبيه وسار الى المغرب وخدم المعز وتولى أمور العزيز فى مستهل شهر رمضان سنة ثمان وستين وثلثمائة ولقبه بالوزارة وامر أن لا يخاطبه أحد الا بها ولا يكاتب الا بذلك ثم اعتقله فى سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة فى القصر فأقام معتقلا شهورا ثم أطلقه فى سنة أربع وسبعين ورده الى ما كان عليه ووجدت رقعة فى دار الوزير المذكور فى سنة ثمانين وثلثمائة وهى السنة التى توفى فيها ونسختها

احذروا من حوادث الازمان * وتوقوا طوارق الحدثان

والسلام فانه قد وقع كما قلتم وقصدت تبديل تلك الصور ولم أظفر بها ثم انه عاد الى اسكندر جلبى وقال ان من جملة ما قاله صلى الله عليه وسلم لتقل للدفتدار ليهتم فى أمور المسلمين وليتق الله ربه وليحذر من غضب السلطان وهلاكه فى يده ان خالف ما أمرنا به وكان الامر على ما أخبره من الايعاد فان السلطان أهلكه بعد مدة وأباد وقد انتقل فى حياته ابنه المسمى بعبد الهادى وكان شابا مفرطا فى هوساته ومنهمكا على لذاته وجزعت عليه أمه وبكت أياما فاذا بيوم خرج فيه الشيخ عن صومعته وهو يبكى و يقول لها لا تبكين على فقد ولدك وموته بل على عذابه فى الآخرة فانى فحصت فى غرفات الجنان فما وجدته ثم فتشت فى دركات النيران فما وجدته فناديته بأعلى صوت فاجابنى بصوت حزين فاستدللت عليه بصوته فاذا هو معذب بعذاب قوم لوط وهل كان له فى حياته ابتلاء بالغلمان ثم انه جمع مريديه واعتكف معهم أياما وجاهدوا واجتهدوا

٣ قوله كتابا فى الفقه قال المقريزى فى الخطط قدره مثل نصف صحيح البخارى يشتمل على فقه الطائفة الاسماعيلية ملكته ووقفت عليه اه انظر الخطط فى صحيفة ٣٤١

قد أمنتم من الزمان ونمتم * رب خوف مكمن فى أمان

فلما قرأها قال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم واجتهد أن يعرف كاتبها فلم يقدر على ذلك ولما اعتل علة الوفاة آخر السنة المذكورة ركب اليه العزيز عائدا وقال له وددت أنك تباع فابتاعك بملكى أو تفدى فأفديك بولدى فهل من حاجة توصى بها يا يعقوب فبكى وقبل يده وقال أما فيما مضى فانت أرعى بحقى من ان أسترعيك اياه وارأف على من أخلفه من أن أوصيك به ولكنى أنصح لك فيما يتعلق بدولتك سالم الروم ما سالموك واقنع من الحمدانية بالدعوة والسكة ولا تبق على مفرج بن دغفل بن جراح ان عرضت لك فيه فرصة ومات فامر العزيز أن يدفن بداره وهى المعروفة بدار الوزارة بالقاهرة داخل باب النصر فى قبة كان بناها وصلى عليه وألحده بيده فى قبره وانصرف حزينا لفقده وأمر بغلق الدواوين أياما بعده وكان اقطاعه من العزيز فى كل سنة مائة ألف دينار ووجد له من العبيد والمماليك أربعة آلاف غلام ووجد له جوهر بأربعمائة ألف دينار وبز من كل صنف بخمسمائة دينار وكان عليه للتجار ستة عشر ألف دينار فقضاها عنه العزيز من بيت المال وفرقت على قبره وذكره الحافظ ابن عساكر فى تاريخ دمشق فقال كان يهوديا من أهل بغداد خبيثا ذا مكر وله حيل ودهاء وفيه فطنة وذكاء وكان فى قديم امره خرج الى الشام فنزل الرملة وصار بها وكيلا فكسر أموال التجار وهرب الى مصر فتاجر كافورا الاخشيدى فرأى منه فطنة وسياسة ومعرفة بامر الضياع فقال لو كان مسلما لصلح ان يكون وزيرا فطمع فى الوزارة فاسلم يوم الجمعة فى جامع مصر فلما عرف الوزير أبو الفضل جعفر بن الفرات أمره وقصده هرب الى المغرب واتصل بيهود كانوا مع الملقب بالمعز وخرج معه الى مصر فلما مات الملقب بالمعز وقام ولده الملقب بالعزيز استوزر ابن كلس فى سنة خمس وستين وثلثمائة فلم يزل مدبر أمره الى ان هلك فى ذى الحجة سنة ثمانين وثلثمائة وقال غيره ابتدأ المرض بالوزير المذكور يوم الاحد الحادى والعشرين من ذى القعدة سنة ثمانين وثلثمائة وأخذته سكتة ثم تزايد به المرض واشتد ثم انطلق لسانه ثم توفى ليلة الاحد على صباح الاثنين لخمس خلون من ذى الحجة من السنة المذكورة وكفن فى خمسين ثوبا واجتمع الناس كلهم من القصر الى داره وخرج العزيز وعليه حزن ظاهر وركب بغلته بغير مظلة وكانت عادته انه لا يركب الا بها وصلى عليه وبكى وحضر مواراته ويقال انه كفن وحنط بما مبلغه عشرة آلاف دينار وذكر من سمع العزيز وهو يقول وا طول اسفى عليك ياوزير وبكى عليه القائد جوهر بكاء شديدا وانما كان بكاؤه على نفسه لانه عاش بعده سنة واحدة وغدا الشعراء الى قبره ويقال انه رثاه مائة شاعر واخذت قصائدهم وأجيزوا وقيل انه مات على دينه وكان يظهر الاسلام والصحيح انه أسلم وحسن اسلامه وقال يوما وقد ذكر اليهود فى مجلسه كلاما يسوء اليهود سماعه ثم بين عوراتهم وفساد مذهبهم وانهم على غير شئ وان اسم النبى صلى الله عليه وسلم فى التوراة وهم يجحدونه وكانت ولادته فى سنة ثمانى عشرة وثلثمائة ببغداد عند باب القز رحمه الله تعالى وكلس بكسر الكاف واللام المشددة وبعدها سين مهملة والسموأل بن عادياء بفتح السين المهملة والميم وسكون الواو وبعدها همزة مفتوحة ثم لام وعادياء بعين مهملة وبعد الالف دال مهملة مكسورة ثم ياء مثناة من تحتها وبعدها همزة ممدودة وأما القائد جوهر فقد تقدم ذكره فى ترجمته واما القائد فضل صاحب البليدة التى فى أعمال الجيزة التى قبالة مصر فانه كان رجلا نبيلا كريما ممدوحا وفيه يقول أبو القاسم عبد الغفار شاعر دولة الحاكم بن العزيز المذكور

انما الفضل غرة * فى وجوه المدائح
أريحى رياحه * عبقات الروائح
كعبة الجود كفه * بين غاد ورائح
انما تصلح الامو * ر برأى ابن صالح

وكان مكينا فى دولة الحاكم المذكور ثم نقم عليه وحبسه وضربت عنقه فى محبسه يوم السبت عشية لاحدى وعشرين ليلة خلت من ذى القعدة سنة تسع وتسعين وثلثمائة ولم يظهر منه جزع ولف فى حصير واخرج من الحجرة التى كان محبوسا بها رحمه الله تعالى وأما أبو القاسم الشاعر المذكور فان الحاكم قتله مع جماعة من الاعيان فى يوم الاحد السادس والعشرين من المحرم سنة خمس وتسعين وثلثمائة وأحرقهم بالنار وكان قتل الجميع فى حجرة واحدة والله تعالى أعلم

فى التضرع والدعاء الى ان خرج الشيخ يوما من معتكفه وهو يضحك ويبشر أمه بالعفو والرضوان اللهم اعف عنا مع الصالحين فى غرف الجنان (ومن كراماته) انه كان يقول لزوج بنت أخيه عبد الرحمن بن المؤيد محيى الدين الفنارى وكان قاضيا بالعسكر فى ولاية روم ايلى لا تخف أنت من العزل ما دمت حيا وقد عزل المولى المرحوم ثانى يوم مات فيه الشيخ عبد الرحيم المرحوم وكان يقول المفتى أبو السعود كنت أرى كثيرا فى منامى كأنى قاعد أطلب القيام فيجىء الشيخ عبد الرحيم فيأخذ برأسى ويمنعنى من القيام فبينا أنا بليلة وقعت لى فيها مثل هذه الواقعة وظهر لى الشيخ عبد الرحيم ليمنعنى عن القيام كما هو عادته فاذا بوالدى قد ظهر وقصد الى فلما رآه الشيخ عبد الرحيم تركنى وغاب عنى فاستنهضت وقمت على قدمى فلم يذهب الا قليل حتى صرت قاضيا بالعسكر بمكان المولى محيى الدين الفنارى وقد اجتمع لى زمنه بتلك الزاوية من الزهاد وأرباب السعى والاجتهاد ما لا يتفق الا للقليل من أصحاب الارشاد (وقد حكى) واحد من الثقات انه كان فى الزاوية المزبورة رجل من مريديه

*(ابو

(أبو يوسف يعقوب بن صابر بن بركات بن عمار بن عمان بن على بن الحسين بن على بن حوثرة الحرانى الاصل البغدادى المولد والدار المنجنيقى الملقب نجم الدين الشاعر المشهور)

ذكره أبو عبد الله محمد بن سعيد المعروف بابن الدبيثى فى تاريخه الذى جعله ذيلا لتاريخ الحافظ أبى سعيد عبد الكريم بن السمعانى الذى ذيله على تاريخ بغداد تأليف الحافظ أبى بكر أحمد بن على بن ثابت البغدادى وقد سبق ذكر كل واحد من هؤلاء الثلاثة فى هذا التاريخ فقال ابن الدبيثى كان يعقوب المذكور متقدما على أهل صناعته يعنى فى صنعة المنجنيق وما يتعلق به وكان فيه فضل ويقول الشعر سمع شيأ من الحديث من أبى المظفر بن السمرقندى وأبى منصور بن الشطرنجى علقت عنه شيأ من شعره وأنشدنى أبو يوسف يعقوب ابن صابر لنفسه

قبلت وجنته فألفت جيده * خجلا ومال بعطفه المياس
فانهل من خديه فوق عذاره * عرق يحاكى الطل فوق الآس
فكأننى استقطرت ورد خدوده * بتصاعد الزفرات من أنفاسى

قال ابن السمعانى وسألته عن مولده فقال فى ضحى نهار الاثنين رابع محرم سنة أربع وخمسين وخمسمائة وقال غير ابن الدبيثى كان ابن صابر المنجنيقى جنديا فى ابتداء أمره مقدما على المنجنيقيين بمدينة السلام ببغداد ولم يزل مغرى بآداب السيف وصناعة السلاح والرياضة واشتهر بذلك ولم يلحقه أحد من أهل زمانه فى درايته وفهمه لذلك وصنف فيه كتابا سماه عمدة السالك فى سياسة الممالك ولم يتمه وهو مليح فى معناه يتضمن أحوال الحروب وتعبيتها وفتح الثغور وبناء المعاقل وأحوال الفروسية والهندسة والمصابرة على الحصار والقلاع والرياضة الميدانية والحيل الحربية وفنون العلاج بالسلاح وعمل اداة الحروب والكفاح وصنوف الحيل وصفتها وقد قسم هذا الكتاب ورتبه أبوابا كل باب منه يشتمل على فصول وكان شيخا هشا مليحا لطيفا فكها طيب المحاورة شريف النفس متواضعا فيه تودد وبشر وسكون وهو مع ذلك شاعر مكثر مجيد ذو معان مبتكرة يقصد الشعر ويعمل المقاطيع وجمع من شعره كتابا مختصرا سماه مغانى المعانى ومدح الخلفاء وكانت له منزلة لطيفة عند الامام الناصر لدين الله أبى العباس أحمد خليفة العصر ذلك الوقت (قلت) وكانت اخباره فى حياته متواصلة الينا واشعاره تنقلها الرواة عنه ويحكون وقائعه وماجرياته وما ينظم فى ذلك من الاشعار الرائقة والمعانى البديعة ولم يتفق لى رؤيته مع المجاورة وقرب الدار من الدار لانه كان ببغداد ونحن بمدينة اربل وهما متجاورتان لكن لكثرة اطلاعى على اخباره وما يتفق له من النظم المنقول عنه فى وقته كانى كنت معاشره ومازلت مشغوفا بشعره مستعذبا اسلو به فيه واجتمعت بخلق كثير من أصحابه والناقلين عنه منهم صاحبنا الشيخ عفيف الدين أبو الحسن على بن عدلان المعروف بالمترجم الموصلى فانه أنشدنى له شيأ كثيرا فمن ذلك قوله

كلفت بعلم المنجنيق ورميه * لهدم الصياصى وافتتاح المرابط
وعدت الى نظم القريض لشقوتى * فلم اخل فى الحالين من قصد حائط

وأنشدنى عنه أيضا وذكر انه لم يسبق اليه

لا تكن واثقا بمن كظم الغيـ * ـظ اغتيالا وخف غرار الغرور
فالظبا المرهفات أقتل ما كا * نت اذا غاض ماؤها فى الصدور

وأنشدنى أيضا فى جارية سوداء كان يهواها وهى جارية حبشية

وجارية من بنات الحبو * ش ذات جفون صحاح مراض
تعشقتها للتصابى فشبت * غراما ولم أك بالشيب راض
وكنت أعيرها بالسواد * فصارت تعيرنى بالبياض

وأنشدنى عنه أيضا وجارية عبرت للطواف * وعبرتها حذر ان تدمع
فقلت ادخلى البيت لا تجزعى * ففيه الامان لمن يجزع
* سدانته لبنى شيبة * فقالت ومن شيبة أفزع

٣ يقال له وكان صحيح البدن سالم الرجلين وقد رأيته مرة بعد أيام وقد عرض له عرج فسألت بعض الحاضرين عن وجهه فقال كنا جالسين فى المسجد مراقبين مشتغلين اذ وقع له انسلاخ فتبع جسده روحه فى العروج الى العالم العلوى والانقطاع عن البرزخ السفلى فارتفع الى ان قارب سطح البيت فاطلع عليه بعض الحاضرين فلم يملك نفسه وصاح صيحة فعاد روحه الى جسده دفعة فوقع على الارض من فوق فاختلت رجله وهذه قصة مشهورة وقد سألت شيخى الشيخ مصلح الدين رحمه الله تعالى عن كيفية انسلاخ وقع له مرة فقال رحمه الله كنت مرة مشتغلا بالذكر الجميل اذ ظهر لى يد فى غاية العظمة والمهابة فنظرت الى كفها فرأيت فيه اسم الجلالة مكتوبا بخط بديع واسلوب غريب فادمت النظر فيه وغبت عن نفسى فى ذلك فاذا بروحى قد انسلخ عن جسدى فوقع فى عالم فسيح فأخذ يسير فيه ويسيح وشاهدت من بدائع اللطائف واطلعت على غرائب المعارف ما لا يمكن شرحه ولا يليق بيانه فاذا سيرى قد انتهى الى

٣ قوله بالهامش يقال له الخ هكذا بالاصل وقد سقط منه اسم الرجل فليحرر اهـ

وأنشدنى عنه فى غلام يتعلم السباحة فى دجلة بغداد وقد لبس تبانا أزرق وشد على ظهره شكوة منفوخة كما جرت عادة من يتعلم العوم فقال فى ذلك

يا للرجال شكايتى من شكوة * أضحت تعانق من أحب واعشق
جعت هوى كهواى الا انها * تطفو ويثقلنى الغرام فاغرق
ويغيرنى التبان عند عناقه * اردافه فهو العدو الازرق

وقال صاحبنا الكمال بن الشعار الموصلى صاحب كتاب عقود الجمان أنشدنى ابن صابر لنفسه هذه الابيات لكنه روى البيت الثانى منها على صورة أخرى فقال

حملت هوى كهواى فهى بوصله * تطفو ويبكينى الغرام فاغرق

وهذا من المعانى النادرة فان العرب اذا وصفت العدو بشدة العداوة قالت هو العدو الازرق وقد جاء هذا فى كلامهم واشعارهم كثيرا واستعمله الحريرى فى المقامة الرابعة عشر فقال مذ اغبر العيش الاخضر وازور المحبوب الاصفر اسود يومى الابيض وابيض فودى الاسود حتى رثى لى العدو الازرق فحبذا الموت الاحمر ورأيت فى بعض الرسائل ولا أتحقق الآن صاحبها يقول قد أوردنا ظبا الحديد الاخضر فى ماء الوريد الاحمر من عدو الله الازرق من بنى الاصفر وهو باب متسع فلا حاجة الى الاطالة فى ذكر شواهده وانشدنى عنه أيضا فى جماعة من الصوفية أضافهم فأكلوا جميع ما قدمه لهم فكتب الى شيخهم يذكر حاله معهم

مولاى يا شيخ الرباط الذى * ابان عن فضل وعلياء
اليك أشكو جور صوفية * باتوا ضيوفى وأودائى
أتيتهم بالزاد مستأثرا * وبت تشكو الجوع احشائى
مشوا على الخبز ومن عادة الزهاد أن يمشوا على الماء * وهم الى الآن ضيوفى فخذ
لهم بخبز أو بحلواء * أولا فخذهم واكفنيهم فما * يحسن فى مثلهم رائى

وأنشدنى عنه فى الصوفية أيضا قد لبسوا الصوف لترك الصفا * مشايخ العصر لشرب العصير
الرقص والشاهد من شانهم * شطر طويل تحت ذيل قصير

وأنشدنى عنه أيضا وهو من المعانى المستطرفة

قالوا تراه يسبل شعر عذاره * وسباله مستهترا بزواله
فتسل عنه وخذ حبيبا غيره * فاجبتهم لازلت عبد وصاله
هل يحسن السلوان عن حب يرى * أن لا يفارقنى بنتف سباله

وأنشدنى له غير ابن عدلان وقال لما كبر ابن صابر وضعفت حركته صار اذا مشى يتوكأ على عصاه فقال فى ذلك

القيت عن يدى العصا * زمن الشبيبة للنزول
وحملتها لما دعا * داعى المشيب الى الرحيل

وكان ببغداد شخص يقال له ابن بشران وكان كثير الاراجيف فمنع من ذلك فقعد على الطريق يتجم فقال فيه ابن صابر ان ابن بشران ولست ألومه * من خيفة السلطان صار منجما
طبع المشوم على الفضول فلم يطق * فى الارض ارجافا فارجف فى السما

قلت وانشدنى الاديب شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن سالم المعروف بابن التلعفرى لنفسه فى بعض ليالى شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين وستمائة بالقاهرة المحروسة وهو من شعراء العصر المجيدين

يا شيب كيف وما انقضى زمن الصبا * عاجلت منى اللمة السوداء
لا تعجلن فوالذى جعل الدجا * من ليل طرتى البهيم ضياء
لو أنها يوم الحساب صحيفتى * ما سرقلبى كونها بيضاء

فقلت له قد اغرت على بيت نجم الدين بن صابر حتى انك قد أخذت معظم لفظه وجميع معناه والوزن والروى وهو قوله لو أن لحية من يشيب صحيفة * لمعاده ما اختارها بيضاء
فحلف انه لم يسمع هذا البيت الا بعد عمله للابيات المذكورة والله أعلم بذلك وهذا البيت لابن صابر من جملة

الموضع الذى ابتدأت منه فرأيت جسدى ملقى فى حجرتى فما أردت الدخول فيه فسمعت صوتا مهولا بان ادخل فى جسدك الى وقت معلوم فاذا أنا فى جسدى على ما كنت عليه قبل ذلك وقد سألت يوما شيخى عن شيخه ووالده رحمهما الله تعالى أيهما أكمل فى اعتقادكم فقال وقع لى فيه واقعة غريبة وهى انى كنت مشتغلا بزاوية الشيخ عبد الرحيم فخطر لى ان الشيخ محيى الدين وخليفته الشيخ مصلح الدين السيروزى والشيخ عبد الرحمن ووالدى والشيخ علاء الدين أيهم ارفع رتبة وأقوم منزلة فوقعت لى واقعة فرأيت فيها طريقة واضحة ومحجة بيضاء ممتدة من الارض الى السماء فدخلت فى هذه الطريق فما ذهبت الا قليلا حتى اعطانى الله تعالى جناحين فطرت نحو السماء فاذا بصوت مهيب يجىء من فوقى فرفعت رأسى فنظرت اليه فاذا هو رجل ذو جناحين مثلى يطير ويسير بهما فاجتمعنا فقال لى أى شئ تريد فقلت أعطانى الله تعالى جناحين فأطير بهما فأسير فى ملكوت السموات وأشاهد عظمة قدرة الله تعالى وسألته عنه فقال أنا الشيخ أبو يزيد البسطامى وتعال نتطاير ونتساير فتطايرنا

أبيات وهى

قالوا ابياض الشيب نور ساطع * يكسو الوجوه مهابة وضياء
حتى سرت وخطاته فى مفرقى * فوددت ان لا افقد الظلماء
وعدلت أستبق الشباب تعللا * بخضابها فصبغتها سوداء
لو أن لحية من يشيب صحيفة * لمعاده ما اختارها بيضاء

وأخبرنى بعض الادباء ان ابن صابر كتب الى بعض الرؤساء ببغداد

ماجئت أسأل المواهب مادحا * انى لما أوليتنى لشكور
لكن أتيت عن المعالى مخبرا * لك ان سعيك عندها مشكور

ووقفت بالقاهرة على كراريس فيها شعره وقد أجاد فى كل ما نظمه ورأيت فيها البيتين المشهورين المنسوبين الى جماعة من الشعراء ولا يعرف قائلهما على الحقيقة وهما

ألقنى فى لظى فان أحرقتنى * فتيقن ان لست بالياقوت
جمع النسج كل من حاك لكن * ليس داود فيه كالعنكبوت

فعمل ابن صابر جوابهما فقال

ايها المدعى الفخار دع الفخـ * ـر لذى الكبرياء والجبروت
نسج داود لم يفد ليلة الغا * ر وكان الفخار للعنكبوت
وبقاء السمند فى لهب النا * ر مزيل فضيلة الياقوت
وكذاك النعام يلتقم الجمـ * ـر وما الجمر للنعام بقوت

قلت وعلى البيتين الاولين نظم جماعة من المعاصرين لنا أبياتا فمن ذلك قول الكمال أبى محمد القاسم بن القاسم بن عمر بن منصور الواسطى نزيل حلب صاحب شرح المقامات

حق دود القز يبنى * فوقه ثم يموت بعد ما سدى وقد صا * ر يسدى العنكبوت

وقول المهذب أبى عبد الله محمد بن الحسن بن عمن الانصارى المعروف بابن الاردخل الموصلى نزيل ميافارقين

أقول وقد قالوا انبرا متعقبا * اذا ما ادعى ابن الهوى غير أهله
يحق لدود القز يقتل نفسه * اذا جاء بيت العنكبوت بمثله

وهذا ينظر الى قول بعضهم اذا شوركت فى أمر بدون * فلا يلحقك عار أو نفور
ففى الحيوان يشترك اضطرارا * أرسطاليس والكلب العقور

وقول الآخر وللزنبور والبازى جميعا * لدى الطيران اجنحة وخفق
ولكن بين ما يصطاد باز * وما يصطاده الزنبور فرق

قلت وعلى ذكر دود القز ينبغى أن يذكر ما يقال عن السرفة بضم السين المهملة وبعدها راء ساكنة ثم فاء قال الجوهرى فى كتاب الصحاح هى دويبة تتخذ لنفسها بيتا مربعا من دقاق العيدان تضم بعضها الى بعض بلعابها على مثال الناووس ثم تدخل فيه وتموت يقال فى المثل هو أصنع من سرفة وذكر لى بعض الفضلاء ان السرفة هى الارضة والله أعلم ومما ينبغى ان يلحق بالابيات المقدم ذكرها قول بعضهم

ان أعوز الحاذق فاستبدلوا * مكانه أخرق لم يحذق
فلاعب الشطرنج من دأبه * وضع حصاة موضع البيدق

والاصل فى هذا كله قول المتنبى وشر ما قنصته راحتى قنص * شهب البزاة سواء فيه والرخم
ويقرب منه أيضا قول أبى العلاء المعرى

وهل يدخر الضرغام قوتا ليومه * اذا ادخر النمل الطعام لعامه

قلت وفى هذه الابيات الاوائل ما يحتاج الى زيادة ايضاح فليس كل من يقف عليها يفهم معناها أما البيت الاول وماذكره من أمر الياقوت فان الياقوت من خاصيته ان النار لا تؤثر فيه والى هذا أشار الحريرى فى المقامة السابعة والاربعين بقوله من جملة ثلاثة أبيات

ونسايرنا مدة وتحادثنا زمانا الى ان انجر الكلام الى بيان مراتب المشايخ المذكورة فقال لى انظر تحتك فنظرت فرأيت أرضا بيضاء فيها طريقة بيضاء وجلس على هذا الطريق أربعة رجال مراقبين متوجهين الى جناب الحضرة مع كمال الادب والوقار ثم قال ان هذه الارض هى التى تدخلها أولياء الله تعالى وتلك الطريق طريق الحق وهؤلاء الرجال هم الذين سألت عنهم فانظر اليهم وتامل مراتبهم ولما أمعنت النظر فيهم فاذا الشيخ محيى الدين مقدم الجميع وبعده الشيخ مصلح الدين وبعده الشيخ علاء الدين والدى والشيخ عبد الرحيم الان والدى أقرب الى الشيخ فى الجملة ثم رأيت على هذا الطريق رجلا على بعد منهم فسألته عنه فقال هو الشيخ المشتهر ببهاء الدين زاده من جملة خلفاء الشيخ محيى الدين فقلت فلم بعده عن شيخه وعدم دخوله فى ذلك المجلس قال لاجل انه أكثر الاشتغال بالعلوم الظاهرة فعاقته عن مسيره واخرته عن نظرائه والشيخ محيى الدين وان كان له فضيلة تامة فى العلوم الظاهرة الا انه جعلها نسيا منسيا وحصر نفسه فى طلب المعارف الالهية ثم قال لى هل تريد اللحوق الى مقدم

وطالما أصلى الياقوت جمر غضى * ثم انطفا الجمر والياقوت ياقوت

وقال آخر فى غلام له اسمه ياقوت

ياقوت ياقوت قلب المستهام به * من المروءة ان لا يمنع القوت

سكنت قلبى وما تخشى تلهبه * وكيف يخشى لهيب النار ياقوت

وقد جاء هذا فى الشعر كثيرا لكن الاختصار أولى وأما قول ابن صابر فى الجواب فى البيت الثانى نسج داود لم يفد ليلة الغار الى آخره فهذا اشارة الى مهاجرة النبى عليه الصلاة والسلام ومعه أبو بكر الصديق رضى الله عنه فانهما خافا من مشركى مكة أن يتبعوهما فدخلا غار ثور بالثاء المثلثة وثور جبل بين مكة والمدينة بالقرب من مكة ونسج العنكبوت على باب الغار فلما وصل المشركون اليه ورأوا أثر نسج العنكبوت على الباب قالوا ليس ههنا أحد فانه لو دخله أحد ما كان العنكبوت نسج عليه فى الحال لان المشركين بادروا اليهما ليلحقوهما فأخفى الله سبحانه وتعالى أمرهما وهى من معجزات النبى صلى الله عليه وسلم وقوله فى البيت الثالث وبقاء السمند فى لهب النار الى آخره السمند بفتح السين المهملة والميم وبعد النون الساكنة دال مهملة ويقال السمندل أيضا بزيادة اللام وذكر وانه طائر يقع فى النار فلا تؤثر فيه ويعمل من ريشه مناديل وتحمل الى هذه البلاد فاذا اتسخت المناديل طرحت فى النار فتأكل النار الوسخ الذى عليها ولا يحترق المنديل ولا تؤثر النار فيه ولقد رأيت منه قطعة ثخينة منسوجة على هيئة حزام الدابة وهى فى طول الحزام وعرضه فجعلوها على النار فما عملت فيه فغمسوا أحد جوانبه فى الزيت وتركوه على فتيلة السراج فاشتعل وبقى زمانا طويلا يشتعل ثم أطفؤه وهو على حاله ما تغير منه شئ ويقولون انه يجلب من بلاد الهند وان هذا الطائر يكون هنالك وفيه نكتة ينبغى ان نذكرها هنا وهى ان طرف تلك القطعة لما وضعوه على السراج تركوه زمانا طويلا والنار لا تعلق فيه فقال بعض الحاضرين هذا ما تعمل فيه النار ولكن اغمسوا هذا الطرف فى الزيت ثم اجعلوه على النار ففعلوا ذلك فاشتعل فظهر من هذا ان النار لا تؤثر فيه على تجرده بل لابد من غمسه فى شئ من الادهان ثم رأيت بخط شيخنا موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادى فى كتابه الذى جعله لنفسه سيرة انه قدم للملك الظاهر صلاح الدين صاحب حلب قطعة سمندل عرض ذراع فى طول ذراعين فصاروا يغمسونها فى الزيت ويوقدونها حتى يشتعل الزيت وترجع بيضاء كما كانت والله أعلم ومثله السرفوت دويبة تعشش فى كور الزجاج فى حال توقده واضطرامه وتبيض فيه وتفرخ ولا تعمل بيتها الا فى موضع النار المستمرة الدائمة فسبحان خالق كل شئ وهى بفتح السين المهملة والراء وضم الفاء وسكون الواو وبعدها تاء مثناة من فوقها وأما البيت الرابع الذى ذكر فيه النعام وانه يلتقم الجمر فهذا شئ شاهدناه كثيرا وهو معروف بين الناس وليس بغريب وبالجملة فقد خرجنا عن المقصود لكن الكلام اتصل بعضه ببعض فانتشر وتوفى ابن صابر المذكور فى ليلة الثامن والعشرين من صفر سنة ست وعشرين وستمائة ببغداد ودفن يوم الجمعة غربيها بالمقبرة الجديدة بباب المشهد المعروف بموسى بن جعفر رضى الله عنهما وأخبرنى الشهاب التلعفرى المذكور ان مولده فى الخامس والعشرين من جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين وستمائة بمدينة حماة وأنشدنى قبل موته لنفسه وهو آخر شعره

اذا ما بات من ترب فراشى * وصرت مجاور الرب الرحيم

فهنونى أصيحابى وقولوا * لك البشرى قدمت على الكريم

وحوثرة بفتح الحاء المهملة وسكون الواو وفتح الثاء المثلثة وبعدها راء ثم هاء وهى فى الاصل اسم لحشفة الذكر وبه سمى الانسان قال ابن الكلبى فى كتاب جمهرة النسب سمى ربيعة بن عمرو بن عوف بن بكر بن وائل حوثرة لانه بجفر بامرأة معها قعب لها فاستامها فأكثرت فقال والله لو أدخلت حوثرتى فيه يعنى كمرته لملأته فسمى حوثرة والمنجنيقى بفتح الميم وسكون النون وفتح الجيم وكسر النون الثانية وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها قاف هذه النسبة الى المنجنيق وهو معروف واذ قد جرى ذكره ينبغى الكلام عليه ففيه أشياء

هذه الطريقة الشيخ محيى الدين فقلت انى استحى من هؤلاء المشايخ الكبار أحدهم شيخى والآخر والدى والآخر شيخ والدى فقال هذا طريق الحق وميدان المحبة لا يراعى فيها خاطر من الخواطر بل كل من يسلك فيها ويصل اليها يأخذ منها بقدر ما يقدر عليه فقبضنى من جناحى ورمانى الى تلك الارض فما وقعت الا عند الشيخ محيى الدين مقدما على الشيخ عبد الرحيم فرفع رأسه فقال أسأت الادب وتقدمت على مرتبتك فقلت ما جئت الى هذا المكان باختيارى وانظر الى الذى يقف عند رأسك فنظر فرأى الشيخ أبا يزيد فسأل عنه فقلت هو الشيخ أبو يزيد الذى رمانى الى هذا المكان وأوصلنى الى هذه المنزلة فقال سلمه الله وان الامر أمره فقام وأخذ ازارا وشده فى وسطى وقلدنى سيفا فانتبهت وتفكرت فعرفت الحال وفهمت المقال وها أنا أورد الرسالة المباركة وفاء بالعهد السابق فعليك بالفكر اللائق والتأمل الصادق فيما حوته من الاشارات الدقيقة الى الاسرار الانيقة وتنبيهات فائقة الى بدائع رائقة تنكشف بها الخطوب وتطمئن بها القلوب حتى تستدل على مقامه من آثار اقدامه (صورة الرسالة

غريبة منها انه من جملة الآلات المنقولة المستعملة والقاعدة فى هذا الباب أن تكون ميمه مكسورة الا ما شذ عن ذلك فى ألفاظ قليلة مثل منخل ومدهن ومسعط وغير ذلك مع ان ابن الجواليقى فى كتاب المعرب حكى فيه أربع لغات فتح الميم وكسرها على القاعدة ومنجنوق بالواو بدل الياء ومنجليق باللام عوضا عن النون الثانية وحكى فى الميم والنون الاولى ثلاثة أقوال قيل انهما أصليتان وقيل زائدتان وقيل الميم أصلية والنون زائدة والله أعلم وهو اسم أعجمى فان الجيم والقاف لا يجتمعان فى كلمة عربية مثل الجرموق والجردق والجوسق والجلاهق والقبج وغير ذلك وهذا مطرد وكذلك الجيم والصاد لا يجتمعان فى كلمة عربية مثل الصهريج والجص والصاج والجصطل وغير ذلك وهو باب مطرد واذا جمعناه حذفنا احدى النونين فان حذفنا النون الاولى قلنا مجانيق وان حذفنا النون الثانية قلنا مناجيق وقال الجوهرى فى كتاب الصحاح الاصل فى المنجنيق من جى نيك تفسيره بالعربى ما أجودنى (قلت) فتفسير من أنا وتفسير جى ايش وتفسير نيك جيد أى أنا ايش جيد قال الجوهرى ثم عرب فقيل منجنيق وذكر ابن قتيبة فى كتاب المعارف وأبو هلال العسكرى فى كتاب الاوائل ان أول من وضع المنجنيق جذيمة الابرش ملك العرب وبلده الحيرة فى ذلك الزمان وقال الواحدى فى تفسيره الوسيط فى سورة الانبياء ان المشركين لما عزموا على احراق ابراهيم الخليل عليه السلام وأضرموا النار لم يدروا كيف يلقونه فيها فجاءهم ابليس لعنه الله تعالى فدلهم على المنجنيق وهو أول منجنيق وضع فوضعوه فيه ثم رموه والله أعلم وهذا الفصل كله وان كان خارجا عن المقصود لكنه ما يخلو عن فائدة فلذلك بسطت القول فيه

(أبو البقاء يعيش بن على بن يعيش بن أبى السرايا بن محمد بن على بن الفضل بن عبد الكريم ابن محمد بن يحيى بن حيان القاضى ابن بشر بن حيان الاسدى الموصلى الاصل الحلبى المولد والمنشا الملقب موفق الدين النحوى ويعرف بابن الصائغ)

قرأ النحو على أبى السخاء فتيان الحلبى وأبى العباس المغربى والفيروزى وسمع الحديث على أبى الفضل عبد الله بن أحمد الخطيب الطوسى بالموصل وعلى أبى محمد عبد الله بن عمر بن سويدة التكريتى وبحلب من أبى الفرج يحيى بن محمود الثقفى والقاضى أبى الحسن أحمد بن محمد الطرسوسى وخلد بن محمد بن نصر بن صغير القيسرانى وبدمشق على تاج الدين الكندى وغيرهم وحدث بحلب وكان فاضلا ماهرا فى النحو والتصريف رحل من حلب فى صدر عمره قاصدا بغداد ليدرك أبا البركات عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن الانبارى المقدم ذكره وتلك الطبقة بالعراق وبلاد الجزيرة فلما وصل الى الموصل بلغه خبر وفاته وقد ذكرت تاريخ موته فى ترجمته فأقام بالموصل مديدة وسمع الحديث بها ثم رجع الى حلب ولما عزم على التصدر للاقراء سافر الى دمشق واجتمع بالشيخ تاج الدين أبى اليمن زيد بن الحسن الكندى الامام المشهور وقد تقدم ذكره فى حرف الزاى وسأله عن مواضع مشكلة فى العربية وعن اعراب ما ذكره أبو محمد الحريرى فى المقامة العاشرة المعروفة بالرحبية وهو قوله فى أواخرها حتى اذا لألأ الافق ذنب السرحان وآن انبلاج الفجر وحان فاستبهم جواب هذا المكان على الكندى هل الافق وذنب السرحان مرفوعان أو منصوبان أو الافق مرفوع وذنب السرحان منصوب أو على العكس وقال له قد علمت قصدك وانك أردت اعلامى بمكانتك من هذا العلم وكتب له خطه بمدحه والثناء عليه ووصف تقدمه فى الفن الادبى (قلت) وهذه المسئلة يجوز فيها الامور الاربعة والمختار منها نصب الافق ورفع ذنب السرحان وقد ذكر ذلك تاج الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن المقدم ذكره المعروف بالبندهى فى كتاب شرح المقامات ولولا خوف الاطالة لبينت ذلك ولما وصلت الى حلب لاجل الاشتغال بالعلم الشريف وكان دخولى اليها يوم الثلاثاء مستهل ذى القعدة سنة ست وعشرين وستمائة وهى اذ ذاك أم البلاد مشحونة بالعلماء والمشتغلين وكان الشيخ موفق الدين المذكور شيخ الجماعة فى الادب لم يكن فيهم مثله فشرعت فى القراءة عليه وكان يقرئ بجامعها فى المقصورة الشمالية بعد العصر وبين الصلاتين بالمدرسة الرواحية وكان عنده جماعة قد تنبهوا وتميزوا به وهم ملازمون

بعينها) اعلم ان حصول المقصود انما يكون بالتوحيد والفناء وهو انما يكون بكلمة التوحيد لان السالك لم يصل الى الفناء والبقاء الا برفع الحجب فبالنفى ترفع الحجب وبالاثبات يثبت الحق لان التنزيه شان السالك على الوجه الخاص وهو طريق المعراج كما صرح به الشيخ الاكبر فى كتبه وأما قولهم الطرق الى الله بعدد انفاس الخلائق فمعناه ان سلوك كل أحد انما يكون بحسب استعداده وقابليته كما يشعر به قولهم بعدد انفاس الخلائق والذكر اللسانى فى منازل النفس وهى جوهرى بخارى حاصل من قوة الحيوان والحس والحركة الارادية ويسميها الحكماء الروح الحيوانى وهو واسطة بين القلب الذى هو النفس المجردة وبين البدن المادى ومنبعه التجويف الايسر من اللحم الصنوبرى ويطلق القلب عليه فقوله عليه الصلاة والسلام حكاية عن الله عز وجل ما وسعنى أرضى ولا سمائى ولكن وسعنى قلب عبدى المؤمن وقوله عليه الصلاة والسلام ان قلب المؤمن بين أصبعين الحديث ناظر الى الاول وقوله عليه السلام ان فى جسد بنى آدم لمضغة اذا صلحت صلح بها سائر الجسد واذا فسدت فسد بها سائر الجسد الا وهى القلب ناظر الى الثانى وهى تكون (امارة) تميل

مجلسه لا يفارقونه فى وقت الاقراء وابتدأت بكتاب اللمع لابن جنى فقرأت عليه معظمها مع سماعى لدروس الجماعة الحاضرين وذلك فى أواخر سنة سبع وعشرين وما أتممتها الا على غيره لعذر اقتضى ذلك وكان حسن التفهيم لطيف الكلام طويل الروح على المبتدى والمنتهى وكان خفيف الروح ظريف الشمائل كثير المجون مع سكينة ووقار ولقد حضرت يوما حلقته وبعض الفقهاء يقرأ عليه اللمع لابن جنى فقرأ بيت ذى الرمة فى باب النداء

أيا ظبية الوعساء بين جلاجل * وبين النقا آ أنت أم أم سالم

فقال له الشيخ ان هذا الشاعر لشدة ولهه فى المحبة وعظم وجده بهذه المحبوبة أم سالم وكثرة مشابهتها للغزال كما جرت عادة الشعراء فى تشبيههم النساء الصباح الوجوه بالغزلان والمها اشتبه عليه الحال فلم يدر هل هى امرأة أم ظبية فقال آ أنت أم أم سالم وأطال الشيخ موفق الدين القول فى ذلك وبسطه بأحسن عبارة بحيث يفهمه البليد البعيد الذهن وذلك الفقيه منصت مقبل على كلامه بكليته حتى يتوهم من يراه على تلك الصورة انه قد تعقل جميع ما قاله الشيخ من شرحه فلما افرغ الشيخ من قوله قال له الفقيه يا مولانا ايش فى هذه المرأة الحسناء يشبه الظبية فقال له الشيخ قول منبسط تشبهها فى ذنبها وقرونها فضحك الحاضرون وخجل الفقيه وما عدت رأيته حضر مجلسه (قلت) وجلاجل بفتح الجيم وضمها اسم مكان والثانية جيم أيضا وكنا يوما نقرأ عليه بالمدرسة الرواحية فجاء رجل من الاجناد وبيده مسطور بدين وكان الشيخ له عادة بالشهادة فى المكاتيب الشرعية فقال يا مولانا اشهد على ما فى هذا المسطور فأخذه الشيخ من يده وقرأ أوله أقرت فاطمة فقال له الشيخ أنت فاطمة فقال الجندى يا مولانا الساعة تحضر وخرج الى باب المدرسة فاحضرها وهو يتبسم من كلام الشيخ ويقرب من هذا ما تقدم ذكره فى ترجمة عامر الشعبى ان شخصا دخل عليه وعنده امرأة فقال أيكما الشعبى فقال له هذه وكنا يوما نقرأ عليه فى داره فعطش بعض الحاضرين وطلب من الغلام ماء فاحضره فلما شرب قال ما هذا الاماء بارد فقال له الشيخ لو كان خبزا حارا كان أحب اليك وكنا يوما عنده بالمدرسة الرواحية فجاء المؤذن وأذن قبل العصر بساعة جيدة فقال له الحاضرون ايش هذا يا شيخ وأين وقت العصر فقال الشيخ موفق الدين دعوه عسى أن يكون له شغل فهو مستعجل وكان يوما عنده القاضى بهاء الدين المعروف بابن شداد قاضى حلب الآتى ذكره ان شاء الله تعالى فجرى ذكر زرقاء اليمامة وانها كانت ترى الشئ من المسافة البعيدة حتى قيل تراه من مسيرة ثلاثة أيام فجعل الحاضرون يقولون ما علموه من ذلك فقال الشيخ موفق الدين أنا أرى الشئ من مسيرة شهرين فتعجب الكل من قوله وما أمكنهم ان يقولوا له شيأ فقال له القاضى كيف هذا يا موفق فقال لانى أرى الهلال فقال له ٣ كان قلت مسافة كذا وكذا سنة فقال لو قلت هذا عرف الجماعة الحاضرون غرضى وكان قصدى الابهام عليهم وله نوادر كثيرة يطول ذكرها وكنت يوما عنده وقد قدم عليه من الموصل رجل من فضلاء المغاربة فى علم الادب فحضر حلقته وبحث فى درسه بحث رجل فاضل وجرى ذكر مباحث جرت له بالموصل مع جماعة من أدبائها وقال كنت عند ضياء الدين نصر الله بن الاثير الجزرى (قلت وقد سبق ذكره) قال فتحاورنا وتناشدنا فانشدته قول بعض المغاربة (قلت) هذه الابيات ذكر أبو اسحق الحصرى انها لبعض مشايخ القير وان ورواها عنه ولم يعينه (قلت) غالب ظنى انه أبو الحسن على بن عبد الغنى الحصرى والابيات التى أنشدها ولم يذكر انه له رأيتها فى بعض المجاميع منسوبة الى أبى الحجاج الشاعر المشهور وهى

ومعذرين كان نبت خدودهم * اقلام مسك تستمد خلوقا
قرنوا البنفسج بالشقيق ونضدوا * تحت الزبرجد لؤلؤا وعقيقا
فهم الذين اذا الخلى رآهمو * وجد الهوى بهم اليه طريقا

قلت ونصف البيت الثانى مثل قول ابن الذروى المصرى فى أبياته التى سبق ذكرها فى ترجمة المبارك بن منقذ وهو قوله جلا تحت ياقوت اللمى ثغر لؤلؤ * رطيبا وأبدى شاربا من زمرد

ومن المنسوب الى أبى محمد الحسن بن على المعروف بابن وكيع التنيسى المقدم ذكره فى حرف الحاء

٣ قوله كان قلت هكذا بالاصل ولعل الظاهر كنت تقول اه مصححه

الى الطبيعة البدنية وتأمر باللذات الشهوانية الحسية وتجذب القلب الى الجهة السفلية فتكون مأوى الشر ومنبع الاخلاق الذميمة والافعال السيئة فتكون أرض البدن أو النفس حائلة بين شمس الروح وقمر القلب ولم تنعكس أنوار العلوم والمعارف فينقطع الانخساف للجمع (ولوامة) منورة بنور القلب المنور من الروح بحسب زوال ميلها الى الطبيعة الجسمانية فتتيقظ من سنة الغفلة وتبدأ باصلاح حالها مترددة بين الجهة السفلية فاذا صدرت عنها سيئة بحكم جبلتها الظلمانية يدركها نور التنبيه الالهى فتلوم نفسها (ثم مطمئنة) تنور بنور القلب فيسرى النور الى البدن فيكون الكل نورا فيتنزل الذكر الى القلب بالمعنى الثانى فيسمع منه الذكر والذكر القلبى ليس هذا ثم يحصل الذكر القلبى وهو ذكر الافعال أى تصور نعماء الله تعالى وآلائه فالذكر ههنا ليس من جنس الحروف والاصوات لان القلب جوهر مجرد فلا يكون ذكره الا من جنس الادراك الذى يعجز عنه القلوب القاسية والعقول المدركة ثم يحصل الذكر السرى وهو معاينة أفعال الله تعالى وتصرفاته ومكاشفة علوم تجليات الصفات ثم

جوهرى الاوصاف يقصر عنه * كل فهم وكل ذهن دقيق
شارب من زمرد وثنايا * لؤلؤ فوقها فم من عقيق

وذكرت بهذه الابيات بيتين كنت أحفظهما ويحسن ذكرهما بعد هذا وهما

لما وقفنا للوداع وصارما * كأنظن من النوى تحقيقا
نثروا على ورق الشقائق لؤلؤا * ونثرت من فوق البهار عقيقا

وكذا بيت الواوا الدمشقى فأمطرت لؤلؤا من نرجس فسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد

وكذا قول محمد بن سعيد العامرى الدمشقى وقيل انها لابن وكيع

لما اعتنقنا للوداع وأعربت * عبراتنا عنا بدمع ناطق
فرقن بين معاجر ومحاجر * وجمعن بين بنفسج وشقائق
وأنا الفداء لظبية احداقنا * موصولة من وجهها بحدائق

وينسب الى أبى الفتح الحسن بن أبى حصينة الحلبى الشاعر المشهور من هذا أيضا

ولما وقفنا للوداع وقلبها * وقلبى يفيضان الصبابة والوجدا
بكت لؤلؤا رطبا وفاضت مدامعى * عقيقا فصار الكل فى نحرها عقدا

وأنشدنى صاحبنا الحسام عيسى بن سنجر بن بهرام الحاجرى الاربلى المقدم ذكره لنفسه

ولما التقينا ومر الزمان * رأى دمع عينى دما فى المآقى
فقال وعهدى به لؤلؤا * يجرى عقيقا وهذا التلاقى
فقلت حبيبى لا تعجبن * جعلت فداك لميتا وباقى
فتلك أوائل دمع الوداع * وهذا أواخر دمع الفراق

وكان الشيخ موفق الدين المذكور كثيرا ما ينشد منسوبا الى أبى على الحسن بن رشيق المقدم ذكره ثم كشفت ديوانه فلم أجد هذه الابيات فيه والله أعلم وهى

وقد كنت لا آتى اليك مخاتلا * لديك ولا اثنى عليك تصنعا
ولكن رأيت المدح فيك فريضة * علىّ اذا كان المديح تطوعا
ففهت بما لم يخف عنك مكانه * من القول حتى ضاق عما توسعا
فلا تتخالجك الظنون فانها * مآثم واترك فىّ للصلح موضعا
فلو غيرك الموسوم عندى بريبة * لاعطيت فيه مدعى القول ما ادّعى
فوالله ما طولت بالقول فيكم * لسانا ولا عرضت للذم مسمعا
ولكننى أكرمت نفسى فلم تهن * وأجللتها من أن تذل وتخضعا
فباينت لا أن العداوة باينت * وقاطعت لا أن الوفاء تقطعا

(قلت) وقد قيل فى هذا الباب شئ كثير ولا حاجة الى الاطالة وشرح الشيخ موفق الدين كتاب المفصل لابى القاسم الزمخشرى شرحا مستوفيا وليس فى جملة الشروح مثله وشرح تصريف الملوكى لابن جنى شرحا جيدا وانتفع به خلق كثير من أهل حلب وغيرها حتى ان الرؤساء الذين كانوا بحلب ذلك الزمان كانوا تلامذته وكانت ولادته لثلاث خلون من شهر رمضان سنة ست وخمسين وخمسمائة بحلب وتوفى بها فى سحر الخامس والعشرين من جمادى الاولى سنة ثلاث وأربعين وستمائة ودفن من يومه بتربته بالمقام المنسوب الى ابراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه ورحمه الله

(أبو بكر عموت بن المزرع بن عموت بن عيسى المزرع بن موسى بن سنان بن حكيم بن جبلة بن حصن بن أسود بن كعب بن عامر بن عدى بن الحرث بن الديل بن عمرو بن غنم بن وديعة بن دكين بن أفصى بن عبد القيس بن أفصى بن دعمى ابن جديلة بن أسد ابن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان العبدى البصرى)

يحصل ذكر الروح وهو مشاهدة الاسماء والصفات مع ملاحظة نور الذات اذ الاسم باصطلاح أهل الحق ليس هو اللفظ بل هو الذات المسمى باعتبار صفة وجودية كالعلم والقدرة أو عدمية كالقدوس والسلام فتظهر للسالك فى مقام الروح الاسماء الالهية الكلية التى هى مائة الا واحدا وألف وواحد على وجوه مختلفة وانحاء شتى لا يمكن وصفها للمحجوبين فيسمع من كل اسم بلا جهة وحرف وصوت وترتيب بشئ اذا خرج السالك الى عالم الاجسام يكون لفظا مركبا مرتبا مثلا يظهر اسم الله تعالى فى صورة بحر يسمع منه بلا صوت وحرف وترتيب فاذا عاد السالك الى مقام الشهادة يعبر عنها بما يعبر بحرف وصوت وترتيب حروف مسموعة مرتبة من جهة كلفظ الله تعالى وكذا غيره من الاسماء فيكون ذكر الروح مشاهدة الاسماء والتوجه اليها بالكلية فاذا داوم السالك على الذكر يكون فانيا فى أوصافه باقيا بأوصاف الحق متخلقا بأخلاق الله تعالى وفى هذا الموضع يحتاج الى المرشد الكامل غاية الاحتياج اذ هو مقام الحيرة فاذا انكشف اسم الله تعالى مثلا يقول المرشد الكامل اشتغل باسم الله

(قلت) ووجدت فى كتاب جمهرة النسب تاليف ابن الكلبي عند ذكره حكيم بن جبلة المذكور وقد ساق نسبه على هذه الصورة وفى الحاشية مكتوب ما مثاله من ولد حكيم بن جبلة المذكور يموت بن المزرع بن يموت وقد ساق نسبه على هذه الصورة حتى ألحقه بحكيم بن جبلة المذكور والعهدة عليه فى ذلك ورأيت بخطى فى مسوداتى يموت بن المزرع بن يموت بن المزرع بن يموت بن عدس بن سيار بن المزدع بن الحرث بن ثعلبة بن عمرو بن ضمرة بن دلهاث بن بكر بن وديعة بن بكر بن كثير بن أفصى المذكور والله أعلم بالصواب فى ذلك وكان يموت قد سمى نفسه محمدا وذكره الخطيب البغدادى فى تاريخه الكبير فى المحمدين ثم ذكره فى حرف الياء وقال هو يموت ابن أخت أبى عثمان الجاحظ وقد تقدم ذكره قدم يموت بن المزرع بغداد فى سنة احدى وثلثمائة وهو شيخ كبير وحدث بها عن أبى عثمان المازنى وابى حاتم السجستانى وأبى الفضل الرياشى ونصر بن على الجهضمى وعبد الرحمن ابن أخى الاصمعى ومحمد بن يحيى الازدى وأبى اسحق ابراهيم بن سفيان الزيادى وغيرهم وروى عنه أبو بكر الخرائطى وأبو الميمون بن راشد وأبو الفضل العباس بن محمد الرقى وأبو بكر بن مجاهد المقرى وأبو بكر بن الانبارى وغيرهم وكان أديبا اخباريا وله ملح ونوادر وكان لا يعود مريضا خوفا من أن يتطير باسمه وكان يقول بليت بالاسم الذى سمانى به أبى فانى اذا عدت مريضا فاستأذنت عليه فقيل من هذا قلت أنا ابن المزرع واسقطت اسمى ومدحه منصور الفقيه الضرير الشاعر بقوله

أنت يحيى والذى يكـ * ـره ان تحيا يموت أنت صنو النفس بل أنـ * ـت لروح النفس قوت

أنت للحكمة بيت * لا خلت منك البيوت

ومن اخباره انه قال أخبرنى أبو الفضل الرياشى قال سمعت الاصمعى يقول سخط هرون الرشيد على عبد الملك ابن صالح بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه فى سنة ثمان وثمانين ومائة ولقد كنت عند الرشيد وقد أتى بعبد الملك يرفل فى قيوده فلما نظر الرشيد اليه قال له هيه يا عبد الملك كأنى والله انظر شؤبوبها قد همع والى عارضها قد لمع وكأنى بالوعيد قد أقلع عن براجم بلا معاصم ورؤس بلا غلاصم مهلا مهلا بنى هاشم فبى والله سهل لكم الوعر وصفا لكم الكدر وألقت اليكم الامور أزمتها فخذوا حذركم منى قبل حلول داهية خبوط باليد والرجل فقال له عبد الملك أفذا أتكلم أم توأما فقال بل توأما فقال اتق الله يا أمير المؤمنين فيما ولاك وراقبه فى رعاياك التى استرعاك فقد سهلت والله لك الوعور وجمعت على خوفك ورجائك الصدور وكنت كما قال أخو بنى جعفر بن كلاب

ومقام ضيق فرجته * بلسان وبيان وجدل

لو يقوم الفيل أو فياله * زل عن مثل مقامى ورحل

قال فاراد يحيى بن خالد البرمكى ان يضع من مقدار عبد الملك عند الرشيد فقال يا عبد الملك بلغنى انك حقود فقال له أصلح الله الوزير ان يكن الحقد هو بقاء الخير والشر عندى فانهما الباقيان فى قلبى قال الاصمعى فالتفت الرشيد الى وقال يا أصمعى حررها فوالله ما احتج أحد للحقد بمثل ما احتج به عبد الملك ثم أمر به فرد الى محبسه قال الاصمعى ثم التفت الرشيد الى وقال يا أصمعى والله لقد نظرت الى موضع السيف من عنقه مرارا ويمنعنى من ذلك ابقائى على قومى فى مثله (قلت) وعبد الملك بن صالح قد ذكرته فى ترجمة أبى عبادة الوليد البحترى الشاعر المشهور ونبهت على تاريخ وفاته وروى يموت بن المزرع أيضا ان أحمد بن محمد بن عبيد الله أبا الحسن الكاتب المعروف بابن المدبر الضبي الرستيسانى كان اذا مدحه شاعر فلم يرض شعره قال لغلامه امض به الى المسجد الجامع ولا تفارقه حتى يصلى مائة ركعة ثم أطلقه فتحاماه الشعراء الا الافراد المجيد بن فجاءه أبو عبد الله الحسين بن عبد السلام المصرى المعروف بالجمل فاستأذنه فى النشيد فقال له قد عرفت الشرط قال نعم ثم أنشده

أردنا فى أبى حسن مديحا * كما بالمدح تنتجع الولاة

وقلنا أكرم الثقلين طرا * ومن كفاه دجلة والفرات فقالوا يقبل المدحات لكن

جوائزه عليهن الصلاة * فقلت لهم وما تغنى صلاتى * عيالى انما الشان الزكاة

تعالى أى بالذات المستجمع بجميع الصفات فلا تلتفت الى غير ذلك الاسم حتى تظهر تفاصيل الاسماء والصفات فاذا ظهر اسم السميع مثلا تكون مشاهدة اسم السميع وهكذا الى ان تنتهى الاسماء بالكلية وفى هذا المقام قد تحير كثير ممن وصل اليه انه لا مرتبة أعلى مما وجد كحسين بن منصور حين ظهور اسم الحق واتصافه به فانه قال لا مرتبة أسنى أى أعلى منها ومن اطلاق لفظ الاسم على المركب من الصوت والحروف وقع البعض فى غلط لقصور الفهم ولذا قال الشيخ الزاهدى الكيلانى للشيخ الصافى عليهما الرحمة حين وصوله الى اسم الله تعالى اشتغل باسم الله تعالى ففهم الشيخ الصافى ان مراده مشاهدة الاسم الذى هو عين المسمى ولا تلتفت الى غيره فان الذكر فى ذلك المنزل مشاهدة الاسم وتوهم الغير كالشيخ عمر الخلوتى ان المراد اشتغل بلفظ الله تعالى وكذا غيره من الاسماء فاشتغلوا بالاسماء اللفظية فى منازل النفس ولزمهم أن يكون لفظ الله وحى وهو وغيرها عين مسمى الذات الواجب الوجود فالتزمه بعد من بحذو حذوه وسمعت من بعضهم يقول ان اللفظ الخارج من الفم كهو

فتامر

فتأمر لى بكسر الصاد منها * فتصبح لى الصلاة هى الصلات

فضحك ابن المدبر واستظرفه وقال من أين أخذت هذا فقال من قول أبى تمام الطائى

هن الحمام فان كسرت عيافة * من حائهن فانهن حمام

فاستحسن ذلك وأحسن صلاته وكان أحمد بن المدبر يتولى الخراج بمصر فحبسه أحمد بن طولون فى سنة خمس وستين ومائتين ومات فى حبسه فى صفر سنة سبعين ومائتين وقيل بل قتله ابن طولون والله أعلم والمدبر بكسر الباء الموحدة المشددة (وحدث) ابن المزرع أيضا عن خاله أبى عثمان الجاحظ انه قال طلب المعتصم جارية كانت لمحمود بن الحسن الشاعر المشهور بالوراق وكانت تسمى نشوى وكان شديد الغرام بها وبذل فى ثمنها سبعة آلاف دينار فامتنع محمود من بيعها لانه كان يهواها أيضا فلما مات محمود اشتريت الجارية للمعتصم من تركته بسبعمائة دينار فلما دخلت عليه قال لها كيف رأيت تركتك حتى اشتريتك من سبعة آلاف بسبعمائة دينار قالت أجل اذا كان الخليفة ينتظر لشهواته المواريث فان سبعين دينارا الكثيرة فى غنى فضلا عن سبعمائة فخجل المعتصم من كلامها وقال ابن المزرع حدثنى من رأى قبرا بالشام عليه مكتوب لا يغترن أحد بالدنيا فانى ابن من كان يطاق الريح اذا شاء ويحبسها اذا شاء وبحذائه قبر مكتوب عليه كذب الماص بظر أمه لا يظن أحد أنه ابن سليمان بن داود عليهما السلام انما هو ابن حداد يجمع الريح فى الزق ثم ينفخ بها الجمر قال فما رأيت قبلها قبرين يتشاتمان والله أعلم ولابن المزرع أخبار وحكايات ونوادر ولسنا نقصد الاطالة بل الايجاز حسب الامكان الا أن ينتشر الكلام وكان له ولد يدعى أبا نضلة مهلهل بن يموت بن المزرع وكان شاعرا مجيدا ذكره المسعودى فى كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر فقال فى حقه هو من شعراء هذا الزمان وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وفيه يقول أبوه مخاطباله

مهلهل قد حلبت شطور دهرى * وكافحنى بها الزمن العنوت * وحاربت الرجال بكل ربع

فاذعن لى الحثالة والرتوت * فاوجع ما أجن عليه قلبى * كريم غتمه زمن غتوت

كفى حزنا بضيعة ذى قديم * وأبناء العبيد لها التخوت * وقد أسهرت عينى بعض غمض

مخافة ان تضيع اذا فنيت * وفى لطف المهيمن لى عزاء * بمثلك ان فنيت وان بقيت

فخب فى الارض وابغ بها علوما * ولا تقطعك جائحة ثبوت * وان بخل العليم عليك يوما

فذل له وديدنك السكوت * وقل بالعلم كان أبى جوادا * يقال ومن أبوك فقل يموت

يقر لك الاباعد والادانى * بعلم ليس يجحده البهوت

وكان يموت قد قدم مصر مرارا وآخر قدومه اليها فى سنة ثلاث وثلثمائة وخرج فى سنة أربع وثلثمائة وقال أبو سعيد بن يونس الصدفى المصرى فى تاريخه المختص بالغرباء مات يموت بن المزرع سنة أربع وثلثمائة بدمشق وقال أبو سليمان بن زبر فى تاريخه انه مات فى سنة ثلاث وثلثمائة بطبرية الشام والله أعلم وأما ولده مهلهل فان الخطيب ذكره فى تاريخ بغداد وقال هو شاعر مليح الشعر فى الغزل وغيره وسكن بغداد وسمع منه وكتب عنه شعره أو بعضه ابراهيم بن محمد المعروف بتوزون ثم قال الخطيب أخبرنا التنوخى قال قال لنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن العباس الاخبارى حضرت فى سنة ست وعشرين وثلثمائة مجلس تحفة القوالة جارية أبى عبد الله بن عمر البازيار والى جانبى عن يسرتى أبو نضلة مهلهل بن يموت بن المزرع وعن يمينى أبو القاسم بن أبى الحسن البغدادى فغنت تحفة من وراء الستارة بهذه الابيات

بى شغل عن التشاغل عنه * بهواه وان تشاغل عنى * ظن بى جفوة فاعرض عنى

ويدا منه ما تخوف منى * سره ان أكون فيه حزينا * فسرورى اذا تضاعف حزنى

فقال لى أبو نضلة هذا الشعر لى فسمعه أبو القاسم وكان ينحرف عن أبى نضلة فقال قل له ان كان هذا الشعر له يزيد فيه بيتا فقلت له ذلك على وجه جميل فقال

هو فى الحسن فتنة قد أصارت * فتنتى فى هواه من كل فن ومن المنسوب الى مهلهل أيضا

والله هو عين المسمى وقال بعضهم ان أصل هو الهواء ومنشا غلطه انه يفهم من الهواء الخارج من أنفه لفظة هو وهو اسم والاسم عين المسمى فمع هذا سيرهم معكوس ومنكوس لان اسم الله تعالى اسم للذات المستجمع لجميع الاسماء المتصف بجميع الصفات وتفاصيل هذه الاسماء الاصطلاحية تحصل بالاشتغال به على تقدير تسليم السلوك به ولفظ هو اسم للذات الاحدية أى اسم للذات المأخوذة من حيث انتفاء جميع النسب والاضافات والسلوب وبعده لا اسم ولا رسم ولا لسان حتى لو عبر بلفظ الوجود وغيره لا يكون اسما له حقيقة فكيف يشتغل بغيره من الالفاظ ثم الذكر الخفى وهو مشاهد جمال الذات وهو مقام قاب قوسين مع بقاء الاثنينية ثم ذكر الذات وهو شهود الذات بارتفاع البقية وهو مقام أو أدنى وسمعت من رئيس الخلوتية فى هذا العصر ان التشخص والتعين لم يرتفع عن سيد المرسلين فى المعراج فقلت هل وجدت الامر على ما قلته قال لم أصل بعد الى مثل ذلك فقلت ذلك خلاف ما يجده أهل الذوق لان المعراج لا يكون الا بالفناء لا بالبقاء لان التعين

جلت محاسنه عن كل تشبيه * وجل عن واصف فى اناس يحكيه
النرجس الغض والورد الجنى له * والاقحوان النضير النضر فى فيه
أنظر الى حسنه واستغن عن صفتى * سبحان خالقه سبحان باريه
دعا بالحاظه قلبى الى عطب * فجاءه مسرعا طوعا يلبيه
مثل الفراشة تأتى اذ ترى لهبا * الى السراج فتلقى نفسها فيه

وذكر له الخطيب شعرا غير هذا فاضربت عن ذكره والمزرع بضم الميم وفتح الزاى وبعدها راء مشددة مفتوحة ثم عين مهملة هكذا قاله لى الشيخ الحافظ زكى الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوى بن عبد الله المنذرى رحمه الله تعالى وأما حكيم بن جبلة المذكور فى عمود هذا النسب فانه بفتح الحاء المهملة وكسر الكاف ويقال أيضا بضم الحاء وفتح الكاف ويقال جبلة وجبل وكان من أعوان على بن أبى طالب رضى الله عنه ولما بويع على بالخلافة بايعه طلحة بن عبد الله التيمى والزبير بن العوّام الاسدى رضى الله عنهما فعزم على رضى الله عنه على تولية الزبير البصرة وتولية طلحة اليمن فخرجت مولاة لعلى فسمعتهما يقولان ما بايعناه الا بألسنتنا وما بايعناه بقلوبنا فأخبرت مولاها بذلك فقال أبعدهما الله تعالى ومن نكث فانما ينكث على نفسه وبعث الى البصرة عثمان بن حنيف الانصارى والى اليمن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه فاستعمل ابن حنيف حكيم بن جبلة المذكور على شرطة البصرة ثم ان طلحة والزبير لحقا بمكة وفيها عائشة رضى الله تعالى عنها فاتفقوا وقصدوا البصرة وفيها ابن حنيف المذكور فأتى حكيم بن جبلة الى ابن حنيف وأشار عليه بمنعهم من دخول البصرة فأبى وقال ما أدرى ما رأى أمير المؤمنين فى ذلك فدخلوها وتلقاهم الناس فوقفوا فى مربد البصرة وتكلموا فى قتلة عثمان بن عفان وبيعة على رضى الله تعالى عنهما فرد عليهم رجل من عبد القيس فنالوا منه ونتفوا لحيته وترامى الناس بالحجارة واضطربوا فجاء حكيم بن جبلة الى ابن حنيف ودعاه الى قتالهم فأبى ثم أتى عبد الله بن الزبير الى خزينة الرزق ليرزق أصحابه من الطعام الذى فيها وغدا حكيم بن جبلة فى سبعمائة من عبد القيس فقاتله فقتل حكيم وسبعون رجلا من أصحابه وروى ان ابن جبلة قال لامرأته وكانت من الازد لأعملن بقومك اليوم عملا يكونون به حديثا للناس فقالت له أظن قومى سيضربونك اليوم ضربة تكون حديثا للناس فلقيه رجل يقال له سحيم فضرب عنقه فبقى معلقا بجلده فاستدار رأسه فبقى مقبلا بوجهه على دبره وكان ذلك قبل وصول على رضى الله عنه بجيوشه اليهم ثم قدم عليهم وتقابل الجيشان يوم الخميس النصف من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين للهجرة عند موضع قصر عبيد الله بن زياد ثم كانت الوقعة العظمى المشهورة بوقعة الجمل يوم الخميس لعشر بقين من الشهر المذكور وكان أول قدومهم وقتل حكيم بن جبلة قبل ذلك بأيام فى هذا الشهر أيضا وقتل بين الفريقين مقدار عشرة آلاف وقتل طلحة والزبير رضى الله عنهما فى ذلك اليوم لكنه بغير قتال ولولا خوف الاطالة لشرحته وقال المأمونى فى تاريخه وقيل ان أهل المدينة علموا بيوم الجمل يوم الخميس قبل أن تغرب الشمس وفيه كان القتال وذلك ان نسرا مر بما حول المدينة ومعه شئ متعلق فتأمله الناس فوقع فاذا كف فيها خاتم نقشه عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد ثم ان كل من بين مكة والمدينة ممن قرب من البصرة أو بعد علموا بالوقعة مما نقلت النسور اليهم من الايدى والاقدام (قلت) وذكر كشاجم فى كتاب المصايد والمطارد أن العقاب ألقت كف عبد الرحمن بمكة وكذلك ذكره فى كتاب المهذب فى الفقه فى باب الصلاة على الميت وذكر ابن الكلبى وأبو اليقظان فى كتابيهما ان العقاب ألقتها باليمامة والله أعلم بالصواب

(ابو يعقوب يوسف بن يحيى المصرى البويطى صاحب الامام الشافعى رضى الله عنه)

كان واسطة عقد جماعته وأظهرهم نجابة اختص به فى حياته وقام مقامه فى الدرس والفتوى بعد وفاته سمع الاحاديث النبوية من عبد الله بن وهب الفقيه المالكى المقدم ذكره ومن الامام الشافعى وروى عنه أبو اسمعيل الترمذى وابراهيم بن اسحق الحربى والقاسم بن المغيرة الجوهرى وأحمد بن منصور الرمادى

والشخص مالم يرفع لم يحصل الشهود الذاتى فلم يحصل الارتفاع الى عين الجمع فأين البقاء ويخالفه قوله تعالى أو أدنى وقوله عليه الصلاة والسلام لى مع الله وقت لا يسعنى فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل اذ المعنى انه لم يبق فيه بقية الوجود وهو المعنى بالفناء فقال ذلك القائل يجوز أن يكون تعينه غير مانع فقلت ان التعين يقتضى الاثنينية فمالم يرتفع لم يصل السالك الى الشهود الذاتى واعتقاده ان ارتفاع التعين من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يكون نقصا ولم يتفطن ان بقاءه نقص فعرفت انه غافل عن الفناء والبقاء فأين مقام الارشاد ولا يظن أحد انى لم أسلك مسلكهم فانى جاهدت فى طريقهم سبع سنين منقطعا عن الحيوانات والمألوفات وكان غذائى فى السبعة قطعة من الخبز مع الخل فقال رئيسهم انك قد وصلت الى المطلوب وأمرنا بخلافه فعلمت أنهم ليسوا فى حاصل من حالهم فرجعت عنهم متأسفا لما أتلفت من العمر العزيز ولا أقدر أن أفصل ما جرى بينى وبينهم والله عليم بذات الصدور

*(ومن انتظم فى سلك الاعيان فى هذا العصر والاوان ثم ألقاه الدهر فى غيابة القطوع والتناسى

وغيرهم وكان قد حمل فى أيام الواثق بالله من مصر الى بغداد فى مدة المحنة وأريد على القول بخلق القرآن فامتنع من الاجابة الى ذلك فحبس ببغداد ولم يزل فى السجن والقيد حتى مات وكان صالحا متنسكا عابدا زاهدا وقال الربيع بن سليمان رأيت البويطى على بغل فى عنقه غل وفى رجليه قيد وبين الغل والقيد سلسلة من حديد فيها طوبة وزنها أربعون رطلا وهو يقول انما خلق الله سبحانه وتعالى الخلق بكن فاذا كانت كن مخلوقة فكأن مخلوقا خلق مخلوقا فوالله لأموتن فى حديدى حتى يأتى من بعدى قوم يعلمون انه مات فى هذا الشان قوم فى حديدهم ولئن أدخلت عليه لأصدقنه يعنى الواثق وقال أبو عمر بن عبد البر الحافظ فى كتاب الانتقاء فى فضائل الثلاثة الفقهاء ان ابن أبى الليث الحنفى قاضى مصر كان يحسده ويعاديه فأخرجه فى وقت المحنة فى القرآن العظيم فيمن أخرج من مصر الى بغداد ولم يخرج من أصحاب الشافعى غيره وحمل الى بغداد وحبس فلم يجب الى مادعى اليه فى القرآن وقال هو كلام الله غير مخلوق وحبس ومات فى السجن وقال الشيخ أبو اسحق الشيرازى فى كتاب طبقات الفقهاء كان أبو يعقوب البويطى اذا سمع المؤذن وهو فى السجن يوم الجمعة اغتسل ولبس ثيابه ومشى حتى يبلغ باب السجن فيقول له السجان أين تريد فيقول أجيب داعى الله فيقول ارجع عافاك الله فيقول أبو يعقوب اللهم انك تعلم انى قد أجبت داعيك فمنعونى وقال أبو الوليد بن أبى الجارود كان البويطى جارى فما كنت أنتبه ساعة من الليل الا سمعته يقرأ أو يصلى وقال الربيع كان أبو يعقوب أبدا يحرك شفتيه بذكر الله تعالى وما رأيت أحدا أبرع بحجته من كتاب الله تعالى من أبى يعقوب البويطى وقال الربيع أيضا كان لابى يعقوب منزلة من الشافعى وكان الرجل ربما يسأله عن المسئلة فيقول له سل أبا يعقوب فاذا أجابه أخبره فيقول هو كما قال وقال أيضا ربما جاء رسول صاحب الشرطة الى الشافعى يستفتيه فيوجه أبا يعقوب البويطى ويقول هذا لسانى وقال الخطيب البغدادى فى تاريخه لما مرض الشافعى مرضه الذى مات فيه جاء محمد بن عبد الحكم ينازع البويطى فى مجلس الشافعى فقال البويطى أنا أحق به منك وقال ابن عبد الحكم أنا أحق بمجلسه منك فجاء أبو بكر الحميدى وكان فى تلك الايام بمصر فقال قال الشافعى ليس أحد أحق بمجلسى من يوسف بن يحيى وليس أحد من أصحابى أعلم منه فقال له ابن عبد الحكم كذبت فقال الحميدى كذبت أنت وكذب أبوك وكذبت أمك فغضب ابن عبد الحكم وترك مجلس الشافعى وتقدم فجلس فى الطاق وترك طاقا بين مجلس الشافعى ومجلسه وجلس البويطى فى مجلس الشافعى فى الطاق الذى كان يجلس فيه وقال أبو العباس محمد بن يعقوب الاصم رأيت أبى فى المنام فقال لى يا بنى عليك بكتاب البويطى فليس فى الكتب أقل خطأ منه وقال الربيع بن سليمان كنت عند الشافعى أنا والمزنى وأبو يعقوب البويطى فنظر الينا وقال لى أنت تموت فى الحديث وقال للمزنى هذا لو ناظره الشيطان لقطعه أو جدله وقال للبويطى أنت تموت فى الحديد قال الربيع فدخلت على البويطى أيام المحنة فرأيته مقيدا الى أنصاف ساقيه مغلولة يداه الى عنقه وقال الربيع أيضا كتب الى أبو يعقوب من السجن انه ليأتى على أوقات لا أحس بالحديد أنه على بدنى حتى تمسه يدى فاذا قرأت كتابى هذا فأحسن خلقك مع أهل حلقتك واستوص بالغرباء خاصة خيرا فكثيرا ما كنت أسمع الشافعى رضى الله عنه يتمثل بهذا البيت

أهين لهم نفسى لاكرمهم بها * ولن تكرم النفس التى لاتهينها

وأخباره كثيرة وتوفى يوم الجمعة قبل الصلاة فى رجب سنة احدى وثلاثين ومائتين فى القيد والسجن ببغداد وقيل انه توفى سنة اثنتين وثلاثين والاول أصح رحمه الله تعالى وقال ابن الفرات فى تاريخه توفى يوم الثلاثاء فى رجب والله أعلم والبويطى بضم الباء الموحدة وفتح الواو وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها طاء مهملة هذه النسبة الى بويط وهى قرية من أعمال الصعيد الادنى من ديار مصر ويوسف بضم السين وفتحها وكسرها مع الواو وضم السين وفتحها وكسرها مع الهمزة عوض عن الواو فالمجموع ست لغات والياء فى أوله مضمومة فى اللغات الست وسيأتى نظيره فى يونس

المولى عبد الرحمن ابن سيدى على الاماسى)*

كان أبوه من كبار قضاة القصبات ونشأ هو على طلب العلوم وتحصيل المهمات فقرأ على علماء عصره واجتمع بأماثل مصره حتى وصل الى خدمة المولى المعظم مفتى ذلك الزمان سعد ابن عيسى بن أمير خان وهو مدرس بمدرسة محمود باشا فانتظم فى سلك طلابه وأكثر التردد الى بابه واشتغل عليه مدة طويلة فخص منه بالانظار الشريفة الجليلة ولما صار ملازما منه درس بمدرسة فرهاد باشا بمدينة بروسه بعشرين ثم بمدرسة كنقرى بخمسة وعشرين ثم بمدرسة الاشهر بثلاثين ثم بمدرسة سليمان باشا الغازى ببلدة ازنيق بأربعين ثم بالمدرسة الحلبية بمدينة ادرنه بالوظيفة المزبورة ثم صار وظيفته فيها خمسين ثم نقل الى المدرسة الخاصكية بقسطنطينية ثم نقل الى احدى المدارس الثمان ثم الى مدرسة السلطان بايزيد خان بمدينة ادرنه بستين ثم استقضى بحلب ثم نقل عنها الى قضاء بروسه وبعد ستة أشهر نقل عنها الى قضاء ادرنه فأقام بها أربع سنين ثم صار قاضيا بعسكر روم ايلى فدام عليه قريبا من خمس سنين ثم عزل عنه وبقى معزولا الى ان قلد قضاء مكة شرفها الله تعالى

(القاضى يوسف بن احمد بن يوسف بن كج الكجى الدينورى)

كان أحد أئمة الشافعية صحب أبا الحسين القطان وحضر مجلس أبى القاسم عبد العزيز الداركى وجمع بين رياسة العلم والدنيا وارتحل الناس اليه من الآفاق للاشتغال عليه بالدينور رغبة فى علمه وجودة نظره وله وجه فى مذهب الشافعى رضى الله عنه وصنف كتبا كثيرة انتفع بها الفقهاء قال أبو سعيد السمعانى لما انصرف أبو على الحسين بن شعيب السنجى من عند الشيخ أبى حامد الاسفراينى اجتاز به فرأى علمه وفضله فقال له يا أستاذ الاسم لابى حامد والعلم لك فقال ذاك رفعته بغداد وحطتنى الدينور وتولى القضاء ببلده وكانت له نعمة كثيرة وقتله العيارون بالدينور فى ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان سنة خمس وأربعمائة رحمه الله تعالى وكج بكاف مفتوحة وجيم مشددة وقد تقدم الكلام على الدينور فأغنى عن الاعادة والكجى نسبة الى جده المذكور

*(يوسف بن عبد البر بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمرى القرطبى
امام عصره فى الحديث والأثر وما يتعلق بهما)*

روى بقرطبة عن أبى القاسم خلف بن القاسم الحافظ وعبد الوارث بن سفيان وأبى سعيد نصر وأبى محمد بن عبد المؤمن وأبى عمرو الباجى وأبى عمر الطلمنكى وأبى الوليد بن الفرضى وغيرهم وكتب اليه من أهل المشرق أبو القاسم السقطى المكى وعبد الغنى بن سعيد الحافظ وأبو ذر الهروى وأبو محمد النحاس المصرى وغيرهم قال القاضى أبو على بن سكرة سمعت شيخنا القاضى أبا الوليد الباجى يقول لم يكن بالاندلس مثل أبى عمر بن عبد البر فى الحديث وقال الباجى أيضا أبو عمر أحفظ أهل المغرب وقال أبو على الحسين بن أحمد بن محمد الغسانى الاندلسى الجيانى المقدم ذكره ان ابن عبد البر شيخنا من أهل قرطبة بها طلب الفقه وتفقه ولزم أبا عمر أحمد بن عبد الملك بن هاشم الفقيه الاشبيلى وكتب بين يديه ولزم أبا الوليد بن الفرضى الحافظ وعنه أخذ كثيرا من علم الادب والحديث ودأب فى طلب العلم وأفتى به وبرع براعة فاق فيها من تقدمه من رجال الاندلس وألف فى الموطا كتبا مفيدة منها كتاب التمهيد لما فى الموطا من المعانى والاسانيد ورتبه على أسماء شيوخ مالك على حروف المعجم وهو كتاب لم يتقدمه أحد الى مثله وهو سبعون جزأ قال أبو محمد بن حزم لا أعلم فى الكلام على فقه الحديث مثله فكيف أحسن منه ثم صنع كتاب الاستذكار لمذاهب الامصار فيما تضمنه الموطا من معانى الرأى والآثار شرح فيه الموطا على وجهه ونسق أبوابه وجمع فى أسماء الصحابة رضى الله عنهم كتابا مفيدا جليلا سماه الاستيعاب وله كتاب جامع بيان العلم وفضله وما ينبغى فى روايته وحمله وله كتاب الدرر فى اختصار المغازى والسير وكتاب العقل والعقلاء وما جاء فى أوصافهم وله كتاب صغير فى قبائل العرب وأنسابهم وغير ذلك من تآليفه وكان موفقا فى التأليف معانا عليه ونفع الله به وكان مع تقدمه فى علم الأثر وبصره بالفقه ومعانى الحديث له بسطة كثيرة فى علم النسب وفارق قرطبة وجال فى غرب الاندلس مدة ثم تحول الى شرق الاندلس وسكن دانية من بلادها وبلنسية وشاطبة فى أوقات مختلفة وتولى قضاء الاشبونة وشنترين فى أيام ملكها المظفر بن الافطس وصنف كتاب بهجة المجالس وأنس المجالس فى ثلاثة أسفار جمع فيها أشياء مستحسنة تصلح للمذاكرة والمحاضرة من ذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم رأى فى منامه انه دخل الجنة ورأى فيها عذقا مدلى فأعجبه وقال لمن هذا فقيل لابى جهل فشق ذلك عليه وقال ما لابى جهل والجنة والله لا يدخلها أبدا فانها لا يدخلها الا نفس مؤمنة فلما أتاه عكرمة بن أبى جهل مسلما فرح به وقام اليه وتأول ذلك العذق عكرمة ابنه ومنه أيضا أنه قيل لجعفر بن محمد يعنى الصادق كم تتأخر الرؤيا قال رأى النبى صلى الله عليه وسلم كأن كلبا أبقع يلغ فى دمه فكان شمر بن ذى الجوشن قاتل الحسين بن على رضى الله عنه وكان أبرص فكان تأخر الرؤيا خمسين سنة ومن ذلك أيضا ان النبى صلى الله عليه وسلم رأى رؤيا فقصها على أبى بكر الصديق رضى الله عنه وقال يا أبا بكر رأيت كأنى أنا وأنت نرقى فى درجة فسبقتك بمرقاتين ونصف فقال

يارسول

كل ذلك فى دولة السلطان سليمان ويقال انه اجتمع فى بعض سفرته بالسلطان سليم خان فى حياة أبيه السلطان سليمان وهو أمير ببلدة مغنيسا وعرض له هدايا سنية وتحفا ثمينة فاستمال قلبه واستملك لبه فوعدله بقضاء العسكران قدر له الجلوس على سرير السلطنة وتيسر فلما ساعده الزمان وأجلسه على سرير أبيه السلطان سليمان وفى بعهده المزبور واقر عينه بالمنصب المسفور فتصرف فيه قريبا من سنتين مع كمال التهتك فى مراعاة الخواطر وتمشية مرادات الاكابر وقد انتقل فى اثنائه السلطان الى جوار الرحمن وجلس السلطان مراد خان على سرير السلطنة فخدمه شهورا ولم يكمل سنة فهجمت عليه الامراض فعاقته عن التصرف فتحكمت الاغراض واختل أمر التفويض والتقليد ووجه المناصب الى كل وغد وبليد فعزل قبل موته بثلاثة أيام فاستراحت قلوب الناس وارتفع عنهم الظلام (وذلك فى شهر ربيع الاول من شهور ثلاث وثمانين وتسعمائة) كان المولى المرقوم مشاركا فى العلوم معروفا بقوة الذهن وسرعة الانتقال وتادية المطالب بحسن المقال وقد اعتنى بكلمات استاذه المرقوم

يارسول الله يقبضك الله تعالى الى مغفرته ورحمته وأعيش بعدك سنتين ونصفا ومن ذلك ان بعض أهل الشام قال لعمر بن الخطاب رضى الله عنه رأيت كأن الشمس والقمر اقتتلا ومع كل واحد منهما فريق من النجوم قال مع أيهما كنت قال مع القمر قال مع الآية الممحوة لا عملت لى عملا أبدا فعزله وقتل مع معاوية بن أبى سفيان بصفين وقالت عائشة رضى الله عنها رأيت كأن ثلاثة أقمار سقطن فى حجرتى فقال لها أبو بكر رضى الله عنه ان صدقت رؤياك دفن فى بيتك ثلاثة من خير أهل الارض فلما دفن النبى صلى الله عليه وسلم فى بيتها قال لها أبو بكر هذا أحد أقمارك وهو خيرها ومنه أيضا ان أعرابيا وقيل هو الحطيئة الشاعر أراد سفرا فقال لامرأته شعرا

عدى السنين لغيبتى وتصبرى * وذرى الشهور فانهن قصار

فاجابته

اذكر صبابتنا اليك وشوقنا * وارحم بناتك انهن صغار

فأقام وترك سفره وقال الهيثم بن عدى قال لى صالح بن حيان من أفقه الشعراء فقلت اختلفوا فى ذلك فقيل أفقه الشعراء وضاح اليمن حيث يقول

اذا قلت هاتى نولينى تبسمت * وقالت معاذ الله من فعل ما حرم
فما نولت حتى تضرعت عندها * وأعلمتها ما أرخص الله فى اللمم

ومنه أيضا قيل لاسلم بن زرعة ان انهزمت من أصحاب مرداس غضب عليك الامير عبيد الله بن زياد فقال لأن يغضب على وأنا حى خير من أن يرضى عنى وأنا ميت ومنه أيضا ان أعرابيا سب آخر فسكت فقيل له لم سكت عنه فقال ليس لى علم بمساويه وكرهت أن أبهته بما ليس فيه ومما قيل فى المعنى

ثالبنى عمرو وثالبته * قد اثم المثلوب والثالب قلت له خيرا فقال الخنى * كل على صاحبه كاذب

وقال على بن الحسين رضى الله عنهما اذا قال فيك رجل ما لا يعلم فيك من الخير يوشك ان يقول فيك ما لم يعلم من الشر ومنه أيضا ذكر المغيرة بن شعبة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال كان والله أفضل من أن يخدع ومنه أيضا روى انه لما اهبط الله تعالى آدم عليه السلام الى الارض أتاه جبريل عليه السلام فقال يا آدم ان الله عز وجل قد احضرك ثلاث خصال لتختار منهن واحدة وتتخلى عن ثنتين قال وما هن قال الحياء والدين والعقل قال آدم انى قد اخترت العقل فقال جبريل للحياء والدين ارتفعا لقد اختار العقل قالا لا نرتفع قال ولم عصيتما قالا لا ولكن امرنا ان لا نفارق العقل حيث كان وقال عبد الملك بن عبد الحميد من أبيات فى الهجاء

الماء فى دار عثمان له ثمن * والخبز فيها له شان من الشان *
عثمان يعلم ان الحمد ذو ثمن * لكنه يشتهى حمدا بمجان
والناس أكيس من ان يحمدوا أحدا * حتى يروا عنده آثار احسان

ومن كتاب بهجة المجالس أيضا قال الرياشى خرج الناس بالبصرة ينظرون هلال شهر رمضان فرآه واحد منهم ولم يزل يومئ اليه حتى رآه معه غيره وعاينوه فلما كان هلال الفطر جاء الجماز صاحب النوادر الى ذلك الرجل فدق عليه الباب فقال قم أخرجنا مما أدخلتنا فيه (قلت) وهذا الجماز أبو عبد الله محمد بن عمرو بن حماد ابن عطاء بن رباح مولى أبى بكر الصديق رضى الله عنه وهو ابن أخت سلم الخاسر وقال السمعانى فى حقه كان خبيث اللسان حسن النادرة وكان أكبر من أبى نواس وقيل فى نسبه غير ذلك والجماز لقبه وهو بفتح الجيم وتشديد الميم وبعد الالف زاى فمن نوادره انه قال أصبحت فى يوم مطير فقالت لى امرأتى أى شئ يطيب به هذا اليوم فقلت لها الطلاق فسكتت عنى ودخل عليه يوما بعض اخوانه وقد طبخ وغرف الطعام فقال الداخل سبحان الله ما أعجب أسباب الرزق فقال الجماز أسباب الحرمان والله أعجب الطلاق لازم لى ان أكلت منه شيأ ومنه أيضا قال له السروى الشاعر ولدت امرأتى البارحة ولدا كأنه دينار منقوش فقال له الجماز لاعن أمه وللجماز أيضا شعر ذكره فى كتاب الوراقة فمن ذلك ما كتبه الى صاحب له وكان يلازم الجامع ثم انقطع عنه

فلا نافلة تأتى * ولا تشهد مكتوبه واخبارك تأتينا * على الاعلام منصوبه
فان زدت من الغيبه * زدناك من الغيبه

المولى المفتى سعد الله المرحوم وأخرجها من هوامش كتبه ورتبها منها الحواشى التى علقها على العناية شرح الهداية والحواشى التى علقها على القاموس للعلامة الفيروزابادى وقد عاد من قضاء مكة بتعليقة على أول كتاب الهداية وكان يدعى انه كتب شرحا كاملا له وللناس فيه قيل وقال والله أعلم بسرائر الاعمال وكان سامحه الله تعالى مع ما به من التيقظ والفراسة منهمكا فى طلب الرفعة والرياسة فى غاية الميل الى جانب الامراء والمداهنة العظيمة مع الاكابر والوزراء ومن جملة مداهناته أنه رغب الوزراء فى تعيين أشخاص من طرف السلطان ليقبضوا أثلاث الوصايا من الاموات الواقعة فى جميع البلدان فلم يتم كيده وخاص الله تعالى من مكره أهل الايمان وأعاذنا من مظالم الحكام وأفاض علينا سجال الانعام انه ذو الجلال والاكرام

(ومن الوعاظ المشاهير بحسن الاداء ولطف التقرير فى مجالس الوعظ والتذكير الشيخ محرم ابن محمد)

ولد رحمه الله تعالى ببلدة قسطمونى ونشأ بها على طلب العلوم واقتناء شوارد المنطوق والمفهوم فقرأ على

ومنه أيضا قال أردشير احذروا صولة الكريم اذا جاع واللئيم اذا شبع واعلموا ان الكرام أصبر نفوسا واللئام أصبر أجساما قلت هذا كله نقلته من بهجة المجالس وفيه كفاية فلا حاجة الى الاطالة وتوفى الحافظ أبو عمر المذكور يوم الجمعة آخر يوم من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وستين وأربعمائة بمدينة شاطبة من شرق الاندلس وقال صاحبه أبو الحسن طاهر بن معور المغافرى وهو الذى صلى عليه سمعت أبا عمر بن عبد البر يقول ولدت يوم الجمعة والامام يخطب لخمس بقين من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وستين وثلثمائة وقد تقدم فى ترجمة الخطيب أبى بكر أحمد بن على بن ثابت البغدادى الحافظ انه كان حافظ المشرق وابن عبد البر حافظ المغرب وماتا فى سنة واحدة وهما امامان فى هذا الفن والنمرى بفتح الميم والنون والميم وبعدها راء هذه النسبة الى النمر بن قاسط بفتح النون وكسر الميم وانما تفتح الميم فى النسبة خاصة وهى قبيلة كبيرة مشهورة وقد تقدم الكلام على قرطبة وشاطبة فاغنى من الاعادة وذكر أبو عمر المذكور أن والده أبا محمد عبدالله بن محمد بن عبد البر توفى فى شهر ربيع الآخر سنة ثمانين وثلثمائة رحمه الله تعالى وكان ولده أبو محمد عبدالله بن يوسف من أهل الادب البارع والبلاغة وله رسائل وشعر فمن شعره قوله

لاتكثرن تأملا * واحبس عليك عنان طرفك
فلربما أرسلته * فرماك فى ميدان حتفك

قيل انه مات سنة ثمانين وأربعمائة

(أبو محمد يوسف بن أبى سعيد الحسن بن عبدالله بن المرزبان السيرافى النحوى اللغوى الاخبارى الفاضل بن الفاضل)

قد تقدم ذكر أبيه الحسن فى حرف الحاء كان أبو محمد المذكور عالما بالنحو وتصدر فى مجلس أبيه بعد موته فى التاريخ المذكور فى ترجمته وخلفه على ما كان عليه وقد كان يفيد الطلبة فى حياة أبيه وأكمل كتاب أبيه الذى سماه الاقناع وهو كتاب جليل نافع فى بابه فان أباه كان قد شرح كتاب سيبويه كما تقدم فى ترجمته وظهر له بالاطلاع والبحث فى حال التصنيف مالم يظهر لغيره ممن يعانى هذا الشان وصنف بعد ذلك الاقناع فكان ثمرة استفادته حال البحث والتصنيف ومات قبل اتمامه فكمله ولده يوسف المذكور واذا تامله المنصف لم يجد بين اللفظين والقصدين تفاوتا كثيرا ثم صنف يوسف المذكور عدة كتب فى شرح أبيات استشهادات كتب مشهورة مثل شرح أبيات كتاب سيبويه وهو الغاية فى بابه وبسطه وشرح أبيات اصلاح المنطق وأجاد فيه وشرح أبيات المجاز لابى عبيدة وأبيات معانى الزجاج وشرح أبيات الغريب المصنف لابى عبيد القاسم بن سلام الى غير ذلك وكانت كتب اللغة تقرأ عليه مرة رواية ومرة دراية وقرئ عليه كتاب البارع للمفضل بن سلمة وهو كتاب كبير فى عدة مجلدات هذب به كتاب العين فى اللغة المنسوب الى الخليل بن أحمد المقدم ذكره وأضاف اليه من اللغة طرفا صالحا ونقل من نسخة لكتاب اصلاح المنطق قال أبو العلاء المعرى حدثنى عبد السلام البصرى خازن دار العلم ببغداد وكان لى صديقا صدوقا قال كنت فى مجلس أبى سعيد السيرافى وبعض أصحابه يقرأ عليه اصلاح المنطق لابن السكيت فمضى ببيت حميد بن ثور وهو

ومطوية الاقراب أما نهارها * فسبت وأما ليلها فذميل

فقال أبو سعيد ومطوية أصلحه بالخفض ثم التفت الينا فقال هذه واو رب فقلت أطال الله بقاء القاضى ان قبله مايدل على الرفع فقال وماهو فقلت

أتاك بى الله الذى أنزل الهدى * ونور واسلام عليك دليل

ومطوية الاقراب فعاد وأصلحه وكان ابنه محمد حاضرا فتغير وجهه لذلك فنهض لساعته ووقته والغضب يستطير فى شمائله الى دكانه وكان سمانا فباعها واشتغل بالعلم الى أن برع فيه وبلغ الغاية فعمل شرح اصلاح المنطق قال أبو العلاء وحدثنى من رآه وبين يديه أربعمائة ديوان وهو يعمل هذا الديوان * ولم يزل أمره على سداد واشتغال وافادة الى أن توفى ليلة الاربعاء لثلاث بقين من شهر ربيع الاول سنة خمس وثمانين

علماء عصره واجتمع باماثل دهره وقد تشرف بالاستفادة من المولى اسرافيل زاده والمولى چوى زاده واتصل بالمولى سعدالله واشتغل عليه مدة من فنون عدة ثم رغب فى التصوف وتصفية الباطن فتنقل لذلك فى البلاد والاماكن واتصل أولا بالمشايخ الخلوتية منهم الشيخ سنان المشتهر بسنبل ثم خدم عدة من المشايخ البيرامية وبهم حصل آماله ونال عندهم ماناله وأجازله الشيخ السامى البيرامى ولما اقتبس الخير من أنوارهم تزيا بزيهم وتشرف بشعارهم ثم سلك مسلك الوعظ والتفسير فعقد المجالس الشريفة ونصح وافاد وانتصب للامر بالمعروف والنهى عن المنكر فى عدة من البلاد ثم عاد الى قسطنطينية وشاع فيها أمره وارتفع ذكره وفوض اليه التدريس بمدرسة محمد باشا الصوفى بالبلدة المزبورة وعين له كل يوم ثلاثون درهما ولما أتم السلطان سليمان جامعه المعروف لدى القاصى والدان نصب له به كرسى للوعظ وعين له كل يوم عشرون درهما فكان يدرس تارة ويعظ أخرى وقد أتم مرارا تفسير البيضاوى والكشاف واحياسنن الاكارم

وثلثمائة وعمره خمس وخمسون سنة وشهور ودفن من الغد وصلى عليه أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمى ذكر ذلك هلال بن المحسن بن الصابى الكاتب فى تاريخه وقال غيره ولد فى سنة ثلاثين وثلثمائة وتوفى يوم الاثنين لثلاث بقين من الشهر المذكور والله أعلم رحمه الله تعالى وكان دينا صالحا ورعا متقشفا وكان بينه وبين أبى طالب أحمد بن أبى بكر العبدى النحوى المقدم ذكره مباحث ومناظرات منقولة بين الناس وليس هذا موضع ذكرها وقد تقدم الكلام فى ترجمة أبيه على السيرافى فلا حاجة الى اعادته ههنا وقال ابن حوقل فى كتاب المسالك سيراف فرضة عظيمة لفارس وهى مدينة جليلة وأبنيتها ساج متصل الى جبل يطل على البحر وليس بها ماء ولا زرع ولا ضرع وهى من أقصى بلاد فارس بالقرب من جنابة ونجيرم والله أعلم ومن سيراف ينتهى الانسان على ساحل البحر الى حصن ابن عمارة وهو حصن منيع على نهر البحر وليس بجميع فارس حصن أمنع منه ويقال ان صاحبه هو الذى قال الله تعالى فى حقه وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا وقال غير ابن حوقل كان اسم هذا الملك الجلندى بضم الجيم واللام وسكون النون وفتح الدال المهملة وبعدها ألف وأشار بعضهم يخاطب بعض الظلمة كان الجلندى ظالما * وأنت منه أظلم وقيل غير ذلك والله أعلم

(ابو يعقوب يوسف بن يعقوب بن اسمعيل بن خرزاذ النجيرمى اللغوى البصرى نزيل مصر)

هو من اهل بيت فيه جماعة من الفضلاء الادباء ما منهم الا من هو ماهر فى اللغة كامل الادوات متقن لها روى أبو يعقوب المذكور عن أبى يحيى زكريا بن يحيى بن خلاد الساجى وطبقته وروى عنه أبو الفضل محمد بن جعفر الخزاعى وغيره وكان يوسف أمثل أهل بيته وله خط ليس بالجيد فى الصورة وهو فى غاية الصحة وكذلك خطوط جماعته قريبة منه ولاهل مصر رغبة وتنافس كثير فى خطه حتى بلغت نسخة من ديوان جرير بخطه عشرة دنانير وأكثر ماتروى الكتب القديمة فى اللغة والاشعار العربية وأيام العرب فى الديار المصرية من طريقه فانه كان راوية لها عارفا بها وكان أهل بيته يرتزقون بمصر من التجارة فى الخشب وكان أبو عبدالله محمد بن بركات بن هلال السعدى النحوى المصرى قد أخذ اللغة من أصحاب أبى يعقوب المذكور وأدرك أبا يعقوب ولم يأخذ عنه شيأ لانه رآه وهو صبى قال الموفق أبو الحجاج يوسف بن الخلال المصرى كاتب الانشاء الآتى ذكره ان شاء الله تعالى قال لى ابن بركات رأيت أبا يعقوب وهو ماش فى طريق القرافة وهو شيخ أسمر اللون كث اللحية مدور العمامة بيده كتاب وهو يطالع فيه فى مشيته وهذا الذى ذكره ابن بركات فيه نظر فان الحافظ أبا اسحق ابراهيم بن سعيد بن عبدالله المعروف بالحبال ذكره فى كتاب الوفيات الذى جمعه فقال توفى أبو يعقوب بن خرزاذ النجيرمى يوم الثلاثاء رابع المحرم سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة وقال غيره ولد أبو يعقوب يوسف النجيرمى يوم عرفة سنة خمس وأربعين وثلثمائة رحمه الله تعالى وابن بركات المذكور ولد بمصر فى سنة عشرين وأربعمائة وتوفى بها سنة عشرين وخمسمائة وكان نحوى مصر هكذا قاله الموفق بن الخلال المذكور فكيف يمكن أن يرى أبا يعقوب وقد كان ابن بركات فى تاريخ وفاة النجيرمى فى السنة الثالثة من عمره ولكن لعله رأى ولده والله أعلم وقال القاضى الفاضل ليس فى شعر ابن بركات المذكور أحسن من هذين البيتين وعملهما فى مسافر العطار

ياعنق الابريق من فضة * وياقوام الغصن الرطب
هبك تجافيت فأقصيتنى * تقدر أن تخرج من قلبى

وكان ابن بركات قد أخذ النحو عن ابن بابشاذ النحوى المقدم ذكره فى حرف الطاء وذكره القاضى الرشيد بن الزبير فى كتاب الجنان واثنى عليه وخرزاذ بضم الخاء المعجمة والراء المشددة وبعدها زاى وبعد الالف ذال معجمة قلت هكذا يضبط أهل الحديث هذا الاسم وهو لفظ اعجمى وتفسير زاذ بالعربى ابن واما خر بتشديد الراء فليس له معنى الا أن يكون أهل العربية قد غيروه كما جرت عادتهم فى ذلك فيكون أصله خار بالالف وهو الشوك فيكون خار زاذ معناه ابن الشوك وخر أيضا الشمس فان كانوا أرادوا هذا وحذفوا شينه فيحتمل

الاسلاف الى ان (توفى فى شهر جمادى الآخرة سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة) وقارب الثمانين كان رحمه الله شيخا جميل الصورة مقبول السيرة واسع التقرير متبحرا فى علم التفسير وكان من حفظه يقرأ القرآن ويقرر ماقاله أرباب التفسير بايقان واتقان ويذكر فى أثنائه من مناقب الصلحاء والمشايخ ومواعظ الفضلاء مايقيد أوابد النفوس العاصية ويلين شدائد القلوب القاسية وكان يحضر مجالسه الفئام من الخواص والعوام ويزدحمون فيها للاستماع وينتفعون بها أى انتفاع وقد اتفق له بعض التآليف جزاه الله تعالى بمزيد احسانه انه بعباده خبير لطيف

(ومنهم العالم الامجد المولى شمس الدين أحمد)

ولد رحمه الله تعالى فى بلدة سراى ونشأ طالبا للعلوم والمعارف ومستفيدا من كل عالم عارف وتحرك فى ميدان التحصيل والاستفادة حتى صار ملازما من المولى محيى الدين المشتهر بعرب زاده فى مدرسة السيدة مهر وماه ببلدة اسكدار بطريق الاعادة وتنقلت به الاطوار والاحوال وتميز بتعليم الوزير محمود باشا المشتهر بزال ودرس أولا بمدرسة افضل زاده بثلاثين

وعلى الجملة فانهم يتلاعبون بالاسماء العجمية والله أعلم بالصواب ثم وجدت فى كتاب البلدان تأليف البلاذرى فى الفصل المتضمن حديث بلاد فارس وأعمالها ارض اردشيرخره ثم قال ومعنى اردشيرخره اردشير ولدبها قلت واردشير بن بابك بن ساسان أول ملوك الفرس كما هو مشهور بين الناس وعلى هذا يكون معنى خرزاذانه ولد بها كما هو عادتهم فى التقديم والتأخير وتقدير الكلام ولدبها اى بالناحية أوغير ذلك والله أعلم والنجيرمى بفتح النون وكسر الجيم وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الراء وفى آخرها ميم هذه النسبة الى نجيرم ويقال نجارم وقال أبو سعد السمعانى فى كتاب الانساب هى محلة بالبصرة وقال غيره هى قرية من قرى البصرة فى طريق فارس عند سيراف والله أعلم بالصواب وكذا هى فى كتب المسالك والممالك وهى على بحر فارس وظاهر الحال ان جماعة من أهلها دخلوا البصرة وسكنوا هذه المحلة فسميت باسم بلدهم والله أعلم

(ابو يعقوب يوسف بن ايوب بن يوسف بن الحسين بن وهرة الهمذانى الفقيه العالم الزاهد الربانى صاحب المقامات والكرامات)

قدم بغداد فى صباه بعد الستين وأربعمائة ولازم الشيخ أبا اسحق الشيرازى المقدم ذكره وتفقه عليه حتى برع فى أصول الفقه والمذهب والخلاف وسمع الحديث من القاضى أبى الحسين محمد بن على بن المهتدى بالله وأبى الغنائم عبد الصمد بن على بن المأمون وأبى جعفر محمد بن احمد بن المسلمة وطبقتهم وسمع باصبهان وسمرقند وكتب أكثر ما سمعه ثم زهد فى ذلك ورفضه واشتغل بالزهد والعبادة والرياضة والمجاهدة حتى صار علما من أعلام الدين يهتدى به الخلق الى الله تعالى وقدم بغداد فى سنة خمس عشرة وخمسمائة وحدث بها وعقد بها مجلس الوعظ بالمدرسة النظامية وصادف بها قبولا عظيما من الناس قال أبو الفضل صافى بن عبد الله الصوفى الشيخ الصالح حضرت مجلس شيخنا يوسف الهمذانى فى النظامية وكان قد اجتمع العالم فقام فقيه يعرف بابن السقاء وآذاه وسأله عن مسئلة فقال له الامام يوسف اجلس فانى أجد من كلامك رائحة الكفر لعلك تموت على غير دين الاسلام قال أبو الفضل فاتفق انه بعد هذا القول بمدة قدم رسول نصرانى من ملك الروم الى الخليفة فمضى اليه ابن السقاء وسأله أن يستصحبه وقال له يقع لى أن أترك دين الاسلام وأدخل فى دينكم فقبله النصرانى وخرج معه الى القسطنطينية والتحق بملك الروم وتنصر ومات على النصرانية قال الحافظ أبو عبد الله محمد بن محمود المعروف بابن النجار البغدادى فى تاريخ بغداد فى ترجمة يوسف الهمذانى المذكور سمعت أبا الكرم عبد السلام بن أحمد المقرى يقول كان ابن السقاء قارئا للقرآن الكريم مجوّدا فى تلاوته حدّثنى من رآه بالقسطنطينية ملقى على دكة مريضا وبيده خلق مروحة يدفع بها الذباب عن وجهه قال فسألته هل القرآن باق على حفظك فقال ما أذكر منه الا آية واحدة ربما يودّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين والباقى أنسيته نعوذ بالله من سوء القضاء وزوال نعمته وحلول نقمته ونسأله الثبات على دين الاسلام آمين اللهم آمين آمين قال أبو سعد بن السمعانى يوسف بن أيوب الهمذانى من أهل بوزنجرد قرية من قرى همذان مما يلى الرى الامام الورع التقى المتنسك العالم بعلمه والقائم بحقه صاحب الاحوال والمقامات الجليلة واليه انتهيت تربية المريدين الصادقين واجتمع برباطه بمدينة مرو جماعة من المنقطعين الى الله تعالى ما لا يتصوّر أن يكون فى غيره من الربط مثله وكان من صغره الى كبره على طريقة مرضية وسداد واستقامة خرج من قريته الى بغداد وقصد الامام أبا اسحق الشيرازى وتفقه عليه ولازمه مدة مقامه فى بغداد حتى برع فى الفقه وفاق أقرانه خصوصا فى علم النظر وكان الشيرازى يقدمه على جماعة كثيرة من أصحابه مع صغر سنه لعلمه بزهده وحسن سيرته واشتغاله بما يعنيه ثم ترك كل ما كان فيه من المناظرة وخلا بنفسه واشتغل بما هو الاهم من عبادة الله تعالى ودعوة الخلق اليها وارشاد الاصحاب الى الطريق المستقيم ونزل مرو وسكنها وخرج الى هراة وأقام بها مدة ثم سئل الرجوع الى مرو فاجاب ورجع اليها وخرج الى هراة ثانيا وعزم على الرجوع الى مرو فى آخر عمره وخرج متوجها الى مرو فأدركته منيته بباميين بين هراة وبغشور فى شهر ربيع الاول سنة خمس وثلاثين وخمسمائة ودفن ثم نقل بعد ذلك الى مرو وكان مولده تقديرا لا تحقيقا فى سنة أربعين

او

ثم مدرسة ابراهيم باشا بأربعين كلتاهما بقسطنطينية ثم مدرسة يلدرم خان بمدينة بروسه بخمسين ثم الى مدرسة السلطان محمد بالمدينة المزبورة وقد توفى رحمه الله مدرسا بها وهو فى عنفوان شبابه (وذلك فى شهر رجب سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة) كان رحمه الله عالما عارفا حسن السمت مرضى الطريق مقبول السيرة نقى السريرة صاحب ذهن سليم وطبع مستقيم مكبا على الاشتغال معرضا عن القيل والقال جيد الكتابة حسن الخط لم يعرف السوء عنه قط وكان المرقوم قادرا على المنثور والمنظوم عارفا بكلام العرب متضلعا بانحاء الادب وقد نظمنا فى سلك الاملاء والرقم بعض ما قاله فى وصف القلم شجرة تخرج من طور سيناء أصلها ثابت وفرعها فى السماء اذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وكلما أتت باثمارها تجددت يوسف عانقه اخوته عناق الحب وأجمعوا أن يجعلوه فى غيابة الجب قد قميصه من غير طغيان سجن وليس له عدوان تارة تراه وهو كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه ومرة تلقاه وهو كطائر يطير بجناحيه على قفاه مليح شفته لعساء وهو أحلس امرط لا ينجو عن

أواحدى وأربعين وأربعمائة ببوزنجرد رحمه الله تعالى قلت هذا كله نقلته من تاريخ ابن النجار المذكور مقتضبا وفيه ألفاظ تحتاج الى ايضاح اما وهرة بفتح الواو والهاء والراء وفى آخره هاء ثانية فهو اسم جده المذكور ولا أعرف معناه بالعربى والقسطنطينية بضم القاف وسكون السين المهملة وفتح الطاء المهملة وسكون النون وكسر الطاء الثانية وسكون الياء المثناة من تحتها وكسر النون وفتح الياء الثانية وفى آخرها هاء ساكنة وهى أعظم مدائن الروم بناها قسطنطين وهو أول من تنصر من ملوك الروم فنسبت المدينة اليه وأما بوزنجرد فهو بضم الباء الموحدة وسكون الواو وفتح الزاى والنون وكسر الجيم وسكون الراء وبعدها دال مهملة وهى قرية من قرى همذان على مرحلة منها مما يلى ساوة كذا قال أبو سعد السمعانى فى كتاب الانساب وأما مرو فقد تقدم الكلام عليها وأما باميين بالباء الموحدة وبعد الالف ميم مفتوحة ثم ياء مثناة من تحتها مكسورة وبعدها ياء ثانية ساكنة ثم نون فهى بليدة بخراسان كما ذكرنا وهراة قد تقدم الكلام عليها وانها احدى كراسى خراسان فانها أربعة نيسابور وهراة ومرو وبلخ وبغشور بفتح الباء الموحدة وسكون الغين المعجمة وضم الشين المعجمة وبعد الواو الساكنة راء وهى بليدة بخراسان أيضا بين مرو وهراة وقد تقدم فى ترجمة الحسين بن مسعود الفراء الفقيه البغوى انه منسوب اليها

(ابو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى النحوى المعروف بالاعلم)

من أهل شنتمرية الغرب رحل الى قرطبة فى سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة وأقام بها مدة وأخذ عن أبى القاسم ابراهيم بن محمد بن زكريا الافليلى وأبى سهل الحرانى وأبى بكر مسلم بن أحمد الاديب وكان عالما بالعربية واللغة ومعانى الاشعار حافظا لجميعها كثير العناية بها حسن الضبط لها مشهورا بمعرفتها واتقانها أخذ الناس عنه الكثير وكانت الرحلة فى وقته اليه وقد أخذ عنه أبو الحسن على بن محمد بن أحمد النسائى الجيانى المقدم ذكره وغيره وكف بصره فى آخر عمره وشرح الجمل فى النحو لابى القاسم الزجاجى وشرح أبيات الجمل فى كتاب مفرد وساعده شيخه ابن الافليلى المذكور على شرح ديوان المتنبى وغالب ظنى انه شرح الحماسة فقد كان عندى شرح الحماسة للشنتمرى فى خمس مجلدات وقد غاب عنى الآن من كان مصنفه وأظنه هو والله أعلم وقد أجاد فيه وتوفى سنة ست وسبعين وأربعمائة بمدينة اشبيلية من جزيرة الاندلس وكانت ولادته فى سنة عشر وأربعمائة رحمه الله تعالى وذكر أبو الحسن شريح بن محمد بن شريح الرعينى الاشبيلى خطيب جامعها قال مات أبى أبو عبد الله محمد بن شريح يوم الجمعة منتصف شوّال سنة ست وسبعين وأربعمائة فسرت الى الشيخ الاستاذ أبى الحجاج الاعلم فأعلمته بوفاته فانهما كانا كالاخوين محبة ووداد فلما أعلمته انتحب وبكى كثيرا واسترجع ثم قال لا أعيش بعده الا شهرا فكان كذلك ورأيت بخط الرجل الصالح محمد بن خير المقرى الاندلسى رحمه الله ان أبا الحجاج المذكور انما قيل له الاعلم لانه كان مشقوق الشفة العليا شقا فاحشا (قلت) ومن كان مشقوق الشفة العليا يقال له أعلم والفعل الماضى منه علم بكسر اللام يعلم علما بفتحها أيضا والمرأة علماء اذا كانت كذلك فان كان مشقوق الشفة السفلى يقال له أفلح بالفاء والحاء المهملة والفعل منه كما تقدم فى الاعلم يقال فلح بكسر اللام يفلح فلحا بفتحها فيهما وهذه القاعدة مطردة فى العيوب والعاهات كلها أن تكون عين الفعل الماضى مكسورة وفى المضارع والمصدر مفتوحة تقول خرس يخرس خرسا وبرص يبرص برصا وعمى يعمى عمى وكذلك جميعه واسم الفاعل منه على أفعل مثل أخرس وأبرص واعمى وكذلك أعلم وأفلح وكان أبو يزيد سهيل بن عمرو القرشى العامرى رضى الله عنه أعلم فلما أسر يوم بدر قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم دعنى أنزع ثنيته فلا يقوم عليك خطيبا أبدا فقال صلى الله عليه وسلم دعه فعسى أن يقوم مقاما تحمده وكان سهيل من الفصحاء البلغاء وهو الذى جاء فى صلح الحديبية وعلى يده انبرم الصلح ثم انه أسلم وحسن اسلامه والمقام الذى وعد به صلى الله عليه وسلم لسهيل هو انه لما قبض صلى الله عليه وسلم كان سهيل بمكة فارتدت جماعة من العرب وحصل عندهم اختلاف فقام سهيل خطيبا وسكن الناس ومنعهم من الاختلاف فكان هذا هو المقام المحمود وقول عمر رضى الله عنه

القادح وقد ابتلى بالضرس مفلج الثنايا مخضوب البنان كريم المركب يداه مبسوطتان ربما يقعد على النهر ويدلى رجليه فيه فلما يقوم يتكلم فيسيل الدم من فيه براعة قد تتنفس فى جنح الظلماء جريح غسق جرحه وهو ملقى الامعاء طويل العماد دعامة من أوتاد الافراد ساقه براوح بين قدميه قائما على ساق رقيق لا يستخدم بدون الغل وليس بباق آدم أعطى لسانا وشفتين وله قوة مودعة فى الزائدتين الناتئتين ماض ذو الثلاثة بمضارع مقرون لا يأمن الكسروان قارن النون وضع لانشاء المدح أو الذم دخل تحت الابهام وهو على جسم نام متحرك فى بعض الاحيان جوهر يقوم به الاعراض من الالوان فتى ذو حال كلما أحال لا يخلو كلامه عن القيل والقال بشواة ربما تضرب وحوصلتها ملئة علقت كثيرا التغرب فى عين حمئة أعجب به ملاعب ظله اذ عبر ما لم يبله القطر لم ينتظر واذا أنبت ريشه لا يتمكن من المطار الى أن يحصل خبر صليب العود قوى العصب لا يأوى الا الى ظل ذى ثلاث شعب نحيف لا يخلو من النقش فى الاسفار مستخف بالليل وسارب بالنهار ومن العجائب انه كليم مقوال

دعني أنزع ثنيته فلا يقوم عليك خطيبا أبدا انما قال ذلك لانه اذا كان مشقوق الشفة العليا ونزعت ثنيته تعذر عليه الكلام الا بمشقة وكلفة فهذا الذى قصده عمر رضى الله عنه وكان عنترة بن شداد العبسى الفارس المشهور أفلح فكان يقال له الفلحاء الفلحة كانت به وانما ذهبوا به الى تأنيث الشفة والله أعلم وشنتمرية بفتح الشين المعجمة وسكون النون وفتح التاء المثناة من فوقها والميم وكسر الراء وبعدها ياء مشددة مثناة من تحتها وبعدها هاء ساكنة وهى مدينة بالاندلس فى غربها والحديبية بضم الحاء المهملة وفتح الدال المهملة وبعدها ياء ساكنة مثناة من تحتها ثم باء موحدة مكسورة ثم ياء ثانية مفتوحة وفى آخرها هاء ساكنة وهى موضع بين مكة والمدينة كانت به بيعة الرضوان ويروى بتشديد الياء الاخيرة أيضا

(ابو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة بن محمد بن عتاب الاسدى قاضى حلب المعروف بابن شداد الملقب بهاء الدين الفقيه الشافعى)

توفى أبوه وهو صغير السن فنشأ عند اخواله بنى شداد فنسب اليهم وكان شداد جده لأمه وكان يكنى أولا أبا العز ثم غير كنيته وجعلها أبا المحاسن كما ذكرته ولد بالموصل ليلة العاشر من شهر رمضان سنة تسع وثلاثين وخمسمائة وحفظ بها القرآن الكريم فى صغره ثم قدم الشيخ أبو بكر يحيى بن سعدون القرطبى المقدم ذكره الى الموصل فلازمه وقرأ عليه بالطرق السبع وأتقن عليه القراآت قال أبو المحاسن المذكور فى بعض تواليفه أول من أخذت عنه شيخى الحافظ ضياء الدين أبو بكر يحيى بن سعدون بن تمام بن محمد الازدى القرطبى رحمه الله تعالى فانى لازمت القراءة عليه احدى عشرة سنة فقرأت عليه معظم ما رواه من كتب القراآت وقراءة القرآن العظيم ورواية الحديث وشروحه والتفسير حتى كتب لى خطه بذلك وشهد لى بانه ما قرأ عليه أحد أكثر مما قرأت وعندى خطه بجميع ما قرأته عليه فى قريب من كراسين وفهرست ما رواه جميعه عندى وأنا أرويه عنه ومما يشتمل عليه الفهرست البخارى ومسلم من عدة طرق وغالب كتب الحديث وغالب كتب الادب وغيره وآخر روايتى عنه شرح الغريب لابى عبيد القاسم بن سلام قرأته عليه فى مجالس آخرها فى العشر الاخير من شعبان سنة سبع وستين وخمسمائة قلت وهى السنة التى مات فيها الشيخ القرطبى حسبما ذكرته فى ترجمته ثم قال ومنهم الشيخ أبو البركات عبد الله بن الخضر بن الحسين المعروف بابن الشيرجى سمعت عليه بعض تفسير الثعلبى وأجازنى أن أروى عنه جميع ما رواه على اختلاف أنواع الروايات وكتب لى خطه بذلك فى فهرست سماعى مؤرخا بخامس جمادى الاولى سنة ست وستين وخمسمائة وكان مشهورا بعلمى الحديث والفقه ولى قضاء البصرة ودرس بالاتابكية القديمة يعنى بالموصل ومنهم الشيخ مجد الدين أبو الفضل عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد القاهر الطوسى الخطيب بالموصل وهو مشهور بالرواية حتى يقصد لها من الآفاق وعاش نيفا وتسعين سنة قلت وكانت ولادة أبى الفضل بن الطوسى الخطيب المذكور فى منتصف صفر سنة سبع وثمانين وأربعمائة ببغداد بباب المراتب وتوفى ليلة الثلاثاء رابع عشر رمضان سنة ثمان وسبعين وخمسمائة بالموصل ودفن بمقبرة باب الميدان رحمه الله تعالى (رجعنا الى تتمة كلام أبى المحاسن بن شداد) وسمعت عليه يعنى على الخطيب المذكور كثيرا من مسموعاته وأجاز لى جميع ما رواه فى السادس والعشرين من رجب سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ومنهم القاضى فخر الدين أبو الرضا سعيد بن عبد الله بن القاسم الشهرزورى سمعت عليه مسند الشافعى رضى الله عنه ومسند أبى عوانة ومسند أبى يعلى الموصلى وسنن أبى داود وكتب لى خطه بذلك وهو فى فهرستى وسمعت عليه الجامع لابى عيسى الترمذى وأجاز لى رواية ما رواه وكتب لى خطه بذلك فى شوال سنة سبع وستين وخمسمائة ومنهم الحافظ مجد الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن على الاشيرى الصنهاجى وأجاز لى جميع ما يرويه على اختلاف أنواعه وفى فهرستى خطه بذلك مؤرخا بشهر رمضان سنة سبع وخمسين وخمسمائة وفهرسته عندى بذلك قلت توفى أبو محمد عبد الله الاشيرى المذكور فى شوال سنة احدى وستين وخمسمائة بالشام ودفن ببعلبك ظاهر باب حمص شمالى البلد ومنهم الحافظ سراج الدين أبو بكر محمد بن

وفى فيه جار سيال مرسال قارة يقربها الجبال فتسيل بقطع عروقها فى الحبال ملك صاحب الغار يقال له ذو المنار وهو جائع غريق يعسطاش باذن شاخ وأذن شرقاء زعوم ذو ناب له خرطوم

(وله فى وصف السيف)

فيا سائلى عن أصل ذلك النصل استمع لما يتلى عليك فى هذا الفصل انه نص قاطع وبرهان ساطع ذو النون ذهب مغاضبا فالتقمه الحوت فنادى فى ظلمة فاجة فنبذناه وأنبتنا عليه شجرة قائمة ذو القرنين بقبضته الشرق والغرب وله اليد الطولى فى كل ضرب من الحرب سلطان مصرى فاتح الشامات قاهر القروم قهرمان دمشقى مالك رقاب العجم والروم عضد الدولة رونق الملة فتح لاوليائه ومقت لاعدائه طالما أبعد نفسه عن نيام فانام تحت ظله الانام فى شجرة النسب فنارى اما فى العصب فنارى كرمانى ينشرح ما فى متنه من المأثور ويسمع أثناء محادثته باللؤلؤ المنثور اشراق بجلائه الطبع وصفائه الجسم وقد كان فى شرح من المشائين بنسيم خرجت من منكبيه الافعيان فكأنه ضحاك ناسب أن ينسب الى تيمور حيث انه سفاك حديد اللسان فى تبيانه ومن لسانه علو شانه

على الجيانى قرأت عليه صحيح مسلم من أوله الى آخره بالموصل والوسيط للواحدى وأجاز لى رواية ما يرويه فى تاريخ سنة تسع وخمسين وخمسمائة فهذه أسماء من حضر فى خاطرى وقد سمعت من جماعة لم يحضرنى روايتهم عند جمع هذا الكتاب كشهدة الكاتبة فى بغداد وأبى الغيث فى الحربية والشيخ رضى الدين القزوينى المدرس بالنظامية وجماعة شذت عنى طرقهم فلم أذكرهم اذ كان فى هؤلاء غنية هذا آخر ما ذكره عن نفسه وقال غيره انه قرأ الفقه على أبى البركات عبد الله بن الشيرجى المذكور فقيه الموصل وكان عالما زاهدا متقشفا وتوفى فى جمادى الاولى سنة أربع وسبعين وخمسمائة بالموصل ودفن بظاهرها ثم اشتغل بالخلاف على الضياء بن أبى حازم صاحب محمد بن يحيى الشهيد النيسابورى ثم باحث فى الخلاف متفننى أصحابه كالفخر التوقانى والبروى والعماد التوقانى والسيف الحوارى والعماد المنابجى ثم انحدر الى بغداد بعد التأهل التام ونزل بالمدرسة النظامية وترتب فيها معيدا بعد وصوله اليها بقليل وأقام معيدا نحو أربع سنين والمدرس بها يومئذ أبو نصر أحمد بن عبد الله بن محمد الشاشى وكانت ولاية ابن الشاشى المذكور التدريس بالنظامية فى شهر ربيع الآخر سنة ست وستين وخمسمائة وعزل عنها فى سلخ شهر رجب سنة تسع وستين وتولاها بعده رضى الله عنه أبو الخير أحمد بن اسمعيل القزوينى فى التاريخ المذكور وأبو المحاسن المذكور مستمر بها على الاعادة وكان رفيقه فى الاعادة السديد محمد السلماسى وقد تقدم ذكره ثم أصعد الى الموصل فى سنة تسع وتسعين فترتب مدرسا فى المدرسة التى أنشأها القاضى كمال الدين أبو الفضل محمد بن الشهرزورى المقدم ذكره ولازم الاشتغال وانتفع به جماعة وله كتاب فى الاقضية سماه ملجأ الحكام عند التباس الاحكام ذكر فى أوائله انه حج فى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وزار بيت المقدس والخليل عليه السلام بعد الحج والزيارة للرسول صلى الله عليه وسلم ثم دخل دمشق والسلطان صلاح الدين محاصر قلعة كوكب فذكر انه سمع بوصوله فاستدعاه اليه فظن انه يسأله عن كيفية قتل الامير شمس الدين المقدم ذكره فانه كان أمير الحاج فى تلك السنة من جهة صلاح الدين وقتل على جبل عرفات لامر يطول شرحه وليس هذا موضع ذكره فلما دخل عليه ذكر أنه قابله بالاكرام التام وما زاد على السؤال عن الطريق ومن كان فيه من مشايخ العلم والعمل وسأله عن جزء من الحديث ليسمعه عليه فاخرج له جزأ جمع فيه أذكار البخارى وانه قرأه عليه بنفسه فلما خرج من عنده تبعه عماد الدين الكاتب الاصبهانى وقال له السلطان يقول لك اذا عدت من الزيارة وعزمت على العود فعرفنا بذلك فلنا اليك مهم فأجابه بالسمع والطاعة فلما عاد عرفه بوصوله فاستدعاه وجمع له فى تلك المدة كتابا يشتمل على فضائل الجهاد وما أعد الله سبحانه وتعالى للمجاهدين يحتوى على مقدار ثلاثين كراسة فخرج اليه واجتمع به بقيعة حصن الاكراد وقدم له الكتاب الذى جمعه وقال انه كان عزم على الانقطاع فى مشهد بظاهر الموصل اذا وصل اليها ثم انه اتصل بخدمة صلاح الدين فى مستهل جمادى الاولى سنة أربع وثمانين وخمسمائة ثم ولاه قضاء العسكر والحكم بالقدس الشريف ولما كنت متولى الحكم بدمشق المحروسة جاءنى فى بعض شهور سنة ست وستين وستمائة اسجال قد ثبت مضمونه عند القاضى أبى المحاسن المذكور وهو يومئذ قاضى العسكر الصلاحى وقد انقطع ثبوته بموت شهوده فتعذر اثباته عندى لذلك وتأملته الى آخره لانى استغربته فقد كان شيخنا وأخذنا عنه كثيرا وحصل الانتفاع بصحبته (عدنا الى بقية ما ذكره أبو المحاسن المذكور) فقال انه كان قد حضر الى خدمة صلاح الدين فى صحبة شيخ الشيوخ صدر الدين عبد الرحيم بن اسمعيل والقاضى محيى الدين بن الشهرزورى لما وصلا اليه فى رسالة واتفق فى تلك الدفعة وفاة البهاء الدمشقى المدرس كان بمصر فى مدرسة منازل العز وخطيب مصر وان صلاح الدين عرض عليه تدريس المدرسة المذكورة فلم يفعل وانه حضر عند السلطان دفعة ثانية فى رسالة من الموصل وهو على حران وكان صلاح الدين مريضا يومئذ وذكر انه لما توفى صلاح الدين كان حاضرا وتوجه الى حلب لجمع كلمة الاخوة أولاد صلاح الدين وتحليف بعضهم لبعض وان الملك الظاهر غياث الدين بن صلاح الدين صاحب حلب كتب الى أخيه الملك الافضل نور الدين على بن صلاح الدين صاحب دمشق يطلبه منه

صبيح الصلب عارضه مصقول ناحل قد يعرض له ذات الجنب وهو مسلول تارة تراه وهو من أصحاب اليمين يتلألؤ وجهه البريق بانوار مشرقة مصرما ومرة تلقاه وهو من أصحاب الشمال الذين اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما اسمه خليل وكنيته أبو السليل الصاحب بالجنب وابن السبيل ألف القطع يثبت فى أيدى الاخيار ولا يسقط عن رؤس الاشرار عابد داوم الخمس فى وقتها المختار زاهد أليف الوحدة معتكف الغار معصوب بل عطشان ضاحك مع انه غضبان مغيث وهو النذير العريان طرار طيار يأرز باذنيه لدرك الثار غادر قد يلبس جلد النمر فتحبر أذنه عن ساعدته عند القتال قاض قد يقيم الحدود يفصل بين ذوى الجدال فى الحال شيخ له وعام اقعس كانه للموت تنكس ذو الخرطوم كفيل وبقطع البلعوم كفيل مرآة مصقولة تظهر تمثال الاجل مشكاة مشعرة بمحو ظلام الامل مفتاح أبواب الآجال اقليد أقفال الآمال قطعوا بانه يائى هو مصدر المثال والعجب ان اسمه أجوف ولا يقال له الاجوف واسم الآلة وليس باسم الآلة معتل العين ونظره أدق ذو الوجهين لكنه أصدق خادة لعمودها ميل

فاجابه الى ذلك فارسله الظاهر الى مصر لاستخلاف اخيه الملك العزيز عماد الدين عثمان بن صلاح الدين وعرض عليه الظاهر الحكم بحلب فلم يوافق على ذلك فلما عاد من هذه الرسالة كان القاضي بحلب قد مات فعرض عليه فاجاب هكذا ذكره في كتاب ملجا الحكام وذكر القاضي كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد المعروف بابن العديم في تاريخه الصغير الذي سماه زبدة الحلب في تاريخ حلب ما مثاله وفي سنة احدى وتسعين يعني وخمسمائة اتصل القاضي بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم بخدمة الملك الظاهر وقدم اليه الى حلب وولاه قضاءها ووقوفها وعزل عن قضائها زين الدين ابا البيان نبا بن البانياسي نائب محيي الدين بن الزكي وحل عنده بهاء الدين في رتبة الوزارة والمشاورة انتهى كلامه قلت وهذا القاضي نبا هو ابن الفضل بن سليمان الحميري يعرف بيتهم بدمشق ببيت البانياسي وكان السلطان صلاح الدين قد ولى القاضي محيي الدين أبا المعالي محمد بن الزكي الدمشقي المقدم ذكره القضاء بحلب فاستناب فيها زين الدين نبا بن البانياسي المذكور واستمر بها الى التاريخ المذكور وكانت حلب في ذلك الزمان قليلة المدارس وليس بها من العلماء الا نفر يسير فاعتنى أبو المحاسن المذكور بترتيب امورها وجمع الفقهاء بها وعمرت في أيامه المدارس الكثيرة وكان الملك الظاهر قد قرر له اقطاعا جيدا يحصل منه جملة مستكثرة ولم يكن له خرج كثير فانه لم يولد له ولا كان له أقارب فتوفر له شيء كثير فعمر مدرسة بالقرب من باب العراق قبالة مدرسة نور الدين محمود بن زنكي رحمه الله تعالى للشافعية ورأيت تاريخ عمارتها مكتوبا على سقف مسجده وهو الموضع المعد لالقاء الدروس وذلك في سنة احدى وستمائة ثم عمر في جوارها دارا للحديث النبوي وجعل بين المكانين تربة برسم دفنه فيها ولها بابان باب الى المدرسة وباب الى دار الحديث وشباكان الى الجهتين وهما متقابلان بحيث ان الذي يقف في احد المكانين يرى من يكون في المكان الآخر ولما صارت حلب على هذه الصورة قصدها الفقهاء من البلاد وحصل بها الاشتغال والاستفادة وكثر الجمع بها وكان بين والدي رحمه الله تعالى وبين القاضي أبي المحاسن المذكور مؤانسة كثيرة وصحبة صحيحة المودة من زمن الاشتغال بالموصل فجئت اليه وكان أخي قد سبقني بمدة قليلة وكتب سلطان بلدنا الملك المعظم مظفر الدين أبو سعيد كوكبوري بن علي بن بكتكين رحمه الله تعالى المقدم ذكره في حرف الكاف كتابا بليغا في حقنا يقول فيه أنت تعلم ما يلزم من أمر هذين الولدين وانهما ولدا أخي وولدا أخيك ولا حاجة مع هذا الى تأكيد وصية وأطال القول في ذلك فتفضل القاضي أبو المحاسن وتلقانا بالقبول والاكرام وأحسن حسب الامكان وعمل ما يليق بمثله وأنزلنا في مدرسته ورتب لنا أعلى الوظائف وألحقنا بالكبار مع الشبيبة في السن والابتداء في الاشتغال وقد تقدم في ترجمة الشيخ موفق الدين ابن يعيش النحوي تاريخ دخولي الى حلب فاغنى عن الاعادة ولم نزل عنده الى أن توفي في التاريخ الآتي ذكره ولم يكن في مدرسته في ذلك الزمان درس عام لانه كان المدرس بنفسه وكان قد طعن في السن وضعف عن الحركة وحفظ الدروس والقائها فرتب أربعة من الفقهاء الفضلاء برسم الاعادة والجماعة يشتغلون عليهم وكنت أنا وأخي نقرأ على الشيخ جمال الدين أبي بكر الماهاني لانه كان من بلدنا ورفيق والدنا في الاشتغال عند الشيخ عماد الدين أبي حامد محمد بن يونس المقدم ذكره فمات في ثالث شوال سنة سبع وعشرين وستمائة وقد نيف على ثمانين سنة فترددت الى الشيخ نجم الدين ابي عبد الله محمد بن أبي بكر بن علي المعروف بابن الخباز الموصلي الفقيه الامام وهو اذ ذاك مدرس المدرسة السيفية فقرأت عليه من أول كتاب الوجيز للغزالي الى الاقرار وعلى الجملة فقد خرجنا عما نحن بصدده لسبب اتصال الكلام وكان القاضي أبو المحاسن المذكور بيده حل الامور وعقدها لم يكن لاحد معه في الدولة كلام وكان سلطانها الملك العزيز أبو المظفر محمد بن الملك الظاهر بن السلطان صلاح الدين وهو صغير السن تحت حجر الطواشي شهاب الدين أبي سعيد طغرل وهو اتابكه ومتولي أمور الدولة باشارة القاضي ابي المحاسن لا يخرج عنهما شيء من الامور وكان للفقهاء في أيامه حرمة تامة ورعاية كبيرة خصوصا جماعة مدرسته فانهم كانوا يحضرون مجالس السلطان ويفطرون في شهر رمضان على سماطه وكنا نسمع عليه الحديث ونتردد اليه في داره وقد كانت له قبة تختص به وهي شتوية

قلما تنفرج منه بالطبع متحرك مرة له حركة بمعنى التوسط وأخرى بمعنى القطع صفحة ملساء وشكله مخروط شاب أمرد وعارضه مخطوط مصراع مصنع في حسن المقطع مطلع ملمع مرصع سلالة منقب بقناع من الاثواب ذات النطاقين صانت ماء وجهها فتغطت بالجلباب مرسنة مسرج وحاجبه مزجج مخنث متهتك يهتز بقائمه المشطب ويحك زنده قد يقتدح نار الحرب جارحة قد تطير من منعتها تضرب المنهب مشروح الصدر مرفوع القدر رجا من خمسة انهار مهيب وله الكف الخضيب سماك رامح سعد ذابح ذؤابة قرين بالخمسة المتحيرة وقت اللمعان معدل قاطع فيما يمر تحت ذبابه سوى الملوان ولو لم يكن له قوة المنعطف الصولجان لما أطار كرات الرؤس في الميدان

(ومن علماء العصر والزمن مولانا محمد بن احمد المشتهر بابن بزن)

كان احمد المزبور في أوائل حاله من ندماء السلطان سليم خان فاتح الديار المصرية والشامية وله كل يوم ثمانون درهما ثم تغير عليه السلطان لبعض الزلات فاخرجه ثم قلده قضاء بعض القصبات وولد المرحوم بقصبة اسكليب ونشأ على طلب العلم والفضائل

لا يجلس في الصيف والشتاء الا فيها لان الهرم كان قد اثر فيه حتى صار كالفرخ الطائر من الضعف لا يقدر على الحركة للصلوات وغيرها الا بمشقة عظيمة وكانت النزلات تعتريه في دماغه فلا يفارق تلك القبة وفي الشتاء يكون عنده منقل كبير عليه من الفحم والنار شيء كثير ومع هذا كله لا يزال مزكوما وعليه الفرجية البرطاسي والثياب الكثيرة وتحته الطراحة الوثيرة فوق البسط ذوات الخمائل الثخينة بحيث انا كنا نجد عنده الحر والكرب وهو لا يشعر به لكثرة استيلاء البرودة عليه من الضعف وكان لا يخرج لصلاة الجمعة الا في شدة القيظ واذا قام الى الصلاة بعد الجهد يكاد يسقط ولقد كنت أنظر الى ساقيه اذا وقف للصلاة كأنهما عودان دقيقان لا لحم عليهما وكان عقيب صلاة الجمعة يسمع المصلون عنده الحديث عليه وكان يعجبه ذلك وكان حسن المحاضرة جميل المذاكرة والادب غالب عليه وكان كثيرا ما ينشد في مجالسه

ان السلامة من ليلى وجارتها * ان لا تمر على حال بناديها

وكان يتمثل أيضا كثيرا بقول صردر الشاعر المقدم ذكره في حرف العين وهذا البيت من جملة قصيدة طويلة وهو

وعهودهم بالرمل قد نقضت * وكذاك ما يبنى على الرمل

فانشده في بعض الايام فقال له بعض الحاضرين يا مولانا قد استعمل ابن المعلم العراقي هذا المعنى استعمالا مليحا فقال ابن المعلم هو أبو الغنائم فقال نعم فقال صاحبنا كان فكيف قال فانشده

نقضوا العهود وحق ما يبنى على * رمل اللوى بيد الهوى أن ينقضا

فقال ما أقصر ولقد تلطف في قوله بيد الهوى فقال له يا مولانا وقد استعمله في قصيدة أخرى فقال هات فانشده

ولم يبن على الرمل * فكيف انتقض العهد

فاستحسنه وكان كثيرا ما ينشد أبيات أبي الفوارس سعد بن محمد المعروف بحيص بيص المقدم ذكره وكان يقول انه سمعها منه ويرويها عنه وقد تقدم ذكرها في ترجمة الحيص بيص فاغنى عن الاعادة وأولها

لا تضع من عظيم قدر وان كنـ * ـت مشارا اليه بالتعظيم

وكان يقول أنشدني القاضي الفاضل لبعضهم ونحن نزول على قلعة صفد

قلت للنزلة لما * ان المت بلهاتي
بحياتي خل حلقي * فهو دهليز حياتي

(قلت) هذان البيتان منسوبان الى ابن الهبارية المقدم ذكره والله أعلم وكان كلما نظر الى نفسه على تلك الحالة من الضعف والعجز عن القيام والقعود والصلاة وسائر الحركات ينشد

من يتمن العمر فليدرع * صبرا على فقد احبائه
ومن يعمر يرفي نفسه * ما يتمناه لاعدائه

ثم وجدت هذين البيتين للظهير أبي اسحق ابراهيم بن نصر بن عسكر قاضي السلامية المقدم ذكره في هذا الكتاب والله أعلم ذكر ذلك صاحبنا الكمال بن الشعار الموصلي في كتابه عقود الجمان في ترجمة الظهير المذكور وهذا ينظر الى قول أبي العلاء المعري

تدعو بطول العمر أفواهنا * لمن تناهى القلب في وده
يسران مد بقاءه له * وكل ما يكره في مده *

والاصل في هذا قول الآخر

كانت قناتي لا تلين لغامز * فالانها الاصباح والامساء
ودعوت ربي بالسلامة جاهدا * ليصحني فاذا السلامة داء

ودخل عليه يوما رجل من اهل المغرب يقال له أبو الحجاج يوسف وكان قريب العهد ببلاده ورد حلب في تلك الايام وكان فاضلا في الادب والحكمة فلما رآه على تلك الهيئة من الهزال والنحافة أنشده

لو يعلم الناس ما في أن تعيش لهم * بكوا لانك من ثوب الصبا عاري
ولو أطاقوا انتقاصا من حياتهم * لما فدوك بشيء غير اعمار

فأعجبه ذلك ودمعت عيناه وشكر له وقال لي بعض أصحابنا سمعته يوما وهو يحكي للجماعة الحاضرين عنده قال لما كنا في المدرسة النظامية ببغداد اتفق أربعة أو خمسة من الفقهاء المشتغلين على استعمال حب البلادر

واشتغل على كثير من الاجلة الافاضل ودار على علماء عصره واستفاد حتى صار ملازما من المولى المعظم أبي السعود صاحب الارشاد ثم درس بمدرسة ابراهيم باشا بادرنه بعشرين ثم مدرسة قاسم باشا عند مرقد الامير سلطان ببروسه بخمسة وعشرين ثم مدرسة هزار غراد بالوظيفة المزبورة ثم مدرسة اينه كول بثلاثين ثم مدرسة پيري باشا بقسطنطينية باربعين ثم صار وظيفته فيها خمسا وأربعين ثم نقل الى مدرسة سنان الكبنكجي بالمدينة المزبورة بخمسين ثم وقع في غيابة العزل والهوان ثم قلد بعد التفتيش والامتحان مدرسة السلطان سليمان بجزيرة رودس ثم نقل الى احدى المدارس الثمان ثم الى مدرسة مغنيسا وأذن له بالافتاء وعين له كل يوم سبعون درهما ثم زيد عليها عشرة دراهم ثم تقاعد عنها بتسعين فلم يكن ظله ظليلا ولم يلبث الا قليلا حتى توفي بقسطنطينية في شهر شوال سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة عقيما فوقف خلاصة كتبه على المستحقين في كل زمان وأوصى أن تحفظ في جامع السلطان محمد خان * كان رحمه الله معروفا بالفضل والكمال ومعدودا من الرجال كثير الاطلاع على

لاجل سرعة الحفظ والفهم فاجتمعوا ببعض الاطباء وسألوه عن مقدار ما يستعمل الانسان منه وكيف يستعمله ثم اشتروا القدر الذى قال لهم الطبيب الجاهل وشربوه فى موضع خارج عن المدرسة فحصل لهم الجنون وتفرقوا وتشتتوا ولم يعلم ماجرى عليهم وبعد أيام جاء الى المدرسة واحد منهم وكان طويلا وهو عريان ليس عليه شئ يستر عورته وعلى رأسه بقيار كبير له عذبة طويلة خارجة عن العادة وقد ألقاها وراءه فوصلت الى كعبه وهو ساكت ساكن عليه السكينة والوقار لا يتكلم ولا يعبث فقام اليه من كان حاضرا من الفقهاء وسألوه عن الحال فقال لهم كنا قد اجتمعنا وشربنا حب البلادر فاما أصحابى فانهم جنوا وما سلم منهم الا أنا وحدى وصار يظهر العقل العظيم والسكون وهم يضحكون منه وهو لا يشعر بهم ويعتقد انه سالم مما أصاب أصحابه وهو على تلك الحالة لا يفكر فيهم ولا يلتفت اليهم وأخبرنى جماعة ممن كانوا عنده قبل وصولنا اليه انه قدم عليه الاديب نظام الدين أبو الحسن على بن محمد بن يوسف بن مسعود القيسى القرطبى المعروف بابن خروف الشاعر المشهور فكتب اليه رسالة وفى أولها أبيات يستجديه فروة قرظ وهى

بهاء الدين والدنيا * ونور المجد والحسب
طلبت مخافة الانوا * ء من نعماك جلد أبى
وفضلك عالم أنى * خروف بارع الادب
حلبت الدهر أشطره * وفى حلب صفا حلبى

ذوالحسب الباهر والنسب الزاهر يسحب ذيول سيرا السرى ويحب النجاة من أجل الفرا وعن على الحروف النبيه بجلد أبيه قانى الصباغ قريب عهد بالدباغ ماضل طالب قرظه ولا ضاع بل ذاع ثناء صانعه وضاع أثيث خمائل الصوف يهزأ من الرياح بكل هوجاء عصوف اذا ظهر راهابه يخافه البرد ويهابه مافى الثياب له ضريب اذا نزل الجليد والضريب ولا فى اللباس له نظير اذا عرى من ورقه الغصن النضير لا كطيلسان ابن حرب ولا جلد عمرو الممزق بالضرب كأنه من جلد حمل الحرباء الذى يراعى البدر والنجم لا من جلد السخلة الجرباء التى ترعى الشجر والنجم فرجى النوع ارجى الضوع لتكون تارة لحافا وتارة بردا وهو فى الحالين يحيى حرا ويميت بردا لا زال مهديه سعيدا ينجز للاولياء وعدا وللاعداء وعيدا ان شاء الله تعالى والسلام (قلت) وقد ذكرت فى ترجمة أبى الفتح محمد سبط ابن التعاويذى رسالة كتبها الى عماد الدين الكاتب الاصبهانى المقدم ذكره يطلب فروة قرظ أيضا وكل واحدة من الرسالتين بديعة فى بابها وفى هذه الرسالة كلام يحتاج الى ايضاح وهو قوله لا كطيلسان ابن حرب وهو مثل مشهور بين الادباء فاذا كان الشئ باليا شبهوه بطيلسان ابن حرب ولذلك سبب لا بد من ذكره وهو ان أحمد ابن حرب بن أخى يزيد المهلبى أعطى أبا على اسمعيل بن ابراهيم بن حمدويه البصرى الحمدوى الشاعر الاديب طيلسانا خليعا فعمل فيه الحمدوى مقاطيع عديدة ظريفة سارت عنه وتناقلتها الرواة فمن ذلك قوله من أبيات

يا ابن حرب كسوتنى طيلسانا * مل من صحبة الزمان فصدّا
طال ترداده الى الرفو حتى * لو بعثناه وحده لتهدّا

وقوله أيضا من أبيات
لقد حالف الرفاء حتى كأنه * يحاول منه أن يعلمه الرفوا

وقوله أيضا
يا ابن حرب كسوتنى طيلسانا * أنحلته الازمان وهو سقيم
فاذا ما رفوته قال سبحا * نك محيى العظام وهى رميم

وقوله أيضا
يا ابن حرب أطلت وترى برفوى * طيلسانا قد كنت عنه غنيا
فهو فى الرفو آل فرعون فى العر * ض على النار بكرة وعشيا

وله أيضا
رأينا طيلسانك يا ابن حرب * يزيد المرء للضعة اتضاعا
اذا الرفاء اصلح منه بعضا * تداعى بعضه الباقى انصداعا
يسلم صاحبى فيقد شبرا * به وأقد فى ردى ذراعا
أجيل الطرف فى طرفيه طولا * وعرضا ما أرى الا رقاعا
فلست اشك أن قد كان دهرا * لنوح فى سفينته شراعا
وقد غنيت اذا بصرت منه * بقاياه على كتفى تداعى
قفى قبل التفرق يا ضباعا * ولا يك موقف منك الوداعا

الدقائق العربية طويل الباع فى العلوم الادبية مع الوقوف التام فى الفقه والكلام مطرح التكلف كثير التلطف مائلا الى مجالسة الاخوان ومعاشرة الخلان وكان رحمه الله أطلس بحيث اذا عرى عن زى الرجال يشتبه أمره على الناظر ويكون مصداق ما قاله الشاعر

بيت
وما أدرى وسوف اخال أدرى
أقوم آل حصن أم نساء

يحكى انه لما تشرف بصحبة السلطان الاعظم مراد خان المعظم ببلدة مغنيسا وكان فى زمن ظهر فيه الجراد وأتلف المزارع الكائنة فى هذه البلاد فقال السلطان المرقوم بعد الانفصال عن صحبة المرحوم عجبت من لحية المفتى فكأنما لعب بها الجراد وأكثر فيها الفساد رحمه الله تعالى يوم التناد

(ومنهم المولى محمود أخو المولى أحمد بن حسن السامسونى السابق ذكره فى هذه الجريدة) قرأ رحمه الله على علماء عصره وصار ملازما من المولى خير الدين معلم السلطان سليمان ثم درس بمدرسة الجامع العتيق بادرنه بثلاثين ثم مدرسة قلبه باربعين ثم صار وظيفته فيها خمسين ثم عزل وقلد مدرسة على باشا بقسطنطينية بالوظيفة المزبورة ومكث

وله فيه أيضا
يا ابن حرب كسوتنى طيلسانا * يزرع الرفو فيه وهو سباخ
مات رفاؤه ومات بنوه * وبدا الشيب فى بنيهم وشاخوا

وقال فيه أيضا وكتبها الى بعض الرؤساء
يا ابن الحسين أما ترى درّاعتى * فلازمعن على البكا اذ أزمعت
ودّعنى أبكى كسوتى اذ ودّعت * مرت بها ريح الصبا فتقشعت
فيها من التمزيق ما لو أنه * سملا تردت بالبلى وتدرعت
منه نعلمت البلى فتضعضعت * لا فرج الرحمن عنه انه
يحكى تخرق طيلسانى انها * أعدى ثيابى كلها فتقطعت
لو قارنته لخشعت وتصدعت * فلتحمد الله الجبال فانها

وقال فيه أيضا
طيلسان لو كان لفظا اذن ما * شك خلق فى انه بهتان
فهو كالطور اذ تجلى له الله فدكت قواه والاركان
كم رفوناه اذ تمزق حتى * بقى الرفو وانقضى الطيلسان

وله فيه أيضا
يا ابن حرب انى ارى فى زوايا * بيتنا مثل ما كسوت جماعه
طيلسان رفوته ورفوت الرفو منه وقد رقعت رقاعه * فأطاع البلى فصار خليعا
ليس يعطى الرفاء فى الرفو طاعه * فاذا سائل رآنى فيه * ظن انى فتى من أهل الصناعه

وله فى ذلك أيضا
قل لابن حرب طيلسا * نك قوم نوح منه احدث
هو طيلسان لم يزل * عمن مضى من قبل يورث
فاذا العيون لحظنه * فكأنه باللحظ يحرث
يودى اذا لم ارفه * فاذا رفوت فليس يلبث
كالكلب ان تحمل عليه الدهر اوتتركه يلهث

ويقال انه عمل فى هذا الطيلسان مائتى مقطوع فى كل مقطوع معنى بديع وأما قوله ولا جلد عمرو الممزق بالضرب فير يد قول النحاة ضرب زيد عمرا فانهم أبدا يستعملون هذا المثال ولا يمثلون بغيره فكأنهم يمزقون جلده لكثرة الضرب وكان الاصل الذى حمل الحمدوى المذكور على عمل هذه المقاطيع انه وقف على أبيات عملها أبو حمران السلمى بضم الحاء المهملة فى طيلسانه وكان قد أخلق حتى بلى فقال فيه

يا طيلسان أبى حمران قد برمت * منك الحياة فما تلتذ بالعمر
فى كل يوم من رفاء تجدده * هيهات ينفع تجديد مع الكبر
اذا ارتداه لعيد أو لجمعته * تنكب الناس أن يبلى من النظر

وهذا البيت الثالث أخذه من قول النظام بفتح النون وتشديد الظاء المعجمة أبى اسحق ابراهيم بن سيار البلخى المتكلم المعتزلى فى وصف غلام رقيق البشرة

رق فلو بزت سرابيله * علقه الجو من اللطف
يجرحه الناس بالحاظهم * ويشتكى الايماء بالكف

وأنشدنى بعض الادباء بمدينة الموصل فى شهر رمضان سنة ست وعشرين وستمائة فى هذا المعنى لبعض الشعراء
توهمها طرفى فاصبح خدها * وفيه مكان الوهم من نظرى أثر
وصافحها قلبى فآدمى بنانها * فمن لمس قلبى فى انا ملها عقر

وأنشدنى الشيخ ايدمر الصوفى السلمى ابراهيم لنفسه دوبيت فى هذا المعنى
كلفت صبا العراق لما خطرت * ان تحمل لى تحية ما قدرت
قالت لى خيفتى على وجنته * ان جزت بها جرحتها فاعتذرت

ولبعض الادباء الفقراء من جملة أبيات شكا فيها رقة حاله ورثاثة ثيابه ما يقرب من هذا المعنى وهو قوله
ولى ثياب رثاث لست أغسلها * أخاف أعصرها تجرى مع الماء

وقد قيل فى هذا المعنى شئ كثير والاختصار أولى والله أعلم (عدنا الى ما كنا فيه) وكان القاضى أبو المحاسن المذكور سلك طريق البغاددة فى ترتيبهم وأوضاعهم حتى انه كان يلبس ملبوسهم والرؤساء يترددون اليه وكانوا ينزلون عن دوابهم على قدر اقدارهم لكل واحد منهم مكان معين لا يتعداه ثم انه تجهز الى الديار المصرية

بها سنين ثم نقل الى احدى المدرستين المتجاورتين بادرنه ثم الى مدرسة السلطان بايزيد خان بالمدينة المزبورة ثم صارت وظيفته فيها ستين ثم قلد قضاء حلب ثم نقل الى قضاء دمشق ثم الى قضاء مكة شرفها الله تعالى ثم تقاعد عنه بوظيفة مثله ثم أرسل الى تفتيش مصطفى باشا المقتول آخرا وكان يومئذ أمير الامراء بولاية بوديم فلما عاد عنه زيدت وظيفته فصارت كل يوم مائة درهم وقد كان رحمه الله عالما صالحا مشتغلا بنفسه جيد الحفظ كثير العلوم محمود السيرة فى قضائه عامله الله تعالى بلطفه يوم جزائه آمين

(ومن أرباب الفضل والافادة محمد بن عبد العزيز المشتهر بمعيد زاده) كان أبوه من العلماء المعروفين ببلدة مرعش وقد توجه الى قسطنطينية لطلب بعض البقاع فاجتمع فيها بالمولى سيدى الاسود وهو مدرس باحدى المدارس الثمان فجعل معيد الدرس فى المدرسة المذكورة فلما صار ملازما قلد أوزانية البستان فدام فيها على الدرس والافادة حتى أفناه الدهر وأباده وولد المرحوم بالبلدة المزبورة سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة واشتغل على علماء بلده ثم

لاحضار ابنة الملك الكامل ابن الملك العادل للملك العزيز صاحب حلب وكان قد عقد نكاحه عليها فسار فى أول سنة تسع وعشرين أو آخر سنة ثمان وعشرين وستمائة وعاد وقد جاء بها فى شهر رمضان من السنة ولما وصل كان قد استقل الملك العزيز بنفسه ورفعوا عنه الحجر ونزل الاتابك طغرل من القلعة الى داره تحت القلعة واستولى على الملك العزيز جماعة من الشباب الذين كانوا يعاشرونه ويجالسونه واشتغل بهم ولم ير القاضى أبو المحاسن وجها يرتضيه فلازم داره الى حين وفاته وهو باق على الحكم واقطاعه جار عليه غاية ما فى الباب انه لم يبق له حديث فى الدولة ولا كانوا يراجعونه فى الامر فكان يفتح بابه لاسماع الحديث كل يوم بين الصلاتين وظهر عليه الخرف بحيث انه صار اذا جاءه الانسان لا يعرفه واذا قام سأل عنه ولا يعرفه واستمر على هذا الحال مدة ثم مرض أياما قلائل وتوفى يوم الاربعاء رابع عشر صفر سنة اثنتين وثلاثين وستمائة رحمه الله تعالى بحلب ودفن فى التربة المقدم ذكرها وحضرت الصلاة عليه ودفنه وماجرى بعد ذلك وصنف كتاب ملجأ الحكام عند التباس الاحكام يتعلق بالاقضية فى مجلدين وكتاب دلائل الاحكام تكلم فيه على الاحاديث المستنبط منها الاحكام فى مجلدين وكتاب الموجز الباهر فى الفقه وغير ذلك وكتاب سيرة صلاح الدين بن أيوب رحمه الله تعالى وجعل داره خانقاه للصوفية لانه لم يكن له وارث ولازم الفقهاء والقراء تربته مدة طويلة يقرؤن عند قبره وكان قد قرر قدام كل واحد من الشباكين المذكورين اللذين للتربة سبعة قراء وكان غرضه ان يقرأ عنده كل ليلة ختمة كاملة فكان كل واحد من القراء الاربعة عشر يقرأ نصف سبع بعد صلاة العشاء الآخرة وفارقت حلب متوجها الى الديار المصرية فى الثالث والعشرين من جمادى الآخرة سنة خمس وثلاثين وستمائة والامور جارية على هذه الاوضاع ثم بعد ذلك تغيرت تلك الامور وانتقضت قواعدها وزال جميع ذلك على مابلغنى وتوفى الشيخ نجم الدين بن الخباز المذكور فى السابع من ذى الحجة سنة احدى وثلاثين وستمائة بحلب ودفن بظاهرها خارج باب الاربعين وحضرت الصلاة عليه ودفنه رحمه الله تعالى وكان مولده فى التاسع والعشرين من شهر ربيع الاول سنة سبع وخمسين وخمسمائة بالموصل وتوفى الاتابك شهاب الدين طغرل المذكور ليلة الاثنين الحادى عشر من محرم سنة احدى وثلاثين وستمائة بحلب ودفن بمدرسة الحنفية خارج باب الاربعين وكان خادما أرمنى الجنس أبيض حسن السيرة محمود الطريقة وحضرت الصلاة عليه ودفنه رحمه الله تعالى وتوفى أبو الحسن بن خروف الاديب المذكور بحلب فى سنة أربع وستمائة مترديا فى جب رحمه الله تعالى

(أبو يعقوب يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم بن أبى عقيل بن مسعود الثقفى)

وقد تقدم ذكر بقية نسبه فى ترجمة الحجاج بن يوسف الثقفى فانه ابن ابن عم الحجاج يجتمعان فى الحكم بن أبى عقيل قال خليفة بن خياط ولى هشام بن عبد الملك يوسف بن عمر اليمن فقدمها لثلاث بقين من رمضان سنة ست ومائة فلم يزل واليا بها حتى كتب اليه هشام بن عبد الملك فى سنة عشرين ومائة بولايته على العراق فاستخلف على اليمن ابنه الصلت بن يوسف وقال البخارى كانت ولاية يوسف بن عمر العراق سنة احدى وعشرين ومائة الى آخر سنة أربع وعشرين وقال غيره لما أراد هشام بن عبد الملك صرف خالد بن عبد الله القسرى عن العراق كان قد جاءه رسول يوسف بن عمر الثقفى من اليمن فدعا هشام بالرسول وقال له ان صاحبك قد تعدى طوره وسأل فوق قدره وأمر بتخريق ثيابه وضربه أسواطا وقال له امض الى صاحبك فعل الله به وصنع ودعا بسالم اليمانى مولى سالم بن عنبسة بن عبد الملك وكان على ديوان الرسائل وقال له اكتب الى يوسف بن عمر بشئ أمره به واعرض الكتاب على فمضى سالم ليكتب ما أمره به وخلا هشام بنفسه وكتب كتابا صغيرا بخطه الى يوسف بن عمر وفيه سر الى العراق فقد وليتك اياه واياك أن يعلم بك أحد واشفنى من ابن النصرانية يعنى خالدا ومن عماله وامسك الكتاب بيده وحضر سالم بالكتاب الذى كتبه وعرضه عليه فغافله وجعل الكتاب الصغير فى طيه وختمه ودفعه الى سالم وقال له ادفعه الى رسول يوسف ففعل ذلك وانصرف الرسول فلما وصل الى يوسف قال له ماوراءك قال الشر أمير المؤمنين ساخط عليك وقد أمر بتخريق ثيابى

بناء الى قسطنطينية وتعرك بحسب العادة وقرأ على المولى المعروف بعمار زاده ثم على المولى سنان ثم صار ملازما من المولى خير الدين معلم السلطان سليمان ثم درس بمدرسة ابراهيم باشا بخمسة وعشرين ثم مدرسة الجامع العتيق بثلاثين كلاهما بمدينة أدرنه ثم مدرسة سنان الشهير بكبنكجى بقسطنطينية المحمية ثم بالمدرسة المعروفة بمناستر فى محروسة بروسه بخمسين ثم نقل الى دار الحديث بادرنه ثم صارت وظيفته فيها ستين ثم نقل الى مدرسة السلطان سليمان بمدينة دمشق بثمانين واذن له بالافتاء فيها فى هذه الديار ثم قلد قضاء بيت المقدس بخمسمائة وهو أول قاض بها من زمرة الموالى وقد توفى فيها قبل الجلوس فى مجلس القضاء فى شهر ذى القعدة سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة كان رحمه الله تعالى عالما فاضلا محققا مدققا صاحب اليد الطولى فى العلوم الادبية والقدم الراسخ فى الفنون العربية مع المشاركة التامة فى سائر العلوم المتداولة له تعليقات على بعض المواضع من التفسير والفروع وقد أنشد لنفسه عند ارتحاله عن مدينة بروسه (شعر)

لبثنا ثلث تسع فى بروسا
على نعمى بلاهم وبوسى

وضربي ولم يكتب جواب كتابك وهذا كتاب بخط صاحب الديوان ففض الكتاب وقرأه فلما بلغ الى آخره وقف على الكتاب الصغير فاستخلف ابنه الصلت وسار الى العراق وكان قد يخلف سالم الكاتب على ديوان الرسائل بشير بن أبى طلحة من أهل الاردن وكان فطنا فلما وقف على ما كان من هشام قال هذه حيلة وقد ولى يوسف بن عمر العراق فكتب الى عياض عامل أجمة سالم وكان وادا له ان أهلك قد بعثوا اليك بالثوب اليمانى فاذا أتاك فالبسه واحمد الله تعالى واعلم طارقا بذلك وكان عامل خالد بن عبد الله القسرى على الكوفة ومايليها ثم ندم بشير على ما كان منه فكتب الى عياض ان القوم قد بدا لهم فى البعثة اليك بالثوب اليمانى فعرف عياض طارقا أيضا بذلك فقال طارق الخبر فى الكتاب الاول ولكن صاحبك ندم وخاف ان يظهر أمره وركب من ساعته الى خالد فخبره الخبر فقال له فما ترى قال أرى ان تركب من ساعتك هذه الى أمير المؤمنين فانه اذا رآك استحيا منك وزال شئ ان كان فى نفسه عليك فلم يقبل ذلك فقال له افتأذن لى أن أصير الى حضرته واضمن له جميع مال هذه السنة قال وما مبلغ ذلك قال مائة ألف ألف درهم وآتيك بعهدك قال ومن أين هذه الاموال والله ما أملك عشرة آلاف درهم قال أتحمل أنا وسعيد بن راشد أربعين ألف ألف درهم ونفرق الباقى على باقى العمال فقال له انى اذن للئيم أن اسوغ قوما شيأ ثم ارجع عليهم به فقال له انما نقيك ونقى أنفسنا ببعض أموالنا وتبقى النعمة عليك وعلينا بك ونستأنف طلب الدنيا خير من ان تطالب بالاموال وقد حصلت عند تجار أهل الكوفة فيتقاعسوا عنا ويتربصوا بنا فنقتل وتذهب أنفسنا وتحصل الاموال لهم ويأكلونها فابى خالد ذلك عليه فودعه وقال هذا آخر العهد بك وأوفاهم يوسف بن عمر فمات طارق فى العذاب ولقى خالد وجميع عماله كل شر ومات منهم فى العذاب بشر كثير وكان ما استخرج يوسف من خالد وأسبابه تسعين ألف ألف درهم (قلت) وقد تقدم طرف من خبر خالد بن عبد الله القسرى فى ترجمته فيطلب منه وقد تقدم فى ترجمة عيسى بن عمر الثقفى النحوى ذكر يوسف بن عمر المذكور وماجرى له معه فى الوديعة وقال أبو بكر أحمد بن يحيى بن جابر البلاذرى فى كتاب انساب الاشراف وأخبارهم ان هشام بن عبد الملك كان قد تغير على خالد بن عبد الله القسرى أمير العراق لامور نقلت له عنه فقد عليه منها كثرة أمواله وأملاكه ومنها أنه كان يطلق لسانه فى حق هشام بما يكرهه وغير ذلك من الاسباب فعزم على عزله وأخفى ذلك وكان يوسف بن عمر الثقفى عامله على اليمن فكتب هشام اليه بخطه يأمره أن يقبل فى ثلاثين من أصحابه الى الكوفة وكتب مع الكتاب بعهده على العراق فخرج يوسف حتى صار الى الكوفة فى سبعة عشر يوما فعرس قريبا منها وقد ختن طارق خليفة خالد القسرى على الخراج ولده فأهدى اليه ألف فرس عتيق وألف وصيف وألف وصيفة سوى المال والثياب وغير ذلك فجاء رجل الى طارق فقال له انى رأيت قوما أنكرتهم وزعموا انهم سفار وصار يوسف بن عمر الى دور بنى ثقيف فأمر بعض الثقفيين فجمع له من قدر عليه من مضر ففعل فدخل يوسف المسجد مع الفجر فأمر المؤذن بالاقامة فقال حتى يأتى الامام فانتهره فأقام وتقدم يوسف فصلى وقرأ اذا وقعت الواقعة وسأل سائل ثم أرسل الى خالد وطارق وأصحابهما فأخذوا وان القدور لتغلى وقال أبو عبيدة حبس يوسف خالدا فصالحه أبان بن الوليد عنه وعن أصحابه على تسعة آلاف درهم ثم ندم يوسف وقيل له لو لم تقبل هذا المال لاخذت منه مائة ألف ألف درهم فقال ما كنت لارجع عن شئ رهنت به لسانى وأخبر أصحاب خالد خالدا فقال أسأتم حين أعطيتموه هذا المال فى أول وهلة ما يؤمننى أن يأخذها ثم يرجع اليكم فارجعوا اليه فاتوه فقالوا انا أخبرنا خالدا بما فارقناك عليه من المال فذكر انه ليس عنده فقال أنتم أعلم وصاحبكم فاما أنا فلا أرجع اليكم وان رجعتم لم أمنعكم قالوا فانا قد رجعنا قال فوالله لا أرضى بتسعة آلاف ألف ولا بمثلها ومثلها فذكر ثلاثين ألف ألف درهم ويقال مائة ألف ألف درهم فقال اشرس مولى بنى أسد وكان تاجرا ليوسف بن عمر أتانا كتاب هشام فقرأه يوسف فكتمنا ما فيه وقال أريد العمرة فخرج وأنا معه فاستخلف الصلت ابنه على اليمن فما كلم أحدا منا بكلمة واحدة حتى انتهى الى العذيب وأناخ وقال يا أشرس أين دليلك فقلت هو ذا فسأله عن الطريق فقال له هذا طريق المدينة وهذا طريق العراق فقات

ومابتنابها اليلا معاسا
ولم نصبح بها يوما عبوسا
أهاليها كرام الناس خلقا
فلم نصحب بها يوما شموسا
وصادفناهم أحلى مقالا
ولم نر فيهم خبا عموسا
وماذكرانهم الاتمام
وماالنسوان الاعيطموسا
رأيناهم أشد الناس حبا
لاهل العلم رأسا اومسوسا
على ماء الحياة بها مصيف
فلا يشكون فى الصيف
التموسا
فلو كان البلاد بنى أبينا
لكانت هذه فيهم عروسا
أعذهم باالهى من شرور
ومن جور وطيبهم نفوسا
كأنا ما لبثنا غير يوم
لبثنا ثلث تسع فى بروسا

(وله) فى تسلية الاخوان المبتلين بالهم والخسران (شعر)

فلا تضجر ياخلى
على قل ولا كثر
ولا تغتم يامثلى
على ربح ولا خسر
فان الدهر لا يبقى
على عسر ولا يسر
فكم شاهدت من فاز
باعناق من السير
وكم أدركت ادراكا
وانضاجا من البسر
فقل بالصبر ياصاح
الى زهوك باليسر
فان الصبر مفتاح
لما لم يات بالقسر

(وله) فى زمن كثر فيه الاعتناء بالشعراء فوق العلماء (شعر)

والله ماهذه بايام عمرة فلم يتكلم حتى أناخ بين الحيرة والكوفة الى بعض الليل ثم استلقى على ظهره ورفع احدى رجليه على الاخرى وقال فـاليتنا العيس أن قذفت بنا * نوى غربة والعهد غير قديم ثم قال ياأشرس ابغى انسانا أسائله فاتاه برجل فقال سله عن ابن النصرانية يعنى خالدا القسرى فقلت مافعل خالد فقال فى الجبة اشتكى فخرج اليها فقال سله عن طارق فقال ختن بنيه فهو يطعم الناس بالكوفة قال خل عن الرجل ثم ركب فاناخ بالرحبة ودخل المسجد فصلى يوسف ثم استلقى على ظهره فكنا اليه لا طويلا ثم جاء المؤذن وزياد بن عبيد الله الحارثى يومئذ على الكوفة خليفة لخالد على الصلاة فاذنوا ثم سلموا وخرج زياد فاقيمت الصلاة فذهب زياد ليتقدم فقال يوسف ياأشرس نحه فقلت يازياد تأخر الامير فتأخر زياد وتقدم يوسف وكان حسن القراءة فصيحا فقرأ اذا وقعت الواقعة وسأل سائل بعذاب واقع فصلى الفجر وتقدم القاضى وحمد الله تعالى وأثنى عليه ودعا للخليفة وقال ما اسم أميركم فاخبر فدعا له بالصلاح فما تفرق أهل الصلاة حتى جاء الناس ولم يبرح يوسف حتى بعث الى خالد والى أبان بن الوليد بفارس والى بلال بن أبى بردة بالبصرة والى عبد الله بن أبى بردة بسجستان وأمر هشام أن يعزل عمال خالد جميعهم الا الحكم بن عوانة وكان على السند فاقره حتى قتل هو وزيد بن على فى يوم واحد قتله فاكهر ولما أتى خالد قيل له الامير يوسف قال دعونى من أميركم أحى هو أمير المؤمنين قيل نعم فقال لاباس على فلما قدم بخالد على يوسف حبسه وضرب يزيد خالدا ثلاثين سوطا فكتب هشام الى يوسف اعطى الله عهدا لئن شاكت خالدا شوكة لاضربن عنقك فخلوا سبيله بثقله وعياله فاتى الشام فلم يزل مقيما يغزو الصوائف حتى مات هشام وقيل ان يوسف استأذن هشاما فى بسط العذاب على خالد فلم ياذن له حتى ألح عليه بالرسل واعتل بانكسار الخراج لما صار اليه والى عماله منه فاذن له فيه مرة واحدة وبعث حرسيا يشهد ذلك وحلف لئن أتى على خالد أجله ليقتلنه به فدعا به يوسف وجلس على دكان بالحيرة وحضر الناس وبسط عليه العذاب فلم يكلمه خالد حتى شتمه يوسف وقال ياابن الكاهن يعنى سقاء احد أجداد خالد وهو الكاهن المشهور (قلت كما تقدم فى ترجمة خالد) قال فقال له خالد انك لاحمق تعيرنى بشرفى لكنك ابن السباء انما كان أبوك يسبأ الخمر قلت معناه يبيع الخمر قال ثم رد خالدا الى محبسه فاقام ثمانية عشر شهرا ثم كتب اليه هشام يامره بتخلية سبيله فى شوال سنة احدى وعشرين ومائة وخرج خالد ومعه جماعة من أهله وغيرهم حتى أتى القرية وهى من أرض الرصافة فاقام بها بقية شوال وذا القعدة وذا الحجة والمحرم وصفر ولا ياذن له هشام فى القدوم عليه قال الهيثم بن عدى وخرج زيد بن زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما على يوسف بن عمر فكتب يوسف الى هشام ان أهل هذا البيت من بنى عمكم قد كانوا هلكوا جوعا حتى كانت همة أحدهم قوت يومه فلما ولى خالد العراق قواهم بالاموال حتى تاقت أنفسهم الى طلب الخلافة وماخرج زيد الا باذن خالد وما مقامه بالقرية الا انها مدرجة الطريق فهو يسأل عن أخباره فقال هشام للرسول كذبت وكذب صاحبك ومهما اتهمنا به خالدا فانا لانتهمه فى طاعة وأمر بالرسول فوجئت عنقه وبلغ الخبر خالدا فسار الى دمشق وقال أبو الحسن المدائنى أمر يوسف بن عمر ببلال بن أبى بردة بن أبى موسى الاشعرى وكان بلال عامل خالد القسرى على البصرة فعذب فضمن ثلثمائة ألف درهم وأخذ منه كفيلا فأحضرها وهرب الى الشام فيقال ان غلامه أراد أن يشترى له دراجا فعرف ويقال بل شوى له غلامه دراجا فأحرقه فضربه فسعى به فأتى به يوسف بن عمر فأمر به فاقيم بالشمس فقال أدنونى من أمير المؤمنين فله على ماطلب فأبى ورده الى يوسف فعذبه حتى قتله وقال أخوه عبد الله بن أبى بردة للسجان ارفع اسمى فى الموتى فرفعه فقال يوسف أرنه ميتا فغمه السجان حتى مات ويقال بل كان بلال الذى سأل السجان رفع اسمه فى الموتى ويعطيه مالا فرفع اسمه فى الموتى والمقتول فى العذاب عبد الله والله أعلم بالصواب وقال يونس النحوى ماقتل بلالا الا دهاؤه سأل السجان أن يرفع اسمه فى الموتى ويعطيه مالا فقال يوسف اعرض الموت على فغمه حتى مات وعرضه عليه ميتا وقال المدائنى ولى يوسف بن عمر صالح بن كريز ولاية فخرجت عليه ثلاثون ألفا فحبس بها وبلال بن أبى بردة يومئذ محبوس فقال له بلال ان على العذاب سالما

لقد جار الزمان على بنيه
عليهم ضاق بالرحب البقاع
ترى الاشعار فى الاسعار أغلى
وعلم الشرع أكسد مايباع
فقد جازت جوائزهم عقودا
وغايتها خماس بل رباع
وكم من شاعر أمسى ذليلا
لقد أضحى له أمر مطاع
وذى فضل ينادى فى البوادى
أضاعونى وأى فتى اضاعوا

(ومنهم المولى محمود المشتهر بالمكتب)

ولد بقصبة سلانيك وقرأ على علماء عصره وأفاد واستفاد وتحرك على الوجه المعتاد حتى صار ملازما من المولى القادرى بخدمة التذكرة ثم درس بمدرسة رئيس القرائين بمدينة قسطنطينية بعشرين ثم صار وظيفته فيها خمسا وعشرين ثم بمدرسة الحاج حسن بثلاثين ثم بالقلندرية باربعين ثم مدرسة محمود باشا بخمسين كلتاهما بقسطنطينية المحمية ثم نقل الى مدرسة بنت السلطان سليمان باسكدار ثم الى احدى المدارس الثمان ثم الى مدرسة السلطان محمد خان بترب اياصوفيه ثم الى قضاء بغداد ثم الى قضاء آمد (وتوفى قاضيا بها فى شهر ذى الحجة سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة) كان رحمه الله حليم النفس طيب الخلق سليما طارح التكلف مشاركا فى العلوم قارب فى الخط شيوخه

ويلقب رتبيل فاياك أن تقول له رتبيل فانه يكره ذلك وجعل بلال يردد عليه القول فى ذلك فعذبه سالم فنسى اسمه وكنيته وجعل يقول له يارتبيل اتق الله يارتبيل اتق الله وكرر عليه القول فى ذلك من ألم العذاب وهو يقول اقتل من غيظه عليه فلما خلى عنه قال له بلال ألم أنهك عن رتبيل فقال وهل أوقعنى فى رتبيل غيرك أنا ما كنت أعرف رتبيل لولا أنت وماندع شرك فى سراء ولا ضراء وقال المدائنى أيضا كان على شرطة يوسف بن عمر العباس بن سعيد المرى وكان كاتبه قحذم سليمان بن ذكوان وزياد بن عبد الرحمن مولى ثقيف وعلى حرسه وحجابته جندب وفيه يقول الشاعر

أتانا أمير شديد النكال * لحاجبه حاجب حاجب

وقال الحافظ أبو القاسم بن عساكر فى تاريخ دمشق بلغنى ان يوسف بن عمر كان قد أخذ مع آل الحجاج بن يوسف الثقفى ليعذب ويطلب منه المال فقال أخرجونى لاسأل فدفع الى الحرث بن مالك الجهضمى يطوف به وكان مغفلا فانتهى به الى دار لها بابان فقال يوسف دعنى ادخل هذه الدار فان فيها عمة لى اسالها فاذن له فدخل وخرج من الباب الآخر وهرب وذلك فى خلافة سليمان بن عبد الملك وكان يوسف يسلك طرائق ابن عم أبيه الحجاج بن يوسف فى الصرامة والشدة فى الامور وأخذ الناس بالمشاق ولم يزل على ذلك الى حين عزله وذكر عمر بن شبة النميرى فى كتاب أخبار البصرة ان يوسف بن عمر وزن درهما فنقص حبة فكتب الى دور الضرب بالعراق فضرب اهلها فاحصى فى تلك الحبة مائة ألف سوط ضربها الناس وكان يوسف مذموما فى عمله أحمق سيئ الخلق والسيرة وكان جوادا فكان يطعم الناس على خمسمائة خوان أقصاها وادناها سواء يأكل منها الشامى والعراقى وعلى كل خوان قرينة عليها السكر فنفد السكر من قرينة الى قرينة فتكلم الخباز ثلثمائة سوط والناس يأكلون فكان الخباز يتخذ الخرائط فيها السكر فكلما نفد أكلتها فضرب زاد وروى الحكم بن عوانة الكلبى عن أبيه قال لم يؤيد الملك بمثل كلب ولم تعل المنابر بمثل قريش ولم تطلب التراث بمثل تميم ولم ترع الرعايا بمثل ثقيف ولم تسد الثغور بمثل قيس ولم تهج الفتن بمثل ربيعة ولم يجب الخراج بمثل اليمن وقال الاصمعى قال يوسف بن عمر لرجل ولاه عملا ياعدو الله أكلت مال الله فقال له فمال من آكل منذ خلقت والى الساعة والله لو سألت الشيطان درهما واحدا ما أعطانيه وكان يضرب به المثل فى التيه والحمق ذكر ذلك حمزة الاصبهانى فى كتاب الامثال فقال قولهم أتيه من أحمق ثقيف هو يوسف بن عمر كان أتيه واحمق عربى أمر ونهى فى دولة الاسلام فمن حمقه ان حجاما أراد ان يحجمه فارتعدت يده فقال لحاجبه قل لهذا البائس لاتخف ومارضى ان يقول له بنفسه وكان الخياط اذا أراد أن يفصل ثيابه فان قال يحتاج الى زيادة ثوب آخر أكرمه وحباه وان فضل شئ أهانه وأقصاه لانه يكون قد نبه على قصره ودمامته وكان يوسف ابن عمر قد استعمل على خراسان نصر بن سيار الليثى وبقى الى آخر أيام بنى أمية وقضاياه ووقائعه مع أبى مسلم الخراسانى مشهورة فى مواضعها وفيه وفى يوسف يقول سوار بن الاشعر

أضحت خراسان بعد الخوف آمنة * من ظلم كل غشوم الحكم جبار
لما أتى يوسفا أخبار ماقيت * اختار نصرا لها نصر بن سيار

وقال سماك بن حرب بعث الى يوسف بن عمر وهو أمير العراق ان عاملا لى كتب الى انى قد زرعت لك كل خق ولق فما هذا فقلت ان الخق ما اطمأن من الارض واللق ما ارتفع منها انتهى كلامه قلت وذكر الجوهرى فى كتاب الصحاح ان الخق الغدير اذا جف وتقلع واللق الشق المستطيل وقيل الخق حفرة غامضة فى الارض والخق بضم الخاء المعجمة وتشديد القاف واللق بضم اللام وتشديد القاف والله أعلم وكان يوسف ابن عمر من أعظم الناس لحية وأصغرهم قامة كانت لحيته تجوز سرته واستمر يوسف على ولاية العراق بقية مدة هشام بن عبد الملك فلما توفى يوم الاربعاء لست خلون من ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة بالرصافة من أرض قنسرين وبها قبره وكان عمره خمسا وخمسين سنة وقيل أربعا وخمسين وقيل اثنتين وخمسين سنة والله أعلم وكنيته أبو الوليد وتولى ابن أخيه الوليد بن يزيد بن عبد الملك بعده فاقر يوسف بن عمر على ولاية

المتقدمين والائمة المشهورين وقد كتب عدة من المصاحف الشريفة بالاقلام اللطيفة موضوع بعضها الآن فى جامع السلطان سليمان ونال بها الحظ الوافر عند بعض الاكابر

(ومن العلماء الامجاد المولى زين العباد)

كان من أولاد الشيخ السرى ابراهيم التنورى القيصرى ولد رحمه الله ببلدة قيصرية واشتغل على الشيخ شمس الدين مدرس البكتوتية ببلدة مرعش ثم جاء الى قسطنطينية وقرأ على علمائها واستفاد وتحرك على الوجه المعتاد حتى وصل الى خدمة المولى سعدى محشى البيضاوى فلما انتقل المولى المزبور الى رحمة ربه الغفور لم يقبل الملازمة بحسب العادة وارتبط بالمولى الشيخ محمد المعروف بجوى زاده فلما صار ملازما منه درس بمدرسة ابراهيم الرواسى بعشرين ثم مدرسة مراد باشا بخمسة وعشرين ثم مدرسة ابن الحاجى حسن بثلاثين ثم مدرسة أخرى باربعين ثم مدرسة محمود باشا بخمسين الكل بقسطنطينية المحمية ثم نقل الى مدرسة السلطان محمد بجوار أبى أيوب الانصارى ثم الى احدى المدارس الثمان وقيل ان يدوس بها

العراق وقتل الوليد المذكور يوم الخميس لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة وكان
قد عزم على عزل يوسف بن عمرو تولية عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف الثقفى وكانت أم الوليد بن يزيد
المذكور أم الحجاج بنت محمد بن يوسف فالحجاج عمها فكتب الوليد الى يوسف بن عمر انك قد كنت كتبت الى
تذكر ان خالد بن عبد الله القسرى أخرب العراق وكنت مع ذلك تحمل الى هشام ما تحمل وينبغى أن تكون
قد عمرت البلاد حتى رددتها الى ما كانت عليه فاشخص الينا وصدق ظننا بك فيما تحمله الينا بعمارتك البلاد
حتى نعرف فضلك على غيرك لما بيننا وبينك من القرابة فانك خالنا واحق الناس بالتوفير علينا وقد علمت
ما زدنا لاهل الشام فى العطاء وما وصلنا به أهل بيتنا به لجفوة هشام اياهم حتى أضر ذلك ببيوت الاموال فخرج
يوسف بن عمر بنفسه الى الوليد بن يزيد وحمل من الاموال والامتعة والآنية مالم يحمل من العراق مثله فقدم
وخالد بن عبد الله القسرى محبوس فلقيه حسان النبطى ليلا وأخبره ان الوليد قد عزم على تولية عبد الملك
ابن محمد بن الحجاج وانه لابد له من اصلاح أمر وزارته فقال يوسف ليس له عندى شئ فقال له حسان عندى
خمسمائة ألف درهم فان شئت فهى لك وان شئت فارددها الى اذا تيسرت فقال له يوسف أنت أعلم بالقوم
ومنازلهم من الوليد ففرقها على قدر علمك فيهم ففعل فقدم يوسف والقوم يعظمونه وقرر يوسف بن عمر مع
أبان بن عبد الرحمن النميرى ان يشترى خالد بن عبد الله القسرى باربعين ألف ألف درهم فقال الوليد
ليوسف ارجع الى عملك فقال ابان له ادفع الى خالدا وادفع اليك أربعين ألف ألف درهم فقال الوليد ومن
يضمن عنك هذا المال فقال يوسف فقال ليوسف أتضمن عنه فقال يوسف ادفعه الى فانا استأديه خمسين ألف
ألف درهم فدفعه اليه فحمله فى محمل بغير وطاء وقدم به الى العراق فقتله كما شرحته فى ترجمته ولما قتل الوليد
ابن يزيد وتولى بعده ابن عمه يزيد بن الوليد بن عبد الملك وأطاعه أهل الشام وانبرم له الامر ندب لولاية
العراق عبد العزيز بن هرون بن عبد الملك بن دحية بن خليفة الكلبى فقال له عبد العزيز لو كان معى جند
لقبلت فتركه وولاها منصور بن جهور وأما أبو مخنف فانه قال قتل الوليد بن يزيد بالبخراء فى التاريخ
المذكور وبويع يزيد بن الوليد بدمشق وسار منصور بن جهور من البخراء فى اليوم الذى قتل فيه الوليد الى
العراق وهو سابع سبعة فبلغ خبره يوسف بن عمر فهرب وقدم منصور بن جهور الحيرة فى أيام خلت من رجب
فاخذ بيوت الاموال واخرج العطاء لاهل العطاء والارزاق وولى العمال بالعراق وأقام بقية أيام رجب
وشعبان ورمضان وانصرف لايام بقيت منه ولما هرب يوسف بن عمر سلك طريق السماوة حتى أتى الى البلقاء
فاستخفى بها وكان أهله مقيمين فيها فلبس زى النساء وجلس بينهن وبلغ يزيد بن الوليد خبره فارسل اليه من
يحضره فوصلوا اليه فوجدوه بعد أن فتشوا عليه كثيرا جالسا على تلك الهيئة بين نسائه وبناته فجاؤا به فى وثاق
فحبسه يزيد عند الحكم وعثمان ابنى الوليد بن يزيد وكان يزيد بن الوليد قد حبسهما عند قتله أباهما فى
الخضراء وهى دار بدمشق مشهورة قبلى جامعها وقد خربت الآن ومكانها معروف عندهم ثم ان يزيد بن
الوليد عزل منصور بن جهور عن ولاية العراق وولاها عبد الله بن عمر بن عبد العزيز فاقام يوسف بن عمر فى
السجن بقية مدة يزيد بن الوليد الى ان مات فى ذى الحجة على الخلاف الكثير فيه هل مات فى أول الشهر أو فى
عاشره أو بعد العاشر أو فى سلخ ذى القعدة سنة ست وعشرين ومائة وجعل ولى عهده أخاه ابراهيم بن الوليد
ومن بعده عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك واستمر يوسف بن عمر فى سجنه مدة ولاية ابراهيم بن الوليد فجاء
مروان بن محمد آخر ملوك بنى أمية باهل الجزيرة الفراتية وقنسرين وغلب على الامر وخلع ابراهيم بن الوليد
وتولى مكانه وقتل عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك وكانت ولاية ابراهيم أربعة أشهر وخلع فى شهر ربيع
الآخر سنة سبع وعشرين ومائة وقيل كانت ولايته سبعين يوما لاغير وكان يزيد بن خالد بن عبد الله القسرى
مع ابراهيم بن الوليد فلما ظهر أمر مروان بن محمد والتقى عسكره وعسكر ابراهيم وهرب عسكر ابراهيم ودخلوا
دمشق ومروان وراءهم خافت جماعة ابراهيم ان يدخل مروان فيخرج الحكم وعثمان ابنى الوليد من
السجن ويجعل لهما الامر فلا يستبقيا أحدا ممن أعان على قتل أبيهما فاجمع رأيهم على قتلهما فارسلوا يزيد بن

نقل الى مدرسة السلطان
بايزيد خان باماسيه بثمانين
فاقام فيها عدة سنين ودام
على الافتاء والدرس حتى
افضت به المنية الى الرمس
(وذلك سنة أربع وثمانين
وتسعمائة) وكان رحمه الله
واسع العلم كثير المحفوظ
قليل الاعتناء بزخارف الدنيا
مكبا على الاشتغال والدرس
وكان رحمه الله قوى
الجنان مطلق اللسان
معتمدا على اصالة رأيه
مجترئا على علماء عصره
وكان له أخ يسمى عبد
الفتاح ملازم المولى عبد
الرحمن الذى تصدر مرتين
فى الدولتين على ما مر
ذكره فى هذه الجريدة
درس أولا بمدينة القاضى
محمود بعشرين ثم مدرسة
الخواجه خير الدين بخمسة
وعشرين كلتاهما
بقسطنطينية المحمية ثم
مدرسة أوروج باشا ببلدة
دمتوقه بثلاثين ثم مدرسة
عطاء بك ببلدة قسطمونى
باربعين ثم مدرسة السيف
بانقره بخمسين ثم عزل ثم
تقلدها ثانيا بشرط أن
تدخل فى سلك المدارس
الدواخل ويكون معيده
ملازما فى وقته كما هو العادة
فى أمثالها ثم نقل الى مدرسة
السلطان سليمان خان
بمدينة دمشق وأذن له
بالافتاء بهذه الديار فدام
عليه حتى انتقل الى دار
القرار سنة أربع وثمانين

خالد القسرى ليتولى ذلك فانتدب يزيد المذكور مولى أبيه وهو أبو الاسد فى جماعة من أصحابه فدخلوا السجن
وشدخوا الغلامين بالعمد وأخرجوا يوسف بن عمر فضربوا عنقه لكونه قتل خالد بن عبد الله القسرى والد
يزيد المذكور كما شرحناه فى ترجمة خالد وذلك فى سنة سبع وعشرين ومائة وهو ابن نيف وستين سنة ولما قتل
أخذوا رأسه عن جسده وشدوا فى رجليه حبلا فجعل الصبيان يجرونه فى شوارع دمشق فتمر المرأة به فترى
جسدا صغيرا فتقول فى أى شئ قتل هذا الصبى المسكين لما ترى من صغر جثته قال بعضهم رأيت يوسف بن عمر
وفى مذاكيره حبل وهو يجر بدمشق ثم رأيت بعد ذلك يزيد بن خالد القسرى قاتله وفى مذاكيره حبل وهو
يجر فى ذلك الموضع وقد قيل انه قتل فى العشر الاوسط من ذى الحجة سنة ست وعشرين ومائة والله أعلم

(أبو يعقوب يوسف بن تاشفين اللمتونى أمير المسلمين وملك الملثمين وهو الذى اختط مدينة مراكش)

وقد تقدم فى ترجمة المعتمد محمد بن عباد والمعتصم محمد بن صمادح الملكين ببلاد الاندلس طرف من أخباره
وماجرى لهما معه وكيف أخذ بلادهما واستأسر ابن عباد وحبسه فى اغمات وقد استوفيت الكلام عليه
هنالك ونبهت عليه الآن ليعلم الواقف عليه ان هذا الملك هو ذلك وانه عظيم الشان كبير السلطان ذكر
أرباب التواريخ شيأ من أحواله فاخترت فى هذا الكتاب ما وجدته فى كتاب المغرب عن سيرة ملوك المغرب
لانه أوعب فى حديثه من غيره لكنه لم يذكر مؤلفه حتى أذكره غير انه قال فى أول النسخة التى نقلت منها هذا
الفصل انه كتبها فى سنة تسع وتسعين وخمسمائة وفرغ منها فى ذى القعدة من السنة بالموصل وهى فى مجلد
واحد لطيف فاخترت منه مقتضبا ما مثاله كان بالمغاربة الجنوبى لقبيلة تسمى زناتة فخرج عليهم من
جنوبى المغرب من البلاد المتاخمة لبلاد السودان الملثمون يقدمهم أبو بكر بن عمر منهم وكان رجلا ساذجا خير
الطباع مؤثرا لبلاده على بلاد المغرب غير ميال الى الرفاهية وكانت ولاة المغرب من زناتة ضعفاء لم يقاوموا
الملثمين فأخذ البلاد من أيديهم من باب تلمسان الى ساحل البحر المحيط فلما حصلت البلاد لابى بكر بن عمر
المذكور سمع ان عجوزا فى بلاده ذهبت لها ناقة فى غداة فبكت وقالت ضيعنا أبو بكر بن عمر بدخوله الى
بلاد المغرب فحمله ذلك على ان استخلف على بلاد المغرب رجلا من أصحابه اسمه يوسف بن تاشفين ورجع
الى بلاده الجنوبية وكان يوسف هذا رجلا شجاعا عادلا مقداما اختط بالمغرب مدينة مراكش وكان
موضعها مكمنا للصوص وكان ملكا للعجوز مصمودية فلما تمهدت البلاد له تاق الى العبور الى جزيرة الاندلس
وكانت محصنة بالبحر فانشأ شوانى ومراكب وأراد العبور اليها فلما علم ملوك الاندلس بما يروم من ذلك
أعدوا له عدة من المراكب والمقاتلة وكرهوا المامه بجزيرتهم الا انهم استهولوا جمعه واستصعبوا مدافعته
وكرهوا أن يصحوا بين عدوين الفرنج من شمالهم والملثمون من جنوبهم وكانت الفرنج تشد وطأتها عليهم
الا ان ملوك الاندلس كانت ترهب الفرنج باظهار موالاتهم لملك المغرب يوسف بن تاشفين وكان له اسم كبير
لنقله دولة زناتة وملك المغرب اليه فى أسرع وقت وكان قد ظهر لابطال الملثمين فى المعارك ضربات بالسيوف
تقد الفارس وطعنات تنظم الكلى فكان لهم بذلك ناموس ورعب فى قلوب المنتدبين لقتالهم وكان ملوك
الاندلس يفيئون الى ظل يوسف بن تاشفين ويحذرونه على ملكهم مهما عبر اليهم وعاين بلادهم فلما رأوا
عزيمته متقدمة على العبور أرسل بعضهم الى بعض وكاتبوهم يستنجدون آراءهم فى أمره وكان مفزعهم فى
ذلك الى المعتمد بن عباد لانه كان أشجع القوم وأكبرهم مملكة فوقع اتفاقهم على مكاتبته وقد تحققوا انه
يقصدهم يسألونه الاعراض عنهم وانهم تحت طاعته فكتب عنهم كاتب من أهل الاندلس كتابا وهو هذا أما
بعد فانك ان أعرضت عنا نسبت الى كرم ولم تنسب الى عجز وان أجبنا داعيك نسبنا الى عقل ولم ننسب الى
وهن وقد اخترنا لانفسنا أجمل نسبتينا فاختر لنفسك أكرم نسبتيك فانك بالمحل الذى لا يجب ان تسبق فيه الى
مكرمة وان فى استبقائك ذوى البيوت ما شئت من دوام لامرك وثبوت والسلام فلما جاءه الكتاب مع تحف
وهدايا وكان يوسف بن تاشفين لا يعرف اللسان العربى لكنه كان يجيد فهم المقاصد وكان له كاتب يعرف

وتسعمائة رحمه الله تعالى
آمين
*(ومن الافاضل السادة
المولى رمضان المشتهر
بناظر زاده)*
كان أبوه من زمرة القضاة
الحاكمين فى القصبات
وقد ولد المرحوم بقصبة
صوفيه من بلاد الروم وقد
انتقل أبوه الى رحمة ربه
القدير وهو طفل صغير
فرباه واحد من النظار
السلطانية مثابة بنيه فنزله
الناس منزلة أبيه وقد نشأ
رحمه الله فى طلب العلم
والادب بحيث يقضى منه
العجب ولازال يخدم العلوم
الشريفة حتى أصبح وله
فيها قدم راسخ وعطس
بانف من الفضل شامخ
واشتغل على المولى عبد
الباقى والمولى بروز وصار
ملازما من المولى محمد
المعروف بقطب الدين
زاده فخفظ الكنز فبواسطته
قلد أولا مدرسة أحمد المفتى
بخمسة وعشرين ثم
مدرسة ابن ولى الدين
بثلاثين ثم مدرسة بادرم
خان باربعين الكل فى
بروسه المحروسة ثم مدرسة
قاسم باشا بخمسين ولما
بنى الوزير على باشا مدرسته
المحمية نقل المرحوم اليها
برغبة وافرة وعزة متكاثرة
ثم نقل الى احدى المدارس
الثمان ثم الى مدرسة
السلطان محمد خان بقرب
اياصوفيه ثم الى احدى

اللغتين العربية والمرابطية فقال له أيها الملك هذا الكتاب من ملوك الاندلس يعظمونك فيه ويعرفونك انهم
أهل دعوتك وتحت طاعتك ويلتمسون منك ان لا تجعلهم فى منزلة الاعادى فانهم مسلمون وهم من ذوى
البيوتات فلا تغير بهم وكفى بهم من وراءهم من الاعداء الكفار وبلدهم ضيق لا يحتمل العساكر فاعرض
عنهم اعراضك عمن أطاعك من أهل المغرب فقال يوسف بن تاشفين لكاتبه فما ترى أنت فقال أيها الملك
اعلم أن تاج الملك وبهجته وشاهده الذى لا يرد بانه خليق بما حصل فى يده من الملك أن يعفو اذا استعفى وأن
يهب اذا استوهب وكلما وهب جزيلا كان أعظم لقدره فاذا اعظم قدره تأصل ملكه واذا تأصل ملكه تشرف
الناس بطاعته واذا كانت طاعته شرفا جاءه الناس ولم يتجشم المشقة اليهم وكان وارث الملك من غير اهلاك
لآخرته واعلم ان بعض الملوك الاكابر والحكماء البصراء بطريق تحصيل الملك قال من جاد ساد ومن ساد قاد
ومن قاد ملك البلاد فلما ألقى الكاتب هذا الكلام على يوسف بن تاشفين بلغته فهمه وعلم انه صحيح فقال
للكاتب أجب القوم واكتب بما يجب فى ذلك واقرأ على كتابك فكتب الكاتب بسم الله الرحمن الرحيم من
يوسف بن تاشفين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته تحية من سالمكم وسلم اليكم وحكمه التأييد والنصر فيما حكم
عليكم وانكم مما بأيديكم من الملك فى أوسع اباحة مخصوصون منا بأكرم ايثار وسماحة فاستديموا وفاءنا بوفائكم
واستصلحوا اخاءنا باصلاح اخائكم والله ولى التوفيق لنا ولكم والسلام فلما فرغ من كتابه قرأه على يوسف
ابن تاشفين بلسانه فاستحسنه وقرن به يوسف بن تاشفين درق اللمطية مما لا يكون الا فى بلاده (قلت اللمطية
بفتح اللام وسكون الميم وبعدها طاء مهملة ثم ياء مشددة مثناة من تحتها وبعدها هاء ساكنة هذه النسبة الى
لمطة وهى بليدة عند السوس الاقصى بينها وبين سجلماسة عشرون يوما قاله ابن حوقل فى كتاب المسالك
والممالك وهى معدن الدرق اللمطية لا يوجد فى الدنيا مثلها على ما يقال والله أعلم) وانفذ ذلك اليهم فلما
وصلهم كتابه أحبوه وعظموه وفرحوا به وبولاية ملك المغرب وتقوت نفوسهم على دفع الفرنج وأزمعوا ان
رأوا من ملك الفرنج ما يريبهم ان يجيزوا اليه يوسف بن تاشفين ويكونوا من أعوانه على ملك الفرنج فتحصل
ليوسف بن تاشفين برأى وزيره ما أراد من محبة أهل الاندلس له وكفاه الحرب لهم وان الاذفونش بن
فردكند صاحب طليطلة قاعدة ملك الفرنج أخذ يجوس خلال الديار ويفتتح بلاد الاندلس ويشتط على
ملوكهم بطلب البلاد منهم وخصوصا المعتمد بن عباد فانه كان مقصودا فيه وقد تقدم فى ترجمة المعتمد
ذكر تاريخ أخذه طليطلة والابيات التى قيلت فى ذلك فنظر المعتمد فى أمره فرأى ان الاذفونش قد داخله
طمع فيما يلى بلاده فاجمع أمره على استدعاء يوسف بن تاشفين على العبور على ما فيه من الخطر وعلم ان
مجاورة غير الجنس مؤذنة بالبوار وان الفرنج والملثمين ضدان له الا انه قال ان دهينا من مداخلة الاضداد لنا
فاهون الامرين أمر الملثمين ولان يرعى أولادنا جمالهم أحب الينا من أن يرعوا خنازير الفرنج ولم يزل هذا
الرأى نصب عينيه مهما اضطر اليه وان الاذفونش خرج فى بعض السنين يتخلل بلاد الاندلس بجمع كبير من
الفرنج فخافه ملوك الاندلس على البلاد واجفل أهل القرى والرساتيق من بين يديه ولجؤا الى المعاقل فكتب
المعتمد بن عباد الى يوسف بن تاشفين يقول له ان كنت مؤثرا للجهاد فهذا أوانه فقد خرج الاذفونش الى
البلاد فاسرع فى العبور اليه ونحن معاشر أهل الجزيرة بين يديك وكان يوسف بن تاشفين على أتم اهبة
فشرع فى عبور عساكره فلما ابصر ملوك الاندلس عبور أهل المغرب يطلبون الجهاد وقد كانوا وعدوا من
أنفسهم بالمساعدة اعدوا أيضا للخروج فلما رأى الاذفونش اجتماع العزائم على مناجزته علم انه عام نطاح
فاستنفر الفرنجة للخروج فخرجوا فى عدد لا يحصيه الا الله تعالى ولم تزل الجموع تتألف وتتدارك الى أن
امتلأت جزيرة الاندلس خيلا ورجلا من الفريقين كل اناس قد التفوا على ملكهم فلما عبرت جيوش
يوسف بن تاشفين عبر فى آخرها فامر بعبور الجمال فعبر منها ما اغص الجزيرة وارتفع رغاؤها الى عنان
السماء ولم يكن أهل الجزيرة رأوا قط جملا ولا كانت خيلهم قد رأت صورها ولا سمعت اصواتها وكانت تذعر
منها وتقلق وكان ليوسف بن تاشفين فى عبورها رأى مصيب كان يحدق بها عسكره وكان يحضرها الحرب

المدارس السليمانية
كلتاهما بستين فلما ابتنى
السلطان سليم خان
مدرسته الكائنة بادرنه
نقله اليها بتربية معلمه عطاء
الله وكان أهلا لذلك وعين
لدرسه معيدا وأمر بملازمة
ثلاثة نفر من أصحابه
تشريفا للمنصب المزبور
ثم قلد قضاء الشام ثم نقل
الى قضاء مصر ثم الى قضاء
بروسه ثم الى قضاء أدرنه
وقبل أن يصل اليها قلد
قضاء قسطنطينية (ومات
فيها فجأة فى أواسط شعبان
من شهور سنة أربع
وثمانين وتسعمائة) وقد
وصل سنه الى ستين سنة
كان رحمه الله ممن حاز قصب
السبق فى مضمار الفضائل
وشهد بوفور فضله
وغزارة علمه الافاضل
عاريا من السقامة علما فى
الاستقامة ورعا عفيفا دينا
نظيفا جميل الصورة حسن
السيرة متخلقا باحسن
الاخلاق موضوعا بتواضعه
على الرؤس والاحداق
ومع ذلك الفضل الباهر
والتقدم الظاهر لم يرله
تأليف ولم يسمع منه
تصنيف لغاية احترازه عن
النسبة الى الخطاء عامله الله
بلطفه يوم الجزاء
*(ومن علماء الزمن المولى
حسن)*
كان من غلمان المولى
القادرى فوهبه للوزير
الكبير رستم باشا فدار

فكانت خيل الفرنج تحجم عنها فلما تكامل العساكر بالجزيرة قصدت الاذفونش وكان نازلا بمكان أفيح
من الارض يسمى الزلاقة بالقرب من بطليوس قال البياسى بين المكانين أربع فراسخ وقال أيضا ان يوسف
ابن تاشفين قدم بين يدى حربه كتابا على مقتضى السنة يعرض على الاذفونش الدخول فى الاسلام أو الحرب
أو الجزية ومن فصول كتابه وبلغنا يا اذفونش انك دعوت فى الاجتماع بك وتمنيت أن يكون لك فلك تعبر
البحر عليها الينا فقد اجزناه اليك وجمع الله فى هذه العرصة بيننا وبينك وسترى عاقبة دعائك وما دعاء
الكافرين الا فى ضلال فلما سمع الاذفونش ما كتب اليه جاش بحر غيظه وزاد فى طغيانه واقسم انه لا يبرح
من موضعه حتى يلقاه ثم ان ابن تاشفين ومن معه قصدوا الزلاقة فلما وافاها المسلمون نزلوا تجاه الفرنج بها
فاختار المعتمد بن عباد أن يكون هو المصادم لهم أولا وان يكون يوسف بن تاشفين اذا انهزم المعتمد بعسكره
بين أيديهم وتبعوه يميل عليهم بعساكره وتتألف معه عساكر الاندلس فلما عزموا على ذلك وفعلوه خذل
الفرنج وخالطتهم عساكر المسلمين واستحر القتل فيهم فلم يفلت منهم غير الاذفونش فى دون الثلاثين من
اصحابه فلحق ببلده على اسوأ حال فغنم المسلمون من اسلحته وخيله واثاثه ما ملأ أيديهم خيرا (قلت) وكانت
الوقعة فى يوم الجمعة الخامس عشر من رجب سنة تسع وسبعين وأربعمائة وقيل فى شهر رمضان فى العشر
الاواخر من السنة والله أعلم ٣ وقال البياسى كان حلول العساكر الاسلامية بالجزيرة الخضراء فى المحرم
سنة تسع وسبعين وأربعمائة فحكى ان موضع المعترك على اتساعه ما كان فيه موضع قدم الا على جسد
أو دم واقامت العساكر بالموضع أربعة أيام حتى جمعت الغنائم فلما حصلت عف عنها يوسف بن تاشفين
وآثر بها ملوك الاندلس وعرفهم ان مقصوده انما كان الغزو لا النهب فلما رأت ملوك الاندلس ايثار يوسف
ابن تاشفين لهم بالغنائم استكرموه واحبوه وشكروا له ثم ان يوسف بن تاشفين ازمع الرجوع الى بلاده
وكان عند قصده ملاقاة الاذفونش تحرى المسير بالعراء من غير ان يمر بمدينة أو رستاق حتى نزل الزلاقة تجاه
الاذفونش وهنالك اجتمع بعساكر الاندلس وذكر أبو الحجاج يوسف بن محمد البياسى فى كتاب تذكير العاقل
وتنبيه الغافل ان ابن تاشفين نزل على أقل من فرسخ من عسكر العدو فى يوم الاربعاء وكان الموعد فى المناجزة
يوم السبت الادنى فغدر الاذفونش ومكر فلما كان سحر يوم الجمعة منتصف رجب من العام اقبلت طلائع ابن
عباد والروم فى أثرها والناس على طمأنينة فبادر ابن عباد للركوب وانبث الخبر فى العساكر فماجت باهلها
ووقع النهب ورجفت الارض وصارت الناس فوضى على غير تعبية ولا أهبة ودهمتهم خيل العدو فغمرت
ابن عباد وحطمت ما تعرض لها وتركت الارض حصيدا خلفها وجرح ابن عباد واصابه جرح اشواه
وفر رؤساء الاندلس واسلموا محلاتهم وظنوا انها داهية لا ترفع وظن الاذفونش ان أمير المسلمين فى المنهزمين
ولم يعلم ان العاقبة للمتقين فركب أمير المسلمين واحدق به انجاد خيله ورجاله من صنهاجة ورؤساء القبائل
فعمدوا الى محلة الاذفونش فاقتحموها ودخلوها وقتلوا حاميتها وضربت الطبول فاهتزت الارض وتجاوبت
الآفاق وتراجعت الروم الى محلتهم بعد ان علموا ان أمير المسلمين فيها فقصدوا أمير المؤمنين فافرج لهم عنها
ثم كر فاخرجهم منها ثم كروا عليه فافرج لهم عنها ولم تزل الكرات بينهم تتوالى الى أن امر أمير المسلمين
حشمه السودان فترجل منهم زهاء أربعة آلاف ودخلوا المعترك بدرق اللمط وسيوف الهند ومزاريق
الزان فطعنوا الخيل فرمحت بفرسانها واحجمت عن اقرانها وتلاحق الاذفونش باسود فدق مزاريقه بالدف
فأهوى ليضربه بالسيف فلصق به الاسود وقبض على اعنته وانتضى خنجرا كان منتطقا به فأثبته من فخذه
فهتك حلق درعه وشك فخذه مع بداد سرجه وكان وقت الزوال من ذلك اليوم وهبت الريح بالنصر وانزل الله
سكينته على المسلمين ونصر دينه وصدقوا الحملة على الاذفونش وأصحابه فأخرجوهم عن محلتهم فولوا ظهورهم
وأعطوا اعناقهم والسيوف تصفعهم الى ان لحقوا بربوة لجؤا اليها واعتصموا بها واحدقت بهم الخيل فلما
أظلم الليل انساب الاذفونش وأصحابه من الربوة وأفلتوا بعد ما نشبت فيهم اظفار المنية واستولى المسلمون
على ما كان فى محلتهم من الاثاث والآنية والمضارب والاسلحة وأمر ابن عباد بضم رؤس القتلى من الروم

رحمه الله على علماء زمانه
وفضلاء أوانه وصار ملازما
من المولى أبى السعود
صاحب التفسير المعتبر أيام
قضائه بالعسكر المظفر
ودرس أولا بمدرسة محمود
باشا بأربعين ثم صار وظيفته
فيها خمسين ثم نقل الى
المدرسة الخاصكية
بقسطنطينية المحمية ثم الى
احدى المدارس الثمان
ثم الى مدرسة السلطان
محمد ابن السلطان سليمان
ثم قلد قضاء دمشق الشام
ثم نقل الى مصر ذات
الاهرام ثم قلد قضاء مكة
شرفها الله تعالى ثم عزل
فاعيد الى مصر ثانيا ثم عزل
ثم قلد قضاء قسطنطينية ثم
نقل عنه الى قضاء العساكر
المنصورة بولاية اناطولى
المعمورة ثم عزل ثم أعيد
الى قضاء قسطنطينية مرة
أخرى ثم تقاعد بوظيفة
مثله (الى أن مات فى صفر
المظفر سنة خمس وثمانين
وتسعمائة) كان رحمه الله
مشاركا فى العلوم مائلا الى
صحبة أرباب الحجا والفهوم
حسن الاخلاق لا يضمر
السوء لاحد ولو أساء عنده
فوق الحد جمع النفائس
من الكتب والامتعة
والاسباب الى ان فرق شمله
مفرق الاملاك عن الارباب

٣ كانت وفاة البياسى
الانصارى المذكور سنة
ثلاث وخمسين وستمائة
اه من كشف الظنون

فنشر منها امامه كالتل العظيم ثم كتب ابن عباد الى ولده الرشيد كتابا وأطار به الحمام يوم السبت سادس عشر المحرم يخبره بالنصر وقد روى أيضا ان أمير المسلمين طلب من أهل البلاد المعونة على ماهو بصدده فوصل كتابه الى المرية في هذا المعنى وذكر فيه ان جماعة أفتوه بجواز طلب ذلك اقتداء بعمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال أهل المرية لقاضى بلدهم وهو أبو عبد الله بن الفراء أن يكتب جوابه وكان هذا القاضى من الدين والورع على ماينبغى فكتب اليه أما بعد ماذكره أمير المسلمين من اقتضاء المعونة وتأخرى عن ذلك وان أبا الوليد الباجى وجميع القضاة والفقهاء بالعدوة والاندلس افتوا بان عمر بن الخطاب رضى الله عنه اقتضاها وكان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وضجيعه فى قبره ولا يشك فى عدله فليس أمير المؤمنين بصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بضجيعه فى قبره ولا من لا يشك فى عدله فان كان الفقهاء والقضاة أنزلوك بمنزلته فى العدل فالله سائلهم عن تقلدهم فيك وما اقتضاها عمر حتى دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحلف ان ليس عنده درهم واحد فى بيت للمسلمين ينفقه عليهم فلتدخل المسجد الجامع هنالك بحضرة أهل العلم وتحلف ان ليس عندك درهم واحد ولا فى بيت مال المسلمين وحينئذ تستوجب ذلك والسلام ولما قضى أمير المسلمين من هذه الوقعة ماقضى أمر عساكره بالمقام وان تشن الغارات على بلاد الفرنج وأمر عليهم سير بن أبى بكر وطاب الرجوع فى طريقه فتكرم به ابن عباد فعرج به الى بلاده وسأله ان ينزل عنده فأجابه يوسف الى ذلك فلما انتهى يوسف الى اشبيلية مدينة المعتمد وكانت من أجمل المدن منظرا ونظر الى موضعها على نهر عظيم مستبحر تجرى فيه السفن بالبضائع جالبة من بلاد المغرب وحاملة اليه فى غربيه رستاق عظيم مسيرة عشرين فرسخا يشتمل على آلاف من الضياع كلها تين وعنب وزيتون وهذا الموضع هو المسمى فرق اشبيلية وتمير بلاد المغرب كلها من هذه الاصناف وفى جانب المدينة قصور المعتمد وأبيه المعتضد فى غاية الحسن والبهاء وفيها أنواع مايحتاج اليه من المطعوم والمشروب والملبوس والمفروش وغير ذلك فانزل المعتمد يوسف بن تاشفين فى أحدها وتولى من اكرامه وخدمته ماأوسع شكر ابن تاشفين له وكان مع ابن تاشفين أصحاب له ينبهونه على تأمل تلك الحال وماهو عليه من النعمة والاتراف ويغرونه باتخاذ مثلها لنفسه ويقولون ان فائدة الملك قطع العيش فيه بالتنعم واللذة كما هو المعتمد وأصحابه وكان يوسف بن تاشفين مقتصدا فى أموره غير متطاول ولا مبذر متنوق فى صنوف اللذ بالاطعمة وغيرها وكان قد ذهب صدر عمره فى بلاده فى شظف العيش فانكر على مغريه بذلك الاسراف وقال الذى يلوح من أمر هذا الرجل يعنى المعتمد أنه مضيع لما فى يديه من الملك لان هذه الاموال التى تعينه على هذه الاحوال لابد أن يكون لها أرباب لا يمكن أخذ هذا القدر منهم على وجه العدل أبدا فأخذه بالظلم وأخرجه فى هذه الترهات وهذا من أفحش الاستهتار ومن كانت همته فى هذا الحد من التصرف فيما لا يعدو الاجوفين متى تستجد همته فى حفظ بلاده وضبطها وحفظ رعيته والتوفر على مصالحها ثم ان يوسف بن تاشفين سأل عن أحوال المعتمد فى لذاته هل تختلف فتنقص عما هى عليه فى بعض الاوقات فقيل له لا بل كل زمانه على هذا قال أفكل أصحابه وانصاره على عدوه ومنجديه على الملك ينال حظا من ذلك قالوا لا قال كيف ترون رضاهم عنه قالوا لا رضا لهم عنه فاطرق يوسف وسكت فاقام يوسف عند المعتمد على تلك الحال أياما وفى بعض تلك الايام استأذن رجل على المعتمد فدخل وهو ذو هيئة رثة وكان من أهل البصائر فلما دخل عليه قال له اصلحك الله أيها الملك من أوجب الواجبات شكر النعمة وان من شكر النعمة اهداء النصائح وانى رجل من رعيتك حالى فى دولتك الى الاختلال أقرب منها الى الاعتدال لكنى ملتزم لك من النصيحة مايستوجبه الملك على رعيته فمن ذلك خبر وقع فى اذنى من بعض أصحاب ضيفك هذا يوسف بن تاشفين يدل على انهم يرون أنفسهم وملكهم أحق بهذه النعمة منك وقد رأيت رأيا فان آثرت الاصغاء اليه قلته قال له المعتمد قله قال رأيت ان هذا الرجل الذى اطلعته على ملكك رجل مستأسد على الملوك قد حطم ببر العدوة زناتة وأخذ الملك من ايديهم ولم يبق على أحد منهم ولا يؤمن ان يطمع الى الطماعية فى ملكك بل فى ملك جزيرة الاندلس كلها بما قد عاينه من بلهنية عيشك وانه لمتخيل

(ومن القروم الاماجد المولى حامد) كان ابوه من أرباب الزوايا فتكم فى الزوايا من الخبايا ولد رحمه الله ببلدة قونيه وسلك مسالك الطلب ودخل مدخل العلم والادب بعد ماعرى مشربه عن كدر الشباب وصفا وبلغ من السن مبلغا وقرأ على عدة من الافاضل الفحول وتميز عندهم بالطف الالتفات وحسن القبول منهم المولى سعدى محشى تفسير البيضاوى وصار ملازما من المولى القادرى بخدمة التذكرة ايام قضائه بالعسكر فى شهر صفر المظفر سنة ٩٤٠ وقلد فى الشهر المزبور مدرسة المولى خسرو بمدينة بروسه بعشرين ثم الواجدية بكوتاهية بخمسة وعشرين ثم مدرسة ابن ولى الدين ببروسه المحروسة بثلاثين ثم مدرسة داود باشا بقسطنطينية المحمية بأربعين وذلك سنة ٩٤٨ حامدا لله ومصليا هكذا بخطه رحمه الله ثم قلد مدرسة مصطفى باشا بكبويزه بخمسين ثم نقل الى مدرسة والدة السلطان سليمان ببلدة مغنيسا فدام فيها على الدرس والافتاء الى أن نقل الى مدرسة السلطان محمد خان ابن السلطان سليمان خان بستين وذلك بتربية صهره المرقرم الشيخ محمد المعروف بجوى

في

فى مثل حالك سائر ملوك الاندلس وان له من الولد والاقارب ممن يؤثر مسراتهم من يود له الحلول بما أنت فيه من خصب الجناب وقد أودى الاذفونش وجيشه واستاصل شأفتهم وأعدمك منه أقوى ناصر عليه لو احتجت اليه فقد كان لك منه أقوى عضد وأوقى مجن وبعد ان فات الامر فى الاذفونش لا يفتك الحزم فيما هو ممكن اليوم قال له المعتمد وماهو الحزم اليوم قال ان تجمع أمرك على قبض ضيفك هذا واعتقاله فى قصرك وتجزم انك لا تطلقه حتى يأمر كل من هو بجزيرة الاندلس من عسكره ان يرجع من حيث جاء حتى لا يبقى منهم بالجزيرة طفل ثم تتفق أنت وملوك الجزيرة على حراسة هذا البحر من سفينة تجرى فيه بغزاة له ثم بعد ذلك تستحلفه باغلاظ الايمان ان لا يضمر فى نفسه عودا الى هذه الجزيرة الا باتفاق منكم ومنه وتاخذ منه على ذلك رهائن فانه يعطيك من ذلك ماتشاء فنفسه أعز عليه من جميع ماتلتمس منه فعند ذلك يقنع هذا الرجل ببلاده التى لا تصلح الا له وتكون قد استرحت منه بعد ما استرحت من الاذفونش وتقيم فى موضعك على خير حال ويرتفع ذكرك عند ملوك الاندلس وأهل الجزيرة ويتسع ملكك وتنسب بهذا الاتفاق الى سعادة وحزم وتهابك الملوك ثم اعمل بعد هذا مايقتضيه حزمك فى مجاورة من عاملته هذه المعاملة واعلم انه قد تهيا لك من هذا أمر سماوى تتفانى الامم وتجرى بحار الدم دون حصول مثله فلما سمع المعتمد كلام الرجل استصوبه وجعل يفكر فى انتهاز هذه الفرصة وكان للمعتمد ندماء قد انهمكوا معه فى اللذات فقال أحدهم لهذا الرجل الناصح ما كان المعتمد على الله وهو امام أهل المكرمات ممن يعامل بالحيف ويغدر بالضيف فقال له الرجل انما الغدر أخذ الحق من يد صاحبه لا دفع الرجل عن نفسه المحذور اذا ضاق به فقال ذلك النديم الضيم مع وفاء خير من حزم مع جفاء ثم ان ذلك الناصح استدرك الامر وتلافاه فشكر له المعتمد ووصله بصلة وانصرف واتصل هذا الخبر بيوسف بن تاشفين فاصبح غاديا فقدم له المعتمد الهدايا السنية والتحف الفاخرة فقبلها ثم رحل فعبر من الجزيرة الخضراء الى سبتة قلت وهو المكان المعروف بزقاق سبتة يعدى الناس فيه من أحد البرين الى الآخر اعنى بر الاندلس وبر العدوة وقد تقدم الكلام على هذا المكان قال ولما عبر يوسف الى بر العدوة أقام عسكره بجزيرة الاندلس ريثما استراح ثم تبع آثار الاذفونش فتوغل فى بلاده ولما رجع الاذفونش الى موضعه سأل عن أصحابه وشجعانه وابطال عسكره فوجد أكثرهم قد قتلوا ولم يسمع الا نواح الثكالى عليهم فلم يأكل ولم يشرب حتى مات هما وغما ولم يخلف الا بنتا جعل الامر اليها فتحصنت بمدينة طليطلة واما عسكر ابن تاشفين فانهم فى غاراتهم هذه كسبوا من الغنائم مالا يحد ولا يوصف وانفذوا ذلك الى بر العدوة واستأذن أميرهم سير ابن أبى بكر يوسف بن تاشفين فى المقام بجزيرة الاندلس واعلمه انه قد افتتح معاقل فى الثغور ورتب فيها مستحفظين ورجالا يغنون فيها وانه لا يستقيم لهذه الجيوش ان تقيم بالثغور فى ضنك من العيش تصابح العدو وتماسيه وتحظى ملوك الاندلس من الارزاق برغد العيش فكتب اليه ابن تاشفين يامره باخراج ملوك الاندلس من بلادهم والحاقهم بالعدوة فمن استعصى عليه منهم قاتله ولا ينفس عنه حتى يخرجه وليبدأ منهم بمجاورى الثغور ولا يتعرض للمعتمد بن عباد مالم يستول على البلاد ثم يولى تلك البلاد امراء عسكره واكابرهم فابتدأ سير بن أبى بكر بملوك بنى هود من ملوك الاندلس ليستنزلهم من معقلهم وهى روطة (قلت) هى بضم الراء وسكون الواو ثم طاء مهملة بعدها هاء قلعة منيعة من عاصمات الذرا ماؤها ينبع فى أعلاها وكان بها من الاقوات والذخائر المختلفات مالا تفنيه الازمان فلم يقدر عليها فرحل عنها ثم جند اجنادا على صور الفرنج وأمرهم ان يقصدوا هذه القلعة مغيرين عليها ويكمن هو واصحابه بالقرب منها ففعلوا ذلك فرآهم صاحب القلعة فاستضعفهم ونزل فى طلبهم فخرج سير بن ابى بكر فقبض عليه وتسلم القلعة ثم نازل بنى طاهر بشرق الاندلس فسلموا اليه ولحقوا بالعدوة ثم نازل بنى صمادح بالمرية وكانت قلعتهم حصينة الا انهم لم يكن عندهم اجناد ولا انجاد من الرجال فزحفوا عليهم فغلبوهم فلما علم المعتصم بن صمادح انه مغلوب دخل قصره فأدركه اسف قضى عليه فمات من ليلته فاشتغل أهله به فسلموا المدينة ثم نازلوا المتوكل عمر بن الافطس ببطليوس وكان رجلا شجاعا عظيم القدر كبير البيت كان أبوه المظفر بالله أبو بكر محمد بن عبد الله بن سلمة التجيبى من فحول

زاده عند السلطان وهو دارج فى ذلك الزمان الى رحمة الله ربه المستعان ثم قلد قضاء دمشق الشام فلم يمكث فيه سنة الا ونقل الى قضاء مصر بلد الاسلام فقبل ما أتم فيه ثلاث سنين عزل ثم قلد تدريس المدرسة المجاورة لجامع أياصوفية ثم قلد قضاء بروسة المحروسة ثم نقل الى قسطنطينية المحمية ثم الى قضاء العساكر المنصورة فى ولاية روم أيلى المعمورة فباشر أمره عادلا عن السقامة مظهر الكمال السداد والاستقامة فحظى عند السلطان بغاية القدرة والتمكين ودام عليه مدة تسع سنين وقد قصد السلطان المزبور لكثرة اعتماده عليه الى توجيه الوزارة العظمى اليه ولما انتقل السلطان الى جوار الرحمن عزل المولى المزبور فبقى على الوجه المذكور الى ان ذهب المولى أبو السعود الى دار الخلود فاقيم المرحوم مقامه وسلم الجد والشرف اليه ثانيا زمانه فدام عليه بقدرة وتمكين (الى ان انتقل الى رحمة الله تعالى بعد عدة سنين وذلك فى أوائل شعبان سنة خمس وثمانين وتسعمائة) وحضر جنازته الوزراء والامراء وعامة الاشراف والعلماء وصلى عليه بجامع السلطان محمد خان ودعى له بالرحمة والرضوان ودفن بجوار أبى أيوب الانصارى

العلماء وكان ملكا له تصانيف أعظمها واشهرها الكتاب المنسوب اليه وهو المظفرى فى التاريخ وكانت مدينته
بطليوس من أجل البلاد ولم يذعن ولا أقبل على غير المدافعة والقتال الى ان خامر عليه أصحابه فقبض عليه
باليد وعلى ولدين له فقتلوا صبرا وحمل أولاده الاصاغر الى مراكش وسائر ملوك الجزيرة سلموا وتحولوا الى بر
العدوة الاما كان من المعتمد بن عباد فان سير بن أبى بكر لما فرغ من ملوك الجزيرة كتب الى يوسف بن
تاشفين انه لم يبق بالجزيرة من ملوكها غير المعتمد بن عباد فارسم فى أمره بما تراه فامره بقصده وان يعرض
عليه التحول الى بر العدوة باهله وماله فان فعل فيها ونعمت وان أبى فنازله فلما عرض عليه سير بن أبى بكر ذلك
لم يعطه جوابا فنازله وحاصره أشهرا ثم دخل عليه البلد قهرا واستخرجه من قصره قسرا فحمل الى العدوة مقيدا
فانزل باغمات وأقام بها الى ان مات ولم يعتقل من ملوك الاندلس غيره وتسلم سير بن أبى بكر الجزيرة كلها
واستحوذ على بلادها وفات يوسف بن تاشفين فى التاريخ الآتى ذكره ان شاء الله تعالى وأفضى الملك الى ولده أبى الحسن
على بن يوسف وكان رجلا حليما وقورا صالحا عادلا منقادا الى الحق والعلماء يجبى اليه الاموال من البلاد
ولم يزعزعه عن سريره قط حادث ولا طاف به مكروه (قلت) وقد تقدم فى ترجمة أبى نصر الفتح بن محمد بن عبد الله
ابن خاقان القيسى صاحب قلائد العقيان انه جمع الكتاب المذكور باسم ابراهيم بن يوسف بن تاشفين وان
الذى أشار بقتل الفتح المذكور هو على بن يوسف بن تاشفين المذكور ثم ولى بعده ولده تاشفين بن على بن
يوسف وعلى يده انقرض ملكهم وسيأتى شرح ذلك مفصلا ان شاء الله تعالى وقد تقدم فى أوائل هذه الترجمة
ان يوسف بن تاشفين هو الذى اختط مدينة مراكش قال صاحب هذا الكتاب الذى نقلت منه هذه الترجمة
فى آخر الكتاب ان مراكش مدينة عظيمة بناها الامير يوسف بن تاشفين بموضع كان اسمه مراكش
(معناه امش مسرعا بلغة المصامدة) كان ذلك الموضع ماوى اللصوص وكان المارون فيه يقولون لرفقائهم
هذه الكلمة فعرف الموضع بها وقال غير مؤلف هذا الكتاب بنى ابن تاشفين مدينة مراكش فى سنة خمس
وستين وأربعمائة قاله أبو الخطاب بن دحية فى كتابه الذى سماه النبراس فى خلافة القائم بامر الله قال
وكانت مزرعة لاهل نفيس فاشتراها منهم بماله الذى خرج به من الصحراء ونفيس بفتح النون وتشديد الفاء
وسكون الياء المثناة من تحتها جبل مطل على مراكش (قلت) وهو بنواحى اغمات فى المغرب الاقصى وذلك
انه لما توطنت نفسه على الملك وأطاعته قبائل البربر وذهب من يخالفه من لمتونة سمت همته الى بناء هذه
المدينة وكان فى موضعها قرية صغيرة فى غابة من الشجر وبها قوم من البربر فاختطها يوسف وبنى
بها القصور والمساكن الانيقة وهى فى مرج فسيح وحولها جبال على فراسخ منها وبالقرب منها جبل لا يزال
عليه الثلج وهو الذى يعدل مزاجها وحرها وفى سنة أربع وستين وأربعمائة نزل يوسف على مدينة فاس
وكانت اذ ذاك من قواعد بلاد المغرب العظام وضيق على أهلها ثم أخذها فاقر العامة بها ونفى البربر
والجند بعد ان حبس بعضهم وقتل بعضهم فعند ذلك قوى شأنه وتمكن بالمغرب الاقصى والادنى سلطانه
مع ما صار بيده من بلاد جزيرة الاندلس كما شرحناه وكان حازما سائسا للامور ضابطا المصالح مملكته مؤثرا
لاهل العلم والدين كثير المشورة لهم وبلغنى ان الامام حجة الاسلام أبا حامد الغزالى تغمده الله تعالى برحمته
لما سمع ما هو عليه من الاوصاف الحميدة وميله الى أهل العلم عزم على التوجه اليه فوصل الى الاسكندرية
وشرع فى تجهيز ما يحتاج اليه فوصله خبر وفاته فرجع عن ذلك العزم وكنت وقفت على هذا الفصل فى بعض
الكتب وقد ذهب عنى فى هذا الوقت من اين وجدته وكان يوسف معتدل القامة اسمر اللون نحيف الجسم
خفيف العارضين دقيق الصوت وكان يخطب كبنى العباس وهو أول من تسمى بامير المسلمين ولم يزل على حاله
وعزه وسلطانه الى ان توفى يوم الاثنين لثلاث خلون من المحرم سنة خمسمائة وعاش تسعين سنة ملك منها مدة
خمسين سنة رحمه الله تعالى وذكر شيخنا عز الدين بن الاثير فى تاريخه الكبير ما مثاله سنة خمسمائة فيها توفى
أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ملك المغرب والاندلس وكان حسن السيرة خيرا عادلا يميل الى أهل العلم والدين
يكرمهم ويحكمهم فى بلاده ويصدر عن رأيهم وكان يحب العفو والصفح عن الذنوب العظام فمن ذلك ان ثلاثة

عليه رحمة ربه البارى
وكان المرحوم من أعيان
علماء الروم محظوظا بكثرة
المحفوظ معروفا بسعة الباع
وكثرة الاطلاع خصوصا فى
علم الفقه وبابه فانه من
أكبر أربابه وكان رحمه
الله عظيم النفس شديد
البأس مهيبا فى أعين
الناس بعيد المطلب صعب
المقصد والمذهب قلما
يجاريه فى ميدانه أحد
عليه رحمة العزيز الصمد
*(ومنهم المولى محمد بن عبد
اللطيف المشتهر ببخارى
زاده)*
كان أبوه المزبور قاعدا فى
مسند الارشاد بزاوية الشيخ
محمود البخارى داخل
قسطنطينية المحمية على
ما مر ذكره فى هذه الجريدة
قرأ رحمه الله على علماء
عصره وصار ملازما من
المولى عبد الرحمن المار
ذكره فيها ثم تزوج ابنته
ودرس بمدرسة عبد السلام
بالموضع المعروف بكوجك
چكمجه بأربعين ثم صار
قاضيا ببعض القصبات فلما
تولى صهره المزبور قضاء
العسكر ثانيا أتى به الى
قسطنطينية وجد واجتهد
ببذل عرضه وماله الى أن
جعله مدرسا بسلطانية
بروسه ثم نقل الى احدى
المدارس الثمان فعن
قريب ذاق مر كأس
الحمام وقرأ على الدنيا
السلام فجعل المرحوم
قاضيا بطرابلس الشام

نفر اجتمعوا فتمنى أحدهم ألف دينار يتجر بها وتمنى الآخر عملا يعمل فيه لامير المسلمين وتمنى الآخر زوجته
وكانت من أحسن النساء ولها الحكم فى بلاده فبلغه الخبر فاحضرهم وأعطى متمنى المال ألف دينار
واستعمل الآخر وقال للذى تمنى زوجته يا جاهل ما حملك على هذا الذى لا تصل اليه ثم أرسله الى زوجته
فتركته فى خيمة ثلاثة أيام تحمل اليه فى كل يوم طعاما واحدا ثم أحضرته وقالت له ما أكلت فى هذه الايام
قال طعاما واحدا فقالت له كل النساء شئ واحد وأمرت له بمال وكسوة وأطلقته وأما ولده على المذكور فانه
توفى لسبع خلون من رجب سنة سبع وثلاثين وخمسمائة ومولده فى حادى عشر رجب سنة ست وتسعين
وأربعمائة وقد سبق ذكر طرف من حديثه فى ترجمة محمد بن تومرت المهدى فيكشف منه * ولما خرج عبد
المؤمن بن على المقدم ذكره قاصدا جهة البلاد المغربية ليأخذها من على بن يوسف بن تاشفين المذكور
وكان مسيره على طريق الجبال فسير على بن يوسف ولده تاشفين ليكون فى قبالة عبد المؤمن ومعه جيش
فساروا فى السهل وأقاموا على هذا مدة فتوفى على بن يوسف فى أثنائها فى التاريخ المذكور فقدم أصحابه ولده
اسحق بن على وجعلوه نائب أخيه تاشفين على مراكش وكان صبيا وظهر أمر عبد المؤمن ودانت له الجبال
وفيها غمارة وتادلة والمصامدة وهم أمم لا تحصى فخاف تاشفين بن على واستشعر القهر وتيقن ان دولتهم
ستزول فاتى مدينة وهران وهى على البحر وقصد أن يجعلها مقره فان غلب على الامر ركب منها فى البحر وسار
الى بر الاندلس يقيم بها كما أقامت بنو امية بالاندلس عند انقراض دولتهم بالشام وبقية البلاد وفى ظاهر
وهران ربوة على البحر تسمى صلب الكلب وباعلاها رباط ياوى اليه المتعبدون وفى ليلة السابع والعشرين
من شهر رمضان سنة تسع وثلاثين وخمسمائة صعد تاشفين الى ذلك الرباط ليحضر الختم فى جماعة يسيرة من
خواصه وكان عبد المؤمن بجمعه فى تاجرة وهى وطنه كما ذكرته فى ترجمته واتفق انه أرسل منسرا الى
وهران فوصلوها فى اليوم السادس والعشرين من شهر رمضان ومقدمهم الشيخ أبو حفص عمر بن يحيى
صاحب المهدى فكمنوا عشية وأعلموا بانفراد تاشفين فى ذلك الرباط فقصدوه وأحاطوا به واحرقوا بابه فايقن
الذين فيه بالهلاك فخرج تاشفين راكبا فرسه وشد الركض عليه ليثب الفرس النار وينجو فترامى الفرس
نازلا لروعته ولم يملكه اللجام حتى تردى من حرف هنالك الى جهة البحر على حجارة فى وعر فتكسر الفرس
وهلك تاشفين فى الوقت وقتل الخواص الذين كانوا معه وكان عسكره فى ناحية أخرى لا علم لهم بما جرى فى
الليل وجاء الخبر بذلك الى عبد المؤمن فوصل الى وهران وسمى ذلك الموضع الذى فيه الرباط صلب الفتح
ومن ذلك الوقت نزل عبد المؤمن من الجبل الى السهل ثم توجه الى تلمسان وهى مدينتان قديمة ومحدثة
بينهما شوط فرس ثم توجه الى فاس فحاصرها وأخذها فى سنة أربع وخمسمائة ثم قصد مراكش فى سنة
احدى وأربعين فحاصرها أحد عشر شهرا وفيها اسحق بن على وجماعة من مشايخ دولتهم فقدموه بعد
موت أبيه على بن يوسف بن تاشفين نائبا عن أخيه تاشفين فأخذها وقد بلغ القحط من أهلها الجهد
وأخرج اليه اسحق بن على ومعه سير بن الحاج وكان من الشجعان وخواص دولتهم وكانا مكتوفين
واسحق دون البلوغ فعزم عبد المؤمن ان يعفو عن اسحق لصغر سنه فلم يوافقه خواصه وكان لا يخالفهم
فخلى بينهم وبينهما فقتلوهما ثم نزل عبد المؤمن فى القصر وذلك فى سنة اثنين وأربعين وخمسمائة
وانقرضت دولة بنى تاشفين (قلت) وقد ذكرت فى ترجمة المعتمد بن عباد ان يوسف بن تاشفين عاد الى الاندلس
فى العام الثانى من وقعة الزلاقة وذكرت ههنا ما يدل على انه ما عاد اليها وانما نوابه هم الذين أخذوا بلاد
الاندلس له فقد يعتقد الواقف على هذا الكتاب ان هذا متناقض والعذر فى هذا انى وجدته فى ترجمة ابن
عباد على تلك الصورة ووجدته فى هذه الترجمة على هذه الصورة والله أعلم بالصواب ثم رأيت فى كتاب
تذكير العاقل تأليف أبى الحجاج يوسف البياسى ان ابن تاشفين لما جاز البحر قصد اشبيلية فخرج ابن عباد الى
لقائه ومعه الضيافة والاقامة ثم خرج من اشبيلية بقضه وقضيضه قاصدا بطليوس وجرت الوقعة المذكورة ثم
عاد ابن تاشفين الى بلاده وان ابن عباد جاز البحر ومضى اليه فى سنة احدى وثمانين واستنجده على ما يجاوره من

وهو أول قاض بها من زمرة
الموالى (وتوفى قاضيا بها سنة
ست وثمانين وتسعمائة)
كان المرحوم مع قلة حظه
من العلوم حليم النفس
مطرح التكلف مأمون
الغائلة مبذول النعمة
مائلا الى صحبة الاخوان
وملاطفة الخلان عليه رحمة
ربه المنان
*(ومن أفاضل العصر
والاوان ونوادر الدهر
والزمان المولى يوسف
المشتهر بالمولى سنان)*
ولد رحمه الله بقصبة سونسه
وجد فى الطلاب وقلقل
الركاب وتحمل المصاعب
وركب المتاعب واجتمع
بأفاضل عصره واستفاد
حتى دخل فى سلك أرباب
الاستعداد وتحرك على
الوجه المعهود والسنن
المعتاد قرأ رحمه الله على
المولى محيى الدين الفناوى
ثم على المولى علاء الدين
الجمالى وصار ملازما من
المولى خير الدين معلم
السلطان سليمان ثم درس
بمدرسة صاروجه باشا
بقصبة كليبولى بخمسة
وعشرين ثم بالمدرسة
الحجرية بادرنه بثلاثين ثم
مدرسة داود باشا بقسطنطينية
بأربعين ثم مدرسة مصطفى
باشا بككبوزه بخمسين
ثم نقل الى دار الحديث
بادرنه ثم الى احدى المدارس
الثمان ثم الى مدرسة
السلطان بايزيدخان بادرنه
بستين ثم قلد قضاء حلب

بلادا العدو فأ كرمه يوسف بن تاشفين وأجابه الى انجاده ثم عاد ابن عباد الى بلاده واستعد للعدو ولحقه ابن تاشفين فى رجب من سنة احدى وثمانين ثم خرج الاذفونش فى جيش كثيف وكان ملوك الاندلس قد اجتمعوا عند ابن تاشفين فلما رأى مافعله من الاستعداد بالجمع الكثير رحل عن مكانه وأوهمه خواصه أن ملوك الاندلس يفرون عنه ويخلون بينه وبين الاذفونش فاصغى الى كلامهم وعمل فى نفسه قولهم فاخذ فى الحركة الى البرية وتحرك الجميع بحركته وجاز البحر عائدا الى بلاده وقد وغر صدره على ملوك الاندلس وتبين لهم تغيره عليهم نخافوه فشرعوا فى تحصين بلادهم وتحصيل الاقوات وارسل بعضهم الى الاذفونش ليكون عونا له خوفا من ابن تاشفين فأجابه الاذفونش بالاعانة والمساعدة وكان قد سيرله هدايا وألطافا كثيرة فقبلها منه وحلف له على جميع ما التمسه منه واتصل ذلك بابن تاشفين فاستشاط غيظا ثم ان ابن تاشفين جاز البحر مرة ثالثة وقصد قرطبة وهى لابن عباد فوصلها فى جمادى الاولى سنة ثلاث وثمانين وقد سبقه اليها ابن عباد نخرج اليه بالضيافة وجرى معه على عادته ثم ان ابن تاشفين أخذ غرناطة من صاحبها عبد الله بن بلكين بن باديس بن حيوس وحبسه فطمع ابن عباد فى غرناطة وان ابن تاشفين يعطيه اياها فعرض له بذلك فاعرض عنه ابن تاشفين فخاف ابن عباد منه وعمل على الخروج عنه فقال له انه جاءته كتب من اشبيلية وهم خائفون من العدو المجاور لهم واستأذنه فى العود اليها فأذن له فعاد ثم رجع ابن تاشفين الى بلاده وجاز البحر فى شهر رمضان سنة ثلاث وثمانين وأقام ببلاده الى ان دخلت سنة أربع وثمانين ثم عزم على العبور الى الاندلس لمنازلة ابن عباد وبلغ ذلك ابن عباد فاخذ فى التأهب والاستعداد ووصل ابن تاشفين الى سبتة وجمع العساكر الكثيرة وقدم عليهم سير بن أبى بكر فجازوا البحر وضايقوا ابن عباد فاستصرخ بالاذفونش فلم يلتفت اليه وكان ماذكرته والله أعلم * وفى هذه الترجمة ذكر الملثمين فيحتاج الى الكلام عليه والذى وجدته أن أصل هؤلاء القوم من حمير بن سبا وهم أصحاب خيل وابل وشاء يسكنون الصحارى الجنوبية وينتقلون من ماء الى ماء كالعرب وبيوتهم من الشعر والوبر وأول من جمعهم وحرضهم على القتال واطمعهم فى تملك البلاد عبد الله ابن تاشفين الفقيه وقتل فى حرب جرت مع برغواطة وقام مقامه أبو بكر بن عمر الصنهاجى الصحراوى المقدم ذكره ومات فى حرب السودان وقد ذكرنا حديث يوسف بن تاشفين وسبب تقدمه وهو الذى سمى أصحابه المرابطين وهم يتلثمون ولا يكشفون وجوههم فلذلك سموهم الملثمين وذلك سنة لهم يتوارثونها خلفا عن سلف وسبب ذلك على ماقيل ان حمير كانت تتلثم لشدة الحر والبرد تفعله الخواص منهم فكثر ذلك حتى صار تفعله عامتهم وقيل كان سببه أن قوما من أعدائهم كانوا يقصدون غفلتهم اذا غابوا عن بيوتهم فيطرقون الحى فيأخذون المال والحريم فأشار عليهم بعض مشايخهم أن يبعثوا النساء فى زى الرجال الى ناحية ويقعدوا هم فى البيوت ملثمين فى زى النساء فاذا أتاهم العدو وظنوهم النساء فيخرجون عليهم ففعلوا ذلك وثاروا عليهم بالسيوف فقتلوهم فلزموا اللثام تبركا به بما حصل لهم من الظفر بالعدو وقال شيخنا الحافظ عز الدين بن الاثير فى تاريخه الكبير مامثاله وقيل ان سبب تلثمهم ان طائفة من لمتونة خرجوا مغيرين على عدو لهم نخالفهم العدو الى بيوتهم ولم يكن بها الا المشايخ والصبيان والنساء فلما تحقق المشايخ انه العدو أمر والنساء ان تلبس ثياب الرجال ويتلثمن ويضيقنه حتى لا يعرفن ويلبسن السلاح ففعلن ذلك وقد تقدم المشايخ والصبيان أمامهن واستدار النساء بالبيوت فلما أشرف العدو رأى جمعا عظيما فظنه رجالا وقالوا هؤلاء عند حريمهم يقاتلون عنهن قتال الموت والرأى ان نسوق النعم ونمضى فان اتبعونا قاتلناهم خارجا عن حريمهم فبينما هم فى جمع النعم من المراعى اذ أقبل الرجال الى الحى فبقى العدو بينهم وبين النساء فقتلوا من العدو خلقا كثيرا وكان من قتل النساء أكثر فمن ذلك الوقت جعلوا اللثام سنة يلازمونه فلا يعرف الشيخ من الشاب ولا يزيلونه ليلا ولا نهارا (ومما قيل فى اللثام)

قوم لهم درك العلا من حمير * وان انتموا صنهاجة فهم هموا
لما حووا احراز كل فضيلة * غلب الحياء عليهم فتلثموا

وفى أثنائه أرسل الى بغداد لتفتيش حادثة ظهرت هنالك ثم عزل وقبل الوصول الى قسطنطينية بشر بقضاء دمشق ثم نقل الى قضاء أدرنه ثم الى قضاء قسطنطينية وقبل الوصول اليها بشر بقضاء العساكر المنصورة فى ولاية اناطولى المعموره وجلس للدرس العام وحضر عنده الفئام من الاجلة الكرام فكم من مشكل انقلب بصالح ذكره عنده سهلا ومعضل عاد بصائب فكره مضمحلا ودام فى هذا المقام مدة خمسة أعوام ثم تحرك عليه بعض أرباب الغرض من الذين فى قلوبهم مرض فابتلى بالعزل والهوان والتفتيش فى جامع السلطان محمد خان مع شريكه المولى مصلح الدين الشهير ببستان ولما ظهر براءة ذمته وحسن حاله شرف بتعيين وظيفة أمثاله ثم قلد التدريس بدار الحديث التى بناها السلطان سليمان بقرب الجامع المعروف لدى القاصى والدانى وزيد على مرسومه ثلاثون ثم زيد أربعون فدام فيها على الدرس والافادة فى الايام المعتادة فى الحديث والتفسير بلطف التقرير وحسن التحرير الى ان استولى عليه سلطان الهرم بطلائع الضعف والالم فاستغنى عن المدرسة المزبورة فبقى مدة بالوظيفة المذكورة (وقد انتقل

وكان يوسف بن تاشفين مقدم جيش أبى بكر بن عمر الصنهاجى وخرج من سجلماسة فى سنة أربع وخمسين وأربعمائة وكان أبو بكر بن عمر قد أتى سجلماسة فى سنة ثلاث وخمسين وحاصرها وقاتل أهلها أشد قتال وأخذها ثم وثب عليها يوسف بن تاشفين فكان ما كان والله أعلم

(أبو يعقوب يوسف بن أبى محمد عبد المؤمن بن على القيسى الكومى صاحب المغرب)

وقد تقدم ذكر أبيه عبد المؤمن فى حرف العين وذكر ولده يعقوب قبل هذا ولما توفى والده فى التاريخ المذكور فى ترجمته وخلع محمد بن عبد المؤمن استقل ولده يوسف بالملك وكان ولى العهد قبله أخوه محمد بن عبد المؤمن ونقش على الدنانير اسمه وكان ذلك باستخلاف أبيه وتحليفه الجند له فظهر منه اشتغال بالراحة واهمال فى البطالة نخلعه يوسف وكان له أخ آخر اسمه أبو حفص عمر ولاه جزيرة الاندلس وكان يوسف المذكور فقيها حافظا متفننا لان أباه هذبه وقرن به وباخوته أكمل رجال الحرب والمعارف فنشأ فى ظهور الخيل بين ابطال الفرسان وفى قراءة العلم بين أفاضل العلماء وكان ميله الى الحكمة والفلسفة أكثر من ميله الى الادب وبقية العلوم وكان جماعا مناعا ضابطا لخراج مملكته عارفا بسياسة رعيته وكان ربما يحضر حتى لا يكاد يغيب ويغيب حتى لا يكاد يحضر وله فى غيبته نواب وخلفاء وحكام قد فوض الامور اليهم لما علم من صلاحهم لذلك والدنانير اليوسفية المغربية منسوبة اليه فلما تمهدت له الامور واستقرت قواعد مملكته رحل الى جزيرة الاندلس لكشف مصالح دولته وتفقد أحوالها وكان ذلك فى سنة ست وستين وخمسمائة وفى صحبته مائة ألف فارس من المغرب والموحدين فنزل باشبيلية نخافه الامير أبو عبد الله محمد بن سعد المعروف بابن مردنيش صاحب شرق الاندلس مرسية وما انضاف اليها وحمل على قلبه فمرض مرضا شديدا ومات وقيل ان أمه سقته السم لانه كان قد أساء العشرة مع أهله وخواصه وكبراء دولته فنصحته وأغلظت عليه فى القول فتهددها وخافت بطشه فعملت عليه فقتلته بالسم وكان موته فى التاسع والعشرين من رجب سنة سبع وستين وخمسمائة باشبيلية ومولده فى سنة ثمانى عشرة وخمسمائة فى قلعة من أعمال طرطوشة يقال لها بنشكلة وهى من الحصون المنيعة ولما مات محمد بن سعد جاء أولاده وقيل اخوته الى الامير يوسف بن عبد المؤمن وهو باشبيلية فسلموا اليه جميع بلاد شرق الاندلس التى كانت لابيهم وقيل لاخيهم فاحسن اليهم الامير يوسف وتزوج أختهم وأصبحوا عنده فى أعز مكان ثم ان الامير يوسف شرع فى استرجاع بلاد المسلمين من أيدى الفرنج وكانوا قد استولوا عليها فاتسعت مملكته بالاندلس وصارت سراياه تصل مغيرة الى باب طليطلة وهى كرسى بلادهم واعظم قواعدهم ثم انه حاصرها فاجتمع الفرنج كافة عليه واشتد الغلاء فى عسكره فرجع عنها وعاد الى مراكش وفى سنة خمس وسبعين قصد بلاد افريقية وفتح مدينة قفصة ثم دخل جزيرة الاندلس فى سنة ثمانين وخمسمائة ومعه جمع كثيف وقصد غربى بلادها فحاصر مدينة شنترين شهرا فاصابه مرض فمات منه فى شهر ربيع الاول سنة ثمانين وخمسمائة وحمل فى تابوت الى اشبيلية رحمه الله تعالى وكان قد استخلف ولده أبا يوسف يعقوب بن يوسف المتقدم ذكره ذكر شيخنا ابن الاثير فى تاريخه ان يوسف مات من غير وصية بالملك لاحد من أولاده فاتفق رأى قواد الموحدين وأولاد عبد المؤمن على تمليك ولده يعقوب فملكوه فى الوقت الذى مات فيه أبوه لئلا يكونوا بغير ملك يجمع كلمتهم لقربهم من بلاد العدو وكان خلع أخيه أبى عبد الله محمد ابن عبد المؤمن فى شعبان سنة ثمان وخمسين واستبد يوسف حينئذ بالامر واجتمع أكابر أصحابه على خلعه وتولية الامير يوسف وقد روى له شعر لكنه ليس بالجيد فلم أذكر منه شيأ وأما محمد بن سعد بن مردنيش المذكور فيروى له

وحقها انها جفون * تسل من لحظها المنون * لاصبر عنها ولا عليها
الموت من دونها يهون * لاركبن الهوى اليها * يكون فى ذاك ما يكون

قلت ثم وجدت هذه الابيات فى كتاب الملح لابن القطاع وقد نسبها الى أبى جعفر أحمد بن صمادح البنى والله أعلم وقال البياسى فى حماسته هو أبو جعفر أحمد بن الحسين بن خلف بن البنى اليعمرى الابدى والله أعلم الا انه لم يذكر هذه الابيات ثم أورد البياسى لابى جعفر المذكور

رحمه الله فى شهر صفر من شهور سنة ست وثمانين (وتسعمائة وقد أناف عمره على تسعين سنة كان المرحوم من أجلة أفاضل الروم شهد بفضيلته التامة الخاصة والعامه واعترفوا برسوخ قدمه فى الفنون وثبات قدمه فى علم المفروض والمسنون طالما شيد مادرس من بنيان الدروس وزين بنجبات أقلامه وجوه عرائس الطروس وسار مسير البدر فى سماء التحقيق وتعلق بطائر همته حتى علا ذروة التدقيق وكان رحمه الله شيخا جميل الصورة حسن السير مبارك النفس كريم الاخلاق متواضعا طيب الاعراق مشهورا بالخصال الحميدة معروفا بالخلال الاكيدة متدرعا بالديانة متعمما بالصلاح والصيانة وقد كتب رحمه الله حواشى على تفسير البيضاوى أظهر فيها اليد البيضاء والحجة الزهراء وكتب شرحا لكتاب الكراهية وكتاب الوصايا من الهداية بما فيه لارباب الدراية من الكفاية وقد اتفق لى أيام اشتغالى بدرس المطول أنى قد اجتمعت فى عالم الرؤيا برفقة من فرقة العلماء فانجر كلامنا الى ذكر المولى حسن جلبى محشى الكتاب المزبور فقال واحد منهم من أحب ان يرى مثله وينظر عدله

صدّنى عن حلاوة التشييع * اجتنابى مرارة التوديع
لم يقم انس ذا بوحشة هـذا * فرأيت الصواب ترك الجميع

وله فى صفة قنديل

وقنديل كأن الضوء فيـه * محاسن من أحب وقد تجلى
أشار الى الدجى بلسان أفعى * فشمر ذيـله فـرقا وولى

ولما مات أبو يعقوب يوسف المذكور رثاه الاديب أبو بكر يحيى بن مجبر الشاعر المقدم ذكره فى ترجمة يعقوب ابن يوسف هذا بقصيدة طويلة أجاد فيها وأولها

جل الاسى فاسل دم الاجفان * ماذى الشؤن لغير هذا الشان

ومردنيش بفتح الميم وسكون الراء وفتح الدال المهـملة وكسر النون وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها شين معجمة وهو بلغة الفرنج اسم العذرة وبنشكلة بضم الباء الموحدة والنون وسكون الشين المعجمة وضم الكاف وفتح اللام وبعدها هاء والباقى معروف لاحاجة الى ضـبطه والبنى فى نسب الشاعر المذكور بكسر الباء الموحدة وتشديد النون والابدى بضم الهمزة وتشديد الباء الموحدة وبعدها دال مهملة هذه النسبة الى بلدة بالاندلس من كورة جيان بناها عبد الرحمن بن الحكم وجددها ابنه محمد (قلت) ولما فرغت من ترجمة يوسف بن عبد المؤمن صاحب هذه الترجمة وجدت مجموعا بخط العماد بن جبريل أخى المعلم المصرى ناظر بيت المال بالديار المصرية وقد تقدم ذكره فى ترجمة أبى اسحق العراقى الفقيه المذكور فى أوائل هـذا الكتاب فيه فوائد من أخبار المغاربة وغيرهم فنقلت منه ما يضاف الى هذه الترجمة وهو ان عبد المؤمن كان فى حياته قد عهـد الى أكبر أولاده وهو محمد وبايعه الناس وكتب ببيعته الى البلاد فلما مات عبد المؤمن لم يتم له الامر لانه كان على أمور لا يصلح معها للمملكة من ادمان شرب الخمر واختلال الرأى وكثرة الطيش وجبن النفس ويقال انه مع هـذا كله كان به ضرب من الجذام واضطرب أمره واختلف الناس عليـه فخلع وكانت مدة ولايته خمسـة وأربعين يوما وذلك فى شعبان من سـنة ثمان وخمسين وخمسمائة وكان الذى سعى فى خلعه أخويه يوسف وعمر ابنى عبد المؤمن ولما تم خلعه دار الامر بين الاخوين المذكورين وهما من نجباء أولاد عبد المؤمن ومن ذوى الرأى فتأخر عنهما أبو حفص عمر وسلم الامر الى أخيـه يوسف فبايعه الناس واتفقت عليه الكلمة وكان أبيض تعلوه حمرة شديد سواد الشعر مستدير الوجه أفوه أعين الى الطول ما هو فى صوته جهارة رقيق حواشى اللسان حـلو الالفاظ حسن الحديث طيب المجالسـة أعرف الناس كيف تكلمت العرب واحفظهم لايامها فى الجاهلية والاسـلام صرف عنايته الى ذلك ولقى فضلاء اشبيلية أيام ولايته ويقال انه كان يحفظ صحيح البخارى وكان شديد الملوكية بعيد الهمة سخيا جوادا استغنى الناس فى أيامه وكان يحفظ القرآن الكريم مع جمـلة من الفقه ثم طمح الى عـلم الحكمة وبدأ من ذلك بعـلم الطب وجمع من كتب الحكمة شيأ كثيرا وكان ممن صحبه من العلماء بهذا الشان أبو بكر محمد بن الطفيل كان متحققا بجميع اجزاء الحكمة قرأ على جماعة من اهلها منهـم أبو بكر بن الصائغ المعروف بابن باجة وغيره ولابن الطفيل هـذا تصانيف كثيرة وكان حريصا على الجمع بين علم الشريعة والحكمة وكان مفننا ولم يزل يجمع اليه العلماء من كل فن من جميع الاقطار ومن جملتهم أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الاندلسى ولما استوثق ليوسف الامر وملك بلاد مردنيش من الاندلس خرج من اشبيلية قاصدا بلاد الاذفونش من الاندلس أيضا فنزل على مدينة له تسمى وبذة فاقام محاصرا لها شهورا الى ان اشتد عليهـم الحصار وعطشوا فراسلوه فى تسليم المدينة وان يعطيهم الامان على نفوسهم فامتنع من ذلك فلما اشتد بهم العطش سمع لهـم فى بعض الليالى لغط عظيم واصوات هائلة وذلك انهم اجتمعوا باسرهم ودعوا الله تعالى فجاءهم مطر عظيم ملأ ما كان عندهم من الصهاريج فارتووا وتقوّوا على المسلمين فانصرف عنهم الى اشبيلية بعد ان هادنهم مدة سبع سنين وكان يرتفع اليه فى كل سنة من خراج اشبيلية وقرمائة وخمسين بغلا خارجا عما يرتفع اليه من خراج بقية البلاد فى بر العدوة وفى بر الاندلس وفى سـنة تسع وسبعين تجهز للغزو فى جيش عظيم وعبر الى جزيرة الاندلس ونزل اشبيليـة

فلينظر الى المولى سنان من علماء الزمان فانه يوازيه فى الفضيلة ويحق لان يعد عديله

(ومنهـم العالم الامجـد المولى أحمد بن محمد المشتهر بنشانجى زاده)

كان أبوه موقعا فى الديوان العالى فى دولة السـلطان سليمان مشـتهرا بابن رمضان وهـو الذى كتب مختصر الطيفا فى أسـلوب ظريف يشتمل على حوادث الايام وتواريخ الانام من بدء الدنيا الى أواخر الدولة المزبورة وقد ولد المرحوم بمدينة قسطنطينية سنة ٣ فلما نشأ ودب وحصل طرفا من العلم والادب قرأ على الشيخ المبرز فى ميدان الافادة المولى المعروف بشيخ زاده شارح تفسير البيضاوى وعلى العالم الامجد المولى المشتهر بعبد الكريم زاده وعـلى صاحب التحقيق والتمييز المـولى عبـد الله المعـروف ببرو يزوصار ملازما من المولى سنان المار ذكره الآن ثم درس أولا بمدرسة الحاجى حسن بثلاثين ثم مدرسة ابراهيم باشا بأربعين كلتاهما بقسطنطينيـة ثم مدرسة قاسم باشا بخمسين ثم نقل الى المدرسة المعروفة بخانقاه ثم الى المدرسـة الخاصكية ثم اتفق أن مات

٣ كذا بياض بالاصـل بعد سنة

كعادتهم فى اصلاح شأنهم ثم رحل الى شنترين وهى بليدة فى غرب الاندلس وهى فى غاية المنعة والحصانة فحاصرها وضيق عليها فلم يقدر عليها وهجم الشتاء وخاف المسلمون من البرد وزيادة مد النهر فلا يقدرون على العبور وتنقطع عنهم المادة فاشاروا عليه بالرجوع الى اشبيلية فاذا طاب الزمان عادوا اليها فقبل ذلك منهم وقال نحن راحلون غدا ان شاء الله تعالى ولم ينتشر هـذا الحديث لانه قال فى مجلس الخاصة فكان أول من قوض ورحل أبو الحسن على بن عبد الله بن عبد الرحمن الخطيب المالقى وكان من أهل العلم والفضل فلما رآه الناس قد قوض خباءه قوّضوا أيضا ثقـة به لمكانه من الدولة ومعرفتـه باسرارها فعبرتلك الليلة أكثر العسكر على النهر خشية الزحام وطلبا لجيد المنازل ولم يبق الا من كان بقرب خباء الامير يوسف بن عبـد المؤمن ولا عـلم له بذلك فلما رأى الروم عبور العساكر وبلغهم من جواسيسـهم ما عزم عليه الامير يوسف واصحابه خرجوا منتهزين الفرصة وحملوا حتى انتهوا الى جهة الامير يوسف فقتل على بابه خلق كثير من اعيان الجند وخلصوا الى الامير يوسف فطعنوه تحت سرته طعنة كانت سبب منيته وتداركهـم الناس فانهزم الروم وجعل الامير يوسف فى محفة وعبر به النهر ولم يسر به سوى ليلتين ومات فى الثالثة فلما وصلوا به الى اشبيلية صبروه وصيروه فى تابوت وحملوه الى تينمل ودفن هناك عند أبيه عبد المؤمن والمهدى محمد بن تومرت وكانت وفاته يوم السبت لسبع خلون من رجب سنة ثمانين وخمسمائة وكان قبل موته باشهر ينشد هـذا البيت ويردده فى أوقات كثيرة

طوى الجديدان ما قد كنت انشره * وأنكرتنى ذوات الاعين النجل

وقام بعده بالامر ولده أبو يوسف يعقوب بويع فى حياة أبيه وقيل ان أشـياخ الدولة اتفقوا على تقديمه بعد وفاة أبيه والله أعلم وكان الاديب أبو العباس أحمد بن عبد السلام الكورانى وكوران قبيلة من البربر منازلهم بضواحى مدينة فاس وقيل ان هـذه القبيلة انما يقال لها جراوة بفتح الجيم وقد تبـدل الجيم كافا فيقال لها كراوة والنسبة اليها جراوى وكراوى وكان هذا الاديب نهاية فى حفظ الاشعار القديمة والمحدثة وتقدم فى هـذا الشان وجالس به عبد المؤمن ثم ولده يوسف ثم ولده يعقوب وجمع كتابا يحتوى على فنون الشعـر على وضع الحماسة لابى تمام الطائى وسماه صفوة الادب وديوان العرب وهو كثير الوجود بايدى الناس وهو عند أهـل المغرب كالحماسة عنـد أهل المشرق والمقصود من ذكر هـذا الاديب انه كانت له نوادر نادرة وملح مستظرفة عند أهل الادب *فمن ذلك انه حضر يوما الى باب دار الامير يوسف المذكور وهناك الطبيب سعيد الغمارى وغمارة بضم الغين المعجمة قبيلة من البربر أيضا فقال الامير يوسف لبعض خدمه انظر من بالباب من الاصحاب فخرج الخادم الى الباب ثم عاد اليه فقال أحمد الكورانى وسعيد الغمارى فقال الامير يوسف من عجائب الدنيا شاعر من كوران وطبيب من غمارة فبلغ ذلك الكورانى فقال وضرب لنا مثلا ونسى خلقه أعجب منهما والله خليفة من كومية فيقال ان الامير يوسف لما بلغه ذلك قال اعاقبه بالحلم عنه والعفو ففيه تكذيبه

*ومن شعره من جملة قصيدة مدح بها الامير يوسف المذكور وهو بديع غريب

ان الامام هو الطبيب وقد شـفى * علل البرايا ظاهرا ودخيلا
حمل البسيطة وهى تحمل شخصه * كالروح توجد حاملا محمولا

ومن شعره أيضا فى ذم أهل فاس وهى مدينة بالمغرب فيما بين سبتة ومراكش

مشى اللؤم فى الدنيا طريدا مشردا * يجوب بلاد الله شرقا ومغربا
فلما أتى فاسا تلقاه أهلها * وقالوا له أهلا وسهلا ومرحبا

وله كل شعر مليح وكان شيخا مسنا جاوز ثمانين سـنة وتوفى فى آخر أيام الامير يعقوب ابن الامير يوسف وقد ذكرت وفاة الامير يعقوب فى ترجمتـه فليكشف منها وله مديح فى الامير عبد المؤمن بن على وأولاده الى آخر زمنه رحمه الله تعالى وأما شـنترين بفتح الشين المعجمة وسكون النون وفتح التاء المثناة من فوقها وكسر الراء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون فهى مدينة فى غرب الاندلس وذكر ابن حوقل فى كتاب المسالك والممالك ان شنترين على البحر المحيط وبها يقع العنبر ولا يعلم ببلاد الروم والمحيط عنبر يقع فى غـير هذا الموضع

عدة نفر من أولاده فعرض له ما عرض من النفرة عن نصار يف الدنيا فترك التدريس واختار الانزواء وبعد برهة من الزمان رجع عما عليـه وصار مدرسا باحدى المدارس الثمان ثم قلد قضاء مكة شرفها الله ثم عـزل ثم قلد قضاء مصر القاهرة ثم عزل ثم قلد قضاء المدينـة المنورة وقبل أن يتوجه اليها رفع بيد بعض حواشيه مكتوبا الى السلطان فتغير عليـه خاطر السلطان العظيم الشان فعزله وأمر له بالخـروج عن البلدة فخرج متوجها الى الحج فلما حج وعاد مات بقرب دمشق فاتى به اليها (ودفـن فيها سـنة ست وثمانين وتسعمائة) كان رحمه الله من جملة من تبحر من عيون الفنون وتمهر فى عـلم المفروض والمسنون وشارك الفحول فى عـلم الفروع والاصول طويل الباع فى العلوم العربيـة كثير الاطلاع فى الحديث والتفسير والفنون الادبية مع جراءة الجنان وطلاقة اللسان والمحاورات مع الاقران وكان رحمـه الله مائلا الى الصلاح ومتصلا بارباب الزهد والفلاح مكبا على الاشـتغال مجانبا عن القيل والقال بدأ باعراب القرآن المبـين مقتفيا لاثر السفاقسى والسمـين وصل به الى سورة الاعراف وشرح الحرز المنسوب الى

وشئ وقع بالشام و يقع بشنترين فى وقت من السنة دابة تحك الحجارة فى وسط البحر فيقع بها وبره فى لين الخز ولون الذهب فيجمع منه ما يغزل و ينسج ثيابا و يتلون الثوب ألوانا وتحجر عليه ملوك بنى أمية بالاندلس فلا ينقل ولا يشترى فيزيد الثوب على ألف دينار لعزته وحسنه والله أعلم (قلت) وحكى لى بعض الفضلاء من أهل الاندلس انه رأى قطعة من هذه الثياب هناك وأراد ان يصفها لى فما قدران يعبر عنها ثم قال لكنها أرفع وانعم من نسج العنكبوت فتعالى الله ما اجل قدرته وألطف حكمته وأحسن صبغته وكيف خص كل صقع بنوع من الغرائب سبحانه وتعالى ولله در أبى نواس حيث قال

وفى كل شئ له آية * تدل على انه واحد

(أبو المظفر يوسف بن أيوب بن شادى الملقب الملك الناصر صلاح الدين صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية والعراقية واليمنية)

قد تقدم فى هذا الكتاب ذكر أبيه أيوب وجماعة من أولاده وعمه أسد الدين شيركوه وأخيه الملك العادل أبى بكر محمد وجماعة من أولاده وغيرهم من أهل بيته وصلاح الدين كان واسطة العقد وشهرته أكثر من أن يحتاج الى التنبيه عليه اتفق أهل التاريخ على ان أباه وأهله من دوين بضم الدال المهملة وكسر الواو وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون وهى بلدة فى آخر عمل اذربيجان من جهة أران وبلاد الكرج وانهم اكراد روادية بفتح الراء والواو وبعد الالف دال مهملة مكسورة ثم ياء مثناة من تحتها مشددة وبعدها هاء والروادية بطن من الهذانية بفتح الهاء والذال المعجمة وبعد الالف نون مكسورة ثم ياء مشددة مثناة من تحتها وبعدها هاء وهى قبيلة كبيرة من الاكراد وقال لى رجل فقيه عارف بما يقول وهو من أهل دوين ان على باب دوين قرية يقال لها أجدانقان بفتح الهمزة وسكون الجيم وفتح الدال المهملة وبعد الالف نون مفتوحة وقاف وبعد الالف الثانية نون اخرى وجميع أهلها اكراد روادية ومولد أيوب والد صلاح الدين بها وشادى أخذ ولديه منها أسد الدين شيركوه ونجم الدين أيوب وخرج بهما الى بغداد ومن هناك نزلوا تكريت ومات شادى بها وعلى قبره قبة داخل البلد ولقد تتبعت نسبهم كثيرا فلم أجد أحدا ذكر بعد شادى أبا آخر حتى انى وقفت على كتب كثيرة باوقاف واملاك باسم شيركوه وأيوب فلم أر فيها سوى شيركوه بن شادى وأيوب ابن شادى لا غير وقال لى بعض كبراء بيتهم هو شادى بن مروان وقد ذكرت ذلك فى ترجمة أيوب وشيركوه ورأيت مدرجا رتبه الحسن بن غريب بن عمران الحرسى يتضمن ان أيوب بن شادى بن مروان بن أبى على بن عنترة بن الحسن بن على بن أحمد بن على بن عبد العزيز بن هدبة بن الحصين بن الحرث بن سنان بن عمرو بن مرة بن عوف بن اسامة بن نهش بن حارثة صاحب الحمالة ابن عوف بن أبى حارثة بن مرة بن نشبة بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن الياس بن مضر ابن نزار بن معد بن عدنان ثم رفع بعد هذا فى النسب حتى انتهى الى آدم عليه السلام ثم ذكر بعد ذلك ان على بن أحمد بن على بن عبد العزيز يقال انه ممدوح المتنبى و يعرف بالخراسانى وفيه يقول من جملة قصيدته

شرف الجوّ بالغبار اذا سا * رعلى بن أحمد القمقام

واما حارثة بن عوف بن أبى حارثة صاحب الحمالة فهو الذى حمل الدماء بين عبس وذبيان وشاركه فى الحمالة خارجة بن سنان أخو هرم بن سنان وفيهما قال زهير بن أبى سلمى المزنى قصائد منها قوله

على مكثريهم حق من يعتريهم * وعند المقلين السماحة والبذل

وهل ينبت الخطى الا وشيجه * وتغرس الا فى منابتها النخل

هذا آخر ماذكره فى المدرج وكان قد قدمه الى الملك المعظم شرف الدين عيسى ابن الملك العادل صاحب دمشق وسمعه عليه هو وولده الملك الناصر صلاح الدين أبو المفاخر داود ابن الملك المعظم وكتب لهما بسماعهما عليه فى آخر رجب سنة تسع عشرة وستمائة والله أعلم انتهى ما نقلته من المدرج ورأيت فى تاريخ حلب الذى جمعه القاضى كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد المعروف بابن العديم الحلبى بعد ان ذكر الاختلاف

فى

الامام الغالب على بن أبى طالب كرم الله وجهه الذى أوله اللهم يا من ولع لسان الصبح وعلق حواشى على مواضع من تفسير البيضاوى والهداية وشرح المواقف والمفتاح وله رسائل بقيت أكثرها فى المسودة وكان له يد فى الشعر والانشاء والتحرير والاملاء (وله هذا الكلام) فى التحنن الى الشام (شعر)

نسيم الصبح ان سافرت شاما
فبلغ أرضها منى السلاما
يحن القلب مذ فارقت عنها
وكان الطيب قد وصل المشاما
لعل الله يلطف لى بفضل
و يسر دورة ذاك المقاما

(ومن الطرائف ما قال فى مدح الطائف)

ولطائف تحوى لطائف جمة
من غرف ماء مع لطيف هواء
أرض تساوى روضة بمحاسن
ماء يحاكى كوثرا بصفاء
ونسيمها بلطافة يحيى النسيم
وفواكه متجاوز الاحصاء

(وله شعر)

بفضل الله انى لا أبالى
وان كان العدو رمى بجهله
وليس يضرنا الحساد شيأ
فسوء المكر ملتحق باهله

(ومنهم المولى محمد المعروف بمشيره زاده) كان أبوه من قضاة القصبات وأمه أخت المولى محمد الشهير بقطب الدين زاده أحد الصدور فى الدولة السليمانية وهو السبب لشهرته بالنسبة المزبورة

فى نسبهم فقال وقد كان المعز اسمعيل بن سيف الاسلام ابن أيوب ملك اليمن ادعى نسبا فى بنى أمية وادعى الخلافة وسمعت شيخنا القاضى بهاء الدين عرف بابن شداد يحكى عن السلطان صلاح الدين انه أنكر ذلك وقال ليس لهذا أصل أصلا (قلت) ذكر شيخنا الحافظ عز الدين أبو الحسن على بن محمد المعروف بابن الاثير الجزرى صاحب التاريخ الكبير فى تاريخه الصغير الذى صنفه للدولة الاتابكية ملوك الموصل فى فصل يتعلق باسد الدين شيركوه ومسيره الى الديار المصرية فقال كان أسد الدين شيركوه ونجم الدين أيوب وهو الاكبر ابنا شادى من بلد دوين وأصلهما من الاكراد الروادية قدما العراق وخدما مجاهد الدين بهروز بن عبد الله الغياثى شحنة العراق (قلت) وهذا مجاهد الدين كان خادما روميا أبيض اللون تولى شحنة بالعراق من جهة السلطان مسعود بن غياث الدين محمد ابن ملكشاه السلجوقى المقدم ذكره وذكر والده وجماعة من أهل بيته وكان صاحب همة فى عمل المصالح الجليلة وعمارة البلاد واسع الصدر والصبر فى البذل والانفاقات والمطاولة والمراجعة اذا امتنع عليه الغرض وكانت تكريت اقطاعا له وكان خادم السلطان محمد والد مسعود المذكور و بنى فى بغداد رباطا وقف عليه وقفا جيدا ومات يوم الاربعاء الثالث والعشرين من رجب سنة أربعين وخمسمائة (و بهروز بكسر الباء الموحدة وسكون الهاء وضم الراء وسكون الواو و بعدها زاى وهو لفظ عجمى معناه يوم جيد على التقديم والتأخير على عادة كلام العجم) قال شيخنا ابن الاثير فرأى مجاهد الدين فى نجم الدين أيوب عقلا ورأيا حسنا وحسن سيرة فجعله دزدار تكريت اذهى له (قلت) دزدار بضم الدال المهملة وسكون الزاى وفتح الدال المهملة و بعد الالف راء وهو لفظ عجمى (معناه حافظ القلعة) وهو الوالى ودز بالعجمى القلعة ودار الحافظ فسار اليها ومعه أخوه أسد الدين شيركوه فلما انهزم اتابك الشهيد عماد الدين زنكى بالعراق من قراجا (قلت) وهى قلعة مشهورة وخلاصتها ان مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقى المقدم ذكره وعماد الدين زنكى صاحب الموصل قصدا حصار بغداد فى أيام الامام المسترشد فأرسل الى قراجا الساقى واسمه برس صاحب بلاد فارس وخوزستان يستنجده فأتاه وكبس عسكرهما وانهزم ما بين يديه وانكسروا وذكر فى تاريخ الدولة السلجوقية انها كانت فى شهر ربيع الآخر يوم الخميس ثانى عشر الشهر المذكور من سنة ست وعشرين وخمسمائة على تكريت وقال أسامة بن منقذ المقدم ذكره فى كتابه الذى ذكر فيه البلاد وملوكها الذين كانوا فى زمانه انه حضر هذه الوقعة مع زنكى فى التاريخ المذكور وذكر ذلك فى موضعين أحدهما فى ترجمة اربل والثانى فى ترجمة تكريت (رجعنا الى ما كنا فيه) فوصل زنكى الى تكريت فخدمه نجم الدين أيوب وأقام له السفن فعبر دجلة هناك وتبعه أصحابه فأحسن نجم الدين اليهم وسيرهم و بلغ ذلك بهروز فسير اليه وأنكر عليه وقال له كيف ظفرت بعدونا فأحسنت اليه وأطلقته ثم ان أسد الدين شيركوه قتل انسانا بتكريت لكلام جرى بينهما فأرسل مجاهد الدين اليهما فأخرجهما من تكريت فقصدا عماد الدين زنكى (قلت) وكان اذ ذاك صاحب الموصل قال فأحسن عماد الدين اليهما وعرف لهما خدمتهما وأقطع لهما اقطاعا حسنا وصارا من جملة جنده فلما فتح عماد الدين زنكى بعلبك جعل نجم الدين دزدارها فلما قتل زنكى (قلت) وقد سبق ذكر ذلك فى ترجمته قال فحصره عسكر دمشق (قلت) وكان صاحب دمشق يومئذ مجير الدين ارتق بن محمد بن بورى ابن الاتابك ظهير الدين طغتكين وهو الذى حاصره نور الدين محمود بن زنكى فى دمشق وأخذها منه قال شيخنا ابن الاثير فأرسل نجم الدين أيوب الى سيف الدين غازى بن زنكى صاحب الموصل وقد قام بالملك بعد والده ينهى اليه الحال ويطلب منه عسكرا ليرحل صاحب دمشق عنه وكان سيف الدين فى ذلك الوقت فى أول ملكه وهو مشغول باصلاح ملوك الاطراف المجاورين له فلم يتفرغ له وضاق الامر على من فى بعلبك من الحصار فلما رأى نجم الدين أيوب الحال وخاف أن تؤخذ قهرا أرسل فى تسليم القلعة وطلب اقطاعا ذكره فأجيب الى ذلك وحلف له صاحب دمشق عليه وسلم له القلعة ووفى له صاحب دمشق بما حلف عليه من الاقطاع والتقدم وصار عنده من أكبر الامراء واتصل أخوه أسد الدين شيركوه بالخدمة النورية بعد قتل أبيه زنكى (قلت) هو نور الدين محمود بن

قرأ رحمه الله على علماء عصره وتحرك على الوجه المعتاد واشتغل مدة على المولى مصلح الدين المشتهر ببستان ثم صار ملازما مع خاله المسفور ودرس أولا بقسطنطينية فى المدرسة الخاتونية بعشرين ثم مدرسة الامير بخمسة وعشرين ثم مدرسة بنت السلطان بايزيد خان المعروف بخنجرلى بثلاثين ثم مدرسة يلدرم خان عليه الرحمة والغفران بأربعين الكل فى مدينة بروسه ثم مدرسة على باشا الجديدة ثم نقل الى احدى المدرستين المتجاورتين بادرنه ثم نقل الى احدى المدارس الثمان ثم نقل الى مدرسة السلطان سليم خان العتيقة ثم الى مدرسة السلطان سليم خان الجديدة (توفى مدرسا بها فى أول الربيع الآخر سنة تسع وثمانين وتسعمائة) كان المرحوم مشاركا فى العلوم حديد الذهن قوى

زنكى صاحب حلب وكان يخدمه فى أيام والده فقربه نور الدين وأقطعه وكان يرى منه فى الحروب آثارا يعجز عنها غيره لشجاعته وجراءته فصارت له حمص والرحبة وغيرهما وجعله مقدم عسكره (قلت) ثم خرج شيخنا ابن الاثير بعد هذا الى حديث سفر أسد الدين الى الديار المصرية وما تجدد لهم هنالك وليس هذا موضع هذا الفصل بل نتم حديث صلاح الدين صاحب هذه الترجمة من مبدا أمره حتى نصير الى آخره ان شاء الله تعالى ويندرج فيه حديث المملكة وما صار حالهم اليه وان كان قد سبق فى ترجمة أسد الدين شيركوه طرف من أخبارهم لكن ما استوفيته هنالك اعتمادا على استيفائه ههنا ان شاء الله تعالى (قلت) اتفق أرباب التواريخ أن صلاح الدين مولده سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة بقلعة تكريت لما كان أبوه وعمه بها والظاهر انهم ما أقاموا بها بعد ولادة صلاح الدين الا مدة يسيرة لانه قد سبق القول أن نجم الدين وأسد الدين لما خرجا من تكريت كما شرحناه وصلا الى عماد الدين زنكى فاكرمهما وأقبل عليهما ثم ان عماد الدين زنكى قصد حصار دمشق فلم تحصل له فرجع الى بعلبك فحاصرها أشهرا وملكها فى رابع عشر صفر سنة أربع وثلاثين وخمسمائة كما ذكر أسامة بن منقذ المقدم ذكره فى كتابه الذى ذكر فيه البلاد وملوكها وذكر أبو يعلى حمزة بن أسد المعروف بابن القلانسى الدمشقى فى تاريخه الذى جعله ذيلا على تاريخ أبى الحسين هلال ابن الصابى أن عماد الدين حاصر بعلبك يوم الخميس العشرين من ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ثم ذكر فى مستهل سنة أربع وثلاثين ومائة ورود الخبر بفراغ عماد الدين من ترتيب بعلبك وقلعتها وترميم ما تشعث منها والله أعلم واذا كان كذلك فيكونون قد خرجوا من تكريت فى بقية سنة اثنتين وثلاثين التى ولد فيها صلاح الدين أو فى سنة ثلاث وثلاثين لانهما أقاما عند عماد الدين بالموصل ثم لما حاصر دمشق وبعدها بعلبك وأخذها رتب فيها نجم الدين أيوب وذلك فى أوائل سنة أربع وثلاثين كما شرحته فيتعين أن يكون خروجهم من تكريت فى المدة المذكورة تقريبا والله أعلم (قلت) ثم أخبرنى بعض أهل بيتهم وقد سألته هل تعرف متى خرجوا من تكريت فقال سمعت جماعة من أهلنا يقولون انهم خرجوا منها فى الليلة التى ولد فيها صلاح الدين فتشاءموا به وتطيروا منه فقال بعضهم لعل فيه الخيرة وما تعلمون فكان كما قال والله أعلم ولم يزل صلاح الدين تحت كنف أبيه حتى ترعرع ولما ملك نور الدين محمود بن عماد الدين زنكى دمشق فى التاريخ المذكور فى ترجمته لازم نجم الدين أيوب خدمته وكذلك ولده صلاح الدين وكانت مخايل السعادة عليه لائحة والنجابة تقدمه من حالة الى حالة ونور الدين يرى له ويؤثره ومنه تعلم صلاح الدين طرائق الخير وفعل المعروف والاجتهاد فى أمور الجهاد حتى تجهز للمسير مع عمه شيركوه الى الديار المصرية كما سنشرحه ان شاء الله تعالى ووجدت فى بعض تواريخ المصريين ان شاور المقدم ذكره هرب من الديار المصرية من الملك المنصور أبى الاشبال ضرغام بن عامر بن سوار الملقب فارس المسلمين اللخمى المنذرى لما استولى على الديار المصرية وقهره وأخذ مكانه فى الوزارة لعادتهم فى ذلك وقتل ولده الاكبر طى بن شاور فتوجه شاور الى الشام مستغيثا بالملك العادل نور الدين أبى القاسم محمود بن زنكى وذلك فى شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ودخل دمشق فى الثالث والعشرين من ذى القعدة من السنة فوجه معه نور الدين الامير أسد الدين شيركوه ابن شادى فى جماعة من عسكره كان صلاح الدين فى جملتهم فى خدمة عمه وهو كاره للسفر معهم وكان لنور الدين فى ارسال هذا الجيش غرضان أحدهما قضاء حق شاور لكونه قصده ودخل عليه مستصرخا والثانى انه أراد استعلام أحوال مصر فانه كان يبلغه انها ضعيفة فى جهة الجند وأحوالها فى غاية الاختلال فقصد الكشف عن حقيقة ذلك وكان كثير الاعتماد على شيركوه لشجاعته ومعرفته وأمانته فانتدبه لذلك وجعل أسد الدين شيركوه ابن أخيه صلاح الدين مقدم عسكره وشاور معهم فخرجوا من دمشق فى جمادى الاولى سنة تسع وخمسين فدخلوا مصر واستولوا على الامر فى رجب من السنة وقال شيخنا القاضى بهاء الدين أبو المحاسن يوسف المعروف بابن شداد المقدم ذكره فى كتابه الذى وسمه بسيرة صلاح الدين انهم دخلوا مصر فى ثانى جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وخمسمائة والقول الاول أصح لان الحافظ أبا طاهر السلفى ذكر

المناظرة واسع التقرير كثير التلطف عاريا عن التكلف فى الطعام واللباس ومعاملة الناس محبا للصلحاء مترددا الى مجالسهم اللطيفة ومستمدا من أنفاسهم الشريفة غير أنه كثير الاقتحام فى مصالح الفئام باذلا عرضه الخطير فى الامر الحقير عامله الله بلطفه الكثير (ومن المخاديم الاعيان وخاص أبناء العصر والاوان محمد بن المولى سنان) ولد رحمه الله وآثار النجابة فى مطالع شمائله ظاهرة وأنوار المجد والشرف فى طوالع مخايله باهرة ونشأ فى روضة المعارف مقتطفا من أزهارها ودوحة العلوم واللطائف مجتنيا من ثمارها حتى استأهل الحضور فى مجالس الفحول والصدور فقرأ مدة على أبيه وحصل عنده ما يعنيه ثم عكف على

فى معجم السفر ان الضرغام بن سوار قتل فى سنة تسع وخمسين وخمسمائة وزاد غيره فقال يوم الجمعة الثامن والعشرين من جمادى الآخرة من السنة عند مشهد السيدة نفيسة رضى الله عنها فيما بين القاهرة ومصر واحتز رأسه وطيف به على رمح وبقيت جثته هنالك ثلاثة أيام تأكل منها الكلاب ثم دفن عند بركة الفيل وعمرت عليه قبة (قلت) والقبة باقية الى الآن فى موضعها تحت الكبش المستجد بناؤه ورأيت فيها جماعة من الفقراء الجوالقية مقيمين بها وقد قيل ان الضرغام قتل فى رجب سنة تسع وخمسين وقد اتفقوا ان الضرغام انما قتل عند وصول أسد الدين شيركوه وشاور الى مصر فما يمكن أن يكون دخولهم فى سنة ثمان وخمسين لان الضرغام لا خلاف فى قتله سنة تسع وخمسين وانه كان فى أول وصولهم والحافظ السلفى أخبر بذلك لانه كان مقيما بالبلاد أول وصولهم وهو أضبط لهذه الامور من غيره لان هذا فنه وهو من أقعد الناس به ولما وصل أسد الدين شيركوه وشاور الى الديار المصرية واستولوا عليها وقتلوا الضرغام وحصل لشاور مقصوده وعاد الى منصبه وتمهدت قواعده واستمرت أموره غدر بأسد الدين شيركوه واستنجد بالفرنج عليه وحصروه فى بلبيس وكان أسد الدين قد شاهد البلاد وعرف أحوالها وانها مملكة بغير رجال تمشى الامور فيها بمجرد الايهام والمحال فطمع فيها وعاد الى الشام فى الرابع والعشرين من ذى الحجة سنة تسع وخمسين وقال شيخنا ابن شداد فى السابع والعشرين من ذى الحجة سنة ثمان وخمسين بناء على ما قرره أولا ان دخولهم البلاد كان فى سنة ثمان وخمسين وأقام أسد الدين بالشام مدة مفكرا فى تدبير عوده الى مصر محدثا نفسه بالملك لها مقررا قواعد ذلك مع نور الدين الى سنة اثنتين وستين وخمسمائة وبلغ شاور حديثه وطمعه فى البلاد فخاف عليها وعلم أن أسد الدين لا بد له من قصدها فكاتب الفرنج وقرر معهم أنهم يجيئون الى البلاد ويمكنهم منها تمكينا كليا ليعينوه على استئصال أعدائه وبلغ نور الدين وأسد الدين مكاتبة شاور للفرنج وما تقرر بينهم فخافا على الديار المصرية أن يملكوها ويملكوا بطريقها جميع البلاد فتجهز أسد الدين وأنفذ نور الدين معه العساكر وصلاح الدين فى خدمة عمه أسد الدين شيركوه وكان توجههم من الشام فى شهر ربيع الاول سنة اثنتين وستين وخمسمائة وكان وصول أسد الدين الى البلاد مقارنا لوصول الفرنج اليها واتفق شاور والمصريون باسرهم والفرنج على أسد الدين وجرت حروب كثيرة ووقعات شديدة وانفصل الفرنج عن البلاد وانفصل أسد الدين راجعا الى الشام وكان سبب عود الفرنج أن نور الدين جرد العساكر الى بلادهم وأخذ المنيطرة منهم فى رجب من هذه السنة وعلم الفرنج ذلك فخافوا على بلادهم فعادوا اليها وكان سبب عود أسد الدين الى الشام ضعف عسكره بسبب مواقعة الفرنج والمصريين وما عاينوه من الشدائد وعاينوه من الاهوال وما عاد حتى صالح الفرنج على أن ينصرفوا كلهم عن مصر وعاد الى الشام فى بقية السنة وقد انضاف الى قوة الطمع فى الديار المصرية شدة الخوف عليها من الفرنج لعلمه بانهم قد كشفوها كما قد كشفها وعرفوها كما عرفها فاقام بالشام على مضض وقلبه قلق والقضاء يقوده الى شئ قدر لغيره وهو لا يشعر بذلك وكان عوده فى ذى القعدة من السنة المذكورة الى الشام وقيل انه عاد فى ثامن عشر شوال من السنة والله أعلم ورأيت فى بعض المسودات التى بخطى ولا أعلم من أين نقلته أن أسد الدين لما طمع فى الديار المصرية توجه اليها فى سنة اثنتين وستين وسلك طريق وادى الغزلان وخرج عند اطفيح فكانت فيها وقعة البابين عند الاشمونين وتوجه صلاح الدين الى الاسكندرية فاحتمى بها وحاصره شاور فى جمادى الآخرة من السنة ثم عاد أسد الدين من جهة الصعيد الى بلبيس وتم الصلح بينه وبين المصريين وسيروا له صلاح الدين فساروا الى الشام ثم ان أسد الدين عاد الى مصر مرة ثالثة قال شيخنا ابن شداد وكان سبب ذلك ان الفرنج جمعوا فارسهم وراجلهم وخرجوا يريدون الديار المصرية ناكثين لجميع ما استقر مع المصريين وأسد الدين طمعا فى البلاد فلما بلغ ذلك أسد الدين ونور الدين لم يسعهما الصبر دون ان سارعا الى قصد البلاد وأما نور الدين فبالمال والرجال ولم يمكنه المسير بنفسه خوفا على البلاد من الفرنج ولانه كان قد حدث له نظر الى جانب الموصل بسبب وفاة على بن بكتكين (قلت) هو زين الدين والد السلطان مظفر الدين كوكبورى صاحب اربل وقد تقدم ذكره فى

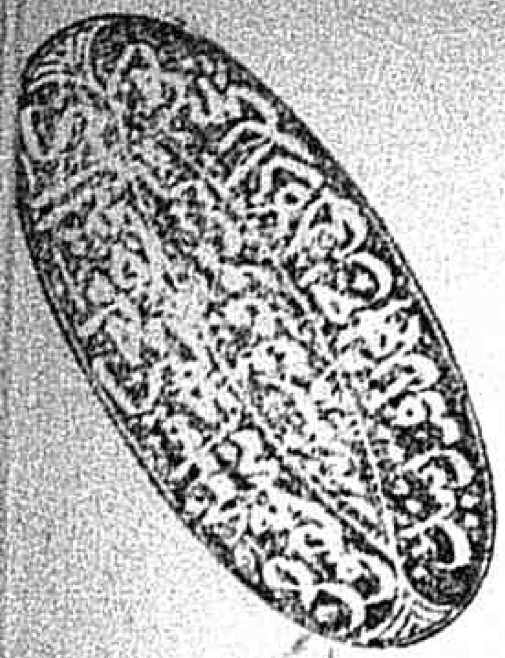
التحصيل والاستفادة من المولى أحمد المعروف بقارى زاده وبعد برهة من الزمان صار ملازما من المولى مصلح الدين الشهير ببستان ثم درس بمدرسة داود باشا باربعين ثم صار وظيفته فيها خمسين ثم نقل الى المدرسة المعروفة بخانقاه ثم الى المدرسة الخاصكية ثم الى احدى المدارس الثمان ثم الى مدرسة السلطان محمد بن السلطان سليمان خان ثم الى احدى المدارس السليمانية (ومات فيها فى آخر الربيعين سنة سبع وثمانين وتسعمائة) كان رحمه الله مخدوما عظيم الشان باهر البرهان من حدة ذهنه وصفاء فطنته وفرط ذكائه ونقاء قريحته وقوة بحثه وحسن تقريره وتحرير المعضل وتصويره مع الاتساع وطول الباع فى العلوم المتداولة كتب

ترجمة ولده كوكبورى قال فانه توفى فى ذى الحجة سنة ثلاث وستين وخمسمائة وسلم ما كان فى يده من الحصون لقطب الدين اتابك ماعدى اربل فانها كانت له من اتابك زنكى وأما أسد الدين فسار بنفسه وماله واخوته وأهله ورجاله ولقد قال لى السلطان صلاح الدين قدس الله روحه كنت أكره الناس للخروج فى هذه الوقعة وماخرجت مع عمى باختيارى وهذا معنى قوله تعالى وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم وكان شاور لما أحس بخروج الفرنج الى مصر على تلك القاعدة سير الى أسد الدين شيركوه يستصرخه ويستنجده فخرج مسرعا وكان وصوله الى مصر فى شهر ربيع الاول سنة أربع وستين وخمسمائة ولما علم الفرنج بوصول أسد الدين الى مصر على اتفاق بينه وبين أهلها رحلوا راجعين على أعقابهم ناكصين وأقام أسد الدين بها يتردد اليه شاور فى الاحيان وكان وعدهم بمال فى مقابلة ماخسروه من النفقة فلم يوصل اليهم شيأ وعلقت مخالب أسد الدين فى البلاد وعلم أنه متى وجد الفرنج فرصة أخذوا البلاد وأن شاور يلعب به تارة وبالفرنج أخرى وملاكها فقد كانوا على البدعة المشهورة وتحقق أسد الدين أنه لا سبيل لاستيلائه على البلاد مع بقاء شاور فاجمع رأيه على القبض عليه اذا خرج اليه وكان الامراء الواصلون مع أسد الدين يترددون الى خدمة شاور وهو يخرج فى بعض الاحيان الى أسد الدين يجتمع به وكان يركب على عادة وزرائهم بالطبل والبوق والعلم فلم يتجاسر على قبضه أحد من الجماعة الا السلطان بنفسه وذلك انه لما سار اليه تلقاه راكبا وسار الى جنبه وأخذ بتلابيبه وأمر العسكر بان يقصدوا أصحابه ففروا ونهبهم العسكر فانزل شاور الى خيمة مفردة وفى الحال ورد توقيع على يد خادم خاص من جهة المصريين يقول لابد من رأسه جريا على عادتهم فى وزرائهم فحز رأسه وأرسل اليهم وسير الى أسد الدين خلع الوزارة فلبسها وسار ودخل القصر وترتب وزيرا وذلك فى سابع عشر ربيع الاول سنة أربع وستين وخمسمائة ودام آمرا وناهيا والسلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى يباشر الامور مقررا لها لمكان كفايته ودرايته وحسن رأيه وسياسته الى الثانى والعشرين من جمادى الآخرة من السنة المذكورة فمات أسد الدين (قلت) وقد تقدم حديث أسد الدين وصورة موته فلا حاجة الى شرحها ههنا وكذلك وفاة شاور وهذا كله نقلته من كلام شيخنا ابن شداد فى سيرة صلاح الدين لكننى أتيت منه بالمقصود وحذفت الباقى ورأيت بخطى فى جملة مسوداتى ان أسد الدين دخل القاهرة يوم الاربعاء سابع شهر ربيع الآخر من سنة أربع وستين وخمسمائة وخرج اليه العاضد عبد الله العبيدى آخر ملوك مصر المقدم ذكره وتلقاه وحضر يوم الجمعة التاسع من الشهر الى الايوان وجلس الى جانب العاضد وخلع عليه وأظهر له شاور ودا كثيرا فطلب أسد الدين منه مالا ينفقه فى عسكره فدافعه فأرسل اليه ان الجند تغيرت قلوبهم عليه بسبب عدم النفقة فاذا خرجت فكن على حذر منهم فلم يكترث شاور بكلامه وعزم على أن يعمل دعوة يستدعى اليها أسد الدين والعساكر الشامية ويقبض عليهم فاحس أسد الدين بذلك فاتفق صلاح الدين وعز الدين جورديك النورى وغيرهما على قتل شاور وأعلموا أسد الدين فنهاهم عنه وخرج شاور الى أسد الدين وكانت خيامهم على شاطئ النيل بالمقس فلم يجده فى خيمته وكان قد راح الى زيارة قبر الامام الشافعى رضى الله عنه بالقرافة فقال شاور نمضى اليه فالتقوه فساروا جميعا فاكتنفه صلاح الدين وجورديك فأنزلاه عن فرسه وكتفوه فهرب أصحابه فأخذوه أسيرا ولم يمكنهم قتله بغير اذن وجعلوه فى خيمة وترسموا عليه جماعة فأرسل العاضد يأمرهم بقتله فقتلوه وسيروا رأسه على رمح الى العاضد وذلك يوم السبت لسبع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة وقيل ان أسد الدين لم يحضر ذلك بل لما قصد شاور جهة أسد الدين لقيه صلاح الدين وجورديك ومعهما بعض العسكر فسلم بعضهم على بعض وساروا ثم فعلا به هذه الفعلة والله أعلم ثم ان العاضد استدعى أسد الدين عقيب قتل شاور وكان فى المخيم فدخل القاهرة فرأى جمعا كثيرا من العامة فخافهم فقال لهم ان مولانا العاضد أمركم بنهب دار شاور فتفرقوا ومضوا لنهبها ودخل على العاضد فتلقاه وأفاض عليه خلع الوزارة ولقبه الملك المنصور أمير الجيوش ثم انه مات يوم الاحد لسبع بقين من جمادى الآخرة من السنة المذكورة بعلة الخوانيق وقيل انه سم فى حلل

رحمه الله حواشى على الشرح الشريفى للمفتاح وعلى بعض المواضع من الهداية وله لطائف أخر وبالجملة كان رحمه الله من بدائع الزمان ونوادر العصر والاوان ولو عاش مدة لكان له شان عليه الرحمة والغفران

(ومنهم المولى أحمد المشتهر بالكامى)

ولد رحمه الله تعالى ببلدة أدرنه وقرأ على علماء عصره وحصل طرفا من العلوم والمعارف وتحرك بحسب العادة حتى وصل الى مجلس المولى المعظم أبى السعود ثم صار ملازما من المولى القادرى ثم درس بمدرسة محمود باشا بالقرية القريبة من أدرنه المعروفة بخاص كوى بعشرين ثم مدرسة الخواجه حسن بادرنه بخمسة وعشرين ثم مدرسة سنان الكينكجى بثلاثين ثم مدرسة يلدرم خان



الوزارة لما خلع عليه وكانت وفاته بالقاهرة ودفن بدار الوزارة ثم نقل الى المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام فكانت مدة وزارته شهرين وخمسة أيام وقيل ان أسد الدين دخل على العاضد يوم الاثنين التاسع عشر من شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة والله أعلم (قلت) قد تقدم فى ترجمة كل واحد من شاور وأسد الدين ذكر شئ من هذه الامور التى ذكرتها ههنا وانما أعدت الكلام فيها لانى استوفيتها ههنا أكثر من هناك وأيضا فان المقصود فى هذا كله ذكر سيرة صلاح الدين وتنقلاته وما جرى له من أول أمره الى آخره فاحببت ذكر ذلك على سياقة واحدة كى لا ينقطع الكلام فيبقى أبترا فأقول ذكر المؤرخون ان أسد الدين لما مات استقرت الامور بعده للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بمصر وتمهدت القواعد ومشى الحال على أحسن الاوضاع وبذل الاموال وملك قلوب الرجال وهانت عنده الدنيا فملكها وشكر نعمة الله تعالى عليه فتاب عن الخمر وأعرض عن أسباب اللهو وتقمص بقميص الجد والاجتهاد وما زال على قدم الخير وفعل ما يقربه الى الله تعالى الى أن مات قال شيخنا ابن شداد سمعته يقول رحمه الله تعالى لما يسر الله تعالى لى الديار المصرية علمت انه أراد فتح الساحل لانه وقع ذلك فى نفسى ومن حين استتب له الامر ما زال يشن الغارات على الفرنج الى الكرك والشوبك وغيرهما من البلاد وغشى الناس من سحائب الافضال والانعام مالم يؤرخ من غير تلك الايام وهذا كله وهو وزير متابع القوم لكنه يقول بمذهب أهل السنة غارس فى البلاد أهل الفقه والعلم والتصوف والدين والناس يهرعون اليه من كل صوب ويفدون عليه من كل جانب وهو لا يخيب قاصدا ولا يعدم وافدا الى سنة خمس وستين وخمسمائة ولما عرف نور الدين استقرار السلطان صلاح الدين بمصر أخذ حمص من نواب أسد الدين شيركوه وذلك فى رجب سنة أربع وستين ولما علم الفرنج ما جرى من المسلمين وعساكرهم وما تم للسلطان من استقامة الامر بالديار المصرية علموا أنه يملك بلادهم ويخرب ديارهم ويقلع آثارهم لما حدث له من القوة والملك واجتمع الفرنج والروم جميعا وقصدوا الديار المصرية فقصدوا دمياط ومعهم آلات الحصار وما يحتاجون اليه من العدد ولما سمع فرنج الشام ذلك اشتد أمرهم فسرقوا حصن عكا من المسلمين وأسروا صاحبها وكان مملوكا لنور الدين يقال له خطلخ العلمدار وذلك فى شهر ربيع الآخر من سنة خمس وستين ولما رأى نور الدين ظهور الفرنج ونزولهم على دمياط قصد شغل قلوبهم فنزل على الكرك محاصرا لها فى شعبان من السنة المذكورة فقصده فرنج الساحل فرحل عنها وقصد لقاءهم فلم يقفوا له ثم بلغه وفاة مجد الدين بن الداية وكانت وفاته بحلب فى شهر رمضان سنة خمس وستين فاشتغل قلبه لانه كان صاحب أمره وعاد يطلب الشام فبلغه أمر الزلازل بحلب التى أخربت كثيرا من البلاد وكانت فى ثانى عشر شوال منها فسار يطلب حلب فبلغه خبر موت أخيه قطب الدين بالموصل (قلت) وقد ذكرت ذلك فى ترجمته واسمه مودود قال وبلغه الخبر وهو بتل باشر فسار من ليلته طالبا بلاد الموصل ولما بلغ صلاح الدين قصد الفرنج دمياط استعد لهم بتجهيز الرجال وجمع الآلات اليها ووعدهم بالامداد بالرجال ان نزلوا عليهم وبالغ فى العطايا والهبات وكان وزيرا متحكما لا يرد أمره فى شئ ثم نزل الفرنج عليها واشتد زحفهم وقتالهم عليها وهو رحمه الله تعالى يشن الغارات عليهم من خارج والعسكر يقاتلهم من داخل ونصر الله تعالى المسلمين به وبحسن تدبيره فرحلوا عنها خائبين فأحرقت مناجيقهم ونهبت آلاتهم وقتل من رجالهم خلق كثير واستقرت قواعد صلاح الدين وسير يطلب والده نجم الدين أيوب ليتم له السرور وتكون قصته مشاكلة لقصة يوسف الصديق عليه السلام فوصل والده اليه فى جمادى الآخرة من سنة خمس وستين (قلت) هكذا ذكر ابن شداد فى تاريخ وصوله الى مصر والصواب فيه هو الذى ذكرته فى ترجمته وسلك معه من الادب ما جرت به عادته وألبسه الامر كله فأبى أن يلبسه وقال ياولدى ما اختارك الله لهذا الامر الا وأنت كفؤ له ولا ينبغى أن تغير موضع السعادة فحكمه فى الخزائن كلها ولم يزل وزيرا حتى مات العاضد فى التاريخ المقدم ذكره (قلت) أكثر ما ذكرته فى هذا الفصل منقول من كلام شيخنا ابن شداد فى سيرة صلاح الدين وفيه زوائد من غيرها والذى ذكره شيخنا الحافظ عز الدين بن الاثير

بمحروسة بروسه بأربعين ثم مدرسة مصطفى باشا بقسطنطينية بخمسين ثم نقل الى مدرسة السلطان محمد خان بجوار مرقد أبى أيوب الانصارى قدس الله سره ثم الى احدى المدارس الثمان ثم الى احدى مدارس السلطان سليمان ثم قلد قضاء أدرنه كل ذلك بتربية بعض الحواشى السلطانية وتقريبه الى السلطان المزبور بالمعارف الجزئية كالشعر والانشاء ولما انتقل السلطان الى جوار الرحمن رمى المرحوم بسهام العزل والهوان ولما فتحت جزيرة قبرس فى دولة السلطان سليم خان قلد بطلبه قضاء الجزيرة المرقومة وسلم اليه زمام الحكومة فى جميع قلاعها وبلادها وتلالها ووهادها فمن كمال التفرق والتشتت لم يمكن له نظم أمورها فى سلك الاعتدال.

المذكور قبل هذا فى تاريخه الاتابكى ان كيفية ولاية صلاح الدين ان جماعة من الامراء النورية الذين كانوا بمصر طلبوا التقدم على العساكر وولاية الوزارة يعنى بعد موت أسد الدين منهم الامير عين الدولة الياروقى وقطب الدين خسرو بن بليل وهو ابن أخى أبى الهيجاء الهذبانى الذى كان صاحب اربل قلت وهو صاحب المدرسة القطبية التى بالقاهرة ومنهم سيف الدين على بن أحمد الهكارى جده كان صاحب القلاع الهكارية (قلت) هو المعروف بالمشطوب والد عماد الدين أحمد بن المشطوب وتقدم ذكره فى ترجمة مستقلة قال ومنهم شهاب الدين محمود الحارمى وهو خال صلاح الدين وكل واحد من هؤلاء يخطبها لنفسه وقد جمعها ليغالب عليها فأرسل العاضد صاحب مصر الى صلاح الدين وأمره بالحضور فى قصره ليخلع عليه خلع الوزارة وتوليه الامر بعد عمه وكان الذى حمل العاضد على ذلك ضعف صلاح الدين فانه ظن انه اذا ولى صلاح الدين وليس له عسكر ولا رجال كان فى ولايته مستضعفا يحكم عليه ولا يجسر على المخالفة وانه يضع على العسكر الشامى من يستميلهم اليه فاذا صار معه البعض أخرج الباقين وتعود البلاد اليه وعنده من العساكر الشامية من يحميها من الفرنج ونور الدين والقصة مشهورة أردت عمرا وأراد الله خارجة (قلت) هذا المثل مشهور بين العلماء وسيأتى الكلام عليه بعد الفراغ من هذه الترجمة ان شاء الله تعالى (عدنا الى تمام الكلام الاول) فامتنع صلاح الدين وضعفت نفسه عن هذا المقام فلزمه وأخذه كارها ان الله تعالى يعجب من قوم يقادون الى الجنة بالسلاسل فلما حضر فى القصر خلع عليه خلع الوزارة الجبة والعمامة وغيرهما ولقب الملك الناصر وعاد الى دار أسد الدين فأقام بها ولم يلتفت اليه أحد من أولئك الامراء الذين يريدون الامر لانفسهم ولا يخدموه وكان الفقيه ضياء الدين عيسى الهكارى معه (قلت) وقد سبق ذكره فى ترجمة مفردة وقال ابن الاثير فسعى مع سيف الدين على بن أحمد حتى أماله اليه وقال له ان الامر لا يصل اليك مع وجود عين الدولة والحارمى وابن تليل فمال الى صلاح الدين ثم قصد شهاب الدين الحارمى وقال له ان هذا صلاح الدين هو ابن أختك وملكه لك وقد استقام الامر له فلا تكن أول من يسعى فى اخراجه عنه ولم يصل اليك فلم يزل به حتى أحضره أيضا عنده وحلفه ثم عدل الى قطب الدين وقال له ان صلاح الدين قد أطاعه الناس ولم يبق غيرك وغير الياروقى وعلى كل حال فيجمع بينك وبين صلاح الدين أن أصله من الاكراد فلا تخرج الامر عنه الى الاتراك ووعده وزاد فى اقطاعه فأطاع صلاح الدين وعدل أيضا الى عين الدولة الياروقى وكان أكبر الجماعة وأكثرهم جمعا فلم ينفعه رقاه ولا نفذ فيه سحره وقال انا لا أخدم يوسف أبدا وعاد الى نور الدين ومعه غيره فأنكر عليهم فراقه وقد فات الامر ليقضى الله أمرا كان مفعولا وثبت قدم صلاح الدين ورسخ ملكه وهو نائب عن الملك العادل نور الدين والخطبة لنور الدين فى البلاد كلها ولا يتصرفون الا عن أمره وكان نور الدين يكاتب صلاح الدين بالامير الاسفهسلار ويكتب علامته فى الكتب تعظيما أن يكتب اسمه وكان لا يفرده بكتاب بل يكتب الامير الاسفهسلار صلاح الدين وكافة الامراء بالديار المصرية يفعلون كذا وكذا واستمال صلاح الدين قلوب الناس وبذل الاموال مما كان أسد الدين قد جمعه وطلب من العاضد شيأ يخرجه فلم يمكنه منعه فمال الناس اليه وأحبوه وقويت نفسه على القيام بهذا الامر والثبات فيه وضعف أمر العاضد فكان كالباحث عن حتفه بظلفه * قال ابن الاثير فى تاريخه الكبير قد اعتبرت التواريخ ورأيت كثيرا من التواريخ الاسلامية فرأيت كثيرا ممن يبتدئ الملك تنتقل الدولة عن صلبه الى بعض أهله وأقاربه منهم فى أول الاسلام معاوية بن أبى سفيان أول من ملك من أهل بيته فانتقل الملك عن اعقابه الى بنى مروان من بنى عمه ثم من بعده السفاح أول من ملك من بنى العباس انتقل الملك عن اعقابه الى أخيه المنصور ثم السامانية أول من استبد فيهم نصر بن أحمد فانتقل الملك عنه الى أخيه اسمعيل بن أحمد واعقابه ثم يعقوب الصفار وهو أول من ملك من أهل بيته وانتقل الملك عنه الى أخيه عمرو وأعقابه ثم عماد الدولة بن بويه أول من ملك من أهل بيته ثم انتقل الملك عنه الى اخويه معز الدولة وركن الدولة ثم السلجوقية أول من ملك منهم طغرلبك ثم انتقل الملك الى أولاد أخيه داود ثم هذا شيركوه كما ذكرناه انتقل الملك الى ولد أخيه نجم الدين أيوب ولولا خوف الاطالة

فاستغنى عن المنصب ورضى بالانفصال فعزل وعاد الى قسطنطينية مرة أخرى وتقاعد بوظيفته الاولى ثم اتفق للسلطان سليم خان رغبة فى صحبته بتعريف بعض الحواشى وتزيينه فطاب وهو على الصيد فى بعض البقاع فتيسر له التشرف بالدخول والاجتماع ثم ان المسفور أحس من السلطان المزبور كمال التوجه اليه فخاف من تقدمه عليه وندم ذلك النديم على مافعل فاعمل أسباب المكر والحيل ولم يقصر فى السعى والاجتهاد حتى قدر على التفريق والابعاد (وقد توفى رحمه الله تعالى فى أوائل رجب المرجب سنة سبع وثمانين وتسعمائة) كان المرحوم مشاركا فى بعض العلوم ذا حظ وافر من الشعر والانشاء ويد ظاهرة فى الاملال

لذكرنا أكثر من هذا والذى أظنه السبب فى ذلك ان الذى يكون أول دولته يكثر القتل فيأخذ الملك وقلوب من كان فيه متعلقة به فلهذا يحرم الله أعقابه و يفعل ذلك لاجلهم عقوبة له (نعود الى ذكر صلاح الدين) وأرسل صلاح الدين يطلب من نور الدين ان يرسل اليه اخوته فلم يجبه الى ذلك وقال أخاف أن يخالف أحد منهم عليك فتفسد البلاد ثم ان الفرنج اجتمعوا ليسيروا الى مصر فسير نور الدين العساكر وفيهم اخوة صلاح الدين منهم شمس الدولة توران شاه بن أيوب (قلت وقد تقدم ذكره فى ترجمة مستقلة) قال وهو أكبر من صلاح الدين فلما أراد أن يسير قال له نور الدين ان كنت تسير الى مصر وتنظر الى أخيك انه يوسف الذى كان يقوم فى خدمتك وأنت قاعد فلا تسر فانك تفسد البلاد وأحضرك حينئذ وأعاقبك بما تستحقه وان كنت تنظر اليه انه صاحب مصر وقائم مقامى وتخدمه بنفسك كما تخدمنى فسر اليه واشدد أزره وساعده على ماهو بصدده فقال أفعل معه من الخدمة والطاعة ما يتصل بك ان شاء الله تعالى فكان معه كما قال ثم قال شيخنا ابن الاثير بعد هذا بأوراق فى فصل يتعلق بانقراض الدولة المصرية واقامة الدولة العباسية بها فقال فى المحرم سنة سبع وستين وخمسمائة قطعت خطبة العاضد صاحب مصر وخطب فيها للامام المستضىء بأمر الله أمير المؤمنين وكان السبب فى ذلك ان صلاح الدين يوسف بن أيوب لما ثبت قدمه فى مصر وأزال المخالفين له وضعف أمر العاضد ولم يبق من العساكر المصرية أحد كتب اليه الملك العادل نور الدين محمود يأمره بقطع الخطبة العاضدية واقامة الخطبة العباسية فاعتذر صلاح الدين بالخوف من وثوب أهل مصر وامتناعهم من الاجابة الى ذلك لميلهم الى دولة المصريين فلم يصغ نور الدين الى قوله وأرسل اليه يلزمه بذلك الزاما لا فسحة له فيه واتفق ان العاضد مرض وكان صلاح الدين قد عزم على قطع الخطبة فاستشار أمراءه كيف الابتداء بالخطبة العباسية فمنهم من أقدم على المساعدة وأشار بها ومنهم من خاف ذلك الا أنه لم يمكنه الا امتثال أمر نور الدين وكان قد دخل الى مصر رجل عجمى يعرف بالامير العالم وقد رأيناه بالموصل كثيرا فلما رأى ماهم فيه من الاحجام قال أنا أبتدئ بها فلما كان أول جمعة من المحرم صعد المنبر قبل الخطيب ودعا للمستضىء بأمر الله تعالى فلم ينكر أحد ذلك فلما كان الجمعة الثانية أمر صلاح الدين الخطباء بمصر والقاهرة بقطع خطبة العاضد واقامة الخطبة للمستضىء بأمر الله ففعلوا ذلك ولم ينتطح فيها عنزان وكتب بذلك الى سائر الديار المصرية وكان العاضد قد اشتد مرضه فلم يعلمه أهله وأصحابه بذلك وقالوا ان سلم فهو يعلم وان توفى فلا ينبغى ان ننغص عليه هذه الايام التى بقيت من أجله فتوفى يوم عاشوراء ولم يعلم ولما توفى جلس صلاح الدين للعزاء واستولى على قصره وجميع مافيه وكان قد رتب فيه قبل وفاة العاضد بهاء الدين قراقوش وهو خصى يحفظه قلت وقد تقدم ذكره فى ترجمته أيضا قال وجعله كالاستاذدار للعاضد فحفظ مافيه حتى تسلمه صلاح الدين ونقل أهل العاضد الى مكان منفرد ووكل بحفظهم وجعل أولاده وعمومته وأبناءهم فى ايوان بالقصر وجعل عندهم من يحفظهم وأخرج من كان فيه من العبيد والاماء فأعتق البعض ووهب البعض وباع البعض وأخلى القصر من أهله وسكانه فسبحان من لا يزول ملكه ولا يغيره ممر الايام وتعاقب الدهور ولما اشتد مرض العاضد أرسل يستدعى صلاح الدين فظن ان ذلك خديعة فلم يمض اليه فلما توفى علم صدقه فندم على تخلفه عنه وكان ابتداء الدولة العبيدية بافريقية والمغرب فى ذى الحجة سنة تسع وتسعين ومائتين وأول من ظهر منهم المهدى أبو محمد عبيد الله وبنى المهدية وملك افريقية كلها (قلت هكذا ذكر شيخنا ابن الاثير فى تاريخ استيلاء المهدى عبيد الله على افريقية والصواب فيه هو الذى ذكرته فى ترجمته فيكشف منه) ثم انه قال ولما مات المهدى عبيد الله قام بالامر بعده ولده القائم أبو القاسم محمد ثم ذكرهم واحدا واحدا حتى انتهى الى العاضد المذكور فقال وانقرضت دولتهم فكانت مدة دولتهم مائتى سنة وستا وستين سنة وكان مقامهم بمصر مائتى سنة وثمانى سنين وملك منهم أربعة عشر وهم المهدى والقائم والمنصور والمعز والعزيز والحاكم والظاهر والمستنصر والمستعلى والآمر والحافظ والظافر والفائز والعاضد آخرهم (قلت) وقد ذكرت كل واحد من هؤلاء فى ترجمة مستقلة فى هذا الكتاب فمن اختار الوقوف على أحوالهم فليطلبه فى اسمه ولا حاجة الى ذكره ههنا

والاملاء بدأ بترجمة كيمياء السعادة للامام على أحسن النظام الا أنه لم يتيسر له الاتمام وله مكاتيب على أساليب مرغوبة وأفانين مطلوبة فتارة يختار فيها الحروف العارية عن النقط وتارة يلتزم فى كلمة حرفا واحدا فقط ومن الذى ما ساء قط

(ومن المخاديم السادة محمود المشتهر بعلم زاده) كان أبو المزبور من جملة الصدور فى الدولة السليمية ولد رحمه الله تعالى فى روضة المجد والاجلال ونشأ فى دوحة العز والاقبال مجتنيا من ثمار اللطائف ومقتطفا من أزهار المعارف وقرأ على أبيه وأكثر من الاستفادة ثم صار ملازما من المولى أبى السعود بطريق الاعادة ودرس أولا بمدرسة مراد باشا بثلاثين ثم مدرسة داود باشا بأربعين ثم مدرسة

قال شيخنا ابن الاثير وقد أتينا على ذكر ما أجملناه مستقصى فى التاريخ الكبير يعنى كتابه الذى سماه الكامل وهو مشهور ومن أنفع الكتب فى بابه قال ولما استولى صلاح الدين على القصر وأمواله وذخائره اختار منه ما أراد ووهب أهله ما أراد وباع منه كثيرا وكان فيه من الجواهر والاعلاق النفيسة ما لم يكن عند ملك من الملوك قد جمع على طول السنين وممر الدهور فمنه القضيب الزمرد طوله نحو قصبة ونصف والحبل الياقوت وغيرهما ومن الكتب المنتخبة بالخطوط المنسوبة والخطوط الجيدة نحو مائة ألف مجلد ولما خطب للمستضىء بأمر الله بمصر أرسل نور الدين اليه يعرفه ذلك فحل عنده أعظم محل وسير اليه الخلع الكاملة مع عماد الدين صندل المقتفوى اكراما له لان عماد الدين كان كبير المحل فى الدولة العباسية وكذلك أيضا سير خلعا لصلاح الدين الا أنها أقل من خلع نور الدين وسيرت الاعلام السود لتنصب على المنابر وكانت هذه أول أهبة عباسية دخلت مصر بعد استيلاء العبيديين عليها انتهى ما قاله شيخنا ابن الاثير (قلت) ولما وصل الخبر الى الامام المستضىء بامر الله أبى محمد الحسن ابن الامام المستنجد وهو والد الامام الناصر لدين الله بما تجدد من أمر مصر وعود الخطبة والسكة بها باسمه بعد انقطاعها بمصر هذه المدة الطويلة نظم أبو الفتح محمد سبط ابن التعاويذى المقدم ذكره قصيدة طنانة مدح بها الامام المستضىء وذكر هذا الفتوح المتجدد له وفتوح بلاد اليمن أيضا وهلاك الخارجى بها الذى سمى نفسه المهدى وذلك فى سنة احدى وسبعين وخمسمائة وكان صلاح الدين قد أرسل له من ذخائر مصر واسلاب المصريين شيأ كثيرا وأولها

قل للسحاب اذا مرتـ * ـه يد الجنائب فارجحن   عج باللوى فاسمح بدمـ * ـعك للمعاهد والدمن
يا منزل الانس الجميـ * ـع وملعب الحى الاغن   سكنت بك الآرام من * بعد الاحبة والسكن
أين استقلت بالحبيـ * ـب ركابه ومتى ظعن   شوقى الى زمن الحمى * سقى الغوادى من زمن
شوق المغرب شردتـ * ـه يد العباد عن الوطن   ولقد عهدتك والزما * ن بشملنا بك ما فطن
وتراك ما اغبرت مسا * رحه وماؤك ما أجن   وظباؤك الاتراب لى * وطر وتربك لى وطن
لام العذول ومادرى * وجدى وبلبالى بمن   وجدى بمن فضح القضيـ * ـب وأخجل الرشأ الاغن
ماضر من هو فتنتى * لو كان يرحم ما فتن   دمعى طليق فى محبـ * ـته وقلبى مرتهن
يا محنتى أودى الصدو * د لعاشق بك ممتحن   غادرته وقفا على الـ * ـعبرات بعدك والحزن
كان الفؤاد معذبا * بين الاقامة والظعن   عطفا على قرح الجفو * ن بعيد عهد بالوسن
لا تبخلى فالبخل يذ * هب بهجة الوجه الحسن   ولرب ليل بت فيـ * ـه صريع باطية ودن
اختال من مرح واسـ * ـحب فضل ذيلى والردن   مع مخطف لدن القوا * م اذا انثنى رخص البدن
لكننى كفرت لـ * ـيلة زرته عنى وعن   بمدائحى للمستضى * ء أبى محمد الحسن
المستقر من الخلا * فة فى الشواهق والقنن   يا جاريا فى العدل من * سنن النبى على سنن
يا جامعا خلق النبو * ة والخلافة فى قرن   دانت لهيبتك المما * لك والمعاقل والمدن
بالمشرفيات الصوا * رم والمثقفة اللدن   وأتتك اسلاب الملو * ك من الصعيد الى عدن
سلب الدعى بارض مصـ * ـر والمضلل فى اليمن   مما اقتناه ذو رعيـ * ـن فى القديم وذو يزن
وشفيت منهم بالظبا * تلك الضغائن والاحن   لم تغن عنهم حين رعـ * ـتهم الحصون ولا الجنن
أمست سباياهم تقا * د أذلة قود البدن   غادرت عرض بلادهم * عرض النوائب والمحن
فى كل يوم من جيو * شك غارة فيها تشن   وأعدت سر الاوليا * ء المؤمنين بها علن
ورحضت ما أبقته آ * ثار الخوارج من درن   فكان دعوتهم على * تلك المنابر لم تكن

وهى طويلة فنقتصر منها على هذا القدر ففيه كفاية ومدحه أيضا بقصيدة أخرى أشار فيها الى هذا المعنى وليس على خاطرى من هذه القصيدة سوى غزلها فأحببت ذكره لكونه فى غاية الحسن واللطافة وهو قوله

أهلا بطلعة غادة * فضح الدجى بضيائها   سمح الزمان بوصلها * فدنت على عدوائها

رستم باشا بخمسين الكل فى قسطنطينية المحمية ثم نقل الى مدرسة بنت السلطان سليمان خان باسكدار ثم الى احدى المدارس الثمان ثم بذل مبلغا عظيما بباب بعض الاعالى حتى صار موقعا فى الديوان العالى فخدم فيه الى أن وجد بعض أرباب الحسد سبيلا الى نقص شأنه ونقض بنيانه فمنى بالعزل والهوان برهة من الزمان ثم لم يتيسر له ما يحبه ويرضى حتى جعله الدهر لسهام المنية غرضا (وذلك فى أواسط جمادى الاولى سنة سبع وثمانين وتسعمائة) كان المرحوم مشاركا فى العلوم ذا حظ وافر من المعارف والمفاخر ساعيا فى اقتناء الكتب الشريفة بالخطوط اللطيفة وكان رحمه الله شابا جميلا ومخدوما جليلا خلوقا ذا

باتت

باتت تعاطينى المدا * م وكنت من اكفائها   فسكرت من ألحاظها * وغنيت من صهبائها
بيضاء قتلى دأبها * فى نأيها ونوائها   فاذا رنت بجفونها * واذا نأت بجفائها
لا تلتقى أبدا موا * عدها بيوم وفائها   الشمس من ضراتها * والبدر من رقبائها
والصبح فوق لثامها * والليل تحت ردائها   مضرية تنمى اذا انـ * ـتسبت الى حمرائها
باتت وأطراف الرما * ح تجول حول خبائها   فالموت دون فراقها * والموت دون لقائها
ولقد مررت بربعها * بعد النوى وفنائها   والعين فى الاطلال سا * كبة على اطلائها
فوقفت أنشد فى مطا * لعها دورسمائها   وبكيت حتى كدت أعـ * ـطف بانتى جرعائها
ياموحش العين التى * أنست بطول بكائها   غادرت بين جوانحى * نفسا تموت بدائها
تشتاق عينى ان ترا * ك وأنت من سودائها   واذا بخلت بنظرة * سمحت بجمة مائها
فكأنها كف الخليـ * ـفة أسبلت بعطائها

وبعد هذا شرع فى المديح وأبدع فيها جميعها وسأذكر بعد هذا عند أواخر هذه الترجمة شيأ من مدائحه فى صلاح الدين ان شاء الله تعالى فقد كان يسير قصائده اليه من بغداد فتصل أولا الى القاضى الفاضل ومعها مديح للفاضل وهو الذى يعرض قصائده على صلاح الدين رحمه الله تعالى ثم ذكر شيخنا ابن الاثير بعد هذا فصلا يتضمن حصول الوحشة بين نور الدين وصلاح الدين باطنا فقال وفى سنة سبع وستين أيضا حدث ما أوجب نفرة نور الدين عن صلاح الدين وكان الحادث ان نور الدين أرسل الى صلاح الدين يأمره بجمع العساكر المصرية والمسير بها الى بلاد الفرنج والنزول على الكرك ومحاصرته ليجمع أيضا هو عساكره ويسير اليه ويجتمعان هناك على حرب الفرنج والاستيلاء على بلادهم فبرز صلاح الدين من القاهرة فى العشرين من المحرم وكتب الى نور الدين يعرفه ان رحيله لا يتأخر وكان نور الدين قد جمع عساكره وتجهز وأقام ينتظر ورود الخبر من صلاح الدين برحيله ليرحل هو فلما أتاه الخبر بذلك رحل من دمشق عازما على قصد الكرك فوصل اليه وأقام ينتظر وصول صلاح الدين اليه فارسل كتابه يعتذر فيه عن الوصول باختلال البلاد المصرية لامور بلغته عن بعض شيعة العلويين وأنهم عازمون على الوثوب بها وانه يخاف عليها مع البعد عنها أن يقوم أهلها على من تخلف بها فلم يقبل نور الدين هذا الاعتذار منه وتغير عليه وكان سبب تقاعده ان أصحابه وخواصه خوفوه من الاجتماع بنور الدين فحيث لم يمتثل أمر نور الدين شق ذلك عليه وعظم عنده وعزم على الدخول الى مصر واخراج صلاح الدين عنها فبلغ الخبر الى صلاح الدين فجمع أهله ومنهم والده نجم الدين وخاله شهاب الدين الحارمى ومعهم سائر الامراء وأعلمهم ما بلغه من عزم نور الدين على قصده وأخذ مصر منه واستشارهم فلم يجبه أحد منهم بشئ فقام تقى الدين عمر ابن أخى صلاح الدين (قلت وقد تقدم ذكره أيضا فى ترجمة مستقلة) وقال اذا جاء قاتلناه ومنعناه عن البلاد ووافقه غيره من أهله فشتمهم نجم الدين أيوب وأنكر ذلك واستعظمه وكان ذا رأى ومكر وعقل وقال لتقى الدين اقعد وسبه وقال لصلاح الدين أنا أبوك وهذا شهاب الدين خالك أتظن ان فى هؤلاء كلهم من يحبك ويريد لك الخير مثلنا فقال لا فقال والله لو رأيت أنا وخالك شهاب الدين نور الدين لم يمكنا الا أن نترجل له ونقبل الارض بين يديه ولو أمرنا أن نضرب عنقك بالسيف لفعلنا فاذا كنا نحن هكذا فكيف يكون غيرنا وكل من تراه من الامراء والعساكر لو رأى نور الدين وحده لم يتجاسر من الثبات على سرجه ولا وسعه الا النزول وتقبيل الارض بين يديه وهذه البلاد له وقد أقامك فيها وان أراد عزلك سمعنا وأطعنا والرأى ان تكتب اليه كتابا وتقول بلغنى انك تريد الحركة لاجل البلاد فأى حاجة الى هذا يرسل المولى نجابا يضع فى رقبتى منديلا ويأخذنى اليك فما ههنا من يمتنع عليك وقال لجماعته كلهم قوموا عنا فنحن مماليك نور الدين وعبيده يفعل بنا ما يريد فتفرقوا على هذا وكتب أكثرهم الى نور الدين بالخبر ولما خلا أيوب بابنه صلاح الدين قال له أنت جاهل قليل المعرفة تجمع هذا الجمع الكثير وتطلعهم على سرك وما فى نفسك فاذا سمع نور الدين انك عازم على منعه من البلاد جعلك أهم الامور اليه وأولاها بالقصد ولو قصدك لم تر معك أحدا

دعابة عارفا بالشعر والكتابة عامله الله بلطفه انه الخبير بعباده خبير بصير

(ومنهم المولى محمود المشتهر بباجلى)

ولد رحمه الله بقصبة قلبه ونشأ على طلب المعارف واللطائف وقرأ على علماء أوانه واجتمع بفضلاء زمانه حتى وصل الى خدمة المولى القادرى ثم ذهب مذهب الصلاح واتصل ببعض أرباب الزهد والفلاح الى ان اشتهر بالتقوى والديانة والزهد والصيانة فجعل من خواص الحرم وخدام المجلس المحترم ونصب لتعليم بنت السلطان سليمان خان صاحبة الخيرات الحسان فلما زوجت بالوزير الكبير رستم باشا أكرمه غاية الاكرام وأنزله منزلة أبيه فى الاعزاز والاحترام فبهذه الملابسة اشتهر بالاسم المزبور واليه أشار المولى

من هذا العسكر وكانوا أسلوك اليه وأما الآن بعد هذا المجلس فسيكتبون اليه ويعرفونه قولي وتكتب أنت اليه وترسل اليه في المعنى وتقول أي حاجة الى قصدي يجيء نجاب يأخذني بحبل يضعه في عنقي فهو اذا سمع هذا عدل عن قصدك واستعمل ماهو أهم عنده والايام تتدرج والله كل وقت في شأن والله لو أراد نور الدين قصبة من قصب سكرنا لقاتلته أنا عليها حتى أمنعه أو أقتل ففعل صلاح الدين ما أشار به والده فلما رأى نور الدين الامر هكذا عدل عن قصده وكان الامر كما قال نجم الدين أيوب وتوفي نور الدين ولم يقصده وملك صلاح الدين البلاد وهذا كان من أحسن الآراء وأجودها انتهى ما ذكره ابن الاثير وقال شيخنا ابن شداد في السيرة لم يزل صلاح الدين على قدم بسط العدل ونشر الاحسان وافاضة الانعام على الناس الى سنة ثمان وستين وخمسمائة فعند ذلك خرج بالعسكر يريد بلاد الكرك والشوبك وانما بدأ بها لانها كانت أقرب اليه وكانت في الطريق تمنع من يقصد الديار المصرية وكان لا يمكن أن تعبر قافلة حتى يخرج هو بنفسه يعبرها فأراد توسيع الطريق وتسهيلها فحاصرها في هذه السنة وجرى بينه وبين الفرنج وقعات وعاد ولم يظفر منها بشيء فلما عاد بلغه خبر وفاة والده نجم الدين أيوب قبل وصوله اليه (قلت وقد ذكرت تاريخ وفاته في ترجمته) قال ولما كانت سنة تسع وستين رأى قوة عسكره وكثرة عدده وكان بلغه أن باليمن انسانا استولى عليها وملك حصونها يسمى عبد النبي بن مهدي فسير أخاه توران شاه اليه فقتله وأخذ البلاد منه وقد بسطت القول في ذلك في ترجمته ثم توفي نور الدين في سنة تسع وستين حسبما شرحته في ترجمته فلا حاجة الى اعادته وبلغ صلاح الدين ان انسانا يقال له الكنز جمع باسوان خلقا كثيرا من السودان وزعم انه يعيد الدولة المصرية وكان أهل مصر يؤثرون عودهم فانضافوا الى الكنز المذكور فجهز صلاح الدين اليه جيشا كثيفا وجعل مقدمه أخاه الملك العادل وساروا فالتقوا وكسروهم وذلك في السابع من صفر سنة سبعين وخمسمائة واستقرت له قواعد الملك وكان نور الدين رحمه الله قد خلف ولده الملك الصالح اسمعيل المذكور في ترجمة أبيه وكان بدمشق عند وفاة أبيه وكان بقلعة حلب شمس الدين علي بن الداية وشاذبخت وكان ابن الداية قد حدثته نفسه بامور فسار الملك الصالح من دمشق الى حلب فوصل الى ظاهرها في المحرم من سنة سبعين ومعه سابق الدين فخرج بدر الدين حسن بن الداية فقبض على سابق الدين ولما دخل الملك الصالح القلعة قبض على شمس الدين وأخيه حسن المذكور وأودع الثلاثة في السجن وفي ذلك اليوم قتل أبو الفضل ابن الخشاب لفتنة جرت بحلب وقيل بل قتل قبل قبض أولاد الداية بيوم لانهم تولوا تدبير ذلك ثم ان صلاح الدين بعد وفاة نور الدين علم ان ولده الملك الصالح صبي لا يستقل بالامر ولا ينهض باعباء الملك واختلت الاحوال بالشام وكاتب شمس الدين المقدم ذكره صلاح الدين فتجهز من مصر في جيش كثيف وترك بها من يحفظها وقصد دمشق مظهرا انه يتولى مصالح الملك الصالح فدخلها بالتسليم في يوم الثلاثاء سلخ ربيع الآخر سنة سبعين وخمسمائة وتسلم قلعتها وكان أول دخوله دار أبيه (قلت وهي الدار المعروفة بالشريف العقيقي) وهي اليوم في قبالة المدرسة العادلية مشهورة هنالك بالعقيقي قال واجتمع الناس اليه وفرحوا به وأنفق في ذلك اليوم مالا جزيلا وأظهر السرور بالدمشقيين وصعد القلعة وسار الى حلب فنازل حمص وأخذ مدينتها في جمادى الاولى من السنة ولم يشتغل بقلعتها وتوجه الى حلب ونازلها في يوم الجمعة سلخ جمادى الاولى من السنة وهي الوقعة الاولى ثم ان سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي صاحب الموصل لما أحس بما جرى علم ان الرجل قد استفحل أمره وعظم شأنه وخاف ان غفل عنه استحوذ على البلاد واستقرت قدمه في الملك وتعدى الامر اليه فانفذ عسكرا وافرا وجيشا عظيما وقدم عليه أخاه عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود وساروا يريدون لقاءه ليردوه عن البلاد فلما بلغ صلاح الدين ذلك رحل عن حلب في مستهل رجب من السنة عائدا الى حماة ورجع الى حمص فأخذ قلعتها ووصل عز الدين مسعود الى حلب وأخذ معه عسكر ابن عمه الملك الصالح بن نور الدين صاحب حلب يومئذ وخرجوا في جمع عظيم فلما عرف صلاح الدين بمسيرهم سار حتى وافاهم على قرون حماة وراسلهم وراسلوه واجتهد أن يصالحوه فما صالحوه

علي بن عبد العزيز المعروف بام الولد زاده بقوله في الرسالة القلمية
(شعر)
ملا ذا الخلق في الاحوال طرا
ومن يبغي له المكروه خابا
وبيت العلم بحر وزمنيع
له قد كان ذاك الحبر بابا
ففاز من الرياسة بالحظ الوافر وأصبح بابه ملجأ للاصاغر والاكابر وقصده العلماء والشعراء بالرسائل الشريفة والاشعار اللطيفة وتوجه اليه أرباب الحاجات بالتحف السنية والهدايا السمية فاجتمع عنده من نفائس الكتب والتحف والاموال مالم يتفق لغيره من الامثال الى ان انتقل مخادعه الكرام الى دار السلام فقابله الدهر بالانقباض ونظر اليه بعين الاعراض وأنزل قدره ونقص قدره وهكذا الدهر

ورأوا ان ضرب المصاف معهم ربما نالوا به غرضهم والقضاء يجر الى أمور وهم بها لا يشعرون فتلاقوا فقضى الله تعالى أن انكسروا بين يديه وأسر جماعة منهم فمن عليهم وذلك في تاسع شهر رمضان من السنة عند قرون حماة ثم سار عقيب كسرتهم ونزل على حلب وهي الوقعة الثانية فصالحوه على أخذ المعرة وكفر طاب وماردين ولما جرت هذه الوقعة كان سيف الدين غازي يحاصر أخاه عماد الدين زنكي صاحب سنجار وعزم على أخذها منه لانه كان قد انتمى الى صلاح الدين وكان قد قارب أخذها فلما بلغه الخبران عسكره انكسر خاف أن يبلغ أخاه عماد الدين الخبر فيشتد أمره ويقوى جاشه فراسله وصالحه ثم سار من وقته الى نصيبين واهتم بجمع العساكر والانفاق فيها وسار الى البيرة وعبر الفرات وخيم على الجانب الشامي وأرسل ابن عمه الصالح نور الدين صاحب حلب حتى تستقر له قاعدة يصل عليها ثم انه وصل الى حلب وخرج الملك الصالح الى لقائه وأقام على حلب مدة وصعد قلعتها جريدة ثم نزل وسار الى تل السلطان (قلت وهي منزلة بين حماة وحلب) قال ومعه جمع كبير وراسل صلاح الدين الى مصر يطلب عسكرها فوصل اليه وسار به حتى نزل الى قرون حماة ثم تصافوا بكرة الخميس العاشر من شوال سنة احدى وسبعين وجرى قتال عظيم وانكسرت ميسرة صلاح الدين بمظفر الدين بن زين الدين (قلت هو صاحب اربل المقدم ذكره) قال فانه كان على ميمنة سيف الدين فحمل صلاح الدين بنفسه فانكسر القوم وأسر منهم جماعة من كبار الامراء فمن عليهم وأطلقهم وعاد سيف الدين الى حلب فأخذ منها خزائنه وسار حتى عبر الفرات وعاد الى بلاده ومنع صلاح الدين من تتبع القوم ونزل في بقية ذلك اليوم في خيامهم فانهم تركوا أثقالهم وانهزموا ففرق صلاح الدين الاصطبلات ووهب الخزائن وأعطى خيمة سيف الدين لابن أخيه عز الدين فرخشاه (قلت هو ابن شاهان شاه بن أيوب وهو أخو تقي الدين عمر صاحب حماة وفرخشاه صاحب بعلبك وهو والد الملك الامجد بهرام شاه صاحب بعلبك) قال وسار الى منبج فتسلمها ثم سار الى قلعة عزاز يحاصرها وذلك في رابع ذي القعدة من سنة احدى وسبعين وفيها وثب جماعة من الاسماعيلية على صلاح الدين فنجاه الله سبحانه منهم وظفر بهم وأقام عليها حتى أخذها في رابع عشر ذي الحجة من السنة ثم سار حتى نزل على حلب في سادس عشر الشهر المذكور وأقام عليها مدة ثم رحل عنها وكانوا قد أخرجوا اليه ابنة صغيرة لنور الدين سألته عزاز فوهبها لها ثم عاد صلاح الدين الى مصر ليتفقد أحوالها وكان مسيره اليها في شهر ربيع الاول من سنة اثنتين وسبعين وكان أخوه شمس الدولة توران شاه قد وصل اليه من اليمن فاستخلفه بدمشق ثم تاهب للغزاة وخرج يطلب الساحل حتى وافى الفرنج على الرملة وذلك في أوائل جمادى الاولى سنة ثلاث وسبعين وكانت الكسرة على المسلمين في ذلك اليوم (قلت وذلك الامر يطول شرحه) قال فلما انهزموا لم يكن لهم حصن قريب يأوون اليه فطلبوا جهة الديار المصرية وضلوا في الطريق وتبددوا وأسر منهم جماعة منهم الفقيه عيسى الهكاري وكان ذلك وهنا عظيما جبره الله تعالى بوقعة حطين المشهورة وأما الملك الصالح صاحب حلب فانه تخبط أمره وقبض على كمشتكين صاحب دولته وطلب منه تسليم حارم اليه فلم يفعل فقتله فلما سمع الفرنج بقتله نزلوا على حارم طمعا فيها وذلك في جمادى الاخرى من السنة فلما رأى أهل قلعتها الخطر من جهة الفرنج سلموها الى الملك الصالح في العشر الاخير من شهر رمضان من السنة فرحل الفرنج عنها وأقام صلاح الدين بمصر حتى لم شعثها وشعث أصحابه من أثر كسرة الرملة ثم بلغه تخبط الشام فعزم على العود اليه واهتم بالغزاة فوصله رسول قليج أرسلان صاحب الروم يلتمس الصلح ويتضرر من الارمن فعزم على قصد بلاد ابن لاون (قلت وهي بلاد سيس الفاصلة بين حلب والروم من جهة الساحل) قال لينصر قليج أرسلان عليه فتوجه اليه واستدعى عسكر حلب لانه كان في الصلح انه متى استدعاه حضر اليه ودخل بلاد ابن لاون وأخذ في طريقه حصنا وأخربه ورغبوا اليه في الصلح فصالحهم ورجع عنهم ثم سأله قليج أرسلان في صلح الشرقيين بأسرهم فأجاب الى ذلك وحلف صلاح الدين في عاشر جمادى الاولى سنة ست وسبعين وخمسمائة ودخل في الصلح قليج أرسلان والمواصلة وعاد بعد تمام الصلح الى دمشق ثم منها الى مصر ثم توفي الملك الصالح بن نور الدين في التاريخ المذكور في ترجمة والده وكان قد استحلف أمراء حلب وأجنادها لابن عمه

يرفع وينزل وينصب ويعزل (بيت)
أرى الدهر الا مجنونا باهله
وما صاحب الحاجات الا معذبا
(توفي رحمه الله تعالى في أواسط رجب سنة سبع وثمانين وتسعمائة) كان رحمه الله عالما عارفا محبا للعلم وأهله ساعيا في اقتناء الكتب النفيسة ضانا بها ضنة المحب بالمحبوب ولم يزل مجدا في تحصيلها حتى كتب في آخر عمره تفسير المفتي أبي السعود وقد دهي بالتجرد والانفراد ولم يترك من يقوم بحقه من الاقارب والاولاد فتفرق نفائس كتبه أيدي سبا فجزعت له الدبور * وجزعت له الصبا
*(ومن أرباب المجد والافادة المعروف بالاحسان والاجادة المولى شمس الدين أحمد بن المولى بدر الدين المشتهر بقاضي زاده)

عز الدين مسعود صاحب الموصل (قلت وقد تقدم ذكره وهو ابن عم قطب الدين مودود) فلما مات سيف الدين فى التاريخ المذكور فى ترجمة قام مقامه أخوه عز الدين مسعود المذكور قال فلما بلغ عز الدين خبر موت الملك الصالح وأنه أوصى له بحلب بادر الى التوجه اليها خوفا ان يسبقه صلاح الدين فيأخذها وكان أول قادم اليها مظفر الدين ابن زين الدين (قلت هو صاحب اربل وكان اذ ذاك صاحب حران وهو مضاف الى المواصلة لان تلك البلاد كانت لهم) قال فوصلها مظفر الدين فى ثالث شعبان سنة سبع وسبعين وفى العشرين منه وصلها عز الدين مسعود وصعد الى القلعة فاستولى على ما فيها من الحواصل وتزوج أم الملك الصالح فى خامس شوّال من السنة (قلت) ثم ان شيخنا ابن شداد ذكر بعد هذا أمورا ذكرتها فى ترجمة عز الدين مسعود بن مودود وترجمة أخيه عماد الدين زنكى وترجمة تاج الملوك بورى أخى صلاح الدين فلا حاجة الى اعادتها ههنا فمن أراد الوقوف عليها يكشفها فى هذه التراجم (قلت) وحاصل الامر ان عز الدين مسعود قايض أخاه عماد الدين زنكى صاحب سنجار عن حلب بسنجار وخرج عز الدين عن حلب ودخلها عماد الدين زنكى فجاءه صلاح الدين وحاصره فلم يقدر عماد الدين على حفظ حلب وكان نزول صلاح الدين على حلب فى السادس والعشرين من المحرم سنة سبع وسبعين وخمسمائة وقال ابن شداد نزل عليها فى سادس عشر المحرم والله أعلم فتحدث عماد الدين زنكى مع الامير حسام الدين طمان بن غازى فى السر عما يفعله فاشار عليه بان يطلب منه بلادا وينزل له عن حلب بشرط ان يكون له جميع ما فى القلعة من الاموال فقال له عماد الدين وهذا كان فى نفسى ثم اجتمع حسام الدين طمان بصلاح الدين فى السر على تقرير القاعدة فى ذلك فاجابه صلاح الدين الى ما طلب ودفع له سنجار والخابور ونصيبين وسروج ودفع لطمان الرقة لسفارته بينهما وحلف صلاح الدين على ذلك فى سابع عشر صفر من السنة وكان صلاح الدين قد نزل على سنجار وأخذها فى ثامن شهر رمضان سنة ثمان وسبعين وأعطاها لابن أخيه تقى الدين عمر فلما جرى الصلح على هذه الصورة أعطاها عماد الدين وتسلم صلاح الدين قلعة حلب وصعد اليها يوم الاثنين السابع والعشرين من صفر سنة تسع وسبعين وخمسمائة وأقام بها حتى رتب أمورها ثم رحل عنها فى الثانى والعشرين من شهر ربيع الآخر من السنة وجعل فيها ولده الملك الظاهر المقدم ذكره فى ترجمة مستقلة وكان صبيا وولى القلعة سيف الدين باركوج الاسدى وجعله يرتب مصالح ولده ثم سار صلاح الدين الى دمشق فى التاريخ المذكور قال ابن شداد وتوجه من دمشق لقصد محاصرة الكرك فى الثالث من رجب من السنة المذكورة وسير الى أخيه الملك العادل وهو بمصر يستدعيه ليجتمع به على الكرك فسار اليه بجمع كثير وجيش عظيم واجتمع به على الكرك فى رابع شعبان من السنة فلما بلغ الفرنج الخبر حشدوا وخلقا كثيرا وجاؤا الى الكرك ليكونوا فى قبالة عسكر المسلمين فخاف صلاح الدين على الديار المصرية فسير اليها ابن أخيه تقى الدين عمر ورحل عن الكرك فى سادس عشر شعبان من السنة واستصحب أخاه الملك العادل معه ودخل دمشق فى الرابع والعشرين من شعبان من السنة وأعطاه حلب ودخلها فى يوم الجمعة الثانى والعشرين من شهر رمضان من السنة وخرج الملك الظاهر وباركوج ودخلا دمشق فى يوم الاثنين الثامن والعشرين من شوّال من السنة وكان الملك الظاهر احب أولاده اليه لما فيه من الخلال الجيدة ولم يأخذ منه حلب الا لمصلحة رآها فى ذلك الوقت وقيل ان العادل أعطاه على أخذ حلب ثلثمائة ألف دينار يستعين بها على الجهاد والله أعلم ثم ان صلاح الدين رأى عود الملك العادل الى مصر وعود الملك الظاهر الى حلب أصلح قيل كان سبب ذلك ان الامير علم الدين سليمان بن حيدر قال لصلاح الدين وكان بينهما مؤانسة قبل ان يتملك البلاد وقد سايره يوما وكان من أمراء حلب والملك العادل لا ينصفه ويقدم عليه غيره وكان صلاح الدين قد مرض على حصار الموصل وحمل الى حران وأشفى على الهلاك فلما عوفى رجع الى الشام واجتمعا فى المسير قال له وكان صلاح الدين قد أوصى لكل واحد من أولاده بشئ من البلاد بأى رأى كنت تظن ان وصيتك تمضى كأنك كنت خارجا الى الصيد وتعود فلا يخالفونك أما تستحى أن يكون الطائر اهدى منك الى المصلحة قال وكيف ذلك وهو يضحك قال اذا أراد الطائر أن يعمل عشا لفراخه قصد

كان أبوالمزبور من عتقاء الوزير على باشا العتيق وقد تصرف فى عدة من المدارس والمناصب الى أن صار قاضيا بمدينة أدرنه فى دولة السلطان بايزيدخان وقد ولد المرحوم وأنوار العز والشرف من طوالع شموسه شارقة وآثار المجد والشرف فى مطالع بدوره بارقة فعن قريب حقق ما تفرس فيه النظار من الظهور والشهرة كالشمس فى وسط النهار قرأ رحمه الله على علماء عصره وأفاضل دهره منهم المولى محمد المعروف بجوى زاده والمولى سعدى محشى البيضاوى وسار ملازما من المولى القادرى ودرس أولا بالفرهادية بخمس وعشرين ثم مدرسة ابن ولى الدين بثلاثين ثم مدرسة يلدرم خان بأربعين الكل بمدينة بروسه ثم مدرسة على باشا

أعالى الشجر ليحمى فراخه وأنت سلمت الحصون الى أهلك وجعلت أولادك على الارض هذه حلب وهى أم البلاد بيد أخيك وحماة بيد ابن أخيك وحمص بيد ابن أسد الدين وابنك الافضل مع تقى الدين بمصر يخرجه متى شاء وابنك الآخر مع أخيك فى خيمة يفعل به ما أراد فقال له صدقت فاكتم هذا الامر ثم أخذ حلب من أخيه وأعطاها ولده الملك الظاهر وأعطى الملك العادل بعد ذلك حران والرها وميافارقين ليخرجه من الشام ويتوفر الشام على أولاده فكان ما كان (قلت) وقد تقدم فى ترجمة عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود صاحب الموصل فصل يتعلق بنزول صلاح الدين على الموصل وحصارها ثلاث مرات ولم يقدر عليها قال شيخنا ابن الاثير فى تاريخه انه نزل عليها فى الدفعة الثالثة وكان زمن الشتاء وعزم على المقام واقطاع جميع الموصل وكان نزوله فى شعبان من سنة احدى وثمانين وخمسمائة فأقام شعبان وشهر رمضان وترددت الرسل بينه وبين صاحبها فبينما هو كذلك مرض صلاح الدين فعاد الى حران ولحقته الرسل بالاجابة الى ما طلب وتم الصلح على أن يسلم اليه صاحب الموصل شهر زور وأعمالها وولاية قالى قلا وما وراء الزاب من الاعمال وأن يخطب له على المنابر وينقش اسمه على السكة فلما حلف أرسل صلاح الدين نوابه وتسلم البلاد التى استقرت القاعدة على تسليمها وطال المرض على صلاح الدين بحران واشتد به حتى يئسوا منه فحلف الناس لاولاده وكان عنده منهم الملك العزيز عماد الدين بن عثمان وأخوه العادل جاءه من حلب وهو ملكها يومئذ وجعل لكل واحد شيأ من البلاد وجعل الملك العادل وصيا على الجميع ثم انه عوفى وعاد الى دمشق فى المحرم من سنة اثنين وثمانين ولما كان مريضا بحران كان عنده ناصر الدين محمد ابن عمه وله من الاقطاع حمص والرحبة فسار من عنده الى حمص واجتاز بحلب وأحضر جماعة من الاحداث ووعدهم وأعطاهم مالا على تسليم دمشق اليه اذا مات صلاح الدين فعوفى فلم تمض الاقايل حتى مات ناصر الدين ليلة عيد النحر من السنة فانه شرب الخمر فأكثر منه فاصبح ميتا وقيل ان صلاح الدين وضع عليه انسانا فحضر عنده ونادمه وسقاه سما فلما أصبحوا من الغد لم يروا ذلك الشخص وكان يقال له الناصح بن العميد فسألوا عنه فقالوا انه سار من ليلته وكان هذا مما قوى الظن والله أعلم فلما توفى أعطى اقطاعه لولده شيركوه وعمره اثنتا عشرة سنة وخلف من الاموال والدواب والاثاث شيأ كثيرا فحضر صلاح الدين الى حمص واستعرض تركته وأخذ أكثرها ولم يترك الا ما لا خير فيه ثم قال شيخنا بعد هذا كله وبلغنى ان شيركوه حضر عند صلاح الدين بعد موت أبيه بسنة فقال له الى أين بلغت فى القرآن فقال له الى ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا فعجب الجماعة وصلاح الدين من ذكائه والله أعلم بصحة ذلك قال ابن شداد ولما وصل صلاح الدين الى دمشق عقيب مرضه وابلاله سير طالبا أخاه الملك العادل فخرج من حلب جريدة يوم السبت الرابع والعشرين من شهر ربيع الاول من سنة اثنتين وثمانين ومضى الى دمشق فأقام فى خدمة السلطان صلاح الدين وجرت بينهما أحاديث ومراجعات وقواعد تتقرر الى جمادى الاخرى من السنة فاستقر الامر على عود الملك العادل الى مصر وأخذت حلب منه وسار الملك الظاهر اليها ودخل قلعتها يوم السبت سنة اثنين وثمانين وخمسمائة وقد ذكرت فى ترجمة الملك الظاهر انه دخل حلب مالكا لها فى مثل يوم وفاته وعينت هناك التاريخ واسم اليوم هكذا وجدته وما أدرى من أين نقلته وسلم السلطان ولده الملك العزيز الى العادل وجعله أتابكه قال ابن شداد قال لى الملك العادل لما استقرت هذه القاعدة اجتمعت بخدمة الملك العزيز والملك الظاهر وجلست بينهما وقلت للملك العزيز اعلم يا مولانا ان السلطان أمرنى ان أسير فى خدمتك الى مصر وأنا أعلم ان المفسدين كثير وما يخلو أن يقال عنى ما لا يجوز ويخوفونك منى فان كان لك عزم أن تسمع منهم فقل لى حتى لا أجىء فقال كيف يتهيأ لى ان أسمع منهم أو ارجع الى رأيهم ثم التفت الى الملك الظاهر وقلت له أنا أعرف ان أخاك ربما يسمع فى أقوال المفسدين وأنا ما لى الا أنت وقد قنعت منك بمنبج متى ضاق صدرى من جانبه فقال مبارك وذكر له كل خير وزوج السلطان ولده الملك الظاهر غازية خاتون ابنة أخيه الملك العادل ودخل بها يوم الاربعاء السادس والعشرين من رمضان من السنة ثم كانت وقعة حطين المباركة على المسلمين قال وكانت فى يوم

بقسطنطينية بخمسين بواسطة كونها مشروطة لعتقاء الوزير المزبور وأولادهم ثم نقل الى احدى المدرستين المتجاورتين بادرنه ثم الى احدى المدارس الثمان ثم الى احدى مدارس السلطان سليمان وهو أول مدرس بها على ما سبق ذكره مرة ثم قلد قضاء حلب بعد ما قاساه من آلام المكث والتعب وبعد عدة سنين رفع عن القضا ووقع مده فى غيابة الحزن والاسى الى ان ساعده بعض الاهالى بالهمم السنية فنصب قاضيا بقسطنطينية المحمية ثم نقل الى قضاء العساكر المنصورة فى ولاية روم ايلى المعمورة فبعد سبعة أشهر اختل أمره وتراجع سعره ففزع طائر عزه وطار قبل ان يقضى الاوطار وذلك

السبت رابع عشر شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة فى وسط نهار الجمعة وكان كثيرا ما يقصد لقاء العدو فى يوم الجمعة عند الصلاة تبركا بدعاء المسلمين والخطباء على المنابر فسار فى ذلك الوقت بمن اجتمع له من العساكر الاسلامية وكانت عدة تجوز العد والحصر على تعبية حسنة وهيئة جميلة وكان قد بلغه عن العدو انه اجتمع فى عدة كثيرة بمرج صفورية بارض عكا عندما بلغهم اجتماع العساكر الاسلامية فسار ونزل على بحيرة طبرية على سطح الجبل ينتظر قصد الفرنج له اذا بلغهم نزوله بالموضع المذكور فلم يتحركوا ولم يخرجوا من منزلتهم وكان نزولهم بالموضع المذكور يوم الاربعاء الحادى والعشرين من شهر ربيع الآخر فلما رآهم لا يتحركون عن منزلتهم نزل جريدة على طبرية وترك الاطلاب على حالها قبالة العدو ونازل طبرية وهجمها واخذها فى ساعة واحدة وانتهب الناس ما بها واخذوا فى القتل والسبى والحريق وبقيت القلعة محتمية بمن فيها ولما بلغ العدو ما جرى على طبرية قلقوا لذلك ورحلوا نحوها فبلغ السلطان ذلك فترك على طبرية من يحاصرها ولحق بالعسكر فالتقى بالعدو على سطح جبل طبرية الغربى منها وذلك فى يوم الخميس الثانى والعشرين من شهر ربيع الآخر وحال الليل بين العسكرين فباتا على مصاف الى بكرة يوم الجمعة الثالث والعشرين فركب العسكران وتصادما والتحم القتال واشتد الامر وذلك بارض قرية تعرف بلوبيا وضاق الخناق بالعدو وهم سائرون كأنهم يساقون الى الموت وهم ينظرون وقد أيقنوا بالويل والثبور وأحست نفوسهم أنهم فى غد يومهم ذلك من زوار القبور ولم تزل الحرب تضطرم والفارس مع قرنه يصطدم ولم يبق الا الظفر ووقع الوبال على من كفر فحال بينهم الليل بظلامه وبات كل واحد من الفريقين بمقامه وتحقق المسلمون ان من ورائهم الاردن ومن بين أيديهم بلاد العدو وانهم لا ينجيهم الا الاجتهاد فى القتال فحملت أطلاب المسلمين من كل جانب وحمل القلب وصاحوا صيحة رجل واحد الله أكبر فالقى الله تعالى الرعب فى قلوب الكافرين وكان حقا عليه نصر المؤمنين ولما أحس القومس بالخذلان هرب منهم فى أوائل الامر وقصد جهة صور وتبعه جماعة من المسلمين فنجا منهم وكفى الله شره وأحاط المسلمون بالكافرين من كل جانب وأطلقوا عليهم السهام وحكموا فيهم السيوف وسقوهم كأس الحمام وانهزمت طائفة منهم فتبعها أبطال المسلمين فلم ينج منها أحد واعتصمت طائفة منهم بتل يقال له تل حطين وهى قرية عندها قبر النبى شعيب عليه السلام فضايقهم المسلمون وأشعلوا حولهم النيران واشتد بهم العطش وضاق بهم الامر حتى كادوا يستسلمون للاسر خوفا من القتل لما مر بهم فاسر مقدموهم وقتل الباقون وكان ممن أسر من مقدميهم الملك جفرى وأخوه والبرنس ارناط صاحب الكرك والشوبك وابن الهنفرى وابن صاحب طبرية ومقدم الديوية وصاحب جبيل ومقدم الاستبنار قال ابن شداد ولقد حكى لى من أثق به انه رأى بحوران شخصا واحدا معه نيف وثلاثون أسيرا قد ربطهم بطنب خيمة لما وقع عليهم من الخذلان ثم ان القومس الذى هرب فى أول الامر وصل الى طرابلس فأصابه ذات الجنب فهلك منها وأما مقدما الاستبنارية والديوية فان السلطان قتلهما وقتل من بقى من صنفهما حيا وأما البرنس ارناط فان السلطان كان قد نذر انه ان ظفر به قتله وذلك لانه كان قد عبر به عند الشوبك قوم من الديار المصرية فى حال الصلح فغدر بهم وقتلهم فناشدوه الصلح الذى بينه وبين المسلمين فقال ما يتضمن الاستخفاف بالنبى صلى الله عليه وسلم وبلغ ذلك السلطان فحملته حميته ودينه على ان يهدر دمه ولما فتح الله عليه بنصره جلس فى دهليز الخيمة لانها لم تكن نصبت بعد وعرضت عليه الاسارى وصار الناس يتقربون اليه بمن فى أيديهم منهم وهو فرح بما فتح الله تعالى على يديه للمسلمين ونصبت له الخيمة فجلس فيها شاكرا لله تعالى على ما أنعم به عليه واستحضر الملك جفرى وأخاه والبرنس ارناط وناول السلطان جفرى شربة من جلاب وثلج فشرب منها وكان على أشد حال من العطش ثم ناولها البرنس وقال السلطان للترجمان قل للملك أنت الذى سقيته وأما أنا فما سقيته وكان من جميل عادة العرب وكريم أخلاقهم ان الاسير اذا أكل أو شرب من مال من أسره أمن فقصد السلطان بقوله ذلك ثم أمر بسيرهم الى موضع عينه لهم فمضوا بهم اليه فأكلوا شيأ ثم عادوا بهم ولم يبق عنده سوى بعض الخدم

بالوحشة الواقعة بينه وبين المولى عطاء الله معلم السلطان سليم خان فتقاعد بوظيفة مثله ثم قلد تدريس دار الحديث بمدينة أدرنه وعين له كل يوم مائتا درهم ثم تركه وعاد الى قسطنطينية وفى أثنائه جلس السلطان مراد خان على سرير السلطنة فأعاد المرحوم الى قضاء العسكر بالولاية المزبورة لما سمع فيه من الفضيلة الباهرة والصلابة الدينية الظاهرة فعاش مدة فى كنف العز والسلطان شامخ الانف سامى المكان نافذ القول فى الجليل والحقير جارى الحكم فى الكبير والصغير الى أن قلد الفتوى بدار السلطنة السنية قسطنطينية المحمية فدام على الافتاء والدرس الى أن أفضت به المنية الى الرمس (وذلك فى اخر اربعين سنة ثمان

فاستحضرهم

فاستحضرهم وأقعد الملك فى دهليز الخيمة واستحضر البرنس ارناط وأوقفه بين يديه وقال له ها أنا أنتصر لمحمد منك ثم عرض عليه الاسلام فلم يفعل فسل النمشا فضربه بها فحل كتفه وتمم قتله من حضر وأخرجت جثته ورميت على باب الخيمة فلما رآه الملك جفرى على تلك الحالة لم يشك فى أنه يلحقه به فاستحضره وطيب قلبه وقال له لم تجر عادة الملوك أن يقتلوا الملوك وأما هذا فقد تجاوز الحد وتجرأ على الانبياء وبات الناس فى تلك الليلة على أتم سرور ترتفع أصواتهم بحمد الله تعالى وشكره وتهليله وتكبيره حتى طلع الفجر ثم نزل السلطان على طبرية يوم الاحد الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر وتسلم قلعتها فى ذلك النهار وأقام عليها الى يوم الثلاثاء ثم رحل طالبا عكا فكان نزوله عليها يوم الاربعاء سلخ ربيع الآخر وقاتلها بكرة يوم الخميس مستهل جمادى الاولى سنة ثلاث وثمانين فأخذها واستنقذ من كان فيها من أسارى المسلمين وكانوا أكثر من أربعة آلاف أسير واستولى على ما فيها من الاموال والذخائر والبضائع لانها كانت مظنة التجار وتفرقت العساكر فى بلاد الساحل يأخذون الحصون والقلاع والاماكن المنيعة فأخذوا نابلس وحيفا وقيسارية وصفورية والناصرة وكان ذلك لخلوها من الرجال لان القتل والاسر أفنى كثيرا منهم ولما استقرت قواعد عكا وقسم أموالها وأساراها سار يطلب تبنين فنزل عليها يوم الاحد حادى عشر جمادى الاولى وهى قلعة منيعة فنصب عليها المناجيق وضيق بالزحف خناق من فيها وكان فيها أبطال معدودون وفى دينهم متشددون فقاتلوا قتالا شديدا ونصره الله سبحانه وتعالى عليهم فتسلمها منهم يوم الاحد ثامن عشره عنوة وأسر من بقى فيها بعد القتل ثم رحل عنها الى صيدا فنزل عليها وتسلمها غد نزوله عليها وهو يوم الاربعاء الحادى والعشرين من جمادى الاولى وأقام عليها ريثما قرر قواعدها وسار حتى أتى بيروت فنزل عليها ليلة الخميس الثانى والعشرين من جمادى الاولى وركب عليها المجانيق وداوم الزحف والقتال حتى أخذها فى يوم الخميس التاسع والعشرين من الشهر المذكور وتسلم أصحابه جبيل وهو على بيروت ولما فرغ باله من هذا الجانب رأى قصد عسقلان ولم ير الاشتغال بصور بعد ان نزل عليها ثم رأى ان العسكر تفرق فى الساحل وذهب كل واحد يحصل لنفسه وكانوا قد ضرسوا من القتال وملازمة الحرب والنزال وكان قد اجتمع فى صور من بقى فى الساحل من الفرنج فرأى ان قصده عسقلان أولى لانها أيسر من صور فأتى عسقلان ونزل عليها يوم الاحد السادس عشر من جمادى الآخرة من السنة وتسلم فى طريقه اليها مواضع كثيرة كالرملة والداروم وأقام على عسقلان المناجيق وقاتلها قتالا شديدا وتسلمها يوم السبت سلخ جمادى الآخرة من السنة وأقام عليها الى أن تسلم أصحابه غزة وبيت جبريل والنطرون من غير قتال وكان بين فتح عسقلان وأخذ الفرنج لها من المسلمين خمس وثلاثون سنة فانهم كانوا أخذوها من المسلمين فى السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة هكذا ذكره شيخنا ابن شداد فى السيرة وذكر الشهاب ياقوت الحموى فى كتابه الذى سماه المشترك وضعا المختلف صقعا انهم أخذوها من المسلمين فى رابع عشر جمادى الآخرة من السنة قال ابن شداد لما تسلم عسقلان والاماكن المحيطة بالقدس شمر عن ساق الجد والاجتهاد فى قصد القدس المبارك واجتمعت اليه العساكر التى كانت متفرقة فى الساحل فسار نحوه معتمدا على الله تعالى مفوضا أمره اليه منتهزا الفرصة فى فتح باب الخير الذى حث على انتهازه بقوله صلى الله عليه وسلم من فتح له باب خير فلينتهزه فانه لا يعلم متى يغلق دونه وكان نزوله عليه يوم الاحد الخامس عشر من رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وكان نزوله بالجانب الغربى وكان مشحونا بالمقاتلة من الخيالة والرجالة وحزر أهل الخبرة ممن كان معه من كان فيه من المقاتلة فكانوا يزيدون على ستين ألفا خارجا عن النساء والصبيان ثم انتقل لمصلحة رآها الى الجانب الشمالى فى يوم الجمعة العشرين من رجب ونصب المناجيق وضيق البلد بالزحف والقتال حتى أخذ النقب فى السور مما يلى وادى جهنم ولما رأى أعداء الله ما نزل بهم من الامر الذى لا مدفع له عنهم وظهرت لهم أمارات فتح المدينة وظهور المسلمين عليهم وكان قد اشتد روعهم لما جرى على أبطالهم وحماتهم من القتل والاسر وعلى حصونهم من التخريب والهدم وتحققوا انهم

وثمانين وتسعمائة) ودفن بالمكان الذى عينه داخل البلدة قريبا من جامع السلطان محمد خان حفه الله تعالى بأستار الرحمة والغفران كان المرحوم من الجهابذة القروم طالما جال فى ميدان الفضائل فبرز وأحرز من قصبات السبق فى مضماره ما أحرز أفحم من عارضه بشقاشقه الهادرة وأرغم من عاناه بحقائقه النادرة كثير الاعتناء بدرسه دائم الاشتغال فى يومه وأمسه رفيع القدر شديد الباس عزيز النفس يهابه الناس له شرح الهداية من أول كتاب الوكالة الى آخر الكتاب وحاشية على الشرح الشريفى للمفتاح من أوله الى آخر الفن الثانى وحاشية على أول صدر الشريعة وحاشية التجريد من بحث الماهية ورسائل

المنيفة وعنوان صحيفة فضلهم لا عدم سواد القلم وبياض الصحيفة فما غابوا المحاضر ولا غضوا المناظر بل وصلهم الاحيا كان به موصولا وشاطروه العمل لما كان عنه منقولا ومنه مقبولا وخاص اليهم الى المضاجع فاطمأنت به جنوبها والى الصحائف ما عبقت به جيوبها وفاز منها بذكر لا يزال الليل به سميرا والنهار به بصيرا والشرق يهتدى بانواره بل ان بدا نور من ذاته هتف به الغرب بأن واره فانه نور لا تكنه اغساق السدف وذكر لا تواز يه أوراق الصحف وكتب الخادم هذا وقد أظفر الله بالعدو الذى تشظت قناته وطارت من فرقه فرقا وفل سيفه فصار عصا وصدعت حصاته وكان الا كثر عددا وحصا وكلت حملاته وكان قدرا يضرب فيه العنان بالعنان وعقوبة من الله ليس لصاحب بدنها يدان وعثرت قدمه وكانت الارض لها حليفه وغضت عينه وكانت عيون السيوف دونها كثيفه ونام جفن سيفه وكانت يقظته تريق نطق الكرى من الجفون وجدعت انوف رماحه وطالما كانت شامخة بالمنى أوراعفة بالمنون وأصبحت الارض المقدسة الطاهرة وكانت الطامث والرب الفرد الواحد وكان عندهم الثالث وبيون الكفر مهدومه ونيوب الشرك مهتومه وطوائفه المحامية مجمعة على تسليم القلاع الحامية وشجعانه المتوافية مذعنة لبذل القطائع الوافية لا يرون فى ماء الحديد لهم عصره ولا فى نار الالفة لهم نصره قد ضربت عليهم الذلة والمسكنه وبدل الله مكان السيئة الحسنة ونقل بيت عبادته من أيدى أصحاب المشأمة الى أيدى أصحاب الميمنة وقد كان الخادم لقيهم اللقاة الاولى فأمده الله بمداركته وأنجده بملائكته فكسرهم كسرة ما بعدها جبر وصرعهم صرعة لا ينتعش بعدها بمشيئة الله كفر وأسر منهم من أسرت به السلاسل وقتل منهم من قتلت به المناصل وأجلت المعركة عن صرعى من الخيل والسلاح والكفار وعن المصاف بخيل فالة قتلهم بالسيوف الافلاق والرماح الاكسار فنيلوا بثار من السلاح ونالوه أيضا بثار فكم أهلة سيوف تقارض الضراب بها حتى عادت كالعراجين وكم أنجم قنا تبادلت الطعان حتى صارت كالمطاعين وكم فارسية ركض عليها فارسها الشهم الى أجل فاختلسه وفغرت تلك القوس فاها فاذا فوها قد نهش القران على بعد المسافة وافترسه فكان اليوم مشهودا وكانت الملائكة شهودا وكان الضلال صارخا وكان الاسلام مولودا وكانت ضلوع الكفار لنار جهنم وقودا وأسر الملك وبيده أوثق وثائقه وآكد وصله بالدين وعلائقه وهو صليب الصلبوت وقائد أهل الجبروت ما دهموا قط بامر الاوقام بين دهمائهم يبسط لهم باعه وكان مد اليدين فى هذه الدفعة وداعه لاجرم انهم يتهافت على ناره فراشهم ويجتمع فى ظل ظلاله خشاشهم ويقاتلون تحت ذلك الصليب أصلب قتال وأصدقه ويرونه ميثاقا يبنون عليه أشهد عهد وأوثقه ويعدونه سورا تحفر حوافر الخيل خندقه وفى هذا اليوم أسرت سراتهم وذهبت دهاتهم ولم يفلت منهم معروف الا القومس وكان لعنه الله مليا يوم الظفر بالقتال مليا يوم الخذلان بالاحتيال فنجا ولكن كيف وطار خوفا من ان يلحقه منسر الرمح أو جناح السيف ثم أخذه الله تعالى بعد أيام بيده وأهلكه لموعده فكان لعدتهم فذالك وانتقل من ملك الموت الى مالك وبعد الكسرة مر الخادم على البلاد فطواها بما نشر عليها من الراية العباسية السوداء صبغا البيضاء صنعا الخافقة هى وقلوب أعدائها الغالبة هى وعزائم أوليائها المستضاء بأنوارها اذا فتح عينها النشر وأشارت بانامل العذبات الى وجه النصر فافتتح بلاد كذا وكذا وهذه كلها أمصار ومدن وقد تسمى البلاد بلادا وهى مزارع وفدن كل هذه ذوات معاقل ومعاقر وبحار وجزائر وجوامع ومنابر وجموع وعساكر يتجاوزها الخادم بعد أن يحرزها ويتركها وراءه بعد أن ينتهزها ويحصد منها كفرا ويزرع ايمانا ويحط من جوامعها صلبانا ويرفع اذانا ويبدل المذابح منابر والكنائس مساجد ويبوئ أهل القرآن بعد أهل الصلبان للقتال عن دين الله مقاعد ويقر عينه وعين أهل الاسلام أن يعلق النصر منه ومن عسكره بجار ومجرور وأن يظفر بكل سور ما كان يخاف زلزاله ولا زياله عسرا الى يوم النفخ فى الصور ولما لم يبق الا القدس وقد اجتمع اليه كل شريد منهم وطريد واعتصم بمنعته كل قريب منهم وبعيد وظنوا

مدرسة أمير سلطان فى بروسه بثلاثين ثم مدرسة والده الامير عثمان شاه كلتاهما بقسطنطينية ثم نصب معلما لابناء السلطان سليم خان فى الدار العامرة فلما جلس السلطان مراد خان على سرير السلطنة وقتل مخاديمه على ما هو العادة السلطانية من زمن السلطان محمد خان فاتح قسطنطينية المحمية بقى المرحوم برهة من الزمان فى الذل والهوان مبتلى بالهموم والاحزان ثم قلد قضاء بيت المقدس ثم نقل الى قضاء المدينة المنورة ثم الى قضاء مكة المشرفة ثم عزل عنه وجاء الى قسطنطينية فلم يلبث فى

انهم صائرون الى ما صار أولئك اليه فاستكانوا وأخذوا فى طلب الامان واستقرت القاعدة بالمراسلة من الطائفتين وكان تسليمه يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب وليلته كانت ليلة المعراج المنصوص عليها فى القرآن الكريم فانظر الى هذا الاتفاق الغريب العجيب كيف يسر الله تعالى عوده الى المسلمين فى مثل زمن الاسراء بنبيهم صلى الله عليه وسلم وهذه علامة قبول هذه الطاعة من الله تعالى وكان فتحه عظيما شهده من أهل العلم خلق ومن أرباب الحذق والزهد عالم وذلك ان الناس لما بلغهم ما يسره الله تعالى على يده من فتح الساحل وقصد القدس قصده العلماء من مصر والشام بحيث لم يتخلف أحد منهم وارتفعت الاصوات بالضجيج بالدعاء والتهليل والتكبير وصليت فيه الجمعة يوم فتحه وخطب الخطيب (قلت) وقد تقدم فى ترجمة القاضى محيى الدين محمد بن على المعروف بابن الزكى ذكر الخطبة التى خطب بها ذلك اليوم فيكشف منه ورأيت فى رسالة القاضى الفاضل المعروفة بالقدسية ان الخطبة أقيمت يوم الجمعة رابع شعبان واذ قد ذكرنا فتوح القدس وقد تقدم ذكر الخطبة التى خطب يوم الجمعة بها يليق أن نذكر الرسالة التى كتبها القاضى الفاضل الى الامام الناصر لدين الله أبى العباس أحمد ابن الامام المستضىء بامر الله تتضمن الفتوح فانها بديعة بليغة فى بابها ولم أذكرها بكمالها بل اخترت منها أحسنها وتركت الباقى لانها طويلة وهى أدام الله تعالى أيام الديوان العزيز النبوى ولا زال مظفر الجد بكل جاحد غنيا بالتوفيق عن رأى كل زائد موقوف المساعى عن اقتناء مطلقات المحامد مستيقظا النصر والنصل فى جفنه راقد واردا الجود والسحاب على الارض غير وارد متعدد مساعى الفضل وان كان لا يلقى الا بشكر واحد ماضى حكم العدل بعزم لا يمضى الاينبل غوى ورئيس راشد لا زالت غيوث فضله الى الاولياء أنواء الى المراتع وأنوارا الى المساجد وبعوث رعبه الى الاعداء خيلا الى المراقب وخيالا الى المراتب قد كتب الخادم هذه الخدمة تلو ما صدر عنه مما كان يجرى مجرى التباشير لصبح هذه العزمه والعنوان لكتاب وصف النعمه فانها بحر للاقلام فيه سبح طويل ولطف تحمل الشكر فيه عبء ثقيل وبشرى للخواطر فى شرحها مآرب ويسرى للاسرار فى اظهارها مشارب ولله تعالى فى اعادة شكره رضا وللنعمة الراهنة به دوام لا يقال معه هذا مضى ولقد صارت أمور الاسلام الى أحسن مصايرها واستتبت عقائد أهله على أبين بصائرها وتقلص ظل رجاء الكافر المبسوط وصدق الله أهل دينه فلما وقع الشرط وقع المشروط وكان الدين غريبا فهو الآن فى وطنه والفوز معروضا قد بذلت الانفس فى ثمنه وأمر أمر الحق وكان مستضعفا وأهل ربعه وكان قد عيف حين عفا وجاء أمر الله وأنوف أهل الشرك راغمه وادلجت السيوف الى الآجال وهى نائمة وصدق وعد الله فى اظهار دينه على كل دين واستطارت له أنوار أبانت ان الصباح عند حسان الجبين واسترد المسلمون تراثا كان عنهم آبقا وظفروا يقظة بما لم يصدقوا انهم يظفرون به طيفا على النأى طارقا واستقرت على الاعلى أقدامهم وخفقت على الاقصى اعلامهم وتلاقت على الصخرة قبلهم وشفيت بها وان كانت صخرة قلوبهم كما يشفى الماء غلاتهم ولما قدم الدين عليها عرف منها سويداء قلبه وهنأ كفؤها الحجر الاسود بيت عصمتها من الكافر بحربه وكان الخادم لا يسعى سعيه الا لهذه العظمى ولا يقاسى تلك البؤسى الا رجاء هذه النعمى ولا يناجز من يستملكه فى حربه ولا يعاتب بأطراف القنا من يتمادى فى عتبه الا لتكون الكلمة مجموعة فتكون كلمة الله هى العليا وليفوز بجوهر الآخرة لا بالعرض الادنى من الدنيا وكانت الالسن ربما سلقته فأنضج قلوبها بالاحتقار وكانت الخواطر ربما غلت عليه مراجلها فأطفاها بالاحتمال والاصطبار ومن طلب خطيرا خاطر ومن رام صفقة رابحة جاسر ومن سما لأن يجلى غمرة غامر والافان العقود تلين تحت نيوب الاعداء المعاجم فيعضها ويضعف فى أيديها مهز القوائم فيفضها هذا الى كون القعود لا يقضى به فرض الجهاد ولا يراعى به حق فى العباد ولا يوفى به واجب التقليد الذى تطوقه الخادم من أئمة قضوا بالحق وكانوا يعدلون وخلفا كانوا فى مثل هذا اليوم يتساءلون لاجرم أنهم أورثوا سرهم وسريرهم خلفهم الاطهر ونجلهم الاكبر وبقيتهم الشريفة وطليعتهم

على مواضع أخر وقد كان رحمه الله أيام قضائه بالعسكر ثانيا سن سنة جميلة حسنة جليلة وهو تقديم قضاة العسكر على غير الوزراء وأمير الامراء فى الولايتين فقط وكان قبل ذلك يتقدم عليهم كل من كان أمير الامراء فى الممالك وبالجملة كان رحمه الله عين الاعيان وقدوة الزمان وفارس الميدان غير ان فيه من التهور المفرط والحدة ما زاد على المعتاد ستره الله تعالى بفضله يوم التناد

(ومنهم العالم الامجد مولانا أحمد المشهور بعظلوم ملك)

كان رحمه الله من ملازمى المولى جعفر من جملة الصدور فى الدولة السليمانية ودرس أولا بمدرسة ابراهيم باشا بعشرين ثم مدرسة ابن باباس بخمسة وعشرين وكلتاهما بقسطنطينية ثم

انها من الله مانعتهم وان كنيستها الى الله سبحانه شافعتهم فلما نازلها الخادم رأى بلدا كبلاد وجمعا كيوم التناد وعزائم قد تألبت وتألفت على الموت فنزلت بعرصته وهان عليها مورد السيف وأن تموت بغصته فزاول البلد من جانب فاذا أودية عميقه ولجج وعر غريقه وسور قد انعطف عطف السوار وأبرجة قد نزلت مكان الواسطة من عقد الدار فعدل الى جهة أخرى كان للمطالع عليها معرج وللخليل فيها مفرج فنزل عليها وأحاط بها وقرب منها وضرب خيمته بحيث يناله السلاح باطرافه ويزاحمه السور بأكتافه وقابلها ثم قاتلها ونزلها ثم نازلها وحاجزها ثم ناجزها وضمها ضمة ارتقب بعدها الفتح وصدع جمعها فاذا هم لا يبصرون على عبودية الحد عن عتق الصفح فراسلوه ببذل قطيعة الى مده وقصدوا نظرة من شدة وانتظار النجده فعرفهم الخادم فى لحن القول وأجابهم بلسان الطول وقدم المنجنيقات التى تتولى عقوبات الحصون عصيها وحبالها وأوتر لهم قسيها التى ترمى ولا تفارقها سهامها ولكن تفارق سهامها نصالها فصافحت السور فاذا سهمها فى ثنايا شرفاتها سوالك وقدم النصر شرا من المنجنيق يخلد اخلاده الى الارض ويعلو علوه الى السماك فشج مرادع ابراجها واسمع صوت عجيجها صم اعلاجها ورفع منار عجاجها فاخلى السور من السياره والحرب من النظاره وأمكن النقاب أن يسفر للحرب النقاب وأن يعيد الحجر الى سيرته الاولى من التراب فتقدم الى الصخر فمضغ سربه بانياب معموله وحل عقده بضربه الاخرق الدال على لطافة الانمله واسمع الصخرة الشريفة أنينه باستغاثته الى أن كادت ترق لقلبته وتبرأ بعض الحجارة من بعض وأخذ الخراب عليها موثقا فلن يبرح الارض وفتح من السور بابا سد من نجاتهم أبوابا وأخذ ينقب فى حجره فقال عنده الكافر ياليتنى كنت ترابا فحينئذ يئس الكفار من أصحاب الدور كما يئس الكفار من أصحاب القبور وجاء أمر الله وغرهم بالله الغرور وفى الحال خرج طاغية كفرهم وزمام أمرهم ابن بارزان سائلا أن يؤخذ البلد بالسلام لا بالعنوه وبالامان لا بالسطوه وألقى بيده الى التهلكه وعلاه ذل الهلكة بعد عز المملكه وطرح جنبه على التراب وكان جنبا لا يتعاطاه طارح وبذل مبلغا من القطيعة لا يطمح اليها أهل طامح وقال ههنا أسارى مسلمون يتجاوزون الالوف وقد تعاقد الفرنج على انهم ان هجمت عليهم الدار وحملت الحرب على ظهورهم الاوزار بدأ بهم فعجلوا وثنوا بنساء الفرنج وأطفالهم فقتلوا ثم استقتلوا فلا يقتل خصم الابعد أن ينتصف ولا ينفك سيف من يد الا بعد أن تقطع أو ينقصف فاشار الامراء باخذ الميسور من البلد المأسور فانه لو أخذ حربا فلا بد أن يقتحم الرجال الانجاد وتبذل نفوسها فى آخر أمر قد نيل من أوله المراد وكانت الجراح فى العساكر قد تقدم منها ما اعتقل الفتكات وأثقل الحركات فقبل منهم المبذول عن يد وهم صاغرون وانصرف أهل الحرب عن قدرة وهم ظاهرون وملك الاسلام خطة كان عهده بها دمنة سكان فخدمها الكفر الى أن صارت روضة جنان لا جرم أن الله تعالى أخرجهم منها وأهبطهم وأرضى أهل الحق وأسخطهم فانهم خذلهم الله حموها بالاسل والصفاح وبنوها بالعمد والصفاح واودعوا الكنائس بها وبيوت الديوية والاستبارية فيها بكل غريبة من الرخام الذى لا يطرد ماؤه ولا يتطرد لألاؤه قد لطف الحديد فى تجزيعه وتفنن فى توشيعه الى أن صار الحديد الذى فيه بأس شديد كالذهب الذى فيه نعيم عتيد فما ترى الا مقاعد كالرياض لها من بياض الترخيم رقراق وعمدا كالاشجار لها من التنبيت أوراق وأوعز الخادم برد الاقصى الى عهده المعهود وأقام له من الائمة من يوفيه ورده المورود وأقيمت الخطبة يوم الجمعة رابع شعبان فكادت السموات يتفطرن للنجوم لا للوجوم والكواكب منها تنتثر للطرب لا للرجوم ورفعت الى الله كلمة التوحيد وكانت طريقها مسدودة وظهرت قبور الانبياء وكانت بالنجاسات مكدوده وأقيمت الخمس وكان التثليث يقعدها وجهرت الالسنة بالله أكبر وكان سحر الكفر يعقدها وجهر باسم أمير المؤمنين فى وطنه الاشرف من المنبر فرحب به ترحيب من بر بمن بر وخفق علماه فى حفافيه فلو طار سرورا لطار بجناحيه وكتاب الخادم وهو مجد فى استفتاح بقية الثغور واستشراح ماضاق بمنادى الحرب من الصدور فان قوى العساكر قد استنفدت مواردها وأيام الشتاء قد أوردت

هذه الخطيرة الامدة يسيرة وانتقل الى رحمة ربه الكثيرة (وذلك سنة تسع وثمانين وتسعمائة) كان رحمه الله عالما عاملا نصيحا حازما جيد العقيدة صاحب الاخلاق الجيدة مع كمال السكينة والوقار والاتعاظ والاعتبار عامله الله تعالى بلطفه فى دار القرار

(ومن سلالة أرباب المجد والجدود عبد الواسع بن محمد بن المولى أبى السعود) نشأ رحمه الله منظور أنظار جده العالية فظفر من المعالى بما لا يمكن تحصيله بالاثمان الغالية ودرس أولا بمدرسة محمود باشا لا بسعيه وجده بل تشريفا لجانب جده ثم نقل الى

مواردها والبلاد المأخوذة المشار اليها قد جاست العساكر خلالها ونهبت ذخائرها وأكلت غلالها فهى بلاد ترفد ولا تسترفد وتجم ولا تستنفد ينفق عليها ولا ينفق منها وتجهز الاساطيل لبحرها وتقام المرابط بساحلها ويدأب فى عمارة أسوارها ومرمات معاقلها وكل مشقة بالاضافة الى نعمة الفتح محتملة واطماع الفرنج بعد ذلك غير مرجئة ولا معتزله فان يدعوا دعوة يرجو الخادم من الله انها لا تسمع ولن يفكوا أيديهم من أطراف البلاد حتى تقطع وهذه البشائر لها تفاصيل لا تكاد من غير الالسنة تتشخص ولا بما سوى المشافهة تتخلص فلذلك نفذ الخادم لسانا شارحا ومبشرا صادحا يطالع بالخبر على سياقته ويعرض جيش المسرة من طليعته الى ساقته وهو فلان والله الموفق * هذا آخر الرسالة الفاضلية وكان فى عزمى اختصارها والاقتصار على محاسنها فلما شرعت فيها قلت فى نفسى عسى ان يقف عليها من يؤثر الوقوف على جميعها فاكملتها ورجعت عن الرأى الاول وهى قليلة الوجود فى أيدى الناس وكانت النسخة التى نقلتها سقيمة ولقد اجتهدت فى تحريرها حتى صحت هذه الصورة حسب الامكان وقد عمل عماد الدين الاصبهانى الكاتب رسالة فى فتح القدس أيضا فلم أر التطويل بكتابتها فتركتها وجمع كتابا سماه الفتح القيسى فى الفتح القدسى وهو فى مجلدين ذكر فيه جميع ما جرى فى هذه الواقعة ورأيت منذ زمان رسالة مليحة انشأها ضياء الدين أبو الفتح نصر الله المعروف بابن الاثير الجزرى رحمه الله تعالى المقدم ذكره فى حرف النون تتضمن فتح القدس أيضا وكل واحد من أرباب صناعة الانشاء كان يريد أن يمتحن خاطره بما يعمل فى ذلك والقاضى الفاضل رئيس هذا الفن واذا شرع فى شئ من هذا الباب لا يستطيع أحد أن يجاريه ولا يباريه فلهذا أتيت برسالته ورفضت غيرها خوف الاطالة وكان قد حضر الرشيد أبو محمد عبد الرحمن بن بدر بن الحسن بن مفرج النابلسى الشاعر المشهور هذا الفتح فانشد السلطان صلاح الدين قصيدته المشهورة التى أولها

هذا الذى كانت الايام[٣] تنتظر * فليوف لله اقوام بما نذروا

وهى طويلة تزيد على مائة بيت يمدحه ويهنيه بالفتح واذ قد نجز المطلوب من هذا الامر فلنرجع الى تتمة ماذكره شيخنا بهاء الدين بن شداد فى السيرة الصلاحية قال ونكس الصليب الذى كان على قبة الصخرة وكان شكلا عظيما ونصر الله الاسلام على يده نصرا عزيزا قلت وقد تقدم فى ترجمة ارتق طرف من اخبار القدس وان الافضل أمير الجيوش بمصر أخذه من ولديه سقمان وايلغازى ثم ان الفرنج استولوا عليه يوم الجمعة الثالث والعشرين من شعبان سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة وقيل فى ثانى شعبان وقيل يوم الجمعة السادس والعشرين من شهر رمضان من السنة ولم يزل بايديهم حتى استنقذه صلاح الدين فى التاريخ المذكور (نعود الى كلام ابن شداد) وكانت قاعدة الصلح انهم قطعوا على أنفسهم عن كل رجل عشرين دينارا وعن كل امرأة خمسة دنانير صورية وعن كل ذكر صغير أو أنثى دينارا واحدا فمن احضر قطيعته نجا بنفسه والا أخذ أسيرا وافرج عمن كان بالقدس من اسارى المسلمين وكانوا خلقا عظيما وأقام به يجمع الاموال ويفرقها على الامراء والرجال ويحبو بها الفقهاء والعلماء والزهاد والوافدين عليه وتقدم بايصال من أقام بقطيعته الى مأمنه وهى مدينة صور ولم يرحل عنه ومعه من المال الذى جبى له شئ وكان يقارب مائتى ألف دينار وعشرين ألف دينار وكان رحيله عنه يوم الجمعة الخامس والعشرين من شعبان من السنة ولما فتح القدس حسن عنده فتح صور وعلم انه ان أخر أمرها ربما عسر عليه فسار نحوها حتى أتى عكا فنزل عليها ونظر فى أمورها ثم رحل عنها متوجها الى صور فى يوم الجمعة خامس شهر رمضان من السنة فنزل قريبا منها وأرسل لاحضار آلات القتال ولما تكاملت عنده نزل عليها فى ثانى عشر الشهر المذكور وقاتلها وضايقها قتالا عظيما واستدعى اسطول مصر فكان يقاتلها فى البر والبحر ثم سير من حاصر هونين فسلمت فى الثالث والعشرين من شوال من السنة ثم خرج أصطول صور فى الليل فكبس أصطول المسلمين وأخذوا المقدم والرئيس وخمس قطع للمسلمين وقتلوا خلقا كثيرا من رجال المسلمين وذلك فى السابع والعشرين من الشهر المذكور وعظم ذلك على السلطان وضاق صدره وكان الشتاء قد هجم وتراكمت الامطار واستشارهم فيما

مدرسة السلطان محمد خان بجوار أبى أيوب الانصارى عليه رحمة الملك البارى ثم احدى المدارس الثمان ثم مدرسة السلطان سليم خان بقسطنطينية المحمية ثم الى احدى المدارس السليمانية ثم الى مدرسة السلطان سليم خان بمدينة أدرنه (توفى بها سنة تسعين وتسعمائة) كان المرحوم مشاركا فى العلوم ذا عقل سليم وذهن مستقيم حسن الاخلاق طيب الاعراق كثير التلطف مطروح التكلف كتب الخط الحسن النادر الجميل عامله الله تعالى بلطفه الجزيل

*(وممن خاض فى غمار عباب الحقائق على غرر

[٣] قوله الايام فى نسخة الآمال اه

يفعلون فاشاروا عليه بالرحيل لتستريح الرجال و يجتمعوا للقتال فرحل عنها وحملوا من آلات الحصار ما أمكن وحرقوا الباقي الذي عجزوا عن حمله لكثرة الوحل والمطر وكان رحيله يوم الاحد ثاني ذي القعدة من السنة وتفرقت العساكر وأعطى كل طائفة منها دستورا وسار كل قوم الى بلادهم وأقام هو مع جماعة من خواصه بمدينة عكا الى ان دخلت سنة أربع وثمانين وخمسمائة ثم نزلوا على كوكب في أوائل المحرم من السنة ولم يبق معه من العسكر الا القليل وكان حصنا حصينا وفيه الرجال والاقوات فعلم انه لا يؤخذ الا بقتال شديد فرجع الى دمشق ودخلها في سادس عشر ربيع الاول من السنة قال ابن شداد ولما كان على كوكب وصلت الى خدمته ثم فارقته ومضيت الى زيارة القدس والخليل عليه السلام ودخلت دمشق يوم دخول السلطان اليها (قلت وقد ذكرت هذا في ترجمته) وأقام بدمشق خمسة أيام ثم بلغه ان الفرنج قصدوا جبيل واغتالوها فخرج مسرعا وكان قد سير يستدعي العساكر من جميع المواضع وسار يطلب جبيل فلما عرف الفرنج بخروجه كفوا عن ذلك وكان بلغه وصول عماد الدين صاحب سنجار ومظفر الدين بن زين الدين وعسكر الموصل الى حلب قاصدين بخدمته والغزاة معه فسار نحو حصن الاكراد قال ابن شداد في السيرة انه اتصل بخدمة السلطان في مستهل جمادى الاولى من سنة أربع وثمانين وجميع ما ذكرته بروايتي عمن أثق به ومن ههنا ما اسطر الا ما شاهدته أو اخبرني به من اثق به خبرا يقارب العيان قال لما كان يوم الجمعة رابع جمادى الاولى دخل السلطان بلاد العدو على تعبية حسنة ورتب الاطلاب وسارت الميمنة أولا ومقدمها عماد الدين زنكي والقلب في الوسط والميسرة في الاخير ومقدمها مظفر الدين فوصل الى انطرسوس ضاحي نهار الاحد سادس جمادى الاولى فوقف قبالتها ينظر اليها لان قصده كان جبلة فاستهان أمرها فسير من رد الميمنة وأمرها بالنزول على جانب البحر والميسرة على الجانب الآخر ونزل هو موضعه والعساكر محدقة بها من البحر الى البحر وهي مدينة راكبة على البحر ولها برجان كالقلعتين فركبوا وقاربوا البلد وزحفوا واشتد القتال وباغتوها فما استتم نصب الخيام حتى صعد المسلمون سورها وأخذوها بالسيف وغنم المسلمون جميع ما فيها وما بها وأحرق البلد وأقام عليها الى رابع عشر جمادى الاولى وسلم أحد البرجين الى مظفر الدين فما زال يحاربه حتى أخربه واجتمع به ولده الملك الظاهر لانه كان قد طلبه فجاء في عسكر عظيم ثم سار يريد جبلة وكان وصوله اليها في ثاني عشر جمادى الاولى فما استتم نزول العسكر حتى أخذ البلد وكان فيه مسلمون مقيمون وقاض يحكم بينهم وقوتلت القلعة قتالا شديدا ثم سلمت بالامان في يوم السبت تاسع عشر جمادى الاولى من السنة وأقام عليها الى الثالث والعشرين منه ثم سار عنها الى اللاذقية وكان نزوله عليها يوم الخميس الرابع والعشرين من جمادى الاولى وهو بلد خفيف على القلب غير مسوّر وله مينا مشهور وله قلعتان متصلتان على تل يشرف على البلد واشتد القتال الى آخر النهار فأخذ البلد دون القلعتين وغنم الناس منه غنيمة عظيمة لانه كان بلد التجار وجدوا في أمر القلعتين بالقتال والنقوب حتى بلغ طول النقب ستين ذراعا وعرضه أربعة أذرع فلما رأى أهل القلعتين الغلبة لاذوا يطلبون الامان وذلك في عشية يوم الجمعة الخامس والعشرين من الشهر والتمسوا الصلح على سلامة نفوسهم وذراريهم ونسائهم وأموالهم ما خلا الغلال والذخائر والسلاح وآلات الحرب فاجابهم الى ذلك ورفع العلم الاسلامي عليها يوم السبت وأقام عليها الى يوم الاحد السابع والعشرين من الشهر فرحل عنها الى صهيون فنزل عليها يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من الشهر واجتهد في القتال فأخذ البلد يوم الجمعة ثاني جمادى الاخرى ثم تقدموا الى القلعة وصدقوا القتال فلما عاينوا الهلاك طلبوا الامان فأجابهم اليه بحيث يؤخذ من الرجل عشرة دنانير ومن المرأة خمسة دنانير ومن كل صغير ديناران الذكر والانثى سواء وأقام السلطان بهذه الجهة حتى أخذ عدة قلاع منها بلاطس وغيرها من الحصون المنيعة المتعلقة بصهيون ثم رحل عنها وأتى بكاس وهي قلعة حصينة على العاصي ولها نهر يخرج من تحتها وكان النزول عليها يوم الثلاثاء سادس جمادى الاخرى وقاتلوها قتالا شديدا الى يوم الجمعة تاسع الشهر ثم يسر الله فتحها عنوة فقتل أكثر من بها وأسر الباقون وغنم المسلمون

خصائص الدقائق المولى محمد بن نور الله المشتهر بأخي زاده)* كان أبوه المزبور من القضاة الحاكمين في القصبات والنسبة المزبورة الى جده من جهة أمه المولى أخي يوسف التوقاتي محشي صدر الشريعة نشأ رحمه الله مشيد الاركان حقائق المعاني ومعمر البنيان دقائق المباني الى أن تدرج مراقي المعالي والمآثر وتطلع الى ذرا الفضائل والمفاخر وصاحب الاخيار ولازم الكبار الى أن سحب اذيال المجد والفخار قرأ مدة على المولى شمس الدين المعروف بعرب چلبي فحصل عنده ما حصل وبلغ مبلغ الكمل ثم تحرك على

جميع ما كان فيها ولها قلعة تسمى الشقراء وهي في غاية المنعة يعبر اليها منها بجسر وليس عليها طريق فسلطت المناجيق عليها من جميع الجوانب ورأوا انهم لا ناصر لهم فطلبوا الامان وذلك يوم الثلاثاء ثالث عشر الشهر ثم سألوا المهلة ثلاثة أيام فأمهلوا وكان تمام فتحها وصعود العلم السلطاني على قلعتها يوم الجمعة سادس عشر الشهر ثم سار الى برزية وهي من الحصون المنيعة في غاية القوة يضرب بها المثل في بلاد الفرنج يحيط بها أودية من جميع جوانبها وعلوها خمسمائة ونيف وسبعون ذراعا وكان نزوله عليها يوم السبت الرابع والعشرين من الشهر ثم أخذها عنوة يوم الثلاثاء السابع والعشرين منه ثم سار الى دربساك فنزل عليها يوم الجمعة ثامن رجب وهي قلعة منيعة وقاتلها قتالا شديدا ورفع العلم الاسلامي عليها يوم الجمعة الثاني والعشرين من رجب واعطاها الامير علم الدين سليمان بن حيدر وسار عنها بكرة السبت الثالث والعشرين من الشهر ونزل على بغراس وهي قلعة حصينة بالقرب من انطاكية وقاتلها مقاتلة شديدة وصعد العلم الاسلامي عليها في ثاني شعبان وراسله أهل انطاكية في طلب الصلح فصالحهم لشدة ضجر العسكر من الانكار وكان الصلح معهم لا غير على ان يطلقوا كل أسير عندهم والصلح الى سبعة أشهر فان جاءهم من ينصرهم والا سلموا البلد ثم رحل السلطان فسأله ولده الملك الظاهر صاحب حلب ان يجتاز به فاجابه الى ذلك فوصل حلب في حادي عشر شعبان وأقام بالقلعة ثلاثة أيام وولده يقوم بالضيافة حق القيام وسار من حلب فاعترضه تقي الدين عمر ابن أخيه واصعده الى قلعة حماة وصنع له طعاما وأحضر له سماعا من جنس ما تعمل الصوفية وبات فيها ليلة واحدة واعطاه جبلة واللاذقية وسار على طريق بعلبك ودخل دمشق قبل شهر رمضان بايام يسيرة ثم سار في أوائل شهر رمضان يريد صفد فنزل عليها ولم يزل القتال حتى تسلمها بالامان في رابع عشر شوال وفي شهر رمضان المذكور سلمت الكرك سلمها نواب صاحبها وخلصوه بذلك فانه كان أسيرا من نوبة حطين (قلت هكذا ذكره وهذا لا ينتظم مع ما قبله فقد تقدم قبل هذا ان البرنس ارباط صاحب الكرك والشوبك أسر في وقعة حطين ثم قتله السلطان بيده فيكشف عن هذا في مكان آخر ليحقق) قال ثم سار الى كوكب وضايقوها وقاتلوها مقاتلة شديدة والامطار متوالية والوحول والرياح عاصفة والعدو متسلط لعلو مكانه فلما تيقنوا انهم مأخوذون طلبوا الامان فاجابهم اليه وتسلمها منهم في منتصف ذي القعدة من السنة ثم نزل الغور وأقام بالمخيم بقية الشهر وأعطى الجماعة دستورا وسار مع أخيه العادل يريد زيارة القدس ووداع أخيه لانه كان متوجها الى مصر ودخل القدس في ثامن ذي الحجة وصلى بها العيد وتوجه في حادي عشر ذي الحجة الى عسقلان لينظر الى أمورها وأخذها من أخيه العادل وعوّضه عنها الكرك ثم مر على بلاد الساحل يتفقد أحوالها ثم دخل عكا فاقام بها معظم المحرم من سنة خمس وثمانين وأصلح أمورها ورتب بها الامير بهاء الدين قراقوش واليا وأمره بعمارة سورها وسار الى دمشق فدخلها في مستهل صفر من السنة وأقام بها الى شهر ربيع الاول من السنة ثم خرج الى شقيف أرنون وهو موضع حصين قريب في مرج عيون بالقرب من الشقيف في سابع عشر شهر ربيع الاول وأقام أياما يباشر قتاله كل يوم والعساكر تتواصل اليه فلما تحقق صاحب الشقيف انه لا طاقة له به نزل اليه بنفسه فلم يشعر به الا وهو قائم على باب خيمته فاذن له في دخوله اليه وأكرمه واحترمه وكان من أكابر الفرنج وعقلائهم وكان يعرف بالعربية وعنده اطلاع على شيء من التواريخ والاحاديث وكان حسن التأني لما حضر بين يدي السلطان وأكل معه الطعام ثم خلا به وذكر انه مملوكه وتحت طاعته وانه يسلم اليه المكان من غير تعب واشترط أن يعطى موضعا يسكنه بدمشق فانه بعد ذلك لا يقدر على مساكنة الفرنج واقطاعا يقوم به وباهله وشروطا غير ذلك فاجابه الى ذلك وفي اثناء شهر ربيع الاول وصله الخبر بتسليم الشوبك وكان السلطان قد اقام عليها جمعا يحاصرونه مدة سنة كاملة الى أن نفد زاد من كان فيه فسلموه بالامان ثم ظهر للسلطان بعد ذلك ان جميع ما قاله صاحب الشقيف كان خديعة فرسم عليه ثم ظهر له ان الفرنج قصدوا عكا ونزلوا عليها يوم الاثنين ثالث عشر رجب سنة خمس وثمانين وفي ذلك اليوم سير صاحب الشقيف الى دمشق بعد الاهانة الشديدة وأتى عكا ودخلها بغتة ليقوي قلوب من بها وسير

الوجه المعهود والسنن الموجود ثم قرأ على المولى عبد الباقي وهو في احدى المدارس الثمان ثم على المولى ٣ أحد صدور هذا الزمان ثم صار ملازما من المولى خير الدين معلم السلطان سليمان ثم درس بمدرسة بري باشا بسلوري بخمسة وعشرين ثم مدرسة الجامع العتيق بمدينة أدرنه بثلاثين ولما بنى الوزير الكبير رستم باشا مدرسته الكائنة بقصبة خيره بولي نقل المرحوم اليها بأربعين لامتيازه

٣ قوله ثم على المولى أحد الخ سقط اسمه من الاصل الذي بايدينا

استدعى العساكر من كل ناحية فجاءته وكان العدو بمقدار ألفى فارس وثلاثين ألف راجل ثم تكاثر الفرنج واستفحل أمرهم وأحاطوا بعكا ومنعوا من يدخل اليها ويخرج وذلك يوم الخميس سلخ رجب فضاق صدر السلطان لذلك ثم اجتهد فى فتح الطريق اليها لتستمر السابلة بالميرة والنجدة وشاور الامراء فاتفقوا على مضايقة العدو لينفتح الطريق ففعلوا ذلك وانفتح الطريق وسلكه المسلمون ودخل السلطان عكا فأشرف على أمورها ثم جرى بين الفريقين مناوشات فى عدة أيام وتأخر الناس الى تل العياضية وهو مشرف على عكا وفى هذه المنزلة توفى الامير حسام الدين طمان المقدم ذكره فى هذه الترجمة وذلك ليلة نصف شعبان سنة خمس وثمانين وخمسمائة وكان من الشجعان ثم ان شيخنا ابن شداد ذكر بعد هذا وقعات ليس لنا غرض فى ذكرها وتطول هذه الترجمة باستيفاء الكلام فيها اذليس الغرض سوى المقاصد لا غير وانما ذكرت فتوحات هذه الحصون لان الحاجة قد تدعو الى الوقوف على تواريخها مع أنى لم أذكر الا ما يكثر التطلع الى الوقوف عليه واضربت عن الباقى قال ابن شداد سمعت السلطان ينشد وقد قيل له ان الوخم قد عظم بمرج عكا وان الموت قد فشا فى الطائفتين

اقتلونى ومالكا * واقتلوا مالكا معى

يريد بذلك انه قد رضى أن يتلف كما أتلف الله أعداءه (قلت) وهذا البيت له سبب يحتاج الى شرح وذلك ان مالك بن الحرث المعروف بالاشتر النخعى كان من الابطال المشهورة وهو من خواص أصحاب على بن أبى طالب رضى الله عنه تماسك فى يوم وقعة الجمل المشهورة هو وعبد الله بن الزبير بن العوام وكان أيضا من الابطال وابن الزبير يومئذ مع خالته عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها وطلحة والزبير رضى الله عنهم وكانوا يحاربون عليا رضى الله عنه فلما تماسكا صار كل واحد منهما اذا قوى على صاحبه جعله تحته وركب صدره وفعلا ذلك مرارا وابن الزبير ينشد

اقتلونى ومالكا * واقتلوا مالكا معى

يريد الاشتر النخعى هذه خلاصة القول فى ذلك وان كانت القصة طويلة وهى فى التواريخ مبسوطة وقال عبد الله بن الزبير لاقيت الاشتر النخعى يوم الجمل فما ضربته ضربة حتى ضربنى ستا أو سبعا ثم أخذ برجلى وألقانى فى الخندق وقال والله لولا قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجتمع منك عضو الى عضو أبدا وقال أبو بكر بن أبى شيبة أعطت عائشة رضى الله عنها الذى بشرها بسلامة ابن الزبير لما لاقى الاشتر النخعى عشرة آلاف درهم وقيل أيضا ان الاشتر دخل على عائشة رضى الله عنها بعد وقعة الجمل فقالت له يا اشتر أنت الذى أردت قتل ابن أختى يوم الوقعة فأنشدها

أعائش لولا انى كنت طاويا * ثلاثا لالفيت ابن أختك هالكا

غداة ينادى والرماح تنوشه * بآخر صوت اقتلونى ومالكا

فنجاه منى أكله وشبابه * وخلوة جوف لم يكن متماسكا

وقال زهير بن قيس دخلت مع عبد الله بن الزبير الحمام فاذا فى رأسه ضربة لو صب فيها قارورة دهن لاستقر فقال لى أتدرى من ضربنى هذه الضربة قلت لا قال ابن عمك الاشتر النخعى (رجعنا الى ما كنا فيه) قال ابن شداد ثم ان الفرنج جاءهم الامداد من داخل البحر واستظهروا على الجماعة الاسلامية بعكا وكان فيهم الامير سيف الدين على بن أحمد المعروف بالمشطوب الهكارى والامير بهاء الدين قراقوش الخادم الصلاحى وضايقوهم أشد المضايقة الى ان غلبوا على حفظ البلد فلما كان يوم الجمعة سابع عشر جمادى الاخرى من سنة سبع وثمانين وخمسمائة خرج من عكا رجل عوام ومعه كتب من المسلمين يذكرون حالهم وما هم فيه وانهم قد تيقنوا الهلاك ومتى أخذوا البلد عنوة ضربت رقابهم وانهم صالحوا على ان يسلموا البلد وجميع ما فيه من الآلات والاسلحة والمراكب ومائتى ألف دينار وخمسمائة أسير مجاهيل ومائة أسير معينين من جهتهم وصليب الصلبوت على ان يخرجوا بأنفسهم سالمين وما معهم من الاموال والاقمشة المختصة بهم وذراريهم ونسائهم وضمنوا للمركيس لانه كان الواسطة فى هذا الامر أربعة آلاف دينار ولما وقف السلطان على الكتب المشار اليها أنكر ذلك انكارا عظيما وعظم عليه هذا الامر وجمع أهل الرأى من

بفضيلته التامة عند الخاصة والعامة ثم قلد مدرسة خير الدين باشا بظاهر قسطنطينية المحمية فى الموضع المعروف بيشك طاش بخمسين ثم عزل ثم قلد مدرسة سليمان باشا بازنيق ثم نقل الى احدى المدارس الثمان ثم الى مدرسة السلطان محمد بن السلطان سليمان خان ثم قلد قضاء حلب ثم نقل الى قضاء بروسه ثم الى قضاء أدرنه ثم صار قاضيا بالعساكر المنصورة بولاية اناطولى المعمورة ثم تقاعد عنه بوظيفة مثله ثم قلد تدريس دار الحديث السليمانية وزيد على وظيفته ستون درهما فدام فيها على

أكابر دولته وشاورهم فيما يصنع واضطربت آراؤه وتقسم فكره وتشوش حاله وعزم على أن يكتب فى تلك الليلة مع العوام وينكر عليهم المصالحة على هذا الوجه وهو يتردد فى هذا فلم يشعر الا وقد ارتفعت اعلام العدو وصلبانه وناره وشعاره على أسوار البلد وذلك فى ظهيرة يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة من السنة وصاح الفرنج صيحة عظيمة واحدة وعظمت المصيبة على المسلمين واشتد أمرهم وحزنهم ووقع فيهم الصياح والعويل والبكاء والنحيب ثم ذكر ابن شداد بعد هذا ان الفرنج خرجوا من عكا قاصدين عسقلان ليأخذوها وساروا على الساحل والسلطان وعساكره قبالتهم الى أن وصلوا الى أرسوف وكان بينهما قتال عظيم ونال المسلمين منه وهن شديد ثم ساروا على تلك الهيئة تتمة عشر منازل من مسيرهم من عكا وأتى السلطان الرملة وأتاه من أخبره بأن القوم على عزم عمارة يافا وتقويتها بالرجال والعدد والآلات فأحضر السلطان أرباب مشورته وشاورهم فى أمر عسقلان وهل الصواب خرابها أم ابقاؤها فاتفقت آراؤهم أن يبقى الملك العادل قبالة العدو ويتوجه السلطان بنفسه ويخربها خوفا من ان يصل العدو اليها ويستولى عليها وهى عامرة ويأخذ بها القدس وينقطع بها طريق مصر وامتنع العسكر من الدخول وخافوا مما جرى على المسلمين بعكا ورأوا ان حفظ القدس أولى فتعين خرابها من عدة جهات وكان هذا الاجتماع يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان سنة سبع وثمانين وخمسمائة فسار اليها سحرة الاربعاء ثامن عشر الشهر قال ابن شداد وتحدث معى فى معنى خرابها بعد ان تحدث مع ولده الملك الافضل فى أمرها أيضا ثم قال لان أفقد ولدى جميعهم أحب الى من أن أهدم منها حجرا ولكن اذا قضى الله تعالى ذلك وكان فيه مصلحة للمسلمين فما الحيلة فى ذلك قال ولما اتفق الرأى على خرابها أوقع الله تعالى فى نفسه ذلك وان المصلحة فيه لعجز المسلمين عن حفظها وشرع فى خرابها سحرة يوم الخميس التاسع عشر من شعبان من السنة وقسم السور على المسلمين وجعل لكل أمير من العسكر بدنة معلومة وبرجا معينا يخربونه ودخل الناس البلد ووقع فيهم الضجيج والبكاء وكان بلدا خفيفا على القلب محكم الاسوار عظيم البناء مرغوبا فى سكنه فلحق الناس على خرابه حزن عظيم وعظم عويل أهل البلد عليه لفراقهم أوطانهم وشرعوا فى بيع ما لا يقدرون على حمله فباعوا ما يساوى عشرة آلاف بدرهم وباعوا اثنى عشر طير دجاج بدرهم واحد واختلط البلد وخرج الناس بأهلهم وأولادهم الى المخيم وتشتتوا فذهب قوم منهم الى مصر وقوم الى الشام وجرت عليهم أمور عظيمة واجتهد السلطان وأولاده فى خرابها كى لا يسمع العدو فيسرع اليه ولا يمكن من خرابها وبات الناس على أصعب حال وأشد تعب مما قاسوه فى خرابها وفى تلك الليلة وصل من جناب الملك العادل من أخبر ان الفرنج تحدثوا معه فى الصلح وطلبوا جميع البلاد الساحلية فرأى السلطان ان فى ذلك مصلحة لما علم من نفوس الناس من الضجر من القتال وكثرة ما عليهم من الديون وكتب اليه يأذن له فى ذلك وفوض الامر الى رأيه واصبح يوم الجمعة العشرين من شعبان وهو مصر على الخراب واستعمل الناس عليه وحثهم على العجلة فيه وأباحهم ما فى القرى الذى كان على الميرة مذخورا خوفا من هجوم الفرنج والعجز عن نقله وأمر باحراق البلد فأضرمت النيران فى بيوته وكان سورها عظيما ولم يزل الخراب يعمل فى البلد الى سلخ شعبان من السنة واصبح يوم الاثنين مستهل شهر رمضان أمر ولده الملك الافضل ان يباشر ذلك بنفسه وخواصه ولقد رأيته يحمل الخشب بنفسه لاجل الاحراق وفى يوم الاربعاء ثالث شهر رمضان أتى الرملة ثم خرج الى لد وأشرف عليها وأمر باخرابها واخراب قلعة الرملة ففعل ذلك وفى يوم السبت ثالث عشر رمضان تأخر السلطان بالعسكر الى جهة الجبل ليتمكن الناس من تسيير دوابهم لاحضار ما يحتاجون اليه ودار السلطان حول النطرون وهى قلعة منيعة فأمر باخرابها وشرع الناس فى ذلك ثم ذكر ابن شداد بعد هذا ان الانكتار وهو من أكابر ملوك الافرنج سير رسوله الى الملك العادل يطلب الاجتماع به فأجابه الى ذلك واجتمعا يوم الجمعة ثامن عشر شوال من السنة وتحادثا معظم ذلك النهار وانفصلا عن مودة أكيدة والتمس الانكتار من العادل ان يسأل السلطان ان يجتمع به فذكر ذلك العادل للسلطان فاستشار أكابر دولته فى ذلك ووقع الاتفاق على انه اذا جرى الصلح بيننا يكون الاجتماع بعد ذلك ثم وصل رسول الانكتار وقال ان الملك يقول انى

الدرس والافادة فى الازمنة المعهودة والايام المعتادة (الى ان درج الى رحمة الله تعالى فى آخر ذى القعدة سنة تسعين وتسعمائة) كان المرحوم بحرا من بحار العلوم يقذف للقريب من جواهر معارفه عجائبا ويبعث للغريب من طماطم فضائله سحائبا فتح بمفاتيح أنظاره الدقيقة مغالق المعضلات وحل بخاطره اليقظان وفكره العجيب الشان عقد المشكلات وكان رحمه الله عديم النظير فى سرعة الانتقاد وحسن التقرير صاحب ذهن متقد كشعلة نار وانباء على الخصوم لطالب ثار مع كمال أدب

أحب صداقتك ومودتك وأنت تذكر انك أعطيت هذه البلاد الساحلية لاخيك فاريدان تكون حكما بيني
و بينه ولابدأن يكون لنا علقة بالقدس وأطال الحديث فى ذلك فاجابه السلطان بوعد جميل وأذن له فى العود
فى الحال وتأثر لذلك تأثرا عظيما قال ابن شداد و بعد انفصال الرسول قال لى السلطان متى صالحناهم لم تأمن
غائلتهم ولوحدث بى حادث الموت ما كانت تجتمع هذه العساكر وتقوى الفرنج والمصلحة ان لانزول عن
الجهاد حتى نخرجهم من الساحل أو يأتينا الموت هذا كان رأيه وانما غلب على الصلح قال ابن شداد ثم ترددت
الرسل بينهم فى الصلح وأطال القول فى ذلك فتركته اذلا حاجة اليه و جرت بعد ذلك وقعات أضربت عن
ذكرها لطول الكلام فيها وحاصل الامر انه تم الصلح بينهم وكان الانجاز يوم الاربعاء الثانى والعشرين
من شعبان سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ونادى المنادى بانتظام الصلح وان البلاد الاسلامية والنصرانية
واحدة فى الامن والمسالمة فمن شاء من كل طائفة ان يتردد الى بلاد الطائفة الاخرى من غير خوف ولا
محذور وكان يوما مشهودا نال الطائفتين فيه من المسرة مالا يعلمه الا الله تعالى وقد علم الله تعالى ان الصلح
لم يكن عن مرضاته وايثاره لكنه رأى المصلحة فى الصلح لسآمة العسكر ومظاهرتهم بالمخالفة وكان
مصلحة فى علم الله تعالى فانه اتفقت وفاته بعد الصلح فلو اتفق ذلك فى أثناء وقعاته كان الاسلام على خطر ثم
أعطى العساكر الواردة عليه من البلاد البعيدة برسم النجدة دستورا فساروا عنه وعزم على الحج لما فرغ
باله من هذه الجهة وتردد المسلمون الى بلادهم وجاؤهم الى بلاد المسلمين وحملت البضائع والمتاجر الى البلاد
وحضر منهم خلق كثير لزيارة القدس وتوجه السلطان الى القدس ليتفقد أحوالها وأخوه الملك العادل
الى الكرك وابنه الملك الظاهر الى حلب وابنه الافضل الى دمشق وأقام السلطان بالقدس يقطع الناس
ويعطيهم دستورا ويتأهب للمسير الى الديار المصرية وانقطع شوقه عن الحج ولم يزل كذلك الى أن صح عنده
سير مركب الانكتار متوجها الى بلاده فى مستهل شوّال فعند ذلك قوى عزمه على ان يدخل الساحل
جريدة يتفقد القلاع البحرية الى بانياس ويدخل دمشق ويقيم بها أياما قلائل ويعود الى القدس ومنه الى
الديار المصرية قال شيخنا ابن شداد وأمرنى بالمقام فى القدس الى حين عوده لعمارة مارستان أنشأه به
وتكميل المدرسة التى أنشأها فيه وسار منه ضاحى نهار الخميس السادس من شوّال سنة ثمان وثمانين
وخمسمائة ولما فرغ من افتقاد أحوال القلاع وازاحة خللها دخل دمشق بكرة الاربعاء سادس عشر شوّال
وفيها أولاده الملك الافضل والملك الظاهر والملك الظافر مظفر الدين الخضر المعروف بالمشمر وأولاده الصغار
وكان يحب البلد ويؤثر الاقامة فيه على سائر البلاد وجلس للناس بكرة يوم الخميس السابع عشر منه
وحضروا عنده وبلوا شوقهم منه وأنشده الشعراء ولم يتخلف أحد منهم عنه من الخاص والعام وأقام ينشر
جناح عدله ويهطل سحاب انعامه وفضله ويكشف مظالم الرعايا فلما كان يوم الاثنين مستهل ذى القعدة عمل
الملك الافضل دعوة للملك الظاهر لانه لما وصل الى دمشق وبلغه حركة السلطان أقام بها ليتملى بالنظر اليه
ثانيا وكأن نفسه كانت قد أحست بدنوّ أجله فودعه فى تلك الدفعة مرارا متعددة ولما عمل الملك الافضل
الدعوة أظهر فيها من الهمم العالية ما يليق بهمته وكأنه أراد بذلك مجازاته عما خدمه به حين وصل الى
بلده وحضر الدعوة المذكورة أرباب الدنيا والآخرة وسأل السلطان الحضور فحضر جبرا لقلبه وكان يوما
مشهودا على ما بلغنى ولما تصفح الملك العادل أحوال الكرك وأصلح ما قصد اصلاحه سار قاصدا الى البلاد
الفراتية فوصل الى دمشق يوم الاربعاء سابع عشر ذى القعدة وخرج السلطان الى لقائه وأقام يتصيد
حوالى غباغب الى الكسوة حتى لقيه وسارا جميعا يتصيدان وكان دخولهما الى دمشق آخر نهار الاحد
حادى عشر ذى الحجة سنة ثمان وثمانين وأقام السلطان بدمشق يتصيد هو وأخوه وأولاده ويتفرجون فى
أراضى دمشق ومواطن الظباء وكأنه وجد راحة مما كان به من ملازمة التعب والنصب وسهر الليل وكان
ذلك كالوداع لاولاده ونسى عزمه الى مصر وعرضت له أمور أخر وعزمات غير ما تقدم قال ابن شداد
ووصلنى كتابه الى القدس يستدعينى لخدمته وكان شتاء عظيما ووحلا شديدا فخرجت من القدس فى يوم

وسكينة ووقار وكان رحمه
الله مربيا للعلماء ومحبا
للمشايخ والصلحاء لذيذ
الصحبة حلو المقاربة
حسن السمت لطيف
المحاورة وبالجملة كان رحمه
الله أنظر أهل زمانه وفارس
ميدانه والمقدم على أقرانه
عامله الله بمزيد احسانه
*(وممن ارتقى بعض
المدارج العليا ونزل عنها
قبل وصوله الى الغاية
القصوى المولى شمس
الدين أحمد المعروف
بالعزمى)*
كان أبوه من جملة من يخدم
الاموال الاميرية ويضبط
المقاطعات السلطانية وقد
ولد رحمه الله فى دار السلطنة
السنية قسطنطينية المحمية
ونشأ فى صحبة الاكابر

الجمعة

الجمعة الثالث والعشرين من المحرم سنة تسع وثمانين وكان الوصول الى دمشق فى يوم الثلاثاء ثانى عشر
صفر من السنة وركب السلطان لملتقى الحاج يوم الجمعة خامس عشر صفر وكان ذلك آخر ركوبه ولما كان
ليلة السبت وجد كسلا عظيما وما تنصف الليل حتى غشيته حمى صفراوية وكانت فى باطنه أكثر منها فى
ظاهره وأصبح يوم السبت متكسلا عليه أثر الحمى ولم يظهر ذلك للناس لكن حضرت عنده أنا والقاضى
الفاضل فدخل ولده الملك الافضل وطال جلوسنا عنده وأخذ يشكو قلقه فى الليل وطاب له الحديث الى قريب
الظهر ثم انصرفنا وقلوبنا عنده فتقدم الينا بالحضور على الطعام فى خدمة ولده الملك الافضل ولم يكن للقاضى
الفاضل فى ذلك عادة فانصرف ودخلت الى الايوان القبلى وقد مد السماط وابنه الملك الافضل قد جلس فى
موضعه فانصرفت وما كانت لى قوّة فى الجلوس استيحاشا له وبكى فى ذلك اليوم جماعة تفاؤلا لجلوس ولده
فى موضعه ثم أخذ المرض يتزايد من جسده ونحن نلازم التردد طرفى النهار وندخل أنا والقاضى الفاضل فى
النهار مرارا وكان مرضه فى رأسه وكان من امارات انتهاء العمر غيبة طبيبه الذى كان قد عرف مزاجه سفرا
وحضرا ورأى الاطباء فصده ففصدوه فى الرابع فاشتد مرضه وقلت رطوبات بدنه وكان يغلب عليه اليبس
ولم يزل المرض يتزايد حتى انتهى الى غاية الضعف واشتد مرضه فى السادس والسابع والثامن ولم يزل
المرض يتزايد ويغيب ذهنه ولما كان التاسع حدثت له غشية وامتنع من تناول المشروب واشتد الخوف
فى البلد وخاف الناس ونقلوا أقمشتهم من الاسواق وعلا الناس من الكآبة والحزن ما لا يمكن حكايته ولما
كان العاشر من مرضه حقن دفعتين وحصل من الحقن بعض الراحة وفرح الناس بذلك ثم اشتد مرضه
وأيس منه الاطباء ثم شرع الملك الافضل فى تحليف الناس ثم انه توفى بعد صلاة الصبح من يوم الاربعاء
السابع والعشرين من صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة وكان يوم موته يوما لم يصب الاسلام والمسلمون بمثله
منذ فقد الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم وغشى القلعة والملك والدنيا وحشة لا يعلمها الا الله تعالى وبالله لقد
كنت أسمع من الناس انهم يتمنون فداء من يعز عليهم بنفوسهم وكنت أتوهم ان هذا الحديث على ضرب
من التجوّز والترخص الى ذلك اليوم فانى علمت من نفسى ومن غيرى انه لو قبل الفدى لفدى بالانفس ثم
جلس ولده الملك الافضل للعزاء وغسله الدولعى (قلت) الدولعى المذكور هو ضياء الدين أبو القاسم عبد الملك
ابن زيد بن ياسين بن زيد بن قائد بن جميل الثعلبى الارقى الدولعى الشافعى خطيب جامع دمشق توفى فى ثانى
عشر شهر ربيع الاول سنة ثمان وتسعين وخمسمائة وسئل عن مولده فقال فى سنة سبع وخمسمائة ثم ذكر
غير هذا والله أعلم ودفن بمقابر الشهداء بباب الصغير قال وأخرج بعد صلاة الظهر رحمه الله تعالى على تابوت
مسجى بثوب فوطة فارتفعت الاصوات عند مشاهدته وأخذ الناس فى البكاء والعديد وصلوا عليه ارسالا
ثم أعيد الى الدار التى فى البستان وهى التى كان متمرضا بها ودفن فى الصفة الغربية منها وكان نزوله فى
حفرته قريبا من صلاة العصر ثم أطال ابن شداد القول فى ذلك فحذفته خوفا من الملالة وأنشد فى آخر السيرة
بيت أبى تمام الطائى وهو

ثم انقضت تلك السنون وأهلها * فكأنها وكأنهم أحلام

رحمه الله تعالى وقدس روحه فلقد كان من محاسن الدنيا وغرائبها وذكر سبط ابن الجوزى فى تاريخه فى سنة
ثمان وسبعين وخمسمائة ما مثاله وفى خامس المحرم خرج صلاح الدين من مصر فنزل البركة قاصدا الشام وخرج
أعيان الدولة لوداعه وأنشده الشعراء أبياتا فى الوداع فسمع قائلا يقول فى ظاهر الخيمة

تمتع من شميم عرار نجد * فما بعد العشية من عرار

فطلب القائل فلم يوجد فوجم السلطان وتطير الحاضرون فكان كما قال فانه اشتغل ببلاد الشرق والفرنج
ولم يعد بعدها الى مصر (قلت) وهذا البيت من جملة أبيات فى الحماسة فى باب النسب وذكر شيخنا عز الدين
ابن الاثير فى تاريخه الكبير هذه القضية على صورة أخرى فقال ومن عجيب ما يحكى من التطير انه لما برز عن
القاهرة أقام بخيمته حتى تجتمع العساكر وعنده أعيان دولته والعلماء وأرباب الآداب فمن بين مودع له
وسائر معه وكل واحد منهم يقول شيأ فى الوداع والفراق وفى الحاضرين معلم لبعض أولاده فأخرج رأسه من

العظام ومجلس الافاضل
الفخام غائصا فى بحار
فضائلهم الذاخرة وملتقطا
من درر معارفهم الفاخرة
فبعد ما تحرك فى ميدان
الاستفادة صار ملازما من
المولى علاء الدين الحناوى
بطريق الاعادة ودرس
أولا بمدرسة رستم باشا ببلدة
روسجق بخمسة وعشرين

بين الحاضرين وأنشد هذا البيت فانقبض صلاح الدين وتطير بعد انبساطه وتنكر المجلس على الحاضرين فلم يعد اليها الى ان مات مع طول المدة وذكر ابن شداد أيضا فى أوائل السيرة انه مات ولم يخلف فى خزائنه من الذهب والفضة الاسبعة وأربعين درهما ناصرية وجرما واحدا ذهبا صوريا ولم يخلف ملكا لا دارا ولا عقارا ولا بستانا ولا قرية ولا مزرعة وفى ساعة موته كتب القاضى الفاضل الى ولده الملك الظاهر صاحب حلب بطاقة مضمونها لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة ان زلزلة الساعة شئ عظيم كتبت الى مولانا السلطان الملك الظاهر أحسن الله عزاه وجبر مصابه وجعل فيه الخلف فى الساعة المذكورة وقد زلزل المسلمون زلزالا شديدا وقد حفرت الدموع المحاجر و بلغت القلوب الحناجر وقد ودعت أباك ومخدومى وداعا لا تلاقى بعده وقد قبلت وجهه عنى وعنك وأسلمته الى الله تعالى مغلوب الحيلة ضعيف القوة راضيا عن الله عز وجل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم و بالباب من الجنود المجندة والاسلحة المغمدة ما لا يدفع البلاء ولا ملك يرد القضاء وتدمع العين و يخشع القلب ولا نقول الا ما يرضى الرب وانا عليك يا يوسف لمحزونون واما الوصايا فما يحتاج اليها والآراء فقد شغلنى المصاب عنها وأما لائح الامر فانه ان وقع اتفاق فما عدمتم الا شخصه الكريم وان كان غير ذلك فالمصائب المستقبلة أهونها موته وهو الهول العظيم والسلام قلت لله دره فلقد ابدع فى هذه الرسالة الوجيزة مع ما تضمنته من المقاصد السديدة فى مثل تلك الحالة التى يذهل فيها الانسان عن نفسه (قلت) وقد ذكرت كل واحد من أولاده المذكورين وهم الافضل والظاهر والعزيز فى ترجمة مستقلة وعينت تاريخ مولده وموته سوى الملك الظافر المشهور بالمشمر فانى لم أذكر له ترجمة مستقلة وقد ذكرته ههنا فيحتاج الى ذكر شئ من أحواله فأقول ٣ لقبه مظفر الدين وكنيته أبو الدوام وأبو العباس الخضر وانما قيل له المشمر لان أباه رحمه الله تعالى لما قسم البلاد بين أولاده الكبار قال وأنا مشمر فغلب عليه هذا اللقب وكان مولده بالقاهرة فى سنة ثمان وستين وخمسمائة فى خامس شعبان وهو شقيق الملك الافضل وتوفى فى جمادى الاولى سنة سبع وعشرين وستمائة بحران عند ابن عمه الملك الاشرف ابن الملك العادل ولم يكن الاشرف يومئذ ملكا وانما كان مجتازا بها عند دخوله بلاد الروم لاجل الخوارزمية قال غير ابن شداد ثم ان السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى بقى مدفونا بقلعة دمشق الى ان بنيت له قبة فى شمالى الكلاسة التى هى شمالى جامع دمشق ولها بابان أحدهما الى الكلاسة والآخر فى زقاق غير نافذ وهو مجاور المدرسة العزيزية (قلت ولقد دخلت هذه القبة من الباب الذى فى الكلاسة وقرأت عنده وترحمت عليه وأحضر لى القيم ومتولى القبة بقجة فيها ملبوس بدنه وكان فى جملته قباء أصفر قصير ورأس كميه باسود فتبركت به) قال ثم نقل من مدفنه بالقلعة الى هذه القبة فى يوم عاشوراء وكان الخميس من سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة ورتب عنده القراء ومن يخدم المكان ثم ان ولده الملك العزيز عماد الدين عثمان المقدم ذكره لما أخذ دمشق من أخيه الملك الافضل بنى الى جانب هذه القبة المدرسة العزيزية ووقف عليها وقفا جيدا وللقبة المذكورة شباك الى هذه المدرسة وهى من أعيان مدارس دمشق و زرت قبره فى أول ساعة من رمضان سنة ثمانين وستمائة فقرأت على صندوق قبره بعد تاريخ وفاته ما مثاله اللهم فارض عن تلك الروح وافتح له أبواب الجنة فهى آخر ما كان يرجوه من الفتوح وذكر قيم المكان ان هذا من كلام القاضى الفاضل (قلت) ولما ملك السلطان صلاح الدين الديار المصرية لم يكن بها شئ من المدارس فان الدولة المصرية كان مذهبها مذهب الامامية فلم يكونوا يقولون بهذه الاشياء فعمر فى القرافة الصغرى المدرسة المجاورة لضريح الامام الشافعى رضى الله عنه وقد تقدم ذكرها فى ترجمة نجم الدين الخبوشانى وبنى مدرسة بالقاهرة فى جوار المشهد المنسوب الى الحسين بن على رضى الله عنهما وجعل عليها وقفا كبيرا وجعل دار سعيد السعداء خادم المصريين خانقاه ووقف عليها وقفا طويلا وجعل دار عباس المذكور فى ترجمة الظافر العبيدى والعادل ابن السلار مدرسة للحنفية وعليها وقف جيد كبير أيضا والمدرسة التى بمصر المعروفة بزين التجار وقفها على الشافعية ووقفها جيد أيضا وبنى بالقاهرة داخل القصر مارستانا وله وقف جيد وله مدرسة بالقدس أيضا ووقفها كثير وخانقاه بها أيضا وله بمصر مدرسة للمالكية

ثم سار وظيفته فيها ثلاثين ثم بالمدرسة الافضلية بقسطنطينية المحمية باربعين ثم مدرسة سنان باشا بيشك طاش بخمسين ثم نقل الى احدى المدرستين المتجاورتين بادرنه ثم الى احدى المدارس الثمان ومنها أرسل الى تفتيش جزيرة قبرس فلما عاد منها

٣ ترجمة الملك الظافر الملقب مظفر الدين ابن السلطان صلاح الدين

ولقد أفكرت فى نفسى من أمور هذا الرجل وقلت انه سعيد فى الدنيا والآخرة فانه فعل فى الدنيا هذه الافعال المشهورة من الفتوحات الكثيرة وغيرها ورتب هذه الاوقاف العظيمة وليس فيها شئ منسوبا اليه فى الظاهر فان المدرسة التى بالقرافة ما تسميها الناس الا بالشافعى والمجاورة للمشهد لا يقولون أيضا الا المشهد والخانقاه لا يقولون الا خانقاه سعيد السعداء والمدرسة الحنفية لا يقولون أيضا الا مدرسة السيوفية والتى بمصر لا يقولون الا مدرسة زين التجار والتى بمصر أيضا لا يقولون الا مدرسة المالكية وهذه صدقة السر على الحقيقة والعجب ان له بدمشق فى جوار البيمارستان النورى مدرسة يقال لها أيضا الصلاحية فهى منسوبة اليه وليس لها وقف وله بها مدرسة للمالكية أيضا ولا تعرف به وهذه النعم من ألطاف الله تعالى به وكان مع هذه المملكة المتسعة والسلطنة العظيمة كثير التواضع واللطف قريبا من الناس رحيم القلب كثير الاحتمال والمداراة وكان يحب العلماء وأهل الخير و يقربهم و يحسن اليهم وكان يميل الى الفضائل و يستحسن الاشعار الجيدة و يرددها فى مجالسه حتى قيل انه كان كثيرا ما ينشد قول أبى منصور محمد بن الحسين بن أحمد بن الحسين بن اسحق الحميرى وقيل انها لابى محمد أحمد بن على بن خيران العامرى كان أميرا بالمرية من بلاد الاندلس وكان جده خيران من سبى المنصور بن أبى عامر فنسبت اليه والله أعلم وهى هذه

وزارنى طيف من أهوى على حذر * من الوشاة وداعى الصبح قد هتفا
فكدت أوقظ من حولى به فرحا * وكاد يهتك ستر الحب بى شغفا
ثم انتبهت وآمالى تخيل لى * نيل المنى فاستحالت غبطتى أسفا

وقيل انه كان أيضا يعجبه قول نشو الملك أبى الحسن على بن مفرج المعروف بابن المنجم المعرى الاصل المصرى الدار والوفاة وهو فى خضاب الشيب ولقد أحسن فيه وهو

وما خضب الناس البياض لقبحه * واقبح منه حين يظهر ناصله
ولكنه مات الشباب فسودت * على الرسم من حزن عليه منازله

قالوا فكان اذا قال مات الشباب يمسك كريمته و ينظر اليها و يقول أى والله مات الشباب وذكر العماد الكاتب الاصبهانى فى كتاب الخريدة ان السلطان صلاح الدين فى أول ملكه كتب الى بعض اصحابه بدمشق هذين البيتين

أيها الغائبون عنا وان كنـ * ـتم لقلبى بذكركم جيرانا
اننى مذ فقدتكم لا اراكم * بعيون الضمير عندى عيانا

وأما القصيدتان اللتان ذكرت ان سبط ابن التعاويذى أنفذهما اليه من بغداد فان احداهما وازن بها قصيدة صردر المقدم ذكره وقد ذكرت منها أبياتا فى ترجمة الوزير الكندرى وأولها * أكذا يجازى ود كل قرين * وقصيدة سبط ابن التعاويذى أولها

ان كان دينك فى الصبابة دينى * فقف المطى برملتى يبرين * والثم ثرى لو شارفت بى هضبه
أيدى المطى لثمته بجفونى * وانشد فؤادى فى الظباء معرضا * فبغير غزلان الصريم جنون
ونشيدتى بين الخيام وانما * غالطت عنها بالظباء العين * لولا العدا لم أكن عن ألحاظها
وقدودها بجوازئ وغصون * لله ما اشتملت عليه قبابهم * يوم النوى من لؤلؤ مكنون
من كل تائهة على اترابها * فى الحسن غانية عن التحسين * خود ترى قمر السماء اذا بدت
ما بين سالفة لها وجبين * عادين مالمعت بروق ثغورهم * الا استهلت بالدموع شؤونى
ان تنكروا نفس الصبا فلانها * مرت بزفرة قلبى المحزون * واذا الركائب فى الجبال تلفتت
فحنينها لتلفتى وحنينى * يا سلم ان ضاعت عهودى عندكم * فانا الذى استودعت غير أمين
أو عدت مغبونا فما أنا فى الهوى * لكم باول عاشق مغبون
رفقا فقد عسف الفراق بمطلق الـ * ـعبرات فى أسر الغرام رهين
مالى ووصل الغانيات أرومه * ولقد بخلن على بالماعون

نقل الى احدى المدارس السليمانية فلما توفى معلم السلطان محمد ابن السلطان مرادخان نصب مكانه فخدم مدة فى الدار العامرة بالنعم الجليلة والحشمة الوافرة وفى زمنه رفع السور المبارك الميمون وشرف مخدومه سنة الرسول الامين المأمون فبلغ مبلغ الاجلال

وعلام أشكو والدماء مطاحة * بلحاظهن اذا لوين ديونى * هيهات ما للبيض فى ود امرئ
أرب وقد أربى على الخمسين * ومن البلية أن تكون مطالبى * جدوى بخيل أو وفاء خؤن
ليت الضنين على المحب بوصله * لقن السماحة عن صلاح الدين

وأما القصيدة الثانية فهى قوله

حتام أرضى فى هواك وتغضب * والى متى تجنى على وتعتب
ماكان لى لولا ملالك زلة * لما مللت زعمت انى مذنب
خذ فى أفانين الصدود فان لى * قلبا على العلات لا يتقلب
أتظننى أضمرت بعدك سلوة * هيهات عطفك من سلوى أقرب
لى فيك نار جوانح ما تنطفى * حزنا وماء مدامع ما تنضب
* أنسيت أيامالنا ولياليا * للهو فيها والبطالة ملعب
* أيام لا الواشى يعد ضلالة * ولهى عليك ولا العذول يؤنب
قد كنت تنصفنى المودة راكبا * فى الحب من اخطاره ما اركب
واليوم أقنع أن يمر بمضجعى * فى النوم طيف خيالك المتأوب
ماخلت أن جديد أيام الصبا * يبلى ولا ثوب الشبيبة يسلب
حتى انجلى ليل الغواية واهتدى * سارى الدجى وانجاب ذاك الغيهب
وتنافر البيض الحسان فأعرضت * عنى سعاد وأنكرتنى زينب
قالت وريعت من بياض مفارقى * ونحول جسمى بان منك الاطيب
ان تنقمى سقمى فخصرك ناحل * أو تنكرى شيبى فثغرك أشنب

(قلت) لله دره فلقد أجاد فى هذه القصيدة كل الاجادة غير انه قد ظن ان الشنب بياض الثغر وعليه بنى هذا المعنى حتى تم له مقصوده فانها لما عيرته بالسقم قابلها بنحول الخصر فقال لها ان كنت نحيلا فخصرك أيضا نحيل فلما أنكرت شيبه قابلها بان ثغرها أشنب فكأنه قال لها بياض شيبى فى مقابلة ثغرك الاشنب وليس الامر كما ظن فان الشنب فى اللغة ليس هو البياض وانما هو حدة الاسنان ويقال بردها وعذوبتها والصحيح انه حدتها وهو دليل على الحداثة لان الاسنان فى أول طلوعها تكون حادة فاذا مرت عليها السنون احتكت وذهبت حدتها وهذا المعنى ينظر الى قول النابغة الذبيانى فى جملة قصيدته المشهورة وهو

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

وقد تقدم ذكر هذا البيت فى ترجمة عروة بن الزبير فيكشف هناك ومثله أيضا ما أنشدنى بهاء الدين زهير بن محمد الكاتب المقدم ذكره لنفسه من جملة أبيات وهو قوله ما فيه من عيب سوى * فتور عينيه فقط
رجع وقوله ياطالبا بعد المشيب غضارة * من عيشه ذهب الزمان المذهب
أتروم بعد الاربعين وعدها * وصل الدمى هيهات عز المطلب
لولا الهوى العذرى يادار الهوى * ماهاج لى طربا وميض خلب
كلا ولا استجديت أخلاق الحيا * وندى صلاح الدين هام صيب

وقد مدحه جميع شعراء عصره وانتجعوه من البلاد فمنهم العلم الشاتانى واسمه الحسن وقد تقدم ذكر مدحه بقصيدته الرائية التى أولها

أرى النصر مقرونا برايتك الصفرا * فسر واملك الدنيا فأنت بها أحرى

ومدحه المهذب أبو حفص عمر بن محمد بن على بن أبى نصر المعروف بابن الشحنة الموصلى الشاعر المشهور بقصيدته التى أولها سلام مشوق قد براه التشوق * على جيرة الحى الذين تفرقوا
وعدة أبياتها مائة وثلاثة عشر بيتا وفيها البيتان السائران أحدهما

وانى

والاكرام وتدرج مدارج التفخيم والاحترام وفى أثنائه ألم بساحته المنون وتوفى بمرض الطاعون (سنة تسعين وتسعمائة) كان المرحوم مشاركا فى بعض العلوم ذا حظ من المعارف ويدفى اللطائف حليم النفس حسن المجاورة سليم الطبع حلو المحاورة

وانى امرؤ أحببتكم لمكارم * سمعت بها والاذن كالعين تعشق

وقد أخذه من قول بشار بن برد المقدم ذكره وهو

ياقوم اذنى لبعض الحى عاشقة * والاذن تعشق قبل العين أحيانا

والبيت الثانى من قصيدة ابن الشحنة قوله

وقالت لى الآمال ان كنت لاحقا * بأبناء أيوب فأنت الموفق

ومما قيل فيه لبعض أهل المشرق

الله أكبر جاء القوس باريها * ورام أسهم دين الله راميها
فكم لمصر على الامصار من شرف * باليوسفين فهل أرض تدانيها
فبابن يعقوب هزت جيدها طربا * وبابن أيوب هزت عطفها تيها
قل للملوك تخلى عن ممالكها * فقد أتى آخذ الدنيا ومعطيها

فلما أنشدها اياه أعطاه ألف دينار ومدحه ابن قلاقس وابن الدروى وابن المنجم وابن سناء الملك وابن الساعاتى وابن البحرانى الاربلى وابن ذهن الحضى الموصلى ومحمد بن اسمعيل بن حمدان الحبرانى وغير هؤلاء وقد ذكرت أكثر هؤلاء الجماعة فى هذا التاريخ وعذرى فى تطويل هذه الترجمة قول المتنبى

وقد أطال ثنائى طول لابسه * ان الثناء على التنبال تنبال

التنبال الرجل القصير وهو بكسر التاء المثناة من فوقها وبعدها نون ساكنة وباء موحدة وبعد الالف لام (قلت) وقد تقدم فى هذه الترجمة عند ذكر ارسال العاضد الى صلاح الدين وطلبه اياه ليخلع عليه ويوليه الوزارة ذكر المثل المشهور وهو أردت عمرا وأراد الله خارجة وقد يقف عليه من لا يعرف سبب هذا المثل ولا المراد منه فاحببت أن أشرحه كيلا يحتاج من يقف عليه الى كشف من مكان آخر فأقول عمرو المذكور هو عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعد بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى القرشى السهمى كنيته أبو عبد الله وقيل أبو محمد أحد الصحابة رضى الله عنهم أسلم سنة ثمان من الهجرة قبل فتح مكة ومكة فتحها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر رمضان من هذه السنة وقيل بل أسلم بين الحديبية وخيبر والاول أصح وقدم هو وخالد بن الوليد المخزومى وعثمان بن طلحة القرشى العبدرى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة مسلمين فلما دخلوا عليه ونظر اليهم قال للصحابة قد رمتكم مكة بافلاذ كبدها وقال الواقدى قدم عمرو بن العاص مسلما على رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أسلم عند النجاشى ملك الحبشة وقدم معه عثمان بن طلحة وخالد بن الوليد فقدموا المدينة فى صفر سنة ثمان من الهجرة وقيل انه لم يأت من أرض الحبشة الا معتقد الاسلام وذلك ان النجاشى قال له يا عمرو وكيف يعزب عنك أمر ابن عمك فوالله انه لرسول الله حقا قال امحقق ذلك قال اى والله فأطعنى فخرج من عنده مهاجرا الى النبى صلى الله عليه وسلم وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على سرية الى الشام يدعو أخوال أبيه الى الاسلام فبلغ السلاسل من بلاد قضاعة وهو ماء بأرض جذام وبذلك سميت تلك الغزوة ذات السلاسل وكان معه ثلثمائة رجل فخاف عمرو فكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمده فامده بجيش مائتى فارس من المهاجرين والانصار وأهل الشرف منهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضى الله عنهم وأمر عليهم أبا عبيدة بن الجراح رضى الله عنه فلما قدموا على عمرو بن العاص قال أنا أميركم وانما أنتم مددى فقال أبو عبيدة بل أنت أمير من معك وأنا أمير من معى فأبى عمرو فقال أبو عبيدة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى اذا قدمت على عمرو فتطاوعا ولا تختلفا فان خالفتنى أطعتك قال عمرو فانى أخالفك فسلم اليه أبو عبيدة وصلى خلفه فى الجيش كله وكانوا خمسمائة وولى رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص على عمان وفى سنة اثنى عشر بعث ابو بكر رضى الله عنه عمرو بن العاص ويزيد بن أبى سفيان الاموى وأبا عبيدة بن الجراح وشرحبيل ابن حسنة الى الشام وسار اليهم خالد بن الوليد رضى الله عنه من العراق وأول شئ فتحه من الشام بصرى

مائلا الى صحبة الخلان ومعاشرة الاخوان من ذوى العرفان وله كتاب تركى يشتمل على نكات لطيفة وأشعار تركية مقبولة عند أهاليها *(وممن انتظم فى سلك هؤلاء السادة المولى محمد ابن المعروف بصار وكرز اوغلى زاده)*

صلحا وتوفى أبو بكر رضى الله عنه واستخلف عمر رضى الله عنه أبا عبيدة فولى الجيش وفتح الله تعالى عليه الشام وولى يزيد بن أبي سفيان على فلسطين وهى كورة قصبتها الرملة ولما مات أبو عبيدة استخلف معاذ بن جبل ومات معاذ فاستخلف يزيد بن أبي سفيان ومات يزيد فاستخلف أخاه معاوية بن أبي سفيان وكتب اليه عمر رضى الله عنه بعهده على ما كان عليه أخوه يزيد وكان موت هؤلاء كلهم فى طاعون عمواس فى سنة ثمان عشرة من الهجرة وعمواس بفتح العين المهملة والميم وفى آخرها سين مهملة وهى قرية بالشام بين نابلس والرملة وكان الطاعون بها فى العام المذكور وقيل بل مات يزيد بن أبي سفيان فى ذى الحجة من سنة تسع عشرة بدمشق والله أعلم وذلك بعد فتح قيسارية وكان عمر رضى الله عنه قد ولى عمرو بن العاص بعد موت يزيد بن أبي سفيان فلسطين والاردن وولى معاوية دمشق وبعلبك والبلقاء وولى سعيد بن عامر جذيم ثم حمص ثم جمع الشام كلها لمعاوية وكتب الى عمرو فسار الى مصر فافتتحها فى سنة عشرين للهجرة فلم يزل عليها واليا حتى مات عمر رضى الله عنه فأقره عثمان رضى الله عنه أربع سنين أو نحوها ثم عزله وولى عبد الله بن سعد ابن أبي سرح العامرى وكان أخا عثمان من الرضاعة فاعتزل عمرو بن العاص فى ناحية فلسطين وكان يأتى المدينة احيانا فلما قتل عثمان رضى الله عنه سار الى معاوية باستجلاب معاوية اياه وشهد صفين مع معاوية وكان منه فى صفين وقضية التحكيم ما هو مشهور عند أهل العلم بهذا الفن وكان قد طلب من معاوية أنه اذا تم له الامر يوليه مصر وكتب اليه فى بعض الايام يطلبها من معاوية

معاوى لا أعطيك دينى ولم أنل * به منك دنيا فانظرن كيف تصنع

فان تعطنى مصرا فاربح بصفقة * أخذت بها شيخا يضر وينفع

ثم ولاه معاوية مصر ولم يزل بها أميرا الى مات يوم عيد الفطر سنة ثلاث وأربعين للهجرة وقيل سنة اثنتين وأربعين وقيل سنة ثمان وأربعين وقيل سنة احدى وخمسين والاول أصح وعمره تسعون سنة ودفن بسفح المقطم وصلى عليه ابنه عبد الله ولما رجع صلى بالناس العيد ثم عزل معاوية عبد الله بن عمرو بن العاص وولى أخاه عتبة بن أبي سفيان فمات عتبة بعد سنة أو نحوها فولى معاوية مسلمة بن مخلد وكان عمرو بن العاص من فرسان قريش وأبطالهم فى الجاهلية وكان من الدهاة فى أمور الدنيا المقدمين فى الرأى وكان عمر رضى الله عنه اذا استضعف رجلا فى رأيه قال اشهد أن خالقك وخالق عمرو واحد يريد الاضداد وذكر أبو العباس المبرد فى كتاب الكامل ان عمرو بن العاص لما حضرته الوفاة دخل عليه ابن عباس رضى الله عنهما فقال له يا أبا عبد الله كنت أسمعك كثيرا تقول وددت لو رأيت رجلا عاقلا حضرته الوفاة حتى أسأله عما يجد فكيف تجد فقال أجد كان السماء مطبقة على الارض وكأنى بينهما وكأنما أتنفس من خرم ابرة ثم قال اللهم خذ منى حتى ترضى فدخل عليه ولده عبد الله فقال له يا ولدى خذ ذلك الصندوق قال لا حاجة لى به فقال انه مملوء مالا فقال لا حاجة لى به فقال ليته مملوء بعرا ثم رفع يديه وقال اللهم انك أمرت فعصينا ونهيت فارتكبنا فلا برىء فاعتذر ولا قوى فانتصر ولكن لا اله الا أنت ثم فاض (قلت) يقال فاض وفاظ بالضاد والظاء أى مات قال الشاعر *لا يدفنون منهم من فاضا* فأما خارجة المذكور فى هذا المثل فانه خارجة بن حذافة بن غانم بن عبد الله بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب القرشى العدوى شهد فتح مصر وكان أمير ربع المدد الذين أمدهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه عمرو بن العاص فى فتح مصر واختط بمصر وكان على شرطة مصر فى امرة عمرو بن العاص لمعاوية بن أبي سفيان الاموى قتله خارجى بمصر سنة أربعين للهجرة وهو يحسب انه عمرو بن العاص هكذا قاله ابن يونس فى تاريخ مصر وذكره فى كتاب الاستيعاب لابن عبد البر وساق نسبه على هذه الصورة ثم قال يقال انه كان يعد بألف فارس ثم ذكر بعض أهل النسب والاخبار ان عمرو بن العاص كتب الى عمر رضى الله تعالى عنه يستمده بثلاثة آلاف فارس فامده بخارجة بن حذافة والزبير بن العوام والمقداد بن الاسود الكندى وشهد خارجة فتح مصر وقيل انه كان قاضيا لعمرو بن العاص بها وقيل انه كان على شرطة عمرو بن العاص ولم يزل بها الى ان قتله أحد الخوارج الثلاثة الذين كانوا انتدبوا

كان أبوه من القضاة فى القصبات والنسبة المزبورة الى جده من جهة أبيه نشأ رحمه الله فى مجالس الافاضل الاكارم ومحافل الاماثل الاعاظم مغترفا من حياض معارفهم ومتأنقا فى رياض لطائفهم ولما صار ملازما من المولى أبى السعود درس بمدرسة يحيى جابى

لقتل على بن أبي طالب رضى الله عنه ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص فاراد الخارجى قتل عمرو فقتل خارجة هذا وهو يظنه عمرا وذلك انه كان قد استخلفه عمرو بن العاص على صلاة الصبح ذلك اليوم فلما قتله اخذ وادخل على عمرو بن العاص فقال من هذا الذى ادخلتمونى عليه فقالوا عمرو بن العاص فقال ومن قتلت فقالوا خارجة فقال أردت عمرا وأراد الله خارجة وقيل ان الخارجى الذى قتله لما ادخل على عمرو قال له عمرو اردت عمرا وأراد الله خارجة والله أعلم بمن قال ذلك منهما والذى قتل خارجة هذا هو رجل من بنى العنبر ابن عمرو بن تميم يقال له دادويه وقيل انه مولى لبنى العنبر وقد قيل ان خارجة الذى قتله الخارجى بمصر على انه عمرو بن العاص رجل يسمى خارجة من بنى سهم رهط عمرو بن العاص وليس بشئ انتهى ما قاله صاحب الاستيعاب وقال غيره ان عمرو بن العاص أصابه شئ فى بطنه فتخلف فى منزله تلك الليلة وكان خارجة يعشى الناس فضربه الخارجى فقتله وكان عمرو يقول ما نفعنى بطنى قط الا تلك الليلة (قلت) فهذا أصل المثل فى قولهم أردت عمرا وأراد الله خارجة والى هذا أشار أبو محمد عبد المجيد بن عبدون الاندلسى فى قصيدته التى رثى بها بنى الافطس ملوك بطليوس التى أولها * الدهر يفجع بعد العين بالاثر * بقوله

وليتها اذ فدت عمرا بخارجة * فدت عليا بمن شاءت من البشر

وهى من غرر القصائد جمعت تاريخا كبيرا وشرحها الاديب أبو مروان عبد الملك بن عبد الله بن بدرون الحضرمى الشلبى شرحا مستوفيا وهذا البيت يحتاج الى شرح أيضا وهو من تتمة الكلام على المثل المذكور لكننى أذكره مختصرا فانه طويل ذكر أهل التاريخ ان على بن أبي طالب رضى الله عنه لما بويع بالخلافة فى اليوم الذى قتل فيه عثمان بن عفان رضى الله عنه خرج عليه من قاتله فى وقعة الجمل وقد ذكرت طرفا من هذه الوقعة فى ترجمة يموت بن المزرع ساقها الكلام هناك فذكرت المقصود منه ثم كانت وقعة صفين عند خروج معاوية بن أبي سفيان الاموى وعمرو بن العاص على على بن أبي طالب رضى الله عنهم فتوجه اليهم من العراق وجاؤه من الشام والتقوا على صفين وهو موضع على شاطئ الفرات بالقرب من الرحبة وهى وقعة مشهورة وكانت فى سنة سبع وثلاثين من الهجرة ولما غلب أهل الشام طلبوا من على بن أبي طالب رضى الله عنه التحكيم فأجابهم بعد معاودات كثيرة فخرج على على جماعة من أصحابه وقالوا حكمت فى دين الله ولا حكم الا لله ورحلوا الى النهروان فمضى اليهم وقاتلهم واستأصلهم الا اليسير منهم وهى أيضا وقعة مشهورة بقتال الخوارج ولما طال الامر فى ذلك اجتمعوا وقالوا ان عليا ومعاوية وعمرو بن العاص قد أفسدوا أمر هذه الامة فلو قتلناهم لعاد الامر على حقه فقال عبد الرحمن بن ملجم المرادى أنا أقتل عليا قالوا فكيف لك بذلك قال أغتاله وقال الحجاج بن عبد الله الصريمى أنا أقتل معاوية ويعرف هذا الصريمى بالبرك وقال دادويه وقيل زادويه وقد تقدم الكلام عليه فى الكلام على خارجة بن حذافة أنا أقتل عمرا واجمعوا أمرهم على أن يكون ذلك فى ليلة واحدة فدخل ابن ملجم الكوفة وعلى رضى الله عنه بها واشترى سيفا بألف درهم فسقاه السم حتى لفظه فلما خرج على لصلاة الصبح كان ابن ملجم قد كمن له فضربه به على رأسه وقال الحكم لله يا على لا لك وقيل انه ضربه فى صلاة الصبح وذلك فى صبيحة الجمعة لسبع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان فى سنة أربعين من الهجرة وقيل غير هذا التاريخ وقدم البرك الصريمى على معاوية بدمشق فضربه فجرح أليته وهو فى الصلاة ويقال انه قطع عرق النسل فما أحبل بعدها وأما عمرو فقد سبق الكلام عليه عند قتل خارجة وهذا تفسير المثل والبيت الشعر على سبيل الاختصار والله أعلم

(يوسف بن محمد المعروف بابن الخلال الملقب بالموفق صاحب ديوان الانشاء بمصر فى دولة الحافظ أبى الميمون عبد المجيد العبيدى المقدم ذكره ومن بعده)

قال عماد الدين الكاتب الاصبهانى فى كتاب الخريدة فى حقه هو ناظر مصر وانسان ناظرها وجامع مفاخرها وكان اليه الانشاء وله قوة على الترسل يكتب كما يشاء عاش كثيرا وعطل فى آخر عمره واضر ولزم بيته الى أن تعوض منه القبر وتوفى بعد تملك الملك الناصر مصر بثلاث أو أربع سنين وذكر له عدة مقاطيع من الشعر

بالموضع المنسوب اليه من نواحى قسطنطينية المحمية ثم مدرسة حاجى خاتون بخمسة وعشرين ثم مدرسة عبد السلام بالموضع المعروف بكوجك جكمجه بثلاثين ثم المدرسة المعروفة بقبلوجه باربعين فى بروسه ثم مدرسة داود باشا بقسطنطينية بخمسين ثم نقل عنها الى

نوردشيأمنهابعدهذا ان شاءالله تعالى وذكره ضياءالدين أبوالفتح نصرالله المعروف بابن الاثيرالجزرى الموصلى المقدم ذكره فى الفصل الاوّل من كتابه الذى سماه الوشى المرقوم فى حل المنظوم فقال حدثنى القاضى الفاضل عبدالرحيم بن على البيسانى رحمه الله تعالى بمدينة دمشق فى سنة ثمان وثمانين وخمسمائة وكان اذذاك كاتب الدولة الصلاحية فقال كان فن الكتابة بمصرفى زمن الدولة العلوية غضا طريا وكان لايخلو ديوان المكاتبات من رأس يرأس مكانا وبيانا ويقيم لسلطانه بقلمه سلطانا وكان من العادة ان كلا من أرباب الدواوين اذا نشأله ولد وشدا شيأ من علم الادب أحضره الى ديوان المكاتبات ليتعلم فن الكتابة ويتدرب ويرى ويسمع أشياءمن علم الادب قال فارسلنى والدى وكان اذذاك قاضيا بثغر عسقلان الى الديار المصرية فى أيام الحافظ وهو أحد خلفائها وأمرنى بالمصير الى ديوان المكاتبات وكان الذى ترأس به فى تلك الايام رجل يقال له ابن الخلال فلما حضرت الديوان ومثلت بين يديه وعرفته من أنا وما طلبتى رحب بى وسهل ثم قال لى ما الذى أعددت لفن الكتابة من الآلات فقلت ليس عندى شئ سوى انى أحفظ القرآن الكريم وكتاب الحماسة فقال فى هذا بلاغ ثم أمرنى بملازمته فلما ترددت اليه وتدربت بين يديه أمرنى بعد ذلك أن أحل شعر الحماسة فحللته من أوّله الى آخره ثم أمرنى ان أحله مرة ثانية فحللته انتهى ماذكره ابن الاثير (قلت) وبعد ان نقلت ما قاله ضياء الدين بن الاثير على هذه الصورة اجتمع بى من له عناية بالادب خصوصا بهذا الفن وهو من أعرف الناس بأحوال القاضى الفاضل وقال لى هذا الذى ذكره ابن الاثير ما يمكن تصحيحه ولعله قد غلط فى النقل فان القاضى الفاضل لم يدخل الديار المصرية الا فى أيام الظافر ابن الحافظ وكان وصوله اليها مع أبيه فى أمر يختص بهم ثم انى وجدت فى بعض تعاليق بخطى وما أدرى من أين نقلته أن القاضى الاشرف والد القاضى الفاضل كان من أهل عسقلان وكان ينوب فى الحكم والنظر بمدينة بيسان فدخل الى مصر فى زمان الظافر ابن الحافظ لكلام جرى بينه وبين والى الناحية من أجل كنز كبير كان عندهم له قيمة كثيرة فداجى الوالى فى حقه وأطلقه فاستدعى الوالى الى مصر لذلك وطولب بمال طائل فاحتمى ببعض أمراء الدولة وجعلوا الاقاويل فى حق القاضى الاشرف فاستدعى وصودر الى ان لم يبق له شئ ولم يكن معه من الاولاد سوى القاضى الفاضل فحمل على قلبه وتوفى بالقاهرة ليلة الاحد حادى عشر شهر ربيع الاوّل من سنة ست وأربعين وخمسمائة ودفن بسفح المقطم ثم توجه القاضى الفاضل الى ثغر الاسكندرية وحضر عند ابن حديد قاضى البلد وناظره فعرفه بوالده فعرفه بالسمعة واستكتبه وأخذ الفرج عسقلان فضر اخوته اليه وكانت مكاتبات ابن حديد ترد الى مصر بخطه وهى فى غاية البلاغة فحسده كتاب الانشاء على فضله وخافوا من تقدمه عليهم فسعوا الى الظافر به وقالوا انه قصر فى المكاتبة وكان صاحب ديوان الانشاء القاضى ابن الزبير وقال يا مولانا هذا الرجل ما منه تقصير وانما حسده هؤلاء الكتاب وسعوا به ليؤذيه مولانا الظافر فقال الظافر فتكتب الى ابن حديد ليرسله الينا ويكتب لنا قال ابن نباتة وكنت بعد ذلك فى مجلس الظافر فرأيت القاضى الفاضل قد حضر وهو قائم بين يديه ثم استخدمه والله تعالى أعلم وقال ابن العماد فى الخريدة أنشدنى مرهف بن أسامة بن منقذ قال أنشدنى الموفق بن الخلال لنفسه من قصيدة

عذبت ليال بالعذيب خوالى * وحلت مواقف بالوصال حوالى

ومضت لذاذات تقضى ذكرها * تصبى الحليم وتستهيم السالى

وجلت موردة الخدود فاوثقت * فى الصبوة الخالى بحسن الخال

قالوا اسراة بنى هلال أصلها * صدقوا كذاك البدر فرع هلال

قال العماد فى الخريدة أيضا ونقلت من كتاب جنان الجنان ورياض الاذهان (قلت وهو تاليف الرشيد بن الزبير المقدم ذكره) من شعر ابن الخلال قوله

وأغن سيف لحاظه * يغرى الحسام بحده

فضح الصوارم والدنا * ن بقده وبقده

عجب الورى لما حييـ * ـت وقد منيت ببعده

وبقاء جسمى ناحلا * يصلى بوقدة صده

كبقاء عنبر خاله * فى نار صفحة خده

وقوله

احدى المدرستين المتجاورتين بادرنه ثم الى احدى المدارس الثمان فقبل ان يدرس بها نقل الى مدرسة السلطان محمد ابن السلطان سليمان خان بستين ثم نقل الى احدى مدارس المرحوم السلطان سليمان خان ثم نقل الى مدرسة السلطان سليم خان

وقوله

أما اللسان فقد أخفى وقد كتما * لو أمكن الجفن كف الدمع حين همى

أصبتمو بسهام اللحظ مهجته * فهل يلام اذا أجرى الدموع دما

قد صار بالسقم من تعذيبكم علما * ولم يبح بالذى من جوركم علما

فما على صامت أبدى لصدكم * فى كل جارحة منه السقام فما

وأورد له فى الشمعة

وصحيحة بيضاء تطلع فى الدجى * صبحا وتشفى الناظرين بدائها

شابت ذوائبها أوان شبابها * واسود مفرقها أوان فنائها

كالعين فى طبقاتها ودموعها * وسوادها وبياضها وضيائها

وذكر أيضا العماد فى الخريدة فى ترجمة القاضى أبى المعالى عبد العزيز بن الحسين بن الحباب أبياتا كتبها ابن الحباب المذكور الى الرشيد بن الزبير فى نكبة جرت للموفق بن الخلال المذكور وقال العماد كان خاله ولم يذكر أيهما خال الآخر وكان ابن الحباب قد حصل له بسبب نكبة ابن الخلال صداع والابيات المشار اليها هذه

تسمع مقالى يا ابن الزبير * فأنت خليق بان تسمعه

بلينا بذى نسب شابك * قليل الجدا فى زمان الدعه

اذا ناله الخير لم نرجه * وان صفعوه صفعنا معه

وهذا من قول حسين بن حفصة السعدى الخارجى يخاطب قطرى بن الفجاءة رئيس الخوارج

وأنت الذى لانستطيع فراقه * حياتك لانفع وموتك ضائر

ثم انى كشفت عن قول العماد كان خاله ولم يبينه فوجدت ابن الخلال المذكور خال ابن الحباب المذكور وذكر العماد أيضا فى كتاب السيل والذيل الذى جعله ذيلا على كتاب الخريدة ابن الخلال أيضا وأورد له قوله

وغزال نار وجنته * أذكت النيران فى كبدى

وله طرف لواحظه * نصرت شوقى على جلدى

قذفت عينى سوالفه * وتوارت منه بالزرد

والبيت الاخير مأخوذ من قول أبى محمد الحسن بن محمد بن حكينا البغدادى الشاعر المشهور

طرفك يرمى قلبى باسهمه * فما لخديك تلبس الزردا

وقد روى لغيره أيضا والله أعلم ثم وجدت فى كتاب خريدة القصر تأليف عماد الدين الكاتب الاصفهانى لعبد السلام بن الحكر المعروف بابن الصواف الواسطى قوله

لو كان أمرى الى أو بيدى * أعددت لى قبل بينك العددا

طرفك يرمى قلبى باسهمه * فما لخديك تلبس الزردا

ريقته الشهد والدليل على * ذلك نمل بخده صعدا

وذكر أبو الحسن على بن الظافر الازدى المصرى فى كتاب بديع البداية ان أبا القاسم بن هانئ الشاعر المتأخر هجا ابن الخلال المذكور وبلغه هجوه فاضمر له حقدا واتفق فى بعض المواسم الذى جرت عادة ملوك مصر بالحضور فيه استماع المدائح فجلس الحافظ أبو الميمون عبد المجيد ملك مصر اذذاك فانشده الشعراء وانتهت النوبة الى ابن هانئ المذكور فانشد وأجاد فيما قاله فقال الحافظ للموفق المذكور كيف تسمع فأثنى عليه واستجاد شعره وبالغ فى وصفه ثم قال له ولو لم يكن له ما يمت به الا انتسابه الى أبى القاسم بن هانئ شاعر هذه الدولة ومظهر مفاخرها وناظم مآثرها ولابيت أظهر منه الضجر عند دخوله هذه البلاد فقال له الحافظ ما هو فتحرج من انشاده فأبى الحافظ الا أن ينشده وفى أثناء ذلك صنع بيتا وهو

تبا لمصر فقد صارت خلافتها * عظما تنقل من كلب الى كلب

فعظم ذلك على الحافظ وقطع صلته وكاد يفرط فى عقوبته والله أعلم ولم يزل ابن الخلال بديوان الانشاء الى ان طعن فى السن وعجز عن الحركة فانقطع فى بيته ويقال ان القاضى الفاضل كان يرعى له حق الصحبة والتعليم فكان يجرى عليه كل ما يحتاج اليه الى ان مات فى الثالث والعشرين من جمادى الآخرة سنة ست وستين وخمسمائة رحمه الله تعالى

الجديدة بسبعين ثم قلد قضاء المدينة المنورة فتعلل القبول والذهاب وتشبث بذيل الاسباب ولم يقصر فى السعى والاهتمام راجيا من مضمون قولهم الابرام يحصل المرام فبعد بذل وتعب بدله بقضاء حلب الا ان ذلك لم يبارك له فلم يثمر النصب الا النصب فبعد

(أبو عمر يوسف بن هرون الكندى المعروف بالرمادى الشاعر المشهور)

ذكره الحافظ أبو عبد الله الحميدى فى كتاب جذوة المقتبس فقال أظن أحد أجداده كان من أهل الرمادة موضع بالمغرب هو شاعر قرطبى كثير الشعر سريع القول مشهور عند الخاصة والعامة هنالك لسلوكه فى فنون من المنظوم مسالك تنفق عند الكل حتى كان كثير من شيوخ الادب فى وقته يقولون فتح الشعر بكندة وختم بكندة يعنون امرأ القيس والمتنبى ويوسف بن هرون وكانا متعاصرين واستدللت على ذلك بمدحه أبا على اسمعيل بن القاسم القالى عند دخوله الاندلس بالقصيدة التى أولها

من حاكم بينى وبين عذولى * الشجو شجوى والعويل عويلى

وكان وصول أبى على القالى الى الاندلس فى سنة ثلاثين وثلثمائة (قلت وقد سبق ذلك فى ترجمته) ثم ذكر له الحميدى وقائع وعدة مقاطيع من الشعر وانه ألف كتابا فى الطير وسجن مدة (قلت) وقد ذكر أبو منصور الثعالبى فى كتاب يتيمة الدهر الابيات التى مدح بها يوسف بن هرون أبا على القالى وأورد له بعد البيت المذكور قوله

فى أى جارحة أصون معذبى * سلمت من التعذيب والتنكيل

ان قلت فى بصرى فثم مدامعى * أو قلت فى كبدى فثم غليلى

وثلاث شيبات نزلن بمفرقى * فعلمت ان نزولهن رحيلى

طلعت ثلاث فى نزول ثلاثة * واش ووجه مراقب وثقيل

فعزلننى عن صبوتى فلئن ذللت لقد سمعت بذلة المعزول

(قلت) ثم خرج بعد هذا الى المدح وكان قد وصف الصيد والروض فقال

روض تعاهده السحاب كانه * متعاهد من عهد اسمعيل

قسه الى الاعراب تعلم انه * أولى من الاعراب بالتفضيل

حازت قبائلهم لغات فرقت * فيهم وحاز لغات كل قبيل

فالشرق خال بعده فكانما * نزل الخراب بربعه المأهول

وكأنه شمس بدت فى غربنا * وتغيبت عن شرقهم بأفول

ياسيدى هذا ثنائى لم أقل * زورا ولا عرضت بالتنويل

من كان يأمل نائلا فانا امرؤ * لم أرج غير القرب فى تأميلى

وله فى غلام ألثغ من جملة أبيات

لا الراء تطمع فى الوصال ولا أنا * الهجر يجمعنا فنحن سواء

فاذا خلوت كتبتها فى راحتى * وبكيت منتحبا أنا والراء

وله فيه أيضا

أعد لثغة فى الراء لو ان واصلا * تسمعها ما أسقط الراء واصل

(قلت) وهذا واصل هو واصل بن عطاء المقدم ذكره فى حرف الواو (قلت) وذكره ابن بشكوال فى كتاب الصلة فقال يوسف بن هرون الرمادى الشاعر من أهل قرطبة يكنى أبا عمر كان شاعر أهل الاندلس المشهور المقدم ذكره على الشعراء روى عن أبى على البغدادى يعنى القالى كتاب النوادر من تأليفه وقد أخذ عنه أبو عمر بن عبد البر قطعة من شعره رواها عنه وضمنها بعض تأليفه قال ابن حيان وتوفى سنة ثلاث وأربعمائة يوم العنصرة فقيرا معدما ودفن بمقبرة كلع انتهى كلامه (قلت) يوم العنصرة يوم مشهور ببلاد الاندلس والعنصرة بفتح العين المهملة وسكون النون وفتح الصاد المهملة والراء وفى آخرها هاء وهو موسم للنصارى كالميلاد وغيره وهو اليوم ٣ الرابع والعشرون من حزيران فيه ولد يحيى بن زكريا عليهما السلام وفى آخر هذا اليوم حبس الله تعالى الشمس على يوشع بن نون عليه السلام حين بعثه موسى عليه السلام وكان يوشع ابن أخته الى أريحا لقتال الجبابرة فقتلهم وبقيت منهم بقية فخشى ان يحول الليل بينه وبينهم فسأل الله تعالى أن يحبس عليهم الشمس حتى يفرغ فحبسها بدعائه وقد ذكر الشعراء ذلك فى أشعارهم كثيرا فقال أبو تمام الطائى الشاعر المشهور من جملة قصيدة طويلة

فردت علينا الشمس والليل راغم * بشمس لها من جانب الخدر مطلع

نضى ضوءها صبغ الدجنة وانطوى * لبهجتها ثوب السماء المجزع

عدة أشهر من مباشرته القضاء نزل عليه القضاء (وذلك سنة تسع وثمانين وتسعمائة) كان رحمه الله عالما عاملا فاضلا كاملا حليما سليما لطيفا نظيفا وقورا صبورا مهتما بدرسه مشتغلا بنفسه له تعليق على كتاب الصوم من الهداية وحواش على المفتاح

٣ قوله الرابع والعشرون الخ هو آخر بؤنه من شهور القبط وحزيران بفتح الحاء وكسر الزاى اه

فوالله ما أدرى أأحلام نائم * ألمت بنا أم كان فى الركب يوشع

وقال أبو العلاء المعرى من جملة قصيدة طويلة أيضا

ويوشع رد يوحا بعض يوم * وأنت متى سفرت رددت يوحا

ويوح بضم الباء الموحدة وسكون الواو وبعدها حاء مهملة اسم من اسماء الشمس وكذلك يوح بالياء المثناة من تحتها وأريحا بفتح الهمزة وكسر الراء ثم ياء ساكنة وبعدها حاء مهملة ثم ألف مقصورة بلدة بين القدس والشريعة من أرض الشام وهى قرية من مدائن لوط عليه السلام والرمادى بفتح الراء والميم وبعد الالف دال مهملة وبعدها ياء النسب هذه النسبة الى الرمادة قال ياقوت الحموى فى كتابه الذى سماه المشترك وضعا المختلف صقعا فى باب الرمادة الرمادة عشرة مواضع وعدها فقال الثالث رمادة المغرب ينسب اليها يوسف بن هرون الكندى الرمادى الشاعر القرطبى وكلع بفتح الكاف واللام وبعدها عين مهملة وهى مقبرة قرطبة والله أعلم وذكر ابن سعيد فى كتاب المغرب فى أشعار أهل المغرب ان الرمادى المذكور اكتسب صناعة الادب من شيخه أبى بكر يحيى بن هذيل الكفيف أعلم أدباء الاندلس وهو القائل

لا تلمنى على الوقوف بدار * أهلها صيروا السقام ضجيعى

جعلوا لى الى هواهم سبيلا * ثم سدوا على باب الرجوع

ثم قال وتوفى يحيى بن هذيل المذكور فى سنة ست أو خمس وثمانين وثلثمائة وهو ابن ست وثمانين سنة رحمه الله تعالى

(يوسف بن درة الشاعر المشهور المعروف بابن الدرى الموصلى الاصل)

كان شابا ذكيا ذكره أبو شجاع محمد بن على بن الدهان فى تاريخه وقال انه هلك مع الحاج سنة خمس وأربعين وخمسمائة لما خرجت عليهم زعب وقد ذكره عماد الدين الكاتب الاصبهانى فى كتاب خريدة القصر وذكره أبو المعالى سعد بن على الحظيرى المقدم ذكره فى كتاب زينة الدهر ومن مشهور شعره قوله فى رجل أرجل وقد أحسن فيه

مدور الكعب فاتخذه * لليل عرس وثل عرش

لو نظرت عينه الثريا * أخرجها من بنات نعش

وله غير هذا أشياء حسنة قال شيخنا الحافظ عز الدين أبو الحسن على بن محمد المعروف بابن الاثير الجزرى فى مختصر كتاب الحافظ أبى سعيد عبد الكريم بن السمعانى الذى عمله فى الانساب ما مثاله (قلت) الزعبى بكسر الزاى وسكون العين المهملة وآخره باء موحدة نسبة الى زعب بن مالك بن خفاف بن امرئ القيس بن بهثة ابن سليم بطن مشهور من سليم وهذه زعب هى التى أخذت الحاج سنة خمس وأربعين وخمسمائة فهلك منهم خلق كثير عظيم قتلا وجوعا وعطشا ثم ان الله تعالى رمى زعبا بالقلة والذلة بعده الى الآن ودرة بضم الدال المهملة والدرى بفتحها وتشديد الراء وبعدها ألف مقصورة

(أبو المحاسن يوسف بن اسمعيل بن على بن احمد بن الحسين بن ابراهيم المعروف بالشواء الملقب شهاب الدين الكوفى الاصل الحلبى المولد والمنشا والوفاة)

كان أديبا فاضلا متقنا لعلم العروض والقوافى شاعرا يقع له فى النظم معان بديعة فى البيتين والثلاثة وله ديوان شعر كبير يدخل فى أربع مجلدات وكان زيه على زى الحلبيين الاوائل فى اللباس والعمامة المشقوقة وكان كثير الملازمة لحلقة الشيخ تاج الدين أبى القاسم أحمد بن هبة الله بن سعد بن سعيد بن المقلد المعروف بابن الجبرانى الحلبى النحوى اللغوى الفاضل وأكثر ما أخذ الادب عنه وبصحبته انتفع وعاشر التاج أبا الفتح مسعود بن أبى الفضل النقاش الحلبى الشاعر المشهور زمانا وتخرج عليه فى عمل الشعر وكان بينى وبين الشهاب الشواء مودة أكيدة ومؤانسة كثيرة ولنا اجتماعات فى مجالس نتذاكر فيها الادب وأنشدنى كثيرا من شعره وما زال صاحبى منذ أواخر سنة ثلاث وثلاثين وستمائة الى حين وفاته وقبل ذلك كنت أراه قاعدا عند ابن الجبرانى المذكور فى موضع تصدره فى جامع حلب وكان يكثر التمشى فى الجامع أيضا على جارى

من القانون الاول الى آخر بحث الاستعارة وحواش على الهيات شرح المواقف وله رسالة فى وصف القلم أولها (أبيات)

لك الحمد يا من أنطق النون والقلم
فاوصافه جلت عن النقص والعدم
وأضحك من ثغر طرس بصنعه

عادتهم فى ذلك كما يعملون فى جامع دمشق ولم يكن بيننا اذذاك معرفة وكان حسن المحاورة مليح الايراد مع السكون والتأنى وأول شئ أنشدنى من شعره قوله

هاتيك ياصاح ربا العلع * ناشدتك الله فعرج معى * وانزل بنا بين بيوت النقا

فقد غدت آهلة المربع * حتى نطيل اليوم وقفا على الساكن أو عطفا على الموضع

وأنشدنى لنفسه أيضا ومهفهف عبث الزمان بخده * فكساه ثوبى ليله ونهاره

لامهدت عذرى محاسن وجهه * ان غض عندى منه غض عذاره

وأنشدته يوما فى أثناء مناشدة جرت بيننا قول شرف الدين أبى المحاسن المعروف بابن عنين الدمشقى المقدم ذكره فى صدر جهان المعروف بابن مارة البخارى وقيل السرخسى

مال ابن مارة دونه لعفاته * خرط القتاد أو منال الفرقد

مال لزوم الجمع يمنع صرفه * فى راحة مثل المنادى المفرد

فقال هذا ليس بجيد فقلت له ولم ذاك فقال ليس من شرط المنادى المفرد أن يكون مضموما ولا بد فقد يكون المنادى مفردا ولا يكون مضموما بان يكون نكرة غير معين كما تقول يا رجلا ولكن انا أعمل فى هذا شيأ ثم اننا اجتمعنا بعد ذلك فى الجامع وقال لى قد عملت فى ذلك المعنى شيأ فاسمعه ثم أنشد

لنا خليل له خلال * تعرب عن أصله الاخس

أضحت له مثل حيث كيف * وددت لو انها كأمس

فقلت له هذا أيضا فيه كلام فقال وما هو فقلت حيث فيها لغات فمن العرب من يبنيها على الضم ومنهم من يبنيها على الكسر ومنهم من يبنيها على الفتح وفيها لغات أخر غير هذه واما أمس فمنهم من يبنيها على الكسر ومنهم من يقول انها اسم معرب لكنه لا ينصرف وأنشدوا على هذه اللغة

لقد رأيت عجبا مذ امسا * عجائزا مثل السعالى خمسا

هذا اذا كانت أمس معرفة فاما اذا كانت نكرة فانها معربة قولا واحدا فسكت وكان كثيرا ما يستعمل العربية فى شعره فمن ذلك قوله ولا أدرى هل أنشدنيه أم لا فانه أنشدنى شيأ كثيرا من شعره وما ضبطت كل ما أنشدنيه وكذلك كل شئ أذكره بعد هذا الا أتحقق الحال فى سماعى منه فأورده مهملا فمن ذلك قوله

وكالخمس عشرة فى التمام * على رغم الحسود بغير آفه

فقد أصبحت تنوينا وأضحى * حبيبى لا تفارقه الاضافه

وله أيضا فى غلام أرسل أحد صدغيه وعقد الآخر

أرسل صدغا ولوى قاتلى * صدغا فأعيا بهما واصفه * فخلت ذا فى خده حية

تسعى وذا عقربا واقفه * ذا ألف ليست لوصل وذا * واو ولكن ليست العاطفه

ومن هذا النمط ما أنشدنيه بهاء الدين زهير بن محمد الكاتب المقدم ذكره لنفسه من جملة أبيات وهو

عسى عطفة للوصل يا واو صدغه * على فانى أعرف الواو تعطف

ولابى المحاسن الشواء أيضا قوله

ناديت وهو الشمس فى شهرة * والجسم للخفية كالفى

يا زاهيا أعرف من مضمر * صل واهيا أنكر من لاشى

وله فى المديح فتى فاق الورى كرما وباسا * عزيز الجار مخضر الجناب

ترى فى السلم منه غيث جود * وفى يوم الكريهة ليث غاب

اذا ما سل صارمه لحرب * أراك البرق فى كف السحاب

وله أيضا فى شخص لا يكتم السر لى صديق غدا وان كان لا ينـ * ـطق الا بغيبة أو محال

أشبه الناس بالصدى ان تحدثـ * ـه حديثا أعاده فى الحال

وأبكى بها عين اليراع من السقم
صلاة وتسليم على الروضة التى
تعطر من أنفاسها المسك والشمم
لقد أنت الاقلام شوقا بنانه
على أبد كتاب من العرب والعجم

وله أيضا قالوا حبيبك قد تضوع نشره * حتى غدا منه الفضاء معطرا

فأجبتهم والخال يعلو خده * أوما ترون النار تحرق عنبرا

(قلت) وقد تقدم فى ترجمة يحيى بن نزار المنبجى عدة مقاطيع من شعر العماد الجلى وغيره وفيها المام بهذا المعنى ولابى المحاسن أيضا قوله

هواك يا من له اختيال * مالى على مثله احتيال * قسمة أفعاله الحسنى

ثلاثة مالها انتقال * وعدك مستقبل وصبرى * ماض وشوقى اليك حال

وله أيضا ان كان قد حجبوه عنى غيرة * منهم عليه فقد قنعت بذكره

كالمسك ضاع لنا وضاع مكانه * عنا فأغنى نشره عن نشره

وله أيضا فديت بنفسى رأس عين ومن فيها * وبيض السواقى حول زرق سواقيها

اذا راقنى منها جوارى عيونها * أراق دمى منها عيون جواريها

وله فى غلام قد ختن

هنأت من أهواه عند ختانه * فرحا وقلبى قد عراه وجوم * يفديك من ألم ألم بك امرؤ

يخشى عليك اذا ثناك نسيم * أمعذبى كيف استطعت على الاذى * جلدا وأجزع ما يكون الريم

لو لم تكن هذى الطهارة سنة * قد سنها من قبل ابراهيم

لفتكت جهدى بالمزين اذ غدا * فى كفه موسى وأنت كليم

ومعظم شعره على هذا الاسلوب وقد أوردت منه انموذجا فيه كفاية وكان من المغالين فى التشيع وأكثر أهل حلب ما كانوا يعرفونه الا بالمحاسن الشواء والصواب فيه هو الذى ذكرته ههنا وان اسمه يوسف وكنيته أبو المحاسن وبعد هذا رأيت فى كتاب عقود الجمان الذى وضعه صاحبنا الكمال بن الشعار الموصلى وقد بنى ترجمة المذكور على يوسف وكنيته أبو المحاسن وكان صاحبه وأخذ عنه كثيرا من شعره وهو من أخبر الناس بحاله واعلم ذلك فى وقته وكان مولده تقريبا فى سنة اثنتين وستين وخمسمائة فانه كان لا يتحقق مولده وتوفى يوم الجمعة تاسع عشر المحرم سنة خمس وثلاثين وستمائة بحلب ودفن ظاهرها بمقبرة باب انطاكية غربى البلد ولم أحضر الصلاة عليه لعذر عرض لى فى ذلك الوقت رحمه الله تعالى فلقد كان نعم الصاحب وأما شيخنا ابن الجبرانى المذكور فهو طائى بحترى وكان من قرية من أعمال عزاز يقال لها جبرين فورسطا يا نسب اليها هكذا أخبر عن نفسه وكان متضلعا من علم الادب خصوصا اللغة فانها كانت غالبة عليه وكان متجرا فيها وكان له تصدر فى جامع حلب فى المقصورة الشرقية المشرفة على صحن الجامع قبالة المقصورة التى يصلى فيها قضاة حلب يوم الجمعة ولقد كنت يوما قاعدا فى هذه المقصورة عند الدرابزين الذى الى جهة الصحن واذا به قد حضر ومعه جماعة من أصحابه وفيهم الشهاب أبو المحاسن الشواء المذكور وجلس فى المحراب الصغير الذى فى هذه المقصورة وهو موضع تصدره فجعلت بالى من كلامه وأنا فى ذلك الوقت مشتغل بالادب فسمعته يتكلم فى قاعدة الافعال الثلاثية التى أولها واو وهى على فعل بكسر العين مثل وجل وغيره وان مضارعه فيه أربع لغات يوجل وييجل وياجل وييجل الا ما شذ من الافعال الثمانية التى هى ورم وورث وورع وورى وومق ووثق ووفق وولى فان مضارعها أيضا بالكسر كما ضبطها وشذ من ذلك قولهم وسع يسع ووطئ يطا وانما يفتح هذان الفعلان فى المضارع لاجل حرفى الحلق وأطال الكلام فى ذلك بما لم أقدر على حفظه فى ذلك الوقت ولم أسمع منه غير هذا الفصل وكان مولده يوم الاربعاء الثانى والعشرين من شوال سنة احدى وستين وخمسمائة وتوفى يوم الاثنين سابع رجب من سنة ثمان وعشرين وستمائة بحلب ودفن فى سفح جبل جوشن رحمه الله تعالى

(ابو الحجاج يوسف بن محمد بن ابراهيم الانصارى البياسى أحد فضلاء الاندلس وحفاظها المتقنين)

كان أديبا بارعا فاضلا مطلعا على أقسام كلام العالم من النظم والنثر وراويا للوقائع وحروبها وأيامها بلغنى

وقال فى أثناء التوصيف
ألا وهو من عجائب الآفاق
وغرائب الاتفاق التى قلما
توجد فى بطون الاوراق
وهو شاب حسن ذو بلاغة
ولسن له قد كامل ولطف
شامل فكان يشار اليه
بالانامل صبيح الجبهة فصيح
اللهجة جميل الخد محاسنه
خارجة عن الحد اعتلى على

انه كان يحفظ كلام الحماسة تأليف أبي تمام المذكور وديوان أبي الطيب المتنبي وسقط الزند ديوان أبي العلاء المعري الى غير ذلك من الاشعار من شعراء الجاهلية والاسلام وتنقل في بلاد الاندلس وطاف بأكثرها ولما قدم من جزيرة الاندلس الى مدينة تونس جمع للامير أبي زكريا يحيى بن أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص عمر صاحب افريقية رحمهم الله تعالى أجمعين كتابا سماه الاعلام بالحروب الواقعة في صدر الاسلام ابتدأ فيه بمقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه وختم بخروج الوليد بن طريف الشاري على هرون الرشيد ببلاد الجزيرة الفراتية وقد ذكرت ترجمة الوليد المذكور وخبره وما جرى له ومقتله على يد يزيد بن زائدة الشيباني وذكرت يزيد المذكور في ترجمة مستقلة أيضا قبل هذا واستوفيت القصة في الترجمتين ورأيت هذا الكتاب فطالعته وهو في مجلدين أجاد في تصنيفه وكلامه فيه كلام عارف بهذا الفن ورأيت له أيضا كتاب الحماسة في مجلدين وقد قرئت النسخة عليه وعليها خطه كتبه في أواخر شهر ربيع الآخر سنة خمسين وستمائة وقال في آخر الكتاب وكان الفراغ من تأليفه وترتيبه بمدينة تونس حرسها الله تعالى في شوال سنة ست وأربعين وستمائة ونقلت من أوله بعد الحمدلة ما مثاله أما بعد فاني قد كنت في أوان حداثتي وزمان شبيبتي ذا ولوع بالادب ومحبة في كلام العرب ولم أزل متتبعا لمعانيه ومفتشا عن قواعده ومبانيه الى ان حصلت لي جملة منه لا يسع الطالب المجتهد جهلها ولا يصلح بالناظر في هذا العلم الا أن يكون عنده مثلها وحملتني المحبة في ذلك العلم والولوع به على ان جمعت مما اخترته واستحسنته من أشعار العرب جاهليها ومخضرميها واسلاميها ومولدها ومن أشعار المحدثين من أهل المشرق والاندلس وغيرهم ما تحسن به المحاضرة وتجمل عليه المناظرة ثم اني رأيت ان بقاءها دون ان تدخل تحت قانون يجمعها وديوان يؤلفها موذن بذهابها ومؤد الى فسادها فرأيت ان اضم مختارها وأجمع مستحسنها تحت أبواب تقيد نافرها وتضم نادرها فنظرت في ذلك فلم أجد أقرب تبويبا ولا أحسن ترتيب مما بوبه ورتبه أبو تمام حبيب بن أوس رحمه الله تعالى في كتابه المعروف بكتاب الحماسة وحسن الاقتداء به والتوخي بمذهبه لتقدمه في هذه الصناعة وانفراده منها بأوفر حظ وأنفس بضاعة فاتبعت في ذلك مذهبه ونزعت منزعه وقرنت الشعر بما يجانسه ووصلته بما يناسبه ونقحت ذلك واخترته على قدر استطاعتي وبلوغ جهدي وطاقتي (قلت) وأطال القول بعد هذا بما لا حاجة بنا الى ذكره ونقلت منه شيأ فمن ذلك ما ذكره في باب المراثي قال أبو علي القالي البغدادي أنشدنا أبو بكر بن دريد قال أنشدنا أبو حاتم السجستاني

ألا في سبيل الله ماذا تضمنت * بطون الثرى واستودع البلد القفر
بدورا اذا الدنيا دجت أشرقت بهم * وان أجدبت يوما فأيديهم القطر
فيا شامتا بالموت لا تشمتن بهم * حياتهم فخر وموتهم ذكر
حياتهم كانت لاعدائهم عمى * وموتهم للفاخرين بهم فخر
أقاموا بظهر الارض فاخضر عودها * وصاروا ببطن الارض فاستوحش الظهر

ونقلت من باب النسيب قول العباس بن الاحنف

تحمل عظيم الذنب ممن تحبه * وان كنت مظلوما فقل أنا ظالم
فانك ان لم تغفر الذنب في الهوى * يفارقك من تهوى وأنفك راغم

وقول الواوا الدمشقي هكذا قال وظني انها لابي فراس بن حمدان والله أعلم

بالله ربكما عوجا على سكني * وعاتباه لعل العتب يعطفه * وعرضا بي وقولا في حديثكما
ما بال عبدك بالهجران تتلفه * فان تبسم قولا في ملاطفة * ما ضر لو بوصال منك تسعفه
وان بدا لكما من سيدي غضب * فغالطاه وقولا ليس نعرفه

وقول المجنون

تعلقت ليلى وهي غر صغيرة * ولم يبد للاتراب من ثديها حجم
صغيرين نرعى البهم يا ليت اننا * الى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم

منار الاصابع خطيبا وأطلق لسانه في ميادين الطروس أديبا فكأنه ربي بلبان البيان صغيرا ونظم عقود المعاني فحسبناها لؤلؤا منثورا نبي كامل الشيم ناسخ كتب الامم آدم تلقى من ربه كلمات وهو وليه يخرجه من الظلمات أو ذو النون!

البهم الصغار من أولاد الضأن الواحدة بهمة بفتح الباء الموحدة وسكون الهاء وهذان البيتان يستدل بهم النحاة على انتصاب الحال من الفاعل والمفعول به معا بلفظ واحد فان صغيرين انتصب على الحال من التاء في قوله تعلقت وهي فاعلة ومن ليلى وهي مفعولة ومثله قول عنترة العبسي

متى ما تلقني فردين ترجف * روانف اليتيك وتستطارا

نصب فردين على الحال من ضميري الفاعل والمفعول في تلقني ذكره ابن الانباري في كتاب أسرار العربية في باب الحال وقول الواوا الدمشقي أيضا ذكره في حماسة البياسي المذكور أيضا

وزائر راع كل الناس منظره * أحلى من الامن عند الخائف الوجل
ألقى على الليل ليلا من ذوائبه * فهابه الصبح ان يبدو من الخجل
أراد بالقتل هجري فاستجرت به * فاستل بالوصل روحي من يدي أجلي
فصرت فيه أمير العاشقين فقد * صارت ولاية أهل العشق من قبلي

وقال علي بن عطية البلنسي بن الزقاق

ومرتجة الاعطاف اما قوامها * فلدن واما ردفها فرداح * ألمت فصار الليل من قصر به
يطير وما غير السرور جناح * وبت وقد زارت بأنعم ليلة * تعانقني حتى الصباح صباح
على عاتقي من ساعديها حمائل * وفي خصرها من ساعدي وشاح

وقال أحمد بن الحسين بن خلف المعروف بابن البناء اليعمري (قلت) هو المقدم ذكره في ترجمة يوسف بن عبد المؤمن صاحب المغرب وكان قد أخرجه صاحب ميورقة وسيره في البحر فسار واياهم فهبت عليهم الريح فردتهم فقال

أحبتنا الألى عتبوا علينا * فاقصونا وقد أزف الوداع
لقد كنتم لنا جذلا وانسا * فهل في العيش بعدكم انتفاع * أقول وقد صدرنا بعد يوم
اشوق بالسفينة أم نزاع * اذا طارت بنا حامت عليكم * كأن قلوبنا فيها شراع

وقال الواثق بالله وليس فيه غناء

ما كنت اعرف ما في البين من حزن * حتى تنادوا بأن قد جيء بالسفن
قامت تودعني والدمع يغلبها * فجمجمت بعض ما قالت ولم تبن
مالت علي تفديني وترشفني * كما يميل نسيم الريح بالغصن
فاعرضت ثم قالت وهي باكية * يا ليت معرفتي اياك لم تكن

وأورد في باب القرى والاضياف والفخر والمديح قول أبي الحسن بن جعفر بن ابراهيم بن الحجاج اللورقي

عجبا لمن طاب المحا * مد وهو يمنع ماليديه * ولباسط آماله * للمجد لم يبسط يديه
لم لا أحب الضيف أو * ارتاح من طرب اليه * والضيف يأكل رزقه * عندي ويحمدني عليه

ومما ينسب الى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال حين كف بصره

ان يأخذ الله من عيني نورهما * ففي لساني وقلبي منهما نور
قلبي ذكي وذهني غير ذي دخل * وفي فمي صارم كالسيف مطرور

وذكر في باب الهجاء والعتاب وما يتعلق بهما لابي العالية أحمد بن مالك الشامي

أذم بغداد والمقام بها * من بعد ما خبرة وتجريب * ما عند ملاكها لمرتقب
رفد ولا فرجة لمكروب * خلوا سبيل العلى لغيرهم * ونازعوا في الفسوق والحوب
يحتاج راجي النجاح عندهم * الى ثلاث من بعد تقريب
كنوز قارون ان تكون له * وعمر نوح وصبر أيوب

وأنشدني أبو بكر محمد بن يحيى الصوفي لابي العطاف الكوفي صالح بن عبد الرحمن بن نشيط

يا ابن الوليد أبن لنا * ان البيان له حدود * مالي اراك مسيبا * أين السلاسل والقيود

التقمه حوت فيه مفتوح فنبذ بالعراء فهو سقيم أو أيوب يصبر على الدود وهو مجروح مع انه على خدمة باريه مقيم أو يوسف أرسل مع اخوته يرتع ويلعب وقد ألقي في غيابة الجب فياله من عجب نحرير قادر على التحرير وسند كامل في التعبير أضنى جسده كسالك

أغلا الحديد بأرضكم * أم ليس يصطك الحديد

(قلت) الى ههنا نقلت من كتاب الحماسة المذكور وفيه كفاية اذ كان الغرض ايراد شئ من اخبار هذا الرجل ليستدل به على معرفته فى الشعر وكان مولده يوم الخميس الرابع عشر من شهر ربيع الاول سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة وتوفى يوم الاحد الرابع من ذى القعدة سنة ثلاث وخمسين وستمائة بمدينة تونس رحمه الله تعالى والبياسى بفتح الباء الموحدة والياء المشددة المثناة من تحتها هذه النسبة الى بياسة وهى مدينة كبيرة بالاندلس معدودة فى كورة جيان هكذا قاله ياقوت الحموى فى كتاب المشترك وضعا

(أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب النحوى)

قال أبو عبد الله المرزبانى فى كتابه المقتبس فى اخبار النحويين هو مولى ضبة وقيل هو مولى بنى ليث بن بكر بن عبد مناف بن كنانة وقيل مولى بلال بن هرمى من بنى ضبيعة بن بجالة وهو من أهل جبل ومولده سنة تسعين ومات سنة اثنتين وثمانين ومائة وكان يقول أذكر موت الحجاج وقيل مولده سنة ثمانين وقيل انه رأى الحجاج وعاش مائة سنة وسنتين وقيل عاش ثمانيا وتسعين سنة وقال غير المرزبانى أخذ يونس الادب عن أبى عمرو بن العلاء وحماد بن سلمة وكان النحو أغلب عليه وسمع من العرب وروى سيبويه عنه كثيرا وسمع منه الكسائى والفراء وله قياس فى النحو ومذاهب ينفرد بها وكان من الطبقة الخامسة فى الادب وكانت حلقته بالبصرة ينتابها الادباء وفصحاء العرب وأهل البادية قال ابو عبيدة معمر بن المثنى اختلفت الى يونس أربعين سنة املا كل يوم الواحى من حفظه وقال أبو زيد الانصارى النحوى جلست الى يونس بن حبيب عشر سنين وجلس اليه قبلى خلف الاحمر عشرين سنة وقال يونس قال لى رؤبة بن العجاج حتام تسألنى عن هذه البواطل وازخرفها لك اما ترى الشيب قد بلغ فى لحيتك وليونس من الكتب التى صنفها كتاب معانى القرآن الكريم وكتاب اللغات وكتاب الامثال وكتاب النوادر الصغير وقال اسحق بن ابراهيم الموصلى عاش يونس ثمانيا وثمانين سنة لم يتزوج ولم يتسر ولم تكن له همة الا طلب العلم ومحادثة الرجال وقال يونس لو تمنيت ان أقول الشعر لما تمنيت ان أقول الا مثل قول عدى بن زيد العبادى

أيها الشامت المعير بالدهـ * ـر أأنت المبرأ الموفور

(قلت) وهذا البيت من جملة ابيات سائرة بين الادباء فيها مواعظ وعبر و بعد هذا البيت

أم لديك العهد القديم من الايـ * ـام بل أنت جاهل مغرور
من رأيت المنون خلدن أم من * ذا عليه من ان يضام خفير
أين كسرى كسرى الملوك انوشر * وان ام اين قبله سابور
وبنو الاصفر الكرام ملوك الـ * ـروم لم يبق منهم مذكور
واخو الحضر اذبناه واذدجـ * ـلة تجبى اليه والخابور
شاده مرمرا وجلله كلـ * ـسا فللطير فى ذراه وكور
لم يهبه صرف الزمان فباد الـ * ـملك عنه فبابه مهجور
وتفكر رب الخورنق اذ اشـ * ـرف يوما وللهدى تفكير
سره ملكه وكثرة ما يمـ * ـلك والبحر معرضا والسدير
فارعوى قلبه فقال وما غبـ * ـطة حى الى الممات يصير
ثم بعد الفلاح والملك والامـ * ـة وارتهم هناك القبور
ثم صاروا كانهم ورق جف * فالوت به الصبا والدبور

قلت وهذه الابيات تحتاج الى تفسير طويل ولو شرعت فيه لطال الكلام وخرجنا عن المقصود فان اكثرها يتعلق بالتاريخ وفيها شئ يتعلق بالادب فاقتصرت على الاتيان بالغرض وتركت الباقى خوفا من الاطالة فلعل الشرح يدخل فى أربع خمس كراريس وليس هذا موضعه وروى محمد بن سلام الجمحى عن يونس

جرتاض وأفنى عمره فى خدمة البارى والى أمره راض

(وممن انقطع فى الطريق عن القرين والرفيق المولى خضر بيك ابن عبد الكريم القاضى) كان أبوه رحمه الله جلالا المسطور فى الشقائق النعمانية وولد رحمه الله بقسطنطينية المحمية ونشأ فى

انه

انه قال ما بكت العرب على شئ فى اشعارها كبكائها على الشباب وما بلغت كنهه فاتبع هذا الكلام منصور النميرى فقال من جملة قصيدة طويلة يمدح بها هرون بيتا وهو

ما كنت اوفى شبابى كنه عزته * حتى انقضى فاذا الدنيا له تبع

وقال يونس تقول العرب فرقة الاحباب سقم الالباب وأنشد

شيآن لو بكت الدماء عليهما * عيناى حتى يؤذنا بذهاب
لم يبلغا المعشار من حقيهما * شرخ الشباب وفرقة الاحباب

وقال يونس لم يقل لبيد فى الاسلام سوى بيت واحد وهو

الحمد لله اذ لم يأتنى اجلى * حتى لبست من الاسلام سربالا

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى قدم جعفر بن سليمان العباسى من عند المهدى الخليفة فبعث الى يونس بن حبيب فقال له انا وأمير المؤمنين اختلفنا فى هذا البيت

والشيب ينهض فى السواد كأنه * ليل يصيح بجانبيه نهار

فما الليل والنهار فقال يونس الليل الليل الذى تعرف والنهار النهار الذى تعرف فقال زعم المهدى ان الليل فرخ الكروان والنهار فرخ الحبارى فقال أبو عبيدة القول فى البيت ما قاله يونس والذى قاله المهدى معروف فى الغريب من اللغة وقال يونس كان جبلة بن عبد الرحمن يخرج الى طباخه الرقاع يستدعى بها الطعام وفيها الالفاظ الغريبة الحوشية فلا يدرى الطباخ ما فيها حتى يمضى بها الى ابن أبى اسحق و يحيى بن يعمر وغيرهما يفسرون ما فيها من الالفاظ فاذا عرف الطباخ ما فيها أتاه بما استدعاه فقال له يوما ويحك انى أصوم معك فقال له الطباخ سهل كلامك حتى يسهل طعامك فيقول يا ابن اللخناء أفادع عربيتى لعيلك وكان يونس من أهل جبل وهى بليدة على دجلة بين بغداد وواسط وكان لا يؤثر أن ينسب اليها فلقيه رجل من بنى أبى عمير فقال له يا أبا عبد الرحمن ما تقول فى جبل أتنصرف ام لا ففهمه يونس فالتفت العميرى فلم ير أحدا يشهده عليه حتى اذا كان من الغد وجلس للناس أتاه العميرى فقال يا أبا عبد الرحمن ما تقول فى جبل أتنصرف أم لا فقال له يونس الجواب ما قلته لك أمس وجبل بفتح الجيم وضم الباء الموحدة المشددة كذا قاله الحافظ بن السمعانى فى كتاب الانساب وهذه جبل منها أبو الخطاب الجبلى الشاعر المشهور ومن شعره قوله

كم جبت نحوك مهمها ولم يعن * سوقى عليه لما قدرت أجوبه
وركبت اخطارا اليك مخوفة * ولحبذا اخطار اليك ركوبه

قال السمعانى وتوفى أبو الخطاب المذكور فى ذى القعدة سنة تسع وثلاثين وأربعمائة وكان بينه و بين أبى العلاء المعرى مشاعرة وكتب اليه أبو العلاء قصيدته التى أولها ٤ *غير مجد فى ملتى واعتقادى* (قلت) وهذا غلط منه بل كتبها أبو العلاء المعرى الى أبى حمزة الحسن بن عبد الله الفقيه الحنفى قاضى منبج كان وقد ذكر ذلك الفقيه القاضى كمال الدين عرف بابن العديم الحلبى وحبيب اسم أمه ولهذا لا يصرفونه فانه لا يعرف له أب و يقال انه ولد ملاعنة و يقال انه اسم أبيه فينصرف والله أعلم وكذلك محمد بن حبيب النسابة أيضا ودخل يونس المسجد يوما وهو يتهادى بين اثنين من الكبر فقال له رجل كان يتهمه فى مودته بلغت ما أرى يا أبا عبد الرحمن فقال هو الذى ترى لا بلغته فاخذ هذا المعنى جماعة من الشعراء فنظموه وقال أبو الخطاب زياد بن يحيى مثل يونس كمثل كوز ضيق الرأس لا يدخله شئ الا بعسر فاذا دخله لم يخرج منه يعنى انه لا ينسى شيأ وقد ذكرت تاريخ مولده وموته فى أول الترجمة وقيل انه توفى سنة ثلاث وثمانين وقيل خمس وثمانين وقال عبد الباقى بن قانع سنة أربع وثمانين ومائة والله أعلم وقيل انه عاش ثمانيا وتسعين سنة رحمه الله تعالى

(ابو موسى يونس بن عبد الاعلى بن موسى بن ميسرة بن حفص بن حيان الصدفى المصرى الفقيه الشافعى)

أحد أصحاب الشافعى رضى الله عنه والمكثرين فى الرواية عنه والملازمة له وكان كثير الورع متين الدين وكان

خدمة الافاضل الاكارم وصحبة الاماجد الافاخم وقرأ على فضلاء عصره وأوانه وعلماء دهره وزمانه وتشرف منهم بالاستفادة حتى صار ملازما من المولى أحد المشتهر بعلم زاده

٣ ترجمة أبى الخطاب زياد ابن يحيى الجبلى الشاعر

٤ قوله غير مجد الخ قالها المعرى يرثى بها فقيها حنفيا وذكرنها فى معاهد التنصيص ١٨ بيتا فى صفحة ٦٥

علامة فى علم الاخبار والصحيح والسقيم لم يشاركه فى زمانه فى هذا أحد وقد سبق فى هذا الكتاب ذكر حفيده أبى سعيد عبد الرحمن بن احمد بن يونس وهو المنجم المشهور صاحب الزيج وكل واحد منهما امام فى فنه وأخذ يونس القراءة عرضا عن ورش وسقلاب بن شيبة ويعلى بن دحية عن نافع وعن على بن أبى كبشة عن سليم عن حمزة بن حبيب الزيات وسمع سفيان بن عيينة وعبد الله بن وهب المصرى وروى القراءة عنه مواس بن سهل ومحمد بن الربيع وأسامة بن أحمد ومحمد بن اسحق بن خزيمة ومحمد بن جرير الطبرى وغيرهم وكان محدثا جليلا وذكره أبو عبد الله القضاعى فى كتاب خطط مصر فقال كان من أفضل أهل زمانه وكان من العقلاء يروى عن الشافعى رضى الله عنه انه قال ما رأيت بمصر أعقل من يونس ابن عبد الاعلى وصحب الشافعى وأخذ عنه الحديث والفقه وحدث بهما عنه جماعة وله حبس فى ديوان الحكم وعقب وله دار مشهورة فى خطة الصدف مكتوب عليها اسمه وتاريخها سنة خمس عشرة ومائتين وكان أحد الشهود بمصر أقام شاهدا ستين سنة وذكر غير القضاعى ان يونس بن عبد الاعلى روى عنه الامام مسلم بن الحجاج القشيرى وأبو عبد الرحمن النسائى وأبو عبد الله بن ماجه وغيرهم وقال أبو الحسن بن زولاق فى كتاب أخبار قضاة مصر ان القاضى بكار بن قتيبة لما تولى قضاء مصر وتوجه اليها من بغداد لقى فى طريقه محمد بن الليث قاضى مصر كان قبله بالجفار خارجا من مصر الى العراق مصروفا فقال له بكار أنا رجل غريب وأنت قد عرفت البلد فدلنى على من أشاوره وأسكن اليه فقال له عليك برجلين أحدهما عاقل وهو يونس بن عبد الاعلى فانى سعيت فى دمه فقدر على فحقن دمى والآخر أبو هرون موسى بن عبد الرحمن بن القاسم فانه رجل زاهد فقال له بكار صف لى الرجلين فقال له أما يونس فرجل طوال أبيض ووصفه ووصف موسى فلما دخل بكار مصر ودخل الناس اليه دخل شيخ فيه صفة يونس فرفعه بكار وأقبل يحدثه ويقول يا أبا موسى فى كل حديثه فبينما بكار كذلك اذ قيل له قد جاء يونس فاقبل على الرجل وقال له يا هذا من أنت وما سكوتك كذا لو أفشيت اليك سرا لى ثم دخل يونس فأكرمه ورفعه وأتاه موسى بن عبد الرحمن فاختص بهما وأخذ رأيهما وقيل ان موسى المذكور اختص به القاضى بكار وكان يتبرك به لزهده فقال له يوما يا أبا هرون من أين المعيشة قال من وقف وقفه أبى فقال له بكار أيكفيك قال قد تكفيت به وقد سألنى القاضى فاريد ان أسأله قال سل قال هل ركب القاضى دين بالبصرة حتى تولى بسببه القضاء قال لا قال فهل رزق ولدا أحوجه الى ذلك قال لا ما نكحت قط قال فهل لك عيال كثيرة قال لا قال فهل أجبرك السلطان وعرض عليك العذاب وخوفك قال لا قال فضربت آباط الابل من البصرة الى مصر لغير حاجة ولا ضرورة لله على لا دخلت عليك أبدا فقال يا أبا هرون أقلنى قال أنت بدأت بالمسألة ولو سكت لسكت ثم انصرف عنه ولم يعد اليه بعدها وقال يونس رأيت فى المنام قائلا يقول لى ان اسم الله الاكبر لا اله الا الله ونقلت من كتاب المنتظم فى اخبار من سكن المقطم قال فى ترجمة يونس المذكور ومن حكاياته التى حكاها عن غيره ان رجلا جاء الى نخاس فقال أسلفنى ألف دينار الى أجل فقال له النخاس من يضمن المبلغ قال الله تعالى فاعطاه ألف دينار فسافر بها الرجل يتجر فلما بلغ الاجل أراد الخروج اليه فحبسه عدم الريح فعمل تابوتا وجعل فيه ألف دينار وأغلقه وسمره وألقاه فى البحر فقال اللهم هذا الذى ضمنته لى فخرج صاحب المال ينتظر قدوم الذى معه المال فرأى سوادا فى البحر فقال ائتونى بهذا فأتى بالتابوت ففتحه فاذا فيه ألف دينار ثم ان الرجل جمع ألفا بعد ذلك وطابت الريح فجاء الى النخاس وسلم عليه فقال له النخاس من أنت فقال أنا صاحب الالف هذه الفك فقال النخاس لا أقبلها منك حتى تخبرنى ما صنعت بها فاخبره بالذى صنع وان الريح لم تطب فقال له النخاس قد أدى الله عز وجل عنك الالف ووصلت وله أخبار كثيرة وروايات مأثورة وكان يونس يروى للشافعى رضى الله عنه

ما حك جلدك مثل ظفرك * فتول أنت جميع أمرك
واذا قصدت لحاجة * فاقصد لمعترف بقدرك

وقال يونس قال لى الشافعى رضى الله عنه يا يونس دخلت بغداد فقلت لا قال ما رأيت الدنيا ولا رأيت الناس

وقال

ودرس أولا بمدرسة جده المفتى أحمد باشا بمحروسة بروسه بعشرين ثم صار وظيفته فيها خمساوعشرين ثم بها ثانيا بثلاثين ثم بمدرسة ستى خاتون بقسطنطينية المحمية بأربعين

وقال يونس سمعت من الشافعى كلمة لا تسمع الا من مثله وهى رضا الناس غاية لا تدرك فانظر ما فيه صلاح نفسك فى أمر دينك ودنياك فالزمه وقال على بن قديد كان يونس بن عبد الاعلى يحفظ الحديث ويقوم به وذكره أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب ٤ النسوى فقال هو ثقة وقال غيره ولد يونس فى ذى الحجة سنة سبعين ومائة وتوفى يوم الثلاثاء ليومين بقيا من شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين ومائتين وهى السنة التى مات فيها المزنى رحمه الله تعالى وكانت وفاته بمصر ودفن فى مقابر الصدف وقبره مشهور بالقرافة وأما أبوه عبد الاعلى فانه يكنى أبا سلمة وكان رجلا صالحا ومن كلامه من اشترى ما لا يحتاج اليه باع ما يحتاج اليه وقال ولده يونس والامر عندى كما قال وتوفى عبد الاعلى المذكور فى المحرم سنة احدى ومائتين ومولده سنة احدى وعشرين ومائة وأما ابنه أبو الحسن أحمد بن يونس والد أبى سعيد عبد الرحمن بن أحمد صاحب تاريخ مصر فان ابنه أبا سعيد عبد الرحمن بن أحمد ذكر فى تاريخه انه ولد فى ذى القعدة سنة أربعين ومائتين وتوفى يوم الجمعة أول يوم من رجب سنة اثنتين وثلثمائة وقال هو عديد للصدف وليس من أنفس الصدف ولا من مواليهم والصدفى بفتح الصاد والدال المهملتين وبعدهما فاء هذه النسبة الى الصدف بكسر الدال وذكر السهيلى انه بكسر الدال وفتحها وانما فتحوا الدال فى النسب مع كسرها فى غير النسب كى لا يوالوا بين كسرتين قبل ياء ين كما قالوا فى النسبة الى النمر نمرى وغير ذلك واختلفوا فى اسم الصدف فقيل هو مالك بن سهيل بن عمرو بن قيس هكذا قاله القضاعى فى كتاب الخطط وزاد السمعانى فى كتاب الانساب على هذا النسب فقال الصدف بن سهيل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن حيدان بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن هميسع بن حمير بن سبا وقال الدارقطنى واسم الصدف سهال بن دعمى بن زياد بن حضرموت وقال الحازمى فى كتاب العجالة فى النسب هو عمرو بن مالك والله أعلم وقال القضاعى دعوتهم مع كندة وانما سمى الصدف لانه صدف بوجهه عن قومه حين أتاهم سيل العرم فأجمعوا على ردمه فصدف عنهم بوجهه تلقاء حضرموت فسمى الصدف وقيل انما سمى الصدف لانه كان رجلا شجاعا لا يذعن لاحد من العرب فبعث اليه بعض ملوك غسان رسولا ليقدم به عليه فعدا على الرسول فقتله وخرج هاربا فبعث الملك اليه رجلا فى خيل عظيمة فكان كلما جاء حيا من أحياء العرب سأل عن الصدف فيقولون صدف عنا وما رأيناه وجها فسمى الصدف من يومئذ ثم لحق بكندة فنزل فيهم قال أرباب علم النسب أكثر الصدف بمصر وبلاد المغرب والله أعلم (قلت) قد خرجنا عن المقصود لكنه ما يخلو من فائدة

(يونس بن محمد بن منعة بن مالك بن محمد بن سعد بن سعيد بن عاصم بن عائذ بن كعب بن قيس الملقب رضى الدين الاربلى والد الشيخين عماد الدين ابى حامد محمد وكمال الدين أبى الفتح موسى)

وقد تقدم ذكرهما (قلت) هكذا وجدت نسبه بخط بعض أصحابنا المتأدبين ولم أعلم من أين له هذه الزيادة والذى أعرفه من نسبه هو الذى ذكرته فى ترجمة ولديه والله أعلم كان الشيخ يونس المذكور من أهل اربل ومولده بها وقدم الموصل فتفقه بها على تاج الاسلام أبى عبد الله الحسين بن نصر المعروف بابن خميس الكعبى الجهنى المقدم ذكره وسمع عليه كثيرا من كتبه ومسموعاته ثم انحدر الى بغداد وتفقه بها على الشيخ أبى منصور سعيد بن محمد بن عمر المعروف بابن الرزاز مدرس النظامية ثم أصعد الى الموصل وتدربها وصادف بها قبولا تاما عند المتولى بها الامير زين الدين أبى الحسن على بن بكتكين والد الملك المعظم مظفر الدين صاحب اربل المقدم ذكره فى حرف الكاف وفوض له تدريس مسجده المعروف به وجعل نظره اليه فكان يدرس ويفتى ويناظر وتقصده الطلبة للاشتغال عليه والمباحثة مع ولديه المذكورين ولم يزل على قدم الفتوى والتدريس والمناظرة الى أن توفى بالموصل يوم الاثنين سادس المحرم سنة ست وسبعين وخمسمائة وسمعت بعض خواصهم يقول توفى سنة خمس وسبعين وأما ولده الشيخ كمال الدين فكان يقول بل توفى سنة ست وسبعين وهو أعلم بذلك ودفن بتربته المجاورة لمسجد زين الدين المذكور رحمه الله تعالى وكان عمره ثمانيا وستين سنة وقد تقدم ذكر حفيده أيضا شرف الدين أحمد بن الشيخ كمال الدين موسى بن يونس

ثم مدرسة آغا ٣ بالمدينة المزبورة بخمسين ثم عزل عنها وقلد المدرسة المعروفة

٣ قوله بمدرسة أغا هكذا بالاصل ولعل اسمه ساقط فليحرر

٤ قوله النسوى هو النسائى اه

المذكور رحمهم الله تعالى وعلى الجملة فانه خرج من بيتهم جماعة من الفضلاء وانتفع بهم أهل تلك البلاد وغيرهم وكانوا مقصودين من بلاد العراق والعجم وغيرها رحمهم الله تعالى أجمعين وله شعر فمن ذلك قوله

لها زورة فى كل عام وتارة * تمر شهورا الحول لا نجتمع
وصال وصد لا لشئ سوى انها * على خلق الدنيا تجود وتمنع

وله غير ذلك والله أعلم

(يونس بن يوسف بن مساعد الشيبانى ثم المخارقى شيخ الفقراء اليونسية وهم منسوبون اليه ومعروفون به)

كان رجلا صالحا وسألت جماعة من أصحابه عن شيخه من كان فقالوا لم يكن له شيخ بل كان مجذوبا وهم يسمون من لا شيخ له بالمجذوب يريدون بذلك انه جذب الى طريق الخير والصلاح ويذكرون له كرامات أخبرنى الشيخ محمد بن أحمد بن عبيد كان قد رآه وهو صغير وذكر أن أباه أحمد كان صاحبه فقال كنا مسافرين والشيخ يونس معنا فنزلنا فى الطريق على عين بواروهى التى يجلب منها الملح البوارى وهى بين سنجار وعانة قال وكانت الطريق مخوفة فلم يقدر أحد منا أن ينام من شدة الخوف ونام الشيخ يونس فلما انتبه قلت له كيف قدرت تنام فقال لى والله ما نمت حتى جاء اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام وتدرك القفل فلما أصبحنا رحلنا سالمين ببركة الشيخ يونس قال وعزمت مرة على دخول نصيبين وكنت عند الشيخ يونس فى قريته فقال اذا دخلت البلد فاشتر لام مساعد كفنا قال وكانت فى عافية وهى أم ولده فقلت له وما بها حتى نشترى لها كفنا فقال ما يضر فذكر انه لما عاد وجدها قد ماتت وذكر له غير هذا من الاحوال والكرامات وأنشد له مواليا وهو

أنا حميت الحى وأنا سكنت فيه * وأنا رميت الخلائق فى بحار التيه
من كان يبغى العطا منى أنا أعطيه * وأنا فتى ما أدانى من به تشبيه

وذكر لى الشيخ محمد المذكور ان الشيخ يونس توفى سنة تسع عشرة وستمائة [٣] فى قريته وهى القنية من أعمال دارا وهى بضم القاف وفتح النون وتشديد الياء المثناة من تحتها تصغير قناة وقبره مشهور بها يزار وكان قد ناهز تسعين سنة من عمره رحمه الله تعالى

(قال المصنف ما مثاله)

نجز الكتاب الذى سميته [٤] وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان بحمد الله ومنه وذلك فى اليوم الثانى والعشرين من جمادى الآخرة سنة اثنتين وسبعين وستمائة بالقاهرة المحروسة (يقول) الفقير الى الله تعالى أحمد بن محمد بن ابراهيم بن خلكان مؤلف هذا الكتاب انى كنت شرعت فى هذا الكتاب فى التاريخ المذكور فى أوله على الصورة التى شرحتها هنالك مع استغراق الاوقات فى فصل القضايا الشرعية والاحكام الدينية بالقاهرة المحروسة فلما انتهيت فيه الى ترجمة يحيى بن خالد بن برمك حصلت لى حركة الى الشام المحروس فى خدمة الركاب العالى المولوى السلطانى الملكى الظاهرى ركن الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين أبى الفتح بيبرس قسيم أمير المؤمنين خلد الله سلطانه وشيد بدوام دولته قواعد الملك وثبت أركانه وكان الخروج من القاهرة المحروسة يوم الاحد سابع شوال سنة تسع وخمسين وستمائة ودخلنا دمشق يوم الاثنين سابع ذى القعدة من السنة المذكورة وقلدنى الاحكام بالبلاد الشامية يوم الخميس ثامن ذى الحجة من السنة المذكورة فتراكمت الاشغال وكثرت الموانع الصارفة عن اتمام هذا الكتاب فاقتصرت على ما كنت قد أثبته من ذلك وختمت الكتاب واعتذرت فى آخره بهذه الشواغل عن اكماله وقلت ان قدر الله تعالى مهلة فى الاجل وتسهيلا فى العمل استأنف كتابا يكون جامعا لجميع ما تدعو الحاجة اليه فى هذا الباب ثم حصل الانفصال عن الشام والرجوع الى الديار المصرية وكانت مدة المقام بدمشق المحروسة مدة عشر سنين كوامل لا تزيد يوما ولا تنقص يوما فانى دخلتها فى التاريخ المذكور وخرجت منها بكرة يوم الخميس ثامن ذى القعدة من سنة تسع وستين وستمائة فلما وصلت الى القاهرة صادفت فيها كتبا كنت أوثر الوقوف عليها وما كنت

بمناستر بمحروسة بروسه وتوفى مدرسا بها سنة تسع وثمانين وتسعمائة كان المرحوم من الغائصين فى بحار العلوم على غرر درر دقائق الفهوم مكبا على

[٣] قوله وستمائة هذا هو الصواب وما فى المقريزى من انها سبعمائة خطا محض اهـ قاله نصر الهورينى

[٤] قوله وفيات بفتح الفاء ولا يجوز كسرها اهـ قاله نصر

اتفرغ

أتفرغ لها فلما صرت أفرغ من حجام ساباط بعد ان كنت أشغل من ذات النحيين كما يقال فى هذين المثلين طالعت تلك الكتب وأخذت منها حاجتى ثم قصدت لاتمام هذا الكتاب حتى كمل على هذه الصورة وأنا على عزم الشروع فى الكتاب الذى وعدت به ان قدر الله تعالى ذلك والله يعين عليه ويسهل الطرق المؤدية اليه فمن وقف على هذا الكتاب من أهل العلم ورأى فيه شيأ من الخلل فلا يعجل بالمؤاخذة فيه فانى توخيت فيه الصحة حسبما ظهر لى مع انه كما يقال أبى الله أن يصح الا كتابه لكن هذا جهد المقل وبذل الاستطاعة وما يكلف الانسان الا ما تصل قدرته اليه وفوق كل ذى علم عليم وقد تقدم فى أول هذا الكتاب الاعتذار عن الدخول فى هذا الامر والحامل عليه فأغنى عن الاعادة ههنا والله يسترعيوبنا بكرمه الضافى ولا يكدر علينا ما منحنا من مشرع عطائه النمير الصافى ان شاء الله تعالى بمنه وكرمه

(ترجمة مؤلف هذا الكتاب جمعها الفقير نصر الهورينى من عدة كتب)

هو من بيت كبير بناحية اربل مدينة بالعراق على الشاطئ الشرقى من نهر دجلة بالقرب من الموصل من جهتها الشرقية وذكره ابن كثير فى تاريخه البداية والنهاية فيمن توفى من الاعيان سنة احدى وثمانين وستمائة فقال

ابن خلكان قاضى القضاة شمس الدين أبو العباس أحمد بن ابراهيم بن أبى بكر بن خلكان الاربلى الشافعى أحد الائمة الفضلاء والسادة العلماء والصدور الرؤساء وهو أول من جدد فى أيامه قضاة القضاة من بقية المذاهب فاستقلوا بالاحكام بعدما كانوا يكونون من نوابه وقد عزل بابن الصائغ ثم أعيد الى الحكم بعد سنين ثم أعيد ابن الصائغ كما تقدم بيانه وولى التدريس بعدة مدارس لم تجتمع لغيره ولم يبق معه فى آخر وقته سوى الامينية وبيد ابنه كمال الدين موسى تدريس النجيبية وكانت وفاته بالمدرسة النجيبية المذكورة يوم السبت آخر النهار السادس والعشرين من رجب ودفن من الغد بسفح قاسيون عن ثلاث وسبعين سنة وقد كان له نظم حسن رائق ومحاضرته فى غاية الحسن وله التاريخ المفيد الذى رسمه بوفيات الاعيان من أكبر المصنفات اهـ وقال المؤلف نفسه فى ترجمة أم المؤيد النيسابورية ما نصه ولنا منها اجازة كتبتها فى بعض شهور سنة عشر وستمائة ومولدى يوم الخميس بعد صلاة العصر حادى عشر شهر ربيع الآخر سنة ثمان وستمائة بمدينة اربل بمدرسة سلطانها الملك المعظم مظفر الدين بن زين الدين رحمهما الله وقال أيضا فى ترجمة عبد الاول السجزى انه سمع صحيح البخارى سنة احدى وعشرين وستمائة بمدينة اربل على الشيخ الصالح ابن هبة الله الذى ذكر بعد أنه توفى فى محرم أول السنة المذكورة وكان والد المؤلف متولى التدريس بمدرسة الملك المعظم المذكورة الى أن توفى سنة عشر وستمائة كما ذكره هو فى ترجمة أحمد بن كمال الدين وخرج المؤلف من بلده اربل سنة ٦٢٦ كما ذكره هو فى ترجمة عيسى بن سنجر ودخل حلب فى أواخر السنة المذكورة وأقام فيها سنين وكان فى سنة ثلاث وثلاثين وستمائة مقيما بدمشق وفى سنة ٦٣٧ كان مقيما بمصر كما ذكره فى ترجمة أحمد بن قطان الاربلى وذكر أيضا بعض أحواله مع السلطان بيبرس فى خاتمة هذا التأليف وبالجملة فمن تتبع كتابه هذا وتصفحه يعلم أحواله وأطواره وتنقلاته ثم رأيت ابن الكتبى صاحب كتاب فوات الوفيات المتوفى سنة ٧٦٤ ترجمه فقال

مولانا قاضى القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان الاربلى الشافعى تولى قضاء الشام ثم عزل عنها بابن الصائغ ثم عزل ابن الصائغ بعد سبع سنين به وكان يوما مشهودا وجلس فى منصب حكمه وتكلم الشعراء فقال الشيخ رشيد الدين الفارقى

أنت فى الشام مثل يوسف فى مصـ * ـر وعندى ان الكرام جناس
ولكل سبع شداد وبعد السبع * عام فيه يغاث الناس

وقال سعد الدين الفارقى

أذقت الشام سبع سنين جدبا * غداة هجرته هجرا جميلا
فلما زرته من أرض مصر * مددت عليه من كفيك نيلا

وقال نور الدين بن مصعب

رأيت أهل الشام طرا * ما فيهم قط غير راض

الاشتغال غير انه لا يخلو عن القيل والقال مطلق اللسان فى السلف ومن دريا بشان الخلف مع غاية الاعجاب بنفسه عفا الله تعالى عنه بلطفه فى رمسه

نالهم الخير بعد شر * فالوقت بسط بلا انقباض * وعوضوا فرحة بحزن
مذ أنصف الدهر فى التقاضى * وسرهم بعد طول غم * قدوم قاض وعزل قاض
فكلهم شاكر وشاك * بحال مستقبل وماضى

م وكان له ميل الى بعض أولاد الملوك وله فيه أشعار رائقة يقال انه اول يوم زاره بسط له الطرحة وقال له ماعندى أعز من هذه طأ عليها ولما فشا أمرهما وعلم به أهله منعوه الركوب فقال ابن خلكان

ياسادتى انى قنعت وحقكم * فى حبكم منكم بايسر مطلب
ان لم تجودوا بالوصال تعطفا * ورأيتم هجرى وفرط تجنبى
لا تمنعوا عينى القريحة ان ترى * يوم الخميس جمالكم فى الموكب
لو كنت تعلم ياحبيبى ماالذى * القاه من كمد اذا لم تركب
لرحمتنى ورثيت لى من حالة * لولاك لم يك حملها من مذهبى
ومن البلية والرزية اننى * أقضى وماتدرى الذى قد حل بى
قسما بوجهك وهو بدر طالع * وبليل طرتك التى كالغيهب
وبقامة لك كالقضيب ركبت من * أخطارها فى الحب أعظم مركب
وبطيب مبسمك الشهى البارد الـ * ـعذب النمير اللؤلؤى الاشنب
لو لم أكن فى رتبة أرعى لها الـ * ـعهد القديم صيانة للمنصب
لهتكت سرى فى هواك ولذلى * خلع العذار ولو ألح مؤنبى
لكن خشيت بان تقول عواذلى * قد جن هذا الشيخ فى هذا الصبى
فارحم فديتك حرقة قد قاربت * كشف القناع بحق ذاك النبى
لا تفضحن بحبك الصب الذى * جرعته فى الحب أكدر مشرب

قال القاضى جمال الدين عبد القاهر التبريزى كان الذى يهواه القاضى شمس الدين بن خلكان الملك المسعود ابن المظفر صاحب حماة وكان قد تيمه حبه وكنت أنا عنده فى العادلية فتحدثنا فى بعض الليالى الى أن راح الناس من عنده فقال نم أنت هنا وألقى على فروة وقام يدور حول البركة فى بيت العادلية ويكرر هذين البيتين الى أن أصبح وتوضأنا وصلينا والبيتان المذكوران هما

أنا والله هالك * آيس من سلامتى أو أرى القامة التى * قد أقامت قيامتى

ويقال انه سأل بعض أصحابه عما يقوله أهل دمشق فيه فاستعفاه فألح عليه فقال يقولون انك تكذب فى نسبك وتأكل الحشيشة وتحب الصبيان فقال أما النسب والكذب فيه فاذا كان لابد منه كنت انتسب الى العباس أو الى على بن أبى طالب أو الى واحد من الصحابة وأما النسب الى قوم لم يبق لهم بقية وأصلهم قوم مجوس فما فيه فائدة وأما الحشيشة فالكل ارتكاب محرم واذا كان ولا بد فكنت أشرب الخمر لانه ألذ وأما محبة الغلمان فالى غد أجيبك عن هذه المسئلة وذكره الصاحب كمال الدين بن العديم ونسبه الى البرامكة ومن شعره أيضا

وسرب ظباء فى غدير تخالهم * بدورا بأفق الماء تبدو وتغرب
يقول عزولى والغرام مصاحبى * أمالك عن هذى الصبابة مذهب
وفى دمك المطلول خاضوا كما ترى * فقلت له دعهم يخوضوا ويلعبوا

وقال أيضا مضمنا

كم قلت لما أطلعت وجناته * حول الشقيق الغض روضة آس
اعذاره السارى العجول بخده * مافى وقوفك ساعة من باس

وقال أيضا

لما بدا العارض فى خده * بشرت قلبى بالسلو المقيم
وقلت هذا عارض ممطر * فجاءنى فيه العذاب الاليم

وقال أيضا

وما سر قلبى منذ شطت بك النوى * نعيم ولا لهو ولا متصرف
ولا ذقت طعم الماء الا وجدته * سوى ذلك الماء الذى كنت أعرف
ولم أشهد اللذات الا تكلفا * وأى سرور يقتضيه التكلف

وقال أيضا

احبابنا لو لقيتم فى اقامتكم * من الصبابة مالقيت فى ظعنى

وكان له أخ أكبر منه يسمى محمدا ملقبا بزاف نكار من ملازمى المولى جعفر المار ذكره فى هذه الجريدة انتقل مدرسا بمدرسة خواجه خير الدين بقسطنطينية المحمية

٣ هذه الواقعة مبسوطة باوضح مما هنا فى الباب الثالث من كتاب تزيين الاسواق للحكيم داود الانطاكى

لأصبح البحر من انفاسكم يبسا * والبر من أدمعى ينشق بالسفن

وقال أيضا

تمثلتمو لى والديار بعيدة * فخيل لى ان الفؤاد لكم مغنى
وناجاكمو قلبى على البعد والنوى * فاوحشتمو لفظا وآنستم معنى

وقال أيضا

انظر الى عارضه فوقه * لحاظه يرسل منها الحتوف
تعاين الجنة فى خده * لكنها تحت ظلال السيوف

وقال فى ملاح أربعة يلقب أحدهم بالسيف

ملاك بلدتنا بالحسن أربعة * بحسنهم فى جميع الخلق قد فتكوا
تملكوا مهج العشاق وافتتحوا * بالسيف قلبى ولولا السيف ما ملكوا

وقال أيضا

الا ياسائرا فى فقد حى * يقاسى فى السرى حزنا وسهلا
قطعت نقا المشيب وخزت عنه * وما بعد النقا الا المصلى

وقال أيضا

أى ليل على المحب اطاله * سائق الظعن يوم زم جماله
يزجر العيس طاويا يقطع المهـ * ـمه عسفا سهوله ورماله
أيها السائق المجد ترفق * بالمطايا فقد سئمن الرحاله
وأنخها هنيهة وأرحها * قد براها فرط السرى والكلاله
لا تطل سيرها العنيف فقد * برح بالصب فى سراها الا طاله
قد تركتم وراءكم حلف وجد * باديا فى محلكم اطلاله
يسأل الربع عن ظباء المصلى * ماعلى الربع لو أجاب سؤاله
ومحال من المحيل جواب * غير ان الوقوف فيها علاله
هذه سنة المحبين يبكو * ن على كل منزل لا محاله
يا ديار الاحباب لازالت الأد * مع فى ترب ساحتيك مناله
وتمشى النسيم وهو عليل * فى مغانيك ساحبا أذياله
أين عيش مضى لنا فيك ما أسـ * ـرع عنا ذهابه وزواله
حيث وجه الشباب طلق نضير * والتصابى غصونه مياله
ولنا فيك طيب أوقات أنس * ليتنا فى المنام نلقى مثاله
وبارجاء جوك الرحب سرب * كل عين تراه تهوى جماله
من فتاة بديعة الحسن ترنو * من جفون لحاظها مقتاله
ورخيم الدلال حاو المعانى * تتثنى اعطافه مختاله
ذو قوام تود كل غصون الـ * ـبان لو أنها حكى اعتداله
وجهه فى الظلام بدر تمام * وعذاراه حوله كالهاله
ظبية تبهر العيون جمالا * وغزال تغار منه الغزاله
ياخليلى اذا أتيت ربا الجر * عاو عاينت روضه وظلاله
قف به ناشدا فؤادى فلى ثم * نوار أخشى عليه ضلاله
وبأعلى الكثيب بيت أغض الطرف * عنه مهابة وجلاله
كل ماجئته لاسأل عنه * أظهر العى غيرة وتباله
أنا أدرى به ولكن صونا * أتعامى عنه وأبدى جهاله
منزل حبه على قديم * فى زمان الصبا وعصر البطاله
ياعريب الحمى اعذرونى فانى * ماتجنبت ارضكم عن ملاله
حاش لله غير انى أخشى * من عدو يسىء فينا المقاله
فتأخرت عنكم قانعا من * طيفكم فى المنام يهدى خياله
أتمنى فى النوم زورخيال * والامانى اطماعها قتاله
ياأهيل النقا وحق ليالى الـ * ـوصل ماصبوتى عليكم ضلاله
لى مذ غبتمو عن العين نار * ليس تخبو وأدمع هطاله
فصلونا ان شئتمو أو فصدوا * لاعدمنا كمو على كل حاله

وقال أيضا

يارب ان العبد يخفى عيبه * فاستر بحلمك مابدا من عيبه
ولقد أتاك وماله من شافع * لذنوبه فاقبل شفاعة شيبه

وقال أيضا

أعدمتنى بالجوى يافاتر المقل * فصح وجدى على مابى من العلل

بخمسة وعشرين وله حواش مقبولة على حاشية التجريد للشريف ورسالة أخرى فى علم الفقه أول كتاب العتاق من الهداية ورسالة أخرى فى علم المعانى وغيره وكان

وملت ـنى الى الواشى فـلاعجبا * والغصن مازال مطبوعا على الميل
ياواحد الحسن عدبنور ة حلما * وهايدى ان نومى قد حفامقلى
ياجـيرة ياعالى الخيف من اضم * خنيتمو بجفا كم فى الهوى أملى
وملتمو بجميل الصبرعن دنف * أجل ماتيمـنى سرعة الاجـل
تجرى عليـه متى غبتـم مدامعه * وماعسى ينفع الباكى على طلل

وقال أيضا

أياغادرا خانت مواثيـق عهـده * لقـد جرت فى حكم الغرام على الصب
وأقصيته من بعـد أنس وصحبـة * وماهـكذا فعل الاحبة والصحب
فلله أيام تقضت حميدة * بقربك والذات فى المنزل الرحب
واذأنت فى عينى ألذمن الكرى * وأشهى الى قلبى من البارد العذب
فلهفى على ذاك الزمان الذى غدت * عليـه دموع العين دائمة السكب
ومذصرت ترضينى بقول ملـق * وتظهرلى سلما أشد من الحـرب
ثنيت عنانى عـن هواك زهادة * وان كنت فى أعلى المراتب من قلبى
لانى رأيت القلب عنـدك ضائعا * تعذبه كـيف اشتهيت بلاذنب
ولم تحفظ الود الذى هـو بيننا * ولم ترع أسـباب المودة والحب
ولاأنت فى قيـد المحب اذاغـدا * يقلبـه الاشـواق جنبا الى جنب
ولاأنت ممـن يرعوى لمقالتى * فاشـفى قلـبى بالشكية والعتب
ولارمت منـك القرب الاجفوتنى * وأبعدتـنى حتى أيست من القرب
وأصغيت للواشى وصـدقت قوله * وضيعت مابينى و بينـك بالـكذب
فـلم يبـق لى والله فيـك ارادة * كفانى الذى قاسيت فيك من الحب
ولاالى فى حبيـك ماعشت رغبـة * أبى الله ان تسـبى فؤادى أوتصبى
ومن ذا الذى يقوى على حمل بعض ما * تجرعته بالذل من خلقك الصعب
فلاترج منى بعد ذاحسـن صحبـة * فحسبى سلوا بعض ماقلته حسـبى
فـلاتعتبنى قـد قطعت مطامعى * وخففت حتى فى الرسائل والـكتب

وقال فى المعنى

أيامعرضا عنى بغير جناية * أماتستحى من فرط تيهك والعجب
سلوتك فاصنع ماتشاء فانه * محا كثرة التقبيح حبك من قلبى

نحـمدك يامن جعلت الانام عينا ثم أثرا ثم خبرا فسطرت آيات وحـدانيتك على صفحات العـقول حجـجا وعبرا والصلاة والسلام على سيدنا محمد الآتى بأخبار الاولين عظة واعتبارا وعلى آله وصحبه الكاملين علما واستبصارا (أمابعد) فقدتم بحمده تعالى طبع كتاب وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان لنادرة دهره وعلامة عصره قاضى القضاة ابى العباس أحمد بن خلكان والى الله عليه هوامع الرحمـة والاحسان وقد حليت طرره ووشيت غرره بالشقائق النعمانيه ثم بالعقد المنظوم فى ذكر أفاضل الروم فجاء على مايتمناه كل شائق لمعاهد تلك الرسوم وذلك بالمطبعـة الميمنيه بمصر المحروسة المحمية بجوار سيدى أحمد الدردير قريبا من الجامع الازهر المنير ادارة المفتقر لعفو ربه القـدير أحمد البابى الحلبى ذى العجز والتقصير وذلك فى شهر ربيع الاول سنة ١٣١٠ هجريه على صاحبها أفضل صلاة وأتم تحيه آمين



رحمه الله عالما عاملا فاضلا كاملا أديبا لبيبا دينا وقورا خيرا صبورا مشتهرا بالفضيلة التامة مقبولا عند الخاصة والعامة انتقل رحمه الله تعالى سنة أربع وثمانين وتسعمائة



